شؤون فلسطينية

٢٦

تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٦ — تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢ ١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٤ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : نقشة فولكلورية فلسطينية

المحتويات

١٣٥ **تقرير عن الارهاب الصهيوني الامبريالي ودور الشرطة والاعلام الفرنسيين فيه** ، زياد عبد الفتاح .

١٤٤ **مراجعات** : مراثي سميح القاسم ، الياس خوري . عروبة فلسطين في التاريخ ، قسطنطين خمار . شعر فلسطيني ، سمير بوتاني . بن جوريون يتكلم ، محمد شعيرات . بيروبيجان : التجربة السوفياتية لانشاء وطن قومي يهودي ، جورج أبي شاهين .

١٦٢ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش . مع ملحق عن الاردن ، س. ج. (٣) القضية الفلسطينية دوليا، صادق جلال العظم. (٤) المناطق المحتلة، عبد الحفيظ محارب . مع ملحق عن صحف الضفة الغربية ، عيسى الشعيبي . (٥) اسرائيليات ، عماد شقور وهاني عبدالله . (٦) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٤/٨/١٩٧٣ — ١٣/٩/١٩٧٣ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

ابراهيم العابد

تجمعت خلال الاشهر القليلة الماضية عدة قضايا نشعر ان لا بد من عرضها على قراء « شؤون فلسطينية » تكريسا للتقليد الذي سارت عليه منذ صدورها والذي يتمثل باطلاع القراء على منهج تفكيرها واسلوب تحريرها .

اولى هذه القضايا مطالبة العديد من القراء بتخفيض عدد صفحات شؤون فلسطينية خاصة وان حجمها ازداد حين اصبحت تصدر كل شهر عما كانت عليه عندما كانت تصدر مرة كل شهرين ابان سنتها الاولى ، وان معدل الكلمات في الصفحة الواحدة يصل الى ٥٥٠ كلمة وهو أعلى بكثير من المعدل المتعارف عليه في الدوريات الاخرى . كنّا حتى الآن لا نلبي ، عن عمد ، رغبة القراء هذه بسبب شعورنا بان علينا ان نضع بين ايديهم أكبر كمية من المواد لسببين : الاول غزارة المواد المتوافرة لدينا والتي نحس باستمرار بضرورة نشرها وبأسرع وقت ممكن . والثاني كون شؤون فلسطينية دورية مرجعية لا تفقد المواد التي تتضمنها قيمتها بمرور الزمن وانما بسبب ان هذه المواد دراسات معمقة لعديد من مظاهر القضية الفلسطينية وجوانبها تظل تخدم الباحثين والدارسين والقراء المطلعين في كل وقت يشاؤون الرجوع اليها . رغم ذلك ، فاننا نعد القراء بأننا سنبذل قصارى الجهد لتخفيض عدد الصفحات خاصة اذا أخذنا بالحسبان الارتفاع الكبير في أسعار الورق في الوقت الذي ظل فيه سعر شؤون فلسطينية على حاله والذي هو أقل بكثير من سعر مثيلاتها من الدوريات العربية خاصة التي تصدر في بيروت .

القضية الثانية التي نرغب في لفت الانظار اليها هي اننا أضفنا ،

منذ العدد الثاني والعشرين بابا جديدا في قسم الشهريات يتضمن استعراضا للقضايا الرئيسية التي تطرح في الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية بهدف استكشاف طبيعة اهتماماتها وردود فعلها تجاه الاحداث الهامة، ولتبين مدى تأثرها بالاحتلال وبالآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الناجمة عنه . والجدير بالذكر ان شؤون فلسطينية هي الدورية العربية الوحيدة التي تقدم مثل هذه المادة وبشكل مستمر .

القضية الثالثة تمثلت في ورود ردود او تعليقات على بعض ما ينشر في شؤون فلسطينية من مقالات او مراجعات كتب . اننا نعتبر هذا دليل علاقة حيوية بين القارىء وبيننا . ويهمنا ، في هذا الصدد ، ان نورد نقطتين : الاولى اننا حين ننشر مراجعة لكتاب فاننا لا نتبنى بالضرورة الملاحظات التي يوردها المراجع ان على الكتاب او الكاتب وان كنا نبذل جهدنا لتخفيف الانطباعات والملاحظات الشخصية ما أمكن . والثانية اننا نشجع بشكل خاص التعليقات والايضاحات والاضافات (وخاصة الشهادات الشخصية) على الموضوعات المتعلقة بتاريخ النضال الوطني الفلسطيني وبحرب ١٩٤٨ ذلك ان المصادر العربية عن هذين الموضوعين محدودة ومعظمها لا يزال غير مدوّن وغير مدقق . لذا سيلاحظ القراء في هذا العدد نداء لكل من يعرف شيئا عن الشهيد ابراهيم ابو دية ليزودنا به كمثال على هذا الاهتمام .

القضية الرابعة التي نود الاشارة اليها تتعلق بمواكبة شؤون فلسطينية للاحداث الراهنة . لقد افردنا قسما خاصا وهو قسم الشهريات (الذي بدأ بأربعة ابواب واصبح الآن عشرة) ليتولى كاتبوه مواكبة التطورات البارزة على صعيد القضية الفلسطينية بالتسجيل والتحليل . الى جانب الشهريات ، فاننا نسعى في كثير من الحالات الى تخصيص بعض الصفحات الاولى لمعالجة قضية او قضايا راهنة رئيسية . الا اننا نعتقد ان الشهريات تقدم الكثير في هذا الصدد .

ويهمنا ان نعبّر لقرائنا عن اعتزازنا بدعمهم لنا ، هذا الدعم الذي تمثل هذا الشهر بظاهرة ربما انفردت بها شؤون فلسطينية دون غيرها من الدوريات عربية كانت أم غير عربية ، الا وهي اننا دفعنا الى المطابع الاعداد الخمس والعشرين الماضية لاعادة طباعتها بالنظر لورود طلبات عديدة (بالآلاف) لها . وبذلك فان الاعداد السبعة الاولى تكون قد طبعت ثلاث مرات بالاضافة الى الطبعة الاولى . ونؤكد مرة اخرى حرصنا على مواصلة العمل لتحسين شؤون فلسطينية ورفع مستوى ابحاثها وتقاريرها لنحافظ على ثقة القارىء بنا .

تأملات في المرحلة الراهنة

الدكتور كلوفيس مقصود

[١]

ثمة أحداث وتطورات تبدو لاول وهلة وكأنها منفصلة ، وهــي في الواقع مترابطة ومتداخلة . ولعل الفكر الطليعي الثوري يكمن في القدرة على استيعاب هذه الاحداث واكتشاف اتصالها بعضها ببعض من أجل وضع حركة التحرر والثورة في أمتنا ، خاصة على الساحة الفلسطينية ، ضمن اطار واضح المعالم . ان هذه العملية أي عملية الربط واكتشاف التداخل بين مختلف التطورات والاحداث هي من أصعب وأعقد التحديات التي تواجه العمل السياسي الملتزم والفكر الثوري العربي . ولعل ابقاء الفكر الثوري في حالة الاتصال بالاحداث العالمية وفي حالة الالتصاق بالمعاناة القومية والشعبية من شأنه أن يعطي الفكر دوره الفاعل والمنظم والمنتج . ان هذا الدور لا بد من تثبيته في تحركاتنا الستراتيجية والسياسية والتنظيمية لانه بواسطة هذا الاستيعاب وهذا الربط نحصن الثورة العربية وخاصة قطاعها الفلسطيني بالمتانة التي تبقيها في منأى عــن التعثرات والمآزق التي تعتري سبيل الثورات والعمليات الجذرية والتغييرية خاصة في العالم الثالث

نسوق هذه المقدمة لاننا نعيش وسط متغيرات شديدة التأثير على أوضاعنا ، ولا بد من أن يكون استيعابنا لها واستباقنا للبعض منها هما الوسيلة التي تمكننا من السيطرة على الثوابت في تصوراتنا وأهدافنا ، وهي أيضا الوسيلة التي باستطاعتنا ان نجعل هذه المتغيرات تخضع لمستلزمات الثوابت بدلا من أن نتلاطم معها نظرا لفقدان القدرة عندنا على فهم المتغيرات وتكييف الثوابت العربية عامة ، والفلسطينية خاصة بما تنطوي عليه من جديد في المعادلات القائمة والمنتظرة .

لقد تلاحقت في الاسابيع القليلة الماضية أحداث كثيرة لها علاقة مباشرة وغير مباشرة مع قضيتنا التحررية ولها تأثيرها على مستقبل القضية الفلسطينية بشكل خاص . ولا بد من التأكيد باديء ذي بدء بأن القضية الفلسطينية ليست قضية الفلسطينيين وحدهم بل هي قضية العرب ايضا وهي تستوجب قدرا من التعبئة من أجل المجابهة في الساحة العربية مساويا تماما لذلك القدر من التعبئة المطلوب في الساحة الفلسطينية نفسها . اننا نورد هذا الاستدراك لان أي تفاوت في مستوى التعبئة بين الفلســطينيين العرب والعرب اجمالا يؤدي الى أن يعتبر الفلسطينيون مجابهتهم مع اسرائيل والصهيونية قضية مصيرية بينما يصبح بامكان العرب الآخرين — بنسب متفاوتة — تقييم المجابهة مع اسرائيل على انها مشكلة بالغة التعقيد ولكنها ليست متعلقــة بالجانب المصيري للوجود العربي . ان هذا التفاوت في مستوى التعبئة هو العامل الاساسي الذي يربك العلاقات العربية — الفلسطينية الى درجة تزيد فيه فجوة الثقة والشعور الفلسطيني بالعزلة . لان ليس المهم بالنسبة للفلسطينيين ان يكون هنــاك تعاطف مع تطلعاتهم ومعاناتهم أو اعتبار الدول العربية أن قضية الفلسطينيين المصيرية هي بالنسبة للعرب

مشكلة رئيسية ، الاهم هو أن الفلسطينيين من منطلق انتمائهم العضوي والقومي للامة العربية عليهم الاستشعار بأن دورهم في المجابهة هو مظهر من مظاهر التنوع في الجبهة العربية المتصدية لاسرائيل وأهدافها. فاذا كان الدور الفلسطيني متميزا بالنسبة للظروف التاريخية والموضوعية فهذا لا يعني ان التميز يصبح ذريعة لسلخ الثورة الفلسطينية عن مصادر قوتها الذاتية والطبيعية أي الامة العربية والجماهير العربية .

لعله من المستغرب ان نجد انفسنا في حالة اضطرار لان نؤكد مثل هذه البديهيات ، الا ان حالة التردي التي وصلنا اليها يعود السبب فيها الى أننا نتصرف وكأننا في حالة اغتراب عن البديهيات القومية وكأن الكيانات العازلة بيننا شكليا صارت عازلة بين بعضنا البعض عمليا ومسلكية . ففي حين كانت هذه الفواصل الاعتباطية التي تغرق الدول العربية في حالة من الضعف ازاء الاستنهاض الجماهيري الذي ميز حركة التحرر العربي في الخمسينات وأوائل الستينات أصبحت وكأنها المفاصل الاساسية التي يقوم عليها واقعنا ومصيرنا . ان هذا التفتت في الوعي القومي هو الذي دفع بالثورة الفلسطينية الى ان تبدو وكأنها رافضة الارتهان بالواقع العربي ومستسهلة استعمال المفردات التي تدين هذا الواقع العربي مثل رفضها « الوصاية » العربية . ان مجرد استعمال مثل هذه المفردات الخاطئة نظريا والصائبة عمليا هو انعكاس للتفاوت المخيف بين مستويي التعبئة في القطاع الفلسطيني وفي الساحة العربية . فما دامت التعبئة الفلسطينية مكثفة لدرجة التنظيم الثوري فهي بالضرورة بمستوى متقدم عن التعبئة الجزئية اللاثورية في معظم الاقطار العربية . من هنا فان رفض الثورة الفلسطينية لما سمته « الوصاية » هو بمثابة تعبير عن حرص الثورة الفلسطينية على ان لا يميع مستوى التعبئة عندها الى المستوى المدجن الذي تطالب به بعض الانظمة العربية . ففي حين ان الثورة الفلسطينية تتصور نفسها أداة تفجير للطاقات الثورية المختزنة في الامة العربية نجد ان معظم الانظمة تعمل بشتى الاساليب والاغراءات على جر الثورة الفلسطينية الى مستوى التعبئة الذي ترتضيه والذي من شأنه جعل الشعب الفلسطيني أكثر طواعية للاهداف الحقيقية لهذه الانظمة والتي تتعلق بايجاد تسوية تسلم لا بشرعية الوجود الاسرائيلي فحسب بل بما ينطوي عليه هذا الوجود من امكانات الهيمنة والتسلط على مقدرات المنطقة . اذن يمكننا القول ان رفض « الوصاية » العربية ليس — ولا يجوز ان يكون — منطقا اقليميا او انفصاليا بل هو منطق ثوري في فهم طبيعة بعض الاوضاع العربية التي تجاوزتها الثورة وتعتبر نفسها بالتالي طليعة حركة التجاوز الجماهيري العربي لاوضاعنا الراهنة .

[٢]

ازاء التطورات الخطيرة التي تمر بها القضية الفلسطينية عربيا ودوليا ، يتوجب على الثورة الفلسطينية ان تبادر بعملية تصحيح وان تتصدى بحزم للميوعة المستجدة للمقاييس وذلك لتمتين وتصليب وتقوية الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة من جهة وبين مختلف قطاعات الشعب الفلسطيني ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى وحتى يتم هذا المزيد من العضوية في الوحدة الوطنية فلا بد ان تدرك الثورة الفلسطينية بأن وحدتها الوطنية يجب أن تكون قابلة للتجديد وليس هي الصيغة الجامدة . فالوحدة الوطنية تأخذ مدلولات جديدة ازاء التحديات الجديدة فاذا اكتفي بالاعلان عن الوحدة الوطنية دون الاستمرار بتنشيطها بواسطة الحوار الديمقراطي المستمر عندئذ تصبح الوحدة الوطنيةمتعلقة بالشكل ومتخلية عن المضمون ، وبالتالي تصبح سريعة العطب ازاء اية

ازمة تواجهها أو اي سؤال يطرح نفسه ولا يلاقي جوابا . ان الوحدة الوطنية التي تحققت في السنتين الاخيرتين داخل الثورة الفلسطينية يجب أن تمتبر نقطة الانطلاق نحو التوجه الوحدوي المستمر بدلا من كونها نهاية المطاف لانه اذا اعتبرت الوحدة الوطنية نهاية بحد ذاتها تصبح عنوانا نتمسك به أكثر من سبيل نعمل علـى هديه . في هذا المضمار لا بد من التقرير ان الوحدة الوطنية القائمة لم تعد بالمستـوى المطلوب وهي بحاجة الى مزيد من التنشيط والتجديد خاصة في مواجهة ما تقوم به المحاور الدائرة في فلك الامبريالية من اعمال وتنفيذ خطط من شأنها ضرب القضية الفلسطينية في المقتل اي في ضرب الوحدة الوطنية الفلسطينية .

اذن النقطة المركزية تبقى الوحدة الوطنية الفلسطينية ، لانها هي التي ترسي قواعد أهلية التمثيل الفلسطيني وكون الثورة الفلسطينية هي المرجع الفلسطينـي للتمثيل ولتقرير المصير . لقد حصلت محاولات عديدة في الماضي من أجل ابراز الظروف المختلفة للتواجد الفلسطيني ـ داخل فلسطين المغتصبة ثم داخل فلسطين المحتلة وفي المخيمات في الاردن وسوريا ولبنان وغيرها من أماكن التواجد الفلسطيني ـ وكأنها مدخل لتعدد في الجهات الناطقة باسم الشعب الفلسطيني أو لقيام مطاليب مختلفة للقطاعات المختلفة للشعب الفلسطيني . ان هذه المحاولات كانت تستهدف دائما اشاعة الشك حول وجود شعب فلسطيني واحد وبالتالي اسقاط الشعب الفلسطيني كوحدة وطنية من حسابات المنطقة واعتبار كل قطاع منه بمثابة مشكلة مستقلة قابلة للمعالجة الادارية المتنوعة بموجب ظروف التواجد المختلف . وقد أسهم النظام الاردني في هذا المضمار بحيث عمل دائما على طرح نفسه ممثلا عن النظام الفلسطيني الذي تواجد ضمن اطاره الا أن بروز منظمة التحرير وثم تثويرها بواسطة تسلم فصائل المقاومة لمقاليد قيادتها ركـز عند الشعب العربي القناعة بأن الثورة الفلسطينية هي الشعب الفلسطيني وتمكنت الثورة من خلال نضالها وتوضيح افكارها انتزاع الاعتراف الدولي بأنها، أي الثورة الفلسطينية، هي وحدها الشرعية الفلسطينية . لذلك تمكنت الثورة الفلسطينية ان تحسم بشكل قاطع قضية التمثيل الفلسطيني وأن تضع حدا لمحاولات افتعال قيادات فلسطينية مزيفة تنتحل لنفسها صفة التمثيل حتى صفة التمثيل الشامل او حتى التمثيل الجزئي . ان الثورة الفلسطينية تمكنت أن تنتزع من العالم الاعتراف بوحـدة الشعب الفلسطيني وبوحدة مصيره وبذلك حققت الثورة الفلسطينية احدى منجزاتها الرئيسية وهي كونها تجاوزت الظروف المختلفة للتواجد الفلسطيني الى شد الشعب نحـو ادراك وحدته ووحدة مصيره ، وبهذا أقفل امام الامبريالية الاميركية وأمام الرجعيات العربية احتمالات استغلال التباين الموضوعي عند قطاعات الشعب الفلسطيني من أجل الغاء فعالياته والحد من طموحاته المشروعة في التحرير .

نورد هذا الموضوع نظرا لان الثورة الفلسطينية تعيش فترة من أصعب وأدق فتراتها، خاصة وان بعض عناصرها يتصرف وكأنه أصبح فاقدا الى حد ما قدرة ترتيب سليم للاولويات الراهنة . هذا بحد نفسه يشكل منزلقا خطيرا لا بد من تجنبه وان ظهر هذا التجنب وكأنه طمس للحوار ولدراسة البدائل المطروحة بحرية كاملة . السؤال الذي يطرح نفسه بهذا الصدد هو كيف نخضع التزامنا للحوار الديمقراطي الحـر والحي لمقتضيات الوحدة الوطنية داخل الثورة الفلسطينية ؟ الجواب يكمن في أن الوحدة الوطنية للثورة تنطوي على مسلمات مبدئية وسلوكية تعتبر الثوابت في الثورة وبالتالي غير قابلة للمراجعة الجذرية او للتخلي عنها . لكن هذه الثوابت يجب ان لا تكون حائلا أمـام مناقشة المتغيرات حتى ولو وصل النقاش بها وكأنها أخذت تتعرض للثوابت والمسلمات.
لقد حصل في الآونة الاخيرة ان قامت داخل اطار الثـورة تيارات مختلفة ، تنطلق من المسلمات المبدئية ، تناقش ستراتيجية العمل الثوري في المرحلة الراهنة . وقد أحدثت

هذه الاطروحات مناقشات في صميم العمل المرحلي مما ادى الى فقدان المقدرة على التمييز بين الثوابت والمتغيرات ، والى اعادة ترتيب الاولويات بدون بروز اية دلائل على وجود بوادر تغيير في المنطقة تستوجب اية اعادة نظر اساسية في الترتيب القائم لاولويات الثورة الفلسطينية . وقد تذرع المحاورون ، بأن ثمة تغييرات حاصلة في الواقع العربي — وبالتالي لا بد للثورة الفلسطينية ان تأخذ اجراءات تخفف من وطأة سلبيات هذا التغيير من جهة وتستفيد من اية تنازلات يمكن لهذا التغيير أن يقدمه للثورة نتيجة ضغط الانظمة المقربة لها . وقد بدأ الحوار وكأنه يبدأ من موقعين : الاول ان الثورة الفلسطينية يجب ان تأخذ بعين الاعتبار ان المتغيرات الدولية — خاصة فيما يتعلق بالتقارب الاميركي — السوفياتي ، والى حد اقل بالتقارب الاميركي — الصيني — تفرض عليها ان تبقي خطها الستراتيجي مستهدفا التحرير الكامل ، بحيث يجيء هذا الهدف من خلال تصور علمي واضح للمراحل التي لا بد للثورة من المرور بها قبل الوصول الى هدفها . ويستحضر هؤلاء المحاورون تجربة فيتنام التي انتصرت ثورتها دون ان يتحقق التحرير الكامل ، بل ان انتصار الثورة كان يتحقق بمجرد توسيع رقعة الجبهة الوطنية الديمقراطية في المناطق المتحررة . هذا بدوره كان يؤدي في فيتنام — وكما هو مقترح ان يؤدي في الشرق الاوسط — الى تبديل موازين القوى لدرجة تتمكن الثورة من ايجاد الظروف الملائمة لتحقيق أهدافها المرحلية باستمرار . ومع ان التشبه بالثورة الفيتنامية فيه الكثير من الاضاءة لطريق الثورة الفلسطينية الا أن اعتماد سياسة التمرحل وتوسيع رقعة التحرير كانت منطقية ومطلوبة من حيث ان المجابهة — وان كانت أيضا مع الوجود المباشر للامبريالية الاميركية — كانت ولا تزال اساسا مع القوى الرجعية الحاكمة من داخل اطار الانتماء الوطني الموحد . اما الثورة الفلسطينية فليست في الموقع الذي يجيز لها مثل هذا الاستنتاج الآلي لان اسرائيل من حيث تركيب بنيتها الاستيطانية ومؤسساتها المندفعة نحو التهويد وازالة الوجود العربي لا يمكن أن ترضى بتسوية مرحلية حتى ولو جاءت هذه التسوية حصيلة تغير في موازين القوى — لان هذا التغيير سيجيء بنتيجة دك معاقل الكيان الاسرائيلي من حيث هو بنية هيكلية . حتى عندما يتم هذا الهدف فان الثورة تكون عندئذ قد تجاوزت مراحل متعددة نحو التحرير ويصبح التوافق مع السكان اليهود معضلة دستورية ادارية وليست مسألة مجابهة مصيرية . يتراءى لنا اذن ان التحدي الاسرائيلي يستحضر معه أوجها من التجربة الفيتنامية ومن التجربة الجزائرية بالاضافة الى الميزات الفردية للتحدي الاستعماري الصهيوني . ورغم ان الدعوة الى تمرحل الاهداف الثورية لا تشكل بحد ذاتها انحرافا عن خط الثورة فان طرح بدائل مختلفة عن خيار التحرير الكامل في ظرف تقفل فيه كل ابواب الاستفادة من المتغيرات الدولية والعربية امام الثورة ، يدفع بالثورة الى المزيد من التمسك بوحدتها الوطنية وانضباطية مواقفها كي يكون الاستقطاب بينها وبين التحرك العربي الراهن كاملا وواضحا وبالتالي يفوت على هذا التحرك فرص انجاز مهماته في تثبيت النظام الاردني واستدراج الامة العربية نحو المزيد من التردي ومن ترسيخ عوامل التجزئة وما يتبع ذلك من تمكين المحور الامبريالي — الاسرائيلي من الهيمنة ، والرجعية العربية من استعادة أنفاسها والتسلط على مقدراتنا .

هذا بدوره يجب أن لا يعني الحيلولة دون طرح الخيارات المتغيرة امام الثورة الفلسطينية ليصار الى بحثها بدقة علمية وبروح الوحدة الوطنية بدلا من الطرح الجاف والمترمت الذي يفتعل المساجلة بدلا من الحوار والذي يطرح افكاره كأنه يغلق باب المناقشة . ولعل الالتباس القائم في مؤسسات اعلام الثورة يجعل طرح البدائل لمواجهة المتغيرات وكأنه انعكاس لاختلافات مبدئية بدلا من ان يكون الطرح — كما يجب ان يكون — بمثابة اوراق عمل للمناقشة الحرة الشاملة . هذا بدوره يجعل قضية الاعلام

الموحد للثورة قضية ملحة للغاية من حيث ان تكاثر المنابر ــ وان كان بستار كون البعض منها منابر أحزاب وليس فصائل مقاومة ــ وحرية التصرف الاعلامي عند القيادات يؤدي الى افتقاد اعلام الثورة مركزيته وما يتبع هذا من تسيب واشاعة للفوضى واضعاف للوحدة الوطنية .

من جهة أخرى نجد ان الوحدة الوطنية اذا بقيت عنوانا بدون مضمون حي ومتجدد فسوف تجد نفسها ستارا لقيام شلل ومحاور داخل اطار الوحدة . هذا بنظرنا هو اخطر من خطر غياب الوحدة الوطنية لان بقاء الغطاء يحول دون التصدي المباشر للانقسامية وللمحاور مع الابقاء على كل سلبيات المحاور والانقسامية . في هذا المضمار نجد ان الاحداث والتطورات القائمة في الساحة العربية تبدو وكأن لها الغاما موقوتة في واقع ومؤسسات الشعب الفلسطيني تنفجر لتتواقت مع مقتضيات تعطيل وحــدة الشعب الفلسطيني وأهلية الثورة لقيادة مسيرته واعلان مواقفه المحسومة . من هنا يتوجب بالاضافة الى دفع الثورة نحو المزيد من الوحدة العضوية الوطنية دفعها نحو المزيد من الانضباطية الثورية .

لقد ظهرنا في الآونة الاخيرة وكأننا اعجز عن استيعاب ابعاد القضية الفلسطينية وكأننا غير متفهمين لحيوية العدالة التي تنطوي عليها . من أجل هذا نجد انفسنا أمام مفارقة قد تكون فريدة من نوعها وهي ان العالم آخذ في اكتشاف هذه القضية ومن ثم الالتزام بمضامينها الثورية والتحريرية في حين نظهر وكأننا ساعون نحو تفريغ القضية من محتواها الثوري ومن أهدافها التحررية الكاملة . هذا بالطبع لا يعني أن التزام العالم بمعظم الاوجه النضالية للقضية الفلسطينية صار متكاملا او ان تخلي الواقع العربي الراهن عن القضية الفلسطينية صار محتوما او ان السعي نحو التخلي أصبح مندفعا بدون امكانية توقيفه .

ولعل أكبر دليل على صحة التوجه الثوري للقضية الفلسطينية كامن في انها تدرك ان أية ذبذبة قد تظهر في مواقع الانظمة الوطنية والتي قد تكون حتمتها ظروف واقعية ستحسم لصالح المجابهة الحقيقية كما حصل في التصدي البطولي الرائع الذي قامت به القوات المسلحة السورية عندما تصدت بدون حسبان الخسائر مفوتة على العدوانية الاسرائيلية محاولتها تثبيت سيطرتها في الاجواء وبالتالي هيمنتها على المنطقة . ورغم ان الخسائر التي منينا بهــا كانت كبيرة الا أن روح التصدي والثقة والمقاومــة الذي أشاعته في الجماهير العربية كانت اكبر بكثير وأعمق بكثير . أكثر من هذا فانها مؤشر آخر على صحة تقييم الثورة الفلسطينية بضرورة قيام الجبهة الشرقية وسلامة التوجه المصري ــ السوري نحوها لكن بدون الدخلاء عليها حتى عندما نقوم بالمجابهة يكون المحسوب **مع** هو في واقع الامر في خانة **الضد** ونكون بذلك اخطأنا مرتين .

بالامس في مؤتمر اللاانحياز وأول أمس في مؤتمر الشباب العالمي في برلين انتقل علم الثورة من فيتنام الى فلسطين . وكان باكورة هذا الانتقــال ان قطعت كوبــا الثورة علاقاتها مع اسرائيل . . . وكما في برلين كذلك في الجزائر عبر ياسر عرفات عن الحضور الفلسطيني لان لا حضور لفلسطين بدون الثورة . . ولا فعالية للثــورة بدون الوحدة الوطنية . . .

والا فلتكن امثولة تشيلي واستشهاد سلفادور الندي ماثلة أمامنا . . . المتربصون للحق شرساء الا أن قوة وحدة الثورة أقوى من شراسة المتربصين . كان الندي ثائرا ديمقراطيا عظيما . . صرعته أحقاد الاستعماريين والرجعيين . . . لكن هذه الاحقاد ستصرع أمام ثبات الحق كما في تشيلي كذلك في فلسطين .

مؤتمر عدم الانحياز والقضية الفلسطينية

الدكتور نبيل شعث

انتهى مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز — الذي عقد في الجزائر خلال الفترة بين ٢ — ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ — بمجموعة هامة من البيانات والقرارات والوثائق التي تشكل في مجملها دفعة سياسية هامة للنضال الفلسطيني . وصحيح ان القرارات والبيانات الصادرة عن مثل هذه المؤتمرات لا تحرر الاوطان ، كما أنها ليست بديلا عن الكفاح المسلح ولا عن النضال السياسي بين جماهيرنا العربية وعلى أرضنا المحتلة ، ولكنها — وفي هذه المرحلة الراهنة بالذات — ذات أهمية خاصة ويجب الاستفادة منها الى أقصى حد ممكن .

ففي الوقت الذي تتعرض فيه الثورة الفلسطينية لكل مؤامرات التصفية السياسية والجسدية على الارض العربية وفي وطننا المحتل ، وفي الوقت الذي تبرز فيه محاولات اعادة فرض الوصاية على القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، وفي الوقت الذي تتعاظم فيه محاولات اسكات البندقية الفلسطينية واحباط الارادة النضالية الثورية العربية التي جسدتها الثورة الفلسطينية وقادت طلائعها ، في هذا الوقت بالذات يأتي مؤتمر الجزائر بعد مهرجان برلين ليفتح أمام الثورة الفلسطينية أبوابا للانطلاق الى دول العالم الثالث والمنظومة الاشتراكية تدخل فيها كممثلة شرعية وحيدة ومستقلة للشعب الفلسطيني ، وكرائدة للنضال الثوري التحرري العربي وكطليعة ثورية رئيسية وكجزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمية .

ان مظاهر هذا الدعم تتضح عندما سنراجع بعد قليل تطور القرارات الصادرة عن دول عدم الانحياز خلال مؤتمراتها السابقة المقارنة بالقفزة النوعية الهامة لقرارات مؤتمر الجزائر .

ان هذا التغير الهام في مواقف عدد كبير من دول العالم الثالث وحركاته الثورية تجاه الثورة الفلسطينية يرجع دون شك لاستمرار هذه الثورة في ممارسة الكفاح المسلح رغم الصعوبات والعراقيل الهائلة التي توضع أمامها ، ورغم ضراوة الاعداء الذين تواجههم .

ان القضية العادلة للشعب العربي الفلسطيني مقرونة بالنضال المستمر لطلائع هذا الشعب هما العاملان القادران على استقطاب كل الاصدقاء وعلى احداث فرز حقيقي في الساحة العالمية بين معسكر الامبريالية وعملائها ومعسكر قوى التحرر والثورة ، كما أنهما قادران ايضا على تحييد بعض الاعداء والعملاء وقد بدا ذلك واضحا في مؤتمر الجزائر .

ولقد فسر البعض الانفتاح العالمي على قضيتنا العادلة في هذه المرحلة تفسيرا تآمريا وعزوه الى الدول الكبرى التي تريد الالتفاف حول الثورة الفلسطينية والهاءها بالمظاهر الدبلوماسية وصرفها عن طريقها النضالي . بل أن البعض كان يتخوف من أن المؤتمر وكواليسه ستكون مسرحا للتحركات المشبوهة الداعية الى القبول بالتسوية السياسية

من خلال طروحات الدويلة الفلسطينية ، وظل هؤلاء يرددون انه كلما كبر حجم منظمة التحرير الفلسطينية دوليا وازداد الاعتراف بشرعيتها وزنا كلما ازداد خطر التآمر على النضال الفلسطيني . ولا شك ان لهذا التفسير بعض مبرراته ، وهو ليس بعيدا عن نوايا بعض الدول والمنظمات المرتبطة بالامبريالية الامريكية أو بالمعسكر الاوروبي الغربي . ولكن هذا التفسير لا يمثل الغالبية العظمى من الدول وحركات التحرر التي اندفعت تؤيد القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر الجزائر ولا يمثل الجماهير ومنظماتها التقدمية في أوروبا وافريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والتي تعبر عن مناصرتها للقضية وللثورة بأشكال مختلفة وفي مناسبات متعددة . كما انه لا يمت بصلة الى أهداف ونوايا الثورة الفلسطينية من ممارسة هذا النوع من النضال السياسي ، وخصوصا في مؤتمر دول عدم الانحياز .

ان انتصار ثورة فيتنام وكامبوديا وحل مشكلة اللاوس حول انظار العالم من جنوب آسيا الى منطقتنا الملتهبة كما ان استمرار النضال الفلسطيني لفت أنظار القوى المناصرة للعدل والحرية والتقدم في العالم الى قضية فلسطين . اننا نقطف الآن ثمرة مؤجلة للنضال الطويل والشاق الذي خاضته الثورة الفلسطينية وقدمت خلاله أغلى التضحيات وواجهت اصعب العراقيل والتحديات . وان عدم قيام الثورة وانصارها بالاستفادة من هذه الفرصة النضالية السانحة على الجبهة العالمية بحجة التخوف من التآمر والالتفاف يشكل هزيمة ما بعدها هزيمة ويسجل علينا تقاعسا واعترافا بالعجز وانعدام الثقة بالنفس في مرحلة لا يمكن فيها قبول العجز والتراجع .

لا شك ان هناك عوامل أخرى وراء ما حققته الثورة الفلسطينية في مؤتمر عدم الانحياز . فهناك الجزائر التي استضافت المؤتمر وقادته وهيأت له كل الامكانات وأعطت فيه للثورة الفلسطينية وممثليها كل فرص التحرك وقنواته. وهناك نمو العلاقات العربية ــ الافريقية وقيام بعض القادة العرب كالرئيس الليبي بمبادرات ناجحة في هذا المجال ، وهناك تمادي دولة العدو الصهيوني وصلفها واستشراسها في الارهاب والعدوان ، مما ترتب عنه قطع العلاقات السياسية والاقتصادية بين مجموعة من الدول الافريقية ودولة العدو الصهيوني . وهناك دور لعبه بعض القادة الافريقيين وعلى رأسهم الرئيس الموريتاني المختار ولد داده في شرح القضية الفلسطينية لقادة الدول الافريقية وفي فتح آفاق للتحرك السياسي للثورة الفلسطينية خصوصا في غرب افريقيا .

لقد ساهمت كل هذه العوامل في التمهيد للدور المركزي الذي لعبته فلسطين في مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز وفي الانجازات التي تحققت فيه وتتلخص في انجازين رئيسيين :

١ ــ انفتاح القارة الافريقية بشكل خاص ودول عدم الانحياز بشكل عام أمام العمل السياسي للثورة الفلسطينية وتضامن امكانات الدعم المادي الملموس من هذه الدول وجماهيرها ومنظماتها التقدمية .

٢ ــ تثبيت حق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني ونضاله المشروع من أجل تحرير وطنه المغتصب مما يمثل انتصارا لقضية الشرعية للثورة وهزيمة لمحاولات سحقها واحتوائها .

وقبل أن نستمر في التدليل على هذين الانجازين وآثارهما يجدر بنا التحذير من المبالغة في تقييم نتائج المؤتمر او تناسي اسبابها . فالنجاح ليس وليد « شطارة » أو « فهلوة » أعضاء الوفد الفلسطيني ــ بالرغم من كل ما قاموا به من جهود مشكورة ــ ولكنه أولا وأساسا نتيجة استمرار الكفاح المسلح الفلسطيني والنضال الثوري الجماهيري في الارض المحتلة والارض العربية المحيطة بها ، ولا شرعية للثورة ولا حق لمنظمة التحرير في تمثيل الشعب الفلسطيني اذا هي تخلت عن النضال الثوري المسلح والجماهيري ولو

صدر بشرعيتها الف قرار دولي . كما ان للانتصارات في مجال المؤتمرات الدولية حدودها وهي تتحول الى نتائج مادية ملموسة بالقدر الذي تستطيع فيه الثورة أن تستفيد منها في ممارسة تحرك جماهيري حقيقي وفعال داخل الدول التي أيدت هذه القرارات مما يحدث رأيا عاما مناصرا ويترجم الى دعم مادي . وهي دون ذلك تبقى حبرا على ورق . كما ان المحذور التآمري يبقى قائما وسيحاول البعض جـرنا الى السراب والهـاء جماهيرنا بالاوهام مما يتطلب وعيا ويقظة مستمرة وصلابة ثورية لا تلين .

وسوف نتتبع فيما يلي القرارات الصادرة عن المؤتمر والخاصة بالقضية الفلسطينية بالمقارنة بقرارات مؤتمرات عدم الانحياز السابقة ثم نركز على ما سميناه الانجازين الرئيسيين للمؤتمر لنختتم هذه المقالة بتقييم لكتلة دول عدم الانحياز واتجاهاتها وفاعليتها وامكانات استفادة الثورة الفلسطينية منها في المستقبل .

قرارات المؤتمر الخاصة بالقضية الفلسطينية

كانت القرارات المتعلقة بفلسطين في مؤتمـر باندونج ١٩٥٥ واجتمـاع كولومبو التحضيري له الذي عقد في أواخر عام ١٩٥٤ تركز على قضية اللاجئين الفلسطينيين وتطبيق قرارات الامم المتحدة الخاصة بهم وتدعو الى تحقيق تسوية سلمية للمسألة الفلسطينية .

بينما أدرجت القرارات الخاصة بقضية فلسطين في المؤتمرين الاول والثاني لدول عدم الانحياز المنعقدين في بلجراد ١٩٦١ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ضمن القرارات الخاصة بالشرق الاوسـط ، وتحولت في المؤتمرات التحضيرية لمؤتمر لوساكا ثم في مؤتمر لوسـاكا نفسه (١٩٧٠) الى « ازمة الشرق الاوسط » ، فقد ادرجت هذه القرارات في مؤتمر الجزائر لاول مرة تحت عنوان « الوضع في الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية » وكان ذلك نتيجة ادماج القرار الخاص المنفصل عن القضية الفلسطينية والقرارات العامة عن النزاع العربي ــ الصهيوني وعلى اساس ان الوضع في الشرق الاوسط هو القضية الآنية بينما القضية الفلسطينية هي الموضوع الاساسي والرئيسي . وهذا يشكل في حد ذاته تطورا هاما في معالجة القضية الفلسطينية في مؤتمرات دول عدم الانحياز . لم تهمل قرارات مؤتمرات دول عدم الانحياز قضية حقوق الشعب العربي الفلسطيني « كاملة غير منقوصة » منذ مؤتمر بلجراد الاول ١٩٦١ فقد نص قراره علـى أن المشتركين في المؤتمر « **يعلنون تأييدهم لاعادة كافة حقوق الشعب العـربي الفلسطيني كاملة غـير منقوصة وفقا لميثاق وقرارات الامم المتحدة** » وبالتالي فهو يقرن هذه الحقوق بقرارات الامم المتحدة وليس فقط بميثاقها أي بما فيها قرار التقسيم .

وقد تطور المؤتمر الثاني في القاهرة عام ١٩٦٤ فاكتفى بايراد ميثاق الامم المتحدة مؤكدا على « الموافقة على اعادة كافة حقوق الشعب العربي الفلسطيني كاملة في وطنه وحقه الثابت في تقرير المصير » على أن مؤتمر القاهرة أضاف لاول مرة اعلان « دعمه التام للشعب العربي الفلسطيني في نضاله من أجل التحرر من الاستعمار والعنصرية » .

وقد أكد المؤتمر الاستشاري لدول عدم الانحياز ــ بلجراد ، تموز ١٩٦٩ ، والمؤتمر التحضيري ــ دار السلام ، نيسان ١٩٧٠ ، ومؤتمر لوساكا ــ أيلول ١٩٧٠ ، نفس الصيغة تقريبا ، مع الانتكاس الى صيغة قرارات الامم المتحدة وربط القضية بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والتركيز على انسحاب اسرائيل من « الاراضي التي احتلتها بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ » ، واكدت هذه الصيغة قرارات مؤتمر وزراء الخارجية ــ جورجتاون آب ١٩٧٢ .

وعلى كل فان اتجاه القرارات الخاصة بالقضية الفلسطينية في مؤتمرات دول عدم الانحياز كان يسير نحو تأكيد حق الشعب العربي الفلسطيني في العودة الى وطنه وفي وجود رابطة قومية ثابتة بين شعب فلسطين وأرض فلسطين .

لقد أضاف القرار الخاص بالقضية الفلسطينية في مؤتمر الجزائر ١٩٧٣ عدة نقاط هامة :

١ — فهو مع تأكيده من جديد على « شرعية كفاح الشعب الفلسطيني ضد الاستعمار والصهيونية والعنصرية من أجل استرجاع حقوقه الوطنية كاملة غير منقوصة » يضيف لاول مرة « ان هذا الكفاح يعتبر جزءا لا يتجزأ من الحركة التحررية في العالم » وهذا الربط بين نضال الشعب الفلسطيني ونضال الشعوب الافريقية ضد الاستعمار الاستيطاني العنصري تجسد ليس فقط في القرار الخاص بالشرق الاوسط والقضية الفلسطينية وانما بشكل أساسي وتفصيلي في **« الاعلان الخاص بالكفاح ضد الاستعمار »** الذي قدمته حركات التحرر الوطنية للمؤتمر واعتمد منه بالاجماع ، فهو يربط بين الاستعمار البرتغالي والانظمة العنصرية في روديسيا (زمبابوي) وجنوب افريقيا وناميبيا (جنوب غرب افريقيا) واسرائيل ، كما انه يربط بين نضال حركات التحرر في هذه المناطق وحركة التحرير الفلسطينية ، ويعتبر استمرار حركة التحرير الفلسطينية في نضالها من أجل التحرر الوطني بالرغم من « الهجوم الاثيم ... الواحد تلو الآخر » أنتصارا لحركة التحرر العالمية . كما انه يربط بين اغتيال القادة الشهداء كابرال وكمال عدوان وابو يوسف وكمال ناصر ويطالب في النهاية دول عدم الانحياز بصفة خاصة والعالم بصفة عامة « بقطع كافة العلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية والدبلوماسية والتجارية والثقافية وطرق المواصلات بين البرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا واسرائيل من ناحية وبقية دول العالم من ناحية أخرى » وهي تقريبا نفس صيغة القرار الخاص بادانة اسرائيل وطلب قطع كل العلاقات معها والواقع ضمن قرارات الوضع في الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية والبيان السياسي العام .

٢ — ينتقل قرار مؤتمر الجزائر من مجرد تأكيد شرعية كفاح الشعب الفلسطيني ودعمه بشكل عام الى « مطالبة دول عدم الانحياز **بالالتزام بمساندة** شعب فلسطين العربي في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني **العنصري الاستيطاني** لاستعادة حقوقه **القومية الكاملة** ، ويؤكد ان استعادة هذه الحقوق يشكل شرطا أساسيا للوصول الى سلام عادل ودائم » .

وبذلك فان هذا القرار يرتب على الدول الاعضاء في المؤتمر التزاما بالمساندة وليس فقط بالاعتراف بالحق . وهو التزام منفصل عن الالتزام في بند آخر بمساندة الدول العربية الاخرى التي احتلت اراضيها لاسترجاع هذه الاراضي .

كما ان القرار يحدد بكل وضوح ان لشعب فلسطين العربي حقوقا قومية في فلسطين يعتبر استرجاعها كاملة شرطا أساسيا لتحقيق السلام وبذلك فان السلام حسب هذا القرار لا يمكن أن يعود الا باسترجاع هذه الحقوق كاملة غير منقوصة .

٣ — تهمل قرارات مؤتمر الجزائر كل اشارة الى قرارات هيئة الامم المتحدة وخصوصا القرار ٢٤٢ وهي بذلك تركز على ان السلام لا يعود فقط بازالة آثار عدوان ١٩٦٧ او بتطبيق قرارات الامم المتحدة وانما — كما ورد سابقا — باسترجاع الحقوق « القومية » للشعب العربي الفلسطيني على كامل ارضه .

٤ — تورد القرارات لاول مرة في مؤتمر الجزائر اعتراف دول عدم الانحياز بأن «منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني ولنضاله المشروع» وهي نقطة هامة سنتعرض لها فيما بعد عند مناقشة قضيته الشرعية .

٥ ــ تضيف القرارات الخاصة بالقضية الفلسطينية لاول مرة مجموعة من المطالب التكتيكية الهامة الموجهة نحو العدو الصهيوني واجراءاته في الوطن المحتل. فهي « تؤكد ضرورة تنفيذ احكام اتفاقيات جنيف تنفيذا كاملا وتعتبر ان جميع التدابير غير القانونية التي اتخذتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة لتغيير معالمهـــا الجغرافية والبشرية لاغية وباطلة ولا يمكن الاعتراف بها وبنتائجها » ويجب النضـــال في المؤتمرات القادمة لتعميم هذه الصيغة بشكل واضح لتشمل ما قامت به قوات العدو الصهيوني **على كامل الارض الفلسطينية** وليس فقط على الاراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ .

كما ان القرارات ولاول مرة أيضا « تطالب كافة الدول الاعضاء بعدم السماح بالهجرة لفلسطين وللارض العربية المحتلة » .

وتضيف القرارات ادانة محددة « لانتهاكات اسرائيل لحقـــوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة » وتعتبر أعمالها وممارستها **جرائم حرب وتحديا للانسانية** . كما انها تدين الارهاب الاسرائيلي في الداخل والخارج .

٦ ــ تطالب القرارات لاول مرة دول عدم الانحياز المشتركة في المؤتمر بالالتزام بهذه القرارات عند مناقشة المسألة الفلسطينية والوضع في الشرق الاوسط أمام الجمعية العامة للامم المتحدة في دور انعقادها المقبل .

٧ ــ بالاضافة الى القرار الخاص بالقضية الفلسطينية والـــى اعلان النضال ضد الاستعمار فان البيان السياسي العام للمؤتمر قد ضمن لاول مرة كل المعاني الهامـــة والمواقف الجديدة الخاصة بالقضية الفلسطينية ويعتبر البيان السياسي العام ذا أهمية خاصة لمؤتمرات القمة لدول عدم الانحياز ، ويدرج البيان السياسي الصهيونية في كل اشاراته الى اعداء الشعوب : « الامبريالية والعنصرية والصهيونية » كما انـــه يعلن تضامنه الكامل مع نضال الشعب الفلسطيني « ويقدر التضحيات الجسيمة التي يقدمها هذا الشعب من أجل استعادة هويته القومية وكيانه الوطني المستقل » .

*

وفي الحقيقة ان القضية الفلسطينية قد حظيت دون شك بنصيب الاسد في قرارات هذا المؤتمر وبياناته ومواثيقه وهو ما يشكل قفزة نوعية في هذا المضمار .

التمثيل الفلسطيني في المؤتمر

كان الاجتماع الاول لدول عدم الانحياز الذي دعيت اليه منظمة التحرير هو الاجتماع الاستشاري لهذه الدول الذي عقد في بلجراد في شهر تموز ١٩٦٩ ، وقد حضرت منظمة التحرير هذا المؤتمر ثم مؤتمر القمة الثالث في لوساكا بصفة « ضيف » .

وفي مؤتمر وزراء الخارجية التحضيري الذي عقد في جورجتاون عام ١٩٧٢ تقرر اعطاء منظمة التحرير صفة « العضو المراقب » بدلا من ضيف ، وقـــد أعطيت هذه الصفة في ذلك المؤتمر ، واعتبر اشتراكها في مؤتمر الجزائر كمراقبة على أساس انها الممثلة الشرعية لنضال شعبها من أجل التحرر والاستقلال .

ولقد حضرت المنظمة مؤتمر الجزائر بهذه الصفة أيضا وان كانت الجزائر قد عاملت وفد المنظمة معاملتها للاعضاء العاملين في كافة المجالات . وقد ثار نقاش اثناء انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية في الجزائر الذي سبق انعقاد مؤتمر القمة مباشرة حول أحقية منظمة التحرير الفلسطينية وحركات التحرر الاخرى في العضوية العاملة للمؤتمر ولكن الاتجاه العام للدول المشتركة كان ضد الفكرة وان كان وفدا كوبا ومصر قد أصرا على النضال من أجل العضوية العاملة لحـــركات التحرر بشكل عـــام ولمنظمة التحريـــر الفلسطينية بشكل خاص في مؤتمر القمة التالي . وقد تحدث الاخ ياسر عرفات رئيس

اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير باسم فلسطين وحركات التحرر الاخرى واستقبل خطابه استقبالا حارا جدا من أعضاء المؤتمر ، وكان نشاط الوفد الفلسطيني برئاسته نشيطا وفعالا في صياغة القرارات وفي الالتقاء بالوفود الاخرى وانشاء علاقات ثنائية هامة معها.

كما ان هذا المؤتمر هو الاول الذي يحضره وفد للمنظمة على مستوى رئيسها ومسؤول الدائرة السياسية فيها (الاخ فاروق القدومي) وغيرهم من الاخوة المسؤولين . وبذلك فان مستوى التمثيل في المؤتمر ونوع العضوية يشكل تقدما بالنسبة لمؤتمرات عدم الانحياز السابقة .

انفتاح القارة الافريقية على حركة التحرير الفلسطينية

لقد أدت العوامل الممهدة للمؤتمر — السابق ذكرها — واهمها استمرار الكفاح المسلح الفلسطيني كما أدت نوعية التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الى احداث تغير هام في موقف الدول الافريقية وحركات التحرر على وجه الخصوص بالنسبة للثورة الفلسطينية وقيادتها الممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية . ولا شك أن تغيير مواقف هذه الدول هو الذي أدى الى تبنيها للقرارات السابق ذكرها والخاصة بالقضية الفلسطينية أو على الاقل الى حيادها بالنسبة لها ، اذ أن قرارات المؤتمر لم تصدر بعد تصويت من الاعضاء وانما بعد تحسس لاجماعهم او شبه اجماعهم عليها بحيث ان القرار الذي يكثر التحفظ عليه او تظهر معارضته كان يؤجل أو يسقط تلقائيا . وقد كان لاندونيسيا وسنغافورة وليبريا والارجنتين وزائير مثلا تحفظات أبدتها في لجنة الصياغة المنبثقة عن اللجنة السياسية بالنسبة للقضية الفلسطينية وتتركز أساسا حول اهمال قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وطالبت هذه الدول بالعودة الى تبني الصيغ القديمة التي تركز حول هذا القرار ، ولكن مقابلة الاخ رئيس الوفد الفلسطيني لرؤساء دول أو حكومات هذه الوفود اثناء المؤتمر أدى الى تخليها عن معارضتها وتراجعها عن تحفظاتها .

وقد كانت لقاءات رئيس الوفد الفلسطيني وأعضائه مع رؤساء موريتانيا والصومال وأوغنده وتنزانيا وزامبيا والسنغال والكونغو الشعبية (برازافيل) ومالي تتميز بالحرارة والانفتاح الشديد ، وهذا طبيعي ولكن اصرار رؤساء ساحل العاج وزائير مثلا على لقاء الاخ ياسر عرفات واصرارهم على خلق علاقات جديدة وارسال وفد فلسطين لزيارتهم يمثل اتجاها جديدا في القارة الافريقية . ولقد عرض كل القادة الذين تم اللقاء بهم فتح مكاتب لمنظمة التحرير في دولهم واستعدادهم لاستقبال وفود فلسطين لشرح القضية في بلادهم وأعلنوا عن استعدادهم لتقديم كل الدعم .

كما ان لقاء الوفد الفلسطيني بوفود حركات التحرر الافريقية والاسيوية والامريكية اللاتينية كان هاما جدا وعميقا وترتب عنه ان احد اعضاء الوفد الفلسطيني هو الذي قام بناء على طلب هذه الحركات بكتابة مشروع الاعلان الخاص بالنضال ضد الاستعمار ، كما ان الاخ ياسر عرفات والاخ بيريرا رئيس حركة تحرير غينيا بيساو والرأس الاخضر قاما سويا بتمثيل حركات التحرير العالمية في مخاطبة مؤتمر القمة . وجرت محادثات تمهيدية هامة للعمل من أجل وحدة حركات التحرر والبدء بالتنسيق والتعاون الفعال فيما بينها . وسوف يصبح هذا التعاون ممكنا عند تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في تنزانيا وزامبيا لاهمية هذين البلدين بالنسبة لحركات التحرير في جنوب القارة الافريقية .

لقد فتح مؤتمر نصرة الشعوب العربية الذي عقد في القاهرة في يناير — كانون الثاني ١٩٦٩ الباب للثورة الفلسطينية للعمل الجماهيري في اوروبا وأمريكا بعد طرح الثورة لبرنامج وشعار الدولة الديمقراطية الفلسطينية في هذا المؤتمر ، كما كرس مهرجان برلين آب ١٩٧٣ انفتاح أبواب المنظومة الاشتراكية امام العمل الجماهيري الفلسطيني ،

واليوم يكرس مؤتمر الجزائر انفتاح ابواب افريقيا بالذات ودول عدم الانحياز بشكل عام أمام الثورة الفلسطينية ، وعلى قيادة وكوادر هذه الثورة استخدام هذا الضوء الاخضر للقيام بالعمل الشاق المطلوب لتحويل المناصرة الكلامية لرؤساء الدول الى رأي عـــام جماهيري يقدم الدعم المادي والمعنوي الفعال والمستمر للثورة الفلسطينية ويطارد فلول رجال ومؤسسات العدو الصهيوني من افريقيا ودول العالم الثالث، فيضيف عمقا جديدا للثورة الفلسطينية .

قضية الشرعية وحق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني

تتعرض الثورة الفلسطينية على الصعيد الدولي والعربي لهجوم سياسي من ثلاث جبهات لاحباط دورها الهام في تمثيـل الشعب الفلسطيني ولسلبهـا شرعية النضال التحرري وما يترتب عليه من حقوق والتزامات .

أ ـــ الهجوم الاسرائيلي ـــ الامريكي الذي يحاول عزل النضال الفلسطيني واعتباره عملا ارهابيا غير مشروع واعتبار منظمة التحريـر تجمعا ارهابيا لا يمثـل الشعب الفلسطيني داخل الوطن المحتل او خارجه . وقد تصاعد هذا الهجوم خلال العـام المنصرم بعد عملية ميونيخ والعمليات الخارجية الاخرى . وبطبيعة الحال فان البديل المطروح للشرعية الفلسطينية في هذه الحالة هو الشرعيـة الاسرائيلية علـى التراب الفلسطيني وان طرحت أحيانا بعض البدائل على أجزاء من الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ فيما يسمى بالزعامات التقليدية المحلية .

ب ـــ هجمة النظـام الاردنـي والتـي تحـاول نزع صفـة تمثيـل الشعـب الفلسطيني من منظمة التحرير الفلسطينية على أساس أن البديل هو النظام الاردني على الضفتين الغربية والشرقية للاردن واسرائيل بالنسبة للارض المحتلة قبل ١٩٦٧ . ان الثأر السياسي والعمل الاجرامـي الذي قامت به أجهـزة النظام في الاردن منذ أيلول ١٩٧٠ حتى الان ترتكز أساسا على هذا المفهوم للتمثيل والشرعية .

جـ ـــ هجمة الانظمة العربية الاخرى التي تبغـي فرض وصايتها على القضيـة الفلسطينية ومنظمة التحرير والبندقية الفلسطينية ، وهذه الانظمة تجد في نفسها وفي اسرائيل بديلا ، على ان معظمها لا يمانع في اعتبار منظمة التحرير ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني طالما ان قيادة هذا الشعب ووسائل نضاله وبنادقه خاضعة لشرعية الانظمة العربية ووصايتها وارادتها وبالتالي لتصرفها من خلال استراتيجيتها هي .

ولقد كان عمل الوفد الفلسطيني خلال المؤتمر مضادا لهذه الهجمات الثلاث . فتصدى لمحاولات تصوير القضية بأنها أزمة الشرق الاوسط الناتجة عن العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية في حزيران ١٩٦٧ وهو الطرح الذي ينزع الشرعية فعليا عن الثورة الفلسطينية . ولكن الاتجاهات الاسرائيلية ـــ الامريكية الخاصة بالارهاب الفلسطيني لم تظهر اطلاقا أثناء المؤتمر وبالرغم من حدوث عملية باريس واستمرارها أثناء انعقاد المؤتمر ، بل ان المؤتمر قد أصر على ادانة الارهاب الاسرائيلي والعنصرية الصهيونية واكد الشرعية النضالية الفلسطينية بدون تحفظ .

اما بالنسبة للهجمتين التاليتين فقد ظهرتا بشكل غير حاد خلال المؤتمر . فقد حاول الوفد الاردني بكل الطرق احباط النص الخاص بحق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني معلنا بعد فشله عن استعداده لقبول النص على ان منظمة التحرير هي ممثلة للنضال الفلسطيني وليس للشعب الفلسطيني . على ان احد الوفود العربية حاول فرض العكس، اي القبول بأن منظمة التحرير هي ممثلة الشعب الفلسطيني دون القبول بها ممثلة شرعية وحيدة للنضال الفلسطيني مما يتيح لبعض الدول العربية فرصة

طرح بدائل تابعة لها لتمثيل هذا النضال تخضع لوصايتها وارادتها وتعمل من ضمن استراتيجيتها هي .

وقد أحبط المؤتمر كل هذه المحاولات وتراجعت كل الوفود العربية عن هذه الطروح مدعية بأنها جميعها صيغ « لفظية » غير هامة والمهم هو دعم القضية الفلسطينية بشكل عام حتى تظهر كافة الوفود العربية متحدة متماسكة !!*

ان الانتصار الفلسطيني بالنسبة لقضية التمثيل والشرعية هام في هذه المرحلة لمواجهة العدو الصهيوني ــ الامريكي المستشرس ولمواجهة النظام الاردني وللحفاظ على وحدة العمل الثوري الفلسطيني واستقلال الارادة الثورية الفلسطينية واستمرار الكفاح المسلح ولرفض وصاية الانظمة التي لا تقاتل والتي تريد اسكات صوت البديل الفلسطيني الثوري الرافض للاستسلام والمساومات .

أن هذا الانتصار لن يستمر الا بنضال طويل وشاق أمام كل المؤامرات التي تمتلىء بها آفاق الايام المقبلة الصعبة والتي تحتاج الى صلابة الثوار وعزيمتهم ووضوح رؤيتهم وحكمة قيادتهم .

خاتمة :

وتبقى هناك أسئلة عديدة يمكن أن تطرح عن فاعلية دول عدم الانحياز وعن اتجاهاتها وتماسكها في واقع دولي دينامي متحرك ، لقد كانت هناك اتجاهات في المؤتمر تدعو الى توسيع قاعدة كتلة عدم الانحياز لتشمل كل دول العالم الثالث بل وبعض الدول الاوروبية مع تركيز نشاط هذه الدول على القضايا الاقتصادية : المالية والتجارية ، وتجلى هذا الاتجاه في قبول عمان وبوتان ومالطه أعضاء عاملين واستمرار العضوية للاردن واندونيسيا ، والعضوية المراقبة للبرازيل وبوليفيا ، وهي دول ذات انظمة منحازة للخط الاستعماري بشكل واضح وتمارس القمع الارهابي ضد كل القوى الوطنية والتقدمية داخلها . وتجلى هذا الاتجاه كذلك في محاولة الحصول على الاجماع في كل القرارات واستبعاد الموضوعات التي لا اجماع عليها ، وتجلى ذلك باقرار مهاجمة عملاء امريكا مثلا ورفض مهاجمة امريكا نفسها . ولكن كان هناك اتجاه آخر أكثر نضالية يصر على ان دور دول عدم الانحياز هو أساسا النضال ضد السيطرة الاستعمارية بأشكالها التقليدية والسافرة وكذلك بأشكالها الاقتصادية الجديدة ، وهو اتجاه يطالب ويصر على اتخاذ الخطوات العملية الملموسة بدلا من قرارات التأييد العامة ويطالب بخلق اطار تنظيمي مستمر لدول عدم الانحياز وبالعضوية العاملة لحركات التحرر ، وكان هذا الاتجاه للاسف هو الاضعف في المؤتمر بشكل عام وان نجح في تحقيق عدة انتصارات في قضية فلسطين ودعم حركات التحرر وكذلك في طرحه لخط ثوري بالنسبة للقضايا الاقتصادية المطالبة بفرض السيطرة على الاستثمارات الاجنبية وعلى حق الدول في تأميم الشركات الاجنبية لتستعيد سيطرتها على مواردها القومية . لا زال هناك غموض حول الدور الجديد الذي يمكن أن تلعبه هذه الدول ضمن ما يسمى « بالوفاق الدولي » وعن قدرتها على احداث تغيير حقيقي في موازين القوى لصالح الشعوب المستعبدة والمستغلة، بل لقد كانت هناك شكوك حول امكانية وقف بعض الدول الاعضاء من الاستمرار في التآمر لمصلحة الدول الاستعمارية ضد شعوب وحكومات أعضاء آخرين او حول قدرة هذه الدول على حماية بعضها البعض من العودة تحت السيطرة الاستعمارية مرة أخرى

---

* في الواقع انه باستثناء وفد او وفدين عربيين كانت كل الوفود الاخرى تقدم دعمها للوفد الفلسطيني وللقرارات الفلسطينية .

وسقوط حكومة تشيلي التقدمية بعد أيام قليلة من نهاية المؤتمر يشير الى هذا العجز . ولكن امكانيات العمل ليست معدومة واحتمالات التثوير والتحرر الحقيقي قائمة في الكثير من هذه الدول التي تمثل نصف شعوب العالم واكثر من نصف موارده من المواد الخام والطاقة .

كما ان القيادات الجديدة لكتلة عدم الانحياز ستكون في يد الحكومات المنبثقة عن ثورات شعبية حقيقية كالجزائر وفيتنام وقد بدت بوادر ذلك واضحة في المؤتمر الذي تولت فيه الجزائر دورا قياديا وهو أمر يعطي لحركات التحرر بوجه عام ولثورتنا بشكل خاص احتمالات دعم هائلة .

ويبقى هناك دورنا الاساسي ، فبالقدر الذي نقدم فيه نضالا مسلحا مستمرا وفعالا وبالقدر الذي نمارس فيه نضالا جماهيريا ثوريا نشطا ، وبالقدر الذي نستفيد فيه من الضوء الاخضر الذي تعطيه الحكومات في المؤتمرات الدولية للوصول الى جماهيرها ومؤسساتها ولخلق رأي عام مناصر للثورة بينها نكون قد استفدنا من هذا المؤتمر ومن الانتصارات التي تحققت فيه .

غرباء في وطنهم : البيئة والاوضاع السياسية للعرب في اسرائيل

صبري جريس

في المطبعة حاليا طبعة جديدة ، منقحة ومعدلة ، لكتاب « العرب في اسرائيل » للاستاذ صبري جريس الذي نشره اول الامر باللغة العبرية في الارض المحتلة ، وقد سبق لمركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ان ترجمه الى العربية ونشره في العام ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ ونفد بعد صدوره باشهر قليلة.ثم ترجم الى عدة لغات اجنبية. أما الطبعة الجديدة ، التي اضاف المؤلف اليها اقساما تغطي اوضاع العرب في الارض المحتلة في السنوات الست الاخيرة ، فتصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية . وفيما يلي الحلقة الثانية والاخيرة من اجزاء من الفصل الرابع :

لم تبق الاحزاب الصهيونية بمختلف فئاتها ، العمالية واليمينية والمتدينة ، القوى السياسية الوحيدة التي نشطت للعمل سياسيا بين العرب ، اذ سرعان ما ظهر مقابلها على هذا المسرح الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، وهو الحزب غير الصهيوني الوحيد الذي يمارس العمل السياسي شرعيا في اسرائيل منذ اقامتها .

لقد لعب الحزب الشيوعي دورا مهما في التاريخ السياسي للعرب في اسرائيل ، اذ تمكن من كسب تأييد قطاعات واسعة من العرب رفعه الى مرتبة الحزب الثاني ، بعد مباي ، بين العرب وفي بعض التجمعات العربية ، كالمدن العربية والسكان العرب في المدن المختلطة ، الى مرتبة الحزب الاول (انظر الجدول ٣ ادناه) . ولقد ساعدت الحزب على احتلال هذا المركز اوضاعه الذاتية من جهة والظروف الموضوعية التي مر بها العرب تحت الحكم الاسرائيلي من جهة اخرى . فالفئات الشيوعية العربية التي كانت معروفة باسم « عصبة التحرر الوطني » والتي اتحدت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ مع الشيوعيين اليهود ضمن اطار الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، كانت تعمل بين العرب في فلسطين قبل أن تقوم اسرائيل بسنوات عدة(٧٥)، بينما بقي عدد من زعمائها المعروفين ، توفيق طوبي واميل حبيبي واميل توما ، داخل اسرائيل ، والذين سرعان ما جددوا نشاطهم بعد أن احتلت اسرائيل مناطقهم . ويبدو ان الشيوعيين لم يضيعوا كثيرا من وقتهم وانما حاولوا استئناف عملهم السياسي في اول فرصة سنحت لهم ، فنرى مثلا شموئيل ميكونس ، عضو مجلس الدولة الموقت وفيما بعد الامين العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي، يستجوب وزير الداخلية يوم ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ والحرب العربية ــ الاسرائيلية لم تنته بعد ، عن أسباب التأخير في منح توفيق طوبي رخصة باصدار صحيفة ، بعد ان كان قد تقدم طلبا بذلك يوم ٤ آب (اغسطس) ١٩٤٨(٧٦). وخلال كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ ، نجد ميكونس نفسه يستجوب وزيري الدفاع والداخلية عن منع الحاكم العسكري له من دخول مدينة عكا وحضور اجتماع انتخابي

لسكان المدينة العرب ، وعن بعض الاجراءات التي اتخذتها السلطـات الاسرائيليـة واعتبرها ميكونس تمس حقوق حزبه في ممارسة الدعاية الانتخابية بين العرب(٧٧). وتم كل هذا قبه اجراء الانتخابات العامة الاولى في اسرائيل التي أسفرت عن انتخاب ٤ اعضاء شيوعيين للكنيست، كان من بينهم توفيق طوبي الذي بفضله استطاع الحزب الحصول خلالها على نسبة لا بأس بها من أصوات الناخبين العرب ، لتصديه لسياسة الحكومة تجاه العرب ومحاولته العمل للدفاع عن حقوقهم . ومن جهة ثانية فان سياسة الحكومات الاسرائيلية المتتابعة ، تجاه العرب في الداخل ، ساعدت الحزب ، الى حد كبير ، على توطيد مكانته بين العرب . فمع ازدياد وطأة الاحكام العسكرية ، واتساع عملية نهب الاراضي العربية ، وسد سبل العيش في وجه العرب والتضييق عليهم ، نشط الحزب للعمل بين العرب واليهود لمقاومة هذه السياسة ، ولم يمض وقت قصير على قيام اسرائيل حتى وجد الحزب نفسه يقود المعارضة للسياسة الاسرائيلية بين العرب على طول وعمق جبهة القضايا العربية المحلية . كذلك ، فان السياســة الخارجية الإسرائيلية لم تمهل الحزب كثيرا للسكوت عنها ، عندما ظهر مع مطلع الخمسينات ان الحكومة الاسرائيلية جاهدة في ربط اسرائيل بعجلة السياسة الاميركية ، والابتعاد في الوقت نفسه عن المعسكر الاشتراكي ، وجد الحزب نفسه يعارض هــذه السياسة أيضا . ولكن هذا الموقف بحد ذاته لم يحظ بانتباه زائد من قبل العرب الا بعد منتصف الخمسينات مع بدء علاقات التقارب بين المعسكر الاشتراكي والدول العربية ، وبعد اشتداد الحرب الباردة في المنطقة ، وتأييد الاتحاد السوفييتي لبعض الدول العربية ، وهو الموقف الذي حاز على تأييد الكثير من العرب الذين وجدوا أنفسهم يقفون الى جانب الحزب الشيوعي على الجبهة الخارجية ايضا . ومنذ ذلك الوقت ، ركز الحزب جهوده لكسب تأييد العرب على محورين : تولي الدفاع عن قضاياهم المحلية من جهة وابراز وامتداح مساعدة المعسكر الاشتراكي للدول العربية من جهة أخرى ، بحيث أصبح الفشل على اي من هذين المحورين تجاه العرب يؤثر تأثيرا مباشرا في مدى التأييد الذي يتمتع به الحزب بينهم . وفي هذه الاثناء ، وخلال سنة ١٩٥٤ ، كان الحزب قد وسع صفوفه أيضا واكتسب أصدقاء جددا بين اليهود ، عندما اتحدت معه الفئة اليسارية التي كانت قد انشقت عن مبام بزعامة موشيه سنيه .

ان الشيوعيين الاسرائيليين ، بخلاف الاحزاب الاسرائيلية الاخرى ، لم يملكوا سلطة ولا منافع مادية لاستغلالها في سبيل الحصول على تأييد الناخبين العرب كما كان يفعل خصومهم السياسيين (عدا نجاحهم ، منذ مطلع الستينات ، في توفــير منح دراسية لعشرات من الطلاب العرب لاكمال دراساتهم الجامعية في دول المعسكر الاشتراكي) ، بل على العكس من ذلك فانهم غالبا ما يتوجهون الى العرب (واليهود) في طلب التبرعات المالية لدعم نشاطهم عامة وتمويل حملاتهم الانتخابية خاصة . ولم يستبعد الشيوعيون اللجوء الى تلك الطرق فحسب ، ولم يكتفوا بالتأييد العفوي الذي كان العرب يبدونه تجاه مواقفهم من القضايا الاسرائيلية ، المحلية والخارجية ، بل جهدوا ايضا في العمل على ترجمة هذا التأييد بصورة ملموسة لمصلحتهم عن طريق استغلاله لضم المزيد من العرب ، خصوصا الشباب منهم ، الى صفوف الحزب ومنحهم عضويته . وقد ثابر الحزب على سياسته هذه منذ اقامة اسرائيل ولم يتوان مرة عن اقامة خلايا او فروع له في اي تجمع عربي استطاع الوصول اليه ، بحيث استطاع على مر الزمن اقامة فروع له بين العرب تزيد في عددها وقوتها على فروع أي حزب آخر . وقد ساعد الحزب في نشاطه هذا ايضا وجود شبكة واسعة ، نسبيا ، من الصحف والمجلات التي يصدرها باللغة العربية . وتقف على رأس هذه الشبكة « الاتحاد » التي ظهرت أول مرة في سنة ١٩٤٤ والتي استأنفت صدورها بعد اقامة اسرائيل ، وتصدر مرتين في الاسبوع منذ ١٩٥٢ ، وهي صحيفة الحزب الرئيسية بالعربية . وهناك ايضا المجلة

الجدول ٣
توزيع اصوات الناخبين العرب ، في المناطق العربية ،
بحسب التجمعات السكانية والقوائم(١)

	مدن عربية(٢)		قرى عربية كبيرة(٣)		قرى عربية صغيرة(٤)		بدو	
	عدد الاصوات	النسبة المئوية	عدد الاصواب	النسبة المئوية	عدد الاصوات	النسبة المئوية	عدد الاصوات	النسبة المئوية
الكنيست الرابع (١٩٥٩)								
كل الاصوات	١١،١٥٣	١٠٠،٠	٣١،٨١٩	١٠٠،٠	٢١،٦٦٣	١٠٠،٠	٧،١٠٨	١٠٠،٠
القوائم العربية	٥،٧٢٥	٥١،٣	١٩،٨٦٧	٦٢،٤	١٣،١٤١	٦٠،٧	٣،٢٦٩	٤٦،٠
الشيوعيون(٥)	٢،٩٥٩	٢٦،٥	٣،٩٧٨	١٢،٥	١،١٠٠	٥،١	٦٠	٠،٨
القوائم الاخرى	٢،٤٦٩	٢٢،٢	٧،٩٧٤	٢٥،١	٧،٤٠٢	٣٤،٢	٣،٧٧٩	٥٣،٢
الكنيست الخامس (١٩٦١)								
كل الاصوات	١٢،٠٠٥	١٠٠،٠	٣٤،٢٨٦	١٠٠،٠	٢٢،٤٦٥	١٠٠،٠	٨،١٦٢	١٠٠،٠
القوائم العربية	٤،٤٢٦	٣٦،٩	١٥،٩١٢	٤٦،٤	١٠،٢٦٧	٤٥،٧	٤،٤٢١	٥٤،٢
الشيوعيون(٥)	٥،٣٩٩	٤٥،٠	٨،٧٥٣	٢٥،٥	٢،٩١٨	١٣،٠	٢١٧	٢،٧
القوائم الاخرى	٢،١٨٠	١٨،١	٩،٦٢١	٢٨،١	٩،٢٨٠	٤١،٣	٣،٥٢٤	٤٣،١
الكنيست السادس (١٩٦٥)								
كل الاصوات	٢٠،٤٦٨	١٠٠،٠	٣٩،٧٣٧	١٠٠،٠	١٩،٨٢١	١٠٠،٠	٨،٠٧٦	١٠٠،٠
القوائم العربية	٧،٦٧٣	٣٧،٥	١٧،٥٥٩	٤٤،٢	٨،٥٤٠	٤٣،١	٤،٠٢٨	٤٩،٩
الشيوعيون(٥)	٨،٥٥٢	٤١،٨	٩،١٨١	٢٣،١	٢،٥٩٣	١٣،١	٣٦٥	٤،٥
القوائم الاخرى	٤،٢٤٤	٢٠،٧	١٢،٩٩٧	٣٢،٧	٨،٦٨٨	٤٣،٨	٣،٦٨٣	٤٥،٦
الكنيست السابع (١٩٦٩)								
كل الاصوات	٢٣،٣٤٩	١٠٠،٠	٥٠،٨٦٥	١٠٠،٠	١٦،٧٨٤	١٠٠،٠	١٠،١١١	١٠٠،٠
القوائم العربية	٨،٦٤٧	٣٧،٠	١٩،٢٩٢	٣٧،٩	٨،٠٥٥	٤٨،٠	٥،٢١١	٥١،٥
الشيوعيون(٥)	١١،٠٥٦	٤٧،٤	١٦،١٠٣	٣١،٧	٢،١٩٧	١٣،١	٥١٥	٥،١
القوائم الاخرى	٣،٦٤٦	١٥،٦	١٥،٤٧٠	٣٠،٤	٦،٥٣٢	٣٨،٩	٤،٣٨٥	٤٣،٤

١) للمصدر ، انظر الملاحظة ١ للجدول ٢ ، اعلاه .
٢) الناصرة وشفاعمرو ، ومنذ ١٩٦٥ اضيفت اليهما ام الفحم والطيبة في المثلث . اما نتائج اصوات العرب في المدن المختلطة فتشبه النتائج في المدن العربية . وانظر ايضا الملاحظة ٢ للجدول ٢ ، اعلاه .
٣) يزيد عدد سكانها على ٢٥٠٠ نسمة .
٤) عدد سكانها حتى ٢٥٠٠ نسمة .
٥) خلال ١٩٥٩ و ١٩٦١ الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) ، وخلال ١٩٦٥ و١٩٦٩ القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) .

الادبية الشهرية « الجديد » التي تصدر منذ سنة ١٩٥٣ ، ومجلة « الغد » للشباب (منذ سنة ١٩٥٤) و« الدرب » ، وهي لسان حال الحزب للقضايا النظرية والعقائدية ، وتصدر منذ سنة ١٩٥١ . كذلك يصدر الحزب (راكاح) ، منذ سنة ١٩٦٥ ، صحيفة اسبوعية باللغة العبرية ، « زو هاديرخ » ، بعد أن استولت جماعة ماكي على صحيفة الحزب اليومية ، « كول هعام » ، وحولتها الى اسبوعية. وبالاضافة الى هذه الصحف، كثيرا ما يلجأ الحزب الى اصدار المناشير والكراريس لتوزيعها على العرب ، لشرح مواقفه المختلفة . ولا بد من الاشارة هنا الى ان الصحافة الشيوعية التي تعتبر سجلا شبه متكامل لتجربة العرب مع النظام الاسرائيلي ، منتشرة بين قطاعات واسعة من العرب(٧٨)، وان العديد من الشعراء والكتاب العرب في اسرائيل ، أمثـــال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وسالم جبران وغيرهم ، قد ترعرع أساسا على صفحات هذه الصحف . ومن جهة ثانية ، يبدي الاعضاء الشيوعيون في الكنيست ، خصوصا العرب منهم ، اهتماما بالغا بقضايا العرب يتمثل في المئات من الاستجوابات التي وجهوها الى مختلف الوزراء والمسؤولين الاسرائيليين عــن المشكلات المتعلقة بالعرب ، والعشرات من مشاريع القوانين الهادفة الى تحسين أوضاعهم (ولكن معظمها لم يقر ، على أي حال) ، والاشتراك بصورة فعالة في أي نقاش يتعلق بقضايا العرب خاصة . ووجود العضو العربي الشيوعي ، توفيق طوبي ، في الكنيست منذ تأسيسه في سنة ١٩٤٩ (وكان عمره وقتها ٢٧ سنة) حتى اليوم ، دون انقطاع(٧٩)، والنشاط المتواصل الذي بذله هناك ، مع زملائه، في محاولاته للدفاع عن القضايا العربية وغيرها، برهان ساطع عن تلك العلاقة الوثيقة بين الكثير من الناخبين العرب وبين الحــزب الشيوعي الاسرائيلي .

ان مكانة الحزب الشيوعي الاسرائيلي بين العرب في اسرائيل لم تبق دائما على ما هي عليه ، اذ كانت تشتد وتضعف وفقا للاحوال السياسية ، الداخلية والخارجية. ويستدل من نتائج الانتخابات الاسرائيلية المختلفة أن موقف الحزب مــن القضايا الخارجية ، خصوصا منها تلك المتعلقة بالعالم العربي وحركة التحرر العربية من جهة ، والتوجه الى تأييد الحزب كتعبير عن مواقف الرفض تجاه السلطة الاسرائيلية من جهة اخرى ، كانا من العناصر المهمة التي حملت العرب على تأييــد الحزب والوقوف الى جانبه ، خصوصا في حالة عدم وجود فئات معارضة جادة داخل النظام الاسرائيلي وعدم قيام حزب عربي مستقل داخل اسرائيل . فمع منتصف الخمسينات ومع توثق العلاقات بين الاتحاد السوفييتي وبعض الدول العربية ، خصوصا مصر وسورية ، ازداد تأييد العرب للحزب ، واستمر هذا التأييد يتزايد حتى وصل ذروته في تموز (يوليو) ١٩٥٨ عندما أقيمت الجبهة الشعبية (العربية)(٨٠) التي كانت عبارة عن تنظيم شعبي عربي قاده الحزب لمقاومة سياسة الحكومة الاسرائيلية تجاه العرب ، بعد ان كان الحزب قد اتخذ في مؤتمره الثاني عشر ، في سنة ١٩٥٧ ، قرارا يعلن فيه انه يؤيد حق تقرير المصير بالنسبة الى العرب في اسرائيل حتى الانفصال . غير ان تغيير الاوضاع السياسية في العالم العربي مع أواخر تلك السنة ، والخلاف الذي نشب بين القوميين والشيوعيين ، ثم مهاجمة كل منهما للآخر علنا ، كان له تأثيره المباشر في تأييد الناخبين العرب للحزب الشيوعي ، فانخفض عدد أعضائه في الكنيست نتيجة امتناع الكثير مــن العرب مــن التصويت الى جانبه في انتخابات سنة ١٩٥٩ الى ثلاثة أعضاء ، بدلا من ستة في سنة ١٩٥٥ . الا أن الحزب استعاد مكانته بعد ركود هذه الخلافات في العــالم العربي ، فانتخب خمسة من مرشحيه في سنة ١٩٦١ . ولا شك في أن موقف الشيوعيين من القضايا التي يواجهها العالم العربي ، وتأييدهم لوجهة النظر العربية عامة ، يؤثران تأثيرا مباشرا في تأييد الناخبين العرب لهم . فقبل انتخابات سنة ١٩٦٥ ، وبعد أن انشق الحزب الشيوعي الى قسمين ، قسم بزعامة سنيه ــ ميكونس ــ فيلنسكا ، وصف بأنه

يميل الى تأييد وجهة النظر الصهيونية ، وقسم آخر بزعامة طوبي — حبيبي — فيلنر ، وصف بأنه يميل اكثر الى وجهة النظر العربية في الصراع العربي — الاسرائيلي، واطلق على نفسه اسم «القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) »(٨١)، واشترك القسمان بقائمتين منفردتين لكل منهما في الانتخابات التي جرت خلال تلك السنة . اما النتيجة ، فكانت ان حصل راكاح على ٢٠٫٦٩١ صوتا بين العرب مقابل ٥١١ صوتا حصل عليها ماكي ، بينما حصل راكاح بعد ٤ سنوات من ذلك التاريخ ، في انتخابات سنة ١٩٦٩ ، على ٢٩٫٨٧١ صوتا مقابل ٧٤٤ صوتا لماكي (انظر الجدول ٢ أعلاه) . كذلك يظهر من نتائج الانتخابات في العديد من التجمعات العربية (انظر الجدول ٤ ادناه) ان الشيوعيين يحصلون عادة في انتخابات الكنيست على نسبة تفوق تلك التي يحصلون عليها في انتخابات السلطات المحلية . ويشير الجدول ٤ الى انهم حصلوا ، في انتخابات سنة ١٩٦٩ للكنيست ، في ١١ مدينة وقرية عربية ، على عدد من الاصوات يزيد على ضعفي العدد الذي حصلوا عليه في الانتخابات للسلطات المحلية ، وتظهر النتيجة نفسها في ٦ من هذه المدن والقرى سنة ١٩٦٥ ، هذا مع العلم ان التصويتين يتمان في الزمان والمكان نفسيهما . ويفسر المراقبون هذه الظاهرة بقولهم ان الكثير من الناخبين العرب يمنحون الشيوعيين أصواتهم عند التصويت للكنيست ، على سبيل تأييد المعارضة ، تعبيرا عن نقمتهم واحتجاجهم على السياسة الاسرائيلية عامة او عن كرههم للنظام الاسرائيلي ، ولكن نسبة ملحوظة من أولئك الناخبين أنفسهم يغيرون مواقفهم عند التصويت للسلطات المحلية وفقا لمصالحهم الذاتية المحلية ، او وفقا لانتمائهم العائلي ، وهو ما لا يعني بالضرورة تأييد الشيوعيين(٨٢) .

ولكن على الرغم من كل الموانع والدوافع التي أشرنا اليها والتي تتحكم في موقف العرب من الشيوعيين في اسرائيل ، فان كل الدلائل تشير الى ان تأييد العرب للحزب الشيوعي عامة يزداد من سنة الى أخرى . ويظهر من نتائج الانتخابات العامة في اسرائيل ، منذ سنة ١٩٥٩ وحتى اليوم (انظر الجدول ٣ أعلاه) ان قوة الحزب ومكانته بين العرب في ازدياد مستمر . وهذا الوضع لا يقتصر على قطاع ما من السكان العرب دون غيرهم ، وانما يسري على كل التجمعات السكانية العربية على الرغم من الاختلاف « الحضاري » القائم بينها . ولكن هذا التأييد يختلف من فئة الى أخرى ، فنجده اقل ما يكون بين البدو ويزداد بين العرب من سكان القرى الصغيرة ثم يزداد اكثر بين سكان القرى الكبيرة ليصل ذروته بين العرب سكان المدن العربية والمدن المختلطة . ويرجع هذا الاختلاف ، في مدى التأييد للحزب ، الى عوامل عديدة منها طبعا المستوى الثقافي والوعي السياسي للفئات العربية المختلفة ، اذ يفترض انها اقوى بين سكان المدن والتجمعات السكانية الكبيرة ، ومنها ايضا مدى الضغوط التي تستطيع السلطة ممارستها على السكان لكبح جماح تأييدهم للشيوعيين والتي يفترض انها أشد بالنسبة الى البدو وسكان القرى العربية الصغيرة . غير ان هناك عاملا آخر يزيد في حجم التأييد العربي للشيوعيين ونسبته وهو ازدياد عدد الناخبين العرب الشباب ، نسبيا ، من انتخابات الى أخرى (بعد بلوغهم الثامنة عشرة) ، والذين يوصفون بأنهم يميلون الى تأييد الشيوعيين اكثر من الاجيال القديمة نظرا الى مشاعرهم القومية الملتهبة . والواقع ان هناك علاقة وثيقة متبادلة ، خلقتها الظروف التي يمر بها العرب تحت الحكم الاسرائيلي ، بين نشاط الشيوعيين من جهة وبين ازدياد التأييد لهم لدى الشباب العربي من جهة اخرى . فالحزب الشيوعي والاذاعات العربية من الدول المجاورة ، كما قيل مرة — والى حد ما عن حق — تساعد بنشاطها على تقوية المشاعر القومية لدى الشباب العربي الذي يتجه بدوره الى تقوية الحزب الشيوعي بمنحه المزيد من التأييد (والاصوات)(٨٣) . ومن الجدير بالملاحظة ان الشعارات القومية تكثر عادة في الصحف الشيوعية قبيل الانتخابات .

الجدول ٤

الاصوات التي حصل عليها الشيوعيون في انتخابات الكنيست والسلطات المحلية في بعض التجمعات العربية(١)

المدينة/القرية(٢)	١٩٦٥ الكنيست	١٩٦٥ السلطات المحلية	١٩٦٩ الكنيست	١٩٦٩ السلطات المحلية
شفا عمرو	١٠٩٠	٢٦٥	١٦٧١	٥٧٥
ابو سنان(٣)	—	—	٥٥١	٣٨٥
اكسال	٢٧٠	١١٣	٥١٩	٤٠٠
أم الفحم	—	—	١٤٩١	٧٥٣
باقة الغربية	٤٧٤	٩٢	٥٨٣	١٠٩
الطيبة	١٤٢٣	٥٤٢	٢٣٢٠	٥٥٦
الطيرة	٨٣٥	١٦٠	١٥٩٢	٣٠٣
طمرة	—	—	٦٩٦	١٧٦
يافا الناصرة	—	—	٨٦٣	٤٦٧
قلنسوة	—	—	٧٤٦	١٠٢
الرامة	٢٤٣	١٠٧	٦٣٠	٢٠٣
المجموع	٤٣٣٥	١٢٧٩	١١٦٦٢	٤٠٢٠

(١) Israel, Central Bureau of Statistics, *Results of the Elections to the Sixth Knesset and Local Authorities... and Results of the Elections to the Seventh Knesset and Local Authorities...*, Special Series Nos. 216 and 309, (Jerusalem, 1967, 1970), pp. 47-48 and 21-32.

(٢) اختيرت المدن والقرى التي حصل فيها الشيوعيون على أكثر من ٥٠٠ صوت في أية جولة من الانتخابات ، عدا مدينة الناصرة حيث تتساوى الاصوات تقريبا .

(٣) لم تورد نتائج الانتخابات في بعض القرى سنة ١٩٦٥ ، اما لانه لم تجر فيها انتخابات للسلطة المحلية خلال تلك السنة ، أو لان الشيوعيين لم يشتركوا في الانتخابات بقوائم خاصة بهم ، أو لانهم تحالفوا مع قوى محلية أخرى .

ان السلطات الاسرائيلية تنبهت باكرا الى هذا الدور الذي يلعبه الحزب الشيوعي ، عن عمد أو عن غير عمد ، فلجأت الى تضييق الخناق عليه ومحاصرة نشاطه ، ولهذا طبقت مختلف قيود الحكم العسكري بحق اعضائه، من حجب تصاريح السفر عنهم، الى الضغط عليهم اقتصاديا ، الى اصدار اوامر الاقامة الجبرية والاعتقال الاداري بحقهم ، وهي الاجراءات التي لا تزال تطبق بحق نشيطي الحزب العرب ، الذين عانوها كثيرا ، كعرب اولا وكشيوعيين ثانيا . غير ان السلطات الاسرائيلية كانت حذرة في اجراءاتها هذه التي بقيت مجرد محاولات لعرقلة نشاط الحزب دون حظر نشاطه او تصفيته ، وربما كان ذلك للابقاء على علاقات معينة بدول المعسكر الاشتراكي حيث يعيش الكثير من اليهود من جهة وللابقاء على عنوان معارضة يستطيع الشباب العربي الغاضب التوجه اليه عند الحاجة ، بدلا من اقفال كل الطرق أمامه ودفعه الى طريق الحركات السرية من جهة اخرى . كذلك ، فان الحزب من جهته تصرف ، منذ اقامة اسرائيل ، بصورة منضبطة جدا وفق نص القانون والعرف الاسرائيليين وروحهما ، وعندما كان ، مثلا ، اي عضو في الحزب أو اي شخص مقرب منه يتهم بتهم « تخل بالامن » ، كان الحزب يسارع الى اعلان استنكاره لتلك الاعمال وبراءته منها او تخليه عن ذلك الشخص

او طرده من صفوفه ، اذا كان فعلا لا يزال عضوا في الحزب . ولقد قطع الحزب الشيوعي ، فعلا ، شوطا طويلا من هذا الطريق حتى أصبح يعتبر من قبل الكثير حزب المؤسسة الاسرائيلية الشيوعي . وكان آخر مواقفه ، في هذه الناحية ، تأييده في سنة ١٩٦٩ لمشروع قانون تقدمت به الحكومة (وربما كانت هذه أول مرة يؤيد بها الحزب الشيوعي مشروع قانون تتقدم به الحكومة دون تحفظ) لتمويل نفقات الاحزاب الاسرائيلية خلال الانتخابات من ميزانية الدولة ، اذ حصل على حصته من المبالغ التي دفعتها الدولة ، والتي بلغت ٣٦٠٠ الف ليرة اسرائيلية(٨٤)، وذلك اسوة بباقي الاحزاب الصهيونية « البورجوازية » .

يتضح مما قدمناه عن الاوضاع السياسية للعرب في اسرائيل ان النشاط السياسي بينهم، لاسباب مختلفة ، يمارس من قبل الاحزاب الصهيونية التي يتركز اهتمامها أساسا على اصطياد أصوات الناخبين العرب بوسائل مختلفة وغريبة ، تصل أحيانا الى شراء الاصوات بالنقود من جهة وادعاء « تمثيلهم » تجاه الرأي العام الداخلي والخارجي من جهة أخرى . ومقابل هذه الكتلة من الاحزاب الصهيونية يقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي يدعي لنفسه الحق في الوصاية على عرب البلد . ويبدو من مجمل تصرفات هذه الاحزاب انها تتفق جميعا ، من اجل المحافظة على مصالحها الحزبية ، على العمل ، كل ضمن امكاناته ، لمنع قيام أي تنظيم عربي مستقل ، وهو الاتفاق الذي حظي حتى اليوم بنجاح ملحوظ . ولقد جرت ، على اية حال ، عدة محاولات لاقامة حزب عربي مستقل ولكن اكثرها كان محاولات غير جادة حكم عليها بالفشل منذ البداية(٨٥) .
هناك أسباب كثيرة منعت قيام تنظيم سياسي عربي مستقل في اسرائيل. فخلال السنوات الاولى لقيامها ، لم يفكر في هذا الاتجاه سوى أفراد قليلون ، بينما لم يحرز السكان العرب عامة أي تقدم في هذا المجال بسبب انعدام التجربة السياسية من جهة والمراقبة الشديدة والوسائل الحازمة التي اتخذتها السلطات ضد الذين عملوا في هذا الاتجاه من جهة أخرى . وهكذا ، فان الفئات التي أرادت القيام بنشاط سياسي معين او التعبير عن آرائها لم تجد أمامها سوى سبيل الانضمام الى الحزب الشيوعي أو التعاون معه أو مع أحزاب أخرى بحسب الظروف . وقد تميز النشاط السياسي العربي « المستقل » خلال هذه الفترة ، عادة ، بعقد الاجتماعات او مؤتمرات الاحتجاج ضد هذا الاجراء او ذاك من اجراءات الحكومة الاسرائيلية التي تمس العرب من حين الى آخر ، باشتراك مختلف العناصر والفئات السياسية ، يهودا وعربا ، واقامة لجان متابعة لتتولى التوصيات وتنفيذها . ومع مرور الزمن ، ومنذ الخمسينات ، أصبح هذا النشاط مقتصرا على العناصر القومية العربية والحزب الشيوعي الاسرائيلي ، خصوصا بعد ازدياد العلاقات بينهما وثوقا ، بينما كان بعض الفئات اليهودية الصغيرة يؤيدهم من حين الى آخر .

استمرت هذه الحالة على ما هي عليه خلال السنوات العشر الاولى لقيام اسرائيل ، ولم يطرأ عليها أي تغيير يذكر الا في منتصف سنة ١٩٥٨ . فقد أسفرت حوادث الاول من آيار (مايو) من تلك السنة ، في الناصرة وأم الفحم ، عن اعتقال وسجن ونفي العشرات من المواطنين العرب ، على اختلاف طبقاتهم ومن مختلف المناطق العربية في اسرائيل(٨٦)، بالاضافة الى اتخاذ السلطات العديد من الاجراءات التي اعتبرت مناهضة للعرب عامة، وبصورة لا سابقة لها ــ بحيث اتضح ان طريقة عقد مؤتمرات الاحتجاج التي اتبعت حتى الآن ، أصبحت غير ملائمة ، ولا بد من اقامة تنظيم عربي دائم للتصدي لسياسة الحكومة تجاه العرب عامة ولاجراءاتها العينية من حين الى آخر خاصة . اما نتيجة المشاورات التي عقدت على اثر ذلك بين عناصر المعارضة ، من قوميين وشيوعيين ،

فكانت توجيه دعوة من قبل يني يني رئيس المجلس المحلي في كفر ياسيف ، وطاهر الفاهوم من الناصرة ، الى عقد مؤتمر شعبي في عكا يوم ٦ تموز (يوليو) ١٩٥٨ (وفي اليوم نفسه عقد مؤتمر مماثل في الناصرة) ، حضرهما نحو ١٢٠ شخصا ، بعد ان كان الحكام العسكريون قد أصدروا أوامر اقامة اجبارية بحق نحو ٤٠ شخصا ، من بينهم كاهنان عربيان ، لمنعهم من حضور المؤتمر(٨٧)، اسفرا عن قيام تنظيم اطلق عليه اسم « الجبهة العربية » . وقد غيرت الجبهة اسمها فيما بعد الى « الجبهة الشعبية » ، بعد ان رفض حاكم اللواء الاعتراف بها وتسجيلها تحت الاسم السابق ، استنادا الى قانون عثماني قديم ، يعود الى سنة ١٩٠٩ ولا يزال ساري المفعول في اسرائيل ، يقضي بمنع تسجيل الجمعيات ذات الصبغة « العنصرية » .

ان الجبهة الشعبية (العربية) ، كما يدل اسمها ، لم تكن الا تجمعا من العرب ، قوميين وشيوعيين ، هدفه أساسا العمل على معالجة المشكلات الداخلية التي تواجه العرب في اسرائيل . فقد تعهدت الجبهة ، بموجب الدستور الذي أعدته لنفسها ، العمل لالغاء الحكم العسكري ، ووقف مصادرة الاراضي العربية ، وارجاع الاراضي المصادرة الى اصحابها ، والغاء التمييز العنصري بين المواطنين ، واستعمال اللغة العربية في جميع الدوائر الرسمية(٨٨) والعمل ايضا ، بالاضافة الـــى هذه الاهداف ، لعودة اللاجئين العرب الى ديارهم(٨٩) . ونشطت الجبهة ، في اقامة فروع لها في القرى والمدن العربية ، فاستطاعت خلال الاشهر الستة الاولى لوجودها ، حتى اواخر سنة ١٩٥٨ ، اقـــامة ستة فروع لها في الناصرة وعكا وحيفا والطيبة وكفر ياسيف ويافة الناصرة(٩٠) . ولقد دفع هذا النشاط السلطات الى مقاومتها بشراسة ، وفرض القيود على العديد مـــن زعمائها ومؤيديها، خصوصا بعد أن اعلن بن ـــ غوريون ان «اقامة الجبهة العربية بهذا الاسم كانت محاولة اولى من نوعها لاستغلال الغطاء السياسي والتنظيمـــي للحزب الشيوعي ، بما له من تأثير معين لدى بعض الدوائر بين العرب في البلد . وجاءت هذه المحاولة بعد ان قرر الشطر العربي في الحزب الشيوعي قبل نحو السنة . . . دون علم أعضاء الحزب اليهود ، التماثل علنا مع الحركات العربية المعادية لدولة اسرائيل »(٩١) . واضاف بن ـــ غوريون ، موضحا رأيه في الجبهة ، انه « بحسب المشروع الاصلي كان على العاملين العرب في الحزب الشيوعي الاسرائيلي الوقوف على رأس المبادرين لاقامة حركة عربية «للتحرير القومي» [الاقواس في الاصل]، وللتغطية حاولوا ادخال بعض الوجهاء الذين ليسوا أعضاء في الحزب الشيوعي »(٩٢) . ولهذا كان لا بد للسلطات الاسرائيلية من التصدي لهذا الخطر والعمل لاحتواء الجبهة .

ولكن السلطات الاسرائيلية لم تكن بحاجة الى الذهاب بعيدا في اجراءاتها الهادفة الى تضييق الخناق على الجبهة ، اذ ان الحظ حالفها هذه المرة ، فعلى اثر اشتداد الخلاف بين القوميين والشيوعيين في العالم العربي يومها ، فترت العلاقات بين هذه العناصر نفسها داخل الجبهة التي اصيبت بالشلل من جراء ذلك . وقد نتج عن هذا الوضع ان عجزت الجبهة عن تحقيق أي انجاز يذكر خلال سنة ١٩٥٩ ، عدا عقد مؤتمر للاراضي واللاجئين في حيفا في الرابع من تموز (يوليو) من تلك السنة ، حاولت السلطات عرقلة اعماله باعتقال ونفي نحو ٢٠ شخصا من كبار العاملين في الجبهة(٩٣)، ولكنها فشلت . اما حالة التوتر داخل الجبهة ، فلم تستمر طويلا . فبعد ان قـــرر الحزب الشيوعي الوقوف الى جانب اشقائه من الاحزاب الشيوعية في الدول العربيـــة ، ورفض طلب الاعضاء غير الشيوعيين في الجبهة بالامتناع من مهاجمة العناصر القومية وحصر نشاطه ضمن اطار المشكلات الداخلية في اسرائيل ، انسحب أعضاء ما كان يعـــرف بالجناح القومي داخل الجبهة منها فتحولت الى تنظيم يضم الحزب الشيوعي ونفرا قليلا مـــن العرب . وقد نجم عن هذا العمل تضعضع مركز الجبهة وفقدانها نشاطها بين العرب وتجاه السلطات(٩٤) . وعلى الرغم من ان الجبهة لا تزال قائمة ، رسميا ، منذ ذلك

الوقت فان أحدا لا يشعر بوجودها الا عندما تنشط احيانا قبيل الانتخابات ، بمبادرة الحزب الشيوعي وللعمل لتأييده خلال المعركة الانتخابية ، ثم تعود الى استراحة طويلة.

ان الجناح الذي انشق عن الجبهة الشعبية ، والذي تزعمه وقتها منصور كردوش وحبيب قهوجي ، لم يسكت طويلا اذ أعلن في الحال نيته ممارسة العمل السياسي مستقلا ، فأنشأ ما سماه « اسرة الارض » لاصدار صحيفة اسبوعية ناطقة باسمه ، اختار لها اسم « الارض » ، للدلالة على تعلق العرب الفلسطينيين بأرضهم وتأكيد حقهم في بلادهم ، فأصبحت هذه الفئة تعرف منذ يومها باسم « جماعة الارض » . ولم تشأ الجماعة التمهل في ممارسة نشاطها العملي ، اذ بعد ان تأخرت السلطات الاسرائيلية في الرد على طلب الحصول على رخصة باصدار صحيفة ، وازاء الضغوط التي تعرضت لها من الحزب الشيوعي ومؤيديه في الجبهة ، تقرر اصدار الصحيفة على شكل نشرة يصدرها كل مرة أحد أفراد الجماعة — على اعتبار ان مثل هذا العمل ليس بحاجة الى رخصة — وتحمل كل مرة اسما مختلفا عن الاسم السابق ولكنه يحتوي على كلمة « الارض » ، مثل « شذى الارض » و« نداء الارض » و « هذه الارض » لاعلام القارىء ان كل هذه النشرات هي من مصدر واحد . اما مضمون تلك النشرات التي تميزت بلهجتها العنيفة تجاه السياسة الاسرائيلية والحركة الصهيونية عامة ، وبدعوتها الصريحة للعرب في اسرائيل الى اخذ زمام أمورهم بأيديهم ، فقد أوضحت بما لا يترك مجالا للشك ان الواقفين وراءها ليسوا الا فئة من القوميين العرب لا تختلف كثيرا عن ذلك الطراز من القوميين الذي كان منتشرا في العالم العربي وقتها . ولقد اعتبرت السلطات الاسرائيلية هذا النشاط بمثابة تحد صريح لموقفها من العرب ، خصوصا وان الدعوة الى تنظيم العرب في اسرائيل ، وانطلاقا من وجهة نظر قومية ، اعتبرت منافية لاقدس أسس السياسة الاسرائيلية الرسمية التي اتبعت تجاههم ، وسرعان ما عملت على التصدي لها . ففي أواخر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ ، عقد شموئيل ديفون ، مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، مؤتمرا صحافيا في بيت سوكولوف بتل ابيب ، شن خلاله هجوما عنيفا على هذه الجماعة ، محذرا من هذه « الفئة الناصرية التي تحرض العرب »(٩٥) في اسرائيل والتي وصفت اذاعة القاهرة نشراتها بأنها « تثلج الصدر العربي »(٩٦). وقد اعتبر هذا المؤتمر بمثابة بدء الهجوم على « الارض » ، اذ قامت الشرطة على الاثر باقفال « الصحيفة » ومصادرة آخر اعدادها ، بعد ان كان قد صدر منها ١٣ عددا اسبوعيا ، ثم قدمت ستة من محرريها الى المحاكمة فأدينوا بتهمة اصدار صحيفة دون رخصة . وفي الوقت نفسه ، بدأ الحاكم العسكري ممارسة نشاطه الاولي ضد مؤيدي الجماعة بسحب تصاريح التنقل منهم(٩٧). وفي هذه الاثناء ، كانت « الارض » قد كسبت عداوة الحزب الشيوعي المعلنة ، بعد ان كانت قد دعت في نشراتها التي سبقت الانتخابات العامة ، والتي عقدت في أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٩ ، الناخبين العرب الى مقاطعة الانتخابات ، وهو ما اعتبره الحزب الشيوعي موجها في الاساس ضده . وكان حاكم لواء الشمال قد أعلن ، في الوقت نفسه ، انه لا يستطيع ان يمنح « الارض » رخصة باصدار صحيفة اسبوعية ، لان الشخص الذي اختير ليكون محررا مسؤولا لا يتمتع بكل المواصفات التي ينص عليها قانون الصحافة الاسرائيلي .

ان النشاط الذي مارسته « الارض » حتى هذه المرحلة عن طريق النشرات التي أصدرتها ، ومحاولة اقامة تنظيم لها كان ، عمليا ، النشاط الاساسي الذي مارسته خلال كل فترة وجودها . اذ انحصر عملها عامة ، فيما بعد ، عدا اشتراك مؤيديها في المؤتمرات واجتماعات الاحتجاج ضد سياسة السلطات الاسرائيلية تجاه العرب واقامة الندوات وتنظيم المحاضرات وما شابه ذلك ، في محاولات لكسر القيود التي فرضت حولها واكتساب صفة — أي صفة — تنظيم شرعي في اسرائيل ، لتستطيع العمل علنا

بين العرب ، وهي المحاولات التي باءت جميعها في نهاية الامر بالفشل ، بعد ان سجلت تجربة فريدة في نوعها مع الديمقراطية الاسرائيلية .

كانت أولى المحاولات التي بذلتها « الارض » ، في هذه المرحلة ، لاعادة تنظيم نفسها اقامة شركـة تجـارية هي « شركة الارض المحدودة » ، مهمتها تعاطي اعمال الطبـاعة والنشر ، وبحيث تعتبر ايضا المؤسسة المالية التي تتكفل بتمويـل العمل السياسي للجماعة . وقد رفض مسجل الشركات في البداية تسجيل الشركة ، معلنا ان مثل هذا العمل قد « يضر بأمن الدولة والمصلحة العامة » في اسرائيل ، وذلك بناء على رأي تقدم به المستشار القضائي للحكومة . ولكن المحكمة العليا التي حول الطلب اليها ، اعلنت ان المحافظة على أمن الدولة ليست من اختصاص مسجل الشركات الذي لا يملك الحق في اخذ هذه الناحية بالاعتبار وأمرته بتسجيل الشركة(٩٨). وعـاد المستشار القضائي واستأنف الحكم الى هيئة مؤلفة من خمسة قضاة ، فأيدت القرار السابق(٩٩)، وتم تسجيل الشركة على اثر ذلك . وقد بيعت اسهم الشركة الى مؤسسي « الارض » ومؤيديهم ، بعد ان فرضت القيود على تداولها خوفا من ان تصل الى عناصر غير أمينة قد تسيء استعمالها .

أما المرحلة الثانية التي تلت اقامة الشركة ، فكانت تقدمها بطلب للحصول على رخصة باصدار صحيفة اسبوعية ، وهي الاجراءات التي استغرق انجازها أكثر من سنة ، الى ان استوفيت كل الشروط التي يتطلبها قانون الصحافة الاسرائيلي . ولكن حاكم اللواء أعلن عندئذ انه يرفض اصدار الرخصة استنادا الى صلاحيته وفق انظمة الطوارىء ، اذ يحق له « بمحض ارادته ، ان يمنح ... رخصة او ان يرفض منحها دون بيان اي سبب لذلك »(١٠٠). ومرة اخرى توجهت الشركة الى المحكمة العليا طالبة الغاء قرار حاكم اللواء ، ولكن الحظ لم يحالفها هذه المرة ، اذ اعلنت المحكمة ان صلاحيات حاكم اللواء في مثل هذه الامور هي صلاحيات مطلقة « وفي مثل هذه الحالة ، لا نستطيع ان نضع رأينا محل رأي السلطة المختصة ... حتى ولو اعتقد احدنا او كلنا انه لو كان الرأي لنا ، لتصرفنا بصورة اخرى »(١٠١)، ولهذا رفضت التدخل والاشارة الى حاكم اللواء بمنح الرخصة باصدار الصحيفة .

اعتبرت « الارض » رفض السلطات منحها رخصة باصدار صحيفة اسبوعية صفعة قوية تهدد بشل نشاطها اذ فقدت بهذا ، أمل الحصول على وسيلة تمكنها من الاتصال بالجماهير العربية ، ولهذا قررت اتخاذ بعض الاجراءات « الانتقامية » بحق السلطات. فقامت باعداد مذكرة عن اوضاع العرب داخل اسرائيل ، شارحة معظـم مظالمهم ، وأرسلت نسخا عنها الى الامين العام للامم المتحدة ، والى العديد من الصحف العالمية والشخصيات المعروفة دوليا ، وكذلك الى السفارات الاجنبية في اسرائيل ، والى اعضاء الكنيست والمؤسسات الاسرائيلية المختلفة . وقد حظيت هذه المذكرة باهتمام ملحوظ خارج اسرائيل ، خصوصا لدى بعض الاجهزة في الدول العربية التي بدا وكأنها تفتـح عينيها اول مرة على أن هناك عربا في اسرائيل . أما الضجة التي تبعت ذلك ، فقـد أثارت حفيظة الحكومة الاسرائيلية ، اذ أعلن يومها صراحة ان ليفي أشكول ، رئيس الحكومة ، يبحث مع المستشار للشؤون العربية ورجال الامن في طـرق مواجهـة « الارض »(١٠٢)، بينما راحت مختلف الدوائر الاسرائيلية تطلق التهديدات المبطنة ضد الجماعة ومؤيديها . ويبدو ان السلطات الاسرائيلية عقدت النية ، منذ ذلك الوقت ، على تصفية «الارض» ونشاطها ، خصوصا بعد أن اعتبر توجهها الى جهات دولية عملا ناشزا ، مع ان هذه لم تكن اول مرة ولا الاخيرة التي يتقدم بها عرب في اسرائيل مذكرات احتجاج وشكاوى الى هيئات دولية مختلفة . الا ان تطورات اخرى حدثت في الوقت نفسه ، ونجمت عن قرار « الارض » تسجيل نفسها كحزب سياسي في اسرائيل ، وما

تبعه من اجراءات حملت السلطة على التريث قبل تنفيذ قرارها .

كانت محاولة تسجيل « الارض » كحزب سياسي الخطوة الثانية التي تقرر اتخاذها ، بالاضافة الى المذكرة عن اوضاع العرب ، ردا على رفض السلطات منح رخصة باصدار صحيفة . وقد تم ذلك بعد ان اتضح ان مثل هذه الخطوة يسهل العمل السياسي العلني من جهة ويمكن الحزب من التعبير عن وجهة نظره من جهة اخرى ، بين الحين والاخر — ان لم يكن بواسطة صحيفة تنطق باسمه فعلى الاقل بواسطة عقد الاجتماعات السياسية واصدار البيانات . ولهذا اعلن في منتصف تموز (يوليو) ١٩٦٤ عن قيام « حركة الارض » التي صاغت ، اول مرة ، اهدافها بصورة واضحة ، واعلمت السلطات رسميا بذلك . وقد جاء في عقد تأسيس الحركة ان اهدافها تنص ، بين ما تنص عليه ، على « ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية باعتبارها وحدة لا تتجزأ ، يتفق مع رغبات الشعب العربي الفلسطيني ، ويتجاوب مع مصالحه وامانيه ، ويعيد اليه كيانه ، ويضمن حقوقه التامة والمشروعة باعتباره صاحب الحق الاول في تقرير مصيره بنفسه ضمن نطاق الاماني العليا للامة العربية». وجاء في بند اخر من الاهداف ان الحركة ستعمل لــ «تأييد حركة التحرر والوحدة والاشتراكية في العالم العربي بكل الطرق المشروعة، واعتبار تلك الحركة قوة مقررة في العالم العربي يجب على اسرائيل ان تنظر اليها نظرة ايجابية». وكان بعض المسؤولين في الحركة قد اوضح رايه، قبل صياغة هذه الاهداف وبعدها ، اكثر من مرة بشأن ضرورة اقامة حزب عربي والاهداف التي سيعمل منأجلها. فمنصور كردوش، امين سر الحركة، يرى ان هناك ضرورة ماسة الى اقامة حزب عربي للعمل « على تنمية شعور العزة القومية [بين العرب في اسرائيل] ... والاصرار الحازم على حق المساواة الكاملة لكل السكان ... والاعتراف بحق اولئك اللاجئين الفلسطينيين الذين يريدون العودة ... ولكي تنتهج الدولة سياسة حياد ايجابي وتعايش سلمي بين المعسكرين العاملين ... »(١٠٣). كذلك اعلن كردوش ان « الحزب العربي سيتعاون مع الحركات الديمقراطية والتقدمية اليهودية في شؤون المصلحة المشتركة » . بينما أعلن صالح برانسي ، احد قادة الحركة ، « اننا عملنا ... جنبا الى جنب مع سائر القوى التقدمية والديمقراطية لاجل نيل حقوق المواطن العربي ومساواته . وما زلنا نرى ضرورة اسماع العالم صوت جماهيرنا ... ضد الاضطهاد والتمييز والحكم العسكري وسلب الاراضي وهدم البيوت دون ان نتجنى على حق الغير في العيش بسلام »(١٠٥). كذلك أكدت « الارض » ، بصورة خاصة ، ضرورة اقامة دولة عربية فلسطينية — ولا شك في أن هذا الموقف كان من الاسباب الرئيسية المباشرة التي دفعت السلطات الى تصفيتها فيما بعد — « فالعرب في اسرائيل ، حقا ، ليسوا امة ولكنهم ، قطعا ودون جدل ، جزء من امة كبيرة . فعرب هذا البلد كانوا وسيبقون دائما جزءا من الشعب العربي الفلسطيني الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من العالم العربي ... ولكن حقهم الشرعي في اقامة دولة عربية فلسطينية سلب منهم بالقوة »(١٠٦). فان كان لليهود الحق في اقامة دولة مستقلة ، « فللشعب الفلسطيني ايضا حق في دولة مستقلة ... اننا نعيش ضمن حدود هدنة ... ولا يجب ان نقرر ان كل عربي يعيش في هذه المنطقة هو اسرائيلي ... [ثم] ان ما هو موجود اليوم ليس خط حدود هبط من السماء . ومن الممكن تعديله الى هنا او الى هناك »(١٠٧). واذا ما حدث ذلك واقيمت دولة عربية فلسطينية ، ثم مرت فترة كافية تبرهن اسرائيل خلالها انها تخلت عن أطماعها التوسعية ، فانها « تستطيع ان تعيش عندئذ في سلام كجزء عضوي في الشرق الاوسط ، وكعضو في اتحاد فدرالي بين اسرائيل والشعوب العربية المتحدة »(١٠٨).

ولكن ، على أية حال ، يبدو ان السلطات اعتبرت خطوة « الارض » نحو تسجيل نفسها كحزب سياسي في اسرائيل قمة التحدي لها ، خصوصا وان الضجة حول المذكرة

التي ارسلت الى الامم المتحدة لم تهدأ بعد ، ولهذا لم يمر اكثر من يومين على استلام السلطات الاعلام عن اقامة الحركة حتى كان حاكم لواء حيفا يرد على المؤسسين انــه بعد ان اطلع على أهداف الحركة « وعلى مواد اخرى عرضت علي... فاني أعلن... أن « حركة الارض » ... هي جمعية اقيمت قصد المس بكيـان دولـة اسرائيـل وسلامتها »(١٠٩)، ولهذا فانها حركة محظورة ، واذا ما استمرت في العمل فستتخـذ ضدها الاجراءات الضرورية . وفي الوقت نفسه اشتد الهجوم على « الارض » من كافة اجهزة الاعلام والصحف الاسرائيلية .

ومرة اخرى توجهت « الارض » بالشكوى الى المحكمة العليا التي حادت هذه المـرة عن موقفها التقليدي وقررت الدخول في نقاش سياسي مع اهداف « حركة الارض » ، توصلت في نهايته الى نتيجة مفادها أن ذلك البند من أهداف الحركة الـذي يتعلـق بالشعب الفلسطيني « يشجب شجبا كاملا ومطلقا وجود دولة اسرائيل عامة ، ووجود الدولة ضمن حدودها الحالية خاصة »(١١٠). أما البند الاخر الذي يتحدث عـن تأييد « حركة التحرر والوحدة الاشتراكية » في العالم العربي ، فقد اعتبرته المحكمة تبنيـا « لاتجاهات العداء لدولة اسرائيل [في العالم العربي] ، وللتوجه نحو تصفيتهـا عنوة »(١١١)، ولهذا أعلنت موافقتها على رفض السلطات تسجيل « حركة الارض » او الاعتراف بها . اما السلطات فلم تجد أحسن من هذه المناسبة لتوجه ضربتهـا الـى « الارض » . فبعد صدور القرار بيومين اعتقل ثلاثة من قادتها ، بعد أن اعلنت الشرطة اعتقادها انهم ارتكبوا مخالفات امنية خطرة « لان عملاء للمخابرات اللبنانية والمصريـة القي القبض عليهم مؤخرا في اسرائيل اعلموا المحققين انه طلب منهم الاتصال باولئـك الاشخاص »(١١٢) (الذين أطلق سراحهم على أية حال ، فيما بعد ، دون توجيه أيـة تهمة اليهم ، وفرضت عليهم الاقامة المنزلية) . ثم اتجه وزير الدفـاع الـى تطبيق صلاحياته وفق أنظمة الطوارىء ، فأعلن ان « جماعة الاشخاص المعروفة باسم جماعة الارض او حركة الارض ، وليكن اسمهـا مهما يكن من وقت ، وكذلـك مجموعـة الاشخاص المتحدة ضمن شركة الارض المحدودة ، بما في ذلك مجموعة الاشخاص التي قامت من جراء نشاط مشترك لاصحاب أسهم الشركة المذكورة او اي جزء منهم ، هم منظمة غير قانونية »(١١٣). ولقد نتج عن هذا الاعلان حل « حركة الارض» واجهزتهـا وحظر نشاطها ، تحت طائلة العقاب بالسجن حتى ١٠ سنوات لمن يحاول الاستمرار في هذا النشـاط ، ثم الاستيلاء على ممتلكاتها .

ومع انتهاء اجراءات حل « الارض » وتصفية اجهزتها وفروعها ، ظهر وكـأن الحركـة وصلت الى نهاية طريق مسدود ، خصوصا وان ايا من الفئات السياسية في اسرائيل لم يبد اسفه عليها ، عدا افراد قليلين (١١٤). وقد حاد عن هذا الموقف ، رسميا ، الحزب الشيوعي الذي اعلن انه : « في رأينا ان المحاكم لم تعد للحسم في شرعية الحركـات السياسية ... وجعل المحاكم قيما على الحركات السياسية يبدد الفصل الضروري بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ... وان حرمان جماعة « الارض » من حق العمل السياسي المشروع أمر لا يمس جماعة « الارض » فقط ويجحف بحق فئة من فئات جماهير الشعب العربي في العمل السياسي المشروع بل هو اعتداء علـى الحريات الديمقراطية في البلاد تحت ستار الامن المزيف وهو اجراء نرفضه ونندد به »(١١٥). وكان « جهينة » (الاسم المستعار لعضو الكنيست الشيوعي اميل حبيبي)قد كتب ، بعـد الهجوم الذي تعرضت له « الارض » على اثر ارسال مذكرتها الى الامم المتحدة : « اننا نرجو أن تستخلص جماعة « الارض » النتائج الصحيحة من التطورات الثورية الجديدة في [العالم العربي] وفي مجموعة حركة التحرر القومي . ففي هذه الحركة اصبح الان جميع الثوريين ، طلاب التحرر الكامل والاشتراكية ، يسيرون في جبهة واحدة ، ويدا واحدة ـــ وغدا حزبا واحدا ... وهذا الحزب هو في بلادنا الحزب الشيوعي »(١١٦).

وبعبارة اخرى : تجديد الدعوة لـ « الارض » الى العودة والتعاون مع الحزب الشيوعي ضمن اطار الجبهة الشعبية (العربية) الا ان احدا لم يستجب لهذا النداء .

غير أن قصة « الارض » لم تنته عند هذه المرحلة ، اذ عادت لتظهر مجددا — ولاخر مرة — في سنة ١٩٦٥ . لقد كان من المقرر ان تجري في اسرائيل ، في اوائل تشرين الثاني (نوفمبر) من تلك السنة ، الانتخابات العامة للكنيست السادس — وهي المناسبة التي تقرر الاستفادة منها عن طريق الاشتراك في الانتخابات ، اذ ربما تمكنت الحركة من العمل على انجاح واحد من اعضائها ، على الاقل ، فيصبح عضوا في الكنيست يتمتع بحصانة تساعده على تجديد ممارسة العمل السياسي ، مما يفتح ثغرة في الجدار الذي اقيم حول « الارض » . وقد ازداد التأييد لاتخاذ هذا الموقف بعد أن اتضح أن الشروط التي يفرضها القانون لترشيح قائمة ما للاشتراك في الانتخابات هي ، نسبيا ، سهلة بحيث ان كل ما يطلب لمثل هذا العمل هو الحصول على توقيع ٧٥٠ شخصا ، ممن لهم الحق في الانتخاب ، لتزكية القائمة ، وايداع مبلغ ٥ آلاف ليرة اسرائيلية لدى لجنة الانتخابات المركزية ، وهو ما فعلته « الارض » معلنة انها ستشترك في الانتخابات العامة بواسطة « قائمة الاشتراكيين » التي ضمت عشرة مرشحين من اعضاء الحركة ومؤيديها . اما رد فعل السلطة على هذا العمل ، فلم يكن مختلفا عن ردود الفعل في الحالات السابقة ، اذ قبل تسجيل القائمة رسميا اصدر الحاكم العسكري اوامره بنفي اربعة من المرشحين ، اعتبرهم « محرضين » على هذا « النشاط المعادي للدولة »(١١٧)، الى عراد وبيسان وطبريا وصفد ، وهي مدن لا يسكنها العرب ، لمنعهم بذلك من التأثير في الناخبين ، وبقوا هناك الى ما بعد فترة اجراء الانتخابات . وفي الوقت نفسه ، فرضت اوامر الاقامة الجبرية على العديد من نشيطي الحركة . ولكن هذه الاجراءات لم تمنع تشكيل القائمة والطلب من لجنة الانتخابات المركزية المصادقة عليها ، فلجأت السلطة الى اجراءات اخرى لم يتضح معناها الا فيما بعد ، عندما بدأ يصل اللجنة العديد من الرسائل التي يسحب بها اصحابها تواقيعهم التي منحت لتزكية القائمة ، الا أن تواقيع أصحاب هذه الرسائل لم تلغ في النهاية عندما اتضح ان كل الرسائل كانت مشابهة وكتبت على نماذج واحدة ومعدة سلفا »(١١٨)، مما دل على وجود دوائر رسمية معينة وراءها . ولكن لجنة الانتخابات المركزية ، المؤلفة اساسا من مندوبين عن الاحزاب التي كانت ممثلة في الكنيست السابق والتي ستشترك في الكنيست المقبل وبصفتهم هذه معنيين طبعا بتقليص عدد القوائم المنافسة لهم في الانتخابات ، قررت ، بارشاد ودعم رئيسها موشيه لنداو ، وهو احد قضاة المحكمة العليا الذين كانوا قد حظروا قيام « حركة الارض » ، عدم المصادقة على القائمة والسماح لها بالاشتراك في الانتخابات ، لان المبادرين الى تشكيلها « يشجبون سلامة دولة اسرائيل وحقيقة وجودها »(١١٩). ومرة اخرى توجهت « الارض » بالشكوى الى المحكمة العليا التي صادقت على قرار اللجنة(١٢٠)، وأيدت منع « قائمة الاشتراكيين » من الاشتراك في الانتخابات . ومع انتهاء هذه المرحلة ، توقفت « الارض » عن بذل اي نشاط يهدف الى الحصول على صفة الشرعية ضمن الكيان الاسرائيلي(١٢١).

ان الاجراءات المناهضة « للارض » ، على اية حال ، لم تتوقف عند حل الحركة ، وانما استمرت بعد ذلك لتصفية الجيوب التي اعتقدت السلطات ان « الارض » خلفتها وراءها . فخلال وجود « الارض » وبعده ، اتهمت من قبل السلطات — بجد متناه — بأنها عملت او حثت او ايدت او باركت قيام نواد رياضية في بعض القرى العربية في المثلث ، وهي النوادي التي كان الشباب العربي يقيمها اساسا للعمل على حل بعض مشكلاته ، بعد ان شعر بالاهمال الذي تبديه الدوائر الاسرائيلية المختصة تجاهه(١٢٢). فقد اعتبرت السلطات هذه النوادي بمثابة بؤر لتجمعات قومية قد تشكل « خطرا على

الامن » ، بالاضافة الى ان مثل هذا العمل يعتبر تحديا لاحتكار الهستدروت اقـــامة النوادي في القرى العربية ، ولهذا سارعت الى توجيه الضغوط على اعضاء هذه النوادي لتصفيتها(١٢٣) (وكان الحاكم العسكري قد أعلن مرة قرية كفر قرع في المثلث منطقــة مغلقة لمنع اجراء مهرجان رياضي فيها باشتراك اعضاء تلك النوادي(١٢٤)، وهي الضغوط التي نجحت في معظم الحالات ، عدا حالتين ـــ في الطيبة والطيرة . ففي الطيبة تجاهل اعضاء النادي الحظر الذي فرضته السلطات وباشروا نشاطهم ضمن اطار النادي ، فصدرت ضدهم اوامر اقامة جبرية واوامر باغلاق النادي(١٢٥). وعندما لم ينصاعوا للامر ، اعلن النادي جمعية غير قانونية وتمت تصفيته(١٢٦). اما في الطيرة ، فان كل هذه الضغوط لم تجد نفعا ، واستمر النادي الثقافي الرياضي هناك يعمل حتى اواخر سنة ١٩٦٨ ، عندما اكتشفت السلطات ان احد اعضائه كان عضوا في حركة « فتح »، فأعلن وزير الدفاع النادي جمعية غير قانونية وأمر باغلاقه(١٢٧).

ان « الارض » ، كما يتضح من العرض الذي قدمناه لنشاطها ، لم تحصل على انجازات تذكر خلال فترة وجودها ، اذ لم تستطع اساسا كسر الطوق الذي اقيم حولها . وربما تكون « الارض » قد اخطأت احيانا بتسرعها وعنف لهجتها ومواقفها الصريحة الحادة واثارة عداوة كل الفئات السياسية العاملة في اسرائيل ، واولها الجهاز المبائي بـــين العرب وهو اخطر تلك الفئات لما يستطيع الحصول عليه من تأييد الحزب الحـــاكم ، وبالتالي أجهزة السلطة له . والواقع ان هذا الجهاز ، في سبل تأمين مصالحه ، لم يصطدم « بالارض » فقط وانما حاول أيضا التصدي لكل تنظيم سياسي اتجه الى العمل بين العرب ـــ واعضاء مبام العرب ، مثلا ، صادفوا الكثير من العراقيل التي حـــاول وضعها في طريقهم(١٢٨). ولكن كان هناك فرق جوهري بين تلك الفئات التي كـــانت مدعمة من جهات لها وزنها في النظام الاسرائيلي ، بحيث كان هناك دائما حد للاجراءات التي يمكن اتخاذها ضدها ، وبين « الارض » التي لم تستطع في الوقت نفسه كسب اي صديق ، عدا افراد قليلين لم يكن لهم وزن كاف يستطيع الصمود في وجـــه العواصف المبائية . وعلى أية حال ، يصعب من ناحية اخرى ان نرى « الارض » تتصرف بعكس الصورة التي تصرفت بها ، استنادا الى المبادىء التي نادت بها . كذلك لا شك في أن « الارض » اخطأت عندما استندت ، وبالصورة التي تم بها ذلـــك ، الـــى العدالـــة والديمقراطية الاسرائيلية(١٢٩)، غير مقدرة مفاهيم « الامن » الصهيونية وقدرتها علـــى تفسير الامور وعرضها بالصورة التي تحلو لها ، على الرغم من أن احدا من اعضـــاء « الارض » ومؤيديها لم يمر دون تجربة شخصية سابقة في هذا المجال . وعلـــى أيـــة حال ، فان تجربة « الارض » لم تمر دون ان تترك اثرها في النظام الاسرائيلي من جهة وفي جزء من العرب في اسرائيل من جهة اخرى . فبالنسبة الى السلطة الاسرائيلية لا شك في أن وجود « الارض » ثم تصفيتها والحد من تأثيرها كانت من ضمن الاسباب التي أدت الى تغيير السياسة الرسمية تجاه العرب مع منتصف الستينات واعلان اتبـــاع سياسة اكثر ليبرالية ، وذلك لتطويق تأثير الحركة ومنع قيام حركات مشابهة بـــين العرب في المستقبل ، تماما كما كان التغيير في السياسة الذي اعلن في اواخر الخمسينات متأثرا ، الى حد ما ، بقيام الجبهة الشعبية (العربية) . اما بالنسبة الى جزء مـــن الشباب العربي ، فقد ظهر انه ، بعد مضي اكثر من خمس سنوات على حل « الارض »، لم ينس التجربة التي مر بها اذ بعد اجراء تدقيق في نوعية المؤيدين للعمل الفدائي بين العرب في اسرائيل بعد سنة ١٩٦٧ اتضح « ان السيرة الشخصية لعدد غير قليل لمن لهم علاقة ، بصورة او بأخرى . . . [بالنشاط الفدائي] . . . تشير الى علاقات بجمـــاعة « الارض » قبل حرب الايام الستة »(١٣٠). ويبدو ان ذلك العدد من العرب قد اقتنع بأن التقيد بالقوانين الاسرائيلية ، والاعتماد على العدالة والديمقراطية الاسرائيلية ، ليس

اكثر الطرق ملاءمة للتعامل مع النظام الاسرائيلي — ويصعب القول انه لم يكن على حق .

•

ان موقف النظام الاسرائيلي ، المعادي للتنظيمات العربية المستقلة في اسرائيل بصورة عامة، لم يطبق تجاه كل تلك التنظيمات — وعلى وجه التحديد لم يطبق بحق منظمات طلاب الجامعات العرب بالذات . ومنظمات الطلاب العرب هذه ، ظهرت اول مرة على شكل لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس في سنة ١٩٥٩ ، لمعالجة المشكلات التي كانت تواجه الطلاب العرب ، تعليمية كانت ام اجتماعية . وفي فترات لاحقة ، وبعد ان ازداد عدد الطلاب العرب في جامعتي تل ابيب وحيفا ، اقيمت لجان مماثلة في كلتا الجامعتين ، الا ان لجنة طلاب القدس بقيت تحتفظ بحق الاولوية بين هذه اللجان من جهة قوتها وفعاليتها . ومع ان لجان الطلاب هذه لم تكتف بممارسة النشاط المتعلق بالامور الطلابية فقط بل اتجهت نحو تعاطي السياسة ايضا ، ولم تترك مشكلة من المشكلات التي تعرض لها العرب في اسرائيل الا وحاولت التدخل فيها ، ان كان ذلك بالاشتراك في مؤتمرات الاحتجاج على قيام الحكم العسكري او مصادرة الاراضي او حث السلطات على حل مشكلات معينة من جهة او مساعدة جماعة « الارض » او تأييد الشيوعيين في الانتخابات من جهة اخرى(١٣١) فان السلطات الاسرائيلية لم تحاول مرة التعرض لوجودها بالذات او العمل على تصفيتها عنوة . وقد اكتفت السلطات الاسرائيلية بممارسة الضغوط التقليدية ضد النشيطين بين اعضاء تلك اللجان ضمن ذلك النوع من الضغوط الذي تمارسه عادة ضد العناصر غير المرضى عنهم ، على الرغم من أن أكثر من مسؤول من بين أعضاء تلك اللجان ادين بتهم أمنية . اما تلك اللجان فلم تكتف ، من جهتها ، بالعمل على تنظيم الطلاب العرب فقط وانما حاولت توسيع نشاطها والعمل على تنظيم طلاب المدارس الثانوية العربية ، ولكن دون نجاح ، من جهة وتنظيم الاكاديميين العرب من جهة أخرى(١٣٢) . واستمرت تعمل في هذا الاتجاه حتى أقيم اخيرا في حيفا ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، بمبادرة لجنتي الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس وجامعة تل أبيب(١٣٣)، « اتحاد الاكاديميين العرب » للعمل على تحسين أوضاع التعليم والمستوى الاكاديمي للمثقفين العرب . ولقد جوبه هذا الاتحاد ، خلال مراحل اقامته وبعد ذلك ، بحملة غير ودية من الانتقادات والتشهير أحيانا ، ذلك بأن مؤسسيه « تصرفوا كأولاد مدللين ، او بحسب رأيي — معقدين ، فقد طالبوا لانفسهم بجميع حقوق اليهود وحرياتهم في الدولة »(١٣٤)، وان الذين بادروا الى تأسيسه هم « أيتام « الارض » وأيتام الحزب الوحيد الذي يدين بالتبعية السياسية للخارج »(١٣٥)، الا ان السلطة الاسرائيلية لم تتعرض له بسوء ، وانما دفعت بعض الدوائر الرسمية الى العمل على تحسين الاوضاع التي يشتكي منها الاكاديميون العرب(١٣٦) . هذا على الرغم من أن هذا الاتحاد كان « مؤهلا » نظرا الى طبيعة تكوينه واستنادا الى الطرق التي اتبعتها السلطات الاسرائيلية في الماضي ، للتصفية الفورية — فهو يقوم على اساس « عنصري » مثل الجبهة العربية ويضم العديد من أعضاء « الارض » ، الجمعية غير القانونية ، السابقين . ولكن العبرة من اقامة هذا الاتحاد كانت ، فيما ظهر ، انه تحول في موقف السلطة من اقامة تنظيمات عربية ، اذ عندما أعلن اوري شتاندل ، وكان يشغل يوما منصب نائب مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، معارضته السماح بقيام الاتحاد ، لم يأبه احد من المسؤولين لرأيه ، وعندما قدم استقالته احتجاجا على عدم حظره بعد قيامه ، قبلت الاستقالة : ويبدو ، حقا ، كأن شيئا ما تغير في المفاهيم الاسرائيلية بعد سنة ١٩٦٧ .

•

لم يكتف النظام الاسرائيلي بالطرق التي اتبعها والقيود التي فرضها على شكل ونوعية العمل السياسي بين العرب في اسرائيل ، وانما اتجه الى العمل بينهم على أساس طائفي أيضا بصورة تدعم مركزه السياسي ، وذلك من خلال تقوية المشاعر الطائفية لديهم وتغذيتها على حساب انتمائهم القومي ، وهو وضع يسهل على السلطات الاسرائيلية تعاملها معهم بعد تفكيك وحدتهم القومية . والسلطات الاسرائيلية لم تعلن عن اتباع سياستها هذه مرة واحدة ، وانما عملت لتنفيذها على مراحل بدأتها بالتحكم في تعيين ذوي المناصب الدينية من خلال التظاهر بالحرص على تأمين الخدمات الدينية لمختلف الطوائف ، واكملتها بمحاولة استغلال هذا الوضع لمآربهـا . ولا شك في ان السلطات الاسرائيلية عندما اتبعت هذا النهج وضعت نصب عينيها هدف منع قيام زعامة دينية بين العرب قد تصبح ، مع غياب زعامة قومية ، زعامة دينية ــ قومية بامكانها ان تلعب دورا يشبه ذلك الدور الذي لعبه بعض رجال الدين الفلسطينيين ، من اسلام ومسيحيين ، ضد النشاط الصهيوني في البلد ايام الانتداب ، وهو الدور الذي رأى الزعماء الصهيونيون انه ينم عن عداء سافر لهم ــ خصوصا وانه سيكون من الصعب التصدي لرجال الدين في مثل هذه الحالة ، في ضوء السياسة الاسرائيلية المعلنة بشأن عدم التدخل في شؤون الطوائف الدينية .

ان تدخل السلطات الاسرائيلية في شؤون الطوائف الدينية ومحاولة استغلال ذلك لمآربها يختلف من طائفة الى اخرى . فبالنسبة الى العرب المسيحيين لا تكاد السلطات تمارس أي تدخل أو تأثير يذكر في ادارة شؤونهم الدينية ، ويبدو ان ما يمنعها من ذلك هو أولا عدم قدرتها على التدخل في تعيين رجال الدين اذ ان رئاسات الطوائف المسيحية الكبرى في اسرائيل موجودة خارج البلد ، وهي التي تشرف على تعيين رجال الدين ونقلهم ، دون استشارة السلطات الاسرائيلية . كذلك ، فان حرص اسرائيل على الابقاء على علاقات حسنة بالكثير من الدول المسيحية ، وعدم اثارة الرأي العام المسيحي من جراء معاملة المسيحيين بصورة قد تفسر بأنها غير ودية ، يجعل السلطات الاسرائيلية تتصرف بحذر وتأني شديدين في علاقاتها بالطوائف المسيحية ــ بل وفي حالات كثيرة نرى الدوائر المعنية تبذل جهودا واضحة للتقرب من رجال الدين المسيحيين ، عربا وأجانب ، بصورة تصل حد التملق لهم ، وهو ما دفع بعضهم في النهاية الى الارتمـاء في أحضان السلطـات الاسرائيلية او على الاقل التعايش بهدوء معها . وعلى أية حال ، فهناك نشاط معاد للارساليات المسيحية في اسرائيل يمارسه بعض الفئـات اليهودية المتعصب في تدينه ومحاولات للضغط على الحكومة لحملها على اتخاذ اجراءات لفرض القيود على نشاط تلك الارساليات ، وهي المحاولات التي تنجح أحيانا . غير ان هذا النشاط لم يوجه ضد العرب المسيحيين بصورة خاصة .

ويختلف هذا الوضع بالنسبة الى المسلمين الذين تمتعوا ايام الانتداب باستقلال ملحوظ في ادارة شؤونهم الدينية . فالسلطات الاسرائيلية ، على ما يبدو ، كانت في حيرة من أمرها، بعد اقامة اسرائيل، بشأن الخطوات التي ينبغي اتخاذها لتنظيم شؤون المسلمين الدينية . فبينما نرى مدير الدائرة الاسلامية في وزارة الاديان يدعو الى اعادة تنظيم شؤون الطائفة الاسلامية ، واقامة الاجهزة الضرورية لذلك وتحديد صلاحياتها من خلال اشراك ابناء الطائفة في ادارة شؤونهم(١٣٧)، تتصرف السلطات بعكس ذلك فتلجأ ، بعد تردد ، الى الاستيلاء على ممتلكات الوقف وتعمل على اقامة محاكم شرعية اسلامية (اثنتان في الناصرة وعكا في أواخر سنة ١٩٤٨ ، واثنتان في يافا والطيبة في أوائل سنة ١٩٥٠) وتعين قضاتها بأمر من وزير الاديان(١٣٨). وعندما طعـن في شرعية هـذه الاجراءات ، سارع الكنيست فأقر ، بناء على اقتراح الحكومة ، قانونا خاصا للمصادقة عليها(١٣٩)، على الرغم من اعتراض بعض اعضاء الكنيست عليه لعدم استشارة الطائفة

الاسلامية بشأن هذه الاجراءات وعدم مساواتها بباقي الطوائف(١٤٠). ولقد بقي الحال على ما هو عليه حتى سنة ١٩٦١ ، عندما صدر قانون القضاة الشرعيين الذي يبدو ان الحكومة اضطرت الى سنه بعد وفاة أحد القضاة الشرعيين الذين عينهم وزير الاديان بينما كان قاض آخر يقترب من الاحالة على التقاعد بسبب سنه(١٤١)، فأوكل مهمة تعيين القضاة الشرعيين الى لجنة مؤلفة من تسعة أشخاص ، يمكن ان يكون أربعة منهم على الاقل غير مسلمين(١٤٢)، وأصبح الاطار الرئيسي والوحيد لتنظيم شؤون الطائفة الاسلامية الدينية في اسرائيل(١٤٣)، بعد ان رفضت الحكومة اقتراحا لتشكيل مجلس اسلامي أعلى على غرار ذلك الذي كان قائما ايام الانتداب للاهتمام بشؤون المسلمين الدينية ، وذلك لان هذا الطلب ينطوي على « هدف سياسي أكثر من كونه هدفا دينيا »(١٤٤). ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية لا تلتزم دائما بموقفها التقليدي بشأن عدم التدخل في شؤون الطوائف الدينية فنرى ، مثلا ، انه على الرغم من « ان المسلم يستطيع ان يتزوج يهودية او مسيحية... وتستطيع ان تبقى على دينها »، فان قوانين الدولة تمنعنا [القضاة الشرعيين] من عقد زيجات مختلطة . والزوجة ملزمة باعتناق الاسلام »(١٤٥)، وهو اجراء ليس بالسهل في اسرائيل ، خصوصا بالنسبة الى اليهوديات . والواقع ان ما يمنع القضاة الشرعيين من عقد مثل هذه الزيجات التي يقرها الشرع الاسلامي ، ليس « قوانين الدولة » بل تعليمات داخلية كانت قد أصدرتها لهم ، في سنة ١٩٥٢ ، الدائرة الاسلامية في وزارة الاديان التي تعتبر « الزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود ... مشكلة مثيرة للقلق من الناحية اليهودية »(١٤٦)، لانه على ما يبدو يتنافى مع طابع اسرائيل الصهيوني(١٤٧).

ومن ناحية أخرى ، يصر النظام الاسرائيلي على الاحتفاظ لنفسه بالاشراف على باقي شؤون الطائفة الاسلامية ايضا ، بالاضافة الى النواحي التي أشرنا اليها . فالسلطات تقوم بتغطية جزء من رواتب رجال الدين المسلمين ونفقات ادارة المساجد الاسلامية بمساعدات مالية تمنح على شكل هبات، وهي الهبات التي طالما زمرت السلطات وطبلت لها مع ان هذه المبالغ تقتطع اساسا من دخل املاك الاوقاف الاسلامية التي صادرتها اسرائيل . ولكن على الرغم من ذلك ، فان منح تلك الهبات يقرر من قبل لجنة مشكلة من ممثلين عن وزارة الاديان ومستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية والقيم على أموال الغائبين(١٤٨)، دون استشارة أي هيئة اسلامية .

ومما لا شك فيه ان هذا الموقف الذي تتبعه السلطات الاسرائيلية تجاه الشؤون الدينية للطائفة الاسلامية يعود ، الى حد ما ، الى تلك العلاقة الوثيقة — الماثلة امام عيون الكثير من الاسرائيليين — بين العرب والاسلام ، وهو ما أدى ، في أحيان عديدة ، الى تحريض أرعن على الاسلام والمسلمين في اسرائيل وخارجها(١٤٩).

ويعود موقف النظام الاسرائيلي المتباين من الطوائف الدينية بين العرب ليتغير مرة أخرى تجاه الطائفة الدرزية ، وهذه المرة بصورة توصف رسميا بأنها « ودية » وتميز هذه الطائفة عن باقي الطوائف العربية . وهذا الموقف لم يتبلور ويصل الى ما وصل اليه الآن دفعة واحدة ، وانما مر قبل ذلك في عدة مراحل ، اذ ساهم في تكوينه النظام الاسرائيلي من جهة ومساعي بعض كبار المتعاونين مع السلطة من زعماء الطائفة من جهة أخرى . فمع اقامة اسرائيل لم يكن هناك ما يميز الدروز عن باقي العرب فيها ، واذا كان هناك عدد من ابناء الطائفة الذين قاتلوا الى جانب القوات الاسرائيلية في سنة ١٩٤٨ بفضل مساعي بعض زعمائهم التقليديين من المتعاونين مع السلطة ، فان باقي الطوائف العربية ايضا ، من مسلمين ومسيحيين ، لم تكن نظيفة من هذه الناحية . غير ان ذلك النفر من الزعامة الدرزية امعن أكثر من زعامات باقي الطوائف في تعاونه مع السلطات ، اذ انه لم يكتف بالخدمة التي قدمها خلال حرب ١٩٤٨ بل نظم عرائض وقدم

طلبات الى الحكومة طالبا تجنيد كـل الشبان الدروز للجيش الاسرائيلـي ليخدموا « وطنهم » ، معبرين بذلك عن « ولائهم واخلاصهم » لاسرائيل . والسلطات الاسرائيلية لم تكن ، على أية حال ، بحاجة الى هذا النوع من التملق لتجنيـد الدروز أو غيرهم للجيش الاسرائيلي، فوزير الدفاع يملك صلاحية تجنيد أي مواطن اسرائيلي دون الحاجة الى عرائض وطلبات . ولكن السلطات لم تر مانعا من استغلال هذا الموقف ، فأعربت عن تقديرها لهذا الاتجاه ، بينما أعلن وزير الدفاع انه قرر « الاستجابة » لتلك الطلبات وأصدر أمرا عاما يقضي بفرض التجنيد الاجباري على كل الشبان الذكور بين الدروز ، الذين يمنعوا على اية حال من الخدمة في وحدات معينة في الجيش(١٥٠)، مما أدى بدوره الى وقوع خلاف في الطائفة بين معارضي التجنيد ومؤيديه لا يزال قائما حتى يومنا هذا .

استمرت السلطات الاسرائيلية في سياستها هذه الهادفة الى اظهار الدروز بمظهر منفرد، فأعلنت في سنة ١٩٥٧ اعترافها بالدروز « كطائفة دينية مستقلة »(١٥١)، مع ان وزير الاديان كان قد أعلن ، قبل ذلك بعشرة أشهر ، انه لا ينوي اتخاذ مثل هذا الاجراء لان احدا لم يقدم طلبا بذلك(١٥٢). وبعد مرور خمس سنوات علـى ذلك الاعلان ، أقـر الكنيست قانون المحاكم الدرزية لسنة ٥٧٢٣ ــ ١٩٦٢(١٥٣)، وهي خطوات لا تشوبها بحد ذاتها أية شائبة ، والتي عرضت وكأنها جاءت لتنظيـم الشؤون الدينية للطائفة ولمساواتها بباقي الطوائف ، بعد ان كانت شؤونها تدار في السابق من قبـل المحاكم الاسلامية الشرعية(١٥٤). ولكن يبدو ان السلطات قصدت شيئا آخر مـن وراء ذلك ايضا ، اذ بعد ان أعلنت عن اعترافها بالطائفة بدأت تسجيل كلمة « درزي » بدلا من « عربي » في بند « القومية » في بطاقات الهوية الاسرائيلية وباقي المستندات الرسمية . وعندما سئل وزير الداخلية عن سبب هذا التسجيل ، أجاب ان « زعماء الطائفة الدرزية [الذين لم يتذكر أسماءهم] طلبوا تمكين ابناء الطائفة ... تسجيل انتمائهم الدرزي في بند القومية أيضا ، وان وزارة الداخلية لم تجد مبررا لمعارضة هذا الامكان »(١٥٥). ولقد نتج عن هذا الوضع تشديد في الحملة الدعائية التي كانت قائمة منذ سنوات للتمييز بين « عربي » و « درزي » ، ثم تبني هذا الخط على الصعيد الرسمي ، واعتبار الدروز « أمة » منفصلة قائمة بذاتها تختلف عن الامة العربية ، في محاولة للتفريق بنيها وبين باقي العرب في اسرائيل ، على أمل ان يؤثر هذا الوضع أيضـا في موقف الدروز في اسرائيل وفي الدول العربية المجاورة لها أيضا . ولا شك في ان هذا الموقف كان استمرارا لمواقف فئات صهيونية معينة كانت تدعو الى التعامل مع العرب ومع شعوب الشرق الاوسط عامة ، على اساس انتمائهم لاديان وطوائف معينة ، مما يساعـد في تفتيت شعوب المنطقة واعتبارها مجموعة من الاقليات المختلفة ، يحتل العنصر اليهودي بالتالي مركزا مرموقا بينها .

ان الدروز ، على اية حال ، لم يحصلوا على أية مكاسب استثنائية تذكر من جراء تلك السياسة التي اتبعت تجاههم . فأوضاع الدروز عامة ومستوى معيشتهم وتطور قراهم لا تختلف كثيرا ، كما سنرى ، عن الحالة بالنسبة الى باقي العرب ، بل انهم ــ من نواحي عديدة ــ يمرون في أوضاع أكثر سوءا(١٥٦). وعندما أراد معدي ، نائب الوزير ، على سبيل المثال ، التفاخر بالانجازات التي حققتها الطائفة في عهد اسرائيل ، اعلن : « ان فرحي كان كبيرا عندما اتضح لي ان هناك ... عشرة اطباء من أبناء الطائفة ... وبعض المحامين والمهندسين وأصحاب مهـن اكاديمية أخرى »(١٥٧) تخرجوا في عهد اسرائيل وخلال ٢٤ سنة (حتى سنة ١٩٧٢) عندما بلغ عدد ابناء الطائفة نحو ٣٥ الفا. كذلك تجدر الاشارة الى ان أراضي القرى الدرزية المختلفة تعرضت لاجراءات المصادرة والنهب ، مثلها في ذلك مثل باقي أراضي القرى العربية الاخرى ، وان الاحكام العسكرية كانت مفروضة على كل الدروز في البداية ثم اعفي منها المجندون منهم بعد ذلك . ولا

تزال قيود تقييد الاقامة وغيرها تطبــق حتى الان بحق العديد مــن الشبان الدروز المعارضين للسياسة الرسمية ، وذلك لاسباب « أمنية » طبعا ، مع ان معظم اولئك الشبان كان قد خدم في الجيش الاسرائيلي . وعلى الرغم من أن مستوى معيشة الدروز عامة لا يزال على الحالة التي أشرنا اليها ، فان حملة النفاق المتبادل بين السلطات وبعض زعماء الطائفة لا تزال مستمرة ، وكان من نتائجها العمل علــى فصل معالجة شؤون الدروز والاهتمام بهم عن الدوائر الحكومية التي تعالج الشؤون العربية عامة في أواخر سنة ١٩٦٧ ، وذلك « لمساواتهم » باليهود اولا ولانه « بسبب انجازات الطائفة الواضحة في مجال تنظيمها وتقدمها الاجتماعي والثقافي لا حاجة بعــد ، بحسب رأي الحكومة ، الى أن تعالج شؤونها من قبل دوائر حكومية خاصة »(١٥٨) . غير انه اتضح، بعد مرور أربع سنوات على هذه الخطوة ، انها لم تكن الا من قبيل الدعاية ، وأن مستشار رئيسة الحكومة للشؤون العربية لا يزال يهتم بشؤون الدروز عامة(١٥٩) .
واستمرارا في السير في هذا الخط ، أعلن في مرحلة لاحقة أن السلطات ستقيم مدارس خاصة للطلاب الدروز ، بينما يجري اعداد كتاب خاص عن تاريخهم ليستعمل للتدريس في تلك المدارس(١٦٠) . ومما لا شك فيه ان تدخل السلطات الاسرائيلية في شؤون الدروز بهذه الصورة أصبح ممكنا بفضل ذلك التعاون الوثيق بينها وبين بعض الزعامات العائلية بين الدروز ، لخدمة المصالح المشتركة للطرفين علــى حساب الدروز عامة ، وهــي الزعامات التي قوي مركزها من جراء ذلك بصورة لم تعد السلطات قادرة معها على تجاهلها ، وان أرادت ذلك . ففي سنة ١٩٦٦ ، وعلى سبيل المثال ، أحيل أحد قضاة المحكمة الدرزية على التقاعد بعد أن بلغ السبعين من عمره ، كما يحدث عادة لكل قضاة المحاكم المدنية والدينية في اسرائيل على اختلاف أشكالها ، ولكن هذا الاجراء لم يعجب ذلك القاضي وانصاره ، وفي الوقت نفسه لم تستطع السلطات تعيين قاض آخر مكانه ، مما هدد بشل نشاط المحكمة ، فعمد الكنيست الى الموافقة على قانون خاص يسمح للمحكمة بالنظر في القضايا المعروضة عليها بهيئة مؤلفة من قاضيين فقط، وسمح للقاضي المذكور بممارسة مهماته حتى سن الخامسة والسبعين(١٦١) . ولكن بعــد مرور فترة السنوات الخمس المذكورة لم يكن بالامكان ، نظرا الى الخلافات بين الاعضاء الدروز في لجنة تعيين القضاة وهي الخلافات التي تتحمل السلطات مسؤولية قدر كبير منها(١٦٢)، تعيين قاض آخر مكان القاضي المتقاعد ، فلجأ الكنيست الى تعديل القانون نهائيا حيث سمح للمحكمة بمزاولة أعمالها بهيئة مكونة من قاض منفرد(١٦٣) . وهي اجراءات مــا كانت السلطات الاسرائيلية لتلجأ اليها ، استنادا الى هذه المبررات بالذات ، بالنسبة الى أية محكمة أخرى .
ان السياسة الاسرائيلية الرسمية تجاه الدروز لم تمر دون مقاومة العديد مــن أبناء الطائفة لها ، ان كان ذلك بسبب مصادرة الاملاك الدرزية(١٦٤)، او الاعتراض على تجنيد الشبان الدروز(١٦٥)، خصوصا بعد أن اتضح ان الخدمة في قوات الجيش والشرطة الاسرائيلية لا تمر دون ضحايا(١٦٦) . ولكن هذه المعارضة بقيت ، على أية حال ، محدودة النطاق ، بينما تميز موقف عامة الدروز بالسكوت على هذه السياسة أو محاولة التعايش معها على الاقل ، وبصورة يصعب معها القول ان محاولة السلطة لفصل الدروز عن باقي العرب لم تحظ بالنجاح ، وهو النجاح الذي يشكل جزءا من الانجاز الكبير الذي حققه النظام الاسرائيلي عندما تمكن من تفتيت الوجود العربي سياسيا داخل اسرائيل باتباع العرب بعجلة الاحزاب الاسرائيلية على اختلاف انواعها .

---

٧٥ — انظر يهوشواع بورات ، « عصبة التحرر الوطني » ، « هامزراح هيحاداش » ، السنة الرابعة عشرة ، العدد ٤ ، ١٩٦٤ . ص ٣٥٤ — ٣٦٦ . وانظر ايضا يعقــوب شمعوني ، « عرب فلسطين » ، **المصــدر السابق** ، ص ٣٤٣ — ٣٤٥ .

٧٦ — « **محاضر مجلس الدولة المؤقت** » ، المجلد الاول ، ١٩٤٨/٩/٢ ، ص ٦ .

٧٧ — « **محاضر مجلس الدولة المؤقت** » ، المجلد الثاني ، ١٩٤٩/١/٦ ، ص ٤ ، و ١٣/١/ ١٩٤٩ ، ص ٤ .

٧٨ — وقد تنبهت السلطات الاسرائيلية لهـذه الواقعة ، وحـاولت عرقلة عمـل الصحف الشيوعية بتعطيلها عن الصدور من فترة الى أخرى ، الا ان المحكمة العليا الاسرائيلية ، عندما احيل اليها الامـر (« **كول هعـام** » و « **الاتحاد** » ضد وزير الداخلية ، القضية رقم ٧٣ — ٥٣/٨٧ ، قرارات المحكمة العليا ، المجلد السابع ، ص ٨٧١) ، اصدرت قرارا فسرت بموجبه قانون الصحافة تفسيرا واسعا مطاطا ، بصورة اصبح من الصعب معها على وزير الداخلية تعطيل الصحف بسهولة . الا ان هذه الصحف تخضع للرقابة العسكرية وفق انظمة الطوارىء ، واحيانا تصدر وآثار شطب الرقيب بادية عليها .

٧٩ — وعلى الرغم من ذلك ، فان بن — غوريون أصر على عدم التحدث معه خلال كل فترة وجوده في الكنيست . ولكن في سنة ١٩٦٦ ، وبعد ان كان بن — غوريون قد تخلى عن السلطة ويعتزم اعتزال الحياة السياسية ، دعـا طوبي الى زيارته في بيته بتل ابيب للتداول معه ، « ولكي يشرح مواقفه التي عرضت ، احيانا ، بشكل غير صحيح ، ولكي يستمع ويوضح لنفسـه مواقف الاخرين » — « **الاتحاد** » ، ٢٨/١٠/ ١٩٦٦ .

٨٠ — بحث في الجزء الثاني من هذا الفصل .

٨١ — للاطلاع على التفاصيل حول وجهات نظر الطرفين بشأن نقاط الخلاف بينهمـا ، انظـر الوثائق التي اصدرها الطرفان بشأن ذلك في بيرتس مرحاف ، « **تاريخ حركة العمال في ارض اسرائيل** » ، « **المصدر السابق** » ، ص ٨٩ — ١٠٠ .

٨٢ — انظر مثلا ، رأي زئيف شيف في «**هآرتس**»، ١٩٦٥/١٠/٢١، وموشيه مايزلس في «**معاريف**»، ١٩٦٩/١١/٦ .

٨٣ — وللاطلاع علـى نواحي اخـرى تؤثر في مواقف العرب في اسرائيل ، انظر يوحنـان بيريس ونيره ديفيس ، « حول الهوية القومية للعربي الاسرائيلي » ، « **هامزراح هيحاداش** »، السنة الثامنة عشرة ، العدد ١ — ٢ ، ١٩٦٨، ص ١٠٦ — ١١١ ، وانظر ايضا :

Yochanan Peres, «Modernization and Nationalism in the Identity of the Israeli Arab,» *The Middle East Journal* (Washington), Autumn, 1970, pp. 479-492.

٨٤ — قانون الانتخابـات للكنيست والسلطـات المحلية في سنة ٥٧٣٠ (التمويل وتقييد النفقات وتدقيقها) لسنة ٥٧٢٩ — ١٩٦٩ . « **الوقائع الاسرائيلية** » ، كتاب القوانين ٥٥٠ ، ٢٨/٢/ ١٩٦٩ ، ص ٨٥ . انظر ايضا بيان اميـل حبيبي تأييدا للقانون في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٩/٢/١٩ ، ص ١٦٦٦ .

٨٥ — انظر ايضا :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 72-75.

وكذلك :

Walter Schwarz, *The Arabs in Israel*, pp. 26, 59, 68.

٨٦ — بحث في الفصل الاول من الكتاب .

٨٧ — « **هآرتس** » ، ٦ و ١٩٥٨/٧/٧ .

٨٨ — وهذا لا يعني السماح للعرب باستعمـال اللغة العربية عند اتصالهم بتلك الدوائر ، فهذا معترف به ، وانما حمل تلك الدوائر نفسها على استعمال العربية عندما تتعامل مع العرب، اذ ان القليل منها يتبع هذه الاجراءات (ومنها، مثلا ، مكاتب ضريبة الدخل) . والعربية لغة رسمية في اسرائيل ، وكان الكنيست قد رفض مرة اقتراحا تقدمت به استر رزيئيل — ناؤور ، عضو كنيست مـن حيروت (وعارضه بن — غوريون بشدة) لالغاء هذا الوضع (« **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٢/٧/٢ ، ص ٢٥٢٠) . الا ان « مكانة » اللغة العربية تتغير بالنسبة الى السلطات الاسرائيلية من حين لآخر ، التي تعلن مرة حماستها لتدريس هذه اللغة لليهود ثم تعود مرة اخرى وتعتبرها موضوعا ثانويا . اما آخر مواقف السلطة الاسرائيلية في هـذا الصدد،فهو تدريس العربية بصورة الزامية في كل المدارس اليهودية (« **معاريف** » ، ٢٤/٥/ ١٩٧٢) . وانظر ايضا بيان شموئيل ميكونيس ورد كلمان كهانا ، نائب وزير المعارف والثقافة، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٤/٥/٦ ، ص ١٧١٨ — ١٧٢٠ .

٨٩ ــ انظر ايضا حبيب تهوجي ، **« العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨ »** ، بيروت ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٢ ، ص ٤٣٩ .

٩٠ ــ دافيد بن ــ غوريون في **«محاضر الكنيست»**، ١٩٥٩/١/٧ ، ص ٨٠٦ .

٩١ ــ **المصدر نفسه** .

٩٢ ــ **المصدر نفسه** .

٩٣ ــ **« هآرتس »** ، ٢٨ و ١٩٥٩/٦/٢٩ ، و ٣ و ١٩٥٩/٧/٥ . انظر ايضا اقوال توفيق طوبي ورد بن ــ غوريون عليها في **«محاضر الكنيست»**، ١٩٥٩/٧/١٥ ، ص ٢٥٤٦ ــ ٢٥٤٨ .

٩٤ ــ انظر ايضا :

Walter Schwarz, *The Arabs in Israel*, pp. 122-123.

٩٥ ــ **« جيروزاليم بوست »** ، ١٩٦٠/٢/١ .

٩٦ ــ **المصدر نفسه** .

٩٧ ــ **« هآرتس »** ، ١٩٦٠/٢/٢ .

٩٨ ــ **« قرارات المحكمة العليا »** ، المجلد الخامس عشر ، ص ١١٥١ . منصور كردوش ضد سجل الشركات ، القضية رقم ٦٠/٢٤١ .

٩٩ ــ **« قرارات المحكمة العليا »** ، المجلد السادس عشر ، ص ١٢٠٩ ، مسجل الشركات ضد منصور كردوش ، بحث اضافي ٦١/١٦ .

١٠٠ ــ المادة ٩٤ (٢) من نظام الدفاع (الطوارىء) لسنة ١٩٤٥ .

١٠١ ــ **قرارات المحكمة العليا** ، المجلد الثامن عشر ، الجزء الثاني ، ص ٣٤٤ ، شركة الارض المحدودة ضد حاكم لواء الشمال ، الناصرة ، القضية رقم ٦٤/٣٩ . انظر ايضا **« جيروزاليم بوست »** ، ١٩٦٤/٣/١١ .

١٠٢ ــ **« هآرتس »** ، ١٩٦٤/٧/٢٤ .

١٠٣ ــ *New Outlook*, November-December, 1962, p. 61.

١٠٤ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٦٢ .

١٠٥ ــ من محاضرة له في النادي الثقافي الرياضي في الطيرة ، كما نقلتها **« الاتحاد »** ، ١٤/٨/ ١٩٦٤ .

١٠٦ ــ Mansour Kardosh, «For a Palestinian Arab State,» *New Outlook*, May, 1966, p. 43.

١٠٧ ــ منصور كردوش في مقابلة مع **« هاعولام هازيه »** ، كما نقلتها **« الاتحاد »** ، ١١/٨/ ١٩٦٤ .

١٠٨ ــ Saleh Baransi, «To Face Facts and Confess Faults,» *New Outlook*, March-April, 1963, p. 67.

١٠٩ ــ **قرارات المحكمة العليا** ، المجلد الثامن عشر ، الجزء الرابع ، ص ٦٧٥ ، صبري جريس ضد حاكم لواء حيفا ، وانظر ايضا **« جيروزاليم بوست »** ، ١٩٦٤/١١/١٧ .

١١٠ ــ **المصدر السابق** ، ص ٦٧٧ .

١١١ ــ **المصدر السابق** ، ص ٦٨٠ .

١١٢ ــ **« هآرتس »** ، ١٩٦٤/١١/١٥ .

١١٣ ــ **الوقائع الاسرائيلية** ، مجموعة النشرات ١١٣٤ ، ١٩٦٤/١١/٢٣ ، ص ٦٣٨ .

١١٤ ــ انظر ، مثلا ، آراء أوري افنيري في **« هاعولام هازيه »** ، ١٩٦٤/٤/٧ ، ويغئال عيلام في **« هآرتس »** ١٩٦٤/٤/٧ .

١١٥ ــ افتتاحية في **« الاتحاد »** ، ١٩٦٤/١١/١٣.

١١٦ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٦٤/٧/١٧ .

١١٧ ــ **« هآرتس »** ، ١٩٦٥/٩/٥ .

١١٨ ــ **« هاعولام هازيه »** ، ١٩٦٥/٩/٢٢ ، و ١٩٦٥/٩/٢٩ .

١١٩ ــ **« قرارات المحكمة العليا »** ، المجلد التاسع عشر ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٥ . يعقوب يريدور ضد رئيس لجنة الانتخابات المركزية للكنيست السادس ، استئناف انتخابات ٦٥/١ . وانظر ايضا **« جيروالم بوست »** ، ١٩٦٤/١١/١٤ .

١٢٠ ــ **المصدر السابق** ، ص ٣٨٤ ــ ٣٩٠ .

١٢١ ــ للاطلاع على رأي احد زعماء « الارض » بشأن الحركة ، انظر حبيب تهوجي ، **« العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨ »** ، المصدر السابق ، ٤٤٦ ــ ٤٧٥ . وانظر ايضا « القصة الكاملة لحركة الارض » في **« شؤون فلسطينية »** ، بيروت ، السنة الاولى ، العدد الاول ، آذار (مارس) ١٩٧١ ص ١١٢ ــ ١٢٠ . وكذلك :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 92-107.

١٢٢ ــ للتفاصيل ، انظر « استنتاجات لجنة المعارف والثقافة بشأن حالة الشباب العرب » في **« محاضر الكنيست »** ، ١٩٦٤/٧/٨ ، ص ٢٢٩٩ ــ ٢٣٠٠ .

١٢٣ ــ انظر ، مثلا ، دان ميركن في **« هآرتس »**، ١٩٦٦/١٠/٣٠ .

١٢٤ ــ **« الاتحاد »** ، ١٩٦٤/٤/٢٨ .

١٢٥ — « **معاريف** » ، ١٩٦٦/٩/٢٥ .

١٢٦ — « **معاريف** » ، ١٩٦٦/١٠/١٠ . انظر أيضا رسالة وكيل اعضاء النادي ، المحامي مردخاي شتاين ، في الصحيفة نفسها ، ١٨/١٠/١٩٦٦ .

١٢٧ — « **الاتحاد** » ، ١٩٦٦/١/٩ .

١٢٨ — وقد علق احدهم على الاجراءات التي اتخذت ضد « الارض » بقوله : « اذا ما تتبعنا التطورات الادارية للقضية ، فسنرى انها كلها من صنع مباي .

« ان وزير العدل [عضو مباي] هيأ الاساس القانوني . ووزير الدفاع [عضو مباي] زود المعلومات الامنية . ومن المحتمل ان الاخير «أمر» [بتنفيذ] التبريرات القانونية منذ البداية . ووزير الدفاع حصل على المعلومات من نائبه [عضو مباي] او من المدير العام للوزارة [عضو مباي] الذي حصل عليهما بدوره من مرؤوسيه . والتحقيق سيقودنا الى رجال الحكم العسكري وجهاز الامن ، وكلهم من نشيطي مباي في القطاع العربي . ولا حاجة بنا الى ان نشير الى موقف مباي بين السكان العرب لا يستند الى شيء ان تحدثنا عقائديا. . . ان لمباي نظرية طورها على مر السنين . . . وهذه النظرية بالذات هي التي ارعبته . ان حزبا عربيا قد يسبب لمباي مشكلات حادة . ومن هنا النتيجة : استعمال [حظر] «الارض» كسوط ضد اولئك الذين قد يجرؤون على التمرد عليه . . . »

Muhammed Watad, «Why was El-Ard Banned?», *New Outlook*, September, 1964, pp. 47-48.

١٢٩ — وحول هذا الموضوع ، انظر ايضا صبري جريس ، « **الحريات الديمقراطية في اسرائيل** » ، المصدر السابق ، ص ٨٨ — ٩٠ و ٩٨ — ١٠٠ .

١٣٠ — شلومو افنيري في « **معاريف** » ، ٨/٦/١٩٧١ .

١٣١ — للاطلاع على بعض اوجه نشاط لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس ، انظر حديث « *الناطق الرسمي* » للجنة في « **الاتحاد** » ، ١٩٦٦/١/٤ . وانظر ايضا :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 54-55.

١٣٢ — انظر مقابلة مسؤولي لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس مع « **معاريف** » ، ١٩٦٥/٧/٢٧ و « **هآرتس** » ، ١٦/١/١٩٦٦ .

١٣٣ — « **الاتحاد** » ، ١٧/١٢/١٩٦١ .

١٣٤ — ميخائيل آساف في « **دافار** » ، ٢٣/٨/١٩٧١ .

١٣٥ — « **الانباء** » ، ١٥/١٢/١٩٧١ .

١٣٦ — انظر « **دافار** » ١٢/١٢/١٩٧١ ، و « **هآرتس** » ، ١٥/١٢/١٩٧١ .

١٣٧ — انظر مقالة الدكتور حاييم زئيف هيرشبرغ ، « مشكلات الشريعة [الاسلامية] في دولة اسرائيل » ، « **هامزراح هيحاداش** » ، السنة الاولى ، العدد ٢ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٥٠ ، ص ٩٧ — ١٠٨ . وانظر ايضا **المصدر نفسه** ، العدد ٤ ، تموز (يوليو) ١٩٥٠ ، ص ٢٦٤ .

١٣٨ — من تصريح لوزير الاديان في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٣/١١/٣ ، ص ٤٠ .

١٣٩ — قانون المحاكم الشرعية (تصديق تعيينات) لسنة ٥٧١٤ — ١٩٥٤ ، « **الوقائع الاسرائيلية** »، كتاب القوانين ١٣٩ ، ١٩٥٣/١٢/١٧ ، ص ٢٧٤ .

١٤٠ — انظر بيانات اعضاء الكنيست اميل حبيبي ورستم بستوني ويوحنان بدر (حيروت) في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٣/١١/٣ ، ص ٤٠ — ٤٧ .

١٤١ — انظر بيان وزير الاديان في اثناء عرضه لمشروع القانون في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٠/٥/١١ ، ص ١٢١٧ .

١٤٢ — المادة ٤ من قانون القضاة الشرعيين ، لسنة ٥٧٢١ — ١٩٦١ . «**الوقائع الاسرائيلية**»، كتاب القوانين ٣٣٩ ، ١٩٦١/٥/٣١ ، ص ١٧٨ .

١٤٣ — انظر ايضا اهرون لاييش ، « القضاء الديني للمسلمين في اسرائيل » ، « **هامزراح هيحاداش** » ، السنة الثالثة عشرة ، العدد ١ — ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ١٩ — ٣٧ . وكذلك :

Aharon Layish, «Muslim Religious Jurisdiction in Israel,» *Asian and African Studies* (Jerusalem), 1965, pp. 49-79.

١٤٤ — زيراح فيرهافتيغ ، وزير الاديان، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ٢٠/١/١٩٦٤ ، ص ٨١٠ .

١٤٥ — محمد حبيشي ، قاضي عكا الشرعي ، في مقابلة مع « **يديعوت احرونوت** » ، ٧/٢٤/ ١٩٧٢ .

١٤٦ — وزير الاديان ، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٧١/٧/٥ ، ص ٣١٠١ .

١٤٧ — للاطلاع على بعض اوجه النشاط الذي تمارسه السلطات الاسرائيلية لمكافحة الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم انظر ، مثلا ، ملحق « **دافار** » ، ١٩٧٢/١/٢٨ .

١٤٨ — انظر « تقرير مراقب الدولة للسنة المالية ١٩٦٦/١٩٦٥ » ، رقم ١٧ ، ١٩٦٧ ، ص ١٩٧ .

١٤٩ — ومن هذه العينات ما كتبه الدكتور عزريئيل كارليباخ ، محرر « **معاريف** » ، في صحيفته بتاريخ ١٩٥٥/١٠/٧ تحت عنوان : « لا تستطيع التفاهم مع الله » :
« ان الاسلام ... عدو كل تفكير خصب ، وكل مبادرة حسنة النية ، وكل فكر خلاق ... انه لم يساهم ابدا ولن يساهم في اي شيء حسن ... انه الظلام ، والرجعية ، والسجن لخمسمائة مليون انسان معذب » .

١٥٠ — للتفاصيل ، انظر مجلة « **رمزور** » ، نيسان (ابريل) ١٩٧١ .

١٥١ — « **الوقائع الاسرائيلية** » ، **مجموعة الانظمة** ٦٩٥ ، ١٩٥٧/٤/٢١ ، ص ١٢٨٠ .

١٥٢ — « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٦/٦/١٩ ، ص ٢٠٥٣ .

١٥٣ — « **الوقائع الاسرائيلية** » ، **كتاب القوانين** ٣٨٣ ، ١٩٦٣/١/٣ ، ص ٣٣ .

١٥٤ — انظر ايضا :
Salman H. Falah, «Druze Communal Organization in Israel,» *New Outlook*, March-April, 1967, pp. 40-44.

١٥٥ — « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٢/١٢/١٩ ، ص ٥٢٧ .

١٥٦ — أنظر ، مثلا ، عمانوئيل هارؤوفيني في « **معاريف** » ، ٨ و ١٩٦٦/٦/٩ ، وكذلك « **هآرتس** » ، ١١ و ١٣ و ١٩٦٦/١١/١٤ .

١٥٧ — في مقابلة مه مع « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٢/١٢/٨ .

١٥٨ — ليفي اشكول ، رئيس الحكومة ، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٨/٦/١٧ ، ص ٢٢٦٠ .

١٥٩ — غولدا مئير ، رئيسة الحكومة ، ردا على استجواب ، في **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/١/١٩ ، ص ١٠٥٢ .

١٦٠ — **يغئال** آلون ، وزير المعارف والثقافة ، ردا على استجواب، في **المصدر نفسه** ، ١٢/٩/ ١٩٧٠ ، ص ٤٤٧ . و ١٩٧١/٥/١٢ ، ص ٢٤٧٩ .

١٦١ — قانون المحاكم الدرزية (احكام خاصة) لسنة ٥٧٢٧ — ١٩٦٧، « **الوقائع الاسرائيلية**»، كتاب القوانين ٥٠٨ ، ١٩٦٧/٨/١٤ ، ص٢١٣.

١٦٢ — انظر بيان وزير الاديان في اثناء عرضه لمشروع القانون ورد توفيق طوبي عليه في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٧٢/٧/٤ ، ص ٣١٩٠ — ٣١٩٢ .

١٦٣ — قانون المحاكم الدرزية (تعديل رقم ٣) لسنة ٥٧٣٢ — ١٩٧٢ ، «**الوقائع الاسرائيلية**»، كتاب القوانين ٦٦٤ (بالعبرية) ، ١٩٧٢/٨/١، ص ١٤٤ .

١٦٤ — انظر ، مثلا ، « **الاتحاد** » ، ٢/٩/ ١٩٧١ .

١٦٥ — انظر مثلا « **دافار** » ، ٢٠ و ١/٢٧/ ١٩٧٢ ، و ١٩٧٢/٥/١٨ ، و « **هآرتس** » ، ١٩٧٢/١/٢٨ ، و ١٩٧٢/٢/٨ .

١٦٦ — حتى أوائل سنة ١٩٧٠ قتل ١٠٨ شبان دروز خلال خدمتهم في الجيش الاسرائيلي وحرس الحدود ، وللتفاصيل انظر مصباح حلبي ، « **بريت داميم** » (« حلف دماء ») ، تل ابيب، اوتباز ، ١٩٧٠ .

الجامعة العربية المقترحة في الضفة الغربية

محمود فلاحة

وسط الاحتلال الاسرائيلي وفي ظل سياسة الارهاب والقمع وتشويه التعليم والحط من القيم والاخلاق والنواحي الاجتماعية والتاريخية لدى العرب التي ينتهجها برزت وطرحت فكرة تأسيس جامعتين عربيتين في الضفة الغربية وفي قطاع غـــزة يتابع فيهما الطلبة العرب تعليمهم العالي بدل أن يلتحقوا بجامعات عربية في الخارج . ففي أواخر آب سنة ١٩٧٢ تشكلت في الضفة الغربية لجنة تحضيرية اشترك فيها ثلاثة من رؤساء البلديات بينهم الشيخ الجعبري ، وثمانية آخرون من « الوجهاء » .

وتحدثت الصحيفة الصهيونية دافار ١٩٧٢/٩/٥ عن « المشروع الذي ايدته السلطات الاسرائيلية ، وهو اقامة مؤسسة رئيسية للدراسات العليا تضم أربعة فروع وهي :
ــ معهد لتعليم الدين في الخليل . ــ وكليات لفروع الآداب في رام الله أو بير زيت .
ــ ودراسات عليا للزراعة في طولكرم . ــ ودراسة العلوم الطبيعية في نابلس » .

وفي ١٩٧٢/٩/٢٤ ذكرت صحيفة هاآرتس أن « اللجنة التحضيرية لاقامة جامعة في الضفة الغربية قررت أمس التوجه بطلب رسمي الى ييغال آلون ، وزيـــر المعارف والثقافة ، لاقامة الجامعة بعد أن نالت موافقة من الحاكم العسكري » . وفي ١٠/٣/ ١٩٧٢ اقر آلون « اقامة المؤسسة العربية للتعليم العالي واعمال اللجنة التحضيرية لاقامة جامعة في الضفة الغربية وذلك في اجتماع عقده مع الشيخ محمد علي الجعبري وأعضاء اللجنة » . لقد نشرت هذا النبأ صحيفة داغـــار ١٩٧٢/١٠/٤ ، وأضافت : « طلب أعضاء اللجنة التحضيرية ... الى آلون أن تعترف حكومة اسرائيل بالاعمال التي يتم تنفيذها لاقامة جامعة عربية في الضفة . وطلب الشيخ محمد علي الجعبري الذي كان يتحدث باسم اللجنة أن يعبر عن هذا الاعتراف في وثائق رسمية .

« ورد آلون بأنه يرحب بالفكرة وبالنشاط المتعلق بها ...

« وبين ما طلبه الشيخ الجعبري أن يسمح له باحضار محاضرين من الدول العربية ومن دول أخرى وأن يسمح للجنة بجمع تبرعات من الخارج ..

« وقد استجاب آلون لهذه الطلبات **وأضاف أنه يعترف باللجنة وأعمالها الى أن تقام مؤسسات دائمة للجامعة العربية . واقترح على أعضاء اللجنة الاستعانة بمؤسسات التعليم العالي في اسرائيل** » .

وطيلة ما تبقى من سنة ١٩٧٢ وأوائل سنة ١٩٧٣ ظلت مسألة انشاء الجامعة هذه تطرح في الضفة الغربية وتثير دوامة مـــن النقاش حولها . وفي ١٩٧٣/٣/١٣ اقرت سلطات الحكم العسكري الصهيوني اقامة جامعة في الضفة الغربية ، وذلك حين أعلن ضابط الاركان الاسرائيلي المسؤول عن شؤون التعليم في قيادة الضفة الغربية باسم آلون الموافقة على تأسيس جمعية لاقامة الجامعة العربية في الضفة. وفي ١٩٧٣/٣/١٤ عرض أحد المحررين في صحيفة هاآرتس الصهيونية نظام الجمعية التأسيسية للجامعة ومراحل انجاز المشروع . وقد جاء في ذلك العرض ما يلي: « بناء على قرار الحكومة...

أقر الحاكم العسكري (أمس) اقامة جمعية تشكل أساسا قانونيا لاقامة الجامعة العربية في الضفة الغربية . **ويأمل القائمون على المشروع أن يتمكنوا من فتح حلقة دراسية جامعية في العام الدراسي المقبل ، في تشرين الاول سنة ١٩٧٣** » .

أما الجامعة فسوف توزع بموجب النظام ، الذي وضعته اللجنة التحضيرية ، على بعض مدن الضفة الغربية . وستكون كما يلي : — كلية الحقوق في رام الله. — كلية الآداب والعلوم الاجتماعية في نابلس. — كلية العلوم الطبيعية والزراعة في طولكرم. — كلية الشريعة في الخليل . ولسوف تضم المرحلة الاولى من التدريس حوالي الف طالب .

وأضافت الصحيفة : « وجاء في النظام أن الجامعة لن تعالج مواضيع سياسية ، بل شؤونا أكاديمية فقط . **وبموجب توجيهات الهيئات الاسرائيلية سيتم اقرار البرامج الدراسية في الجامعة شرط ألا تشتمل على تحريض ضد اسرائيل والشعب اليهودي** » .

وأحاطت وسائل الاعلام الصهيونية اعلان موافقة سلطات الاحتلال على اقامة الجامعة باهتمام كبير ، وصورت ان « قبوله قد تم بارتياح كبير » . كذلك سربت نبأ الموافقة هذا الى بعض الصحف الكبرى وثيقة الصلة بالصهيونية في العالم الخارجي ، ثم عادت ونشرت في وسائلها الاعلامية تعليقات هذه الصحف وكتاباتها عن هذه الموافقة. ففي ١٩٧٣/٣/٢ أذاع راديو العدو أن صحيفة « نيويورك تايمز » امتدحت في مقالها الافتتاحي اليوم الجهود المبذولة لاقامة جامعة فلسطينية في الضفة الغربية . وتقول الصحيفة ان هذه خطوة هامة ستوجه رغبات الفلسطينيين القومية الى **أمور مفيدة وتحول دون تحولها باتجاه التذمر والارهاب** » . [نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٢٠/٣/ ١٩٧٣ ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ص ٦] .

جامعة في غزة :

وفي الوقت نفسه تقريبا الذي كانت تنشط فيه عناصر معينة في الضفة الغربية من أجل انشاء جامعة فيها . ذكرت صحيفة دافار (١٩٧٢/٩/٢١) أن وفدا من قطاع غزة قدم مذكرة الى موشه دايان تتضمن مشروعا لاقامة جامعة عربية في غزة . وجاء في المذكرة أن أفراد هذا الوفد « عادوا منذ شهر تقريبا من زيارة للقاهرة ، حيث أبلغوا أن المصريين **سيدعمون ماديا اقامة مثل هذه الجامعة اذا جاءت البادرة لاقامتها من جانب سكان القطاع** » . كما جاء فيها أيضا أن مقدمي المذكرة « أصروا على أن تكون الجامعة في غزة عربية ، تمول من مصادر عربية ، لكن باستطاعة مجلس أمنائها قبول تبرعات ومساعدات من أية جهة شريطة ألا تكون مشروطة .

« وستكون الجامعة مستقلة من جميع النواحي عدا الاشراف الاكاديمي الذي ستكون بحاجة اليه في سنوات تأسيسها الاولى والذي سيطلب من الجامعة العبرية . وستنمي وضعها الاكاديمي بحرية . وبحسب التخطيط سيتم في البدء فتح كليات علمية : هندسة وزراعة وطب ، وتجنيد أساتذة من الفلسطينيين في الدول العربية والعالم . ويعتقد المبادرون انهم سيتمكنون من افتتاح الجامعة خلال سنتين اذا حصلوا على ترخيص اسرائيلي باقامتها » .

ثم انقطعت الانباء عن نشاطات اللجنة الداعية الى اقامة جامعة غزة فترة طويلة ، كذلك ولم تثر هذه النشاطات أية نقاشات أو ردود فعل في قطاع غزة ، كما أثارتها فكرة جامعة الضفة الغربية . ولكن وفي ١٩٧٣/٦/١ عادت قضية جامعة غزة الى الظهور حين ذكرت صحيفة **هاآرتس** الصهيونية أن هنالك خلافا بين دايان والون حول انشاء هذه الجامعة ، وقالت هذه الصحيفة ان هذا الخلاف نشأ بعد « ان كان حاكم غزة العسكري السابق قد وافق على فتح صف عال لتعليم الشؤون الدينية ليكون صفا

تحضيريا للدراسة في جامعة الازهر في القاهرة . **وكان آلون قد عارض اقامة هذا الصف لانه سيكون بمثابة تمهيد لاقامة جامعة كاملة تكون مرتبطة بالتالي بجامعة الازهر في القاهرة . غير أن الون يرى امكانية اقامة جامعة كهذه مستقلة في غزة، على أساس أن تبدأ المرحلة الاولى كمدرسة عالية. . .تتطور فيما بعد لتضم عدة كليات . . . غير أن أوساط حزب العمل (المباي) ترى أن الخلاف أعمق من ذلك لان له صلة بالسياسة ومستقبل المناطق . . .** فاقامة جامعة مرتبطة بالازهر تتفق مع ما ينادي به دايان وهو البقاء في جميع المناطق المحتلة شريطة أن يكون سكانها مرتبطين ، جنسية ، بالبلدان العربية المجاورة . بينما يرى آلون ان اقامة جامعة مستقلة في غزة يمكن أن يجعلها ترتبط مستقبلا بجامعة الضفة الغربية » .

أي أن الخلاف سببه ليس الحرص على التعليم في غزة وانما الخلاف بين الحلين اللذين يطرحهما كل من آلون ودايان لمستقبل المناطق العربية التي تحتلها السلطات الصهيونية منذ حزيران ١٩٦٧ . على أن مشروع اقامة الجامعة في غزة يعتبر الآن مشروعا مؤجلا ، والمشروع العاجل هو مشروع الجامعة في الضفة الغربية .

مناقشة الفكرة :

لقد مارست السلطات الصهيونية بحق عرب فلسطين الذين بقوا منذ عام ١٩٤٨ تحت الاحتلال الصهيوني ، وكما ذكر من قبل، سياسة تجهيل وتدمير فكري. على أن الاصوات العربية الاصيلة التي ظلت ترتفع في الاراضي المحتلة دليل راسخ على استعصاء الشعب العربي فيها على المخططات الصهيونية الموضوعة لافنائه ، فلم تتحقق جميعها كل التحقيق .

ولا بد من التوكيد هنا على أن فكرة اقامة جامعة عربية في الضفة الغربية لم تكن ذاتية صدرت عن أفراد اللجنة التحضيرية لها ، اذ أن هؤلاء ليسوا أكثر من العوبة في يد سلطات الاحتلال تحركهم وفق هواها . وما كان لهم أن يطرحوا هذه الفكرة لو لم توح بها لهم سلطات الاحتلال وتشجعهم على المضي بها . ان تشجيع السلطات الصهيونية اقامة جامعة في الضفة الغربية، بعد كل سياسات التجهيل والقمع الفكري التي مارستها ضد عرب فلسطين ، ليس خارجا عن الاستراتيجية البعيدة المدى الموضوعة من أجل تحقيق المطامع الصهيونية في المنطقة العربية .

ومن مخاطر هذا التشجيع على النضال العربي من أجل فلسطين عربية ، وفوائده على سلطات الاحتلال الصهيوني ما يلي :

١ ــ تكريس ما تسعى اليه السلطات الاسرائيلية من غرس فكرة امكانية التعايش العربي ــ الاسرائيلي ظاهريا ومرحليا على الاقل . وفي هذا الاتجاه « **عملت اسرائيل على أصعدة متعددة** ، فقد سمحت ازاء حاجتها المتزايدة للايدي العاملة بأن يعمل العمال العرب في بعض المشاريع الاسرائيلية . كما عقدت مع كبار المتمولين في الضفة الغربية وقطاع غزة صفقات لاقامة مشاريع صناعية تابعة للمشاريع الاسرائيلية وتؤدي الى ربط مصالح هذا القطاع من السكان بالاقتصاد الاسرائيلي ، ثم عمدت بعد ذلك الى اجراء الانتخابات البلدية لتوجد متنفسا سياسيا ، ولو شكليا، لقطاع المتمولين يمارسون من خلاله اشرافهم على مشاريع البلدان ويريحون الادارة الاسرائيلية ، من خلاله أيضا، من تحمل عبء المسؤوليات الادارية التي تضعهم في مواجهة يومية مع السكان. ولاضفاء مظهر حضاري على العملية كلها (التعايش) شجعت اسرائيل عملية التفكير بانشاء جامعة في الضفة الغربية وهي تعلم سلفا أن امكانيات نجاحها كجامعة محدودة جدا . . . » [مجلة **البلاغ** ، بيروت ، ١٩٧٣/٦/٤] .

٢ ــ اقامة بناء دعاوى ضخم ، يصل حتى المستوى الدولي ، لصالح اسرائيل ،

اظهارها لا بمظهر المحتل الفاشي الذي يتبع أسلـوب العقوبات الفردية والجماعية وينتهك حقوق الانسان العربي وأرضه وممتلكاته بل بمظهر الحريص على « نشر الثقافة والتعليم في المناطق المحتلة » من ناحية ، وممارسة « الديمقراطية » في هذه المناطق من ناحية أخرى .

في مقابلة صحفية أجرتها مجلة نيو ميدل ايست [أيار ١٩٧٣ ، ص ٧] ، الصهيونية، في لندن مع ييغال الون نائب رئيسة وزراء العدو ووزير الثقافة والتعليم ، وجه اليه السؤال التالي : كيف تعتبر الخطة ، التي حظيت الآن بالقبول ، لانشاء جامعة عربية في الضفة الغربية ؟ هل تعتبر ذلك دليلا على مزيد من تطوير هوية عربية ـــ فلسطينية مستقلة ؟

ـــ الون : ان جامعة عربية في الضفة الغـربية ضرورة أساسا لتوفـير الحاجات التعليمية لدى الشباب العرب الذين يتوقون الى أن يتعلموا . وعلى رغـم حقيقة أننا نسمح لحملة الشهادة الثانوية في الضفة الغربية وقطاع غـزة بمتابعة دراساتهم في جامعات الدول العربية الا أن قلة من هؤلاء يقبلون بسبب وفرة أعدادهم . ان نفقاتهم باهظة ، ولا ريب عندي في أن وجود جامعة عربية في الضفة الغربية سوف يسمح بسد حاجات عدد أكبر جدا .ومن الطبيعي أن مؤسسة تقام باشتراك ممثلي كافة المستوطنات الهامة تقريبا في الضفة الغربية يمكن أن يكون لها معنى سياسي في المستقبل . ان بعض الاسرائيليين ينظرون الى هذه الامكانية بقلق كبير ، وأنا شخصيا أعتبرها مع آخرين عديدين تطورا ايجابيا » .

٣ ـــ احتواء التعليم العالي لدى شباب الضفة الغربية وقطاع غزة، واحكام السيطرة الاسرائيلية عليه عن طريق مناهج التدريس والهيئات التدريسية والادارية فيها ، ثم توجيهه وفق التخطيط الصهيوني الموضوع لتعليم عرب المناطق المحتلة في سنة ١٩٤٨ .

ومع احتواء التعليم العالي يرمي العدو ايضا الى احتواء الشباب العرب الذين هم في سنه ، وفصلهم عن الطلبة الجامعيين في الدول العربية ، وذلك من اجل جعل التأثير الطالبي لا يسير باتجاه الداخل نحو المناطق العربية المحتلة ، وقطع التفاعل الذي يمكن أن يحدث نتيجة التماس بين الطلبة ، من المناطق العربية المحتلة وغيرها ، في شتى الجامعات العربية . ويضاف الى ذلك ، وعلى المدى البعيد ، ووفق توجيه وسيطرة صهيونية على الجامعة فك الارتباط ، مهما كانت نسبة ذلك ، عن التراث والقيم الثقافية العربية والتاريخ العربي ، وحشو عقول الدارسين في هذه الجامعة ، لا سيما في ميادين العلوم الاجتماعية والاسلامية والآداب ، بما يتناسب وأهداف العدو وخططه في الحط من تاريخ العرب وثقافتهم وحضارتهم وتشويهها .

٤ ـــ تمزيق أي تجمع طالبي ، على المستوى التعليمي العالي ، وذلك بجعل كليات هذه الجامعة موزعة على المدن الرئيسية في الضفة الغربية ، وهي رام الله ونابلس وطولكرم والخليل بحيث يسهل قمع أي تحرك وطني يقوم به طلبة هذه الكليات وخنق أي صوت طالبي يرتفع معارضا سلطات الاحتلال .

كل ذلك ضمن استغلال سلطات الاحتلال تعطش عرب الضفة الغربية الى التعليم العالي .

ردة الفعل ... فلسطينيا وعربيا :

احتدم النقاش في الضفة الغربية حول هذا المشروع ، وبات واضحا هناك ، من خلال أعضاء اللجنة التحضيرية له ، أن اليد الصهيونية هي من وراء دفـع هذا المشروع وتحريكه وتشجيعه .

وقد اشار أكثر من مصدر الى قيام معارضة جماهيرية في الضفة الغربية ، واورد بعض ابرز أسباب هذه المعارضة ومنها :

١ ـ استبعاد القدس العربية كمركز لهذه الجامعة بسبب رفض السلطات الاسرائيلية التي تعتبر القدس جزءاً من اسرائيل .

٢ ـ الخوف من أن تهيمن السلطات الاسرائيلية على جامعة تتأسس في ظل الاحتلال .

٣ ـ الخلاف على ان تكون الجامعة مستقلة او مرتبطة بالجامعة الاردنية . [نشرة م. د. ف. ١/٤/١٩٧٣] .

وقد ذكرت صحيفة دافار الاسرائيلية أن هنالك خلافا بين « زعماء » الضفة الغربية على انشاء جامعة عربية في الضفة وأضافت ان « عضو بلدية نابلس ، حافظ طوقان ، نشر أمس مقالا في جريدة القدس جاء فيه أن **اعضاء اللجنة التحضيرية اللذيـن عينوا أنفسهم لم يجروا استشارات كافية ويعملون بتسرع وهنـاك تحفظ في أوساط سكان الضفة الغربية ازاء كافة أساليب عمل هذه اللجنة »** . ان « التحفظ » الذي اشار اليه عضو بلدية نابلس هذا ، وهو أحد « وجهاء » الضفة الغربية « المنتخبين » ، ليس سوى معارضة سكان الضفة الغربية لمشروع الجامعة هذا .

لقد تجاوز موضوع الجامعة العربية هذا أوساط الضفة الغربية ، فطرح في مؤتمر المشرفين على شؤون الفلسطينيين في الدول العربية ، وفي اتحاد الجامعات العربية ، وفي المجلس الدائم للتخطيط التربوي ، بل وفي مجلس الجامعة العربية نفسه . وقد اتخذت هذه الجهات توصيات شجبت فيها فكرة انشاء هذه الجامعة . ثم طرحت عليها عدة اقتراحات من أجل اتاحة الفرصة أمام أبناء فلسطين كي يتموا تعليمهم العالي دون ان يقعوا فريسة للتخطيط الصهيوني بدخول الجامعة المقترحة .

ومن الاقتراحات التي قدمت : ١ ـ توسيع الجامعات العربية ، حيث يتكاثر الطلبة الفلسطينيون ، في دول المواجهة ، من أجل جعلها تستوعب عددا أكبر مـن الطلبة الفلسطينيين ، وذلك عن طريق تقديم دعم مادي من الدول العربية المنتجة للنفط بالدرجة الاولى . ٢ ـ اقامة جامعة عربية في خارج المناطق المحتلة للطلبة الفلسطينيين .

وفي الدورة التاسعة والخمسين لمجلس الجامعة العربية ، التي عقدت في القاهرة في مطلع شهر أيار الماضي ، اختار المجلس الطريق الاسهل والذي لن ينفذ .

ففي تلك الدورة اتخذ القرار ٣٠٢٨ تاريخ ٧/٤/١٩٧٣ ... وقد جاء فيه ما يلي بعد « شجب انشاء اي معهد أو جامعة للطلاب العـرب بالاراضي المحتلة تكون مرتبطة بالسلطات الاسرائيلية أو تحت اشرافها » ..

٢ ـ الموافقة من حيث المبدأ ، على انشاء جامعة في احدى الدول العربية للطلبة الفلسطينيين .

٣ ـ أن تعد الامانة العامة ، بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية ، دراسة كاملة لهذا المشروع وتكاليفه على أن يعاد عرض المشروع على مجلس الجامعة في اجتماع مقبل بعد استطلاع آراء الدول العربية فيه ومدى استعدادها للمساهمة في تكاليفه » .

ان هذا يعني ، وبعبارة صريحـة ، عدم اتخاذ اية خطوة جـادة لمقاومة المشروع المطروح .

الحـل :

والحل الصحيح والسريع والفعال لمشكلة اقامة هذه الجامعة هو التوسع في قبول طلبة المناطق المحتلة في الجامعات العربية التي يتدفقون عليها ومنحهم معونات مادية

تساعدهم على متابعة دراستهم ومواجهة هذا التوسع بتوسع في هذه الجامعات نفسها. وتؤخذ تكاليف هذا كله من أموال دعم الصمود في المناطق العربية المحتلة ومن حملات تبرعات شعبية في الدول العربية المنتجة للنفط بالدرجة الاولى ومن تبرعات وهبات من الحكومات العربية .

ان في ذلك ، اذا تم ، كسبين لا كسبا واحدا . — الاول احباط هذا المشروع المشبوه، والمحافظة على تنشئة الجيل العربي في المناطق العربية المحتلة تنشئة قومية صحيحة ، وفضح الاهداف الاعلامية والتعايشية الكاذبة للعدو . — الثاني المساعدة على تطوير الجامعات العربية ، في دول المواجهة ، والتي ستقبل هؤلاء الطلاب ، وذلك دون أن تتحمل هذه الدول اعباء مالية جديدة .

ان العدو يعمل من أجل البدء في اقامة هذه الجامعة ، التي ستستوعب الف طالب ، في شهر تشرين الاول القادم . ومعركتنا مع العدو تتطلب العمل سريعا من اجل استباق مخططاته واحباطها . ومن أجل عدم خسارة شباب المناطق المحتلة الذين هم في سن التعليم العالي .

سياسة اميركا الخارجية
والمواجهة العربية - الاسرائيلية في عهد جونسون

الدكتور طالب يونس

تسلم جونسون(١) منصبه كرئيس للولايات المتحدة في شهر تشرين الثاني ١٩٦٣. ولم يكن جونسون شديد الاهتمام بالسياسة الخارجية على غرار الرؤساء الذين سبقوه، ولم يكن مهتما بصورة خاصة في محاولة النظر الى النزاع العربي ـ الاسرائيلي بالاناة والموضوعية الحقة التي يستحقها . ولقد استمرت السياسة الاميركية في الشرق الاوسط كما كانت قائمة على المبدأ الغامض القائل « بحق اسرائيل في الوجود » والذي يعني في التحليل الاخير التزام الولايات المتحدة الكلي نحو الدولة الصهيونية . وظلت اسرائيل بنظر البنتاجون ـ كما سنرى ـ تمثل حارس المصالح الاميركية في المنطقة ، او بتعبير اميركي ، تقوم بدور الشريف (آمر القانون) الاميركي في الشرق الاوسط . « شريف » تؤمن له كافة الاعتدة الحربية اللازمة للحفاظ على القانون والنظام ، والمقصود «بالقانون والنظام » هو الحفاظ على الامر الواقع وضرورة مجابهة من يحاول الخروج على هذا الامر الواقع من أجل التغيير . وكانت الدول العربية الاشتراكية ـ خصوصا الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ـ ترى أن مبرر وجودها يكمن في قدرتها على انجاز تغييرات داخلية ضخمة في المجالات الاقتصادية ـ الاجتماعية والسياسية . وكانت الدولتان تشعران بنفس الالتزام تجاه سياسة خارجية مستقلة تماما على مستوى الوطن العربي، سياسة مكرسة للتخلص من كافة أنواع الاستغلال الاجنبي . ولذا كان من الطبيعي جدا أن تصطدم مثل هذه السياسة مباشرة بالاستغلال الصهيوني لفلسطين ، ومن ثم تخوض نضالا لا هوادة فيه ضد دولة اسرائيل التي تمثل التجسيد غير المقدس للصهيونية العالمية . ومن شأن هذه المقاومة النشطة ضد الغزو الاسرائيلي ان تعتبر تعكيرا لحالة الوضع الراهن وتؤثر على أهم أهداف السياسة الاميركية في الشرق الاوسط والمعرف خطأ بمبدأ الاستقرار . وهو مبدأ خاطىء من حيث التعريف لانه يتجاهل حقيقة هامة وهي أنه خلف الاستقرار الظاهري توجد حالة كثيفة من عدم الاستقرار ، وتوتر ضخم تولد لدى الشعب العربي كنتيجة لتراكم احساسه بالظلم الذي يلحق به . ولم يدرك هذا المبدأ جذور المشكلة والمتمثلة بحق عرب فلسطين في وطنهم المغتصب بل انحصر في اطار سطحي لتدعيم واقع مصطنع يرتكز على ظلم اخلاقي وعدم شرعية دولية .

ربما كنا على صواب حين نعتقد ان فشل ادارة جونسون (او فشل جميع الادارات الاميركية فيما يتعلق بهذه الناحية) في النظر الى المواجهة العربية ـ الاسرائيلية بشكل موضوعي لم يكن فشلا محتما لا يمكن تجنبه ، بل كان في الواقع مسألة متعمدة . فالولايات المتحدة لا يمكن ان تقنع بالتزام جانب الحياد في النزاع ما دامت تتحرك وفقا لمصالحها الخاصة . لان اي موقف حيادي فعلا يتطلب وقف جميع المساعدات عن اسرائيل . وهذا بدوره يضعف اسرائيل ويؤدي فورا الى قيام وضع جديد يتعارض

تماما مع تلك المصالح كما يراها رجال السياسة الاميركيون . (سوف نعود الى هذه النقطة) .

لذلك يجب ان لا نفاجأ حين نرى تباينا كبيرا بين التصريحات الرسمية الاميركية حول الحياد وادانة الدولة التي تعتدي على غيرها في الشرق الاوسط ، من جهة ، والسياسة المنحازة كليا لجانب واحد من جهة أخرى ، مما يجعل تلك التصريحات خالية من أي معنى . ومن الواضح ان برنامج المساعدات الاميركية ليس سوى أداة تستخدم لفرض الضغوط على البلدان التي تحصل على هذه المساعدات . وقد لجأت ادارة جونسون الى تقديم مساعدة للجمهورية العربية المتحدة في محاولة للتأثير على سياستها المستقلة. وحين تصدت الجمهورية المتحدة للولايات المتحدة انقطعت تلك المساعدة ثم توقفت نهائيا في حزيران ١٩٦٦ . وفي المقابل لم يوجه أي ضغط لاسرائيل ، ولكن الذي كان يحدث هو العكس تماما(٢).

ولقد اتضح هذا التناقض بين تصريحات الحكومة الاميركية وسياساتها المنحـــازة ، بشكل صارخ أثناء حرب حزيران ١٩٦٧ وبعدها .

في الخطاب الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر (٩ حزيران) واعلن فيه استقالته ، ذكر صراحة انه تلقى تهديدا من الولايات المتحدة . « رسالة من الرئيس الاميركي ، لندون جونسون ، سلمت الى سفيرنا في واشنطن يوم ٢٦ أيار تطلب الينا ضبط النفس والا نكون البادئين باطلاق النار والا فاننا سوف نتحمل نتائج خطيرة »(٣). ولما كان الاسطول السادس يقف قريبا من الشواطىء وهو في حـــالة الاستعداد الكامل ، فان « النتائج الخطيرة » كانت تعني شيئا واحدا وهو التدخل الاميركي المباشر الذي يتم باسم وقف اطلاق النار وانهاء القتال ، اما الهدف الوحيد لمثل ذلـــك التدخل فهو التأكيد على ان اسرائيل لا يمكن ان تترك لوحدها حتى ولو أدى ذلك الى مجابهة أوسع مع الروس . يقول شارلز يوست انه على الرغم من ان بعض المعاهدات والتزامات الولايات المتحدة بشأنها « قد أصبحت من عدة وجوه قديمة وبحاجة الى مراجعة سريعة » فان الولايات المتحدة لن تتردد في مجابهة اي هجوم اذا طلبت ذلك هذه الدول مثل اليابان واستراليا ونيوزيلندا واسرائيل(٤).

كان الرئيس عبد الناصر يتعرض لضغط متزايد من الدولتين الكبريين لكي يحافظ على انضباط النفس . فبعد ساعات قليلة من استلام الرسالة الاميركية ، وفي الليلة ذاتها « طلب السفير السوفياتي مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل وابلغني بطلب من الحكومة السوفياتية الا نكون البادئين باطلاق النار »(٥). ولا بد ان تكون الحكومة السوفياتية ، بعد أن أكدت للولايات المتحدة أن الرئيس عبدالناصر لن يبدأ اطلاق النار ، قد تلقت تأكيدات مماثلة فيما يتعلق بانضباط الاسرائيليين . في الثالث من حزيران « غادر يوست القاهرة بعد أن أعطى تأكيدات بأن اسرائيل لن تهاجم طالما ظل النشاط الدبلوماسي قائما »(٦). ولكن بعد ذلك بيومين فقط وجهت اسرائيل ضربتها. فهل عمد الاسرائيليون الى ابقاء الولايات المتحدة جاهلة بنواياهم ، أم كان هناك نوع من التواطؤ بين الطرفين ؟

كذلك فان قيام الاميركيين بتحذير مصر من « النتائج الخطيرة » اذا كانت المبادرة بأي عمل ، قد جعل المرء يعتقد بأنهم يفعلون ذلك بدافع من التزام أدبـــي وأخلاقي نحو : ١ ــ احترامهم لتأكيداتهم بفرض وقف فوري لاطلاق النار ، أو : ٢ ــ الوقوف الى جانب الاتحاد السوفياتي بادانة الهجوم وطلب الانسحاب الفوري وغير المشروط .

غير ان الولايات المتحدة لم تكن مستعدة لمثل ذلك . فحين تقدم المندوب الهندي في الامم المتحدة يوم الخامس من حزيران باقتراح يدعو الى وقف اطلاق النار فورا والعودة

الى المواقع التي كانت قائمة قبل اندلاع القتال ، أيدته روسيا فقط ، أما الولايات المتحدة التي كانت على الحياد « في الفكر والقول والعمل » ، وقد أصبحت الان متأكدة من توغل اسرائيل في الاراضي العربية ، فقد دعت وبشكل باهت الى « نداء بسيط لوقف اطلاق النار »(٧).

وحكاية « الحياد » الاميركي والغربي يلخصها جواب كريستوفر ميهيو على جيرمي تروب حين سأله هذا عما اذا كان سيكتفي بالوقوف جانبا ومراقبة ابادة اسرائيل . فقد أجاب ميهيو بقوله « اذا كنت تقصد — عما اذا كان يتعين علينا أن نعلن الحرب على العالم العربي اذا ضربت اسرائيل ولا نعلن الحرب على العالم العربي حين تكون اسرائيل قوية ، فانني لا أرى أي منطق في هذا على الاطلاق »(٨).

وعلى أي حال ، يمكن أن يصبح التأييد الغربي لاسرائيل (خصوصا على المستوى الحكومي في الولايات المتحدة والدول الاوروبية الاخرى) مفهوما اذا أخذنا العوامل الآتية بعين الاعتبار :

١ — الالتزام الاميركي (والدول الاوروبية الاخرى) الكامل بالمفهوم المجرد « لحق اسرائيل بالوجود » دونما اعتبار ، كما يبدو ، لحقوق الفلسطينيين المهضومة .

٢ — التدخل الاميركي العسكري في حال امكانية انتصار العرب ، يمكن تبريره دوما بالقول ان اسرائيل لا تستطيع أن تتحمل هزيمة واحدة بينما يمكن للعرب أن يتحملوا أكثر من هزيمة . ان ما يحمله هذا القول من معاني شيء مخيف : فمن خلال ضمان تفوق اسرائيل (والذي يعني بكل وضوح الموافقة على عدوان اسرائيل) ، تعرض العرب لهزيمة بعد أخرى ، في حين تركت اسرائيل حرة في أن تتوسع وتجني ثمار هذا التوسع.

٣ — ان قوة اسرائيل وانتصاراتها (بلغة المجابهة بين الدول العظمى) تؤدي الى تقوية مصالح الولايات المتحدة — عسكريا . ان وجود اسرائيل قوية هو من الناحية الاستراتيجية للبنتاجون أهم بكثير من وجود اسرائيل مهزومة. وفي المعادلة الاستراتيجية لا مكان لمسألة فقدان العرب لكرامتهم .

في الثامن من حزيران ١٩٦٧ ، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز انه بعد اجتماع دام ساعتين بين وزير الخارجية الاميركية ، ديــن راسك ، وخمسين شيخا في الولايات المتحدة ، قال السناتور ثروستون ان دين راسك يعتبر نتائج القتال « انتصارا للغرب بكل معنى الكلمة » . وهذا — من زاوية الموقف الاميركي ، منطقي جدا . ذلك ان مجرد وجود حركة ثورية في العالم العربي — سواء في مصر أو في سوريا — يعتبر تهديدا دائما للمصالح الاميركية ، لان توجهها المحتم نحو الاشتراكية من شأنه أن يثير العداء الاميركي خصوصا اذا حصلت هذه الحركة على تأييد الروس . وبالتالي فان هزيمة العرب في عام ١٩٦٧ كانت تعني فعلا ضربة قاصمة للاتجاه الاشتراكي الثوري الذي يدعو له الرئيس ناصر وسوريا . في ١٢ حزيران ذكرت النيويورك تايمز أن « السيد جونسون قد وصف بأنه ليس غير سعيد بالنتائج ، لانه يرى فيها فرصة جديدة للعمل من أجل تسوية تكون أكثر استقرارا وتضع حدا لحركة القومية العربية التي يقودها ناصر ، والتي ينظر اليها هنا باحتقار شديد » .

وفي الامم المتحدة كانت المواجهة شبيهة من حيث أبعادها بالمواجهة العسكرية ، حيث كانت حصيلة المناقشات غير مشجعة ، ومخيبة لآمال الدول العربية مما جعل أحد وزراء الخارجية العرب يقول بلهجة يائسة وهو يتكلم في الامم المتحدة (في الخامس من تموز) ان « الشعوب العربية لن تنسى أن الجمعية العامة قد عجزت عن اتخاذ أي عمل ضد اسرائيل .. وان ترددها هذا معنــاه ان القوة وحدها هــي التي تحسم النزاعات الدولية »(٩).

في الخامس من حزيران لم يكتب للمحاولة الهندية ، الداعية الى وقف اطلاق النار والعودة الى المواقع السابقة على بدء القتال ، الخروج الى حيز الوجود ، فالولايات المتحدة كانت تريد صدور « نداء عادي يدعو لوقف اطلاق النار »(١٠). ويوم الثلاثاء (السادس من حزيران) توصل مجلس الامن بالاجماع الى اتفاق « يطلب من جميع الحكومات المعنية ، كخطوة أولى ، اتخاذ اجراءات فورية لوقف اطلاق النار ووقف كل نشاط عسكري في المنطقة »(١١).

الا أن هذا القرار « الداعي الى وقف اطلاق النار » قد جرى تجاهله ، واستمرت اسرائيل في تقدمها عبر الاراضي العربية . يوم الاربعاء (السابع من حزيران) عاد مجلس الامن للاجتماع من جديد ، بناء على طلب من المندوب السوفياتي ، الذي تقدم بقرار ثان لوقف اطلاق النار — وقد تبني بالاجماع — « بطلب من جميع الحكومات المعنية وقف اطلاق النار كخطوة أولى وان توقف جميع العمليات العسكرية في الساعة ٢٠٫٠٠ بتوقيت جرينيتش في السابع من حزيران ١٩٦٧ »(١٢). تجاوبت مصر ، وأبلغ يو ثانت مجلس الامن (في الثامن من حزيران) انه « تلقى مذكرة من وفد الجمهورية العربية المتحدة يوافق فيها على وقف اطلاق النار شرط أن توافق اسرائيل »(١٣).

وفي التاسع من حزيران ، وبالرغم من موافقة سوريا على قرار الامم المتحدة بوقف اطلاق النار ، فان التوغل الاسرائيلي في الاراضي السورية كان قد بدأ لتوه . وفي الوقت الذي أعلن فيه المندوب السوري ، جورج طعمة ، ان « الاسرائيليين أصبحوا على أبواب دمشق » ، كان يو ثانت قد أبلغ مجلس الامن ان « التقارير التي وردته من مندوبي الامم المتحدة تفيد بأن قصف المواقع السورية بالقنابل والنابالم لا زال مستمرا »(١٤). وجرى تبني قرار ثالث بالاجماع يدعو لوقف الاعمال العدائية فورا . وقال المندوب الاسرائيلي، جدعون رفائيل ، والذي كان يتكلم بشهية مفتوحة ، ان وقف اطلاق النار لا يمكن أن يصبح فعالا « الا اذا وضعت سوريا موافقتها موضع التنفيذ بشكل كامل وواضح »(١٥). ومع ذلك ظلت الطائرات الاسرائيلية تقوم بموجات متلاحقة ، تفصل الواحدة عن الاخرى عشر دقائق ، وهي تغير على المواقع السورية طيلة أيام الخميس والجمعة والسبت .

في العاشر من حزيران وقع كل من الاتحاد السوفياتي وبلجاريا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا والمانيا الشرقية ويوجسلافيا ، بيانا يحذر اسرائيل بأن هذه الدول « سوف تقوم بتقديم المساعدة للعرب اذا لم توقف اسرائيل اطلاق النار فورا وتعود الى داخل أراضيها »(١٦). وفي الحادي عشر من حزيران كان المندوب السوري لا زال يطالب بوقف اطلاق النار ويشكو من ان « القوات الاسرائيلية لا زالت تتقدم عبر سوريا »(١٧). ولم يصدر القرار الرابع بوقف اطلاق النار الا في الثاني عشر من حزيران، والذي دعا الى « وقف جميع العمليات العسكرية » بما في ذلك جميع عمليات التقدم داخل الاراضي(١٨).

وبعد أن تمكن مجلس الامن أخيرا من ايقاف اطلاق النار ، بدأ العمل الصعب في محاولة للدعوة الى انسحاب اسرائيل . كانت هناك خمسة مشاريع قرارات ولكن لم يحصل أي منها على اغلبية الثلثين المطلوبة :

١ — مشروع القرار السوفياتي ، الذي تقدم به الكسي كوسيجين (في ١٩ حزيران) ودعا الجمعية العامة الى ادانة اسرائيل بسبب « أعمالها العدوانية وان تطالب بانسحابها الى ما وراء خطوط الهدنة » . ودعا المشروع الجمعية ان تناشد مجلس الامن ليقوم بدوره « باتخاذ اجراءات فورية فعالة لتصفية آثار العدوان الذي ارتكبته اسرائيل »(١٩). وقد فشل مشروع القرار بعد أن صوت عليه فقرة فقرة .

٢ — بعد فشل مشروع القرار السوفياتي ، سحبت الولايات المتحدة اقتراحها الذي

يدعو الى التوصل الى سلام متين عبر المفاوضات، دون اية اشارة الى انسحاب القوات الاسرائيلية .

٣ ــ مشروع القرار الالباني الذي يدين الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل رفض أيضا .

٤ ــ مشروع القرار اليوجسلافي الذي دعا الى انسحاب غير مشروط للقوات الاسرائيلية دون ادانة اسرائيل بالعدوان . قدم هذا المشروع من قبل يوجسلافية وست عشرة دولة غير منحازة . وطلبت يوجسلافية أن ينظر في المشروع بصورة عاجلة وذلك بسبب القلق الناجم عن اعلان اسرائيل (في ٢٧ حزيران) ضم مدينة القدس القديمة اليها . وقد فشل المشروع حين طرح للتصويت (صوتت الى جانبه ٥٣ دولة وعارضته ٤٦ وامتنعت ٢٠ دولة عن التصويت) .

٥ ــ تقدمت ثماني عشرة دولة اميركية لاتينية ، بدعم من الولايات المتحدة ، بمشروع قرار « لا ينص على وقت محدد للانسحاب الاسرائيلي . ودعا الى انهاء حالة الحرب واعتماد التسوية السلمية كحل لجميع الخلافات »(٢٠). وقد فشل هذا المشروع بدوره في الحصول على الاكثرية المطلوبة اذ حاز على ٥٧ صوتا وعارضته ٤٣ دولة وامتنعت ٢٠ دولة عن التصويت .

وحين وصلت الجمعية العامة الى طريق مسدود اعترفت بفشلها في حل أزمة الشرق الاوسط ، وفي ٢٢ تموز اعادتها الى مجلس الامن بصفة « مؤقتة » . ولم يكن من المتوقع أن تجري أية مناقشة أخرى قبل الدورة العادية للجمعية العامة في ١٩ أيلول ، وبذلك سمح بأن تتجمد الازمة .

ان الدول العربية وقد خسرت الحرب قد ذهبت الى الامم المتحدة تسعى من أجل حل عادل . وكانت هذه الدول تأمل في البداية أن تقوم الامم المتحدة بادانة العدوان الاسرائيلي وتفرض انسحابا فوريا . وحين رأت ان ذلك لن يكون أيدت حلا وسطا ، دعا الى الانسحاب دون أن يصم اسرائيل بالمعتدية . وحين فشل ذلك أيضا ، بدأت الدول العربية تدرك ، ربما بعد فوات الاوان ، أن هناك مصالح وقوى ، تستطيع بكل سهولة أن تحطم مفهوم « العدالة » الهش أمام اعتبارات هي أهم من ذلك بكثير . بالنسبة للولايات المتحدة « كانت هيبتها معلقة بنتيجة ما يفترض انه مواجهة مباشرة »(٢١) مع الاتحاد السوفياتي . وهي « حين تحاول تفسير الطريقة التي صوتت بها الدول على مشاريع القرارات المذكورة لا ترى سوى عامل واحد بارز : مقاومة وعدم خضوع للضغط الاميركي »(٢٢).

لم تكتف الولايات المتحدة بذلك ، بل ولكي تضيف الاهانة الى الاذى ، عمدت الى وضع سياستها الشرق ــ أوسطية رسميا بيد ثلاثة من اليهود معروفون بميولهم الصهيونية ؛ ففي الامم المتحدة وبعد ما أبداه أرثر جولدبرج ، المندوب الاميركي ، من حماس شديد ، أصبح من الصعب معرفة ما اذا كان يعبر عن سياسة حكومته أو عن سياسة اسرائيل . ولم يكن والت روستو واخوه يوجين اقل فاعلية في البيت الابيض ووزارة الخارجية .

وعلى صعيد آخر ، كشفت الحرب العربية ــ الاسرائيلية توجها آخر للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، هذا الجانب الذي اشرنا اليه في السابق ، والمتمثل بسيادة مثل هذه السياسات التي تعتبر بنظر رجال السياسة الاميركيين اداة للحفاظ على مصالح الولايات المتحدة وتقويتها في المنطقة. وتنقسم هذه المصالح الى نوعين رئيسيين ؛ مصالح اقتصادية ومصالح استراتيجية . فمن الزاوية الاقتصادية للولايات المتحدة استثمارات ضخمة في نفط الشرق الاوسط ، وهدفها الاساسي هو أن تضمن استمرار تدفق النفط

وخاصة الى دول أوروبا الغربية(٢٣). اما من الناحية الاستراتيجية فلقد كان أهم شيء بالنسبة للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط هو الوجود السوفياتي والذي تعتبره الولايات المتحدة خطأ بأنه غير مرغوب فيه ولكنه يتزايد باستمرار في المنطقة . فالولايات المتحدة تعتبر ان أي تقدم يحرزه السوفيات في الشرق الاوسط انما يتم فقط على حساب مصالحها في المنطقة. ولذلك كانت خطة محاربة الوجود السوفياتي هي العنصر الاساسي في سياسة ادارة جونسون تجاه الشرق الاوسط . ولعل أهم مـا قامت عليه هـذه السياسة هو اعتقادها الصريح بأن تلك الدول في الشرق الاوسط التي أظهرت بعض المبادرات في اتباع سياسة بدا اكثر من مرة انها تتعارض مع الاهداف الاميركيـة في المنطقة ، يجب أن ينظر اليهـا كدول ممقوتة لدى الادارة . ويمكن القول ان ادارة جونسون لم تعر اهتماما للبحث عن الدوافع والاسباب التي جعلت هذه الدول لا تأخذ موقفا مؤيداً لاميركا بصورة متواصلة ، بل ان دول الشرق الاوسط قد صنفت ببساطة ضمن فئتين : « دول صديقة » و « دول مؤيدة للسوفيات » . يقول ابراهيم ابو لغد في مقالة له بنشرة « العالم العربي ، تشريـن الاول وتشرين الثانـي ، ١٩٦٨ » ، ان « السياسة الاميركية قد شجعت عملية التكتل لاولئك الراغبين بقبول زعامة اميركا ، وأولئك الذين يتبعون سياسة مستقلة . واعتبرت الدول المستقلة انها تشكل جزءا لا يتجزأ من المعسكر الشيوعي »(٢٤). ولقد عبر دين راسك عن اغتباط ادارة جونسون بنتيجة الحرب حين قال ان تلك النتيجة « كانت انتصارا للغرب » .

في محاولة منا لمتابعة ما تعتبره مصالحها الشرعية في الشرق الاوسـط ، طرحت الولايات المتحدة فكرة « السلام والاستقرار » كمبدأين تسير بوحي منهما . وبالتالي قدمت الحكومة الاميركية دعمها لدول المنطقة التي أدت سياساتها (بنظر رجال السياسة الاميركيين) الى الحفاظ على هذين المبدأين . وبالمقابل فان الدول التي اتبعت سياسات مضادة « للسلام والاستقرار » قد جرى تذكيرها باستمرار، كما رأينا ، بالنتائج الخطيرة لسياساتها كما تعرضت للانتقاد واللوم كلما دعت الحاجة . يذكر ابراهيم ابو لغد أن لجنة الكونجرس الخاصة بالسلام في الشرق الاوسط (نيسان ١٩٦٧) قد توصلت الى « ان السلام في الشرق الاوسط كان يواجه تهديدا حقيقيا من السياسات التقدمية التي تتبعها الجمهورية العربية المتحدة وحلفاؤها ، والتي كان يعتقد بأنها تعمل لالحاق الضرر بالمصالح الاميركية والبريطانية في المنطقة وتساعد على انتشار الشيوعية »(٢٥). ولقد استمعت تلك اللجنة الى شهادات مختلفة كان من بينها شهادة مهمة تقدم بها السناتور جوزف كلارك تحت عنوان « الحرب او السلام في الشرق الاوسط » . استنتج كلارك في شهادته ان العقبة التي تعترض السلام في الشرق الاوسط تتمثل في الجمهورية العربية المتحدة وسياستها التقدمية . ومن ثم دعا السناتور الى « ... تدمير النظم التقدمية في العالم العربي والى التزام أكبر نحو اسرائيل التي تمثـل درع المصالح الاميركيـة في المنطقة »(٢٦).

واذا اعتبرنا ان هذا التحليل صحيح الى حد ما ، لتوجب علينا ألا نفاجأ أبدا بالتطابق الذي حصل بين السياسة الاميركية وسياسة اسرائيل في الفترة التي أعقبت الحرب . فقد أصرت اسرائيل على ان الحدود التي كانت قائمة قبل حرب حزيران لا تشكل ضمانا « لحدود آمنة » ، ولاقى هذا الاصرار آذانا صاغية في واشنطن . وظهر هذا التطابق في وجهتي النظر حول مسألة المفاوضات المبـاشرة ؛ فقد أصرت اسرائيـل على ان المفاوضات المباشرة بينها وبين أعدائها العرب هي وحدها الكفيلة بالوصول الى « سلام متين ودائم » . واتفقت ادارة جونسون مع هذه النظرة داعية الى « ... سلام فعال ودائم بين العرب واسرائيل ، (وليس فقط ترتيبات لوقف اطلاق النار) يتم التوصل اليه بين أطراف النزاع ولا يفرض من الدول الكبرى . وهي لن تقدم أو تملي شروط السلام

بل سوف تساعد على ايجاد ظروف مؤاتية »(٢٧). كذلك نقل عن جورج بول ، المندوب الاميركي الرئيسي في الامم المتحدة قوله ان بلاده تؤيد المفاوضات المباشرة ، « لا زلنا ملتزمين بالموقف الذي اتخذه الرئيس جونسون بشكل حاسم بعد الحرب ، والذي يقول أن أطراف النزاع يجب ان تكون هي أطراف السلام »(٢٨).

تتلخص السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط في الوضع الاستراتيجي الذي تغير بنتيجة الحرب ، بمبادىء جونسون التي طرحها في ١٩ حزيران والتي تقول « ... بحق الجميع في العيش بسلام وأمن ، والعدالة للاجئين ، وحرية الملاحة البريئة ، ووضع حد لسباق التسلح، والاستقلال السياسي ووحدة الاراضي لجميع دول الشرق الاوسط»(٢٩). وانسحاب اسرائيل الى حدود آمنة ومعترف بها يجب أن يتم « ضمن اطار السلام » . واستتبع هذا رفض الولايات المتحدة الكلي لفكرة العودة الى الوضع الذي كان سائدا قبل الحرب لان ذلك « لا يشكل علاجا للسلام بل دافعا لتجدد الاعمال العدائية »(٣٠). ورفضت اسرائيل ، بتشجيع من حليفتها القوية أن تتزحزح عن مسألة « الحدود الآمنة والمعترف بها » . ففي ١٧ حزيران ١٩٦٧ شدد ابا ايبن على ان « اسرائيل سوف ترفض أية محاولة من جانب الجمعية العامة للامم المتحدة للعودة بالامور الى الاوضاع التي كانت قائمة قبل الخامس من حزيران »(٣١). وفي العاشر من آب ١٩٦٧ أكد الجنرال دايان « اننا لن نعود الى حدود ١٩٤٨ . فهذه فرصة تاريخية لكي نغير خريطة اسرائيل »(٣٢). وهكذا يمكن الاستنتاج من التحليل السابق ، ان مسألتين حيويتين على الاقل ، كان هناك تطابق كامل بشأنهما بين وجهتي نظر اسرائيل وادارة جونسون . كانت هاتان المسألتان هما : (أ) الحاجة الماسة الى مفاوضات مباشرة بين العرب واسرائيل . (ب) والحاجة الى حدود آمنة ومعترف بها (لاسرائيل) تكون بديلة لخطوط الهدنة عام ١٩٤٩ .

فيما يتعلق بمسألة توازن التسلح ، كانت الولايات المتحدة ترى من ناحية استراتيجية ان أي اخلال بتوازن السلاح سوف يؤدي حتما الى نشوب الاعمال العدائية . ومن ثم كان هدف السياسة الرئيسي هو الحفاظ على توازن التسلح وذلك بمد اسرائيل بكل ما تحتاجه من أجل أمنها . كذلك كان البنتاجون يعتقد بضرورة « امداد اسرائيل بمزيد من صواريخ هوك الدفاعية، وتزويدها بطائرات سكاي هوك ١ ــ ٤ المقاتلة القاذفة »(٣٣). وفي الفترة التي أعقبت حرب حزيران ، واستنادا الى ما قاله نيكولاس كاتزنباخ ، نائب وزير الخارجية (في خطاب له في ستانفورد ، كاليفورنيا) ، كانت الولايات المتحدة مضطرة لاستئناف شحن المعدات العسكرية الى الشرق الاوسط (أي لاسرائيل بشكل أساسي) وذلك بسبب قيام الاتحاد السوفياتي بارسال السلاح الى الجمهورية العربية المتحدة ودول أخرى في الشرق الاوسط(٣٤).

في الرابع من كانون الثاني ١٩٦٨ قام ليفي اشكول بزيارة للولايات المتحدة، وقد ذكرت تقارير غير موثوقة يومها ان الولايات المتحدة كانت مستعدة لتزويد اسرائيل بخمسين طائرة من طراز فانتوم . وفي ١٢ كانون الثاني صدر بيان رسمي أعلن أن حكومة الولايات المتحدة قد وافقت على تزويد « اسرائيل » بأعداد اضافية من طائرات سكاي هوك ١ ــ ٤ القاذفة (٣٥). وفي الوقت ذاته تقريبا (٢١ كانون الثاني) ذكرت الفايننشال تايمز اللندنية في نبأ لها من واشنطن ان اسرائيل كانت تمارس ضغطا شديدا على الولايات المتحدة لكي تضاعف من مدها بالطائرات والسلاح . كانت اسرائيل تريد الحصول على ١٥٠ طائرة فانتوم(٣٦). وقد كان هذا يبدو ضروريا في ضوء الحظر الذي فرضه الرئيس ديجول ، ومضاعفة الجهود الروسية لاعادة بناء القوات المسلحة في ج.ع.م وبعض الدول العربية الاخرى .

لم تساعد مبادىء جونسون الخمسة على التخفيف من حالة العداء الباردة التي كان

العرب يحسون بها تجاه ادارة جونسون . وكان الالتزام ، الذي أشرنا اليه ، بتزويد اسرائيل بالسلاح من أجل الحفاظ على ما يسمى خطأ « بتوازن السلاح » ، ذا أهمية خاصة بهذا الشأن . فالتعبير بحد ذاته ــ كهدف للسياسة ــ هو من الناحية التحليلية الصرفة فارغ وصعب التطبيق . فهو يتجاهل عدة عوامل لعل أهمها الفارق الكبير في القدرة القتالية بين ج.ع.م واسرائيل في الفترة التي أعقبت الحرب مباشرة . وهو يعطي تأكيدا مطلقا للعوامل الكمية (أي أن مجموع الطاقة الحربية لدى العرب تزيد كثيرا عما هي لدى اسرائيل ومن ثم ضرورة مواجهة ذلك بامداد اسرائيل بالاسلحة) ، ويتعمد عدم اعطاء أي اهتمام للعوامل النوعية بينما هي التي يجب ان تؤخذ في الاعتبار في حالة الصدام . لذلك قد نكون على صواب اذا عرفنا استراتيجية الولايات المتحدة في توازن السلاح بالشرق الاوسط على انها تهدف بشكل ثابت الى ضمان تفوق اسرائيل كعائق في وجه أي اجراء دفاعي شرعي تقوم به قوات ج.ع.م او حتى جميع القوات العربية في الدول المحيطة باسرائيل .

في التاسع من أيلول ١٩٦٨ قال المرشح الجمهوري للرئاسة ، ريتشارد نيكسون ، في اجتماع لمنظمة بني بريث اليهودية في واشنطن انه يؤيد سياسة اعطاء اسرائيل « قوة عسكرية تكنولوجية تجعلها تتخطى التفوق العددي الذي لدى أعدائها » . واذا كان ذلك يعني تزويد اسرائيل بطائرات فانتوم ف ٤ فان الولايات المتحدة يجب ان تفعل ذلك . ومضى نيكسون يقول « ان خطر الحرب يتزايد طرديا مع زيادة الثقة لدى بعض الزعماء العرب بقدرتهم على كسب الحرب »(٢٧) . من المهم أن نلاحظ التعبير الرئيسي حول اعطاء اسرائيل « قوة عسكرية تكنولوجية » . فمثل هذا الالتزام يتخطى في الواقع استراتيجية توازن التسلح . ان ذلك يلزم المرشح الجمهوري بشكل صريح على اتباع هذه السياسة (اذا ما أصبح رئيسا) ، والتي ستكون نتيجتها ايجاد ميل كبير في ميزان التسلح لصالح اسرائيل .

هل كانت الولايات المتحدة مستعدة فعلا للحد من تأييدها وتشجيعها لعدوان اسرائيل الواضح على الدول العربية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال بالنسبة لتلك الفترة بالذات ، تتوقف عما اذا كانت ادارة جونسون مستعدة أم لا لتزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم والتي من شأنها ان تضمن قدرة اسرائيل الهجومية ضد أي هدف هام في المناطق العربية الداخلية بما في ذلك حقول النفط البعيدة كحقل كركوك مثلا .

تمهل الرئيس جونسون قبل أن يعطي موافقته النهائية على تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم . ما هي العوامل التي يمكن أن تكون قد جعلت جونسون يتأخر في اعطاء موافقته ؟ يقول محمد حسنين هيكل في احدى مقالاته (الاهرام ٢٧ أيلول ١٩٦٨) ان دافع الرئيس جونسون كان رغبته في ان يظهر للاتحاد السوفياتي ان الباب لا زال مفتوحا من أجل محادثات حول الشرق الاوسط . ولو ان مثل هذه المحادثات قد تمت وانتهت باتفاق دولي مع الاتحاد السوفياتي ، لكان الرئيس ترك البيت الابيض وهو متأكد من وجود كوة صغيرة « يمكن من خلالها أن يدخل التاريخ »(٢٨) .

ولكن مثل هذه المحادثات كانت لا زالت بعيدة ، وفي التاسع من تشرين الاول أبلغ جونسون وزير خارجيته ، دين راسك ، « أن يبدأ مفاوضات مع حكومة اسرائيل (حول بيع طائرات الفانتوم المقاتلة ــ القاذفة) وان يبلغه بنتيجة المفاوضات »(٢٩) . ما هي العوامل التي يمكن ان تكون دفعت رئيس الولايات المتحدة لاتخاذ قراره ؟ فيما يلي بعض العوامل التي ربما كان لها صلة بالموضوع :

١ ــ التزام الرئيس الشخصي وعطفه على « دولة اسرائيل الصغيرة » .

٢ ــ ضغط قوي من جانب المحافل الصهيونية القوية في الكونجرس .

٣ ــ محاولة يائسة من جونسون لكسب اصوات اليهود الى جانب مرشح الحزب الديمقراطي ، هيوبرت همفري ، والمزايدة على الجمهوريين .

٤ ــ ضغط قوي مباشر من المسؤولين الاسرائيليين وضغط آخر عبر وسائل الاعلام والمنظمات الصهيونية واليهودية القوية على البيت الابيض ووزارة الخارجية والكونجرس .

٥ ــ دافع استراتيجي رئيسي ــ ذكرناه قبل قليل ــ لاعطاء اسرائيل الفعالية العسكرية التي تحتاجها وتجعلها تحتفظ بأكبر قدر ممكن من القوة وهذا يعني الموافقة الصريحة على عدوان اسرائيل والدعم الواضح لمحاولات اسرائيل العسكرية الرامية الى تجميد الوضع الراهن ، وارتباط باستعمار اسرائيل لمزيد من الاراضي العربية وتوسعها على حساب الشعوب العربية .

وربما كان غرور القوة لا يعرف حدودا . فادارة جونسون لم تكن مستعدة لان تكون في موقع تبريري أو استرضائي حول المسألة . وفي العاشر من تشرين الاول ١٩٦٨ قال السفير الاميركي في المغرب ، هنري تاسكا « ان قرار الرئيس جونسون ببيع طائرات الفانتوم الى اسرائيل يعتبر انذارا لكل الاطراف المعنية بأن الولايات المتحدة لن تتساهل تجاه الاخلال المتزايد بتوازن الامكانات العسكرية . . . »(٤٠). فهل كان هناك فعلا اخلال في توازن القوى العسكرية ؟ قبل ذلك بثلاثة أسابيع فقط (في ١٨ أيلول ١٩٦٨) اكد وزير الدفاع ، كلارك كليفورد ، انه « لا يرى اي تغير حقيقي في مستوى القوى بين اسرائيل والدول العربية »(٤١).

في أوائل تشرين الثاني ١٩٦٨ فاز المرشح الجمهوري ، ريتشارد نيكسون ، برئاسة الولايات المتحدة على الرغم من أنه ، ويا للسخرية ، لم يحصل على أصوات يهودية بقدر ما حصل منافسه الديمقراطي . وفي العالم العربي ساد شعور من التفاؤل لا مبرر له ، من أنه بمجيء ادارة جديدة ربما تحسنت الامور بعض الشيء . الا أن الاحداث قد برهنت سريعا على ان المسألة ليست على هذا النحو .

---

١ ــ هذه المقالة هي الاولى من اثنتين تبحثان في بعض الجوانب العامة للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط منذ الحرب العربية ــ الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧ .

٢ ــ « . . . وفي حين ان حكومة الولايات المتحدة نادرا ما ترددت في التهديد بوقف المساعدات عندما لا نكون مسرورين من الانظمة العربية ، فاننا لم نرفع هذه العصا في وجه اسرائيل سوى مرة واحدة وذلك عند غزو السويس عام ١٩٥٦ » . دون كوردتز : ولكن ماذا نفعل بشأن العرب ؟ من كتاب **المأزق العربي الاسرائيلي** ، ص ١٢٣ . تحرير م. د. خدوري. دار لوس للنشر ، واشنطن ١٩٦٨ .

٣ ــ **التقرير والسجل العربي** ١ ــ ١٥ حزيران ١٩٦٧ .

٤ ــ شارلز يوست : « النظام في العالم ومسؤولية اميركا » مجلة **الشؤون الخارجية** ، تشرين الاول ١٩٦٨ .

٥ ــ من خطاب استقالة الرئيس عبدالناصر . **التقرير والسجل العربي** ١ ــ ١٩٦٧/٦/١٥ .

٦ ــ مكسيم رودنسون ، **اسرائيل والعرب** ، ص ٢٠٧ .

٧ ــ **التقرير والسجل العربي** ١ ــ ٦/١٥/ ١٩٦٧ .

٨ ــ بانوراما : الاثنين الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، نقلها ر. تشرشل . **حرب الايام الستة** . ص ٢٢٧ .

٩ ــ **التقرير والسجل العربي** ١ ــ ٦/١٥/ ١٩٦٧ .

١٠ ــ ١٩ ــ **المصدر السابق** .

٢٠ — **التقرير والسجل العربي** ١٥ — ٣٠/٦/١٩٦٧ .

٢١ — ٢٢ — ج. هـ. جانسن : **سويس من ؟ أوجه التواطؤ** ، ١٩٦٧ .

٢٣ — يقول جان جـاك بيربي انه « بالنسبة لاوروبا ، يشكل النفط العربي الذي تنتجـه اميركا ، أكثر من ٥٠ بالمئة من حاجتها للنفط ». **ذي نيو ميدل ايست** . نيسان ١٩٧٠ .

٢٤ — ا. ابو لغد : « سياسة اسرائيل العربية» من « **مقالات مختارة حول المسالة الفلسطينية**»، ص ٢٣٤ ، منشورات مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .

٢٥ — **المصدر السابق** ، ص ٢٣٤ .

٢٦ — **المصدر نفسه** .

٢٧ — برنارد رايش : اميركا في الشرق الاوسط ، **ذي نيو ميدل ايست** ، تشرين الاول ١٩٦٨ .

٢٨ — **التقرير والسجل العربي** ١٦ — ٣١/٧/١٩٦٨ ، ص ٢١٦ .

٢٩ — برنارد رايش ، **المصدر السابق** .

٣٠ — **المصدر نفسه** .

٣١ — **اسرائيل : مجموعة تصاريح ومقالات وصور كاريكاتورية : ١٩٤٧ — ١٩٦٧** ، دار عابدين للنشر ، القاهرة ١٩٦٨ .

٣٢ — **المصدر السابق** : من صحيفة **هآرتس** ، ١٠ آب ١٩٦٧ .

٣٣ — برنارد رايش ، **المصدر السابق** .

٣٤ — **التقرير والسجل العربي** ١ — ١٥/١٢/١٩٦٧ .

٣٥ — **التقرير والسجل العربي** ١ — ١٥/١/١٩٦٨ .

٣٦ — **المصدر السابق** ١٦ — ٣١/١/١٩٦٨ .

٣٧ — **المصدر السابق** ، ١ — ١٥/٩/١٩٦٨ .

٣٨ — **المصدر السابق** ١٦ — ٣٠/٩/١٩٦٨ .

٣٩ — **المصدر السابق** ١ — ١٥/١٠/١٩٦٨ .

٤٠ — **المصدر نفسه** .

٤١ — **المصدر السابق** ١٦ — ٣٠/٩/١٩٦٨ ، ص ٢٩٤ .

حول وسائل الاعلام الصهيوني واساليبه

مروان كنعاني

دور الاعلام في المخطط الصهيوني

ما من قضية لعب فيها الاعلام ، او الدعاية بالتعبير الشائع ، دورا أساسيا ومركزيا في الوصول الى الاهداف المتوخاة مثل الدور الذي لعبه في قضية الصهيونية ، وما من جهة استغلت امكانيات الاعلام وارتفعت بالطاقات الكامنة فيه وسخرته بنجاح فائق للوصول الى مآربها مثلما استغل الصهيونيون هذه الامكانيات وسخروها .

وقد لازم الاعلام الحركة الصهيونية منذ بداية مسيرتها ، وأولى الصهيونيون ، منذ البداية ، الاعلام اهتمامهم الشديد واعتبروه وسيلة أساسية ، بل في مقدمة الوسائل التي عليهم أن يستخدموها للوصول الى مآربهم ، **فقد أكد البند الثالث من بنود برنامج العمل الذي أقره المؤتمر الصهيوني الاول (مؤتمر بازل بسويسرا) الذي عقد عام ١٨٩٧ على أهمية الاعلام والتثقيف في تنفيذ هدف خلق الدولة اليهودية في فلسطين ،** اذ نص على ضرورة نشر الروح القومية والوعي القومي بين يهود العالم وتنميتها .ومنذ ذلك الحين سار الاعلام الصهيوني الموجه لليهودية العالمية اي للمجتمعات اليهودية المنتشرة في شتى أنحاء العالم جنبا الى جنب مع الاعلام الصهيوني والعمل الدبلوماسي الموجه للرأي العام الدولي غير اليهودي من أجل اقامة دولة اليهود في فلسطين او ما اصطلحوا على تسميته حينئذ « وطن قومي لليهود في فلسطين » . وقد عبر احد المسؤولين البريطانيين عن نجاح الدبلوماسية الصهيونية والدعاية الصهيونية قائلا : « ان من أحسن الامثلة على نجاح الدبلوماسية هو ما حققه وايزمن في خلق الوطن القومي اليهودي ... فعندما نشبت الحرب العالمية الاولى كانت قضيته تكاد تكون مجهولة للسياسيين الرئيسيين كما كان لها كثير من الاعداء . وقد قال لي يوما ان (٢٠٠٠) اجتماع ومقابلة قد اجريت قبل أن يظهر وعد بلفور »(١).

ولم يكن الاعلام الصهيوني في تلك الفترة المبكرة يدور في فراغ بل كان منذ المؤتمر الصهيوني الاول جزءا من كل متكامل هو برنامج العمل الذي أقره ذلك المؤتمر . والبنود الاساسية التي اشتمل عليها برنامج العمل الصهيوني المذكور والتي أصبحت الان واقعا ملموسا وهي : ١ ــ تطوير الاستيطان اليهودي لفلسطين بطريقة منتظمة ، ٢ ــ تنظيم يهود العالم وربطهم بعضهم ببعض في مؤسسات صهيونية ، ٣ ــ نشر الروح القومية والوعي القومي بين يهود العالم وتنميتها ، ٤ ــ اتخاذ الخطوات اللازمة للحصول على تأييد الحكومات المختلفة من أجل تحقيق الهدف الصهيوني وهو خلق وطن قومي لليهود في فلسطين .

ولا حاجة بنا الى القول ان هذا البرنامج قد نجح ، وللاسف الشديد ، نجاحا تاما فاق شتى التوقعات حتى غدا البند الاول ليس تطوير الاستيطان اليهودي لفلسطين فحسب بل تنظيم الاستيطان في المناطق العربية الاخرى المحتلة ، كما غدا البند الثاني ليس

مجرد تنظيم يهود العالم بل السيطرة الكلية على جميع الجاليات والمجتمعات اليهودية في شتى انحاء العالم وتسخير طاقاتها وامكانياتها لخدمة الاهداف الاسرائيلية والصهيونية عامة ، وغدا البند الثالث ليس مجرد نشر الروح القومية والوعي القومي بين يهود العالم بل النجاح في غسل دماغ مجتمعات انسانية بأكملها تشكل شطرا كبيرا وهاما من الانسانية المعاصرة . كما غدا البند الرابع ليس مجرد تجنيد تأييد الحكومات لفكرة الوطن القومي اليهودي بل أصبحت الشرعة الدولية بأسرها ، ممثلة في منظمة الامم المتحدة ، في خدمة الاهداف الاسرائيلية ، فقد غدا الفلسطينيون في نظر العالم الغربي اليوم ارهابيين متوحشين شذاذ آفاق بينما غدا الاسرائيليون جزءاً أصيلا ذا وزن كبير في العائلة الانسانية المحترمة !!

سر قوة الحركة الصهيونية

وعندما قرر مؤتمر الصلح في باريس الذي التأم للنظر في تصفية تركة الامبراطوريات المهزومة في الحرب العالمية الاولى (المانيا والنمسا والدولة العثمانية) وتوزيع الاسلاب والمغانم على الدول الاستعمارية المنتصرة المدعوة دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة) ، عندما قرر هذا المؤتمر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني اجتاز المخطط الصهيوني مرحلة الخطر وخطا الخطوات الاولى نحو النجاح الباهي الذي حققه ، اذ عينت الحكومة البريطانية اول مندوب سام لها في فلسطين هربرت صموئيل الزعيم الصهيوني البريطاني البارز (١٩٢١ — ١٩٢٩) فعمل بنشاط لتركيز قواعد الصهيونيين في فلسطين بالحديد والنار والمراوغة والخديعة . وليس ذلك بمستغرب ، فعلاقة الصهيونيين ببريطانيا ترجع الى اواسط القرن التاسع عشر اي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول ببضع عشرات من السنين ، اذ سعى غلادستون رئيس وزراء بريطانيا آنئذ الى الالتقاء بزعماء اليهود وحثهم على العمل على هجرة اليهود الى فلسطين والاستيطان بها ليكونوا فيها رأس جسر للمصالح الاستعمارية البريطانية في الشرق العربي الذي كان تحت سيادة الدولة العثمانية وليشكلوا هناك قاعدة تكون بمثابة كلب حراسة لطريق المواصلات الامبراطورية البريطانية الى الشرق الاقصى والهند درة التاج البريطاني ، لا سيما ان غلادستون قد لمس خطر انقطاع طريق المواصلات هذا اثر النجاح الذي حققته حملة القائد المصري ابراهيم باشا العسكرية في بلاد الشام والجزيرة العربية مما جعل من مصر في ذلك الوقت قوة مسيطرة على هذه المنطقة البالغة الحيوية استراتيجيا . ولذلك ليس هنالك تجاوز على الحقيقة في القول ان الفكرة الصهيونية قد ولدت في أذهان القادة الاستعماريين البريطانيين قبل أن تتفاعل في رؤوس الزعماء اليهود ... كذلك **ان الفكرة الصهيونية قد كانت منذ البداية مشروعاً اقتصاديا استعماريا قبل أن تكون رؤية دينية يهودية او قومية صهيونية ...** وهذا الزواج الدنس بين الحركة الصهيونية والمصالح الاستعمارية البريطانية اولا ثم المصالح الامبريالية الامريكية كان منذ البداية من الدعائم الاساسية لقوة الحركة الصهيونية ونجاح مخططاتها .

بيد أن هذا الواقع لا يقلل من شأن المزايا الذاتية التي اتسمت بها الحركة الصهيونية منذ ولادتها ، ولا ينفي انها امتازت بالكفاءة والقدرة مما جعلها تشكل عنصرا فاعلا بذاته حتى أنها في أحيان كثيرة تمارس تأثيرا فعالا بل تأثيرا حاسما وله القدرة على تقرير صيغة الاوضاع وموقف الدولة او الدول الاستعمارية ذاتها بممارسة شتى الضغوط لا سيما الان بعد النجاحات التي حققتها اسرائيل في حرب حزيران وما تلاها مما زاد من وزنها واعتبارها في الاستراتيجية الدولية الشاملة للامبريالية الامريكية .

واذا تقصينا اهم الخواص التي اتسمت بها الحركة الصهيونية واكسبت هذه الحركة

القوة والفعالية وقادتها الى النجاح حتى الان لوجدنا ميزتين أساسيتين اتسمت بهما هذه الحركة وما زالتا بمثابة سر قوتها ونجاحها في الوصول الى غاياتها ومآربها هما :

أ) **التخطيط المستقبلي للمدى البعيد :**

فقد أرسى المؤتمر الصهيوني الاول في بازل سويسرا عام ١٨٩٧ القواعد الاساسية للمخطط الصهيوني العام ورسم برنامج العمل العام للحركة الصهيونية فسارت على هديه خطوة خطوة فلا تكشف عن الخطوة التالية الا بعد ان تكون قد فرغت من الاولى ، ولذلك كان وايزمن في مطلع العشرينات ، يوم كان عدد اليهود دون المائة الف ، يسعى للاتصال بالزعماء الفلسطينيين والعرب يهدىء من روعهم وخواطرهم ويطمئنهم بأن اليهود لا يضمرون شرا بالبلاد ولا بأهلها حتى ان الامير فيصل بن الشريف حسين الذي أصبح ملك سوريا ثم العراق فيما بعد اطمأن الى مشروعاته واعطاه التصريح المكتوب المشهور اثر اجتماعهما في العقبة والذي يعلن له فيه ((**ان هنالك متسعا لكلينا في فلسطين**)) !!

وبعبارة اخرى اتصف المخطط الصهيوني بالمرحلية ، يتم تطبيقه خطوة اثر خطوة ومرحلة بعد مرحلة دون ضجيج او كشف للنوايا بل في جو من التصريحات المضللة والبيانات المخادعة لاثارة جو من الضباب حول مخططاتهم وتعمية الفلسطينيين والعرب عن تبين مدى وابعاد نواياهم العدوانية الجشعة وهو ، كما لا يخفى على أحد اليوم ، ما يمارسونه مع الدول العربية منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ كسبا للوقت في تثبيت أقدامهم في الاراضي المحتلة بخلق حقائق جديدة فيها .

ولعله ليس من قبيل الصدفة ان الجمعية العامة للامم المتحدة قد اقرت تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧ أي بعد مرور خمسين سنة على انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل — وكان هذا هو الزمن الذي قدر المؤتمر المذكور انه سيلزم لاقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، ففي حين بدت مخططات الصهيونيين عام ١٨٩٧ كحلم طوباوي مستحيل أصبحت في عام ١٩٤٨ حقيقة واقعة تصرخ بكل مظاهر الظلم والوحشية والعدوانية .

ب) **بناء التنظيمات والمؤسسات الفعالة :**

والسمة الاساسية الثانية التي اتسمت بها الحركة الصهيونية وشكلت سر قوتها وجوهر نموها ، وهي على كل حال مرتبطة بالسمة الاولى ارتباطا وثيقا ، هي نجاح الحركة الصهيونية في تنظيم الجسم اليهودي المبعثر في شتى انحاء الارض في مؤسسات ومنظمات وهيئات وروابط تغطي شتى مجالات النشاط الانساني وتستجيب لجميع فئات العمر ولكن دون تضارب بينها او تناقض لان هنالك عقلا مركزيا واحدا خارق القدرة على التدبير والتنظيم يتولى توجيهها وتسييرها جميعا لتأمين حسن استغلال الطاقات والامكانيات المتوفرة لدى شتى الجماعات والافراد اليهود فتصب كلها في معين الحركة الصهيونية الواحدة حتى أصبح الجسم اليهودي المنتشر في زوايا العالم الاربع يبدو ، كما نراه اليوم، كفرقة سنفونية واحدة يتحرك العازفون فيها بايماءة من قائد الاوركسترا فيعزف كل منهم اللحن المطلوب في الوقت المعين واحيانا اخرى كجوقة تنطلق معا في صوت واحد ولكنه كريه ، ذلك انه عدواني عنصري استغلالي اجرامي .

ومن اهم هذه التنظيمات والمؤسسات الصهيونية التي أقامها الصهيونيون وانشأوا لها فروعا في كل مكان تتواجد فيه جماعة من اليهود :

١ — **المنظمة الصهيونية العالمية** : وتوجد لها فروع في شتى انحاء العالم ، وينبثق منها عدد هائل من الجمعيات والهيئات والروابط المتخصصة ويوجد لها في الولايات المتحدة وحدها نحو ٢٢١ فرعا . ويبلغ عدد اعضائها نحو (٨٥٠) الفا . وتعقد من حين الى

اخر مؤتمرات جامعة كان اخرها المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون الذي عقد في القدس في النصف الثاني من شهر كانون الثاني ١٩٧٢ . ورئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية حاليا يدعى اريه بينكوس وقد خلف ناحوم غولدمان الذي كان رئيس مجلس ادارة المنظمة الصهيونية العالمية ولكنه تنحى عن رئاستها اثر اختلافه مع القادة الاسرائيليين .

٢ ـ **المؤتمر اليهودي العالمي** : وله ايضا فروع في شتى انحاء العالم ، ولكن له اربعة مراكز اقليمية رئيسية هي في القدس ونيويورك ولندن وبيونس ايرس . وما زال ناحوم غولدمان يحتفظ بمنصبه كرئيس للمؤتمر اليهودي العالمي . وعضوية هذا المؤتمر اوسع من عضوية المنظمة الصهيونية العالمية لانه يضم العديد من الافراد والهيئات اليهودية التي قد تختلف مع المنظمة الصهيونية العالمية وقيادتها حول بعض المواقف الثانوية او الاساسية ، ولكنه يعمل على تجنيد امكانيات يهود العالم في خدمة اسرائيل ، علاوة على مجهوداته لرعاية شؤون اليهود في شتى أماكن تواجدهم .

٣ ـ **الوكالة اليهودية** : وقد انشئت عام ١٩٢٠ في فلسطين في ظل الانتداب البريطاني لتتولى الاعداد لانشاء « الوطن القومي اليهودي » ، وهي متفرعة مباشرة من المنظمة الصهيونية العالمية . وقد كانت نشاطاتها في فلسطين تشمل كافة نواحي حياة اليهود فكانت دولة داخل الدولة او بعبارة اخرى حكومة الظل لاسرائيل مستقبلا ، بل كانت هي الدولة الفعلية ، ولم تكن السلطات الادارية البريطانية ترد لها طلبا . ولها فروع في العواصم والحواضر الكبرى في الغرب ، وتمول نشاطاتها التبرعات الوفيرة من يهود العالم . وقد تأسست فيها منذ انشائها دائرة للاعلام لعبت دورا فعالا في تهيئة المناخ النفسي والفكري في العالم الغربي لانشاء الدولة اليهودية . ورئيس الوكالة اليهودية حاليا اريه بينكوس . وأهم المهمات التي تضطلع بها الوكالة تمويل استيعاب المهاجرين اليهود الى اسرائيل واسكانهم وتأهيلهم وما الى ذلك من النشاطات . وقد انفقت منذ تأسيس اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧١ زهاء ٣٠٠٠ مليون دولار ، ويأتي اكثر من ثلثي ميزانية الوكالة اليهودية من تبرعات اليهود الامريكيين وفي الدرجة الثانية تبرعات يهود بريطانيا التي تشكل نحو ٥ الى ٧ بالمئة من الميزانية سنويا .

٤ ـ **منظمة النساء الصهيونيات العالمية** : تأسست عام ١٩٢٠ ، وتنتسب لها نحو ٢٥٠،٠٠٠ عضوة في ٥٠ بلدا منهن ٩٠،٠٠٠ عضوة ينتسبن لفروعها المائة والثمانين في اسرائيل . وهي تقوم بنشاطات اعلامية الى جانب الخدمات الاجتماعية والتربوية الاخرى .

٥ ـ **منظمة هداسا** : وهي منظمة النساء اليهوديات الامريكيات ، وتقوم بنشاط اعلامي ومالي واجتماعي كبير ، وهي التي أسست مستشفى هداسا الشهير في القدس التابع للجامعة العبرية .

٦ ـ **اتحاد الشباب الصهيونيين** : وهو ايضا عالمي التشكيل ويلعب دورا كبيرا في الاعلام الصهيوني .

٧ ـ **جمعية بناي بريث** : ولها فروع عديدة في أمريكا واوروبا الغربية ، وهي جمعية غنية ، ولها نشاط اجتماعي وتربوي واسع وتقوم بدور اعلامي كبير لا سيما في مكافحة النشاط المعادي للصهيونية واليهود بواسطة الهيئة المتفرعة عنها المدعوة عصبة مكافحة التشهير .

وهنالك هيئات عديدة مهمتها جمع الاموال لتمويل النشاط الصهيوني ودعم اسرائيل أهمها :

١) **الكيرن كاييمت** : وهو يدعى ايضا الصندوق القومي اليهودي . وقد تأسس عام

١٩٠٢ ، ومهمته الحصول على الاراضي واعدادها للاستيطان اليهودي ، وقد اعلن لمناسبة الاحتفال بالذكرى السبعين لتأسيسه انه قد اتم اعداد ٨٧٥٠٠٠ دونم من الاراضي للاستيطان ومد نحو الفي كيلومتر من الطرقات وغرس زهاء ١٠٠ مليون شجرة في فلسطين ، وهو يمول مشروعاته هذه من التبرعات التي يجمعها من يهود العالم لا سيما اليهود الامريكيين . وهو يملك رسميا نحو ٩٠ ٪ من الارض في اسرائيل ويؤجرها لليهود فقط لمدة ٤٩ سنة .

٢) **الكيرن هايسود ــ نداء اسرائيل الموحد** : وقد تأسس عام ١٩٢٠، وهو يمول الشطر الاعظم من نشاطات الوكالة اليهودية ، كما ينفق على المستوطنات اليهودية . وقد جمع منذ تأسيس اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٠ نحو ١٩٠٠ مليون دولار ثلثاها من الولايات المتحدة . أما الثلث الاخر فتم جمعه من ٥٤ بلدا أخرى يعمل فيها هذا الصندوق . ويلاحظ ان حجم التبرعات قد ازداد زيادة كبيرة بعد عام ١٩٦٧ ، وأصبح يجمع من الولايات المتحدة وحدها زهاء ٣٠٠ مليون دولار في السنة معفاة من ضرائب الدخل . وفي بعض البلدان مثل الولايات المتحدة وبريطانيا يدعى هذا الصندوق « الجباية اليهودية الموحدة » او النداء اليهودي الموحد United Jewish Appeal وقد أسس في نيويورك بهذا الاسم عام ١٩٣٩ ، وقد جمع من الاموال منذ تأسيسه حتى عام ١٩٧١ أكثر من ٢٣٦٣ مليون دولار من الولايات المتحدة وحدها . وهي أموال معفاة من دفع الضرائب في امريكا . وبصورة عامة جمعت الهيئات اليهودية الامريكية لصالح الصهيونية منذ عام ١٩٣٩ ، حتى عام ١٩٧٠ زهاء ٤٢٠٠ مليون دولار منها ١١٠٠ مليون دولار منذ حرب حزيران ١٩٦٧(٢).

٣) **صندوق سندات اسرائيل** : وقد تأسس عام ١٩٤٩ ، وهو يجمع قروضا لتمويل خزينة الحكومة الاسرائيلية يدفع عليها فائدة مقدارها ٥ ٪ ، وقد ازداد ايضا حجم المبالغ التي يجمعها بعد حزيران ١٩٦٧ زيادة كبيرة تتجاوز مبلغ ٣٠٠ مليون دولار في السنة من الولايات المتحدة فقط .

ولا حاجة بنا الى القول ان كلا من هذه الهيئات الصهيونية تضع الاعلام على رأس قائمة اهتمامها وتقوم بنشاط اعلامي هائل ليس بين صفوف جماهيرها من اليهود فحسب ، بل على نطاق المجتمع العام الذي توجد فيه ، ونشاطها الاعلامي هذا لا يقتصر على اصدار صحف ومطبوعات خاصة بها او التأثير على الصحافة المحلية ووسائل الاعلام الاخرى من اذاعة وتلفزيون وعقد الصفقات مع رجال السياسة المحليين بل يشمل أيضا النشاطات الاجتماعية والفنية والثقافية ، مثل اقامة الحفلات والمعارض والندوات والمحاضرات والمؤتمرات الخ ... وقبل أن نختتم حديثنا عن المنظمات والمؤسسات التي نجحت الحركة الصهيونية في اقامتها لتنظيم صفوف المجتمعات اليهودية في انحاء العالم لا بد من الاشارة الى الدور الكبير الذي يقوم به **« اتحاد عام نقابات عمال اسرائيل ــ الهستدروت »** وهو يعتبر من أهم الهيئات العامة في اسرائيل اذ يبلغ عدد المنتسبين له زهاء ٩٠٠،٠٠٠ شخص ويدير قطاعا واسعا من النشاطات الاقتصادية في اسرائيل ، وهو بالاضافة الى رعايته الشؤون النقابية يرعى أشكالا عديدة من النشاطات المتعلقة بالتأمين الاجتماعي والنشاط الثقافي والتعليمي . وهو يصدر الى جانب صحيفة دافار اليومية الشهيرة ١٤ صحيفة ومجلة اخرى باللغات العبرية والانكليزية والفرنسية والاسبانية بعضها مخصص للاطفال أو النساء أو الشباب . **وقد أسس الهستدروت بالتعاون مع اتحاد عام نقابات العمال في الولايات المتحدة المعهد الافرو ــ آسيوي في تل أبيب الذي قام بتدريب نحو خمسة آلاف من كوادر الحركات العمالية في بلدان آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية والوسطى** ، ويعد هذا المعهد من انجح المجهودات الاعلامية الاسرائيلية . واهمية الهستدروت في الاعلام الاسرائيلي والصهيوني عامة انه يقيم شبكة

واسعة من العلاقات المباشرة مع الحركات العماليـة والنقابات والاحزاب السياسية العمالية في شتى انحاء العالم ، وهو بهذا يكسب اسرائيل مظهرا خادعا من التقدمية والديمقراطية الاجتماعية مما يساهم في تضليل الاوساط العماليـة العالمية والليبرالية والاشتراكية وبالتالي الفوز بدعمها لاسرائيل وتأييدها لسياساتها التوسعية العدوانية العنصرية التي تتناقض جوهريا من حيث المبدأ مع ما ترمز اليـه الحركات العمالية والليبرالية والاشتراكية والانسانية عامة من معان وقيم ، ومن المؤسف أن مجهودات الهستدروت والحركة الصهيونية عموما قد نجحت الى الحد الذي غدت معه القطاعات العمالية في كثير من بلدان اوروبا الغربية وافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية بالاضافة الى الولايات المتحدة هي اشد المتحمسين لاسرائيل .

مؤسسات وأجهزة الاعلام الصهيوني

رغم ضخامة المجهود الاعلامي الصهيوني بصورة لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، ورغم انه يعد أشد أنواع الاعلام دهاء ومكرا وذكاء ، كما انه أحرز من النجاح ما لم يحرزه اي اعلام آخر من قبل ، رغم هذا كله فان اسرائيل دولـة الصهيونيـة وقاعدة الاعلام الصهيوني هي من الدول القليلة في العالم التي لا توجد فيهـا وزارة خاصة بالاعلام . غير ان في اسرائيل ولدى الحركة الصهيونية العالمية أجهزة ومؤسسات تمارس الاعلام بصورة أو بأخرى تفوق كثيرا في نشاطاتها ومجهوداتها مجرد وزارة اعلام وغير ذلك من الشكليات ... ومن أهم هذه الاجهزة والمؤسسات :

أولا : الاذاعة والتلفزيون في اسرائيل :

الاذاعة والتلفزيون في اسرائيل حكوميان ولكن تتولى الاشراف عليهما سلطة مستقلة لها شخصية اعتبارية كهيئة قانونية أنشئت عام ١٩٦٥ ، ويعـين رئيس الدولة اعضاءها الواحد والثلاثين يختارهم من بين الاسماء التي تتقدم بها الحكومة بعد استشارة منظمات الكتاب والفنانين ومؤسسات التعليم العالي وأكاديمية اللغة العبرية وغيرها ... وتضم هيئة الاذاعة أربعة من موظفي الدولة فقط ، ومندوبا عن الوكالـة اليهودية ، ويعين رئيسها ونائبه من بين الاعضاء الواحد والثلاثين شرط الا يكونا من موظفي الدولة . ومدة خدمة الهيئة المشرفة على الاذاعة والتلفزيون ثلاث سنوات غير قابلة للتجديد . وتبث الاذاعة الاسرائيلية (كول اسرائيل) برنامجين باللغة العبرية — برنامج عام وآخر موجه للجيش — علاوة على الاذاعات التعليمية والتربوية . ويذيع البرنامج العبري العام ١٩ نشرة اخبار في اليوم بالاضافة الى برامج سياسية متنوعة في الصباح وعند الظهر وفي المساء تشتمل على مناقشة لاهم الاحداث الجارية الخارجية والداخلية يشارك فيهـا المختصون على غرار برامج الاذاعة البريطانية في اذاعتها العالمية باللغة الانكليزية .

وتبث اذاعة اسرائيل برامج باللغات الانكليزية والهنغارية واليديش والفارسية واللادينو (العبرية الاسبانية) والافرنسية ولهجة شمال افريقيا والرومانية والعبرية المبسطة والروسية . وقد بدأ الاسرائيليون يشكون منذ مطلع عام ١٩٧٢ من وجود تشويش قوي على اذاعتهم باللغة الروسية داخل الاتحاد السوفييتي .

ولا ريب ان أهم برنامج تبثه اذاعة اسرائيل هو برنامجها باللغة العربية حيث تبلغ مدة البث (١٥) ساعة في اليوم تتضمن ١٢ نشرة اخبار . ويتولى هذا البرنامج شن الحرب النفسية على الجماهير العربية في الاقطار العربية وعلى سكان المناطق المحتلة وكذلك على فلسطينيي الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . ويبلغ عدد موظفي البرنامج العربي ١٤٠ موظفا كثير منهم من يهود البلدان العربية .

وجدير بالذكر انه تم في عام ١٩٧١ تقوية بث البرنامج العربي اذ جرى تشغيل أجهزة الارسال الجديدة على الموجة المتوسطة التي تبلغ قوتهـا ٦٠٠ كيلووات وهي تسمع

بوضوح براديو ترانزستور على مسافة ٢٠٠٠ كيلومتر ، وقد انشأتها شركة تليفونكن الالمانية الغربية . وكانت قوة اجهزة الارسال السابقة على الموجــة المتوسطة ٢٠٠ كيلووات فقط . كذلك تم مؤخرا تشغيل اجهزة الارسال الجديدة على الموجة القصيرة التي تبلغ قوتها ٣٠٠ كيلووات ، وكانت قوة الاجهزة السابقة ١٠٠ كيلووات(٣). ويذيع البرنامج العربي عددا كبيرا من البرامج والتعليقات السياسية فيهــا جهد كبير ويمتاز معظمها بالخبث والذكاء الشديد في استخدام اساليب الحرب النفسية . ومما يؤسف له ان اذاعة اسرائيل باللغة العربية قد أفلحت في استقطاب اهتمام عدد لا يستهان به من المستمعين العرب نتيجة وجود فجوة التصديق بين المستمع العربي والاذاعات العربية بسبب روح المبالغة واللامسؤولية التي اتصفت بها معظم الاذاعات العربية في الماضي ، وعدم الاستفادة من أخطائها السابقة بدرجة كافيــة حتى الان . وكذلك يجري العمل لتقوية ارسال اذاعة اسرائيل وزيادة طاقتها بتركيب وحدتين اضافيتين احداهما للموجة المتوسطة وأخرى لقصيرة من النوع ذاته والقوة ذاتها المذكورة أعلاه لتقوية بث برامج اذاعة اسرائيل الموجهة للخارج بصورة عامة .

أما التلفزيون الاسرائيلي فقد أنشيء في وقت متأخر عن معظم البلدان العربية ، اذ جرى تشغيله في ربيع عام ١٩٦٨ في وجه معارضة دينية شديدة لانه يتعارض وتعاليم الديانة اليهودية . وحتى خريف عام ١٩٧٠ كان التلفزيون يتوقف عــن البث تماما لمدة أربع وعشرين ساعة كل اسبوع تقيدا بشعائر يوم السبت اليهودي من مساء الجمعة حتى مساء السبت . وقد تغلبت الحكومة على المعارضة الدينية لانشاء محطة للتلفزيون لانها تعللت بضرورة توجيه سكان المناطق المحتلة والاقطار العربية المجاورة مما يجعله ركنا أساسيا في اقرار الامن . وطبعا ضرورات الامن هي « البقرة المقدسة » في اسرائيل التي تبرر كل شيء حتى الاذن للصبيان والاطفال بحفر الخنادق والملاجيء يوم السبت عشية حرب حزيران . هذا ويبث التلفزيون الاسرائيلي برنامجا باللغة العربية لمدة ساعتين ، واذاعة اسرائيل عضو في رابطة محطات الاذاعة الاوروبية وتبث برامج هذه الرابطة كما ان اذاعات الرابطة الاوروبية تبث برامج اذاعة اسرائيل لا سيما في المناسبات المهمة مثل « عيد الاستقلال الاسرائيلي » . وترسل اسرائيل برامج مسجلة للاذاعات الاخرى في البلدان التي لا تسمع فيها برامج اسرائيل علــى الموجة القصيرة وذلك باللغــات الانكليزية واليديش والاسبانية والبولونية والبرتغالية والفرنسية ، **وهي تتعاون في ذلك مع (٦٦) محطة اذاعة في بلدان أمريكا اللاتينية و(٥٠) محطــة في الولايات المتحدة وكندا . وهنالك برامج خاصة باللغة الاسبانية ترسل الى اذاعة برشلونة لبرنامج شريط الانباء فيها . وقد أرسلت اذاعة اسرائيل في العام ١٩٧٠ نحو (٨٠٠) برنامج اذاعي مسجلة على أشرطة باللغتين الفرنسية والانكليزية لاربعين بلدا افريقيا .** وتشتمل هذه البرامج في كثير من الاحيان على اخبار من اسرائيل واستعراض لاحداث الشرق الاوسط. وكذلك تعد الاذاعة الاسرائيلية برنامج « هنا اسرائيل » باللغة العبرية يرسل كل اسبوع الى عدد من المحطات في الولايات المتحدة وكندا(٤).

ثانيا : أجهزة الاعلام في وزارة الخارجية الاسرائيلية :

تعتبر وزارة الخارجية الاسرائيلية بكاملها جهازا اعلاميا متكامل النشاطات بل هي ركيزة الاعلام الاسرائيلي الخارجي اي الموجه لدول وشعوب العالم الخارجي كما انهــا هي الموجه والمنسق لمجمل الاعلام الصهيوني في الخــارج الذي تتولاه الجمعيات والهيئات الصهيونية في المجتمعات التي تتواجد فيها جاليات او طوائف يهودية .

وفي عام ١٩٧٠ كان عدد موظفي وزارة الخارجية الاسرائيلية ٨٧٠ موظفا ديبلوماسيا نصفهم يعملون في ممثليات اسرائيل في الخارج ، يضاف الى ذلك الموظفون الذين يعينون محليا في تلك الممثليات وعددهم يساوي تقريبا الديبلوماسيين . وفي السنة ذاتهــا كان

لاسرائيل تمثيل ديبلوماسي في ٧٣ دولة ، كما كان يوجد لاسرائيل تمثيل غير مقيم في ٢٣ دولة . وكان توزيع ممثليات اسرائيل كالتالي : ٦٦ سفارة وأربع مفوضيات و١٨ قنصلية عامة وقنصليتان ، بينما هنالك (٥١) دولة فقط لهـا تمثيل ديبلوماسي في اسرائيل . وتوجد ٢٢ من البعثات الديبلوماسيـة في القدس و٢٤ في تل أبيب والباقي في عواصم خارج اسرائيل .

كذلك ، ان اسرائيل عضو في ٥٢ منظمة دولية ومهنية ومتخصصة أو حكومية بما في ذلك الامم المتحدة ووكالاتها المختصة . كما ان منظمات اسرائيـل ومعاهدها وهيئاتها الاقتصادية والعلمية والمهنية والثقافية تنتسب لعضوية قرابة ٦٠٠ من الهيئات الدولية والحكومية . وتتعامل الديبلوماسية الاسرائيلية في الخارج مع الجماهير اكثر منهـا مع الحكام . وتعتبر وزارة الخارجية الاسرائيلية بعثاتها الديبلوماسية في الخارج اجهزة تعمل على تشجيع الهجرة الى اسرائيل وهي تسعى بالذات لاستقطاب المتطوعين من الشبان اليهود الذين أنهوا خدماتهم العسكرية في البلدان المختلفة ، وايضا تنظيم أمور الجباية في الخارج لجمع المزيد من التبرعات المالية والمادية من اليهود وغيرهم . وكذلك توثيق عرى الترابط والتلاحم بين اسرائيل والمجتمعات اليهودية في الخارج بحيث تصبح اسرائيل قولا وفعلا هي الناطق بلسان اليهودية العالمية والممثل « الشرعي » لها .

واهم دوائر وزارة الخارجية الاسرائيلية التي تتولى النشاطات الاعلامية المتنوعة هي :

أ) **دائرة الاعلام** : يمكن اعتبار دائرة الاعلام في وزارة الخارجية الاسرائيلية هي الجهة المسؤولة عن تخطيط وتنسيق نشاطات الاعلام الاسرائيلي والصهيوني عـامة في دول العالم الخارجي . وفي عام ١٩٧٠ شكل وزير الخارجية هيئة استشارية من الشخصيات العامة والمثقفين المختصين في وسائل الاعلام لمعاونة هذه الدائرة في رسـم الخطـط الاعلامية ويضيق المقام عن تفصيل انواع النشاطات الاعلامية التي تقوم بها او تعدها وترعاها . ومنها على سبيل المثال في العام ١٩٦٩ :

١) الاتفاق مع الصحف العالمية على اصدار ملاحق خاصة عن اسرائيل او اعداد خاصة عنها بلغ عددها ثلاثين ملحقا او عددا خاصا .

٢) تنظيم سلاسل من المقالات حول المناسبات الاسرائيلية الهامة مثل عيد الاستقلال او ذكرى الانتصار في حرب حزيران او ما الى ذلك ونشرها في اوسع نطاق .

٣) اعداد وتوزيع نحو ١٢٠ كراسا او كتيبا او كتابا جديدا طبع منها نحو ١،٥٥٠،٠٠٠ نسخة باللغـات الانكليزية والفرنسية والاسبـانية والالمانية كما هي العادة ، ولكـن زيدت عليها في تلك السنة اللغات الايطالية والبرتغالية والرومانية والسويدية والفنلندية واليابانية والتركية والامهرية (لغة الحبشة) واليونانية ولغة التاغلوغ (لغة الفلبيـن الرسمية) والاسبرنتو وهي اللغة العالمية(٥).

٤) اصدار نشرتين دوريتين نصف شهريتين جديدتين احداهما بعنوان : « أخبار ومشاكل الشرق الاوسط » والثانية بعنوان : « صحائف حول خلفيات الاحداث » . وارسـال نشرات المكتب الصحفي التابع لرئاسة الوزراء لمكاتب الصحف ومحطـات الاذاعـة والتلفزيون مباشرة لا سيما في امريكا اللاتينية والاقطار الناطقة بالفرنسية .

٥) تنظيم جولات ١٥٠ معرضا جوالا في شتى الحواضر والمدن ، واضيف اليها في ذلك العام ١٥ معرضا جوالا جديدا تركز على الجوانب السياسية من اوضاع اسرائيل .

٦) اعداد ٢٥ مسلسلا جديدا من الصور الملونة (السلايدات) حول مختلف جـوانب الحياة الاسرائيلية .

٧) اعداد أفلام دعائية جديدة ومواصلة توزيع وتعميم سلسلة الافلام الوثائقية والدعائية الاسرائيلية في شتى أنحاء العالم .

٨) تنظيم جولات من المحاضرات لنحو ١٠٠ محاضر بينهم عدد من العرب لاقطار اوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وافريقيا وشرقي آسيا واستراليا .

٩) دعوة ما يزيد على مائتي صحفي من شتى انحاء العالم وكذلك عشرات من فرق التصوير التلفزيوني والمعلقين الاذاعيين والتلفزيونيين .

١٠) تنسيق الاتصالات مع المنظمات الطلابية في اسرائيل والخارج لتنظيم النشاطات الاعلامية التي تقوم بها . ومساعدة الطلاب الاسرائيليين على حضور الاجتماعات والندوات في الخارج ، وكذلك مساعدتها في نفقات طبع المطبوعات والملصقات التي يعدونها ، وايضا تنظيم المؤتمرات والندوات الطلابية العالمية في اسرائيل .

١١) تنظيم حملة اعلامية خاصة موجهة « لليسار الجديد » في صفوف الطلاب في اوروبا الغربية وامريكا الشمالية . وتنظيم ندوات « تصحيحية » بهذا الصدد في اسرائيل وفي الخارج . « وقد كان من انجح هذه الندوات تلك التي عقدت في باريس في اوائل عام ١٩٦٩ وحضرها بصورة اساسية مجموعات من الشبان اليهود اليساريين »(٦) .

ب ــ **دائرة التعاون الدولي** : تتولى هذه الدائرة تنسيق ومتابعة برامج للتعاون الفني والعلمي والتدريب مع قرابة ٨٠ دولة في افريقيا وآسيا والشرق الاوسط وامريكا اللاتينية . وقد اسست هذه الدائرة في عام ١٩٥٨ لتنفذ برامج التدريب الحيوية للشباب من بلدان العالم الثالث لتتسلل من خلال هذه النشاطات الى شتى جوانب حياة هذه البلدان . وقد كان من عوامل نجاح مخططها هذا للنفاذ الى افريقيا وآسيا هو فتح طريق الملاحة أمامها عبر خليج العقبة ومضائق تيران اثر حرب السويس . وتشمل البرامج التي تنظمها هذه الدائرة التدريب على مهمات متنوعة عديدة ابتداء من أساليب مكافحة الافات الزراعية حتى الطب والهندسة وامور ادارة النقابات العمالية الخ ... **وحتى نهاية عام ١٩٧٠ بلغ عدد الشباب من بلدان العالم الثالث الذين تدربوا في اسرائيل بمقتضى هذه البرامج نحو ١٣،٠٠٠ متدرب ، كما تم تدريب نحو (٦٠٠٠) آخرين حضروا دورات أعدتها اسرائيل في بلاد المتدربين انفسهم(٧). وفي المدة ذاتها اكمل نحو (٣٥٠٠) خبير ومدرب اسرائيلي مهمات تدريبية في بلدان العالم الثالث المشمولة بهذه البرامج** . وتتعاون دائرة التعاون الدولي في اعداد وتخطيط برامج التدريب هذه مع كل من : مركز التعاون والانماء الزراعي للبلدان النامية ، ودائرة التدريب الخارجي في وزارة الزراعة ، ودائرة التعاون والارتباط الخارجي في وزارة الدفاع ، ومع وزارة الصحة ومعاهد البحوث والتعليم العالي والهستدروت وحركات الاستيطان .

جـ ــ **دائرة العلاقات الثقافية والعلمية** : مهمة هذه الدائرة هي تطوير علاقات اسرائيل مع دول العالم الاخرى في المجالات العلمية والثقافية والفنية لخلق صورة عامة زاهية لاسرائيل في العالم ، فهي بالتالي ركن أساسي من اركان الاعلام الاسرائيلي والصهيوني ، وتقوم بما يلي :

١) عقد اتفاقيات التعاون العلمي والثقافي والفني مع بلدان العالم الخارجي ، ففي عام ١٩٦٩ كانت اسرائيل ترتبط بدول العالم الاخرى بثمانية وعشرين اتفاقية ثقافية تتضمن فتح مراكز ومعاهد في تلك البلدان لدراسة الثقافة الاسرائيلية ، وتخصيص كراسي للدراسات العبرية في جامعات تلك البلدان وما الى ذلك ...

٢) نشر التراث الادبي والفكري العبري بتوزيع الكتب العبرية وترجمتها للغات اخرى .

٣) توجيه الدعوات للمثقفين والعلماء والكتاب لزيارة اسرائيل وتنظيم زيارة اقرانهم الاسرائيليين لدول العالم الخارجي .

٤) رعاية المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية والفنية والثقافية في اسرائيل، وتشجيع العلماء والمثقفين والفنانين الاسرائيليين للاشتراك في مثل هذه الاحداث والمناسبات في الخارج مما يكسب اسرائيل مكانة رفيعة لدىالاوساط العلمية والفنية والثقافية فيالعالم.

٥) تنظيم زيارة الفرق الرياضية والمسرحية والموسيقية والراقصة الاسرائيلية لبلدان العالم الخارجي .

٦) تنظيم المعارض الثقافية والفنية في الخارج ، ولعل أشهرها من الناحية الدعائية معرض « مسادا » المتجول الذي عرض في شتى انحاء الولايات المتحدة ثم في اوروبا الغربية .

٧) اصدار المجلة الدورية « اريال » التي تعنى بشؤون الفنون والثقافة باللغات الانكليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية .

د ـ **المكتب الصحفي بوزارة الخارجية** : ومهمته تزويد الصحافة المحلية والمراسلين الاجانب بالانباء يوميا ، وترتيب مقابلات الصحفيين لمسؤولي الخارجية الاسرائيلية وكذلك ارسال ملخص يومي بمحتويات الصحف الاسرائيلية لبعثات اسرائيل الديبلوماسية في الخارج وتنسيق ما يرده من البعثات الديبلوماسية الاسرائيلية من ملخص اقوال الصحف في البلدان الخارجية ، وتوفير خدمة صحفية طوال ٢٤ ساعة سواء للمراسلين المحليين او لوسائل الاعلام في الخارج بواسطة خط الهاتف الدولي المفتوح ليلا ونهارا .

هـ ـ **قسم رعاية الضيوف الرسميين** : يتولى هذا القسم اعداد برامج زيارات الضيوف الرسميين حسب رغبة وذوق واهواء كل منهم للفوز برضاهم . ففي عام ١٩٦٩ مثلا ، بلغ عدد ضيوف وزارة الخارجية الاسرائيلية الرسميين زهاء ١٥٠٠ ضيف من ٧١ بلدا(٨) جاؤوا في زيارات فردية او جماعية ، ومنها ما كان زيارات خاصة او لحضور مؤتمرات في اسرائيل، وكان من بين هؤلاء الزوار عدد من رؤساء الدول ورؤساء الوزراء ورؤساء المجالس النيابية والقادة العماليون والاساتذة الجامعيون والطلاب والكتاب والفنانون والصحفيون ورجال القانون والاقتصاد والعلماء والاطباء ورجال الدين واللاهوت .

ثالثا : مركز الاعلام في وزارة التربية :

هذا المركز هو ما كان يدعى سابقا مكتب المعلومات المركزي وكان تابعا لرئاسة الوزراء ، ولكن بعد نقاش وجدل طويلين جرى في الكنيست وعلى صفحات الصحف الاسرائيلية في عام ١٩٦٩ حول دمج الخدمات الاعلامية جميعها في وزارة واحدة يعهد بها الى اسرائيل غاليلي الوزير بلا وزارة والمقرب من غولدا مئير ، وازاء اصرار ابا ايبن على احتفاظ وزارة الخارجية بادارة وتوجيه الاعلام الخارجي وكذلك ازاء اصرار ييغال آلون وزير التربية والثقافة ونائب رئيسة الوزراء على اشراف وزارته على جانب من الاعلام لا سيما الاعلام الداخلي تقرر ابقاء اسرائيل غاليلي وزيرا بلا وزارة مسؤولا عن التصريحات الرسمية الصادرة عن رئاسة الوزراء وعن نشاطات « مكتب الحكومة الصحفي » التابع لرئاسة الوزراء كما يشرف على تطبيق قانون سلطة الاذاعة والتلفزيون بينما نقل « مكتب المعلومات المركزي » في شهر نيسان ١٩٧٠ من رئاسة الوزراء والحق بوزارة التربية والثقافة حيث سمي « مركز الاعلام » . وهو يتولى اعداد وتوجيه جانب أساسي من الاعلام الداخلي اي الموجه لسكان اسرائيل من اليهود والفلسطينيين الى جانب النشاطات والمواد الاعلامية العامة الموجهة للمجتمعات اليهودية في الخارج ولمجتمعات العالم الخارجي بوجه عام .

١ ـ تجنيد المتحدثين والخطباء في الاجتماعات التي تعقد في اسرائيل في المناسبات العامة مثل ذكرى مذابح اليهود على يد النازية او لاحياء ذكرى انتفاضة الغيتو اليهودي في

وارسو او غيرهما او لمناسبة « عيد الاستقلال » او الانتصار في حرب حزيران الخ . . . وللحديث عن انجازات الدولة وسياستها من القضايا الحيوية مثل « قضية الامن » ومصير المناطق العربية المحتلة الخ . . . وايضا تنظيم محاضرات للسياح بلغات مختلفة ، وتنظيم لقاءات بين المهاجرين اليهود الجدد الى اسرائيل والمواطنين القدامى .

٢ ــ عرض الافلام التوجيهية والتربوية وغيرها في القرى والنواحي والمدن والاحياء والمنتزهات والميادين والقاعات العامة ، وكذلك تنظيم حفلات موسيقية ومسرحية في القرى والنواحي والمدن الصغيرة ، وايضا تنظيم احتفالات وتمثيليات وبرامج فنية لاحياء بعض المناسبات ، مثلا في عام ١٩٦٩ اقامة احتفال في « كفار جلعادي » (وهي مستعمرة في منطقة الحولة) احتفاء بمرور الذكرى الستين لتأسيس فرق الهاشومير (الحارس) فيها وهي احدى العصابات المسلحة الصهيونية ، او مثلا رواية قصة مدينة ايلات (العقبة) ببرنامج « الصوت والضوء » في عام ١٩٦٩ احتفاء بمرور عشرين عاما على ذكرى « تحريرها » . وفي عام ١٩٧٠ اعداد برامج « الصوت والضوء » احتفالا بالذكرى الثلاثين لتأسيس فرق الفتوة « الجدناع » والذكرى العشرين « لانقاذ » يهود العراق ، والذكرى الخامسة عشرة لتأسيس مدينة الناصرة العليا ، وما الى ذلك .

٣ ــ تنظيم جولات لزيارة المعالم الهامة داخل اسرائيل والمناطق المحتلة . ففي عام ١٩٦٩ نظم مركز الاعلام جولات من هذا النوع لحوالي مائة الف شخص من المهاجرين اليهود الجدد والطلاب والمتطوعين من الخارج ، وايضا لبعض هيئات موظفي المعاهد والمؤسسات العامة . وفي العام ذاته اشترك ما يقرب من ربع مليون شخص في النزهات التي نظمها المركز في غابات الصندوق القومي اليهودي والمتنزهات والحدائق العامة لمناسبة « عيد الاستقلال » . وفي « عيد الاضواء » اشترك خمسة آلاف شخص في جولات نظمها المركز لساحات القتال في حرب التحرير (الاغتصاب عام ١٩٤٨) وحرب الايام الستة (حزيران ١٩٦٧) .

٤ ــ تنظيم جولات سينمائية شهرية للقرى العربية ومضارب البدو في اسرائيل ، حيث يعرض فيها الجريدة السينمائية وفيلم طويل وافلام وثائقية . وأيضا تنظيم جولات داخل الارض المحتلة لفئات متنوعة من سكان القدس العربية .

٥ ــ تشجيع الطلاب الجامعيين وطلاب المعاهد العليا في اسرائيل والخارج على التطوع في مشروعات استيعاب المهاجرين ومساعدة قرى الحدود .

٦ ــ التركيز على الدعاية بين صفوف الاسرائيليين في الخارج وبين صفوف السواح .

٧ ــ تشكيل لجان اعلامية لخدمة منظمات مثل بناي بريث اليهودية الصهيونية والجمعيات الماسونية ونوادي الروتاري والليونز وعدد آخر من جمعيات الصداقة بين اسرائيل والدول الاخرى لتزويدها بسرعة بأكبر قدر من المواد الدعائية لتتولى توزيعها وتعميمها على مختلف فروعها في البلدان الاخرى .

٨ ــ تأمين الاعانات والمساعدات لقرى الحدود مثل توفير منح ومساعدات للدراسة العليا لابنائها وتزويدها بمعدات للملاجىء وملاعب رياضية واماكن للتسلية واللهو .

٩ ــ العناية بالمنظمات الدينية بتنظيم اجتماعات وحلقات دراسية وايضا تنظيم أمسيات من الاناشيد والتراتيل الدينية للمزامير مساء السبت للسياح اليهود المتدينين لربط اليهود في الخارج دينيا وعاطفيا باسرائيل .

١٠ ــ توجيه السياح وبث الدعاية الاسرائيلية بينهم والسعي لاقناع اليهود منهم للاقامة في اسرائيل . وتنظيم أمسيات من نوع « أسئلة وأجوبة » للشبان السياح الذين يمضون فترات في الكيبوتزات ، ثم ارسال آلاف من بطاقات التهنئة بالسنة الجديدة وشهادات

التقدير من ادارة الكيبوتزات الى الشبان الذين عاشوا فيها بعض الوقت . وايضا تنظيم امسيات من « الاسئلة والاجوبة » للسياح في الفنادق حيث يقيمون كما توزع عليهم ايضا مئات آلاف النسخ من بطاقات ومنشورات الدعاية . وكذلك زودت بيوت الضيافة في القرى بمجموعات متنوعة من الصور الملونة (السلايدات) حول الحياة في اسرائيل والكيبوتزات الخ . .

١١ ــ توجيه عناية خاصة للعناصر الطلابية والجامعية الاسرائيلية للاستفادة منها في اغراض الدعاية بين صفوف الزوار والسياح ، وأيضا توجيه عناية خاصة للعناصر الطلابية في الخارج ، **وقد تم بواسطة مكتب ارتباط طلابي في لندن تنظيم اتصالات مع جميع المراكز الطلابية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة ، ويرسل مكتب الارتباط المذكور في لندن النشرات الدعائية الاسرائيلية لحوالي ١١٦٠٠٠ طالب بانتظام** . وكذلك يتم توجيه جميع الطلبة الاسرائيليين المسافرين للدراسة في الخارج كما يتم توجيه مبعوثي الوكالة اليهودية المنتشرين في شتى الانحاء .

١٢ ــ استخدام فروع ومكاتب الشركات الاسرائيلية في الخارج في الاغراض الدعائية ، فهناك اتصال مستمر مع مكاتب شركة العال (الطيران الاسرائيلي) وشركة تسيم (الملاحة الاسرائيلية) وشركة سوليل بونيه (مقاولات البناء والانشاءات) العالمية النشاط وبنك ليئومي وغيرها حيث يتم تزويدها بالمواد الدعائية .

١٣ ــ اعداد مطبوعات ونشرات دعائية متنوعة لا سيما حول قضايا الساعة ، ففي عام ١٩٦٩ بلغ عدد النسخ المطبوعة من هذه الكراريس والمطبوعات الدعائية ٨٥٠،٠٠٠ نسخة ، وكان من بين الموضوعات التي عالجتها : « مقارنة بين قرى عربية على جانبي خط وقف اطلاق النار » ، « الحياة في قرى الحدود » ، « المنظمات الارهابية على حقيقتها » ، « محنة اليهود في البلدان العربية » ، « التغلغل السوفييتي في الشرق الاوسط » ، « اسرائيل ــ دولة ديموقراطية في الشرق الاوسط » .

١٤ ــ اعداد أفلام دعائية تتناول موضوعات شتى مثل : « اسرائيل تتكلم » ، « اللواء ٤٥ عملياته في حرب الايام الستة » ، « مهاجر يتحدث الى مهاجر » الذي يعالج مشاكل المهاجرين والاستيعاب في اسرائيل . ويسجل الصوت على معظم هذه الافلام بسبع لغات مختلفة ، وبيع منها عام ١٩٧٠ نحو (٥٠٠) شريط ، وهي توزع للعرض مجانا في الخارج بواسطة مكاتب وزارة الخارجية او وزارة السياحة أو الوكالة اليهودية والهيئات اليهودية الخ . . .

١٥ ــ اصدار نشرات منتظمة مثل النشرة الدورية للسياح بعنوان « بون فوياج » (رحلة طيبة) ، ونشرة سياسية بعنوان : « اعرف بماذا تجيب » وايضا « نشرة معلومات » .

رابعا : الاجهزة الاعلامية في وزارة الدفاع الاسرائيلية :

ا ــ **دائرة التعاون والارتباط الخارجي في وزارة الدفاع الاسرائيلية** : أنشئت هذه الدائرة في وزارة الدفاع الاسرائيلية في عام ١٩٥٩ عشية تعاظم موجة الاستقلال في افريقيا . فاستغلت اسرائيل الفرصة التي أتيحت لها بفتح مضيق شرم الشيخ امام حركة ملاحتها من ميناء ايلات (العقبة) باتجاه أقطار افريقيا وآسيا اثر حرب السويس ، فاستبقت التطورات اللاحقة وهي حركة استقلال دول افريقيا وآسيا في موجة عارمة فخططت برامج تدريب في شتى فروع الادارة والاعمال مدركة ان هذا بالذات هو ما تحتاج اليه هذه الدول الافريقية والاسيوية الناشئة حاجة ماسة نظرا لافتقارها الى الكوادر المدربة الضرورية لتصريف أمور الدولة والقيام باعباء ادارتها وتنفيذ مشاريع التنمية فيها . وقد راهنت اسرائيل على ان هذه الدول الناشئة الحذرة من التعامل مع الدول الكبرى والحساسة من ناحية سيادتها الوطنية ستفضل التوجه الى اسرائيل طلبا للخبرة الفنية

والتدريب على اللجوء الى معونة الدول الاوروبية والامريكية الاخرى « فماضينا غير ملطخ بالاستعمار وميولنا ومبادئنا تحضنا على التعاون »(٩).

واخذت اسرائيل ابتداء من عام ١٩٥٩ تستقبل جماعات من المبعوثين الافريقيين والآسيويين للتدرب فيها على شتى المهارات العسكرية كما اخذت اسرائيل ترسل مدربيها العسكريين الى بلدان آسيا وافريقيا لتدريب وحدات قواتها المسلحة الناشئة . **وحتى عام ١٩٧٠ قامت اسرائيل بتدريب نحو عشرين الفا من الكوادر العسكرية من ثلاثة وثلاثين بلدا في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية على أنواع شتى من المهارات العسكرية** فدربت في عدد كبير من الاقطار مجموعات الرواد وانشأت فرقا فيها على غرار فرق الناحال (شبيبة اسرائيل الطلائعية) في الجيش الاسرائيلي وهي فرق « المزارع — المقاتل » ، كما قامت ضابطات من فيلق النساء الاسرائيلي بتدريب الفتيات في عدد من البلدان على أصول النظافة الصحية والتدبير المنزلي والعناية بالاطفال وحتى أصول القراءة والكتابة .

وكذلك نظمت هذه الدائرة في اسرائيل خلال هذه الفترة ثماني دورات للتدريب على شؤون رعاية الشباب تخرج منها ٥٥٠ مدربا من ٤٧ بلدا آسيويا وافريقيا وامريكيا لاتينيا . وقد ساعد الخبراء والمدربون العسكريون الاسرائيليون في انشاء كلية للطيران وأخرى للبحرية في غانا وتدريب قادة وضباط الارتال في سيراليون ، كما قامت بتدريب القوات البرية والجوية في اوغنده ، وتدريب فرق المظلات في الكونغو كينشاسا ونيبال وايضا أمدت جيش سنغافوره بالخبراء لتطويره .

ب — **دار النشر في وزارة الدفاع الاسرائيلية** : تقوم دار النشر التابعة للجيش بمهمات كبيرة في الاعلام الاسرائيلي الداخلي لا سيما الموجه منه لافراد الجيش . وهي الموزع الوحيد للكتب التي تصدرها الحكومة وكذلك مطبوعات ارشيف « ياد فشيم » أي (اليد والاسم) ومعظمها تتعلق بتاريخ اليهود ... وتتولى دار النشر هذه اصدار كتب متنوعة تتناول الموضوعات الجغرافية والتاريخية وأيضا الكتب العسكرية المتعلقة بمختلف الاسلحة . كذلك تصدر هذه الدار عددا كبيرا من المجلات الاسبوعية والشهرية الموجهة لمنتسبي مختلف اسلحة الجيش واهمها مجلة « بماحانيه » أي (الثكنة) وهي مجلة انجندي الاسبوعية . غير أن جميع هذه المجلات لا توزع اكثر من ١٤٠،٠٠٠ نسخة . وفي عام ١٩٧٠ نشرت دار النشر هذه ١٩ كتابا جديدا طبعت منها ١٢٧،٠٠٠ نسخة . وجميع هذه الكتب تقريبا باللغة العبرية .

جـ — **متاحف الجيش الاسرائيلي** : تهتم وزارة الدفاع الاسرائيلية بانشاء المتاحف العسكرية المتنوعة كوسيلة ناجعة من وسائل الاعلام الداخلي . وآخر ما انشأته من متاحف « بيت الهاغناه » في تل ابيب ، وهنالك « متحف الهجرة غير المشروعة »، و«متحف البحرية » في حيفا ومتحف « بيت هاشومير » أي (بيت الحارس) في كفار جلعادي (قرب الحولة) وجميع هذه المتاحف تهدف الى تنمية الشعور القومي لدى الفرد الاسرائيلي وتوثيق عرى ارتباطه العاطفي بالجيش وبالقضية الصهيونية بشكل عام .

خامسا : أجهزة الاعلام في مكتب رئاسة الوزراء :

لقد نقل في نيسان ١٩٧٠ جهاز الاعلام الرئيسي وهو « مكتب المعلومات المركزي » من مكتب رئاسة الوزراء والحق بوزارة التربية حيث أصبح يدعى « مركز الاعلام » ، ولكن بقيت تابعة لرئاسة الوزراء أجهزة اعلامية صغيرة مسؤول عنها حاليا اسرائيل غاليلي الوزير بلا وزارة . واهم هذه الاجهزة :

أ — **مكتب الصحافة الحكومي** : وهو يقدم الخدمات الصحفية السريعة والفعالة لرجال

الصحافة المحلية والاجنبية ويضع تحت تصرفهم التسهيلات المناسبة مثل اجهزة التلكس والهاتف المتعدد الخطوط الخ .

ب ـ **قسم التعميم والنشر** : ومهمته تخطيط وتنفيذ الدعاية الحكومية الموجهة للمجتمع الاسرائيلي وتوجيه الرأي العام المحلي من خلال شتى وسائل الاعلام المتوفرة في البلاد.

سادسا : النشاطات الاعلامية لوزارة السياحة الاسرائيلية :

لا تنظر اسرائيل للسياحة كأحد المصادر الهامة للدخل القومي والعملات الصعبة فحسب بل كبؤرة صالحة لبث الدعاية الاسرائيلية والصهيونية ، ومما يشجع اسرائيل على المضي قدما في هذا السبيل ان تدفق السياح عليها هو في ازدياد منذ عام ١٩٦٧ . **ومنذ وقف اطلاق النار في شهر آب ١٩٧٠ زاد عدد السياح الوافدين الى اسرائيل زيادة كبيرة . ففي حين كان عدد السياح في عام ١٩٦٩ زهاء ٤٠٨٩٧٤ سائحا زاد في عام ١٩٧٢ على ٧٥٠ الف سائح .** وكان دخل اسرائيل من السياحة عام ١٩٦٩ أكثر من (١٠٠) مليون دولار ، وتعتبر السياحة اكبر مصدر للعملات الصعبة . وتدرك اسرائيل ان الكثير من السياح يقومون عند رجوعهم الى بلادهم بالكتابة عن مشاهدتهم في اسرائيل او التحدث عنها في الاذاعة والتلفزيون أو يتحدثون عنها في الندوات والجمعيات والنوادي التي ينتسبون اليها ، ولذلك تحرص على ان تبث دعاياتها بين هؤلاء السياح بأشكال شتى ، فهي تنظم في أماكن تجمع السياح بالتعاون مع شركة العال للطيران وشركة تسيم للملاحة « أمسيات سياحية » تتضمن محاضرة للسياح عن اسرائيل وتفسح امامهم المجال لتوجيه الاسئلة والاستفسارات . وتكثر اسرائيل من طبع النشرات السياحية التي تضمنها دعايات سياسية ذكية مبطنة . **ففي العام ١٩٦٩ أعدت وزارة السياحة زهاء ٥٠ نشرة سياحية متنوعة وزعت منها في شتى انحاء العالم قرابة ستة ملايين نسخة ، هذا علاوة على الخرائط والصور والملصقات والبومات الصور والكلمات والتسجيلات الصوتية او الفنائية والافلام .**

ومن جهة أخرى تشجع اسرائيل عقد المؤتمرات فيها لشتى الاغراض طالما لا تتعارض والاستراتيجية الاسرائيلية لما لهذه المؤتمرات من قيمة دعائية كبرى ولانها تجلب الى اسرائيل اعدادا وافرة من الشخصيات المؤثرة . ففي عام ١٩٦٦ عقد في اسرائيل ٢٨ مؤتمرا دوليا أو اقليميا وما الى ذلك ، ولكن في عام ١٩٦٩ ارتفع عدد هذه المؤتمرات الى ٥٧ مؤتمرا .

وجدير بالذكر ان الفتيان والطلاب يشكلون نحو ربع عدد السياح الوافدين الى اسرائيل وهؤلاء بطبيعة الحال هم الجماعة الديناميكية المؤهلة للتأثير في المستقبل .

سابعا : الجامعات والمعاهد المختصة في اسرائيل :

تلعب الجامعات والمعاهد في اسرائيل دورا هاما فيتنفيذ المخططات الاعلامية الاسرائيلية. وهي تساهم في المؤتمرات الدولية ، وتنشىء العلاقات مع المؤسسات العلمية والثقافية في الخارج وتستقبل الطلاب وتعد البرامج لتدريب آلاف الشبان من بلدان العالم الثالث على وجه الخصوص . وتساهم اجمالا في اكساب اسرائيل صورة عامة زاهية ومشرقة في أعين العالم الخارجي . وتعمل على غرس روابط عاطفية وثقافية وطيدة في نفوس المتدربين فيها من حيث ارتباطهم باسرائيل ومشاعرهم تجاهها ، بحيث يعود « المتدرب الخريج الى بلده وهو يشعر بحنين حاد لاسرائيل »(١٠) كما قال ليفي اشكول في أحد خطبه في مركز جبل الكرمل الدولي للتدريب .

وفي اسرائيل خمس جامعات اقدمها واهمها الجامعة العبرية في القدس التي تأسست عام ١٩١٨ ويوجد فيها كلية الطب ـ هداسا ، وهناك ايضا جامعة تل ابيب التي تأسست عام ١٩٥٣ وجامعة حيفا التي تأسست عام ١٩٦٣ ، وجامعة بار ايلان في

رامات غان قرب تل ابيب وقد تأسست عام ١٩٥٥ ، وجامعة النقب في بئر السبع وقد تأسست عام ١٩٦٩ . وفي اسرائيل كليتان علميتان لهما شهرة دولية هما : معهد التخنيون في حيفا (معهد اسرائيل للتكنولوجيا) وقد تأسس عام ١٩٢٤ ، ومعهد وايزمن للعلوم في روحوبوت الذي انشىء عام ١٩٤٥ . وهناك عدد من المعاهد المختصة اسستها اسرائيل خصيصا لتدريب الوافدين من بلدان العالم الثالث منها :

أ ــ **المعهد الافرو ــ آسيوي في تل ابيب** : وقد انشأه الهستدروت (اتحاد عام نقابات عمال اسرائيل) في تل ابيب بمساعدة اتحاد عام النقابات العمالية الامريكية ، وهو ينظم دورات تدريبية متنوعة للكوادر العمالية من بلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

ب ــ **مركز جبل الكرمل الدولي للتدريب** : وقد انشأته بلدية حيفا بالتعاون مع اتحاد النساء السويدي وادارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الاسرائيلية . وهو يعقد دورات تدريبية في الزراعة وتنظيم الاسرة وشؤون الادارة للوافدين من بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

جـ ــ **مركز الابحاث الافريقية** : وهو يختص بدراسة مشاكل البلدان الافريقية واقتراح الحلول لها .

وقبل اختتام الحديث عن استخدام اسرائيل أسلوب التدريب على نطاق واسع للشبان من بلدان العالم الثالث كوسيلة للدعاية لا بد من التأكيد على ان اسرائيل بتخطيطها هذه البرامج التدريبية تجني أعظم قدر من الفوائد بأقل قدر من التكاليف . فهي تسعى لاستقبال المتدربين من أكبر عدد من البلدان ، ولا يقضي هؤلاء في اسرائيل سوى مدد محدودة تتراوح بين اسبوع وستة شهور في معظم الحالات باستثناء اعداد قليلة تقضي مددا أطول من ذلك . ثم ان اسرائيل تمول معظم هذه المعاهد من التبرعات من الهيئات الخارجية في دول اوروبا الغربية وامريكا المتواطئة معها . ومن جهة اخرى تتخذ اسرائيل برامج التدريب هذه وسيلة للتسلل الى اقتصاد البلدان النامية والتغلغل في مرافقها الحيوية فتفتح أمام الشركات الاسرائيلية فرصا ضخمة للاستثمار والاستغلال ، وبالتالي ، فان هذه البرامج التدريبية ــ الاعلامية الاسرائيلية هي في مجملها ربح صاف لاسرائيل .

ثامنا : أجهزة الاستخبارات الاسرائيلية أو جهاز دعاية العنف :

قد يبدو غريبا للوهلة الاولى أن تدرج الاستخبارات الاسرائيلية ضمن أجهزة الاعلام الصهيوني ، غير ان المتتبع لتاريخ الحركة الصهيونية يجد ان الاستخبارات الصهيونية ثم الاسرائيلية بعد ذلك قد لعبت دورا أساسيا ليس في شن الحرب النفسية فحسب بل وفي تخطيط أعمال عنف منسقة ترتكب عمدا وبعد تخطيط دقيق لاثارة ردود فعل معينة أو للتأثير على اتجاهات الرأي العام بهذه الصورة او تلك او تغير هذه الاتجاهات وخلق واقع جديد . وقد لخص هذا الواقع دافيد بن غوريون ذات مرة قائلا : « ان مهمة وزارة الخارجية الاسرائيلية هي أن تبرر وتفسر للعالم المغزى الكامن وراء عمليات جيش الدفاع الاسرائيلي » .

والعنف والارهاب كانا دائما هما الوجه الآخر للديبلوماسية الصهيونية . واذا كان هدف الاعلام النهائي هو توجيه الراي العام الوجهة المطلوبة لخدمة الاهداف النهائية للدولة ، فان العنف المخطط يؤدي بدوره الى تغيير الاتجاهات وتوجيه الرأي العام الوجهة المطلوبة خدمة للاهداف المتوخاة . وتتراوح اعمال العنف التي تمارسها دوائر الاستخبارات الاسرائيلية والصهيونية عامة بين التهديد كما يفعلون مثلا مع الصحفي أو السياسي الذي يسلك نهجا ضارا بهم وهذا أسلوب مارسوه مع معظم من ناصر القضية العربية من الكتاب والسياسيين الغربيين أو القيام بأعمال تخريب بقصد خلق حالة من

البلبلة في البلد او لافساد جو سياسي معين مثل العملية التي اشتهرت باسم لافون ، وهي عملية تخريب المنشآت الامريكيــة في مصر في عام ١٩٥٤ التي دبرتها اسرائيل في فترة كانت تقوم فيها علاقات وطيدة بين الحكم المصري والحكومــة الامريكية لتخريب هــذه العلاقات . وما نشهده هذه الايام من وضع الالغام والمتفجرات هنا وهناك او ارسال الطرود الملغومة ، وقد تشمل اساليب المخابرات الصهيونية الاقدام على اغتيال بعض الشخصيات لهذا الغرض او ذاك مثل اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في الشرق الاوسط في القاهرة عام ١٩٤٤ ، وقد اغتاله شابان من منظمة شتيرن الصهيونية في شوارع القاهرة للضغط على بريطانيا لفتح باب الهجرة اليهودية الى اسرائيل ولدفعها الى الرحيل عن فلسطين بعد ان نقلوا ولاءهم للامبريالية الامريكية الصاعدة آنئذ ، واغتيال وسيط الامم المتحدة السويدي الكونت فولك برنادوت في القدس في ٩/١٧/ ١٩٤٨ لادانته اليهود بانتهاك اتفاقية الهدنة . ولسنــا بعيدين عن الاخبار المتلاحقــة للارهاب الصهيوني المتمثل باغتيال الشهداء وائل زعيتر ومحمود الهمشري وحسين ابو الخير ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في روما وباريس وقبرص وعشرات الشبــان الفلسطينيين هنا وهناك وهنالك .

ومن اساليب الاستخبارات الصهيونية التي تستهدف منها تأثيرات اعلامية ونفسية معينة الاعتداءات المتكررة على حدود لبنان مثلا ورمي المنشورات على المناطق اللبنانية سعيا وراء زرع بذور التفرقة والشقاق بين الشعب اللبناني والفلسطينيــين او بين الجيش اللبناني ورجال المقاومة الفلسطينية الخ . . .

وتنظيم المذابح أيضا هو من الاساليب التي عمدت اليها الصهيونية لتحقيق أجواء نفسية معينة تحقق للصهيونيين أهدافهم . فمذبحة دير ياسين مثلا عام ١٩٤٨ ساهمت في خلق حالة نفسية أدت الى خروج اللاجئين الفلسطينيين من ديارهم ، وفي نهاية المطاف تأتي الحرب قمة دعاية العنف والحركة لتغيير الاتجاهات بصورة شاملة وخلق واقع جديد كما حدث في حرب حزيران وما خلقته من أجواء نفسية في طول البلاد العربية وعرضها .

ولقد سبق انشاء الاستخبارات الصهيونية اعلان قيام دولة اسرائيل بزمن طويل ، ومن المعروف ان الاستخبارات والجاسوسية هما سلاح الصهيونية الاول في الوصول الى اغراضها ومآربها وهو سلاح خبيث يتوافق وطبيعتها الخبيثة أتم التوافق . ومنذ ان بدأ الاستيطان الصهيوني في فلسطين على نطاق واسع اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى مباشرة ظهر نشاط جهاز الاستخبارات الصهيونية فيها وكان يدعى حينئذ « نيللي » ، ثم اطلق عليه بعد ذلك اسم « شيروت يديعوت » أي خدمات المعلومات ، واشتهرت باسمها المختصر (ش.ي.) وتلفظ « شاي » وكانت تابعــة لقوات الهاغنــاه نواة الجيش الاسرائيلي قبل انشاء دولة اسرائيل . وبعد اعلان قيام دولة اسرائيل اصبحت تدعى « شيروتيه بطاحون » أي خدمات الامن واختصارها (ش. ب.) وتلفظ « شين بيت » وتتوزع نشاطــات الاستخبارات الاسرائيلية على عدة دوائر فهنــاك الاستخبــارات العسكرية التابعة للجيش والاستخبــارات السياسيــة التابعة لوزارة الخارجيــة والاستخبارات الداخلية الجنائية ، بيد ان هنالك هيئة عليا تنسق بين نشاطات مختلف دوائر الاستخبارات هذه تعرف باسم « الموساد » اي « المؤسسة » ، ويلقب المسؤول الاعلى عن دوائر الاستخبارات المتعددة هذه بلقب « الميمونية » ومعناها « المشرف » . وقد ابتكر هذا الاصطلاح دافيد بن غوريون يوم كان رئيسا للوزراء ، واطلقه لاول مرة على الجنرال أيسر هرئيل اول المشرفين على هيئة التنسيق بين دوائر الاستخبارات المختلفة . والمشرف حاليا على الموساد في اسرائيل هو الجنرال مئير عميت الذي يحيط بشخصيته الغموض .

تاسعا : معاهد الرأي العام والشؤون العربية في اسرائيل :

منذ البداية سعى الصهيونيون الى دراسة طبيعة فلسطين والمناطق العربية المجاورة لها الجغرافية والاجتماعية من جميع الوجوه لكي يرسموا خططهم بدقة وبناء على معطيات علمية موضوعية للاهتداء الى أقصر الطرق وانجعها نحو أهدافهم العامة المرسومة . ومن هذا المنظار يمكن فهم الحافز وراء قدوم بعثة الاستكشاف الى فلسطين في الربع الاخير من القرن التاسع عشر حيث أجرت مسحا شاملا لفلسطين من جميع النواحي الجغرافية والاجتماعية ، أي ان الصهيونيين قد باشروا دراساتهم العلمية لواقع فلسطين حتى قبل ان يلتئم شملهم في مؤتمرهم الصهيوني الاول في بازل سويسرا ١٨٩٧ .

وفي اسرائيل اليوم عدة معاهد تتابع واقع عموم البلدان العربية وما يطرأ عليه من تطورات في شتى الميادين والنواحي أولا بأول وتحول ما تستخلصه من استنتاجات الى دوائر الدولة المختصة للاستفادة منها في تخطيط سياساتها ورسم خط سيرها . وأهم هذه المعاهد :

١ ــ **معهد الشؤون العربية في الجامعة العبرية** : ويعمل فيه خبراء ابحاث في الشؤون العربية يضعون دراسات خاصة بناء على طلب الجهات الرسمية الاسرائيلية .

٢ ــ **معهد روبين شيلواح** : ويقوم بمسح الصحافة الصادرة في جميع البلدان العربية ويستخلص منها الحقائق والوقائع والاستنتاجات المناسبة .

٣ ــ **معهد الاستماع الاذاعي** : وهو معهد تابع لرئاسة مجلس الوزراء في اسرائيل ومهمته تسجيل البرامج المذاعة من الاذاعات العربية جميعها ثم دراستها وتحليلها واستخلاص الاستنتاجات منها ووضعها ضمن الصورة السياسية للعالم العربي .

وقبل اختتام الحديث عن مؤسسات الاعلام الصهيوني واجهزته لا بد من التأكيد على واقع الترابط العضوي المتين القائم بين المؤسسة الحاكمة في اسرائيل والتنظيمات والهيئات الصهيونية المنتشرة في معظم انحاء العالم والتي تنظم صفوف المجتمعات اليهودية في شبكة مترابطة جيدة التنظيم . واسرائيل واجهزتها ومؤسساتها السياسية والاعلامية هي بمثابة الدماغ المفكر والمخطط في حين ان التنظيمات والهيئات الصهيونية المنتشرة في العالم هي بمثابة الاداة المنفذة لهذه الخطط الاعلامية والسياسية وهذا سر قوة الاعلام الصهيوني في العالم الغربي .

استراتيجية الاعلام الصهيوني

ليست استراتيجية الاعلام الصهيوني في اية مرحلة من المراحل التي اجتازها حتى الان سوى الوجه المعلن والمكشوف من الاستراتيجية السياسية للحركة الصهيونية في تلك المرحلة ، هذه الاستراتيجية السياسية التي هي بدورها مجرد جزء او طور من اطوار الاستراتيجية السياسية العامة للحركة الصهيونية كما تتبلور في اطار ظروف الزمان والمكان الملموسة في تلك المرحلة او ذلك الطور . فقد رسم المؤتمر الصهيوني الاول في بازل سويسرا ١٨٩٧ الخطوط العريضة للاستراتيجية الصهيونية العامة لانشاء الدولة اليهودية الحلم ، ومن خلال هذا الاطار العريض بدأ العمل لتنفيذ الخطط التفصيلية التي تؤمن بلوغ ذلك الهدف على مراحل متعاقبة وفق استراتيجيات سياسية مرحلية متعاقبة. واستراتيجية الاعلام الصهيوني في اي من هذه المراحل المتعاقبة لم تكن سوى انعكاس للاستراتيجية السياسية الصهيونية في تلك المرحلة ووليدتها . هذا مع العلم انه عند تطبيق الاستراتيجية الاعلامية في مرحلة من المراحل قد يلجأ الداعية او الدعاة الى تكتيكات ومناورات اعلامية يبدو ظاهريا انها تعارض الهدف العام المتوخى مثال ذلك ان وايزمن في فلسطين في مطلع فترة الانتداب البريطاني في اوائل العشرينات بذل جهدا كبيرا لتهدئة خواطر الزعماء الفلسطينيين والعرب في تلك الفترة وطمأنتهم بأن

الصهيونيين لا يضمرون شرا بالبلاد ولا بأهلها وذلك كسبا للوقت حتى يتاح للصهيونيين جلب المزيد من المهاجرين اليهود وكانوا في ذلك الوقت يشكلون قلة ضئيلة لا يتجاوزون المائة الف الا بقليل ، وما هذه المناورات والتكتيكات الاعلامية الصهيونية التي ما زلنا نعيش في دوامتها حتى اليوم سوى ضباب لاعماء العيون عن رؤية الغايات العدوانية التي يهدف الصهيونيون الى تحقيقها بخلق حقائق جديدة تصبح مع الزمن امرا واقعا .
ومنذ قيام اسرائيل كان الهدف الاول والاكبر للسياسة الخارجية الاسرائيلية والاعلام الاسرائيلي هو **العمل على ان تصبح اسرائيل موجودة في الخارج كضرورة عالمية عن طريق خلق الاحساس لدى الرأي العام العالمي في كل مكان بان سلام العالم وأمنه وتقدمه ورخاءه انما ترتبط جميعها ، الى حد كبير ، ببقاء اسرائيل والمحافظة عليها** . فلا يكفي الاعتراف الدولي بها لضمان وجودها من الخارج ، بل الضمانة هي في ان تصبح موجودة في الخارج : موجودة دائما ، وموجودة على كافة المستويات ، وموجودة في كل المجالات، أي ان تصبح ليس ضرورة « يهودية » فحسب ، بل وضرورة « غربية رأسمالية » ، و « اميركية لاتينية » و « شرقية اشتراكية » و « آسيوية افريقية » ايضا . وقد مر الاعلام الصهيوني بأربعة ادوار رئيسية حتى الان هي :

أ) **مرحلة ما قبل صدور وعد بلفور** : وهي مرحلة اثارة المشكلة وطرحها في الساحة ، وكانت الاستراتيجية السياسية في تلك المرحلة هي :

١ ــ بث الشعور القومي الصهيوني في صفوف المجتمعات اليهودية العالمية ودعوة يهود العالم الى الهجرة الى فلسطين .

٢ ــ الحصول على تأييد دولي ودعم من الدول الرئيسية في ذلك الزمن لفكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

٣ ــ تنظيم صفوف اليهود في العالم في منظمات وهيئات صهيونية لتعبئة طاقات الجسم اليهودي العالمي ووضعها في خدمة المخطط الصهيوني .

٤ ــ تأمين المنافذ لتسرب الهجرة اليهودية الى فلسطين .

ب) **مرحلة ما بعد صدور وعد بلفور حتى اعلان قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨** : وهي مرحلة ارساء اسس الكيان الصهيوني المعتزم في فلسطين وتهيئة الاجواء الدولية والمحلية النفسية والدبلوماسية لاستقباله . واهم ملامح الاستراتيجية السياسية الصهيونية في تلك المرحلة هي :

١ ــ جلب اكبر عدد ممكن من المهاجرين اليهود الى فلسطين وتأمين استيطانهم واستقرارهم فيها .

٢ ــ بناء المؤسسات الصهيونية في فلسطين وتنظيم صفوف المستوطنين اليهود فيها لتشكيل نواة مؤسسات الدولة الصهيونية المعتزم اقامتها .

٣ ــ التصدي لمقاومة الشعب الفلسطيني للمخططات الصهيونية وقتل الارادة الوطنية للشعب الفلسطيني تمهيدا للاستيلاء على وطنه واقتلاعه من أرضه .

٤ ــ استكمال تعبئة الجسم اليهودي العالمي وتنظيم صفوفه وتأمين التفافه ودعمه للمخطط الصهيوني .

٥ ــ تأمين الحصول على المزيد من دعم القوى الدولية للمخططات الصهيونية ، وتهيئة الاجواء العالمية لاستقبال الجنين الصهيوني غير الشرعي الوشيك الولادة .

وفي هذه المرحلة وضح بجلاء ارتباط الاعلام الصهيوني بالاستراتيجية السياسية الصهيونية وتلازمه مع وسائل العمل الاخرى على النحو الذي تبلور فيه ذلك بصورة مركزة في برنامج العمل الذي أقره المؤتمر الصهيوني الامريكي (مؤتمر بيلتمور) الذي

عقد في فندق بيلتمور في نيويورك عام ١٩٤٢ ، وهو البرنامج المعروف باسم « برنامج بيلتمور » حيث برزت فيه الدعوة رسميا لانشاء « دولة يهودية في فلسطين كجزء لا يتجزأ من « العالم الديمقراطي » !! » ، وانشاء قوة عسكرية يهودية معترف بها تقاتل تحت علمها الخاص الى جانب الحلفاء بالاضافة الى رفض الكتاب الابيض (الذي اصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩) ، والمطالبة بهجرة يهودية غير محدودة الى فلسطين تتم باشراف الوكالة اليهودية التام .

واثر انتهاء الحرب العالمية الثانية اوشك الاعلام الصهيوني ان يدخل مرحلة جديدة عندما وجه المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرون في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ نداء دعا فيه الامم المتحدة وجميع دول العالم الى تأييد « الشعب اليهودي » في مطالبته بانشاء دولة له في فلسطين وفي عضوية « الاسرة الدولية » !!

وقد حقق الاعلام الصهيوني ، آنئذ ، نجاحا يفوق الوصف حتى بدت قضية فلسطين لدى الراي العام الاوروبي والامريكي ، وهو الراي العام الدولي الوحيد الذي كان فعالا حينئذ ، عشية طرحها على الامم المتحدة عام ١٩٤٧ وكأنها قضية « الشعب » اليهودي « المضطهد » الذي « يكافح من أجل الاستقلال » ويرغب في فتح أبواب « بلاده » للمشردين من « ابنائه » في أوروبا .

وجدير بالذكر هنا ان الخط الاعلامي الصهيوني الثابت الذي لم يتغير منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى ألان هو التجاهل التام للطرف الاصيل في القضية وهو الشعب الفلسطيني .

جـ ـ **المرحلة الواقعة بين اعلان قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى حزيران ١٩٦٧** : في هذه المرحلة اعتمد الاعلام الصهيوني خط المراوغة من تطبيق قرارات منظمة الامم المتحدة المتعلقة بحقوق اللاجئين الفلسطينيين كسبا للوقت لتمتين وتثبيت قواعد الدولة الصهيونية . وكانت ابرز ملامح الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ـ الصهيونية في هذه المرحلة :

١ ـ بناء مؤسسات الدولة وتطويرها في شتى المجالات لتغدو « منارة العالم الغربي المتحضر المتقدم » على اطراف الشرق المتخلف ، وخلق القوة العسكرية الاسرائيلية القادرة على فرض مشيئتها على العالم العربي .

٢ ـ تأمين تدفق سيل المهاجرين اليهود الى اسرائيل وتأمين التفاف يهود العالم حول اسرائيل ودعمهم لها وخدمتهم اياها في شتى المجالات وكذلك الاستمرار في تنظيم صفوف الجسم اليهودي العالمي وتطوير منظماته وهيئاته لتعبئة طاقاته الى ابعد مدى ممكن .

٣ ـ تأمين اعتراف المجتمع الدولي قولا وفعلا « بشرعية » الكيان الاسرائيلي والفوز بتأييد ودعم اكبر عدد من دول العالم والتغلغل في صفوف المزيد من الشعوب لا سيما شعوب العالم الثالث لكسب الانصار لها بين هذه الشعوب .

٤ ـ الابقاء على تجزئة العالم العربي وبث الفرقة والشقاق في صفوفه وشل ارادته ومحاصرته وعزله دوليا وحرمانه من الاصدقاء وارغامه على الاقرار « بشرعية الوجود الاسرائيلي » واخضاعه لمشيئة اسرائيل وارادتها .

وبقيام دولة اسرائيل اصبحت جميع المؤسسات والهيئات وشتى نواحي الحياة الاسرائيلية في خدمة الاعلام الصهيوني ذلك ان موضوع الدعاية في العصر الحديث قد اصبح نشاط المواطن كله .

د ـ **المرحلة الراهنة ـ منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ حتى الان** : شهدت هذه المرحلة انقلابا في خط الدعاية الصهيونية في اكثر من مجال وان تكن الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية

ظلت تتقدم في الخط ذاته الـــذي تسير عليه . وهـــذا التناقض الشكلي الظاهري هو انعكاس لطبيعة المرحلة والظروف ولا ينفي التوافق والتلازم بين الاستراتيجية السياسية الصهيونية والاستراتيجية الاعلامية الصهيونية .

فعشية حرب حزيران ملأت اسرائيـــل والصهيونية الدنيا صراخـــا وعويلا على مصير اسرائيل الصغيرة وشعبهـــا المسكين هؤلاء ابناء شعب الله المختـــار الذين يواجهون « مسادا » جديدة(١١). في حين اظهـــرت الوثائع السياسية التي انكشفت بعد حزيران انه عندما اجتمع ليفي اشكول وليندون جونسون عام ١٩٦٧ في مزرعة الاخير في تكساس لوضع اللمسات الاخيرة على خطة العدوان على البلدان العربية كانت تقديرات المخابرات الاسرائيلية والامريكية المشتركـــة تشير الى ان اسرائيـــل ستحرز نصرا ساحقا على الجيوش العربية في غضون اسبوع واحد فقط وهو ما حصل فعلا . . . ولكن رغم ذلك كان الخط الاعلامي هو المسكنة لتعبئة كل العالم الغربي والصهيونية العالميـــة بالذات وراء اسرائيل .

اما بعد الانتصار الذي احرزته اسرائيل فأصبح التركيز على عظمة هذا البلـــد الصغير الذي هزم العالم العربي الضخم كما هزم الراعي داود الصغير في الماضي جوليات جبار الفلسطينيين ، والتأكيد على شجاعة جنود جيش اسرائيل وجبن العرب وخستهم ومـــا الى ذلك من تشهير بهم وبخلقهم . فوصفت يائيل دايـــان انتصارات الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران بأنها كانطلاق جحافل الاسكندر الاكبر في التاريخ القديم ، كذلك لم يجد حاخام اسرائيـــل الاكبر ما يقتطفه من التوراة ليهديـــه الى جنود جيش اسرائيل عشية اقتحامهم للقدس العربية افضل من : « اضربوا بكر كل دابة وبكر كل امرأة » . . . غير ان اسرائيل لم تتخل نهائيا عن خطها المراوغ التقليدي فهي تغلف مطامعها التوسعية في تحقيـــق مكاسب اقليمية والتملص من تطبيـــق قرارات مجلس الامن بدعـــوى ضرورة حصولها على ضمانات جغرافية توفر لها حدودا آمنة تضمن وجودها في المستقبل من اية محاولة عدوانية . بيد انه لم يعد بوسعها اليوم ان تغطي كليا اهدافها النهائية المتمثلة في بناء امبراطورية يهودية في الشرق العربي . . . ولذلك ، فان استراتيجيـــة اسرائيل السياسية في هذه المرحلة هي استمرار لاستراتيجيتها في المرحلة السابقة لحرب حزيران ولكن بتسارع اعظم نحو الهدف النهائي ، فقد نجحت الحركة الصهيونية نجاحا باهرا في تنظيم صفوف الجسم اليهودي العالمي بصورة مدهشة حتى اصبح يعمل في خدمة اهداف اسرائيل والحركة الصهيونية بدقة الالات الالكترونية . **ونجحت اسرائيل في الحصول على التفاف يهود العالم حولها ومساعداتهم لها قد تضاعفت وهجرتهم اليها في ازدياد وقدرتها الصناعية والاقتصادية والحربية في ازدياد سريع . وبمساعدة حلفائهـــا الاستعماريين الامريكان وغيرهم وبالتعاون مع القوى العميلة داخل الوطن العربي يستمر بنجاح تطبيق سياسة تفريق صفوف العرب وتجزئتهم وشل ارادتهم ومحاصرتهم دوليا .** هذا بينمـــا تسير اسرائيل قدما في تطبيق مخططها العام البعيد المدى في استكمال استيطان المناطق العربية المحتلة وتدعيم مواقع اسرائيل وقواها في شتى المجالات توطئة لقفزة توسعية جديدة في المستقبل لتحقيق الحلم اليهودي بكامله — امبراطورية يهودية تسيطر عـــلى المشرق العـــربي عاصمتها اورشليم (القـــدس) هي « الدولـــة الكبرى » في المنطقة و « الدولة الاقوى » اقتصاديا وعسكريا تفرض وجودها على شعوب الشرق العـــربي كأمر واقع لا تقهر ولا تزول ، وتجعل من المنطقة العربية بكاملها مجالا حيويا لاستثماراتها واستغلالها الاقتصادي — اي امبراطورية استعماريـــة توسعية عنصرية تقوم علـــى الاستغلال الاقتصادي والاذلال القومي للعرب .

ولذلك لا غرو اذن ان بن غوريون عندما اعلن قيام دولة اسرائيل مساء ١٩٤٨/٥/١٤ لم يحدد حدود هذه الدولة ، كما لا يوجد حتى الان اي تحديـــد لهذه الحدود ، وما زالـــت

اسرائيل تماطل في تنفيذ قرارات الامم المتحدة متعللة بذرائع وحجج واهية رغم كل ما قدمه بعض الزعماء العرب من تنازلات وتراجعات استسلامية ، وهي يقينا لن تقبل بأية تسوية لا تضمن لها مستقبلا السيطرة المباشرة وغير المباشرة على شتى انحاء المشرق العربي . وقد عبر عن ذلك حتى قبل عام ١٩٦٧ بنيامين اكزين استاذ العلوم السياسية والقانون الدستوري في الجامعة العبرية قائلا : « ان نقطة الارتكاز في سياسة اسرائيل الخارجية يجب ان تكون ضمان وجود اسرائيل في العائلة الدولية ، اما معاهدات الصلح فانها لا تضمن سلما دائما »(١٢) . والسلم الذي يعنيه طبعا هو السلم الاسرائيلي اي السيطرة الاسرائيلية العامة .

لمن يتوجه الاعلام الصهيوني ؟ ومن يخاطب ؟

يجهد الاعلام الصهيوني للوصول الى جميع الناس في شتى انحاء العالم ، بيد ان الفرص متاحة امامه للوصول الى بعض المجتمعات اكثر من غيرها . وبصورة عامة **يخاطب الاعلام الصهيوني الشعوب لا الحكومات فقط ، ويتوجه الى الجماعات المؤثرة كأصحاب المصالح والهيئات العمالية والطلابية مستهدفا الفوز بمناصرة الشعوب والجماهير لا مجرد الاكتفاء بتأييد الحكومات** ، ولذلك فان سياسة « كسب الانصار » تشكل ركيزة اساسية من ركائزه . ويمكن تقسيم الجمهور الذي يخاطبه الاعلام الصهيوني الى ثلاث فئات رئيسية ، وان كانت كل فئة منها تشتمل على عدد من الفئات الفرعية : أ) الجمهور صاحب القضية وهو الجمهور اليهودي ، ب) الجمهور المعارض العدو وهو الجمهور العربي ، ج) الجمهور المحايد ويشمل جميع الشعوب الاخرى بدرجات متفاوتة . ونستعرض فيما يلي مختلف فئات كل جمهور من هذه الجماهير لنتلمس اهم المداخل أو الحجج والمبررات التي يطرحها الاعلام الصهيوني لكسب هذه الفئات والفوز بدعمها :

أ ــ **الجمهور اليهودي** : وهو يضم الاسرائيليين واليهود من افراد المجتمعات اليهودية خارج اسرائيل . والدعاية الموجهة الى اصحاب القضية تعتبر اعلاما داخليا لا خارجيا ، وهي تعد تعبئة قومية وتوعية وتوجيها اكثر منها دعاية .

واهم الافكار او الرسائل الاعلامية التي يوجهها الاعلام الصهيوني لليهود عامة ما يلي :

١) الهجرة الى فلسطين والمشاركة في بناء دولة اسرائيل هي استجابة لنبوءة التوراة وتحقيق للوعد الذي قطعه الرب على نفسه امام ابرام (ابراهيم) « **لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير** » اي نهر الفرات .

٢) الشعاران اللذان رفعهما بن غوريون وهما : ــ ان الحليف الوحيد الدائم المخلص لاسرائيل هو اليهود ، ــ ولا تكتمل يهودية اليهودي الا بالهجرة الى اسرائيل : « **كيف ترنم ترنيمة الرب في أرض غريبة ... أن نسيتك يا اورشليم تنسَ يميني ، ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك ، ان لم افضل اورشليم على اعظم فرحي** »(١٣) .

٣) لا سبيل للخلاص من لعنة اللاسامية التي ستظل ابد الدهر سيفا مسلطا على رقاب اليهود سوى بالتفافهم حول اسرائيل وهجرتهم اليها ودعمها . وما تنفك الدعاية الصهيونية تثير في نفوس اليهود والاسرائيليين مخزون معاناة وآلام اليهود الماضية من ايام السبي البابلي لتغرس في نفوسهم الحقد وتلهب حماسهم للالتفاف حول الحركة الصهيونية : « **يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك الجزاء الذي جازيتنا . طوبى لمن يمسك اطفالك ويضرب بهم الصخرة** ». [مزامير داود ، المزمور ١٣٧] .

٤) ان العرب يعدون العدة لابادة اسرائيل والاجهاز عليكم ايها الاسرائيليون ولا سبيل لنجاتكم الا بوحدة كلمتكم والتفافكم حول حكومتكم وتفانيكم في الخدمة والعطاء .

ب ــ **الجمهور العربي** : ولا تهمل الدعاية الصهيونية خصومها الثابتين وهم العرب ، بل

توجه لهم شطرا كبيرا من جهودها الدعائية ليس املا في كسبهم بل لتزرع في نفوسهم اليأس والخيبة وتبذر الشقاق فيما بينهم وتعمل على تفريق صفوفهم . وهذه الدعاية العنيفة الموجهة للعدو تدعى الحرب النفسية ، وتلعب اذاعة اسرائيل باللغة العربية دورا ناجحا في هذا الصدد ، وهي مع الاسف تجد مادة دسمة لبث سمومها في الفساد ومظاهر التخلف المتفشي في الاقطار العربية .

فالفلسطينيين الصامدين في اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ تقول : انزعوا من ادمغتكم شتى الاوهام القومية العربية ، وخير لكم ان تخلصوا في ولائكم لدولة اسرائيل ، فالعرب الاخرون باعوكم ، وليس امامكم من مجال سوى الاندماج باخلاص في الحياة الاسرائيلية والتشبع بالثقافة الاسرائيلية .

اما للسكان الصامدين في المناطق المحتلة فتقول : حذار ... حذار من المقاومة ، واياكم والتورط في حبائلها فتلقون بأنفسكم في التهلكة ، ولن يفيدكم من ذلك شيء ... ومن ينزلق للمقاومة لن يجني سوى الويل والخراب والدمار دون اية فائدة ترجى ... فالحكومات العربية لا خير فيها ... وهل نسيتم واقع التمييز في المعاملة الذي يتعرض له الفلسطينيون في شتى الديار العربية ... تعاونوا معنا خير لكم واجدى والا فان ذراع جيش الدفاع الاسرائيلي طويلة وقبضته شديدة .

اما بالنسبة للمجتمعات العربية عامة فالخط الذي تنهجه الحرب النفسية الاسرائيلية هو تحريض الشعوب على حكامها وحكوماتها خصوصا اذا كان هؤلاء الحكام ليسوا متواطئين معها ، كما انها تسعى الى بث البغضاء والمشاحنة بين ابناء الطوائف الدينية المختلفة وتحرض الاقليات كما تسعى الى تقسيم السكان الى مدنيين وعسكريين وقرويين ومدنيين والى بدو وحضر ، والى التحذير من مطامع بلد عربي في بلد اخر الخ .. ومن جهة اخرى تسعى الى كشف الفضائح العسكرية والسياسية والمالية والخلقية ليس حبا في الاصلاح بل لبث الهزيمة في النفوس ، مستفيدة في ذلك من الظواهر السلبية الكثيرة المتفشية في المجتمعات ... وهي في نهاية المطاف تستهدف ضعضعة الثقة بالنفس وغرس اليأس في نفوس مواطني البلدان العربية وان لا سبيل امامهم لقهر اسرائيل او مواجهتها وما عليهم الا الرضوخ للامر الواقع والاستسلام لمشيئة اسرائيل .

جـ ــ **الجمهور المحايد** : وهذا يشمل معظم بلدان العالم ، ويمكن تقسيمه الى ثلاث فئات رئيسية : **أولا** : بلدان العالم الغربي وتشمل اوروبا الغربية والامريكتين واستراليا ونيوزيلنده والمجتمعات العنصرية البيضاء في افريقيا ، **ثانيا** : بلدان العالم الاشتراكي ، **ثالثا** : بلدان العالم الثالث في آسيا وافريقيا .

اولا : بلدان العالم الغربي : حقق الاعلام الصهيوني في هذه البلدان نجاحا فائقا الى الحد الذي اصبحت معه هذه البلدان تشكل احتياطيا شبه ثابت لضمان الوجود الاسرائيلي ، واهم المداخل او الاوتار التي ضرب عليها الاعلام الصهيوني لكسب شعوب هذه البلدان هي :

١) ان اسرائيل هي مشعل الفكر الغربي ومنارة الحضارة الغربية وقاعدة الديمقراطية الغربية على اطراف الشرق المظلم المتخلف الاستبدادي .

٢) ان اسرائيل هي راس جسر للمصالح الاقتصادية الغربية في الشرق الاوسط وهي قاعدة حماية لهذه المصالح وللدفاع عنها في وجه حركة التحرر العربي ، كما ان اسرائيل قاعدة غربية متقدمة ضد اي تغلغل سوفييتي في المنطقة . وحملة التهويل حول النفط العربي التي تشنها الصحافة الصهيونية والغربية الاستعمارية هذه الايام هي مثال حي على اساليب الصهيونية لتسميم افكار ابناء المجتمعات الغربية وتحريضهم ضد العرب واعدادهم نفسيا لتقبل كل هجوم اسرائيلي واستعماري على البلدان العربية وثرواتها .

٣) تمجيد « المعجزات » التي حققتها اسرائيل في « الصحراء » التي كان اسمها فلسطين والتي أهملها « الغزاة » العرب و « دمروا » معالم الحضارة العبرانية القديمة والحياة فيها ، بينما الاسرائيليون حولوا هذه « الصحراء » الى جنات مزهرة !!

٤) التذكير المتواصل بفظائع النازية التي ارتكبت ضد اليهود والاضطهاد الاوروبي ، عبر التاريخ ، لليهود ، وان تجميع اليهود في فلسطين هو الحل التاريخي المناسب للمشكلة اليهودية للخلاص من لعنة اللاسامية .

٥) ان قيام دولة اسرائيل هو تحقيق لنبوءة «التوراة ـ العهد القديم » تأكيدا للوعد الذي قطعه الرب على نفسه امام ابرام (ابراهيم) « لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير » . والنبوءة الانجيلية القائلة بعودة المسيح ليخلص العالم بعد بناء دولة اليهود ، وكذلك التأكيد على ان مسيحية المسيحي لا تكتمل الا اذا آمن بما جاء في العهد القديم .

٦) التأكيد على «الحق التاريخي» لليهود في فلسطين استنادا الى انشاء دولة العبرانيين فيها في التاريخ القديم ثم طردهم منها ، واليهود اليوم لهم الحق في استعادة « بلادهم » من « الغزاة » العرب . وهي بهذا الصدد تضرب على اوتار التحامل الديني والثقافي والسياسي الذي تضمره الدوائر الاستعمارية والعنصرية الغربية تجاه الحضارة العربية الاسلامية .

ثانيا : بلدان العالم الاشتراكي : رغم العسر الذي تتصف به ، منذ زمن ، العلاقات بين اسرائيل ومعظم بلدان العالم الاشتراكي فان السياسة الخارجية الاسرائيلية تتميز بالرغبة في عدم قطع شعرة معاوية بينها وبين هذه الدول مهما كانت هذه الشعرة واهية . وهي تتبع في خطها السياسي تجاه هذه الدول ما يعرف بسياسة الصبر الفاعل او المتحرك الذي يتمثل في العمل الدائب الصبور وعدم تفويت اية فرصة للاتصال او الصداقة يمكن الحصول عليها ، لانها تأمل في عدم تحول هذه الدول الى اعداء سافرين لها ولوجودها بصورة نهائية ، كما انها تأمل في الاحتفاظ ، ولو بأدنى قدر من العلاقات حتى لا يتحول الرأي العام التقدمي في العالم ضدها بصورة نهائية ، ومن جهة اخرى هي ترغب في تأمين استمرار هجرة اليهود من هذه الدول اليها . رغم انها شنت في السنوات الاخيرة حملة اعلامية وسياسية هائلة على الاتحاد السوفييتي بالذات لترغمه على الاذن لليهود السوفييت بالهجرة ولتعاقبه على مساعدته لشعوب البلدان العربية وتثنيه عن مواصلة هذه المساعدة ولدق اسفين من عدم الثقة بين الاتحاد السوفييتي والشعوب العربية .

وتؤكد اسرائيل في مخاطبتها لحكومات الدول الاشتراكية وشعوبها على ما يلي :

١) ابراز ما تعتبره « خصائص انسانية تقدمية » في الحركة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلي . فالنظام الاجتماعي الاسرائيلي يستفيد من التجارب الاشتراكية ويطبق بعضها . وان تجربة « الكيبوتزات » هي من الامثلة الجلية على الملامح الاشتراكية للمجتمع الاسرائيلي .

٢) التذكير بالتحالف الوثيق الذي كان بين اليهود وشعوب البلدان الاشتراكية في مقاومة النازية ، والتذكير بالمعاناة والالام المشتركة التي عاناها كل منهما على يد هذه النازية بينما كان العرب يتوجهون بأفئدتهم حينئذ للتعاون والتحالف مع النازية .

٣) ان العرب قوم معادون للعقيدة الشيوعية بينما اسرائيل تسمح للاحزاب الشيوعية بحرية العمل بصورة علنية .

ثالثا : بلدان العالم الثالث في آسيا وافريقيا : لقد حققت اسرائيل في هذه البلدان نجاحا

لم يكن من الواجب او المنطقي ان تحظى به ، ولعل مرد ذلك الى سلبية البلدان العربية في التعامل مع هذه البلدان وتطوير العلاقات معها ، بينما توجهت اسرائيل بنشاط وفعالية وذكاء لتطوير العلاقات مع هذه البلدان في كل ميدان ممكن ، وخلق انصار ثابتين لها في صفوف شعوب هذه البلدان بواسطة برامج التدريب في اسرائيل وبعثات المدربين الاسرائيليين اليها وتبادل الزيارات واقامة المشاريع والاستثمارات وصنوف الدعاية والاتصالات الشخصية الخ .

ولعل اهم الافكار التي تؤكد عليها اسرائيل في مخاطبتها لحكومات وشعوب هذه البلدان ما يلي :

١) التأكيد على « وحدة التجربة التاريخية النفسية للشعبين اليهودي والافريقي » . وهي تتوسل بذلك ملامسة نواح حساسة في نفوس الافريقيين وهي مسألة التمييز العنصري بسبب اللون والجنس التي عانى منها الافريقيون وابراز ان اليهود والافريقيين يجمعهما معا الشعور بالمعاناة من الاضطهاد والتمييز ضدهما مما يجعل بينهم تقاربا روحيا وعاطفيا قويا .

٢) التأكيد على ان العرب عنصريون ويحتقرون سود اللون ويميزون ضدهم وان العرب هم تجار العبيد الذين كانوا يديرون عمليات بيع الرقيق الافريقي للمستغلين الاوروبيين والامريكيين طوال فترة العصور الوسطى حتى مستهل العصر الحديث .

٣) التأكيد على اهمية التجربة الاسرائيلية « الفريدة والرائدة » في انماء الدول الافريقية والاسيوية الناشئة .

٤) التأكيد على خلو علاقات اسرائيل بدول افريقية وآسية من الاطماع السياسية التي عرفتها في الدول الاوروبية الاستعمارية ، وان اسرائيل ليست دولة كبرى فلا تنطوي على تهديد لامن وسلامة البلدان الافريقية والاسيوية الناشئة الحريصة على استقلالها .

٥) التأكيد على الدور الهام الذي بوسع دول افريقية وآسية ان تضطلع به لتحقيق السلام بين اسرائيل والعرب بسبب علاقتها بكلا الطرفين ، وهذا يرضي طموح الدول الافريقية والاسيوية التواقة لان تلعب دورا عالميا مهما يرضي مطامحها القومية .

اساليب الاعلام الصهيوني

اساليب الاعلام الصهيوني متنوعة وعديدة ووافرة تغطي كافة جوانب النشاطات الانسانية ، الا انها مثل كل اعلام اخر يمكن ان تصنف في فئتين رئيسيتين هما :

أولا : الدعاية بالكلمة : وهذه تشمل الصحف والمجلات والنشرات والكراريس والكتيبات والمطبوعات الدورية والكتب والاشعار والقصص والمسرحيات والخطابات والاحاديث والمحاضرات والندوات والمؤتمرات والافلام السينمائية والتلفزيونية والبرامج الاذاعية والملصقات والاعلانات .

ثانيا : دعاية الحركة اي الدعاية بالاعمال والافعال : وهذه تنقسم الى قسمين رئيسيين هما :

أ) دعاية الحركة الهادئة البناءة : وهذه تشمل برامج التدريب والتعليم واقامة المعاهد الثقافية والنوادي الاجتماعية والمشروعات الاقتصادية او الصحية واجراء الابحاث العلمية وعقد الدورات او الحلقات الدراسية واقامة المعارض الفنية او الاقتصادية او الثقافية او عروض الازياء والحفلات الاجتماعية والبرامج السياحية وتوجيه الدعوات والزيارات والاستقبالات وتسمية المباني او الحدائق والغابات والشوارع باسماء معينة تكريما لمن يطلق اسمه عليها سواء كان شخصا او بلدا الخ ...

ب) دعاية العنف والارهاب : وهذا نوع هام من انواع الدعاية بـــرع فيه الصهيونيون حتى انهم فاقوا فيه اية جهة اخرى عرفها التاريخ لا سيما وانهم يستعملون هذا النوع من الدعاية في وقت وصلت فيه الانسانية الى استخلاص قيم واعـــراف ومفاهيم تضبط قواعد السلوك البشري والدولي وتضبط اصول التصرف الانساني ، ويتمثل ذلـــك في شرعة حقوق الانسان ومنظمة الامم المتحدة والعديـــد من الهيئات والروابط الدولية . وهذا النوع من الدعاية يدرج عادة ضمن اساليب الحـــرب النفسية ، او بالاحرى هو اعلى اشكال الحـــرب النفسية . ويستخدم الصهيونيون هـــذا النوع من الدعاية مـــع الخصوم الصلبين لهم ، فـــاذا فشلوا في كسب شخص او جهة الى جانبهم او فشلوا في حمله على السكوت بوسائل الترغيب والاغواء والاقناع والاغـــراء التي يتقنونها عمدوا الى استخدام العنف معه . ويتخذ العنف اشكال ممارسة الضغط المالي او النفسي او الانذار والتهديد الشخصي او وضع القنابل والمتفجـــرات واعمال النسف او محـــاولة الاغتيال او التصفية الجسدية او القيام بالاعتداء على الحدود كما هو معروف في علاقات اسرائيل بالدول العربية المجاورة او اعمال التهديد بالطيران بحركاته الاستعراضية في اجواء البلدان العربية او شن الاعتداءات او ارتكاب المجازر وآخرها مجزرة الطـــائرة الليبية . واعلى اشكال الدعاية بالعنف هي شن الحروب على نطاق عام وواسع ومعلن ... وهذه كلها اساليب استخدمها الاسرائيليون والصهيونيون عـــامة في شتى انحـــاء العالم .

مراكز قوة الاعلام الصهيوني

هنالك عدد من مناهج العمل او الخطط السياسية ـــ الاعلامية نجح الصهيونيون في انتهاجها وتطبيقها في عدد كبير من البلدان لا سيما في العالم الغربي مكنتهم من نقـــل رسالتهم الاعلامية بنجاح كبير حتى اصبحت لهم الكلمة العليا في بعض البلدان . ونستطيع أن نعتبر هذه مراكز قوة الاعلام الصهيوني لان نجاحهم في اقامتها وتطبيقها هو الذي اكسب اساليبهم الاعلامية الفعالية وكلل مجهوداتهم الاعلامية بالنجاح الباهر .

واهم مراكز القوة في الاعلام الصهيوني هي :

أولا : سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام :

ليس سرا ان الصهيونيين واليهود عامة يسيطرون سيطرة كبيرة على معظم وسائل الاعلام في العالم الغربي اما بامتلاك هذه الوسائل امتلاكا مباشرا او بالسيطرة عليها بصورة غير مباشرة بواسطة المحررين والكتاب الصهيونيين فيها او بغير ذلك مـــن الوسائل كأساليب الضغط المالي او النفسي وما الى ذلك بحيث يضمنون مسايرتها لهم وتقيدها بخططهم . ولم تقتصر سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام الغربي ، بل انهـــم يسعون الى التغلغل في وسائل الاعلام في الكثير من بلدان العالم الثالث وقد قطعوا في هذا الاتجاه خطوات واسعة . فقد اصبحوا يسيطرون على عدد كبير من الصحف في افريقيا وتركيا وايران والهند واليابان وغيرها ، ناهيك عن بلدان امريكا اللاتينية حيث سيطرتهم تامة .

وادراك الصهيونيين لاهمية السيطرة على وسائل الاعلام في تنفيذ مخططاتهم ليست وليدة الامس القريب ، فقد وعوا ذلك منذ البداية . ففي عام ١٨٦٩ اي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول وتأسيس الحركة الصهيونية رسميا بنحو عشرين سنة **قـــال الحاخام رايشورون في براغ : « اذا كان الذهب هو القوة الاولى في العالم فالصحافة هي القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الاولى »** . ولا حاجة الـــى القـــول ان اليهود قد أصبحوا اليوم هم أهل الاولى والثانية معا .

وفيما يلي عرض موجز لبعض مظاهر سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام في العالم الغربي :

أ) **الصحافة اليهودية** : المقصود بالصحافة اليهودية هنا الصحافة التي يملكها اليهود ويصدرونها خصيصا لمخاطبة اليهود انفسهم لتكون لسان حال المجتمعات اليهودية والعاملة على تجانس آرائهم وافكارهم . وهذه لا تشمل الصحف التي يملكها يهود ولكنها موجهة للجمهور العام مثل جريدة « نيويورك تايمز » في الولايات المتحدة مثلا . فهذه تدرج ضمن الصحافة العامة ، وبسبب ذلك تؤدي دوراً اعلاميا اهم واخطر من الصحافة اليهودية المعروفة التي معظم قرائها من اليهود . وقد اهتم الصهيونيون ، منذ البداية ، باصدار أكبر عدد ممكن من الصحف . ففي عام ١٨٨٠ كان عدد الصحف والمجلات اليهودية ١٠٣ ، جلها كانت تصدر في اوروبا في ذلك الوقت المبكر الذي لم تكن فيه الصحافة قد ازدهرت على النحو الذي نراه حاليا . **اما اليوم فيبلغ عدد المطبوعات اليهودية المنتظمة التي تصدر في العالم بشتى اللغات ٩٥٤ جريدة ومجلة اسبوعية وشهرية وفصلية او دورية** . وهي تصدر في ٧٧ بلدا منها ٤١٤ باللغة الانكليزية و٢١٨ باللغة العبرية و١١١ بلغة اليديش و٥٩ باللغة الفرنسية و٤٩ بالاسبانية و٣٧ بالالمانية والباقي بلغات اخرى ، ومعظم المطبوعات بالعبرية تصدر في اسرائيل التي تصدر فيها اليوم نحو ثلث الصحافة اليهودية في العالم ٣٢٥ ، ويصدر في الولايات المتحدة ٢٨٤ وفي اوروبا ١٩٠ وفي امريكا الجنوبية والوسطى ٧٩ وكندا ٢٨ وافريقيا ٢٧ واستراليا ونيوزيلنده ١٦ وآسيا ٥(١٤).

ب) **الصحافة العامة** : يستخدم الصهيونيون الصحافة اليهودية لتعبئة الرأي العام اليهودي وتجنيده في خدمة الحركة الصهيونية ، ولكنهم يمارسون تأثيرهم على الجمهور العام في البلد من خلال التغلغل في الصحافة العامة التي يقرأها الناس ... جمهور الناس ... كل الناس . وهم يسيطرون عليها أما بامتلاكها كما هو الحال مع بعض كبريات الصحف في العالم مثل « نيويورك تايمز » و« الهيرالد تريبيون » و« الديلي تلغراف » اللندنية وغيرها من اهم الصحف والمجلات ... وبعضها يملكون حصة فيها . اما التي لا يملكونها فيسيطرون عليها بواسطة المحررين والكتاب الصهيونيين فيها من جهة وكذلك بوسائل الضغط والاغراء كاستخدام الاعلانات او حجب الاعلانات عنها وايضا حملة من رسائل القراء باسماء مزيفة تثني على اراء كاتب يتعاطف معهم وحملة رسائل استنكار لمقالات كاتب آخر يناوئهم ... وهم يلجأون من أجل السيطرة على الصحيفة والتأثير على اتجاهها الى شتى وسائل الاغراء والتهديد ، ومن هذه محاولة التشهير بأخلاق كاتب يعارضهم يكشف بعض اسرار حياته الخاصة والتشهير به بشتى الوسائل . وهذا اسلوب اتبعوه في الغرب على نطاق واسع . فحملتهم على ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا العمالي عقب الحرب العالمية الثانية معروفة لانه لم يجارهم في كل اطماعهم . وكذلك حملة التشهير التي شنوها على فورستال الوزير الامريكي الذي عارض مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ التي قادت الرجل الى الانتحار .

وهناك وكالتان صهيونيتان للانباء هما وكالة عتيم التابعة للحكومة الاسرائيلية و«وكالة البرق اليهودية» التي اسست في لندن عام ١٩١٩ ثم نقلت الى نيويورك ، وهنالك عدة وكالات انباء صهيونية اخرى اقل اهمية منهما .

ج) **الاذاعة والتلفزيون والسينما** : في الولايات المتحدة مثلا حيث محطات الاذاعة والتلفزيون هي شركات خاصة غير حكومية يملك اليهود معظم هذه المحطات واهمها محطة كولومبيا للاذاعة والتلفزيون التي لها شبكة تغطي جميع انحاء الولايات المتحدة . وعندما تكون الاذاعة والتلفزيون حكوميتين لا يعدم الصهيونيون الوسائل للتغلغل بهما

كما هو الحال في الاذاعة البريطانية العالمية الشهرة والتلفزيون البريطاني . . . وهنالك امثلة عديدة وكثيرة على اساليب الدس الخبيث لصالح الصهيونية واسرائيل في اخبار هيئة الاذاعة البريطانية وبرامجها في اذاعتها العالمية ، وهذا يتناقض مع الانطباع العام الخاطىء عن موضوعية الاذاعة والتلفزيون البريطانيين . امـــا في ميـــدان السينمـــا فسيطرتهم الواسعة في هوليوود هو أمر معروف ، وهم متغلغلون ايضا فـــي ميـــدان السينما الاوروبية .

د) **دور النشر** : توجد معظم دور النشر الكبرى في الولايات المتحدة في مدينة نيويورك ، ويملك اليهود معظمها بل الاغلبية الساحقة منها . وقد أصبح معروفا في العالم الغربي ان كل من يكتب كتابا مناوئا لاسرائيل او الصهيونية يجد صعوبة بالغة في نشره . واذا اجتاز كتاب جميع الصعوبات والعراقيل التي توضع امـــــام نشره وصدر فيعمـــد الصهيونيون الى محاولة سحبه من الاسواق واخفائه . اما اذا صدر كتاب لصالحهم فيبالغون في الدعاية له بشتى الوسائل ليجلبـــوا انتباه القراء له .

ليس من قبيل المبالغة أن يقال أن للصهيونيين اليد العليا على جميع وسائل الاعلام في شتى انحاء العالم الغربي لا سيما في الولايات المتحدة حيث سيطرتهم تامة وفي بريطانيا والمانيا الغربية وبلجيكا وهولندا ولكنهم لم يكتفوا بذلك ، فقد أفلحوا في التسلل الـــى وسائل الاعلام لا سيما الصحافة في عدد من بلدان افريقيا وآسيا .

ثانيا : جماعات الضغـــط

والمركز الثاني من مراكز قوة الاعلام الصهيوني والدبلوماسية الصهيونية هي سعيهم في كل بلد ، يتوفر لهم فيه شيء من النفوذ الى تشكيل جماعات ضغط هي عبارة عـــن مجموعات من الشخصيات النافذة التي ينجحون في استمالتها الى جانبهم ، وهم من اجل هذا يسعون الى التغلغل في اوساط السياسيين وفي اوساط رجال الاعمال وفـــي هيئات المهنيين الاختصاصيين كالمحامين والاطباء والمهندسين والاقتصاديين واتحادات الكتاب والصحفيين والفنانين . بحيث يستميلون اكبر عدد منهم واهـــم شخصياتهم ليستخدموهم مطية يمارسون الضغط بواسطتهـــم على أي مسؤول في الدولـــة يناوىء سياستهم . وهم أيضا يسعون للسيطرة على الهيئات الادارية لنقـــابات العمـــال واتحادات الطلاب باعتبار هاتين الفئتين من الجماعات الديناميكية في المجتمع وكذلك يسعون لاستمالة قادة الاحزاب السياسية او قسم منهم على أقل تقدير .

ويستخدم الصهيونيون مثل هذه الشخصيات والهيئات الفعالة ذات النفوذ في تشكيل لجان او جماعات لهذا الغرض او ذاك . فهذه لجنة من اجل يهود سوريا وتلك من اجل يهود العراق وثالثة من اجل يهود الاتحاد السوفييتي الخ . . .

وقد أصبح الصهيونيون يسيطرون بواسطة الجماعات الضاغطة هذه سيطرة تامة على معظم ان لم يكن كل الهيئات والقوى والمراكز الفعالة في تشكيل ما يدعى بالراي العام في الولايات المتحدة الامريكية . كما انهم نجحوا في استخدام هذا الاسلوب الى حـــد بعيد في معظم بلدان العالم الغربي . وهم يحاولون ان يشتروا العملاء لهم هنا وهناك في بلدان آسيا وافريقيا ويستغلون برامج التدريب لخلق فئات مرتبطة باسرائيل روحيا وماديا تكون جماعات ضغط لصالحها وقاعدة يعتمد عليها في الدفـــاع عـــن المصالح الاسرائيلية والصهيونية .

ثالثا : رجال الكواليس الصهيونيون « للتطبيقات » السياسية

يتخذ هؤلاء أحيانا شكل رجال علاقات عامة واحيانا اخرى شكل رجال صحافة او رجال اعمال ، ولكنهم في واقع الامر سماسرة رسميون تستخدمهم الحركة الصهيونية لشراء

رجال السياسة والدولة واولي الامر و« تطبيقهم » ، فهم الذين يقومون بعمليات جس نبض السياسيين والشخصيات المؤثرة ويجهدون لاقناعهم بشتى وسائل الترغيب والاغراء او التهديد والوعيد اذا اقتضى الامر . وينشط هؤلاء المحاورون في صفوف مجالس النواب لتطبيق النواب للضغط على الحكومة في اتجاه معين اذا قررت الحكومة انتهاج سياسة لا توافق الصهيونيين . ولعل ابرز هؤلاء المحاورين الصهيونيين « سي كينين » العميل الاسرائيلي المعروف في واشنطن الذي يدير ما يدعى « لجنة العلاقات العامة الاسرائيلية ـ الامريكية » ومهمته تطبيق رجال الكونغرس الاميركي (مجلسا النواب والشيوخ) ، فشكل مثلا لجنة الاثني عشر في مجلس الشيوخ ستة منهم من كل من الحزبين الجمهوري والديموقراطي مهمتها متابعة مصالح اسرائيل داخل الكونغرس الاميركي ومع دوائر الحكومة الاميركية .

وهنالك محاورون صهيونيون في شتى البلدان بعضهم يعمل علنا وآخرون سرا . وهم بجهودهم هذه يمهدون السبيل أمام نجاح الاعلام الصهيوني والمخططات السياسية الصهيونية .

أهم أساليب الاعلام الصهيوني

اولا : دعاية الكلمة :

منذ سنوات طويلة والصهيونيون يعتمدون سياسة اغراق العالم بسيل من الدعايات المكتوبة والمسموعة والمرئية بشتى وسائل الاعلام بحيث تكون وجهة النظر الصهيونية هي الوحيدة امام كل الناس ، وهذا ينطبق على العالم الغربي بصورة عامة وعلى الولايات المتحدة بصورة خاصة . واستعراض نشاطات الصهيونيين في هذا الصدد قد لا تكفي مجلدات لعرضه بصورة شاملة ، ولكننا نلمس آثاره فيما يبدو انه غسيل دماغ كامل قد جرى لشعوب بلدان العالم الغربي ، وهو ما نتحمل عواقبه الان فيما تلقاه اسرائيل والصهيونية من تأييد في بلدان الغرب . ونكتفي هنا بالتأكيد على ملاحظة ان الدعاية الصهيونية لا تمسك الثور من قرنيه على حد تعبير ليدل هارت وانما تتغلغل الى اذهان الناس وعقلهم الباطن بطريقة غير ملحوظة في معظم الاحيان .

ثانيا : دعاية الحركة او الدعاية بالاعمال والافعال :

وهذه كما ذكرنا منها الدعاية الهادئة البناءة ذات النفس الطويل التي تدفع اليوم القليل لتجني في المستقبل الكثير . ومنها ما يتخذ مظاهر العنف بشتى اشكاله وصوره .

أ) دعاية الفعل الهادئة البناءة :

ومن اهم اساليب الصهيونيين في هذا المجال :

١ ـ الضيافة : فهم يكثرون من توجيه الدعوات للشخصيات الهامة النافذة او التي تبشر بمستقبل لامع . ومعظم هذه الدعوات توجه لزيارة اسرائيل اما بصورة زيارات رسمية او غير رسمية .

٢ ـ تخليد الصداقات : يعمل الصهيونيون اكتسابا للصداقات وتدعيما لها الى تخليدها بوسائل شتى منها :

أ) اطلاق أسماء بعض الشخصيات او الدول على بعض الشوارع ، مثل شارع بلفور في حيفا الخ ..

ب) غرس الاشجار والغابات تكريما لبعض الدول او الشخصيات مثل : غابة أبطال الباراغواي وغابة السلفادور . واخر ما تم في هذا الصدد اثناء زيارة وزير خارجية البرازيل ماريو جبسون باربوزا في مطلع شهر شباط ١٩٧٣ الحالي الذي قام بغرس

الاغراس الاولى في غابة أنشئت قرب « ايدموديعيم » تكريما لذكرى مرور ١٥٠ سنة على استقلال البرازيل ، وايضا اطلاق اسم ملكة بريطانيا اليزابيت الثانية على احدى الغابات في اسرائيل مؤخرا .

جـ) اقامة النصب التذكارية تكريما للشخصيات الصديقة مثل : « النصب التذكاري وغابة السلام » في القدس الذي اقيم عام ١٩٦٦ تكريما لجون كينيدي ، ومركز ترومان لخدمة السلام في القدس ايضا ، و« معهد وينغيت » للتربية الرياضية نسبة الى هذا القائد العسكري البريطاني زمن الانتداب على فلسطين وخدماته الجلى للصهاينة .

د) اقامة المباني باسماء بعض الدول مثل « مبنى المكسيك » في جامعة تل ابيب ، و« بيت بلجيكا » في الجامعة العبرية .

هـ) شارع الصالحين من غير اليهود : وهو شارع في القدس خصص لتكريم اصدقاء اسرائيل من غير اليهود وتزرع فيه أشجار تسمى باسمهم .

ز) ميداليات الصالحين من غير اليهود : وهي ميداليات تحمل صورة أصدقاء الصهيونية من غير اليهود تصك تكريما لهم .

٣ ــ ترجمة الاعمال الادبية لبعض زعماء ومشاهير العالم النامي : مثل الرئيس الكيني جومو كينياتا ورئيس زامبيه كينيث كاوندا والرئيس السنغالي سنغور وملك نيبال ماهيندرا وغيرهم لتملقهم واكتساب ودهم .

٤ ــ استغلال السياحة والسياح الوافدين لاسرائيل في بث الدعاية لاسرائيل والصهيونية .

٥ ــ تصدير الخبراء واستغلالهم في الدعاية في بلدان العالم الثالث .

٦ ــ عرض الانتاج العلمي والثقافي والفني الاسرائيلي على اوسع نطاق في العالم .

٧ ــ تنظيم المعارض المتنوعة من تجارية وفنية وثقافية وسياسية الخ . . .ومنها معارض جوالة ينقلونها من بلد الى آخر .

٨ ــ اقامة معاهد للثقافة الاسرائيلية في مختلف البلدان لتشجيع التعاون والتبادل الثقافي بين اسرائيل وذلك البلد ونشر الثقافة الاسرائيلية والدعاية لاسرائيل بصورة عامة في ذلك البلد .

٩ ــ اقامة جمعيات الصداقة المشتركة بين اسرائيل وبلدان العالم الخارجي وقلما يوجد بلد يعترف باسرائيل دون ان لا تكون هناك جمعية خاصة به ، وهناك جمعيات صداقة اسرائيلية مع بلدان لا تعترف باسرائيل .

١٠ ــ الاكثار من اقامة الحفلات الاجتماعية والسهرات وعروض الازياء وما الى ذلك واستغلالها لاغراض الدعاية .

١١ ــ استغلال الكوارث الدولية واستخدامها لاغراض الدعاية . فما ان تحدث كارثة طبيعية في بلد من البلدان كزلزال او فيضان الخ،حتى تبادر اسرائيل الى ارسال المعونات والمتطوعين لمساعدة ذلك البلد فتكسب بالتالي تقدير اهلها .

ب) دعاية الحركة العنيفة ــ العنف كأسلوب دعائي صهيوني :

أصبح هذا الاسلوب من أساليب الدعاية الصهيونية معروفا جيدا في العالم العربي كجزء من الحرب النفسية الشديدة التي تشنها اسرائيل والصهيونية على العرب . ولكن استخدام الصهيونيين للعنف كأسلوب دعائي لا يقتصر على العرب او العالم العربي بل يستخدمونه مع كل جهة تقف في طريقهم ويفشلون بالوسائل الاخرى في نهيها

عن مقاومتهم والوقوف في طريقهم فقد استخدموه مع اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في القاهرة واستخدموه بعد ذلك مع الكونت فولك برنادوت وسيط الامم المتحدة السويدي عام ١٩٤٨ . وبين حين وآخر تنقل وكالات الانباء بعض أعمال العنف التي تقترفها رابطة الدفاع اليهودية التي يرئسها الحاخام مئير كاهــانه الموجود حاليا في اسرائيل . فهذه الرابطـــة سلطت حملتها منذ سنوات علـــى المكاتب السوفييتية في الولايات المتحدة وأوروبا وفجرت فيها القنابل والالغام عشرات المرات . ان الكثيرين من الامريكيين والاوروبيين المعادين للصهيونية لا يجرؤون على اظهار عدائهم هذا خوفا من سوء العاقبة على يد هؤلاء الاوباش . وهكذا خلق الصهيونيون الذين ملأوا الدنيا عويلا على ضحايا النازية من اليهود نازية جديدة أشد مكرا ودهاء وأشد منها وحشية .

الاعلام الصهيوني ـــ غسيل دماغ جماعي

يلاحظ المتحدث مع كثير من الاشخاص الغربيين مـــن غير اليهود انهم يتحدثون عـــن القضية الفلسطينية والنزاع العربي ـــ الاسرائيلي بصورة عامة بمنطق ينافي جميع الوقائع والحقائق المتصلة بهذه القضية ، فيبدو من حديثهم وكأن اسرائيل كانت هنا منذ الازل وليست ابنة خمسة وعشرين عاما فقط ، كما يبدو وكأن العـــرب هم المعتدون الظالمون الذين لا يرغبون في السلام ويضمرون السوء بجارتهم اسرائيل ، وهم قساة القلوب لا يعرفون الرحمة الى آخر هذه الاسطوانة التي تلصق بالعرب عموما صفات الوحشية والبدائية الخ ... وقد لا يكون مثل هؤلاء الاشخاص متحاملين بالضرورة على العرب او يحملون تجاههم كرها غريزيا ، ولكنهم بالتأكيد قد وقعوا تماما تحت تأثير الدعاية الصهيونية ، لا سيما ان ما يمهد السبيل امام استحواذ الدعاية الصهيونية على الناس في الغرب بصورة تامة توافقها وانسجامها مع الدعاية الاستعمارية ومع مشاعر الكراهية والبغضاء الاستعمارية تجاه الشعوب العربية والحضارة العربية وهي مشاعر أصبحت متوارثة تاريخيا .

ان بلوغ الدعاية والاعلام الصهيوني هذا المستوى من النجاح لا يمكن وصفه الا بأنه غسيل دماغ بكل ما في الكلمة من معنى ، وحيث ان هذا الاعلام الصهيوني قد نجح في التأثير بصورة تامة على مجتمعات بأسرها مثل المجتمع الامريكي ، فهو اذن غسيل دماغ جماعي .

وقد تحقق للاعلام الصهيوني بلوغ هذا المستوى من النجاح بفعل العوامل التالية :

١ ـــ الاغراق بالمواد الاعلامية من شتى الاصناف والالوان وبشتى الوسائل والطرق .

٢ ـــ الاغراق بالنشاطات الاعلامية في كل الاوقات وشتى الاماكن .

٣ ـــ اختلاق الوقائع من أولها الى آخرها . ولعل آخر مثال على ذلك ادعاء سلطات اسرائيل فورا بعد اسقاط الطائرة الليبية ، ان ذلك قد حدث بسبب التباس حصـــل نتيجة تهديدات سابقة من « المخربين » اي الفدائيين الفلسطينيين بأنهم سيقدمون على تفجير طائرات ركاب مدنية محملة بالمتفجرات فوق المدن الاسرائيلية . ولم يحصل ان وجد مثل هذا التهديد اطلاقا .

٤ ـــ قلب سياق الوقائع والاحداث وتشويهها مثل ادعاءاتهم المتكررة والمتواصلة بأن مصر هي التي بدأت القتال صباح الاثنين الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، وان اقدام الرئيس عبدالناصر على اقفال خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية قد تم بنية الهجوم على اسرائيل علما بأن هذا انما جرى ردا على تهديدات ليفـــي اشكول والزعمـــاء الاسرائيليين الآخرين المتكررة باجتياح سوريا واحتلال دمشق .

٥ ـــ التركيز المتواصل والمستمر على وجهة نظرهم دون مناقشة وجهة النظر العربية

وتكرار روايتهم للاحداث بكل ما تتضمنه عادة من اختلاقات او تزوير للحقائق وتشويه للوقائع بصورة مستمرة مثل ادعائهم بأن أهالي قرية دير ياسين قد تحرشوا بهم واعتدوا عليهم .

٦ ــ الايحاءات اللاعقلية غير المباشرة في الاعمال الادبية والفنية حتى وان كانت هذه الاعمال لا علاقة بين موضوعها والنزاع العربي الاسرائيلي . وبواسطة هذه الايحاءات التي تصور عالم العرب بأنه عالم جوار أصبحت صورة الانسان العربي في الذهن الغربي مضحكة فهو مثال البلادة والغباء والبدائية ، وهو شهواني بصورة حيوانية بينما غريزة اليهودي فحولة . وبعبارة اخرى نجح الصهيونيون في استخدام الرموز الدعائية ، وربطوا بين اسرائيل وكل ما هو ايجابي كما ربطوا بين العرب وكل ما هو سلبي فالفدائيون الفلسطينيون « مخربون » وهم « ارهابيون من أسوأ الانواع في التاريخ الانساني » على حد قول ريتشارد نيكسون . هذا في حين عمدت وسائل الاعلام الغربية الى تمجيد شجاعة وبطولة ومهارة رماة الجيش الاسرائيلي الذين اجتاحوا طائرة السابينا في مطار اللد في شهر أيار ١٩٧٢ وقتلوا الفدائيين فيها مهددين سلامة الركاب للخطر . وافلام « الخروج » (اكسودس) و« بن حور » و« الوصايا العشر » و« داخاو » حافلة بالامثلة عن تمجيد اليهودي والحط من شأن العربي او الالماني او اي انسان آخر يعادي الصهيونية .

٧ ــ تشويه الحضارة العربية الاسلامية وهذه مهمة برز فيها بشكل واضح المستشرقون الذين منهم عدد كبير من الصهيونيين .

واخيرا وليس آخرا ، لقد وصل الصهيونيون بالاعلام وأساليبه الى القمة ، فما من جهة اخرى من قبل نجحت في استخدامه بفعالية الى هذا الحد . ولا ريب ان الاعلام الصهيوني كان وما يزال من الركائز الاساسية التي تعتمد عليها قوة الحركة الصهيونية واسرائيل في العالم . وقوة الاعلام الصهيوني هذه تشكل واحدة من أخطر المخاطر ليس على كيان العالم العربي ومصيره فحسب بل وعلى مصير السلم العالمي ايضا .

بيد ان الاعلام الصهيوني على قوته ليس بالقدر المحتوم الذي لا يمكن رده ، فحبل الكذب قصير والثورة التي شهدتها وسائل الاتصالات لم تعد تسمح باخفاء الحقائق كلها عن الناس مهما بلغت سيطرة الصهيونيين على وسائل الاتصالات هذه وتسخيرها لاغراضهم في بعض مناطق العالم .

ان اسرائيل تكشف عن طبيعتها العدوانية التوسعية العنصرية يوما بعد آخر وانصار الحقيقة والحرية والعدالة في العالم كثيرون ، وبالتعاون مع هؤلاء يستطيع العرب ان يتصدوا لاسرائيل والصهيونية ليس اعلاميا فحسب وانما سياسيا واقتصاديا وعسكريا لتصحيح منطق الاشياء في هذه المنطقة من العالم ، وذلك كله يتوقف على مدى نجاح العرب في التخلص من سلبيات واقعهم المتردي الراهن حيث يستشري الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وبالتالي العسكري ، وايضا الخلاص من الفرقة والتجزئة والتشتت وأجواء الكبت والارهاب المسلط على الجماهير والتخلص من الافكار الغيبية والميتافيزيقية والذهنية الديماغوغية الغوغائية وروح اللامسؤولية والتواطؤ تجاه القضية القومية والاستنكاف عن التصريحات الطفولية الغبية ، الم يصف موشي دايان التصريحات العنترية العربية عشية حرب حزيران بأنها « كانت تساوي اربع فرق عسكرية تحارب الى جانب اسرائيل » ؟

الحواشي :

١ — Taylor, Alan R.: *Prelude to Israel,* The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1970, p. 25.

٢ — *American Jewish Year-Book,* Vol. 72, 1971, p. 191.

٣ — *Israel Government Year Book* 5731 (1970-71), Central Office of Information, pp. 377-380.

٤ — *Ibid.*, p. 378, 379.

٥ — *Israel Government Year Book* 5730 (1969-70), p. 241.

٦ — *Ibid.*, p. 242.

٧ — *Ibid.*, p. 239.

٨ — *Ibid.*, p. 243.

٩ — *Israel Government Year Book* (1970-71), p. 104.

١٠ — مجلة **المصور** القاهرية في ١٩٦٨/٤/١٢ .

١١ — اشارة الى انتحار بضع مئات من اليهود في فلسطين في قلعة مسادا قرب البحر الميت التجأوا اليها بعد انسحق الرومانثورة اليهود فيفلسطين عام ٧٠ ميلادية ، ولما ضيق الرومان الحصار عليهم في القلعة اثروا الانتحار الجماعي على التسليم .

١٢ — الدكتور منذر عنبتاوي ، **اضواء على الاعلام الاسرائيلي** ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٤٨ .

١٣ — مزامير داود ، المزمور ١٣٧ .

١٤ — Josef Fraenkel, *The Jewish Press of the World,* the Cultural Department of the World Jewish Congress, London, W. 1, Seventh Edition, pp.7-11.

التجارة الخارجية في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧

الدكتور محمد فريد البستاني

نهدف في دراستنا لاوضاع التجارة الخارجية في الاراضي المحتلة بعد حـــرب حزيران ١٩٦٧ ، ما عدا الجولان ، الى تحديد الاتجاهات الاخيرة لحجم التبادل التجاري بين الاراضي المحتلة من جهة وبين اسرائيل والاردن وبقية البلدان من جهة أخرى . وبصورة ثانيا ان تحليلنا لارقام التجارة الخارجية يظهر العجز في الميزان التجاري للاراضي المحتلة وبصورة أدق فائض الاستيراد على التصدير وكيف يمكن ان يكون هذا العجز سبيلا لسيطرة اسرائيل الاقتصادية على الاراضي المحتلة وبالتالي الى الاستيلاء على الثروات الطبيعية والاراضي الزراعية الخصبة .

ان الارقام الواردة في هذه الدراسة مستقاة بصورة اساسية مـــن النشرات الشهرية الاحصائية للاراضي المحتلة الصادرة عن مكتب الاحصاء الاسرائيلي وكذلك النشرات السنوية الاحصائية الصادرة عن هذا المكتب .

التجارة الخارجية مع اسرائيل

١ ــ استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل :

من الصعب جدا تحديد اتجاه واضح لعمليات التبادل التجاري بين الاراضي المحتلة واسرائيل نظرا لصغر الفترة المدروسة ولكن الارقام تدل دلالة واضحة على المخطط الاسرائيلي الهادف الى ربط الاراضي المحتلة ، اقتصاديا ، باسرائيل . وفي الواقع بلغت نسبة استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل في عـــام ١٩٧٠ حوالي ٨٤ ٪ من مجمـــل الاستيراد ولقد سجلت هذه النسبة تزايدا ملحوظا في الفترة الواقعة بين ١٩٦٨ و١٩٧١ اذ ازدادت من ٧٦ ٪ الى ٨١ ٪ .

استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل
١٩٦٨ ــ ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

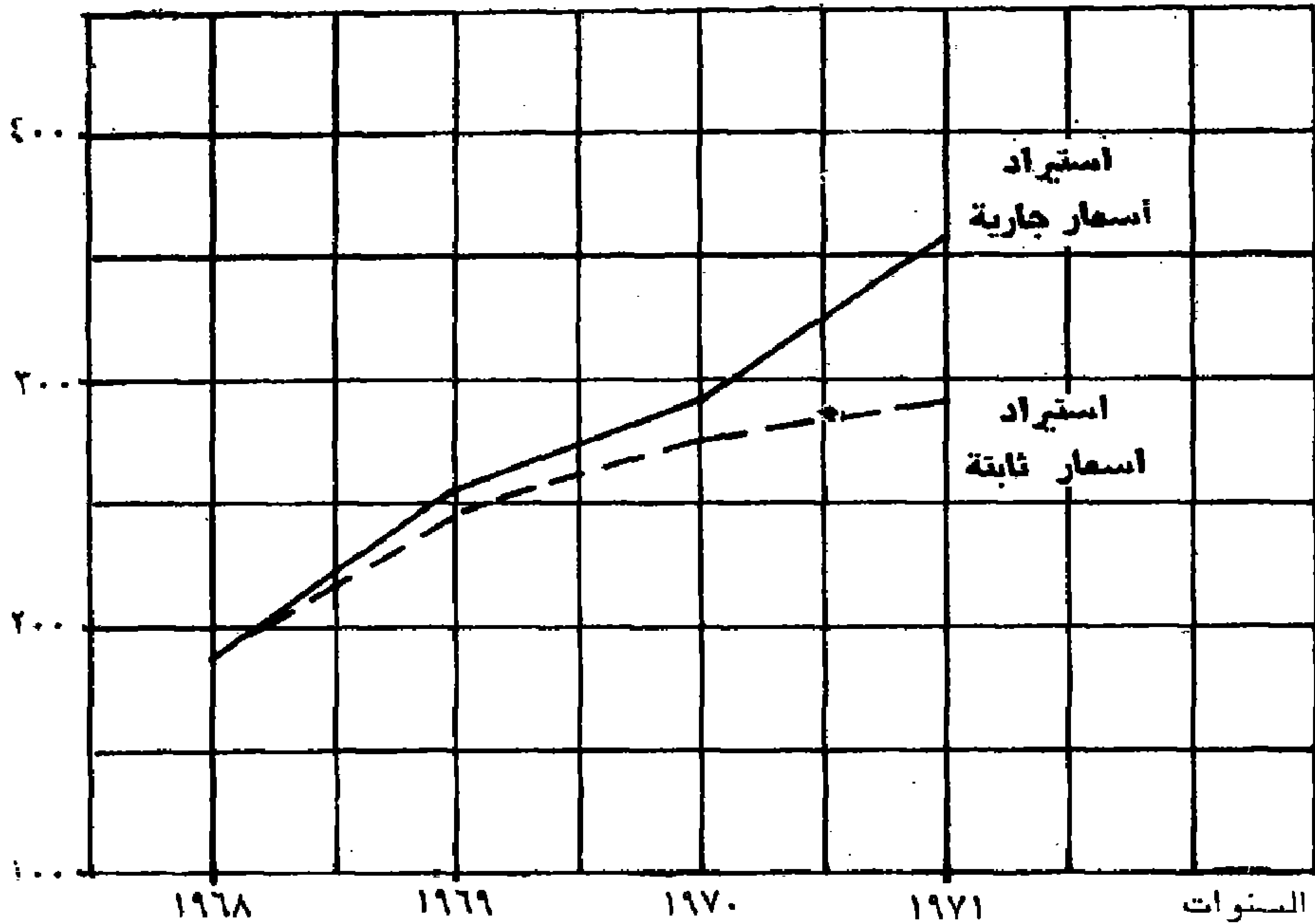
جدول رقم ١

السنوات	١٩٦٨		١٩٦٩		١٩٧٠		١٩٧١	
الاسعار الجارية		٪		٪		٪		٪
انتاج زراعي	٤٩،١	٢٦	٣٨،٢	١٥	٥٨،١	٢٠	٦٥،٧	١٨
منتجات صناعية	١٣٨،٣	٧٤	٢١٦،٦	٨٥	٢٣٢،٨	٨٠	٢٩٠،٣	٨٢
المجموع	١٨٧،٤		٢٥٤،٨		٢٩٠،٩		٣٥٦	
الاســـعار الثابتة (سنة الاساس ١٩٦٨ = ١٠٠)								
المجموع	١٨٧،٤		٢٤٧،٣		٢٧٢،١		٢٩٣،٧	

مخطط رقم (١)

استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل

١٩٦٨ — ١٩٧١



التطور الزمني لمستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل : ازداد مقدار ما تستورده الاراضي المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء) من اسرائيل من ١٨٧،٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٣٥٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ أي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢٤٪ . لا بد لنا من الاشارة الى ان دراسة تطور المستوردات بالاسعار الجارية ليست ذو دلالة علمية اكيدة وذلك بسبب ارتفاع مستوى الاسعار وبالتالي التضخم المالي في اسرائيل الذي أثر على القيمة الشرائية لليرة الاسرائيلية ولهذا نجد أنه من الضروري النظر الى المستوردات بالاسعار الثابتة .

ونظرا لافتقارنا للارقام القياسية للتجارة الخارجية ، استعملنا الارقام القياسية الاستهلاكية — النشرة الشهرية للاراضي المحتلة الصادرة عن مكتب الاحصاء الاسرائيلي — وذلك انطلاقا من ان الجزء الاكبر من المستوردات موجه الى تأمين الحاجات الاستهلاكية للمجتمع في الاراضي المحتلة . وعلى هذا نجد ان استعمالنا للارقام القياسية الاستهلاكية (سنة الاساس ١٩٦٨ : ١٠٠) اعطينا التطور الزمني للمستوردات صورة أكثر واقعية وبحيث كانت نسبة الزيادة السنوية ١٦ ٪ . اما عن عام ١٩٧٢ فالمعلومات غير متوفرة عن كامل العام وكل ما لدينا هو المستوردات عن الاشهر الثلاثة الاولى والتي تبلغ ٨٧،٤ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية وانطلاقا من ان نسب توزع المستوردات خلال العامين ١٩٧١ و ١٩٧٢ يمكن ان تكون متشابهة ، نستطيع ان نقدر مستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل لعام ١٩٧٢ بحوالي ٤٣٩ مليون ليرة اسرائيلية والذي يعتبر رقما متواضعا نسبة الى ارتفاع الاسعار وانخفاض القيمة الشرائية لليرة الاسرائيلية واذا حاولنا تقييم الاستيراد لعام ١٩٧٢ بالاسعار الثابتة ، نجد أنه يبلغ ٣١٨ مليون ليرة اسرائيلية .

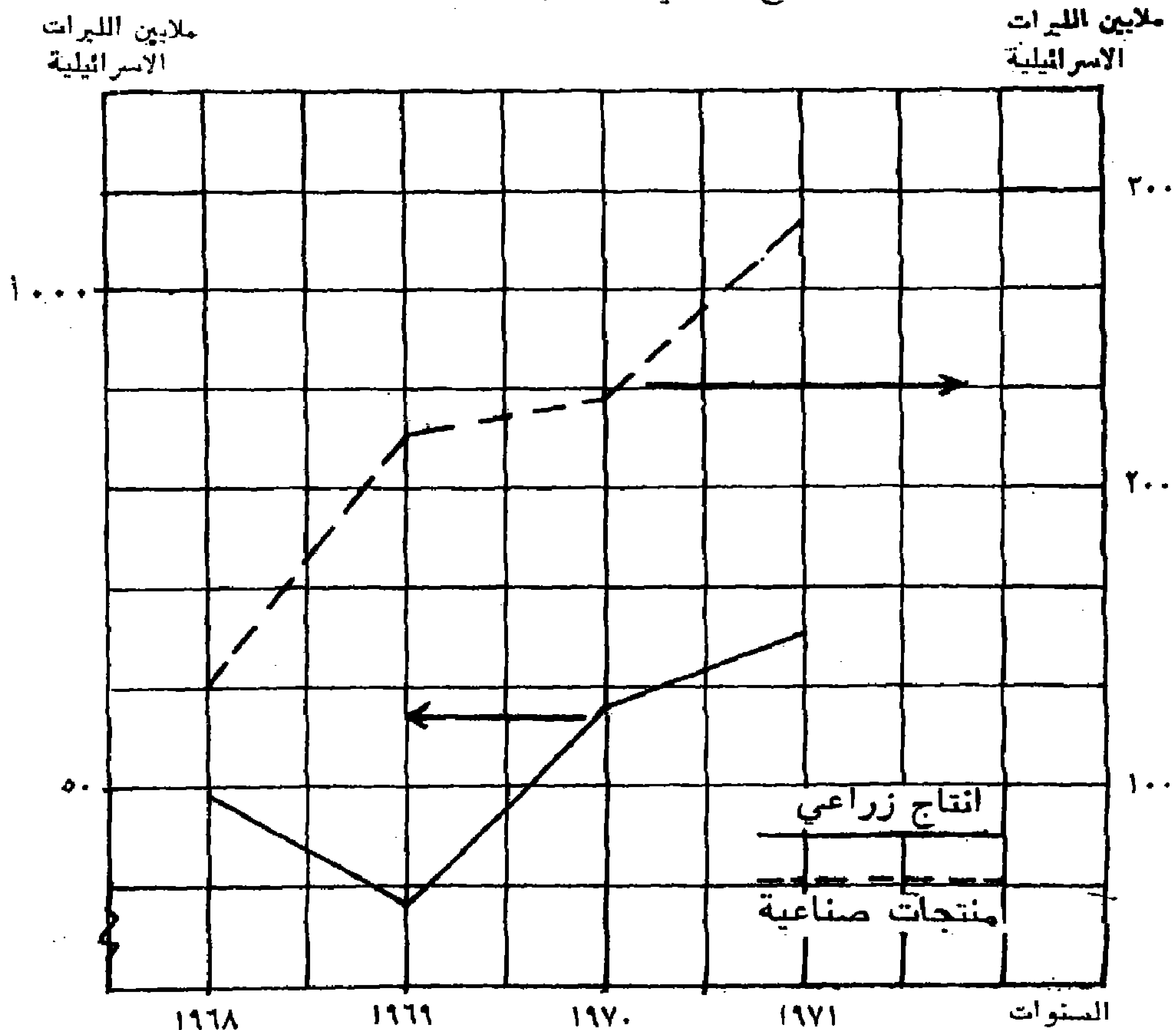
نوعية مستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل : يغلب على المستوردات طابع المنتجات الصناعية بحيث شكلت المنتجات الصناعية حوالي ٨٢ ٪ من مجمل المستوردات من اسرائيل ، في عام ١٩٧١ مقابل ٧٤ ٪ في عام ١٩٦٨ مما يدل على حاجة الاراضي المحتلة للسلع المصنعة وعمل اسرائيل على تأمين معظم الحاجات الاستهلاكية للاراضي المحتلة، هادفة الى السيطرة الاقتصادية بالاضافة الى الاحتلال العسكري .

يلاحظ من المخطط رقم (٢) التزايد المستمر للمستوردات المصنعة في اسرائيل مع بعض التباطؤ في الفترة ٦٩/٧٠ وقد سجلت المستوردات المصنعة تزايداً سنويا قدره ٢٨ ٪ خلال الفترة ٦٨/١٩٧١ . ان هذا التزايد بالاسعار الجارية لا يعكس حقيقـة تطور المستوردات من اسرائيل ولكن يمكننا القول ان اسرائيـل ، انطلاقا من سياستهـا الاقتصادية العامة الهادفة الى زيادة أرقام صادراتها الصناعية وذلك عن طريق البحث عن أسواق استهلاكية جديدة ، فهي ولا شك تسعى الى زيادة صادراتها الى الاراضي المحتلة بصورة محسوسة وتقليص التعامل التجاري (الاستيراد) للاراضي المحتلة مع الاردن . اما بالنسبة للمستوردات الزراعية فقد ازدادت خلال الفترة ١٩٦٨ ــ ١٩٧١ بمعدل ١٠،٣ ٪ سنويا وذلك بغض النظر عن الهبوط الحادث في عام ١٩٦٩ اذ تناقصت مستوردات الاراضي المحتلة من الانتاج الزراعي لاسرائيل من ٤٩،١ مليونا الى ٣٨،٢

مخطط رقم (٢)

استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل

(انتاج زراعي ــ منتجات صناعية)



مليونا . اذن نلاحظ ان مستوردات الاراضي المحتلة من المنتجات الصناعية ازدادت بصورة أكبر بكثير مما ازدادته المستوردات من الانتاج الزراعي وهذا ما يعكس الطبيعة الزراعية للاقتصاد في الاراضي المحتلة .

استيراد الضفة الغربية وقطاع غزة من اسرائيل : يشكل استيراد الضفة الغربية من اسرائيل حوالي ٦٤ ٪ من مجمل استيراد الاراضي المحتلة . وقد ازداد استيراد الضفة الغربية من اسرائيل من ١٩٠،٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٠ الى ٢٢٧،٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ (بالاسعار الجارية) أي بما يعادل ١٩ ٪ مقابل ٥ ٪ بالاسعار الثابتة وهي نسبة لا ترضي ، بالطبع ، مطامع اسرائيل الاقتصادية .

اما الصفة المميزة لمستوردات الضفة الغربية من اسرائيل فهي صفة المنتجات الصناعية اذ تشكل حوالي ٨٢ ٪ من مجمل استيراد الضفة الغربية .

استيراد الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء من اسرائيل
١٩٧٠ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٢

السنوات	١٩٧٠			١٩٧١		
المناطق	انتاج زراعي	منتجات صناعية	المجموع	انتاج زراعي	منتجات صناعية	المجموع
الضفة الغربية	٣٧،٣	١٥٣،٤	١٩٠،٧	٣٩،٧	١٨٧،٧	٢٢٧،٤
قطاع غزة وشمال سيناء	٢٠،٨	٧٩،٤	١٠٠،٢	٢٦،٠	١٠٢،٦	١٢٨،٦
المجمـوع	٥٨،١	٢٣٢،٨	٢٩٠،٩	٦٥،٧	٢٩٠،٣	٣٥٦

قطاع غزة وشمال سيناء يختصان بـ ٣٦ ٪ من مستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل وقد ازداد استيرادهما من ١٠٠،٢ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٠ الى ١٢٨،٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٠ اي ما يعادل زيادة قدرها ٢٨ ٪ (بالاسعار الجارية) و١٣ ٪ بالاسعار الثابتة . وكما هي الحال في الضفة الغربية نجد ان غالبية المستوردات هي منتجات صناعية وتبلغ حوالي ٧٩ ٪ من مجمل استيراد قطاع غزة وشمال سيناء .

٢ — صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل :

بلغت نسبة صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل في عام ١٩٧٠ حوالي ٤٦ ٪ من مجمل صادرات الاراضي المحتلة ومن الجدير بالذكر أن هذه النسبة خضعت لتغيرات هامة اذ بلغت قيمة صغرى وقدرها ٣٦ ٪ في عام ١٩٦٩ . أما في العامين ١٩٦٨ و١٩٧١ فقد كانت بحدود ٤٣ ٪ . ان هذه التموجات في تغير نسبة صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل الى المجموع العام للصادرات تعبر عن عدم تمتع الاراضي المحتلة بحريتها الاقتصادية في تصديرها أو في استيرادها وهي خاضعة بدون شك لما ترغبه اسرائيل ضمن الاطار العام لمطامعها الاقتصادية والاجتماعية . فالتصدير يتم عن طريق مؤسسات التسويق الاسرائيلية . اذن فالمزارعون الفلسطينيون يضطرون لبيع محاصيلهم بأسعار اقل بكثير من الاسعار العالمية. والمزارعون الاسرائيليون قادرون على التلاعب بالاسعار في الاراضي المحتلة عن طريق اغراق السوق بالمحاصيل الزراعية الاسرائيلية .

صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل
١٩٦٨ – ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٣

السنوات	١٩٦٨		١٩٦٩		١٩٧٠		١٩٧١	
الاسعار الجارية								
		٪		٪		٪		٪
انتاج زراعي	١٩،٢	٣٦	١١،٤	٢٢	١٦،٩	٢٤	١٨،٠	١٧
منتجات صناعية	٣٤،٤	٦٤	٤٠،٩	٧٨	٥٦،٣	٧٦	٨٧،٥	٨٣
المجموع	٥٣،٦		٥٢،٣		٧٣،٢		١٠٥،٥	
(١٩٦٨ = ١٠٠) الاسعار الثابتة								
المجموع	٥٣،٦		٥٠،٧		٦٨،٩		٨٧	

التطور الزمني لصادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل : ازدادت صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل من ٥٣،٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١٠٥،٥ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ اي بتزايد سنوي قدره ٢٥،٣ ٪ وذلك بالاسعار الجارية وبغض النظر عن التناقص الحادث في الفتـــرة ١٩٦٨/١٩٦٩ والبالغ ١،٣ مليون ليرة اسرائيلية . لا يمكننا بالطبع اعطاء دلالة علمية اكيدة لتطور الصادرات بالاسعار الجارية وذلك بسبب هبوط القيمة الشرائية لليرة الاسرائيلية ولهذا سنعمد الى دراسة التطور عن طريق النظر الى الصادرات بالاسعار الثابتـــة مستعملين الارقـــام القياسيـــة الاستهلاكية*. واعتبارا من هذا المنطلق نجد ان التطور الزمني للصادرات اقترب من الواقعية التي تفرضها الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها الاراضي المحتلة وسجل تزايدا سنويا قدره ١٧،٦ ٪ .

اما صادرات عام ١٩٧٢ فهي متوفرة للاشهر الثلاثة الاولى فقط وتبلغ حوالي ٢٧،٨ مليون ليرة اسرائيلية وباعتبار ان صادرات كل من ١٩٧١ و ١٩٧٢ قد تكون ذات توزع زمني متشابه فاننا استطعنا تقدير صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل لعام ١٩٧٢ بحوالي ١٥١ مليون ليرة اسرائيلية أي حوالي ١٠٩ ملايين ليرة اسرائيلية بأسعار عام ١٩٦٨ .

نوعية صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل : يلاحظ من الجدول رقم (٣) ان هناك اتجاها متزايدا للاهمية النسبية للصادرات الصناعية الى اسرائيل فقد ازدادت النسبة من ٦٤ ٪ في عام ١٩٦٨ الى ٨٣ ٪ في عام ١٩٧١ . اذن فالصفة الصناعية هي الغالبة على صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل ويمكن ان تفسر هذه الظاهرة بأن تكلفة التصنيع المعتدلة هي التي تدفع التجار الاسرائيليين الى شراء السلع المصنعة مـــن

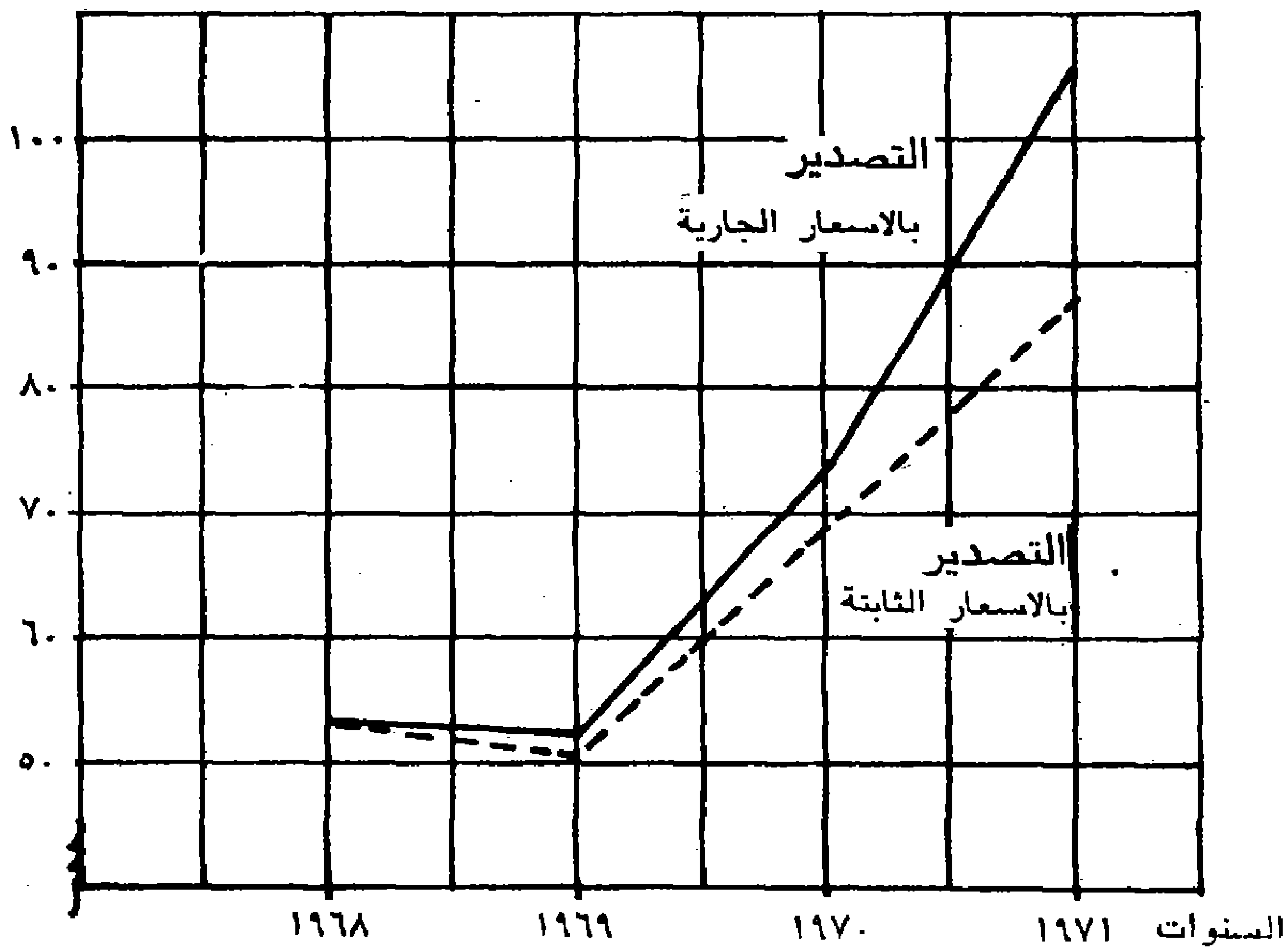
* بالرغم من ان الارقام القياسية الاستهلاكية غير صالحة في مجال الصادرات وذلك بسبب الفارق بين سعر التصدير وسعر الاستهلاك (بغض النظر عن طبيعة الهيكل التركيبي للصادرات) ، هذا الفارق الذي سببته المفاهيم الاقتصادية النظرية من جهة وثانيا التدخل الاسرائيلي في التسويـــق بالنسبة لمنتجات الاراضي المحتلة ، فاننا مضطرون لاستعمالها لعدم توفر الارقام القياسية للتجارة الخارجية .

الاراضي المحتلة بالاضافة الى تحكم اسرائيل بأسعار التصدير بالاراضي المحتلة وخاصة للسلع نصف المصنعة التي يتم تصنيعها في اسرائيل ثم يعاد تصديرها اما الى الاراضي المحتلة او الى بقية بلدان العالم . ويلاحظ من المخطط رقم (٤) الاتجاه المتزايد المستمر للصادرات الصناعية اذ بلغت النسبة الوسطية للزيادة السنوية للصادرات حوالي ٣٧٪ وذلك خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧١ . بالطبع ان هذا التزايد للصادرات بالاسعار الجارية لا يعكس الواقع الفعلي للصادرات وكل ما يمكنه القول ان صادرات الاراضي المحتلة من جهة وصادراتها الى بقية البلدان والاردن من جهة ثانية ترتبط بما تجنيه اسرائيل من منافع مباشرة وغير مباشرة من اعتماد الاراضي المحتلة ، اقتصاديا ، على اسرائيل . اما الصادرات الزراعية فتطورها غير منتظم فقد هبطت بمقدار ٧ر٨ مليون ليرة اسرائيلية خلال عام واحد ، اي خلال الفترة ٦٨/٦٩ . ثم عادت الى التزايد المتباطىء بعد ذلك . ومن الجدير بالذكر ان الاهمية النسبية للصادرات الزراعية هي بتناقص مستمر اذ هبطت نسبة الصادرات الزراعية من ٣٦ ٪ في عام ١٩٦٨ الى ١٧ ٪ في عام ١٩٧١ .

مخطط رقم (٣)

صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل

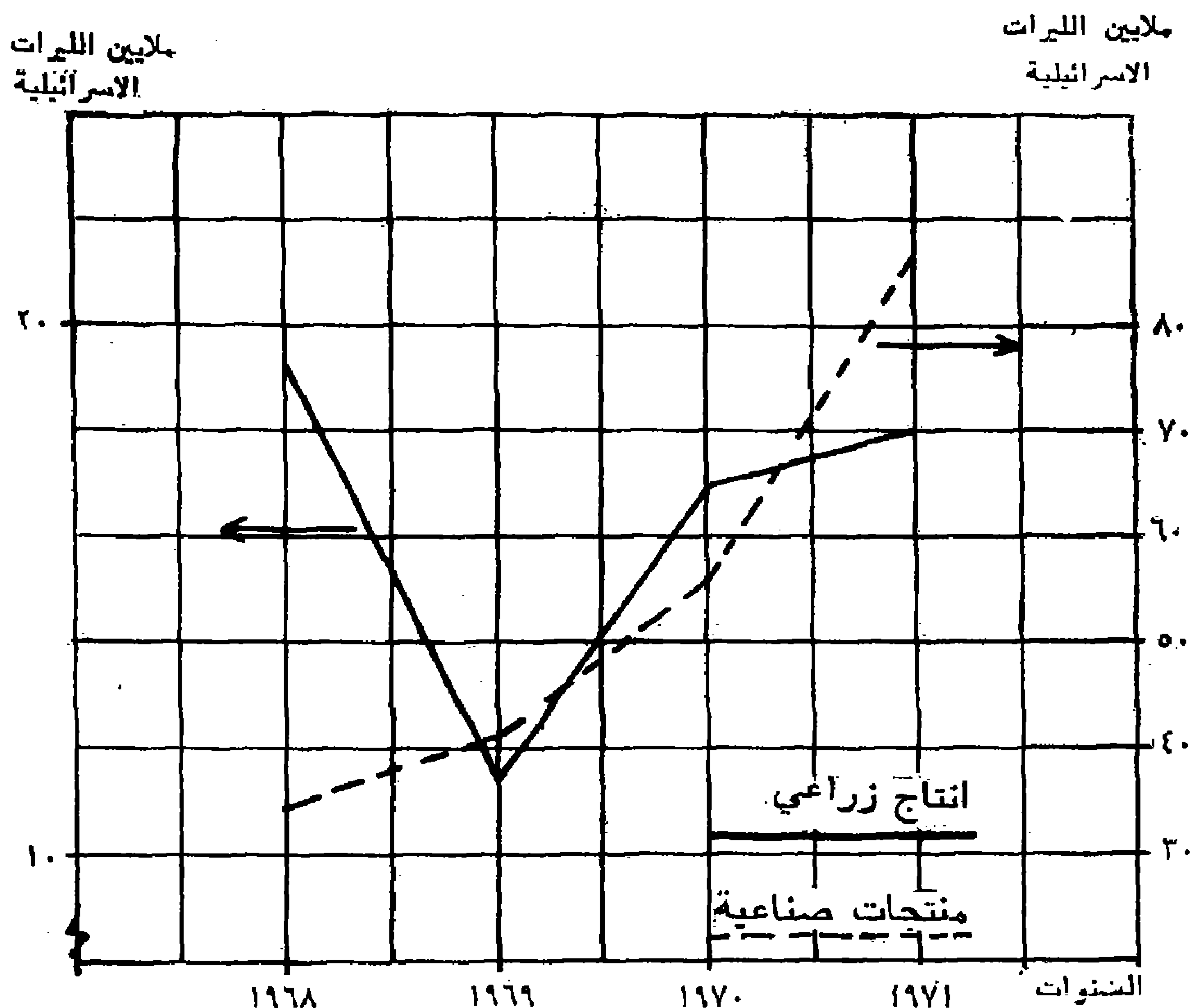
١٩٦٨ — ١٩٧١



صادرات الضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل : تصدر الضفة الغربية الى اسرائيل حوالي ٧٤ ٪ من مجموع صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل وقد ازدادت هذه الصادرات من ١ر٥٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٠ الى ٦ر٧٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ . ومن المرجح ان جزءا لا بأس به من صادرات الضفة الغربية الى اسرائيل هو عبارة عن اعادة تصدير — أي أن بعض المنتجات الصناعية (كالاسمنت)

المستوردة من الاردن يتم اعادة تصديرها الى اسرائيل عن طريق بعض التجار الفلسطينيين في الضفة الغربية — .

مخطط رقم (٤)
صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل
(انتاج زراعي ، منتجات صناعية)



صادرات الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء الى اسرائيل
١٩٧٠ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٤

المناطق/السنوات	١٩٧٠			١٩٧١		
الاسعار الجارية	انتاج زراعي	منتجات صناعية	المجموع	انتاج زراعي	منتجات صناعية	المجموع
الضفة الغربية	١١،٧	٤٥،٤	٥٧،١	١١،٩	٦٥،٧	٧٧،٦
قطاع غزة وشمال سيناء	٥،٢	١٠،٩	١٦،١	٦،١	٢١،٨	٢٧،٩
المجموع	١٦،٩	٥٦،٣	٧٣،٢	١٨	٨٧،٥	١٠٥،٥

(١) « ان الاسرائيليين حينما أنشأوا خط بارليف ، احتاجوا للحديد ، فقام التجار الفلسطينيون في الضفة الغربية الذين اصبحوا من اصحاب الملايين ، بتزويد اسرائيل بالحديد الذي جمعوه من لبنان والاردن وسوريا ... مع العلم ان مصنع الترابة الذي يملكه رياض المفلح والذي يقع قرب القصر الملكي في الاردن ، يصرف ٦٥ ٪ من انتاجه في اسرائيل ... علما ان الاسمنت مادة استراتيجية خاضعة للرقابة العسكرية » . حديث للسيد ياسر عرفات في لقاء مع الاحزاب اللبنانية . المحرر في ١٩٧٣/٥/١٧ .

(٢) « قالت منظمة المقاولين في أشدود اليوم ان المقاولين سيضربون خلال اسبوعين عن حركة البناء في اشدود ليوم واحد ، اذا لم يتم التوصل حينذاك الى حل للنقص الخطير في الاسمنت . وفي ندوة صحفية جرت في أشدود ادعى المقاولون انهم مضطرون للتوجه الى السوق السوداء لشراء الاسمنت ، وان الامر متعذر ايضا هناك على الرغم من يزيد في هذه عن ٥٠٠ ليرة اسرائيلية للطن الواحد من الاسمنت ... » — رصد اذاعة اسرائيل العدد رقم ٢٢٥ في ١٩٧٣/٥/١٧ — .

اذن الصفة المميزة لصادرات الضفة الغربية هي صفة صناعية وتشكل حوالي ٨٣ ٪ من مجموع صادراتها . اما قطاع غزة وشمال سيناء فيصدران حوالي ٢٦ ٪ من مجموع صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل وقد ازدادت صادراتها من ١٦٫١ مليون ليرة اسرائيلية الى ٢٧٫٩ مليون ليرة اسرائيلية وذلك من ١٩٧٠ الى ١٩٧١ .

(٣) « يصدر قطاع غزة السردين الى مصانع التعليب الاسرائيلية وتسعى نقابة صيادي الاسماك في اسرائيل الى تقليص هذا التعامل التجاري . — أنظر صفحة ١١٨ من هذه الدراسة » .

وكما هي الحال فطبيعة صادرات قطاع غزة وشمال سيناء هي صناعية وتشكل حوالي ٧٥ ٪ من كامل صادرات القطاع الى أسرائيل .

٣ — ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع اسرائيل وفائض الاستيراد :

يلاحظ من الجدول رقم (٥) ان ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع اسرائيل هو بعجز مستمر فاستيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل هي اكبر بكثير من تصديرها ولقد ازداد فائض الاستيراد على التصدير من ١٣٣٫٨ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٢٥٠٫٥ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ (بالاسعار الجارية) أي حوالي ٩٠ ٪ خلال ثلاث سنوات . أي ما يعادل ٥٤ ٪ بأسعار ١٩٦٨ الثابتة .

فائض استيراد الاراضي المحتلة مع اسرائيل

(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٥

اسعار جارية/في السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
فائض الاستيراد على التصدير	١٣٣٫٨	٢٠٢٫٥	٢١٧٫٧	٢٥٠٫٥
اسعار ثابتة/في السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
فائض الاستيراد على التصدير	١٣٣٫٨	١٦٦٫٦	٢٠٣٫٢	٢٠٦٫٧

وان كانت اسرائيل تغطي عجز ميزانها التجاري بالمنح والتبرعات التي ترد اليها من جميع يهود العالم فان الاراضي المحتلة ليست كذلك وكل ما نخشاه انها تزداد من يوم الى آخر ارتباطا بالاقتصاد الاسرائيلي واصبحت العوبة لتحقيق أهدافه عن طريق — اعادة التصدير — وتهدف اسرائيل الى امتلاك المؤسسات الصناعية العربية في الاراضي المحتلة متبعة أساليب مختلفة منها : فرض الضرائب الباهظة التي لا يتحملها رجل الاعمال الفلسطيني ، اغراق الاسواق بالسلع للمنافسة وايقاع المؤسسات الصناعية بالعجز المالي ، سحب اليد العاملة الماهرة العربية واستخدامها في اسرائيل ، مما يؤدي الى رفع تكلفة الانتاج في الاراضي المحتلة بسبب فقدان اليد العاملة . اما من جهة الزراعة فان قبول العمال الفلسطينيين العمل مع الاسرائيليين يؤدي الى ترك مساحات من الاراضي الزراعية الخصبة دون زرع — بيارات البرتقال في قطاع غزة — وبالتالي الى هبوط الانتاج الزراعي من جهة والى اعطاء الوسيلة الى اسرائيل لمصادرة هذه الاراضي باعتبارها مهملة من جهة أخرى .

التجارة الخارجية مع الاردن

١ — استيراد الاراضي المحتلة من الاردن :

من المخطط رقم (٥) نلاحظ التناقص المستمر لاستيراد الاراضي المحتلة من الاردن وبالفعل فالاهمية النسبية لمستوردات الاراضي المحتلة من الاردن بالنسبة للاستيراد العام تناقصت من ٧ ٪ في عام ١٩٦٨ حتى ٣ ٪ في عام ١٩٧١ . اذن فاستيراد الاراضي المحتلة من الاردن هو ضئيل جدا وهو موجود ما دامت المصالح الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل غير متضررة وأكثر من ذلك منتفعة فمثلا تستعمل اسرائيل الاسمنت المستورد من الاردن لبناء وتحصين قواعدها العسكرية في الضفة الغربية ، لبناء مستعمراتها الواقعة على الحدود وفي مرتفعات الجولان .

التطور الزمني لاستيراد الاراضي المحتلة من الاردن : تناقص الاستيراد من ٢ر١٨ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ وذلك بالاسعار الجارية أي بنقصان قدره ٢٠ ٪ كما يلاحظ وجود ارتفاع في استيراد الاراضي المحتلة من الاردن في عام ١٩٦٩ اذ ازداد بمقدار ٧ر٦ مليون ليرة اسرائيلية ، انظر جدول ٦ . هذا

استيراد الاراضي المحتلة من الاردن
١٩٦٨ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٦

السنوات	١٩٦٨		١٩٦٩		١٩٧٠		١٩٧١	
اسعار جارية								
		٪		٪		٪		٪
انتاج زراعي	١٣،٣	٧٣	١٧	٦٩	٥،٢	٤٠	٥،٠	٣٦
منتجات صناعية	٤،٩	٢٧	٧،٩	٣١	٧،٧	٦٠	٩،٠	٦٤
المجموع	١٨،٢		٢٤،٩		١٢،٩		١٤،٠	
اسعار ثابتة (سنة الاساس ١٩٦٨)								
المجموع	١٨،٢		٢٤،١		١٢		١١،٥	

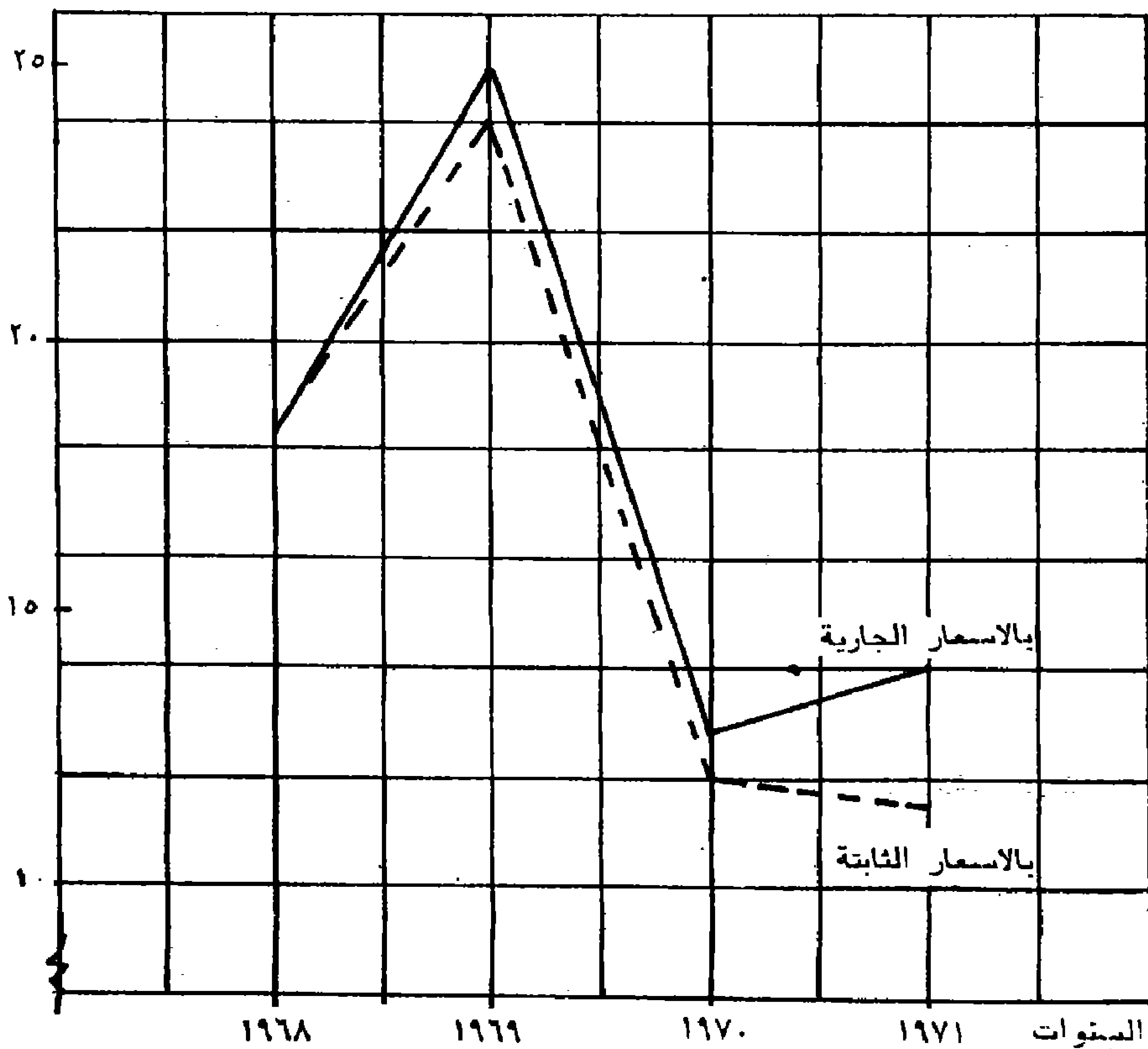
عائد بالطبع لانخفاض استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل بمقدار ٩ر١٠ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ وضرورة سماح اسرائيل للاراضي المحتلة بتعويض هذا النقص عن طريق الاردن (انظر جدول رقم ١) . اما استعمالنا للارقام القياسية الاستهلاكية كوسيلة لتقييم الاستيراد بأسعار عام ١٩٦٨ فقد أعطى نقصان الاستيراد أهمية أكبر اذ تناقص من ٢ر١٨ مليون في عام ١٩٦٨ الى ٥ر١١ مليون في عام ١٩٧١ أي بمعدل نقصان قدره ٣٧ ٪ .

اما بالنسبة للاستيراد في عام ١٩٧٢ فهو غير متوفر لكامل العام وكل ما لدينا ارقام الاستيراد من الاردن للاشهر الثلاث الاولى ، حيث بلغ الاستيراد حوالي ١ر٤ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية ونظرا لعدم وجود اتجاه معين لتطور الاستيراد من الاردن فانه من الصعب تقدير استيراد ١٩٧٢ وكل ما يمكن قوله ان اسرائيل تساعد بصورة غير مباشرة على تنمية التبادل التجاري للاراضي المحتلة مع الاردن وان هناك اتجاها لازدياد الاستيراد وخاصة للمنتجات الصناعية .

مخطط رقم (٥)

استيراد الاراضي المحتلة من الاردن

١٩٦٨ — ١٩٧١



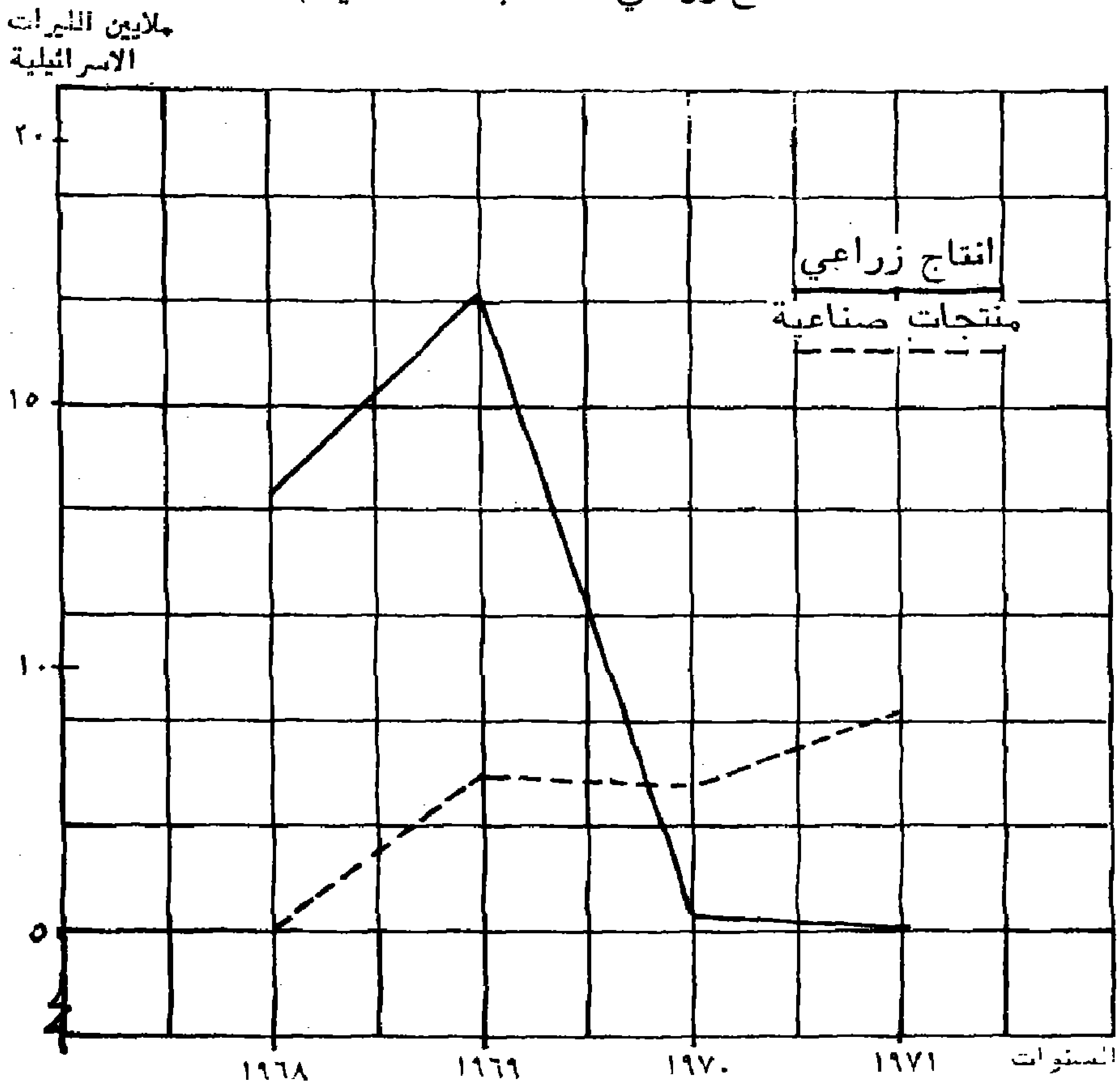
نوعية استيراد الاراضي المحتلة من الاردن : يلاحظ من الجدول رقم (٦) تزايد الاهمية النسبية للمستوردات ذات الطبيعة الصناعية ، فقد ازدادت من ٢٧ ٪ في عام ١٩٦٨ الى ٦٤ ٪ في عام ١٩٧١ وبالفعل فقد ازدادت مستوردات المنتجات الصناعية للاراضي المحتلة

من ٩ر٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٩ ملايين ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ اي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢٨ ٪ بالاسعار الجارية . وتشمل مستوردات المنتجات الصناعية : الافلام السينمائية والتصويرية ، الآلات واجزاؤها ، الملابس والمنتجات القطنية ، الورق ومتطلبات الطباعة ، الزيوت ، الالبان ومشتقاتها ، القهوة ومنتجات أخرى وعلى الاغلب تشمل « منتجات أخرى » كل ما لم يرد يذكــره في فئات السلع المذكورة سابقا وخاصة المواد التي يعاد تصديرها الى اسرائيل أو التي تستهلك من قبل المؤسسات والمستعمرات الصهيونية في الاراضي المحتلة ـ انظر جدول ٧ ـ .

مخطط رقم (٦)

استيراد الاراضي المحتلة من الاردن

(انتاج زراعي ـ منتجات صناعية)



اذا تركنا جانبا الفئة « منتجات اخرى » والتي تشكل حوالي ٥٩ ٪ من المستوردات الصناعية لعام ١٩٧١ ، نجد ان فئة « الزيوت » تشكل نسبة مرتفعة من مستوردات المنتجات الصناعية للاراضي المحتلة من الاردن اذ تبلغ حوالي ٢٦ ٪ لنفس العام ومن الجدير بالذكر التنويه ان هذه النسبة كانت حوالي ١٢ ٪ في عام ١٩٦٨ . وتأتي بعدها فئة « الملابس والمنتوجات القطنية » وتشكل حوالي ٥ ٪ من المستوردات المصنعة . وأعتقد ان هذه النسبة طبيعية لان اسرائيل يمكن أن تتكفل لوحدها بحاجات الاراضي المحتلة من الملابس والمنتوجات القطنية .

اما المستوردات الزراعية فهي تميل الى التناقص اذ بلغت في عام ١٩٧١ حوالي ٥ ملايين ليرة اسرائيلية مقابل ١٣ر٣ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ . الا انه في عام ١٩٦٩ ارتفعت المستوردات الزراعية من الاردن الى ١٧ مليون ليرة اسرائيلية وهذا عائد الى انخفاض مستوردات المنتجات الزراعية من اسرائيل ، اذ بلغت ٣٨ر٢ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ مقابل ٤٩ر١ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ — انظر جدول رقم ١ — .

استيراد الاراضي المحتلة من الاردن
المنتجات الصناعية
١٩٦٨ — ١٩٧١
(بآلاف الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٧

فئات السلع الرئيسية/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
الافلام السينمائية والتصويرية	١٤٨	٣٧٤	٢٦٣	٩٢
الآلات واجزاؤها	٢٢١	٧٠٠	٤٤٦	٢٢٢
الملابس والمنتوجات القطنية	٣٣٠	٥١١	٤٧٤	٤٧٣
الورق ومتطلبات الطباعة	١٤٩	٢٧٩	٢٣٣	٢٨٥
الزيوت	٥٨٣	٩٨٢	٨٠٥	٢٤١٤
الالبان ومشتقاتها	٥٤٩	٢٥٨	٢١٦	٢٦٥
القهوة	٣٠١	١٦٢	٣٦	٢٠
منتجات أخرى	٢٦١٤	٤٦٦٤	٥١٥٢	٥٤١٥
المجموع	٤٨٩٥	٧٩٣٠	٧٦٢٨	٩٠٨٦

٢ — صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن :

شكلت صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن حوالي ٣٣ ٪ من مجمل صادرات الاراضي المحتلة لعام ١٩٧١ . وتعتبر صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن عاملا ايجابيا في تجارة الاراضي المحتلة اذ بلغت خلال الفترة ١٩٦٨ — ١٩٧١ حوالي ٤ أمثال استيراد الاراضي المحتلة من الاردن وهذا ما يدل على ان الاراضي المحتلة وخاصة الضفة الغربية تشكل العامل الحيوي والرئيسي في اقتصاديات الاردن .

التطور الزمني لصادرات الاراضي المحتلة الى الاردن : ازدادت صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن من ٥٤ر٣ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٨٠ر٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ وذلك بتزايد سنوي قدره ١٥ر٥ ٪ . بصورة عامة هناك اتجاه متزايد لصادرات الاراضي المحتلة الى الاردن ، عدا الفترة ١٩٦٩/١٩٧٠ حيث نقصت الصادرات ٨ر٨ مليون ليرة اسرائيلية والسبب عائد لنقص في تصدير المنتجات الصناعية في هذه الفترة . أما استعمال أسعار عام ١٩٦٨ لتقييم الصادرات وذلك عن طريق استعمال الارقام القياسية الاستهلاكية وهي : ١٠٠ لعام ١٩٦٨ ، ١٠٣ لعام ١٩٦٩ ، ١٠٦ر٩ لعام ١٩٧٠ واخيرا ١٢١ر٢ لعام ١٩٧١ نجد نسبة الزيادة السنوية للصادرات الى الاردن أصبحت بحدود ٧ ٪ وهي أكثر واقعية في تقييم تطور قيمة الصادرات الى الاردن .

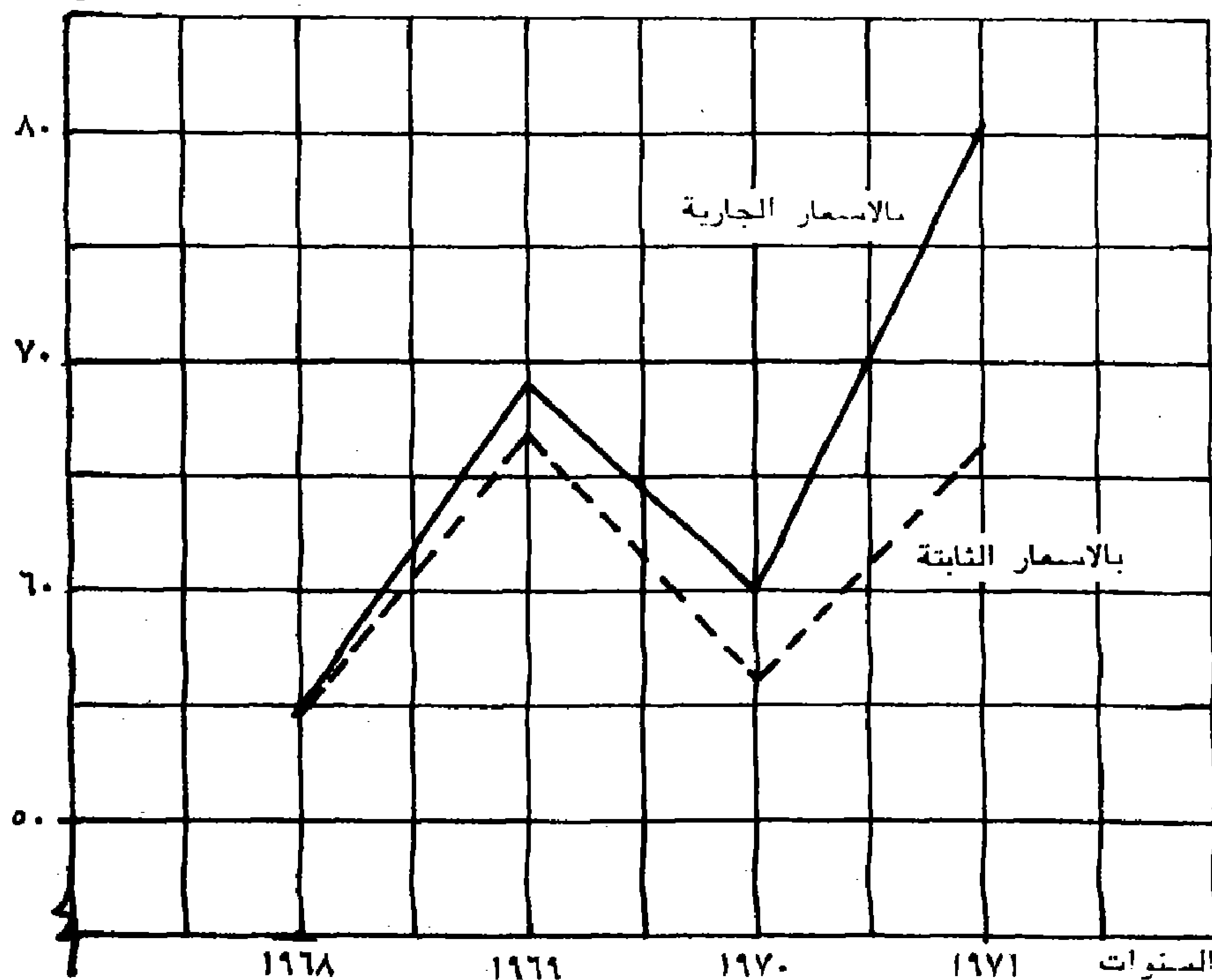
صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن
١٩٦٨ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٨

السنوات	١٩٦٨		١٩٦٩		١٩٧٠		١٩٧١	
أسعار جارية		٪		٪		٪		٪
انتـــاج زراعي	٢٦٫٣	٤٨	٢٩٫٧	٤٣	٣١٫٦	٥٢	٢٩٫٦	٣٦
منتجات* صناعية	٢٨٫٠	٥٢	٣٩٫٣	٥٧	٢٨٫٦	٤٨	٥١٫٠	٦٤
المجموع	٥٤٫٣		٦٩٫٠		٦٠٫٢		٨٠٫٦	
اسعار ثابتة ١٩٦٨ = ١٠٠								
المجموع	٥٤٫٣		٦٧		٥٦		٦٦٫٥	

مخطط رقم (٧)

صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن



* تشمل : ١ — المنتجات الزراعية نصف المصنعة . ٢ — الانتاج الصناعي .

نعود لنذكر مرة ثانية بأن استعمالنا للارقام القياسية الاستهلاكية في تقييم التصدير بالاسعار الثابتة ، ناتج عن عدم توفر الارقام القياسية للتجارة الخارجية التي تكون غالبا مختلفة عن الارقام القياسية للاستهلاك وذلك بسبب اختلاف التركيب السلعي للارقام من جهة أولى ثم اختلاف الاسعار الداخلة في حساب الارقام من جهة ثانية ولكن استعمالنا لهذه الارقام يعطي صورة أكثر واقعية لتطور حجم التبادل التجاري .

نوعية صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن : يلاحظ من الجدول رقم ٨ انه في بداية الفترة المدروسة اي في عام ١٩٦٨ كانت الاهمية النسبية لصادرات المنتجات الزراعية مقاربة لمثيلتها في صادرات المنتجات الصناعية الى الاردن ٤٨ ٪ للصادرات الزراعية ولكن يظهر هناك اتجاه لتراجع الاهمية النسبية للصادرات الزراعية اذ تبلغ في عام ١٩٧١ حوالي ٣٦ ٪ من مجمل الصادرات الى الاردن . مـا هي المنتجات الزراعية المصدرة الى الاردن ؟

صادرات الاراضي المحتلة من المنتجات الزراعية الى الاردن
حسب فئات السلع الرئيسية
(بالآف الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٩

فئات السلع/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
الحمضيات	٩٧٨٥	١١٦١١	١٨٤٧٥	١٨٦٢٢
فواكه اخرى	٦٦٧٠	٨٤٩٩	٦٢٥١	٦٣٤٤
الزيتـون	٨٢٨	٣٢٠	٢٦	١٤٤
الخضراوات	٧٦٧٠	٨٥٤٣	٦٣٣٨	٢٩٨٧
منتجات أخرى	١٣٢٩	٧٥٦	٥١٥	١٥٤٤
المجمـوع	٢٦٢٨٢	٢٩٧٢٩	٣١٦٠٥	٢٩٦٤١

الحمضيات : صدرت الاراضي المحتلة الى الاردن ، في عام ١٩٧١ ، ما قيمته ١٨ر٦ مليون ليرة اسرائيلية من الحمضيات الى حوالي ٦٣ ٪ من مجمـل صادراتها الزراعية الى الاردن . اما في عام ١٩٦٨ فقد بلغت قيمة الصادرات ٨ر٩ مليون ليرة اسرائيلية الى حوالي ٣٧ ٪ من الصادرات الزراعية . يشير هذا التطور النسبي الى أهمية الحمضيات وانتاجها بالنسبة لصادرات الاراضي المحتلة . ولهذا لا بد مـن أن نقف قليلا عنـد الحمضيات لنرى ما هي اهمية الحمضيات بالنسبة لاسرائيل وكيف تسعى اسرائيل الى مصادرة الاراضي الخصبة والبيارات في الاراضي المحتلة . ذكر لاي لوك وود في مقاله الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي المنشور في العدد ٢٠ من شؤون فلسطينية انه « بين عام ١٩٤٩ و ١٩٦٧ ، أسهم انتاج الحمضيات وبشكل مستمر بحوالي ١٥ ٪ من مجمل الانتاج الزراعي في اسرائيل وفي عام ١٩٦٧ أسهمت منتجات الحمضيات بـ ٥ر١٩ ٪ من مجمل الانتاج الزراعي . اما بالنسبة للصادرات ، استمرت الحمضيات بأن تشكل نسبة مرتفعة من اجمالي الصادرات الزراعية وقد كانت هذه النسبة حوالي ٥ر٩٩ ٪ عام ١٩٤٩ وأصبحت ٧٩ ٪ عام ١٩٦٧ » . ولهذا فان اسرائيل تسعى حاليا الى مصادرة الاراضي الخصبة والبيارات في قطاع غزة والضفة الغربية وخاصة ان قطاع غزة يساهم بـ ٤٦ ٪ من انتاج الحمضيات في الاراضي المحتلة ، بينما ٦ر٢٩ ٪ لنابلس و ١ر٢٣ ٪ لطولكرم . وهذه هي بعض الوقائع التي تشير الى مصادرة الاراضي مقتبسة من مقال عنوانه « الليل الطويل يبدو بلا نهاية ... ولكن الشعب الفلسطينـي صامد كجبال القدس » المنشور في جريدة المحرر ، الاربعاء ١٦ أيـار ١٩٧٣ : « .. والواقع ان السلطات صادرت حتى الان مساحات واسعة جدا من الاراضي العربية . ففي منطقة

نابلس وحدها صودر ٤٠ الف دونم ، و١٠ آلاف دونم في قرية طوباس ، و ٢٠ الف دونم في قرية عقربة ، و١٠ آلاف دونم في قرية بيت فوريك . وقام الاسرائيليون بقطع ٣٠ الف شجرة حمضيات في مدينة قلقيلية . وفي مكان آخر بالمنطقة احرقت سلطات الاحتلال ٣٠٠ دونم من الاراضي المزروعة بالحمضيات » .

فواكه أخرى : وهي تتضمن الموز والعنب والمشمش ... وتساهم بنسبة لا بأس بها من الصادرات الزراعية اذ بلغت حوالي ٢٢ ٪ في عام ١٩٧١ مقابل ٢٥ ٪ في عام ١٩٦٨ ومن المناطق المصدرة لهذه الفواكه هي الخليل وجـرش وذلك بالنسب التالية ٥١ ٪ و ٤٨ ٪ .

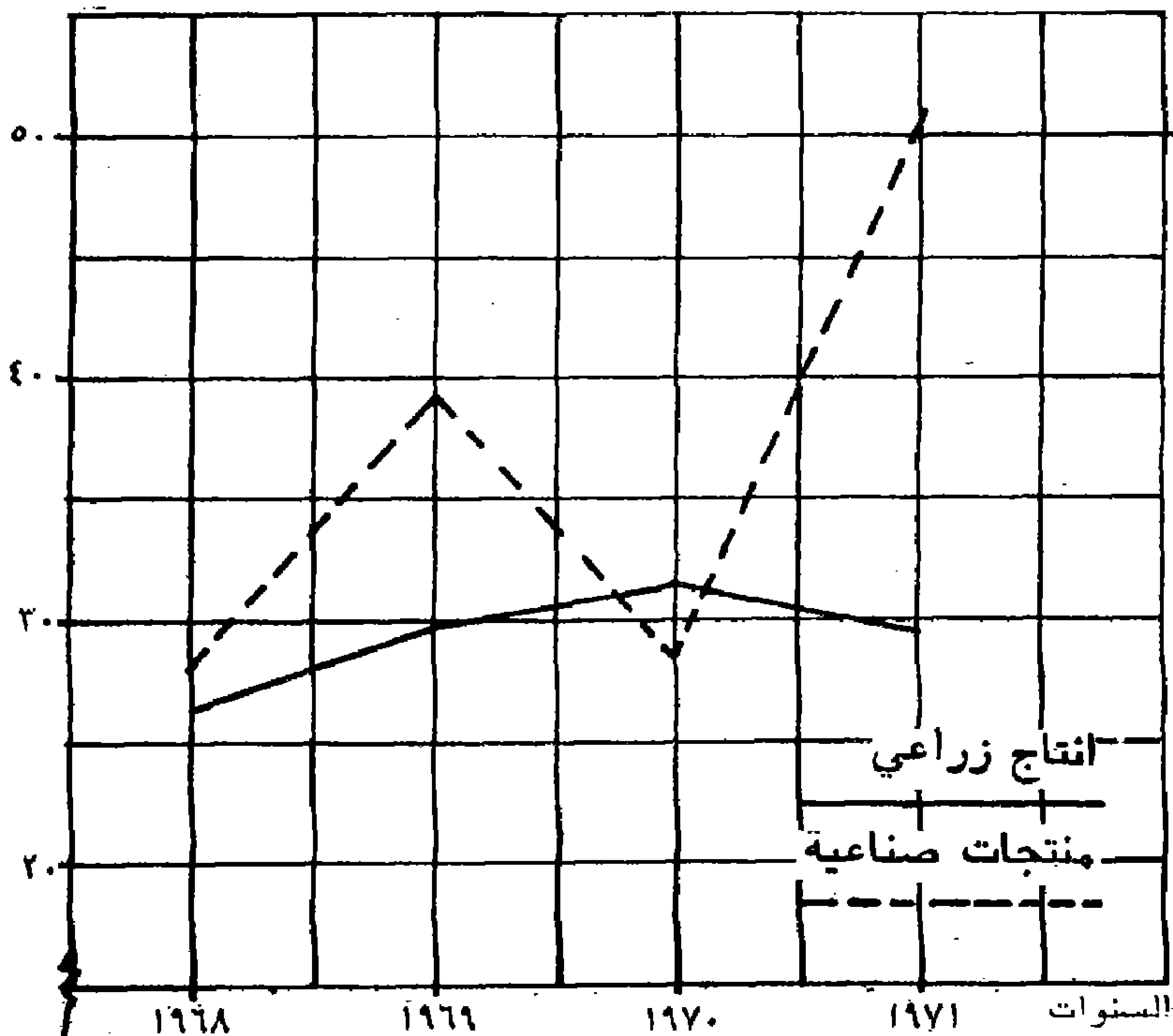
الخضروات : وتحل المرتبة الثالثة بين الصادرات الزراعية وقـد بلغت مساهمتها في الصادرات الزراعية حوالي ١٠ ٪ في سنة ١٩٧١ مقابل ٢٩ ٪ في عام ١٩٦٨ ومن المناطق المصدرة للخضروات نابلس بنسبة ٥٥ ٪ من الخضروات المصدرة بينما طولكرم بنسبة ٢٢ ٪ والباقي لمختلف المناطق .

اما الزيتون فنسبته ضعيفة وقد تناقصت في السنوات الاخيرة والاكثر ان تناقص تصدير الزيتون عائد الى استعمال الزيتون في الصناعة وتصدير زيت الزيتون كمنتجات زراعية مصنعة .

بصورة عامة هناك اتجاه متزايد للصادرات الزراعية للاراضي المحتلة الى الاردن وقد ازدادت الصادرات الزراعية من ٢٦٫٢٨٢ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٢٩٫٦٤١ مليون ليرة في عام ١٩٧١ وقد كان من المفروض ان يكون التزايد اكثر سرعة

مخطط رقم (٨)

صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن



لولا التراجع في الصادرات الزراعية لعام ١٩٧١ اذ تناقصت الصادرات الزراعية الى الاردن بحوالي مليوني ليرة اسرائيلية خلال عام واحد ٧٠/٧١ — انظر مخطط رقم ٨ —. اما بالنسبة لصادرات الاراضي المحتلة ، من المنتجات الزراعية نصف المصنعة ، الى الاردن فهي واردة في الجدول رقم ١٠ . ويلاحظ ان صادرات الاراضي المحتلة من زيت الزيتون ازدادت من ٧ر٨ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٩ر١٤ مليون ليرة في عام ١٩٧١ . اذن بالرغم من التموجات التي خضعت لها صادرات زيت الزيتون الى الاردن فان الزيادة الوسطية بلغت حوالي ٦ر٩ ٪ سنويا .

صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن
منتجات زراعية نصف مصنعة
١٩٦٨ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٠

فئات السلع/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
زيت الزيتون	٨٫٧	١٧٫٢	٥٫٨	١٤٫٩
منتجات أخرى	١	٢٫٩	١٫٣	٥٫٥
المجموع	٩٫٧	٢٠٫١	٧٫١	٢٠٫٤

بالنسبة لعام ١٩٧٢ فالارقام العائدة للصادرات الزراعية الى الاردن وكذلك الصادرات الزراعية نصف المصنعة تخص الاشهر التسعة فقط وقد بلغت ٥ر٥٣ مليون ليرة اسرائيلية من الصادرات الزراعية و ٨ر٥ مليون ليرة اسرائيلية بالنسبة للصادرات الزراعية نصف المصنعة . يلاحظ من الرقمين السابقين ان صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن ، من المنتجات الزراعية والمنتجات الزراعية نصف المصنعة للعام ١٩٧٢ ستكون أعلى بكثير من مثيلاتها في عام ١٩٧١ وقد توصلنا الى تقدير صادرات الاراضي المحتلة من المنتجات الزراعية والمنتجات الزراعية نصف المصنعة لعام ١٩٧٢ بحوالي ٧١ مليون ليرة اسرائيلية و ٣٤ مليون ليرة اسرائيلية على الترتيب — تقدير يعتمد على ان التوزيع الزمني للصادرات يمكن ان يتشابه خلال العامين ١٩٧١ و ١٩٧٢ — .

اما الصادرات من الانتاج الصناعي الى الاردن فهي تتضمن فئات السلع الرئيسية التالية : الالبان ومشتقاتها ، الصابون ، الحلويات والشوكولاه ، الاحجار ، منتجات بلاستيكية ومنتجات أخرى وهذا ما يظهره الجدول رقم — ١١ — .

تساهم الالبان ومشتقاتها بنسبة مرتفعة من صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن وقد بلغت هذه النسبة حوالي ٥١ ٪ من مجمل الصادرات الصناعية الى الاردن في عام ١٩٧١ وقد ازدادت صادرات الالبان ومشتقاتها من ٨ر٦ مليون ليرة في عام ١٩٦٨ الى ٥ر١٥ مليون ليرة في عام ١٩٧١ اي بمقدار ٧ر٨ مليون ليرة اسرائيلية خلال ثلاث سنوات . وتعتبر نابلس المنتج والمصدر الاول للالبان ومشتقاتها اذ تساهم بأكثر من ٨٠ ٪ من صادرات الالبان ومشتقاتها الى الاردن .

واذا تركنا جانبا الفئة « منتجات أخرى » والتي تحتل المرتبة الثانية في الجدول — ١١ — نجد أن صناعة الصابون في الاراضي المحتلة تلعب دورا هـام نسبيا في الصادرات الصناعية اذ ازدادت صادرات الصابون الى الاراضي المحتلة من ٤ ملايين ليرة اسرائيلية

في عام ١٩٦٨ الى ٦ر٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ أي ان الاهمية النسبية لصادرات الصابون هي ٢١ ٪ من مجمل الصادرات الصناعية الى الاردن ، وتعتبر منطقة نابلس المنتج والمصدر الاول للصابون اذ تساهم بـ ٩٣ ٪ من مجمل صادرات الصابون .

صادرات الاراضي المحتلة من المنتجات الصناعية الى الاردن

(بآلاف الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١١

فئات السلع/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
الالبان ومشتقاتها	٦٨٤٩	٨٩٨٥	١٠٨٣٧	١٥٥٢٣
الصابون	٤٠٤٢	٤١٧١	٤٥٨٧	٦٦٥٣
حلويات وشوكولاه	٨٨١	٨٩٥	١٠٤٨	١٦٣٨
أحجار	١٤٨٥	١١٦١	٨٠٥	٤٧٥
منتجات بلاستيكية	٦٦٩	٧٢٣	٧٧٨	١٤١٦
سلع أخرى	٤٤١٨	٣١٣٦	٣٥٠٠	٤٧٦٢
المجموع	١٨٣٤٤	١٩٠٧١	٢١٥٥٥	٣٠٤٧٧

اما الفئة « حلويات وشوكولاه » والتي تساهم بـ ٥ ٪ من الصادرات الى الاردن في عام ١٩٧١ . فقد أظهرت تزايدا ملموسا من ٨٨١ الفا عام ١٩٦٨ الى ١٤١٦ الفا في عام ١٩٧١ . ومدينة رام الله تصدر ٩٩ ٪ من مجمل الصادرات من فئة « حلويات وشوكولاه » .

اما المنتجات البلاستيكية والتي تنتجها وتصدرها مدينة بيت لحم (٩٩ ٪) فلها تقريبا نفس الاهمية النسبية لفئة « حلويات وشوكولاه » وخضعت الصادرات منها الى زيادة قدرها ٧٤٧ الفا من الليرات الاسرائيلية . وأخيرا الاحجار التي تناقص تصديرها الى الاردن والسبب يعود الى حاجة اسرائيل لمواد البناء « أحجار ، اسمنت ... » في شق الطرق العسكرية في قطاع غزة والتي اخترقت مخيمات اللاجئين وشردتهم للمرة الثانية . وتنتج الخليل ٥٥ ٪ من صادرات الاحجار اما نابلس فـ ٢٧ ٪ فقط .

اذن ، بصورة عامة ، خضعت الصادرات الصناعية للاراضي المحتلة الى الاردن الى تطور تموجي متزايد وذلك خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧١ وبالفعل في عام ١٩٧٠ تناقصت هذه الصادرات الى ٦ر٢٨ مليون ليرة اسرائيلية — انظر الجدول رقم ٨ — وسبب هذا النقصان في الصادرات هو نقصان صادرات زيت الزيتون اذ بلغت ٨ر٥ ملايين ليرة في عام ١٩٧٠ مقابل ٢ر١٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ . اما تزايد هذه الصادرات فقد كانت — بالاسعار الجارية — حوالي ٢٢ ٪ سنويا .

اما بالنسبة لعام ١٩٧٢ فلدينا الصادرات الصناعية الى الاردن من أجل الاشهر التسعة الاولى والتي بلغت حوالي ٩ر٢٨ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية واعتبارا من ان صادرات الاراضي المحتلة من الانتاج الصناعي الى الاردن لها نفس التركيب الزمني خلال العامين ١٩٧١ ، ١٩٧٢ يمكن ان تقدر صادرات عام ١٩٧٢ من الانتاج الصناعي وبالاسعار الجارية بحوالي ٥ر٤٠ مليون ليرة اسرائيلية مضافا اليه ٣٤ مليون ليرة اسرائيلية من المنتجات الزراعية نصف المصنعة اي أن صادرات الاراضي المحتلة من

المنتجات الصناعية في عام ١٩٧٢ تقدر بـ ٥ر٧٤ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية .

٣ ـــ ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع الاردن ـــ وفائض التصدير

يلاحظ من الجدول رقم (١٢) ان ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع الاردن هو رابح دوما وان فائض التصدير على الاستيراد يزداد بصورة منتظمة وبالفعل فقد ازداد هذا الفائض بمقدار ٥ر٣٠ مليون ليرة اسرائيلية بفترة ثلاث سنوات وذلك بالاسعار الجارية ، أما بأسعار عام ١٩٦٨ فنقدر الزيادة خلال هذه الفترة بـ ٨ر١٨ مليون ليرة اسرائيلية . والواضح ان هذا الفائض لا يعوض الا جزءا يسيرا من عجز ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة ، والاراضي المحتلة ، بالاضافة الى انها سوق استهلاكية للسلع الاسرائيلية ، فانها تشكل جسرا تعبر عليه اسرائيل للحصول على اسواق استهلاكية جديدة .

فائض التصدير على الاستيراد للاراضي المحتلة مع الاردن

(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٢

السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
اسعار جارية				
فائض التصدير على الاستيراد	٣٦،١	٤٤،١	٤٧،٣	٦٦،٦
اسعار ثابتة				
فائض التصدير على الاستيراد	٣٦،١	٤٢،٨	٤٤،٤	٥٤،٩

التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع بقية البلدان

١ ـــ استيراد الاراضي المحتلة من بقية البلدان :

استوردت الاراضي المحتلة في عام ١٩٧١ ١٣ ٪ من مجمل مستورداتها من « بقية البلدان » جميع البلدان عدا اسرائيل والاردن ـــ والملاحظ ان هذه النسبة تناقصت خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧١ حيث كانت ١٦ ٪ في عام ١٩٦٨ . وبالفعل تسعى اسرائيل الى تأمين مستوردات الاراضي المحتلة ـــ أنظر صفحة ٩٢ ـــ وبالتالي تقليص استيراد الاراضي المحتلة من الاردن وبقية البلدان .

استيراد الاراضي المحتلة من بقية البلدان
١٩٦٨ ـــ ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٣

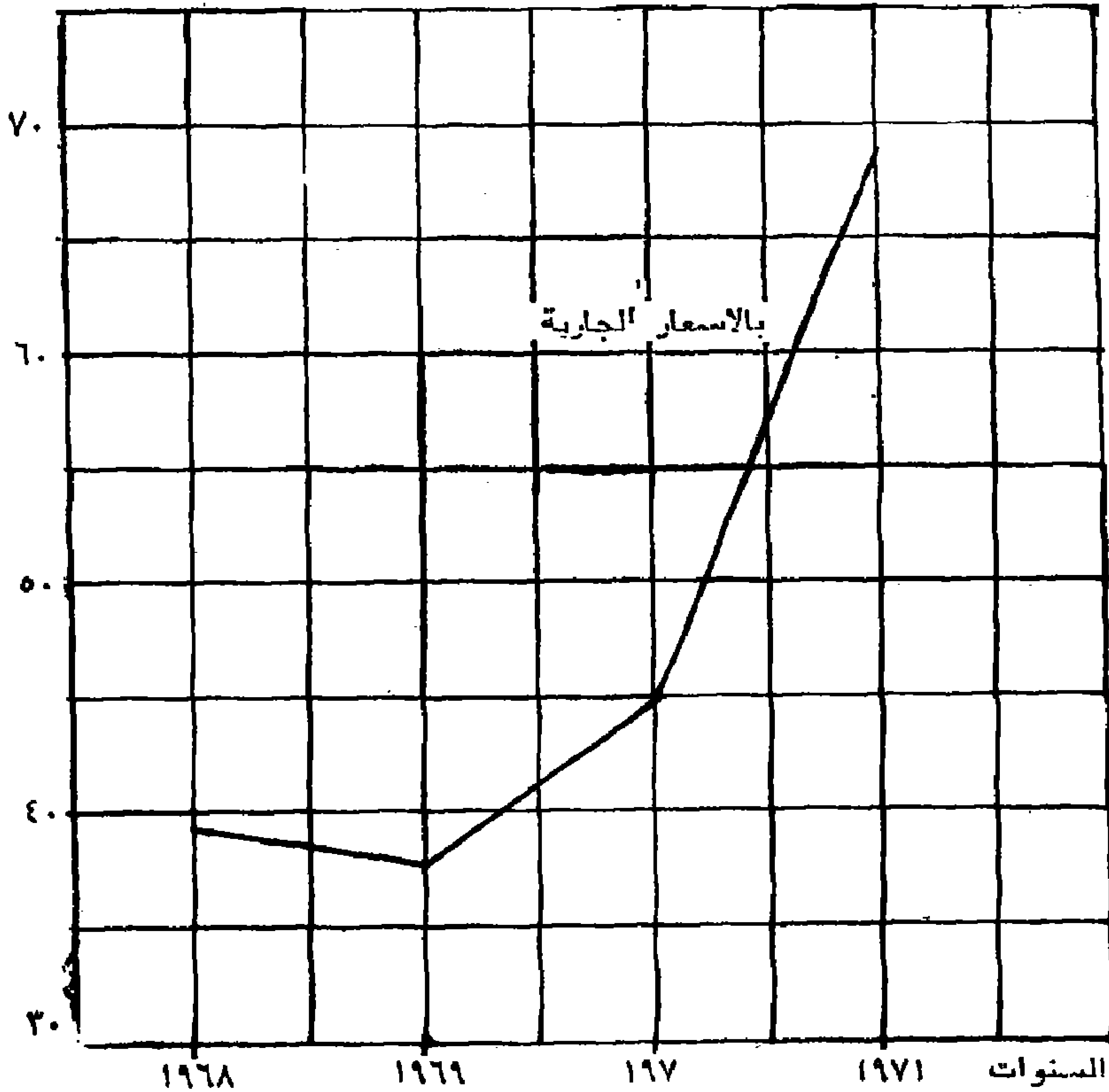
السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
اسعار جارية				
منتجات غذائية	٢٣،٧	٢٦،٨	٣٠،٩	٣٩،٢
منتجات اخرى	١٥،٤	١٠،٩	١٣،٦	٢٩،٥
المجموع	٣٩،١	٣٧،٧	٤٤،٥	٦٨،٧

التطور الزمني لمستوردات الاراضي المحتلة من بقية البلدان : ازداد مقدار ما تستورده الاراضي المحتلة من « بقية البلدان » من ١ر٣٩ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٧ر٦٨ مليون ليرة في عام ١٩٧١ ، اي بمعدل زيادة قدرها ٧٦ ٪ خلال ثلاث سنوات . طبعا ان هذه الزيادة هي بالاسعار الجارية وهي ليست ذات دلالة علمية اكيدة نتيجة ارتفاع اسعار التصدير في البلاد المصدرة الغربية والشرقية ايضا . ان محاولتنا تقدير تطور المستوردات بأسعار عام ١٩٦٨ معتمدين على الارقام القياسية الاستهلاكية في الاراضي المحتلة تعطي صورة غير واقعية عن التطور وذلك بسبب الفارق بين الاسعار من جهة والدور البسيط الذي تلعبه المستوردات من « بقية البلدان » في رفع مستوى الاسعار الاستهلاكية المحلية . اذن كل ما يمكن قوله هو ان الزيـــادة الفعلية لهذه المستوردات هي اقل مما تظهره الارقام بالاسعار الجارية .

مخطط رقم (٩)

استيراد الاراضي المحتلة من بقية البلدان

١٩٦٨ ـــ ١٩٧١



نوعية مستوردات الاراضي المحتلة من « بقية البلدان » : يلاحظ من الجدول (١٣) ان مستوردات الاراضي المحتلة من « بقية البلدان » صنفت الى فئتين : فئة منتجات غذائية وتشمل حليب البودرة ، الحبوب ، الطحين ، الزيوت ، السكر . وفئة منتجات اخرى وتشمل الصابون ، الملابس وسلع اخرى وسندرس فيما يلي أهمية هذه السلع .

مستوردات الاراضي المحتلة من بقية البلدان
١٩٦٨ — ١٩٧٠
(بآلاف الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٤

فئات السلع/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
اسعار جارية				
منتجات غذائيـــة				
حليب بودرة	٢١١٣	١٠٥٠	١٤٧١	٢٩٠١
حبـوب	٣٨٣٩	١٩٠٤	١٩٤٩	١٤٨٥
طحـين	١٢٣٦٥	١٧٥٧٩	٢١٢٨٠	٢١٨٢١
زيـوت	٤٩٢٩	٥٦٩٦	٦٠٨٧	١١١٠١
ســكر	٤٤٨	٥٤٣	١٠٧	١٩٠٤
منتجات أخرى				
صـابون	٦٤١	١	٧	٣٠
مـلابس	٥٧٩٢	٢٧٨٣	٢٠٤٥	٣٢٤٢
سـلع أخرى	٩٠١٠	٨١٠٠	١١١٥٣	٣٦٢٥٣
المجمـوع	٣٩١٣٧	٣٧٦٦٢	٤٤٤٦٩	٦٨٧٣٧

يلاحظ من الجدول رقم (١٤) أن المستوردات من الطحين تحتل المرتبة الاولى — بغض النظر عن فئة « السلع الاخرى » — . وبالفعل فقد ازداد استيراد الطحين من ٤ر١٢ مليونا الى ٨ر٢١ مليون ليرة اسرائيلية اي بزيادة مطلقة قدرها ٤ر٩ ملايين خلال ثلاث سنوات . أما الاهمية النسبية لهذه السلعة فهي تساهم بـ ٥٥ ٪ من مجمل مستوردات « منتجات غذائية » و ٣١ ٪ من مجمل المستوردات . يأتي في المرتبة الثانية « الزيوت » حيث ازدادت مستوردات الاراضي من الزيوت من ٩ر٤ ملايين ليرة في عام ١٩٦٨ الى ١ر١١ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ وتبلغ أهميتها النسبية حوالي ٣٠ ٪ من مجمل مستوردات المنتجات الغذائية . اما بالنسبة لحليب البودرة فقد خضع استيراده الى هبوط خلال العامين ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ثم عاد الى الارتفاع لعام ١٩٧١ حيث بلغ ٩ر٢ مليون ليرة اسرائيلية . بالنسبة للحبوبفاستيراده متناقص باستمرار اذ هبطت المستوردات من ٨ر٣ ملايين ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٥ر١ مليون ليرة في عام ١٩٧١ . بالنسبة للسكر حصل ارتفاع في استيراده في عام ١٩٧١ حيث بلغت قيمة المستوردات ٩ر١ مليون ليرة اسرائيلية . بصورة عامة تتصف مستوردات « المنتجات الغذائية » للاراضي المحتلة من « بقية البلدان » بتطور متزايد منتظم حيث ازدادت هذه المستوردات من ٧ر٢٣ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٢ر٣٩ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ اي بتزايد سنوي قدره ١٧ ٪ .

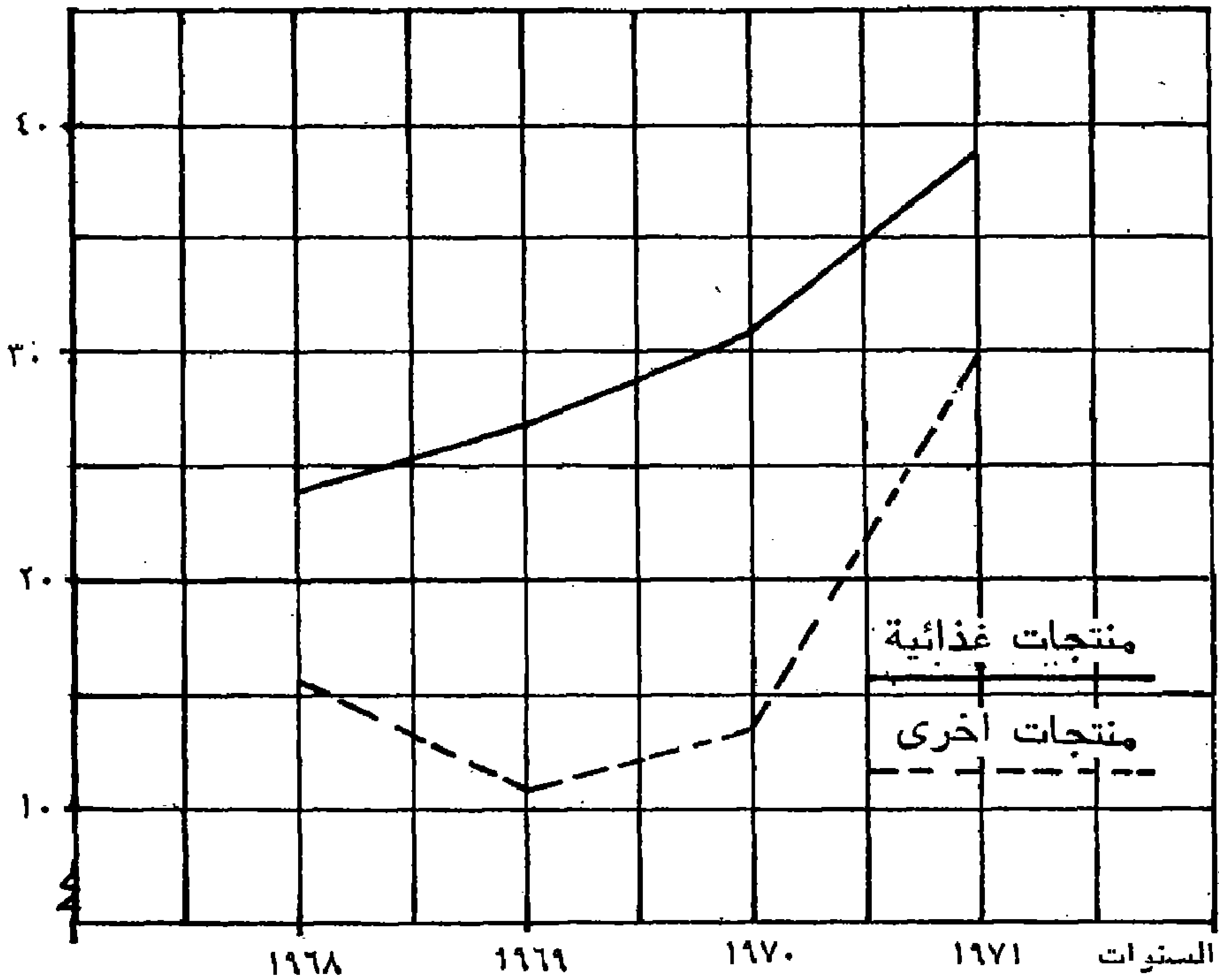
اما بالنسبة لمستوردات « منتجات اخرى » فاستيراد الملابس يظهر تناقصا من اجل العامين ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ثم بعض الارتفاع اذ بلغ في عام ١٩٧١ حوالي ٢ر٣ ملايين ليرة اسرائيلية وقد تناقصت الاهمية النسبية لمستوردات الملابس من ٣٧ ٪ من مجمل مستوردات « منتجات اخرى » في عام ١٩٦٨ الى ١٠ ٪ من مجمل هذه المستوردات في عام ١٩٧١ . اما التطور العام للمستوردات « منتجات اخرى » فهو غير منتظم اذ حصل هبوط في عام ١٩٦٩ حيث بلغت هذه المستوردات ٩ر١٠ ملايين ليرة اسرائيلية . ومع ذلك فقد تضاعفت مستوردات الاراضي المحتلة لـ « منتجات اخرى » من بقية البلدان خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧١ .

اما بالنسبة للاستيراد في عام ١٩٧٢ فالارقام المتوفرة لدينا هي عدا الاشهر الثمانية الاولى حيث بلغت مستوردات الاراضي المحتلة من « بقية البلدان » ٦ر٣٨ مليون ليرة اسرائيلية ، موزعة كما يلي : ٢ر١٤ مليون ليرة اسرائيلية من المنتجات الغذائية و٤ر٢٤ مليون ليرة اسرائيلية من منتجات أخرى وباعتبار ان التركيب الزمني لهذه المستوردات يمكن ان يكون واحدا خلال العامين ١٩٧١ ، ١٩٧٢ يمكن التوصل الى تقدير المستوردات من « بقية البلدان » للمنتجات الغذائية بحوالي ٦٦ مليون ليرة اسرائيلية .

مخطط رقم (١٠)

استيراد الاراضي المحتلة من بقية البلدان

١٩٦٨ — ١٩٧١



٢ — صادرات الاراضي المحتلة الى « بقية البلدان » :

تحتل صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان المرتبة الاخيرة ، اذ ساهمت بـ ٢٣ ٪ من مجمل صادرات الاراضي المحتلة لعام ١٩٧١ مقابل ١٣ ٪ في عام ١٩٦٨ .

والغالب ان زيادة الاهمية النسبية لصادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان . يرجع الى زيادة صادرات الحمضيات في السنوات الاخيرة وبالضبط اعتبارا من عام ١٩٧١ .

التطور الزمني الصادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان : ان تطور صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان يتصف بنمو متزايد باستمرار وقد ازدادت هذه الصادرات من ٣ر١٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٦ر٥٦ مليون ليرة اسرائيلية لعام ١٩٧١ . أي بزيادة ٣ر٤٠ مليون ليرة خلال ثلاث سنوات وكانت السنة الاخيرة هي المسببة لمثل هذه الزيادة اذ ازدادت الصادرات من ٩ر٢٤ مليونا الى ٦ر٥٦ مليون ليرة اسرائيلية . طبعا ان هذه الزيادة بالاسعار الجارية لا تصور الزيادة الفعلية لرقم الصادرات الى بقية

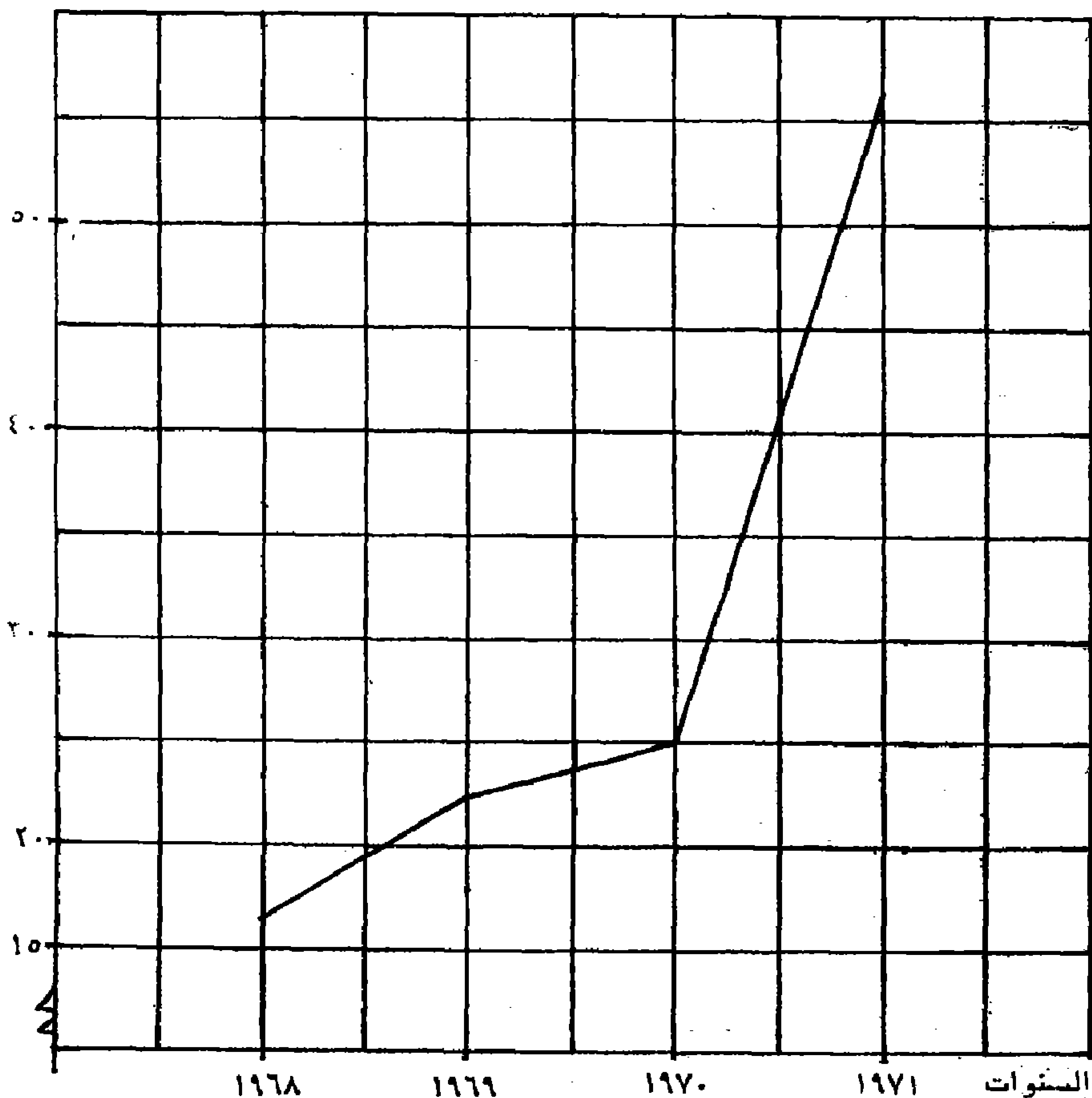
البلدان وذلك بسبب ارتفاع الاسعار وكل ما نستطيع تأكيده ، في هذا المجال وبسبب عدم توفر الارقام القياسية للتجارة الخارجية ، ان الزيادة هي أقل بكثير مما تصوره الاسعار الجارية . اما عن عام ١٩٧٢ فقد بلغت الصادرات من اجل الثمانية اشهر

صادرات الاراضي المحتلة الى « بلدان اخرى »
انتاج زراعي ، منتجات صناعية
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٥

السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
الاسعار الجارية				
انتاج زراعي	١٥،٤٤	٢٠،٠٨	٢٣،٠٥	٥٤،٦
منتجات صناعية	٠،٦٩	١،٣	١،٤	٢،٠
المجموع	١٦،٣	٢٢،١	٢٤،٩	٥٦،٦

مخطط رقم (١١)
صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان
١٩٦٨ — ١٩٧١

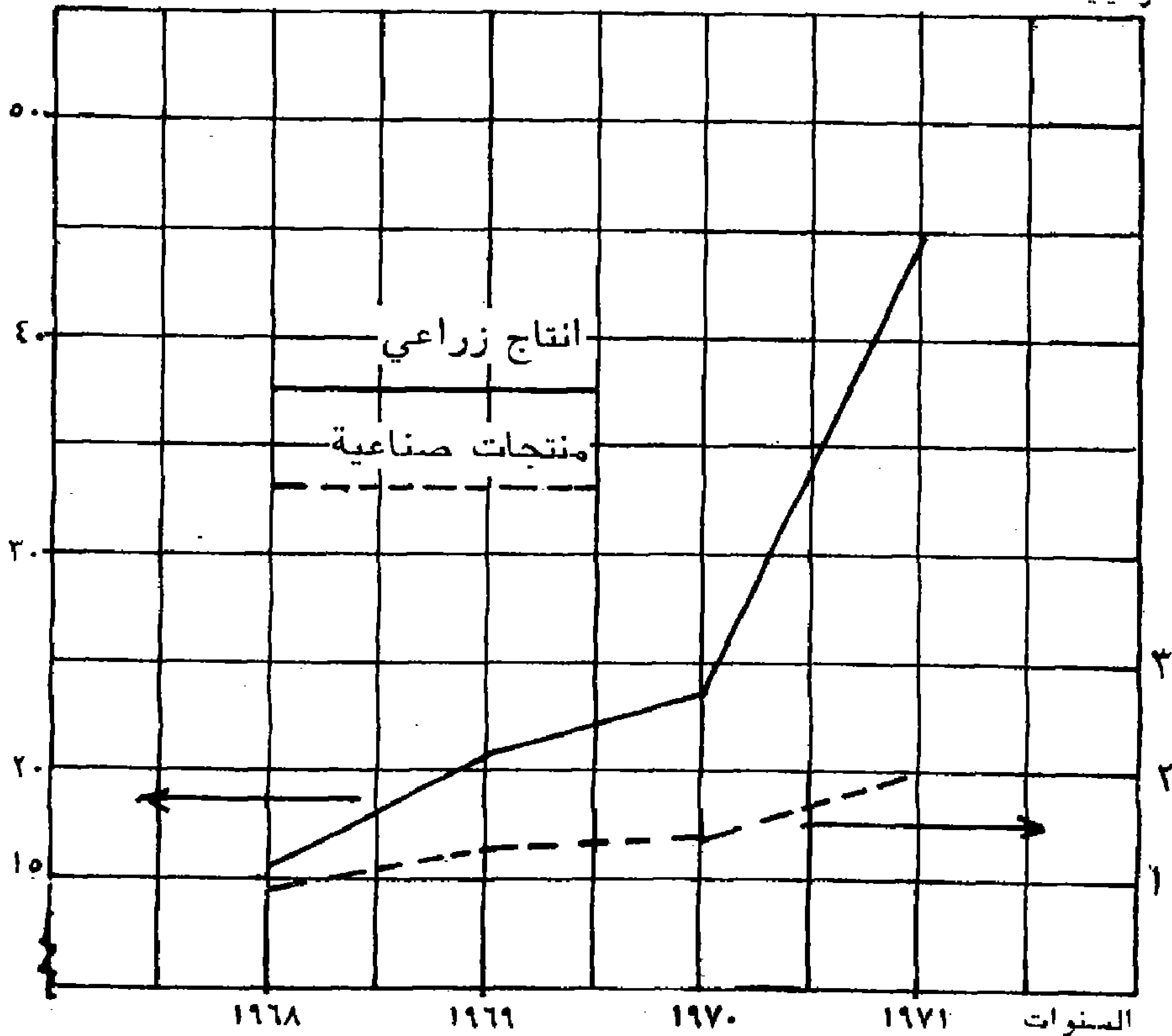


الاولى حوالي ٣٠٫٢ مليون ليرة اسرائيلية ونقدر صادرات عام ١٩٧٢ — معتمدين على نفس الفرضية المتبعة في كل تقديراتنا السابقة — بـ ٤٦ مليون ليرة اسرائيلية وسبب هذا النقص في الصادرات ناتج عن السياسة التي تتبعها اسرائيل من مصادرة الاراضي المزروعة بالحمضيات وحرق أشجارها بحجة الاعمال التخريبية التي يقوم بها الفدائيون في قطاع غزة .

نوعية صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان : عندما نتكلم عن الصادرات الزراعية الى بقية البلدان نعني لصادرات الاراضي المحتلة من الحمضيات فقط . اذن صادرات الحمضيات الى بقية بلدان العالم تشكل حوالي ٩٦ ٪ من مجمل صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان . وبالفعل ازدادت صادرات الحمضيات من ١٥٫٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٥٤٫٦ مليون ليرة في عام ١٩٧١ اي بزيادة ٣٩٫٢ مليون ليرة خلال ثلاث سنوات . ولكن يظهر من صادرات الحمضيات للاشهر الثمانية الاولى من عام ١٩٧٢ والتي بلغت ٢٩ مليون ليرة اسرائيلية مقابل ٣٥٫٩ مليون ليرة للاشهر الثمانية الاولى من عام ١٩٧١ ، ان هناك تراجعا لصادرات الاراضي المحتلة من الحمضيات بعض أسبابه ما ذكرناه آنفا .

مخطط رقم (١٢)

صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان
انتاج زراعي ومنتجات صناعية
بالاسعار الجارية
١٩٦٨ — ١٩٧١



أما صادرات الاراضي المحتلة من المنتجات الصناعية الى بقية البلدان فقــد ازدادت بصورة بطيئة جدا وبمقدار ١ر١ مليون ليرة اسرائيلية خلال ثلاث سنوات وتشكل ٤ ٪ من مجمل الصادرات الى بقية بلدان العالم .

٣ ـ ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع بقية البلدان وفائض الاستيراد :

يلاحظ من الجدول رقم ١٦ ان ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة هو بعجز دائم مع بقية البلدان مع اتجاه مستمر بالتناقص ، اذ تناقص العجز من ٨ر٢٢ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١ر١٢ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ أي بمقدار ٧ر١٠ مليون ليرة خلال ثلاث سنوات وذلك بالاسعار الجارية . أما ارقام عام ١٩٧٢ فتشير الى ارتفاع في هذا العجز سببه انخفاض صادرات الحمضيات .

فائض الاستيراد على التصدير للاراضي المحتلة مع بقية البلدان

(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٦

السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
فائض الاستيراد على التصدير	٢٢،٨	١٥،٦	١٩،٦	١٢،١

مجمل التجارة الخارجية للاراضي المحتلة

أظهر التحليل السابق للتبادل التجاري للاراضي المحتلة مع اسرائيــل ، الاردن وبقية بلدان العالم ، الارتباط الاقتصادي الذي تفرضه اسرائيل على الاراضي المحتلة هادفة الى تقويض الدعائم الباقية للاقتصاد العربي في هذه المنطقة وساعية بصورة ثانية الى تكون الاراضي المحتلة وعلى الاخص الضفة الغربيـــة جسرا للحصول على اســـواق استهلاكية جديدة عن طريق اعادة تصدير السلع التي تنتجها اسرائيل .

مجمل التجارة الخارجية للاراضي المحتلة
١٩٦٨ ـ ١٩٧١

(بملايين الليرات الاسرائيلية)

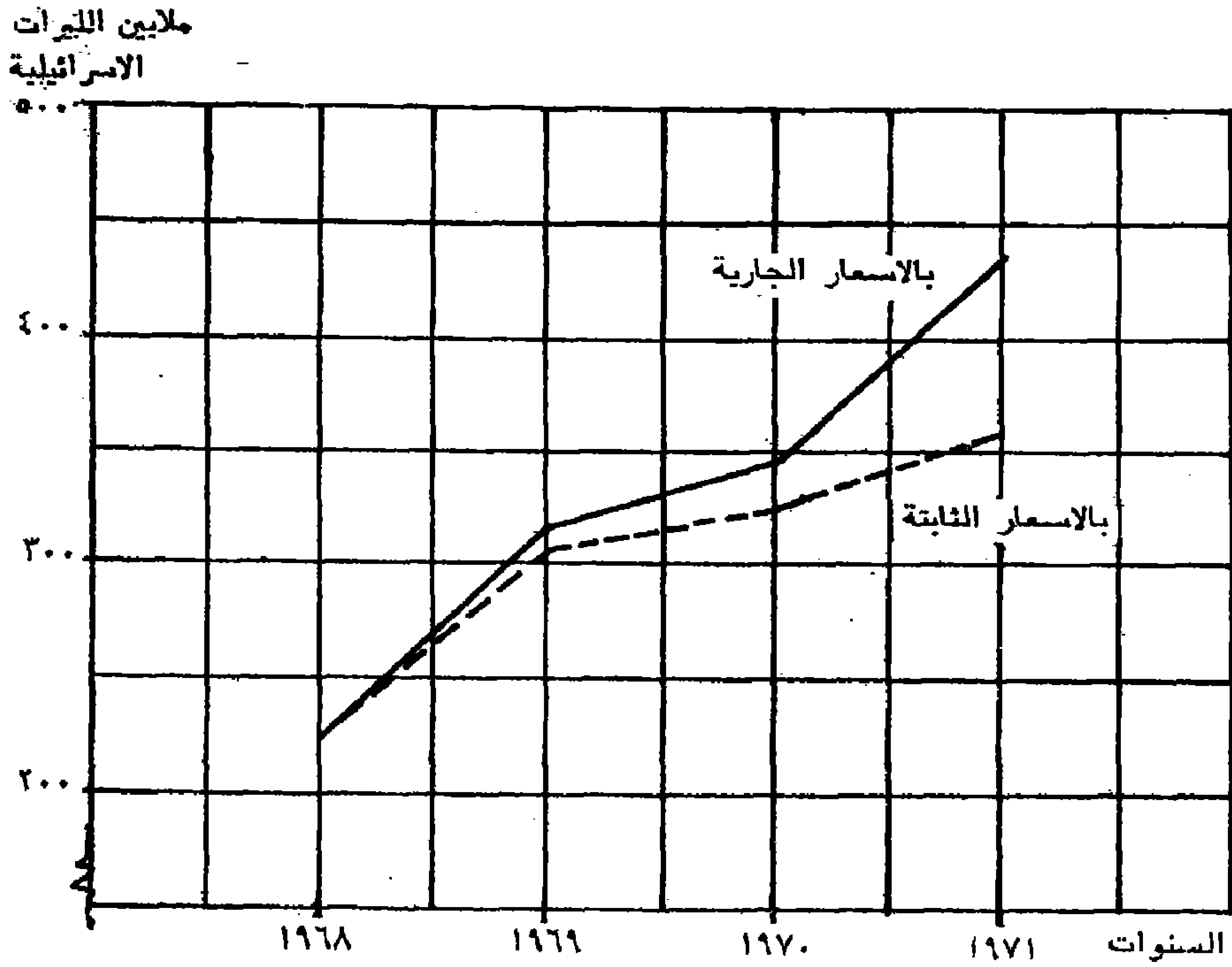
جدول رقم ١٧

السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
الاستيراد (١)	٢٢٤،٧	٣١٧،٤	٣٤٨،٣	٤٣٨،٧
(١)َ	٢٢٤،٧	٣٠٨،٢	٣٢٥،٨	٣٦١،٨
التصدير (٢)	١٢٤،٢	١٤٣،٤	١٥٨،٣	٢٤٢،٧
(٢)َ	١٢٤،٢	١٣٩،٢	١٤٨	٢٠٠،٢
فائض الاستيراد				
(١) ـ (٢) = (٣)	١٢٠،٥	١٧٤	١٩٠	١٩٦
(١)َ ـ (٢)َ = (٣)َ	١٢٠،٥	١٦٨،٩	١٧٧،٧	١٦١،٧

(١) ، (٢) ، (٣) الارقام بالاسعار الجارية .

(١)َ ، (٢)َ ، (٣)َ الارقام بأسعار عام ١٩٦٨ (أسعار ثابتة) .

مخطط رقم (١٣)
استيراد الاراضي المحتلة
١٩٦٨ — ١٩٧١



اما في دراستنا لمجمل التجارة الخارجية للاراضي المحتلة فاننا نسعى الى اعطاء صورة واضحة وكاملة عن استيراد المنطقة ، تصديرها وعجزها التجـــاري ، ومؤكدين على ضرورة انقاذ الاراضي المحتلة مهما كانت التضحيات والثمن .

التطور الزمني لاستيراد الاراضي المحتلة : يظهر من المخطط (١٣) ان مجمل الاستيراد هو أكثر انتظامية في تطوره بالرغم ان تباطؤ سرعة تزايد المستوردات بين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ وقد ازدادت المستوردات من ٧ر٢٢٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٧ر٤٣٨ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ اي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٩ر٢٤ ٪ بالاسعار الجارية .

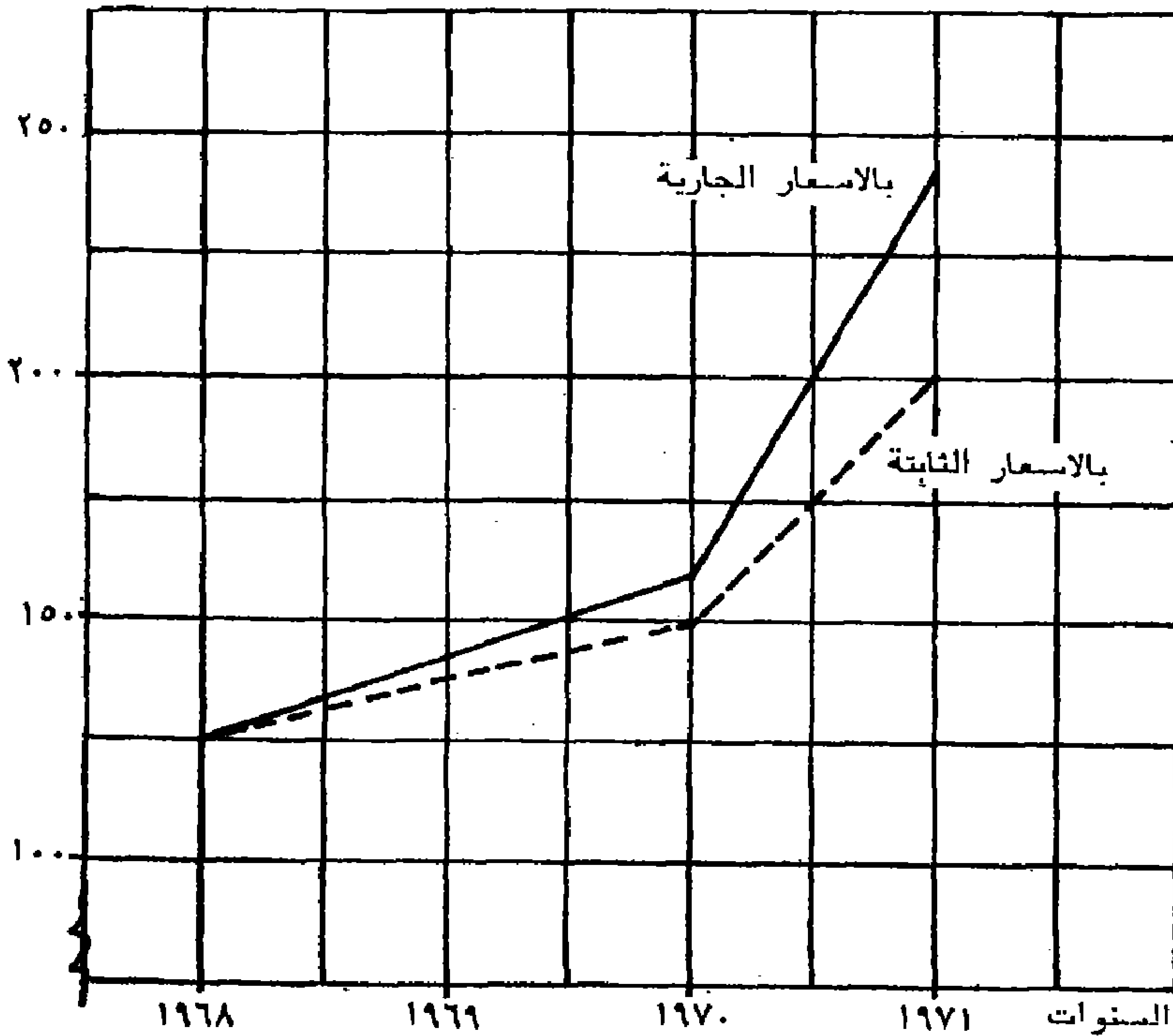
اما تطور المستوردات بالاسعار الثابتة ، أي باستعمال اسعار عام ١٩٦٨ عن طريق استخدام الارقام القياسية الاستهلاكية ، فهو أكثر تواضعا اذ بلغت الزيادة السنوية ٢ر١٧ ٪ وتعبر بصورة أكثر واقعية عن ازدياد القيمة الفعليــة لمستوردات الاراضي المحتلة . في الواقع ان الاتجاه التزايدي والمنتظم لمجمل مستوردات الاراضي المحتلة هو طبيعي جداً لان ازدياد السلع المستوردة ناتج عن الازدياد السكاني للاراضي المحتلة وبالتالي ازدياد الطلب على السلع الاستهلاكية . فاسرائيل يمكن أن تفرض علـــى الاراضي المحتلة عدم استيراد بعض السلع من بلدان معينة ولكنها تسمح باستيراد نفس السلع من بلدان أخرى أو تقوم هي بتصدير هذه السلع الى الاراضي المحتلة وبهذا تحافظ المستوردات بصورة عامة على المنحني التزايدي في تطورها الزمني . اما بالنسبة لتقدير مجمل مستوردات عام ١٩٧٢ فهناك بعض الصعوبة : فالتقديرات العائدة لمستوردات

الاراضي المحتلة من الاردن غير متوفرة لعام ١٩٧٢ ولدينا تقديراتنـــا الواردة في هذه الدراسة لمستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل ومن بقيـــة البلدان . ولهذا فاننا سنستخدم معدل الزيادة السنوية للمستوردات وقدرهـــا ٩ر٢٤ ٪ في تقدير مجمـــل المستوردات لعام ١٩٧٢ . اذن تقدر مستوردات الاراضي المحتلة لعام ١٩٧٢ بحوالي ٥٤٨ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية وتهبط هذه القيمة الى حوالي ٤٠٠ مليون ليرة اسرائيلية بأسعار عام ١٩٦٨ (الرقم القياسي الاستهلاكي لعام ١٩٧٣ هو ٢ر١٣٨).

مخطط رقم (١٤)

صادرات الاراضي المحتلة

١٩٦٨ — ١٩٧١



التطور الزمني لمجمل صادرات الاراضي المحتلة : كان ازدياد الصادرات سريعا في السنة الاخيرة ١٩٧٠/١٩٧١ اذن ازدادت صادرات الاراضي المحتلة بمقدار ٤ر٨٤ مليون ليرة اسرائيلية . اما قبل ١٩٧٠ فكان التزايد بطيئا اذ بلغت الزيادة خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧٠ حوالي ١ر٣٤ مليون ليرة اسرائيلية اما بالنسبة لوسطي الزيادة النسبية فهي تقريبا ٢٧ ٪ في السنة بالاسعار الجارية . اما تطور الصادرات بأسعار عام ١٩٦٨ فهو اكثر واقعية وذلك خلال السنة الاخيرة — انظر المخطط رقم ١٤ — اذ ازدادت الصادرات بمقدار ٥٢ مليون ليرة اسرائيلية . أما بالنسبة للزيادة السنوية فقد كانت بمعدل وسطي قدره ١٨ ٪ .

من الصعب جدا تحديد اتجاه الصادرات في الاراضي المحتلة ولكننا نعتقد ان الصادرات تميل الى التناقص خلال الاعوام المقبلة وخاصة بالنسبة للصادرات الزراعية ، نظرا لما

تقوم به اسرائيل من مصادرة للاراضي الخصبة وحرق المزروعات واتلاف لبيارات البرتقال . كما ان اسرائيل تضع قيودا حول تصدير السلع من الاراضي المحتلة الى اسرائيل ، مثلا تقليص بيع السردين القادم من غزة لمصانع التعليب الاسرائيلية « استجابت كل من وزارتي الدفاع والزراعة لطلب نقابة صيادي الاسماك الرامي الى تقليص بيع « السردين » من قطاع غزة الى صناعة المعلبات في اسرائيل وبأن يسمح بهذا الامر فقط طبقا لتراخيص . وقد حصل الصيادون على وعد ايضا بتقليص استيراد الاسماك التي تستخدم كمواد خام للصناعة طالما لم يضمن استيعاب السردين من الصيد المحلي ... » ـ المصدر رصد اذاعة اسرائيل ، العدد رقم ٢٢١ تاريخ ٣٠/٤/١٩٧٣ والصادرة عن مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ـ .

التطور الزمني لفائض الاستيراد على التصدير : يلاحظ من الجدول رقم (١٧) ان ميزان التجارة الخارجية هو بعجز دائم وخاصة بالنسبة للاسعار الجارية وبالفعل فلقد ازداد العجز من ٥ر١٢٠ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١٩٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٢ . ولكن يلاحظ تناقص سرعة التزايد في الفترة الاخيرة . اما بالنسبة لتطور العجز بأسعار عام ١٩٦٨ فقد حدث تناقص ملحوظ خلال السنة الاخيرة . على كل حال من الصعب رسم اتجاه واضح للميزان التجاري للاراضي المحتلة وخاصة ان تبادلها التجاري لا ينبع من سيادتها الذاتية وأوضاعها الاقتصادية وانما يخضع لمطامع اسرائيل الاقتصادية وأهدافها التوسعية . فاسرائيل التي تلعب بالنسبة للعالم الغربي دور الدولة ذات المهارات الفنية العالية والتي دخلت عالم التصدير من أبوابه الواسعة « ان الماس الصناعي ، مثلا ، هو أهم الصادرات الاسرائيلية ، حيث عاد عليها بـ ١٩٠ مليون دولار في عام ١٩٦٦ . فاسرائيل تستورد الماس الخام ، تقطعه ، وتصقله وتعيد تصديره الى بلدان البنلكس ، وسويسره ، وهونغ كونغ ، واليابان والولايات المتحدة ، بربح سنوي قدره ٥١ مليون دولار . أما صادرات الحمضيات الطازجة ، التي يباع معظمها في أوربا الغربية ، فقد جلبت ٧٩ مليونا في عام ١٩٦٦ ، وحققت الفواكه المعلبة ٢٠ مليونا أخرى . كما دخلت اسرائيل في السنوات الاخيرة عالم المنافسة في الازياء الرفيعة، فجنت ١٥ مليونا من صادرات الملابس عام ١٩٦٦ »* . ولهذا فهي تسعى الى السيطرة الاقتصادية على أسواق استهلاكية جديدة وأكثر من ذلك فهي تسعى الى اضعاف الوضع الاقتصادي في الاراضي المحتلة عن طريق اغراقه بالديون ، عن طريق خفض انتاجه الزراعي والصناعي وبالتالي صادراته وتكون النتيجة الاستيلاء الحيوي المباشر على المرافق الاقتصادية من مشاريع صناعية وزراعية .

حول اضعاف اسرائيل للاقتصاد العربي في الاراضي المحتلة : بالاضافة الى السيطرة العسكرية لاسرائيل على الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، تحاول اسرائيل بشتى الطرق اضعاف اقتصاد الاراضي المحتلة حتى يبلغ درجة اليأس وتكون النتيجة اعطاء صبغة قانونية لاستيلاء اسرائيل على أراضي زراعية خصبة بحجة الاهمال وعلى مشاريع صناعية بحجة افلاسها وعدم استطاعتها وفاء ارتباطاتها المالية والتجارية .

ما هي الطرق التي تسلكها اسرائيل لتحقيق أهدافها الاقتصادية في الاراضي المحتلة ؟

١ ـ يقوم الاسرائيليون باستخدام العمال العرب داخل اسرائيلية بأجور أقل بكثير من العمال اليهود وخاصة في قطاع البناء وبحيث تبقى هذه الاجور أعلى من الاجور المتفق عليها داخل الاراضي المحتلة وهي بذلك تضمن خفض كلفة الانتاج مع المحافظة على

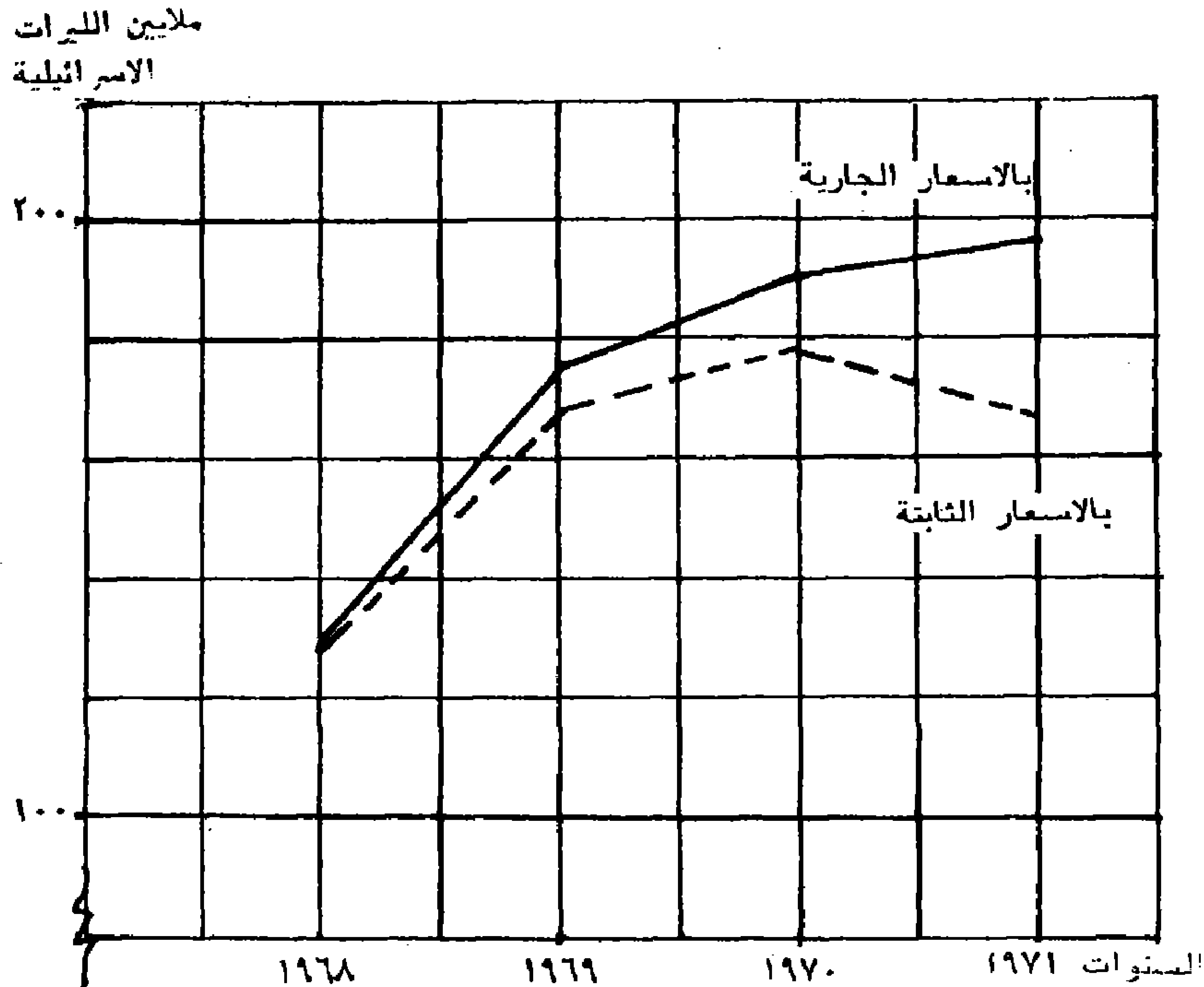
---

* من مقال « الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي » بقلم لاري لوك وود ـ شؤون فلسطينية رقم ٢٠ نيسان ١٩٧٣ .

مخطط رقم (١٥)

عجز ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة

١٩٦٨ — ١٩٧١



مستوى نوعية الانتاج لانها تقوم بدورات تدريبية للعمال العرب. « بدأت الدائرة العربية في الهستدروت بمعالجة شؤون عمال المناطق العاملين في اسرائيل ويقوم ممثلو الدائرة بزيارة أماكن العمل ويقومون بتنظيم محاضرات بالتعاون مع مصلحة الاستخدام . ومن المقرر ان يعمم منشور على أعضاء لجان العمل في أماكن العمل المختلفة للاهتمام بعمال المناطق . هذا ما أدلى به الى مراسلنا رئيس الدائرة العربية في الهستدروت يعقوب كوهين . من جهة أخرى ، أقامت مدرسة نشيطي الهستدروت دورة لخمسين عاملا عربيا في المناطق وستشرف على هذه الدورة الدائرة العربية في الهستدروت، وسيشترك فيها مواطنون من طولكرم وقلقيلية وغزة ، وهدف الندوة هو اعداد جهاز لتشغيل دوائر الهستدروت في المناطق »* . وبالطبع لا تستفيد الاراضي المحتلة واجور العمال المستخدمين في اسرائيل لان معظمها ينفق في اسرائيل بسبب ارتفاع مستوى الحياة . وبذلك تفقد الاراضي المحتلة وخاصة قطاع غزة العمال اللازمين في قطاع الزراعة والصناعة وبالتالي تبقى كثير من الاراضي الزراعية مهملة وتغلق كثير من المشاريع الصناعية بواقع ندرة العمال وارتفاع اجورهم ووقوعها بالعجز المادي ولهذا تجد اسرائيل الفرصة سانحة للاستيلاء والمصادرة . « اما في الضفة الغربية فان الوضع الاقتصادي لا يقل سوءا عنه في قطاع غزة ، فهناك حوالي ٢٠ الف عامل يتوجهون الى اسرائيل كل يوم للعمل في تشييد الابنية والحصول على أجور مرتفعة نسبيا وهذا ما

---

* المصدر : **رصد اذاعة اسرائيل** ، العدد رقم ٢٢١ . حول « الهستدروت تقيم دورة لخمسين عاملا من المناطق المحتلة » .

أدى الى حرمان الارض من الفلاحين واليد العاملة الزراعية ويضطر الاشخاص الذين يواصلون زرع أراضيهم الى تحمل تكاليف هائلة متزايدة سواء على شكل أجور عمال أو على شكل ضرائب وسلع مرتفعة الاثمان ... »*.

٢ — ما هو مصير العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل ؟ لا بد لنا أن نتساءل ما هو مصير العمال الذين يعملون في قطاع البناء في اسرائيل والى متى يستخدم الاسرائيليون العرب الفلسطينيين من الاراضي المحتلة . اننا نعتقد ان اسرائيل ستستخدم الضغط الاقتصادي لتحقيق أهدافها العامة وهي تهجير الفلسطينيين من بلدهم ومن أراضيهم . اقتصاديا وبغض النظر عن كل مخطط تهجيري آخر ، لا يمكن لقطاع البناء في اسرائيل ان يتابع استخدامه للعمال العرب لفترة طويلة ولا بد من حد تقف عنده حاجة اسرائيل للعمال العرب من الاراضي المحتلة وعندها لا بد من البحث عن عمل ولكن اين ؟ في مزارع صادرها الاسرائيليون لانها أهملت ، في مؤسسات تجارية أو صناعية أفلست لانها لم تتحمل التكاليف الباهظة التي فرضتها ظروف ارتباط الاراضي المحتلة باسرائيل . في مجتمع لا يؤمن مستوى الاجور التي اعتادوا عليها خلال فترة العمل في اسرائيل . اذن سيبحثون عن مجال جديد خلف الضفة الشرقية لنهر الاردن أو في بلد عربي آخر وبهذا يتحقق ما ترغبه وتسعى اليه اسرائيل ، هجرة ظاهرها ارادي ولكن سببها مدروس ومخطط .

٣ — تحاول اسرائيل من جهة ثانية حماية اليهودي الاسرائيلي من الناحية الاقتصادية . ولهذا فتصدير الاراضي المحتلة الى اسرائيل أولا والى الاردن وبقية بلدان العالم ، يتم ضمن دائرة مصلحة التاجر والمصدر الاسرائيلي . فالاسرائيليون قادرون على تسويق محاصيلهم الزراعية ضمن الاراضي المحتلة ، وباستطاعتهم اغراق الاسواق ببضائعهم دون رقابة او خوف ويهدفون بذلك المضاربة التجارية للانتاج المحلي وبالتالي ايقاع المزارعين والتجار بالعجز المادي وخاصة ان المزارع العربي لا ينال معونات مادية في حالة خسارته كما يحدث مع المزارع الاسرائيلي . وهذا ما يدفع بكثير من المزارعين الى اليأس والتسليم بواقع الضياع وعدم القدرة على المتابعة ، فيعمد الى بيع أرضه كخطوة أولى ثم الرحيل بعدها .

هذا هو المخطط الاسرائيلي حاليا وهو اعطاء صفة شرعية لبقاء الاحتلال وبالتالي لضم أراضي بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الى اسرائيل .

كيف ننقذ الاراضي المحتلة : الحقيقة ان انقاذ الاراضي المحتلة لا يتم الا عن طريق التحرير واستعادة هذه الاراضي وفلسطين الى الحظيرة العربية ولكن حتى يوم التحرير ، الذي لن يكون بعيدا ، لا بد لنا من خطوات اقتصادية نضمن بها استمرار بقاء الكيان الفلسطيني العربي في الاراضي المحتلة . فكما ان الاقتصاد الاسرائيلي يعتمد على المعونات والتبرعات التي ساعدت بصورة أكيدة على تأمين المساكن والعمل للمهاجرين اليهود الى فلسطين « بين الاعوام ١٩٥٠ — ١٩٦٧ أمنت الاشكال العامة لواردات رأس المال الى اسرائيل ١٩ر٤ بليون دولار — هبات المؤسسات ، التعويضات الالمانية، العون المباشر والقروض المختلفة —»**. طبعا ان هذه الهبات والتبرعات ليست فقط حصيلة تبرع الرأسماليين الاميركيين والاوروبيين وانما شارك في ذلك جميع يهود العالم .

* مقطع من مقال نشر بجريدة **المحرر** . الاربعاء في ٧٣/٥/١٦ « الليل الطويل يبدو بلا نهاية ... ولكن الشعب الفلسطيني صامد كجبال القدس » .

** الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي » ، لاري لوك وود ، **شؤون فلسطينية** ، عدد رقم ٢٠ ، نيسان ١٩٧٣.

فالمزارع الاسرائيلي لا يخسر فالدولة تؤمن له كل شيء ، البذار والماء للري وتعطيه المساعدات المالية حتى يحافظ على الارض الذي يعمل بها ويرتبط بها ارتباطا وثيقا لا يفصله عنها الا الموت فالارض له كل شيء ، حاضره ومستقبله .. واكثر من ذلك لا يعمل بالارض الا العامل اليهودي ولا تورث الا ليهودي . ولقد ورد في عقود ايجار الصندوق القومي اليهودي او « كيرن كايميت لاسرائيل ليمتد » ما يشير الى ذلك « ... ينبغي ان لا يستلم الارض أحد من غير اليهود ، فاذا توفي المستأجر اليهودي ولم يكن وريثه يهوديا فيحق للصندوق ان يسترد الارض بشرط ان يعطى الوارث مهلة ثلاثة اشهر قبل الاسترداد ، ويشترط على الوارث خلال هذه المدة ان ينقل حقوقه الى يهودي ، والا فيسترد الصندوق الارض دون ان يكون للوارث حق الاعتراض »*. اذن فعلينا نحن العرب جميعا وعلى الدول العربية الغنية بصورة خاصة ان تضع مخططا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاراضي المحتلة هادفة بذلك الى رفع معنويات الفلسطينيين العرب هناك ، ومقدمة جميع وسائل الانتاج ورؤوس الاموال العربية لتحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، بانشاء المشاريع الصناعية والتجارية ، تخلق فرص العمل انجيدة امام اليد العاملة الفلسطينية وذلك بأجور تؤمن للعامل العربي حياة كريمة تزيده ارتباطا بوطنه بأرضه وقريته . اما المزارع فبهذه المساعدة المادية التي تعوض خسارته ان حدثت ، تخلق عنده الامل بأرضه وبوطنه فلن يكون مضطرا لاهمال أرضه او بيعها . الصعوبة في ذلك ، ان المساعدات التي يمكن ان تقدمها الدول العربية للاراضي المحتلة والمشاريع التي يمكن انشاؤها قد تذهب الى فائدة وصالح الاقتصاد الاسرائيلي وخاصة ان اسرائيل تسيطر عسكريا على المنطقة وتستخدمها كوسيلة لتحقيق مطامعها الاقتصادية . السبيل الوحيد هو الاشراف الدولي على استفادة العرب الفلسطينيين من المساعدة المادية وتأمين الحرية الاقتصادية لاصحاب الاعمال الفلسطينيين ، في انتاجهم، في تصديرهم واستيرادهم . طبعا ان مثل هذا الحل هو موقت والغاية منه اعطاء الامل للفلسطينيين العرب متابعة النضال والتمسك بالارض والوطن ، اما الحل الوحيد فهو اعداد واستخدام الطاقات العربية المادية والبشرية من أجل معركة التحرير ، معركة العودة ، معركة الكرامة العربية .

---

* **الاقتصاد الاسرائيلي** ، الدكتور يوسف عبدالله صايغ ، ص ٣٤ .

الصهيونية في السينما

مصطفى درويش

الصورة اصدق انباء من الكلمة ، ولا غرابة في هذا لان الصورة تعبر عن الواقع بالواقع في حين ان الكلمة لا تعدو ان تكون تعبيرا عنه بالرمز . ولعله مما يؤيد ذلك تلك الصورة التي استهلت بها مجلة « كراسات السينما » الفرنسية عددها عن ديسمبر عام ١٩٦٣ المكرس للسينما الامريكية(١) . فما الذي جاءت به هذه الصورة من انباء تعبر عن الواقع تعبيرا اصدق من الكلمة ، بل فيه غناء عنها ؟

ان الصورة عن هوليوود عام ١٩١٨ اي في عهد الرواد الاوائل الذين بنوا مصنع الاحلام . وهو عهد يمتد من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩١٩ . وفي الصورة نخبة من هؤلاء الرواد لا تزيد عن سبعة رجال وامراة واحدة هي « جلوريا سوانسون » نجمة السينما الصامتة الذائعة الصيت . ولا يهمنا من الرجال السبعة سوى ثلاثة شاءت الصدفة بل قل الحكمة ان يتراصوا الى جوار بعض محيطين بالنجمة المتدثرة بمعطف من فرو اسود ثمين . فمن هم هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وقفوا الى جوار بعض متساندين ؟

أولهم الى يسار الصورة هو « هربرت روتشيلد » يليه « ادولف زوكور » ثم « سيسيل ب دي ميل » ، أي الممول فالمنتج فالمخرج . وقد لعب كل واحد منهم دوره الهام وبتنسيق تام في بناء المصنع الذي ظل ينتج الافلام لمدة خمسين عاما او ما يزيد من عمر الزمن . ويبدو لمن لا يحكم على الامور الا بمظاهرها ان دور « ادولف زوكور » و « سيسيل ب دي ميل » في بناء مصنع الافلام هو الدور الرئيسي . الاول باعتباره الرائد المجري الذي أسهم في تأسيس شركة « بارامونت » — تلك الشركة التي تعد بحق اهم احتكارات هوليوود وأكثرها تأثيرا في مسار السينما الامريكية — والذي نحت عبارة «الجمهور لا يخطىء أبدا»(٢) لتتخذ منها هوليوود شعارا لسلعها التي غزت بها القلوب والجيوب ، وتبريرا لانتاج سوقي لا يراعي حرمة لصدق أو لفن .. واكتشف نظام النجوم ترصع به سماء عاصمة السينما ليتحول الى سديم بدايته « ماري بيكفور » فتاة بريئة معبودة للجماهير ونهايته « مارلون براندو » ابا روحيا عدوا للجماهير . ولانه ما زال يعيش ليطفىء يوم السابع من يناير الماضي مائة شمعة(٣) .. ومن حول رأسه الذي اشتعل شيبا ابطال هم في حقيقة الامر بقايا كعبة السينما تحولت الى اطلال .. ولو دققت في وجوه هؤلاء الابطال لتعرفت بعد عناء على شارلتون هستون وجريجوري بك وبوب هوب وبت ديفيز وجروشو ماركس وغيرهم ممن كانوا نجوما في سالف الاوان .

والثاني « دي ميل » باعتباره الرائد الامريكي الذي اسهم بجراته وحذقه في انتاج واخراج سبعين فيلما(٤) بدأت صامتة « بزوجة الهندي » (١٩١٣) وانتهت متكلمة « بالوصايا العشر » (١٩٥٦) .. واستباح الاديان والقصص في الكتاب المقدس فاظهر « موسى » على الشاشة مرتين صامتا مرة (١٩٢٣) ومتكلما مرة اخرى (١٩٥٦) والسيد المسيح في « ملك الملوك » (١٩٢٧) و « شمشون ودليلة » (١٩٤٩) . واستحدث بعض القواعد لتحريف التاريخ وتشويهه .. ما تزال جمهرة مخرجي

هوليوود تسير على هديها لا تحيد عنها في جميع الافلام التي تنتج باسم التاريخ وبالاهدار له . ولانه هو الذي نشر اسطورة معجزة السينما الامريكية وذلك بدوام الزهو والتباهي بالحيل السينمائية التي استعملها مرة ايام السينما الصامتة في «جواد لوب» بكاليفورنيا ومرة ثانية ايام السينما المتكلمة « بابي رواس » بالبحر الاحمر لتصوير بحر الاساطير وهو ينشق بارادة الرب ليفسح طريقا لقوم « موسى » خروجا من مصر ثم وهو يغشى فرعون مصر وجنده مع الاصرار على الامتناع عن افشاء سر هذه الحيل وكأنها سر الهي لم يوح به الا للمخرج الامريكي .. ولن يوحى به لاحد سواه(٥).

ولكن الدور الرئيسي كان — في حقيقة الامر — من نصيب اقل الثلاثة اتصالا بالفن السابع ، وأقلهم اعلانا عن نفسه ، كان من نصيب هربرت روتشيلد . ولا عجب في هذا لانه من اشهر بيت مال : بيت الروتشيلد الذي يعرف متى وأين يستثمر راس المال ولاي غاية يكون الاستثمار ، والذي منه قدم البارون دي روتشيلد الدعم المالي للمستعمرات الصهيونية الاولى في فلسطين . وليس صدفة ان كتاب وزير خارجية بريطانيا ارثر جيمس بلفور المؤرخ ٢ من نوفمبر عام ١٩١٧ والذي اصطلح على تسميته « بوعد بلفور » قد وجه الى اللورد والتر روتشيلد عميد فرع بيت المال المذكور في انجلترا ولم يوجه الى شخص اخر .

غير ان الصدفة شاءت ان تجري احداث قضية « دريفوس » التي اتخذت منها الصهيونية وقودا لازكاء نار الدعوة « للعودة الى أرض الميعاد » خلال عام ١٨٩٥ وهو نفس العام الذي اكتشفت فيه السينما وظهرت أول صور لها وهي تتحرك على شاشة بيضاء لاشية فيها داخل قبو بمقهى كبير بشارع كابوشين بمدينة النور .

وبالنظر الى ان تلك القضية أدت الى انقسام المجتمع الفرنسي الذي لم يكن له من حديث الا عن « دريفوس » سواء بالحق او بالباطل لذلك لم يكن غريبا ان يقع اختيار « جورج ميلييس » المخرج الفرنسي على مأساة هذا الرجل لتكون موضوعا لاول فيلم طويل له(٦) . وهو الفيلم الذي اخرجه تحت اسم « دريفوس » خلال عام ١٨٩٩ اي بعد ثلاثة اعوام من تأليف تيودور هرتزل لكتابه « الدولة اليهودية » وقبل ثلاثة اعوام من تأليفه لكتابه الثاني « الارض القديمة الجديدة » .

واغلب الظن ان النجاح الذي حازه فيلم جورج ميلييس عن « دريفوس » قد نبه قادة الحركة الصهيونية ودعاتها — ومنذ وقت مبكر — الى اهمية السينما باعتبارها اداة دعاية سريعة وفعالة للفكر الصهيوني .

وكان أول ما ظهر من سينما مباشرة في خدمة الصهيونية فيلم اسمه « حياة اليهود في أرض الميعاد »(٧) ليعقوب بن دوف وهو مخرج صهيوني من اصل روسي استقر به المقام بفلسطين قبل نشوب الحرب العالمية الاولى . وقد أخرج هذا الفيلم خلال عام ١٩١٢ اي في الفترة التي اشتد فيها ساعد الصهيونية بهزيمة ثورة ١٩٠٥ بروسيا القيصرية ، وبدء موجة الخروج من « سجن الشعوب » تلك الموجة التي عرفت باسم « الهجرة الثانية » .

ومن بعد صدور الوعد أصبحت الصهيونية ازاء وضع جديد كل الجدة يتطلب الاسراع بتهجير عدد متزايد من اليهود الى فلسطين لتيسير انشاء الوطن القومي الموعود . وفي سبيل بلوغ هذا الهدف اعتمد دعاة الصهيونية على الاستغلال الدعائي لامرين : أولهما الدين من خلال قصص العهد القديم وأساطير الاولين ، والثاني : الطاعون النازي وما يحمله من فكر عنصري معاد للسامية .

ولسنا نتعرض في هذا المقام بالتفصيل لاستغلال دعاة الصهيونية للدين فذ[illegible] غير خاف على كل من له علم — ولو قليل — بنشوء الحركة الصهيونية ، وانما [illegible] نريد ان نتعرض له ونقف عنده وقفة يسيرة هو استغلال الصهيونية للدين في السين[illegible] .

من المسلم في الدين اليهودي ان « عودة » اليهود من الشتات الى جبل صهيون في « اورشليم » (القدس) أمر حتمي . ومن المسلم في التاريخ اليهودي ان حنين اليهود وبالذات فقرائهم الى الارض الام في فلسطين ان هو الا رد فعل عاطفي لفظاعة الحياة واليأس من صلاح الاحوال في المنفى . ولعل خير تعبير عن هذا الحنين هو نشيدهم الذي يجري بهذه الكلمات : « لا نزال مشردين في هذا العالم ، ولكن في العام القادم سنكون في أورشليم .. ولا نزال عبيدا في هذا العام .. ولكن في العام القادم سنكون اناسا احرارا » .

ومفهوم هذا النشيد ان ما يعذب في الشتات هو التشرد والعبودية ، وان ما يبعث الامل هو العمل لا من أجل حرية اليهود في الارض التي بها يعيشون وانما من اجل الخروج للعودة الى اورشليم .

ولا يسع من يقرأ التوراة الا ان يعترف بما في قصة موسى وهو يقود شعبه من أرض الفراعنة الى أرض اللبن والعسل من معان ورموز تستطيع الصهيونية ان تطوعها لخدمة الدعوة بين يهود الشتات للتحرر من العبودية والخوف « بالعودة الى أرض الميعاد » . ويتضح من القصة انها تفيد الصهيونية لو احسن اخراجها في لغة السينما ففيها التشرد والعبودية والامل والعمل من أجل الخروج والعودة « بالشعب المختار » الى الارض « الموروثة » . ومن هنا وقوع اختيار شركة بارامونت لصاحبها ادولف زوكور على قصة موسى لتنتجها تحت اسم « الوصايا العشر » مرتين المرة الاولى صامتة بلا الوان عام ١٩٢٣ في أيام قل فيها اقبال بني اسرائيل على الهجرة الى أرض الانبياء . والمرة الثانية ناطقة بالالوان عام ١٩٥٦ عقب اعلان قيام دولة اسرائيل في ايام انحسرت فيها موجة هجرة ابناء « الشعب المختار » .

وفي كلا الفيلمين كان « سيسيل ب دي ميل » هو المخرج وفي كليهما كان لا هم للمخرج الامريكي — الذي شاهدناه الى جوار ادولف زوكور وهربرت روتشيلد في صورة ترجع الى أيام الرواد عقب ارسال الوعد الى لورد روتشيلد بقليل — الا ان يتناول قصة موسى وبني اسرائيل اثناء وجودهم في أرض مصر ثم اثناء الخروج منها على وجه مشوه يراد به باطل هو تصوير أهل مصر وكأنهم ابناء شعب منبوذ كتب عليه ذل العيش في اغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين .

وهذا السبيل الذي سلكه « دي ميل » لا يثير دهشة أحد ، فالتاريخ ليس من الامور التي يهتم بها او يهتز لها ، آية ذلك انه لما اعترض النقاد على استعمال اسم الاميرة « نفرتيري » أو « نفرتيتي » في الوصايا العشر رغم ان التاريخ يقول ان هذه الاميرة عاشت في غير عصر موسى ، لم يعر اعتراضهم التفاتا وزاد من حيرة نقاده حين قال في استهتار بين ان ثمة اميرتين بهذين الاسمين يفصل بينهما قرن ونصف من عمر مصر القديمة . وان الاميرة العاشقة (آن باكستر) لموسى (شارلتون هستون) في الفيلم هي نفرتيري ونفرتيتي في آن واحد . وانه في فيلمه عن السيد المسيح « ملك الملوك » القى مسئولية موت المخلص على كايفاس بدلا من يهوذا مراعاة منه لشعور اليهود(٨).
وانما الذي يثير الدهشة ان يجيء « دي ميل » الى مصر خلال عام ١٩٥٤ ليصور فيلمه في ربوعها ، وان يشارك الجيش المصري في بعض المشاهد لشعب مصر سيما مشهد البحر الاحمر وهو ينفلق كالطود العظيم لينجو موسى ومن معه اجمعين ثم يغرق الله الاخرين أي فرعون ومن معه من الجنود المصريين . وان يلعب « عباس البغدادلي » — وهو ضابط مصري سابق من سلاح الفرسان — دور سائق عربة رمسيس فرعون مصر (يول براينر)(٩). وان يتوج ذلك كله بحفل افتتاح كبير يعرض فيه فيلم « الوصايا العشر » بمدينة نيويورك يوم التاسع من نوفمبر عام ١٩٥٦ أي فور اجتياح القوات الاسرائيلية لشبه جزيرة سيناء بأيام بل قل ساعات معدودات(١٠).

وإذا ما تطرقنا الى استغلال الصهيونية للطاعون النازي في السينما خدمة لما ترسم وتخطط من مشروعات لتبين لنا ان الصهيونية لم تعاد في النازية سوى معاداتها لليهود، وانها اتخذت من هذا العداء ذريعة لانشاء وطن قومي للشعب اليهودي .

وفي الحق ان ما فعلته النازية في يهود اوروبا فعلت اكثر منه بكثير في شعوب الاتحاد السوفييتي ويوجوسلافيا وغيرها من شعوب شرق اوروبا ، ولكن الصهيونية لا تركز في السينما الا على فعلة النازية في حق اليهود .

ولا جدال في أن النازية برجعيتها السوداء وتأكيدها على نقاء العنصر الآري من خلال الحط من شأن العنصر السامي قد مهدت الطريق الى رجعية سوداء اخرى تؤكد على نقاء « شعب الله المختار » من خلال تحقير الشعوب الاخرى لا سيما الشعوب العربية. فمن يرى الافلام المعادية للسامية التي انتجتها المانيا الهتلرية وبخاصة « اليهودي الخالد » لصاحبه الدكتور « فريتز هيبلر » و « اليهودي سوس » لصاحبه « فايت هرلان » لا بد وان يصاب بالغثيان من وباء العنصرية وكيف فقد حكام المانيا كل صواب . فما يعيب اليهود في نظر السينما الهتلرية هو ما يعيب الشعوب المتخلفة كافة وبخاصة الملونة منها(١١).

وهذا الجنون العنصري كان لا بد وان تفيد منه الصهيونية .. فبفضله بثت الذعر في قلوب اليهود ودفعت جموعهم الى الانتماء الى الحركة المنادية « بالعودة الى الوطن المختار » « للشعب المختار » . وبدأت هوليوود تنتج افلاما تركز على اضطهاد اليهود في اوروبا المحتلة بقطعان النازية وبالتجاهل لاي اضطهاد آخر .

والراجح ان الفيلم الذي استهل حركة التنوير باضطهاد اليهود ابان العهد النازي وافادت منه الصهيونية دون وعي من صاحبه او بوعي لا يصل الى درجة التواطؤ مع الفكر الرجعي الصهيوني هو « الدكتاتور العظيم » (١٩٤٠) .

الا أنه منذ الدكتاتور العظيم ، وبعد أن كشف النقاب عن جرائم الهتلرية ، والسينما حيثما للصهيونية نفوذ لا تركز عند التعرض للاحداث ابان فترة احتلال قطعان هتلر لاوروبا الا على اضطهاد اليهود .

على ان من الخطأ البين ان نعتقد ان الصهيونية في السينما وقفت عند حد التركيز على محنة اليهود تحت سلطان هتلر . انها منذ اندحار المانيا النازية وقيام اسرائيل على أرض فلسطين وهي تعدد انواع الاضطهاد لهم في كل ارض غير « أرض الميعاد » كيما تهيئهم نفسيا « للخروج من منفاهم في الشتات نحو الفردوس الموعود » !

وهكذا بدأت افلام تتكلم عن العنصرية ضد اليهود في الولايات المتحدة من بينها فيلم « النار المتشابكة » (١٩٤٧) لصاحبه ادوار ديمترك وهو المخرج الذي ذهب الى « اسرائيل » عام ١٩٥٣ حيث اخرج فيلم « المحتال » الذي قام باداء الدور الاول فيه كيرك دوجلاس . وفيلم « اتفاقية الجنتلمان » او « الحائط الخفي » (١٩٤٧) لصاحبه ايليا كازان الذي وقع اختياره على جريجوري بك ليؤدي فيه احد الادوار الرئيسية .

ولعل خير فيلم يضرب به المثل على ان الصهيونية في السينما حريصة غاية الحرص على تنبيه اليهود الى خطر العيش خارج « اسرائيل » هو « الخروج » (١٩٦٠) . فهذا الفيلم — وهو عن قصة للاديب الصهيوني « ليون اوريس » — يصف بتفصيل وباسلوب شاعري غنائي ميلاد اسرائيل(١٢). وقد اختارت هوليوود لانتاجه — وهو انتاج ضخم لان الصهيونية ارادت له ان يكون فيلما من مائتي دقيقة وان يكون شأنه بالنسبة « لاسرائيل » شأن فيلم « ميلاد أمة » بالنسبة « للولايات المتحدة » — « دالتون ترامبو »

وهو واحد من عباقرة فن كتابة السيناريو بعاصمة السينما ، واتو برنجر الذي يعتبر واحدا من أهم مخرجي السينما الامريكية المعاصرة ، وبول نيومان لانه اكثر النجوم شهرة وأشدهم تعصباً للصهيونية . وبعد الفراغ من انتاجه وقبل توزيعه وقع الاختيار عليه ليكون الفيلم الذي يفتتح به مهرجان « كان » عام ١٩٦١ .

وانّا لو شاهدنا هذا الفيلم لوجدنا فيه كل جراثيم الدعاية الصهيونية التي نجد بعضا منها في الافلام المعاصرة او التالية له . ولفهمنا سر الاهتمام به .

فالاسم المختار له هو « الخروج » ذلك اللفظ السحري الموغل في القدم والذي تستثمره الصهيونية للايحاء لليهود بان الخروج من العالم المحيط باسرائيل لازم بل فرض كما كان الحال ايام فرعون حين قاد موسى بني اسرائيل خروجا من مصر . اما موضوعه فينساب في خطين مرتبطين الاول عن محاولة دخول الباخرة «الخروج» فلسطين بما تحمل من بقايا يهود معسكرات الاعتقال النازي الناجين من الابادة الجماعية ومقاومة السلطات البريطانية عودة يهود « الخروج » الذين كتبت لهم النجاة من فرعون المانيا الى « أرض الميعاد » . والثاني ميلاد دولة اسرائيل وشروع العرب في وأد المولود الجديد بشن الحرب التي انتهت بانتصار الاسرائيليين « بفضل ايمانهم وتقدمهم على العرب الغزاة »(١٢).

ونحن بعد مشاهدة « الخروج » نحس من أول لقطة اننا بازاء فيلم صهيوني قح لا عهد لنا بمثله من قبل في تاريخ السينما فهو يدخل في عداد افلام الانتاج الضخم . ومخرجه يعرض للتاريخ القريب على هدى ما رسمه شيخ المخرجين « سيسيل ب دي ميل » لمخرجي هوليوود منذ ما يقرب من نصف قرن أي بالتشويه والتحريف .

فعند مخرج « الخروج » لا حياة لليهود في عالم غير اليهود لان هذا العالم فاسد ولا يحمل ناسه لابناء « الشعب المختار » الا الكراهية لا فرق في ذلك بين من كان حليفا بالامس (الانكليز) وبين من كان عدوا فالكل سواء في الحقد والبغضاء ولذلك فمن الحق لليهود بل ومن الحق عليهم ان يعودوا الى « أرض الميعاد » حتى ولو أدت هذه العودة الى اقتلاع شعب فلسطين من مكانه . لان الشعب المختار له من الحقوق ما ليس للشعوب الادنى منه منزلة ! ولا نظير فيما اعرف من افلام لهذا التبجح على التاريخ الا في الافلام النازية أو في الافلام الامريكية التي عرضت لمأساة الهنود الحمر على وجه يسيء الى نضالهم بحيث يبرر ابادتهم .

وقد نكون مبالغين اذا قلنا ان « الخروج » احاط بكل الافكار الصهيونية . ولكن لا شك في انه عرض لجوهرها . وليس غريبا ان يكون الخروج — وهو فيلم امريكي توزعه شركة الفنانين المتحدين الامريكية — مطابقا في افكاره السائدة للدعوة الصهيونية من الفها الى يائها فجنسيته في الواقع أقرب الى الجنسية الاسرائيلية منها الى الجنسية الامريكية او بمعنى اصح اقرب الى الجنسية المزدوجة الجانحة في جموح الى الجنسية الاسرائيلية .

وهذه الجنسية المزدوجة يتمتع بها الكثير من أفلام السينما الصهيونية سواء أكانت منتجة داخل هوليوود أو خارجها ، ومصداق ذلك ما جاء في قاموس السينما والتلفزيون لموريس بيس وجان لويس شاردان بباب التعريف بالسينما الاسرائيلية . فمما يلفت النظر في التعداد الوارد في هذا الباب لبعض الافلام الاسرائيلية أن من بينها أفلاما كان يقال عنها فيما مضى انها أمريكية فلما آن الاوان أعلن انها أفلام اسرائيلية ومن أهم هذه الافلام « مذكرات آن فرانك » و« الخروج » .

ومهما يكن من أمر الجنسية أهي واحدة أم مزدوجة فالشواهد تدل على ان فيلم « الخروج » يعتبر نقطة تحول في تاريخ الصهيونية في السينما داخل اسرائيل وخارجها.

فمن قبله كانت السينما الاسرائيلية في المهد ما تزال ، فاللسان العبري لم يكن قد انطلق بالكلام في كل الافلام . وعدد الافلام الروائية الطويلة لم يكن ليتجاوز أصابع اليد الواحدة (ثلاثة أفلام عام ١٩٥٣) لان أغلب الاهتمام كان موجهـا للافلام القصيرة وبخاصة الوثائقية منها باعتبارها المدرسة المثلى لتعليم النشء لغة السينما هذا الى ان مستوى السينما الاسرائيلية لم يكن قد وصل بعد الى المستوى العالمـي الذي يسمح لافلامها بالخروج من أرض اسرائيل انطلاقا الى العالم الفسيح للدعاية بين اليهود وغير اليهود .

اما بعد « الخروج » فقد تحولت جميع الافلام الاسرائيلية الى الكلام بلغة التوراة. ولم يقف الامر عند هذا الحـد بل تجاوزه الى فرض العبرية علـى بعض مشاهد الافلام الامريكية لا سيما الغنائية منها . فنحن نفاجأ بجولي أندروز في فيلم « ميلي » لصاحبه جورج روي هيل (١٩٦٧) وهي تتمايل طربا في فرح يهودي بنيويورك وتغني للعريس وعروسته بلسان عبري . كما نفاجأ « بماريسا بيرسون » و « فريتز ويير » في فيلم « كاباريه » لصاحبه بوب فوس (١٩٧٢) وهما يتزوجان في المعبد اليهودي بلغة العهد القديم .

وزاد عدد الافلام الاسرائيلية على مهل ليصل الى عشرة أفلام روائية طويلة عام ١٩٦٦ والى خمسة وعشرين فيلما روائيا طويلا خلال عـام الاحتفال بمرور عدد معادل من الاعوام لهذا العدد من الافلام على ميلاد الدولة الصهيونية . ومن بين هذه الافلام ما هو بالابيض والاسود وما هو بالالوان ، هذا بالاضافة الى أفلام قصيرة كثيرة بعضها روائي والبعض الآخر تسجيلي والبعض الثالث تجريبي .

وبدأ خروجها الى العالم خارج أسوار اسرائيـل ، وهو خروج توج بمنح الفيلـم الاسرائيلي « فجوة في القمر » لصاحبه أورو زوهار جائزة أحسن فيلم أول في مهرجان كان عام ١٩٦٥(١٤) وبمنح الفيلم الاسرائيلي « ثلاثة أيام وطفل » جائزة أحسن ممثل للطفل (أودد كوتلر) في مهرجان كان عام ١٩٦٧ وكان ذلك قبيل معارك حزيران بأيام .

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المجال واقعتين حدثتا أثناء هذا المهرجان لما في ذكرهما من بعض بيان لمدى عناية الصهيونية بالدعاية للسينما الاسرائيلية ومن بعض تذكرة لمدى اهتمامها بلغة السينما لما لها من سحر وتأثير .

من المعروف ان ثمة تقليدا في مهرجان « كان » من مقتضاه أن يعرض الفيلـم بصالة الاحتفال الكبرى ثم تعقد ندوة عنه يحضرها النقاد ومن يكون موجودا من فناني الفيلم وبخاصة مخرجه في صالة صغيرة أطلقوا عليها اسم الشاعر « جان كوكتو » ، وقد لوحظ عند الاطلاع على برنامج اليوم المخصص لندوة الفيلم الاسرائيلي ان ثمة لقاء بين رجال الصحافة وبين الممثل الكوميدي « جيري لويس » الشهير بصهيونيته . وان موعد هذا اللقاء قد حدد بحيث يكون تاليا مباشرة للندوة . وحكمة التحديد على هذا الوجه واضحة وهي أن تزدحم الصالة بجمهور جيري لويس وهو جمهور كبير فيفيد من هذا الازدحام الفيلم الاسرائيلي . وقد تحقق ما رسم له مخططو الدعاية فازدحمت الصالة الى الحد الذي اضطر معه بعض الصحفيين والنقاد الى الوقوف أو الى الجلوس أرضا اثنـاء الندوة في انتظار لقاء النجم الكوميدي .

ولم تكتف الدعاية للفيلم الاسرائيلي بهذا القدر من النجاح ، وانما نظمت الامور بحيث يدخل النجم الصهيوني الصالة قبيل انتهاء الندوة فيبدو وكأنه قد فوجيء بوجود المخرج الاسرائيلي وكأنه لم يقابله من قبل . وهنا ينبري الناقد « روبير بينايون » فيعرف النجم بالمخرج وسط التصفيق والتهليل .

اما الواقعة الثانية فهي خاصة « بالرجل العجوز والطفـل »(١٥)، لصاحبه المخرج « كلود بيري » . وهو فيلم تدور أحداثه في فرنسا ابان الاحتلال النازي حول طفل يهودي

(آلن كوهين) تريد أسرته العاملة أن تنقذه من الذبح العظيم علـى يد هتلر وقومه الكافرين فتعطيه الى صديقة لتذهب به الى الريف بعيدا عن المدينة ليعيش بمنجاة في حماية والدها (ميشيل سيمون) وهو ثري عجوز يكره اليهود وسيرتهم . وبالطبع ينبه على الطفل أن يخفي دينه عن الرجل العجـوز المتعصب وان يظهر بمظهر الكاثوليكي المؤمن بالمسيح عدو اليهود . وتختلف على العجوز والطفل وعلى فرنسا الاحداث ويتعلق قلب العجوز بالطفل . وتنتهي الحرب باندحار النازية وتطلب الاسرة العاملة طفلها . ويعرف العجوز ان الطفل يهودي . ورغم ذلك لا يرتد عن حبه له. وفي آخر الفيلم يوضع الطفل في قطار يمضي به الى أهله في مكان مجهول ثم نحن لا نعلم من أمره بعد ذلك شيئا.

وقد حاول انصار الصهيونية في السينما الفرنسية ــ وهم كثر ــ ان يؤثروا على لجنة اختيار الافلام فيدفعوها دفعا الى اختيار «الرجل العجوز والطفل» لمهرجان «كان». فلما فشلوا اثاروا ضجة من أجل تكريم ميشيـل سيمون . وكان لا مناص مـن الرضوخ لحماسهم الذي يراد به باطل لان أحدا لا يستطيع أن ينكر عطاء ميشيل سيمون للسينما الفرنسية . وهكذا رتبت الامور بحيث صعد الممثل العجوز على خشبة المسرح بصالة العرض الكبرى يوم اختتام المهرجان ليتسلم جائزة تكريمه من يد الطفل آلن كوهين وسط التصفيق والتهليل .

وبعد ، فقد يكون من الخير أن نذكر قبل أن نتحدث عن الاتجاهات السائدة في السينما الصهيونية في المرحلة التالية لفيلم الخروج ، ان نصيب السينما الاسرائيلية في مهرجان فينيسيا عام ١٩٧٢ ــ وهو المهرجان الذي يختتم به موسم المهرجانات السينمائية في أوروبا ــ كان خمسة افلام من بينها فيلمان روائيان طويلان ، فاذا أضيف الى ذلك فيلم « تحيا أورشليم » وهو فيلم تسجيلي صهيوني لصاحبه المخرج الفرنسي هنري شابييه و« كاباريه » وهو فيلم موسيقي صهيوني لصاحبه المخرج الامريكي « بوب فوس » وهما الفيلمان اللذان وقع عليهما الاختيار الاول لتستهل بـه عروض الافلام الوثائقية التي تسجل مشاكل عصرنا والثاني ليفتتح به المهرجان رسميا ؛ فان نصيب الصهيونية في السينما يكون ، والحالة هذه ، سبعة أفلام . هذا في الوقت الذي لم يكن للامة العربية من المحيط الى الخليج في المهرجان سوى فيلمين احدهما تسجيلي قصير لمصر لا يتجاوز عرضه عشر دقائق والثاني روائي طويل للكويت ليس فيه من الدعاية للعرب شيء(١٦).

والآن ماذا عن الاتجاهات السائدة داخل تيار الصهيونية في السينما بعد فيلم «الخروج»؟ ان أول ما يلاحظ من متابعة أفلام هذا التيار ان موجة الافلام الصهيونية المستوحاة من التوراة ومن أساطير الاولين التي طغت على أفلام هوليوود الضخمة المنتجة بهدف الابهار بعد اعلان قيام دولة اسرائيل بقليل ــ هذه الموجة قد انحسرت من بعـد عرض فيلم « الخروج » عام ١٩٦١ .

فعقب قيام تلك الدولة بادرت هوليوود الى انتاج « شمشون ودليلة » من اخراج سيسيل ب دي ميل وتمثيل فيكتور ماتيور وهيدي لامار (١٩٤٩) و«داود وباتشيبع» تمثيل جريجوري بك وسوزان هيوارد (١٩٥١) و« خطايا ايزابل » ، تمثيل بوليت جودارد (١٩٥٣) و« الوصايا العشر » (١٩٥٦) و« سليمان وملكة سبأ » من اخراج كنج فيدور (١٩٥٩) و« استر والملك » لمخرجه راؤول والسن (١٩٦٠) و« سدوم وعاموره » للمخرج روبرت الدريس (١٩٦١) .

اما بعد « الخروج » فلم تنتج هوليوود من أفلام هذا النوع سوى فيلم واحد ضخم هو « التوراة في البداية » للمخرج الشهير جون هوستون (١٩٦٦) الذي أخرج من بعده فيلمين أحدهما « خطاب الكرملين » وهو فيلم معاد للاتحاد السوفييتي والثاني « رحلة مع الحب والموت » وهو فيلم اختير له آساف ديان ، ابن موشي ديان ، ليؤدي دور محارب يموت من أجل السلام .

وفي الواقع ففيلم جون هوستون عن التوراة يعتبر واحدا من أهم الافلام التي مهدت عن طريق الدين والاساطير للتوسع الاسرائيلي عام ١٩٦٧ فهو يتوقف من منتصفه حتى نهايته أي زهاء تسعين دقيقة عند ابراهيم ليؤكد في ذهن المشاهد تارة بالتصريح وتارة بالتلميح ان اسماعيل هو أبو العرب ومن نسل العبيد لانه عن ام آمة (هاجر) وان اسحق هو ابو اليهود ومن نسل السادة لانه عن أم أميرة (سارة) وان أرض اسرائيل تمتد من الفرات الى النيل بالوعد من الله الى ابراهيم .

وعلى كل فان الصهيونية في السينما — ومنذ فيلم الخروج — وهي تسلك طرقا أخرى تهدف الى التحذير من الحياة في الشتات والى التذكير بالحق في العودة بالوعد مع التركيز على ان العرب عبيد بلا حق وذلك من خلال موضوعات معاصرة لا ترتد الى عصور الرسل والانبياء بل قل من خلال أفلام مرحة متشحة بثوب الرقص والغناء .

وظاهرة استغلال هذا النوع الاخير من الافلام للدعاية لاهداف الصهيونية وتطلعاتها قد استهلت بفيلم « ميلي » ١٩٦٦ الذي غنت فيه جولي أندروز باللسان العبري دعاية . ثم ازداد الجنوح اليها بعد هزيمة حزيران فكان أن انتجت هوليوود فيلم « فتاة مرحة » لصاحبه ويليم ويلر والذي مثلته بربارا ستريسند مع عمـــر الشريف (١٩٦٨) وفيلم « هيللو دوللي » من اخراج جين كيللي واداء نفس ممثلة فتاة مرحة (١٩٦٩) وفيلم « كاباريه » اداء ليزا مينيللي وفيلم « عازف على السطح » وقد أخرجه نورمان جوديسون وقام باداء أهم أدواره ممثل اسرائيلي الجنسية اسمه « حاييم توبول » . وهذه الافلام الاربعة قد انفق على انتاجها مبالغ تجاوزت الخمسين مليون دولار . وهي في مجموعها تدور وجودا وعدما حول أحد أمور ثلاثة تميز شعب الله المختار او اضطهاده في الشتات أو عودته الى أرض الميعاد : ففي « فتاة مرحة » تجاهــر بربارا ستريسند وتفاخــر بيهوديتها . وفي « هيللو دوللي » تعود في دور خاطبة يهود « دوللي ليفي » ، وهو دور يرمز به في نظر الناقد الفرنسي جان جيلي الى انتصار القيم اليهودية بما تتسم به من يقظة وانطلاق وسحر وخيال وسعي الى النجاح المادي . وخير مثل على هذا الانتصار هو عودة «دوللي ليفي» — وبعد غياب طويل — الى الحدائق التي تنتمي اليها . . حدائق الهارمونيا حيث تقابل بالترحاب من الملأ الذي يحييهـــا منشدا كلمات تتغنى بتألقهـــا وبقوتها .

وفي « كاباريه » الكل فاسد وشاذ عدا فتاة «ماريسا بيرسون» من أسرة ثرية يهودية تحب فتى غير يهودي . الا انها تضحي بهذا الحب من أجل دينها . وتتتابع الاحداث فيعلن المحب انه كان يهوديا من قبل أن يكون مسيحيا ويعود الى الدين الحق ويتزوج من حبيبته في المعبد اليهودي المحاصر بقطعان النازية التي كانت تتهدد اليهود في برلين قبيل استيلاء هتلر على السلطة .

وفي « عازف على السطح » يعيش تيفي مع زوجته وبناته الخمس في احدى قرى روسيا القيصرية حياة ترفرف عليها السعادة لا يعكر من صفوها سوى فقر يحتمل وحب لا يحتمل من احدى بناته لشاب غير يهودي . وتمر الايام هادئة والنفوس مطمئنة الى أن تهب عاصفة عنصرية مميتة فتودي سمومها بالامل ، أي أمـــل في أن تعيش اسرة « تيفي » كما كانت تعيش من قبل . ويبزغ فجر أمل جديد من خلال عودة الوعي بالخطر الذي يتهدد الاسرة في الشتات ويبدأ الخروج .

وغني عن البيان انه ما كان يمكن للصهيونيـــة في السينما أن تكتفـــي بالافـــلام الاستعراضية أداة لبث دعايتها وبخاصة عقب عدوان حزيران . انها من بعده وهي تستعمل جميع أشكال التعبير بالصورة المتحركة وعلى نطـــاق واسع يمتد من الفيلم الوثائقي الى الفيلم الروائي سواء أكان قصيرا أو طويلا .

والامثلة على ذلك كثيرة في مجال الفيلم الوثائقي لعل اهمها أفلام ثلاثة أولها لفردريك روسيف مخرج فيلمي « ثورة اكتوبر » و« الموت في مدريد » . وهو في فيلمه الصهيوني يصور العرب دعاة حرب مستسلمين واليهود دعاة سلام محاربين من خلال عرض زائف لتاريخ الصراع بين الشعوب العربية والصهيونية . وقد أطلق عليه اسم « حائط أورشليم » (١٩٦٩) وضمنه مغالطات عديدة من بينها لقطة لموشي ديان أمام حائط المبكى خاشعا داعيا الله أن يجيب الدعاء ويعيد السلام الى أرض السلام .

والفيلم الثاني لهنري شابييه وهو ناقد فرنسي اختار القدس موضوعا لفيلمه الذي أسماه « تحيا أورشليم » (١٩٧٢) كما اختار الاديب الفرنسي الصهيوني « جوزيف كيسيل » ليقدم له . والفيلم ذو نزعة صوفية جوهرها ان القدس عادت الى «أصحابها» بعد طول « اغتصاب » وأن حلم الانسان في السلام قد تحقق بتلك العودة . والفيلم الثالث لصاحبه « مارسيل اوفلس » ابن المخرج الالماني الشهير ماكس اوفلس الذي يؤرخ لمدينة فرنسية هي كلير مونت فيران اثناء الاحتلال من خلال « الاسى والشفقة » (١٩٦٩) وهو فيلم يطول عرضه لاكثر من أربع ساعات ويحكي فيه ضمن ما يحكي عن محنة اليهود أيام الحكم النازي وكيف ان أهل فرنسا كانوا أكثر جنوحا الى كراهية اليهود من سلطات الاحتلال وأشد جموحا في تنفيذ عملية اصطيادهم لارسالهم الى معسكرات الاعتقال حيث الحل النهائي القائم على تطهير القارة من يهودها .

اما بالنسبة للافلام الروائية فقد يكون ما فيها من صهيونية واضحا لكل من له عينان كما هو الحال في « مذكرات آن فرانك » للمخرج الامريكي « جورج ستيفنز » و« حدائق فيندي كونتيني» (١٩٧١) للمخرج الايطالي «فيتوريو دي سيكا» و «بيك وبيك وكولجرام» (١٩٧٢) للمخرجة الفرنسية « راشيل فينبرج » وهي أفلام تعرض لمحنة اليهود نساء ورجالا على يد هتلر ، تلك المحنة التي تنتهي في فيلمي « جورج ستيفنز » و « فيتوريو دي سيكا » بآن فرانك وميكول فينزي كونتيني الى أفران كان يباد فيها اليهود .

وقد لا يكون ما في الافلام الروائية من صهيونية بمثل هذا الغلو في الوضوح . ولنضرب المثل على ذلك بثلاثة افلام أولها للمخرج الفرنسي « هنري فيرنيي » والثاني للمخرج السويدي « انجمار برجمان » والاخير للمخرج الاسرائيلي « باروخ ديهار » .

في الفيلم الاول واسمه « اللصوص » يتنازع البطولة « جان بول بلموندو » و « عمر الشريف » الاول في دور لص شريف خفيف الظل حاضر البديهة والثاني في دور ضابط غير شريف خائن لواجبه كضابط واسمه زكريا . وينجح اللص الشريف في سرقة مجوهرات تصل قيمتها الى المليون جنيه . ولكن الضابط غير الشريف بالمرصاد للص الشريف لانه يريد كل الحلى المسروقة لنفسه ويحاول اللص الشريف اقناعه باقتسام المسروقات مناصفة بينهما غير ان محاولاته تضيع سدى لان رغبة شرهة جامحة تدفع الضابط زكريا الى رفض الاقتسام . وفي ختام الفيلم يغلب اللص الشريف الضابط غير الشريف وجنده المدججين بأرقى الاسلحة وأحدثها ويهلك عمر الشريف الرافض للاقتسام غرقا في أمواج بحر من القمح .

وواضح من هذا السياق ومن اختيار عمر الشريف ليمثل دور ضابط غير شريف اسمه زكريا ان الفيلم زاخر برموز منها ما هو مستوحى من اسطورة داود يغلب جوليات بالمقلاع ، ومنها ما هو مستوحى من قصة ابتلاع اليم لفرعون وجنوده . وان هذه الرموز تستهدف اتهام الرافضين للاقتسام وتبرير احتلال عموم فلسطين .

وفي الفيلم الثاني « اللمسة » — وهو أول فيلم للمخرج السويدي يموله الرأسمال الامريكي — البطل اسرائيلي الجنسية هاجر مع عائلته من المانيا النازية الى نيويورك ثم منها الى اسرائيل . وهو في الفيلم ببعثة حفريات أثرية الى السويد حيث يكشف التنقيب عن تمثال خشبي للعذراء وابنها له من العمر خمسمائة عام .

وفي البداية نرى هذا التمثال جميلا لا عيب فيه . وقرب النهاية نرى في احنائه حشرات جميلة كامنة أيقظها النور فهي تقضي عليه . وظاهر من هذا العرض الموجز ان فيلم انجمار برجمان زاخر هو الآخر بالرموز . وفي أغلب الظن انه يرمز بدافيد ــ وهو اسم البطل ــ الى نور الصدق . ويرمز بتمثال العذراء الى ظلام الكذب لا يستطيع ان يصمد للنور . والنور هنا آت من اسرائيل .

وفي الفيلم الاخير واسمه « خذ اثنين » (١٩٧٢) البطل مخــرج اسرائيلي يقاوم مطاردات فتاة امريكية مولعة بالسينما تريد أن تتدرب معه على أصولها ثم يرضخ في النهاية بالاستجابة الى رغبتها أن تكون مساعدة له . وتتبعه كظله الا انها لا تفهم مما يفعل شيئا . فهو يصور أمامها مشهد اطفال داخل مخبأ بمزرعة تعاونية (كيبوتز) على الحدود في فترة يسود فيها السلام . ثم اذا بها بعد تركيب الصوت على الشريط تفاجأ بسماع أصوات مدافع يتحول المشهد بفضلها الى مشهد حرب . وهو يصور أمامها في مطار اللد رجلا ملتحيا مهاجرا من الاتحاد السوفييتي يحمل حقيبة كبيرة يزعم ان بها رفات ابيه الذي أوصاه بنقلها الى الارض المقدسة .

ثم اذا بها تفاجأ ــ وهي في طريق المطار منتظرة عربة الاستديو ــ بالمهاجر الروسي يخرج من العربة ويخلع لحيته ويتبادل النكات والتهاني علــى حسن تقمصه للدور . فتغضب لهذا الزيف . وعبثا يحاول المخرج ان يردها الى صوابها بأن يذكرها بأصول لغة السينما وما تقتضيه من اعادة بناء الماضي عبثا لانها لا تستطيع أن تفهم .. ولا تستطيع معه صبرا .

---

١ ــ مجلة **كراسات السينما** ، مجلد ٢٥ ، عدد عدد ١٥٠ ــ ١٥١ ، ديسمبر ١٩٦٣ ــ يناير ١٩٦٤ ، ص ٧ .

٢ ــ سيرة ادولف زوكور تحت عنوان **« الجمهور لا يخطىء ابدا »** .

٣ ــ مجلة **باري ماتش** ، عــدد ١٢٣٨ ــ ٢٧ يناير ١٩٧٣ ، ص ٦٤ .

٤ ــ كتاب **سيسيل ب دي ميل** من تأليف ميشيل مورليه « طبعة سجرز » ، ص ١٦١ وما بعدها.

٥ ــ كتاب **الدين في السينمــا** من تأليف ايفان بتلر ، ص ١٢ وما بعدها .

٦ ــ كتاب **« جورج ميليس »** من تأليف جورج سادول « طبعة سجرز » ، ص ١٨٤ ومــا بعدها .

٧ ــ كتاب **تاريخ السينما العالمية** مــن تأليف جورج سادول ، ص ٥١١ .

٨ ــ كتاب **الدين في السينما** سالف الذكر .

٩ ــ كتاب سيسيل ب دي ميل **سالف الذكر** .

١٠ ــ كتاب سيسيل ب دي ميل **سالف الذكر** ، ص ٥٢ .

١١ ــ كتاب **السياسة والفيلم** من تأليف لييف فور هامر ونولك ايزاكسو « طبعة ستديو فيستا » ص ١١٦ وما بعدها .

١٢ ــ **انسيكلوبديا السينمــا** من تأليف جــورج بوسينو ، ص ٥٣٦ .

١٣ ــ مجلة **كراسات السينما** ، مجلد ٢٠ ، عدد ١٢٠ ، يونيه ١٩٦١ ، ص ٣٦ .

١٤ ــ **قاموس السينما والتلفزيون** الجزء الثالث، من تأليف موريس بيس وجان لويس شاردان ، ص ١٠٩ .

١٥ ــ كتاب « **ميشيل سيمــون** » تأليف جــاك فانستن « طبعة سجرز » ، ص ١٨٣ .

١٦ ــ مجلة **« فينيسيا ٣٣ »** .

نظرة على سباق التسلح في الشرق الاوسط

هشام عبدالله

انعكس تطور الاسلحة في الدول الكبرى ، على الدول الصغرى بشكل عام ، وعلى الدول الصغرى في المناطق الملتهبة من العالم بشكل خاص ، مثل الهند الصينية والشرق الاوسط ، وقد ابرز طول امد الصراع في المنطقة العربية هذا بشكل واضح ، حتى بات السعي للحصول على احدث الاسلحة هم حكومات معظم دول المنطقة ، الامر الذي ادى الى قيام سباق تسلح بين اسرائيل والدول العربية ، خاصة تلك المحيطة بها .

وقد انتقلت حمى التسلح الى ليبيا ثم امتدت الى دول النفط العربية في الخليج على اثر تسليح ايران ، وفي الوقت الذي تمكنت فيه ايران من الحصول على ما تريد من مصادر امريكية وبريطانية ، بموجب صفقات ضخمة ضمن طائرات من طراز فانتوم و « ف — ٥ » ، ودبابات « تشيفتن » البريطانية ، ومئات طائرات الهيلوكبتر ، وتمكنت ليبيا من الحصول على ما تريد من مصادر فرنسية ، فان الكويت والسعودية لم تتمكنا حتى الان من الحصول على ما تريدان من الولايات المتحدة، وتترددان في الوقت نفسه في اخذ هذه الاسلحة من مصادر غربية اخرى .

وقد سايرت الدول العربية التي تتسلح من الدول الشرقية مثل مصر وسوريا والعراق وتيرة تطور الاسلحة بشكل جيد ، فانتقلت هذه الدول من الميغ ١٥ و ١٧ الى الميغ ١٩ ثم الميغ ٢١ ف وبعدها الميغ ٢١ ف ، هذا بالاضافة الى المحاولات الجارية للحصول على الميغ ٢٥ — وهي التي رابطت بضع طائرات منها في مصر وكانت تعرف بالميغ ٢٣ — وانتقلت كذلك من دبابات ت — ٣٤ و ت — ٥٤ الى ت — ٥٥ ثم ت — ٦٢ ، والحال كذلك بالنسبة للصواريخ ارض — جو ، وسائر الاسلحة . وسار الامر على وتيرة موازية بالنسبة لاسرائيل ايضا ، فحصلت على طائرات ميستير واريغان ثم السوبر ميستير فالميراج ، واخيرا الفانتوم ، وهناك حديث عن اثارة طائرات غرومان توم كات لاهتمام المسؤولين الاسرائيليين، وانتقل سلاح المدفعية من المدافع المقطورة الى المدافع ذاتية الحركة من مختلف العيارات ، وحصلت كذلك على المعدات الالكترونية الحديثة والذخائر الخاصة .

اما بالنسبة للسعودية والكويت ، فلم تساعد طريقة المعاملة الامريكية على ايجاد وتيرة منتظمة ومتوازنة لتسليح هذه الدول ، ففي الوقت الذي طالبت فيه الكويت مثلا بطائرات من طراز « فانتوم » ، عرضت الولايات المتحدة طائرات « كروسيدر » القديمة ، فاذا عرفنا ان الكويت تمتلك طائرات من طراز « لايتنغ » الاحدث ، وجدنا ان العرض الامريكي يشكل تراجعا الى الوراء في مجرى تحديث سلاح الطيران الكويتي .

ومن الاهمية بمكان المحافظة على وتيرة منتظمة في التسلح ، لان هذا الامر يقدم افضل الحلول لمجابهة التحديات، واصدق مثال على ذلك ، سباق التسلح بشكل عام بين مصر وسوريا والعراق من جهة واسرائيل من جهة اخرى ، وحوار الارادات خلال حرب الاستنزاف ، ففي الوقت الذي اشتدت فيه كثافة الغارات الجوية على مصر ، ازدادت قوة الدفاع الجوي بصواريخ سام ٢ وسام ٣ السوفياتية ، وحين زودت الولايات المتحدة اسرائيل بطائرات التشويش الالكتروني وصواريخ « شرايك » المضادة للرادار زودت مصر بالوسائل الكفيلة بمقاومة صواريخ « شرايك » والتخلص من التشويش الالكتروني .

وحين قامت طائرات من طراز ميغ ٢٥ (٢٣ سابقا) برحلات استطلاعية فوق الاراضي المحتلة ، بقيت القوة الجوية الاسرائيلية عديمة الحيلة

تجاهها ، فلم تكن تمتلك مقاتلات او اسلحة قادرة على التصدي لهذه الطائرة ، ولم يكن لديها القدرة الفنية على تطوير وسائل قادرة على محاربتها بشكل يضمن تفوق اسرائيل الجوي . عندهـا تكفلت الخبرات الامريكية بايجاد الحلول اللازمة ، فقامت بتطوير صواريخ جو — جو من طراز سايدوندر AIM-7 F قادرة على التصدي للطائرة المذكورة ووضعت اسرائيل في رأس الدول التي ستتزود بها.

ولسنا بحاجة الى القول ان هذا ما كان ليتم في ظل الظروف التي تفرضها الدول الغربية عامة على بيع الاسلحة الى الدول العربية ، وهـذا يطرح احدى اهم مشاكل التسلح في المنطقـة ، فقد يكون مهما ان تحصل اي دولة عربية علـى طائرات من طراز فانتوم ، ضمن شرطين : أولهما ان تحصل عليها اليوم بالذات ، وفي اوضـاع التسلح الحالية ، وليس بعد ثـلاث او اربـع سنوات ، حين تكون الموازين قد اختلفت ، والقيم قد انقلبت . فما هي قيمة سلاح الطيران الاردني مثلا المسلـح بطائـرات من طراز هوكر هنتر ، وستارفايتر (علـى الرغم من ان سرعتهـا هي ضعف سرعة الصوت ، الا ان تجهيزها وقدراتها تضعها في مرتبة ادنى من الطائرات الحديثة التي لها سرعة مماثلة) في مواجهة طائرات الفانتـوم الاسرائيلية ، وما هي اهمية الحصول على طائرات من طراز نورثروب ف — ٥ اي وسرعتها ١،٦ سرعة الصوت ، ان كانت اسرائيل ستحصل في الوقت نفسه على طائرات التفوق الجوي من طراز « توم كات » وسرعتها ٢،٣٥ ماك . اما الشرط الثاني فهو التأكد من قدرة هذه الاسلحة تقنيا على المشاركة في معركة العرب المصيرية ، ووجـود الارادة القتالية لدى الدولة العربية المعنية ، والا غدا شراء الاسلحة تبذيرا لا معنى له .

ومن المهـم جدا ان نشـير الى تردد المصادر الغربية في تسليح الدول العربية « الصديقـة » في المنطقة ، هذا التردد الذي تعبر عنه الشروط والتعقيدات والتحفظات المتعلقة بالبيع والتسليح والاستخدام . اما حين تقرر تسليحها فانها تماطل في التسليم ، مماطلة تصل الى ثلاث او اربـع سنوات احيانا — في حين يختلف الامر اختلافـا بينا عندما يتعلق الامر باسرائيل — وهكذا فـلا يكاد يتم تسليم الصفقة واستيعابها في القـوات المسلحة الا وتكون اسلحة اخرى احدث قد اخذت الصف الاول مكانها .

لقد فرض تطور الاسلحة المستمر في الـدول الصناعية الكبرى ، واعتماد دول المنطقة الالزامي على هذه المصادر في تسليحها ، على الـدول العربية الخضوع الى حد معين لقواعد سباق التسلح في المنطقة ، هذا مع الاخذ بعين الاعتبـار الابعاد غير الضرورية احيانا لهذا السبـاق ، مثل الانجراف في متاهات سباق التسلح ،كالركض وراء وسائل الحرب الالكترونية الشديدة التعقيد، وفي الوقت نفسه اهمال مصادر قوة رئيسيةاخرى. واذا كانت مصر وسوريا والعراق تتبع مراحـل هذا السباق بدقة ، فان من المناسب ان تتبـع باقي الدول العربية هذه القواعـد — لصالـح المعركة مع العدو الاسرائيلي — ، والا فانه لن يكون هناك قيمة تعطي نتائج ايجابية لبرامج تسلح هذه الدول ، حيث لن تكون هذه الاسلحة الا مجرد معدات جميلة وبراقة . وليست وسائل حقيقيـة اختيرت بعناية وذكاء للرد على وسائل العـدو ، خاصة وانه ليس هناك اسلحة تصلح لكل زمان وظرف .

لذا فمن المنطقي ان تسعى الكويت والسعودية للحصول على الاسلحة الملائمة للرد علىالتحديات الخارجية المحتملة ، خاصة وان الاسلحة ليست سوى وسائل عسكرية للرد على وسائل عسكرية معادية او ردعها . وبالتالي فان الحصول علـى الوسائل الفعالة والكفيلة لتحقيق هذا الهدف يجب ان تكون العامل الاول في تحريك سياسة التسلح في اي بلـد ، مع اعطاء ادنى اعتبـار ممكـن للاعتبارات السياسية المتعلقة بشراء الاسلحـة — باستثناء تلك التي تحدد الاستخدام ضد اسرائيل اذا كان هذا الاستثناء ممكنا — . خاصة وان مجال الاختيار واسع أمام الدولتين . وكما يتضح فان التطور المستمر للاسلحة يفرض ان لا يكون شراء الاسلحة حدثا فريدا يحدث مرة كل جيل ، فهذا يتعارض مع قوانين التطور، وحوار الارادات، فأسلحة تشترى بهذه الطريقة معرضة لان تصبح كلها بعد فترة معينة من اسلحة الصف الثاني ، او ان تصبح عديمة الفاعلية في مواجهة الاسلحة الاحدث . وتفرض كذلك وجود تناسق في انـواع وكميات الاسلحة التي يتم الحصول عليها . فمـا هي قيمة وجود قوة جوية متضخمة في الوقت الذي تنعدم فيه امكانية حراسة الشواطيء او الحدود

البرية . وتفترض ايضا امكانيـــة استيعاب هذه الاسلحة ووضعها في الخدمة الفعلية .

ان مواكبة التطور لا تعني بالضرورة الحصول على « اشهر » انواع الاسلحة ، بقدر ما تعنـــي الحصول على الاسلحـــة المناسبة . فاشتهـــار الفانتوم في المنطقة لا يعني أنها افضل الطائرات للمتطلبات العربية ، واشتهار الميراج على اثـــر حرب حزيران لا يعني بان الحصول عليها كفيـــل بحل كل المشاكل العسكريـــة المتعلقة بتحريـــر الاراضي المحتلة . فقد تناسب طائرة الفانتـــوم الطيران الاسرائيلي بسبب حمولتها الضخمة مـــن المواد الحربية ، وتركيز الاستراتيجية الاسرائيلية على الحملات النسفية وعمليات الردع مثـــلا ، وقد لا تناسب في الوقت ذاته القوات الجويـــة العربية ، ربما بسبب الكميات الهائلة من الذخيرة التي تصرفهـــا ، او بسبب عـــدم القدرة عـــلى استيعابها بسبب تعقيدها او بسبـــب تكاليـــف استخدامها وصيانتها . ولا تعني كذلك الحصول على اكثر المعدات الالكترونية تعقيدا . بقدر مـــا تعني الحصول على الوسائل التي تنسجم مـــع الخطط الراميـــة لتحقيق الاهـــداف العسكريـــة الاستراتيجية للدولة . فحصول اسرائيل مثلا على طائرات « توم كات » يلزم القوة العربية باستنباط الوسائل لمكافحتها ، وقد تكون هذه الوسائـــل الحصول على طائرة أخـــرى في مستوى هـــذه الطائرة ، او اسلحة لضربها ، او تدابير لاتقـــاء تصفها .

ان وضع دول العالم الثالث ، ودول منطقـــة الشرق الاوسط المتخلفة في مجال صناعة الاسلحة المتطورة ، يضعها دوما في مرتبة التبعية لتطـــور الاسلحة في الدول المتقدمة . وهذا ما يجعل مـــن المستحيل متابعة التطور دون وجود تعاون صادق بين الدول الصناعية المتطورة ودول المنطقـــة ، وفي حين كان التعاون بين دول الكتلة الشرقيـــة وبعض الدول العربية صادقا الى حد كبير ، وقد اهتز هذا التعاون في مصر بعد اخراج السوفييت منها ، وكذلك الحال بالنسبة للتعاون بين الولايات المتحدة واسرائيل ، فقد اتسمت سياسة الـــدول الغربية لتسليح الدول العربية الاخرى بالمراوغة، في محـــاولة للتوفيق بـــين مصالحها في المنطقـــة والتزاماتها بالمحافظة على الكيان الاسرائيلي . وقد تغاضت سياسة بعض الحكومات العـــربية عن وسائل التحايل الغربية ، واظهرت ضعفـــا كبيرا في استخدام المصالح الغربية في المنطقـــة كاداة للضغط على هذه الـــدول واجبارها عـــلى انتهاج سياسة تتمشى مع المصالح العربية العامة.

والتعاون بين الدول المتطورة والدول النامية ليس العامل الوحيد في القدرة على ملاحقة تطور الاسلحة ، فهناك امور اخرى مهمة مثل وضـــع البلد الاقتصادي وقدرته على دفع ثمن الكميـــات الضرورية من الاسلحة ، مع التأثير بأقل ما يمكن على خطط التنمية والتصنيع في البلد . والاستيعاب الجيد للاسلحة المتطورة للمحافظة على مستواها، حتى لا ينخفض هذا المستوى نتيجة سوءالاستخدام بسبب النقص في التدريب .

وقد تمكنت الـــدول الناميـــة ذات الانظمـــة السياسية القوية من مواكبة تطـــور الاسلحـــة باتباع وسائل بسيطة وفعالة ، في الدفاعوالهجوم والتعامل مع المعدات الحديثة . فكانت حـــرب الشعب التي تركز على مصادر القوة المتوفـــرة في الدولة وتستغلها افضل استغلال . وتجـــدر الاشارة الى ان حرب الشعب لا تهمل كلياالمعدات الحديثة المتطورة — ولا تجعلها همهـــا الاول في الوقت نفسه — فقد استخدمت فيتنام في حربها مع القوات الامريكية والحليفة الصواريخ المضـــادة للطائرات والدبابات واحيانا الطائرات ، بنسب تتكافأ مع قدراتها الاقتصادية والبشرية . هـــذا الاستخدام الذي انطبع بالفهم الكامل لحقيقـــة دور الاسلحة في الصراع .

ان سباق التسلح في الدول النامية امر تحكمه قوانين علمية معروفة تتعلق باقتصاد هذه الدول، وقدراتها العلمية والتقنية ، ومدى ارتباطاتهـــا السياسية مع الدول الصناعية ، والاستراتيجية التي تبناها الدول النامية في مواجهة عـــدوان الدول الامبريالية المتطـــورة صناعيا او الـــدول الدائرة في فلكها والمنفذة لسياساتها والمدعومة من قبلها بقوى عسكرية متقدمة . بالاضافة الى تعلقها بحقيقة القوى الموجودة في البلدان الناميةوامكانية استخدامها لقلب ميزان القوى العام في الصراع لصالحها ، وكل هذه امور لا بد لمخططي سياسات التسليح العربي من اخذها بعين الاعتبار والا كانت صفقات الاسلحة كلها قطرة ماء تغوص في صحراء رملية .

تقرير عن
الارهاب الصهيوني الامبريالي
ودور الشرطة والاعلام الفرنسيين فيه

زياد عبد الفتاح

في مقدمة مكثفة ومختصرة نستطيع ان نقول ان الارهاب هو قتال غير عادل يقوم به طرف ليس له قضية عادلة وعلى العكس من ذلك تماما بأن القتال العادل من اجل قضية عادلة ليس ارهابا وانما هو نضال عادل . ودائما وعلى مر العصور ارتبط الارهاب بهذه المعادلة . فالشعوب التي قاتلت عبر التاريخ من اجل حريتها والمقاتلون الذين خاضوا على امتداد الزمان والمكان قتالا ضاريا من اجل انتزاع الحرية لشعوبهم ليســوا ارهابيين لانهم يقاتلون من اجل قضية عادلة . اما الذين يقاتلون من أجل التحكم في مصائر الشعوب ومن أجــل احتلال الاراضي التي تقف عليها هذه الشعوب فهم لا شك ارهابيون . وسواء اتخذ القتال طابع العنف والتصفية أو لم يتخذ وسواء كان على شكل حرب شاملة او كان على شكل تصفيات فردية فانه يظل قتالا تحكمه المعادلة السابقة . فهو ان كان في سبيل قضية غير عادلة ارهاب وهو ان كان في سبيل قضية عادلة نضال .

وربما كان لا بد لي من هذه المقدمة المختصرة والمكثفة وانا بصدد الحديث عن الارهاب الصهيوني الذي بدأ ينثر نفسه عبر عواصم العالم مستهدفا المناضلين فلسطينيي الهوية وآخرهم كان المناضل الجزائري الفلسطيني الشهيد محمد بوديا الذي اغتالته المخابرات الصهيونية والامبريالية في باريس يوم ١٩٧٣/٦/٢٨ .

ولقد وقع في ذهني ان توضيح هذه القضية هو مهمة اساسية وملحة بعد أن بدا ان الكثير من الحديث من حول الارهاب يحاول جادة وبشراسة الاتجاه نحو الفلسطينيين عبر حملة عالمية تتزعمها الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية الامبريالية.

محمد بوديا الجزائري الفلسطينــي لم يكــن ارهابيا لا حيث كان في باريس يقاتل مــن اجل انتصار الشعب العربي الجزائري ولا حيث كان يناضل في صفوف الثورة الفلسطينية بعد ذلك . ومحمود الهمشري الفلسطيني أيضا لم يكن ارهابيا لا حيث كان في الارض المحتلة يقاتل من اجل انتصار ثورة الشعب العربي الفلسطيني ولا حيث كان في باريس يناضل من أجل انتصار قضية الثورة . ولا وائل زعيتر الذي اغتيل في روما كان ارهابيا . ولا محمد سامي ابو الخير الذي نسف بعبــوة صهيونية متفجرة في فندقه بقبرص كان ارهابيا . وكذلك الشهداء القادة الثلاثة ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ليسوا ارهابيين . فكل هؤلاء كانوا يقاتلون بالعنف الثوري من اجل قضية عادلة وهم اذن ليسوا ارهابيين . وعلى العكس من ذلك، دايان وبارليف وأهارون ياريف وكل قادة وزعماء العدو الصهيوني ارهابيون لانهم يقاتلون من اجل قضية غير عادلة ولانهم يحتلون ارض شعب وأرض أمة دونما حق أو عدل .

وكذلك فان نيكسون عندما شن غاراته على فيتنام وكمبوديا ولاوس كان ارهابيا ، ولانه يزود العدو الصهيوني بأدوات الدمار يقتل بهــا أبناء أمتنا وشعوبنا فهو ارهابي . ولا يمكن ان تكون الامبريالية الا ارهابية مجرمــة ذلك لانها تقــاتل بالعنف من اجل استثمار الشعوب واحتكارها ، ومن أجل اخضاعها لسيطرتها .

هذه نقاط أولية أوردتها حتى لا يقع في خاطر أحد ان الارهاب الذي تثيره الامبريالية من حول

الشعب الفلسطيني يمكـن ان يخلق الاحساس بالارهاب او عقدة الارهاب لدى الشعب الفلسطيني. هذا من الزاوية الاولى . أما من الزاوية الثانية فقد أردت أن أضع أمام القارىء نقطة ضوء تقوده ليتبين بوضوح لماذا ان الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي شاركا الصهيونية الاسرائيلية في جرائمها الارهابية ضد المناضلين الفلسطينيين فوق الارض الفرنسية فالامبريالية هي الامبريالية مهما تعددت مواقعها وأساليبها . والقضيـة في النتيجة هي قضية مبادىء يقوم عليها هذا النظام او ذاك وليست قضية تكتيكات معينة تتبعها هذه الدولة او تلك .

*

هل كانت الصدفة المحضة هي التي جمعت بين توجيه نبأي مصرع كل من الشهيد محمود الهمشري والشهيد محمـد بوديا ليسيرا في نفس القنـاة يؤديان ذات الغرض والهدف ؟؟

هذا تساؤل وضعناه في الواقع للمناقشة أكثر مما قصدنا به ان يكون استفسارا نطرحه على الحكومة الفرنسية وبالتحديد على قيادة البوليس الفرنسي ، او حتى على جهاز من اجهزة الاعلام الفرنسي .

قال اول نبـأ خرج من باريس عـن مصرع الشهيد محمود الهمشري صبيحة يوم الثامن مـن شهر ديسمبر عام ١٩٧٢ ان محمود الهمشري وهو أحد قادة منظمة فتح وممثلها في باريس قد أصيب اصابات بالغة في انفجار وقع في بيته . وأضافت وكالة الانباء الفرنسية التي أوردت النبأ الاول عن اصابة الشهيد الهمشري ان مصادر البوليس قد ذكرت أنه أصيب عندما كان يقوم بتركيب متفجرات في بيته فانفجرت به وادت الى اصابته بجـروح بالغة ...

ثم مضى ذلك اليوم كاملا وتلاه يومان آخران قبل أن تخرج عن مصادر البوليس الفرنسي بعض الرواية الحقيقية لاصابة الشهيد الهمشري وذلك بعد أن كشفت مصادر منظمة فتح ومصادر أصدقاء الشهيد وزوجته عن الطريقة التي أصيب بهـا الشهيد .

ولعلنا لسنا بحاجة الى اعادة سرد الرواية الكاملة تفصيلا ولكنه من المفيد كثيرا ان نذكر ان الشهيد الهمشري قد أصيب كما ثبت من التحقيقات على مختلف المستويات والمصادر نتيجـة انفجار عبوة ناسفة تم تركيبها اسفل الطاولة التي وضع عليها جهاز الهاتف وأوصلت بسماعة الهاتف حتى اذا ما انطلق رنينه ورفعت السماعة انفجرت العبوة الناسفة لتحدث أثرها المطلوب . وتبين بما لا يدع مجالا للشك ان ايدي المخابرات الصهيونية كانت وراء مصرع الشهيد الهمشري . كما تبين ان البوليس الفرنسي قد قصر في حماية الشهيد خاصة وان وكالات الانباء ومصادر البوليس الفرنسي قد ذكرت قبل ذلك بحوالي ست وثلاثين ساعة انه تم القبض على اثنين من الاسرائيليين بالقرب من بيت الشهيد الهمشري بعد أن هشما بسيارتهما احد رجال البوليس الفرنسي الذي اعترضهما حين أثارا شبهته وهما يحومان حول بيت الشهيد !!..

وعلى نفس الاسلوب وبنفس الطريقة ... قال أول نبأ خرج من باريس عـن مصرع الشهيـد الجزائري الفلسطيني محمد بوديا ان محمـد قد لقي مصرعه اثر انفجار متفجرات كان يحملهـا بسيارته ... واضافت وكالة الانباء الفرنسية التي نقلت النبأ عن مصادر الشرطة الفرنسية ان محمد بوديا لقـي حتفه عندما كـان يزمع الانطـلاق بسيارته التي كان يحمل بها المتفجرات وذكرت انه كان احد اعضاء جبهة التحرير الجزائرية كما أفادت بأن من المعتقد ان يكون محمد بوديا عضوا في منظمة أيلول الاسود !!

وفوق هذا ذهبت محطة اذاعة راندانتر الفرنسية الى أبعد مـن ذلك فذكرت عـن سابق اصرار وعمد وبعد نصف ساعة من الانفجار الذي ذهب ضحيته الشهيد محمد بوديا وبالتحديد في الساعة الحادية عشرة والنصف مـن ظهر يوم الحادث ٦/٢٨ ، ذكرت ان شخصا جزائريا يسمى محمد بوديا لقي حتفه في حادث انفجـار سيارة بالحي اللاتيني قبالة كلية العلوم وأضافت انه من المرجح ان يكون عضوا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومنظمة أيلول الاسود . غير ان نفس المحطـة عادت في الساعة الواحدة من ظهر نفس اليوم لتقول ان محمد بوديا كان احد قـادة الفدائيين الذين توجهوا الى (اسرائيل) عام ١٩٧٠ في مجموعة مشكلة منه ومن اثنين من الفتيات للقيام بالعديد من العمليات في تل ابيب وقالت انه فيما بعد اصبح عضوا في جماعة أيلول الاسود وانه كان على أهبة نقل بعض المتفجرات غير انهـا

انفجرت عندما هم بالانطلاق بسيارته .

وفي الحقيقة فان الامر لم ينته عند هذا الحد بمحطة **فرانس انيتر** الفرنسية فقد أضافت الى ذلك قولها ان محمد بوديا هو المسؤول عن المظاهرات المضادة والصدامات مع البوليس الفرنسي مساء يوم الخميس ١٩٧٣/٦/٢١ واتهمته بتسليم وثائق ومخططات الصدام الى عضو في المكتب السياسي للعصبة الشيوعية .

على أي حال لنقف طويلا قبل ان نستطرد مع سرد ما قيل بعد ذلك عن الشهيد محمد بوديا وذلك بعد ان وضعنا الصور متقابلة تتيح لنا الاجابة الموضوعية عن ذلك التساؤل الذي طرحناه في بداية هذا المقال هل هي الصدفة المحضة هي التي جمعت بين توجيه نبأي مصرع كل من الشهيد محمود الهمشري والشهيد محمد بوديا ليسيرا في نفس القناة يؤديان نفس الغرض والهدف ؟!؟

ثمة نقطة نود أن نثير من حولها الكثير من الضوء قبل ان نبدأ في التحليل واستخلاص النتائج مترتبة على المقدمات : نقطة تقع في صميم فن الاعلام او علم الاعلام الذي ازداد اعتماده في السنوات الاخيرة على الدراسات النفسية للرأي العام والذي وصل في بحثه عن أقصر الطرق للتأثير في هذا الرأي الى تكريس عشرات ومئات المعاهد لدراسته ضمن تقسيم هذا الرأي العام الى أوروبي وآسيوي وافريقي ... الخ .

ولقد ثبت بالتجربة ومن خلال الدراسات النفسية ان الرأي العام الاوروبي بشكل خاص يتأثر تأثرا واسعا بالخبر الاول فهو يرسخ في الذهن وتجري عليه ومن حوله التحليلات والتعليقات ويأخذ مداه واسعا بين أوساط الرأي العام بحيث ان اية اخبار تأتي بعده مصححة له تحتاج الى فترة زمنية كبيرة نسبيا لتمحو آثاره. **فيفقد بذلك الحادث الذي شوهه الخبر الكثير من سخونته وتتبدد معظم شحنات صداه ويضيع في زحمة الاحداث التالية له وهي كثيرة كثيرة في عالم اليوم الذي اختصره التطور الذي طرأ على وسائل الاتصال ليستحيل الى قرية صغيرة يطير النبأ الى كل فرد فيها بسرعة البرق كما يقولون .**

هذه النقطة الهامة أردنا ان تكون نقطة توضيح ضرورية قبل ان نبدأ التحليل اذ أنه على أساسها بنت أجهزة المخابرات الصهيونية وبعض الدوائر الضالعة مع هذه الاجهزة في الشرطة الفرنسية وبعض اجهزة الاعلام الفرنسي فلسفتها العملية في تضليل الرأي العام الاوروبي والعالمي .

هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى فاننا سوف نحتاج هذه النقطة بالتحديد أثناء الاسطر المتأخرة في هذا المقال لنوضح لماذا تراجعت اوساط الشرطة الفرنسية الضالعة مع المخابرات الصهيونية وكذلك أجهزة الاعلام الضالع منها مع نفس المخابرات عن الرواية الاولى لمصرع الشهيدين محمود الهمشري ومحمد بوديا وأيضا كيف تراجعت هذه الاوساط والاجهزة الضالعة !!

بعد هذه المقدمات جميعها ، وهي مقدمات ضرورية ، نقول : هل ان الشرطة الفرنسية وهي أول من تمكن من دخول منزل الشهيد الهمشري بعد دقائق من وقوع الانفجار فيه وهي ايضا ضربت ستارا من حوله ولم تسمح لاحد على الاطلاق باستثناء المحققين الشرطيين ، هل كانت عاجزة عن اكتشاف الحقيقة ... حتى يخرج النبأ من مصادرها كاذبا مضللا ومغالطا ؟!

نبادر الى الاجابة في زاويتين فنقول :

انه من وجهة النظر الاولى فان وسائل الكشف والتحقيق العلمية اصبحت تتيح للمحققين حتى في البلدان المتخلفة امكانية بناء نظرياتهم على أسس علمية تتفادى بنسبة ساحقة الخطأ حتى في أعقد الجرائم ارهابية كانت أو غير ارهابية **فكيف في بلد متقدم كفرنسا وكيف في جريمة يفترض ان ضحيتها واحد من المناضلين البارزين الذين تتصيدهم المخابرات الصهيونية اناء الليل واطراف النهار ؟!**

ثم الم تعترف الشرطة الفرنسية ذاتها بأنها قبضت على اثنين من الاسرائيليين كانا يحومان حول بيت الهمشري قبل الحادث الارهابي بأقل من ست وثلاثين ساعة ؟

اذن لماذا لم تفترض الشرطة الفرنسية اغتيال محمود الهمشري قبل ان تفترض انه كان يصنع المتفجرات ؟!

سؤال قد لا يحتاج الى اجابة .

ثم ، ومن وجهة النظر الثانية ، فان ما أصيب من الشهيد محمود الهمشري كان رجلاه وأجزاء من بطنه واسفل ظهره . اما صدره ووجهه فكانت الاصابات فيهما خدوشا . وأمام هذا كيف يمكن

تفسير هذا الامر لدى حتى ابسط انسان !.. هل كان يقتنع اي واحد مهما بلغت سذاجته ان انسانا ينكب على تركيب متفجرات يستعمل فيهـا يديه ويدقق فيها بعينيه . ألا تتأثر يداه ويتشوه وجهه وعيناه تشويها ما بعده تشويه؟ **ان وضع المتفجرات تحت منضدة الهاتف في بيت الشهيد محمود الهمشري هو الذي حمى وجه محمود وحمى يديه وأعلى الصدر والظهر وأحدث الاصابات البالغة برجليه.**

فهل غاب ذلك حقا عـن المحققين الفرنسيين المشهورين بالفطنة والذكاء ... حتى يصدر النبأ الاول عن الشرطة الفرنسية ومن أتيح لهم من رجال الاعلام الفرنسي (عن قصد) نقل النبا ان يوجهوا النبأ بأن محمود الهمشري اصيب نتيجة انفجار متفجرات كان يقوم بتركيبها في بيته ؟!!

ثم ان نفس الامر مع الشرطة الفرنسية يتكرر ، وبعد شهور فقط من الحادث الارهابي الذي تعرض له محمود الهمشري ...

هل كانت بعض أوساط الشرطة الفرنسية لا تعلم ان الشهيد محمد بوديا قد لقي مصرعه نتيجة حادث ارهابي مدبر حتى صدرت الخبر بمشاركة بعض العاملين في اجهزة الاعلام الفرنسي على ان بوديا لقـي هذا المصرع نتيجة انفجـار متفجرات كان يحملها بسيارته ويزمع ان ينفذ بها أمرا ما !!!

لنناقش هذه المسألة كذلك : من وجهة نظر أولى نقول ان اي انسان يحمل متفجرات فـي سيارته او حتى في حقيبته يفترض ان يكون عالما بكيفية استعمال هذه المتفجرات وخاصة في حالة الشهيد بوديا الذي كان مناضلا بارزا في حركة التحرير الوطني الجزائري ثم تجاوز نضاله الوطني الى نضال قومي بل الى نضال عالمي في مواجهة العنصرية الصهيونية والامبريالية .

فهل يمكن ان يكون استنتاجا يمكن احترامه في اوساط الشرطة الفرنسية ان تنفجر المتفجرات من تلقاء نفسها ؟ ألا ينبغي ان تفترض الشرطة على الاقل ان الشهيد كان قد نزع صاعق المتفجرات حتى يصل الى هدفه لو صح انه يحمل المتفجرات ؟

ثم ومن وجهة النظر الثانية فان الانفجار وقع في مقدمة السيارة وبالتحديد تحت المقعد الذي يجلس عليه الشهيد خلف عجلة القيادة فهل وضعه هو تحت مقعده جاهزا للانفجار ؟! أم وضعه بجانبه على مرأى من الفضوليين وغير الفضوليين ؟!

لا نعتقد ان الذين صدروا النبأ مـن اوساط البوليس الفرنسي كانوا على هذا الوجه مـن الغباء .

واذن فان تصدير النبأ على هذا النحو مقصود. واذن ليس مصادفة على الاطلاق ولا يمكن ان يكون مصادفة تصدير النبأين في تضيتي محمود الهمشري ومحمد بوديا على نفس النحو وفي ذات القنـاة لا سيما اذا اخذنا بالاعتبار نقطة التوضيح التي أوردناها في سطور المقال السابقة وأكدنا مـن خلالها ان النبأ الاول هو الذي يحكم التصورات وردود الافعال .

ولكن ، لماذا لجأت مصادر الشرطة الفرنسية وبعض اجهزة الاعلام الفرنسي الى هذا الامر ولماذا صدرت المسألة على هذا النحو ؟ الاجابة عن هذا السؤال فيما نعتقد وهي قد باتت واضحة بعد كل ما أوردناه من ايضاحات وتساؤلات هي ان هناك في أوساط الشرطة الفرنسية من شاركوا المخابرات الصهيونية في جريمتها الارهابية كما ان هناك في اجهزة الاعلام من هم أكثر تواطؤا ومشاركة .

ويقينا فان المشاركة تبدو واضحة بكثير من الحدة اذا اجرينا قراءة سريعة للدور الذي قامت بـه الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي عقب الحادث الارهابي المجرم الذي تعرض له المناضل محمـد بوديا والذي كان بتدبير المخابرات الصهيونية ــ كما سنثبت بعد قليل ــ وأودى بحياته .

١ ــ بعد ان اعلنت اوساط الشرطة الفرنسية نبأها الاول زاعمة فيه ان بوديـا لقي مصرعـه بفعل انفجار متفجرات كان يحملها في سيارتـه وكان يزمع اخفاءها .

وبعد ان حملت وكالة الانباء الفرنسية هـذا النبأ وحملته معها محطة اذاعة فرانس موزعة اياه على اوسع نطاق ، بدأت حملة اعلامية مكثفـة وسريعة لتغطية من هـو محمد بوديا ضمن مـا تريده الصهيونية العنصرية . فقد قالت محطـة الاذاعة الفرنسية فرانس انتير من ضمن ما قالته ما يلي : ان محمد بوديا الجزائري الجنسية كان عضوا في جماعة ايلول الاسود وان له نشاطـا واسعا في جميع اوروبا حيث كان ينقل المتفجرات ويخطط لاعمال العنف .

هل كانت الاذاعة الفرنسية في هذا تريـد ان تثبت في ذهن الرأي العام الفرنسي والعالمي أن

بوديا كان ارهابيا وانه يستحق المصير الـــذي لقيه ؟!.

يبدو انه لا يمكن لاثنين الاختلاف على ذلـك خاصة وان المعلومات التي اوردتهـا الاذاعـة الفرنسية هي معلومات مخابرات وليست معلومات اجهزة اعلام . بل انها معلومات مخابرات معادية هي المخابرات الصهيونية على وجه التحديد والا فكيف يكون بوديا كل هذا والاذاعـة الفرنسيـة وابسط الصحف تعلم بمن يكون ويبقى حرا طليقا يتجول في فرنسا كيف شاء ؟.

٢ ــ كان مانشيت صحيفة لورور الفرنسية فيأول عدد يصدر لها بعد استشهاد المناضل بوديا وهو عدد التاسع والعشرين من حزيران كما يلي :ــ « احد قادة ايلول الاسود يقتل باحدى قنابلـه » وليس هذا فحسب بل ان الصحيفة ابرزت صورة كبيرة للشهيد كانت قد وزعت من قبل البوليـس الفرنسي اثناء حرب التحرير الجزائرية للبحـث عنه . فهل كانت صحيفة لورور التـي خلصت في المقال الذي كرسته للتحدث عــن محمد بوديـا كارهـابي الى المطالبـة بطـرد العرب عامة والفلسطينيين خاصة من فرنسا لكي تظل فرنسـا أرضا محايدة ــ على حد تعبير الصحيفة ــ .. هل كانت هذه الصحيفة بعيدة عن التواطؤ ؟ والا فكيف يمكن تفسير ان تطالب الصحيفة بطردالعرب والفلسطينيين حتى تكـون ارض فرنسا ارضـا محايدة ؟. هل اصبح الوضع مقلوبا الى الحـد الذي يطالب معه بطرد الذين يتعرضون لجرائـم الارهاب في الوقت الذي ينبغي فيه المطالبة بطرد رواد واساتذة الارهاب الصهاينة العنصريين ؟!!

٣ ــ كرس كل من الصحفيين الايطاليين فيليب بارتوريه وكلود جونيك من ايطاليا مقالا فريـدا للحديث المغالط عن الجريمة الارهابية التي تعرض لها الشهيد محمد بوديا . فقد جاء في المقال ما يلي : « منذ ثمانية اشهر والاحداث الغريبـة تتدافع وتتلاصق في فرنسا ولم تضع الحربالسرية اوزارها بين (المخربين) الفلسطينيين والمخابرات الاسرائيلية فبعد مقتل محمود الهمشري وبـاسل القبيسي جاء دور محمد بوديا احد قادة منظمة ايلول الاسود لينقل بعض المتفجرات التي انفجرت عندما كان يفكر في اخفائها » !!

ويضيف المقال : « لقد قيل ان محمد بوديا لا يوجد له اثر على الاطلاق في فرنسا الى ان جـاء يوم ٢٨ حزيران ليزيد اللغز تعقيدا ، لقد لاحظت السلطات السويسرية وجوده في جنيف منذ اشهر وقد قدم خصيصا لتسليم بعض المعدات لمجموعات من المخربـين ازمعـت القيام ببعض العمليـات التخريبية وخاصة في النمسا حيث كان من المقرر تفجير المكان الذي ينزل فيه اليهود السوفيـات المهاجـرون الى اسرائيـل . انه من الغريـب واللامعقول ان يتمكن ارهابي عالمي من هذا النوع ان يتحرك داخل العاصمة الفرنسية بكل حريـة الى ان لقي حتفه يوم الخميس » !!

يبدو بالفعل اننا أمام جهاز مخابرات متكامـل يتحرك على نحو ما ويخطط لتغطية هذه القضيـة بما ينسجم وما تريده الصهيونية .

ان الصحفيين الايطاليين اللذين كتبا للصحـف الفرنسيـة هـذا المقـال ما كـان يمكـن ان يكونـا من البـراءة بحيث يمكـن حمل كلامهما علـى محمل حسن النيـة .. فالمعلومـات التي اورداها حول بوديا لو صحت فهي معلومات مخابرات ، لقد علمنا عن عملية في النمسا ضد اليهود السوفييت المهاجرين الى اسرائيل تتبعنـا ذلك على وكالات الانباء والصحف والاذاعات قبل شهور ولكن احدا لم يقحم اسم بوديا في هـذه العملية بل ان اسم بوديا لم يرد في اية عمليـة اخرى ولم تتسلط عليه الاضواء الكثيفة او حتى الباهتة فكيف حصل الصحفيان الايطاليان على كل هذه المعلومات وفي اقل من اربع وعشرين ساعة بعد مصرع الشهيد بوديا ؟

٤ ــ كتبت صحيفة لورور الفرنسية مقالا من تل ابيب في عددها الصادر في الثلاثين من الشهر الماضي اي بعد مصرع الشهيـد محمـد بوديـا بيومين قالت فيه ما يلي : « ان بوديا لقي مصرعه عندما كان ينقل بعض المتفجرات داخل سيارتـه وان مثل هذه الحوادث كثيرا ما تقع ولا يسلم منها حتى كبار الاخصائيين والمحترفين في المتفجـرات، وقد ... تأكد لنا ان بوديا كان من اكبر اخصائيي المتفجرات في منظمة ايلول الاسود !! »

ماذا ارادت صحيفة لورور ان تقول وان تثبت؟ هل كانت تريد ان تقول غــير ان الشهيد محمد بوديا كان من اكبر الارهابيين العالميين ؟

نعتقد اننا من خلال هذه القراءة استطعنا ان نخلص الى ما نريد وهو تأكيد التواطؤ بين اوساط

في البوليس الفرنسي والاعلام الفرنسي وبـين المخابرات الاسرائيلية في كل من قضيتـي الشهيد محمود الهمشري والشهيد محمد بوديا .

لكن هل كان دور الاعلام والشرطة واحدا ، أم كان لكل دوره ؟ في الحقيقة فان هذه النقطة بالغة الاهمية لانها تتيح كثيرا من الحديث عن الهـدف الذي تحقق او الذي اريد تحقيقه عبر قضيتـي الشهيد الهمشري والشهيد بوديا . ونستطيع ان نقرر من خلال التحليل ان دور الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي لم يكن دورا واحدا وانما كان لكل دور . غير ان ذلك لا يمنع من تكامل الادوار بل ان هذا التكامل اكيد بالتحليل كذلك .

فماذا كان دور الشرطة الفرنسية ؟ ثم مـاذا كان دور الاعلام الفرنسي ؟

لنأخذ قضية الشهيد بوديا لانها اقرب من حيث الزمان اولا ولان ما يترتب عليها ثانيا ينسحب على قضية الشهيد الهمشري .

ولقد كان دور الشرطـة الفرنسية ان تقـرر مصادرها ان عمليـة الاغتيال الذي تعرض لهـا الشهيد بوديا قد حدث بسبب متفجرات كان يحملها في سيارته لتنفيذ امر ما — والمقصود طبعا القيام بعمل ارهابي — ثم تترك بعد ذلك للاعلام المعني ان يسترسل في التحليل والتضليل بناء على مـا اذاعته مصادر الشرطة .

والشرطة الفرنسية لا تستطيع ان تستمر في روايتها المغالطة طويلا والا تعرضت لازمة قـد تودي بالعديد من كبار ضباط الشرطة لا سيمـا واننا لا نستطيع ان نقرر في اي الاحوال ان قيادة الشرطة الفرنسية كلها ضالعة في تشويه هـذه القضية كما اننا لا نستطيع ان نفترض ولو للحظة ان الداخليـة الفرنسيـة عميلـة للمخابـرات الصهيونية . واذن فانه كان لا بد للشرطة الفرنسية ان تعود عن روايتها وفي وقت مبكر قبل ان يفتضح امر المتواطئين فيها وقد حدث ذلك بالفعل يـوم الثالث من هذا الشهر اي بعد ثلاثة ايام فقـد ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » كما ذكرت وكالة رويتر من باريس يوم الاول من شهر تمـوز الحالي « ان الشرطة الفرنسية قد تراجعت عن قولها السابق بأن محمد بوديا قتل بانفجار قنبلة كان ينقلها بسيارته وعادت مصادر الشرطـة الى القول بأن محمد بوديا تعرض لعملية اغتيال » .

لماذا فعلت الشرطة الفرنسية ذلك . نفهـم التواطؤ في ذلك ويقودنا اليه التحليل ولكن مـا هو الهدف ؟

الهدف كما تشير اليه كل الدلائل والمقدمـات هو تجنب الانعكاسات الحادة التي يثيرها عـادة مثل هذا الحادث في اوساط الرأي العام الفرنسي وهو مطلب قـد يبدو فرنسيا يخـدم الشرطـة الفرنسية غير انه في الحقيقة مطلب صهيوني يبتعد بالصهيونية عن السخط الفرنسي ثم العالمي عليها لارتكابها جريمة ارهابية يرفضها الرأي العـام .

والهدف كذلك اتاحة فرصة من الوقت تنشـط فيها الدوائر الاعلامية المعنية والمجندة لتقوم بالمهمة او الدور الذي كرست له .

وفي الحقيقة فان دور الشرطة ينتهي عند هـذا الحد في هذه المرحلة اذ لا تملك الشرطة ان تستمر طويلا في اخفاء الحقائق . غير ان للشرطة دورا اخر هو دور اسدال الستار على الجريمة الارهابية وقيدها ضد مجهول . وان من يستعرض تاريـخ الشرطة الفرنسية في هذا المجال سوف يكتشف انه امام الكثير من حوادث القيد ضد مجهول خـاصة في جرائم الارهاب التي يتعرض لها الفلسطينيون والعرب . فاغتيال المهدي بن بركة المناضل المغربي العربي العالمي الفذ واغتيال المناضل البطـل محمود الهمشري واغتيال المناضل البطل باسل الكبيسي كل هذه الاغتيالات التي تمت فوق الارض الفرنسية قيدت ضد مجهول وجميعنا يذكـر ان قضية المهدي بن بركة رغم تدخل اعلى السلطات الفرنسية في محاولة منها للوصول الى الحقيقـة ورغم ان كثيرا من خيوط الجريمة طرحت نفسها امام المحققين الفرنسيين الا انها قيدت في النتيجة ضد مجهول وانتصر في فرنسا تيار رجال الشرطة المجندين لصالح الامبريالية الامريكية والصهيونيـة والرجعية العربية .

واذن فاننا نستطيع ان نستبق كل الزمن في قضية اغتيال المناضل محمد بوديا ونؤكد بكـل يقين بأن قضيته سوف تقيد ضد مجهول ثم سوف يسدل عليها نفس الستار الذي اسدل على قضية الشهيـد محمود الهمشري والشهيد باسل الكبيسي .

هذا عن دور الشرطة الفرنسية . اما عن دور الاعلام الفرنسي ، وهو قد مهدت له الشرطـة

الفرنسية اوسع تمهيد ، فهو يتمثل في التركيز على ان الشهيد محمد بوديا هو ارهابي عتيد وانه كان يحاول الانطلاق بسيارته حاملا المتفجرات لتنفيذ عملية ارهابية فوق الارض الفرنسية .

وفي الحقيقة فقد قام الاعلام المجند بهذه المهمة خير قيام . فمن مقالات كرست كلها للحديث عن بوديا زجل ايلول الاسود القائد والذي يحمل فوق كتفيه وفي طيات ملابسه شحنات المتفجرات ، الى مقالات تحدثت عن عمليات تريستا وعملية محاولة نسف اليهود السوفييت المهاجرين الى اسرائيل في النمسا الى عمليات دخول الارض المحتلة للضرب في كل مكان من هذه الارض !!

لقد صورت الصحافة الفرنسية الرجل على انه اسطوري وساهمت اسرائيل في هذا التصوير عبر المقالات الفرنسية التي اكسبت محمد بوديا ثوبا خرافيا وهميا هو اقرب الى الجيمس بوندية منه الى دور المناضل الفذ .

اننا ندرك اهمية الرجل . نفهم انه المناضل الذي تجاوز حدود الوطن الجزائر ليصبح مناضلا قوميا وعالميا فذا . غير ان تصويره على هذا النحو الذي صور به تصويرا مفرغا من المحتوى النضالي الشامخ الذي كان يشحن ذاته الفذه فيه محاولة خبيثة للاساءة الى الرجل المناضل ووصفه بالارهابي العالمي بدل المناضل العالمي الفذ ...

لقد ارادت اوساط اجهزة الاعلام الفرنسي الضالعة في التآمر في قضية اغتيال المناضل بوديا ان تمتص النقمة الفرنسية والعالمية على اغتياله بيد اساتذة الارهاب ورواده من الصهاينة فأمعنت فيه تشويها وتضليلا حتى يقول المواطن الفرنسي ان محمد بوديا نال ما يستحقه .

ونعتقد اننا قد اوردنا من الامثلة ما يكفي لتوضيح مهمة الاعلام الفرنسي ولكننا لم نورد بعد امثلة عن الصفات الاسطورية التي اسبغت على الشهيد محمود بوديا بواسطة الاعلام الفرنسي .

تقول صحيفة لورور الفرنسية في عددها الصادر يوم الاول من شهر تموز (يوليو) ١٩٧٣ وفي مقال لها من تل ابيب ما يلي : « لم تخف الاوساط الاسرائيلية ان بوديا لقي مصرعه على يد محترفين من اليهود الذين وضعوا تحت كرسي سيارته قنبلة فريدة من نوعها ومتطورة وذات خصائص عدة لعل اقلها ان القنبلة تنفجر قبل ان يهم السائق بدفع المحرك يضاف الى هذا انها تنفجر بواسطة الضغط وبدون حاجة الى تركيب اسلاك او ساعة توقيت » .

وتقول صحيفة لورور في مقال لمراسلها من تل ابيب ان جولدا مئير كانت تصف الرجل بانه « ذو المائة وجه » ... وتضيف بان اهارون ياريف (الارهابي الاول في الكيان الصهيوني) وصف محمد بوديا بانه الرجل « ذو اللحية الزرقاء » .

ويقول الصحفيان الايطاليان اللذان اتينا على ذكرهما في السطور الماضية « لقد لاحظت السلطات السويسرية وجود بوديا في جنيف منذ اشهر وقد قدم خصيصا لتسليم بعض المعدات والمتفجرات لمجموعات من المخربين ازمعت القيام ببعض العمليات التخريبية . وخاصة في النمسا !! » . ويضيف الصحفيان : « انه من الغريب واللامعقول ان يتمكن ارهابي عالمي من هذا النوع ان يتحرك داخل العاصمة الفرنسية بكل حرية الى ان لقي حتفه يوم الخميس » .

هل كان هناك من هدف لكل هذه الاقوال التي انفجرت في الايام الثلاثة التالية لمصرع الشهيد محمد بوديا غير تكريس بوديا على انه ارهابي عالمي ومخرب دولي يستحق ما لقيه تماما ؟!. ان من يتمعن التوازي في ابراز ذات المعنى وذات الصفات على محمد بوديا سوف يخرج بالتأكيد بهذه النتيجة .

لقد صور الاعلام الفرنسي والصهيوني بوديا على انه أسطورة . (جولدا مئير قالت عنه الرجل ذو المائة وجه وأهارون ياريف قال عنه الرجل ذو اللحية الزرقاء) ... ماذا يعني هذا غير محاولة وصف الرجل بالاسطورة ، بالجيمس بوند او بغير ذلك وبالتأكيد ؟.

ان الذي يتنقل عبر عواصم اوروبا يظهر فجاة في مكان ليظهر فجاة ايضا في مكان اخر وعاصمة اخرى هو بالتأكيد اسطورة . ولكن ماذا بعد ذلك مما قالوه عن بوديا . قالوا بوديا الارهابي العالمي الذي كان يحمل المتفجرات الى المخربين لنسف اليهود المهاجرين السوفييت في جنيف . وقالوا عنه الرجل الذي قتل باروخ كوهين رجل المخابرات الصهيونية في مدريد . وقالوا عنه الذي

كان يريد ان ينفذ العمليات الارهابية في باريس على الارض الفرنسية وفي جنيف على الارض السويسرية وفي تريستا على الارض الايطالية ، وفي غيرها من الاماكن . واذن فالرجل جيمس بوند في اساليبه ولكنه مجرم في ممارساته . هكذا اراد الاعلام الفرنسي او بالتحديد اوساطه الضالعة مع الصهيونية والامبريالية ان تصور الشهيد .

الهدف دفع الرأي العام الفرنسي والاوروبي والعالمي للحقد عليه ، وتشويه صورته ثم تصديق حكم الموت فيه . والابتعاد بالارهاب الصهيوني عن شبهة الارهاب ، بل التصفيق لهذا الارهاب الصهيوني الذي صفى ارهابيا عالميا .

هذا كان دور اوساط الاعلام الفرنسي المتواطئة مع الارهابية الصهيونية . وهو دور خطير وقذر استطاع فعلا ان ينجح في امتصاص اصداء الجريمة الارهابية ليحولها الى عملية مكافحة للارهاب الذي نادى بمكافحته الرئيس الامريكي نيكسون في العام الماضي ليعزز للمخابرات المركزية المبرر الذي يمكنها من المشاركة في الارهاب .

ولكن بعيدا عن هذا كله ، ماذا كان بوديا ؟. اين كان يقف ؟ ومن هو الرجل في سجل التاريخ المعاصر للامة العربية ؟

بوديا كان الانسان الفنان والمناضل . ولم يكن على الاطلاق كما وصفته المخابرات الصهيونية والمركزية يتخفى وراء المسرح لينفذ مهماته النضالية . كان يعيش حياته النضالية بعمق وشموخ النضال في ذاته متجاوزا بذلك نضاله الوطني في الجزائر نحو آفاق الثورة القومية والعالمية .

مناضل دفع الى النضال بكل ما يملك وكرس له حياته المتعددة الفذة . وحتى عندما غادر بوديا الجزائر متوجها الى باريس بعد انتصار الثورة الجزائرية وبعد ان عمل في الجزائر مديرا للمسرح الوطني فيها فانه لم يكف عن النضال في الوقت الذي لم يكف فيه عن تكريس جزء من حياته للمسرح . فالفن كان الوجه الثاني للحياة الشامخة التي عاشها بوديا اعطاه ما اعطى للنضال على التوازي وبنفس القدر . كان الانسان المناضل بشموخ مثلما كان الانسان الفنان بعظمة وبعمق .

ولعل ما ذكرته عن الشهيد محمد بوديا مديرة مسرح باريس الغربي بعد مصرعه بساعات يعبر تعبيرا حقيقيا عن بوديا الانسان المناضل والفنان اين كان يقف من هذا الانسان وذاك .

قالت مديرة مسرح باريس العربي بعد يومين من استشهاد بوديا لصحيفة الفرنسوار ما يلي : « ان نشاطات بوديا ومواقفه السياسية لم تكن تخفى على اي كان فالكل يعرف انه كان من كبار رجال حركة التحرير الوطني الجزائرية في فرنسا اثناء حرب التحرير الجزائرية . وكان لا يخفي عداءه للامبريالية مهما كان مصدرها ولذلك فان تأييده ووقوفه الى جانب المقاومة الفلسطينية ونضاله من خلالها لا يمكن نكرانه ، غير ان الرأي القائل بأن بوديا كان ارهابيا لا يخضع لاي منطق. ان مقتل بوديا خسارة جسيمة للمسرح ثم انه خسارة جسيمة ايضا للنضال لا تقل خسارة عن خسارة المهدي بن بركة ... »

*

بعد الحديث عن وقائع الارهاب الصهيوني الامبريالي الاخيرة بشكل مفصل في قضيتين بارزتين اخترنا لهما الارض الفرنسية كمقال اوردنا من خلاله مشاركة اوساط البوليس الفرنسي والاعلام الفرنسي سواء في التمهيد لهذا الارهاب والمساعدة على تنفيذه او في التغطية له من ضمن حملة التشويه التي عملت على تصوير الارهاب على انه عمل مشروع ، نرى انه لا بد من ترتيب النتائج النظرية التالية كما ثبتت من خلال المقدمات التي طرحنا .

١ — لا يمكن في الواقع الفصل كثيرا بين هذا النظام الامبريالي او ذاك رغم ما قد يبدو من فوارق بين الانظمة الامبريالية .

صحيح ان السنوات الاخيرة قد اظهرت تحسنا في الموقف الفرنسي عموما تجاه القضايا العربية الا ان هذا التحسن يظل يسحب نفسه على صعيد المناورة اكثر منه على صعيد المبادىء الثابتة . فالامبريالية ايا كان شكلها وموطنها تقف في ذات الموقع من قضايا الشعوب العادلة بحكم مصالحها الاحتكارية وبحكم ارتباطاتها المصلحية مع الامبريالية العالمية . ومن هنا فان تحرك الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي في كل قضايا الارهاب التي تعرض لها المناضلون في الثورة الفلسطينية فوق الارض الفرنسية منسجم بأمانة مع الدور الذي كرسته له الدوائر والمؤسسات الامبريالية . على انه

يجب ان نوضح ان هناك فرقا بين الاعلام الفرنسي الرسمي او المرتبط بالدوائر والمؤسسات الامبريالية الاخرى وبين الاعلام الذي يصدر عن الاحزاب والقوى التقدمية الفرنسية والذي ساهم، منسجما ايضا مع نفسه ومن مواقعه التقدمية ، في شجب الارهاب الصهيوني الامبريالي وفضحه .

٢ — ان الاعلام والدعاية الامبريالية اكدت في قضية بوديا وقضية الهمشري وغيرها من القضايا الارهابية الاخرى انها مع الصهيونية دون تردد وذلك من واقع كون الصهيونية جزءا من الامبريالية وان المصالح الامبريالية والمصالح الصهيونية مرتبطة ارتباطا عضويا يحتم وقوف كل منهما في ذات الخندق الاعلامي والسياسي والاقتصادي والعسكري . وان العالم مقسوم الى جبهتين على وجه التحديد جبهة الشعوب والجبهة المعادية للشعوب وفي كل بلد من العالم تنطبق هذه القسمة .

وعلى صعيد الجبهة المعادية للشعوب تقوم الدوائر الامبريالية بتعزيز جبهتها وبتخويف البرجوازية من الثورة مكرسة في ذلك كل جهدها لتشويه حقيقة الثورات وتصويرها على انها حركات ارهابية .

وهذا يفسر بالضبط لماذا تشيع الدوائر الامبريالية حملة عالمية على الارهاب الموهوم والمزعوم والذي تركز مؤخرا على الثورةالفلسطينية وذلك كي تمارس ضمن اوسع قناعة للبرجوازية الاوروبية ارهابا على المناضلين والثوار يتمثل بالتصفية الجسدية لهؤلاء .

اما على صعيد جبهة الشعوب فان القوى التقدمية والوطنية في العالم تبذل نضالات يومية متلاصقة من اجل تعزيز مواقعها ومن اجل هدم المزاعم والمساعي الامبريالية ولقطع دابر الارهاب الصهيوني الامبريالي الذي يتستر في ممارسته للارهاب تحت ستار الحملة العالمية التي تثيرها الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدةالامريكية لمكافحة الارهاب الموهوم والمزعوم .

٣ — ان القتال من اجل قضية عادلة والنضال من اجل حق الشعوب في تقرير مصيرها هو قتال ونضال عادل وشريف وان اطلاق الارهاب عليه ليس سوى بدعة امبريالية لتفادي حقيقة الارهاب الذي تمارسه ولكي توقع في الاذهان بأن ارهابها ليس سوى مكافحة للارهاب .

وليست دعوة نيكسون التي اطلقها في العام الماضي لمكافحة ما اسماه بالارهاب العالمي الا خطوة على طريق تبرير الارهاب الذي تصدره الامبريالية الامريكية والصهيونية للشعوب المناضلة وللمناضلين في سبيل الحرية في العالم .

٤ — ان الفلسطينيين ليسوا ارهابيين على الاطلاق ايا كان مسرح نضالهم السياسي والعسكري بل انه لا يمكن على الاطلاق اعتبارهم كذلك لانهم يقاتلون من اجل قضية هي من اكثر القضايا المعاصرة عدالة ...

ان الظلم الفادح والارهاب الشرس الذيتعرض له الشعب الفلسطيني والذي تمثل باقتلاع معظم هذا الشعب من ارضه واحتلالها واستيطانها يجعل للفلسطينيين الحق في ان يخوضوا اوسع اشكال النضال عنفا وصولا الى حقوقهم الطبيعية في الحياة والتحرير والحرية .

واخيرا ، فان قضيتي محمد بوديا ومحمود الهمشري الارهابيتين اللتين كانت الاراضي الفرنسية مسرحهما سوف تظلان شاهد الاثبات القوي الذي يثبت تآمر الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي على المناضلين الفلسطينيينوعلى النضال الفلسطيني . وسوف تظلان شاهد اثبات كذلك على ان الامبريالية هي الامبريالية اينما وجدت وحيثما تكون ارضها ...

مراجعات

سميح القاسم ، مراثي سميح القاسم ،
(دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٣)

في « الموت الكبير » رسم سميح القاسم دائرة تحركه الشعري . فلقد استطاع ان يجمع تجربته الشعرية كلها . وان يعيد صياغتها في توقيعات غنائية ، يقصد رسم الحلم الفلسطيني من خلال التركيز على مفاصل المعاناة الشعبية ، عبر استعارات واسعة من الغناء الشعبي وعبر الاحاطة بالموضوعات الكبرى ، الموت ، الحزن ، النضال .. غير ان دائرة القاسم الشعرية بقيت ضمن الاطارات التي رسمها الشعر القادم من الارض المحتلة . فالتجربة الشعرية هي عبارة عن تلخيص مكثف لعلاقة الشاعر بشعبه عبر التركيز على العلاقة بالارض بوصفها الرحم والنعش في آن معا . تجربة القاسم الشعرية فعل ايمان بالجماهير . فالشعر ليس زخرفا يعيش على هامش ممارسة الحياة . انه عودة اصيلة الى الجذور . فالشاعر ، يريد أن يستجمع جميع اوتار الوعي الشعبي ليضرب عليها تقاسيمه الخاصة . انه ارادة اندماج بحركة الجماهير ، بحياتها الواقعية ، حيث يعود الشعر الى القبيلة تعبيرا عن مصلحتها الجماعية ورقصا احتفاليا امام أحداث الكون الكبرى . من هنا ينكسر الشعر امام الواقع . وتصير اللغة هي الام التي تدور حول ثديها حركة الاطفال دورة لا تنتهي . على هذه القاعدة كانت العلاقات داخل القصيدة الواحدة ومن خلال مجموع القصائد مكشوفة وغير متعرجة. فالخطوط تتوازى او تتقاطع لكنها لا تتشابك . فالواقع حين يعود وينغرس في القبيلة يصبح بسيطا وشفافا . ولا حاجة الى تفسيره . ودخول الشعر عالم الواقع ليس محاولة لتفسير هذا الواقع او للنسج حوله . انه يدخله كي يعيش في وسطه بكل بساطة .

حول هذه القاعدة صار لشعر الارض المحتلة هذه الشعبية الكاسحة . فالجماهير الخارجة من هزيمة حزيران عادت لتكتشف وعبر المقاومة الفلسطينية احساسها القومي « الصافي » . ورأت في المقاومة طريقا الى القتال الذي حرمت منه طويلا . فجاء الشعر الفلسطيني ليعبىء فراغا احدثه ضمور الحركة الشعرية الحديثة وتراجعها في عملية بحث عن الذات ليس الان مجال دراستها او تقييمها . فكان الشعر الفلسطيني هو شعر الواقع الجديد وهو صوت المرحلة الثورية الرومانسية الوليدة . غير أن الاندفاعية الجماهيرية سرعان ما بدأت تصطدم بعقبات جدية. وسرعان ما بدا ان الواقع الذي اعتقدناه واضحا عشية حزيران هو اكثر تعقيدا مما تصورنا . وأن ثورة الشعب الفلسطيني لا بد لها من تفهم العلاقات التي تعيش وسطها كي تستطيع تجاوز حقول الالغام المزروعة امامها. هكذا كان الشعر الفلسطيني مواجها بمصيره الفني . فالدائرة التي رسمها سميح القاسم سرعان ما بدا ضرورة تجاوزها . فالواقع المعقد يرتسم في الافق والشعر لا يستطيع ان ينسج نفسه خارج دائرة الواقع وعلاقاته . واذا كانت القصيدة فعلا تاريخيا بمعنى انها ترصد اكثر الروافد عمقا في حركة الواقع ، فان خطابية المرحلة الاولى بدأت تتفتت . وبدا ان الشعر يستطيع ان يكتشف لنفسه دورا خارج التحريض المباشر .

و « مراثي سميح القاسم » هي محاولة لكسر الدائرة هذه . فالقاسم يتخلىعن خطابيته القديمة. ليمتطي عرش النبوة المأساوية مستعيرا صوت مأسوية العدو في « مراثي ارميا » وطارحا صوته الذي ينتظر الميلاد . ففي نهاية مراثيه يرفع القاسم صوته لينتظر الميلاد :

« الاضواء الاقدام الاجراس
الصحف الالات الموسيقى

الاعلام الاعياد
الميلاد
انتظر الميلاد
ها انذا .. انتظر .. الميلاد .. »

يعود الشاعر الى نقطة الصفر . الى الوقوف في أعلى الجبل منتظرا في حزن الميلاد الذي لم يأت .

ان مراثي القاسم تعبر عن نقطتين :

١ — من جهة اولى ينكسر الشعر بين يديه . فالشاعر الفلسطيني ، يعود الى تاريخ عدوه ويتداخل مع مراثي ارميا حيث تصل الفجيعة اليهودية الى أعلى مراحلها . فمراثي ارميا هي قصائد شعبية يهودية كتبت بعد السبي سمتها الغالبة شعور مأساوي عميق . وتطلع الى الرب الذي ترك شعبه يسحق تحت ضربات الامم . فحين يستعيد القاسم مأساة عدوه . فانه يصل الى ذروة المأساة . انها المأساة المستلبة الكاملة التي تعود فتنسكب في مآسي العدو . حيث يجد الانسان العربي نفسه محاصرا من جميع الجهات. مراثي القاسم هي مراثي الحصار .

« عصرنا جماجمنا في التراب ، اندغمنا ، اندثرنا
وعدنا سنابل بعض السنابل
ليأمن سادنك الكهل شر الغوائل
وجعنا كثيرا عرينا كثيرا ومتنا كثيرا
ولكن شكرنا
اردت .. فماذا تريد ؟ »

حالة الحصار لها شكلها الخاصففي القسم الاول من القصيدة نرى الشاعر يتكيء مباشرة على التراث الشعري المأخوذ من التوراة حيث نتذكر مزامير داود وصوت سليمان الحكيم . وحيث الصورة الشعرية هي تتابع للفعل الانساني في حركته باتجاه الخالق . هذا التتابع يأخذ عند القاسم شكلا نثريا ، لانه تتابع رتيب . فالشعر ينفلت من الضوابط الداخلية . والصورة الشعرية تتمدد على مساحة شاسعة تفقد معها قدرتها على الايحاء . والواقع ان القاسم يريد ان يعبر عن واقع يتلاشى . لكن الجملة الشعرية حين تتلاشى عنده فان تلاشيها ليس متوتر النبرة . انه تلاش انهياري . لكنه لا يميش داخل الانهيار . يعيش على حافته . لذلك فانه يضطر الى شحن هذا التلاشي بالصور القديمة التي يستعيدها القاسم من كتاباته السابقة .

« هو العار حتى الضحى
أو هو النوم حتى الجريمة
... تناسل اذن يا كلام الجرائد
تناسل اذن يا ذباب المقاعد »

٢ — من جهة ثانية يعود القاسم الى استعارة القضايا الكبرى « الغضب ، الحزن ، الغربة » هي الموضوعات التي تشكل خلفية القصيدة الطويلة . فالشاعر ، حين يضع نفسه ، في مركز النبوة . فانه يقوم في الواقع بحركتين متناقضتين. من جهة يبتعد عن شعبه ، ليدخل في لعبة الحلم من طرف واحد ومن جهة جهة ثانية فانه يحاول أن يكون في ابتعاده ضمير شعبه وصوته. هذه الحركة في اتجاهين متناقضين تعطي القصيدة ، توترا عالي النبرات ، يسمح للشعر ان يصل في اكتشافاته نحو اعماق مأساة شعبه ، لكن القاسم عوض ان يذهب في اللعبة الى نهايتها فانه يتوقف في منتصف الطريق . رؤيته النبوية لا تستطيع ان تصل الى مرحلة تفكيك الواقع ، سحقه واعادة بنائه . بل تتوقف عند الحد الفاصل بين الحلم النبوي والواقع الظاهري . وتعود الى الدائرة نفسها التي تحاول القصيدة كسرها . فيعود الى « أبواب الامم المتحدة (او غير المتحدة) » ويغرق في معاملة وصفية مع قضيته ناسيا البعد الذي حاولت القصيدة ان ترسمه في بدايتها.فتغرق الرؤية النبوية في سطح الواقع. تقوم بحركات متسارعة تحرك هذا السطح ولا تصل الى اعماقه . فتفقد القصيدة عمقها وتتمدد على مسافات طويلة من الورق في حركة دائرية . والواقع ان القاسم حاول ان يخترق هذه الحركة الدائرية باستعماله صورا ناشفة « صلعة الكون » مثلا . والمراد بهذه الصور حرق المساحات المنخفضة في القصيدة واعادة شحنها بالانفعال ، عبر كسر توازن القاريء المستسلم لحركة القصيدة . لكن هذه الصور بتناثرها عبر القصيدة وبعدم قدرتها على التتابع في خطوط مستقيمة متوالية افقدها قدرتها المفترضة على الايحاء الانفعالي . فجاءت محترقة قبل اشتعالها ، ولم تستطع ان تفجر في القصيدة تداعيات انفعالية تفترضها نقطة انطلاق القصيدة نفسها .

« ... ها انذا ، يا نافخ الارواح
في جثث البذار
ها انذا وحدي على الاسوار

مئذنة مهجورة
نبتا جحيميا بلا ثمار »

هكذا يلخص القاسم مأساته أمام مأساة شعبه. وهو هنا يحاول ان يعيد جمع طرفي المعادلة التي دخل فيها . ويستطيع عبر اسطر صغيرة ومكثفة في حجمها الانفعالي ان يضعنا في قلب المأساة . وان يعيد ترتيب الواقع انطلاقا من المأساة التي يحاول أن يتغلغل في داخلها كما تغلغلت في داخله. ويوالي سميح القاسم نسج قصيدته على هذا المنوال . فاذا بنبوته المفترضة تتحول الى حركة داخلية لا تستطيع التعامل مع الذات ، فتخرج الى الموضوع وتعيد صياغته مجددا وتحاول ان تعيد رسم اطاراته .

في القسم الاخير من قصيدته ، يحاول القاسم ان يعيد صياغة الماضي ، بعيني الطفل ووعي المسافة التي تفصل دفء الطفولة عن برودة الواقع. فاذا به في رثائه لطفولته ، يتحول الى شاهد للمأساة دون ان تتدخل شهادته في صياغة هذه المأساة . فالمأساة تتحول الى واقع ساخر .

« في طفولتي اشترت لي أمي قبعة
فاصبحت بحارا انجليزيا
واشترى لي ابي قميصا
فأصبحت احد رجال الكيبوتس » .

هذه السخرية الحارة،تحيل البسمة التي ترتسم على طرف الشفتين الى شعور بالانسحاق امام فداحة ما يجري فتعيد الطفولة رسم الواقع من زاويتها هي . ويركض الشاعر من هذا المنطلق ليرثي الطريق فاذا به يتمدد « ممزقا بين التفاحة والحجر والوطن » . وحين يرثي نفسه ، فانه لا يرى سوى الجثة الممددة والبندقية المكسورة امام الزوجة الناظرة الى الوديان حيث يصهل جواده الابيض . ثم حين يرثي الجندي المجهول والذين لم يموتوا بعد .. فان ابصاره تنشد صوب يوحنا . حيث يرقد المسيح الذي سوف يولد المراثي وتعود حركة التاريخ لتكتشف توجهها نحو المستقبل . وتتساقط المراثي أمام حلم الميلاد الذي سوف يأتي .

حين يستعيد القاسم « مراثي ارميا » ويدخل في اعماق مأساة شعبه عبر مأساة العدو . فانه يقوم في الواقع بمحاولة اختراق متكاملة للجدار الذي يفصل بين الحلم والفجيعة . والواقع ان الشعر الفلسطيني حاول ان يمد جسرا بين واقع التشرد الذي يعيشه الشعب الفلسطيني وبين اساطير التوراة . لكن « مراثي سميح القاسم » هي اول محاولة متكاملة لكسر هذا الجدار . ومحاولة الدخول الى العقل المأساوي الجماعي في توجه يريد تدمير الذات في الواقع . تمهيدا للميلاد الذي ننتظره . والذي بدأ صوته يعلو من حنجرة يوحنا .

غير أن محاولة الوصول الى الهدف تصطدم عند القاسم بالعديد من العقبات .

فهو **اولا** بقي مترددا بين الدخول في النبوة الحقيقية وبين الاطارات القديمة التي ميزت شعره السابق . فلم تتحقق القفزة النوعية في بنية القصيدة . حيث بقي الخيط الواحد يشد جميع الاجزاء المتناثرة . ولم يستطع الشاعر ان يبعثر وجوه المأساة التي يرثيها . بل بقيت بوجه واحد ولو تلطخت بالدماء في احايين كثيرة .

ولم يستطع **ثانيا** ان ينقل الازمة التي تحيط بمجمل العملية الفنية التي دخلها . فبقيت الازمة على سطح الرؤية الفنية . وبقي التعامل معها خارجيا في مجمله . رغم بعض المقاطع التي تتصف بالكثافة الفنية وبالتنوع الموسيقي والتي لعبت دورا هاما في انقاذ القصيدة من التساقط .

وثالثا لم يستطع الشعر ان يتعارك مع اللغة عراكا فعليا. فبقيت اللغة بنية تتوالى حول الانفعال تنقله بالكلمات الناجزة ، اي ليس هناك بحث عن اللغة الجديدة التي تستطيع ان تشتعل أمام مرثية تحترق فيها الانفعالات وتشدها هندسة للبناء الشعري استطاعت ان تحيط بالعديد من هذه الانفعالات . وتصل المراثي الى الازمة . فالشعر الفلسطيني يمر في مرحلة انتقالية صعبة . انه يحاول اليوم ان يجد لنفسه مكانا متميزا تحت سقف خريطة الشعر العربي . وهذه المرحلة مشروعة بمقدار ما هي اصيلة . أي بمقدار ما تستطيع ان تعبر عن تحولات فعلية داخل رؤية القضية من زواياها المختلفة . فالشعر الفلسطيني يحاول ان يتجدد في اتجاه المغامرة الفنية . أي داخل اكتشاف الابعاد المتجددة في الرؤية الفنية نفسها . الشعر ليس عملا سياسيا دعاويا او تعبويا فقط . انه ابتعاد عن الواقع في محاولة للدخول في مغامرة اعادة اكتشافه. وهو بهذا المعنى يكتشف ثوريته بارتباطه بالواقع الثوري في حركته وليس بتجميد هذا الواقع لحظة العمل الفني .

من هنا فهو يرتبط بالطبقات الثورية عبر الالتحام بحركتها ، وبمقدار قدرة هذا الالتحام ان يكــون جذريا ، تصبح القصيدة تاريخا متحركا .

غير ان محاولة سميح القاسم تكتسب مشروعيتها من اطار آخر . فهي نسيج حول الذات ينطلق من البداية ويغرق في الماضي الفني لسميح القاسم . أي ان الشعر ينكسر امام اطاراته القديمة. فعوض ان تنفجر القصيدة داخل حدود الحلم فانها تلتمع التماعات خافتة ثم تطفو . فمشروعية محاولــة القاسم وان كانت جزءا مــن محاولة البحث عن مخارج جديدة للشعر وعن دور له ، فانها تبقى مشدودة ضمن الرؤية الفنية السابقة . الخيط الواحد الذي يمتد عبر القصيدة بأسرها . والتوتر الانفعالي الذي يأتي من علاقة الاشياء ببعضها . والتضمينات الكثيرة التي تحاول ان تعطي القصيدة تعرا ممتلئا . والتتابع في ايقاع الشعــر الذي يخبو تدريجيا . يعلو في وسط القصيدة امام علاقة الشاعر — النبي بشعبه . ثم يعود ليخبو ، تاركا المجال للصور المتلاحقة التي تنكــرنا بالتتابعية الوصفية عند الماغوط . لكن تتابعية القاسم لا تمتلىء بهذا الطموح ، لان الشاعر يعود للتدخل بعنف ولا يترك للصور مهمة حمل رؤيته الفنية كما يفعل الماغوط عادة .

تدخلنا « مراثي سميح القاسم » في اشكالية بالغة الغنى والتعقيد . فهي تطرح بعنف مشكلة العلاقة بين الشكل والمضمون . ليس على مستوى سطح هذه العلاقة . بل على مستوى اعماقها . أي على مستوى قدرة الشكل على التغلغل داخل رؤية المنطلق واستيعابه لها في عملية التبلــور التشكيلي الذي يرافق القصيدة . والواقع ان الذي يطرح هذه المشكلة هو تردد الشاعر في تعامله مع اللغة ، وامساكه لطرف لعبة التشكيل في القصيدة من الوسط . هذا التردد هو في المقابل دليل على أزمة جدية . أزمة القــدرة على البقاء داخــل الوعي الجماعي المتبلور حول نقطة الهدف. والنظر الى هذه النقطة بوصفها نتاجا لعملية معقدة . فرؤية المنطلق عند سميح القاسم يدمرها اصراره على ان يبقى محافظا على اشكاله القديمة . لذلك يحاول ان يتداخل مع انجازات الحركة الشعرية المعاصرة ، طالما لا تمس هذه الانجازات الذات الفني الذي بناه الشاعر لنفسه . اي انه لا يقفز في الهواء . يبقى على الارض . ويدرس كل خطوة يخطوها الى الامام بحواسه الخمس . ولا يترك لعلاقته الوجودية بحركة الجماهــير ان تكتشف لنفسها طريقا . هكذا تخفت القصيدة . فهي حين تنطلق من ذروة الاوجاع الجماعية التي في « مراثي ارميا » ترسم لنفسها عمقا خاصا لا يلبث ان يطفو ويطفو أمام الصيغ الجاهزة . ولا ينقذ القصيدة سوى العودة الى الغنائيات المكثفة التي طالعنا بها الشعر الفلسطيني في بدايات انطلاقه .

المراثي تتجمد امام طــرفي المعادلة الفنية . فالمضمون الجديد يحطم الشكل القديم . والشكل القديم ولو لبس ثياب المزامير او استعــار لهجــة القرآن ، فانه لا يستطيع ان يتحمل الرؤية الفنية. لذلك فهو يجمدها في مكانها ولا يسمح لها بالوصول الى وجدان القارىء .

تحمل مراثي « سميح القاسم » الما عميقا ، ورؤية مأساوية نادرة . وهي في اشكاليتها الفنية تلقي العديد من الاضواء ، لان اهميتها التاريخية هي كونها تجريبية الطابع . تقف أمام المنعطف ولا تدخله لكنها تطرح المشكلة عبر معاناة حقيقية . انها بداية تستطيع ان تتقدم اذا تغلبت على سطح العلاقات التي تمنعها من التقدم . فنحن لم نعد نقبل ان يكون الشعر الفلسطيني شدا لابصارنا نحو الارض بل نطمح ان يكون توترا طليعيا يحمل الحياة ويضمنا داخل العملية الثورية .

الياس خوري

محمد اديب العامري ، عروبة فلسطين في التاريخ
(منشورات : المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت ، ١٩٧٢)

مقدمة :

كثر الحديث عن عروبة فلسطين كما تناولتها شتى الاقلام بأبحاث مستفيضة — على أن جل ذلك كان بطريقة اجمالية ، والى درجة ما ، عاطفية — وكانت هذه الابحاث على العموم لا تعدو الثلاثة عشر قرنا الماضية ، أي منذ عهد الفتوحات العربية الاسلامية . واما ما كان منها يعود الى ما قبل هذا التاريخ فلم يكن يستند الى الاسس العلمية والمكتشفات الاثرية التي تثبت حقيقة عروبة فلسطين ، حتى جاء الاستاذ العامري بكتابه النفيس هذا (عروبة فلسطين في التاريخ) يجلو الحقائق ويقيم البراهين المحسوسة على صحة عروبة فلسطين منذ أقدم الحقب ، مستندا في ذلك الى مخلفات العصور وآثار الدهور من الواح وحجارة ونصب صماء وتماثيل عجماء ، ولكنها على صمتها ، كانت الناطق الصادق ، اذ أنها لا تحور حقيقة ولا تطمس واقعا ولا تزيف صحيحا ، فلا يرقى ادنى شك الى ما تقدمه لنا من معلومات كما كثيرا ما يحدث عند كتابة التاريخ من قبل ذوي النزعات المتباينة .

وقد كان الحافز الاساسي للمؤلف لدى قيامه بهذا العمل الجليل ، سد الفجوة الواسعة في تاريخ فلسطين القديم — تلك الثغرة التي تملؤها الدعاية الصهيونية بما أطلقت عليه (الوعد الالهي) و(الحق التاريخي لليهود في ارض فلسطين) — دعاية مكنت القوم ، نظرا لاحتكارهم وسائل الاعلام في كثير من اقطار العالم ، من نشر وجهة نظرهم الخاطئة ، فتقبلها جزء لا يستهان به من عالمنا على انها الحقيقة حتى اصبحت الغالبية من سكانه (ينظرون الى الفلسطينيين بعيون الاسرائيليين) على حد تعبير المؤرخ الثقة « ارنولد توينبي » .

ميزات الكتاب :

لهذا المؤلف النفيس ميزات جمة لعل أبرزها القيمتان الآتيتان :

١ — انتهاج الاسلوب العلمي الدقيق المعتمد على الوثائق والمكتشفات الاثرية الصادقة ، في خدمة أصحاب البلاد الفلسطينية الاصلاء .

٢ — القيمة الوطنية : ففيه يجد القارىء العربي ما يقوي انتماءه الى وطنه وحضارته القديمة .

وليس بخاف ان معظم الكتاب والباحثين وخاصة الغربيين منهم يربط صلة العرب بفلسطين بالثلاثة عشر قرنا الماضية أي منذ عهد الفتوحات العربية الاسلامية فحسب — مع العلم ان اقامة ثلاثة عشر قرنا في بقعة ما ، ليست بالامر اليسير — فجاء المؤلف يثبت بكتابه هذا ، ان صلة العرب بفلسطين أقدم من ذلك بكثير وانها تعود الى فجر التاريخ ، فقد وجد العرب المسلمون عند فتحهم لفلسطين ، ان سكانها المقيمين فيها من مسيحيين وسواهم يمتون اليهم بصلة الدم وانهم عربيو الاصول والجذور ، وان هذه البلاد لم تكن — كما تحاول الدعاية الصهيونية ان تظهر اليوم — يهودية على وجه الاطلاق . ومما ساعد الدعاية الصهيونية على ذلك انتشار التوراة بين سكان العالم الغربي بوجه خاص ، فقد غرست في أذهانهم ان اليهود هم فلسطين ، وان فلسطين هي اليهود ، فجاءت الحفريات الحديثة تنقض هذا الزعم بل وتثبت ان ظهور العبرانيين في فلسطين جاء متأخرا بالنسبة للهجرات التاريخية القديمة ، كما وتؤكد ان اقامتهم فيها كانت متقطعة بل هي اشبه بالغزوات الطارئة ، جماعات موزعة هنا وهناك ، وزمر محدودة العدد دونما استقرار حقيقي ، حتى أن ملكهم الموطد في بعض أجزائها لم يتجاوز سبعين عاما (أيام ملكيهم داود وسليمان) — وقد لقوا في هذه الغزوات مقاومة عنيفة من العرب (الاسلاف) ، كما يلقون اليوم من (الخلف) وقد أدت هذه المقاومة في السابق الى انهاء الغزو ، والامل معقود ان تكون نتيجة المقاومة الحديثة كما كانت القديمة .

لقد اعتمد المؤلف على الحقائق العلمية المحضة فكان بحثه موضوعيا ، وأبعد ما يكون عن العاطفة المجردة وذلك برجوعه الى :

١ — الحفريات الاصلية كما كتبها القائمون بها في عهودهم السحيقة المختلفة .

٢ — اخصائيي علوم الاثار بشروحهم ما اكتشفه زملاء لهم ، وجلهم ، ان لم نقل كلهم ، من الاجانب الذين لا يمتون للعرب والعروبة بأية صلة ولا

تجمعهم بهم وبها رابطة ما .

وعلى هذا ، جاءت دراسته من هذه الناحية دراسة علمية محضة لا مكان فيها لهوى في النفس، او لعاطفة عرقية ، او نزعة خاصة .

الاقوام التي أمت فلسطين (في قسمين) :

أولا : المستوطنون المستقرون : — وهم الذين خرجوا من شبه جـزيرة العرب واستقـروا في فلسطين — وأقدمهم العموريون حوالي عام (٣٥٠٠ ق.م) وأكثر ما استقروا في القسم الجبلي من فلسطين ، والكنعانيون حوالي عام (٢٥٠٠ ق.م) واستقر معظمهم في سهول وأغـوار فلسطين ، واليبوسيون وهم بطن من الكنعانيين في القدس وما حولها. وقد تداخلت هجرات العموريين والكنعانيين الذين لم يغادروا فلسطين مطلقا — وهنا نجد تحيز المراجع الاجنبية تحيزا واضحا ، اذ لا نكاد نجد فيها ذكرا ولا ربطا لصلـة الكنعانيين بالمـاضي والمستقبل — عكسها في ذلك عندما تتحدث عـن العبرانيين فكأنهم فلسطين ، وكأنما فلسطين هم . وهجرة الكنعانيين الواسعـة جعلتهم السكـان الاساسيين في فلسطين حتى ان اقدم اسم عرفت به هو (ارض كنعان) . ويستشهد الكاتب بما يذكره المؤرخ اوريلي : (ان في حالة فلسطين ما يحمل على الاعتقاد بأن أكثرية الفلاحين الحاليين هم أحفاد من جاء قبل الاسرائيليين) . كما اثبتت الحفريات ان مساكن الكنعانيين تشبه الى حد بعيد مساكن عرب فلسطين في المدن والقرى اليوم . ثم جاء الآراميون فكانت هجرتهم متأخرة عن الكنعانيين وقد انبثق اسمهم من استيطانهم المرتفعات (آرام). وبعدهم قدم العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي كموجة جديدة تميزت عن سابقاتها بدعوة دينية عالمية ، فأنهت الاحتلال الفارسي والروماني وحررت اهل البلاد الاصليين وهم ذوو قرباهم ، وبقي الكنعانيون يشكلون سواد سكان فلسطين باندماجهم بالعرب المسلمين .

ثانيا : الدخلاء الغزاة : وقد قدموا من جهات متعددة واحتلوا فلسطين أو جزءا منها ثم جلوا عنها — وهـم : العبرانيون والفرس واليونان والرومـان والصليبيـون والاتـراك وآخرهـم البريطانيون ، واليوم الصهيونيون . ولن يكون مصيرهم خيرا من مصير من سبقهم .

السامية والساميون :

للمؤلف في كتابه هذا فضل كبير في جلاء كثير من الغموض الذي فرضه معظم المستشرقين في موضوع (السامية) و(الساميين) ، فقـد قامت هذه التسمية في معظم نواحيها على بواعث عاطفية ، اذ ليس هناك أسس علمية لهذه التسمية . فهي تنسب الى (سام) أكبر أبناء (نوح) . ومن الثابت ان قصة نوح التوراتية لها سابقات في الاساطير السومرية . ولذا يرى المؤلف انه من الافضل استبدال كلمة (سامي) بـ « عربي » و(سامية) بـ « عروبة » و(الشعوب السامية) بـ « الشعوب العربية » . وعلى هذا يتوجب اهمال التسمية الاولى والتمسك بالثانية فهي أدق وأصح علميا ، اذ أن الموطـن الاصلي لهـذه الشعوب هي شبه جزيرة العرب ، سيما بعد أن أصبحت كلمة (السامية) ذات مدلول (يهودي) وليس الا وخاصة في أوروبا وأميركا .

العبرانيون — اصولهم وأوضاعهم العامة :

المنتشر في العالم اليوم، عن طريق المستشرقين، انهم (ساميون) وانهم من بني العمومة . ويوضح الكتاب أن أصولهم غير صافية ولا معلومة تماما فلا يمكن والحالة هذه ان يقرنوا مع الكنعانيين مثلا لان هؤلاء ذوو أصول عربية واضحة . وقد أصبح من الثابت اليوم بعـد ظهور المكتشفات الحديثة ان جماعة (العبيرو) أي « العبرانيين » هم عبارة عن خليط من :

١ — الجنس السامي : وهي الجماعات التي قدمت من الشمال وصحراء سوريه ، ومصر بدليل ان قسما منهم يتميز بالانف الدقيق (السامي) .

٢ — الجنس الهندي الاوروبي : من الحثيين والحوريين وسواهم ، بدليل ان قسما منهم يتميز بالانف الضخم الاقنى (الحثي) .

وقد دلت الدراسات الحديثة والوثائق المكتشفة مؤخرا انهم ذوو أصول متنوعة جـدا ومختلفة للغاية بحيث لا يمكن اطلاق اسم (الامة) عليهم ولا يمكن الاعتراف بهم كجماعة تنتسب الى جنس واحد . وحتى التوراة تصنفهم دوما (بالغرباء) ولا تحدد لهم أصولا معروفة اذ تعمم ولا تخصص عندما تذكر (ان أصلهم من البرية) او من (الخلاء) او (القفر) . ويستشهد المؤلف بالاقوال التالية للثقاة من المؤرخين وعلماء الآثار في تبيان الوضع

العام (للعبيرو) او (العبرانيين) :

١ ــ الدكتورة كثلين كنيون : « لا يمكن الاعتراف (بالعبيرو) كجماعة تنتسب الى جنس واحد لاننا لا نرى لهم أسماء خاصة تدل عليهم . هذا ولا يمكن ان نقول انهم يحترفون حرفة محددة ، لاننا نراهم أحيانا جنودا محترفين ، وأحيانا عمالا عاديين ، وأحيانا عبيدا مستخدمين . والصفة الوحيدة المشتركة بينهم هي أنهم أجانب أو غرباء ــ عصابات مغامرة وجنود يسعون وراء الكسب ــ مرتزقة زمن الحرب ، وعمال وعبيد زمن السلم ــ وعادة تكون مثل هذه الجماعات ذات أصل مختلط . وقد كان طواف (العبيرو) واقامتهم غالبا في بلاد سامية ولذلك اقتبسوا التراث السامي » .

٢ ــ البروفسور جون برايت : « ان المصطلح « عبيرو » مهما كان مصدره ... لا يرجع في الاصل الى وحدة عرقية ، وانما الى طبقة في المجتمع ــ اية طبقة من الناس ليس لها جنسية ، ودون مكان في تركيب المجتمع القائم . يحيون أحيانا حياة قائمة على الغزو ، وأحيانا يؤجرون أنفسهم كجماعة غير منتظمة ، او يقدمون انفسهم عبيدا ».

٣ ــ بروس : « يوصف (العبيرو) كغرباء أعداء أينما ذكروا . وقد درج استعمال هذا المصطلح بمعنى « أعداء » أو « ثوار » او « قوم غير محترمين » . »

٤ ــ مارتن نوث : « عندما يذكر الاسم (عبرانيون) نجد شعبا من أصول متنوعة جدا ، ذا مستوى وضيع وموارد ضئيلة في وسط البلاد المتمدنة في الشرق القديم ، يؤدون الخدمات ويمثلون *عناصر متنقلة قلقة لا جذور لها في الارض* » .

ولعل أبرز الآثار التي تبرز اصول العبرانيين ووضعهم الاجتماعي هي :

اولا : محفوظات (ماري) : وماري هذه هي عاصمة العموريين الواقعة على ضفة الفرات الاعلى والى الجنوب من مصب نهر الخابور . وقد اكتشف فيها أكثر من (٢٠) الف لوح بالكتابة المسمارية تعود الى القرن التاسع عشر ق.م وفيها وصف للعبيرو انهم (سراقون نهابون) .

ثانيا : لوحات (نوزي) او (نوزو) : وكانت (نوزو) هذه من أشهر مدن مملكة (ميتاني) التي أسسها الحوريون في الجزء الشمالي من ما بين النهرين ، وتقع جنوبي شرقي كركوك حاليا ، وقد اكتشفت فيها في الثلث الثاني من القرن الحالي (٤٠٠٠) لوحة أثرية بالخط المسماري ترجع الى القرن الخامس عشر ق.م. وفيها ذكر (للعبيرو) انهم « غرباء ». وانهم : « مرتزقة يتعاطون اعمال الخدمة والشغل لدى الدولة او الافراد » . ويستخلص من هذه الالواح ان كلمة (عبيرو) مرادفة لـ « مهاجر بائس » .

ثالثا : الواح سهل البقاع : اكتشفت في السنوات العشر الاخيرة بضع لوحات من الطين المشوي في قرية (كامد اللوز) في سهل البقاع ، بينها رسالتان من ضمن مراسلات تل العمارنة تشيران الى قبائل (العبيرو) وتذكران ان «أفرادها كانوا من جنسيات مختلفة ، واعتبروا بصورة عامة جنودا يدفع بهم للحرب أحيانا ، والقيام بثورات ضد أسيادهم والاستيلاء على الحكم في المدن أحيانا أخرى » .

وخلاصة ما جاء في هذه الآثار اجماع على ان القوم لم يزيدوا على كونهم مرتزقة وانهم جوابو آفاق وغرباء عن كل مكان يحلون فيه ، وتؤيد التوراة (غربتهم) هذه في معظم أسفارها وتكثر من ترددها .

هجرات العبرانيين وعدم استقرارهم :

١ ــ ابرهيم وسلالته : يعتبر اليهود ابرهيم أباهم الاول وتذكر التوراة انه كان (عبرانيا) وقد خرج مع ابيه (تارح) وابن اخيه (لوط) من مدينة (أور) في جنوبي العراق فتنقلوا بجماعتهم ومواشيهم شمالا حتى (الرها) ثم انتقلوا جنوبا حوالي عام (١٩٠٠) ق.م الى سوريه طلبا للرزق والمرعى حتى وصل بهم المطاف (أرض كنعان) حيث كان العرب الكنعانيون مستقرين منذ قرون طويلة ، وسرعان ما ارتحلوا الى مصر ثم عادوا منها بعد غيبة قصيرة حوالي عام (١٨٥٠) ق.م فاستوطن ابرهيم وجماعته جبال القدس والخليل ، وابن أخيه لوط جنوبي البحر الميت بعد اختصام رعاتهما ، حسب رواية التوراة ، وهذا دليل على انهم بقوا يحيون حياة البداوة ، واكبر دليل على انهم لم يملكوا في فلسطين أرضا ان (ابرهيم) اشترى مدفنه (ارض مغارة المكفيله) من رجل حتي ــ نحتى التوراة ، التي هي ملاذ دعواهم ، تثبت اقامتهم المتقطعة في فلسطين وعدم امتلاكهم أراضيها وتذكر دوما عن ابرهيم (غربته) ــ فكيف تكسبه هذه الاقامة المتقطعة وقومه حقوقا في

البلاد ؟! ازاء حقوق أهلها المقيمين والمستقرين فيها والمالكين لها منذ فجر التاريخ وهم العرب الكنعانيون .

٢ — **موسى وقومه** : ترك ابرهيم قسما من جماعته في مصر فاستخدمهم المصريون عبيدا وأجراء فظهر فيهم بعد نحو خمسة قرون أي في اواخر القرن الرابع عشر ق.م ، موسى وقادهم الى (أرض كنعان) ليخلصهم من حياتهم الحقيرة . وقد أصبح من الثابت بعد الاكتشافات الاثرية الحديثة ، ان جماعة (العبيرو) هذه ، بقيادة موسى ، كانت تشتمل على عبيد من سائر الاصناف وانهم خرجوا من مصر مطرودين ضمن جماعات (الهكسوس) وصادف خروجهم من مصر ، تحرك جماعات من (العبيرو) في شرقي الاردن وهجومها عبر نهر الاردن على اريحا التي افتتحوها في أوائل القرن الثاني عشر ق.م بعد مشقات هائلة فقد كان لسكان فلسطين المقيمين من عموريين وكنعانيين ويبوسيين (وبني عناق) أي العمالقة — وكلهم عرب — رهبة في نفوسهم وبقوا يلاقون منهم اشد المقاومة حتى انهم لم يستطيعوا فتح القدس الا حوالي عام (١٠٠٠) ق.م. وقوم موسى هؤلاء يمكن اعتبارهم اصل ما اصبح بعدئذ (اسرائيل).

٣ — **مملكتهم** : لم يستطع العبرانيون تأسيس مملكة لهم في الاراضي الفلسطينية الا بعد أن احتل داود القدس (عام ١٠٠٠ ق.م) أي بعد دخولهم البلاد بنحو ثلاثة قرون . واستطاع ان يوسع رقعة ملكه ولكنها لم تتجاوز جبال الكرمل شمالا والخليل جنوبا (بينما بقي السهل الساحلي من شمالي يافا الى جنوبي غزة بأيدي الفلسطينيين) على ان هذه المملكة كانت الى درجة كبيرة واقعة تحت سيطرة ، بل وخاضعة أيضا ، للفينيقيين العرب في لبنان ، كما وللحكام المصريين . وحكم بعده ابنه سليمان (٩٦٣ — ٩٢٣ ق.م) فلم يستطع في هذه الفترة ان يسيطر على فلسطين كلها ، وبقي النفوذ الفينيقي والمصري في ايامه كما كان في عهد ابيه . وعلى هذا لم يدم ملكهم هذا على بعض اجزاء فلسطين أكثر من ثلاثة ارباع القرن . وبعد موت سليمان انقسمت مملكته الى مملكتين صغيرتين : مملكة اسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة وقد قضى عليها نهائيا ملك أشور سرجون الثاني عام ٧٢٢ ق.م وسبى أفضل رجالها الى ميديا وأتى بقبائل من بلاد بابل وعيلام وسوريه وبلاد العرب لتحل محلهم . والاخرى مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها القدس وقد قضى عليها الملك الكلداني نبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق.م وسبى العظماء من سكان المدينة والبلاد المجاورة لها ، ودمر كل مدينة ذات شأن في مملكة يهوذا ولم يبق فيها الا جماعات من البائسين وظلت كذلك عدة قرون . ولا بد من الاشارة انه في جميع تلك الفترات ، أي زمن هذه الممالك اليهودية الصغيرة ، لم يكف سكان فلسطين الاصلاء وهم من العرب عن حرب الاستنزاف حتى حصروا الملكتين ضمن حدود ضيقة فانحصرت في بضع مئات من الاميال المربعة حول القدس والسامرة حتى لم تكونا في الواقع اكثر من (ممالك مدن City-Kingdoms) وفي احدى الهجمات استطاع اليبوسيون العرب استعادة القدس عام ٨٩٥ ق.م وحكموها فترة من الزمن . وبالقضاء على هاتين الملكتين الصغيرتين تنتهي قصة سيطرة العبرانيين على هذه الاجزاء القليلة من أرض فلسطين ، ولما عادوا من السبي بعد نحو نصف قرن على يد كورش الملك الفارسي ، عارض السكان العرب المقيمون في فلسطين هذه العودة وقاوموهم مقاومة عنيفة لدى محاولتهم ترميم أسوار القدس فأخذوا يهاجمون العمال اليهود حتى اضطر نصفهم الى حمل السلاح لحماية النصف الاخر ليقوم بالترميم . وفي هذه الفترة نجد التوراة تستعمل كلمة (العرب) بدلا من (الكنعانيين) . الا ان اليهود بعد عودتهم من السبي لم يكن لهم أي شأن سياسي فتوزعوا بأعداد ضئيلة مختلطين بالسكان الكنعانيين العرب (الذين لم يبرحوا الاراضي الفلسطينية قط منذ استيطانهم لها من فجر التاريخ) ، يحكمهم الفرس فاليونان فالرومان الذين دمروا هيكلهم سنة ٧٠م. ومنعوهم من الاقامة في مدينة القدس فتشتتوا في الارض وأخذوا يخرجون من فلسطين تدريجيا ، حتى لم يبق منهم فيها في نهاية الحروب الصليبية (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) أكثر من مائتي يهودي كما يذكر الرحالة (بنيامين توديلا) الاسباني الذي زار بلادنا في تلك الحقبة .

وبعد الفتوحات العربية الاسلامية اي منذ القرن السابع الميلادي امتزج العرب المسلمون بذوي قرباهم من سكان فلسطين العرب الآخرين من كنعانيين وعموريين ويبوسيين وغيرهم ممن لم يبرحوا أرض فلسطين منذ فجر التاريخ فكانوا الاكثرية الساحقة في فلسطين حتى نكبة عام ١٩٤٨.

الشعوب الاجنبية القديمة في فلسطين :

اقامت في فلسطين في العصور القديمة شعوب أجنبية اي ذات اصول غير عربية لفترات من الزمن انتهت اما بجلائها او بانصهارها بالاكثرية العربية، واهم هذه :

١ ــ **الهكسوس** : وهم قوم غامضو الاصول ، الا انه كانت لهم شهرة واسعة في تاريخ مصر خاصة والهلال الخصيب (ومنه فلسطين) عامة. واسسوا مملكة باذخة من النيل الى الفرات لم تستمر أكثر من مائة وخمسين عاما من (١٧٣٠ ــ ١٥٨٠ ق.م) كما وجدوا متفرقين ، دون حكم ، نحو ستة قرون واكثر اقامتهم كانت بين يافا وغزة ولكنهم مع الزمن توزعوا في البلاد وذابوا في سكانها العرب .

٢ ــ **الحثيون** : من سكان آسيا الصغرى ومن الشعوب الهندية الاوروبية أسسوا امبراطورية واسعة وصلت في القرن الثالث عشر ق.م الى بابل شرقا ودمشق جنوبا . ولم يمتد حكمهم الى فلسطين ، الا ان جماعات قليلة منهم سكنتها وخاصة في جبال القدس والخليل ولكنها ذابت ايضا في سكان البلاد .

٣ ــ **الحوريون** : اصولهم غير محققة تماما ولو انه يرجح انتماؤهم الى الجنس الهندي الاوروبي. أسسوا مملكة زاهرة في القرن الخامس عشر ق.م في الجزء الشمالي من (ما بين النهرين). وقد اقامت جماعات منهم في جبال نابلس واخرى في شمالي فلسطين ولكن ظل عددهم محدودا ازاء الاكثرية العظمى من سكان فلسطين وهم الكنعانيون ومع مرور الزمن انصهروا فيهم .

٤ ــ **الفلسطينيون** : أصلهم من جزر بحر ايجه فروا من وجه الغزوات الهندية الاوروبية التي هاجمتهم من الشمال واستوطنوا ساحل فلسطين الجنوبي في القرن الثاني عشر ق. م واستطاعوا الانتصار على الكنعانيين المتمدنين الاقوياء الذين كانوا يقاومون ايضا غزوة العبرانيين من الشرق حتى استطاعوا الاستيلاء على الاراضي السهلية الواقعة بين الجبال والبحر واعطوا اسمهم للبلاد بأجمعها ولكن التأثير الكنعاني غلب عليهم فتكلموا لغتهم واقتبسوا طراز حياتهم واتخذوا ديانتهم ، الا ان سلطانهم زال بعد الغزو الاشوري وذابوا كما ذاب غيرهم في سكان البلاد الاصليين العرب الكنعانيين والعموريين وغيرهم .

الخلاصة :

لقد قدم المؤلف الادلة العلمية على أن جميع الاقوام والجماعات التي دخلت فلسطين غازية ومستوطنة لم تستطع ان تؤثر على طابعها العربي الاصيل ، فمنهم من احتل ثم رحل ومنهم من أقام وانصهر بالاكثرية العربية التي استوطنت البلاد منذ فجر التاريخ ولم تبرحها . وبين ما اثبتته الحفريات من رسائل تل العمارنة ولوحات ماري وتوزي ان معظم اسماء الاشخاص والحكام والمدن والجبال والسهول والانهار والمواقع المأهولة واماكن العبادة كانت عربية الاصول نتيجة للهجرات السامية (العربية) القديمة كما شرح كيف بقيت لغة الحديث والكتابة عربية الاصول كنعانية اولا ثم ارامية في الالف الاول قبل الميلاد وفي زمن المسيح ثم حلت محلها لهجة قريش بعد الفتوحات العربية الاسلامية .

هذا ولم يخل الكتاب على نفاسته من هفوات بسيطة لا تنتقص من قيمته ولا تضع من قدره ففي الخارطة (صفحة ١٠٩) يبدو نهر العاصي وكأنه ينبع من شمالي سورية ويصب في الشمال من مدينة صور والحقيقة انه ينبع الى الشمال من بعلبك ويصب قرب ميناء السويدية الى الغرب من انطاكية . أما نهر الليطاني فينبع الى الغرب من بعلبك ويصب الى الشمال من صور . كما ورد في (الصفحة ١٦٥) السطر (١٤) « مدينة جبيل شمال صيدا ومع صحة هذا القول فالادق ان يقال انها الى الشمال من بيروت والجنوب من طرابلس اذ انها تقع في منتصف الطريق بين بيروت جنوبا وطرابلس شمالا . كما جاء في (الصفحة ١٥٣) « ولم تمض خمسون سنة .. الخ » مع العلم ان المدة هي (٢٨ سنة) اذ أنها من (عام ٩٢٣ ــ ٨٩٥ ق. م) اي من موت الملك سليمان حتى استعادة اليبوسيين القدس .

هذا ، وفضل الكتاب عميم بما حواه من بحوث علمية دقيقة وحقائق مثبتة بالحجج الدامغة ، فحبذا لو ترجم الى عدد من اللغات الاجنبية الواسعة الانتشار ، فانه بدراسته الموضوعية وبعده عن كل هوى او غرض او دعاية ، كفيل بنشر الحقيقة الناصعة عن عروبة فلسطين امام الرأي العام العالمي وازالة برقع الدعاية الصهيونية المضللة .

قسطنطين خمّار

Inguar Rydberg, **Palestinsk Poesi,**
(Fibs lyrikklubb. Stockholm 1972)

هذه هي اول مجموعة من الشعر العربي تترجم الى اللغة السويدية ، بعنوان « شعر فلسطيني » ترجمها مباشرة عن العربية انغفار رودبيرغ ، الذي تعلم العربية في جامعة القاهرة عام ١٩٦٣ ثم واصل دراستها في السويد . ورودبيرغ هو احد الاسكندنافيين القلائل الذين يجيدون العربية وفي الوقت نفسه يعتبر « خبيرا » مطلعا على الشؤون العربية ، كتب يدافع عن القضية الفلسطينية في مناسبات عديدة وفي أكثر من صحيفة . ومن الجدير بالذكر ان رودبيرغ وضع عام ١٩٧٠ دراسة جامعية عن أدب غسان كنفاني والان يضع كتابا عن « الثورات العربية » .

يقول المترجم انه قرأ اكثر من ثلثمائة قصيدة لمختلف الشعراء الفلسطينيين اختار من بينها ثلاثا وثلاثين قصيدة لثلاثة عشر شاعرا (هم على التوالي : شاعر غير معروف ، محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، سالم جبران ، راشد حسين ، فدوى طوقان ، ابو سلمى ، محمد القيسي ، محمد عز الدين المناصرة ، موسى الصرواوي ، حسين حيدر) . وفي المقدمة يفسر المترجم دوافعه لنشر المجموعة هذه : « لقد آن الوقت في السويد لان نعطي الفلسطينيين انفسهم فرصة الكلام ، وان نسمع اصواتهم وآراؤهم مباشرة كبديل للصورة المشوهة التي تصلنا عبر الاخبار المبسطة والمختصرة في وسائل الاعلام » .

وفي تقديمه للمجموعة الشعرية ، يحاول انغفار رودبيرغ تعريف القارىء السويدي على الشعر العربي شارحا باختصار مقتضب ماهية القوافي والاوزان ويعطي فكرة عن غنى اللغة العربية بالمفردات وصعوبة الترجمة الى لغة فقيرة المفردات كاللغة السويدية .

ويحاول المترجم ان يرسم خلفية لتطور الشعر فيقول : « ان العرب واجهوا احداثا هامة في النصف الاول من القرن العشرين وكانوا بحاجة لاسلوب جديد يعبرون به عن مظاهر جديدة دون الالتزام باحكام الشعر الكلاسيكي . وكانت هزيمة ١٩٤٨ في فلسطين العامل الرئيسي الذي ساعد على التجديد والتحرر من اشكال التعبير التقليدية واللجوء الى الشعر الحر الذي تبلور كظاهرة أدبية في مطلع الخمسينات ... وبعد هزيمة ١٩٤٨ مباشرة ، ولفترة قصيرة ، ارتبك الشعراء الفلسطينيون ولم يستوعبوا الاحداث فاعتبروها ظاهرة وقتية مؤكدين على أن تحرير الوطن مهمة سهلة وقريبة التحقيق ... ولكن هذه الفترة كانت قصيرة اذ ما لبثت ان اكتسحت الشعر الفلسطيني موجة تشاؤمية دراماتيكية حالمة . ويمكن اعتبار فدوى طوقان ، وهي لم تكن من اللاجئين بل من الضفة الغربية ، أشهر شعراء جيل الهزيمة ... ومعين بسيسو ، وهو لاجيء من يافا ، كان ينحو في شعره الى القساء اللائمة على العرب الاخرين وزعمائهم ويتهمهم باللامبالاة تجاه القضية الفلسطينية .

« ولم يولد الشعر المعبر عن بعث الفلسطينيين بين (شعراء المنفى) ولكن بين اولئك الذين بقوا على أرض الهزيمة ، اسرائيل . اذ برز شعراء بين افراد شعب له جذوره العميقة في الارض ورغما عن السيطرة العسكرية الشديدة برز شعراء عبروا عن المقاومة والصمود والتفاؤل ...

« وتفاعل الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة مع احداث العالم العربي وخاصة حرب السويس واعلان الوحدة بين سوريا ومصر التي مثلت انطلاقا جديدا لامالهم . فبرز شعراء الصمود والتفاؤل في نهاية الخمسينات ومن اشهرهم محمود درويش وسميح القاسم » .

ويقول رودبيرغ بأن الاتجاه الثوري في البداية اتخذ شكل دعوة للخروج على تقاليد المجتمع وعاداته ، فمثلا محمود لم يتعد اكثر من الدعوة للخروج على بعض التقاليد العائلية معالجا العلاقة بين الاباء بالابناء والرجل بالمرأة وتطورت معالجته لموضوع حب المرأة الى معالجة لحب الوطن فلسطين كما في قصيدة (عاشق من فلسطين) .

ويضيف المترجم رودبيرغ « ان روح المقاومة المنبثقة من الاضطهاد والغربة هي نتيجة التزام تقدمي واضح المعالم عند معظم الشعراء العرب في اسرائيل مثل توفيق زياد وسليم جبران كما هو الحال مع درويش والقاسم ... وعبروا عن التزامهم السياسي بتفاعلهم على المستوى الدولي

معبرين عن مساندتهم لحركات التحرر في العالم » .

ويذهب المترجم في تحليله لشعر محمود درويش بقوله « ان رومانتيكية درويش جعلت منه ثوريا حالما اتخذت اشعاره في بعض الاحيان طابعا صوفيا ... وفي احيان اخرى أصبحت خليطا غريبا يجمع بين الماركسية والرمزية » .

بينما يصف شعر القاسم بكونه « ثورة ضد ما ارتكب بحق شعبه ومعبرا عن الفقر والجوع وعن حياة شعب يعيش قريبا من الموت ... ويقع القاسم في التناقض حين يعبر عن اعتزازه بالاجداد من ناحية وعن بأسه او حتى احتقاره لضعف وتحفظ الجيل السابق » .

وفي محاولة لتحليل ردود الفعل لحرب حزيران وتأثيرها على الشعر الفلسطيني يقول « ... انها تعتبر نقطة تحول للادب العربي وخاصة للشعر الفلسطيني . وفي الواقع لم تظهر تغيرات جذرية او جماعات لها شعارات جديدة ولكن الواقع كان صدمة عنيفة ادى بالشعر ان يحمل مضامين جديدة ... »

... وتجدر الاشارة الى أن مجموعة الشعراء الفلسطينيين في المنفى ، من اولئك الذين برزوا في اواسط الستينات صدموا بنتائج الحرب واصبحوا يشكون من مدى نجوع الكتابة .

وينهي رودبيرغ مقدمته القصيرة عن الشعر الفلسطيني بعقد مقارنة لردود الفعل لحرب حزيران بين شعراء المنفى والشعراء العرب في فلسطين المحتلة فيقول : « وفي الوقت الذي دفعت حرب حزيران شعراء المنفى الى ارتباك شبيه باليأس ، عن روح المقاومة والصمود والايمان بالمستقبل تبقى العامل المميز في انتاج الشعراء العرب داخل اسرائيل » .

وتجدر الاشارة الى ان المجموعة الشعرية هذه حظيت باهتمام الصفحات الادبية لمعظم الصحف السويدية التي اجمعت في امتداح اختيار المترجم للمجموعة الشعرية واعتبرتها بعدا جديدا يكمل الصورة الفلسطينية ... هذه الصورة التي لم تكتمل عند المجتمع العربي بعد .

سمير بوتاني

Ben Gourion Parle,
(Ed. Stock, Paris, 1971)

هذا الكتاب يضم مجموعة من التصريحات أدلى بها بن جوريون الى جماعة من السينمائيين ذهبوا الى سدي بوكر في النقب لالتقاط صور فلم خاص « لتاريخ حياة وعصر بن جوريون » .

يتحدث بن جوريون عن تاريخ حياته المقترن بتاريخ اسرائيل ، من طفولته ببلونسك في بولندا الى تقاعده وانزوائه بسدي بوكر في النقب ويدلي باراء عديدة تعكس تصوره لليهود وتشير الى مصادر ثقافته وطريقة تفكيره وتقييمه لدولة اسرائيل حاضرا ومستقبلا وتعطي فكرة عن مفهومه للسلم في المنطقة ونظرته للاجئين الفلسطينيين .

لن نتوقف هنا عند تفاصيل حياة بن جوريون(١) وسنقتصر على تبيين الخطوط المميزة لتفكيره وسياسته من خلال اقواله محاولين نقده والاشارة الى بعض اكاذيبه السافرة .

تشكل سياسة بن جوريون وطريقته في التفكير نموذجا يساعد على فهم الحركة الصهيونية ككل . لئن لم يكن بن غوريون منظرا مثل هرتزل فهو واحد من الذين بلوروا الفكرة الصهيونية وكرسوا حياتهم لتجسيدها . ان مفتاح شخصية بن غوريون هي طفولته . عندما ولد بن غوريون كانت فكرة الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها قد تبلورت ووجدت لها انصارا كثيرين في انحاء عديدة من اوربا الشرقية . كان افجدور جرين والد بن جوريون احد قادة حركة «احباء صهيون» في بلونسك . وكان بن جوريون الطفل يجلس ويستمع الى الحوار الذي يدور بين اتباع الحركة الذين كانوا يجتمعون في منزل والده . ليس غريبا اذن ان نسمع بن جوريون الشيخ يقول : « لا أكاد أذكر حقبة لم تكن فيها فكرة بناء ما كنا نسميه « أرض اسرائيل » ، العامل المسيطر في حياتي . لا ابالغ اذا قلت اني في الثالثة من العمر كنت احلم بالرحيل الى فلسطين ومنذ بلغت العاشرة كنت لا أتصور ان اقضي حياتي في مكان اخر . ان احداثا مختلفة في طفولتي قد وجهتني الى هذا السبيل . كنت في الثالثة من العمر عندما بدأ جدي يعلمني العربية [...] . عندما كنت استمع الى جدي يقص علي بعض الحكايات اليهودية التقليدية ، كنت أقول لنفسي : « بلونسك ليست وطني الحقيقي . اننا نعيش هنا وسط الاجانب. علي أن انزح الى ارض اسرائيل » . في نفس تلك الحقبة من حياتي قدم هرتزل الى مدينتنا الصغيرة [...] . لقد استقبله أهل بلونسك كأنه المخلص . كانوا يصيحون : « لقد جاء المخلص » . لقد كان لذلك تأثير عميق علينا نحن الاطفال [...] . منذ رأيته كنت على أهبة لترك كل شيء والسير وراءه الى ارض جدودي [...] . في تلك الفترة كان المناخ العام السائد في كل مناطق شمال — شرق الدانوب يحث يهود جيلي على الوصول بالامور الى نهايتها المنطقية : الهجرة الى أرض اسرائيل وبناء وطن يهودي فيها ، بينما كان أهلنا يقتصرون على الحديث عن ذلك ويحلمون وينتظرون تحقيقا سحريا للنبوءات القديمة دون تحريك ساكن . بهذا المعنى كان هرتزل « مخلصا » حقا ، اذ كان يكهربنا ، نحن الشباب ، باقناعنا بأن بناء « أرض اسرائيل » كان شيئا ممكن التحقيق . على أنه كان يضيف أن الشرط الاول لذلك هو أن نذهب هناك ونعمل بأيدينا . (ص ٤٢ — ٤٣) .

لا يخفي بن جوريون انه شخصيا لم يتعرض الى أي اضطهاد بصفته يهوديا . فصهيونيته ليست نتيجة مباشرة للاسامية بل هي حصيلة ثقافته الدينية من جهة وحصيلة التيار الصهيوني الذي كان ينادي بتجريد النصوص الدينية من طبيعتها الصوفية وتحقيق مضمونها الاساسي ، في نظره ، : العودة الى « أرض اسرائيل » ، من جهة اخرى . فبن غوريون يعرف اليهود ليس بالانطلاق من واقعهم كبشر ، كمواطنين في بلد معين بل من خلال كتبهم الدينية . ومن ثم رفض كل اندماج وكل تآزر وتضامن مع الشعوب المضطهدة، هي الاخرى ، التي يعيش بينها اليهود . « ان الكتاب المقدس هو انتدابنا » . هذه كلمة بن جوريون الاولى والاخيرة والتي ظلت جواد نزاله من بدء حياته السياسية الى تقاعده وشيخوخته

(١) راجع كتاب دافيد جوريون ، تأليف تهاني هلسة ، نشر مركز الابحاث ، بيروت ، نوفمبر ١٩٦٨ . فيه عرض واف لحياة بن جوريون ومواقفه السياسية طيلة ما يزيد عن نصف قرن.

رغم عدم تدينه الذي لا تفوته مناسبة للاعلان عنه. ولا غرابة في ذلك ، اذ أن تلميذ هرتزل يستطيع أن يجوب الارض كلها دون ان يجد رابطا آخر يربط يهوديا اميركيا الى يهودي يمني او يهوديا بولنديا الى يهودي مغربي . فالكتب المقدسة هي كل ثقافة اليهود طالما يريد ايديولوجيو الصهيونية عـزل اليهود عن بقية الانسانية . فعندما يتحدث بـن جوريون عن يهودي من الدياسبورا يميز بين حياة الشخص كيهودي وحياته كمواطن يعيش في بلد ما. ويرى أن اليهودي يبقى دائما مزدوج الحيـاة وناقصها طالما لم « يرجع الى ارض الميعاد » . اما الاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه الفـرد « اليهودي » فهو الفناء نفسـه في نظـر بن جوريون .

واضـح ان الكتب المقدسة ليست الا اداة يستعملها الصهاينة بدراية وحنكة لتعميم وعـي زائف لمشاكل الانسانية بصفة عامة ومشاكـل الاقليات اليهودية في البلدان المختلفـة بصفـة خاصة . وبن جوريون هو في نفس الوقت جـلاد وضحية هذا الوعي الزائف ، ضحية الايديولوجيا السياسية التي ، مثل الانفصام النفسي ، ليست الا نتيجة لفقدان السيطرة الجدلية على الواقع .

عندما يصبح الانسان أسير تفكير لا عقلاني من هذا النوع فانه لا يتورع عن أي نوع من الكذب والتضليل . كل وسيلة تصبح صالحة لتحقيـق الغاية . فالايديولوجيا الدينية — القومية المتهافتة عندما تنزل الى الارض تصبح مجرد تزوير للوقائع والحقائق التاريخية . وعندما تتسلـح هـذه الايديولوجيا تصبح مجرد عدوان . ويرجع هـذا العدوان بدوره الى مصدره الايديولوجي باحثا عن تبرير لنفسه .

وفيما يلي نماذج لهذا التزوير اللاواعي أحيانا والمتعمد في أغلب الاحيان : « في سنة ١٩٠٦ كانت يافا الباب الرئيسي لدخول فلسطين عندما يأتي المؤمن من الغرب . وبما أن البلاد نفسها كانت احدى نواحي الارض المجهولة ، كـان بابها ، بالطبع ، متواضعا ! [...] كان الوافد عليها يرى باعة تركيين ، فرنسيين ، وانجليز ، تجارا ارمنيين ، بعض عمال الموانىء ، وبعض المتسولين العرب ... » (ص ٥٧) .

« كانت القدس بلدة بائسة تتعاقب فيها الاكواخ القذرة والاثار المتداعية للسقوط . كانت ارض ما يسمى فلسطين تكاد تكون جدباء في كل اطرافها . لم يكن فيها من السكان سوى بعض القبائـل الرحل التي تجوب المناطق الاكثر فقرا في الشرق الاوسط دون احترام للحدود الموضوعية ... » (ص ١٢٩) .

ومن هذا يستنتج بن جوريون ان الفلسطينيين العرب لم يحبوا هذا البلد ابدا وانه « منذ نهاية حكم اليهود لهذا البلد لم ينجح اي شعب آخر في فعل شيء يذكر فيه . لست ادلي هنا بتصريحات « وطنية » او ميتافيزيقية ، انني اشير الى واقع ملموس . لم تكن اسرائيل دولة حقيقية ، مستقلة وقادرة على البقاء الا بين ايدي يهودية » (ص ١٣١) . « كلما حكم اليهود اسرائيل طفحت الارض بالحياة وكلما اخرجوا منها بقيت جدباء » (ص ١٣٢) . وعندما ينطلق بن جوريون من هـذه « الحقيقة » فانه لا بد ان يصـل الـى ان الفلسطينيين ليس لهم ادنى حق على هذه الارض. « انني واع كل الوعي بالحب الذي يكنه كـل انسان ازاء بلده الخاص . لكن عندما تعلن الدول العربية والوطنيون الفلسطينيون المزعومون بعد عشرين عاما أن السكان العرب كانوا دائمـا يعتبرون فلسطين كوطن لهم وأن لهم حقوقا عليها كوطن ، فان هذا الادعاء لا يمكن ان يؤخذ مأخذ جد [...] . ان من يريد حججا اضافية على انعدام العاطفة القومية الحقيقيـة [عنـد الفلسطينيين] فان التاريخ الحربي كفيل بذلك [...] ان الجندي اليهودي يشعر انه مسؤول على الدفاع عن هذا البلد الذي يعلم انه الوطن الوحيد الذي يمكن ان يكون له. لكن الفلسطيني لا يظهر اي عاطفة من هذا النوع . ولم يشعر بذلك؟ انه يشعر بنفس الراحة سواء في الاردن ، في لبنان او في غير ذلك من البقاع . » (ص ١٣٦).

ولنستمع الى بن جوريون يتحدث عما حققـه « الرواد اليهود » (وهـو يقـارنهم بـالرواد الاوروبيين الذين اكتشفوا اميركا) في هذا البلد المهجور ، الموبوء ، القفر . علاوة على احيـاء هذا القفار فان الرواد اليهود قد خلقوا بواسطـة الكيبوتزات « أشكالا ثورية للحياة الجماعية » . ويستطيع بن جوريون ان يقول « دون ان يتهم بالمبالغة ان التجربة الاجتماعية التي يمثلها الكيبوتز جديرة بأن تكون مثالا يحتذى به في بلدان عديدة. اذ أنها المثال الوحيـد الموجود اليوم لشكـل ديموقراطي للاشتراكية . حيث تستعمل احـدث

الطرق الاقتصادية مع المحافظة على احترام الفرد وعلى حقوق الانسان » . لا شك ان كون الارض التي تكونت فوقها الكيبوتزات ارضا مغتصبة لا يغير معطيات القضية في نظر بن جوريون . هذا اذا سلمنا بحقيقة الطابع الثوري للكيبوتزات . اما اذا حكمنا عليها انطلاقا من واقعها فان تصريحات بن جوريون لا تعدو أن تكون مجرد ادعاءات . لسنا نعرف بالضبط رأي بن جوريون في حركة الشباب الاسرائيلي الذي بدأ يدرك حقيقة الكيبوتزات ويثور عليها . لكنه ليس من باب المجازفة ان نتكهن بانه يعتبرها مجرد خيانة .ورغم ذلك الابداع الثوري الذي يتحدث عنه بن جوريون فانه يركز على ارتباط الكيبوتزات بالجيش منذ البداية . لكنه يعزو ضرورة التسلح وتكوين «جيش الدفاع» الى العقلية المتخلفة التي تميز العرب الخاضعين الى « تقاليد صلبة والى قوانين دامية » (ص ٦٩) . لا شك ان نفس هذه العقلية هي المسؤولة عن كل الحروب التي نشبت في المنطقة منذ تأسيس دولة اسرائيل . لكن رغم كل شيء فان بن جوريون المسالم بطبعه لم ييأس من السلم. فهو لا يشك « ان يوما ما سوف تحل مشاكلنا مع جيراننا . ان أجيالا جديدة هي الان بصدد النمو في اسرائيل وفي البلدان العربية . سوف يجد الشبان تفاهما لم يجده اباؤهم واجدادهم لانهم سوف يكتشفون اشياء مشتركة تربط بعضهم ببعض ، خاصة جذورهم المتأصلة في نفس المنطقة من الكرة الارضية . هل سيقبل الشبان العرب ان يستمر النزاع الدائم مع اسرائيل باسم حرب مقدسة مشبوهة وغامضة الاهداف فوق أنها تهدد نمو بلدانهم » . ان ثقتي بارادة الشباب المعادية للتقاليد اكبر من أن اعتقد في استمرار هذا النزاع » . (ص ١٧٩ ــ ١٨٠) .

لئن كنا لسنا أقل ثقة من بن جوريون في ارادة الشباب المعادية للتقاليد فاننا لا نشاطره الرأي عندما يحدثنا عن نوع السلم الذي يوجه اليه الشباب . « اننا لم نشن حرب ابادة ضد العرب الذين دخلوا تحت سلطتنا بعد حرب الايام الستة ، بل بذلنا كل ما في وسعنا للرفع من مستوى معيشتهم . ان يقيننا يزداد يوما بعد يوم في أن هؤلاء السكان لن يواصلوا الحرب ضدنا . لقد امتنعنا عن اجراء اي تغيير على حكومتهم المحلية كلما أمكننا ذلك . لقد أصغينا الى شكاويهم وبذلنا كل جهودنا لمساعدتهم . انهم يتمتعون بحرية التردد على اماكن عبادتهم وبامكانهم ان يبقوا مسلمين طيبين مع احترامهم لقدر أدنى من القوانين التي نرى أنفسنا مضطرين الى اخضاعهم اليها . بصفتهم سكانا أسرى فانهم يعاملون معاملة ممتازة (...) . بامكاننا ان نفخر بالنضج ، بالتعقل والارادة الطيبة التي برهنا عليها في علاقاتنا بهؤلاء العرب » (ص ١٩٥) .

لسنا بحاجة الى الرد على تصريحات بن جوريون هذه ، فان الاحداث الاخيرة في اسرائيل تتكفل بذلك . ان أقوال وأفعال الشباب الاسرائيلي الثائر على الظلم الذي يمارس على مرأى ومسمع منه هي خير رد على بن جوريون . لا شك ان بن جوريون يعزو هذه التصرفات الى طيش الشباب أو الى خيانته للقضية الصهيونية . لكننا لا نظن ان بن جوريون يستطيع ان يحكم نفس الحكم على الـ ٦٨ ٪ من الاسرائيليين الذين يعتقدون انه لن يكون هناك أي سلم ما لم تحل المشكلة الفلسطينية، فضلا عن الـ ٧٢ ٪ من الذين تتراوح اعمارهم من ١٨ الى ٢٩ عاما والذين يرون نفس الرأي . (حسب تحقيق في الرأي العام أجري اخيرا ونقله اللوموند الدبلوماسي في عدد يناير ١٩٧٣) .

محمد شعيرات

يقوم الباحث فارس المنصور بكتابة بحث عن المناضل ابراهيم ابو دية لينشر في « شؤون فلسطينية » ولذا يرجو من جميع الذين عرفوا أبو دية معرفة وثيقة في أية مرحلة من مراحل حياته ان يتصلوا به بواسطة هذه المجلة لمده بمعلوماتهم عن هذا المناضل .

نجدة فتحي صفوة ، بيروبيجان : التجربة السوفياتية لانشاء وطن قومي يهودي (مركــز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، ١٩٧٣)

قليلة هي الدراسات والابحاث التي تركزت حول المسألة اليهودية ومحاولة حلها كمــا تمثلت فــي تجربة الاتحــاد السوفيــاتي في انشاء وطــن قومي يهودي يكون « قومي الشكل واشتراكــي المحتوى » ، وذلــك عــن طريــق تخصيــص احــدى المقاطعات السوفيــاتية وتوطينهم فيها . وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف اطلاع القــارىء العربي على هذه التجربة التي تركزت حول حل المسألة اليهودية في الاتحاد السوفياتي بشكــل خاص ، عن طريق انشاء وطن قومي لليهود في احدى مقاطعات الاتحاد السوفيــاتي الواقعة في الجزء الاسيوي. وهي ما يطلق عليه اسم بيروبيجان التي تقع على حدود الصين . ولقد انتهت هــذه التجربة الى الفشل .

ان السؤال الاساسي الذي يجدر طرحه هو: لماذا فشلت تجربة بيروبيجان في حل المسألة اليهودية ؟ واستطرادا لماذا نجحت الصهيونية في انشاء الكيان الصهيوني ؟ يورد الكاتب الاسباب التالية لفشل تجربة بيروبيجان : « ان اليهود بطبيعة تكوينهم الاجتماعي — الاقتصادي منذ اجيال وقرون هم من سكان المدن ، والمدن الكبيــرة بصورة خاصة . وبينما يعيش ٤٥ بالمئة من سكان الاتحاد السوفياتي في المناطق الريفية ، فان ٩٦ بالمئة من اليهود يعيشون في المدن . وبالرغم من انطواء اليهود على أنفسهم في احياء خاصة في المدن التي وجدوا فيها، فانهم لا يستطيعــون ان يعيشوا بعضهم علــى بعض ، وانما يعيشون على غيرهم بواسطة تجارتهم وخدماتهم وحرفهم ومهنهم. ولذلك فانهم لا يمارسون اعمالهم اليومية في احيائهم الخاصة دائما، وانما ينتشرون في انحاء المدن كلهــا ولا يتجمعون في احيائهم الا للسكنى . وهذا التكتل الذي تعودوا عليه كان نتيجة الاضطهادات التي تعرضوا لهــا خلال تاريخهم ، مما جعلهم يجدون في التجمع مزيدا من الامن ، وتقليلا من احتمال التعرض للاعتداء ، وذلك فضلا عن الغريزة التي كان بعض علمــاء الاجتماع يسمونها « غريزة التجمع » التي تجعل ابناء القومية الواحدة او الديانة الواحدة يتكتلون في منطقة سكنية واحدة . وبالاضافة الى ذلك فان اليهود لا يميلون الى الزراعة (وبيروبيجان اراض زراعية بالدرجة الاولى) . وقد ابتعدوا عنها منذ عهود بعيدة . وربما كان ذلــك نتيجة لتعودهم السكنى في المدن . فهم كما قــال خروشوف ، « خياطون وقاطعو زجاج ومجوهرات ، انهم تجار وصيادلة ونجارون » . ولكــن قلما وجد حمال يهودي او عامل بناء او فلاح . وقد وصفهم كاتب أكثر مجاملة بأنهم يفضلون العمل بأدمغتهم وأناملهم أكثر من عضلاتهم . ولذلك كان ترحيل اليهود الى مقاطعة خاصة بهم : مقاطعة ارضها بكر وليس فيها مساكن ولا طرق او جسور ليقوموا ببنائها بأنفسهم ، يقتضي قيام اغلبيتهم بأعمال جسيمة مرهقة ، سواء أكانت في الزراعة ام في البناء ام في شق الطرق وبناء الجسور واقامة المصانع وقطع الغابات وغير ذلك من الاعمال التي هي غريبة عما تعودوه ونشأوا عليه من اعمال ، وذلك ما لم يرغبوا فيه ، فصدوا عنه . ان اليهود الذين تدفقوا على امريكا لم يذهبوا اليها بقصد الحفاظ على يهوديتهم بقدر هربهم من الاضطهادات والمذابح التي تعرضوا لها في العهد القيصري . ولكنهم حين هاجروا لم يقصدوا مناطق خالية ليبنوها ، ولم يذهبوا الى مناطق زراعية ، بل ذهبوا الى المدن الكبيرة التي توفر لهم امكانيات واسعــة لممارسة الاعمال والمهن التي تعودوا عليهــا منذ اجيال واجيال . ويظهر من دراسة اعدتها دائرة النفوس الامريكية عن المجموعات الدينية فــي الولايات المتحدة في سنة ١٩٣٦ « ان ٧٨ بالمئة من مجموع اليهود يقيمون في اكبر ١٤ مدينة في الولايات المتحدة».

ان ما أورده الكاتب هو السبب الرئيسي لفشل تجربة بيروبيجان . وتقع المسؤولية فيه ، بالدرجة الاولى ، على اليهود . اما الاسباب الاخرى والتي تأتي بالدرجة الثانية فهــي التخطيط السيــىء للمشروع من جانب الحكومة السوفياتية مما ادى الى رجوع اعداد كبيرة من المهاجرين اليهود الذين ذهبوا الى بيروبيجان للتوطن ، وانتشار اخبار ذلك بين اليهود مما ادى الى احجام الكثيرين عن الذهاب الى بيروبيجان متأثرين بدعايات اليهود الراجعين منها وخوفا لما تعرض له اولئك من صعوبات . ومنها موقف الحــركة الصهيونية مــن المشروع ودعاياتها المثبطة هذه . فقــد كان الصهيونيون يريدون استعمار فلسطين ويرون في المشروع نسفا لمخططاتهم ولذلك شنوا عليه حربا لا هوادة فيها . قبل الشروع في مناقشة الرأي الذي يورده الكاتب

حول فشل مشروع بيروبيجان ، ارى أن أورد نصا للاستاذ ناجي علوش ورد في كتابه « الماركسية والمسألة اليهودية » . يقول : ان فشل تجربة بيروبيجان يعود الى سبب رئيسي واحد وهو ان المشروع كان يستهدف انشاء منطقة ذات حكم ذاتي يهودية « اشتراكية » في ظل الدولة السوفياتية، وان قسما كبيرا من اليهود وعلى رأسهم كهنتهم ووجاهاتهم ، يناصب الحكومة السوفياتية العداء، لانها أرادت ان تجعل منهم أميين اشتراكيين وان تجردهم من « يهوديتهم المتحجرة » المتمثلة في طبيعة تكوينهم الاجتماعي والثقافي . « كان اليهودي يريد ان يظل يهوديا على طريقته وكانت الدولة تريد ان تجعل منه مواطنا عاديا . كانت تريد ان تتمثله ، حتى عندما كانت توافق على خلق منطقة يهودية ذات حكم ذاتي . ولم يكن اليهودي يريد ان يصبح مواطنا سوفياتيا ولا ان يكون له حكم ذاتي سوفياتي . ولهذا رفض المشروع الذي اقترحه وعمل من اجل تحقيقه رفاقه اليهود الشيوعيون الذين كانوا على قلتهم اكثر استعدادا من اليهودي العادي للخروج من قوقعة اليهودي التقليدي » . ويرفض الكاتب هذا التعليل لان « اليهودي الذي رفض الذهاب الى بيروبيجان كان يعلم انه سيبقى في منطقة اخرى من الاتحاد السوفياتي وسيظل في ظل نظام اشتراكي سوفياتي . بل انه كان في هذه الحالة اكثر عرضة للاندماج او التمثل فيما اذا عاش كأقلية بين شعوب ذات اعداد عظيمة . ولو كان لليهود الخيار بين مغادرة الاتحاد السوفياتي او الذهاب الى بيروبيجان لصح ذلك الرأي . ولكن طالما لم يكن لهم مناص من العيش في ظل نظام سوفياتي اشتراكي ، فقد كان من الافضل لهم ، اذا هم أرادوا الحفاظ على يهوديتهم ، ان يتكتلوا في منطقة واحدة يكونون أكثرية فيها » .

ان ما يذهب اليه الاستاذ صفوة صحيح.فتحجر اليهود وانغلاقهم يرجع الى أسباب اجتماعية اهمها الاضطهاد الذي تعرضوا له ابان الحكم القيصري . اما وقد قام النظام الاشتراكي الجديد في روسيا برفع كل القيود المفروضة على اليهود وحاول حل مشكلتهم اسوة بباقي القوميات والشعوب المضطهدة في روسيا ، فقد فترت حماستهم للهجرة والتوطن في مكان اخر لان العنصر الدافع للهجرة ، وهو عنصر الاضطهاد قد انتهى بمجيء النظام الجديد . ولو كان الامر ترسيخ تحجرهم لكان ذلك ممكنا في منطقة واحدة يتجمعون فيها ، اكثر مما هو ممكن لو انتشروا في عدة مدن .

ان عدم حماسهم للذهاب الى بيروبيجان يعود الى الظروف الاجتماعية والتاريخية لليهود . لقد احترفوا المهن ولم يعملوا في الزراعة . ففضلوا العمل « بادمغتهم وأناملهم اكثر من عضلاتهم » . ظروفهم المادية الاقتصادية والاجتماعية كانت تتعارض مع نوعية الاعمال التي كان من المفترض أن يقوموا فيها في بيروبيجان . المقاطعة اراض زراعية واليهود لم يتعودوا هذه الاعمال . وقد حلل الزعيم السوفياتي الراحل نيكيتا خروتشيف الدوافع التي جعلت اليهود يحجمون عن الهجرة الى بيروبيجان . وهو يؤكد الرأي الذي يعتبر ان ذلك يعود الى أسباب مادية اجتماعية وليست « لطبيعة التحجر » الكامنة في اليهود ، قال خروتشيف :

« ان التوطين في بيروبيجان كان فاشلا . انهم يذهبون اليها متحمسين ثم يغادرونها واحد بعد آخر . كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟ في رأيي انها الى الظروف التاريخية ، فاليهود منذ أقدم الازمنة فضلوا الحرف : فهم خياطون وقاطعو زجاج ومجوهرات انهم تجار ، وصيادلة ونجارون . ولكن خذ حرفة البناء او الصناعات المعدنية فانك لن تجد فيها يهوديا واحدا » .

من هنا ، اذا كان اليهود لم يتعودوا الزراعة والاعمال الشاقة ، فلماذا نجحت الحركة الصهيونية حيث فشل الاتحاد السوفياتي ؟ بكلمة اخرى ، اذا كانت بيروبيجان ارض زراعية وقد قدمت الحكومة السوفياتية كل التسهيلات لتوطين اليهود ولم تنجح التجربة للاسباب الانفة الذكر ، فلماذا نجحت الحركة الصهيونية في اجتذاب اليهود الى فلسطين ، مع العلم ان فلسطين ارض زراعية وتحتاج للعمل الشاق في الزراعة والصناعة والبناء ؟

ان الاجابة على هذا السؤال معقدة وتدخل في صميم الفكر الصهيوني . ولكن دون الوقوع في التبسيط والسهولة ، يمكن القول ان الاضطهاد النازي قد شكل عنصر « استقطاب » لليهود للهجرة الى اسرائيل . بالاضافة الى ان زعماء الحركة الصهيونية قد وعوا اهمية الزراعة والارض كعامل من عوامل « تثبيت » اقدام المجتمع القومي اليهودي في فلسطين . فمن دراسة تجارب اليهود

التاريخية والتجربة الصليبية في فلسطين ، اتضح لزعماء الحركة الصهيونية منذ وقت مبكر ان الزراعة والارض وعدم تمسك اليهود بها تاريخيا كان أحد اسباب ضعفهم وسهولة تشتتهم ، كما بينت لهم التجربة الصليبية انه رغم نجاح الصليبيين في احتلال فلسطين او معظمها عسكريا لمدة مئتي عام تقريبا انتهى بالفشل لنفس السبب وهو عدم الاستعمار الزراعي.لذلك نجد الفلسفة الصهيونية تقدس العمل الزراعي اليدوي وتغرس حبه في نفوس الاطفال والشبيبة اليهودية . وعلى هذا الاساس نجحت التجربة الصهيونية الاستيطانية على أرض فلسطين لانها « عودت » اليهود على اعمال الزراعة والاعمال الشاقة بصورة عامة وكونت مؤسساتها على هذا الاساس ، بينما فشلت تجربة بيروبيجان لان الظروف التي نفذت فيها لم تتجه في المنحى ذاته .

وهذا يجرنا الىالسبب الثاني الذي يورده المؤلف وهو التخطيط السيء للمشروع . ويعزو الاستاذ ناجي علوش في كتابه « الماركسية والمسألة اليهودية » اخفاق المشروع في تحقيق اهدافه الى موقف الحزب والدولة في الاتحاد السوفياتي . « فلو أراد ستالين حشد اليهود في بيروبيجان لاستطاع أن يقوم بذلك ، وهو الذي اجرى تنقلات واسعة داخل الاتحاد السوفياتي » . ولكن هل المسألة تتعلق بارادة ستالين ورغبته ؟ لقد جاء في وثائق مؤتمر يالطا ان ستالين أبلغ روزفلت ان المسألة اليهودية صعبة جدا وان الاتحاد السوفياتي حاول انشاء وطن قومي يهودي في بيروبيجان ، ولكن اليهود، وهم تجار بطبيعتهم ، لم يبقوا هناك اكثر من سنتين او ثلاث سنوات ثم تفرقوا منها . برأيي ان هذا الراي جد منطقي . اذ انه برغم ان المنطقة بعيدة وتخطيط المشروع كان سيئا الى حد كبير ، الا ان الحكومة السوفياتية أعطت اليهود تسهيلات اكثر مما أعطت لافراد أية قومية اخرى . وهذه التسهيلات تراوحت من تمليك الارض الى مدهم بالمساعدات المالية . قد يكون من الممكن ان ستالين كان سرا ضد المشروع ، ولكن في نهاية الثلاثينات وخلال سني الحرب ، لم تعد لليهود الذين لهم اعمال مصلحة في الانتقال . لماذا يغادر شخص كيف او فينيتسا مكانا يعيش فيه منذ زمن طويل ويترك عمله الدائم ومعارفه ؟ ان اللوم لا يعود بالدرجة الاولى على موقف الدولة والحزب في الاتحاد السوفياتي لان فشل المشروع يعود للاسباب التي ذكرت آنفا ، وان كان الموقف الرسمي، وخصوصا موقف ستالين ، غير مشجع ، غير أنه كان في الدرجة الثانية ولم يكن اساسيا . وقد تكون هناك أسباب اخرى . ولكن لا يمكن القاء اللوم على السلطة السوفياتية لان عشرات الالوف وليس مئات الالوف ذهبوا الى بيروبيجان .

وهناك رأي ينسب فشل تجربة بيروبيجان لاسباب تتعلق بعدم وجود أساس تاريخي وروحي في بيروبيجان يجذب اليهود اليه . وهو ادعاء الحركة الصهيونية التي حاربت المشروع بضراوة . ولكن ما يدحض هذا الادعاء أن حوالي مليون يهودي روسي هاجروا الى الولايات المتحدة بين سنتي ١٨٨١ و١٩١٤ مع العلم انه ليس في اميركا أساس تاريخي وروحي يجتذب اليه اليهود . فالهجرة الى اميركا كانت بدوافع اقتصادية . اذ أن اليهود ابان الحكم القيصري كانوا في حالة اضطهاد شديدة وكانوا يعانون اشد الوان الفقر والتمييز ، لذلك كانت هجرتهم الى اميركا .

من هنا ، ارى أن ما يذهب اليه الكاتب في تحليله لفشل المشروع صحيح . فالمسؤولية في فشل مشروع بيروبيجان تقع على اليهود انفسهم بالدرجة الاولى . ولم يتجاوبوا معه بدرجة تكفي لنجاحه . فقد كانت اعداد المهاجرين منهم الى بيروبيجان قليلة بالنسبة الى مجموع عددهم في الاتحاد السوفياتي من جهة والى حالتهم وظروف معيشتهم من جهة اخرى خاصة في الفترتين اللتين اعقبتا ثورة اكتوبر والحرب العالمية الثانية .

أما لماذا لجأت الحكومة السوفياتية الى انشاء وطن قومي لليهود مع أن لينين كان يرى أن اليهود لا يشكلون « امة » فتلك مسألة تستوجب التوقف عندها بعض الشيء . لقد نادى لينين « بحق الامم في تقرير مصيرها » ، وبالرغم من ان تصريحات لينين وستالين قبل الثورة لم تعتبر اليهود « امة » ، فان السياسة التي سارت عليها الحكومة السوفياتية اتاحت لليهود فرصة النمو قوميا ضمن الدولة الاشتراكية . لذلك استصدرت عام ١٩٢٨ قانونا باعطاء بيروبيجان صفة « دائرة قومية يهودية » ثم رفعتها الى صفة درجة « مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي » وذلك من ضمن الشعار الذي نادى به لينين وهو « حق الامم في تقرير مصيرها » .

وقد استهدفت الحكومة السوفياتية من مشروع بيروبيجان ثلاثة اهداف رئيسية : حل المسألة اليهودية في الاتحاد السوفياتي وكسب عطف يهود العالم ، وتوطين الشرق الاقصى السوفياتي لاعتبارات استراتيجية واقتصادية . وقد فشلت تجربة بيروبيجان في تحقيق الهدفين الاولين وقد كان واضحا في نهاية عام ١٩٣٨ حيث لم يبق في بيروبيجان اكثر من عشرين الف يهودي اي ما يقارب عشرة بالمئة من مجموع سكان المقاطعة التي تتكون اغلبيتهم من الاوكرانيين . وقد منحت المقاطعة صفة « يهودية » رغم ان أكثريتها ليست يهودية ، من أجل تشجيع الهجرة اليها .

أما الهدف الثالث فقد نجحت فيه الحكومة السوفياتية هادفة الى استغلال اراضي الجزء الاسيوي من الدولة ، ولاهداف عسكرية اخرى تتعلق بخطوط التموين والكثافة السكانية في حال تعرض تلك المنطقة لغزو خارجي .

ان الاهداف الثلاثة للمشروع كما وضعته السلطات السوفياتية لم تسر جنبا الى جنب منذ البداية . فلم يكن هدف المشروع ، في عقل الذين وضعوه ، حل مشكلة الجزء الاسيوي من الاتحاد السوفياتي القليل السكان ، بقدر ما كان حل المشكلة اليهودية . والجدير بالذكر ان اختيار منطقة بيروبيجان قد تم بعد سلسلة محاولات لتوطين اليهود في جنوب اوكرانيا وفي شبه جزيرة القرم مع ما رافق ذلك من انشاء منظمات خاصة لهذا الغرض . ولم تشعر السلطات السوفياتية بالارتياح لتوطين اليهود في المزارع التعاونية في اوكرانيا والقرم لان هذه المزارع اصبحت مراكز للدعاية الدينية ، ولان الفلاحين هناك قد شعروا بالغيرة من جراء هذا التميز . لذلك اتجهت الانظار صوب بيروبيجان . اضف الى ذلك ان ستالين أخذ يشعر بعدم الاطمئنان الى ولاء اليهود التام للاتحاد السوفياتي وقد وجد من الافضل عدم تركيز اليهود في منطقة استراتيجية مثل اوكرانيا او القرم. وبسبب ذلك الدعاية الصهيونية المضادة والتي أخذت تنتشر بين يهود الاتحاد السوفياتي ووجود بؤر صهيونية فيها مثل جماعات « عشاق صهيون » التي انتشرت فروعها في جميع المناطق التي كان يوجد فيها اليهود وكان رئيسها « ليو بنسكر » مؤلف كتاب « التحرير الذاتي » ورائد الفكرة الصهيونية بين يهود روسيا في شكلها الحديث .

قلت ان اهداف المشروع الثلاثة لم تسر جنبا الى جنب لان الاسبقية في المشروع كانت لحل المشكلة اليهودية . ولكن بعد أن اعرض اليهود عن التجاوب مع المشروع ، انصب جهد الحكومة السوفياتية على تنمية تلك المنطقة لاغراض استراتيجية ودفاعية .

تبقى نقطة اخيرة أرى انه من المهم التركيز عليها وهي موقف الصهيونية من المشروع .وبالرغم من أن الكاتب يفرد فصلا خاصا لعرض اراء الذين وقفوا ضد المشروع ، فان هذا العرض لم يأت ضمن اطار محدد يعرض فيه تأثير هذه المعارضة في نتائج المشروع ومدى قدرة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي في التأثير على اليهود .

لماذا عارضت الصهيونية المشروع ؟ وما هي الاهداف التي كانت تتوسلها ؟ . لقد دحض الكثير من الكتاب السوفيات ، اليهود منهم وغير اليهود، مزاعم الصهيونية واعتبروا ان هذه الحركة رجعية وبورجوازية صغيرة تهدف الى تحويل اهتمام الجماهير اليهودية عن النضال الطبقي الذي كان بنظر الصهيونية الوسيلة المثلى لانقاذ البروليتاريا اليهودية ، بينما هو في الحقيقة وسيلة توفر للبورجوازية اليهودية الاوروبية الطاقة البشرية لتحقيق اطماعها على أرض فلسطين .

لقد تمكن المؤلف من عرض مشروع بيروبيجان عبر سلسلة من الارقام والوقائع والكتابات والتصريحات الصادرة في الاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع. وهو قد استفاد من عمله كممثل للعراق في الاتحاد السوفياتي لمدة ثلاث سنوات لتقديم هذه المادة التي يعرف عنها القارىء العربي القليل . الا ان الكتاب قد افتقر الى عنصر اساسي الا وهو غياب دراسة واضحة ، ولو محدودة ، للاسباب التي جعلت التجربة الصهيونية تنجح في استقطاب اليهود الى فلسطين بينما فشلت سلطات الاتحاد السوفياتي في اجتذابهم الى بيروبيجان . ومع أن الكاتب قد قدم صورة تاريخية لوضع اليهود في الاتحاد السوفياتي ولواقع بيروبيجان ، الا ان معلوماته جاءت بهدف « العرض التاريخي » والتعريف بتجربة بيروبيجان . ولو أنه افرد فصلا خاصا في نهاية كتابه يحلل فيه واقع يهود الاتحاد السوفياتي ورفضهم لمشروع بيروبيجان وحماسهم الان للهجرة الى اسرائيل ، لاضاء بذلك الطريق حول هذا الموضوع الهام .

جورج أبي شاهين

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

قمة عدم الانحياز انعكاس للزمن الفلسطيني

بين اول قمة غير منحازة عقدت في بلجراد في العام ١٩٦١ ورابع قمة انعقدت في الجزائر في ايلول ١٩٧٣ كان الزمن الفلسطيني (خاصة بين القمة الثانية في القاهرة ١٩٦٤ والقمة الرابعة) مكثفا مليئا انسكبت حوادثه ضخمة تاريخية ذات مدى غيرت معالمه ومعطياته التي اصبحت حادة النتوءات غير خاضعة لقانون الرتابة البليد الذي حكم الزمن الفلسطيني في عهد « ما بين النكبة والثورة » عندما كان هذا الزمن الرتيب لاجئا ذا بطاقة تموين . وقد انعكست معطيات التاريخ الفلسطيني في عهد ما بعد الثورة انعكاسا مرئيا بوضوح في قرارات المؤتمرات المتتالية بين القمتين الاولى والاخيرة . فبينما اعلن المؤتمر الاول (١٩٦١) تأييده **لاستعادة الحقوق الكاملة لشعب فلسطين العربي في ضوء ميثاق الامم المتحدة وقراراتها** ، مع الانتباه بشكل خاص الى قرارات الامم المتحدة (منها قرار التقسيم ١٩٤٧) التي رفضها شعب فلسطين ، نجد ان قرار المؤتمر الثاني ١٩٦٤ (عقد بعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية باشهر قليلة) يعرب عن تأييد المؤتمر « لاستعادة شعب فلسطين العربي **لجميع** حقوقه الكاملة **بما في ذلك حقوقه الاصيلة والثابتة في تقرير المصير** » . وقد كان واضحا ان النص على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني كان خطوة متقدمة على قرار المؤتمر الاول الذي حصر حقوق الشعب الفلسطيني ضمن اطار قرارات الامم المتحدة . غير انه مع تفجر النضال الفلسطيني المسلح في العام ١٩٦٥ ثم تصاعده واتساعه بعد العام ١٩٦٧ دخلت قرارات مؤتمرات دول عدم الانحياز موضوعة جديدة متجاوبة تماما مع واقع جديد فرض نفسه فرضا على هذه القرارات . تلك الموضوعة هي التعبير عن تأييد نضال الشعب الفلسطيني التي برزت اول مرة في قرار المؤتمر الاستشاري لدول عدم الانحياز الذي عقد في بلجراد في تموز ١٩٦٩ فقد أعلن المجتمعون « تأييدهم الكامل للشعب الفلسطيني في كفاحه من اجل التحرر من الاستعمار والعنصرية ومن اجل استعادة حقوقه »، كما تأكدت أكثر من مرة بعد ذلك في المؤتمر التحضيري لدول عدم الانحياز في دار السلام في نيسان ١٩٧٠ وفي المؤتمر الثالث (لوساكا — ايلول ١٩٧٠) ومؤتمر وزراء خارجية الدول غير المنحازةفي جورجتاون في آب ١٩٧٢ . وكان التطور المهم في قرارات هذه المؤتمرات والاجتماعات جميعا ، بالاضافة الى دعم النضال الفلسطيني ، هو ربط حقوق الشعب الفلسطيني واستعادتها بهذا النضال . فبينما لم تتطرق قرارات المؤتمرين الاول والثاني الى كيفية استعادة حقوق شعب فلسطين، اوضحت قرارات عدم الانحياز (اجتماعاته ومؤتمراته) منذ العام ١٩٦٩ الاقتران الوثيق بين نضال الشعب الفلسطيني واستعادة حقوقه . غير أن قرارات القمة الاخيرة ارتقت بهذا الموقف خطوات أسمى عندما ربطت في بند واحد من القرارات المتعلقة بالشرق الاوسط بين الموضوعات التالية : ١ — **الالتزام** بمساندة شعب فلسطين ٢ — نضال شعب فلسطين ضد **الاستعمار الصهيوني** والعنصري الاستيطاني ٣ — استعادة الحقوق **القومية** لشعب فلسطين ٤ — **الاعتراف** بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا لنضال الشعب الفلسطيني . فقد نص هذا البند على ما يلي : « يطالب [المؤتمر] دول عدم الانحياز بمساندة شعب فلسطين العربي في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني والعنصري الاستيطاني لاستعادة حقوقه القومية الكاملة ويؤكد ان استعادة هذه الحقوق تشكل شرطا أساسيا للوصول الى

سلام عادل ودائم ، ويعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا لنضال الشعب الفلسطيني » (استنادا الى النص الكامل لقرارات المؤتمر الذي وزعته وكالة انباء الشرق الاوسط). وبالاضافة الى أهمية هذا الربط بين هذه الموضوعات المتلاحمة تبرز هنا قضايا تستحق التسجيل : ١ — لقد ورد في هذا القرار لاول مرة تعبير الحقوق القومية (ورد في ديباجة القرار تعبير الحقوق الوطنية) ليعطي مفهوما محددا معروف الابعاد لهذه الحقوق بعد ان كان هذا التعبير فضفاضا . ٢ — ورد لاول مرة كذلك تعبير « الاستعمار الصهيوني والعنصري الاستيطاني » وهو تعبير يدل على ارتقاء الفهم للكيان الاسرائيلي على الارض الفلسطينية . ٣ — من واقع اعتبار كفاح الشعب الفلسطيني « جزءا لا يتجزأ من حركة التحرر العالمي » كما ورد في ديباجة القرار كانت المطالبة « بالالتزام بمساندة شعب فلسطين في نضاله » ، وتأكيدا لهذا الالتزام جاء في هذه القرارات ان المؤتمر « يرحب بقرار الدول الاعضاء التي قطعت علاقاتها باسرائيل ويدعو الدول الاعضاء الاخرى الى العمل على مقاطعة اسرائيل دبلوماسيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا وفي ميادين المواصلات البحرية والجوية وذلك طبقا للفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة » . وتجسيدا لهذا القرار كان اعلان الزعيم الكوبي فيدل كاسترو قطع علاقات بلاده باسرائيل . ٤ — لم تتطرق قرارات المؤتمر لا من قريب ولا من بعيد الى قرارات الامم المتحدة (بالاخص قرار مجلس الامن ٢٤٢) المتعلقة بحل ما يسمى أزمة الشرق الاوسط ، حتى ان هذا التعبير (أزمة الشرق الاوسط) لم يرد اطلاقا في نصوص القرارات . وقد أكد المؤتمر « مساندته الكاملة والفعالة لمصر وسوريا والاردن في **نضالها المشروع لاسترجاع اراضيها المحتلة كاملة وبشتى الوسائل** » .

على صعيد آخر كان تمثيل فلسطين في مؤتمرات عدم الانحياز يعكس (بالاضافة الى قرارات هذه المؤتمرات) المسيرة الفلسطينية نفسها . فبينما كانت فلسطين غائبا تمثيلها في قمة ١٩٦١ ثم كانت تحضر « ضيفا » منذ ١٩٦٤ ، تقرر في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي عقد في جورجتاون ان تحضر منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مراقبا . واذا كانت المنظمة لم تحز على العضوية الكاملة في مؤتمر القمة الاخير على الرغم من مطالبتها بذلك ، فقد كان التعويض السياسي، وهو تعويض ثوري ينسجم مع واقع الثورة الفلسطينية وآفاقها ، ان دعي الاخ ابو عمار لالقاء كلمة حركات التحرير في العالم (فلسطين الثورة ٩/١٢) وقد بلغ عدد هذه الحركات التي حضرت المؤتمر اربع عشرة حركة تحرير افريقية والحزب الاشتراكي البورتوريكي بجانب منظمة التحرير الفلسطينية . وقد أكد الاخ ابو عمار ان كلمته تلك « باسم الثوار من أجل التحرير الوطني وبأسم ثورة وشعب فلسطين . اننا نؤكد ان قضايا الشعوب المناضلة الثائرة واحدة وان قضية الحرية في العالم هي واحدة لا تتجزأ » . وقد اوضح ابو عمار في كلمته مفهوما ايجابيا لسياسة عدم الانحياز بقوله « ان الشعوب المضطهدة في هذا العالم تفهم عدم الانحياز انه دعم كافة حركات التحرير التي تناضل من اجل التخلص من الاستعمار والامبريالية العنصرية والصهيونية والفاشية ، كما يفهم عدم الانحياز بأنه التزام كامل بالقضايا الوطنية والتحررية والتقدم . يجب الا يقف هذا الدعم عند أي ضغط او تأثير للقوى الاستعمارية وان لا يكون الدعم بالكلمات والقرارات فقط وانما يجب ان يتجاوز ذلك الى المساندة العملية والمواقف الثورية الاصيلة تجاه حركات التحرر الوطنية كلها » . وثمة جانب آخر مهم في دعوة الاخ ابو عمار الى التحدث باسم حركات التحرير في العالم ، يتمثل في اعتراف المؤتمرين وحركات التحرير نفسها بأن الثورة الفلسطينية ، بعد انتصار ثورة الشعب الفيتنامي ، أصبحت هي البؤرة الساخنة الاولى في العالم بحيث أصبح حل قضاياها العادلة والملحة مهمة مركزية تنعكس بالتأكيد على مسيرة حركة النضال العالمي بمجملها .

وباجمال فقد كان الكسب السياسي الذي حققته الثورة الفلسطينية في قمة عدم الانحياز الرابعة محطة تاريخية في الزمن الفلسطيني المتلىء المكثف الزاخر بالنتوءات ، الرافض للرتابة .

صواريخ روما : تطور جديد

في الخامس من ايلول كانت روما مسرحا لواحدة من أكثر العمليات اثارة . فقد اعتقلت الشرطة الايطالية خمسة من العرب ذكر فيما بعد انهم جميعا فلسطينيون وانهم ينتمون الى احدى المنظمات وانهم يعتبرون من الكوادر الجيدة في حركة المقاومة وان زعيم هذه المجموعة الفدائية هو امين الهندي الذي كان رئيسا للاتحاد العام لطلبة فلسطين مدة اربع سنوات (النهار ٩/٧) ، اعتقلوا بعد العثور على مخبأ اسلحة وجهازي اطلاق صواريخ من الارض الى الجو . واعلنت الشرطة الايطالية ان الهدف من وجود الصواريخ اسقاط طائرة ركاب اسرائيلية فوق روما . وقد جرى اعتقال الخمسة في منتجع اوستيا على مسافة ٣٠ كيلومترا من روما وعلى مسافة ستة كيلومترات من مطار فيوميشينو الدولي . كما ذكرت الشرطة ان جهازي اطلاق الصواريخ من احدث انواع هذه الاجهزة المصممة لاطلاق صواريخ من الارض الى الجو ويمكن نقلها باليد . ونقلت وكالات الانباء في وقت لاحق أن هذين الجهازين من صنع سوفياتي ومن طراز سام ــ ٧ . وقد وصف موشيه ديان (نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » ٩/٨) هذا الصاروخ بانه صاروخ حربي متطور استخدم في فيتنام ضد الطائرات الاميركية ويصلح للمسافات القصيرة من خمسة الى خمسة عشر كيلومترا ، وضد الطائرات المنخفضة الارتفاع وهو صاروخ مضاد للطائرات الحربية واصابته لطائرة مليئة بالوقود فتاكة جدا بالتأكيد . وقد كانت ردود الفعل الاسرائيلية صاخبة على هذا الحادث فقد اعتبره ديان (ر أ أ ٩/٨) انه « أخطر ما حدث حتى الان في عمليات الارهاب التي يقوم بها المخربون ضد الطيران المدني ، فهنا يوجد دمج لعدة امور لم يسبق ان حدث مثلها في الماضي . وهذا الدمج هو للوسائل وللفنيين الخبراء بالصواريخ وللذين اشتركوا في استخدام هذه الوسائل » . واضاف ديان ان « الخطورة في الامر هو أن مصدر هذا الصاروخ هو الاتحاد السوفياتي ... وحسب علمي فأن هذه الصواريخ اعطيت لمصر ولسوريا من السوفيات . فكيف وصلت هذه الصواريخ الى روما لتستخدم ضد طائرة العال » . وقد اتهم ديان الاتحاد السوفياتي والدول العربية بأنها وراء الحادث ، فعلى حد تعبيره فان « شركاء اليوم في هذا الحادث هم الاتحاد السوفياتي الذي يرسل هذه الصواريخ والدول العربية التي تحصل على هذه الصواريخ والتي تسمح باستخدامها ضد الطائرات المدنية ».

وقد وجهت اسرائيل حملتها الى الدول العربية وحملت صحفها هذه الدول مسؤولية الحادث وقال ديان (ر أ أ ٩/٦) ان الفدائيين العرب « يستخدمون الاسلحة والمعدات التي يحصلون عليها من الدول العربية كما يحصلون على الاموال والملجأ ومثال على ذلك تلك الصواريخ التي تطلق من الكتف والتي منحها السوفيات للمصريين والسوريين » . لذلك كانت جميع التوقعات تشير الى ان اسرائيل سوف تقدم على خطوة انتقامية توجهها الى احدى الدولتين : مصر او سوريا . ولظروف عديدة استراتيجية وتكتيكية كانت سوريا هي القطر الاكثر تعرضا لمثل هذه الخطوة الانتقامية التي تمثلت في العدوان الجوي على سوريا يوم ٩/٣ . وقد كان التمهيد الاسرائيلي الاعلامي والسياسي لمثل هذه العملية الانتقامية تلك « الضجة » التي حاولت اسرائيل اثارتها حول عملية روما . فقد ذكرت وكالات الانباء (٩/١٠) ان الحكومة الاسرائيلية خصصت اجتماعها يوم ٩/٩ لبحث هذا الموضوع . واعتبر أيجال ألون نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية والذي رئس جلسة مجلس الوزراء تلك ، اعتبر ان الحادث « يمثل بعدا جديدا شديد الخطورة في الارهاب الدولي » . كما دعا موشيه ديان الى المشاركة في هذه « الضجة » المتعمدة ففي تعليق له على عملية روما (ر أ أ ٩/٨) قال « اين تلك الضجة حول **الدول** التي تساعد الارهاب ؟ هل هناك **ارهاب رسمي** اكثر من منح هذه الصواريخ للمخربين ؟ » وقد أثار هذا الاهتمام المتزايد من جانب اسرائيل بهذه العملية التي لم تنفذ بالفعل جملة تساؤلات عن مغزى هذا الاهتمام المضخم . هل هو موجه الى الاتحاد السوفياتي بالذات وان السوفيات هم المقصودون فعلا بهذه الحملة التي سعت اسرائيل الى اشراك الولايات المتحدة الاميركية بها ، ام هل هي الدول العربية تمهيدا لعدوان جديد تقترن مسبباته ونتائجه ايضا بجملة التطورات العربية الاخيرة ام هل تخبيء اسرائيل

عملا انتقاميا مرتقبا توجهه الى المقاومة الفلسطينية، ام هل هي المحاور الثلاثة تنهج اسرائيل عليهـا مجتمعة ، وهي بالفعل كذلك ، وصولا الى غايتها المتعددة الاهداف ؟ ويظل ثمة تساؤل اخير نطرحه باكبر كمية من الحذر : لقد ذكرت مجلة « نيوزويك » الاميركية الاسبوعية (ر أ أ ٨/٢١) قبل أكثر من اسبوعين على عملية روما ان منظمات المقاومة ترغب في الاونة الاخيرة في تحسين معداتها العسكرية وتحاول شراء صاروخ مضاد للطائرات باستطاعة شخص واحد حمله . وقالت المجلة ان الفدائيين يبحثون عن صاروخ على غرار الصاروخ الاميركي المسمى (ريد آي) الذي يعمل طبقا لمبدأ تتبع مصدر الحرارة ، وقالت المجلة ايضا ان منظمات الفدائيين فشلت في الاونة الاخيرة في محاولتها للحصول على صاروخ سوفياتي مماثل يدعى (ستريلا) حيث نجح الفيتكونغ في استعماله في فيتنام . والتساؤل المطروح هو ما المقصود من نشر مثل هذا الخبر في المجلة الاميركية ، ولماذا جاء نشره قبل اسبوعين فقط من توقيت العملية ؟ والامر الذي يبعث على التساؤل هو ان مواصفات الصواريخ التي وجدت في روما كما وردت في الانباء مطابقة لتلك المواصفات التي اوردتها المجلة .

باريس -- الكويت لماذا ؟

صباح ٩/٥ احتل عدد من الفدائيين قالوا انهم ينتمون الى منظمة « العقاب » القنصلية السعودية في باريس واحتجزوا ثلاث عشرة رهينة **وهددوا** بنسف المبنى بمن فيه اذا لم يرسلوا بطائرة الى احدى العواصم العربية واذا لم تفرج الحكومة الاردنية عن ابو داوود القائد الفدائي المعتقل في أحد سجون الاردن . **مدد الفدائيون ثلاث مرات مهلة النسف** . واستمرت المفاوضات طويلا واستمر تمديد المهل . وفي اليوم الثاني اقلت الفدائيين ورهائنهم العرب (أطلقوا الرهائن الاجانب) طائرة سورية ، وانحبست الانفاس ترافق الطائرة تتجه الى المنطقة العربية . وازيل كابوس حلم ثقيل عن صدر فرنسه . هبطت في القاهرة ، حلقت فوق عدد من العواصم ، ثم حطت رحالها في الكويت . في اليوم الثالث تصعد التهديد . بعد ان حلقوا فوق السعودية مدة ساعتين عادوا الى مطار الكويت وحددوا مهلة ١٢ ساعة لتلبية مطلبهم باطلاق ابو داوود وابلغوا برج المراقبة باللاسلكي انهم سيقتلون واحدا من الرهائن كل ساعة بعد انتهاء المهلة التي حددوها (كما هددوا بالقاء الرهائن واحدا فواحدا فوق العاصمة السعودية ، غير أن المهلة انتهت وظل الرهائن سالمين وابو داوود في سجنه . وفي اليوم الرابع استراح الخاطفون وخرجوا من الطائرة مع رهائنهم واستسلموا حتى دون أية ضمانات ، وكان موقف المقاومة في البداية ان وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ٩/٥ نفت ان يكون لاي من التنظيمات الفلسطينية علاقة بالحادث . وفي الجزائر اعلن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية « ان الثورة الفلسطينية ليست متورطة بأي شكل من الاشكال في عملية القنصلية السعودية » . و« ان هذا النوع من العمليات لا يخدم قضيتنا من قريب او بعيد ووقوع العملية يوم افتتاح قمة عدم الانحياز يطرح التساؤلات » (النهار ٩/٦) . غير ان هذه « التساؤلات » اتخذت في اليوم التالي شكل اتهام صريح فقد أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية يوم ٩/٦ بيانا من الجزائر (الاخ ابو عمار وبعض قياديي المنظمة كانوا هناك) جاء فيه « ان هذه العمليات والتوقيت الذي تمت فيه تشير الى ان هناك خطة تهدف الى فرض حصار سياسي واعلامي على الثورة الفلسطينية وذلك تمهيدا لمذبحة قادمة تمارس ضد المقاومة الفلسطينية بهدف تصفيتها والقضاء عليها . ان منظمة التحرير الفلسطينية اكدت في الماضي وتؤكد من جديد أنها تقف ضد العمليات غير المسؤولة كما أنها تعلن عن استنكارها الشديد لحادث باريس » . كذلك نقلت « وفا » تعليقا لناطق مسؤول في منظمة التحرير وصف فيه الحادث بأنه اجرامي ومشبوه و « اننا نعتقد ان جهات مشبوهة هي التي نفذت عملية مهاجمة السفارة ... بهدف الاساءة الى النضال الوطني الفلسطيني » . وفي المؤتمر الصحافي الذي عقده الاخ ابو عمار في الجزائر (٩/٨) اعلن « ان حادث احتلال السفارة في باريس يمثل في رأينا صورة عما يحاك ضد شعبنا من مؤامرات ولقد جاء الحادث في وقت يتجمع فيه اكثر من نصف سكان العالم في الجزائر ، وفي وقت يشهد فيه الرأي العام الفرنسي حملة استنكار عارمة ضد الارهاب الصهيوني في فرنسه،

وفي وقت ادان العالم فيه عبر مجلس الامن وعبر مؤسسات الطيران المدني القرصنة الجوية للعدو، وأنا امامكم بأسم منظمة التحرير الفلسطينية قائدة النضال الفلسطيني اقول : ان ما جرى في باريس لا علاقة لنا به ونستنكره بشدة ... ونؤكد مرة ثانية ان بندقيتنا تقاتل ضمن استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد داخل فلسطين المحتلة ، ولن نسمح بأي شعار ان ينحرف بنا عن هذا الطريق بحيث يعطي عدونا مبررا في حملته المسعورة على ثورتنا وقضيتنا » . (وفا ٩/١) .

ان عدم توصل هذا النمط من العمليات الى اهدافه بجانب آثاره السلبية الراهنة وعواقبه المحتملة ، كفيل كل ذلك بأن يعاد النظر فيه ضمن مراجعة حقيقية ليس لتفاصيله فحسب وانما لمجمله .

ابو عمار في موسكو

في الخامس عشر من آب الماضي قام الاخ ابو عمار بزيارة الى الاتحاد السوفياتي على رأس وفد فلسطيني . وقد ذكرت « تاس » ان ابو عمار موجود في موسكو كضيف على منظمي دورة العاب جامعات العالم . وذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ٨/١٧ ان ابو عمار اجتمع يوم ٨/١٦ مع بوماريوف عضو المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وقد دام الاجتماع زهاء ساعتين وبحث فيه عدد من القضايا « ذات الاهمية الخاصة » ، كما أجرى مباحثات مع هيئة رئاسة اللجنة السوفياتية للتضامن الافرو — اسيوي . واوردت الوكالة الفلسطينية (٨/١٨) ان ابو عمار اجرى مباحثات مع يفجيني تياجيامكوف السكرتير الاول للجنة المركزية لمنظمة الشبيبة الشيوعية اللينينية لعموم الاتحاد السوفياتي (الكومسمول) ، واوردت الوكالة نقلا عن « تاس » قولها ان ابو عمار اطلع على نشاطات الكومسمول ومنظمات الشباب السوفياتية والمهام التي تنجزها منظمة الكومسمول في مجال التربية الشيوعية للشبيبة السوفياتية ومساهمتها في البناء الشيوعي . واعرب ابو عمار من جانبه عن الامتنان العميق للشعب السوفياتي والشبيبة السوفياتية على دعم الشعوب العربية والتضامن مع نضال شعب فلسطين وشبيبتها من اجل الحقوق الشرعية . واوردت (وفا) ٨/٣٠ تعليقا كتبته صحيفة « برافدا » السوفياتية على هذه الزيارة جاء فيه قول الصحيفة : « خلال اقامة الاخ ابو عمار في موسكو استقبل من قبل اللجنة السوفياتية لتضامن بلدان آسيا وافريقيا ومن قبل منظمات اخرى واجتمع الى ممثلي الرأي العام السوفياتي وخلال الاحاديث جرى تبادل للاراء حول الوضع في الشرق الاوسط والدفاع عن الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ومن اجل اقامة سلم عادل ووطيد في هذه المنطقة . وتحدث الاخ ابو عمار عن نشاط منظمة التحرير الفلسطينية واكد ارادة الوطنيين الفلسطينيين في رص صفوفهم والرد على مؤامرة الامبريالية والصهيونية والرجعية التي تريد كبح نضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل تقرير مصيره . وشكر الاخ ابو عمار باسم قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والشعب العربي المكافح الاتحاد السوفياتي على موقفه المبدئي الصلب الذي يدعم بموجبه الشعوب العربية ضحايا العدوان الاسرائيلي وعلى المساعدة التي يمنحها الى حركة التحرر الوطنية العربية ولا سيما الى حركة المقاومة الفلسطينية ... وخلال المحادثات تلقى الاخ ابو عمار التأكيد باستمرار الدعم الثابت الحازم الذي يمنحه السوفياتيون الى النضال العادل للشعوب العربية ضد الامبريالية والعدوان الاجرامي الاسرائيلي والى ضرورة سحب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة وجرى التأكيد على التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني ». وقد وصف ابو عمار زيارته القصيرة للاتحاد السوفياتي (انتهت الزيارة يوم ٨/١٩) في تصريح أدلى به لمجلة « روز اليوسف » (٩/٣) بانها كانت هامة وناجحة وتناولت عددا من القضايا داخل الساحة الفلسطينية والساحة العربية .

الأصدقاء في العالم

* ذكرت « وفا » (٨/١٠) ان الاخ ابو عمار تلقى برقية من السيد شارل سيانارد وزير خارجية الكونجو الشعبية تضمنت الدعوة للمشاركة في الاحتفالات الكونجولية الوطنية التي تبدأ في ١٣ آب . وقد جاء في البرقية « بزيارتكم تتيحون الفرصة للشعب الكونجولي الذي يقدركم حق قدركم ويعتبركم أحد ابناء هذه القارة الاكثر احتراما ، للتعبير مرة اخرى عن حبه واحترامه لشخصكم ومن خلاله الى مناضلي منظمة التحرير الابطال وللمنظمة التي ترئسونها بحكمة وبعد نظر تشرف افريقيا . بالاضافة الى ذلك فان حضوركم الى الكونجو يتيح لي الفرصة السعيدة شخصيا للتباحث معكم في المشكلات الكبرى التي تهم قارتنا والعالم اجمع » . وقد قررت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تلبية الدعوة وقامت بتشكيل وفد برئاسة محمد زهدي النشاشيبي امين سر اللجنة التنفيذية للمنظمة للمشاركة في هذه الاحتفالات . وقد أجرى وفد المنظمة خلال حضوره الاحتفالات في الفترة من ١٣ — ١٥ آب لقاءات مع بعض اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية لحزب العمل الكونجولي الحاكم جرى خلالها استعراض لاوضاع الثورة الفلسطينية والثورة الكونجولية كما تم تبادل وجهات النظر حول الاوضاع الدولية الراهنة . وذكرت « وفا » (٨/٢١) ان السيد ماريان نجوابي ، رئيس جمهورية الكونجو الشعبية ، بعث برسالة شفوية حملها للوفد الفلسطيني الى الاخ ابو عمار اكد فيها دعم بلاده وتأييدها المبدئي للثورة الفلسطينية ولنضال الشعب الفلسطيني العادل في سبيل حقوقه الوطنية المشروعة لاستعادة وطنه . وقد ابلغت هذه الرسالة في اثناء المقابلة الرسمية التي اجراها وفد منظمة التحرير مع الرئيس الكونجولي حيث سلمه رسالة شخصية من الاخ ابو عمار .

* في ٨/١٣ صرح مصدر مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية بأن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تدارست في اجتماعها المنعقد مساء ٨/١١ المذكرة الموجهة لمنظمة التحرير الفلسطينية من الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام بشأن استمرار الولايات المتحدة الاميركية وحكومة سايجون العميلة في خرق اتفاقية باريس لاحلال السلام في فيتنام ، واعتبرت اللجنة التنفيذية استهتار الولايات المتحدة باتفاقية باريس واستمرار خرق هذه الاتفاقية بشكل متعمد انما يشكل تحديا وتحدا لارادة المجتمع الدولي ، واعلنت اللجنة التنفيذية انها تشجب وتستنكر بشدة هذا الاستهتار الامبريالي الاميركي وتعلن عن تضامنها الحازم مع شعب فيتنام وحكومته الثورية المؤقتة. وأضافت ان المنظمة تؤيد بكل حزم مطالب الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام والمحدد بالنقاط التالية : (١) وقف اطلاق النار فورا . (٢) اطلاق سراح المعتقلين السياسيين . (٣) ضمان الحريات الديموقراطية للشعب الفيتنامي في الجنوب . وأنهت المنظمة بيانها بأن أكدت تضامنها الحازم مع شعب فيتنام البطل باسم الشعب الفلسطيني وثواره رفاق السلاح .

اتصالات عربية

« الموقف العربي الراهن » كان عنوان الاتصالات التي أجرتها حركة المقاومة خلال الشهر الفائت على الصعيد العربي . وهذا « الموقف الراهن » تسبب عن التوجهات الجديدة التي تلاحقت على الساحة العربية بهدف اعادة مد الجسور مع الاردن وما سمي باعادة بناء الجبهة الشرقية . من هذه الاتصالات الاجتماع الذي عقده الاخ ابو عمار يوم ٨/١١ مع عبدالله الاحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي . وفي دمشق كذلك عقد اجتماع بين ابو عمار والفريق حافظ الاسد ، رئيس الجمهورية العربية السورية يوم ٨/١٣ ، كما اجتمع الفريق الاسد يوم ٨/١٦ بوفد من منظمة التحرير الفلسطينية مؤلف من خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، وزهير محسن ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . كذلك اجتمع ابو عمار يوم ٨/٢١ مع السيد عبدالحليم خدام ، وزير الخارجية السوري، وحضر هذه المقابلة عدد من قادة الثورة الفلسطينية. وصرح ابو عمار لوكالة الانباء الفلسطينية (٨/٢٢) بأنه إستعرض مع الوزير السوري اوضاع المنطقة

العربية وموضوع مؤتمر قمة عدم الانحياز والتنسيق العربي في هذا المؤتمر ونتائج رحلته الاخيرة الى موسكو . على صعيد آخر اجتمع ابو عمار في دمشق (٨/١١) مع الدكتور حسن صبري الخولي، الممثل الشخصي للرئيس السادات ، وذلك بعد عودة الخولي من زيارة رسمية الى الاردن . وفي القاهرة اجتمع ابو اياد ، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح يرافقه جمال الصوراني ، مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة ، وربحي عوض ، ممثل فتح في القاهرة ، يوم ٨/١٨ مع الدكتور حافظ غانم ، الامين الاول للاتحاد الاشتراكي العربي في جمهورية مصر العربية . وذكرت « وفا » ان وفد الثورة الفلسطينية ناقش في هذا الاجتماع في مواضيع تتعلق بالموقف العربي الراهن . وقد ذكرت « وفا » (٨/٢٣) ان الرئيس انور السادات وجه الدعوة للاخ ابو عمار لزيارة جمهورية مصر العربية . وقد وصل ابو عمار الى القاهرة صباح ٨/٣٠ واجتمع في اليوم نفسه مع الفريق اول احمد اسماعيل ، وزير الحربية المصرية والفريق سعد الدين الشاذلي ، رئيس هيئة اركان القوات المصرية . كما اجتمع بكل من الدكتور محمود فوزي ، نائب رئيس الجمهورية المصرية ، والسيد ممدوح سالم ، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . والتقى كذلك ضمن سلسلة لقاءاته مع المسؤولين المصريين بالدكتور حسن صبري الخولي . وفي اليوم التالي اجتمع مع الرئيس انور السادات وقد حضر الاجتماع فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية . وذكرت « وفا » (٩/١) ان البحث تناول العلاقات الفلسطينية المصرية وآخر تطورات الوضع الفلسطيني والعربي . أما على صعيد العراق فقد قام ابو عمار بزيارة الى بغداد يوم ٨/١٩ قادما من موسكو وذكرت صحيفة « الجمهورية » العراقية (٨/٢٠) ان ابو عمار عقد خلال وجوده في بغداد لقاء مع السيد علي غنام ، عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، استغرق ثلاث ساعات وقد حضر اللقاء السيد مرتضى سعيد عبد الباقي ، وزير الخارجية العراقية . وفي لبنان قام ابو عمار (٨/٢٥) بزيارة السيد تقي الدين الصلح في منزله ببيروت وقالت « وفا » ان الحديث تناول العلاقات اللبنانية والوضع العربي الراهن . وفي ليبيا اجتمع ابو اياد وفاروق القدومي يوم ٨/٢٧ مع الرئيس معمر القذافي وقد حضر الاجتماع السادة عبد السلام جلود ، رئيس الوزراء الليبي ، وعبد الكريم الهوني وعمر المحيشي ، عضوا مجلس قيادة الثورة الليبي ، كما حضره ايضا ربحي عوض ، ممثل فتح في القاهرة . وذكرت « وفا » (٨/٢٧) ان القادة الليبيين والفلسطينيين استعرضوا في اجتماعهم الموسع الوضع العربي الراهن والمؤامرات التي تتعرض لها الثورة الفلسطينية وأكد القذافي وقوف ليبيا الكامل الى جانب الثورة الفلسطينية . وفي ٩/٢ قام ابو عمار بزيارة الى ليبيا وذكرت صحيفة « الانوار » اللبنانية (٩/٣) ان ابو عمار سيقوم خلال الزيارة بتقديم التهنئة الى رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة الليبي بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة الليبية .

اللجنة التنفيذية

عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوم ٨/٢١ اجتماعا في دمشق برئاسة الاخ ابو عمار ، وصرح ابو عمار (لوفا) (٨/٢٢) ان اللجنة بحثت عددا من القضايا الفلسطينية والعربية وموضوع مؤتمر القمة القادم لدول عدم الانحياز ، كما بحثت نتائج رحلة ابو عمار الى موسكو وبغداد ونتائج رحلة وفد الثورة الفلسطينية الذي شارك في احتفالات جمهورية الكونغو الشعبية بأعياد الثورة . كما عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا آخر يوم ٨/٢٦ بحثت فيه كما ذكرت « وفا » مختلف قضايا الساعة فلسطينيا وعربيا ودوليا .

المخيمات : نضال مطلبي

تراكمات السنين الطويلة التي سببتها سياسة وكالة الغوث الدولية في مخيمات الفلسطينيين تفجرت في الاسابيع القليلة الماضية بموجة من الغضب الذي تصاعد في احدى ذراه الى درجة النضال المطلبي الذي اتخذ له هذه المرة أهدافا محددة واضحة ، منصبا على مطاليب محددة ،

ممارسا الاساليب المعهـودة في هذا الشكل من النضال . فالتذمر **العام** الذي كان يميز كل حديث يتناول **سياسة الوكالة** ، تبينت ملامحه ومحدداته في الحركة المطلبية الاخيـرة في المخيمات ، التي **فصلت** هذا التذمر العام و**شخصت** مسبباتـه ، ووضعتها في حدود « المعقول » الذي يمكن تحقيقه . مثلا : كانت مطاليب سكان مخيمي برج الشمالي والقاسمية الذين احتلوا مكاتب الاونروا في ٨/١٦ كما يلي ، بالنسبة لسكان المخيم الاول : ١ — حفر بئر ارتوازية ٢ — تأمين طبيب دائم ٣ — مراقبة التموين ٤ — تغيير سقـوف المنازل (التنـك) المهترئة . ومطاليب سكان المخيم الثاني كانت : ١ — الاعتراف بمخيم القاسمية كمخيم قائم بذاته ومعاملته على هذا الاساس كبقية المخيمات ٢ — بناء مدرسة نموذجية ٣ — تأمين طبيب دائم ٤ — تغيير سقوف المنازل المهترئة . (الحياة ٨/١٧). ولقد تمكنت هذه المطاليب المتواضعة والتي تمس حياة المواطن في الصميم في وقت واحد ، تمكنت ان تكون أهدافا حقيقية استقطبت حولها سكان المخيمين المذكورين واهتمام المخيمات الاخرى التي تعاني مشكلات مماثلة او مشابهة . فقد تضامن في البداية مع سكان هذيـن المخيمين سكان مخيمين آخرين حيث انضم الى المعتصمين في مكاتب الوكالة من المخيمين الاولين عدد من سكان مخيمي عين الحلوة والمية ومية (في الجنوب) ، ثم امتد هذا التأثير الى مخيم تل الزعتر (القريب من بيروت) الذي قدم ايضا مطاليب تواجه مشكلات نابعة من واقعه . ففي بيان أصدرته اللجنة الصحية في مخيم تل الزعتر (٨/١٨) تحددت هذه المشكلات بما يلي : ١ — زيادة عمال التنظيفات وتوفير سيارات لنقل النفايات وتوفير الادوية المبيدة للحشرات . ٢ — فتح مستوصف . ٣ — توفير المياه . ٤ — تعبيد الشوارع والطرقات داخل المخيم . ٥ — صرف اعاشة جميع افراد كل اسرة دون قطع اية اعاشة لاي سبب كان (ونا ٨/١٨) .

وقد مارس سكان المخيمات لتحقيق هذه الاهداف الاساليب المتبعة في هذا النمط من النضال المطلبي . فعندما فشلت جميع الجهـود « لاقناع » الوكالة بتحقيقها ، وهي جهود تمثلت في سلسلة من اللقاءات مع المسؤولين في الوكالة طوال شهر تموز ومطلع شهر آب ، لجأ سكان المخيمات (في البداية مخيم البرج الشمالي والقاسمية — البرغلية) الـى الاعتصام بمكاتب الوكالة ثم احتلوا مكتب صيدا (٨/١٨) ثم أعلن سكان المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان اضرابا مفتوحا اعتبارا من ٨/٢٢ وانذر المعتصمون في مكاتب وكالة الغوث في صور وصيدا بتصعيد الاعتصام ليشمل كافة المخيمات الفلسطينية في لبنان . وقد أجملوا مطاليب مخيمات الجنوب بما يلي : ١ — الخدمات الصحية والاجتماعية . ٢ — اعطاء الاغاثة للمواليـد الجدد مع اعادة الاغاثات المقطوعة . ٣ — توفير المياه لمخيمات البرج الشمالي والمية ومية والبص والقاسمية . ٤ — بناء مركز للتغذية والعيادة في مركز النبطية وهما مركزان دمرهما القصف الاسرائيلي . ٥ — اعادة ترميم المساكن التي تهدمت من جراء القصف الاسرائيلي . ٦ — تأمين سيارات خاصة لجمع نفايات المنطقة وزيادة عمال التنظيفات في المخيمات. ٧ — التخلص من نظام الدفعتين لتلاميذ المدارس بانشاء أبنية جديدة وتعيين مدرسين . ٨ — مساواة طلاب الصف الواحـد بطلاب الصف الواحد في المدارس الحكومية . بيد ان الوكالة لم تستجب لهذه المطاليب المقرونة بالاضراب . فقامت **اللجان الشعبية** المشكلة في مخيمـات الجنوب باتصالات موسعة (٨/٢٤) مع جميع مخيمات الفلسطينيين في لبنان بهدف توسيـع الاضراب والاعتصام . وكانت مطاليب مخيمات الجنوب بمثابة برنامج عمل في الدعوة الى توسيع الاضراب . غير ان عاملا جديدا دخل في هذا البرنامج وفي مسيرة الحركة في المخيمات جميعا تمثل بقيام الوكالة (ونا ٨/٢٥) بفصل ٧٥ معلما من المتعاقدين معها بحجة حصر النفقات (ينتج عن ذلك تخفيض عدد الصفوف في المدارس وزيادة عدد الطلاب في الصف الواحد) . وقد جاء قرار الوكالة هذا الذي اتخذ في اثناء العطلة الصيفية وغيـاب الطلاب والمعلمين عـن المدارس ليمثل تحديا جديـدا لسكان المخيمـات واشارة واضحة الى تعنت الوكالة . وقد كان الرد المباشر من أهالي المخيمات والمعلمين على السواء ان دمجت مطاليب المعلمين بمطاليب الاهالي وتوحد نضالهم حول هذه المطاليب المشتركة ، بعد ان برزت امام الاهالي من جديـد مشكلة أخرى مشخصة ومحددة تستقطب تحركهم . كما كان هذا القرار من جانب الوكالة سببا في ضخ فئة جديدة (المعلمين) في شريان حركة المخيمات المطلبية . وقد لجأ المعلمون المصروفون اعتبارا من ٨/٣٠ الى

الاعتصام سلميا في مكاتب الوكالة في لبنان (مكتب سن الفيل في بيروت) بعد أن وزعوا بيانا استنكروا فيه صرف المعلمين من فئة « x » (وهم المتعاقدون سنويا) والمياومين ، وطالبوا بالغاء القرار معلنين الاعتصام حتى يتحقق مطلبهم . ومرة أخرى دخل مع اعتصام المعلمين عامل جديد هو اثارة مطاليب طلاب مدارس الوكالة . فقد انضم عدد من هؤلاء الطلاب الى اعتصام المعلمين وشاركوا فيه رمزيا ليوم واحد وأثاروا قضاياهم في بيان وزعوه وحددوها كما يلي : ١ — عدم زيادة طلاب الصف الابتدائي عن ٤٠ طالبا والصف التكميلي عن ٣٥ طالبا . ٢ — الغاء نظام الدفعتين والترفيع الآلي . ٣ — العمل على ايصال الكتب وتعيين المدرسين الجدد والتنقلات قبل بداية العام الدراسي . ٤ — تأمين طبيب يداوم في المدارس . ٥ — اعادة المعلمين المصروفين .

وابتداء من ٩/٢ امتد اعتصام المعلمين الى كل مكاتب الوكالة في مخيمات لبنان وشارك عشرات من المعلمين (من غير المصروفين) في الاعتصام . وقد أكد المعلمون المعتصمون في بيان وزعوه استمرار اعتصامهم لدعم كل المطاليب الشعبية في المخيمات بالاضافة الى نيل حقوقهم الخاصة بتثبيتهم في وظائفهم الحالية وادخالهم معهد التربية والغاء سياسة الـ ٥٥ طالبا في الصف الواحد . وقد تصعدت حركة أهالي المخيمات ووصلت ذروتها اعتبارا من ٩/٣ عندما قاطعت كل المخيمات الفلسطينية في لبنان الخدمات التي تقدمها وكالة الغوث في مختلف المجالات الصحية والتربوية والمعيشية . وقد حاولت الوكالة ان تشق مطاليب المعلمين فقامت باعادة المعلمين المتعاقدين سنويا اما المياومون وعددهم ٢٣ فقد رفضت اعادتهم في الحال ووعدت بالحاقهم بأي وظيفة خالية في المستقبل وقد رفض المعلمون المعتصمون هذه المحاولة واعلنوا « اننا لن نبارح المكان (مركز الاعتصام) الا في حال اعادتنا جميعا الى العمل » (النهار ٩/٩) . وقد قامت اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان (تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية) بجهد كبير في تنسيق تحركات أهالي المخيمات من جهة والضغط على الجهات المسؤولة في الوكالة والاتصال بالسلطة اللبنانية لتحقيق مطاليبهم من جهة ثانية . وكان أبرز الجهود التي عقدت في هذا الخصوص اجتماع العمل الذي عقد يوم ٩/٧ في المديرية العامة للامن العام وحضره العقيد الركن انطوان دحداح ، المدير العام للامن العام ، وجون رينيه ، المفوض العام لوكالة الغوث ، وتوفيق الصفدي وحنا بطحيش ويونس طه ، ممثلو اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين. وقد أصدرت اللجنة في نهاية الاجتماع بيانا ذكرت فيه اللجنة انه تم التوصل الى تحقيق بعض المطاليب الملحة والعاجلة على ان يصار الى معالجة المطالب الاخرى في اجتماع لاحق. وذكرت «الانوار» (٩/٨) انه تقرر في الاجتماع اعادة المعلمين المصروفين كما تقرر حفر بئر ارتوازية في مخيم البرج الشمالي . وان رينيه وعد بدراسة موضوع التطبيب في المخيمات مع مساعديه على اساس تعيين طبيب لكل مخيم . وقد عقد اجتماع آخر في وقت لاحق أصدرت اثره اللجنة السياسية (٩/١٠) بيانا ذكرت انه تقرر فيه « اعادة المعلمين المصروفين ، حفر بئر ارتوازية في مخيم البرج الشمالي ، صرف الاعاشات المجمدة وعددها ثلاثة آلاف اعاشة ، توزيع الحليب في كل المخيمات ، تحسين أصناف المواد التموينية ، الاهتمام بالنواحي الصحية وتعيين طبيب لكل مخيم ، تأمين الدواء اللازم ، زيادة عدد الاسرة في المستشفيات التي تتعاقد معها الوكالة ، ايجاد شبكات مجارير تنقل المياه خارج المخيمات ، زيادة عدد مراكز توزيع المياه ، توزيع مواد السقف كألواح التوتيا والزينكو ، توزيع الكتب في مطلع السنة الدراسية، انجاز بناء مدرسة البرج الشمالي لتستقبل تلاميذها هذه السنة ، الاعتراف بالتواجد السكاني في مخيم القاسمية — البرغلية مخيما قائما في ذاته وتقديم الخدمات اليه من قبل الوكالة في حال موافقة الدولة على ذلك » . واختتم البيان بالقول « ان اللجنة السياسية العليا التي استطاعت بفضل نضالكم الجماهيري ، تحقيق بعض المطالب الملحة والعاجلة تطالبكم بوقف الاعتصام والعودة الى الوضع الطبيعي وهي تعاهدكم على ان تستمر في نضالها من اجل تحقيق المطالب الاخرى » .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

— ١ —

ان الظروف التي تحيط بالقضية الفلسطينية تزداد تعقيدا . ولقد كانت الامور تسير بهذا الاتجاه منذ أيلول سنة ١٩٧٠ ، ذلك ان الانظمة العربية قررت منذ ذلك الحين أن « تحتضن » الثورة الفلسطينية ، وان تجعلها بعض أجهزتها . ومنذ ذلك الحين والمؤامرات متنوعة ومتعددة : محاولات لضرب الثورة من الخارج ومحاولات لضربها من الداخل ، وكانت محاولات الحصار تلتقي بمحاولات « التبني » ومحاولات السحق تلتقي بمحاولات « الشراء » .

ولكن الانظمة لم تستطع ان تنجح ، وكانت محاولاتها تمنى بالهزائم المتتالية . الا أن الانظمة لم تكن تيأس . وكانت تسعى دائما الى تكوين فريق فلسطيني ، مرتبط بالانظمة ، يعمل بوحيها ، وينفذ أوامرها ، ويكون مستعدا للعمل في الوقت المناسب .

وقد تشكل هذا المحور الفلسطيني ، وهو الان حاضر للعمل ، لا تنقصه الا الاشارة .

في هذا الوقت عينه يتم اجتماع القمة الثلاثي ، ويصدر بيان قصير : « انطلاقا من مصلحة الامة الواحدة التي ننتمي اليها ، وانطلاقا من ضرورات معركة المواجهة المصيرية ، مع العدو ، ومن خلال الاتصالات التي تمت منذ فترة بين القاهرة ودمشق وعمان ، فقد اتفق على اجتماع رؤساء دول المواجهة . وقد تم في هذا الاجتماع بحث جميع القضايا المعلقة بين البلدان الثلاثة وجميع القضايا والتقديرات المتعلقة بمعركة المصير ، واتفق على متابعة الحوار والاتصالات للوصول الى وضع الحلول المقترحة ، والتي هي قيد البحث موضع التنفيذ » (المحرر ٩/١٣) . وقبل أن يعود الملك حسين الى عمان ، أبلغه السادات خبر عودة العلاقات بين مصر والاردن (النهار ٩/١٣) . وينتظر ان تعلن دمشق عودة العلاقات ما بين لحظة وأخرى .

ولم يكن موضوع اجتماع القمة الثلاثي مفاجئا . ولا كانت عودة العلاقات مفاجئة . ان الاتصالات تجري بين البلدان الثلاثة من مدة ، وكان واضحا انها تسير في اتجاه الانفراج .

فما الذي يعنيه هذا الانفراج ؟ لنتذكر اولا ان الثورة الفلسطينية ، التي قطعت العلاقات مع الاردن من اجلها لم يكن لها وجود في هذه القمة . كما ان البيان الذي أذيع لا يذكر شيئا عن فلسطين او قضيتها . كما لا يشير من قريب او بعيد الى موضوع الثورة الفلسطينية ونضالها في وقت تطرح فيه القضية الفلسطينية نفسها بالحاح في مختلف الاوساط .

ولهذا يجب أن نتوقع ان يكون الطرف الفلسطيني الغائب ، هو الذي دفع الثمن . وهذا ما تكهنت به صحف عديدة . تقول العمل (٩/١٤) « ويبدو ان الفلسطينيين دفعوا ثمن هذه المصالحة المصرية الاردنية السورية . وهكذا أعيد الملك حسين الى الصف العربي ورد اعتباره اليه ... ومعلوم تماما ان المطلوب انهاء مقاطعة الاردن نهائيا ... »

ان الصراع الدبلوماسي الذي يدور منذ ما بعد معركة أيلول بين النظام الاردني والثورة الفلسطينية يقوم على اساس من يستطيع عزل الاخر . ولقد عزل النظام الاردني ، بعد أيلول ، بسبب جرائمه التي ارتكبها ضد الشعب الفلسطيني ، وبسبب أخطائه السياسية الكبيرة التي ارتكبها في السياسة الدولية والعربية . فعلى الصعيد الدولي أخذ النظام الاردني يبحث عن حل منفرد . ولقد أزعج هذا مصر كثيرا ، ودفعها الى مقاطعته ، بعد اعلان مشروع المملكة العربية المتحدة . أما سورية فقد قاطعت النظام الاردني ، بعد العدوان الذي شنه الجيش الاردني على الحدود السورية سنة ١٩٧١ . ولكن المشكلة تطورت بعد ذلك ، وبات الطرف الفلسطيني « مطروحا » على الصعيد الدولي والعربي أيضا . وبات مطلوبا من الملك حسين ان يحل مشاكله المعقدة . وكان بروز «شبح فلسطيني» على الصعيد الدولي خطرا ليس له حدود ، لان الكيان الاردني يصبح « مطروحا » في المزاد . ومن هنا بات الهم الاساسي للنظام الاردني انهاء عزلته العربية ، حتى لا يتطور « الشبح الفلسطيني » الى « طرف فلسطيني » في الموازنات الدولية .

هل دفع النظام الاردني ثمنا لذلك ؟ يبدو انه لم يدفع شيئا حتى الان . فالجبهة الشرقية لم تقم ، ولم يعلن عنها بعد . وليس هنالك ضمانات تحول بين الاردن والانفراد بالعمل الدبلوماسي اذا فتحت

له تل ابيب وواشنطن الابواب . ومن الصعب المراهنة على « تغير » في موقف النظام الاردني من القتال . اما دخول قوات عربية وفدائية ، ففي الاردن قوات سعودية ، وفيه قوات من جيش التحرير . وليس من الصعب ان يقبل مزيدا من القوات السعودية وقوات جيش التحرير .

ان النظام الاردني ، في ذلك كله ، لا يخسر شيئا . اما فيما يتعلق بموقف النظام الاردني من القتال ، فانه واضح . ان تعميم الملك حسين الى القوات الاردنية ــ نشرته الصحف في حينه ــ يذكر بوضوح انه لن يجر الى مغامرة اخرى . وبالتالي فان الائتلاف مع النظام الاردني يصعب تصور انه مكرس للقتال . انه مناورة جديدة يستهدف النظام الاردني من ورائها : اعادة الاعتبار لنفسه عربيا ، وانهاء عزلته ، وفي الوقت ذاته فرض العزلة على الثورة ، ان لم يكن انهاءها . وقد دفعه الى ذلك : أ ــ عدم تجاوب دولة الاحتلال والولايات المتحدة الاميركية معه . ب ــ خوفه من نمو « الشبح الفلسطيني » ، شبح المقاومــة وشبح الطــرف الفلسطيني القابع ينتظر جهة تدعوه لان يكون ممثلا للفلسطينيين .

ولهذا فان ما حققه الملك انتصــار كبير . « والذين قالوا ان قمة القاهرة كانت انتصارا سياسيا ودبلوماسيا للملك حسين ــ وللملك فيصل بالطبع ــ لم يكونوا مبالغين . فمعلومات الاوساط الدبلوماسية العربية في بيروت تقول ان الملــك حسين لم يبدل رأيه من قضية المقاومة والتمثيل الفلسطيني منذ بدئه الاتصالات مع القاهرة ودمشق الى حين انعقاد القمة » (النهار ٩/١٤) . « ... ووفقا لهذه المعادلة تكون المقاومة قــد خسرت تأييد نظامين (سوريا ومصر) ... الا اذا قامت معادلة اخرى تعوض هذه الضربة التي تعتبر بمثابة ايلول سياسي » (النهار ٩/١٤) .

وعلى الثورة الفلسطينية ان تعرف كيف لا تخسر مصر وسورية ، وسورية بالذات ، في هذا الظرف العصيب .

ولكن الثورة الفلسطينية مطالبة ايضا بألا تخسر استقلاليتها ، وألا تصبح بعض اجهزة الانظمة . وهذه هي معركتها الاساسية .

ـــ ٢ ـــ

يبدو الوضع في لبنان يسير باتجــاه التأزم . وهنالك مجموعة من الدلائل التي تدل على هذه الحقيقة . ومن هذه الدلائل :

أولا : النشاط الواسع الذي تقوم به القيادة العسكرية . وهذا النشاط يتمثل في :

أ ــ فرض التجنيد على عدة آلاف من الطلاب .

ب ــ القيام بنشاط سياسي واسع (حفلات تخريج) (النهار ٩/١٦) ، نصب تذكارية (نداء الوطن ٩/١٢) ، تداديس احتفالية عن راحة نفوس شهداء الجيش (الجريدة ٩/١١) ، الاحتفــال بذكرى شهداء الجيش في السابع عشر من أيلول سنة ١٩٧٢ (العمل ٩/٧) .

جـ ــ الحديث المستمر عن زيادة قدرة الجيش « الدفاعية » ورفع رواتب الجنود الخ (النهار ٩/٩) .

ثانيا : النشاط الواسع الذي تقوم بــه القوى اليمينية ، ويتمثل هذا النشاط في الآتي :

أ ــ التعبئة المستمرة ضد وجود الثورة في لبنان ، من خلال الحديث المستمر عن وجود «دول» داخل الاراضي اللبنانية ، ومن خلال استغلال الاخطاء والاحداث الصغيرة لاستثارة قطاعات من الرأي العام . (اليوم : تصريحــات بيير الجميل ٩/١٢) .

ب ــ الاعلان « الوقح » عن وجود معسكرات لقوى اليمين ، ونشر صور التدريب والمتدربين في الصحف .

جـ ــ اثارة قضية وجود السلاح في المخيمات والمطالبة بسحبه (اليوم : تصريحات بيير الجميل ٩/١٢) .

ان الوضع العربي الحالي ملائــم للنشاطات المضادة للثورة في لبنان .

— ٣ —

تبدأ دولة الاحتلال الصهيوني في هذا الوقت جولة اخرى من النشاط العسكري ، ظهرت بوادر في القتال الجوي الذي حدث بين اسراب من الطيران المعادي والطيران العربي السوري .

وهدف دولة الاحتلال من مثل هذه الغارات دائما :

أ — اشعار الدول العربية انها عاجزة وان سلاحها قاصر ، وان عليها ان تجلس الى مائدة الاستسلام .

ب — اشعار الجماهير بعجز حكوماتهم وقواتها وبعبث مقاومتها .

ان النشاط العسكري الذي تقوم به قوات الاحتلال مرتبط بالجو السياسي العام دائما ، وله اهداف سياسية واضحة . ولذلك يجب ان يكون واضحا ان دولة الاحتلال ترمي دائما الى الدفع باتجاه الاستسلام ، وان عملياتها العسكرية حلقات مدروسة ضمن خطتها العامة .

ان مواجهة هذه المخططات ما زالت منذ سنة ١٩٤٩ مواجهة قاصرة . وما ذلك الا لان الانظمة العربية لم تصل بعد الى مستوى الاعداد لمواجهة حقيقية . وهذه المواجهة تتطلب : أ — اعداد الجماهير العربية للقتال ، واعداد المدن والقرى اعدادا عسكريا يمكنها من تحمل نتائج القتال . ب — اعداد الجيوش للمعركة اعدادا عصريا وثوريا . ج — توحيد القوى العربية والاستفادة من كل طاقاتها . د — حماية الثورة الفلسطينية ومساعدتها على اداء دورها . ولكن من الذي سيفعل ذلك كله !

ان الانظمة العربية كلها ما زالت ترتجف هلعا امام العدو الصهيوني ، وفي الوقت الذي تبحث فيه عن امكانيات « حل سلمي » تزداد تضاؤلا ، لا ترمي بثقلها في اتجاه القتال .

— ٤ —

تطرح في هذا الوقت ايضا اوساط عربية ، منها الاوساط الحاكمة في مصر ، ضرورة استخدام النفط سلاحا في المعركة . ولقد وجدت هذه الدعوة لها صدى على صعيدين : الاول : ليبيا . وقد قامت بتأميم ٥١ بالمائة من أسهم كل شركات النفط . الثاني : المملكة العربية السعودية ، وقد صرح الملك فيصل قائلا : « نحن لا نريد ان نحد من تصديرنا البترول الى الولايات المتحدة ، ولكن الدعم الاميركي الهائل لاسرائيل ضد العرب، يجعل من الصعب جدا استمرار تصدير البترول الى الولايات المتحدة واستمرار صداقتنا لها » . (نداء الوطن عن التايمس ١٩٧٣/٩/١٣) . اما المسؤولون الليبيون فقد اعتبروا النفط سلاحا هاما في المعركة (الانوار ١٩٧٣/٩/١١) .

وقد اثار التأميم الليبي وتصريحات فيصل موجة من التعليقات والتصريحات في كل بلدان العالم ، وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية . وكانت الاوساط الاميركية هي الاكثر قلقا . وكان هذا واضحا في المؤتمر الصحفي الذي عقده نيكسون والذي اعترف فيه : « ان الولايات المتحدة تجتاز خطر ان تكون تحت رحمة منتجي النفط في الشرق الاوسط » . واضاف نيكسون : « ان اميركا لم تصل الى ذلك بعد ، ولكنها قد تواجه سريعا بالدوامة المؤلمة في ان يكون عليها ان تخفض استهلاك النفط تخفيضا شديدا — او ان تخضع سياستها الخارجية لامرة بارونات النفط العرب » . وقد خصصت مجلة نيوزويك تقريرا لهذا الموضوع (١٩٧٣/٩/١٧) جاء فيه : « ان العرب ، بما انه ليس لديهم أمل في حل نزاعهم الدموي مع اسرائيل بقوة السلاح فانهم يتجهون الى سلاحهم الحقيقي الوحيد : النفط » . وتضيف المجلة : ان الهدف الحقيقي ، طبعا ، هو الولايات المتحدة وتأييدها المستمر لاسرائيل » .

ولقد اتخذت الولايات المتحدة اجراءاتها لحل ازمة الطاقة . ومن هذه الاجراءات التي أعلن عنها نيكسون ، ووزير خارجيته ايضا ، ضرورة حل ازمة الشرق الاوسط عن طريق المفاوضات .

ان الولايات المتحدة تخشى استخدام النفط العربي سلاحا ، ولذلك تدرس كل الاحتمالات حتى لا تقع في ورطة . الا ان استخدام النفط سلاحا يتطلب ان تتخذ الدول العربية موقفا موحدا وسريعا قبل ان تجد الولايات المتحدة واوروبا الحل . والدول العربية المنتجة للنفط لا تتحد ! لانها غير جادة في موقفها من الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية .

ثم ان النفط سلاح ، ولكن التلويح بالنفط لا يحرر فلسطين ، انه قد يدفع الولايات المتحدة لاتخاذ مواقف اقل اندفاعا في تأييد دولة الاحتلال ،

ولكنه لن يخرج الاحتلال . ونحن لا نريد تخفيف غلواء الولايات المتحدة فحسب . اننا نريد انهاء الاحتلال . وانهاء الاحتلال لا يكون بغير الحرب. والحرب ليست نفطا .

ان النفط لا يمكن ان يكون سلاحا رهيبا ضد العدو ، اذا ما جرت مصادرة املاك الشركات الاجنبية ووضعت هذه الثروة الهائلة في خدمة السياسة الحربية . وبهذا فقط يصبح النفط سلاحا .

ان الولايات المتحدة تعمل بعزم من أجل عدم الخضوع لاي ابتزاز ، ولذلك فانها تسرع الان في ترتيب الامور في المنطقة ، بتصفية الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية ، وباخضاع المنطقة لنفوذها من جديد .

— ٥ —

ان المنطقة تجتاز مرحلة حرجة فعلا ، ولذلك فان القضية الفلسطينية تجتاز مرحلة من أدق مراحلها واحرجها . وان الثورة الفلسطينية ستواجه في الايام القادمة مأزقها العربي من جديد ، كما لم تواجهه من قبل . ان بعض الانظمة يريد اليوم ان يجني ثمار ايلول سنة ١٩٧٠ .

ناجي علوش

ملحق القضية الفلسطينية عربيا

الاردن : متغيرات الصراع ... والمقاومة الفلسطينية

في الاشهر الاخيرة بدأت السياسات والاهداف التي تعبر عن المصالح المختلفة في الاردن تكشف عن نفسها بصراعات تتعاكس او تتداخل حسب طبيعة علاقاتها بعضها بالبعض . ولمعرفة طبيعة اتجاهات متغيرات الصراع في الشهرين الاخيرين لا بد من استعراض سريع لخلفية المتغيرات التي تحكم الصراع .

ان الدور الذي اضطلعت به المملكة الاردنية منذ تأسيسها تجاه القضية الفلسطينية واسرائيل قد بلور وركز طبقات ومصالح اجتماعية ، واشاد أجهزة دولة يرتبط استمرارها ومصالحها بتنفيذ ذلك الدور . ومن أهميته ومن خلاله تركزت المصالح والاهداف البريطانية والامريكية. وبالترافق والتزامن معها تحددت الاهداف ونفذت المخططات الاسرائيلية . وعبر الارتباط بتلك السياسات والمصالح تبلورت المواقع والمصالح الاقتصادية للتحالف الحاكم في الاردن .

وبالمقابل فقد تركزت في الوطن الاردني وفي جزء من الوطن الفلسطيني [الضفة الغربية] وتبلورت أهداف ومهمات حركة التحرر الوطني الفلسطينية والاردنية وتداخلت في حلقات كفاحية مشتركة . وبعد حزيران ١٩٦٧ اكتسبت الضفة الشرقية من الاردن أهمية استثنائية ، خاصة لحركة التحرر العربية (الانظمة) وبالاخص دول المواجهة منها ، وهي تتصدى لمعضلة الاحتلال . هذه المصالح والاهداف المتداخلة منها والمتعارضة والتي قد عبرت عن نفسها بأشكال وصراعات مختلفة هي التي تحكم معالم وآفاق الصراع وتغيرات موازين القوى بين اطرافه . بين جبهة القوى الامبريالية الامريكية واسرائيل والرجعية الاردنية وجبهة حركة التحرر الفلسطينية — الاردنية والعربية وجميع قوى التقدم والتحرر العالمية .

(١) الاستراتيجية الامريكية والنظام الاردني :
منذ بدأت الولايات المتحدة علاقتها بالنظام الاردني اتخذت من الاردن خاصة بعد عام ١٩٥٧ قاعدة ضد

حركة التحرر العربية الى جانب الدور الــــذي يضطلع به ضد حركة التحرر الفلسطينية . وفي الاشهر الاخيرة وبسبب من المصالح والاهــداف الامريكية لدفع الهزيمة العربية الى نهايتها ، يبدو واضحا ان السياسة الامريكية أمام خيارات مختلفة يمكن ان يتخذها شكل علاقاتها به حسب ما تتطلبه المصالح الامريكية الاستراتيجية في المنطقة وما تعينــه حدود مجريات الصــراع العــربي الاسرائيلي . ولما كان الموقف تجاه الانظمة المرتبطة بالاهداف والسياسات الامريكية يكمن في الدور الذي يؤديه ذلك النظام ، فانه عرضة للتغير في مراحل مختلفة عبر الحسابات المتغيرة التي تصب في خدمة الاستراتيجية العامة . وهذا يعني انها قد تلجأ الى تغيير رأس النظام أو قمته او حتى شكل الحكم فيه مع الحفاظ على الطبيعة الطبقية له ، والتي تمكن في استمرار تأدية الدور اياه . اما الحالات التي قد تضطر فيها للتخلي عن النظام بمجموعه ، او تكون غير معنية بمصيره ، فهي حالات حساب الصفقات السياسية البديلة .

في مقابلة بين احد الصحفيين الاردنيين واحد كبــار مساعدي الخارجيــة الامريكية اد سافيج تعليقا على حديث بورقيبة الذي طرح فيه مسألة الكيان الاردني على بساط البحث يؤكد سافيج « ان أي نظام صديق لنا لن نبكي عليه اذا سقط وان أي نظام يقوم نتعاون معه ما دام النــفط العربي يصل الى امريكا . لقد توقفت امريــكا عن الرهان على حصان واحد ... انها اليوم تراهن على الشوط بأكمله ، والحصان الــذي يصل يكون هو الرابح » [الحوادث اللبنانيــة ١٩٧٣/٧/١٨] . ويعبر تصريح سافيج عــن حقيقة ان النظام — الاداة ليس غاية بحد ذاته بل وسيلة تحقيق الاهداف الامريكية ، وهو حينما يستنفذ وتصبح حسابات استبداله أكثر أهميــة للمصالح الامريكية يلفظ كالنواة . هكذا « أخرج دلس دييم من كمه » كما يقول الفيتناميون ، وهكذا استبدل دييم بكاوكي والاخير بثيو . ولكن الموقف الامريكي في الاردن يبدو أكثر تعقيدا مــن غيره وفي أي مكان آخر . والتضحية بنظام حسين لا تزال مبكرة ويمكن ان تكون فحسب احــدى البدائل التي تساعد في مرونة السياسة الامريكية. انها تكون مدرجة فقط ، اذا كان في نهاية النظام الاردني تصفية للقضية الفلسطينية وضمان للمصالح الاستراتيجية الامريكية ، بمعنى تصفية للقضيــة التي وجد لانجازها والدور الذي اوكل اليه في مسيرته السياسية .

جوزف سيسكو مساعد الخارجية الامريكيــة يؤكد « عزم واشنطن على الاستمرار في دعم الاردن في جميع المجالات خاصة في الدفاع والتنمية» [التقرير الصحفي عدد ٤٨ ، مركز الابحاث] هل يعني ذلك ان الرجلين متناقضان؟ كلا أبدا. فما يقوله سيسكو هو تعبير عن السياسة الامريكية في الظرف القائم . اما ما يقوله اد سافيج فهو مرتبط بتطورات ميزان القوى وحسابات المصالح الامريكية في ايجاد «المعادلات الصحيحة» بين ضمان استمرار تدفق الطاقة والمصالح الامريكية الاخرى من جهة والحفاظ على ميزان القوى العســكري في صالح اسرائيل من جهة اخرى . وهذا ما يجد ترجمته في التفسير الامريكي للقرار ٢٤٢ ومفهوم الولايات المتحدة للمصالح المشروعة للشــعب الفلسطيني . ورغم غموض المفهوم الامريكي فان صمود الثورة الفلسطينية وحضورها الدولي هو الذي ارغم الولايات المتحدة على الاخذ بمفهوم اولي خارج القرار ٢٤٢ . ويبدو عدم الوضوح والمناورة في الموقف الامريكي من تصريح سيسكو ايضا « ان الولايات المتحدة لم تجر أية اتصالات مع أية منظمة او جمــاعة فلسطينية معينــة ، وان هذا لا يعني اننا لم نجر اتصالات من وقت الى آخر مع فلسطينيين فنحن نحاول دائما ان نستطلع الاراء في مناسبات وفرص مختلفة دون طابع رسمي » [التقرير الصحفي ٤٨] . ويبدو واضحا الهروب من تحديد ممثلي الشــــعب الفلســطيني ، وبالتالي الحقوق المشروعــة في التفسير الامريكي .

ان صمود الثــورة الفلســــطينية وتصاعدها واحتمالات تفجر الصراع في عموم المنطقة وتجذره امام التصلب الاسرائيلي وزحف «حدودها الآمنة» نحو خطوط عام ١٩٦٧ يضع امام السياســـــة الامريكية مصير النظام الاردني في معادلة حــادة. تصفية نظام الملك مقابل تصفية القضية الفلسطينية كمدخل لاستقرار امريكي — اسرائيلي — عربي مزعوم .

(٢) **السياسة الاسرائيلية والاردن** : لقد مرت السياسة الاسرائيلية تجاه الاردن بثلاث مراحل بعد حزيران ١٩٦٧ . الاولى هي التي رافقت صراع النظام مع حركة المقاومة الصاعدة ٦٨—٧٠

وتمثلت في الاستعداد الاسرائيلي للتدخل العسكري لحماية النظام عند اختلال ميزان القوى لصالح حركة المقاومة . والثانية هي مرحلة التلويح بالموافقة على مشروع المملكة وباعتباره [مع بعض التعديلات في حينه] مقاربا لمشروع الون عبر اتفاقية سلام منفردة مع الاردن . والثالثة هي التي انعكست بدايتها بردود الفعل الاسرائيلية السريعة تجاه المشروع البورقيبي الغامض كأساس للمفاوضة [هامش الغموض يكمن في حده الاقصى شموله الضفة الشرقية وما خصص للعرب في قرار تقسيم ١٩٤٧ من فلسطين ، والادنى في الضفة الشرقية] . وقد تجلى الموقف الاسرائيلي برفض أي كيان فلسطيني على أرض فلسطينية مهما كانت طبيعته ، وهذا ما يعكس حقيقة حدود الهامش بين « الصقور » و « الحمائم » الذي تقلص كثيرا في قرارات حزب العمل الحاكم الاخيرة. بل كاد أي اختلاف يختفي بين الاتجاهين : فدايان يقول « لقد اختفت فلسطين سنة ١٩٤٨ . ويجب ان تكون فلسطين جزءا من دولة الاردن . سمها منطقة فلسطينية في اتحاد ألاردن، سمها ما تشاء، لكن لا تسمها دولة مستقلة » [مقابلة تايم ١٩٧٣/٧/٢٤] . وتقول مائير « لا مكان بين البحر والصحراء (حدود العراق والاردن) الا لدولتين : اسرائيل والاردن » . ويقول ايبان : « ليس هناك وجود لشعب فلسطيني فأغلبيته أصبح اردنيا . وأي حديث عن حقوق خاصة للفلسطينيين كلام لا معنى له » (في خطاب للكنيست ١٩٧٣/٧/١٨) [الحرية اللبنانية ١٩٧٣/٨/٢٧]. وان مرغليت في [هآرتس ١٩٧٣/٧/١١] يشير الى خطاب دايان في التخنيون « هناك تيار مستمر في فلسطنة عمان الذي يزيد من ارتباط سكان الضفة الغربية بدولة الاردن ، وتصبح مملكة الاردن بحسب هذا التيار مختلطة او يأخذ التيار مجراه دون العرش ... هذا التيار هو شرط حيوي للتسوية مع اسرائيل وهو يتطلب زمنا طويلا . [نشرة مؤسسة الدراسات ١٦/١٤ تموز ١٩٧٣] .

هذا التطور في السياسة الاسرائيلية تجاه الكيان الاردني ، منذ نشوئه ككيان عازل لحماية اسرائيل واداة للتصدي لمقاومة الشعب الفلسطيني الى موقف يؤدي حتى الى ان يأخذ التيار مجراه دون العرش » [العرش الذي كانت اسرائيل مستعدة لحمايته عسكريا في ايلول ١٩٧٠] هي سياسة تنبع من استراتيجية ثابتة ذات حلقات مرحلية مترابطة ومنسجمة تبدأ باستخدام الاداة ، ثم تغير لها دورها ، وتنتهي بالموافقة على سقوط العرش ولكن النهاية الاخيرة للعرش لا توافق عليها اسرائيل بالطبع الا اذا كانت مترافقة مع التصفية النهائية للقضية الفلسطينية . وبالتصدي لانهاء أية امكانية لكيان فلسطيني مستقل كما هي سياسة دايان (الصقور) . وهو لا يفترق كثيرا عن موقف الون (الحمائم) حينما يقول في مناقشات حزب العمل حول المفاوضات مع الاردن « ان أي اتفاق لا بد ان يضمن حلا دائما للمشكلة الفلسطينية [الحرية ١٩٧٣/٨/٢٠] .

أما هامش التعارض بين السياسة الامريكية والاسرائيلية تجاه النظام الاردني فهو بدوره ايضا يتقلص ويتراجع بنسبة طردية مع التنازلات العربية ويمكن تلخيصه في الفرق بين التفسير الامريكي للقرار ٢٤٢ الذي يتضمن تأييد المفاوضات المباشرة التي تصر عليها اسرائيل وتفهمه«لطموحات»اسرائيل في التوسع الاقليمي في الضفة الغربية بحجة تحقيق « الحدود الامنة » . والموقف الاسرائيلي (الصقور) القائل « بأن المشكلة الفلسطينية تجد حلها في الضفة الشرقية من النهر » . وبالرغم من ان الموقف الامريكي لا يزال « يعترض » على حدود « الطموحات » التي تتضمن الضفة الغربية كاملة فهو بالمقابل مع جميع طموحات التوسع«الضرورية» مقتربا شيئا فشيئا من مشروع الون باضافة شريط بشري الى الضفة الشرقية من المملكة . وكلما تقلصت الارض « المتنازل » عنها في مشروع الون خاصة في البرنامج المشترك لحزب العمل الاخير استجاب الموقف الامريكي عمليا لزحف الحدود الآمنة (وان كانت الاستجابة غير سريعة وغير متطابقة) بتوفيره الغطاء السياسي والعسكري الدائم للموقف الاسرائيلي .

هذه السياسات الامريكية والاسرائيلية المتعارضة من حيث الشكل والمتقاربة من حيث الجوهر والنتيجة تعكس نفسها بوضوح وتؤثر في سياسة النظام الاردني وهو يحاول صياغة سياسته التي تمكنه من التوفيق بين تلك المصالح والسياسات المتغيرة وبين المصالح الذاتية لتحالف الطبقات الحاكمة واستمرار وجودها .

(٣) المصالح الاقتصادية والسياسية المتميزة للنظام الاردني : ان الابقاء على المصالح

الاقتصادية والسياسية للتحالف القائم تستوجب الاستمرار في تأدية الوظيفة السياسية للنظام وهذه الوظيفة هي التي تحدد السياسة الاردنية العامة في كل طور من اطوار الصراع .

بعد معارك ايلول اتخذت الاعمدة الرئيسية التالية : تصفية نهائية للوجود العلني للمقاومة ، اعلان مشروع المملكة المتحدة ، الاستعداد للصلح المنفرد مع العدو ، الشروع ببرامج الانماء الاقتصادية التي تشد الاقتصاد الاردني وثيقا الى الحلقات الاقتصادية الامريكية . هذه الاعمدة الرئيسية لا بد لها من ان تكون متداخلة مع الاهداف الامريكية ومستجيبة لمتطلبات المخططات الاسرائيلية.وقد راهنت هذه السياسة على الموقف الاسرائيلي في اعادة جزء من الوطن الفلسطيني تحت الوصاية الاردنية واحلال « سلام » منفرد ، مقابل المبادرة الاردنية بالاعتراف بالكيان الاسرائيلي والتفريط بجزء من الوطن الفلسطيني لكسر طوق الرفض العربي حينئذ . كما راهنت على الموقف الامريكي في استمرار الدعم الاقتصادي والعسكري لمواجهة حركة التحرر الوطني الاردنية والعربية ، وكذلك في المساعدة على اقناع الاسرائيليين بقبول المشروع . وفي الاشهر الثلاثة الاخيرة بدأت الاعمدة الرئيسية لسياسة النظام ترتطم بالتناقضات المتفاقمة بين المصالح والسياسات المتعارضة .

على الصعيد الداخلي الاقتصادي والسياسي يحدد فهد الفانك في محاولته لدراسة بعض الظواهر الاقتصادية في صحيفة « الدستور » الاردنية (٨/٢٥) يحدد الاسباب الرئيسية للغلاء ويلمس بعضا من اهم جوانب الخلل في البنيان الاقتصادي ومنها : ارباح التداول بالاراضي تشكل ٢٠ ٪ من الدخل القومي ، الانتاج الزراعي متخلف عن زيادة السكان ، الاستيراد هو المنفذ الوحيد لتوفير السلع، ويتساءل بالنتيجة لتأكيده للازمة الاقتصادية المتفاقمة ، هل ترتبط اسعار البيع بالتكاليف حتى يكون التسعير اجباريا ؟ وهل يلغى قانون العرض والطلب بامر دفاع » وعلى الصعيد السياسي تحدث جمعه حماد الامين العام للاتحاد الوطني (حزب السلطة) وهو الاداة السياسية لها لفك جزء من عزلة النظام عن الجماهير ، تحدث عن تزوير الانتخابات ، المكتبية وضخامة الموظفين ، الفشل في كسب اهل المدن ، التضخم في عدد المنتسبين: ١٤٦ الفا [الانتساب اجباري لموظفي ومستخدمي الدولة] مقترحا ان يكون العدد ٥ آلاف فقط . اما الحاضرون في ندوة حماد والذين لم يتجاوز عددهم ١٥٠ مواطنا ، فرغم ولاء غالبيتهم الاجباري للسلطة لم يتمكنوا الا ان يتساءلوا عما يدور في اوساط الشعب وما يهم الجماهير في حياتها اليومية . كانت اهم تساؤلاتهم : كيف عالج الاتحاد النعرة الاقليمية بعد ايلول ، ماذا عمل من اجل تحرير الارض المحتلة ، ولماذا فشل في كسب سكان المدن ونجح في كسب البدو! وهو ما يدل على فشله في كسب من لهم خبرة سياسية ، اما كسب البدو فكان بفعل جهلهم وتفشي العشائرية . » [الى الامام ٢٤ آب] . هذا الاخفاق الاقتصادي والسياسي ترافق مع آثار العزلة العربية واستمرار حجب جزء من المساعدات المالية ، وهذا ما شكل ضاغطا باستمرار لتجديد محاولات الانفتاح العربي التي كانت تجد معارضة داخلية من « ابطال » ايلول ١٩٧٠ .

أما على صعيد محاولات التحضير « لانجاح » مشروع المملكة المتحدة والتي اتخذت شكل تحسين العلاقات مع سكان الضفة الغربية ، فنجد ان الاخفاق كان ملازما لهذه السياسة في ظواهر بارزة متعددة ، تراكمت وتبلورت في الشهور الثلاثة الاخيرة بشكل خاص لتؤكد اخفاق النظام في انجاز العمود الاساسي لسياسته تجاه القضية الفلسطينية .

اولى تلك المحاولات تمثلت في رفع الضريبة ٢٠٪ لكسب ولاء التجار والصناعيين في الضفة الغربية، وتمثلت الاخرى في مد جسور مع بعض الاوساط السياسية لتجديد الولاء وفشلت في تحقيق أي تقدم. وتقول فلسطين الثورة في ٢٨ آب « ان تحركات جديدة لعملاء الملك ورجالاته بهدف التأكيد مجددا على الولاء ، قوبلت بالاستنكار والازدراء والاهانة » وكذلك ما اوردته معاريف الاسرائيلية من أن شخصيات عربية في الضفة الغربية والقطاع قد « اوحي » اليها للتعبير عن تأييدها للملك . وعلى صعد اقتصادي آخر وفي الاتجاه نفسه ولكنه يقدم خدمة اضافية لسياسة الدمج الاقتصادي الاسرائيلية ، ذكرت صحيفة « القدس » : « ان اتصالات تجري بين السلطات الصهيونية والملكية تهدف الى افتتاح فرعين للبنك العربي في كل من نابلس والقدس » [فلسطين الثورة ٨ آب] هذه التحركات الاقتصادية والسياسية يقابلها نشاطات

جماهير الضفة الغربية السياسية . لقد تمثلت تلك النشاطات في المذكرة التي قدمها ممثلو مختلف الهيئات الوطنية والنقابية في جميع المحافظات الى مجلس الامن يطالبون فيها « بانهاء الاحتلال بجميع صوره ، وحقهم في تقرير مصيرهم، وسيادتهم على اراضيهم » هذه المذكرة هي احتجاج على الموقف الاردني ورفض وصايته واسقاط ادعاءاته في تأييد الجماهير الفلسطينية للملك [الحرية ١٣ — ٨] والمذكرة الثانية من أهل الارض المحتلة الى سكرتير هيئة الامم المتحدة والتي تضمنت تواقيع ١٥٠ شخصية من ممثلي الرأي والنقابات والهيئات في الضفة الغربية وقطاع غزة معارضة اجراءات العدو ، ومؤكدة على حق الشعب في تقرير المصير بحرية تامة فوق ارضه والعودة الى دياره » [الفجر القدسية ١ ايلول] هذه النشاطات السياسية لجماهير الضفة والقطاع والتي عاكست مشروع الملك كانت تعبر عن الوجه الثاني لمقاومة الاحتلال ومكملة لظواهر اخرى اندلعت في مواجهة اجراءات العدو لمصادرة الاراضي ، فكان « الاعتصام والصيام في بلدية نابلس الذي استمر اسبوعا كاملا وحظي بتأييد رؤساء البلديات وجميع ممثلي فئات وطبقات الشعب دليلا على التصميم في الدفاع عن ارض الوطن ومواجهة الاحتلال » [الشعب ٦ ايلول] . هذه الاتجاهات المعارضة للنظام الاردني ساهمت هي الاخرى بالانتصارات السياسية العالمية التي أحرزتها حركة المقاومة ، منذ انتصاراتها العسكرية والسياسية في صد هجمة ايار ، والتي تمثلت في : مقررات مؤتمر القرم للدول الشيوعية تجاه القضية الفلسطينية والمعاهدة الالمانية وانتصارات مؤتمر الشبيبة في برلين واخيرا في مؤتمر الجزائر .

ان اخفاقات السياسة الاردنية الاقتصادية والفلسطينية (مشروع المملكة) مقابل انتصارات حركة المقاومة وتأكيد ثقلها الدولي كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني قد حشر النظام في الزاوية وهو في بداية مرحلة الانفتاح العربي . وفي هذه الاجواء جاء مشروع بورقيبة الذي وضع النظام الاردني موضع المساومة ، والرد الاسرائيلي الذي سحب الارض من تحت مشروع مملكته المتحدة وبالترابط بين الموقف الداخلي والامريكي والاسرائيلي وليدخل الملك ونظامه ولاول مرة في مأزق جدي خطير ذي اطراف متعددة . هذا المأزق التاريخي تلقي كلمات زيد الرفاعي ضوءا على أحد جوانبه : « افهمونا ، انا مستعد ان اوقع صلحا مع اسرائيل ولكن هم الاسرائيليين لا يريدون » ، وهذا الكلام مكمل لتصريحات دايانية قديمة « ان اسرائيل غير مستعدة لتوقيع صلح يمكن أن ينقصه ضابط مغامر » [٥ — ٩] وبالطبع ان دوافع عدم عقد اتفاقية صلح مع الملك ليست كما يدعي دايان بهذا التصريح بل تنسحب على الوضع الفعلي لعلاقة اسرائيل بنظام الملك [الجسور المفتوحة مثلا] الذي يخدم اسرائيل ومخططاتها دون الدخول بمفاوضات رسمية ، قد تضطر اسرائيل للتوقف عند حدود معينة . ومن هذه الدروب المسدودة بدأ النظام رحلته في البحث عن مخارج وسياسات سبق ان انتهجها كلما شعر بالاختناق والمحاصرة وذلك بالتوجه نحو سياسة الانفتاح العربي .

س . ج .

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

لا شك ان اهم تفاعل دولي تواجهه القضية الفلسطينية في الفترة الراهنة يكمن في الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وتلخصت هذه الجهود في ابتعاد السعودية التدريجي عن موقفها التقليدي القائل بضرورة فصل كل ما يتعلق بالبترول عن المشاكل السياسية الكبيرة والصغيرة في المنطقة والتعامل معه كسلعة تجارية لا أكثر ، وفي التهديد المتزايد باستخدام الحد من انتاج النفط كسلاح سياسي لحمل الولايات المتحدة على التدخل لدى اسرائيل بما يجعل الاخيرة تقبل بالتسوية السياسية للنزاع في المنطقة . وقد بدأ هذا التحول في الموقف السعودي بالظهور الى العلن في الربيع الماضي عندما أبلغ زكي اليماني (وزير النفط) وليم روجرز بأنه سيتعذر على السعودية رفع انتاج نفطها بما يتناسب مع حاجات الدول المستهلكة في المستقبل ، وخاصة حاجات الولايات المتحدة نفسها ، وبما يتناسب مع الخطوات اللازمة لتجنيب هذه الدول أزمة حادة في توفر الطاقة ، هذا ما لم تساعد الحكومة الامريكية بشكل جدي في حل النزاع العربي الاسرائيلي . وبالاضافة الى التخوف من التأثيرات السلبية التي يتركها استمرار النزاع على الانظمة العربية عامة ، يبدو أن السبب الاخر الكامن خلف هذا التحول في الموقف السعودي هو الاحراج الذي واجهه الملك فيصل أمام الرئيس السادات بعد انهاء الوجود السوفياتي في مصر . اذ يبدو ان الملك كان قد تعهد بتدخل امريكي يجعل اسرائيل اكثر تقبلا لتسوية النزاع وفقا للتفسير العربي لقرار مجلس الامن وذلك بعد قيام الرئيس السادات باخراج الخبراء السوفيات من البلاد . وبما ان الامل بهذا التدخل لم يتحقق ، ولا حتى بشكل جزئي جدا ، وجد الملك نفسه مضطرا للتهديد بصورة مباشرة بسلاح النفط من اجل الضغط على سياسة الولايات المتحدة في المنطقة . وتقدم شاه ايران لتأكيد الموقف السعودي وتعزيزه وذلك اثناء زيارته الاخيرة الى واشنطن ، حيث أعلن ، في اواخر شهر تموز ، في مقابلة تلفزيونية ان الدول العربية المنتجة للنفط ، وعلى رأسها السعودية ، قد تستخدم البترول كسلاح سياسي في النزاع العربي الاسرائيلي ، وان ايران تدعو ، لهذا السبب ، الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بأكبر سرعة ممكنة . كذلك ترددت أنباء صحفية اثناء الزيارة ان الشاه حذر الرئيس نيكسون من التأثيرات السلبية لاستمرار النزاع على حاله على الانظمة العربية الموالية للغرب ، وقد تم تتويج هذا الاتجاه في السياسة السعودية بتصريح ادلى به الملك فيصل الى التلفزيون الامريكي في اواخر آب اشار فيه الى أن استمرار الولايات المتحدة في تأييدها لاسرائيل سيجعل من الصعب على السعودية رفع انتاجها من البترول لتزويد امريكا بحاجاتها النفطية كما سيؤثر سلبيا على العلاقات الودية بين البلدين . وعاد فيصل الى طرح الموضوع نفسه في مقابلة أجرتها مجلة « نيوزويك » الامريكية الاسبوعية (في اوائل ايلول) حيث ربط بوضوح تام بين تدخل امريكا للضغط على اسرائيل كي تستجيب لعروض السلام في المنطقة وبين زيادة انتاج النفط بما يتلاءم مع مصالح الدول المستهلكة . طالب الملك فيصل « بتوفير المناخ السياسي الملائم الذي عكرته ازمة الشرق الاوسط » و« بتوقف الولايات المتحدة عن التحيز لاسرائيل وعن امدادها بالمساعدات غير المحدودة » قبل اعطاء موافقته على تنفيذ مشاريع زيادة انتاج النفط السعودي ، وذلك لان الموقف الامريكي جعل اسرائيل ترفض السلام، وعلى حكومة الولايات المتحدة تحمل مسؤولياتها في « تصحيح هذا الوضع » في المنطقة ، على حد قوله . وبالاضافة الى ذلك دعا فيصل الى التعاون التام مع ايران من أجل « تحقيق الاستقرار في الخليج » .

أما ردود الفعل الامريكية على هذا الاتجاه في السياسة السعودية فكانت ذات طابع مزدوج : تصريحات وتحركات ذات طابع تطميني للجانب العربي وتصريحات اخرى مطمئنة لاسرائيل تنطوي على تهديدات مبطنة للدول العربية المنتجة للنفط .

وكانت اهم التطورات بالنسبة للشق الاول :

(١) تحرك عدد من شركات البترول الكبرى باتجاه دعوة السلطات الامريكية « لتوثيق علاقاتها مع العرب » والعمل بشكل افضل مع حكوماتهم على أساس المصالح الحيوية المشتركة للطرفين . فقد وجهت شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا رسالة

الى المساهمين فيها تدعوهم على حث حكومتهم الاهتمام بالصداقة مع الدول العربية وازالة الانطباع الناشىء في العالم العربي « بان الولايات المتحدة قد أدارت ظهرها للامة العربية » وانها لا تهتم « بآمال الشعب العربي وتطلعاته » . وطالبت الرسالة تشجيع كل تقارب بين الدول العربية والولايات المتحدة ونصحت بضرورة قيام الحكومة الامريكية بجهود جدية لتحقيق السلام في الشرق الاوسط من خلال تسوية عادلة للنزاع . وكانت شركة موبيل اويل قد نشرت رسالة مفتوحة في « النيويورك تايمس » ركزت فيها على النقص في امدادات الطاقة في امريكا وعلى حاجة البلاد لبترول الشرق الاوسط، وخاصة بترول السعودية، كما دعت الى ضرورة تفهم امريكا لمصالح شعوب المنطقة وآمالها والاعتراف بكل ما هو مشروع منها. والقى رئيس شركة كونتيننتال اويل خطابا مهما حول أزمة الطاقة واهمية النفط العربي لامريكا معتبرا ان واقعا جديدا قد دخل الحياة الامريكية لاول مرة في تاريخها مما « يستتبع اعادة النظر في كل سياستنا الخارجية ازاء الشرق الاوسط وبتعليق اهمية عليها اكبر بكثير مما فعلنا حتى الان » .

(٢) تصريحات لجوزيف سيسكو اطلقها في اخر شهر آب حيث قال ان حكومة بلاده ليست راضية ابدا عن حالة اللاحرب واللاسلم المسيطرة على النزاع العربي الاسرائيلي ، وان المصالح الامريكية لا تتطابق دوما وبالضرورة مع السياسة الاسرائيلية . ثم أكد ان حكومته ستأخذ زمام المبادرة في النشاط الدبلوماسي بهدف ترتيب مفاوضات غير مباشرة بين الاطراف المعنية للوصول الى تسوية للنزاع على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ويبدو ان سيسكو عاد الى طرح صيغة « محادثات الجوار » التي قام حولها جدل واسع في مرحلة سابقة من الاتصالات المصرية الرسمية بامريكا . وذكرت الانباء الصحفية ان سيسكو اجتمع بالسفير الاسرائيلي في واشنطن وحثه على ضرورة قيام الحكومة الاسرائيلية بتقديم افكار جديدة حول التسوية في الشرق الاوسط من اجل تخطي المأزق الذي وصل اليه النزاع العربي الاسرائيلي، خاصة وان اسرائيل هي الجهة المؤهلة لتقديم مثل هذه الافكار باعتبارها الطرف الاقوى في المواجهة . يضاف الى ذلك صدور تصريحات عن وزارة الخارجية الامريكية تشير الى الاهتمام الخاص الذي تبديه حكومة البلاد في استقرار منطقتنا (وخاصة منطقة الخليج) بسبب تزايد اهمية النفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة ، ومساندتها القوية للقدرة العسكرية والسياسية لكل من ايران والسعودية والكويت وتزويدها بأسلحة حديثة على الرغم من المصاعب التي تخلقها هذه الخطوات في العلاقات الامريكية — الاسرائيلية .

(٣) تعيين جيمس اكنس سفيرا لامريكا في السعودية ، ويستمد هذا التعيين اهميته من كون أكنس خبير نفطي يأخذ بوجهة نظر شركات البترول حول ضرورة توازن السياسة الامريكية في المنطقة كي لا تقع الانظمة البترولية العربية الموالية صراحة للغرب في احراجات سياسية وشعبية هي بغنى عنها . ورأت بعض المراجع الدبلوماسية العربية في هذا التعيين بداية التعديل المرتقب في السياسة الامريكية نحو اسرائيل .

(٤) مطالبة صحيفة « النيويورك تايمس » في هذه الفترة بالذات كل من حكومة الولايات المتحدة واسرائيل الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وآماله الشرعية واخذها بعين الجد والاعتبار في كل ما يمس التقدم نحو تسوية سياسية لمشكلة الشرق الاوسط .

(٥) التصريحات التي اطلقها الرئيس نيكسون عبر مؤتمر صحفي عقده في الاسبوع الاول من شهر ايلول حيث : (أ) اعترف للمرة الاولى بأن قضية النفط العربي يمكن ان ترتبط بصورة مباشرة بالنزاع العربي الاسرائيلي ، (ب) اعلن ان الولايات المتحدة ليست مع العرب ولا مع الاسرائيليين ، بل مع السلام في المنطقة ، وان اسرائيل ارتكبت — كالدول العربية — اخطاء وقفت في طريق تحقيق التسوية السلمية للنزاع ، (ج) اشار الى ان حكومته ستستخدم كل نفوذها لدى اسرائيل وبعض الدول العربية للبدء بمفاوضات من أجل الوصول الى التسوية ، (د) طلب من وزير الخارجية الجديد ، هنري كيسنجر ، ان يمنح ازمة الشرق الاوسط الاولوية المطلقة في عمله وجهوده ، وانه سيوفد جون كونالي ، وزير الخزانة السابق ، الى المنطقة من أجل اجراء مشاورات مع الاطراف المعنية ، واستبشرت الاوساط الدبلوماسية العربية خيرا بهذه التصريحات وخاصة اعلان نيكسون للمرة الاولى بأن اسرائيل تشترك مع

العرب في تحمل مسؤولية فشل مساعي التسوية السلمية ، واعتبرت كل ذلك بداية للضغط الذي ستمارسه امريكا على اسرائيل من أجل تسوية النزاع على اسس « عادلة » .

أما التحركات والتصريحات الامريكية المطمئنة لاسرائيل والحاوية على تهديدات مبطنة للدول النفطية العربية فقد جاءت على الشكل التالي :

(١) تصريح مدير مكتب الرئيس نيكسون للطاقة في منتصف شهر آب بأن الحكومة الامريكية لن تبدل سياستها نحو اسرائيل على الرغم من حاجة البلاد الى البترول العربي ، وانها ستعمد الى ايجاد طرق « تجعل ايران والسعودية والكويت تدرك ان زيادة الانتاج هو في مصلحتها » . بالاضافة الى ذلك هاجم السناتور هيوبرت همفري شركات البترول وأتهمها بمحاولة التأثير على السياسة الامريكية في الشرق الاوسط لمصلحة الدول العربية المنتجة للنفط باشاعتها الفكرة القائلة بأن دعم اسرائيل سيسيء الى شحنات البترول الى امريكا وبدعمها « المطالب غير العادلة لبعض الزعماء العرب كي تتخلى امريكا عن اسرائيل » .

(٢) تأكيد روجرز قبل استقالته مباشرة الموقف الامريكي المعروف من النزاع العربي الاسرائيلي حيث قال انه لا يمكن تحقيق التسوية السلمية في المنطقة الا عبر المفاوضات المباشرة بين الاطراف المعنية وأشار الى نجاح المفاوضات بين كل من كوريا الشمالية والجنوبية ، والمانيا الشرقية والغربية ، وبين الهند والباكستان . كما عاد للتشديد على رفض امريكا فرض أي حل للنزاع على دول المنطقة على الرغم من أزمة الطاقة واهميتها بالنسبة لسياسة البلاد .

(٣) قيام الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بصواريخ جو — جو من طراز م — ٧ — ف المصممة خصيصا لمواجهة طائرات الميغ ٢٣ والميغ ٢٥ .

(٤) الاخبار التي ترددت حول الاستعدادات التي تخطط لها الاوساط الامريكية الحاكمة للتدخل العسكري ، اذا لزم الامر ، من أجل تأمين استمرار تدفق النفط الى الدول المستهلكة (خاصة الى امريكا) . لقد أشار السناتور وليم فولبرايت صراحة في خطاب رسمي الى المداولات الجارية على أعلى المستويات حول الاستعداد الامريكي للسيطرة على منابع النفط ان دعت الحاجة الى ذلك . وبينت المجلة الاسبوعية الفرنسية «النوفيل اوبسرفاتور» في منتصف آب ان هذا الموضوع كان موضع مناقشة جدية في اجتماعات سرية عقدت في لندن بين ممثلي حكومتي البلدين حيث تم التداول في المخططات الموضوعة لتنفيذ مثل هذه العمليات العسكرية « اذا استخدمت الدول العربية النفط كسلاح ابتزاز » لحمل الولايات المتحدة على التخلي عن اسرائيل . كما نشرت مجلة « تايم » الامريكية في اواخر آب اخبارا عن المناورات الحربية الاخيرة التي اجراها المارينز في منطقة صحراوية بهدف تدريب الجنود على هذا النوع من الحروب . واستمع المشتركون في المناورات الى محاضرات مفصلة عن الوضع في الشرق الاوسط ، وكان « جيش العدو » في المناورات مسلحا بأسلحة سوفياتية ومرتديا لباس ميدان يشبه لباس الجيش الليبي . وأوردت المجلة النوع التالي من العبارات على لسان الضباط : « نحن هنا لنكتسب الخبرة اللازمة للاستيلاء على البترول » و « يشكل الشرق الاوسط برميل بارود ظاهر للعيان ومن الطيش الا نعد انفسنا لذلك » . ان المغزى الذي تنطوي عليه هذه الانباء واضح ولا يحتاج الى أي تفسير او تعليق اضافي .

(٥) تصريحات نيكسون وتهديداته غير المبطنة كثيرا التي وردت في المؤتر الصحفي المشار اليه سابقا حيث حذر الدول العربية المنتجة للنفط من استخدام البترول كسلاح سياسي وذكرها بالمصير الذي وصل اليه مصدق عندما خرج كليا عن ارادة الدول المعنية في سياسته النفطية ، كما اكد ان بلاده مصممة على ألا تقع تحت رحمة الدول العربية المنتجة للبترول . ان في هذه الاشارة الى مصير مصدق ما يكفي لافهام الجانب العربي من انه حتى لو افترضنا جدلا ان الانظمة البترولية العربية دخلت في مواجهة جدية مع الولايات المتحدة فان الاخيرة مستعدة لاستخدام كافة الوسائل ، مهما كان نوعها ، للخروج منتصرة من المواجهة .

(٦) تصريحات هنري كيسنجر حول السياسة التي سيتبعها في الشرق الاوسط وكلها تشير الى انه سيتمسك بالموقف الامريكي المعروف . على سبيل المثال أعلن : (أ) ان مهمته بالنسبة للنزاع في المنطقة هي ايجاد الاسس المناسبة

لاجراء مفاوضات بين الدول العربية واسرائيل ، (ب) ان تصريحات الرئيس نيكسون الاخيرة حول الشرق الاوسط والنفط العربي لا تعكس أي تغييرات أساسية في موقف الولايات المتحدة من الدول العربية ، (ج) انه يعارض فرض اية حلول خارجية على اطراف النزاع ويؤيد الحل عن طريق المفاوضات بينها ، (د) انه يشدد على الصداقة الامريكية الاسرائيلية والمصالح المشتركة التي تربط بين البلدين وعلى الاتفاق الحاصل بينهما حول التكتيك الذي ينبغي اتباعه في المنطقة. بالاضافة الى ذلك أعلن كيسنجر انه ينوي القيام بزيارة لاسرائيل والدول العربية المعنية بالنزاع الا انه لم يحدد موعدها بعد .

قبل افتتاح الدورة الحالية لهيئة الامم وعشية انعقاد مؤتمر دول « عدم الانحياز » في الجزائر قام الامين العام للمنظمة الدولية ، فالدهايم ، بزيارة الى منطقة الشرق الاوسط شملت كل من سوريا ولبنان ومصر والاردن واسرائيل . وقبل نزوله في دمشق قابل فالدهايم السفير غونار يارنغ في سويسرا حيث تداول معه في موضوع الوساطة الدولية المجمدة وبمشكلات التسوية السلمية بشكل عام . وقد حدد فالدهايم أهداف زيارته على النحو التالي : (أ) تقصي الحقائق حول النزاع في المنطقة والتعرف على مشاكلها وزعمائها بصورة شخصية ومباشرة ، (ب) الوصول الى تقييم لما يمكن للامين العام والمنظمة الدولية أن يقوما به من أجل اخراج الازمة من مأزقها الحالي وايجاد حل مناسب لها . وشدد فالدهايم على انه لا يحمل معه أية اقتراحات محددة ليعرضها على الاطراف المعنية .

كانت دمشق اول عاصمة عربية زارها فالدهايم حيث قابل الرئيس حافظ الاسد ووزير الخارجية السوري وعددا آخر من المسؤولين الكبار .

وبعد انتقاله الى بيروت اجرى فالدهايم محادثات مع الرئيس سليمان فرنجيه ورئيس الوزراء ووزير الخارجية حول مشكلة الشرق الاوسط عامة وموقع لبنان منها بشكل خاص . ومما يلفت الانتباه بهذا الصدد الدبلوماسية والتحفظ الشديدين اللذين اتصفت بهما تصريحات الامين العام في لبنان . على سبيل المثال عندما سئل عن رأيه في الدولة الفلسطينية التي تكلم عنها وزير خارجية مصر في مجلس الامن أجاب بقوله : « ان قضية فلسطين قضية مهمة وواضحة وأي حل لها يجب ان يكون عادلا ومرضيا » . وعندما سئل عن رأيه في دور النفط العربي كأداة للضغط من اجل الوصول الى تسوية تقدم بالجواب التالي : « ليس لي أن أجيب على هذا السؤال أو أن أعلق عليه مع انه موضوع مهم جدا » . ومن الموضوعات التي تبين ان فالدهايم بحثها مع المسؤولين في لبنان الاوضاع في المخيمات والعلاقات مع وكالة الاغاثة والخدمات التي تقدمها ، ووعد الامين العام بالعمل على تغطية العجز الواقع في ميزانية الوكالة والبالغ ١٠ ملايين دولار لسنة ١٩٧٤ على حد قوله . وفي اسرائيل قابل فالدهايم رئيسة الوزراء ووزير الخارجية بعد أن أكد من جديد بأنه لا يحمل معه اية مقترحات معينة لحل الازمة في المنطقة ، وهو تأكيد على جانب من الاهمية بسبب الحساسية الاسرائيلية الشديدة مما تسميه بالحلول المفروضة من الخارج على دول المنطقة. واثناء تبادل الانخاب التقليدية يبدو ان فالدهايم اشار الى القدس على انها عاصمة اسرائيل مما اضطره الى اصدار ايضاح أكد فيه انه ملتزم كليا بموقف المنظمة الدولية من مدينة القدس ، أي عدم الاعتراف بها كعادته كعاصمة لاسرائيل . وأنهى زيارته بتصريح قال فيه انه بناء على محادثاته الاسرائيلية يعتقد بأن الفرصة متوفرة كي تساهم هيئة الامم في ايجاد تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط .

في القاهرة قابل فالدهايم الرئيس انور السادات وكبار المسؤولين في البلاد ثم عقد مؤتمرا صحفيا (قبل مغادرة البلاد الى عمان) لخص فيه نتائج جولته . وكان أهم ما جاء في المؤتمر : (أ) تأكيده على أهمية المحادثات التي أجراها مع الرئيس السادات لانها « مكنتني من الحصول على فهم أفضل لموقف مصر وآرائها بالنسبة لقضية الشرق الاوسط » ، على حد قوله . (ب) نفيه لامكانية تبلور تسوية للازمة في المستقبل المنظور مع التأكيد على متابعة البحث عن الوسائل المناسبة للوصول الى مثل هذه النتيجة (وخاصة اثناء انعقاد دورة الجمعية العامة) وعلى أمله في حل المعضلة على أساس ميثاق هيئة الامم . (ج) اعلانه بأن الانطباع الذي كونه هو أن جميع دول المنطقة تدرك تماما الاخطار التي ينطوي عليها عدم التوصل الى حل سلمي للنزاع ، وانها كلها تريد السلام وترغب فيه « وقد عبرت عن ذلك بألفاظ

حاسمة » . (د) تأكيده بأن مذكرة يارينغ الشهيرة (والتي توقفت وساطته على اثر الاجابة الاسرائيلية عليها) ما زالت قائمة ، ثم تحفظه حولها بقوله الغامض انه لا يدري كيف يمكن ان تسهم المذكرة في حل المشكلة لان الحل يعتمد على مواقف الاطراف المعنية بالنزاع « وأنا لا اعرف ما سيكون عليه موقف اسرائيل مستقبلا بالنسبة لهذا الموضوع » . (هـ) اعترافه بأنه قام بدور الوسيط غير الرسمي في هذه الجولة ، بمعنى انه نقل وجهات نظر كل طرف في النزاع الى الطرف الاخر مما قد يكون من شأنه المساعدة في عملية التوصل الى حل سلمي .

وفي عمان ، بالاضافة الى مقابلة الملك حسين وكبار المسؤولين في الاردن ، زار فالدهايم مخيم شنلر وتسلم مذكرات من فئات فلسطينية ذكرت الصحافة انها صادرة عن لجنة انقاذ القدس ، وروحي الخطيب،ومن أسمتهم«بممثلين عن اللاجئين». ويبدو ان المذكرات طالبت الامم المتحدة بتحقيق حل عادل لازمة الشرق الاوسط قائم على أساس انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة و« عودة اللاجئين الفلسطينيين الى أراضيهم وممتلكاتهم » . ويبدو واضحا ان السلطات الاردنية قدمت الشعب الفلسطيني الى فالدهايم على انه مجموعة من اللاجئين تبحث عن العدالة والحق لدى المنظمة الدولية لا أكثر ولا أقل ، وهذا واضح من التصريح الذي أدلى به قبل سفره الى الجزائر (لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز) حيث قال ان الفرصة أتيحت له « للتحدث الى هؤلاء الناس (سكان المخيمات) وقد شرحوا لي مشكلاتهم وتعاستهم وبؤسهم . وتعرفون اننا نبذل قصارى جهدنا في الامم المتحدة لنقدم كل مساعدة لهم وشاهدت بأم عيني الوضع المفجع الذي يعيشه اللاجئون » . وترددت انباء صحفية تقول ان الامين العام ينوي مقابلة وزير الخارجية الامريكي الجديد ليبلغه نتائج مباحثاته في البلدان التي زارها مما يعني ان جولة فالدهايم ليست ببعيدة عن التحركات الامريكية الاخيرة بالنسبة للشرق الاوسط .

وعلى صعيد آخر اصدر مجلس الامن الدولي قرارا بالاجماع في منتصف شهر آب أدان فيه اسرائيل ادانة صريحة وواضحة على قيام طائراتها الحربية باختطاف طائرة ركاب لبنانية مؤجرة الى الخطوط الجوية العراقية وذلك من الاجواء الاقليمية اللبنانية . وقد ذكرت الانباء الصحفية ان اسرائيل كانت تظن ان عددا من قادة الجبهة الشعبية موجودون على متن الطائرة المسافرة الى بغداد بمن فيهم الدكتور جورج حبش . وتقدم لبنان بشكوى عاجلة الى مجلس الامن الذي أصدر قرارا نص على أن المجلس :

« (١) يدين حكومة اسرائيل لانتهاكها سيادة لبنان ووحدته الاقليمية وارغام السلاح الجوي الاسرائيلي بالقوة طائرة ركاب لبنانية على تحويل وجهة سيرها وهي في الاجواء اللبنانية والاستيلاء عليها .

« (٢) يرى ان هذه الاعمال التي تقوم بها اسرائيل تشكل انتهاكا لاتفاق الهدنة اللبنانية — الاسرائيلية المعقود في العام ١٩٤٩ ولقرارات وقف اطلاق النار التي اتخذها مجلس الامن في العام ١٩٦٧ ولنصوص ميثاق الامم المتحدة والمواثيق الدولية المتعلقة بالطيران المدني ومبادىء القانون الدولي والاخلاق .

« (٣) يدعو منظمة الطيران المدني الدولية الى النظر في جدية الى هذا القرار عندما تبحث في الاجراءات المناسبة لضمان سلامة الطيران المدني الدولي من مثل هذه الاعمال .

« (٤) يدعو اسرائيل الى الامتناع عن أي عمل وعن جميع الاعمال التي تنتهك سيادة لبنان ووحدته الاقليمية وتشكل خطرا على سلامة الطيران المدني الدولي ويحذر اسرائيل من انه سينظر في اتخاذ الخطوات او الاجراءات المناسبة لوضع قراراته موضع التنفيذ في حال تكرار مثل هذا الحادث » .

وقد قوبلت القرصنة الجوية الاسرائيلية باستنكار عالمي شامل شاركت فيه معظم حكومات العالم والصحف الكبرى في كل مكان تقريبا بالاضافة الى المنظمات المحلية والدولية ، ونذكر على سبيل المثال القرار الذي اتخذته منظمة الطيران المدني الدولية بادانة اسرائيل « على ارغامها طائرة الركاب اللبنانية على الهبوط في اسرائيل » .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

التحرك السياسي لرجالات الضفة الغربية وقطاع غزة : في غمرة الحديث حول المشاريع لحل النزاع العربي الاسرائيلي التي اثيرت مؤخرا من جديد عندما ادلى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه بدلوه ، وبلور مشروعا يعرف باسمه ، وخلال مناقشة مجلس الامن لازمة الشرق الاوسط ، وزيارة السكرتير العام للامم المتحدة الى المنطقة ، ووسط حالة الركود التي تعيشها حركة التحرر العربي من جهة ، والاجراءات الاسرائيلية النشطة لتغيير معالم المناطق المحتلة بغرض تهويدها وتكريس احتلالها من جهة اخرى ، اخذ رجالات المناطق المحتلة يتحركون ، ويقتربون الى جانب الحركة الشعبية هناك التي تعبر عن نفسها باشكال نضالية مختلفة مثل التظاهرات والمسيرات والاضرابات والاعتصامات ، والكفاح المسلح . وقد عبر هذا التحرك عن نفسه في ثلاث مذكرات ارسلت الى رئيس مجلس الامن والى السكرتير العام للامم المتحدة ، ووقع عليها عدد كبير من رؤساء واعضاء البلديات والهيئات الشعبية والجمعيات والنقابات والنوادي والمؤسسات في الضفة الغربية وقطاع غزة .

هناك ملاحظتان لا بد من تسجيلها قبل التطرق الى المذكرات الثلاث :

١ — ان التحرك السياسي لرجالات الضفة الغربية لم يأت وفق اهواء ورغبات النظام الاردني الذي اراد وسعى الى دفع انصاره من الزعامة التقليدية الى ارسال مذكرات والتوقيع على عرائض — خاصة بعد دعوة بورقيبة مؤخرا — من خلال منظوره هو للصراع العربي الاسرائيلي.

٢ — ان المذكرة الثانية تشير الى ان هنالك منطلقات متباينة بين الهيئات والشخصيات التي وقعت على المذكرة الاولى ، ففي حين تتطرق المذكرة الثانية الى « قرارات هيئة الامم المتحدة وأجهزتها المختلفة » تخلو المذكرة الاولى من الاشارة اليها ، علما بأن الموقعين على المذكرة الثانية كانوا قد وقعوا على المذكرة الاولى . وقد ذكرت الصحف العربية الصادرة في المناطق المحتلة ان المذكرة الثانية كانت مقتصرة على النقابات المهنية والعمالية واضافت انه صرف النظر عنها في آخر لحظة ذلك ان الموقعين عليها سبق لهم وان وقعوا على المذكرة الاولى . اما الصحف الاسرائيلية، فقد ركزت حديثها حول المذكرة الثانية، وزعمت بانها تتضمن المطالبة بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ننتقل الان الى نص المذكرات الثلاث . المذكرة الاولى وجهت الى رئيس مجلس الامن ، والى سكرتير عام الامم المتحدة في اوائل شهر تموز الماضي وتنص : « يعلن سكان الضفة الغربية وقطاع غزة رفضهم للاحتلال الاسرائيلي لبلادهم ويؤكدون رفضهم لجميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات المحتلة لتغيير معالم البلاد وكيانها السكاني والجغرافي ويطالبون بانهاء الاحتلال وحقهم في تقرير مصيرهم . وبمناسبة بحث قضيتنا في جلسة مجلس الامن الجارية تناشد الضمير العالمي الوقوف الى جانب الحق والعدل » .

اما المذكرة الثانية التي قيل انها ارسلت الى رئيس مجلس الامن والى السكرتير العام للامم المتحدة في اوائل تموز ، وقيل ايضا بانه صرف النظر عنها فتنص على التالي : « يعلن سكان الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة رفضهم للاحتلال الاسرائيلي لبلادهم ، ويؤكدون رفضهم لجميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات المحتلة لتغيير معالم البلاد وكيانها السكاني والجغرافي ، ويطالبون بانهاء الاحتلال ، وحقهم في تقرير مصيرهم وسيادتهم على ارضهم ، هذه الحقوق التي أكدتها قوانين وشرعة وقرارات هيئة الامم المتحدة وأجهزتها المختلفة . وبمناسبة بحث قضيتنا في جلسة مجلس الامن الجارية نؤكد مطالبتنا بحقوقنا ونناشد الضمير العالمي الوقوف الى جانب الحق والعدل » .

اما المذكرة الثالثة فقد وجهت الى السكرتير العام للامم المتحدة في اواخر شهر آب الماضي اثناء جولته في الشرق الاوسط وقد شملت التواقيع اصحاب المذكرتين السابقتين ، وتنص على الآتي : « سيادة السكرتير العام للامم المتحدة كورت فالدهايم المحترم . نحن الموقعين ادناه ، ممثلي الرأي العام ومختلف الهيئات والنقابات والشخصيات في الضفة الغربية ، بما فيها القدس

العربية وفي قطاع غزة ، نتقدم اليكم بمذكرتنا هذه بمناسبة زيارتكم لمنطقة الشرق الاوسط ، لنؤكد من جديد رفضنا القاطع للاحتلال الاسرائيلي الذي يشكل اعتداء صارخا على حقنا في ارضنا، وانتهاكا مكشوفا للمواثيق الدولية وفي مقدمتها ميثاق الامم المتحدة وقراراتها التي تحظر الاستيلاء على ارض جرى احتلالها بالقوة ، ونعلن اصرارنا على انسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلي من جميع الاراضي العربية المحتلة ، وبهذه المناسبة فاننا نسجل ما يلي :

« (١) نعلن معارضتنا التسامة للاجراءات التي تتخذها سلطات الاحتلال في ارضنا العربية بمختلف الوسائل سواء عن طريق المصادرة والاغلاق او الشراء بقصد تهويد ارضنا ومحو عروبتها ، ونلفت نظركم بوجه خاص الى حقيقة ان سلطات الاحتلال تركز سياستها التوسعية في الضم والتهويد والمصادرة على القدس العربية ، وهي ماضية في اكمال مخططها المرسوم بتغيير معالمها وتهويدها وطمس عروبتها ، خلافا لسلسلة القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة واعلنت فيها عدم الاعتراف بكل الاجراءات التي أقدم عليها المحتلون لتغيير وضع القدس العربية ودعت الى الغائها .

« (٢) نسجل استنكارنا للانتهاكات والاعتداءات المتكررة التي تتعرض لها مقدساتنا ولا سيما المسجد الاقصى في القدس والمسجد الابراهيمي في الخليل على يد سلطات الاحتلال وتحت سمعها وبصرها . كما نشجب اجراءات المحتلين لتحويل المسجد الابراهيمي الى كنيس يهودي واعمال الحفر الجارية تحت المسجد الاقصى والتي تهدد بهدمه.

« (٣) لقد اضطر مئات الالوف من أبناء شعبنا الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة الى النزوح من ارضهم ومغادرة ديارهم بسبب الجو الارهابي والظروف العصيبة التي نشأت بعد الاحتلال الاسرائيلي . كما ان سلطات الاحتلال أبعدت المئات من المواطنين والشخصيات الوطنية بشكل تعسفي وهي تحول دون عودة النازحين والمبعدين . ولذلك فنحن نطالب بعودة المبعدين والنازحين وجمع شمل الاف العائلات المشتتة .

« (٤) دأبت سلطات الاحتلال الاسرائيلي طيلة السنوات الست الماضية على استخدام اساليب القمع التعسفية ضد شعبنا . فنسفت ودمرت أكثر من ١٤ الف منزل ومحت من فوق سطح الارض ثلاث قرى بكاملها هي عمواس ويالو وبيت نوبا وشردت اهلها واستولت على اراضيهم ودمرت كذلك منازل وممتلكات اكثر من ١٤ الفا من البدو في مشارف رفح ، وطردتهم من ارضهم وهي ماضية في بناء المستوطنات اليهودية الجديدة عليها ، وزجت في السجون بالاف المواطنين رجالا ونساء حيث يعاملون معاملة غير انسانية ويتعرضون للاضطهاد والاهانة والاستغلال . اننا نطالب الامم المتحدة بالعمل الجدي والفعال لوقف الاجراءات القمعية والتوقف عن نسف البيوت واعادة الدور المغلقة الى أصحابها ، واعادة اهالي القرى الثلاث عمواس ويالو وبيت نوبا وعشائر البدو في مشارف رفح الى ارضهم ، ونطالب بمعاملة المعتقلين والسجناء السياسيين معاملة انسانية والسعي الى اطلاق سراحهم . وفي الختام فاننا نؤكد لكم ان شعبنا في الضفة الغربية ، بما فيها القدس العربية ، وفي قطاع غزة هو جزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني كله الذي يعاني منذ سنة ١٩٤٨ ويلات التشرد والتشتت بعد أن طرد مئات الالوف من ديارهم ، ومنع من ممارسة حقه في تقرير مصيره ، ولذلك فاننا نؤكد تمسكنا بهذا الحق ونعلن ان السلام والاستقرار في المنطقة لا سبيل الى تحقيقهما الا بتأمين الحقوق المشروعة لشعبنا العربي الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير مصيره بحرية تامة فوق ارضه ، والعودة الى دياره تمشيا مع شرعة حقوق الانسان وميثاق الامم المتحدة » .

اجراءات لتكريس الاحتلال : ازاء التحرك السياسي لرجالات الضفة الغربية ، كان هنالك تحرك آخر نشط ، لم يظهر فجأة خلال فترة معينة، وانما يعتبر استمرارا للخط الذي انتهجته سلطات الاحتلال منذ انتهاء حرب حزيران ، بل ويمكن القول انه يعتبر امتدادا طبيعيا للمخطط الصهيوني منذ أن اشيدت اول مستوطنة في فلسطين ، ويتمثل في الاجراءات الاسرائيلية لتكريس الاحتلال وطمس معالم قديمة واقامة معالم جديدة بغرض تهويد المناطق العربية . ولا يمكن لهذا التحرك ان يتوقف الا اذا توقف مسار الحركة الصهيونية ، لانه يمثل جوهرها وطبيعتها .

تفاوتت الاجراءات الاسرائيلية التي حدثت مؤخرا بين اقامة مبان جديدة واستيعاب مستوطنين جدد ، وشراء اراض ، ومصادرة اراض اخرى في مناطق

معينة . ففي الشريط البري الممتد بين ايلات وشرم الشيخ تعتزم سلطات الاحتلال اقامة مركز كبير للاصطياف يضم ٢٥٠٠ غرفة لتشجيع الحركة السياحية هناك ، وقد تمت الموافقة على ذلك عقب زيارة للمنطقة قامت بها اللجنة الاقتصادية التابعة للكنيست . أما في شرم الشيخ فسيتم بناء عدد من الفنادق بحيث يصل عدد الغرف هناك الى الف غرفة وبالنسبة لمشارف رفح فقد اخذ المركز الاقليمي هناك يستوعب دفعات اخرى من العائلات اليهودية وخاصة من مهاجري الاتحاد السوفياتي . وعلى صعيد شراء الاراضي ذكرت الصحف الاسرائيلية انه عقدت في الاونة الاخيرة عدة صفقات اشترت الكيرن كييمت بموجبها اراض في الضفة الغربية وخاصة في مناطق القدس و«غوش عتسيون» . وفيما يتعلق باستثمار رؤوس الاموال الاسرائيلية في المناطق المحتلة فقد ذكر وزير المالية بنحاس سبير ان رؤوس الاموال التي ستوظف خلال السنوات الخمس القادمة ستبلغ مليارا و ٢٤٠ مليون ليرة ، واضاف ان كادرا خاصا في وزارته يعمل لاعداد المشروع الخماسي الخاص للمناطق المحتلة .

وبالنسبة لموضوع مصادرة الاراضي فقد خطت سلطات الاحتلال خطوة كبيرة في الاونة الاخيرة عندما وضعت يدها على مساحة من الارض تخص اهالي ارطاس والخضر في منطقة بيت لحم . ويقدر الاهالي الاراضي المصادرة باكثر من ٥٠٠ دونم مزروعة بأشجار الكرمة وفواكه اخرى ، أما سلطات الاحتلال فتدعي بأنها وضعت يدها على ٣٥٠ دونما ، متذرعة بالحجة المعهودة الواهية : الاغراض الامنية ، مع ان عملية المصادرة هذه تأتي في الحقيقة لاقامة مستوطنة يهودية عليها امتدادا لمستوطنات جوش عتسيون وتعزيزا لها . وقد اعترفت صحيفة هآرتس بهذه الحقيقة حين ذكرت (٧٣/٨/٢٠) ان الهيئات الاستيطانية كانت قبل عام ونيف قد انهمكت في اعداد خطة لاقامة مستوطنة جديدة في تلك المنطقة ، واستقر الراي في نهاية الامر على اقامة مستوطنة دينية ليهود مهاجرين من الولايات المتحدة . وقبل اسابيع معدودة وافقت اللجنة الخاصة بالاستيطان برئاسة الوزير يسرائيل جليلي على اقامة المستوطنة تحت اسم مؤقت « جوش عتسيون ب » في المنطقة التي تم وضع اليد عليها مؤخرا . ومن الجدير بالذكر هنا ان الحاكم العسكري كان قد استدعى مخاتير قرية الخضر وابلغهم وضع اليد على اراضيهم وانه بامكانهم الحصول على مبلغ ٤ ليرات مقابل كل شجرة كرمة !

لم يخضع اصحاب الارض الشرعيين لعملية النهب هذه ، بل اخذوا يناضلون ضدها من خلال مذكرات وزعوها على الصحف ، وكشفوا فيها النقاب عن قيام سلطات الاحتلال باتلاف بساتينهم تماما كما حدث لقرية عقربة عندما اتلفت حقولها الخضراء بواسطة السموم التي رشتها طائرة تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي . وقد نصت مذكرة الاهالي التي وزعت على الصحف في اواخر آب الماضي على التالي :« قامت سلطات الاحتلال صباح أمس الباكر بالاستيلاء على اراضينا الواقعة في موقعي السميكات وبيت اسكاريا التابعتين لاراضي ارطاس بمنطقة بيت لحم والبالغة مساحتها اكثر من ٥٠٠ دونم . كما قامت بانزال عدد كبير من الجرافات التي أخذت تقتلع أشجار الكرمة والتفاح والخوخ ومختلف المزروعات القائمة فيها وذلك بصورة فظة ومفاجئة وتعد على حقوقنا المشروعة في الملكية والتصرف باراضي ابائنا واجدادنا . اننا نحتج بشدة على هذا التصرف المغاير والمخالف لابسط قواعد القانون والذي يشكل ضربة قاضية لنا لانه يستهدف القضاء على المصدر الوحيد لمعاشنا وعياش عيالنا » . ولم يكتف الاهالي بذلك ، بل اخذوا يرسلون مذكرات الى المجالس البلدية في الضفة الغربية ، والى المسؤولين الاسرائيليين . وقد قدرت الصحف التي تصدر في المناطق المحتلة المزروعات التي أتلفت بحوالي نصف مليون شجرة عنب .

لم تقتصر اعمال النهب على اراضي الفلاحين العرب من منطقة بيت لحم فقط ، بل امتدت نحو قرية عربية اخرى في منطقة القدس ، فقد ذكرت صحيفة هآرتس ان ادارة بلدية القدس قدمت توصية الى اللجنة الوزارية لشؤون القدس تقضي بمصادرة او وضع اليد على الفي دونم في منطقة عناتا شمال شرق القدس والواقعة خارج الحدود البلدية لمدينة القدس . وذكرت الصحيفة ان اللجنة الوزارية ستبحث الوسائل الكفيلة لتنفيذ هذه التوصية ، الامر الذي احدث استياء عاما بين صنوف فلاحي قرية عناتا .

فلاحو الاغوار يضربون عن الطعام : وفي هذا الجو الذي يواجه فيه فلاحو بيت لحم وعناتا عملية نهب لاراضيهم ، اعلن في اواخر شهر آب الماضي

فلاحو الاغوار من اهالي منطقة نابلس الاضراب عن الطعام مدة ٤٨ ساعة استنكارا لاعمال السلب والهدم التي شملت منازلهم واراضيهم في الاغوار. وطالب المعتصمون بمقابلة السكرتير العام للامم المتحدة كورت فالدهايم اثناء وجوده في فلسطين المحتلة . ومن المعروف ان سلطات الاحتلال كانت قد وضعت يدها في اعقاب حرب حزيران على مزارع واسعة خصبة في الاغوار تقدر بمئة الف دونم متذرعة بالحجة المعهودة الواهية : متطلبات الامن ، مع ان السبب وراء اعمال المصادرة هذه واضح ، ويتمثل في غرس مستوطنين يهود في تلك المنطقة ، واقتلاع الفلاحين العرب منها بغرض تهويدها . وقد رافقت عملية الاقتلاع والغرس هذه ، اعمال مشينة اخرى مثل الاقدام على هدم اكثر من الف منزل ، ونسف الابار ، واتلاف المزروعات ، سواء بالجرارات او عن طريق رشها بالسموم بواسطة طائرات الجيش الاسرائيلي . ويأتي اضراب الفلاحين عن الطعام ضمن سلسلة طويلة من المطالبة باعادة اراضيهم المسلوبة اليهم وفي اطار الاصرار بعدم التنازل عن الارض ، فقد ذكر احد المضربين سليمان صالح ابو هاشم الذي يناهز السبعين من عمره لصحفي اسرائيلي : « اذا كان اليهود يريدون قتلنا ، فليتفضلوا . ولكننا لا نتنازل عن اراضينا . سنتوجه بجميع عائلاتنا مع الاطفال والنساء ودوابنا ، ونذهب الى ارضنا التي سلبوها سنذهب اليها ولن نتركها ، حتى ولو قتلونا فوق ترابها » . ويضيف الشيخ الطاعن في السن مفندا الحجة الواهية التي تذرعت بها سلطات الاحتلال عند مصادرتها للاراضي قائلا : « عندما أخذوا منا اراضينا تعهدوا بأن يعيدوها بعد فترة قصيرة ، وقالوا انهم اخذوها لاسباب امنية وصدقناهم ، ولكن في الوقت الحاضر نعرف ان ذلك مجرد كذب ، ولم يكن هنالك أي مبرر امني ، لقد أخذوا الاراضي فقط لاعطائهما لمستوطنات اليهود » (همولام هزيه ٧٣/٩/٥).

الخريطة المستقبلية في المناطق المحتلة : ان سلسلة الاجراءات الاسرائيلية سواء منها التي حدثت مؤخرا او سابقا تهدف الى تعزيز الخريطة الاستيطانية في المناطق العربية المحتلة . وقد كنا قد نشرنا في شهريات المناطق المحتلة (عدد ١٢) خريطة المستوطنات القائمة ، وتابعنا حركة الاستيطان في مناسبات كثيرة لاهميتها وخطورتها ، واستكمالا لهذه المتابعة ننشر في هذا العدد الخريطة المستقبلية التي من المقرر لها ان تبرز فوق الاراضي العربية المحتلة في الفترة الواقعة بين ١٩٧٤ — ١٩٧٨ كما جاءت في صحيفة هآرتس (٧٣/٣/٢٤) مع الاخذ بعين الاعتبار ان هذه الخريطة واسماء المستوطنات قابلة للتغيير .

هضبة الجولان

اسم المستوطنة	نوع المستوطنة	مكان المستوطنة
١ — تل زيت	موشاف	منطقة رمات مجشيميم
٢ — كيبوتس د	كيبوتس	جنوب الهضبة
٣ — موردوت	موشاف	بالقرب من البطيحة
٤ — مركز اقليمي مديني		وسط الهضبة بالقرب من سلوقيا
٥ — قرية صناعية أ		وسط الهضبة
٦ — قرية صناعية ب		وسط الهضبة

غور الاردن

١ — محولاه ب	موشاف	بالقرب من محولاه
٢ — بوكيعاه ب	موشاف او مستوطنة تعاونية	في الغور الشمالي
٣ — محنية يوسف	موشاف او مستوطنة تعاونية	في جبال افرايم
٤ — بتسائيل ج	موشاف	غور فصايل
٥ — كوخاف هشاحر	موشاف او مستوطنة تعاونية	في جبال افرايم
٦ — مركز اقليمي	———	لم يحدد المكان بعد
٧ — كاليا « ب »	كيبوتس	منطقة قاليا

« غوش عتسيون »

اسم المستوطنة	نوع المستوطنة	مكان المستوطنة
١ ـ حنوريت	موشاف	على محور طريق جوش عتسيون/ عدولام

مشارف رفح

١ ـ سدوت د	موشاف	في منطقة سدوت
٢ ـ سدوت هـ	موشاف	في منطقة سدوت
٣ ـ سدوت و	موشاف	في منطقة سدوت
٤ ـ سدوت ز	كيبوتس	في منطقة سدوت
٥ ـ سدوت ح	كيبوتس	في منطقة سدوت
٦ ـ حروباه	كيبوتس	في منطقة سدوت

قطاع غزه

١ ـ سوميري أ	موشاف	في منطقة سوميري
٢ ـ سوميري ب	موشاف	في منطقة سوميري
٣ ـ مركز اقليمي		في منطقة سوميري

خليج العقبة

١ ـ اوفيرا أ	كيبوتس	جنوبي شرم الشيخ
٢ ـ أوفيرا ب	موشاف	شمالي شرم الشيخ
٣ ـ الطور		

استغلال نفط سيناء : يعتبر موضوع استغلال سلطات الاحتلال للنفط العربي في سيناء من اهم واخطر المكاسب الاقتصادية التي جنتها اسرائيل من حرب حزيران ، وبالرغم من اهمية هذا الموضوع الا ان ستارا من التعتيم يلفه ، بشكل متفاوت ، من جانب طرفي النزاع لاسباب مختلفة . فوسائل الاعلام الاسرائيلية تتطرق الى جوانب معينة من الموضوع بين الفينة والاخرى دون الاكثار من الحديث حوله ، تحاشيا لابراز عملية النهب الكبيرة المنظمة التي تجري يوميا فوق وتحت رمال سيناء ، اما وسائل الاعلام العربية وخاصة الرسمية فقد درجت على الابتعاد عن الموضوع والتحدث حول الموضوعات الاخرى الناجمة عن الاحتلال ، تحسبا من احتمال خلق حالة ضغط من قبل الجماهير تدعو الى ضرورة الاسراع بتحرير اراضيها وثرواتها . ومع ذلك يبقى هذا الابتعاد مضرا لقضية التحرير لسببين : (١) ان الابتعاد المقصود عن الموضوع من شأنه ان يخفف من حدة التناقض المصلحي بين الجماهير والاحتلال (٢) ان السكوت عن عملية النهب الكبيرة يساعد على عدم ابراز الوجه الاستغلالي الامبريالي لاسرائيل بشكل واضح امام الرأي العام العالمي .

عند انتهاء حرب حزيران اخذت سلطات الاحتلال تعمل ناشطة باستغلال النفط في سيناء وتوسيع الحقول النفطية هناك ، وغدت بفضل هذه الحقول تسد معظم احتياجاتها من النفط ، وتكفي الاشارة هنا الى ان ابار النفط تنتج يوميا مئة الف برميل اي ما يعادل ثلاثة ارباع مليون ليرة اسرائيلية تصب يوميا في الخزينة الاسرائيلية ، في الوقت الذي تغذي فيه كميات البترول المشاريع الاقتصادية الاسرائيلية ، وتحرك الالة الحربية هناك . ومن المعروف ان اسرائيل تسيطر على ١٨ بئرا نفطية في البحر وعلى أكثر من مئة بئر في البر بالقرب من « ابو رودس » ويصل انتاج هذه الابار من البترول سنويا حوالي ٥ ملايين طن بينما

يصل معدل الاستهلاك السنوي لاسرائيل من البترول حوالي ٧ ملايين طن . ومن الجدير بالذكر ان اسرائيل تصدر قسما من بترول سيناء ، الا انها تعتزم في المستقبل القريب عدم تصديره بفضل معامل التكرير الجديدة التي اقيمت في اسدود والتي سيكون بامكانها تكرير كميات النفط المستخرجة من سيناء وتوجيهها الى الاقتصاد الاسرائيلي .

كان من نتيجة استغلال اسرائيل لنفط سيناء ان أصبحت خارج نطاق ما يعرف « بازمة الطاقة » في الغرب . ويعود ذلك كما ذكر احد الاخصائيين الاسرائيليين في شؤون النفط الى عامل واحد : « النفط الذي تستخرجه شركة « نتيفي نفط » من الحقول في سيناء ! ليس لدي ذرة من الشك بأنه لولا نفط سيناء لكانت ازمة الطاقة في اسرائيل اخطر بكثير مما هو متوقع للولايات المتحدة او بلدان اوروبا . فلو — لا سمح الله — حدثت الازمة ، فان اثارها ستبرز في المرحلة الحالية وليس فقط من خلال التوقعات الداكنة للمستقبل».

لا تقتصر خطورة بترول سيناء على ازالة شبح ازمة الطاقة عن اسرائيل ، وتدفق الملايين الى الخزينة الاسرائيلية ، ولا لكونه سلعة استراتيجية تحرك آلة الحرب الاسرائيلية فحسب ، بل تتعدى ذلك الى المجال السياسي ، ذلك ان اسرائيل أخذت في الاونة الاخيرة تصور الابار التي تسيطر عليها كورقة ضغط في حال انسحابها من تلك المنطقة بواسطة الحلول السلمية ، للحصول على ما تحتاجه من بترول من الدول العربية المنتجة للنفط ، مقابل تنازلها عن بترول سيناء . ففي حديث مع يسرائيل كوزلوف (ملحق معاريف ٣١/٨/ ٧٣) احد المختصين في شؤون النفط ، اشار الى ذلك بقوله : « انني اعتقد بأن احد شروط السلام الهامة والضرورية ، يجب ان يكون حل مشكلة احتياجات اسرائيل للنفط نتيجة اعادة الحقول الى مصر . لا يوجد في الشرق الاوسط نقص في النفط ، وبامكان الدول العربية تزويد احتياجات اسرائيل من النفط بسهولة سواء في الحاضر او المستقبل ، وينبغي عليها فقط ان توافق على ذلك . ومن المفهوم ان دول المواجهة مصر وسوريا والاردن ولبنان ليس بمقدورها تزويد اسرائيل بالنفط ، أما الدول المقصودة فهي تلك الدول غير المتاخمة لاسرائيل والمنتجة للنفط مثل السعودية والكويت وليبيا وغيرها . وبدون موافقة كهذه لرفع الحظر العربي ، وتزويد اسرائيل بالنفط ، فان اعادة الحقول في سيناء الى المصريين، تعتبر حسب رأيي، غير منطقية ، بل وخطرة للغاية » .

حركة الاضرابات في المعتقلات الاسرائيلية :
تحدثنا في العدد السابق عن الاضراب الذي اعلنه المعتقلون العرب في سجن نابلس بسبب اوضاعهم السيئة والمعاملة اللاانسانية التي يلاقونها هناك. وقد أخذت موجة الاضرابات تتصاعد بين صفوف المعتقلين العرب في السجون الاسرائيلية ، تأييدا لرفاقهم المعتقلين في سجن نابلس وكذلك بسبب اوضاعهم التي لا تقل سوءا . ففي سجن بئر السبع أعلن المعتقلون العرب هناك في ٧/٧/٧٣ اضرابا تضامنا مع رفاقهم في سجن نابلس ، وتمثل اضرابهم في رفض مقابلة اهاليهم اثناء ساعات الزيارة المخصصة لهذا الغرض ، وفي الانقطاع عن حلاقة ذقونهم وقص شعورهم وعدم ارسال ملابسهم الى المغسلة . وذكرت المحامية فيليسيا لانغر نقلا عن بعض موكليها ان عدد السجناء المضربين ٦٧٨ من مجموع ٦٨٠ . وفي النصف الثاني من شهر تموز حدث اضراب آخر قام به المعتقلون العرب في سجن الرملة ، تأييدا لرفاقهم في بئر السبع ونابلس ، واحتجاجا على اعادة سلطات السجن فرض عمل شبكات التمويه الخاصة بالدبابات عليهم . ومن الجدير بالذكر ان المعتقلين العرب كانوا في السابق قد رفضوا القيام بهذا العمل وعندما فرض الامر عليهم من جديد طالبوا بعقد اجتماع احتجاجي ، فقيل لهم ان مدير السجن في اجازة وعندما يعود يكون بوسعهم مقابلته ، الا انهم لم ينتظروه واعلنوا الاضراب .

عبد الحفيظ محارب

ملحق المناطق المحتلة

صحف الضفة الغربية

١ – تموز ١٩٧٣ :

تحفل عناوين وتعليقات الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية خلال شهر تموز (يوليه) الماضي بشتى الاخبار والمواضيع التي تعكس في العادة اهتمامات هذه الصحف بالاحداث العربية والشؤون الفلسطينية . فتنوعت تعليقاتها وافتتاحياتها الرئيسية لتشمل مختلف المسائل والقضايا التي شغل بها الراي العام العربي والفلسطيني بشكل خاص . وباستعراض هذه الصحف نجد عناوين صفحاتها الاولى وتعليقاتها قد ابرزت اهتماما واضحا بمسائل شغلت كافة الصحف العربية في سائر عواصم العالم العربي ، مثل محادثات الرئيسين السادات والقذافي حول الوحدة الاندماجية بين بلديهما ، واستمرار الازمة الوزارية في لبنان قبل تشكيل السيد تقي الدين الصلح لحكومته الحالية ، والاحتفالات السورية بسد الفرات الكبير ، واحداث العراق والاعلان عن تشكيل الجبهة الوطنية بين مختلف القوى الوطنية والديمقراطية العراقية ، والمسيرة الليبية الى القاهرة ... الخ . غير ان الموضوع الذي لقي عناية خاصة واهتماما بارزا في صحف الضفة الغربية كان موضوع مناقشات مجلس الامن الدولي لازمة الشرق الاوسط والطريق المسدود الذي وصلت اليه هذه المناقشات نتيجة لموقف مندوب الولايات المتحدة الاميركية في اعقاب المناقشة والتصويت على مشروع القرار الذي تقدمت به مجموعة دول عدم الانحياز الاعضاء في مجلس الامن .

فحول محادثات الرئيسين القذافي والسادات بشأن الوحدة الاندماجية بين بلديهما ذكرت صحيفة « الشعب » تحت عنوان « الوحدة : قدر ومصير .. ودراسة » ان الوقت الطويل الذي استغرقته مناقشات الزعيمين هو من اجل تلافي ثغرات تجربة الوحدة السابقة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وان « النقاش المفتوح الذي يديره الرئيسان السادات والقذافي ، لا يقصد به وضع العصا في الدواليب كما تراءى لابواق التشكيك والتفكيك ، فهذا النقاش على بعض ما يطفو على سطحه من تناقضات فكرية ، هو في الواقع نوع من الاجتهاد الهادف الامين ، لان التجربة في حد ذاتها اخطر واعظم من وحدة بين قطرين عربيين يريان فيها وحدة قدر ومصير ، ووحدة طبيعية لها جميع مقومات ومؤهلات النجاح الكامل والالتحام الجاد الصادق » وتتابع الصحيفة تعليقها مبرزة اهمية هذه الوحدة ومبتهلة « من الاعماق بانجاح الخطوة القائمة في الوحدة الاندماجية بين قطرين عزيزين » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢) . اما صحيفة القدس فقد أكدت من خلال عنوان افتتاحيتها الرئيسية حول هذا الموضوع ان « الحوار الذي يكشف الخلاف اليوم خير من ان تنتكس الوحدة غدا » . وقالت ان الخلافات التي ابرزها حوار الرئيس الليبي مع ممثلي الاتحاد الاشتراكي ومع الصحفيين ورجال الفكر والاعلام وغيرهم في مصر ربما دفعت « بعض المعلقين الى اعتبار انها من السعة والعمق بحيث يمكن ان يأتي اول ايلول (سبتمبر) ويذهب دون ان تجد الوحدة طريقها الى النفاذ ! على ان الذي نراه ان هذه الخلافات دليل صحة ، حتى وان ادت الى تأخير موعد الوحدة » . وتابعت « القدس » تعليقها مؤكدة على اهمية هذه الوحدة حيث انها السبيل الواضح امام العرب « لتجميع الامكانات وحشدها في مواجهة الذين لا يحترمون غير الاقوياء » (القدس ١٩٧٣/٧/٢) . ويستشف من هذه التعليقات ان صحف الضفة الغربية لا ترى في الوحدة سبيلا لاثبات الامة العربية لوجودها في عالم التكتلات الكبيرة ، وحسب ، وانما ترى في ذلك سبيلا لحشد الامكانات من اجل التحرير . اي ان صحف الضفة الغربية ترى باختصار ووضوح ان طريق الوحدة هو طريق التحرير .

وحول استمرار الازمة الوزارية في لبنان وتعثر الاستشارات التي اجراها رئيس الحكومة اللبنانية المكلف بين مختلف التكتلات النيابية اللبنانية ، قالت صحيفة الشعب ان استمرار التعثر في تشكيل الوزارة يعطي الدليل على ان « خطة الوزارة القادمة مع وجود المعوقات الكبرى في السلطة الخفية ، هي السبب الاول والاهم ، وليس كما يتراءى ظاهريا من خلاف على توزيع الحقائب بين الكتل والاحزاب الكثيرة والمختلفة ». وقالت ان استلام الزعيم الوطني كمال جنبلاط

منصب وزير الداخلية في حكومة الصلح يعتبر « ضمانة وطنية تقف حاجزا دون العودة الى اللعب بلبنان وسلامته واستقلاله وعروبته » . وفي ختام تعليقها اكدت « الشعب » ان نهاية الازمة لن تحل بيد الرئيس الصلح او بيد « السلطة الغامضة التي تسيطر على لبنان » وانما يقررها فقط الشعب اللبناني بكافة قواه الوطنية والتقدمية المتعاطفة « مع العمل الفلسطيني » وتقررها ايضا مع « دول عربية تقدمية تأتي سوريا الثورة في طليعتها » . وحذرت الصحيفة من اية مبادرة جديدة من القوى المضادة في لبنان ومن تدخل اسرائيل في الجنوب (الشعب ١٩٧٣/٧/٣) .

ورأت صحيفة الشعب في بعض **التحركات المريبة في المنطقة** خطرا يتهدد الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره . ولفتت الصحيفة الانظار بشكل خاص الى زيارة الملك حسين الى ايران وبريطانيا، قائلة ان زيارة الملك لايران قد جاءت بعد زيارة وزير خارجية ايران لعمان مباشرة « ويزور الان قائد الجيش الايراني الاردن . وخلال تواجد الملك حسين مع الشاه ، قام وزير خارجية ايران بزيارة للسعودية .. وخلالها وقعت فتنة العراق الاخيرة ، ويزور الملك حسين اليوم بريطانيا مع رئيس وزرائه الذي طار من عمان ليلتقي به هناك، في حين ان زائرا اخر موجود حاليا في لندن منذ اسبوع هو كميل شمعون الذي يمثل اليمين المتطرف واحد عناصر القوى المضادة المعروفة في لبنان والعالم العربي ... » ووجدت « الشعب » في هذه التحركات وفي توقيتها الخاص ، انها قد جاءت لوضع اللمسات النهائية لخطة حل قادمة وعاجلة تستهدف حقوق الشعب الفلسطيني في ارضه وهويته ومصيره (الشعب ١١/٧/ ١٩٧٣) . اما صحيفة القدس فترى ان خطورة هذه التحركات وجديتها تنبعان بالاساس من خطورة الدور الايراني في المنطقة والخليج العربي بصورة خاصة . فترى « القدس » ان ايران قمر صناعي يدور في الفلك الاميركي وترسانة للاسلحة الاميركية وتتهيء « لتقوم بدور الشرطي في منطقة الخليج » وخليفة بريطانيا في المنطقة (القدس ١٩٧٣/٧/١٢) . ومن الملفت للانتباه حقا ان تفرد صحف الضفة الغربية جانبا من صفحاتها الاولى للحديث عن سد الفرات في سوريا والجبهة الوطنية في العراق ، رغم ان هذين الحدثين على اهميتهما التي تفوق حدود بلديهما لم تلفتا انتباه اية صحيفة في الوطن العربي خارج دمشق وبغداد باستثناء بعض العناوين الصغيرة والاخبار المقتضبة عنهما في الصفحات الداخلية لتلك الصحف . فعن **انجاز سد الفرات الكبير** قالت « الشعب » تحت عنوان « تحية لسوريا في يومها الاغر » ان هذا السد سيرفد خط المواجهة والكرامة في القطر السوري. واضافت تقول : « اذا كانت اسوان الامس قد شهدت يوما على الجبهة الغربية ، فان مدينة الثورة (الطبقة سابقا : الشعب) تشهد يومها هي ايضا على الجبهة الشمالية جنبا الى جنب على درب الاعداد بالداخل والخارج وفقا لخطة ثورتي الثامن من اذار والثالث والعشرين من تموز » . ولم يفت الصحيفة ان تشير الى اهمية الصداقة العربية السوفيتية التي كان لها الفضل بالمساهمة مع العمال العرب في انجاز سدي اسوان والفرات . وختمت « الشعب » افتتاحيتها بالقول : « واذ نهنىء شعبنا السوري الابي في يومه هذا ، فاننا من ارض الاحتلال نبثها تحية اعجاب وفخار لكل من ساهم في المشروع وعمل وانجز ... » (الشعب ١٩٧٣/٧/٥) . اما عن **الجبهة الوطنية في العراق** فقالت « الشعب » ايضا ان الاتفاق الذي تم بين حزبي البعث والشيوعي في العراق « يعتبر في هذه الظروف التي تجتازها العراق خاصة والاقطار العربية الاخرى عامة ، يعتبر خطوة تم انجازها ، كما قال الرئيس البكر ، كعمل تاريخي كبير ونقطة تحول بارز في العلاقة بين الحزبين الكبيرين في القطر العراقي الشقيق . واذا كانت هذه الخطوة تعني تعميق الصداقة العربية السوفيتية بين العراق وروسيا ، فهي في واقع العراق تعني ايجاد قاعدة كبرى قوامها جبهة راسخة ودائمة ، قد تكسون شاملة اذا نجحت المساعي القائمة في الحوار الدائر الان مع الاخوة في الحزب الكردستاني للوصول الى اتفاق مماثل » . وهنا تدرك الصحيفة ، مثلما ادركت اهمية انجاز سد الفرات في سوريا ، ان ذلك كله ليس في الواقع « الا الرد الواضح والتصدي الحاسم ، للتحرك الامبريالي الرجعي الذي تشهده المنطقة العربية ككل ومنطقة الخليج العربي خاصة ، حيث يتمركز هذا التحرك المشبوه في طهران، ويمتد كالاخطبوط في اصقاع عربية رجعية اخرى » . ولا تنسى الصحيفة وهي ترحب بهذا الانجاز باسم الشعب الفلسطيني ان تؤكد ان الفلسطينيين يقفون الى

جانب القوى التقدمية العربية « في خندق واحد يجابه خندق الخصوم الذين يريدون تصفيتنا كشعب وتصفيتنا كقضية » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢٢) . في موضوع **الوحدة الاندماجية** استرسلت صحف الضفة الغربية في متابعة اخبارها منذ اوائل شهر تموز (يوليو) حين كان الرئيس الليبي معمر القذافي يخوض مناقشات واسعة حول الوحدة مع الشقيقين المصريين . وعندما اعلن في ليبيا عن توجه مسيرة شعبية الى القاهرة للاعتصام في اكبر ميادينها الرئيسية حتى اعلان قيام الوحدة ، تجدد الاهتمام العربي داخل الوطن المحتل وفي سائر العواصم العربية والعالمية بموضوع الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا . فصحيفة « الشعب » خرجت يوم ٢٣ تموز (يوليو) بافتتاحية معنونة بـ « الحمد لله .. انتصر الشعب الليبي فانتصر عبد الناصر » معلقة على النهاية التي وصلت اليها المسيرة الليبية بالقول ، ان مسيرة الشعب الليبي قد شدت اعصاب وسمع العالم « فكانت الحركة المباركة ، الاولى من نوعها ، ونسأل الله الا تكون الاخيرة » . وقالت الصحيفة ان المنتصر الوحيد من وراء هذه المسيرة كان القائد الراحل جمال عبد الناصر « الذي لم يرتفع في المسيرة الا صوته وخيم على الجانبين ظله ... فعبد الناصر الجسد قضى وانتهى ، اما عبد الناصر الثورة والفكرة والقيادة فما زال حيا في النفوس». وفي غمرة الاشادة بالمسيرة وروح عبد الناصر دعت الصحيفة الشعوب العربية الى الحذو حذو الشعب الليبي ، وخصت بالذكر « شعبنا العظيم في قطريه العراقي والسوري حيث تتوافر جميع المؤهلات والامكانات والقابليات للوحدة الاندماجية في الجبهة ... ومن ارض الاحتلال والمعاناة ارض الصمود والامل نبعثها تهنئة للاخوين السادات والقذافي ، **ونشد على ايديهما ،مباركين ومنتظرين ، واثقين ومؤمنين** » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢٣) . اما صحيفة « القدس » التي صدرت يوم ٢٢ تموز (يوليو) اي قبل وصول المسيرة الليبية الى الحدود المصرية ، فقد قالت ان التحدي الذي تواجهه الامة العربية والمتمثل بالاحتلال الاسرائيلي لاراضي ثلاث من الدول العربية ، هو المحرك الفعلي لهذه المسيرة الوحدوية ولكافة الثورات العربية التحريرية . وتابعت القدس قائلة : بما ان « ثورة الفاتح من سبتمبر كانت باستمرار تعلن انها امتداد لثورة ٢٣ يوليو الخالدة » فانه لا بد « للفرع ان يلتحم بالاصل » (القدس ١٩٧٣/٧/٢٢) . وفي مكان اخر قالت صحيفة الشعب معلقة على النتيجة التي وصلت اليها المسيرة الليبية ، ان ذلك يدل دلالة واضحة « على تعميق المفهوم الوحدوي كاصل وكأساس ، وعلى جدية وخطورة يشعر بها الفريقان لترسيخ الوحدة واقعا ملموسا ونهائيا ، حرصا على ديمومتها ونجاعتها ، كجبهة مواجهة فعلية في اخطر مراحل مصير الامة العربية ، تجاه اشرس ما يواجهه هذا المصير من غزوات ومؤامرات » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢٤) . غير ان صحيفة « البشير » التي تصدر في بيت لحم ، انفردت بين صحف الضفة الغربية مشككة بنجاح الوحدة الاندماجية رغم امكانات النجاح الكبيرة التي عددتها الصحيفة نفسها . فتقول « البشير » في هذا المجال : « ان البلدان العربية لم تدخل فيما بينها في وحدة اندماجية حتى في العصور الاسلامية الزاهية ، وحتى عندما كان يقف على رأس هذه الامة رجال كبار من امثال سيدنا عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز والوليد بن عبد الملك وهارون الرشيد والمأمون ، فقد ادرك اؤلئك القادة العظام ان الاتحاد المتكافيء هو اقوى وامتن وان الحماسة التي لا تقوم على الدراسة الموضوعية وعلى الاخذ الفروق بين البلدان العربية تؤدي الى النكسات والتقهقر الى الوراء فما بالك الى النكسات في عصرنا هي اكثر ، ما دامت الايدي الاجنبية على استعداد للعبث في الظلام [!] » (البشير ١٩٧٣/٧/٢١) .

الى جانب هذه المواضيع الهامة التي تناولتها صحف الضفة الغربية بقي موضوع اخر على جانب كبير من الاهمية ، وهو موضوع **مناقشات اجتماع** مجلس الامن الدولي الخاصة بازمة الشرق الاوسط وما رافقها من احاديث ومواقف وتصريحات عن حق الشعب الفلسطيني في دولة ضمن حدود قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة في العام ١٩٤٧ . وكانت هذه الصحف قد تناولت هذا الموضوع باسهاب واضح وشديد اثناء مناقشات الدورة الاولى من اجتماع مجلس الامن، وكنا قد اشرنا اليها في العدد السابق من « شؤون فلسطينية » . واذا كانت تصريحات وزير الخارجية المصري التي تضمنها خطابه الذي افتتح به اجتماعات الدورة الاولى من مناقشات المجلس يوم ١٩٧٣/٦/٦ ، كانت ابرز ما جاء في تلك

المناقشات ، فان « الفيتو » الاميركي الذي اختتم به مندوب الولايات المتحدة الاميركية مناقشات المجلس ، كان ابرز ما جاء في اجتماعات الدورة الثانية من تلك المناقشات.ومثلما حظيت تصريحات الزيات بالنصيب الاوفر من تعليقات صحف الضفة الغربية خلال شهر حزيران، اثناء تلك المناقشات، فان « الفيتو » الاميركي قد حظي هو الاخربالجانب الاهم من افتتاحيات تلك الصحف خلال شهر تموز (يوليو) . ومن خلال استعراض افتتاحيات صحف الضفة الغربية حول هذا الموضوع ، نجدها تجمع على تأكيد الحقائق التالية :

١ ــ ان الموقف الاميركي خلال مناقشات مجلس الامن الدولي اثبت صحة ما قالته حركة التحرير الوطني الفلسطيني من قبل ، فجاء « الفيتو » ليعزز وجهة النظر الفلسطينية والقائلة بان طريق الكفاح المسلح .. طريق القوة ، هو الذي يحفظ لهذه الامة كرامتها وحقوقها . فقالت صحيفة الشعب تحت عنوان « شكر فلسطيني للفيتو الاميركي » وهي تشرح هذه المعاني بكلام اخر ، لقد « كشف الشعب الفلسطيني الغطاء قبل ان يكتشفه اهلنا وقومنا ، وكنا نقول لهم ذلك ، فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد .. وقلنا لهم، انها مضيعة للوقت ، التطلع الى سراب مجتمع دولي لم يثبت وجوده يوما ، ولن يفعل ، ذلك ان هيئة هذا شكلها ، وتلك قدراتها ، اعجز من ان تحفظ كرامة ، او تفرض لها هيبة ، هي اولى بالعجز من ان تحفظ للاخرين كرامتهم ، او تعيد لهم حقوقهم ، وفاقد الشيء لن يعطيه ، ومن يهن يسهل الهوان عليه » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢٧).

٢ ــ اثبت الموقف الاميركي مجددا انه لا يمكن مواجهة الامبريالية الاميركية الا بلغة القوة التي وعت دروسها جيدا في الهند الصينية على يد شعوب فيتنام ، لاوس ، كمبودية . وفي هذا المعنى كتبت صحيفة « الفجر » الاسبوعية التي تصدر في القدس ، « ان الرد على الموقف الاميركي العدواني، لا يأتي عبر المقالات والخطب والبيانات، نملأها عبارات انشائية ، وكلمات السب والشتائم لكل ما هو اميركي ، بل أن الرد يجب أن لا يخرج عن اللغة التي تفهمها واشنطن والتي خاطبتها بها شعوب فيتنام وكمبوديا ولاوس ، وهذه اللغة التي حطمت اسطورة التفوق الاميركي ، وصلف قادة واشنطن الاستعماريين . واذا كانت بعض الدول العربية عاجزة عن التخاطب مع واشنطن بلغة القوة التي تعرفها ، فان ثقة جماهيرنا الفلسطينية تجعلنا نعيش على امل بان تنفذ ارادة هذه الجماهير في كل يوم قادم ، فيتو فلسطيني بحق المصالح الاميركية على الارض العربية التي طال حينها للباع العربي الطويل ، واللسان الغربي القصير جدا » (الفجر ١٩٧٣/٧/٢٨) .

٣ ــ ان العداء الاميركي الذي تمثل بتهديد المندوب الاميركي بالفيتو اثناء المناقشات ومن ثم ممارسته بالفعل اثناء التصويت على مشروع القرار الذي تقدمت به مجموعة دول عدم الانحياز الاعضاء في مجلس الامن ، قد اوضح بدون لبس انه لا ينبثق من وجهة نظر مغايرة للدبلوماسية العربية ، وانما ينبثق بالاساس من العداء السافر لاماني الامة العربية بشكل عام . فتقول صحيفة القدس في هذا الصدد وقبل التصويت على مشروع القرار المذكور ، « ان كل ساعة تقرب موعد انعقاد الجلسة المنتظرة ، تكشف عن مزيد من تصلب اميركا في موقفها المعادي لا لوجهة النظر المصرية، وانما للامال القومية العربية بصورة عامة ، ولعله اصبح اكثر من واضح ان الامال القومية في هذه المرحلة من تاريخ الامة العربية باتت معلقة على تحقيق نجاح على المستوى الدولي في القضية الفلسطينية » . وفي هذه المناسبة تؤكد «القدس» ان طريق الامم المتحدة ومجلس الامن لن تقود الى تحرير فلسطين . (القدس ١٩٧٣/٧/٢٣) .

٤ ــ بعد قرار النقض «الفيتو» الذي استخدمه مندوب الولايات المتحدة ليحبط مشروع القرار الذي اجمعت عليه اربعة عشر دولة هي جميع اعضاء مجلس الامن اضافة الى الولايات المتحدة، يجب ان يحدد من جديد صيغ التحالفات والعلاقات العربية بشكل واضح ، وان يؤخذ في الحسبان الامكانات البترولية لدى الامة العربية . فتقول صحيفة القدس في هذا المجال ، « يجب ان تتعين لدينا الخطوات التالية بعد مجلس الامن .. كما يجب ان يتحدد اين تقف هذه الامة ومع من تقف.. والى متى وكيف ؟ يجب أن يتحدد ذلك في ضوء من التبصر والدراسة وتقدير الموقف .. يجب ان يتحدد اكثر من ضوء الثروات الانسانية والمادية والقدرات المختلفة » . وانتقلت الصحيفة بعد ذلك لرسم التصور الاميركي والدور الذي تريد اميركا ان تلعبه في المنطقة ، فلخصته بالنقاط التالية :

« اولا ــ استمرار الامر الواقع ، كما حققته

حرب ١٩٦٧ وست سنوات بعدها ، واهم هذا الموقف وقف اطلاق النار . ان اميركا عندما تتحدث عن السلام الان فانها لا تقصد غير « وقف اطلاق النار » . **ثانيا** — ان تكون اميركا وحدها المسؤولة عن الوصول الى تخطيط المستقبل الدائم لمنطقة الشرق الاوسط ، مع وقف كل محاولة للتدخل في هذا الامر سواء من جانب الاتحاد السوفياتي او من جانب اوروبا . **ثالثا** — ان تفرض المفاوضات وتعين اسلوبها ، مع الاصرار على نجاحه باستخدام التهديد المستمر ، ولعله واضح انه ليس ضروريا ان تؤدي اميركا بالذات مهمة تنفيذ التهديد او العنف ، فان اسرائيل قادرة على القيام بالمهمة .. ان ما يحدث بين حين واخر من غارات على البلاد العربية المجاورة ، يصور لونا صارخا من الوان فرض الارادةبالتهديد والعنف . **رابعا** — ان يكون اي اتفاق مع اسرائيل شاملا لكل البلاد العربية ، ولن يكون ذلك ممكنا الا بعد سيطرة اميركا السياسية والعسكرية والاقتصادية على الاجزاء التي لم تستغرقها حتى الان . نحن نشعر انه بات اكثر من ضرورة ملحة ، ان يخلق استعمال اميركا « الفيتو » في وجه الامال والاماني المشروعة للامة العربية — احساسا متزايدا بضرورة ان يعيد العرب النظر في التزاماتهم تجاه المصالح الحيوية الاميركية في المنطقة » (القدس ١٩٧٣/٧/٢٧) .

وفي ختام هذا التقرير ، نرى انه من المفيد ان نثبت نص المذكرة التي رفعها زعماء الضفة الغربية الى الامين العام لهيئة الامم المتحدة الدكتور فالدهايم ، عن طريق الامين العام لجامعة الدول العربية السيد محمود رياض ، كما جاءت في صحيفة « القدس » . فتحت عنوان « مذكرة الضفة والقطاع .. رياض يبعثها لفالدهايم ومجلس الامن » كتبت « القدس » ان المذكرة تحمل تواقيع ١٣٥ من زعماء الضفة الغربية في القدس ونابلس وجنين وطولكرم وغزة ورام الله والبيرة والخليل وبيت لحم ، وان نص المذكرة هو ما يلي : « يعلن سكان الضفة الغربية المحتلة والقدس وقطاع غزة رفضهم للاحتلال الاسرائيلي لبلادهم ويؤكدون رفضهم لجميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات المحتلة لتغيير معالم البلاد وكيانها السكاني والجغرافي ، ويطالبون بانهاء الاحتلال بجميع صوره ويطالبون بحقهم في تقرير مصيرهم وسيادتهم على ارضهم ، هذه الحقوق التي اكدتها القوانين الشرعية وقرارات الامم المتحدة وهيئاتها المختلفة كما تناشد الضمير العالمي ونهيب بمجلس الامن الوقوف الى جانب الحق والعدل » (القدس ١٩٧٣/٧/٢٧) .

٢ — آب ١٩٧٣ :

قبل أن نبدأ باستعراض أهم وأبرز ما تناولته الصحف العربية في الضفة الغربية بالتعليق خلال شهر آب (اغسطس) الماضي ، فان من الضروري التذكير بأن عدد الصحف العربية هذه هي أربع صحف فقط : اثنتان منها يوميتان تصدران في القدس هما الشعب والقدس ، واثنتان اسبوعيتان تصدر احداهما في القدس وهي صحيفة الفجر واما الثانية فتصدر في بيت لحم وهي صحيفة البشير . ومن خلال اطلاعنا على اتجاهات هذه الصحف خلال الشهور الستة الماضية نستطيع القول بأن جريدة الفجر الاسبوعية هي أكثر هذه الصحف التزاما بالهموم الوطنية الفلسطينية وبالتالي أكثرها عداء لسياسات وتحركات النظام الاردني وسلطات الحكم العسكري في المناطق المحتلة . وخير دليل على التزام هذه الصحيفة الواضح بالخط الوطني المعادي للاحتلال وسياسة التسويات الاستسلامية هو افتتاحيات ومعالجات هذه الصحيفة الاسبوعية لمختلف القضايا والمسائل الفلسطينية . وكان تعرض مدير تحرير هذه الصحيفة وأحد المحررين الرئيسيين فيها للاعتقال على يد العدو اثر نشرها انباء عن تنسيق أردني — اسرائيلي مشترك في عملية فرذان ضد ثلاثة من قادة المقاومة ، يوضح مدى تحمل هذه الصحيفة لمسؤولياتها الوطنية في مختلف المناسبات . اما الصحيفة التي تلي « الفجر » في التزامها بمعالجة المسائل الفلسطينية بروح المسؤولية الوطنية الجادة فهي صحيفة الشعب اليومية التي توقفت خلال شهر آب (اغسطس) الماضي ثلاثة أسابيع عن الصدور بسبب ازمة الورق كما ذكرت ذلك « الشعب » نفسها . وكان توقف هذه الصحيفة عن الصدور اعتبارا من يوم ٤ آب وحتى السادس والعشرين منه قد ترك فراغا ملموسا في تنوع تعليقات الصحف العربية في الضفة الغربية وغياب الاهتمام بالمسائل الوطنية والقومية والدولية التي تتصل بالنضال الفلسطيني بشكل او بآخر عن هذا التقرير . وسوف يجد المتتبع لعرض اتجاهات وتعليقات هذه الصحف في « شؤون فلسطينية » خلال الاشهر الماضية ، ان عرضنا

لافتتاحيات صحف الضفة الغربية في هذا العدد تغلب عليه طابع معالجات الشؤون المحلية بسبب من احتجاب جريدة الشعب خلال أغلب ايام شهر آب (اغسطس) الماضي .

تظل هناك صحيفتان أخريان تصدران في الضفة الغربية : الاولى صحيفة القدس اليومية والثانية صحيفة البشير الاسبوعية . ويمكننا القول هنا أيضا بمسؤولية كاملة — من خلال تتبعنا المستمر لتعليقاتها — ان « القدس » يمكن اعتبارها صحيفة صديقة ومؤيدة للنظام الاردني . وفي تقرير خاص وصل قبل مدة من مدينة القدس الى « شؤون فلسطينية » ان ادارة هذه الصحيفة قد فصلت أحد محرريها من العمل لكتابته تعليقا يؤيد فيه طروحات وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات اثناء مناقشات الدورة الاولى من اجتماعات مجلس الامن، حيث اعتبرت الادارة ان تأييد ذلك الطرح لا ينسجم مع السياسة الاردنية العامة ازاء مسألة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه ووفق ارادته الثورية المستقلة . واما صحيفة البشير فهي أكثر صحف الضفة ابتعادا عن الخط الوطني والتصاقا بأفكار واتجاهات الرجعيين الفلسطينيين في الضفة والقطاع . بل انه يمكننا اعتبارها صحيفة الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، ومحمد ابو شلبايه « الانفصالي » الفلسطيني المعروف وصاحب كتاب : لا سلام بدون دولة فلسطينية . ولا تتورع هذه الصحيفة رغم حرصها الشديد على فلسطينيتها المفرطة ، عن الترويج لافكار وبرامج سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي في أحيان ومناسبات مختلفة .

اما اذا انتقلنا الى أهم ما عالجته الصحف العربية في الضفة الغربية خلال شهر آب الماضي فاننا نجد كما أسلفنا قبل قليل ان هذه المعالجات يغلب عليها الطابع المحلي . وقد كان لبعض القرارات الاسرائيلية فيما يخص المناطق المحتلة خلال آب الماضي ، أثر كبير في جلب وتركيز اهتمامات الصحف العربية على بعض المسائل المحددة كان في طليعتها نقاشات الاحزاب الاسرائيلية وما يجب أن يتضمنه برنامج كل منها حول المناطق التي تحتلها اسرائيل . كما ان اتفاق حزب العمل الحاكم على برنامج محدد يتعلق بالمناطق المحتلة ، ركز هو الاخر الجانب الاكبر من اهتمامات الصحف على هذه الناحية في معالجاتها .

فمن المعروف ان الاحزاب الاسرائيلية مقبلة على انتخابات جديدة للكنيست الثامنة في تشرين الثاني (نوفمبر) القادم . وقد كانت الانتخابات هذه مناسبة جيدة لتكشف معظم الاحزاب الاسرائيلية عن طبيعتها التوسعية الشوفينية ، من خلال تسابقها على طرح مشاريع الضم والاستيلاء والتهويد للاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، الامر الذي أكد مجددا طبيعة اسرائيل كدولة عدوانية توسعية في قلب المنطقة العربية . فقالت الفجر في تعليقها حول هذا الموضوع : ان مناقشات حزب العمل الاسرائيلي تكشف « ابعاد الصورة التوسعية التي يرسمها حزب الحكومة الاسرائيلية لمستقبل دولتهم » الكبرى » . وتستطرد « الفجر » معلقة على ذلك بقولها : « ومن وجهة نظرنا ، ونحن الذين تجرعنا مرارة الاحتلال واسلوبه وتصرفاته ، لا نملك الا أن نكرر من جديد بأن — خرائط — غولدا التوسعية وافكارها الاستيطانية ، سوف لا تؤكد الا شيئا واحدا ، وهو ان فلسطين الارض والشعب ، لن يقرر مصيرهما الا الفلسطينيون أنفسهم . وستدرك غولدا ، وكل التوسعيين — الظاهرين والباطنين — ان مستقبل الفلسطينيين وحقيقة انتمائهم لترابهم وتاريخهم لا يرسمه ولا يحدده الا الارادة الفلسطينية وعذاب عشرات السنين الذي أصبح اللون الواضح الذي سيعيد للهوية الفلسطينية روعتها » (الفجر ١٩٧٣/٨/٤). بهذه الروحية المؤمنة بحتمية انتصار حقها في المدى البعيد ترى « الفجر » ان كل التغيرات الجغرافية والسكانية التي يجريها العدو في الاراضي المحتلة سوف تلغيها الارادة الثورية الفلسطينية المصممة على انتزاع حقها في العيش بحرية وكرامة فوق ترابها الوطني .

والحقيقة ان برامج الاحزاب الاسرائيلية الانتخابية بقدر ما تركز دعايتها الانتخابية على ضرورة التوسع والشراء والمصادرة للارض العربية، تركز بشكل اكبر على ضرورة خلق المزيد من الوقائع السكانية والجغرافية في مدينة القدس لكي تظل عاصمة لاسرائيل . وترى معظم الاحزاب بضرورة توسيع حدود بلدية القدس مسافات اوسع لتبتلع المزيد من الاراضي العربية باتجاه الشرق والجنوب، الامر الذي يعني سلخ أراضي ومساحات واسعة في بيت لحم وغيرها من المدن والقرى العربية المحتلة . وفي هذا المجال تقول صحيفة القدس في

افتتاحية رئيسية لها : ان طابع المدينة المقدسة العمراني قد حافظت عليه كل المجالس البلدية المتعاقبة منذ العهد العثماني وحتى حرب حزيران ١٩٦٧ . اما حينما سارعت اسرائيل بعد الحرب الى نسف وتغيير المشروع الهيكلي للمدينة بكليته ، فلأنه « لا يخدم مطلقا المصالح السياسية لاسرائيل وليس المصالح « المدنية العمرانية » للمدينة ذات الطابع الحضاري المتميز » (القدس ١٩٧٣/٨/٧). وفي افتتاحية اخرى لصحيفة القدس بعنوان « تأثير قصر النظر ام ايثار المصلحة ؟ » تقول الصحيفة ان قرار ضم القدس يلحق آثارا نفسية واجتماعية ضارة بالمواطنين العرب في المدينة المقدسة . وخير ما تدلل به الصحيفة على ذلك منــع الطالبات العربيات من القدس بالانتساب الى دار المعلمات في رام الله ، الامر الذي يعني « ان حلقة في سلسلة اجراءات خنق القدس والتضييق على أهلها قد آذنت بالتطبيق الان ، ولم تكن قد آذنت بالتطبيق قبل ذلك » . وتستنتج « القدس » من هذا الحدث انه أصبح من الضروري على المسؤولين العرب في الخارج ان يفتحــوا الجامعات ودور المعلمــين والمعلمات « وتبسيط الاجراءات واعطاء تسهيلات فوق العــادة ، تعويضــا للحرمان الموجــود بالطبيعة ... » (القدس ١٩٧٣/٨/١٠) . وفي الحقيقة كنا نتوقع من صحيفة القدس ان تستنتج من هذا الحادث ضرورة حث المسؤولين والمعنيين بالامر على اهمية فتح دور المعلمــين والمعلمات والمعاهد والكليات في الضفة الغربية ، وذلك لولا ان هذه الدعوة لا تنسجم مع مخططات السياسة الاردنية في المناطق المحتلة في الضفة الغربية على وجه التحديد . أما صحيفة البشير التلحمية فيبدو ان اهتمامها بتوسيع حدود بلدية القدس جنوبا ، ناجم بالاساس عن كون هذا التوسع يمس بحدود بلدية بيت لحم بالذات . وبقصر نظر واضح تقول الصحيفة انها عالجت هذا الموضوع مرارا على اعتبار انه لا يخرج عن اطار ازمة حدود عادية بين اي بلديتين متجاورتين . غير انها اكتشفت متأخرة جدا ان الازمة ابعد من ذلك فتقول : « تطرقنا أكثر من مرة لازمة الحدود القائمة بين بلديتي بيت لحم والقدس ، على اعتبار انهــا لم تخرج في اعتقادنا عن نطاق مشكلــة قائمة بين مدينتــين متجاورتين ، تتنازعان فيما بينهما على الحدود ، وكثيرا ما تقع مثل هذه المشاكل والمنازعات بين البلديات المتجاورة .. غير ان الذي اتضح لنا من البعض الذين هم على مستوى المسؤولية ... ان أسباب هــذه الازمة نتجت عــن قرار الكنيست الاسرائيلي الذي كان قد اتخذه في عام ١٩٦٧ ، القاضي بتوسيع منطقة بلديــة القــدس من جهــة الجنوب » . وتضيف الصحيفة ان هــذا القرار الاسرائيلي لا يستند الى اية قوانين ، وانظمة او اعراف يعمل بها اي شعب من شعوب العالــم « حتى الشعب الاسرائيلي نفســه » . وتــرى « البشير » ان الطريق الصحيح لاحباط هذا القرار هو ان يظل مجلس بلدية بيت لحم متمسك بموقفه من هذه الازمة وملتزم بمذكرته التي كان قد رفعها الى السلطات الاسرائيلية معارضا قرارها ذاك . ثم تطالب الصحيفة «الكنيست والحكومة الاسرائيلية ان ترجع عن قرارهــا ، وان تحافظ على حسن الجوار [!] ، وهي التي ما انفكت تدعو لحسن الجوار واقامة الحدود الامنة مع الدول العربية لتبرهن على صدق نواياها على الاقل ، بالتسليم بحدود جيرانها « المحليين » هنا .. فتقيم معهم الحدود الآمنة « والمتفق » عليها لتحقيق حسن جوار أكيد وسلام دائم بين المدينتين المقدستين ، ولا سيما وان لكــل منهما طابعهــا الديني والتاريخــي والسياحي ، ولعل في ذلك بشير خير ونواة صالحة لسلام شامل في المنطقة [؟!] » (البشير ١٩٧٣/٨/١١) . ونذكر هنا كل من يستغرب هذه المعالجة اللاوطنية لهذا الموضوع من قبل صحيفة البشير بما قلناه في بداية هذا التقرير حول الخط اللاوطني لهذه الصحيفة . كما اننا نجد هنا ايضا فرقا كبيرا بين معالجات « البشير » لمسائل الضم والتوسع الاسرائيلية وبين معالجات صحيفة القدس — المعبرة عن السياسة الاردنية في الضفة الغربية — لمثل هذه المسائل . فتقول القدس في افتتاحية لها تحت عنوان « الجزر التي ستبتلع المحيط » ان اصدق وصف لبرنامج الاستيطان الاسرائيلي في الاراضي المحتلة بأنه « هجمة اسرائيلية أعد لها بعناية وتنفذ بدقة » . وتضيف « القدس » قائلــة ان الصورة الجديدة في هذه الهجمة الاسرائيلية مــا يتحدث عنه هذه المرة الدكتور يوسف بورغ وزير الداخلية الاسرائيلي « من انشاء مجالس اقليمية تضم المستوطنات داخل المناطق المحتلة ، بقصد دمج هذه المجالس اداريــا بمثيلاتها في المــدن الاسرائيلية المتاخمــة لهــا . ان وضع هــذه المستوطنات ... تماما كالجزر الصغيرة المتناثرة في البحر الكبير ... لا تقف عند حدود اعاقة حرية

النمو والتطور السكاني والعمراني والزراعي ، بل ستكون الجزء الذي يهيأ لابتلاع الكل » . ونحن هنا بالطبع لسنا في معرض المقارنة بين خطي وسياستي كل من صحيفة البشير وصحيفة القدس، الا أنه من باب التدليل على صحة الاستنتاج الذي ثبتناه في بداية هذا التقرير عن اتجاهات الصحف العربية في الضفة الغربية ، والذي جاء خلاصة تتبع مستمر لكل ما نشرته هذه الصحف خلال الستة شهور الماضيــة ، نضطر الى تفسير افتتاحيات هذه الصحف وتعليقاتها على ضوء الخط العام لكل صحيفة .

ولقد شهدت الاراضي العربية المحتلة نضالات مختلفة ضد الاتجاهات التوسعية الاسرائيلية ، مما يعني ان تعليقات الصحف العربية لم تكن في الفراغ وبالتالي لم تكن مقطوعة الجذور عما يدور حولها. فحينما أصدر مجلس بلدية بيت لحم حول ما اشيع وما جرى ترتيبه لضم المدينة الى بلدية القدس ، جاء في تعليق فوري لصحيفــة القدس دعم خط وتأييد موقف بلدية بيت لحم واستنكار كل دعوة او فكرة لضم او ربط المدينة بغيرها . وهنا نبهت القدس الى المخطط الاسرائيلي الرامي الى كل ذلك من خلال زرع المنطقة بالمستعمرات الاسرائيلية اذ تقول : « ربما بدا ظاهرا ايضا السعي على المدى البعيد لنسف كل المعالم الفاصلة بين القدس والبلاد الصغيرة المجاورة . وانهم ـــ اليهود ـــ وان كانوا لا يقفزون الى هذه الرغبة مرة واحدة ، فانهم يتسللون اليها (حبة حبة) و(شبرا شبرا).. ومن التسلل انهم يهيئون الاذهان بما يثيرونه من مناقشات وما يطرحونه من حوارات وما يدلي به قادتهم من تصاريح وبيانـــات بين حين وحين » . (القدس ١٩٧٣/٨/٢) .

ومن الجدير بالملاحظة في هذا المجال ان احدى الشخصيات السياسية المعروفة في الضفة الغربية كتبت مقالة في جريدة القدس تطالب فيها المجالس البلدية في الضفة بالتحـــرك لمواجهة المخططـــات الاسرائيلية التوسعية. اذ يقول حمدي كنعان رئيس بلدية نابلس بعد حرب حزيران ١٩٦٧ : « ... ولما كانت المجالس البلدية هي السلطة الشرعية الممثلة للمواطنين ، فان باستطاعتها ان تقول كلمتها في هذه التصرفات التي تقدم عليها السلطة المحتلة . وربه قائل يقول ما فائدة الاحتجاج والسلطة لا تعير اي التفات ؟ فنقول : او لم يكن لاحتجاج السلطات البلدية الا صداه يتردد في انحاء العالم ليعطي صورة عن تصرف المحتلين لكفى . ومع ذلك فهناك طرق اخرى يمكن للبلديات سلوكها بشكل جماعي احتجاجا على تصرف السلطات المحتلة » . ويختم كنعان مقالته بما يشبه النداء قائلا : « لم يعد يحسن السكوت والسلطات لا تعطي اية قيمـــة للسكان اصحاب البلاد ، ولا بد من اتخاذ موقف موحد فهل من يستمع » . (القدس ١٩٧٣/٨/٢١).

الى جانب ما تقدم فهناك تعليقات كثيرة حول برامج ومخططات العدو التوسعية في الاراضي العربية المحتلة لا تخرج في مبناها ومعناها عما ذكرناه آنفا. والى جانب ما تقدم أيضا ، فان تعليقات الصحف العربية في الضفة الغربية قد تناولت موضوعـــا محليا آخر لا تقل أهميته عـــن موضوع البرامج التوسعية للاحزاب الاسرائيلية . ونعني بذلـــك التحركات والاضرابات التي قام بهـــا المعتقلون السياسيون الفلسطينيـــون في اغلب السجـــون الاسرائيلية . ومرة اخرى لم تكن تعليقات الصحف العربية حول هذا الموضوع مقطوعة الجذور عما يدور حولها من نضالات . فبالاضافة الى تحرك واضراب المعتقلين في سجونهم تحرك أهالي المعتقلين من جانبهم يدعمون نضال ابنائهم داخـــل ووراء أسوار السجون . والى جانب أهالي المعتقلين تحركت معظم المجالس البلدية في الضفة الغربية رافعة المذكرات ومقدمة الاحتجاجات . وهكذا كانت معالجات الصحف لمسألـــة اضرابات المعتقلـــين منسجمة مع الخط الوطني العام ومعبرة عنه كما يجب ان يكون التعبير . وندرج فيمـــا يلي نص العريضة التي تقدمت بها امهات المعتقلين الى سماحة رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس ، وذلك كما نشرتها صحيفة القدس : « نحن أمهات وآباء وأبناء المعتقلين في سجن الرملة نناشد سماحتكم واعضاء الهيئة الاسلامية المحترمين التدخل الفوري السريع لانقاذ حياة ابنائنا المعتقلين وانقاذهم من موت محقق بعد أن فرضت عليهم ادارة السجن ظروفا اضطرتهم الى اعلان الاضراب عن الطعام حتى تزول الظروف اللاانسانية التي تحيط بهم . ان ابناءنا هم ابناء الشعب العربي الفلسطيني بأكمله ونجدتهم واجب انساني وقومي . أملنا كبير بتدخلكم لدى المسؤولين لتحقيق مطالب المعتقلين » (القدس ١٩٧٣/٨/٨) . وكان وفد من الامهات قد زار قبل ذلك مكتب الصليب الاحمر الدولي بالقدس ، وأعربن عـــن احتجاجهن على ســـوء

المعاملة التي يلقاها ابناؤهن في مختلف السجون وخاصة سجن الرملة المركزي ، وطلبن من ممثل الصليب الاحمر الدولي التدخل لتحقيق المطالب العادلة للمعتقلين .

وحول مذكرة لجنة امهات المعتقلين علقت صحيفة القدس على ذلك بقولها : « لقد تقدمت أمهات المعتقلين في سجن الرملة أمس الى جهات كثيرة متعددة بالاعراب عن أملهن في التعاطف معهن والمشاركة في رفع احتجاجهن الى السلطات المختصة ، بأمل حصول ابنائهن وأزواجهن على معاملة اكثر تقديرا لكرامة السجناء وانسانيتهم... نحن نعتقد انه يتعين على السلطات المسؤولة عن السجون في اسرائيل ، اعادة تقييم الاوضاع في داخل هذه السجون وتحديد اطارات لما يجوز وما لا يجوز التعامل به مع السجناء . ان مثل هذا التقييم والتحديد ، بالاضافة الى ما يوحي به من اطمئنان بالالتفات الى الواجبات الاساسية في رعاية هؤلاء الذين ألقت بهم المقادير وظروف الاحتلال المغايرة للاماني الوطنية ، في سجون اسرائيل — سيضع حتما حدودا للتصرفات الفردية الاجتهادية التي يلجأ اليها مدراء السجون كلما أحسوا ان السجناء قد عمدوا الى سلوك سبل يعتبرها المدراء متعارضة مع قدرتهم على الضبط والربط.. » (القدس ١٩٧٣/٨/٨) . ونشرت جريدة الفجر الاسبوعية مذكرة رؤساء بلديات الضفة الغربية الى الحاكم العسكري الاسرائيلي بشأن اوضاع المعتقلين العرب في سجون الاحتلال هذا نصها :

« سعادة الحاكم العسكري العام للضفة الغربية المحترم . لقد دأب أهالي المعتقلين والمحكومين في الآونة الاخيرة من تكرار الشكاوى حول وضع السجون الحالي هذا بالاضافة الى الاخبار المتكررة حول ابنائهم وحول اضرابات المعتقلين السياسيين في مختلف السجون وذلك احتجاجا على الامور التالية ، نرجو من سعادتكم العمل على التحقيق فيها ومن ثم حل جميع المشكلات المترتبة عليها وبالسرعة المناسبة :

١ — يشكو هؤلاء المعتقلون سوء الغذاء والتغذية في السجون لدرجة كبيرة مما زاد في نسبة ونوعية الامراض في السجون .

٢ — العناية الصحية معدومة حتى ان بعض المحكومين العرب الذين بحاجة الى عمليات جراحية تؤجل عملياتهم عدة شهور ، هذا بالاضافة الى كثرة أمراض تسوس الاسنان ، البواسير ، الروماتيزم ، القرحة ، التهابات الحلق والاذنين ، القلب والامراض العصبية والنفسية كثيرا ما تعالج بالاسبرين .

٣ — استغلال المحكومين العرب من ناحية العمل حيث يتم اجبارهم على العمل مقابل ٦ سجائر ومبلغ يتراوح بين ٢٣ — ٤٦ اغورة يوميا ، هذا عوضا عن ان المراقبين عليهم هم من السجناء المدنيين اليهود .

٤ — يفيد أهالي المحكومين العرب بأن أبناءهم يعذبون بالضرب وبأنهم يوضعون تحت ظروف نفسية قاسية مما يتنافى وأبسط القوانين المتعلقة بمثل هؤلاء المعتقلين .

٥ — في بعض السجون يخلط المحكومون السياسيون العرب مع السجناء المدنيين اليهود .

٦ — نطالب بالسماح للمحكومين العرب الذين انتهت فترة محكوميتهم والذين كانوا قد دخلوا الضفة الغربية تسللا البقاء عند عائلاتهم حيث ان معظمهم لا يوجد له احد خارج الضفة الغربية .

٧ — لقد وعد رؤساء البلديات في مناسبات كثيرة في تخفيض الاحكام عن المحكومين العرب ، ولكن هذه الاحكام لم تخفض منذ فترة طويلة وخاصة ان احكام عام ١٩٦٩ كانت قاسية جدا حيث صدرت احكام بالسجن لمدة ١٥ سنة لنفس التهم التي صدرت بها احكام بالسجن لمدة ثلاث سنوات عام ١٩٧١ » (الفجر ١٩٧٣/٨/٢٥) .

وكتبت نفس الصحيفة تحت عنوان « أحوال السجناء العرب وضرورة العمل لتحسين اوضاعهم » ، ان المذكرة الآنفة الذكر تؤكد ان اوضاع المعتقلين العرب « لم تعد تحتمل المعالجة النظرية والوعود المفرطة في التفاؤل بتحسين أوضاع السجون التي يعيش فيها الفلسطينيون... واننا لنعتقد ان امتحان رغبة السلطات الاسرائيلية في تحسين اوضاع السجناء الفلسطينيين ، يجب ان تاتي عبر السماح للجنة من البلديات والهيئات النسائية والتجمعات الوطنية وممثلين عن الصحافة العربية في المناطق المحتلة، لزيارة السجناء وسماع شكاويهم ، والتأكد من ان اجراءات قد اتخذت لتحسين اوضاعهم » (الفجر ١٩٧٣/٨/٢٥) .

عيسى الشعيبي

(٥) اسرائيليات

عملية اعتراض الطائرة المدنية : ... اما الفشل فيتيم !

الرأي العام الاسرائيلي، والصحافة والمسؤولون هناك أيضا ، كانوا علــى مدى أيام شهــر آب (اغسطس) الماضي ، منشغلين بقضايا عديدة ، أهمها دون شك :

١ ــ قضية ارغام الطائرة اللبنانية المؤجرة الى العراق على الهبوط في اسرائيل .

٢ ــ الانتخابات البرلمانية العامة ، لانتخاب الكنيست الثامنة . (انظــر ادنـــاه حــول هــذا الموضوع) .

٣ ــ ازمة الطاقة العالمية واحتمــال فعالية التهديد العربي باستخدام سلاح النفط واثر ذلك على اسرائيل وسياسة اميركا في المنطقة .

٤ ــ زيارة الدكتور كورت فالدهايم الى اسرائيل والدول العربية المحيطة بها .

٥ ــ مؤتمــر سفــراء اسرائيل لــدى الــدول الافريقية ، وتعيين سفير جديد لاميركا في اسرائيل.

ولو بدأنا بأولى هذه القضايا وأهمها ، وهي ارغام الطائرة المؤجرة الى العراق على الهبوط في مطار عسكري في شمال الارض المحتلة ، لوجدنا أمامنا عددا كبيرا من الاسئلة ، اولها ــ في محاولة لوضع هذه العملية الهمجية في موقعها الصحيح داخل خريطة السياسة الاسرائيلية ــ هو : هل العملية فريدة من نوعها ؟

ان اسرائيل ــ رغم عمرها القصير ــ قد «نجحت» حتى الان في جعل ملفها المتضمن مخالفات واضحة وصريحة لكل القيم الانسانية والمواثيق الدولية ، ملفا ضخما قلما ملكت مثله وبحجمه اية دولة أخرى من دول الارض .

ولو تجاوزنا حقيقة ان قيام اسرائيل نفسه هو عمليا اعتداء على شعب كامل وخرق لكل القيم الانسانية مجتمعة ، فان ما يظل أمامنا من مخالفات اسرائيلية أكثر من ان يحصى ، وان يكن بالامكان عرض عينات منه فقط ، مثل قتل الكونت برنادوت ، احتلال ام الرشراش (ايلات) ونيتسانة ، الهجمات الوحشية المتكررة على أهداف مدنية في قطاع غزة سنة ١٩٥٥ وفي الضفة الغربية بدءا من قبيا حتى السموع ، ثم الدعوة والمشاركة في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ ، خطف ايخمان وخرق حرمة السيادة الارجنتينية ، محاولات قتل ــ عن طريق ارسال الطرود الملغومة ــ العلماء الالمان في مصر، العدوان الكبير في حزيران ١٩٦٧ ، الاعتداء على مطار بيروت الدولي واحراق احدى عشرة طائرة مدنية فيه سنة ١٩٦٨ ، الغارات المتكررة على الاهداف المدنية في الضفة الشرقية (السلط واربد وغيرهما) ، وفي مصر (مدرسة بحر البقر ومصانع ابو زعبل وغيرهما)، وفي لبنان (المخيمات : النبطية، النهر البارد ، البداوي وكذلك صيدا ، وبيروت ــ شارع فردان في العاشر مــن نيسان (ابريل) الماضي) ، وغير ذلك الكثير الكثير ، اضافة الى الجرائم التي ارتكبتها وترتكبها اسرائيل ضد العرب المقيمين فيها (كفر قاسم ، الحكم العسكــري ، مصادرة الاراضي ...) ومسلسل الجرائم الجديد من اغتيال محمود الهمشري حتى احمد بوشيكي ، ومحاولات الاغتيال الفاشلــة بالطرود الملغومــة وغيرها .

هكذا يبدو لنا بوضوح ان عملية تصدي طائرات عسكرية اسرائيلية للطائرة المدنية العربية يــوم العاشر من آب (اغسطس) الماضي ، ليست عملية فريدة من نوعها ، ولا هي أسلوب جديد او سياسة اسرائيلية جديدة ، بل هي عملية تنسجم تماما مع الخط العام الواضح للسياسة الاسرائيلية .

ووصولا الى جواب أكثــر وأدق تحديدا نعيد السؤال ذاته : هل العملية فريدة من نوعها ؟

منذ ان بدأ جو الكرة الارضية يتحول الى ساحة للطيران المدني والطيران العسكري ، وحتى الان تعرضت ثلاث طائرات مدنية لمطاردة من قبل طائرات عسكرية ، والعمليات الثلاث قامت بهــا طائرات عسكرية اسرائيلية ، وكانت ضحيتها ثلاث طائرات مدنية عربية ، ولعل في هذا الامر أكثر من عبرة وأكثر من معنى .

أولى عمليــات القرصنة ــ بمعنى الكلمة ــ الجوية هذه ، حدثت قبل ١٨ سنة ، وبالتحديد يوم ١٩٥٥/١٢/١٢ ، حين تعرضت طائرتا موستانغ اسرائيليتان ، لطائرة داكوتا مدنية سورية كانت

متجهة من دمشق الى القاهرة ، وأرغمتاها على الهبوط في مطار اللد ، حيث « احتجز ركابها كرهائن الى حين تفرج سوريا عن خمسة جنود اسرائيليين كانت قد أسرتهم يوم ١٩٥٥/١٢/٩ » . (معاريف ١٩٧٣/٨/١٧ ومعاريف ١٩٥٥/١٢/١٢). وأفرج عن الطائرة بعد ذلك بيومين (أي يوم ١٤/ ١٩٥٥/١٢) « حين أمر بذلك موشي شاريت الذي كان انذاك رئيسا للحكومة ووزيرا للخارجية . وفي النقاش الذي ثار في الكنيست في ذلك الحين ، قال شاريت ان امام اسرائيل الخيار حول ما اذا كانت تريد ان تكون دولة قانون او دولة قرصنة ، وأثار هذا الكلام ردودا منفعلة ... » (معاريف ٨/١٧/ ١٩٧٣) .

و« اختارت » اسرائيل ان تكون «دولة قرصنة»، حيث ان طائراتها الحربية عادت من جديد وتعرضت في شهر شباط (فبراير) الماضي لطائرة ركاب مدنية ليبية ، وأطلقت عليها النار فأسقطتها وقتلت أكثر من مئة مدني سقطت بهم الطائرة فوق رمال سيناء المحتلة .

واذا كانت اسرائيل قد عملت جاهدة على طمس حقائق وكيفية اسقاط الطائرة المدنية الليبية ، فان عمليتها الاخيرة ضد الطائرة اللبنانية — العراقية ، قد كشفت ، بما لا يدع مجالا للشك ، صدق ما أكده الاعلام العربي ، وهو ان نية اسقاط الطائرة كانت مبيتة ، وان العملية الاجرامية تمت عن سابق عمد واصرار .

ولقد حظيت عملية تصدي الطيران العسكري للطائرة المدنية اللبنانية — العراقية ، بتغطية واسعة جدا في صحف اسرائيل — كما في صحف العالم — ووسائل اعلامها الاخرى ، التي عرضت وناقشت العملية ، وذيولها ، وأثرها ووقعها على الرأي العام العالمي وفي المجال والاوساط والمؤسسات الدولية ، والدروس التي يجب تعلمها من العملية .

تحديدا :

١ — كيف عرضت اسرائيل العملية :

أ — على الرأي العام الاسرائيلي ؟

ب : على الرأي العام العالمي ؟

٢ — كيف توزعت مواقف المسؤولين والمؤسسات والمعلقين الاسرائيليين حول العملية ؟

٣ — كيف قابلت اسرائيل الاجماع العالمي على ادانتها ؟

٤ — ما هي الدروس التي استخلصتها اسرائيل من العملية ؟

ان العملية — كعملية عسكرية — بررت عبر العديد من المقالات التي كتبها المراسلون العسكريون للصحف الاسرائيلية ، كما في تصريحات عديدة للعسكريين الاسرائيليين ، وأبرزهم الجنرال دافيد العازار ، رئيس اركان جيش الاحتلال .

وقد كتب يعقوب ايرز — المراسل العسكري لجريدة معاريف — يقول : « ان ارغام الطائرة على الهبوط في اسرائيل هو جزء من سياسة الهجوم والمبادرة ضد الارهاب . ومنذ مجزرة ميونخ تطبق اسرائيل هذه السياسة التي نشرت الخوف واليأس والبلبلة في صفوف المخربين. لقد كانت الاستخبارات جيدة ، ولكن من الطبيعي ان تغييرا في اللحظة الاخيرة (يقصد امتناع الدكتور جورج حبش عن ركوب تلك الطائرة) حال دون احراز الهدف . وكانت عملية سلاح الطيران معقدة ، ولم تتعرض حياة المسافرين للخطر ... » و « ... الا ان الطيار اللبناني انصاع بسرعة ، فدرس الطائرة الليبية (شباط ١٩٧٣) ما زال طريا » . (معاريف ١٩٧٣/٨/١٣) .

وتعليل رئيس أركان جيش الاحتلال ، في خطاب ألقاه يوم ١٩٧٣/٨/١٥ في كريات اليعيزر في حيفا — احتفالا بمرور ٢٥ سنة على تأسيس وحدة الاقليات (أي العرب) في جيش الاحتلال — انه « ليس أمامنا طريق يوصلنا بموجب القانون الدولي الى القتلة ، لكن لنا الحق في الوجود والدفاع عن النفس » (معاريف ٧٣/٨/١٦) . « وستصل ايدينا الى كل اولئك المنادين بتصفية دولة اسرائيل، والمستمرين في اعمال القتل ... وان عبء محاربة المخربين قد فرض كاملا علينا » (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/١٦) .

على الصعيد السياسي ، جهدت السلطات الاسرائيلية على اظهار اتفاق تام « واجماع من الوزراء حول تأييد القرار الذي اتخذ ، واجبرت الطائرة بموجبه على الهبوط في اسرائيل » (معاريف ٧٣/٨/١٣) ، وكان ذلك قد تم التوصل اليه في اجتماع الحكومة الاسبوعي يوم ٧٣/٨/١٢ ، والذي خصص نصفه الاول لمناقشة موضوع الطائرة

واعلنت رئيسة حكومة العدو عنه في « جلسة للجنة الوزارية لشؤون الامن » (المصدر السابق) وذلك للحيلولة دون تسرب اية معلومات عمـا دار في الاجتماع . وعندما « نمى الى علم رئيسة الحكومة السيدة مئير ، خبرا أفاد ، وكأن وزير الخارجية ابا ايبان قد عبر ، في لقاء خاص أعـده التجمع العمالي ، عن رأي متحفظ ازاء موقف الحكومة من قضية ارغام الطائرة اللبنانية على الهبوط في اسرائيل ... استوضحت رئيسة الحكومة حول هذا الموضوع بصورة مباشرة مع وزير الخارجية. اوضح لرئيسة الحكومة ان الوزير لم يتخذ موقفا متحفظا ، وانما عـرض الاعتبـارات المؤيـدة والمعارضة ، التي كان يمكن ان تطرح استعدادا للحسم حول موضوع ارغام الطائرة على الهبوط. وانتهى بذلك الاستيضاح حول هذه المسألة » . (معاريف ١٩٧٣/٨/٢٨) .

والى الرأي العالمي العالمي — والغربي بشكل خاص — توجه الاسرائيليون بالتركيز على انه « لا يمكن بحث قضية الطائرة كحادثة فردية ، بل ينبغي بحثها من ضمن كافة عمليات الارهاب والقتل ، وعلى ضوء حق اسرائيل في الدفاع عن نفسها » . (يوسف تكواع في الامم المتحدة — رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٨/١٥) . وكذلك ترديد وصف الدكتور جورج حبش بأنه « زعيم القتلة » ومهاجمة الاتحاد السوفياتي ، حيث « لا يستغرب تأييد السوفيات لجورج حبش ، فانكم (السوفيات) تزودونهم برشاشات من طراز كلاشينكوف من اجل قتل النساء والاطفال » (المصدر السابق) والتذكير بأعمال فدائية واعمال اتهمت اسرائيل الفدائيين بها « بدءا من خطف الطائرة الاسرائيلية الـى الجزائر سنة ١٩٦٨ وانتهاء بمذبحة اثينا» (المصدر السابق) ، ومن ناحية ثانية التأكيد على حـق اسرائيل في «الدفاع عن نفسها» ولوم « الدول التي تخلي سبيل القتلة ، مثل قتلة ميونخ » (جيروزاليم بوست ٧٣/٨/١٥) . وعادت اسرائيل مجددا الى شعار التقوقع ردا على توحد العالم بأجمعـه ضدها ، حيث انه « اذا ظهرت شكوك في اسرائيل بشأن مدى الفعالية السياسية في عملية اعتراض الطائرة ، فان اشتراك الاعداء والاصدقاء بالتنديد باسرائيل ، يوحد سكان اسرائيل في تأييدهم الى هذه العملية » (هموديع — صحيفة الحزب الوطني المتدين — ٧٣/٨/١٥) .

ونظرا الى صعوبة الدفاع عن هـذه العملية الاجرامية ، وخاصة امام الراي العام العالمي ، والمحافل الدولية ، وهي المهمة الملقاة على عاتق يوسف تكواع مندوب اسرائيل الدائم في الامـم المتحدة ، فان العديد من الصحف الاسرائيلية ، قد استغل هذه الفرصة ليدبج مقالات المديح لتكواع ، وكتب دافيد لازر يقول : « ان ذلك الذي ألقيت عليه المهمة المشكورة ، مهمة ان يكون بوقا لنا جميعا ، منذ سنين ، في برج الزجاج والاسمنت المسلح والتلون والاجرام والكراهيـة ، يوسف تكواع سفيرنا في الامم المتحدة ، يستحق كما يبدو لي منذ زمن طويل كلمة شكر وتقدير من الوطن » (معاريف ٧٣/٨/٢١) .

لكن برغم الحملة الاعلامية الاسرائيلية الواسعة التي توجهت نحو الداخـل ونحو الخارج علـى السواء ، فقد ظل صعبا على الاسرائيليين تحمل المذاق المر للفشل ، وصعب عليهم اكثر من اي شيء آخر ان تكون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والدكتور جورج حبش ، قادرين علـى افشال اسرائيل ، باستخباراتهـا وجيشها ، فراحـوا يتساءلون حول « من يمكنه ان يحكم سلفا موعد اصابة جورج حبش بالنوبة القلبية ، وتراجعه عن قراره بالسفـر ؟ » وعندمـا بدأت تتضـح للاسرائيليين أكثر فأكثر حقيقة ان استخباراتهـم وحكومتهم وجيشهم قد وقعوا ضحية عملية تضليل موفقة ، وقع الاسرائيليون في الخطأ الذي يتهموننا دائما بارتكابه ، وهو تحميل طـرف ثالث قوي مسؤولية فشلنا ، ووجد الاسرائيليون ضالتهم في الاتحاد السوفياتي ، ولقد أوضح دافيد غلعادي ذلك حين أشار الى « احتمال » ان تكون اسرائيل قد وقعت ضحية تضليل ، « لكن بموجب تجربتنا على مدى السنين ، فان من المشكوك فيه ان يكون العرب بجميع دولهم ومنظماتهم مؤهلين لتشكيل جهاز تضليل واستفزاز ناجح الى هذه الدرجة ، واخفائه الى هذه الدرجة من النجاح عند اقدامنا. ان استفزازا ناجحا الى هذا الحد — اذا كان هناك ثمة استفزاز — يشير الى وجود فنانين ذوي تاريخ عريق في هذا المجال ، ولهم خبرة في مواجهة من هم من وزنهم ونوعهم ، والانتصار عليهم أحيانا كذلك . وبين مجموع المعلومات التي نشرتها صحف بيروت النشيطة ، وردت معلومة صغيرة عـن ان السوفيات هم الذين حذروا جورج حبش من ركوب

تلك الطائرة التي ارغمت على الهبوط في اسرائيل بعد ذلك . واذا كنا نميل الى الاخذ بالاحتمال المذكور ، فانه ليس هناك اي سبب بطبيعة الحال لعدم التفكير بالسوفيات كمعنيين أكثر من اي طرف خارجي في التسبب باستفزاز كهذا ضد اسرائيل... واذا كان هناك استفزاز فعلا ، فان فنانين مثل السوفيات فقط ، يستطيعون ان يحيكوه وينتجوه بهذه الدرجة من النجاح والكمال » (معاريف ٧٣/٨/٢١) . وأعاد الاسرائيليون بذلك تأكيد صدق القول المعروف ، بأن « للنجاح آباء كثر ، اما الفشل فيتيم » ولم يتعبوا انفسهم كثيرا في عملية البحث عن المسؤول (او المسؤولين) عن الفشل.

ونصل الان الى السؤال الثاني حول كيفية توزع المواقف في اسرائيل ازاء هذه العملية .

قبل كل شيء ، فان موقف جميع وزراء اسرائيل ، كان — رسميا ، وكما ذكر سابقا — في خط التأييد بالاجماع لقرار استخدام سلاح الطيران لارغام الطائرة المدنية اللبنانية — العراقية على الهبوط في اسرائيل . لكن مواقف الجهات والاحزاب الاسرائيلية الاخرى لم تكن الى جانب هذا الخط بالاجماع .

فقد ذكرت جريدة معاريف (١٩٧٣/٨/٢٦) ان « الحلقة الفكرية في حزب العمل (الحاكم) متحفظة ازاء اعتراض الطائرة فقد اتخذت سكرتارية الحلقة الفكرية لتوضيح المشاكل الاجتماعية والسياسية ، في نهاية الاسبوع الماضي قرارا بالتحفظ ازاء العملية ، وورد في قرار الحلقة ان دولة اسرائيل تردد مطالبتها للدول العربية ودول العالم ومنظمة الطيران الدولية والرأي العام العالمي عدم السماح بالحاق الضرر بالطيران الدولي ، والعمل ليس فقط ضد الافراد والجماعات الارهابية ، بل ايضا ضد الدول ، مثل لبنان ، التي لا تمنع خطف الطائرات . وان عملية اسرائيل تشكل الحاقا للضرر بمبدأ حرية الطيران الدولي وبما تطالب اسرائيل دول العالم به » .

وعلى صعيد الاحزاب الاسرائيلية ايضا ، « اعرب رئيس كتلة « الاحرار المستقلين » في الكنيست ، عضو الكنيست جدعون هاوزنر ، (وهو ، للمناسبة ، المدعي العام الاسرائيلي في محاكمة ايخمان) عن تحفظه ازاء عملية اعتراض الطائرة اللبنانية بقوله انه يجب محاربة المخربين في كل مكان ، لكن ليس بجميع الوسائل ... » (معاريف ٧٣/٨/٢٦) .

اما مناحم بيغن ، رئيس حركة حيروت وكتلة غاحال في الكنيست ، فقد كتب مقالا (في معاريف ٧٣/٨/١٧) ، تحت عنوان « من هم الـ « بلا خطيئة » ؟ » بدأه بقوله : « سأبدأ من النهاية : انني أؤيد هذه العملية حتى بعد ان لم يتحقق هدفها » .

وعلى جبهة المحسوبين على اليسار في اسرائيل، اعرب مئير يعيل رئيس قائمة « موكيد » للانتخابات المقبلة (مكونة من بعض شيوعيي ميكونيس وغيرهم) عن اعتقاده بأن « على الحكومة الاسرائيلية التنصل من اعتراض الطائرة اللبنانية، والاعلان بأنها لن تعود الى مثل هذه الاعمال ... وان اعتراض الطائرة تنقصه المسؤولية السياسية . ولقد اثار هذا العمل ضدنا منظمات الطيران العالمية وساعد حكومة الولايات المتحدة في الضغط علينا ... » . (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٨/١٥) .

اما الصحف الاسرائيلية فقد ضمت خلال الايام التي تلت العملية خليطا من المقالات المؤيدة للعملية ، والمعارضة لها ، والمنتقدة للمعارضين والمنتصرة لهم .. ولقد انتقينا من الصحف الاسرائيلية ثلاثا هي : معاريف ، يديعوت احرونوت ، وهآرتس . حيث تبين ان مقالات معاريف تتوزع مناصفة تقريبا بين مؤيد ومنتقد ، وكانت الغالبية العظمى من مقالات يديعوت احرونوت مؤيدة للعملية في حين كانت غالبية مقالات جريدة هآرتس (الاكثر اتزانا بين صحف اسرائيل) معارضة للعملية ومنتقدة لها .

وكتب المعلق المعروف شالوم روزنفلد في معاريف (٧٣/٨/١٣) يقول ان الضمير في هذه العملية هو المرتاح والهادىء ، في حين ان العقل هو الثائر (وذلك بعد ان يستعرض ماذا كان سيحدث لو وقع جورج حبش في ايدي الاسرائيليين وكيف ستكون صورة المحكمة والمحامين المتبرعين للدفاع عنه) ، ويستدل من ذلك على ان « هذه هي علامات ارتباك نزج فيه في ظل الطبيعة المميزة للاعنف بين الحروب ، « الحرب القذرة » ضد المخربين التي نخوضها نحن منفردين ... » .

وانتقد حانوخ برطوف في معاريف (٧٣/٨/١٦) تحويل الاسرائيليين لمواقفهم من النقيض

الى النقيض ، : « جميعنا ، وما العمل ؟ ، نقفز من الطرف الى الطرف . فعندما نفذ الارهابيون المتخفون تحت اسم « ايلول الاسود » عمليات القتل دون تمييز ، وبدا ان هناك خطر وضع حاجز جوي بين اسرائيل والعالم ، طالبنا جميعنا بضرب هؤلاء القتلة « في كل مكان وفي كل زمان » . ومن وقف لحظة ليفكر في دلالة هذه المطالبة ، عرف ان ما سيكون مطلوبا هو ليس فقط جهدا كبيرا ، بل اساليب غير اعتيادية اطلاقا » .

وتحت عنوان « تأييدا لاعتراض الطائرة » ، كتب متتياهو بيلد ، احد اشهر معلقي معاريف (عدد يوم ٧٣/٨/١٧) : « ان الانتقادات الموجهة لاعتراض الطائرة اللبنانية التي كان يفترض ان يطير فيها جورج حبش ورجاله الى بغداد ، ما كانت لتسمع لو ان المخربين وقعوا في ايدينا في اعقاب هذه العملية ... » .

وكان اعنف من جميع هؤلاء المعلق يشعياهو بن بورات ، الذي كتب في جريدة يديعوت احرونوت (٧٣/٨/١٧) مقالا تحت عنوان « .. ورغم ذلك، التأييد لاعتراض الطائرة » ذكر فيه بعملية خطف ايخمان ، حيث « وصلت طائرة العال الى الارجنتين في رحلة خاصة ، وكان على متنها وزير خارجية اسرائيل ليشارك في احتفالات الارجنتين بعيدها الوطني في شهر أيار (مايو) ١٩٦٠ ... ثم عادت الطائرة وعلى متنها شخص فاقد الوعي ادعى الملاحون انه زميلهم ، وعرف العالم كله عندما حطت الطائرة في اسرائيل، ان ذلك الشخص لم يكن الا ادولف ايخمان ... وقامت ضجة في العالم ضد الاعتداء على سيادة الارجنتين ، لكن بعد سنة عندما بدأت محاكمة ايخمان التاريخية في القدس ، ثم بعد سنة اخرى عندما اعدم ايخمان شنقا (ثم حرقا وذرا للرماد في البحر المتوسط خشية تحول قبره الى « مزار ») لم يبق احد في العالم يذكر الحاق الضرر بسيادة دولة اجنبية والاخلال بالقانون الدولي » .

وبرر اهرون شمير عملية اعتراض المقاتلات الاسرائيلية للطائرة المدنية العربية في مقال بعنوان « صعب أن تكون صغيرا » بالتذكير بجرائم ترتكبها الدول الكبرى مثل قصف فيتنام وكمبوديا، والمذابح التي تتعرض لها قبائل كاملة في افريقيا وغيرها ، وخلص من ذلك الى « تبرير » يقول بان ما يعمله الكبار لا يحق للصغار ممارسته ، و « صعب ان تكون شعبا صغيرا ». (يديعوت احرونوت ٨/١٧/ ١٩٧٣) .

في مقابل هذه التبريرات والتفسيرات ، والانتصار لقرار اعتراض الطائرة اللبنانية — العراقية ، كتب عدد من معلقي جريدة هآرتس مقالات انتقدت العملية والقرار بعنف ملحوظ . وتحت عنوان « سكر القوة » كتب جدعون سامط: « ... الا ان القوة مثل النبيذ ، تكشف لدى التهام كميات اكثر من اللازم منها ، صفات جديدة. وفي هذا الاسبوع استخدمت اسرائيل قوتها وكأنها سكرانة بالنبيذ ، وابرز اعتراض الطائرة دفعة واحدة ، ضعف القدرة الاسرائيلية ... » وبعد استعراضه لاحتمالات ما كان سيحدث لو ان جورج حبش اعتقل واصطف الحاموں ... عاد سامط ليقول : « ... لقد اصيبت اسرائيل من قبل بالسكر من القوة ، وبصورة مشابهة ، قبل حوالي اربع سنوات . ففي النصف الثاني من سنة ١٩٦٩ ، بدأت اسرائيل تتصف في عمق الاراضي المصرية ، وهذا القرار غير المتزن رافقته علامات مميزة : انخفاض قوي في مستوى توازن التفكير الحكومي ... » . (هآرتس ٨/١٧/ ١٩٧٣) .

وبلغت حملة جريدة هآرتس ذروة اخرى بعد اسبوع من نشر ذلك المقال حين طرح زئيف شيف (في عدد يوم ١٩٧٣/٨/٢٤) ، وتحت عنوان « كيف يقررون ؟ » اسلوب اتخاذ القرارات في حكومة اسرائيل ، مستعرضا اساليب رؤساء حكومات اسرائيل المتعاقبين ومنتقدا انعدام وجود طاقم خبراء لدى الحكومة ، ومنتقدا كذلك اسلوب الحكومة ومعتبرا اياه « ظاهرة مميزة للمنظمات السرية ولمرحلة ما قبل الدولة ، اكثر منها لدولة لها جيش متطور جدا » .

وفي الوقت الذي كان فيه المعلقون الاسرائيليون مشغولون بكتابة مقالاتهم كانت اجتماعات مجلس الامن لمناقشة موضوع اعتراض الطائرة اللبنانية — العراقية تتتالى ، الى ان اتخذ ، بالاجماع ، يوم ٧٣/٨/١٥ ، القرار التالي نصه :

« ان مجلس الامن بعد ان استمع الى تصريح مندوب لبنان ، عن خطف طائرة ركاب لبنانية مؤجرة من الاراضي اللبنانية ، من قبل سلاح الطيران الاسرائيلي ،

مع كونه قلقا بصورة بالغة من حقيقة ان عملا كهذا ، الذي قامت به اسرائيل دولــة عضو في الامم المتحدة ، يشكل الحاقا جديا للضرر بالطيران المدني الدولي ، وخرقا للميثاق الاساسي للامــم المتحدة .

بمعرفته ان عملا كهذا قد يعرض للخطر حياة وأمن ركاب واعضاء طاقم ، ويخرق بنود مواثيق دولية لحماية الطيران المدني .

بذكره لقراريه ٢٦٢ ليوم ٣١ كانون الاول ١٩٦٨ و ٢٨٦ ليوم ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ :

١ ــ يندد بحكومة اسرائيل لخرقها سيــادة وسلامة لبنان الاقليمية ، ولامساكها طائرة ركاب لبنانية من داخل المجال الجوي للبنان ، بالقــوة بواسطة سلاح الطيران الاسرائيلي .

٢ ــ ان المجلس يعتقد ان هــذا العمــل من جانب اسرائيل ، يشكل خرقا لاتفاقية وقف اطلاق النار اللبنانية ــ الاسرائيلية لسنة ١٩٤٩ ، قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار لسنة ١٩٦٧ ، بنود الميثاق الاساسي للامم المتحدة والمواثيــق الدولية المتعلقة بالطيران المدني ، وكذلك اسس القانون الدولي والاخلاق .

٣ ــ ان المجلس يدعو المنظمة الدولية للطيران المدني الى اخذ هذا القرار بالحسبان ، لــدى بحثها في الخطوات الملائمة لتأمين الطيران المدني الدولي ضد اعمال كهذه .

٤ ــ ان المجلس يدعو اسرائيل الى التوقف عن كل العمليات التي تلحق الضرر بسيادة وسلامة لبنان الاقليمية ، والتي تعرض للخطر امن الطيران المدني الدولي . انه يحذر اسرائيل جديا ، من انه اذا تكررت اعمال كهذه ، سيبحث مجلس الامن باتخاذ خطوات او وسائل ملائمة من اجل فرض تنفيذ قراراته » .

وقرار التنديد باسرائيل هذا هو القرار الثامن عشر من نوعه الذي يصدر عن مجلس الامن ضد اسرائيل منذ حرب حزيران ١٩٦٧ (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/١٦) . واكثر ما ضايق الاسرائيليين فيه هو ــ كما عبرت عن ذلك افتتاحية جريــدة معاريف يــوم ٧٣/٨/١٦ ، وكانــت بعنــوان « بالاجماع » ــ هو تضمنه كلمة « الاخــلاق » والنص فيه على ان اعتراض اسرائيل للطائــرة المدنية يشكل خرقا ليس فقط للمواثيق والقوانين ، بل للاخلاق ايضا ... وهذا ما لم يتحمله « الحس الاسرائيلي المرهف » !

وانتقد فيليب بن مراسل معاريف في الامم المتحدة جميع الدول الاعضاء في مجلس الامن التي صوتت الى جانب القرار ، واورد مخالفات تلك الــدول وخرقها للقوانين الدولية ، ومن ضمن تلك الدول فرنسا التي « امــرت طــائرة مدنية سنة ١٩٥٦ بالهبوط في الجزائر » . وكان على متنها زعمــاء الثورة الجزائرية الخمسة الذيــن اعتقلوا ولــم يفرج عنهم الا عندما استقلت الجزائر . (معاريف ٧٣/٨/١٧) .

وبعد قرار الادانــة بالاجمــاع هذا ، جــاء « اجماعان » آخران ، كان اولهما قرار ادانــة اسرائيل بالاجماع الذي اتخــذه مجلس منظمــة الطيران الدولي في مونتريال بكندا يوم ٧٣/٨/٢٠.

اما قرار ادانة اسرائيل الثالث فقد اتخذتــه الجمعية العمومية لمنظمة الطيران الدولي في روما يوم ١٩٧٣/٨/٣٠ ، ولكن باجماع « اقل » حيــث اقر « بأغلبية ٨٧ صوتــا ضد صوت واحد هــو صوت اسرائيل ، وامتنــاع اربعة اعضاء عــن التصويت » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٣١)، وكانت الايام العشرة التي فصلت بين التنديد في مونتريال والتنديد في روما ، قد شهدت تحركــا دبلوماسيا اسرائيليا واسعا ، بدأه ابا ايبــان باستباق اجتماعــات منظمة الطــيران في روما واعتباره « ان ادانة اسرائيل هي عدم عــدل صارخ » (رصد اذاعة اسرائيــل ٧٣/٨/٢٢) ولحقه سمحا دينتس سفير اسرائيل في واشنطن الذي « طلب من اميركا العمل على عدم فــرض عقوبات على اسرائيل في مؤتمر روما » (معاريف ٧٣/٨/٢٤) ، ثم بدأ سفراء اسرائيل في الدول الاخرى التحرك في الاتجاه ذاته ، وصدر قــرار الادانة ، ولم يصدر اي قرار بفرض العقوبــات على اسرائيل ، بعد ان « كانت اميركا قد وعدت اسرائيل بتأييدها تأييدا كاملا في مؤتمر رومــا » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٩) وانضمت الى اميركا بعد ذلك دول اوروبية اخرى . (المصدر ذاته) .

وبرغم الاجماع العالمي على التنديد باسرائيل ، فانها ظلت متعنتة ، بل زادت تصلبا ، واعلــن يوسف تكواع مندوب اسرائيل في الامم المتحــدة

فور اتخاذ قرار الادانة في مجلس الامن « ان اسرائيل ستواصل قتالها بقرار متصلب ضد الارهاب العربي » (رصد اذاعة اسرائيل ٨/١٦/ ١٩٧٣) ، واستخلص الناطق بلسان وزارة خارجية العدو من قرار مجلس الامن « ان درس قرار الادانة هو ان علينا محاربة الارهاب منفردين» (معاريف ٧٣/٨/١٦) .

اما على صعيد العملية ككل ، فقد عدد الاسرائيليون دروسا كثيرة تعلموها من العملية، ويمكن عرض اهم هذه الدروس على النحو التالي :

نقل اريئيل غيناي عن اهرون ياريف («مستشار مثير لمحاربة الارهاب » سابقا) قوله : « ان حربنا ضد الارهابيين العرب ستكون مستمرة . والانتصار فيها سيكون بالنقاط ، بواسطة توجيه ضربات عديدة وقاسية بشكل متزايد . فان القاء القبض على جورج حبش ومساعديه كان سيشكل احدى هذه الضربات القاسية ، التي سيؤدي تكرارها في نهاية الامر الى اضعاف الفدائيين نهائيا ... وانني اوافقك على ان التوقيت واللحظة التي اختيرت كانا من اسوأ ما يمكن ، ولكن اسرائيل لم تكن هي التي اختارت الساعة التي عزم حبش على ركوب الطائرة فيها والتوجه الى بغداد » (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/١٧) .

ويرد غيناي على اقوال ياريف بأنه « يجب ان لا نفصل هذا الصراع عن الصراع الطويل والصعب الذي نخوضه ضد العالم العربي كله، والذي له حلفاء كثيرون : الشيوعيون ، غير المنحازين ، والمتعاطفون معه . وهذا الصراع الاخر ، هو ايضا « صراع على النقاط » ، ولكن الضربات التي يوجهها كل واحد للاخر ليست ذات طابع عسكري فقط ، بل لها طابع سياسي واقتصادي وهيبة ودعاية » (المصدر ذاته) .

وبعد ان يستخف مثل جميع الاسرائيليين بمجلس الامن والامم المتحدة ، يصل الى القول « ان تصويت الولايات المتحدة في مجلس الامن — وقد كانت اميركا سعيدة لاننا اعطيناها هذه الفرصة لكي لا تبقى وحيدة معنا — قد اوضح لنا اننا اصبحنا هذه المرة معزولين اكثر من المرات السابقة ، ونحن لسنا معزولين في مجلس الامن فقط، بل معزولون ايضا عن الرأي العام العالمي، وانه لمن الخطأ عدم اعطاء اية اهمية لذلك » .

لكن كيف يكون ذلك : الاستمرار في القيام بعمليات همجية وتفادي البقاء معزولين عن العالم؟

ان ما يصعب على العقل الذي له علاقة بالاخلاق والقيم العثور عليه ، يجده « المفكرون » الاسرائيليون ، وينظرون له ويطرحونه افكارا على صفحات صحفهم .

يقول حزاي كرمل في جريدة معاريف عدد يوم ١٩٧٣/٨/٢٠ : « ... ولكن من اجل تقليص مخاطر الاحتكاك والتنديد في الساحة الدولية ، فانه ربما كان هناك مجال لاقامة وحدة ١٠٢ ، وريثة للوحدة ١٠١ التي عملت باساليب غير اعتيادية ، وتتشكل من مجموعات صغيرة من الجنود ورجال الامن الذين يعدون اعدادا خاصا، ليكون بمقدورهم العمل وراء الخطوط (اي الحدود ، لكنه لم يوضح اية حدود) بصورة تلقائية ، دون أن تكون هناك حاجة لاستخدام كل قدرة جيش الدفاع الاسرائيلي ، لاعطاء تغطية لعملية كهذه . والمقصود هو وحدة تعمل في اطار رسمي . ان الخطر الشخصي على المشتركين في عمليات من هذا النوع ، سيكون كبيرا ، لكن ، بالقدر نفسه ، تقل المخاطر السياسية » .

ازمة الطاقة : اسرائيل بدور الشرطي لضمان استمرار تدفق النفط !

حين اقترح جون سكالي مندوب الولايات المتحدة الاميركية الدائم في الامم المتحدة يوم ٧٣/٨/١٥ الى جانب قرار مجلس الامن بادانة اسرائيل على اعتراض سلاحها الجوي للطائرة المدنية اللبنانية — العراقية ، ولم تستخدم حقها في وضع الفيتو على القرار كما فعلت مرتين من قبل لمنع ادانة اسرائيل ، فسر مراقبون اسرائيليون ذلك ، على انه رضوخ «للضغط العربي المتزايد على واشنطن حول موضوع النفط والتأييد الى اسرائيل » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/١٦) .

الا ان هذه الاشارة لم تكن هي الاولى عن علاقة ازمة الطاقة والنفط العربي بسياسة اميركا في الشرق الاوسط ، حيث سبقتها اشارات عديدة أخرى تتبعتها الصحف الاسرائيلية بدقة ، ورصدتها مقدرة ، ايجابا في بعض الاحيان وسلبا في غالبها ، احتمالات تطور النفط ليصبح سلاحا عربيا .

وموضوع ازمة الطاقة قديم ، عاد الى اعمدة

الصحف من جديد قبل اشهر ، لكنه اصبح اكثر حدة واكثر ترددا في شهر اب (اغسطس)الماضي، حين ابرق مراسلو الصحف الاسرائيلية في اميركا الى صحفهم يوم ٧٣/٨/٣ نص رسالة وقعها اوتو ميلر رئيس مجلس مدراء شركة « ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا » (خامس اكبر شركة نفط في الولايات المتحدة) وزعت على ٢٦٠٠٠٠ مساهم في الشركة و ٤٠٠٠٠ مستخدم فيها ، « يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٤) .

في هذه الرسالة المؤرخة يوم ٧٣/٧/٢٦ طلب ميلر من عشرات الاف الذين وزعت عليهم الرسالة « دعم الرغبات العربية ، والضغط على حكومة الولايات المتحدة بهدف ان تقيم هذه تعاونا اوثق مع الحكومات العربية في جهودها لاحلال السلام في الشرق الاوسط » . وذلك لان هناك « شعورا متزايدا لدى جزء كبير من العالم العربي بأن الولايات المتحدة قد تخلت عن الامة العربية » (!!) (المصدر السابق) .

ويطالب ميلر حكومة الولايات المتحدة في رسالته « ان تتفهم وجهة النظر العربية . وان مصلحتنا نحن مواطني الولايات المتحدة تلزمنا بالتوجه الى حكومتنا لتعمل من اجل خلق الظروف للسلام والاستقرار في الشرق الاوسط . وعلينا ان نعترف بالحقوق المشروعة لجميع شعوب المنطقة ، وان نساعدهم على احراز الامن والاطمئنان على مستقبلهم الاقتصادي » . (المصدر السابق) . « وهذه الدعوة الواضحة من قبل شركة النفط الى المواطنين الاميركيين للضغط على واشنطن من اجل ان تقر هذه سياسة اكثر تأييدا للعرب ، هي الدعوة الاولى من نوعها » . (المصدر السابق) .

ولم تتأخر ردود الفعل الاسرائيلية والصهيونية، بل حتى في اليوم ذاته الذي علم فيه بمضمون الرسالة « دعا اسحق رابين (سفير اسرائيل السابق لدى واشنطن) اميركا الى عدم الرضوخ لضغط شركة النفط ، وقال انه ينبغي على الولايات المتحدة الاعتماد على النفط من ايران فقط خلال الاعوام العشرة المقبلة ، وحذر من انه اذا رضخت واشنطن للضغط العربي في هذا المجال ، فسوف تفقد مكانتها كأول دولة في العالم ... » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٤).

وفي اليوم ذاته ايضا بدأ الصهيونيون في الولايات المتحدة يعربون عن امتعاضهم وغضبهم من رسالة ميلر كما ظهر ذلك في سان فرنسيسكو حيث تظاهر عدد من اليهود المساهمين في الشركة امام مكاتبها ، ويبعث يهود اخرون رسائل غاضبة الى الشركة (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٤) . ويمكن الاعتقاد بأنه حين تحظى رسالة ميلر الى تغطية اوسع ، فان الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية ستقوم بعمليات احتجاج اوسع». (المصدر السابق) .

وخصصت جريدة معاريف يوم ٧٣/٨/٥ افتتاحيتها لتحريض يهود الولايات المتحدة على شركة ستاندرد اويل ، ومدرائها ، وقالت : « علينا ان نتأمل بأن يعرف يهود الولايات المتحدة كيف يردون على ما قامت به شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا ، التي ارادت ان تسبب الارتياح لحكومة السعودية باسدائها نصيحة الى جميع اصحاب الاسهم في الشركة للانضمام الى المطالبة بتغيير سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط. وان بين مالكي اسهم الشركة يهود غير قليلين ، ولهؤلاء اليهود وسائل وطرق للتوضيح لمدراء الشركة بأن محاولة تنظيم ضغوط سياسية على حكومة الولايات المتحدة للعمل من اجل المصالح التجارية للشركة يمكن ان تعمل مثل «البومرانغ»، ومن يعتقد بان المصالح المالية يجب ان تؤثر على وضع السياسة ، فانه يجب الا يتفاجأ اذا ما اتضح له ان هذا الاسلوب يمكن ان يعمل في كلا الاتجاهين ، وان المصالح المالية يمكن ان يلحق بها الضرر من جراء اتخاذ خطوات سياسية متسرعة » .

ثم انتقل الغضب الاسرائيلي الى وزارة الخارجية الاميركية (لم يكن كيسنجر قد تولاه بعد) ، وانتقد هـ. يوسطوس ، وهو احد ابرز معلقي اسرائيل ، اكثار جوزيف سيسكو مساعد وزير خارجية اميركا ، الحديث عن ضرورة « التحريك » عن طريق مبادرة جديدة لانهاء حالة الجمود في الشرق الاوسط . « وبرغم انه تحدث عن «كلا الطرفين» الملزمين بتفحص دربهما مجددا، فانه لم يدع مجالا كبيرا للشك ، حول الجهة التي يوجه كلامه اليها اساسا ، ... عندما يشير الى التهديد الكامن في « ازمة الطاقة »... » (معاريف ٧٣/٨/٨) .

ثم في يوم ٧٣/٨/٢٧ اضيفت الى بحر النقاشات

حول احتمالات تطورات ازمة الطاقة ومردودها على ازمة الشرق الاوسط ووضعه ، حقيقة جديدة حين « ابلغت حكومة السعودية شركات النفط الاميركية ان زيادة انتاج النفط في المستقبل ستبلغ ١٠٪ ، اما الولايات المتحدة فانها بحاجة الى زيادة نسبتها ٢٠٪ سنويا في الانتاج وهذا يعني انه سيحدث نقص ، ولكن على المدى البعيد » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٨) .

وكانت جريدة يديعوت احرونوت قد نشرت لمراسلها في واشنطن يوم ٧٣/٨/٢٤ رسالة جاء فيها « ان الرد الاميركي على محاولات العرب استغلال منابع النفط لتغيير سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط متوقع في المستقبل القريب ، وسيكون قرارا بالتشديد على تطوير مصادر طاقة بديلة لتلك الموجودة حاليا » .

وفي عدد الجريدة ذاته ، تساءل المعلق اريئيل غيناي ، حول « هل وجود يهودي في وزارة الخارجية هو امر جيد ام سيء لليهود ؟ » ، وبين ما عدده من ايجابيات « ... ان تعيين كيسنجر جدير بأن يقلص احتمالات نجاح العرب » في استخدام سلاح النفط . وقال دينتس — سفير اسرائيل في واشنطن — يوم ٧٣/٨/٣١ « ان اقوال الملك فيصل تشكل ابتزازا وانه لا يؤمن بان الولايات المتحدة سترضخ » . (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٩/١) .

وافردت جريدة معاريف افتتاحيتين متتاليتين لهذا الموضوع ، قالت في الاولى — وهي تحت عنوان « حرب نفط ، لكن ليس فورا » — « ... لو ارادت السعودية فان باستطاعتها ان تعلن تخفيض انتاجها للنفط بنسبة ١٠٪ الان وليس بعد سنة . الا ان ما يحصل هنا ، انه كما في حالات كثيرة اخرى ، هو تظاهرة قوة اكثر منه استعمال لها ... وان السعودية تخطو بحذر شديد في هذه الطريق التي اختارتها ، وباسلوبها هذا تمكن السعودية نفسها من اظهار اخلاصها للقضية العربية دون ان تتضرر هي او غيرها من هذا الاجراء فوريا . ويبدو ان هذا هو ما تريد السعودية احرازه » . (معاريف ٧٣/٨/٢٧) .

وفي اليوم التالي نشرت معاريف افتتاحية تحت عنوان « النفط العربي » قالت فيها « ان سبب الدعوة العربية لتقليص حجم انتاج النفط هو اقتصادي حيث ان النفط في باطن الارض افضل منه بعد انتاجه ، لانه لا حاجة للدول النفطية قليلة السكان بأموال اضافية ... ويستثنى من الدول النفطية ايران ، كثيرة السكان والمصالح والحاجة الى معدات عسكرية ... ومن مصلحة اسرائيل ان تقوم بحملة اعلامية داخل اميركا توضح فيها للمواطن البسيط هناك — وهو الذي سيتأثر بأزمة الطاقة نتيجة سياسة موزعي النفط وليس منتجيه — ان سياسة حكومته ليست هي السبب في الازمة ... » (معاريف ٧٣/٨/٢٨) .

اما المعلق المعروف شفايتسر فقد كتب في هآرتس عدد يوم ٧٣/٨/٢٤ تحت عنوان « خيانة غير واردة » مستبعدا ان يحدث في سياسة اميركا في الشرق الاوسط اي تغيير في غير صالح اسرائيل ، واستبعد ان يكون لتصويت الولايات المتحدة في مجلس الامن الى جانب قرار ادانة اسرائيل لتعرض طيرانها الحربي للطائرة المدنية اللبنانية اي مؤشر لتطورات محتملة في الموقف الاميركي تجاه اسرائيل .

ويقول شفايتسر : « ... ومعروف ان كل شيء في السياسة ممكن . لكن قد يكون فرق بين الممكن والوارد ، واحيانا فرق كبير . ومن الجدير ان نتبين ما ينفصل بين امكانية ان تدير لنا الولايات المتحدة الاميركية ظهرها وبين ان يكون حدوث ذلك امرا واردا » . ويعدد شفايتسر بعد ذلك الحواجز التي تحول دون جعل الممكن واردا ، الى ان يصل الى القول انه « ليس في هذه الايام تماثل في نظر الجمهور الاميركي بين المصالح الوطنية ومصالح شركات النفط » وكذلك فانه حتى لو ان الولايات المتحدة عملت ما تريدها دول النفط ان تفعله . فان النتيجة لن تكون تقوية تلك الدول ، وانما تقوية مصر ... » .

ويصل شفايتسر بعد ذلك الى اخطر ما في تحليله حيث يقول : « ان تسوية على غرار ما تريده القاهرة قد تؤدي الى توريط الولايات المتحدة في الشرق الاوسط في دور شرطي — وهو الدور الذي تلعبه اسرائيل حاليا ، وليس بدون نجاح — ... » ... كذلك « في الواقع ان اسرائيل كدولة كبرى على صعيد المنطقة (وكونها كذلك امر مشروط بدعم اميركي كما هو حاصل حتى الان) هي احدى الضمانات ، وليست من الضمانات غير المهمة ، للاستقرار ، الذي هو أول شرط لاستمرار تدفق النفط بانتظام . وربما

ان تكون السعودية بحاجة الى تظاهرات عدم تعاطف من قبل امريكا تجاه اسرائيل ، وخاصة على ضوء استمرار الدعم الدائم لها ، وفعلا ان تظاهرات كهذه حصلت وستحصل ... » .

لكن ازمة النفط وما يدور حولها ، ومجمل ردود فعلها على ازمة الشرق الاوسط وعلى العلاقات الاميركية — الاسرائيلية والاميركية العربية ، ما زالت تشكل مادة خصبة للعديد من التحليلات والتعليقات الاسرائيلية .

زيارة فالدهايم !

رحلة السكرتير العام للامم المتحدة ، الدكتور كورت فالدهايم ، الى الشرق الاوسط في نهاية شهر آب (اغسطس) الماضي ومطلع شهر ايلول (سبتمبر) الحالي ، والتي زار خلالها اسرائيل والدول العربية المحيطة بها ، فشلت ولم تفشل في الوقت ذاته .

فشلت لان فالدهايم نفسه أفشلها قبل ان يبدأ بها ، باصداره عددا من التصريحات التي « برأ » فيها رحلته من قرارات الامم المتحدة ونشاطاتها لحل أزمة المنطقة .

ولم تفشل لان فالدهايم وضع لها هدفا غاية في التواضع لخصه بتأكيده ان هدف زيارته هو التعرف على رؤساء ومسؤولي الدول التي زارها، ولم يكن قد تعرف عليهم من قبل ، وتعرف عليهم بالفعل واطمأن على صحتهم أيضا ...

ومنذ عام تقريبا كان فالدهايم قد بدأ يتحدث عن امكانية قيامه بزيارة للمنطقة ، بل « وتحدث بشأن ذلك مع وزير خارجية اسرائيل ابا ايبان في كانون الثاني (يناير) الماضي ، عندما التقى به في منزل يوسف تكواع في نيويورك » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٩) . والمصريون هم الذين طرحوا فكرة قيامه بزيارة للمنطقة ، « وكان غرضهم هو أن يقتنع بتصلب اسرائيل وان ينقل الى الامم المتحدة ان اسرائيل هي التي تشكل عقبة في الطريق الى احلال السلام » (المصدر السابق).

ان استخفاف اسرائيل المطلق بالامم المتحدة واجهزتها ومسؤوليها معروفة جيدا ، ومبررة أكثر، وموقفهم الواضح هو أن ازمة الشرق الاوسط يجب ان تتم تسويتها بين أطرافها المعنية مباشرة دون تدخل من أية جهات اخرى ، بما في ذلك الامم المتحدة . ويزداد تركيز الاسرائيليين على هذا الموقف كلما كانوا في مواقع اقوى . واوضاع المنطقة حاليا هي على احسن ما يكون بالنسبة للاسرائيليين . ومن هنا معارضتهم الى اي تقدم في أي اتجاه ، سواء كان تقديم مقترحات لتسويات جديدة ، او عودة الى مقترحات التسويات السابقة ، سواء التسويات الشاملة او الجزئية .

وكان موقف الاسرائيليين من زيارة فالدهايم الى المنطقة مبنيا أساسا على التركيز على سياستهم المذكورة . وقبل ثمانية ايام من وصول فالدهايم الى اسرائيل (وصلها صباح يوم ٨/٣٠/ ٧٣) ، كان تكواع مندوب اسرائيل الدائم لدى الامم المتحدة ، قد التقى به في نيويورك ، واول ما قاله لمراسل اذاعة العدو بعد انتهاء اللقاء هو « ان السكرتير العام للامم المتحدة لا ينوي اثناء زيارته القريبة الى الشرق الاوسط تقديم اية مقترحات جديدة » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٣) .

واجتمع فالدهايم في جنيف وهو في طريقه الى الشرق الاوسط ، بالدكتور غونار يارنغ ، لكن فالدهايم كان سلفا « قد اوضح لاسرائيل ان لا علاقة له بمهمة يارنغ ، وان لا علاقة لزيارته بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٩) .

واذا كان ذلك عن الماضي ، فماذا عن المستقبل؟ وهل هناك مشروع جديد بديل للمشاريع المطروحة والتي طرحت من قبل ؟

ان الدكتور فالدهايم بمجرد وصوله الى مطار اللد ، وهو على بعد خطوات من سلم الطائرة أبلغ الصحافيين ان « ليس الهدف من زيارتي المبادرة بمشروع لحل أزمة الشرق الاوسط ، بل اقامة اتصالات شخصية » .

واستنادا الى تصريحات فالدهايم «السياسية» هذه ، حولت اسرائيل زيارته الى اهداف « انسانية » ، مركزة على اثارتها لموضوع اوضاع اليهود في الدول العربية وفي سوريا والعراق بشكل خاص ، وكذلك يهود الاتحاد السوفياتي . (رصد اذاعة اسرائيل ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٣/٨/٣١).

ووقت فالدهايم لدى زيارته اسرائيل ، اتسع « لمقابلة مندوبين عن يهود سوريا والعراق لبحث اوضاع اليهود في هاتين الدولتين » (رصد اذاعة

اسرائيل ٧٣/٨/٣١) الا انه لم يتسع لمقابلة مندوبين عن الاراضي العربية المحتلة ، ذلك « ان جدول اعمال كورت فالدهايم حافل تماما ، لكن هذا ليس السبب الوحيد الذي سيحول دون اجراء اللقاء (مع مجموعة من العرب اصحاب الاراضي القريبة من نهر الاردن والتي صادرتها اسرائيل، وكانوا طلبوا بواسطة الحاج معزوز المصري رئيس بلدية نابلس مقابلة فالدهايم) . ويصعب الافتراض ان يوافق السيد فالدهايم على الاجتماع بمجموعة من عامة الشعب » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٩/١) .

وفي حين كانت جريدة معاريف قد خصصت افتتاحيتها يوم ٧٣/٨/٢٢ لزيارة فالدهايم ، وانتقدت البيان الرسمي ، للناطق بلسان الامم المتحدة لانه « لم يذكر اسماء العواصم التي سيزورها فالدهايم ، واستعاض عن ذلك بذكر أسماء الدول ، تجنبا لذكر اسم القدس » ، كما احتجت أيضا على عدم نفي الكلام عن « لقاء سيتم بين فالدهايم وممثلي منظمات المخربين » ، واستدلت من ذلك ان الزيارة هي « ابتعاد عن الواقع اكثر منها محاولة للتعرف عليه » ، خيب فالدهايم « أمل » معاريف ، وشرب في اول لقاء رسمي له في القدس ، « نخب القدس عاصمة اسرائيل » .

الا ان الناطق بلسانه وزع في اليوم التالي (يوم ٧٣/٨/٣١) بيانا قال فيه انه « في حديث غير رسمي خلال رفع الانخاب استخدمت من غير قصد عبارة « القدس عاصمة اسرائيل » . وان موقف الامم المتحدة بشأن مكانة القدس ، قد صيغ بحذر في عدد من القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ، وفي العديد من التقارير ، وبينها التقرير الاخير الذي نشره سكرتير الامم المتحدة حول الشرق الاوسط في شهر أيار (مايو) من هذا العام ، ومن الطبيعي ان السيد فالدهايم لم يكن يقصد ان يتجاوز هذا الموقف » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٣١) . وزاد الناطق بلسان الامم المتحدة على ذلك قوله في تصريح ادلى به في نيويورك « ان زيارة فالدهايم للقدس قد تمت لان الاشخاص الذين اراد مقابلتهم يقيمون هناك » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٩/١) . ومعروف ان لدى الاسرائيليين حساسية بالغة ازاء مكانة القدس ، واصرارهم على اعتبارها « العاصمة » في حين ان غالبية دول العالم — بما في ذلك امريكا نفسها — لم تعترف بذلك ، وتبقي حتى الان سفاراتها في تل ابيب ، وترفض طلبات اسرائيل المتكررة بنقلها الى القدس .

ومن ناحية ثانية ذكرت بعض المصادر التي كانت تتوقع ان تكون للزيارة اهداف عملية ، ان توقيتها لم يكن موفقا ، وقال المعلق الاسرائيلي اريئيل غيناي في مقال تحت عنوان « عرف فالدهايم أن ذلك ليس سهلا » ان « السببين الرئيسيين لفشل الزيارة هما : قرب موعد الانتخابات في اسرائيل ، والتشجيع الذي حصل عليه الرئيس المصري من دول النفط ، ودول عدم الانحياز » (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٣١) .

واستخفاف اسرائيل بالامم المتحدة ، برز مرة اخرى وبوضوح ، حتى في عدم اهتمام الصحافة فيها بتغطية وافية لانباء رحلة « سفير خارجية جميع الدول » ، كما قال ابا ايبان عن كورت فالدهايم .

* * *

ان ظاهرة الانشقاق والتكتل كانت ملازمة للاحزاب والتيارات الصهيونية قبل قيام الدولة وبعده . ولا اعتقد ان الانشقاقات والتكتلات الاخيرة قبيل الانتخابات للكنيست الثامنة ستكون الاخيرة اذ ان التناقضات — رغم انها ليست اساسية على المدى الاستراتيجي — القائمة داخل هذه التكتلات تهدد دائما بانفجار الاوضاع داخل هذه التكتلات السياسية ، غير انه لا يجوز لنا مطلقا ان نراهن على هذه التناقضات منتظرين امكانية تفجير الاوضاع من الداخل . خصوصا على الصعيد الطبقي ، فهذا امر ما زال بعيدا جدا . بيد اننا من ناحية اخرى يتوجب علينا ان نلاحظ ونتابع الامور التي عملت مؤخرا على نشوء تلك التكتلات ، او الانشقاقات او اخطار الانشقاقات . وفي هذا المجال سنتناول ما جرى داخل ثلاثة تيارات سياسية متميزة نوعا ما عن بعضها البعض . وهذه التيارات هي : اليمين البرجوازي المتطرف المتمثل في كتلة « جاحال » والقائمة الرسمية والمركز الحر . التيار الثاني يتمثل في التجمع العمالي ، الذي يضم حاليا حزب العمل وحزب المابام . وهذا التجمع واجه خطر الانشقاق نتيجة للصراعات الداخلية بين اجنحة الحزب المختلفة ، وخاصة الصراع بين كتلة « رافي » التي يتزعمها وزير الدفاع موشي دايان مقابل تكتل كتلة تل ابيب (هجوش) في حزب المباي بزعامة جولدا مئير ، سابير ، ابين مع احدوت هعفودا سابقا بزعامة الون . اما التيار الثالث فيشمل مجموعة الحركات الليبرالية والصهيونية « الاشتراكية » التي ترى نفسها تحتوي الاتجاهات السياسية القائمة بين المعراخ — التجمع العمالي « وراكاح » .

التجمع اليميني

الفكرة

كان أول من طرح الفكرة بصورة جدية وعملية، وكان له القسط الاكبر في نجاحها هو العميد (احتياط) اريك شارون قائد المنطقة الجنوبية . ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده شارون ٧/١٧/ ٧٣ ليعلن فيه دخوله الى معترك الحياة السياسية والحزبية الى جانب حزب الاحرار ، طرح فكرة اقامة تجمع يميني مضاد للتجمع العمالي مقترحا اقامته من الكتل الاتية : « جاحال » (حيروت + الليبراليون) الاحرار المستقلين ، القائمة الرسمية ، المركز الحر بالاضافة الى حركة ارض — اسرائيل الكاملة ، التي يعمل تحت لوائها بعض نشيطي مختلف الاحزاب بما فيها حزب العمل نفسه .

وفور طرح الفكرة اخذت الاتصالات بين الفئات المقترحة تأخذ شكلا جديا وحثيثا ، وكان مهندسا هذه الاتصالات واكثر الناشطين من اجلها العميدين شارون ووايزمان اللذين اشترطا مساهمتهما في الحملة الانتخابية لحزبيهما باقامة التجمع اليميني المضاد .

وفي اوائل شهر اب (اغسطس) صادق مركزا حيروت والليبراليين على اقامة التجمع باغلبية ساحقة . وكانت المعارضة الجدية داخل حيروت اكثر منها داخل الليبراليين بسبب الحساسيات القائمة بين بيجين وشموئيل تمير زعيم المركز الحر الذي انشق عن حيروت في المؤتمر الثامن للحركة الذي عقد سنة ١٩٦٦ .وقد لخص بيجين النقاش حول الموضوع في مركز حيروت رادا على معارضي فكرة التجمع ومبينا الصعوبات والارتباك اللذين رافقا اتخاذ القرار فقال :

١ — حول القرار باقامة التجمع

« لم يكن القرار سهلا ، كان هناك ارتباك وحيرة وما زال . لكن اقامة التكتل ستمكن من جعل مسألة ارض — اسرائيل موضوعا ، يتحتم على الناخب ان يأخذه بالحسبان . ان التكتل يقام مع اخصام تاريخيين — فالقائمة الرسمية التي اعضاؤها هم تلاميذ بن جوريون في الماضي والحاضر ، ينتظرون عودة دايان » .

٢ — القدرة على التغلب على رواسب الماضي

« ألم نثبت اننا باستطاعتنا التغلب على رواسب الماضي ؟ عندما انضم تمير (الاشارة الى

شموئيل تمير زعيم المركز الحر) الى حيروت في سنة ١٩٦٤ (بعد سنوات عديدة من انسحابه الاول من الحركة.) قلت : سنبدأ كل شيء من جديد ، كاننا الان في سنة ١٩٤٨ ، ولم يحدث اي شيء ، ولذا يتوجب علينا الان ان نبرهن على استعدادنا للتغلب على رواسب الماضي ، ولن نفتح الابواب فقط بل القلوب ايضا » .

٣ — حول موقف الاحرار المستقلين

وتناول بيجين في تلخيصه للنقاش في مركز حيروت مسألة رفض الاحرار المستقلين للفكرة فقال : « لقد اعلنوا انهم على استعداد للانضمام للتكتل اذا اعلنا سلفا عن استعدادنا للتنازل عن ارض — اسرائيل الكاملة ، فقط عندها يوافقون على اعطائنا مقاعدهم الاربعة . لقد قال بروتوس : صحيح انني احب قيصر ، لكن محبتي لروما اكبر ، ونحن نقول : صحيح اننا نستلطف الاحرار المستقلين ، لكن محبتنا لارض — اسرائيل الكاملة اكبر ». (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/١) .

بدء المفاوضات

في ٧٣/٨/٨ عقد اللقاء الاول بين ممثلي الكتل المرشحة لاقامة التجمع الجديد وهي جاحال ، القائمة الرسمية ، والمركز الحر ، وفي الكلمات الترحيبية التي تبودلت في تلك الجلسة برز الى جانب التصميم على اقامة التجمع والى جانب الامال المعلقة على اقامته ، الى جانب ذلك برزت ايضا المخاوف والصعوبات التي تقف امامه . وعبر بيجين في كلمته الترحيبية عن رأيه بوجوب خوض التكتل لمعركة الانتخابات ليس للكنيست فقط بل للهستدروت والمجالس المحلية والبلديات ايضا .

أما رئيس حزب الاحرار اليميلخ ريملط فقال في تلك المناسبة : « اريد ان اعبر عن سرورنا ، لقد توصلنا الى هذا بعد تخبط وارتباك كبيرين ... واحيانا الامور الحسنة يرافقها الالم » واضاف ريملط : « ان جاحال يتجه نحو المحادثات بنية وارادة صادقتين من اجل اقامة تجمع لاجل اهداف كبيرة ، بالاضافة الى كونه تجمعا للقوى المعارضة لتقسيم « ارض اسرائيل » من جديد — يوجد هنا ارادة واساس لاحداث تحول في الحياة الداخلية في الدولة ، وامكانية لاجراء تبديل في الحكم ».

أما بيجال هوروفيتس سكرتير عام القائمة الرسمية فقال : « هذه لحظة على غاية من الاهمية ، تشكل تحولا تاريخيا . ان اقامة « معسكر صهيوني رسمي » مقابل « معسكر غير رسمي » (الاشارة للتجمع العمالي) يحتمل ان يستجيب الى « الجوع » القائم لتبديل النظام الذي تحجر وتعفن منذ ٢٥ سنة . واضاف هوروفيتس « نحن لسنا متفقين بالنسبة لتقييم الماضي — لكننا نتطلع فقط الى الحاضر والمستقبل » .

وانهى كلمات الترحيب زعيم المركز الحر ، عضو الكنيست شموئيل تمير فقال : « عندكم (جاحال) كما هو عندنا ، يحتاج الامر الى دراسة ، وقد رافق ذلك تخبط وحيرة ... واضاف « ان هذا الواقع اهم بكثير من جميع الاعتبارات والمخاوف التي تساورنا جميعا . « الان » فتح احتمال وامل كبيرين ، لاول مرة منذ سنين عديدة ، لاقامة كتلة ، ستحاول ان تغير وجه الامور داخليا وخارجيا » . وباعرابه عن امله بان تتجند خيرة العقول من اجل انجاح التكتل الجديد ، انهى تمير كلمته قائلا : « منذ اللحظة التي قررنا فيها في المركز الحر الموافقة على اقامة الكتلة — كانت انظارنا تتجه دائما الى الامام ، واعتقد ان هذه وجهة الزملاء الجالسين مقابلي على الرغم من جميع الشكوك » (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٩).

جذور الشكوك

كانت العقبة الرئيسية امام التوقيع على اتفاق يعلن اقامة التكتل اليميني بعد بضعة ايام من عقد اللقاء الاول بين الاطراف الثلاثة المقترح اقامتها للتجمع ، تتركز حول تاريخ تجربة حيروت مع عضو الكنيست شموئيل تمير زعيم المركز الحر من ناحية ، وحول مطالب المركز الحر بالنسبة لحصته في المقاعد المضمونة للتكتل المقترح في الكنيست . فمن هو شموئيل تمير هذا ؟ وما قصة علاقته بحزب حيروت ؟ حول هذا الموضوع كتبت صحيفة يديعوت احرونوت في ٧٣/٨/٣ ما ملخصه :

تعود علاقة تمير بمناحيم بيجين الى ايام العمل السري العسكري للمنظمة العسكرية القومية (الاتسل) ، وبينما كان بيجين قائدا عاما لهذه المنظمة الارهابية ، كان تمير رئيسا لشعبة مخابرات الاتسل في القدس . وتمير هذا من مواليد فلسطين وهو ابن لطبيب معروف في اوساط المستوطنين اليهود في تلك الايام ، وتربطه صلة

قرابة ببيرل كاتسنلسون (من زعماء حركة العمل الصهيونية) . وهو محام في مهنته ، واليوم يدير مكتبا يعتبر من انجح المكاتب في اسرائيل . ولم تسمح الظروف بلقاء الرجلين الا بعد اعلان الدولة وتحويل الاتسل الى حزب سياسي بشكل حركة حيروت . وكان بيجين معجبا بمأموره حتى قبل ان يتعرف عليه ، لذلك رعاه منذ البداية ، واختاره مرافقا له في رحلته التي قام بها للولايات المتحدة سنة ١٩٤٨ . وتعزو صحيفة يديعوت احرونوت حرص ورعاية بيجين لتمير الى امرين : الاول يعود الى طموح ذلك الشاب (في ذلك الوقت) غير المحدود ، والثاني الى كونه يمت بصلة قرابة الى بيرل كاتسنلسون احد زعماء حركة العمل انذاك ، وتقول الصحيفة ان بيجين كان مهتما جدا في جذب شخصيات كهذه الى حركته ، وتشير الصحيفة بهذا الخصوص الى عيزر وايزمان الذي ترقى في السلم الحزبي في حيروت بسرعة كبيرة ، لكونه الى جانب مزاياه العسكرية ، يمت بصلة القرابة الى حاييم وايزمان اول رئيس دولة في اسرائيل ومن كبار شخصيات حزب الماباي والحركة الصهيونية .

كان الخلاف الاول بين بيجين وتمير والذي لم يكشف النقاب عنه حتى الان قبيل الانتخابات للكنيست الاولى التي جرت سنة ١٩٤٩ . وبقي تمير بعيدا عن المسرح السياسي حتى ١٩٥٨ — ١٩٦٠ ، حيث بدأ نشاطه في اطار جسم سياسي جديد كان يدعى « النظام الجديد » . ومن ابرز الشخصيات التي كانت تعمل مع تمير انذاك كان عضو الكنيست الحالي اوري افنيري صاحب المجلة الاسبوعية هعولام — هزه . ومن على صفحات هذه المجلة كان تمير يشن حملاته على حركة حيروت . وتقول الصحيفة ، ما زال الكثيرون في حركة حيروت يذكرون ما قاله تمير في تلك الايام ، « فليساعد الله هذه الدولة اذا ما وصلتم في يوم من الايام الى الحكم » .

لكن مسيرة تمير وافنيري لم تعمر طويلا ، وبعد ان اختلفا عاد تمير الى ممارسة مهنته كمحام ، وفي سنة ١٩٦٤ عاد الى حركة حيروت . وفي عام ١٩٦٥ خاض معركة الانتخابات كمرشح عن حيروت في قائمة كتلة جاحال محتلا المكان السابع في القائمة . لكن تمير الطموح ، كان دائما ينظر الى فوق ، وفي المؤتمر الثامن لحركة حيروت الذي عقد سنة ١٩٦٦ ، انتهز فرصة اعلان بيجين عن عزمه على الاستقالة من رئاسة الحركة ، واخذ يعمل بجد لاحتلال مركز معلمه ، الامر الذي اغضب بيجين جدا ، فعدل عن الاستقالة وشن حملة عنيفة ضد تمير ، ادت الى خروج تمير وثلاثة من مؤيديه من كتلة جاحال وتأسيس حركة المركز الحر . في سنة ١٩٦٩ خاض تمير وحركته الانتخابات مستقلا عن جاحال فمني بهزيمة كبيرة اذ لم تنجح قائمته الا في ايصال عضوين الى الكنيست وذلك بفضل فائض الاصوات الذي بقي لها ، بينما جاحال عادت واستردت المقاعد الاربعة التي خسرتها من جراء انشقاق تمير ورفاقه .

هذه العقبة من الرواسب امكن تجاوزها ، بفضل اصرار وضغط العميد شارون وتجاوب بيجين واستعداده لنسيان الماضي . لكن العقبة الاخرى التي اطالت المباحثات لم تكن مسألة حساسيات شخصية ، بل تتعلق بالمقاعد التي ستضمن لكل كتلة في القائمة الموحدة . بقيت هذه المسألة في اخذ ورد اكثر من شهر . وكانت نقطة الخلاف الرئيسية تدور حول ادعاء المركز الحر بان استفتاءات الرأي العام تشير الى ازدياد قوتهم في الكنيست القادمة ، ولذا فان تركيب قائمة التجمع يجب ان يعكس هذا الازدياد المحتمل، بينما أصرت جاحال على تصوير الوضع الراهن من حيث القوى المشكلة للتجمع ، وهذا يعني ضمان ثلاثة مقاعد للقائمة الرسمية ومقعدين للمركز الحر بين الواحد والثلاثين مقعدا التي يشكلها التجمع اليميني في الكنيست وقد قررت ادارة جاحال بعد مفاوضات مضنية الاستجابة للمركز الحر ومنحه الاماكن التالية في ٨ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤٠ ، وللقائمة الرسمية الاماكن ٧ ، ١٥ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٤١ .

وفي ٧٣/٩/١٣ وقع ممثلو المركز الحر ميثاق التكتل الذي سبق ووقع عليه ممثلو القائمة الرسمية ، وفور اعلان التوقيع اعلنت حركة ارض — اسرائيل الكاملة موافقتها على الانضمام الى التكتل انسجاما مع موقفها الاولي الذي اعلنت فيه انها ستنضم فورا الى التكتل عند التوقيع على ميثاقه . وسيمثل الحركة في قائمة التكتل العميد ابراهام يافه قائد احدى وحدات المدرعات في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

في الوقت الذي كانت المفاوضات حول اقامة التكتل اليميني على اشدها كانت هناك علامة سؤال كبيرة حول التكتل الداخلي في حزب العمل. والخلافات وتباين الاراء حول السياسة في المناطق المحتلة ، داخل حزب العمل ليست جديدة ، ولكن في الاونة الاخيرة اخذت شكلا حادا هدد استمرار وحدة الحزب . فمع بدء التحضير للحملة الانتخابية بدأ دايان ومؤيدوه من كتلة « رافي » يعقدون سلسلة من الاجتماعات انتهت ببلورة موقف ومطالب معينة بالنسبة للسياسة التي يجب اتباعها في المناطق المحتلة . وقدمت تلك المطالب الى حزب العمل بشكل وثيقة سميت « وثيقة دايان ». واعلن دايان بانه لن يقبل في ادراج اسمه على قائمة مرشحي حزب العمل لانتخابات الكنيست الثامنة ، اذا لم تقبل الوثيقة التي تقدم بها الى الحزب . وامام اصرار دايان على موقفه بعد عقد اكثر من اجتماع توضيحي مع جولدا مئير ، وللحيلولة دون حدوث انشقاق ، استدعت جولدا مئير الوزير بلا وزارة يسرائيل جليلي المختص بصياغة البيانات والقرارات السياسية في الحزب والحكومة لدراسة وثيقة دايان ، والخروج بعد عقد استشارات مع الوزراء المعنيين بصيغة تكون مقبولة على جميع الاطراف . وبعد دراسة مطالب دايان وعقد استشارات مع جولدا وسابير والون خرج جليلي بوثيقة اخرى سميت انفاق دايان ــ سابير او « وثيقة جليلي » (نص الوثيقتين في الملحق) .

خلفية الصراع داخل حزب العمل

في عام ١٩٦٥ خرج دايان ومؤيدوه من حزب المباي ، وشكلوا ما عرف فيما بعد بقائمة عمال اسرائيل « رافي » ، وخاضوا الانتخابات العامة لتلك السنة معتمدين على رصيد شيخهم ، دافيد بن جوريون ، لكن نتائج تلك الانتخابات جاءت مخيبة لامال بن جوريون وموشي دايان بالذات في العودة الى الحكم ، اذ حصلت قائمة « رافي » في تلك الانتخابات على عشرة مقاعد فقط .وعندها واجه دايان الامر بواقعية . لقد عرف وايقن ان العودة الى الحكم ممكنة فقط عن طريق العودة الى الحزب الام . وقبيل الانتخابات العامة التي جرت بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وبعد ان كان دايان قد حقق الخطوات الاولى بالعودة الى الحكم ، عن طريق فرضه كوزير للدفاع في حكومة الائتلاف القومي نتيجة لضغوط المفدال وجاحال ، ونتيجة للرصيد الشعبي الذي حظي به في اعقاب الحرب ، بدأ دايان يلوح بامكانية التكتل مع اليمين ، ضد التجمع العمالي انذاك المؤلف من حزبي المباي واحدوت هعفودا . ونجح تكتيك دايان واعلن كل من المباي واحدوت هعفودا عن نيتهما في توحيد حزبيهما ، وانهما لا يستثنيان « رافي » من الدخول في الحزب الموحد . وبدأت المفاوضات بين الكتل الثلاث ، وانتهت باقامة حزب العمل الاسرائيلي في صيف سنة ١٩٦٩ قبيل الانتخابات العامة ، واقامة تجمع عمالي مع حزب العمال الموحد (المابام) . لكن توحيد الحزب لم يقض على الاجنحة المؤلفة له ، بل بقي كل جناح محافظا على استقلاليته وتماسكه كفئة ضمن الحزب الموحد . وهكذا بقيت كل فئة متمسكة بآرائها بالنسبة للقضايا الخارجية والداخلية . وجاء البرنامج الانتخابي الذي خاض حزب العمل الانتخابات السابقة على اساسه معبرا عن التباين في وجهات النظر بين الفئات المكونة للحزب ، بحيث انه تحاشى الحسم في القضايا المختلف عليها ، بل صيغت بنوده بشكل غامض وفضفاض، وخصوصا ما يتعلق بالاستيطان والسياسة تجاه مستقبل المناطق المحتلة .

لم يلاق دايان معارضة تذكر لسياسته الامنية داخل حزب العمل ، ولمفاهيمه واستراتيجته بالنسبة للصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وقضية وحقوق شعب فلسطين فهذه الامور كان متفق عليها بين كافة الفئات المكونة للحزب . كما ولاقى تجاوبا بالنسبة لسياسته الداخلية ، فيما يتعلق بفتح الابواب والامكانيات امام القطاع الخاص وتقليص دور القطاع الهستدروتي ، ففي هذا المجال كانت المعارضة تتمثل في قسم من احدوت هعفودا (يتسحاق بن اهرون) وفي المابام شريك حزب العمل في التجمع العمالي . لكن سيطرة الحزب على الهستدروت ، الناجمة عن طريقة الانتخابات، حيث ان الحزب هو الذي يقرر مرشحيه ، وبالتالي فان ارتباطهم بالحزب اوثق من ارتباطهم بجماهير العمال التي انتخبتهم ، مما أدى الى نشوء بيروقراطية عالية تتحكم بالهستدروت ، وتمثل

لاوامر الحزب اكثر من استجابتها لمطالب العمال.

ازاء هذا الوضع ، اي التحول نحو اليمين على صعيد السياسة الداخلية داخل حزب العمل وازاء التحول العام نحو اليمين في مجمل الحياة السياسية في اسرائيل ، وجد دايان الفرصة مناسبة لترجمة هذا التحول ، وجعله منهجا عمليا وصريحا بالنسبة لسياسة الحزب فيما يتعلق بالصراع — العربي الاسرائيلي بشكل عام ، ومستقبل المناطق المحتلة ، والاستيطان فيها بشكل خاص .

حقيقة « الخلاف »

في مقابلة مع سكرتير عام حزب العمل اهرون يادلين اجرتها صحيفة يديعوت احرونوت في ٧٣/٨/٣ ، اشار يادلين الى اربعة مبادىء متفق عليها داخل الحزب من جميع الكتل وهي :

١ — لا انسحاب من خطوط وقف اطلاق النار قبل التوقيع على معاهدة سلام تسبقها مفاوضات مباشرة مع العرب .

٢ — لا عودة للوضع الجغرافي — الاستراتيجي الذي سبق حرب الايام الستة ، ولا عودة لخطوط الهدنة السابقة .

٣ — نحن نسعى لدولة يهودية ذات اغلبية يهودية ثابتة ، لا تتحول على مدى الايام الى دولة ثنائية القومية .

٤ — الحدود التي نسعى من اجلها في مفاوضات السلام ، يجب ان تكون حدودا تمنحنا امنا استراتيجيا ، ويجب ان يكون في مقدورنا الدفاع عن حرية الملاحة في مضائق تيران . واعتقد ان هناك اتفاقا في الحزب فيما يتعلق بخطط الاستيطان في المناطق المشمولة بشكل او باخر في خريطة الحدود الجديدة للدولة ، التي سنسعى اليها في محادثات السلام دون شروط مسبقة !!

ويضيف يادلين في تلك المقابلة موضحا مفهومه للسلام فيقول : « ان استعدادنا للتنازل !! سيكون نتيجة لماهية السلام مع العرب . فاذا كان السلام يعني تبادل السفراء وافتتاح مكاتب سياحية في عواصم البلدان العربية ، فاننا مقابل سلام كهذا مستعدون لان نكون كرماء !! . ولكننا في نفس الوقت مستعدون للتوقيع على اتفاقية سلام بعد مفاوضات مباشرة حتى عندما يكون واضحا لنا انه ستمر سنين طويلة قبل تبادل السفراء . ولكي يكون هذا السلام ، سلام دائم، يجب ان يكون مرتكزا ومبنيا على حدود امن استراتيجية ، تمنع العرب من الاغراء بخوض حرب جديدة . **لذلك فتحديد الحدود التي ترغب فيها اسرائيل سابق لاوانه ، لكن تلميحات حولها وردت في « الاتفاق الشفهي » القائم في حزب العمل »** .

ويعلل يادلين سبب معارضته لمطلب دايان بالسماح لرأس المال الخاص بامتلاك الاراضي في المناطق المحتلة ، بكون هذا الامر لا تتطلبه المشاريع التي قررتها الحكومة ، ويجد مخرجا لذلك بقوله : « ... من اجل ذلك يمكن « تأجير » الاراضي التي تستملكها ادارة اراضي اسرائيل . ويضيف « ان اعطاء الحرية للمبادرة الفردية بالنسبة لامتلاك « شراء » الاراضي **ستؤدي الى تعقيدات سياسية لسنا بحاجة اليها** . (نفس المصدر) .

اما وزير المالية سابير فعبر عن تحفظه من مطالب دايان بما يلي :

١ — ان الفجوة ستبقى قائمة بين مستوى الحياة في المناطق المحتلة واسرائيل مهما وظفت اسرائيل من اموال لتطوير واعادة اسكان اللاجئين .

٢ — اشار الى خطورة الناحية الديموجرافية بقوله ان مقابل كل ١٠٠ شخص في اسرائيل هناك ٣٦٫٨٪ من العرب ، واذا اضيف الى هؤلاء اللاجئون فتصبح النسبة ٣٨٫٤٪ ، وفي هذه الحالة سيكونون الاغلبية في الدولة خلال فترة معينة . (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٨) .

على ضوء اقوال يادلين وسابير ، تلك الاقوال التي تعبر عن اراء كافة قيادة حزب العمل ، وعلى ضوء المقارنة بين وثيقة دايان ووثيقة جليلي (انظر الملحق) ، يتضح ان « الخلاف » الذي نشب داخل الحزب لم يكن في حقيقته معارضة مبدئية لسياسة دايان بقدر ما هو خلاف حول التقييم والامكانات ، وانعكاسات تلك السياسة داخليا وخارجيا . ومن ناحية اخرى فهو مظهر من مظاهر الصراع داخل حزب العمل بين دايان من جهة وزعماء المباي واحدوت هعفودا من جهة اخرى ، وقد ربح دايان هذه الجولة من الصراع، حيث بدا وكأنه فرض رأيه على قادة حزب العمل، *نتيجة لتهديده بشق الحزب قبيل الانتخابات* .

ولا يمكن اخذ تهديدات دايان على محمل الجدية ، لان دايان الطامح في رئاسة الوزارة لن يغامر ثانية ، كما فعل سنة ١٩٦٥ ، بالخروج من الحزب ، على امل العودة اليه عن طريق المعارضة ، اذ ان احسن التقديرات لا تعطي للمعارضة اليمينية اكثر من ٣٥ مقعدا حسب تقديرات زعماء المعارضة اليمنية ، ودايان بالاضافة الى المفدال — على افتراض تأييدهم لحكومة برئاسته — لن يستطيع تشكيل حكومة مع التكتل اليميني اذ انهم معا لن يستطيعوا تجميع واحد وستين صوتا تلزم لاقامة الحكومة . لكن حزب العمل كان مضطرا لقبول سياسة دايان ، رغم تقديره بان احتمال فوز المعارضة اليمينية امر ليس مضمونا ، وذلك للحفاظ على موقع القوة في المساومات القادمة مع شريكيه في الائتلاف الحكومي الاحرار المستقلين والمفدال .

احزاب المعارضة الصغيرة

كانت المعارضة في الكنيست الحالية تتشكل الى جانب المعارضة اليمينية من احزاب معارضة صغيرة دينية وغير دينية . فمن الاحزاب الدينية كان هناك حزبا اجودات يسرائيل وبوعالي اجودات يسرائيل . وللحزبين معا ستة مقاعد في الكنيست. وقوة هذين الحزبين تقريبا ثابتة ، وهما يمثلان التيارات الدينية المتطرفة ، وجل اهتمامهما منصب على الامور الدينية ، ويشكل الحزبان عاملا ضاغطا ومزعجا للمفدال الذي يساوم احيانا على بعض الامور الدينية .

ورغم تقارب الحزبين التام فانهما كانا يخوضان معارك الانتخابات السابقة على انفراد ، لكن هذه المرة قررت ادارتا الحزبين خوض المعركة في قائمة مشتركة مع المحافظة على الاطر التنظيمية لكلا الحزبين .

اما احزاب المعارضة غير الدينية فكانت تتألف من القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » ، الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » و « حركة هعولام هزه — قوة جديدة » بالاضافة الى حركات صغيرة غير ممثلة في الكنيست مثل اليسار الاسرائيلي الجديد « سياح » قائمة « نس » حركة تخيلت — ادوم (الازرق — الحمر) وحركة الفهود السود . ماتسبن وتفرعاتها . وجميع كوادر ومؤيدي هذه الحركات ما عدا ماتسبن هم من الاتجاهات الليبرالية او اليسارية الصهيونية ، الرافضة لسياسة الحكومة ولخط « راكاح » . اي أنها ترى نفسها ممثلة للقوى والاتجاهات القائمة بين التجمع العمالي من جهة و « راكاح » من جهة اخرى .

داخل هذه الاتجاهات سواء الممثلة في الكنيست او غير الممثلة ، حدثت انشقاقات تلتها اقامة تكتلات جديدة . فحركة هعولام هزه انشقت على نفسها وخرج شالوم كوهين من الحركة ليؤلف مع الفهود السود حركة الديمقراطيين الاسرائيليين. و « ماكي » انشق على نفسه ، وخرجت منه مجموعة بزعامة استير فلنسكا ، لتؤلف مع هعولام هزه ، واغلبية « سياح » وقائمة « نس » ما سمي بالمعسكر الراديكالي الاسرائيلي « ميري ». وبنفس الاسلوب نشأت قائمة « موكيد » المؤلفة بشكل اساسي من أغلبية ماكي ، وحركة تخيلت — ادوم (الازرق — والاحمر) وأقلية من « سياح ».

كانت معظم هذه الاحزاب والتيارات والمجموعات تعمل في اطار حركة السلام والامن التي كانت تضم نشيطين من المابام حتى ماكي . وكان اكثر العاملين من أجل توحيد هذه القوى عضو الكنيست اوري افنيري . وقد طرح فكرة اقامة معسكر للسلام في اسرائيل قبل ثلاث سنوات ، حيث نشر في صحيفة هآرتس في ١٩٧٠/١١/٢٧ مقالا بعنوان : « اقتربت ساعة الحقيقة — دعوة لتكتل معسكر السلام الاسرائيلي » ، وفي ذلك المقال اقترح افنيري فكرتين لتحقيق الهدف : فكرة حد ادنى واخرى حد أقصى . اما الحد الادنى فكان : القيام بحملة واسعة على مستوى وطني تشارك فيها جميع قوى السلام ، وتؤدي فيما بعد الى اتحاد هذه القوى عمليا . اما الحد الاقصى فكان : اقامة حزب موحد لجميع قوى السلام والتقدم الكائنة خارج النظام ، بين المعراخ وراكاح .

وجاء في مقال افنيري المذكور ما يلي : « لن اخفي انه امام ناظري يقف هدف .أحلم به منذ سنين كثيرة : اقامة حزب السلام الاسرائيلي الكبير والمتعدد الاتجاهات ، الذي يضم في صفوفه جميع قوى السلام من أجل عمل يومي على جميع المستويات ، من خلال اعطاء كامل الحرية لمختلف

الالوان والاهداف العقائدية » . ويضيف افنيري « عندما أسست انا ورفاقي حركة هعولام هزه — قوة جديدة ، لم نر فيها سوى مرحلة مؤقتة لتحقيق هذا الهدف ، ولو رأيت امكانية في هذه اللحظة ، لم أكن لاتردد بان اوصي رفاقي بحل جميع اطاراتنا الخاصة ، ووضع جميع الوسائل والادوات التي اوجدناها من خلال عمل مضني استمر عشرين سنة تحت تصرف هذه الحركة ، ومن ضمن ذلك كل من كتلتنا في الكنيست والهستدروت » .

وكانت الاستجابة الوحيدة آنذاك من قبل قائمة « نس » ، حيث عبر رئيسها «جادي يتسيف» عن استعداده لوضع نفسه دون شروط من أجل تحقيق فكرة افنيري .

وباقتراب نهاية عام ١٩٧٢ بدا وكأن الجو مهيىء أكثر ، فالمعارك المطلبية والسياسية التي خاضتها تلك القوى — مشارف رفح ، عقربة ، اقـرت وكفربرعم قوت من اواصر الثقة والعلاقات بـين تلك القوى المختلفة . وبدأ افنيري اتصالاته مـن جديد ، برجال قائمة « نس » وحركة سيـاح والمعارضة في « ماكي » وببعض الكتاب والاساتذة الجامعيين الليبراليين ومجموعات من الطـلاب واخرى من عرب الاراضي المحتلة من سنة ١٩٤٨ ، وببعض الشخصيات المقربة من المعراخ وحـزب الاحرار المستقلين الذين لم يعد باستطاعتـهم الموافقة على سياسة جولدا — دايان — سابير .

وبرز خلال اللقاءات التي تمت بين هذه القوى اتجاهان :

(١) اتجاه لاقامة معسكر سياسي غير عقائدي كبير وشامل ، وقد أيد هذا الاتجاه الخبـير الاجتماعي والمدرس في الجامعـة العبرية جـادي يتسيف ، والمختص باللغات ، المستشرق يوسي سدان والمستشرق يوسي اميتاي مـن كيبوتس « جفولوت » وآخرين .

(٢) اتجاه لاقامة جبهة حمراء اشتراكية — ماركسية . وقد أيد هذا الاتجاه بعض الطلاب المتطرفين وانتصر الاتجاه الاول ، وكانت المبادىء الموجهة لهذا الاتجاه تتلخص بما يلي :

(١) خط معارض غير مهادن في جميع المجالات الوطنية والاجتماعية .

(٢) برنامج انتخابي يتضمن المطالبة بان تعلن دولة اسرائيل عن استعدادها لاعادة « المناطق المحتفظ بها » — مقابل السلام الكامل .

(٣) توزيع التمثيل في البنية المشتركة بموجب حجم الجهات والفئات المكونة لها ووفقا لاستفتاءات الرأي العام الدقيقة .

لكن الخلافات حول البند الثاني بين هعولام — هزه وماكي افشلت قيام معسكر كبير كما كان يحلم به افنيري ، وبدل من ان تخوض الانتخابات قائمة واحدة ، تقدمت الى لجنة الانتخابات المركزية قائمتان كل منهما تحاول استقطاب الجهـات والتيارات الواقعة بين « المعراخ » و « راكاح ». وهاتان القائمتان هما :

(١) « ميرى » (المعسكر الراديكالي الاسرائيلي) ويضم حركة هعولام — هزه ، المعارضة في «ماكي» بزعامة استير فلنيسكا والاغلبية في « سياح » ، بالاضافة الى قائمة « نس » وبعض المجموعات الطلابية الاخرى .

(٢) « موكيد » وتضم حركة « تخيلت — ادوم » (الازرق والاحمر) بزعامة مئير بعيل ، عميد سابق وقائد مدرسة الضباط ، ورئيس قسم فن القتال في الاركان العامة ، والاغلبية في « ماكي » بزعامة شموئيل ميكونس ، والاقلية في سياح بزعامـة ران كوهين (ضابط مظلي سابق) .

نقاط الخلاف بين القائمتين

تركز الخلاف بين القائمتين حول بند المنـاطق المحتلة . فبدل الاستعداد لاعادة « المناطق المحتفظ بها » مقابل السلام ، جاءت صيغة « موكيد » غامضة وتتحدث عن الاستعداد لاعادة « غالبيـة المناطق » . وبدل تعبير « ارض اسرائيل الغربية كوطن للشعبين الاسرائيلي والعربي الفلسطيني ، جاءت صيغة « ارض اسرائيل التاريخية » تلك الصيغة التي تتوافق مع مطلب ابا ايبن بان تقام الدولة الفلسطينية في شرقي الاردن . وبـدل معارضة كافة عمليات الاستيطان ، جاءت صيغة تتحدث عن معارضة « الاستيطان الدائم » .

ملحق رقم (١)
وثيقة جاليلي

الى رئيسة الحكومة السيدة جولده مئير ،
من : يسرائيل جليلي .

انني اقترح تلخيص مباحثات الوزراء حول موضوع خطة العمل في المناطق خلال السنوات الاربع القادمة ، كما يلي : ايضاحات في البداية :

١ — هذه التلخيصات ليست بمثابة قرارات متفق عليها من الحزب والمعراخ ، بل هي توصيات من وزراء حزب العمل . وتقدم رئيسة الحكومة هذه التلخيصات (النتائج) للتصديق عليها من قبل المؤسسات ذات الصلاحية (الحزب ، المعراخ ، والحكومة) ويعبر عن هذه التلخيصات مبدئيا في البرنامج الانتخابي للمعراخ ، وتدخل ضمن اطار خطة العمل العامة للحكومة .

٢ — بعد التصديق على اسس خطة العمل ، يجري اعداد الخطط العملية بكل تفاصيلها وتتضمن الميزانيات السنوية للحكومة ميزانيات تنفيذ هذه الخطة .

٣ — ان خطة العمل في المناطق خلال السنوات الاربع المقبلة ليست مرتبطة بتغير الوضع السياسي للمناطق والموقع المدني للسكان واللاجئين وتستمر وكالة الغوث في عملها .

آ — المبادىء

ان الحكومة المقبلة سوف تستمر في العمل في المناطق على أساس السياسة التي اتبعتها الحكومة الحالية .

ب — قطاع غزة — تأهيل اللاجئين ، والتطوير الاقتصادي :

تحديد خطة عمل لفترة السنوات الاربع المقبلة وتخصيص الميزانية المطلوبة للتنفيذ ، بهدف التوصل لتأهيل اللاجئين والتطوير الاقتصادي .

اسس خطة العمل : تحسن في ظروف السكن (اقامة مباني سكنية للاجئين بالقرب من المعسكرات وترميم المعسكرات) : اعداد مهني ، تحسين الخدمات الصحية والتعليمية ، خلق مصادر للرزق في العمل المهني والصناعة ، تشجيع المبادرات الذاتية للسكان بهدف رفع مستوى المعيشة .

ج — تطوير في الضفة الغربية .

اعداد خطة عمل لاربع سنوات وتأمين التمويل اللازم للتنفيذ ، بهدف تطوير الاساس الاقتصادي وتحسين الخدمات الحيوية (بناء المستشفيات ومستوصفات اقليمية وقروية) . تحسين شبكة المياه لاحتياجات السكان ، تحسين التعليم المهني وما فوق الثانوي ، تحسين الخدمات الكهربائية ، اصلاح الطرق والشوارع ، تطوير الاشغال والصناعة كمصدر عمل للسكان ، تحسين الاسكان ظروف سكن اللاجئين ، مساعدة السلطات المحليـة .

د — التحويل في الضفة الغربية :

بتنسيق بين وزارتي المالية والدفاع :

هـ — تبذل جهود للحصول على امكانيات من مصادر خارجية لتمويل خطط العمل لتأهيل اللاجئين واجراء تطوير في المناطق .

و — تسهيلات للمبادرين الاسرائيليين في المناطـق .

تقدم تسهيلات لتشجيع المبادرين الاسرائيليين في اقامة مشاريع صناعية في المناطق ، بالنسب التي تقدم للمستثمرين الاسرائيليين في المناطق المفضلة في اسرائيل .

ز — نشاط ذاتي للسكان في الضفة الغربية :

تقديم المساعدة للنشاطات الذاتية للسكان في مجالات التربية والتعليم ، الدين ، الخدمات ، وانماء انماط الديمقراطية في الحياة الاجتماعية والبلدية . شغل المناصب المدنية الكبيرة في خدمات الحكم (العسكري) الى الحد الممكن بالسكان المحليين .

ح — سياسة الجسور المفتوحة :

استمرار سياسة الجسور المفتوحة .

ط — عمل سكان المناطق في اسرائيل :

ان عمل سكان المناطق سيظل مراقبا من الناحية العددية والاقليمية . ستتخذ اجراءات تؤمن للعمال

ظروف عمل واجور كالمتبعة في اسرائيل .

ي — المستوطنات العسكرية والمستوطنات :

تقام مستوطنات جديدة وتقوى شبكة المستوطنات. بذل جهود لزيادة عدد السكان بواسطة تطوير الاشغال والصناعة والاصطياف .

لدى تحديد ميزانيات الحكومة تحدد سنويا الامكانيات المطلوبة وفقا لتوصيات قسم الاستيطان وبتصديق اللجنة الوزارية للاستيطان ، وهذا بهدف اقامة مستوطنات اضافية خلال السنوات الاربع المقبلة في مشارف رفح في غور الاردن وهضبة الجولان .

- مستوطنة مدينية — صناعية في هضبة الجولان .
- مركز اقليمي في غور الاردن .
- تطوير شمال شرق بحيرة طبريا ، وشمال غرب البحر الميت .
- تنفيذ مشاريع المياه المخططة .

وفي تطوير مناطق الاستيطان في « المناطق » يجري التنسيق مع عناصر غير حكومية — عامة وخاصة — وذلك في اطار الخطة المصدقة .

ك — المركز الاقليمي في مشارف رفح .

يؤمن استمرار تطوير المركز الاقليمي في مشارف رفح حتى يصل الى ٨٠٠ وحدة سكنية حتى سنة ٧٧ — ١٩٧٨ . يتم تشجيع التطوير الصناعي للمستوطنين ، الذين هم على استعداد للسكن في المنطقة بامكانياتهم الخاصة .

ل — تجميع وشراء اراض في المناطق :

١ — زيادة العمل في تجميع الاراضي لاحتياجات المستوطنات القائمة والمخطط لها .

٢ — تعمل ادارة اراضي اسرائيل على زيادة شراء الاراضي والاملاك في المناطق لاحتياجات الاستيطان ، والتطوير ومبادلة الاراضي .

٣ — تقوم الادارة بتأجير الارض للشركات والافراد ، لتنفيذ خطط انماء وتطوير مصدقة .

٤ — تعمل الادارة لشراء الاراضي بكل طريقة مفيدة بما في ذلك بواسطة الشركات والافراد ، الذين يشترون الارض ، وذلك بالتنسيق مع الادارة والمكيتها .

٥ — يتم التصديق على شراء الاراضي من قبل الشركات والافراد ، فقط في الحالات التي تكون فيها الادارة غير قادرة ومعنية بشراء هذه الارض للكيتها .

٦ — تنوض لجنة وزارية لتقرر منح التصديقات. تعطى هذه التصديقات بشرط ان تكون عمليات الشراء قد تمت لمشاريع بناءة ، وليس بهدف السمسرة ، وفي اطار سياسة الحكومة .

٧ — ستعمل الادارة أيضا لشراء الاراضي ، التي تم شراؤها من قبل اليهود .

م — القدس وضواحيها :

يستمر الاسكان والتطوير الصناعي للعاصمة وضواحيها بهدف تركيز الاستيطان خارج المنطقة التي طبق عليها المرسوم رقم — ١ — (الحدود الجديدة للقدس بعد حرب الايام الستة — محرر الصحيفة) . ستبذل جهود بهدف شراء اراضي واستغلال اراضي الدولة في اطار المناطق الواقعة شرق وجنوب القدس وهي التي قررت الحكومة اعتبارها مناطق مغلقة .

ن — تحقيق قرار الحكومة بشأن اسكان النبي صموئيل .

س — ميناء عميق جنوب غزة :

بهدف تطوير سريع لمشارف رفح يتم خلال السنتين الى الثلاث سنوات المقبلة فحص المعطيات الاساسية لاقتراح اقامة ميناء عميق جنوب غزة : المعطيات الطبيعية ، المربحية الاقتصادية ، والاعتبارات السياسية ، وبعد تجميع النتائج وتقديم خطة عملية ، تتخذ الحكومة قرارا بالموضوع .

ع — مركز صناعي لكفار سابا :

تؤمن الظروف المطلوبة لاقامة مركز صناعي لمدينة كفار سابا فيما وراء الخط الاخضر كذلك يتم تطوير صناعة اسرائيلية في منطقتي قلقيليه وطولكرم .

المصدر : يديعوت احرونوت ، ١٩٧٣/٨/١٦ .

ملحق رقم (٢)
وثيقة ديان

السياسة في المناطق للسنوات الاربع القادمة

١ ــ اللاجئون :

ميزانية اضافية لاقامة مساكن جديدة وترميم المعسكرات القائمة . غزة : ١٠٠ مليون ليرة سنويا : الضفة الغربية خلال خمس سنوات المجموع ٥٠ مليون ليرة .

٢ ــ التطوير :

غزة + الضفة = ٢٠٠ مليون ليرة في السنة المجموع (مع العناية باللاجئين) = ميزانية اضافية ٣٠٠ مليون في السنة + ٥٠ مليون ليرة لمرة واحدة. لم ترد في وثيقة جليلي تفصيلات المبالغ ، ولكن اتفق على ان تخصص ميزانية لهذه الاهداف قيمتها مليار وربع مليار ليرة) .

٣ ــ مراكز مدينية وصناعية :

أ ــ القدس : توسيع الاسكان المديني ، والصناعة الخاصة والرسمية ، جنوب وشمال وشرق الى ما وراء الخط الاخضر . (البند (ل) في وثيقة جليلي) .

ب ــ يميت : تخطيط وتطوير يميت بشكل نشط كمركز اقليمي ومديني لمشارف رفح . (البند (ك) « المركز الاقليمي في مشارف رفح » ، الخ في وثيقة جليلي) .

ج ــ اقامة ميناء عميق جنوب غزة ــ دون ان يكون ذلك مشروطا بتطوير ميناثي حيفا واشدود . (البند (س) في وثيقة جليلي) .

د ــ كريات اربع : الاستمرار بصورة نشطة في تطويرها صناعيا وسكانيا .

هـ ــ النبي صموئيل : اقامة مستوطنة مدينية في النبي صموئيل (البند (ن) في وثيقة جليلي).

و ــ منطقة تلقيلية ــ طولكرم : اقامة المركز الصناعي لمدينة كفار سابا على اراضي الغائبين اليهود (حوالي ١٢٠٠ دونم) واعطاء الامكانية للمبادرين اليهود لاقامة مشاريع صناعية واسكانية، بصورة مخططة ومراقبة في منطقتي تلقيلية ــ طولكرم . (البندين (ب) و (ع) ، في وثيقة جليلي) .

ز ــ مرتفعات الجولان : اقامة مركز مديني صناعي في مرتفعات الجولان . (البند (ي) في وثيقة جليلي) .

٤ ــ استيطان : اقامة مستوطنات اضافية ، كما هو مقترح من قبل قسم الاستيطان ، وتأمين الميزانية المطلوبة لتطوير المستوطنات القائمة . (البند (ي) في وثيقة جليلي) .

٥ ــ تشجيع اقامة مشاريع صناعية في المناطق: كما هو مقترح في رسالة (العميد) شلومو جازيت (البند (و) في وثيقة جليلي) .

٦ ــ الاولويات : تعطى الاولوية للمناطق ، بهدف زيادة الاسكان المديني والقروي واقامة مشاريع صناعية فيها .

٧ ــ شراء الاراضي : « أ » تعمل ادارة ارض اسرائيل على شراء الاراضي في المناطق ، من أجل وضعها تحت تصرف الاستيطان ، المشاريع الخاصة والعامة ومبادلة الاراضي . « ب » يتم التصديق على شراء اراضي واملاك بواسطة الشركات والافراد طالما كان ذلك يتم لاعمال الانشاء وبعد دراسته من الناحية السياسية والامنية . (البند (ل) في وثيقة جليلي) .

٨ ــ عمل سكان المناطق في اسرائيل : سيكون العمل تحت المراقبة والاشراف وتتخذ الاجراءات المطلوبة بهدف تأمين تمتع هذا العمل بشروط العمل والاجور المتبعة في اسرائيل . (البند (ط) في وثيقة جليلي) .

٩ ــ العلاقات مع الاردن : تشجيع وتقوية ارتباط وعلاقات سكان المناطق بالملكة الاردنية . (البند (ح) في وثيقة جليلي) .

١٠ ــ تفضيل العمال المحليين في المناطق : تسلم المناصب الادارية ــ بما في ذلك المناصب العليا في خدمة الحكم (في المواضيع المدنية) ــ بقدر الامكان للعرب المحليين . (البند (ز) في وثيقة جليلي).

المصدر : يديعوت احرونوت ، ١٩٧٣/٨/١٦ .

عماد شقور
و هاني عبدالله

(٦) القضية الفلسطينية عسكرياً

المعركة الجوية السورية ـ الاسرائيلية

في ١٩٧٣/٩/١٢ وقع اشتباك جوي فوق الساحل السوري وعلى مقربة من الحدود اللبنانية بين طائرات اسرائيلية اخترقت الاجواء السورية وطائرات معترضة سورية تصدت لها ، وصرح الناطق العسكري السوري ان هذه المعارك « أسفرت عن اسقاط خمس من الطائرات المعادية واصابة ثمان من طائراتنا » (النهار ٧٣/٩/١٤). ووزعت الوكالة العربية السورية للانباء (سانا) التعليق التالي : « تصدى طيارونا اليوم ببسالة فائقة لستة عشر تشكيلا معاديا من طائرات العدو تضم ٦٤ طائرة اخترقت مجالنا الجوي عبر الاراضي اللبنانية فوق بعلبك واتجهت نحو المنطقة الوسطى في محاولة لتنفيذ مهمات عدوانية . سارع طيارونا الى التصدي لهذه الطائرات المعادية مما اضطرها الى الفرار في اتجاه البحر مخترقة جدار الصوت على ارتفاع عال فوق مدينة حماه لتزيد من سرعتها . وقد طارد نسورنا طائرات العدو واشتبكوا معها فوق البحر وفوق الاراضي اللبنانية في معارك عنيفة استمرت ٣ ساعات و١٠ دقائق أسقط خلالها طيارونا ٥ طائرات معادية . لقد حضر العدو لهذا العدوان واشرك فيه ٦٤ طائرة. غير ان بسالة مقاتلينا منعته من تنفيذ مهماته واثبت الطيار السوري مجددا كفاية قتالية عالية وقدرة على التصدي والصمود فوتتا على العدو فرصة تحقيق أهدافه . وقد جاء هذا العدوان بعد انتهاء مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز الذي كشف طبيعة اسرائيل العدوانية وادانها وعزلها أمام الرأي العام الدولي في ٧٦ دولة تمثل أكثر من نصف العالم شاركت في هذا المؤتمر » .

وجاءت الرواية الاسرائيلية في بيان عسكري قال ان ١٢ طائرة سورية من طراز ميغ ٢١ ومقاتلة اسرائيلية واحدة سقطت « في واحدة من أكبر المعارك الجوية فوق الشرق الاوسط منذ حرب حزيران ١٩٦٧ » (النهار ٧٣/٩/١٤) . وفي مؤتمر صحفي عقد في تل ابيب بتاريخ ٧٣/٩/١٣ قال العميد بنيامين بيليد قائد السلاح الجوي الاسرائيلي « لقد كانت طائرات السلاح الجوي تقوم باعمال دورية اعتيادية فوق البحر الابيض المتوسط . وقبالة الشواطىء السورية ، اشتبكت طائراتنا مع طائرات السلاح الجوي السوري ، ووقعت معركة . وأستطيع القول ان الجزء الاول من الاشتباك استمر نصف ساعة تقريبا ، وكان عدد الطائرات المشتركة في هذا الاشتباك ١٢ طائرة اسرائيلية في ثلاث مجموعات تضم كل منها أربع طائرات ، وما يتراوح بين ١٢ و١٦ طائرة سورية . وقد انتهت الجولة الاولى من الاشتباك باسقاط ٩ طائرات سورية ، واصابة احدى طائراتنا . وقد هبط طيارها بواسطة المظلة الى البحر ، فقد جرى الاشتباك فوق البحر . ولدى سقوط الطيار ، قررنا ان ننقذه ، وقمنا بارسال مجموعة خاصة لتأمين تفوق جوي في المنطقة . حتى تتمكن طائرة الهليكوبتر من انقاذ الطيار . وهنا استجاب السوريون للتحدي ، وعندها وقع الجزء الثاني من الاشتباك فأسفر عن سقوط ٤ طائرات سورية اخرى . وقد أنقذنا الطيار الاسرائيلي ، كما انتشلنا من الماء الطيار السوري الذي كان بحاجة الى مساعدة . » ... « ان المعركة وقعت خارج المياه الاقليمية السورية ، وان الطائرات التي اشتركت في المعركة كانت من طراز فانتوم وميراج . وقد استخدمت طائراتنا مدافع الطائرات وصواريخ جو ـ جو . » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ٣٢٢) .

وليس هناك وسيلة للتحقق من النتائج الفعلية للمعركة كما ان من الخطأ الفادح الاعتماد على الارقام الاسرائيلية التي تسعى الى تخفيف عدد اصاباتها الى الحد الادنى طالما كان بوسعها ذلك ، أي عندما لا يسقط الطيار او طائرته فوق ارض عربية . ولكن الشيء المؤكد دون شك هو ان الطائرات السورية تصدت لطائرات العدو في الجولة الاولى لمنعها من تنفيذ أغراض عدوانية وعندما دفع العدو بتشكيلات أكبر من الطائرات الى مكان المعركة قبل الطيران السوري التحدي رافضا ان تكون سماءه مباحة لطائرات العدو . ومهما تكن الخسارة المادية كبيرة سواء كانت ٥ـ٨ او ١ـ١٣ فان المغزى المعنوي للمجابهة يؤكد على تصميم القوات المسلحة على مجابهة العدو في جميع الظروف ، لان هذه المجابهة هي مهمتها ومبرر وجودها التاريخي أمام الشعب السوري الذي لم يبخل يوما بشيء لتدعيمها .

ويحاول الاسرائيليون اخفاء الهدف الكامن وراء

تحرشهم الذي إدى الى الاشتباك . ويحاولون اظهاره على انه « نوع من الاشتباكات الاعتيادية التي تقع ، وتطور بسرعة الى الحد الذي بلغ اليه » (ر.أ.أ. ملحق رقم٣٢٣) ولقد ذكرت صحيفة **نيويورك تايمز** (٧٣/٩/١٥) نقلا من تل ابيب ان المسؤولين المطلعين « ينكرون الرواية السورية التي تقول بان المقاتلات الاسرائيلية هي التي اثارت القتال الجوي » ويفسر حاييم هرتسوغ المعلق العسكري لاذاعة اسرائيل وقوع الاشتباك تفسيرا عسكريا بحتا مقطوع الجذور عندما يقول : « وقد بدأ الاشتباك عندما كانت طائرات سلاح الجو تقوم بدورية اعتيادية ، وهوجمت من قبل قوات سلاح الجو السوري . ولا شك بان الهجوم السوري جاء بهذا الحجم بعد تقدير من جانب القوات السورية ان الظرف مناسب من ناحية حجم القوة ، بحيث يعطي أفضلية للسوريين فقد خيل لهم هذا لان طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي كانت على بعد ١٥٠ كيلومترا شمالي الحدود الاسرائيلية ، أي بعيدة نسبيا عن قواعدها ، وعلى بعد عشرين ميلا فقط عن الشواطىء السورية ، أي قرب القواعد السورية. وجاء رد الفعل السوري الفوري ، من حيث انه قد أتى في ظرف غير اعتيادي يمكن اظهار تفوق سوري على طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي ، وهذا يختلف عن الوضع الاعتيادي على طول الحدود مع سوريا ، حيث تتواجد دائما هناك طائرات سلاحنا الجوي قرب قواعدها . » (ر.أ. أ. ملحق رقم ٣٢٣) .

بيد ان من الصعب قبول هذا التفسير ، خاصة وان اشتباك يوم ٩/١٣ جاء في فترة هدوء على الجبهة السورية ـ الاسرائيلية وبعد حوالي ٩ شهور من آخر اشتباك جوي وقع بين القوات الجوية السورية والاسرائيلية في كانون الثاني من العام ١٩٧٣ . ولا بد ان يكون وراءه سبب سياسي . وتعتقد صحيفتا **الفيغارو و لورور** الفرنسيتان (٧٣/٩/١٤) ان المعركة الجوية كانت « عملية انتقامية » اسرائيلية ضد سوريا لاعتقاد اسرائيل بأن لسوريا دورا في قضية الصواريخ المضادة للطائرات التي تم العثور عليها في ايطاليا. ويقول تقرير مايكل آدامز مراسل الاذاعة البريطانية في القدس « انه يعتقد ان الحادث له علاقة بالانتخابات الوشيكة في اسرائيل » ... « وان موشي دايان يريد ان يظهر موقفه المتطرف حيال العرب لكي يحظى بأصوات الناخبين » (ر.أ.أ. ملحق رقم ٣٢٢) وتربط صحيفة **التايمز** اللندنية (٧٣/٩/١٤) بين المعركة و«مشروع الجبهة الشرقية» وترى انها ضربة انذارية توضح لسوريا وللدول العربية الاخرى مدى المخاطر التي ستجابهها اذا ما عمدت الى وضع اتفاق القمة الخاص باحياء الجبهة الشرقية موضع التنفيذ . وهناك آراء أخرى تقول بان الضربة كانت مخططة لاحباط الحل السلمي الذي يبدو ان الضغط السعودي الاقتصادي ـ السياسي ، والاستعداد العسكري العربي ورغبة العملاقين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة جعلته قريب الوقوع . وهو أمر تكرهه اسرائيل وترفضه طالما انها قادرة على الحفاظ على الوضع الراهن دون التعرض لمتاعب عسكرية جدية .

وبالرغم من التحفظات الكثيرة الخاصة بجدية الجبهة الشرقية وفاعليتها طالما ان الملك حسين يشكل جزءا منها ويحرم الثورة الفلسطينية من أخذ دورها فيها ، وبالرغم من الاعتقاد السائد بأن هذه الجبهة ستكون جبهة عسكرية لتدعيم الضغط السياسي ـ الاقتصادي الذي سيقوم به الملك فيصل لاجبار الولايات المتحدة على تخفيف دعمها السياسي ـ العسكري ـ الاقتصادي لاسرائيل بشكل يجبرها على التنازل عن موقفها المتعنت الخاص بالانسحاب والمفاوضات المباشرة ، فان اسرائيل لا تنظر بعين الرضى الى هذه الجبهة بوضعها المنتظر أو بأي وضع آخر ، كما لا تنظر بعين الرضى لاي اتفاق عربي حتى ولو على صعيد السياسة والدبلوماسية ، خاصة وان استراتيجيتها مبنية اساسا على عدم وحدة الصف العربي . لذا فليس من المستبعد ان يكون تخريب الجبهة الشرقية واظهار اتفاق القمة كعمل لفظي لا تجسده الدول الثلاث عمليا كانا وراء العدوان الاسرائيلي الجوي المدبر الذي أخذ شكل كمين جوي اشتركت فيه ٦٤ طائرة فانتوم وميراج ، دون استبعاد مجموعة الاسباب الاخرى المتعلقة بالصراع على السلطة داخل حلقة القادة الاسرائيليين . .

ولكن لماذا توجهت الضربة الى سورية ولم تتوجه نحو الاردن او مصر مع انهما شريكتان في الجبهة الشرقية ؟ لقد تعلم الاسرائيليون من نتائج

الاشتباكات الجوية المصرية ــ الاسرائيلية ان الثمن الذي يدفعونه في كل اشتباك غاليا ، وان خرق الاجواء المصرية في ظل وجود شبكة دفاع جوية قوية (١٣٠ موقع اطلاق صواريخ سام ــ ٢ وسام ــ ٣ وسام ــ ٦ ومئات بطاريات المدافع من عيار ٢٠ مم و٢٣ مم و٣٧ مم و٥٧ مم و٨٥ مم و١٠٠ ملم (Military Balance 73-74) عملية باهظة التكاليف. كما انهم تعلموا ان خرق الاجواء الاردنية لا يستثير اي رد فعل قتالي جدي . وبقيت سوريا الدولة الصدامية المستعدة للاشتباك مع العدو حتى في حالة عدم تكافؤ القوى . والمستعدة لزج قسم كبير من قواتها لحماية أجوائها رغم ضعف دفاعها الجوي النسبي (١٢ موقع اطلاق صواريخ سام ــ ٢ وسام ــ ٣ (Military Balance 73-74) لذا توجه التحرش نحو سوريا .

واذا أردنا الانتقال من المسائل السياسية والاستراتيجية الى المسائل التكنولوجية العسكرية البحتة ، توجب علينا ان نبحث ٣ موضوعات هي: ميزان القوى الجوية، ومقارنة الطائرات تكنولوجيا، وموضوع الانذار المبكر .

ميزان القوى : تملك اسرائيل ٤٨٨ طائرة قتال منها ١٢ قاذفة خفيفة فوتور (في المخازن) و٩٥ طاردة قاذفة فانتوم (F-AE) و٣٥ ميراج (بعضها مزود بصواريخ جو ــ جو) و١٦٥ طائرة هجوم ارضي سكايهوك (A-4 EH) و١٨ سوبر و٢٣ مستير (في الاحتياط) . ولكنها تعتمد في الاساس على طائرات الفانتوم والسكايهوك والميراج ، وتعتبر الطائرات الاخرى كطائرات صف ثان . (Military Balance 73-74)

وتملك جمهورية مصر العربية بالمقابل ٦٢٠ طائرة قتال (منها ٢٠٠ في المخازن) ، وتضم الطائرات العاملة ٢٥ قاذفة متوسطة Tu-16 ، و٢١٠ طائرات معترضة ميغ ٢١ ، و٨٠ مطاردة ــ قاذفة سوخوي (SU-7) و١٠٠ مطاردة ــ قاذفة ميغ ١٧ ، وكلها عدا طائرات الميغ ١٧ من طائرات الصف الاول . (Military Balance 73-74)

وتمتلك سوريا ٢٠٠ طائرة معترضة ميغ ٢١ وعددا من القاذفات ايليوشن IL-28 و٨٠ مطاردة ميغ ١٧ و٣٠ قاذفة مطاردة سوخوي SU-7 وكلها عدا طائرات الميغ ١٧ من طائرات الصف الاول . (Military Balance 73-74)

وليس بوسعنا هنا ان نذكر القوة الجوية الاردنية لعدم ايماننا بجدية استعداد النظام الاردني لخوض معركة مصيرية .

واذا قارنا طائرات الصف الاول الاسرائيلية وعددها حوالي ٣٠٠ طائرة مع طائرات الصف الاول المصرية والسورية وعددها ٥٢٠ طائرة وجدنا ان التفوق المصري ــ السوري في حالة وحدة ارادة القتال أمر واضح لا لبس فيه . ولكن تجارب اسرائيل علمتها ان الاشتباكات الماضية على الحدود المصرية لم تستثر تحركا سوريا ، كما أن اشتباكي كانون الثاني وايلول ١٩٧٣ مع سورية لم يستثيرا ردا مصريا . لذا فان التفوق العربي بالنسبة لها رقمي بحت لم يتجسد حتى الان بالاضطرار الى القتال على جبهتين بآن واحد .

وبالاضافة الى ذلك فان من المتعذر علينا ان نفهم سر وجود ٢٠٠ طائرة مصرية في المخازن رغم وجود احتمالات المعركة بصورة دائمة ، ورغم اصرار اسرائيل الدائم على العدوان .

مقارنة الطائرات تكنولوجيا : ويقودنا بحث ميزان القوى الجوية الى موضوع المقارنة التكنولوجية بين الطائرات العربية وطائرات العدو.

ان العدو يملك كما رأينا طائرات السكايهوك وهي طائرة هجوم خفيفة . ولكن سرعتها الضعيفة ٩ر٠ ماك تجعل العدو يحميها دائما بطائرات فانتوم أو ميراج . لذا فان أي صدام بينها وبين الطائرات المعترضة ميغ ٢١ ينقلب الى صدام مع طائرات الحماية (فانتوم وميراج) . وتتفوق طائرة الميغ ٢١ (وخاصة الانواع الحديثة منها) على طائرة الميراج 3-C فبالرغم من أن سرعة الميغ ٢١ القديمة ٠٠ر٢ ماك والحديثة مف ١ر٢ ماك وسرعة الميراج 3-C ١ر٢ فان اجهزة الميغ ٢١ وقدرتها على المناورة افضل من الميراج 3-C كما ان تسليح الميغ ٢١ اقوى من تسليح الميراج . اذ تحمل الميغ ٢١ القديمة ٢ صاروخ اتول وتحمل الميغ ٢١ الحديثة مف اربعة صواريخ أتول K-13 على حين تحمل الميراج صاروخا واحدا ماترا او صاروخين سايدوندر او شفرير . ولكن الفانتوم ف ــ ٤ تتفوق على الميغ ٢١ من ناحية السرعة التي تبلغ ٢٧ر٢ ماك والتسليح ٦ صواريخ سبارو AIM-7 E او ٤ صواريخ سبارو وصاروخين سايدوندر AIM-9 D بالاضافة الى ان اجهزتها بصورة عامة متقدمة على اجهزة الميغ ٢١ . كما ان وجود ملاحين عليها يساعد على الاستفادة من الاجهزة

بشكل افضل(١). لذا فان اية مجابهة بين اعداد متماثلة من الفانتوم ف — ٤ والميغ ٢١ تكون لصالح الفانتوم اذا ما تساوت العوامل الاخرى مثل : الادارة الارضية وخبرة الطيارين ومعنوياتهم وتوجيه المقاتلات والتعاون داخل التشكيل ... الخ .

وليس من الضروري هنا مقارنة الفانتوم مع السوخوي — ٧ SU-7 نظرا لان السوخوي — ٧ طائرة للهجوم الارضي سرعتها ١ر٧ ماك ومن الافضل حمايتها عند قيامها بمهماتها بطائرات الميغ ٢١ .

وعند النظر الى المسألة **تكنولوجيا** نجد انه لمجابهة طائرات الفانتوم ف — ٤ بفاعلية والتفوق عليها (في حالة تساوي مختلف العوامل الاخرى) لا بد من الحصول على الطائرات السوفييتية ميغ ٢٣ المعقدة ذات الاجنحة المتحركة التي تبلغ سرعتها ٣ر٢ ماك وتحمل ٤ صواريخ مختلفة الطراز توجه بالرادار والاشعة تحت الحمراء ، او الحصول على الطائرات السوفييتية ميغ ٢٥ (التي كانت تدعى من قبل ميغ ٢٣) التي تبلغ سرعتها ٢ر٣ ماك وتحمل ٤ صواريخ مجهولة النوع ، او الطائرات السوفييتية سوخوي — ١١ SU-11 التي تبلغ سرعتها ٥ر٢ ماك وتحمل صاروخين من طراز ANAB كتسليح رئيسي ومن المحتمل ان تحمل صواريخ اخرى ، بالاضافة الى رفع مستوى تدريب الطيارين ، والادارة الارضية ، وطواقم اجهزة الكشف والرصد والانذار وتوجيه المقاتلات . (كافة المعلومات الفنية مأخوذة من مرجعين Jane's Weapon Systems 1972-73 The Observer's Book of Aircraft 72-73)

الانذار المبكر : تقول المحرر ٩/١٥ ان اوساطا عسكرية سورية ذكرت « ان الرادار اللبناني لم يبلغ السلطات السورية عن دخول طائرات اسرائيلية الى اجواء البلدين » . ويتمتع هذا النبأ بأهمية بالغة اذ ان الانذار المبكر يساعد المقاتلات على التصدي للعدوان ويعطيها الوقت اللازم للتحليق وأخذ التشكيلات القتالية المناسبة . ولقد صرحت مصادر مطلعة ان سوريا كانت قد طلبت ان تتمثل المساندة اللبنانية لها « في تنبيهها بواسطة جهاز رادار قوي الى دخول طائرات اسرائيلية الاجواء اللبنانية كي تستعد الطائرات السورية للتصدي لها . لكن اقامة مثل هذا الرادار تطرح مسألة حمايته ومن هي الجهة التي ستتولى هذه الحماية »... « ان السلطة اللبنانية تتحاشى التورط لان وجود الرادار في الاراضي اللبنانية سيجعله عرضة للاعتداءات لا يستطيع لبنان التصدي لها ، واذا تصدت لها سوريا فالخسائر التي ستلحق بلبنان ستكون باهظة » (النهار ٧٣/٩/١٦) .

والحقيقة ان دراسة مثل هذا الموضوع التكنولوجي مرتبطة بمسألة السياسة الدفاعية اللبنانية كلها ، وهي مسألة مرتبطة بالوضع السياسي اللبناني بأسره . ففي ١٩٧٣/٨/٢٢ صرح وزير الدفاع اللبناني نصري المعلوف لمندوب الحياة ردا على سؤال حول عدم تعرض الطائرات اللبنانية للطائرات الاسرائيلية التي تنتهك حرمة اجواء لبنان بقوله « لم نتعرض ولا نتعرض للطائرات الاسرائيلية لانه لا تكافؤ بيننا وبين اسرائيل (...) انه ليس لدى لبنان امكانات الرد على اسرائيل » (الحياة ٧٣/٨/٢٢) .

ولقد لخص العميد ريمون اده المسألة عندما سئل لماذا لم يتدخل الجيش اللبناني في المعركة الجوية السورية — الاسرائيلية بقوله : « ان الجيش لا يمكن ان يتحرك الا اذا اعطيت له الاوامر . ويظهر ان تقي الدين الصلح كما صائب سلام كما رشيد كرامي كما عبدالله اليافي على رغم المطالبة بالمشاركة لا يريدون ان يشتركوا في معركة ضد اسرائيل . والسبب بسيط وهو بارود «يوك». وطبعا فان المسؤولية لا تقع على الجيش اللبناني ولا على الطيران اللبناني بل تقع علينا مجلسا وحكومة لاننا لم نقرر بعد اذا كنا نريد او لا نريد ان ندافع عن سلامة البلاد وعن كرامتنا» . (النهار ١٩٧٣/٩/١٥) .

وتتعلق الملاحظة الاخيرة بالنسبة للمعركة الجوية التي نحن بصددها في التوقيت الذي اختارته اسرائيل . فلقد بدأت الاشتباكات في الساعة ٢٠ر٢ من بعد ظهر يوم الخميس . وهي الساعة التي يكون فيها معظم الطيارين قد غادروا قواعدهم دون ان يصلوا الى بيوتهم او الاماكن التي يمكن استدعاؤهم فيها. ولم يبق في المطارات سوى طيارو الاسراب المناوبة . ويدل هذا التوقيت الدقيق على ان العملية الاسرائيلية متعمدة ومعدة مسبقا. الامر

---

١ — لقد أدى تطور أجهزة الفانتوم وقوتها وحمولتها الى ارتفاع ثمنها الى ستة أضعاف ثمن الميغ ٢١ تقريبا .

الذي ينفي ادعاءات اسرائيل حول طبيعة المعركة وهوية البادىء بها. وقد يكون هذا التوقيت السبب في عدم مجابهة الـ ٦٤ طائرة اسرائيلية بمسائة طائرة سورية مثلا . ولعل هذا هو ما دفع العميد بيليد قائد السلاح الجوي الاسرائيلي الى القول بأن الفضل في النتائج التي حققتها الاشتباك يرجع الى قوة الاستخبارات الاسرائيلية (ر. أ. أ. رقم ٢٢٣) .

لقد خططت اسرائيل لعملية ٩/١٣ العسكرية مستهدفة مجموعة من الاهداف السياسية ، وجابه النسور السوريون التحدي ومنعوا الطيران الاسرائيلي من خرق أجوائهم ، وحققوا نتائج مرضية رغم عدم تكافؤ القوى ، ولم يمنعهم تفوق عدوهم التسليحي من مجابهته . وهكذا يشارك الطيارون السوريون في الاجهاز على اسطورة التفوق التكنولوجي التي سدد لها الطيارون الفيتناميون ضربات رائعة عندما قابلوا التفوق التكنولوجي بتفوق معنوي وايديولوجي . ومن المؤكد ان الضربة السورية كانت ستسدد بقوة اكبر (حتى بنوعية السلاح نفسها) لو ان الانذار جاء مبكرا ، ولو ان الرد كان مصريا — سوريا بآن واحد .

تطور جديد في تسليح الثورة الفلسطينية

في يوم ٥ أيلول اعتقلت الشرطة الايطالية خمسة من رجال المقاومة الفلسطينية في منتجع اوستيا الواقع على مسافة ٣٠ كيلومترا عن روما ومسافة ٦ كيلومترات من مطار فيوميشينو الدولي ، ووجهت لهم تهمة حيازة صاروخين خفيفين مضادين للطائرات . ولقد اتجه التحقيق منذ البداية نحو احتمال يقول بأن المعتقلين ادخلوا هذه الاسلحة المتطورة الى ايطاليا بغية استخدامها في ضرب احدى طائرات العال الاسرائيلية خلال هبوطها او تحليقها . ويبدو ان الاعتقال قد تم بعد أن تلقت الشرطة الايطالية معلومات من الاستخبارات الاسرائيلية حول أحد المعتقلين . وكانت مجلة **نيوزويك** قد نشرت في ٧٣/٨/٢٧ خبرا يقول « يسعى الارهابيون [الفدائيون] العرب سعيا حثيثا لشراء صواريخ فردية مضادة للطائرات مثل صاروخ ريدآي الامريكي وذلك لتعزيز ترسانتهم . وقد فشلوا مؤخرا في الحصول على الصاروخ السوفياتي ستريلا الذي استخدم بتأثير فعلي كامل ضد الطائرات التي تحلق على علو منخفض في فيتنام ».

ولقد سلط الاعلام الاسرائيلي الاضواء بعد عملية الاعتقال في ايطاليا على نقطتين همـا : ان الصواريخ التي تم كشفها سوفييتية الصنع ومن طراز سام — ٧ . وان الدول العربية التي تملك هذا السلاح هي مصر وسورية ويحتمل ان تكون العراق قد حصلت على أعداد منه . ووجهت بعض الصحف الاسرائيلية الاتهام الى سورية وقالت بأنها هي التي زودت الفدائيين بالصواريخ . وسار المعلق العسكري لاذاعة اسرائيل روني دانيال على المنوال نفسه عندما قال « ان هناك احتمالا بأن يكون الجيش السوري قد زود المخربين [الفدائيين] بهذا النوع من الصواريخ » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ر.أ.أ. ملق العدد ٣١٦) ، ولكن صحيفة **يديعوت احرونوت** اتجهت نحو اتهام الاتحاد السوفييتي ، وقالت بأنه هو الذي زود الفدائيين بالصواريخ مباشرة ، واعتبرت ان ذلك « من النتائج المباشرة لزيارة عرفات لموسكو » (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٩/٦). وذهبت صحيفة **معاريف** (٧٣/٩/١٠) الى القول نقلا عن « مصادر اسرائيلية مطلعة » بأن سورية زودت الفدائيين بهذا النوع من الصواريخ لتدعيم الدفاع الجوي عن مخيمات لبنان .

وتحاول اسرائيل بشتى الطرق ادخال الدول العربية بكامل في هذه القضية . ففي يوم ٧٣/٩/٧ ذكرت الاذاعة الاسرائيلية بأنه « علم من روما صباح اليوم ان الشرطة تعتقد بأن مجموعة اخرى من المخربين [الفدائيين] هي التي زودت المجموعة التي اعتقلت أمس الاول بالقرب من مطار روما بصواريخ سام — ٧ . ويذكر ايضا بأن الصواريخ ثقيلة ويستبعد أن يكون قد تم احضارها الى ايطاليا بطريق الجو كما وصل المخربون [الفدائيون] انفسهم » (ر. أ. أ. رقم ٣١٧) ثم عادت في يوم ٧٣/٩/١٢ لتشير الى احتمال « أن تكون الصواريخ قد نقلت الى ايطاليا في البريد الديبلوماسي لاحدى الدول العربية » (ر. ا. ا. رقم ٣٢١) .

ويبدو ان كشف عملية الصواريخ سيكون بداية حملة سياسية وديبلوماسية اسرائيلية متشعبة ذات اتجاهين : يتمثل أولهما في استثارة الولايات المتحدة الامريكية ضد الاتحاد السوفييتي الذي يزود العرب بأسلحة متقدمة وضد الدول العربية التي تساعد الثورة الفلسطينية على تصعيد عملياتها ضد اسرائيل خارج الارض المحتلة . كما يتمثل الاتجاه

الثاني بالاحتجاج لـدى مجلس المنظمة الدوليـة للطيران المدني مع التأكيد على « خطورة الوضع مع وجود صواريخ في أيدي المخربين [الفدائيين] مصدرها دولة ذات سيادة » (ر. ا. ا. ٣١٩) . ويعتبر يارون بن يشاي مندوب الاذاعة الاسرائيلية في روما ان موافقة رئيس المجلس علـى ادراج المذكرة الاسرائيلية ، التي تضمنت أسماء مصر وسوريا والعراق والاتحاد السوفييتي ، على جدول أعمال المجلس يعد « انتصارا ديبلوماسيـا هو الاول من نوعه منذ أن بدأ هذا المجلس أعماله » (ر. ا. ا. رقم ٣١٩) . وقد تحقق اسرائيل بعض النجاح في المجال الاول ولكن نجاحها في المجال الثاني مستبعد جدا خاصة وان مصر وسوريـا والعراق قدمت الى المنظمة الدولية للطيران المدني في روما مذكرات تنفي فيها بشكل قاطع ان تكون قد زودت الفدائيين بالصواريخ المضادة للطائرات. الامر الذي يحرم المذكرة الاسرائيلية من مبررات تقديمها ، ويجعلها عبارة عن اتهام بلا أي اساس مادي .

ولقد أعطى وزير الدفاع الاسرائيلي موشى دايان أهمية بالغة لهذا الحادث الذي اعتبره « أخطر ما حدث حتى الان ، في عمليات الارهاب التي يقوم بها المخربون [الفدائيون] ضد الطيران المدني . فهنا يوجد دمج لعدة أمور لم يسبق ان حدث مثلها في الماضي . وهذا الدمج هـو للوسائل وللفنيين الخبراء بالصواريخ وللذين اشتركوا في استخدام هذه الوسيلة » ... « وشركاء اليوم في هـذا الحادث هم الاتحاد السوفييتي الذي يرسل هذه الصواريخ ، والدول الغربية التي تحصل على هذه الصواريخ والتي تسمح باستخدامها ضد الطائرات المدنية ، كما كان سيحدث في روما » ... « لا اعتقد بأن هذا تطور جديد في وسائل الارهاب فانهم يستعدون لكل شيء لاطلاق النار على كل ما هو موجود في المطار ، ولا يمكن ان يطرأ تحول أخطر من هذا ، ولكن في الوقت نفسه هناك تطور جديد وهو المساعدات التي تقدمها الدول الى هـؤلاء المخربين [الفدائيـين] وأهمهـا الوسائـل التكنولوجية » (ر. ا. ا. رقم ٣١٨) .

أما ييغال آلون الذي ترأس جلسة الحكومـة الاسرائيلية في يوم ٧٣/٩/٩ بسبب عطلة رئيسة الحكومة غولدا مائير فقد أكد على خطورة العملية عندما قال خلال الجلسة « انه ينبغي النظـر بخطورة الى المحاولة التي جرت في روما من قبل الارهابيين [الفدائيين] لاستخدام صواريخ ضد طائرات الركاب المدنية » (ر. ا. ا. رقم ٣١٨).

فمن أين جاءت الخطورة . ولماذا تدق اسرائيل ناقوس الخطر بهذه الشدة ؟ قبل الرد على هذا السؤال لا بد لنا من معرفة مميزات الصواريخ التي أراد الفدائيون استخدامها ضد طائرة العال الاسرائيلية . لقد نقلت الاخبار الواردة من روما ان الصواريخ هي من طراز سام — ٧ ثم جاءت اخبار أخرى نقلتها اذاعة اسرائيل تقول بأن « ثمة من يدعي أن أجهزة الاطلاق وحدها هي من صنع سوفييتي على حين ان الصواريخ هي من صنع بلد آخر » (ر. ا. ا. رقم ٣١٩) . لذا فان بوسعنا التحدث هنا عن مميزات الصاروخ طراز سام — ٧ دون ان يكـون معنى حديثنـا التأكيد على أن الصواريخ المكتشفة التي لم تحدد جنسيتها بعد بشكل رسمي هي من هذا الطراز .

الصاروخ سام — ٧ ستريلا هو سلاح خفيف مضاد للطائرات (يستطيع شخص واحد حمله) سرعته اكبر من سرعة الصوت ، ويمكن اطلاقه من الكتف بواسطة شخص واحد . ويعمل هذا الصاروخ بواسطة الوقود الجاف ويوجه بواسطة الاشعة تحت الحمراء ويمكنه أن يلاحق الحرارة المنبعثة من محركات الطائرات . ويبلغ مدى هذا الصاروخ القصى ٣٥٠٠ متـر ويستطيع اصابة الهدف على ارتفاع ٥٠ — ١٥٠٠ م ولكن استخدامه الافضل يكون ضد الطائرات الحربيـة المنخفضة وضد طائرات الهليكوبتـر . ولقـد استخدمـه الفيتناميون بفاعلية خلال القتال ضد الطائـرات الامريكية . وتذكر المصادر الغربية بـأن الجيش المصري حصل عليـه واستخدمـه خلال حـرب الاستنزاف ، كما ان هناك احتمالا بحصول الجيش السوري عليه مؤخرا .

ويعتبر هذا الصاروخ من الاجيال المتقدمة التي ستدخل تبدلا نوعيا ملحوظا على الدفاع الجوي . وهو يقف على مستوى واحد مع الصاروخ الامريكي ريد آي ، والصاروخ البريطاني بلو بايب .

ومهما كان حجم الضجة التي تثيرها اسرائيل حول وصول هذا السلاح الـى أيدي الفدائيين ومحاولتهم لاستخدامه ضد الطائرات المدنية ، فان الخطر الحقيقي الذي يشغل بال المسؤولين في وزارة الدفاع الاسرائيلية هو حصول المنظمـات

الفدائية علـى سلاح مضاد للطائرات متطـور تكنولوجيا لان بوسع هـذا السلاح قلب خطـط اسرائيل المضادة للثورة الفلسطينية رأسا على عقب .

وتدلنا دراسة المعارك التي جرت بين قوات الثورة الفلسطينية وقوات الجيش الاسرائيلي داخل الاراضي المحتلة على ان القوات الاسرائيلية تحاول تحقيق التفوق التكتيكي الدائم مستخدمة الحركية القصوى البرية والجوية لتجميع قوة اكبر من قوات الثورة التي ستجابهها . وهي تستخدم لهذه الغاية الدوريات الآلية والقوات المحمولة بالهليكوبتـر (معركة التياسير مثلا) . ولقد تعرضت دوريات الثورة الفلسطينية لكثير من الخسائر لانها لم تكن تملك سلاحا خفيفا قادرا علـى ضرب طائـرات الهليكوبتر المحلقة او اسقاط طائرات القتال التي تقصف الدوريات تمهيدا لهجوم القوات البـرية عليها . لذا كان كشف دورية قتال او امداد داخل الارض المحتلة يعني تدمير الجزء الاكبر منهـا . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت طائرات هليكوبتر الاستطلاع تحلق فوق القـوات المعادية الآليـة المتحركة باتجاه هدفها وتكشف الكمائن المنصوبة لها تساعدها في ذلك طبيعة الارض المكشوفة . واستخدمت اسرائيل القوات المحمولة بالهليكوبتر لقطع طريق التراجـع على قواعـد الثـورة الفلسطينية عند مهاجمتها جبهيا (معركة الكرامة) كما استخدمت طائرات هليكوبتر الاستطلاع لرصد نيران المدفعية (العرقوب) ولسحب الوحـدات الخاصة بعمليات الاغارة ضـد قواعـد الثورة الفلسطينية داخل عمق الاراضي العربية (مخيم البداوي ونهر البارد .. الخ) .

وهكذا كانت دوريات الثورة الفلسطينية وقواعدها وأماكن تجمعها تتعرض لخطرين : القوات المحمولة بالهليكوبتر والقصف الجوي بطائـرات القتال . وكانت المشكلة دائما هي كيف يمكن مجابهة هذين الخطرين بفاعلية . ولقد اتجه الحل في القواعد الخارجية والمخيمات نحو استخـدام الرشاشات المتوسطة والثقيلة ومدافع ٢٠ مم م/ط ، وكان بوسع هذه الاسلحة تحقيق نتائج مرضية لو ان عددها — وبالتالي كثافة نيرانها — كان كبيرا . ولم تجد الثورة الفلسطينية حلا ايجابيا لمجابهة الخطر الجوي الذي تتعرض له دوريات القتال او الامداد داخل الارض المحتلـة في مرحلة حـرب العصابات الحالية ، لان هذا الحل يتطلب وجود سلاح خفيف فعال تستطيع الدورية حمله والسير به كما تحمل القواذف المضادة للدروع ربج — ٧ . لذا كانت الدوريات تستخـدم الحلول السلبية المتمثلة بالاختفاء والعمل الليلي والتمويه ...الخ.

ومن المؤكد ان وصول سلاح من نوع سام — ٧ ستريلا او ريد آي او بلو بايب الى أيدي قوات الثورة الفلسطينية سيعني حصول هذه القوات على أفضل سلاح تستخدمه العصابات ضد الطائرات. وسيكون من نتائجه منع طائرات القتال الاسرائيلية من قصف المخيمات وقواعد الثورة الفلسطينيـة ودورياتها بلا عقاب ، كما سيكون من نتائجه تزويد الدوريات والقواعـد بسلاح قادر علـى اسقاط طائرات الهليكوبتر المخصصة للاستطلاع او القتال او نقل القوات المحمولة . فاذا أضفنا الى ذلك قدرة قوات الثورة على التبعثر والتمويه والحركة وصغر الاهداف التي تقدمها للقوات المضادة تصورنا مدى التطور الذي ستشهده عمليات قوات الثورة بعد حصولها على هذا السلاح (كنصب الكمائن لطائرات الهليكوبتر او طائرات القتال على سبيل المثال)، ومدى الحماية التي ستحصل عليها قواعد الخارج او دوريات الداخل ، ومدى الصعوبات والمعضلات الجديدة التي ستجابههـا القـوات الاسرائيلية داخل الارض المحتلة وخارجها ، وحجم التعديلات التي ستضطر الى ادخالها على خططها السابقة .

ان حرمان اسرائيل من عامل أساسي من عوامل قوتها في مجابهة الثورة الفلسطينيـة (الحركية والتفوق الجوي) او التأثير بفاعلية على هـذا العامل ، هو مصدر القلق الذي أحس به القادة العسكريون الاسرائيليون عند اكتشاف الصواريخ في روما، فلقد اعتاد هؤلاء القادة تحقيق انتصاراتهم التكتيكية عن طريق استخدام قوة متفوقة ضد قوة صغيرة سيئة التسليح (وخاصة ضد الطائرات). ويؤرقهم أن يجدوا هذه القوة الصغيرة الديناميكية المتحركة وقد تزودت بمعدات تكنولوجية ملائمة تزيد كثافة نيرانها وترفع مستوى كفاءة دفاعها الجوي الى حد بعيد .

المقدم الهيثم الايوبي

ملحق القضية الفلسطينية عسكريا

حول عودة الى الاستعمار القديم !

قبل عدة أشهر اعرب السناتور الامريكي ويليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي « عن مخاوفه من ان تلجأ الولايات المتحدة الى استخدام اسرائيل وايران في عمل عسكري ضد الدول العربية المنتجة للنفط». (الاخبار المصرية ٢٤ أيار ١٩٧٣) . وفي حين نفت وزارة الخارجية الامريكية ذلك ، فقد شنت الصحف الامريكية هجوما عنيفا عليه ووصفته بأنه « يهذي منذ ان بدأ يدعو لتخلي الولايات المتحدة عن اسرائيل » (المرجع السابق) .

والحقيقة ان مخاوف السناتور الامريكي لم تكن بلا أساس ، فالحديث عن احتلال مصادر النفط كان يدور في واشنطن منذ سنوات عديدة (نيوزويك ١٠ أيلول ١٩٧٣) . وبديهي ان ليس بالامكان الحصول على تصريح امريكي رسمي عن رغبتها بالقيام بمثل هذا التدبير لان ذلك سيكون بمثابة اعلان الحرب على الدول العربية صاحبة العلاقة. ولكن يمكن القول ان السياسة الامبريالية عامة وخاصة السياسة الامريكية في المنطقة لم تكن ودية اطلاقا .

ومن أبرز خطوط هذه السياسة زيادة قوة ايران العسكرية وتزويدها بأحدث الاسلحة الغربية ، فلقد باعتها بريطانيا حوالي ٨٠٠ دبابة ثقيلة من طراز تشيفتن ، وباعتها امريكا ٣٢ طائرة فانتوم و٣٠ طائرة نورثروب ف ٥ بالاضافة الى ٦ اسراب تملكها حاليا ، بالاضافة لحوالي ٥٠٠ طائرة هيلوكبتر . هذا عدا عن الصواريخ والمدافع والزوارق الحوامة ، على الرغم من عدم وجود تهديد يستوجب كل هذه الاستعدادات .

وأعلنت الولايات المتحدة في الوقت نفسه عن استعدادها لتقديم السلاح لدول الخليج العربي « بكميات متواضعة » كما قال سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكي (ديلي ستار ٨/١٢/ ١٩٧٢) ، مؤكدة بذلك على دور ايران الرئيسي في « المحافظة على أمن الخليج » .

اما على مسرح الشرق الاوسط فالسياسة الامريكية فيه أكثر عدوانية ، وقد لخص الكاتب الاسرائيلي زئيف شيف (هآرتس ٧ آب ١٩٧٢) نتائج هذه السياسة حين اشار الى أن اسرائيل تتمتع الان بوضع استراتيجي ممتاز للاسباب التالية : ١ — وفاة الرئيس عبد الناصر ، ٢ — انقسام العالم العربي ، ٣ — انهيار الجبهة الشرقية ، ٤ — زوال فاعلية المنظمات الفدائية ، ٥ — شحنات الاسلحة الامريكية لاسرائيل ، ٦ — رحيل المستشارين السوفييت .

وتدين اسرائيل بكل هذه الاسباب تقريبا للولايات المتحدة الامريكية ، او « لاصدقاء » امريكا في المنطقة الذين آمنوا بالسياسة الامريكية ونفذوها ، على اساس انها الوحيدة القادرة على ايجاد مخرج لازمة الشرق الاوسط . ولم يحقق موقف الدول العربية هذا أية نتائج ايجابية للقضية العربية ، بل ان الولايات المتحدة واسرائيل اعتبرت هذه المواقف انتصارات لهما ، فازداد صلف حكام اسرائيل ، وتصاعد الدعم الامريكي لهم على كل الاصعدة . وتمثل ذلك على الصعيد السياسي باستخدام حق النقض يوم ٢٦ تموز ١٩٧٣ في الامم المتحدة لمنع ادانة اسرائيل بسبب عدم تنفيذها لقرار مجلس الامن ، كما تمثل على الصعيدين العسكري والاقتصادي في زيادة شحنات الاسلحة وتقديم المساعدات الاقتصادية والتقنية لها .

في أجواء هذه السياسة ومع بروز ازمة الطاقة في الولايات المتحدة وتصاعد احتياجاتها من النفط ، قررت الولايات المتحدة « مساعدة » المملكة العربية السعودية صاحبة أكبر احتياطي من النفط في المنطقة على زيادة انتاجها ، وكان طبيعيا ان لا تجد محاولة الزيادة هذه تجاوبا لدى الحكام السعوديين الذين صدمتهم السياسة الامريكية في الخليج بالتركيز على دور ايران . كما ان سياسة امريكا في الشرق الاوسط تسبب لهم احراجات كبيرة وتضعهم في موقف الدفاع امام الجماهير العربية ، ولقد دفع هذا الموقف الملك فيصل الى القول : « ان تأييد امريكا الكامل للصهيونية ضد العرب يجعل من الصعب جدا علينا مواصلة تزويد الولايات المتحدة بحاجاتها من البترول ، وحتى الابقاء على علاقاتنا الودية معها » (النهار ١٩٧٣/٩/١) ، ومن المؤكد ان الملك فيصل لا يستطيع مواصلة مصافحة اليد التي تصفع العرب باستمرار . يضاف الى ذلك

الاسباب الاقتصادية المتمثلة في عدم احتياج الاقتصاد السعودي لزيادة عائداته من النفط لعدم قدرة خطط التنمية على استيعاب تلك الاموال ، ومخاطر تكديس الدولارات ، التي تنخفض قيمتها باستمرار ، في الخزينة السعودية في حين ان من الافضل ابقاء النفط ، الذي ترتفع قيمته باستمرار ، في باطن ارضه .

دفع الموقف الامريكي الدول العربية الاخرى الى اتخاذ مواقف حاسمة من المصالح الغربية والامريكية خاصة ، فأممت العراق شركة نفط العراق ، وأممت سوريا خط أنابيب الشركة ، وأممت ليبيا ٥١ ٪ من أسهم الشركات الامريكية والغربية ، بالاضافة الى تحديد ليبيا بكميات النفط التي تنتجها. وتجد الولايات المتحدة ان من الصعب عليهـا الخضوع للضغوط العربية ، ربما لان الامر قد يشكل سابقة خطرة ، وترفض التخلي عن سياستها الحالية في الشرق الاوسط . ومن هنا تتضح مخاوف السناتور الامريكي فولبرايت . فمن جهة تتعارض الاماني والحقوق القومية العادلة لدول المنطقـة تماما مع السياسة الامريكية مما يحول دون قيام اي تعاون بين الطرفين حتى مع الدول الصديقة للولايات المتحدة ، ومن جهة اخرى تزداد حاجة الولايات المتحدة بتصاعد مستمر للنفط العربي ، لذلك فمن الطبيعي ان يسفر هذا التعارض الذي يزداد اتساعا يوما بعد يوم عن تحول ما .

ولهذا السبب راج الحديث مؤخرا عن احتلال مصادر النفط ، اولا كحملة نفسية لمنع الـدول العربية من استخدام نفطها كأداة للضغط للحصول على مطالب سياسية ، وثانيا كأحد الحلول لازمة الطاقة الامريكية ، والذي يعني تنفيذه ببساطة العودة الى الاستعمار القديم . أي العودة الى مرحلة قاتمة من المراحل التي اعتقد العالم انه تجاوزها ، وما زال يسعى جاهدا لتصفية باقي آثارها .

والحقيقة ان القيام بمغامرة عسكرية لاحتـلال منابع النفط هو عمل تكتنفه الصعوبات ، الا ان الدوافع لتنفيذه تبقى قوية . وسيستهدف السعودية او الكويت او ابو ظبي او ليبيا ، او بعض هذه الدول او كلها ، على اساس انها تملك الاحتياط الاكبر من النفط ، كما انها دول لا تملك القـوة العسكرية الكافية لمقاومة عدوان واسع النطاق . وفي حين يستبعد قيام اسرائيل بدور رئيسـي في العملية نظرا لبعدها عن آبار النفط فان ايران تبدو مرشحة لتولي هذا الدور في منطقة الخليج ، ولا بد للولايات المتحدة ان تقوم باحتلال ليبيا بنفسها . وهناك احتمال كبير في ان يفشل الجيش الايراني بذلك لانه يفتقر الى التفوق الساحق على قوى المنطقة، « ١٥٧ الف جندي في العراق والسعودية وابو ظبي والكويت مقابل ١٦٠ الف جندي لـدى ايران و٣٠٠ طائرة لدى الدول المذكورة مقابل ١٦٠ لدى ايران (الارقام تقريبية) » ، خاصة بوجود القوات العراقية والدعم السوفياتي للعـراق واحتمالات التهديد السوفييتي لحدود ايران ، أضف الى ذلك انه يفتقر الى دوافع هذه الحرب ، التي سيزداد تنبها لها اذا ما واجه مقاومة حقيقية . لذلك فان أقوى الاحتمالات هي في ان تتبع الولايات المتحدة تكتيك قناة السويس عام ١٩٥٦ ، بافتعال ازمة في الخليج والتدخل بعد ذلك « لضمان أمن المنطقة » . ولا شك في قدرة الولايات المتحدة ماديا على احتلال منابع النفط ، ولكن العبرة ليست في القدرة ، بل في تحقيق أهداف هذا الاحتلال ، وهي زيادة انتاج النفط ، وهو امر مشكوك في امكانية تحقيقه دون التعاون مع شعوب المنطقة وحكوماتها.

والحقيقة ان القيام باحتلال آبار النفط هو أخطر عمل يمكن ان تقدم عليه الولايات المتحدة . فهـو سيقوض مكانة الولايات المتحدة امام اصدقائهـا حين تقوم باحتلال بلد انتهج ، وحتى فترة قريبة ، سياسة صديقة تجاهها ، وسيثير ردود فعل قوية في الاوساط الدولية خاصة في الدول التي لهـا علاقات اقتصادية قوية مع الدول التي استهدفهـا الاحتلال ، وفي داخل امريكا بالذات . ومن جهة اخرى فسوف يقوى التيار الراديكالي في المنطقة ويعيد اليها اجواء العدوان الثلاثي على مصر ، ولكن بشكل أعنف وأقوى لان العدوان قد يشمل اكثر من دولة ، وستضرر نتيجة له عدة دول من الدول غير المعنية بالعدوان مباشرة .

اما ردة الفعل العسكرية على الاحتلال فسوف تختلف من بلد لآخر تبعا للاستعدادات العسكرية والاستعداد الجماهيري للنضال حتى بعد الاحتلال. لان باستطاعة مجموعات صغيرة من المقاتلين القيام بعمليات تخريب لتدمير أنابيب النفط ومنشآتـه السريعة الاشتعال ، وبعرقلة نقل النفط بعمليات تخريب تستهدف ناقلاته مثل قصفها بالصواريـخ الموجهة المضادة للدبابات (من طراز فيجيلانت البريطانية مثلا) او بالمدافع عديمة الارتداد (ب ـ

١٠ ، ١٠٦ مم ، ٧٥ مم) والتي تتوفر بكثرة في منطقة الخليج وليبيا وهي أسلحة بسيطة ومؤثرة في الوقت نفسه*. ولا بأس ان نذكر هنا ، ان تدريب وحدات فدائيين صغيرة تتمتع بروح قتالية عالية ، وقادرة على القيام بعمليات تخريب بمعدات مناسبة تستطيع احباط أهداف العدوان أكثر من الطائرات الحديثة المتطورة او الدبابات التي تستطيع قوى العدوان تدميرها بضربة مركزة واحدة.

اما الاحتمالات الاخرى فهي ان تلجأ الولايات المتحدة الى تكتيك المخابرات الامريكية ، أي الى الانقلابات والحكومات الدمى . ويبدو هذا الاحتمال صعب التنفيذ ايضا . فليس في السعودية او منطقة الخليج قوى معارضة قوية تصارع للوصول الى الحكم . كما ان كون السلطة وراثية ومحصورة ضمن عائلات مترابطة يمنع القيام بذلك ، والحال كذلك في ليبيا باختلاف كون الحكم ليس وراثيا .

وكما يتضح تبدو الازمة مغلقة امام السياسيين الامريكيين ، وليس هناك من حل ، حتى الحلول « السلمية » مثل ايجاد مصادر اخرى للطاقة تبدو صعبة المنال في الوقت الحاضر . وهذا ما يرجح قيام الولايات المتحدة بمغامرة عسكرية اذا ما أصرت على سياستها الحالية المعادية للعرب والموالية لاسرائيل وضربت بكل القيم التي تبلورت في عالم اليوم عرض الحائط ، واطمأنت الى قدرتها في السيطرة على المنطقة ، واذا ما تمسكت الدول العربية المنتجة للنفط بموقفها الحالي .

هـ . ع .

---

* لا بد هنا من الاشارة الى ان قذائف ربج — ٧ لا تصلح لمثل هذه المهمات لاسباب فنية .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٩٧٣/٨/١٤ — ١٩٧٣/٩/١٣

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	٨/١٤	٣،٣٠	القدس/شارع الزهراء	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مطعم واصداع المبنى واشعال النيران فيه	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٤	٨/١٧
٢	٨/١٤	مساء	طيرة الكرمل(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مقر نادي الشباب الصهيوني والحاق اضرار بالبنايات المجاورة	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٥	٨/١٧
٣	٨/٢٢	—	تل ابيب/شارع بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مطعم للعدو في شارع بتاح تكفا رقم ٧٨ .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٦	٨/٢٢
٤	٨/٢٤	—	القدس/شارع هاشومير(٢)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير احدى البنايات في منطقة شاكونات بيت هاكيرن.	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٧	٨/٢٤
٥	٨/٢٥	—	القدس/حائط المبكى(٣)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مجمع للمواد الاثرية الخاصة في حفريات حائط المبكى قرب بوابة المغاربة واشتعال النيران فيه .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٨	٨/٢٥
٦	٨/٢٧	—	كفرالما/الجولان	كمين	أسلحةرشاشة وقذائف صاروخية	قتل افراد الدورية	قصف مجنزرة وتدميرها	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٩	٨/٢٨
٧	٨/٣٠	٣،٣٠	ابوخيط وابوزينون/ الجولان	قصف	مدفعية الهاون الثقيلة	غيرمحدد	اصابة مواقع للعدو	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٠	٨/٣١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٨	٨/٢٦	—	أسدود	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مجمع الضغط العالي الذي يزود اسدود بالكهرباء .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧١	٩/ ١
٩	٨/٢٩	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير معظم محتويات أحد مصانع النسيج وامتداد النيران الى مستودعات الخيوط واصابة مبنى المصنع بأضرار .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٢	٩/ ٢
١٠	٩/ ٥	٢٤٠٠	جنين/الجولان	قصف	مدفعية الهاون الثقيلة	غيرمحدد	قصف موقع عسكري للعدو	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٣	٩/ ٥
١١	٩/ ٤	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مطبعة وحرق مستودعات الورق فيها .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٤	٩/ ٧
١٢	٩/ ٦	٩،٣٠	رامات جان	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من استديوهات المعهد العالي للسينما والفنون واشتعال النيران فيها .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٥	٩/ ٧
١٣	٩/ ٦	—	بني براك/شمال شرقي تل ابيب(٤)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير محلات كل شيء في شارع ريشي عكيفا واصابة المبنى باضرار .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٦	٩/ ٧
١٤	٩/١٠	—	القدس/سوق محنا يهودا(٥)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير قسم من مقر لمخابرات العدو	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٧	٩/١٠

١ ــ اعترف العدو بهذه العملية ، راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » عدد ٢٩٧ ، ص ٥٢٣ ، تاريخ ١٩٧٣/٨/١٦ .

٢ ــ اعترف العدو بانفجار العبوة الناسفة في حي « بيت هاكيرن » بالقدس راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » ، عدد ٣٠٤ ، ص ٥٩٤ ، بتاريخ ١٩٧٣/٨/٢٤ .

٣ ــ ادعى راديو العدو بان النيران اشتعلت بالقرب من بوابة الاسباط في سور مدينة القدس القديمة فجر يوم ١٩٧٣/٨/٢٥ بكوخ يستخدم لتخزين المخطوطات المستخرجة من حفريات حائط المبكى . راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » ، عدد ٣٠٦ ، ص ٦٠٣ ، بتاريخ ٢٧/٨/ ١٩٧٣ .

٤ ــ اعترف العدو بان الحريق الذي شب قدرت اضراره بحوالى ٣٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية كما اجلي من جراء الحريق عدد من المنازل المجاورة لمكان الحريق ، راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » العدد ٣١٥ ، ص ٦٩٠ ، بتاريخ ١٩٧٣/٩/٦ .

٥ ــ ادعى العدو بانه القيت في القدس الشرقية في شارع هجاي قبل ظهر يوم الخميس ١٩٧٣/٩/٦ قنبلة يدوية « ولكنها لم تنفجر ، وقد فجرها خبير شرطة القدس بعد ذلك ولم يصب احد بأذى كما لم يحدث أي ضرر . وقال الناطق بلسان شرطة القدس ان القنبلة اليدوية القيت في الساعة الحادية عشرة واستقرت بين رجلي شخص كان يجلس في احد المقاهي في الشارع المذكور ، وهرب الناس الذين كانوا بجواره » . نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » العدد ٣١٦ ، ص ٦٩٨ ، بتاريخ ١٩٧٣/٩/٧ .

ملاحظة : ــ تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .
ــ تصدر نشرة رصد اذاعة اسرائيل يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

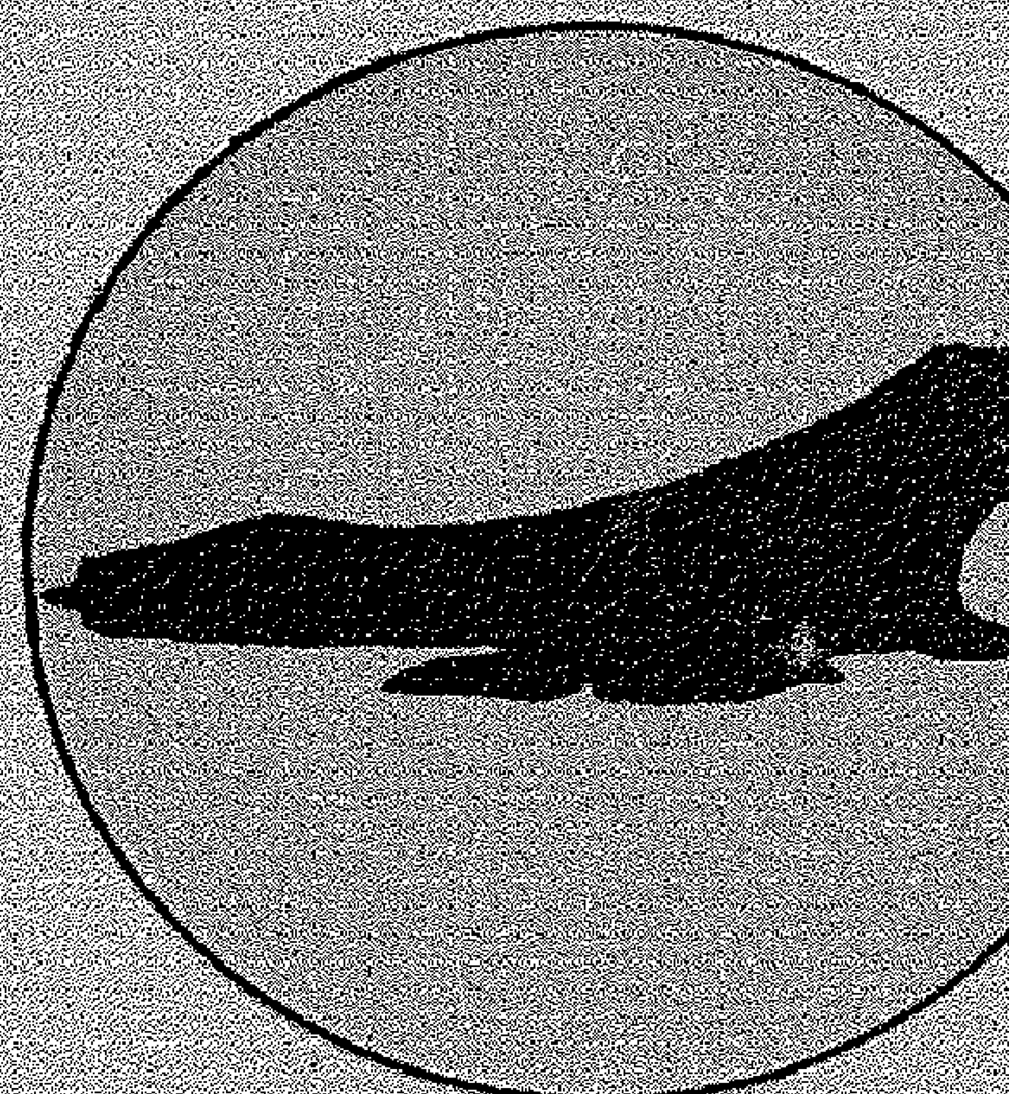
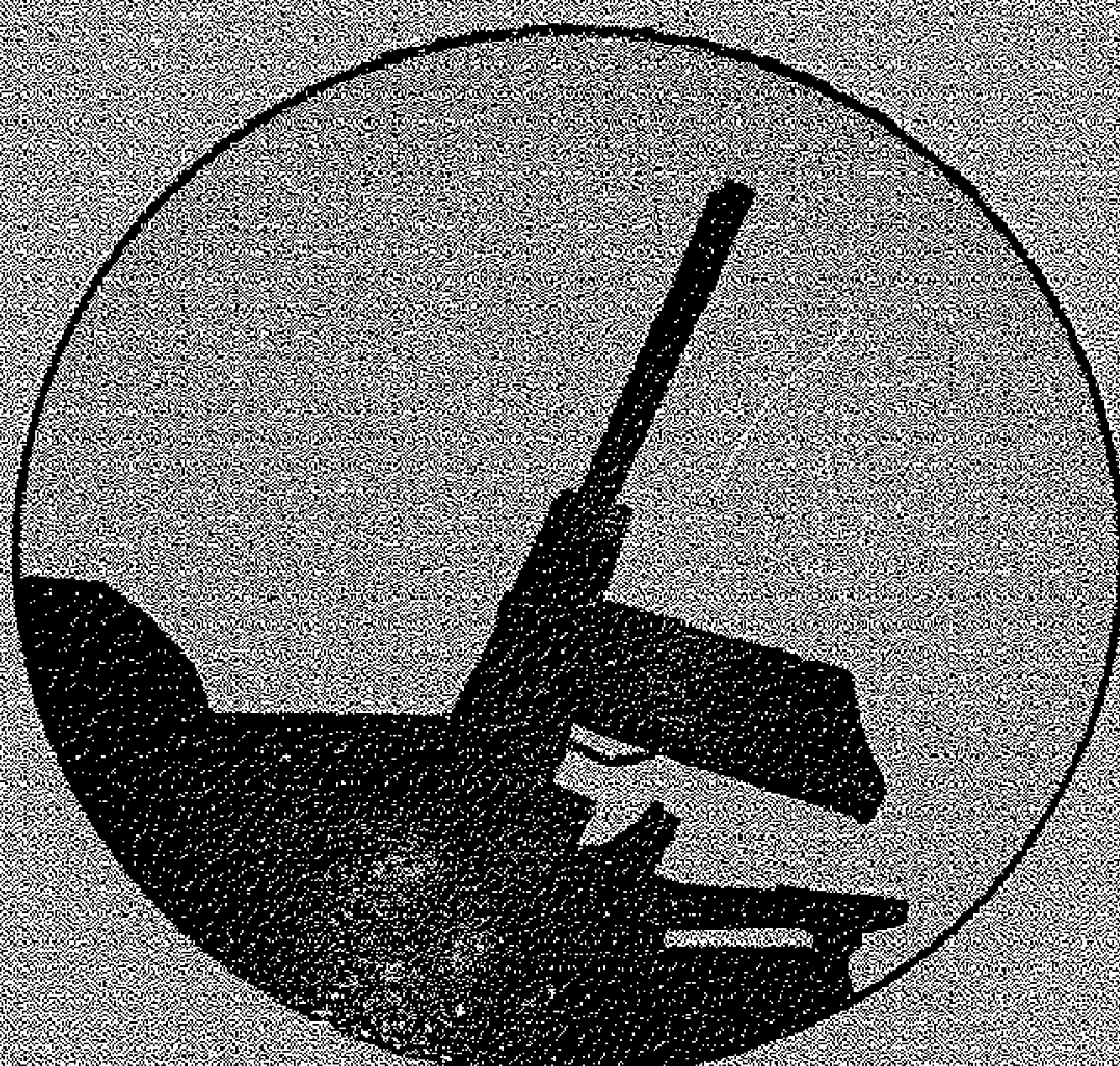
Palestine Affairs

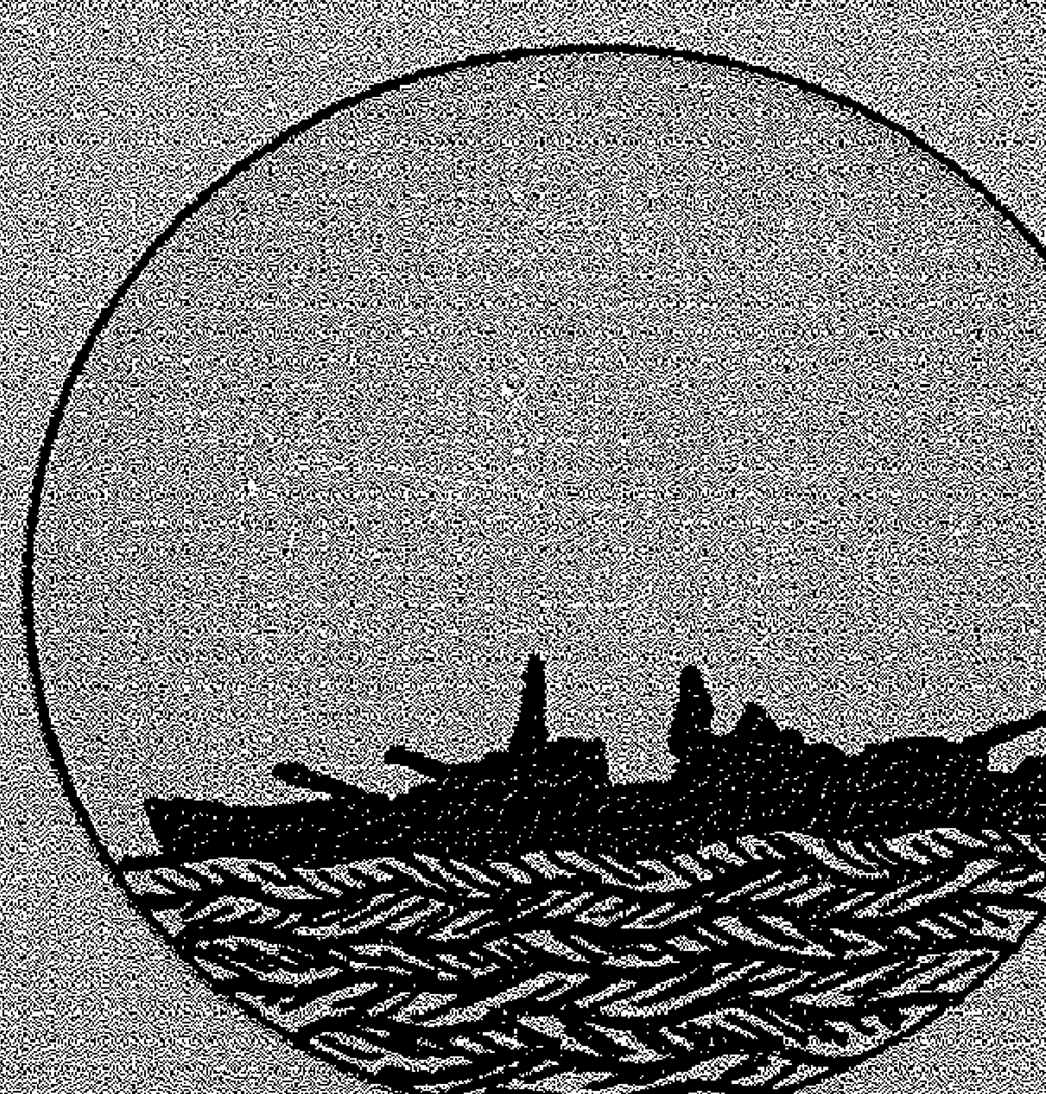
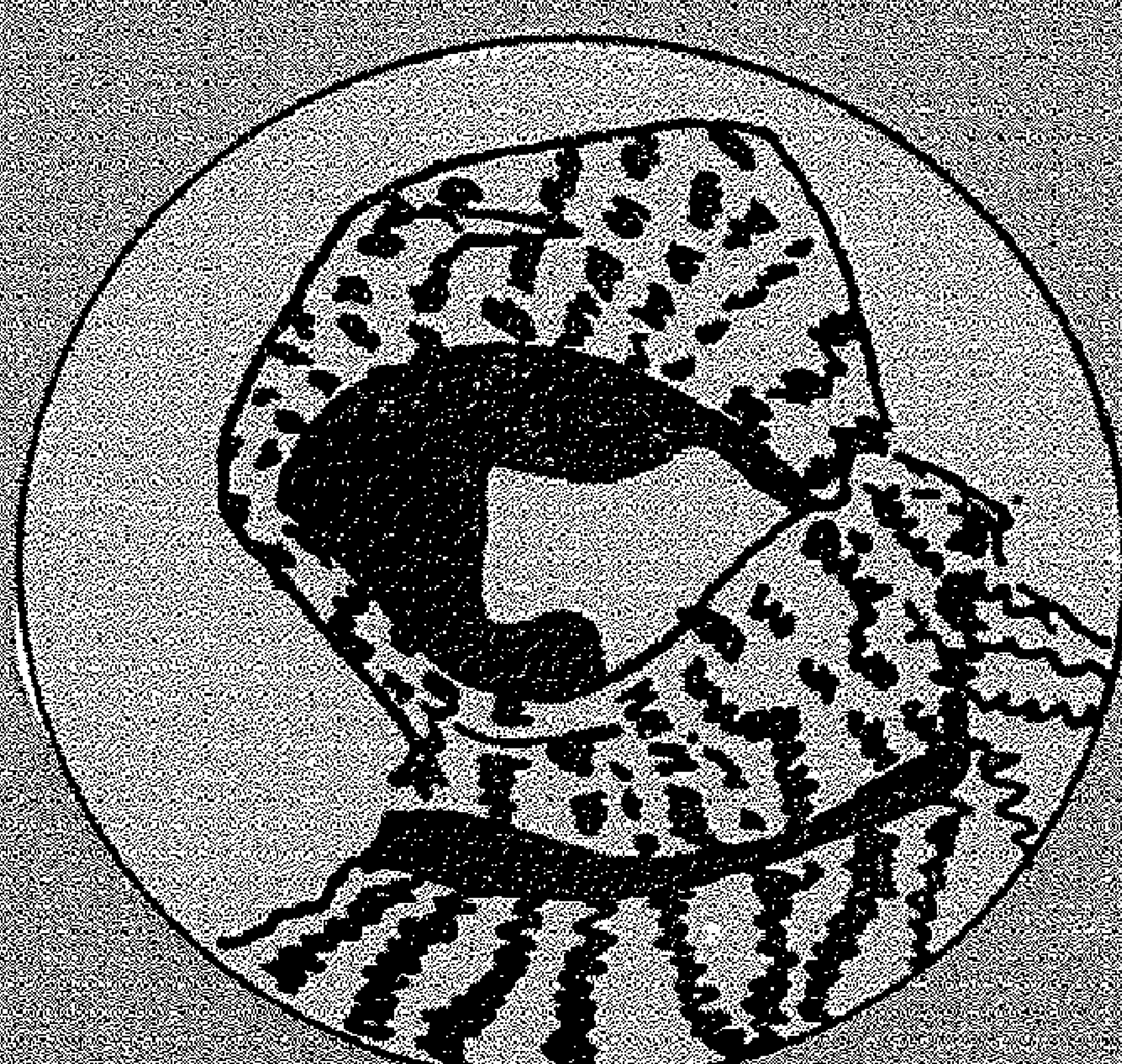
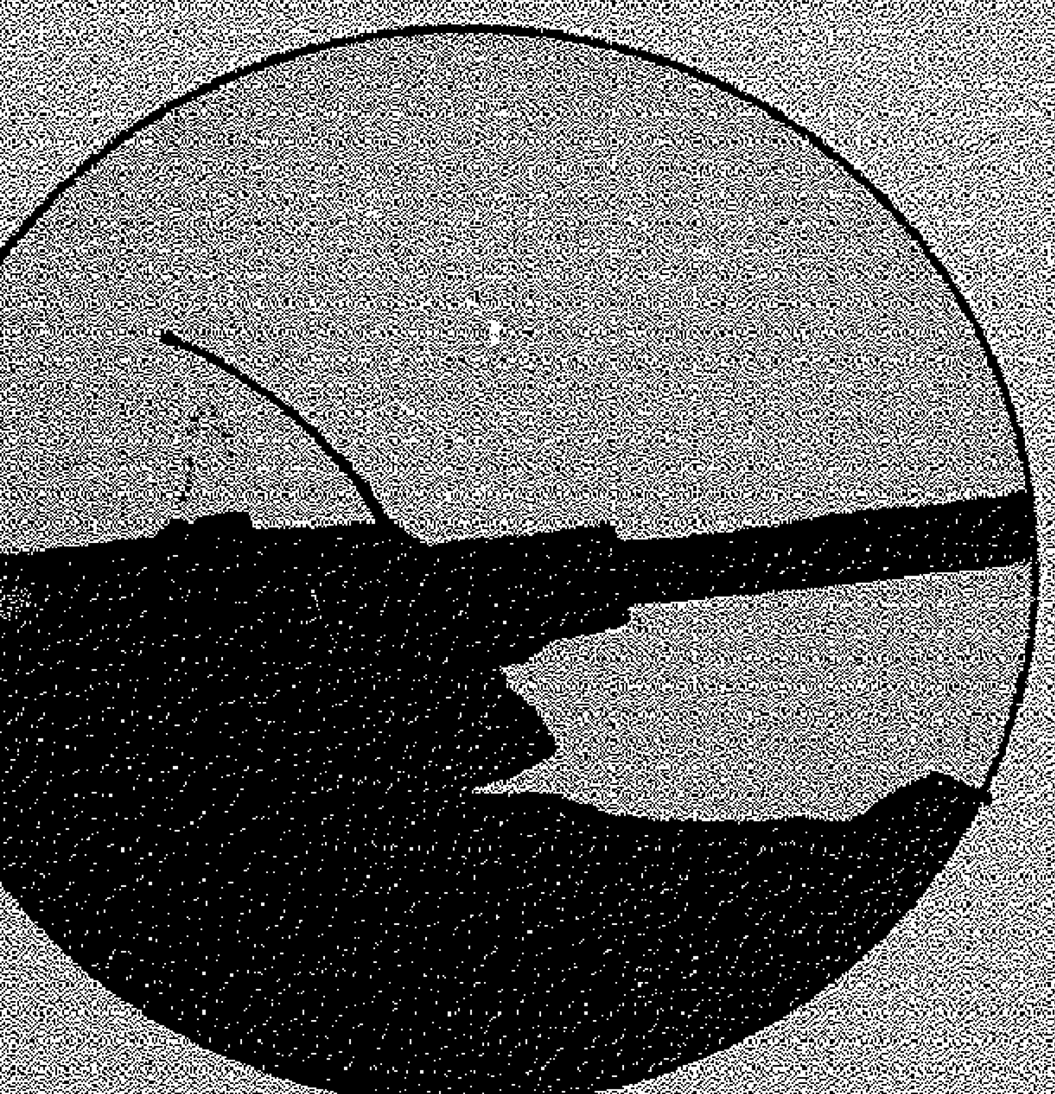
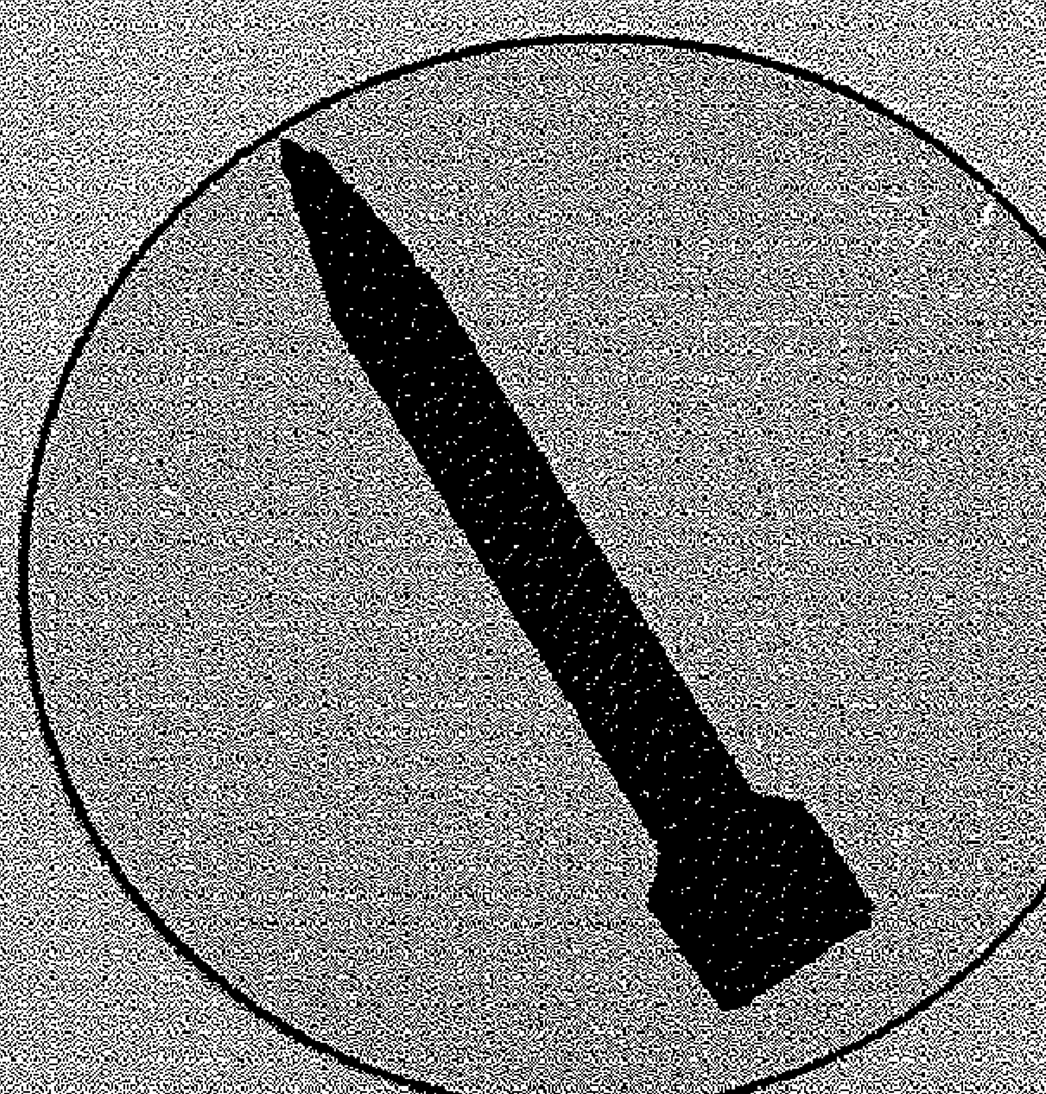
Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail) : Countries outside the Arab World LL. 45. *Address :* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢١/٢ ل.ل. في لبنان
٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

شؤون فلسطينية

٢٧
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢½ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

شؤون فلسطينية

تبدو الكلمة صغيرة امام الرصاص . ويبدو الكلام ترفا ، واحيانا اسرافا ، امـــام القتال . ويبدو التحليل والتعليل والنقـــاش هزيلا امام الاحداث التـــي تفرض نفسها على التاريخ . ومع هذا يحاول القلم ان يسهم ، وهو يعرف حدود المجال الضيق الذي يستطيع ان يتحرك فيه ، بمعركة خاضها المقاتل العربي بشرف وعزة ، وسقاها دما زكيا وعطاء كريما . لانه يبقى على القلم واجبات ومهام معينة : فهو مدعو ان يسجل الاحداث ، وما حفلت به من بطولات وانجازات ، كما هو مدعو ان يشارك في فهم دروس الماضي لرسم خطوط المستقبل . ولعل هذه المهمة المزدوجة لا تبلغ عادة الصعوبة التي نقاسي منها حاليا ، أي ونحن في وسط المعركة ، وعلى ابواب تحولات اساسية في النفسية ، وفي السياسة والعلاقات والمفاهيم ، العربية .

من هنا كانت حيرة رئاسة تحرير شؤون فلسطينية وهي تخطط لعدد الحرب هذا . انخصصه لتمجيد النصر (النصر الذي انجزناه منذ اللحظات الاولى ، أي منذ ان تغلبت ارادة القتال وعبَّرت عن نفسها بتحرير جزء من الارض المحتلة) وكأن امتنا عاجزة فاجأها النصر فلم تعد تدري كيف تقبله وتحتفظ به وتعلنه ؟ أم نخصصه لتفسير التطورات وشرح الاحداث ، وكأن الكاتب يرى ، بالضرورة ، اكثر وابعد مما يرى القارىء ؟ أم نخصصه للاطلالة على المستقبل ، وكأن الامور انتهت واصبح من الممكن الجزم بمـــا سيحصل او لا يحصل ؟ ان أيا من هذه المهام لن يكون ، لوحده ، هو المتوقع من كتّاب المجلة في هذا العدد بالذات ، لان مواد البحث لا تزال ناقصة وفي طور التكوّن .

بدل هذا او ذاك ، تحاول شؤون فلسطينية ان تقدم ، في هذا العدد الخاص ، تقارير متواضعة عن بعض ما حصل ، كتبت تحت وطأة الاحداث ، وجمعت موادها ومصادرها ووثائقها بقدر ما تسمح به الظروف . لذلك من المهم ان نلفت نظر القارىء الى ان الاغلبية الساحقة من مواد العدد انما وضعت في فترة اسبوعي القتال الاولين (الاسبوعان الثاني والثالث من اكتوبر) وان طباعة العدد كله جرت في مدى اسبوع واحد فقط ، هو الاسبوع الرابع من الشهر نفسه . ولا شك ان التســـجيل الامين للاحداث ، والنظر الصحيح في معانيها ، والتصور الناضج لمستقبلها ، انما هو ما يأمله القارىء في الاعداد القادمة من مجلتنا ، وهو ما نأمل ان نحققه .

انيس صايغ

على هامش البداية

محمود درويش

لعل بعض الكتاب العرب قد بلغ حد المبالغة في توجيه الاهانة الى أمته عندما كان يمجدها . فان حصر مفهوم انبعاث الامة او عودة الروح — كما هو شائع القول الآن — في معنى واحد هو الجراة على مجرد اطلاق النار على العدو هو اعلان عن مدى فقر الامة التاريخي من جهة ، ووضع الرصاصة مقياسا وحيدا لاصالة الامة العربية وحضارتها .

ليس هذا مجال البحث عن معنى مفهوم انبعاث الامة ودور حروب التحدي فيه . ولكن يجب الاسراع في القول ان هذا المقياس الوحيد الضيق حتى الخنق كان نجاحا صهيونيا في نقل عدوى دائها التاريخي الى نفوس البعض منا. وان أحد محتويات المعركة التي نخوضها الآن ضد العدو هو القضاء على بطلان هذا المقياس الوحيد الذي نجح في اقامة الكيان الاسرائيلي من ناحية ، وعبأ هذا النجاح بمقومات فشله التاريخي من ناحية أخرى .

ومهما تكن نهاية المعارك العسكرية التي تحمل من الجانب العربي ما هو أعمق بكثير من المعنى العسكري ، فان معادلة النجاح — الفشل الذي تنطوي عليه التجربة الاسرائيلية ستتعرض لمناقشات فكرية ، داخل كيان العدو ، كان يعتبر مجرد طرحها تطاولا على قدس أقداس الصهيونية ايديولوجية وممارسة .

قد تكون هذه الحرب انبعاثا للامة العربية وتجديد روحها اذا كانت بداية عربية ، ونهاية اسرائيلية في آن واحد .

اننا نسرع ، على ما يبدو ، الى نفض أيدينا من كارثة حزيران . وأكثر من ذلك اننا نحاول اسقاطه من التاريخ . وليست هذه الظاهرة غير تعبير عن الروح التبريرية المتأصلة في فكر الكثيرين منا . سيسعى البعض الى البرهنة على أن حزيران لم يكن أكثر من شهر طارىء على الاعوام العربية . وسيسعى البعض الى البرهنة على ان حزيران لم يكن نتاج خلل أو خطأ في بنية حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية. وبذلك نستوحي من مجرد الجراة على اطلاق النار على العدو دليلا على شرعية أخطائنا التي كانت من اسباب هزائمنا . وهذا يشكل ، بحد ذاته ، اتجاها منافيا لاتجاه انبعاث الامة .

البداية الجديدة التي تطمح الامة العربية الى أن تنضج اثناء الحرب ، وتتجسد في اعادة النظر بأنماط حياتنا على كافة المستويات وفي كل الميادين ، والتي تنطوي على التنازل عن أفكار قديمة وقناعات خاطئة — هذه البداية الجديدة هي التي تغني روح الامة وتثريه بتعامل جديد مع العصر ، ولا تعيد الروح الى الامة ، لان الامة في ذروة مآسيها وكوارثها لم تفقد الروح .

هذه هي البداية الجديدة التي تتشكل اثناء تجربة الجماهير العربية في خوض معارك

التحدي الكبرى . وهي لا تعنـي الانطلاق من الصفر . فلم يكـن ماضينا ، في أدنى مستوياته ، صفرا . ولكن البداية قد تعني التنازل عن الفكر والاسلوب اللذين جعلا نهوض الامة بطيئا الى هذا الحد ، وتعني هضم واستيعاب طرائـق تفكير وممارسة جديدين ينسجمان مع متطلبات العصر الجديد .

وقد لا نبالغ اذا سجلنا ان تحدي ربع القرن الذي مارسه العدو الصهيوني ضدنا ، بكل ما يمثله ، قد جعل بعض العرب يسعى الى محاولة النسخ عن العدو ، بحجة ان السلاح الذي انتصر به العدو ، هو السلاح الوحيد الذي نهزم به العدو . أعني بالسلاح هنا التجربة . مثلا : ان كون اسرائيل مجتمعا عسكريا قد أتاح لبعضنا الحق في ترسيخ الروح العسكرية في حياتنا المدنية . وان كون اسرائيل قامت على دعوة دينية لاستقطاب يهود العالم . أو كونها دينت السياسة ، وسيست الدين ، قد أوحى للبعض فرض الدين ــ بمعناه الحرفي ــ على كل شيء فينا حتى أصبح في بعض الاحيان نقيضا للعلم . وان كون اسرائيل تستمد مقومات بقائها وقوتها من الدولة الاستعمارية الاقـوى : مرة بريطانيا ، ومرة فرنسا ، ومرة الولايات المتحدة الامريكية ، قد دفع البعض الى محاولة خوض المنافسة مع اسرائيل على كسب ود اميركا ، على اعتبار ان العالم العربي اكثر ضمانا للمصالح الأمريكية من اسرائيل الصغيرة . باختصار ، استطاع العدو أن ينقل الى البعض منا عدوى أمراضه المزمنة التي منحته خديعة الانتصار ، وستعطيه واقع الهزيمة في الحساب التاريخي البعيد .

ان التحدي العربي لاسرائيل وما تعنيه يحمل مضامين أعمق من معركة عسكرية . انه يحمل نواة ثورة حقيقية تعيد الى التاريخ العربي المعاصر شبابه ومكانته التي لا حد لها اذا تحررت امكانياته وموارده ومفاهيمه في العالم الحديث .

هذه هي البداية العربية التي تتكون في الحرب ضـد الغزو الاسرائيلي وينبوعـه الاميركي . وحين تتجسد هذه البداية العربية ، تتشكل في الوقت ذاتـه بداية النهاية الاسرائيلية .

ليس بوسع أحد ، الآن ، أن يستشرف النهاية العملية العسكرية والسياسية لهذا الصراع المسلح . ولكن يمكن للرؤية التاريخية ان تلمح وصول التجربة الاسرائيلية الى حافة الفشل . وقد يبدو ، للوهلة الاولى ، أن العرب يدافعون الآن عن خسارة ــ اذا اعادوها ــ فانهم يعودون ست سنوات الى الوراء وهو تاريخ الخسارة . وليس هذا الانطباع سليما ، لان عودة ست سنوات الى الوراء في المفهوم الجغرافي تعني قفزة تاريخية كبرى في المفهوم السياسي وفي الصراع الفكري مع العدو .

لنسأل اولا : عم يدافع العدو منذ السادس من اكتوبر الماضي ؟ لماذا يدفع كل هذا الدم من أجل أرض محتلة . لقد امتلأت القناعة الاسرائيلية بأن « فلسطين لها » ، ولكنها لم تبلغ هذا الحد من القناعة بأن الجولان وسيناء أرضها . من هنا قـد يطرح سؤال محايد : لماذا لا تخضع اسرائيل للضغط العربي والعالمي وتنسحب من الاراضي العربية مكتفية بالاراضي الفلسطينية وترتاح ؟ وقد يطرح سؤال محايد آخر : ألم تشكل الضربة العربية الاولى في السادس من اكتوبر برهانا كافيا لاسرائيل علـى أن حدود الامـن الجغرافية قابلة للتحطيم ؟ فلماذا لا تبحث عن أمن آخر ؟

وبغض النظر عن حجم المطامح الاسرائيلية ، الاقتصادية والعسكرية ، التي تدفعها الى الاحتفاظ بهذه الارض العربية التي تسفك عليها كل هذا الدم والمال ، فان احتفاظ اسرائيل بهذه الارض يحتشد بمعان كثيرة ، بحيث صار التخلي عن الارض يعني لهـا تخليا عن فلسفة وجود ومبرر كيان وقاعدة عقيدة . ان اسرائيل تعتبر ان خط الدفاع الاول عن تل أبيب هو قناة السويس . ولقد كان من نتائج النصر الاسرائيلي الرخيص في

معارك حزيران ترسيخ عدوانية الصهيونية وشرعيتها ، في نظر الاسرائيليين ، وفي الوقت ذاته ايصالها الى الباب المسدود ، وعجزها عن حل معضلات سياسية وامنية طرحها واقع الاحتلال ، وكان الفكر الاسرائيلي يتحايل على حلها مستمدا من خداع الصمت العربي برهانا على سلامة التطبيق والاطمئنان الى « الحق » الذي يكرسه سلاح القوة. ولعل الفترة التي سبقت حرب السادس من اكتوبر تميزت ، في الواقع الاسرائيلي ، بمطارحات فكرية هامة مست جوهر الايديولوجية الصهيونية والنموذج الاسرائيلي الذي يجسدها . كانت الصهيونية تقول ان هدفها الاساسي هو اقامة دولة يهودية في فلسطين. ولقد طبقت هذا الهدف . ولكن امتلاء المعدة الاسرائيلية ، وبالذات بعد ٦٧ ، بأراض ظنت انها قادرة على هضمها ، وبعدد كبير من السكان العرب الذين عجزت عن هضمهم بسبب خوفها من فقدان الطابع اليهودي للدولة طرح على القيادة السياسية الاسرائيلية معادلة شاقة : كيف يمكن المحافظة على التفرد اليهودي مع وجود حوالي مليون عربي ؟ لقد حاولت اسرائيل حل المعادلة بطرد سكان الارض الاصليين من أرضهم ، غير أنها عجزت عن تحقيق ذلك ، فوجدت نفسها مضطرة الى خلع الحياء المصطنع عن حقيقتها ، والكشف عن جوهرها الاستيطاني الكولونيالي . وهل تستطيع الصهيونية تقديم حل آخر ؟ لقد صار التنازل عن الارض المحتلة وعما تعنيه بالنسبة للاسرائيليين من فرصة للاستيطان ، وخلق قاعدة أمتن للتحكم الاقتصادي والسياسي بالمنطقة ، وتحويل اسرائيل الى دولة كل اليهود ، صار التخلي عن ذلك تخلياً عن مبدأ وعقيدة وايديولوجية .

ان اسرائيل تحارب دفاعا عن « صحة » عقيدتها وهي أن التطبيـــق الصهيوني في المنطقة هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية . وتخشى من أنه اذا وقع شرخ في هذه العقيدة قد يتسع هذا الشرخ الى هوة تفقد معها اسرائيل مبرر وجودها ، اذ أن كونها قابلة للكسر والهزيمة — حتى لو كانت جزئية — يعني ان قانون قابلية الشعوب للهزيمة والنصر قانون يسري على الاسرائيليين أيضا . وهو ما تحرص اسرائيل على تلافيه .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن « دولة » عادية في المنطقة . انها تحارب دفاعا عن « دولة » خاصة مؤهلة للتسلط السياسي والاقتصادي ، لان كونها عادية قـد يجعلها قابلة للذوبان فيما حولها من ناحية وقد يضعف من حرص الامبريالية العالمية على تغطيتها وتدليلها .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن « حق الاجداد » في فلسطين . ولكنها تحارب دفاعا عن « حق » الجسد الغريب في الحياة بقوة وعن قدرته على ذلك . انها تريد ان تثبت أن خطأ تجربة الصليبيين مثلا لم يكن كامنا في التجربة ذاتها ، ولكن كان بسبب ضعف في التطبيق. وتريد أن تبرهن على أنها قادرة على الافلات من مصير الاخطـــاء التاريخية التي قتلت سوابق مشابهة .

واسرائيل لا تحارب دفاعا عن فرصة مواتية او عن بديل آخر قد يجعلها مقبولة في منطقة معادية . انها تدافع عن باب مسدود .

ان المناقشات التي كانت تدور في اسرائيل بين « الحمام » و « الصقور » تتلخص في خلاف بين اتجاهين : اتجاه يسعى لتأمين احسن السبل لضمان مستقبـــل اسرائيل . وتنحصر هذه السبل في أن تكون اسرائيل دولة يهودية ذات تفرد يهودي مكتفية بعدوانها القديم على فلسطين دون مد يد العدوان الى المزيد من الارض العربية . اي أنهم يرون ان تكون اسرائيل دولة عادية . أما الاتجاه الثاني فيرى ان تتحول اسرائيل الى دولة غير عادية ، قوية ، ذات جبروت وسطوة ، واسعة ، منتفخة ، وحليفة دائمة لاعداء شعوب المنطقة . وقد انتصر هذا الاتجاه . ومن هنا ، فان اسرائيل ، الى جانب دفاعها عن عدوانها القديم ، فانها تدافع عن حجم الاقوى ودور السيد في المنطقة . ومن هنا ، تركز

الجهد الاسرائيلي والصهيوني العالمي والاميركي في اعطاء مسألة الامـــن الإسرائيلي الاولوية والقدسية ، لانه الضمان الوحيد لحماية وتعزيز الدور والحجم اللذين تريد اسرائيل ان تلعبهما في المنطقة ، بحيث تحولت هذه المسألة الى المقياس الوحيد لصحة التجربة الاسرائيلية او فشلها والى القناعة الاسرائيلية التي لا تناقش . فاذا ما برهن العرب للاسرائيليين على أن سياج الامن الاسطوري قابل للانتهاك ، فان شظايا الانفجار تصيب العقيدة والدور والحجم في الصميم .

كان البروفيسور الاسرائيلي المتدين يشعياهو ليبوبتش قد حذر من أن السعي الى تأسيس امبراطورية اسرائيلية، اعتمادا على الايمان الاسرائيلي بأن قوته لا تقهر سيؤدي الى سقوط اسرائيل « كيف سنعيش في الفترة الطويلة التي حكم علينا فيها ان نعيش في حالة خطر حرب دائمة ؟ وما سيكون عليه شكل الدولة اليهودية التي ستضطر الـــى الدفاع عنها بضحايا كثيرة . ان العرب سيتقنون مهنة القتال كما اتقنهـــا الجزائريون والفيتناميون » . بالاضافة الى خوف هذا المفكر الاسرائيلي من اتقان العرب لمهنة القتال ووضع اسرائيل في حالة خطر حقيقي ، فانه يخشى فقدان الطابع اليهودي لاسرائيل ، وهو المبرر الكلاسيكي لانشائها : « ان وضع مليون ونصف مليون عربي ضمن السلطة اليهودية معناه ضعضعة الماهية البشرية اليهودية للدولة وتدمير المبنى الاجتماعي الذي بنيناه ، وعزل الدولة عن الشعب اليهودي في العالم وعن التراث اليهـــودي . ولن تستمر السلطة اليهودية في البقاء فيها الا اذا تحول نظامها الى نظام مشابه لنظام البيض في روديسيا » .

ان كثيرين من المفكرين ، يهود وغير يهود ، قد رأوا منذ مدة طويلـــة ان التجربة الاسرائيلية شذوذ عن مجرى التاريخ ، وستثبت الايام بطلانها . ولكن اسرائيل كانت ترد على هذه الآراء باللجوء الى الواقع الذي تعتبره ناجحا ، وهو أن اسرائيل لا يمكن أن تتعرض الى خطر مميت ، لانها قلعة لا يمكن اختراقها . وبمعنى آخر ، فان اسرائيل ببرهنتها على « شرعية » وجودها التاريخية كانت تحتكم الى مقياس واحد هو القوة العسكرية . وكانت بذلك تسهل المناقشة التي أغناها يوم السادس من اكتوبر الحالي ببرهان عملي بمثابة سابقة هو أن قوتها العسكرية قابلة للكسر . وهذا يعني ان تجربتها قابلة للفشل لانها لا تقوم على حق وانما تقوم على شيء قابل للكسر .

من هنا يكون العرب ، بضربهم قوة الردع الاسرائيلية ، قد أثبتوا — مهما تكن نتائج المعارك — ان الحماية الاسرائيلية الوحيدة قابلة للاختراق في معارك اخـــرى ، وان الاسرائيليين لا يدافعون عن أفق ، بل يدافعون عن باب مسدود ، وانهم يكررون تجربة مسادة .

هكذا ، تكون البداية العربية — في المنظور التاريخي — بداية النهاية الاسرائيلية . ولكن من الواضح ان بداية النهاية لن تكون قصيرة .

ماذا بعد ؟

ـــــــــ الدكتور كلوفيس مقصود

نسجل هذه الخواطر فور صدور قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار بين القوى المتحاربة في الجبهتين المصرية والسورية . من هنا اصرارنا على تسميتها خواطر بدلا من ان نطمح الى ما هو اكثر مثل التحليل أو الرأي رغم ان الخواطر تشمل على البعض من التحليل والشيء من الرأي .

نضع هذه الحدود على ما سوف نسجله لان سرعة تعاقب الاحداث منذ السادس من تشرين الاول (اوكتوبر) ومن ثم الموافقة الدولية ــ خاصة بين العملاقين الكبيرين ــ على اعطاء صفة الاستعجال على وقف اطلاق النار تحول دون بلورة توجيه نهائي او حتى المبادرة برسم خطوط عريضة لما يجب ان نفعل . ولعل هذا التردد في اعلان الرأي هو بحد ذاته سمة من سمات المرحلة النضالية الراهنة وبالتالي فان ما نحن مقبلون عليه هو بدء مخاض عسير ومعاناة حقيقية تجيء دوما في اعقاب انجازات وآمال مبتورة .

هذا بدوره يعني ان القضية الفلسطينية مقبلة على مواجهات معقدة بعد ان تضاءلت مراحل المجابهات الصعبة . بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ بدت اسرائيل وكأنها قادرة على كل شيء وتبين للكثيرين من العرب ان السلوك المطلوب اتباعه يجب ان يكون محصورا في التقليل من مدى الخسائر وان نقنع بالممكن الحصول عليه . كان هذا المطلب السياسي انعكاسا لواقع ما بعد الهزيمة . فالهزائم العسكرية تولد عند غير الملتزمين نوعا من الواقعية الانهزامية ، لكن وسط هذا التدهور في الواقع القوي برزت الثورة الفلسطينية لا مجرد صمام أمان للحيلولة دون انهيار كامل للواقع القوي واستسلامه للذهنية الانهزامية فحسب بل كخميرة التمرد في الكيان العربي العام ووسيلة انضاج لارادة القتال في الساحة العربية بكاملها .

ظلت الثورة الفلسطينية تقوم بهذا الدور التصحيحي رغم كل محاولات الاحتواء والتطويق والتدمير التي تعرض لها افرادها واجهزتها ومؤسساتها ومخططاتها . هذا بالاضافة الى الحرب النفسية المتعددة الاوجه التي ووجهت بها من حيث جعلها تعيش وسط مناخ وكأن طموحاتها الفكرية والسياسية مستحيلة التحقيق وكأن ارادتها القتالية شواذ على القاعدة . الا ان الثورة ثابرت على ابقاء جذوة المجابهة المسلحة كالطريق الافعل والامضى لجعل اسرائيل ترضخ للمقررات الدولية وللارادة القومية . الا ان الالتباس بقي قائما فيما يتعلق بدرجة التطابق بين المقررات الدولية والارادة القومية . ولقد كانت التباينات والفروقات تبدو بين الذين جعلوا من المقررات الدولية نهاية المطاف للارادة القومية وبين الذين ارادوا وأصروا على كون الارادة القومية تكمن في التحرير الشامل . الا ان دعاة التطابق القومي ــ الدولي لم يسلموا بحتمية او نهائية هذا التطابق بل كونه مرحليا ومعبرا عن حقيقة ميزان القوى في المنطقة وبالتالي غير قابل للمزايدة عليه . من جهة اخرى اصر دعاة التحرير ان التطابق القومي ــ الدولي اذا ترجم الى وقائع جديدة في المنطقة فانه سوف يؤدي الى

اخراج الارادة القومية عن المشروعية الدولية المستجدة في المنطقة لان أية موافقة عربية تضفي بالضرورة الشرعية على أية تسوية محتملة .

ظل هذا الحوار داخل الاطار القومي قائما الى أن جاءت مصر وسوريا تعطي مصداقية كاملة لالتزامها المعركة وسيلة لاسترجاع الحقوق القومية . ولم يكن هناك شك مطلقا في أذهان الناس على ان اهداف المعركة التي خاضتها مصر وسوريا كانت محدودة بحيث انها أرادت ايجاد تعديل في المعادلات العسكرية التي من شأنها تعجيل استجابة اسرائيل لبندي الانسحاب والحقوق الفلسطينية كما وردت في قرار مجلس الامن ٢٤٢ . ان هذه الحدود المعلنة لاهداف المعركة من جانب مصر وسوريا جعلتهما وكأن المعركة التي تخوضانها انما هي من أجل فرض مشروعية دولية ارادت اسرائيل نقضها وتجاوزها وتحديها . الا ان اتفاق الدولتين الكبيرتين جاء دليلا على ان الولايات المتحدة رضخت نتيجة ظروفها الداخلية — خاصة بعد تفاقم الازمة الدستورية وفضائح واترغيت — واحتمالات ضغوط النفط العربية والتهديد الحقيقي لصيغة الانفراج السوفياتي — الاميركي وكون اسرائيل خارجة عن المفهوم الدولي للمشروعية الى المنطق السوفياتي الذي هو بدوره محدود الهدف في المرحلة الراهنة ، يبقى ان الاسابيع القليلة القادمة ستكون حافلة بكيفية تبيان معالم صحة التقييم السوفياتي — العربي النظامي . ان ابقاء الهدف القومي داخل اطار المشروعية — او بالاحرى المقبولية — الدولية وارد بالنسبة لاسرائيل الصهيونية ام ان العرب سيدخلون في متاهة المسالة دون انجاز ما توقعوه من « سلام عادل » .

ان الاتحاد السوفياتي الذي أثبت صدق التزاماته للدول العربية في المعركة من خلال المساعدات المادية والعسكرية التي قدمها بدون توقف لعرب المعركة يراهن اليوم على استعداد الولايات المتحدة للتجاوب مع الاهداف الدولية التي تتجسد في تنفيذ البنود — خاصة فيما يتعلق بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة — الواردة في قرار مجلس الامن . وهذه المراهنة السوفياتية على احتمال تجاوب اميركي هو بنظر الاتحاد السوفياتي محصلة النزيف الداخلي الذي يعانيه نيكسون وعملية الاستنزاف الناجحة التي قامت بها مصر وسوريا ضد القوة العسكرية الاسرائيلية .

من أجل هذا فان قرار وقف اطلاق النار الذي جاء بمبادرة العملاقين لا يمكن ان يشكل مفاجأة بالنسبة للملتزمين العرب وللمقاومين الفلسطينيين وان جاء القرار صدمة لطموحاتهم القتالية وكون مناخ المعركة البطولية التي عيشتنا اياها الجيوش العربية — خاصة المصرية والسورية — الى جانب قوات الثورة الفلسطينية أتاح للملتزمين والثوار فرص تنشيط تنظيماتهم ومؤسساتهم والاعداد لتوسيع رقعة عملياتهم العسكرية والسياسية خاصة في فلسطين المحتلة . الا انه من الضروري الاقرار ان الصدمة لا تكون عميقة الاثر عندما لا تجيء مفاجئة . لعل الوجه الايجابي والمشرق في الاسبوعين الاخيرين ان الذين خاضوا وقادوا المعارك العربية لم يعطوا الجماهير أية آمال مغلوطة بل كانوا منذ اللحظة الاولى مصرين على كون الهدف القومي المرحلي هو التطابق مع المشروعية الدولية والعمل على اجبار المحور الاميركي — الاسرائيلي على الرضوخ لهذا الهدف .

صحيح ان تذوق العرب طعم المعركة دفع بهم الى تناسي الهدف الذي من اجله خاض عرب المعركة المعركة . وبدا العرب اثناء القتال وكأن خيار وقف اطلاق النار قد اسقط من حساباتهم وأصبحوا مشدودين للمعركة ولمواصلتها . لقد رأوا بأم أعينهم كيف ان اشد المحافظين ينجرون الى اطار المعركة بدافع الحس القومي العفوي وكيف ان اوضح المترددين تمسهم المعركة فيحسمون لصالحها وكأن ارتباطاتهم السابقة ودوافع ترددهم

حرقتها نيران المعركة فانصهروا فيها وصاروا منها او كادوا . كذلك وجد الملتزمون العرب والثوار الفلسطينيون ان المعركة تفتح امامهم مجالات نضالية جديدة وانها تؤكد سلامة تصوراتهم وامكانية اختصار المراحل الكثيرة في معركة التحرر الوطني . صحيح ان وهج المعركة دفعنا من خلال الانضباط بحركيتها ان نعتبر هدفها المعلن ليس بالضرورة هدفها الحقيقي . من هنا تنشأ الصدمة التي ما كان يجب ان تحصل ولا يجب ان تحصل. ان انضباط الملتزمين والثوار باطار المعركة وقبولهم بتوجهاتها كان طبيعيا ومطلوبا . فمن يطالب بالمعركة اثناء مرحلة اللاسلم واللاحرب يدخل في صلبها عند حصولها . فمجرد قيامها يفرض على الملتزمين والثوار الانخراط فيها ولكن هذا لا يعفيهم من المثابرة على التزام هدفهم السياسي العام . لكن الذي حصل ويحصل ان اعـــلان الهدف السياسي القومي اذا جاء وكأنه محاولة من أجل تحريف المعركة عن هدفها المحدود اثناء قيامها فان هذا من شأنه ايجاد الثغرة السياسية التي تضعضع مستوى التلاحم القومي العام المطلوب . لذلك فان المرحلة القادمة التي سوف نمر بها تتطلب منا الكثير من التقشف . لانه حتى أثناء وقف اطلاق النار لا بد أن تبقى الجبهة الشاملة للمعركة معبأة بدرجة قصوى كي يستطيع عرب المعركة تحقيق القدر الاكبر من المطاليب القومية التي خاضوا المعركة من اجلها . هذا الاستنفار للملتزمين وللثوار الى جانب الحوارات الدولية التي يقوم بها عرب المعركة هو استمرار لحالة الانضباط التي فرضناها على انفسنا اثناء الحوار القتالي الرائع الذي خاضه عرب المعركة .

السؤال الذي يطرح نفسه اذا هو هل ان مواصلتنا الانضباط في مرحلة وقف النار يعني تفريطا بالتزاماتنا الثورية والتحريرية الكاملة ؟ الجواب على ذلك يكمن فيما أشرنا اليه ان القضية الفلسطينية ستكون أمام مواجهات معقدة لكنها ليست بالصعوبة التي كانت فيها بعد الهزيمة الحزيرانية . ومجابهة التعقيد تكون أشد ايلاما من المجابهات الصعبة لكنها تستحضر الناحية الابداعية والجدلية الكامنة في كل فكر ثوري اصيل .

لا بد أن يبدأ تقييمنا لما حصل ان الامة العربية ــ بواسطة القوات المسلحة المصرية والسورية وقوات الثورة الفلسطينية ــ مكنت العرب اجمالا ان يهزموا الهزيمة . هذا بدوره يعني ارتفاعا كيفيا في درجة الاستنهاض القومي . يستتبع هذا بالضرورة حالة نفسية ــ سياسية مستجدة تنقل الكثيرين من العرب من وضع الاتكال علـــى الغير لتحقيق مطاليبهم المرحلية الى وضع الاتكال على الذات لتحقيق كافة مطاليبهم . كذلك فان معركة تشرين الاول ١٩٧٣ اثبتت للعرب صحة نظرية الثورة الفلسطينية بأن لا سبيل لمحاورة الكيان الصهيوني الا الحوار القتالي وانه مثلما جاءت معركة الكرامة تؤكد رفض العرب الانهزامية هكذا جاءت معارك السويس وسيناء والجولان تؤكد رفض العرب واقع الهزيمة .

صحيح ان المطلوب هو أكثر من هزيمة الهزيمة . فالاكتفاء بهذا القدر يعني اننا لم نتهيأ للانتصار . ونحن كما اثبتنا لا يهمنا الانتصار من أجل الانتصار بل من اجل ايجاد المدخل الذي تتصحح فيه جذريا أوضاع المنطقة بأسرها ــ خاصة الاوضاع القائمة في فلسطين.لكن هزيمة الهزيمة اذا صارت هي المبتغى فسوف يعني هذا انه اريد بالمعركة ان تنقذ ماء وجه التسوية . هذا ما يفسر التمزق الذي يعيشه الملتزمون والثوار الا ان تحويل التساؤل عن ما بعد معركة تشرين الى تسليم بحتمية التسوية يعني تخليا عن المنهج الجدلي المطلوب تطبيقه بدقة في هذه المرحلة . لانه حتى ولو سلمنا جدلا بأن ما بعد المعركة هو التسوية فان التسوية لا تتضمن المعاني نفسها التي كانت قد تضمنتها التسوية لو حصلت بدون معركة . قد يقال بحق لكن التسوية بعد معركة وان كان فيها ايجابيات واضحة من حيث واقع الاستنهاض الشعبي ومن عودة الثقة بالنفس ومن

استرجاع لاراض او للاراضي المحتلة ومن تمرس حقيقي علــى القتال الا ان هــذه الايجابيات نفسها قد تعطي صفة الديمومة التي من شأنها استباق نضوج الحالة الثورية المطلوبة من اجل التحريــر . لكــن رغم ورود هذا الاحتمـــال فيجب ان لا يغيب عن حساباتها الاثر البالغ الذي يحدثه هزم العرب للهزيمة على اسرائيل من حيث هــي تجسيد للعقيدة الصهيونية . ان مستوى الحوار القتالي الناجح الذي احرزته مصر وسوريا والثورة الفلسطينية مع الكيان الصهيوني سوف يفرز داخل الكيان تساؤلات صميمية حول مصير اسرائيل ومستقبلها . ان التساؤل المنتظر حدوثه داخل الكيان الصهيوني سوف يكون من نتائجه زحزحة المعطيات الاسرائيلية الراهنة التي تجعلها قادرة على استقطاب عدد كبير من اليهود الى اطارها . ان مزيدا من التقطع في الهجرة اليهودية ــ حتى لا نقول انقطاع ــ سوف يعني أيضا بدء تآكل حقيقي في العقيــدة والقناعات الصهيونية من حيث ان مصداقية اسرائيل في النطق باسم كل اليهود سوف تزول لان اسرائيل المنتصرة دائما هي التي شدت اكثرية اليهود اليها او يهود فلسطين المهددين « بالفناء » شد يهود العالم اليهم . عندما اسقطت الثــورة الفلسطينية اي احتمال « بفناء » اليهود ــ رغم ان احدا مطلقا لم يقل بهذا الخيار ــ ونادت بضرورة قيام مجتمع ديمقراطي علماني في فلسطين لم يبق أمام اسرائيل سوى تحقيق الانتصارات لشد اليهود اليها . الان ولم تنتصر اسرائيل في معركة تشرين فان هذا يعني انها بدأت تتقلص وبدأت تاريخيا في أن تهزم . لان ليس المهم في هذه المرحلة الانتقالية ان ينتصر العرب نهائيا بقدر ما هو المطلوب ان يضعوا اسرائيل في واقع مراجعة جذرية لمصيرها.

اذا حصل هذا في المرحلة القادمة تكون القضية الفلسطينية انتقلت الى مرحلة متقدمة وقد مهد لها عرب المعركة فرصا كثيرة للانقضاض على صميم القناعــات الصهيونيــة المترسخة ، لذلك فمع انضباطية الثورة في اطار المعركة الراهنة لا بد للملتزمين والثوار استئناف التعبئة الفكرية والسياسية والدولية لمقتضيات التحرير ولتجديــد المقومــات الرئيسية للمجتمع العلماني الديمقراطي في فلسطين . هذا يعني اننـــا اصبحنا في واقع متقدم عن ما كنا عليه . اذا صارت التسويــة فسوف تكون بعد مماطــلات اسرائيلية متعددة ومحاولات تعجيز كثيرة . هذا بدوره سوف يؤدي الى اقتناع عرب المعركة بان معركة العرب لن تتحقق الا بالتثوير الشامل ، واذا لم تتم التسوية من داخل المشروعية الدولية الراهنة فسوف ــ يكون العرب بمجابهة تصلبا اسرائيليا فاشستيا اكثر يمينية وسوف يكون الاستقطاب اكثر وضوحا للجميع ، عندئذ سوف يكون دخول العرب ــ كل العرب ــ الحرب بكل معطياتها ولن يكتفوا بالمشاركات شبه الرمزية في المعركة. في كلا الحالتين القضية الفلسطينية بوضع افضل وان لم تكن بالوضع الامثل الذي كادت تتيحه لها المعركة .

حرب «يوم الغفران» بداية انحسار صهيوني؟

صبري جريس

قليلة هي الهزائم التي منيت بها الصهيونية خلال العقدين الاخيرين ، والشبيهة بتلك التي وقعت « يوم الغفران » ، ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ . وكثيرة هي النتائج بعيدة المدى التي ستنجم عن هذه الهزيمة في الجانب الاسرائيلي ، والتي يتوقع ان يجني العرب والفلسطينيون ثمارها في المستقبل ، القريب والبعيد معا .

ليس من السهل الان ، وحرب « يوم الغفران » ، الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة ، لا تزال مستعرة ، الخوض في تقويم نتائج هذه الحرب او ابعادها ، ولا معرفة الطريقة التي يمكن أن تنتهي بها . غير أن ما تم انجازه حتى الان ، على الجانب العربي، كاف لأن يدفع المرء الى القيام بمحاولة اعادة النظر في عدد من الافتراضات التي كانت قائمة حتى نشوب الحرب ، في الجانب الاسرائيلي ، واستطلاع مدى التغييرات التي تنتج عن ذلك لديه ، خصوصا وان مجرد نشوب الحرب واستمرارها بالشكل الذي تسير فيه ، كاف لان ينسف عددا من « البديهيات » التي كانت سائدة في الجانب الاسرائيلي ، وبشكل سيكون له ، دون شك ، تأثيره في نواحي عديدة من العقلية الاسرائيلية ، حاضرا ومستقبلا .

ان أول ما يلفت النظر في هذه الحرب هو بدايتها ، من حيث التوقيت ـ « بالرجل اليمنى » ، اذا ما استعملنا تعبيرا اسرائيليا ـ قبل أي شيء آخر . اذ يشك فيما اذا كان هناك وقت آخر ، على مدار السنة ، اكثر ملاءمة لبدء حرب مع اسرائيل في الساعة الثانية من بعد ظهر « يوم الغفران » ، أكبر الاعياد اليهودية على الاطلاق ، بعد ان يكون الاسرائيليون قد قضوا ساعات عديدة متواصلة من الصوم والصلاة ، بدأت عند غياب شمس اليوم السابق . بينما ، من ناحية ثانية ، تكون جميع المصالح العامة والخاصة ، عدا الحيوية جدا منها ، معطلة في ذلك اليوم (خصوصا وان «يوم الغفران» صادف ، هذه السنة ، يوم سبت) مما يجعل عمل دوائر التجنيد الاسرائيلية صعبا ويعرقل نشاط اجهزة حربها، بينما يكون الكثير من الجنود والضباط في اجازات . ويبدو، من تصرف السلطات الاسرائيلية خلال الاربع والعشرين ساعة الاولى لنشوب القتال ، أنها اخذت على حين غرة وساد الاضطراب تصرفاتها . فبينما كان الساعون يتجهون الى دعوة الوزراء ، من صلواتهم في الكنس المختلفة ، الى حضور اجتماع طارىء للحكومة ، توقفت الاذاعة الاسرائيلية ، بعد فترة قصيرة من بث النداءات بالشيفرة لدعوة الاحتياطي ، كعادتها في السابق ـ وكما يبدو نتيجة الفوضى التي سادت ، وانتقلت الى الحديث صراحة عن صدور اوامر بتجنيد جزئي ، ثم كامل ، للاحتياطي . ولا شك في أن الذين قرروا البدء بالحرب في الساعة التي تم فيها ذلك ، عرفوا كيف يقررون ، وربحوا نتيجة ذلك وقتا ثمينا لاحتلال مواقع أو احراز تقدم او انجازات لا تعوض .

أما الناحية الثانية ، التي تلفت النظر في هذه الحرب ، فهي التنسيق التام على الجبهتين ، المصرية والسورية ، ثم اجراءات التضامن العربي مع الدولتين المقاتلتين .

وقد يبدو هذا الوضع طبيعيا بالنسبة الى القارىء العربي ، الا انه ليس كذلك بالنسبة الى الاسرائيليين — وهو موقف له ما يدعمه لدى الجانب الاسرائيلي ، اذا ما قيس بالمواقف المتبادلة للعرب والصهيونية ، بعضهم من بعض ، خلال الاربعين عاما الاخيرة، على الاقل . فأحد اسس النظرية الصهيونية يدعو ، صراحة ، الى أن يكف العرب عن « التدخل » في القضية الفلسطينية ، ويتركوا هذه الناحية لتعامل مباشر للصهيونية مع عرب فلسطين ، على أمل أن يتم لها ابتلاع البلد اولا ثم الاتجاه الى التعامل مع الشعوب العربية الاخرى من خلال قاعدتها هناك ، بل أن أكثر من مؤرخ صهيوني سجل « احتجاجه » ضد بريطانيا التي دعت مندوبي الدول العربية الى حضور المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٣٩ ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، باشتراك ممثلين عن عرب فلسطين والحركة الصهيونية لايجاد حل للقضية الفلسطينية ، لانها بعملها ذاك أقرت رسميا مبدأ « تدخل » الدول العربية في هذه القضية .

واذا كانت تلك هي النظرية فان الممارسة ، خلال الخمسة والعشرين عاما الاخيرة على الاقل ، جاءت لتدعمها على أحسن وجه . فالخلافات التي كانت قائمة بين الدول العربية خلال ١٩٤٨/١٩٤٩ ساعدت الاسرائيليين ، كما هو معروف ، على شن حربهم ضد القوات العربية بالطرق التي اختاروها هم لانفسهم وضرب الجيوش العربية واحدا بعد الآخر ، ثم اغتصاب ذلك الجزء من فلسطين الذي استطاعوا اغتصابه يومها . ولم تتغير هذه الحالة حتى بعد ذلك ، وعلى الرغم من التجربة التي مر العرب بها . فخلال فترة العمليات الاسرائيلية الانتقامية الاولى ضد الدول العربية (١٩٥٣ — ١٩٥٦) هاجمت اسرائيل ، في حالات عديدة ، اكثر من مكان في اكثر من دولة ، دون ان تهب اية دولة لمساعدة الاخرى مساعدة فعلية ، حتى خلال الفترات التي كانت فيها قيادات عربية مشتركة . وفي اواخر سنة ١٩٥٦ ، خاضت مصر لوحدها حرب سيناء ضد اسرائيل ، التي لم توجه اليها اية ضغوط من اية دولة عربية اخرى . اما في حرب ١٩٦٧ ، فقد تجلت التفرقة العربية على « ابهى » صورها ، عندما كانت اسرائيل تنفرد بكل جبهة على حدة لتجهز عليها ، ثم تقوم بنقل جنودها واسلحتها ، في وضح النهار وعلى مرأى ومسمع من العرب والعالم ، الى جبهة اخرى لتحطيمها . وبقيت الحال على ما هي عليه حتى بعد حرب حزيران (يونيو) . ولا تزال الطريقة ، التي كانت تتبعها اسرائيل في شن اعتداءاتها على هذه الدولة او تلك في المكان والزمان اللذين تختارهما ، دون اي حساب لمواقف الدول الباقية ، ماثلة للعيان . ولا عجب ، اذن ، والحالة هذه ان نرى العديد من القادة والمفكرين الاسرائيليين يطور نظريات امنية لاسرائيل تنص ، بين ما تنص عليه ، على عدم الاخذ بعين الاعتبار اي عمل عربي جماعي جاد في حالة صدام اسرائيلي مع هذه الدولة العربية او تلك ، بحيث تستطيع اسرائيل اختيار فريستها كما ترغب ، ولا شك في ان التضامن العربي الرائع ، بين مختلف الدول العربية ، الذي تجلى خلال هذه الحرب ، قد قلب تلك النظريات راسا على عقب ، واوقع الخبراء او مدعي الخبرة بالشؤون العربية لدى الاسرائيليين في حيرة مذهلة — اذ ليس العرب وحدهم غير قادرين ، احيانا ، على فهم الواقع العربي . ولكن مهما يكن من دوافع هذا التضامن ، فمن المؤكد انه سيكون ذا تأثير بعيد المدى في موقف من العرب في المستقبل ، فاصطلاح « العالم العربي » قد يكون مبهما في هذا المجال او ذلك ، غير انه بالنسبة الى اسرائيل ، وفي حالات معينة على الاقل ، واضح جدا . وقد لا نستغرب بعد هذا ان نرى في المستقبل ، ربما القريب جدا ، بروز نظريات امن جديدة تدعو ، هذه المرة ، الى عكس ما كانت تدعو اليه في السابق ، مع — ربما — المبالغة في تقويم مدى التضامن العربي ، وبالتالي التريث قبل البدء بمغامرات جديدة ضد العرب . ويبدو ان هذه النظريات بدأت تتبلور فعلا ، منبثقة من عبارة « ان منطق العرب ليس

منطقتنا » التي تطلق الان لتبرير اخفاق تقديرات اسرائيل لامكانات عمل جماعي عربي ضدها .

غير ان أهم انجازات هذه الحرب هي ، طبعا ، تلك الانتصارات العسكرية التي احرزها العرب حتى الان ، والموقف الحرج الذي تجد اسرائيل نفسها فيه . لقد اوقع العرب ، بمبادرتهم ، اسرائيل في وضع صعب ، من ناحية الضغط على قواها البشرية والاقتصادية والعسكرية ، كانت تتحسب منه دائما ، فاحدى نظريات الامن العسكري الصهيونية ، التي كان البريطاني وينغييت قد لقنها لزعماء عصابات الهاغاناه التي كانت تتعاون مع القوات البريطانية لسحق الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، في اواخر الثلاثينات ، تدعو الى الاحتفاظ بالمبادرة في يد القوات الصهيونية وشن هجماتها على الاهداف العربية التي ترتئيها وفي الزمان الذي تختاره . ويلاحظ ان زعماء تلك العصابات ، الذي تحولوا الى جنرالات في الجيش الاسرائيلي ، لم ينسوا هذا الدرس ، اذ ان المبادرة من الجانب الاسرائيلي كانت الطابع الغالب على حروب اسرائيل ضد العرب حتى الان . وعليه ، فان هذه الحرب هي الحرب الاولى التي تضطر اسرائيل الى خوضها ، من موقع الدفاع ، منذ قيامها وبشكل يلزمها بتجنيد كل احتياطها من الرجال والسلاح والمواد الاقتصادية . ولا ينبغي ابدا التقليل من حجم هذه الحقيقة او الاستخفاف بنتائجها ، القريبة والبعيدة في آن واحد . ان اسرائيل تجد نفسها ، الان ، مضطرة الى تجنيد كل احتياطيها من القوى البشرية من الرجال ، مع قلة من النساء ، بالاضافة الى استعمال كل مواردها للصمود في الحرب التي تخوضها (وفرض ضرائب جديدة على شعبها ، كانت الدفعة الاولى منها بليون ليرة اسرائيلية) مما يعني شللا شبه تام في مرافق الحياة العامة والخاصة وقلقا دائما يسود كل عائلة على مصير ابنائها في الجبهة ، يتحولان بصورة تلقائية الى ضغط جماهيري على الزعامة السياسية والعسكرية لحملها على الاسراع في وضع حد لهذه الحرب . ولهذا فان تقويم نتائج حرب عربية مع اسرائيل لا يمكن ان يقاس فقط بعدد الكيلو مترات التي استطاع هذا الجيش او ذاك تحريرها ، وان كان هذا بحد ذاته عاملا مهما ، او باحتلال الجيوش العربية لهذا الموقع او تخليها عن ذلك ، او بالتراجع هنا والتقدم هناك بقدر ما يقاس بقدرة القوى العربية المسلحة على توجيه الضربات الى الجيش الاسرائيلي ، وفي الوقت نفسه تحمل ضرباته ، وبالتالي اجبار اسرائيل على الاحتفاظ بكل قواها في حالة توتر دائم وشل الحياة العادية في العمق الاسرائيلي ، ولفترة لا يستطيع العدو معرفة نهايتها . وانه لمن الضروري والمفيد ، خصوصا بعد ان استطاعت الجيوش العربية حتى الان تحطيم اسس الحرب الخاطفة التي كانت اسرائيل تميل الى اتباعها ، الاستمرار في ضرب الجيش الاسرائيلي ما دامت هناك قوى عربية قادرة على ذلك . ولن يصعب على المرء ان يقدر كم من الوقت تستطيع دولة كاسرائيل الصمود في مثل هذه الاوضاع والاستمرار في الاحتفاظ بأكثرية رجالها على الجبهة في وضع دائم من التوتر له تأثيره البالغ في الحياة داخلها من كل جوانبها .

ليس من السهل ، طبعا ، اسداء النصح لدولة عربية ما بشأن ما ينبغي عمله في قتالها مع اسرائيل ، التي لا تتردد في مثل هذه الحالة في استعمال اية وسيلة ، مهما بلغت دناءتها ، لتخفيف الضغوط عنها ان كان ذلك بضرب المدنيين والمنشآت المدنية من جهة او محاولة القيام بعمليات « بهلوانية » ، يتوخى ان تحدث تأثيرا نفسيا لدى العرب من جهة اخرى . غير انه لا بد من الاشارة الى ان النجاح الذي احرزه العرب ، حتى هذه المرحلة ، كان ملموسا للغاية ، اذا ما قيس بردود الفعل في الجانب الاسرائيلي . فعبور الجيش المصري قناة السويس وتمركزه على ضفتها الشرقية من جهة ، وكسر احدى ذراعي السلاح الجوي الاسرائيلي ، على الاقل ، في اجواء الجولان

ودمشق من جهة ثانية ، كانا كافيين لاحداث ردود فعل عنيفة لدى قادة اسرائيل ، يكفينا للدلالة عليها تلك « الرجة » التي طرأت مؤخرا على صوت غولدا مئير عند مخاطبتها الاسرائيليين والطريقة « اللطيفة » « الهادئة » التي يتحدث بها موشيه ديان ، اذا ما قيست بتصريحاته المتغطرسة السابقة ، ثم دعوة معظم جنرالات الاحتياط في الجيش الى الخدمة الفعلية ، واخيرا ذاك التخبط الذي يسود تفكير الزعماء والقادة وكبار المعلقين في اسرائيل ، اذا ما قيس بالتصريحات المتناقضة التي تصدر عنهم . ان المرء لا يسعه ، ازاء هذه الحالة التي تسود اسرائيل وازاء الصمود العربي على جبهات القتال، الا ان يأمل ان يستمر ذلك الصمود والا يقع العرب في خطأ وقف اطلاق النار ، كما فعلوا في اكثر من مرة في السابق ، بحيث لا يكفوا عن الضغط عسكريا على اسرائيل ولو يوما واحدا ، حتى الحصول على نتائج ملموسة جدا من هذا القتال .

ان هذا الامر يتطلب طبعا تضحيات جمة ، ولكن لا ينبغي ان ننسى ابدا ذلك التهديد الدائم الذي يوجهه العسكريون الاسرائيليون الى الدول العربية المجاورة لاسرائيل . لقد وصل غرور الجنرالات الاسرائيليين حدا لا يجوز السكوت عنه ، وما زلنا نتذكر تصريحات بعضهم حول قدرة اسرائيل على احتلال دمشق وبغداد والخرطوم والقاهرة، وحتى المغرب ، خلال ايام ، او تصريحات رئيس الاركان الاسرائيلي حول الساعات القليلة التي يحتاج اليها جيشه لتدمير اية قوة عربية تهاجم اسرائيل ، او الانذارات المغرورة التي اطلقتها رئيسة وزراء اسرائيل حول المصائب التي ستحل بمصر والدمار الذي سيكون من نصيبها اذا ما « تجرأت » وبدأت باطلاق النار . انه لمن الضروري بمكان ، ازاء هذا الوضع وازاء مواقف اسرائيل المتصلبة التي شهدها العرب خلال الاعوام الاخيرة ، تلقين العدو الاسرائيلي درسا لا ينساه ، ولا بد من الاثبات له ،بصورة قاطعة ، ان تهديد القاهرة ودمشق بالغزو ليست نوعا من عمليات عصابات الهاغاناه والبلماح ، التي كانت عادة سليمة العواقب ، وان اراضي الوطن العربي ليست مجرد مناطق مخصصة لاقامة المستوطنات الصهيونية عليها ، وانما قد تصبح في نهاية الامر مقبرة للغزاة الاسرائيليين . وليس هذا ضروريا لسلامة القاهرة ودمشق فحسب ، وانما هو ضروري — ودون مبالغة — لضمان مسيرة التقدم العربي عامة وضمان الامن والسلام والاستقرار لكل فرد عربي .

لقد ادى السكوت العربي على سياسة القوة الاسرائيلية الى ازدياد صلافة حكام اسرائيل واتساع مدى استخفافهم بالعرب ، وبالتالي توسيع نطاق جرائمهم . ونكتفي بهذا الصدد باجراء مقارنة بسيطة ، في ناحية واحدة ، بين مواقف اخر ثلاثة رؤساء وزراء لاسرائيل ، فبن — غوريون ، وعلى الرغم من مواقفه العدائية المعروفة من العرب ، أصر ، مثلا ، على عدم استعمال الطيران في نزاعات الحدود مع الدول العربية ، على الرغم من كثرتها في عهده ، من خلال « شعور بالمسؤولية » وحتى لا يتسبب في تصعيد مواقف اي من الطرفين ، بينما لم يتردد اشكول عندما وجد نفسه في اوضاع مماثلة ، في استعمال الطيران بشكل مركز ، في أول خلاف ينشب بين اسرائيل وسوريا ، بعد توليه رئاسة الوزارة ، حول تحويل مياه الاردن قبل نحو ١٠ أعوام . اما غولدا مئير ، التي يقال انها تؤمن بأن اسرائيل لا يمكن ان تكون على خطأ وان مجرد توجيه انتقاد اليها هو نوع من اللاسامية ، فلم تتردد — كما هو معروف — في استعمال الطائرات لقصف القرى ومعسكرات اللاجئين والمصانع والمنشآت المدنية ، وحتى قصف القاهرة ودمشق ، ثم الحديث بعد ذلك ، بصفاقة اسرائيلية معهودة ، عن حب السلام الذي ينبغي فرضه على العرب . ومن الواضح ، والحالة هذه ، انه لا بد من ارجاع مئير وجنرالاتها الى صوابهم ، وليس من طريق ، استنادا الى التجارب السابقة ، الا طريق القوة — ومن المفضل ، طبعا ، القوة العسكرية بالذات . ومن هذه الناحية ،

ناحية استعمال القوة العسكرية العربية ، لا ينبغي ان نقلل ابدا من اهمية ما حدث خلال اول اسبوعين من الحرب وما يحدث الان . فبعد تحطيم اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ونسف آمال الانتصارات الاسرائيلية الساحقة ، وبشكل يبدو معه وكأن لا نهاية لهذه الحرب ، جاء الان دور مرحلة القلق داخل اسرائيل ، ومن الضروري والمفيد جدا العمل لاستمرار هذه الحالة ولاطول وقت ممكن . من الضروري جدا ان يبقى معظم رجال اسرائيل مجندين في الجيش ، كما هي الحال الان ، وان يبقى سكان اسرائيل قلقين على مصير ابنائهم وازواجهم وبناتهم ، وان تستمر الاذاعة الاسرائيلية في بث تحيات الاقارب القلقين الى ذويهم في جبهات القتال ، وان يبقى معظم المصانع الاسرائيلية والمرافق العامة وكثير من المصالح الخاصة معطلا ، وان يستمر تدهور الاقتصاد الاسرائيلي وارتفاع الاسعار — وهو ما يحدث الان داخل اسرائيل . ان مثل هذه الضغوط كفيلة باحداث شرخ عميق في النفسية الاسرائيلية وبالتالي تحطيم الغرور الاسرائيلي ، وهو ما ينبغي عمله قبل اي شيء اخر ، لاعادة الاسرائيليين الى عالم الواقع ، واقع الامكانات العربية الضخمة في الرجال والمال والسلاح ، ليسهل « التحدث » اليهم . ولا حاجة ، في سبيل هذا ، الى تحرير مساحات من الاراضي المحتلة بالذات او التوغل عميقا في تلك الاراضي ، اذ تكفي حالة من الكر والفر والتعامل بالنار مع العدو لتصعيد حالة القلق ، التي تسود جبهته الداخلية ، الى وضع لن يستطيع الصمود فيه كثيرا ، فيجد نفسه مرغما على التفتيش عن ظروف تساعده على الخروج من ورطته .

والسؤال الذي يطرح نفسه الان هو هل تتعلم العسكرية الاسرائيلية شيئا من هذه الدروس ؟ تثبت التجربة ان اسرائيل لا تنسى عادة الدروس التي تلقن لها ، اذا ما احسن التلقين ، وفي الحالات القليلة التي تم فيها ذلك ، لوحظت النتائج الايجابية بسرعة . ومرة اخرى نكتفي بسرد بعض الامثلة : فالعمليات الاسرائيلية الانتقامية التي كانت تشن على الدول العربية توقفت ، سنة ١٩٥٦ ، بعد ثلاثة اعوام من ممارستها ، وبعد ان راح الجيش الاردني ، الذي استوعب « التقاليد » الاسرائيلية عند تنفيذ تلك العمليات — وكما يقول ديان صراحة — يوقع في القوات الاسرائيلية المهاجمة خسائر فادحة في الارواح . كذلك فقد ادت حرب الاستنزاف ، التي شنتها مصر على اسرائيل في جبهة قناة السويس ، خلال ١٩٦٨ — ١٩٧٠ ، الى حدوث تصدع في جدار القيادة الاسرائيلية ونشوب خلافات حادة بينهم حول السبل للوصول الى سلام مع العرب ، ولم تهدأ هذه الخلافات — وان كانت لم تختفِ — ولم يتصلب الموقف الاسرائيلي ويمعن في تصلبه الساخر من العرب الا بعد ايقاف حرب الاستنزاف . اما النشاط الفدائي المكثف ، خلال ١٩٦٧ — ١٩٧٠ ، والاضرار التي اوقعها باسرائيل فقد ادت ، لاول مرة منذ مطلع القرن الحالي وربما لاول مرة منذ نشوء الصهيونية ، الى « اقناع » عدد من الزعماء السياسيين وكثير من المفكرين الاسرائيليين « بوجود » شعب عربي فلسطيني ، ثم الدعوة الى الاعتراف بحقوقه او الوصول الى حل ما معه ، ولم تهدأ هذه الصيحات الا بعد النكسات التي مني بها النشاط الفدائي خلال ١٩٧٠ وما بعدها .

هناك ايضا احدى مضاعفات هذه الحرب التي ينبغي التوقف عندها ، الا وهي قضية الاسرى . ويستفاد من الاخبار المتوفرة ، حتى الان ، ان هناك لدى الطرفين عددا من الاسرى . لقد اعتدنا حتى الان اتمام معاملات مبادلة الاسرى ، بفضل جهود الصليب الاحمر الدولي ، بسرية وبسرعة نسبيتين ، بحيث لا يسمع المرء بها الا بعد انهائها . وجرت العادة ان تكون اسرائيل هي السباقة الى الاتصال بالصليب الاحمر وتزويده بقوائم اسماء الاسرى الموجودين لديها وابداء استعدادها للفوري لمبادلتهم ، مهما قل عدد اسراها لدى العرب ، وتصرفت اسرائيل على هذا النحو ايضا خلال هذه الحرب ،

فقامت بتزويد الصليب الاحمر باسماء الاسرى العرب لديها حال وقوعهم في الاسر ولا تزال تقوم بذلك حال وقوع مجموعة جديدة من الاسرى العرب لديها ، مرفقة نشاطها هذا بطلب بسيط « وانساني » ، وهو معرفة عدد واسماء اسراها لدى العرب ، ليتبعها فيما بعد طلب مبادلتهم . ان وراء هذا التصرف الاسرائيلي اسبابا وجيهة يحسن بالجانب العربي الا ينساها ، اذ قد تشكل هذه الاسباب ورقة رابحة للضغط على اسرائيل . ان هناك تقاليد يهودية دينية قديمة تدفع اليهود الى الاسراع في مبادلة اسراهم وحتى الى تقديم تضحيات عديدة في سبيل ذلك ، يضاف اليها تقاليد اسرائيلية حديثة تدفع في الاتجاه نفسه ، حيث ان وجود اسرى اسرائيليين لدى الطرف الاخر ليس الا اثباتا قاطعا لخسارة ما ، كبيرة كانت ام صغيرة ، منيت بها اسرائيل ، ولهذا فهو بالتالي عامل ضار بالمعنويات ومن الواجب العمل بسرعة لتصفيته ، خصوصا اذا كان بين اولئك الاسرى بعض ابناء العائلات العريقة او المقربين من قادة اسرائيل او كبار الضباط . ولهذا فان كثرة عدد الاسرى الاسرائيليين لدى العرب قد تشكل عاملا مهما للحصول من العدو على تنازلات في مجالات مختلفة ، بما في ذلك اضفاء « ليونة » على الموقف الاسرائيلي عند الحديث عن الانسحاب ، مثلا . ومن ناحية اخرى ، يأمل المرء الا تتم مبادلة الاسرى هذه المرة دون ذكر للاسرى الفلسطينيين من الفدائيين الموجودين لدى اسرائيل ، والذين حكم عليهم بالسجن فترات طويلة ، خصوصا منهم اولئك الذين هم من ابناء القسم المحتل من فلسطين سنة ١٩٤٨ . ان السجون الاسرائيلية تضم نحو ٥٠٠ سجين عربي من ابناء الارض المحتلة سابقا ، معظمهم محكوم عليه بالسجن فترات غير قصيرة بسبب نشاط فدائي ، والاخرون مسجونون بسبب مخالفات امنية ، معظمها عبارة عن تعاون بين اولئك المسجونين واجهزة المخابرات المصرية والسورية خاصة وتزويدها بمختلف انواع المعلومات عن اسرائيل . كذلك فان هناك نحو ٤٠٠٠ فدائي ، بين معتقل وسجين ، من ابناء المناطق التي احتلت سنة ١٩٦٧ ، او من الفدائيين الذين دخلوا الى اسرائيل من خارج المناطق المحتلة . وبينما يحصل بعض هؤلاء الفدائيين ، من حين لاخر ، على تخفيض الاحكام الصادرة بحقهم واطلاق سراح العديد منهم للتعبير عن « حسن نية » السلطات الاسرائيلية تجاه سكان المناطق المحتلة في محاولة لاستمالتهم اليها ، فان وضع المساجين ، من ابناء المنطقة التي احتلت سنة ١٩٤٨ صعب للغاية ، اذ بصفتهم « مواطنين » اسرائيليين لا يحظون عادة بأي تخفيض في الاحكام الجائرة الصادرة بحقهم ، بحيث يمضون الاعوام الطوال في السجون الاسرائيلية . انه من الملائم ، في مثل هذه الحالة ، ان يصر الجانب العربي ، بين ما يصر عليه ، على اطلاق سراح اولئك الاسرى والذين يعاملون معاملة المجرمين في السجون الاسرائيلية ، والاصرار في الوقت نفسه على السماح لهم ، بعد اطلاق سراحهم ، بالبقاء في بيوتهم وعدم تشريدهم بطردهم الى ما وراء الحدود . ولا بد من الاشارة الى ان هناك اسبقيات في هذا المجال ، فبعد حرب ١٩٦٧ ، مثلا ، طالبت اسرائيل ، عند اطلاقها سراح الاسرى المصريين ، باطلاق سراح اليهود المسجونين في مصر منذ ١٩٥٤ بسبب « قضية لافون » ، وقد تم لها ذلك . كذلك فقد قامت اسرائيل مؤخرا ، من جهتها ، باطلاق سراح الزعيم الدرزي في هضبة الجولان ، كمال كنج ، والسماح له بالبقاء في بلدته ، بعد ان كانت قد حكمت عليه بالسجن ١٨ عاما بتهمة « التجسس » لمصلحة بلده ، سوريا ، وذلك مقابل اطلاق سوريا سراح طيارين اسرائيليين كانا قد وقعا في اسر القوات السورية بعد اسقاط طائرتهما . وان مثل هذا العمل يشكل دعما ، لا مثيل له ، لمعنويات العرب داخل الارض المحتلة .

ان الحديث عن اوضاع الحرب الآنية ومضاعفاتها لا يعفينا من محاولة التكهن بنتائجها على المدى البعيد في الجانب الاسرائيلي ، ان كان ذلك من ناحية الستراتيجية

الصهيونية او من ناحية الاوضاع السياسية الداخلية في اسرائيل . ومما لا شك فيه ان اسرائيل تجد نفسها ، الان ، في اسوأ وضع يمكن ان تمر فيه منذ حرب ١٩٦٧ . لقد علقت اسرائيل آمالا عريضة على نتائج حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ليس من ناحية فرض السلم على العرب غير الفلسطينيين وبالتالي اغلاق ملف القضية الفلسطينية فحسب وانما من ناحية فرض شروط صلح مريحة لها على العرب ، املت بموجبها ان تستطيع تعميق جذورها الاقتصادية ، وربما الاجتماعية والحضارية ايضا ، في العالم العربي . يضاف الى ذلك كله ان اسرائيل ارادت ، طبعا ، ضم مناطق عربية مختارة لها خصوصا تلك التي تحتوي على الموارد الطبيعية او الصالحة للاستيطان منها او ذات الاهمية الستراتيجية لاستعمالها قواعد لتهديد الدول العربية ومن ثم توسيع القاعدة الصهيونية في المنطقة . ولهذا فان حرمان اسرائيل هذه المكتسبات ، ان لم يكن بالنسبة الى كل المناطق التي احتلتها فعلى الاقل بالنسبة الى بعضها ، انجاز عربي مهم للغاية معناه احتواء اسرائيل ضمن حجمها الحقيقي والقضاء على احلام التوسع والعظمة ، وبالتالي بداية انحسار صهيوني في المنطقة . وفي الوقت نفسه تعود اسرائيل ، من ناحية ثانية ، الى مواجهة القضية الفلسطينية بكل عمقها ، اقليميا وبشريا ، وبشكل تبدو معه وكأن المشكلات المتعلقة بتلك القضية وضغوطها على اسرائيل ، بعثت من جديد .

كذلك لا بد من الاشارة الى ان هذه الحرب قد سددت ضربة ناجحة الى العلاقة الوثيقة القائمة بين اسرائيل وقوى النفوذ الاجنبي في المنطقة . ان القول ان الصهيونية واسرائيل عميلتين للاستعمار والقوى الاجنبية لم يكن تهمة باطلة اطلقها العرب جزافا . فالحركة الصهيونية ، منذ نشأتها حتى اليوم ، ابتداء بهيرتسل ومرورا بسوكولوف ووايزمان وجابوتينسكي وبن — غوريون وانتهاء باشكول ومئير وبيغين ، لم تكف يوما عن محاولاتها لايجاد قوة استعمارية من خارج المنطقة لتلعب دور الكلب الحارس في حماية مصالحها وتستفيد من المساعدات التي يمكن ان تحصل عليها من جراء ذلك . وقد اختلفت الادوار التي هيأتها الصهيونية لنفسها وحاولت لعبها في خدمة المصالح الاستعمارية الاجنبية في المنطقة وانتقلت مع الزمن من دولة الى اخرى ، فبدأت بعرض خدماتها على تركيا ثم المانيا ، وبعد ذلك انتقلت الى بريطانيا ، ثم فرنسا خلال العقد الاول لقيام اسرائيل ، واخيرا اميركا . ويبدو من محاولة تتبع نسيج العلاقات الاسرائيلية — الاميركية ، خلال الاونة الاخيرة ، خصوصا خلال عهد نيكسون ، ان التورط الاميركي في مساندة اسرائيل لم يكن مبادرة اميركية ذاتية بقدر ما كان اقناعا من اسرائيل لاميركا بمساعدتها كي تعمل على حماية مصالح الاخيرة في المنطقة . ولهذا فان نتائج هذه الحرب ، التي جاءت لتثبت ان اسرائيل عاجزة احيانا ليس عن حماية مصالح الغير فقط وانما عن حماية نفسها ايضا ، تعتبر ضربة موفقة لتلك الناحية من التفكير الصهيوني من جهة واضعافا لمركز اسرائيل دوليا وارتباطها بالاستعمار من جهة ثانية — خصوصا في هذه المرحلة التي تتصف بابتعاد دول العالم ، الواحدة بعد الاخرى ، عن اسرائيل التي تعود اليوم الى اطلاق احد شعاراتها القديمة : « ان العالم كله ضدنا » .

يبقى لدينا السؤال الاخير الذي تنبغي الاجابة عنه : ما هي النتائج السياسية المتوقعة لحرب « يوم الغفران » في داخل اسرائيل ، ان كان ذلك على المدى القريب او البعيد ؟ وما هي التغييرات التي يمكن ان تحدثها في العقلية الاسرائيلية ، وبالتالي في مواقف اسرائيل من العرب عامة ؟ يبدو ، اول وهلة ، ان التغييرات على الصعيد السياسي وفي المدى القريب لن تكون كبيرة للغاية ، وهو ما يعود اساسا الى طبيعة نظام الحكم في اسرائيل وطريقة تكوينه . فالخلافات نادرا ما تبرز بسرعة في مثل هذه الحالات ، اذا ما قيست بحالات اخرى شبيهة لها — الى حد ما — وقعت في الماضي ،

بين المساهمين في الموسسة المبائية التي تحكم اسرائيل ، المسجلة حاليا تحت اسم حزب العمل الاسرائيلي . والزعامة الاسرائيلية تخفي عادة خلافاتها ، في مثل هذه الحالات ، لتعود وتظهر بشكل حاد فيما بعد ، خصوصا وان المعارضة الأساسية للحكومة ، الممثلة في غلاة التوسعيين الاسرائيليين من كتلة غاحال ومن يدور في فلكها من ابناء المنظمتين الصهيونيتين الارهابيتين ، اتسل وليحي ، واحفادهما لا تختلف كثيرا في موقفها ، في مثل هذه الاوضاع ، عن مواقف الحكومة الرسمية . بل ان المعارضة قد تكون مسؤولة ، الى حد كبير ، عن المأزق الحالي الذي وقعت فيه اسرائيل بسبب تجريحها الدائم بالحكومة ، في محاولة لمنعها من تقديم اية تنازلات للعرب ، مهما كان نوعها ، واصرارها على الاحتفاظ بالمناطق المحتلة كافة والمطالبة بضمها رسميا الى اسرائيل .

غير انه من الخطأ الاعتقاد ، طبعا ، ان هذه الحرب مهما كانت نهايتها ستمر دون ان تفعل فعلها في اسرائيل ، وان كنا لا نتوقع ان نلمس نتائجها اليوم ، فانها ستظهر — دون شك — غدا او بعد غد ، وفي نواحي عديدة . لقد مست هذه الحرب العديد من « المقدسات » الصهيونية — الاسرائيلية ، فمجرد شنها ، مثلا ، بمبادرة من العرب ثم استمرارهم في القتال كافيان لازالة الغشاء عن اعين الكثير من الاسرائيليين ليصحوا من تأثير الكذبة التي لقنهم اياها زعماؤهم ثم راحوا يكرروها بانفسهم من ان العرب عامة غير قادرين على القتال ، بل انهم لا يعرفون اساليبه واحيانا ليس باستطاعتهم حتى تعلمها . وقد كانت هذه هي الدوافع وراء المغامرات العسكرية والسياسية التي خاضتها الحكومة الاسرائيلية خلال الأعوام الاخيرة ، وسكوت عامة الاسرائيليين عليها، ما دامت نتائجها مضمونة ، استنادا الى الايمان بعدم قدرة العرب على القتال . ومن هنا فقد جاءت هذه الحرب لتعيد الاسرائيليين ، الى حد ما على الاقل ، الى صوابهم وتحملهم ، كما كانت الحال في السابق ، على اخذ الموقف العربي في المستقبل بعين الاعتبار ، مما سيؤدي الى ضعف روح المغامرة لديهم والى ازدياد الضغط الجماهيري على السلطة لمنعها من اتخاذ المواقف المتطرفة . ثم ان سقوط المئات ، وربما الآلاف ، من القتلى الاسرائيليين في اثناء المعارك ، ليس بالامر السهل الذي يمكن المرور عليه مرور الكرام في اسرائيل ، خصوصا اذا ما قيس بالحساسية البالغة التي يبديها الاسرائيليون تجاه خسارتهم في الارواح . ولعل هذه الناحية بالذات ، والخوف منها ، هي اكبر رادع للاسرائيليين ، قد يمنعهم في المستقبل من محاولة القيام بمغامرات عسكرية اخرى مع العرب ، خصوصا اذا اتضح انه لم تنتج عن تلك الخسارة في الارواح اية انجازات تذكر لاسرائيل . لقد بقي الاسرائيليون يتذكرون الخسائر في الارواح ، التي منوا بها في حرب ١٩٤٨ ، فترة طويلة ويتحسبون من الدخول في صدامات مع العرب على نطاق واسع خوفا من ان يتكبدوا خسائر مماثلة لها ، ولم تزدد جرأتهم الا عندما توصلوا ، لسبب ما ، الى استنتاج انهم لن يتكبدوا خسائر كبيرة في الارواح في اية حرب جديدة قد يخوضونها ، وهو ما ثبت خطؤه الان . ولهذا يتوقع ان يؤدي حجم الخسائر ، التي كانت من نصيب القوات الاسرائيلية خلال هذه الحرب ، الى الوصول الى المواقف نفسها التي سادت بعد حرب ١٩٤٨ ورجوع عادة التحسب من شن هجومات ضد العرب ثم محاولة الامتناع من تصعيد المواقف الاسرائيلية في النزاعات مع العرب ، والاتجاه نحو سياسة اكثر واقعية .

كذلك يتوقع المرء ، من ناحية اخرى ، ازدياد حدة الخلافات بين من يسمون الحمائم داخل النظام الاسرائيلي وبين مناوئيهم من الصقور ، خصوصا وان هذه الحرب جاءت لتدعم موقف الحمائم وتثبت صحة تقديراتهم لمواقف العرب ، وهلعهم مما يسمونه الخطر السكاني الكامن في الزيادة الطبيعية للسكان العرب في المناطق المحتلة . ولكن لا

يتوقع ، ازاء هذا ، حدوث « انفجار » داخل الجهاز الاسرائيلي الحاكم ، اذ ان التجربة اثبتت ان هذا الجهاز واسلافه يتصرفون بمرونة عالية ، نسبيا ، ولا يجمعون ، عند الضرورة وازاء مواجهتهم للواقع المجرد ، عن اعادة النظر كليا في مواقفهم السابقة وقلبها رأسها على عقب . ففي سنة ١٩٢٢ ، وعلى سبيل المثال ، لم تتردد الزعامة الصهيونية في الموافقة على « انتزاع » شرق الاردن ، وهو القسم الشرقي مما يسمى « ارض ـ اسرائيل » من المنطقة الخاضعة للانتداب البريطاني على فلسطين ، عندما اتضح لها ان تلك الموافقة ضرورية لاصدار صك الانتداب والالتزام باقامة «وطن قومي» لليهود في البلد ، وفي سنة ١٩٣٩ عادت ووافقت ، بعد تردد ، على مشروع تقسيم فلسطين ، عندما اتضح لها ان ذلك المشروع يحمل في طياته بوادر تأسيس دولة يهودية ، وفي سنة ١٩٤٧ وافقت ، دون تحفظ تقريبا ، على قرار تقسيم فلسطين الذي اصدرته الامم المتحدة و « ضحت » بالقسم الباقي من فلسطين للعرب في سبيل اقامة الدولة اليهودية على جزء من البلد . اما في سنة ١٩٥٦ ، فلم تتردد اسرائيل كثيرا في الانسحاب من سيناء وقطاع غزة بعد ان « اقنعتها » الولايات المتحدة بوجوب القيام بذلك . وقد لا نستغرب ، استنادا الى هذا السجل ، ان نرى العسكريين الاسرائيليين ، يطورون ـ وبسرعة ـ نظريات جديدة تقول ان الحدود الآمنة ليست هي الحدود الطويلة التي يصعب الدفاع عنها ، كما اتضح الان ، وانما الحدود السابقة القصيرة نسبيا ، وان الدفاع عن هذه الحدود ينبغي ان يكون بالتحصن داخلها بالذات وليس بمحاولة الاندفاع خارجها نحو الدول العربية المجاورة .

الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة
جولة على طريق التحرير والعودة

أعد هذه الدراسة عن الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة اربعة من كتاب « شؤون فلسطينية » الذين اعتادوا تقديم شهريات المجلة وهم الاخوة المقدم الهيثم الايوبي ، عصام سخنيني ، ناجي علوش ، والدكتور صادق العظم . ولقد قدم كل واحد منهم تصوره لهذه الحرب من زاوية اختصاصه حتى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٣ ثم قام المقدم الايوبي بتحريرها .

مقدمة

يندر ان يتعلم المنتصر الكثير من انتصاره ، أما المهزوم فهو اكبر المتعلمين من الهزيمة . هذه هي أولى الافكار التي أكدتها واثبتت صحتها انطلاقة الجيشين المصري والسوري في يوم ١٠/٦ المجيد لتدمير الاسطورة العسكرية الاسرائيلية وتبديد مئات الاوهام والأفكار المغلوطة التي عششت في اعماق الانسان العربي بعد هزيمة عام ١٩٦٧ .

لقد دخل العرب حرب ١٩٦٧ قبل ان يحققوا الاستعداد العسكري اللازم ويرسموا الاستراتيجية الحربية الملائمة مع الهدف والوسائط ودون ان يؤمنوا شروط التضامن العربي الفعلي السريع وقبل ان يعدوا انفسهم نفسيا واقتصاديا ودعائيا لتلبية متطلبات حرب تحريرية طويلة الامد . وساعدت تصريحاتهم وسياستهم العدو على كسب المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية قبل اندلاع القتال . وحصدوا من جراء كل ذلك هزيمة سبقها سخط العالم كله على العرب وأعقبها شماتة كاملة بهم .

وتدل تطورات الاحداث في الحرب الدائرة حاليا على مسارح العمليات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية على أن العرب تعلموا الكثير من دروس الهزيمة ، واعدوا العدة لمجابهة العدو على جميع الاصعدة ، والصمود في صراع طويل الامد حتى يتحقق النصر والتحرير . وتمتزج دماء العرب من مختلف اقطارهم على ارضنا المقدسة خلال هذا الصراع مؤكدة بالواقع الملموس حقيقة تماسك الامة العربية ووحدة ارادتها ومصيرها وقدرها التاريخي .

١ ــ المعركة دوليا

لم تنطلق المدافع العربية في ١٠/٦ الا بعد ان حققت الدبلوماسية العربية انتصارا شاملا على صعيد المناورة السياسية الخارجية . فلقد استطاعت التحركات السياسية النشطة والمبادرات المبنية على افكار ثلاث : ١ ــ عدم السماح للمعتدي بالحفاظ على

المكاسب التي حققها من عدوانه ، وهي فكرة تقبلها الراي العام العالمي وايدتها قرارات مجلس الامن ، ٢ ــ ان اسرائيل غير معرضة لخطر الابادة كما كانت تدعي ، ولكنهــا على العكس دولة ذات اطماع توسعية عدوانية لا تهدد سلامة الاقطار العربية المجاورة فحسب بل تهدد الامــن العالمي كله ، ٣ ــ ان رفض المجموعــة الحــاكمة الفاشية في اسرائيل لكل مبادرات الســلام العالمية والعربية ، وتحديهــا للارادة العالمية وعــدم انصياعها لكل القرارات الخاصة بانسحابها من الاراضي المحتلة يسيء الى الاقتصاد الاوروبي ويحمله اعباء متزايدة يكبر خطرها مع كبر ازمة الطاقة في العالم .

ومن المؤكد ان اسرائيل كانت قبل اندلاع القتال تعاني المزيد من العزلة على الصعيد الدولي بشكل عام . وكانت اهم مظاهر تدهور مكانة اسرائيل عالميا في هذا الشهــر : اولا ، الادانة الشديدة التي تلقتها من مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقــد في الجزائر في الاسبوع الاول من شهر أيلول المنصرم (راجع « شؤون فلسطينية » عدد ٢٦ ، تشرين الاول ١٩٧٣ ، ص ١٢ ــ ٢٠) . ثانيا ، استمــرار الضغط السعودي عــلى الرئيس نيكسون لتبديل سياسته نوعا ما باتجاه تحريك الجمود المخيم على النــزاع في الشرق الاوسط بهدف تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ويعتمد الضغــط السعودي عــلى التلويح بعدم رفع انتاج البترول بما يتناسب مع الحاجات الاستهلاكية للولايات المتحدة. وكان السفير الامريكي الجديد في السعودية ، جيمس اكنس (الذي كان يشغل منصب كبير الخبراء في شؤون المحروقات والطاقة في وزارة الخارجية الامريكية) ، قد نبــه في مقابلة صحفية في اواخر شهر ايلول الى ان العربية السعودية جادة في رفضها زيــادة انتاج بترولها ما لم يتحسن الموقف الامريكي لجهة التخفيف من دعم اسرائيل في اصرارها على الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلــة (راجع « شؤون فلسطينية » ، عــدد ٢٦ ، تشرين الاول ١٩٧٣ ، ص ١٧٩ ــ ١٨٢) . ثالثا ، رفــض المحكمــة العليا في النرويج الافراج عن الاسرائيليين المعتقلين بتهمة الاشتراك في اغتيال المناضل احمد بو شيكي في شهر تموز الماضي . وكانت وزارة الخارجية النرويجية قد اعلنت ان وجود اية صلة بين الحكومة الاسرائيلية ومرتكبي الجريمة يشكل « مسألة في غاية الخطــورة » بالنسبــة للحكومة النرويجية ، كما ابلغ وزير الخارجية النرويجي السفير الاسرائيلي عــن قناعة حكومته بارتباط المجرمين بالسلطات الاسرائيليــة . رابعا ، وصل الضيــق الاوروبي بسلوك الحكومة الاسرائيلية ومواقفها ذروته في قيام السلطات النمساوية بالغاء كــل التسهيلات المقدمة الى تل ابيب من أجل نقل المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل ، وجاء الاجراء على اثر قيام الفدائيين الفلسطينيين باحتجاز رهينتين من هؤلاء المهــاجرين . واهم ما في هذا الحدث هو : (أ) تأكيد رئيس الحكومة النمســاوية (كرايسكي) بأن اقتراح انهاء التسهيلات المقدمة لاسرائيل جاء من طرفه هو لتسويــة قضية الرهائن ولم يتقدم بطلبه الفدائيون ، وأن حكومته كانت تفكر في اتخاذ مثل هــذه الخطوة واغلاق معسكر شوناو لتجميع المهاجرين منذ فترة . ولم يترك كرايسكي مجالا للشك في أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة للاقدام على ذلك وقد زوده الفدائيون بهــا . (ب) مقاومة كرايسكي الشجاعة والعنيدة لكل الضغــوط الامريكية والاسرائيلية كي يتراجع عن قــراره ، مما يبين مستوى الضيق الــذي وصلت اليه السلطــات بسبب التصرفات الاسرائيلية . ومما يلفت الانتباه ان بلدا مؤيدا لاسرائيل ومتعاطفا معها كل التعاطف مثل هولندة قد رفض بسرعة محاولات اسرائيل لجره للحلول محل النمســا في تقديم التسهيلات المطلوبة للمهاجرين اليهود . عندما اشاعت اجهزة الاعلام الاسرائيلية انباء بهذا المعنى كذبها ناطق رسمي هولندي بلغة ديبلوماسية عندما صرح « ان الانباء الصحافية الاسرائيلية التي تحدثت عن عرض من هولندة للحلول محل النمسا هي انباء سابقة لاوانها ، وان حكومته لا تزال تنتظر المزيد من المعلومات حول قضية الهجرة قبل

ان تتخذ قرارا بهذا الشأن » . وحتى بعد الانتصارات السريعة والباهرة التي حققتها القوات العربية في الايام الاولى من الحرب الدائرة لم يهرع الراي العام العالمي لنجدة اسرائيل ونصرتها كما كان يحدث كلما ادعت أن العرب يهددون وجودها ويعملون على ابادتها الخ . . .

تشير جميع الدلائل الى أن الضربة العربية حققت المفاجأة على المستوى الدولي . ولكن واشنطن كانت مطمئنة الى قدرة اسرائيل على صد الضربة وتبديل الموقف لصالحها بسرعة . ولما تأكدت نتائج نجاح الضربة العربية الاولى جاء أول رد فعل امريكي على شكل تحريك لقطعات الاسطول السادس في البحر الابيض المتوسط كما اعلن عن ذلك مسؤول في وزارة الدفاع الامريكية بقوله : « أن وحدات من الاسطول الامريكي السادس في المتوسط غادرت الموانىء المرابطة فيها وابحرت في حالة تأهب » . كذلك قامت وزارة الدفاع الامريكية بتسريب انباء تطمينية للجانب الاسرائيلي ـ الامبريالي ، وتهويلية على الجانب العربي فحواها انه ما أن تتم اسرائيل دعوة قواتها الاحتياطية وتشن هجومها المضاد حتى تسحق القوات العربية في ظرف بضعة ايام على ابعد تقدير . وفي الوقت نفسه وجه هنري كيسنجر باسم الرئيس نيكسون نداء الى مصر واسرائيل لوقف اطلاق النار بأسرع وقت ممكن كما بعث برسالتين الى الملك فيصل والملك حسين يطلب منهما استخدام مساعيهما الحميدة لوضع حد للقتال ، كل ذلك استجابة لتعليمات نيكسون ببذل كل جهد ممكن لايقاف الحرب . وبعد اتضاح ارتباك العسكرية الاسرائيلية وانفضاح مزاعمها حول نجاحها في تدمير رؤوس الجسور التي اقامتها القوات المصرية على الضفة الشرقية من قناة السويس وما شابه ذلك من ادعاءات ، تبدل تكتيك الدبلوماسية الامريكية قليلا اذ قام هنري كيسنجر بمحاولة لتهديد الاتحاد السوفياتي وابتزازه عندما قال في اليوم الرابع من الحرب ان الوفاق الامريكي السوفياتي لا يمكن ان يستمر اذا صدرت تصرفات غير مسؤولة عن الاتحاد السوفياتي بالنسبة للحرب الدائرة في الشرق الاوسط . وخلق كلامه انطباعا عاما بأنه اتهم الدولة الكبرى الصديقة للعرب بالتصرف بشكل غير مسؤول مما جعل وزارة الخارجية تسارع لتصحيح هذا الانطباع عن طريق التصريح بأن كيسنجر لم يقصد القول بأن الاتحاد السوفياتي قد تصرف بالفعل بشكل غير مسؤول ازاء الازمة الحالية في الشرق الاوسط . وتحدد أول موقف امريكي رسمي من الحرب في مجلس الشيوخ الامريكي الذي اتخذ قرارا بالاجماع استنكر فيه اندلاع القتال في المنطقة وحث الاطراف المعنية على العودة الى خطوط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ . وتبنت الحكومة الامريكية هذا المطلب لبضعة ايام وحاولت الترويج له في الاجتماع الاول لمجلس الامن (الذي اجتمع بدعوة الحكومة الامريكية) الا ان محاولتها لم تصب اي نجاح كما كان متوقعا . وعندما تأكد تماما ان النصر الاسرائيلي السريع الذي كانت تتوقعه الدوائر الامريكية والاسرائيلية قد تحول الى سراب ، وظهر ان اسرائيل تكبدت خسائر بليغة وغير متوقعة بالمعدات (وخاصة بالطائرات مجال تفوقها التقليدي) اخذت واشنطن تمهد لعمليات مد اسرائيل بالمساعدات العسكرية اللازمة بشكل علني وكثيف عن طريق التشديد ، في اليوم السادس من الحرب ، على وجود جسر جوي سوفياتي ينقل المساعدات الى كل من مصر وسورية ، وتوجيه نداء رسمي الى الاتحاد السوفياتي على لسان ناطق باسم وزارة الخارجية تطلب فيه ان يحث اصدقاءه على « الاعتدال » وتحذره من « نتائج عدم التعاون في السعي لايجاد حل للنزاع » . كذلك تم الاعلان في وزارة الدفاع عن مغادرة حاملة الطائرات الامريكية فرانكلين د. روزفلت ميناء برشلونة مبحرة باتجاه شرقي البحر الابيض المتوسط . الا انه عندما اتضح ان سياسة التهديد والوعيد لم تنفع مع الاتحاد السوفياتي أو مع الدول العربية المقاتلة ، كما انها لم تمكن اسرائيل من تحقيق اية

انتصارات اضطر هنري كيسنجر الى تخفيف لهجة الدبلوماسية الامريكية عند مخاطبة الاتحاد السوفياتي . وكان ذلك جليا في المؤتمر الصحفي الذي عقده في اليوم السابع للحرب حيث قال أن الاتحاد السوفياتي اظهر اعتدالا في سياسته ازاء الحرب في الشرق الاوسط الامر الذي من شأنه عدم تعريض سياسة الوفاق والانفراج مع الولايات المتحدة الى الخطر ، وأضاف قائلا انه على الرغم من صدور « بعض المبادرات المؤسفة » عن موسكو (المقصود دعوة القيادة السوفياتية القادة العرب الى التضامن الفعال مع مصر وسوريا وعدم تركهما وحيدتين في ساحة المعركة) فأن السياسة السوفياتية لم تتبن حتى الآن أية مواقف غير مسؤولة ، ثم اكد انه في حالة جنوح الاتحاد السوفياتي باتجاه سياسات من هذا النوع فان الولايات المتحدة لن تتردد في « اتخاذ موقف حازم من الازمة » . وفي الوقت نفسه أرسل الرئيس نيكسون برقية الى الرئيس بومدين ، قال فيها انه يأمل في ان « تتمكن حكومتي من الاعتماد على حكومتكم وغيرها من الحكومات للعثور على وسيلة لانهاء الحرب في الشرق الاوسط » . ان الحرب الجديدة كما اكد الرئيس الامريكي تظهر مرة اخرى ضرورة العثور على حل عادل ودائم للمشاكل الاساسية في هذه المنطقة ، وأن الولايات المتحدة تعمل جاهدة للعثور على وسيلة يمكن ان تؤدي الى انهاء القتال ، وستضاعف جهودها للعثور على أساس كل هذا النزاع الطويل » .

وإذا كان كيسنجر قد لطف من لهجة الدبلوماسية الامريكية في مخاطبة الاتحاد السوفياتي فقد فعل نيكسون العكس بالنسبة للدول العربية اذ صعد لهجة التهديد عندما ألمح بصورة شبه مباشرة ، في خطاب القاه في ١٦ تشرين الاول ، الى امكانية تدخل امريكي عسكري الى جانب اسرائيل وذلك في معرض تحديده « للسياسة الامريكية ازاء النزاع الراهن في الشرق الاوسط » حيث قال بأنها لا تختلف عن « السياسة التي اتبعناها عام ١٩٥٨ في لبنان ، وعام ١٩٧٠ في الاردن » . وجدير بالذكر ان نيكسون كان نائبا لرئيس الجمهورية عندما نزلت القوات الامريكية في لبنان ، وان حكومته كانت تنوي التدخل العسكري بالاشتراك مع اسرائيل في الاردن في ايلول ١٩٧٠ لو بدا يومها ان موازين القوى ستميل لصالح الثورة الفلسطينية . وفي الوقت نفسه أعلن الناطق باسم وزارة الخارجية ان الولايات المتحدة بدأت بتزويد اسرائيل بالاسلحة من اجل اعادة التوازن العسكري في المنطقة الى ما كان عليه سابقا (دبابات ، طائرات فانتوم وسكاي هوك ، صواريخ وقنابل متطورة للغاية، وغيرها من المعدات). وذكرت مصادر دبلوماسية امريكية ان الولايات المتحدة تريد من هذه الخطوة ان تشكل ، بالاضافة الى تعويض اسرائيل عن خسائرها الكبيرة ، ضغطا سياسيا على الاتحاد السوفياتي والدول العربية للجلوس الى طاولة المفاوضات لتسوية النزاع بعد اعلان وقف اطلاق النار . وعلى الرغم من هذه التهديدات فقد تركت النجاحات العسكرية العربية أثرها الواضح على موقف الحكومة الامريكية الذي تمثل : اولا ، بتنازلها عن مطلب تحقيق وقف اطلاق النار على أساس العودة الى خطوط ١٩٦٧ والقبول به على أساس بقاء القوات المتحاربة في المكان الذي تجد نفسها فيه عند اعلانه . وثانيا ، باعلان هنري كيسنجر ان حكومته لا تنوي ارسال اية قوات الى الشرق الاوسط ما لم يتدخل الاتحاد السوفياتي تدخلا مباشرا في النزاع . وجاء هذا التصريح التطميني نتيجة انزعاج اوساط كثيرة في الدوائر الحاكمة الامريكية من تلميح نيكسون الى امكانية حدوث تدخل امريكي عسكري مباشر في منطقتنا ، وواضح ان مصدر القلق هو ذكريات حرب فيتنام . وعلى سبيل المثال فقد أعلن السناتور الديمقراطي مايك مانسفيلد ، المعروف بتأييده القوي لاسرائيل، عن معارضته لاشتراك جنود البحرية الامريكية في حرب الشرق الاوسط لان « فيتنام واحدة تكفي » .

وكان من ابرز الموضوعات التي اقلقت الاوساط السياسية الامريكية منذ اندلاع القتال مسألة استخدام البترول من قبل الدول العربية المعنية كأداة ضغط عالمية مسخرة في خدمة المجهود الحربي العربي . وقد ألمح الرئيس نيكسون الى ذلك في اليوم السادس من الحرب بقوله : « ان انفجار الوضع في الشرق الاوسط يذكرنا مرة اخرى بمدى اعتماد الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان على شحنات النفط من الشرق الاوسط » . وبعد حوالي اسبوع من صدور هذا القول كان مؤتمر وزراء النفط والمال المنعقد في الكويت (١٧ تشرين الثاني) يعلن انه قرر خفض انتاج البترول فورا بنسبة لا تقل في كل دولة عربية مصدرة عن ٥ في المئة ابتداء من انتاج شهر ايلول الماضي مع الاستمرار في تطبيق هذه النسبة في الخفض بصورة شهرية « وذلك حتى يوم جلاء القوات الاسرائيلية جلاء كاملا عن كل الاراضي العربية المحتلة منذ حرب ١٩٦٧ » . وشمل قرار الخفض كل دول العالم باستثناء المؤيد منها للعرب والتي تمارس ضغوطا على امريكا واسرائيل ، كما تقرر الاستمرار بتزويد الدول الصديقة بالكميات نفسها التي كانت تحصل عليها قبل العمل بقرار الخفض وستعامل بالمعاملة الاستثنائية ذاتها كل دولة تتخذ اجراء مهما ضد اسرائيل لحملها على انهاء احتلالها للاراضي العربية المحتلة . وفي الوقت الذي تم فيه الاتفاق على اول اجراء بترولي — سياسي عربي في تاريخ المنطقة ، كان وزراء خارجية اربع دول عربية (العربية السعودية ، الكويت ، المغرب ، الجزائر) يقابلون الرئيس نيكسون وهنري كيسنجر في محاولة ديبلوماسية — نفطية لدعم المجهود العربي العسكري في سيناء والجولان . وجدير بالذكر ان ثلاثا من هذه الدول مرتبطة بعلاقات وثيقة جدا مع الولايات المتحدة . ولم ترد أية تفاصيل حول هذه المقابلة باستثناء دوامها لمدة ساعة وقيام الوزراء العرب باطلاع الرئيس الامريكي على ردود الفعل العربية الرسمية والشعبية المتوقعة تجاه الولايات المتحدة نتيجة لموقفها من الحرب في المنطقة بالاضافة الى تصريح عمر السقاف بأن الوزراء العرب ابلغوا الرئيس نيكسون ان الدول العربية لن تقبل بأقل من الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ واحترام حقوق الشعب الفلسطيني في أية تسوية للنزاع في المنطقة . وعلى اثر المقابلة صرح الرئيس نيكسون ان الولايات المتحدة تشارك الدول العربية رغبتها في ايجاد تسوية عادلة للنزاع « على الرغم من الاختلاف حول وسائل تحقيقها » ، والاشارة هنا هي الى ان العرب يفضلون الوسائل العنفية بينما تفضل الولايات المتحدة الوسائل السلمية والدبلوماسية [!] واضاف نيكسون قائلا انه شرح للمبعوثين العرب ان بلاده تعتبر ان الهدف الكبير والملح الذي ينبغي تحقيقه الان هو « ايجاد تسوية عادلة وسلمية ومشرفة للنزاع في الشرق الاوسط » انسجاما مع ما حققته حكومته من مبادرات خدمت السلام العالمي مثل الانفتاح على الصين وتطوير العلاقات مع الاتحاد السوفياتي باتجاه الوفاق العام وانهاء الحرب في فيتنام . ويمكننا ان نقول بصورة عامة ان الانجازات التي حققتها القوات العربية المسلحة في ميدان القتال والبرهان الذي قدمته على قدرتها وكفاءتها وصمودها قد اثرت بجلاء على لهجة نيكسون في تصريحاته المذكورة ، اذ اتصف كلامه ، كما هو واضح ، بالاعتدال الشديد وغاب عنه كل تصلب او تلميح بالتهديد او الوعيد او الاستخفاف على عكس ما عودنا عليه في السابق في معاملاته مع الجانب العربي بشكل عام .

لكن على الرغم من ذلك هرع نيكسون الى نجدة اسرائيل بتقديم مشروع قرار الى مجلس النواب الامريكي يطالب فيه بما يزيد عن مليارين من الدولارات تخصص لدعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا . وأدت هذه الخطوة الى ردود فعل عربية نفطية قوية كان أبرزها اعلان العربية السعودية عن تخفيض فوري في انتاجها من البترول مقداره ١٠ ٪ ، بدلا من التقيد بالحد الادنى الذي أقره مؤتمر الكويت (أي ٥ ٪) ، بالاضافة

الى تجميد كل صادراتها البترولية الى الولايات المتحدة . وحذت الكويت حذو السعودية في هذا الشأن ، بالاضافة الى مضاعفتها للاسعار المعلنة لنفطها . كذلك قررت حكومة أبو ظبي وقف شحن النفط الى امريكا ولوحت باتخاذ اجراءات اخرى لم يعلن عنها اذا لم يتحسن الموقف الامريكي بالنسبة لدعم اسرائيل كما اشارت الى ان خطوات مماثلة ستتخذ بحق اية دولة اخرى تقف موقفا معاديا من القضية العربية . اما ليبيا فقد رفعت الاسعار المعلنة لنفطها وخفضت انتاجها بنسبة ٥ ٪ وجمدت كل تصدير الى الولايات المتحدة . كذلك خفضت كل من الجزائر وقطر انتاجها البترولي بمقدار ١٠ ٪ ، وقام العراق برفع اسعار نفطه المعلنة وبتأميم الحصص التابعة للشركات الامريكية والهولندية في بتروله . يضاف الى ذلك قيام حكومة البحرين بالغاء الاتفاق المعقود بينها وبين الحكومة الامريكية الذي يمنح الثانية تسهيلات في القاعدة البحرية التي كانت بريطانيا قد اخلتها في وقت سابق وسلمتها الى البحرين .

اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي فقد كان موقفه منسجما كل الانسجام مع بنود معاهدة الصداقة المصرية ــ السوفياتية التي نصت في احد بنودها على انه « في حال نشوء اوضاع تشكل حسب رأي الطرفين تهديدا للسلام او خرقا للسلام ، فانهما سيتصلان بعضهما ببعض على الفور لتنسيق موقفيهما من اجل ازالة التهديد الناشىء او اعادة السلام » . كما كانت تصرفاته لا تتعدى مجرد التنفيذ الامين لكافة الاتفاقات المعقودة علنا بينه وبين سوريا ومصر ولكل التعهدات التي سبق له والتزم بها تجاه العرب وخاصة بالنسبة لموضوع تحرير الاراضي العربية المحتلة « بوسائل اخرى » عندما ثبت نهائيا تفشيل اسرائيل للوسائل السلمية والدبلوماسية . وعلى هذا الاساس كانت الاتصالات مستمرة بين الاتحاد السوفياتي والقيادات العربية خاصة في مصر وسوريا ، منذ نشوب القتال كما ان المساعدة السياسية والمعنوية والمادية للدولة الكبرى لم تنقطع عن البلدان العربية والمقاتلة منها على وجه الخصوص ، منذ بداية الحرب . ففي ٧ تشرين الاول اصدرت حكومة الاتحاد السوفياتي بيانا رسميا حملت فيه اسرائيل المسؤولية الكاملة عن انفجار الحرب في الشرق الاوسط ، وأكدت ان المعارك اندلعت نتيجة اعمال اسرائيل العدوانية ورفضها الدائم التوصل الى تسوية سياسية للنزاع في الشرق الاوسط . وادان البيان كل من سياسة اسرائيل التوسعية والحماية التي تتلقاها من الاوساط الامبريالية بالاضافة الى تجاهلها لمطالب الرأي العام العالمي واستهتارها بميثاق هيئة الامم وقراراتها ، واحكام القانون الدولي . كما أعلن ان الاتحاد السوفياتي يقف بثبات الى جانب الدول العربية تمشيا مع مقتضيات الصداقة وسياسته المبدئية في دعم الشعوب الساعية الى الحرية والاستقلال ، كما انه يساند بحزم المطالب الشرعية للدول العربية بالنسبة لتحرير كل الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في عام ١٩٦٧ اذ ليس بالامكان تحقيق أي سلام مضمون لدول المنطقة وشعوبها بدون تحرير الاراضي المذكورة وضمان الحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني .

وعلى اثر الغارات الجوية التي شنتها اسرائيل على الاهداف المدنية واصابة عدد من مباني البعثات الدبلوماسية بما فيها مبنى البعثة السوفياتية في دمشق واغراقها سفينة سوفياتية في ميناء طرطوس أصدر الاتحاد السوفياتي تحذيرا موجها لاسرائيل جاء فيه ان الدولة الكبرى لا يمكن ان تقف موقف اللامبالاة امام الاعمال الاجرامية للعسكرية الاسرائيلية التي أوقعت ضحايا بين المواطنين السوفيات في مصر وسوريا . كما طالب بالوقف الفوري لقصف المواقع والاهداف المدنية في كل من سوريا ومصر ، وتقيد اسرائيل بأحكام القانون الدولي وخاصة في ما يتعلق بالملاحة البحرية . ثم أكد على « ان استمرار اسرائيل في اعمالها الاجرامية سيكون له نتائج خطيرة على اسرائيل نفسها » .

وعلى صعيد آخر بعث ليونيد بريجنيف برسالة خطية الى الرئيس بومدين شدد فيها على ضرورة تعزيز التضامن العربي في مواجهة العدوان الاسرائيلي ومن أجل تدعيم المجهود العسكري الموجه لتحرير الاراضي العربية المحتلة بحيث لا تبقى مصر وسورية وحدهما في مواجهة العدو الاسرائيلي . وشددت الرسالة على ضرورة تقديم المساعدة والدعم للبلدين المقاتلين على اوسع نطاق ممكن . كما قام سفراء الاتحاد السوفياتي بابلاغ رسائل شفهية تحمل المعنى ذاته الى ملوك الدول العربية ورؤسائها. وترددت انباء مفادها اولا ان بريجنيف بعث ايضا برسائل عاجلة الى الرئيسين السادات والاسد اكد فيها « تأييد بلاده الكامل والملموس لمساعي مصر وسورية في تحرير اراضيهما المحتلة » ، ثانيا ان الاتحاد السوفياتي اوقف منذ بدء القتال الهجرة اليهودية الى اسرائيل وانه ينوي ربط موضوع السماح بها بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة، ثالثا ، ان السفير السوفياتي في بيروت قابل ياسر عرفات حيث سلمه رسالة مهمة لم يعرف شيء عن محتوياتها كما أكد له ان حكومته ستقوم بدعم حركة المقاومة مباشرة ضمن اطار المعركة الدائرة حاليا على اساس التنسيق بين المقاومة والجيوش العربية المعنية .

وفي ١٦ الجاري قام الرئيس بومدين بزيارة سريعة لموسكو حيث قابل القيادة السوفياتية واجرى محادثات بشأن حرب التحرير الدائرة في المنطقة . وعلى اثر انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك شدد على عزم البلدين على « المساعدة بكل السبل في تحرير كافة الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل » . وأعلن بومدين « ان الاتحاد السوفياتي عازم على مساعدة العرب بكل الوسائل لتحرير اراضيهم » . وجدير بالاشارة هنا ان الصين الشعبية ادانت « الهجوم الاسرائيلي » وأعلنت عن « مساندتها الحازمة للشعبين المصري والسوري في مقاومتهما للمعتدي الاسرائيلي » . كذلك حمّل الحزب الشيوعي في فيتنام الديمقراطية اسرائيل والولايات المتحدة مسؤولية تجدد المعارك في الشرق الاوسط حيث أعلن عبر صحيفته الرسمية « ان الاعتداء الاسرائيلي الحالي على مصر وسورية هو جزء من الاعمال الاجرامية التي ترتكبها اسرائيل والامبريالية الامريكية ضد الشعوب العربية » .

وفي اوروبا الغربية أخذ موقف الدول الرئيسية فيها طابع الحياد والرغبة في عدم التورط السياسي المفتوح الى جانب أي من الطرفين المتحاربين مما ازعج اسرائيل أزعاجا شديدا لكونها اعتادت على التأييد الاوروبي الغربي المطلق في اعتداءاتها السابقة على العرب . لذلك قدمت الاحتجاجات الى كل من الحكومة الفرنسية والبريطانية وشنت الحملات الاعلامية ضدهما . ولا شك ان الموقف الاوروبي الغربي هذا ، الذي يشكل مكسبا عربيا بالمقارنة مع ما كانت عليه الاوضاع في السابق ، جاء نتيجة عوامل كثيرة منها ارتباط المصالح الاوروبية بالبترول العربي وغيره من الثروات في المنطقة ، بالاضافة الى كون الدول العربية تقاتل على اراضيها ومن أجل تحريرها من سيطرة الاحتلال الاجنبي . وكان اول رد فعل بريطاني على نشوب القتال فرض الحظر على تصدير الاسلحة الى الطرفين المتحاربين وشمل الحظر قطع الغيار التي تحتاج اليها اسرائيل بسبب استخدامها الدبابات البريطانية . ونادت بريطانيا بضرورة وقف اطلاق النار والعودة الى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وركزت جهودها الدبلوماسية العامة وفي هيئة الامم على تحقيق هذا الهدف. أما فرنسا فقد لخص وزير خارجيتها السيد ميشال جوبير موقف حكومته بتساؤله في الايام الاولى لاندلاع الحرب « ما اذا كانت محاولة عودة الانسان الى وطنه تشكل بالضرورة عدوانا غير متوقع ؟ » ، وكان الوزير الفرنسي يرد ، عن طريق هذا التساؤل الخطابي ، على مزاعم اسرائيل بأن محاولة الجيوش العربية استعادة اراضي شعوبها تشكل عدوانا صارخا على اسرائيل نفسها ! وعرض

وزير الخارجية الفرنسي مساعي بلاده الحميدة على الدول المتحاربة للوصول الى تسوية سلمية ، كما دعا الى اشتراك دول اوروبية غربية اخرى في تقديم اقتراحات تهدف للتوصل الى حل سلمي . وصدر بيان عن مجلس الوزراء الفرنسي جاء فيه ان حكومة البلاد تعمل من أجل تحقيق تسوية نهائية للنزاع تشتمل على كل الضمانات الضرورية لسلامة جميع دول المنطقة . كما اكد ناطق رسمي فرنسي بأن بلاده تعمل في مجلس الامن وخارجه على ايجاد حل للازمة ولوقف اطلاق النار على اساس اجراء مفاوضات تؤدي الى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وبدون خلق أية خطوط وقف اطلاق نار جديدة . وفي الوقت نفسه اصدرت الدول الاوروبية التسع الاعضاء في السوق المشتركة بيانا دعت فيه الى وقف اطلاق النار والبدء بمفاوضات حقيقية تؤدي الى تسوية النزاع على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ويفهم من لهجة البيان ان هذه الدول لم تشترط أي انسحاب الى ما وراء خطوط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ .

ومن ناحية اخرى أعلن وزير خارجية اليونان ان المجالات الجوية والارضية والبحرية اليونانية لم تستخدم لاية نشاطات تتعلق بالحرب الدائرة في الشرق الاوسط ، وشدد على ان علاقات بلاده الودية بالدول العربية تمنع اشتراك اليونان بأية صورة من الصور في أية أعمال موجهة ضد العرب سواء كان ذلك بشكل مباشر او غير مباشر . كذلك أعلن ناطق رسمي تركي أن القواعد الامريكية في تركيا لن تتورط في النزاع العربي - الاسرائيلي ، كما علقت الحكومة البلجيكية كل شحنات السلاح الموجهة الى البلدان المشتركة في الحرب .

في هيئة الامم استمعت الجمعية العمومية الى عدد من الخطباء العرب الذين عرضوا وجهة نظر بلادهم بالنسبة لموضوع تحرير الاراضي العربية المحتلة . ولم تجر أية مناقشات ذات أهمية كما ان الخطباء الآخرين كرروا عرض مواقف بلادهم كما أشرنا اليها في هذا التقرير . ومن الظواهر التي لفتت النظر عدم اقدام أي من الدول العربية بدعوة مجلس الامن للنظر في موضوع الحرب الدائرة في المنطقة مما جعل الولايات المتحدة تبادر الى دعوته لهذا الغرض . ولم تجر اية مداولات ذات أهمية خاصة في اجتماعات المجلس باستثناء اتاحة المزيد من الفرص للمندوبين العرب لتوضيح الهدف التحرري للحرب ضد قوات الاحتلال ، وللتنديد بقصف اسرائيل للاهداف المدنية . وعندما حاول المندوب الاسرائيلي ، في أحد اجتماعات المجلس ، تقديم تعازيه بمناسبة مقتل بعض المواطنين السوفيات من جراء الغارات الجوية الاسرائيلية على دمشق خرج المندوب السوفياتي غاضبا من الاجتماع معلنا ان بلاده « غير مستعدة لسماع اعذار ممثلي العصابات الدولية والمجرمين » . ومن الملفت للنظر أن عاصفة من التصفيق دوت في القاعة تأييدا لموقف المندوب السوفياتي .

وتبلورت المواقف على النحو التالي في مجلس الامن : طالبت الولايات المتحدة بوقف اطلاق النار على أساس العودة الى خطوط عام ١٩٦٧ ومن ثم العمل من أجل تسوية على أساس القرار رقم ٢٤٢ . وطالبت بريطانيا المجلس باصدار نداء عاجل بوقف اطلاق النار (بدون رجوع القوات الى أماكنها السابقة) واستغلال الاحداث التي وقعت للتوصل الى تسوية سلمية حقيقية . وطالب الاتحاد السوفياتي المجلس بألا يتخذ أي قرار جديد في الظروف الحالية ما لم تتعهد اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وتبدأ بتنفيذ تعهدها . وطالبت الصين بأن يتبنى المجلس قرارا يندد باسرائيل ويدعوها للانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . وتأجلت جميع جلسات المجلس بدون التوصل الى اية نتائج أو قرارات بانتظار ما يتم تحقيقه في ميدان القتال .

تلقت اسرائيل صفعات دبلوماسية اضافية في افريقيا . فقد أعلنت حكومات كل من

فولتا العليا ورواندا وداهومي والكاميرون وتانزانيا وملاغاش وافريقيا الوسطى والحبشة ، قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . كما تبنى مؤتمر للسفراء الممثلين لـ ٢٥ دولة افريقية من الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية قرارا يدين « العدوان الوحشي الاسرائيلي » ضد الدول العربية بشكل عام وضد مصر بشكل خاص ويؤيد « حق العرب في استعادة اراضيهم » .

وفي ٢٠ الشهر الجاري طرأ تطور مهم جدا على الجبهة الدبلوماسية اذ قام الزعيم السوفياتي الكسي كوسيغين بزيارة مفاجئة الى القاهرة حيث اجتمع مطولا الى الرئيس السادات . واتضح فيما بعد أن هدف الزيارة يتعلق بالمشاورات الجارية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة للتوصل الى اتفاقية جديدة لوقف اطلاق النار تضمن تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وعلى ما يبدو عرض كوسيغين على الرئيس السادات مسودة للصيغة التي يتم التشاور حولها مع الولايات المتحدة بالنسبة لاعلان وقف اطلاق النار وتنفيذ قرار مجلس الامن . وترددت أنباء صحفية بأن المسودة نصت على قيام الدول الكبرى بالاشراف على وقف اطلاق النار وانسحاب اسرائيل الى خطوط ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ مع بعض التعديلات الطفيفة على الحدود . وأعطت وكالة الانباء اليوغسلافية في نبأ لها من القاهرة التفصيلات التالية عن مسودة مشروع السلام : أولا ، يجري ترتيب وقف اطلاق النار بمساعدة امريكية ــ سوفياتية على أن تنسحب اسرائيل الى خطوطها السابقة مع ادخال بعض التعديلات الطفيفة على الحدود . ثانيا ، تضمن قوات دولية حدود الاطراف المتنازعة ويكون الدور الاهم في تقديم هذه الضمانات للدولتين الكبريين وللدول الاعضاء في مجلس الامن بشكل عام . وذكرت مصادر دبلوماسية أمريكية أنه جرى ابلاغ الرئيس نيكسون مسبقا بزيارة كوسيغين للقاهرة . وعلى أثر عودة الزعيم السوفياتي الى بلاده صدر بلاغ رسمي في واشنطن أعلن ان الرئيس نيكسون طلب من وزير خارجيته (هنري كيسنجر) أن يتوجه حالا الى موسكو لاجراء محادثات حول وسائل انهاء القتال في الشرق الاوسط . وأكد البيان الامريكي أن سفر كيسنجر جاء نتيجة طلب الزعامة السوفياتية حضوره على جناح السرعة . وسافر برفقة وزير الخارجية مساعده لشؤون الشرق الاوسط (جوزيف سيسكو) وسفير الاتحاد السوفياتي في واشنطن . وعلى أثر سفر كيسنجر أعلن ناطق باسم البيت الابيض أن الرئيس نيكسون بعث برسالة خاصة الى الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف بخصوص الوضع في الشرق الاوسط وذلك عن طريق السفارة السوفياتية في واشنطن .

وظهرت نتيجة المحادثات الامريكية السوفياتية في موسكو صباح ٢٢ الشهر الجاري حيث وافق مجلس الامن الدولي على مشروع قرار تقدمت به الدولتان الكبريان يدعو الاطراف المتحاربة في الشرق الاوسط الى وقف اطلاق النار ضمن حدود مدة أقصاها ١٢ ساعة من تاريخ صدور القرار ، والى البدء فورا بعد وقف اطلاق النار بتنفيذ كل بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . كما نص القرار على بدء المفاوضات بين الاطراف المعنية باشراف مناسب ، وذلك فورا ومع وضع وقف اطلاق النار موضع التنفيذ ، من أجل اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

وجدير بالذكر ان سوريا لم تحضر اجتماع مجلس الامن كما لم تشارك الصين في المداولات وامتنعت عن التصويت . واعلنت اسرائيل ، على اثر اجتماع طارىء لمجلس وزرائها ، موافقتها على قرار مجلس الامن شرط أن يلتزم به الجانب العربي . واعلنت مصر في وقت لاحق أن الرئيس السادات أصدر أوامره للقوات المسلحة المصرية بالتقيد بقرار مجلس الامن وايقاف اطلاق النار في الساعة المحددة لذلك . وقد رفضت كل من ليبيا والعراق قرار مجلس الامن . ولم توافق سوريا ، وهي طرف أساسي في الصراع ،

على القرار الا في ١٩٧٣/١٠/٢٣ بعد ان درسته كل من القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية والقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، وبعد أن تم الاتصال مع الملوك والرؤساء العرب للتداول معهم حول هذا القرار .

ويرى مؤيدو الموافقة على القرار أنه حقق للدول العربية نصرا سياسيا لانه يحقق عند تنفيذه الهدف السياسي الذي اندلعت الحرب من أجله ، وهو تحرير الاراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ وضمان حقوق الشعب الفلسطيني العادلة . اما معارضو القرار فهم في الاساس معارضو القرار ٢٤٢ وأنصار فكرة عدم الاكتفاء بتحرير الارض التي احتلها العدو في حرب ١٩٦٧ وضرورة متابعة النضال حتى التحرير الكامـل وازالة القاعدة الامبريالية الصهيونية وبناء الدولة الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني . ويبدي الكثيرون شكوكهم حول النوايا الامريكية الكامنة وراء الموافقة على هذا القرار ، وحول احتمالات وجود خديعة أمريكية تستهدف ايقاف القتال ريثما تلتقط اسرائيل انفاسها وتعيد تسليحها وتشن عدوانا جديدا على العرب . ويزيد من حدة هذه الشكوك الايمان السائد بأن الولايات المتحدة تنهج سياسة ممالئة لاسرائيل على حساب الحق العربي ، وأساليب العدو الامبريالي ــ الصهيوني في الخداع والمناورة ، وما أعلنته اسرائيل عن التفسير الاسرائيلي لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ان الضمانة الوحيدة لانسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ هو الضمانة الامريكية ــ السوفياتية لهذا الانسحاب ولكن أخطر ما في الامر هو ان يؤدي قرار وقف اطلاق النار الى تفكك داخل المعسكر العربي الذي اثبت خلال الحرب الرابعة أنه قادر على أخذ موقف موحد تجاه العدو القومي الشرس .

٢ ــ المعركة عربيا

عندما اندلعت الحرب كانت دلائل كثيرة تشير الى أن الوضع العربي أبعد ما يكون عن الحرب . ومع أن المأزق ازاء الاحتلال كان يزداد تفاقما ، فان الامور لم تكن تسير على ما يرام . ويكفي هنا أن نعطي بعض الوقائع :

١ ــ على الصعيد العربي : كانت العلاقات داخل دولة الاتحاد تسير نحو التدهور ما بين ليبيا من جهة ومصر وسورية من جهة أخرى . ولقد أخذت العلاقات تسوء أيضا ما بين سورية والعراق . وفي هذا الوقت حدث انفراج في العلاقات السورية ــ الاردنية والمصرية ــ الاردنية ، بعد سلسلة من الزيارات قام بها ممثلون رسميون ، وبعد اجتماع القمة الثلاثي في القاهرة . الا أن انفراج العلاقات مع الاردن كان يوحي ، لا بالاتجاه في طريق الحرب ، بل بالاتجاه في الطريق الآخر .

واذا كانت العلاقات العربية لا توحي بالتوجه نحو الحرب ، فان سياسة كل دولة على حدة ، وخاصة سياسة مصر وسورية ، لم تكن توحي بأن هنالك حربا مقبلة . واذا ما درسنا السياسة المصرية في الاشهر الاخيرة ، وخطب المسؤولين المصريــين خاصة ، وجدنا أنها أبعد من أي وقت مضى عن حديث الحرب والحسم .

٢ ــ على صعيد العلاقات العربية ــ الفلسطينية : شهدت فترة ما قبل المعركة أزمة في العلاقات بين سورية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، بعد أن أخذت السلطات في الجمهورية العربية السورية قرارها باغلاق اذاعة درعا . وقد تكهرب جو العلاقات وتأزم ، وكاد أن ينفجر .

٣ ــ على صعيد علاقات مصر وسورية مع الاتحاد السوفياتي : ظل الفتور الظاهر

هو المخيم على العلاقات ، ولم يكن يبدو ان هناك تطورات في العلاقات ، أو أن هناك شحنات غير عادية من الاسلحة . وجاءت عملية « قطار المهاجرين » ، وما بدا من علاقتها بطلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) ، لتشير الى أن العلاقات قد اخذت تتدهور بين سورية والاتحاد السوفياتي .

٤ ـــ وعلى صعيد الاقطار العربية عامة ، ومصر وسورية خاصة ، لم يكن هنالك ما يوحي بوجود تعبئة للحرب . وكانت التحركات العسكرية التي جرت في سورية ومصر ، توحي بالاستعداد لمواجهة هجوم اسرائيلي متوقع .

وهكذا حين اندلعت الحرب فجأة ظهيرة يوم السادس من تشرين الاول كان النبأ مفاجأة للجميع . ذلك ان كل الدلائل لم تكن تشير الى قرب اندلاع الحرب ، ولم يكن التوتر على الجبهات كافيا الى الدرجة التي توفر القناعة بقرب اندلاع القتال .

وكان هنالك عاملان آخران يزيدان من القناعة بعدم توافر التهيؤ للقتال :

أولهما : كون التنظيرات « العلمية » قد اتجهت خلال السنين الماضية ، التالية لحرب ١٩٦٧ ، الى أن الانظمة العربية غير قادرة على الحرب ، والى أن الجيوش العربية غير قادرة على القتال . وان الدول العربية تبحث عن امكانية « للسلام » تستفيد منها . وقد كان الاتجاه العام للتنظيرات السياسية يؤكد على هذه الحقيقة . الحرب لن تقوم لان انظمة البرجوازية الصغيرة سقطت في حرب ١٩٦٧ ، ولانها غير مستعدة لبناء قوات قادرة ومؤهلة ، وغير راغبة في تعبئة الجماهير واعدادها للقتال ، وغير قادرة على ذلك ان ارادت . ولهذا كان يعتبر كل حديث عن الحرب هراء .

وكانت هذه التنظيرات الآتية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، المستندة الى التحليلات العلمية ، تزيد من قناعة المثقفين والمسيسين عموما ، بأن المجال الوحيد هو مجال « السلام » ، وبأن لا مجال للحرب ، وبأنه لا مجال « للسلام » عبر الحرب .

ولم تكن هذه « التنظيرات » خالية من الصحة تماما ، وان كانت بعيدة عن الصواب. ذلك أنها أخذت جانبا من الصورة ، وتحدثت عن « الجانب الاستسلامي » في السياسة العربية . وهي اذ لحظت هذا الجانب ، الجانب السلبي : عدم تعبئة الجماهير ، عدم اعداد القوات المقاتلة سياسيا للحرب ، البحث عن سبل « السلام » ، ركزت عليه واعتبرته الجانب الوحيد في الصورة . ثم ما لبثت ان تجاهلت كل الجوانب الاخرى ، محاولة ان تسخر العلم لدعاواها السياسية ، وأن تخضع التناقضات لاوهامها ولتصوراتها الذاتية . ولما كانت تستهدف اعدام البرجوازية الصغيرة وأفكارها وجيوشها وساستها لم تستطع ان ترى لدى هذه البرجوازية غير التذبذب واللامبالاة والعجز .

ولم تستطع هذه التنظيرات أن تلحظ ان البرجوازية الصغيرة الحاكمة تعيش أزمة حقيقية ، وانها لم تستطع أن توفر لنفسها « سلاما » مقبولا يبقيها في السلطة ، كما أنها لم تتحول الى أداة بيد الامبريالية ، حتى وهي تتراجع باتجاه المحافظة ، وانها بالتالي ظلت أمام نفسها وأمام جماهيرها مطالبة بأن تبرر وجودها . ذلك ان المعركة مع العدو الاجنبي المحتل تبقي لها دورا وطنيا لا يمكن تجاهله مهما حقد عليها البروليتاريون ، وان كان هذا الدور متذبذبا دائما ، رجراجا دائما .

وهكذا ساهمت هذه « التنظيرات » لا في اعطاء صورة غير حقيقية للوضع فحسب ، بل ساهمت في تضخيم مؤامرات الاستسلام وشحن قطاعات من الجماهير بروح السلبية والشك .

ثانيهما : ان الانظمة العربية ، وخاصة جمهورية مصر العربية ، لجأت خلال السنوات الماضية الى كل المحاولات لاحقاق تسوية سلمية . وكانت أحاديث المسؤولين المصريين

تنضح بالرغبة في « السلام » . وكانت هنالك ظواهر في سياسة مصر توحي بالتراجع والتوجه على طريق الحل « السلمي » .

ولهذا عندما بادرت قيادة جمهورية مصر العربية الى ابلاغ قيادة حـركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) قبل أيام من المعركة بأن المعـركة وشيكة الوقوع ، كانت المعلومات تبدو مناقضة للواقع وللتحليل .

وجاءت المعركة ...

وفجأة اشتبكت قوات مصر وسورية مع قوات العدو . وكانت المفاجأة مذهلة للدول العربية ولجماهيرها ، كما جاءت مذهلة للعدو . ومنذ اللحظة الاولى انشدت قلوب الجماهير العربية الى المعركة . كان هنالك من يظن بأن الحرب « لعبة » ، وبأن هناك « طبخة » « طبخت » ، ومؤامرة يتم اخراجها بواسطة القتال ، وحاول الاعلام المعادي تثبيت هذه الفكرة ، الا ان تجاوب الجماهير كان أكبر من الشك ، وأعظم من الدهشة .

وبدأ التجاوب الرسمي العربي يتوالى : فأعلن الرئيس معمر القذافي التزامه بالمعركة وان كان لا يوافق على مخططها ، وأعلن الرئيس هواري بومدين وضع كل امكانيات الجزائر بخدمة المعركة . اما العراق فقد دخل غمار المعركة بكل قواته الجوية والبرية.

وبينما ظل الاردن صامتا طوال الايام العشرة الاولى ، أعلن مؤخرا انه أرسل قوات الى الجبهة السورية ، وهكذا فعلت المملكة العربية السعودية . أما الكويت فقد أعلنت وضع قواتها تحت تصرف قيادة المعركة ، مع ان لها لواء في جبهة السويس .

وعلى صعيد التبرعات أعلن ان ليبيا قدمت مساعدات مالية لمصر وسورية ، كما أعلن ان المملكة العربية السعودية قدمت الف مليون دولار لسورية والكويت مائة مليون دينار لمصر وسورية . كما أعلنت الجزائر وقف تنفيـذ خطة التنمية ورصد كـل امكانياتها للمعركة .

واتخذت الدول المنتجة للنفط قرارا بتخفيض شحن النفط بنسبة خمسة بالمائة كل شهر الى الولايات المتحدة والدول التي تؤيد دولة الاحتلال . ثم عادت ابو ظبي فأعلنت ايقاف ضخ النفط الى الولايات المتحدة . وأعلنت المملكة العربية السعودية أنها قررت تخفيض ضخ النفط الى الولايات المتحدة الاميركية بنسبة عشرة بالمائة. ثم ما لبثت الدول العربية المنتجة للنفط ان أعلنت تباعا وقف شحن النفط الى الولايات المتحدة الاميركية ، علما بأن العراق اتخذ موقفا أكثر تقدما عندما أمم حصة الولايات المتحدة في شركات النفـط العراقية ، ثم حصة هولندا .

وعلى الصعيد الشعبي العربي أعلنت كل فئات الشعب ومنظماته وصحفه وهيئاته تأييدها للمعركة ضد الاحتلال الصهيوني . ولم يبد الوطن العربي موحدا ، كما هو الآن. ولقد أعادت سورية ومصر علاقاتها مع الاردن قبل القتال ، وليبيا وتونس والجزائر بعد بدء القتال بأيام ، وبعد أن أعلن الاردن اشتراكه في المعركة .

الا انه من الواضح حتى الآن ان الدول التي شاركت في القتال مشاركة فعالة هي حسب التسلسل : مصر وسورية والعراق والجزائر . أما بقية الدول العربية فكانت مشاركتها رمزية . ولقد استطاع العراق ان يلقي بقوة عسكرية كبيرة في المعركة بعد ان خفف حدة التوتر مع ايران وأعاد العلاقات الدبلوماسية معها .

وفي ١٠/٢٢ اصدر مجلس الامن قراره بوقف اطلاق النار ، بعد ستة عشر يوما من القتال ، فاستجابت دولة الاحتلال الصهيوني اولا ، ثم استجابت مصر. وعندما تستجيب مصر ، فهذا معناه ان الدول العربية الاخرى مضطرة لان تستجيب . ذلك ان القتال

بدون مصر يعطي دولة الاحتلال فرصتها لضرب الجبهة الشمالية ضربات موجعة .

ولقد توقف القتال ، قبل أن تتسع المشاركة العربيـة وتتعمق . ذلـك ان توسيع المشاركة وتعميقها كان يتطلب :

١ ــ المشاركة الفعلية في القتال ، وهذا كان يستلـزم ارسال وحدات فعالة الى الجبهة ، تتناسب مع قدرة كل قطر ماديا وبشريا ومع حجم قواته .

٢ ــ تقديم الدعم المادي للجبهة . وهذا يعني تقديم المواد اللازمة لدعم الجبهة وتوفير الاموال اللازمة لدعم الدول التي تتحمل مسؤولية القتال ، والتي يتضرر اقتصادها من جرائها .

٣ ــ تعبئة الجماهير العربية للوقوف بكل امكاناتها الماديـة والمعنوية الى جانب المقاتلين في الجبهة .

٤ ــ القيام بالنشاط السياسي والديبلوماسي الذي يوفر المساندة الاقليمية والدولية لحق أمتنا في تحرير أراضيها .

ان مثل هذه المشاركة كان يمكن أن تغير في مجرى القتال ، لمصلحة الجيوش العربية ، ولكنها لم تتم ، وحين تمت تمت بصورة رمزية او بطيئة . ولقد كان قصر أمد القتال من العوامل التي لم تيسر الظروف لاتمام الحشد العسكري والسياسي .

ولا بد من الاشارة هنا الى أن فتح الجبهة الاردنية ضد العدو الصهيوني كان هاما وضروريا ، لاشغال قوات العدو على جبهات واسعة ، ولاستنزافها على حدود طويلة ، وامام قوات كبيرة . ولكن فتح الجبهة الاردنية كان يستلزم حشد قوات عربيـة كبيرة عليها ، تستقدم أساسا من العراق والمملكة العربية السعودية . ان الجبهة الاردنية لم تفتح ، وبذلك وفر العدو على قواته حماية جبهة طولها ستماية كيلومتر .

ثم ان الاستفادة من النفط لم تكن بالفعالية المطلوبة . ان العراق وحده قـد أمم حصص الولايات المتحدة الاميركية من شركات النفط ، اما الدول الاخرى فقد اكتفت بوقف الشحن الى الولايات المتحدة الاميركية . ووقف الشحن لا يعني شيئا كثيرا ما دامت الحرب قد توقفت بهذه السرعة .

ان المطلوب الآن :

١ ــ ان تصادر أنصبة الولايات المتحدة الاميركية في شركات النفط .

٢ ــ أن تخصص نسبة عالية من دخل النفط لبناء جيش عـربي قوي مرابط على الجبهات ، ولتنمية الدول العربية على خط المواجهة (وأساسا مصر وسورية والاردن اذا قبل ان يكون جزءا من هذه الجبهة) .

فما هي الاحتمالات بعد أن توقف القتال ، واستجابت دولة الاحتلال الصهيوني ومصر لقرار مجلس الامن ؟

هنالك ثلاثة احتمالات :

الاول : ان يكون وقف اطلاق النار مجرد هدنة جديدة ، ذلك أن القوات العسكرية العربية لم تستطع أن تغير الخارطة العسكرية في المنطقة ، وان كانت قـد أسقطت أسطورة تفوق جيش الدفاع الاسرائيلي وحررت العرب مـن عقدة التخلف والخيانة والضعف . وما دامت القوات العسكرية لم تغير الخارطة العسكرية للمنطقة ، فمن الصعب تصور تغير الخارطة السياسية . ويدعم هذه الحجـة تكوين دولة الاحتـلال الايديولوجي ، وموقفها السياسي والعسكري . لقد كانت استراتيجية دولة الاحتلال تقوم

على مجموعة من الفرضيات : اولها : ان تظل منتصرة دائما ، وان يظل العرب مهزومين دائما وان تحتفظ دائما بالوضع الاستراتيجي الملائم . ثانيها : ان تسيطر دائما على مزيد من الارض . الارض في الاستراتيجية الصهيونية تعني الاساس . وثالثها : ان تكون قوات الاحتلال قادرة دائما ، متفوقة دائما . ان هذا كله يجعل اتجاه دولة الاحتلال الى سياسة التعايش يبدو اقرب الى المستحيل .

الثاني : ان تستغل دولة الاحتلال وقف اطلاق النار للاستعداد مرة ثانية ، ولتوجيه ضربات الى الجيوش العربية ، تستهدف تدمير الجيوش من جهة واحتلال مزيد من الاراضي من جهة ثانية . وهذا الاحتمال وارد ، وهو منسجم مع طبيعة دولة الاحتلال وطبيعة تكوينها وتكوين قيادتها .

الثالث : ان تبدأ دولة الاحتلال بوقف اطلاق النار مناوراتها من اجل : أ — ابتزاز تنازلات كبيرة من العرب مثل الاعتراف بالاحتلال ، الاعتراف بحدود آمنة ، ب — تجريد سيناء والجولان والضفة الغربية من السلاح، جـ — فتح الحدود العربية للخبرات والسلع الاسرائيلية ، د — تصفية قضية الشعب الفلسطيني ، الخ . . وستراوغ دولة الاحتلال ما تستطيع المراوغة . ان موافقتها على قرار مجلس الامن توحي سلفا بمثل هذا الاستعداد . فهي تريد وقفا لاطلاق النار يشمل كل الدول العربية المعنية ، بما في ذلك اليمن الديمقراطية . وهي تشترط ان يشمل الاتفاق المقاومة . كما انها تريد حدودا آمنة . وهي تقبل بقرار مجلس الامن حسب التفسير الاسرائيلي له الخ . . .

وأمام كل هذه الاحتمالات لا بد للعرب من ضمان ما يلي :

أولا : أن يحافظوا على جبهتهم متماسكة . ان الحرب لم تنته بعد . لقد بدأت . وهذا يقتضي الاستعداد والمزيد من الاستعداد .

ثانيا : ان يحشدوا المزيد من الجيوش في أرض المعركة تحسبا لكل طارىء ، ابتداء من هجوم غادر وانتهاء بعدم تنفيذ قرارات مجلس الامن .

ثالثا : تعبئة الجماهير واعدادها للمعارك المقبلة .

رابعا : مقاطعة الولايات المتحدة سياسيا واقتصاديا والاستيلاء على ممتلكاتها وشركاتها في بلادنا .

ولما كانت بعض حكوماتنا غير مستعدة لهذا كله ، فان على جماهيرنا ان تناضل نضالا بطوليا للحيلولة دون التمكين للمناورة الاميركية — الاسرائيلية .

ويجب ان تحرص جماهيرنا العربية على الا تمس القضية الفلسطينية . ان المساس بجوهر القضية الفلسطينية : اي حق الشعب الفلسطيني في ارضه كاملة ، هو خيانة كبرى وجريمة ليس لها مثيل .

ويجب ان تحرص الجماهير العربية على المقاومة الفلسطينية ، لان اي توجه عربي نحو « السلام » سيكون على حساب استمرار المقاومة مرحليا .

واذا كانت تعقيدات القضية الفلسطينية تبدو أعسر من ان تحل ، فان محاولات برجنيف — نكسون لاخراج حل يجب الا يستهتر بها ، لا سيما وهي تحظى برعاية كبيرة من اوساط متعددة ، منها أوساط فلسطينية وعربية .

وها ان اولى ثمار المناورة الاميركية — الاسرائيلية تبدو واضحة للعيان . لقد بدأ الصف العربي يتصدع بعد اعلان مصر الموافقة على قرار وقف اطلاق النار . ذلك ان العراق اعلن في الجهة المقابلة عدم موافقته على وقف اطلاق النار . ثم اخذت المنظمات الشعبية تعلن موافقتها . واذا كان اتحاد العمال العرب قد أعلن تأييده للحرب ، فانه

اعلن ايضا عدم موافقته على وقف اطلاق النار . وقال بيان اتحاد العمال العرب : « ان هدف الشعب العربي لم يقف عند حد تحرير المناطق المحتلة في حرب عام ١٩٦٧ ، وانما هدفه هو احترام حقوق الشعب الفلسطيني وعودته الى أرضه وتقرير مصيره بنفسه » . وقامت في ليبيا مظاهرات جماهيرية منددة بوقف اطلاق النار .

ان العرب يجتمعون على القتال ، ولا يجتمعون على غيره . وهم بحاجة الى قتال ضد دولة الاحتلال يوحدهم . ولكن الانظمة التي أرادت من الحرب تنفيذ قرار مجلس الامن أوقفت اطلاق النار عند أول بادرة « سلام » ، حتى دون ان تتأكد من ان دولة الاحتلال ستعود الى حدود الخامس من حزيران .

٣ — المعركة عسكريا

تبنى العرب منذ عام ١٩٤٩ عقيدة عسكرية دفاعية بحتة . ووقفت الجيوش العربية على خطوط الهدنة تنتظر بسلبية كاملة هجمات العدو الاسرائيلي الذي تبنى العقيدة الهجومية التعرضية . وطبعت هاتان العقيدتان الجيوش المتقابلة بطابعها ، فعلى حين جمع الاسرائيليون جيشهم داخل الارض المحتلة وزودوه بكافة وسائط القتال والنقل اللازمة لحرب الحركة ودربوه على العمليات الهجومية الخاطفة وحافظوا على روحه التعرضية بالهجمات الردعية المستمرة فقد نشر العرب جيوشهم داخل مخافر دفاعية موزعة على طول الحدود، وبنوا لقواتهم المنتشرة التحصينات الميدانية المعززة بالاسلاك الشائكة والالغام ولم يزودوها بوسائط القتال والنقل اللازمة لحرب الحركة ، فاكتسبت هذه القوات الروح الدفاعية ، وخسرت روحها الصدامية ، وانخفض مستوى تدريبها بصورة عامة ومستوى تدريبها الهجومي بصورة خاصة . وبقي الامر كذلك حتى اندلاع حرب ١٩٦٧ .

واذا كان اختيار الاسرائيليين للعقيدة العسكرية الهجومية نابعا من سياستهم التوسعية المدعومة من الامبريالية العالمية . ومن مهمتهم «كدركي» مكلف بضرب الجيران وتدمير قواهم واخضاعهم وحرمانهم من كل امكانات النمو والتطور فقد كان اختيار العرب للعقيدة العسكرية الدفاعية ناجما عن قناعتهم السياسية بأن الدعم الدولي لاسرائيل والحماية التي ستقدمها الامبريالية العالمية « للدولة — القاعدة » عند تعرضها لاي خطر ، وعدم القدرة على مناطحة الامبريالية وقواها العسكرية العاملة في المنطقة عبارة عن عوامل تردعهم عن مهاجمة اسرائيل ، وتجعل مجرد التفكير بمثل هذا العمل جنونا وانتحارا . ولقد زاد من ترسيخ هذا الاعتقاد الضمان الثلاثي الامريكي — البريطاني — الفرنسي لحدود اسرائيل وسلامة أراضيها .

وبعد حرب ١٩٦٧ احتلت اسرائيل الارض الفلسطينية كلها وأراض عربية أخرى . وانتفت فكرة اسرائيل الصغيرة المعرضة للخطر ، وأدان العالم العدوان ، وأقر مجلس الامن ضرورة الانسحاب من الاراضي المحتلة ، وبذلت معظم الدول جهودا دبلوماسية وسياسية للضغط على اسرائيل واقناعها بالانسحاب . ولكن اسرائيل رفضت الانسحاب ، ولم يكن بوسعها ان تنسحب قبل تحقيق الاغراض السياسية لحرب ١٩٦٧ . وكانت هذه الاغراض تتمثل بالنسبة للامبريالية الامريكية في سحق الحركة الوطنية التي يهدد نموها مصادر الثروة التي تنهبها الشركات الامبريالية وربط المنطقة العربية نهائيا بعجلة السياسة الامريكية ، كما كانت تتمثل بالنسبة لاسرائيل في تحقيق التوسع اللازم لتوطين مهاجرين جدد وتكريس الوضع الراهن في ظل « الامن والسلام الاسرائيليين » .

وهنا ظهر وضع عسكري جديد . فلقد استمر العرب على تبني العقيدة العسكرية الدفاعية ليعيدوا بناء جيوشهم وراء دفاعاتهم وليحرموا اسرائيل من امكانات تسديد ضربات جديدة . وتبنى الاسرائيليون لاول مرة عقيدة عسكرية دفاعية غايتها الحفاظ على المناطق المحتلة أطول مدة ممكنة بأقل قوة بشرية ممكنة بغية ردع العرب عن التفكير باسترجاع الاراضي بالقوة واجبارهم على قبول الامر الواقع وتقديم التنازلات والخضوع لشروط « السلام الاسرائيلي » الذي يضمن التوسع والامن الاسرائيلي . ونلاحظ هنا ان القادة الاسرائيليين لم يتبنوا العقيدة الدفاعية الجامدة المبنية على دفاعات في الجولان، وخط بارليف على قناة السويس بل تبنوا عقيدة دفاعية ـ هجومية ديناميكية مبنية على التعرض المستمر ، وتسديد الضربات الرادعة بالعمق مستندين الى ضخامة قوتهم الجوية وقواتهم المحمولة جوا واستخباراتهم التي تقدم لهم من المعلومات ما يجعل ضرباتهم ناجحة مؤثرة مع أقل خسارة ممكنة . مع الاعتماد في الدفاع عن البلاد على القوة الضاربة (طيران ومدرعات ومشاة ميكانيكية) القادرة على القيام بهجوم مضاد واسع حاسم يدمر أية قوة مهاجمة تحقق نجاحات محدودة ضد مواقعهم الدفاعية ، وتطوير الهجوم المضاد بعد ذلك الى مطاردة .

وكانت اسرائيل مرتاحة لهذا الوضع . ولم يضايقها بعد حرب ١٩٦٧ سوى حرب الاستنزاف المحدودة على القناة ونشاط الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة . ثم جاء مشروع روجرز وصمتت المدافع المصرية على القناة ، واعقب ذلك مذبحة ايلول ١٩٧٠ التي انهكت قوات الثورة الفلسطينية وحدت من حرية عملها ووجد الاسرائيليون انفسهم في أفضل وضع عسكري صادفوه فبدأوا تهويد المناطق المحتلة ، واعلنوا انهم على استعداد للبقاء على خطوط ١٩٦٧ حتى يرضخ العرب لارادتهم .

ولم يكن بوسع مصر وسورية السكوت عن هذا الوضع . وكان عليهما تحرير الارض المغتصبة التي يرفض العدو التخلي عنها بالوسائل السلمية . بيد ان تحرير الارض لا يتم عن طريق الدفاع ، وما الدفاع ـ عسكريا ـ سوى مرحلة من مراحل الهجوم . وهو بالتحديد المرحلة التي يتم فيها اعداد القوى المادية والمعنوية اللازمة للهجوم . ويحتاج الهجوم في عالمنا المعاصر الى عاملين : ١ ـ هدف عادل يمكن طرحه داخليا وخارجيا واكتساب التعاطف الداخلي والعالمي معه ، ٢ ـ قوة مادية ومعنوية قادرة على تحقيق هذا الهدف . وكانت مصر وسورية تملكان الهدف العادل الذي تؤيده الجماهير العربية ويقر بعدالته الراي العام العالمي الذي عجز عن اجبار اسرائيل المدعومة من قبل الولايات المتحدة على الانسحاب من الاراضي المحتلة . ولم يكن عليهما سوى اعداد القوة اللازمة للتحرير ، والتحول من العقيدة العسكرية الدفاعية الى العقيدة العسكرية الهجومية . ولقد تم الاعداد باناة ودقة وصمت وراء ستار من التغطية السياسية والدبلوماسية الحاذقة . وشهد الجيشان المصري والسوري أكبر تحول شهداه منذ عام ١٩٤٩ في مجالات التسليح والتدريب والعقيدة الحربية . وعندما توفرت الظروف الملائمة وتكاملت قوة « القبضة » انطلق « الذراع » مسددا للعسكرية الاسرائيلية اخطر ضربة مادية ومعنوية شهدتها في تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

وكانت المفاجأة مذهلة صاعقة بالنسبة للاسرائيليين والامريكيين والعالم أجمع . ومن المؤكد ان الاستخبارات الامريكية والاسرائيلية قد لاحظت تحشدات المصريين والسوريين التي تمت في مطلع شهر تشرين الاول كرد على تحشدات الاسرائيليين على الحدود

الشمالية للقيام بضربة محدودة ضد سورية*، اذ ان من المستحيل في العصر الحاضر اخفاء تحركات القوات الكبيرة وما تملكه من آليات ومعدات خاصة اذا كان الخصم يملك اقمار تجسس وطائرات تجسس مزودة بأحدث اجهزة التصوير .

ولقد اعترف هنري كيسنجر في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ١٤/١٠ ان حكومته كانت على علم بالحشود العسكرية المصرية والسورية على خطوط الجبهة . الا ان الاستخبارات الامريكية والاسرائيلية اعتبرتها جزءا من مناورات الخريف التي تقوم بها القوات المعنية عادة . كما ذكر ان جهازي الاستخبارات الامريكي والاسرائيلي قدما ثلاثة تقارير مفصلة خلال الاسبوع الذي سبق اندلاع القتال اجمعت كلها على استبعاد الحرب كليا .

ومن هنا نستنتج ان سبب المفاجأة التي اصابت العدو لم تكن نقص المعلومات بل سوء تحليل هذه المعلومات . ويرجع هذا الامر الى الاسباب التالية : ١ ــ اعتقاد الاسرائيليين بأن النظامين المصري والسوري عاجزان عن اتخاذ قرار الحرب ومهتمان بمجابهة معضلاتهما الداخلية ، ٢ ــ اعتقاد قادة تل أبيب ان الجيشين السوري والمصري لم يستعدا الاستعداد الكافي لشن معركة هجومية ناجحة ضد قواتهم المتمركزة في مواقع محصنة في الجولان وفي خط بارليف المنيع على قناة السويس ، ٣ ــ جهل تل أبيب بالتحول المعنوي الكبير الذي اصاب معنويات القوات المصرية والسورية وتخلص هذه القوات من تأثيرات الردع السلبية التي نجمت عن حرب ١٩٦٧ ، ٤ ــ اعتقاد الاسرائيليين بأن العرب لن يبدأوا القتال في ظل علاقاتهم المتوترة مع الاتحاد السوفياتي وطالما ان الجبهة الشرقية لم تنشأ بعد وطالما ان الجيش العراقي لا يزال في ثكناته داخل حدود العراق ، ٥ ــ الثقة المطلقة بقدرة الطيران الاسرائيلي على صد كل هجوم وابطاء تقدمه على الاقل ريثما تدخل القوات البرية الضاربة المعركة وتدمر المهاجمين وتطاردهم وراء حدودهم ، ٦ ــ الخطأ في تفسير النشاط الدبلوماسي العربي ، والاعتقاد بأن العرب يراهنون على هذا النشاط للحصول على حل سلمي مع بعض التنازلات الاقليمية، ٧ ــ الحالة الذهنية التي تشكلت لدى زعماء اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ وما نجم عنها من غرور وغطرسة واعتقاد بالتفوق المطلق ، ٨ ــ ايمان الاسرائيليين بقدرة استخباراتهم التي لا تخطىء في جمع المعلومات او تحليلها .

ويمكن القول أن انتصار اسرائيل السهل في عام ١٩٦٧ كان اكبر أعدائها وأخطر ما تعرضت له في حياتها ، لانه كان مثالا عن النصر الذي ينتهي بصاحبه الى القبر . ويلاحظ من يراجع تصريحات قادة العدو بعد حرب ١٩٦٧ أنهم يبنون كل خطتهم العسكرية على محورين : ١ ــ حماية خطوط وقف اطلاق النار بطريقة تمنع العرب من التفكير بتحطيمها بقوة السلاح ، ٢ ــ خلق قوات مسلحة ضاربة قوية (طيران ومدرعات) قادرة على ردع العرب ومنعهم من استخدام القوة ، وتدميرهم في حالة تجرؤهم على خرق اتفاقات وقف القتال . ولقد كان هذا المفهوم العسكري الفخ الاستراتيجي الاكبر الذي نصبه الاسرائيليون لانفسهم ثم وقعوا فيه . وسنرى خلال التحدث عن سير العمليات كيف

---

* كانت الضربة الاسرائيلية المحدودة تستهدف : ١ ــ منع قيام الجبهة الشرقية عن طريق تدمير القوات المسلحة السورية وردع الاردن عن الدخول في تحالفات عسكرية تعرضه لضربات مماثلة ، ٢ ــ قطع الاتصال الجغرافي بين الجبهة الشمالية واية جبهة شرقية محتملة ، ٣ ــ خلق تناقض بين سورية والاتحاد السوفياتي ، ٤ ــ خلق تناقض بين القاهرة ودمشق اذا ما تمت الضربة قبل ان يتدخل الجيش المصري بشكل فعال ، ٥ ــ قطع الطريق امام اي تقارب سوري ــ عراقي ، ٦ ــ حرمان الثورة الفلسطينية من أي دعم سوري .

وقع جنرالات اسرائيل في افخاخ اخرى نصبوها لانفسهم في مجالي التنظيم والعمليات .

العمليات على الجبهة السورية

يمكن تقسيم العمليات التي دارت على هذه الجبهة منذ بدء القتال حتى وقف اطلاق النار الى ثلاث مراحل : مرحلة الهجوم العربي ، ومرحلة الهجوم المعاكس المعادي ، ومرحلة توازن الجبهة .

بدات المرحلة الاولى في يوم ٦/١٠ باندفاع القوات السورية والمغربية ووحدات جيش التحرير الفلسطيني من قواعد انطلاقها في شرقي الجولان وغربي حوران . وتقدمت هذه القوات نحو مواقع العدو على طول خط وقف اطلاق النار تحت غطاء من نيران المدفعية والصواريخ . ولقد تركز الهجوم على ثلاثة محاور : ١ ــ المحور الرئيسي : وهو المحور الاوسط حيث حقق السوريون خرقين اساسيين ، يتجه اولهما على محور خان ارينبة ــ الحميدية ــ طريــق القنيطرة ــ مسعدة ويطوق القنيطرة من الشمال . والثاني يكمل الطوق حول القنيطرة من الجنوب . وكانت غاية هذا الهجوم محاصرة القوات المعادية الموجودة في القنيطرة وتدميرها ، والتحــرك بعد ذلك غربا عــلى محورين . القنيطرة ــ واسط ــ قنبعة ، والقنيطرة ــ كفرنفاخ ــ صنابر . ٢ ــ المحور الشمالي : وهــو محور ثانوي يخــرق الجبهة في اتجاه مجدل شمس ــ مسعدة ــ بانياس . وكان من المنتظر تحرك جزء من هذا المحور نحو الجنوب على طريق مسعدة ــ واسط العرضاني لمشاركة قوات القطاع الاوسط المنطلقة من واسط باتجاه الشمال لتطويق قوات العدو الموجــودة بين الطريق العرضاني ــ مسعدة ــ واسط ، وخط وقف اطــلاق النار . ٣ ــ المحور الجنوبي : وهو محور ثانوي يخرق الجبهة عند الرفيد وينقسم الى فرعين . فرع يتجه شمالا على محور الرفيد ــ تل فرس ــ الفرارة ــ القنيطرة لتطويق القوات المحصورة بين الخط الامامي وطــريق الرفيد ــ القنيطرة . وفرع يتجــه نحو الجنوب الغربي على طريق الرفيد ــ الجوخدار ــ فيق ــ كفرحارب ــ الحمة ، بالاضافة الى ضربة تتجه من تسيل في اتجاه طريق الرفيــد ــ فيق لقطع مواصــلات قوات العدو في الجوخدار .

ولقد حققت هذه الهجمات نجاحات واضحة في الايام الاربعة الاولى . وخرقت دفاعات العدو واندفعت في العمق محررة اجزاء كبيرة من الجولان . وبدا في نهاية هذه المرحلة أن دفاعات العدو قد سقطت وان مدينة القنيطرة غدت بيد القوات السورية . ولقــد كشف الرئيس السوري الفريق حافظ الاسد في خطابه (١٥ ــ ١٠ ــ ٧٣) العمق الذي تغلغلت اليه القوات السورية خلال هذه المرحلة ، ومدى النجاحات التي حققتها القوات العربية على جميع المحاور . وكان اتمام تنفيذ خطة المرحلة الاولى بأكملهــا يهدف الى تطويق الجزء الاكبر من القــوات المعادية المدافعة وابادتها ، ودفــع الاسرائيليين الى المنحدر المعاكس الامر الذي يسمح بدحرهم ومطاردتهم .

وفي اليوم الخامس للقتال أنهى العدو جمع احتياطات مدرعة قوية وركز ثقل قواته الجوية على الجبهة السورية ، وانتهت المرحلة الاولى وبدأت المرحلة الثانية . وكــانت خطة العدو في هذه المرحلة مرتكزة على النقاط التالية : ١ ــ محاولة استعادة السيطرة الجوية مهما كلف ذلك من خسائر ، وذلك عن طريق قصف المطــارات وتدمير قواعــد الصواريخ أرض ــ جو ومهاجمة المطارات ، ٢ ــ القيام بعمليات قصف جوي وبحري ضد اهداف استراتيجية ومنشآت حيوية وضرب المناطق السكنية للتأثير بشكل غــير مباشر على معنويات المقاتلين ، ٣ ــ القيام بعمليات تشتيتية بحريــة على الســاحل السوري لاجبار السوريين على سحب جزء من قواتهم الاحتياطية وتجميدها لمجابهــة احتمالات الخطر الذي يمكن ان يأتي من البحر ، ٤ ــ شن هجوم معاكس استراتيجي

على طول الجبهة السورية قبل وصول الجزء الاكبر من القوات العراقية البرية والجوية الى مسرح العمليات .

وكانت معارك اليوم السادس ١٠/١١ من اعنف معارك الهجوم المعاكس الاستراتيجي المعادي . ولقد حقق هذا الهجوم عددا من النجاحات على المحاور الثلاثة. وكان جهد العدو الرئيسي مركزا على المحورين الشمالي والاوسط نظرا لانهما ينفتحان على الطرق المؤدية الى دمشق ، وكان الاسرائيليون يستهدفون من التقدم نحو دمشق استغلال هذا التهديد اعلاميا ونفسيا ، والتقدم الى المدى الذي يسمح لهم ، على الاقل، بقصف العاصمة بالمدفعية بعد ان عجز الطيران عن تحقيق هذا القصف بسبب قوة الدفاعات الارضية ضد الطائرات .

وفي نهاية يوم ١١ بدا بوضوح ان العدو قد نجح على القطاع الشمالي اكثر من أي مكان اخر وانه ينوي استغلال هذا النجاح في اليوم التالي . وبالفعل حاولت تحشدات العدو المدرعة المدعومة بالطيران تركيز جهودها في اليومين التاليين على المحور الشمالي لاستغلال الخرق ومتابعة التقدم . وكان التقدم على هذا المحور بسرعة يعني تهديد دمشق من جهة وتطويق القوات السورية المقاتلة على المحور الاوسط من جهة أخرى .

ولقد اعتقد الاسرائيليون ، بعد صد الهجوم السوري في القطاع الشمالي وتجاوز خط وقف اطلاق النار ، انهم سينتقلون بعد الخرق الى حرب الحركة التي تبنوا عقيدتها وطبقوها بنجاح في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . ولكن اعتقادهم كان مبنيا على فهم خاطىء لحقائق الحرب الرابعة وموازين قواها على أرض المعركة . فلقد جابههم دفاع قوي عززه قدوم قطعات عراقية . وكان الدفاع السوري مبنيا على صفحة لا على خط ، وهذا يعني ان خرق الموقع الامامي لا يقدم امكانية الاندفاع في أرض خالية من الدفاعات، كما ان موازين القوى وضخامة الحشد العربي يعني ان التقدم سيصطدم بقوات احتياطية مجهزة لشن الهجمات المعاكسة على جميع المستويات . بالاضافة الى عامل هام هو عدم قدرة الطيران الاسرائيلي على تحقيق السيطرة الجوية التي تعطيه تفوقا بريا ساحقا ، واضطرار القوات المتقدمة الى العمل على ارض وعرة صخرية محدودة المسالك لا تسمح بالمناورة الالية ولا تعطي القوات المدرعة والميكانيكية فرصا جيدة لاستغلال امكاناتها الحركية .

واصطدم الهجوم الاسرائيلي بالفعل بدفاعات قوية ورمايات مدفعية وصواريخ كثيفة . ولم يستطع الطيران تأمين الدعم الجوي اللازم للتقدم كما لم يستطع اسكات بطاريات المدفعية التي نصبت امام العدو سدودا نارية قوية . وطبقت القوات السورية — العراقية اساليب الدفاع الديناميكي وشنت هجمات معاكسة شديدة كسرت حدة الهجمات المعادية واوقفتها على جميع المحاور . وفي ١٠/١٤ انتهت المرحلة الثانية وتوازنت قوى الطرفين واختفت امكانات التقدم نحو دمشق ولم يعد لدى الاسرائيليين اي أمل بتحقيق مفاجأة استراتيجية .

ويظهر خط الجبهة في المرحلة الثالثة متعرجا متشابكا تصطدم فيه المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية فوق أرض وعرة مكشوفة تصلح لقتال المشاة والمدفعية اكثر من صلاحيتها لقتال القوات المتحركة الالية (دبابات ومشاة ميكانيكية) . ويرجع سبب تعرج خط الجبهة وتداخل قطعات الطرفين الى ان الهجمات السورية الاولى حققت النجاحات في مختلف القطاعات ، ثم جاءت الهجمات المعاكسة الاسرائيلية لتحقق بعض النجاح على القطاعين الشمالي والاوسط ثم هاجم السوريون والعراقيون في الايام التالية مواقع العدو ورد العدو بهجمات معاكسة . ولا يزال الوضع على هذا الحال منذ يوم ١٠/١٤ . ويحاول كل طرف من الطرفين تحسين وضع مواقعه باحتلال مرتفع او

بطرد قوة من مكان حاكم او خط يصلح للدفاع او الانتشار . وتجري طوال النهار مبارزات بين بطاريات مدفعية الميدان (رمي معاكس البطاريات) ومبارزات بين مدافع الدبابات دون ان تقوم هذه الدبابات بحركات واسعة . وتشترك في هذه المبارزات غالبا بطاريات المدافع والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات . ويعتمد السوريون على استخدام بطاريات صواريخ ساغر الموجهة السوفياتية الصنع كما يعمد الاسرائيليون الى استخدام بطاريات س.س ــ ١١ الفرنسية الصنع التي فرضت الحكومة الفرنسية عليها حظرا ومنعت شحنها الى منطقة الصراع. ويمكن اعتبار المرحلة الثالثة التي بقيت حتى وقف اطلاق النار مرحلة استنزاف يستطيع السوريون البقاء فيها امدا طويلا على حين لا يستطيع الاسرائيليون البقاء فيها وتجميد قواتهم واستنزافها وحرمانها من حرية العمل دون ان يحقق هذا الحشد أي حسم ، خاصة وانهم اضطروا الى نقل جزء من قواتهم لتعزيز الجبهة الجنوبية .

ومن ابرز مظاهر هذه المرحلة زوال سيطرة الطيران الاسرائيلي وزيادة نشاطالطيران السوري ــ العراقي الذي يشارك مشاركة فعلية في دعم القوات البرية وضرب تحشدات العدو ومواقع اسلحته الثقيلة . ويرجع الفضل في هذا الوضع الى شدة الدفاعات الارضية المضادة للطائرات واضطرار العدو الى نقل معظم طيرانه الى الجبهة المصرية التي أخذت القوات المحتشدة فيها حجما هجوميا .

ويمكن ان نطلق على القتال الدائر في الجبهة السورية اسم « تناطح الاكباش » فهو ضربات متبادلة متعاقبة ذات اغراض محدودة . ويحشد السوريون خلال هذا التناطح قوات احتياطية ، وينتظرون وصول قوات عراقية جديدة ، ويأملون ان يضطر الاسرائيليون الى تخفيف عدد قطعاتهم على هذه الجبهة لتدعيم الجبهة المصرية . فاذا ما تحققت كل هذه الشروط او بعضها بشكل يبدل ميزان القوى لصالحهم عادوا من جديد الى الهجوم وحرب الحركة . ولا يراهن الاسرائيليون على وصول قوات جديدة طازجة . ولكنهم يراهنون على وصول معدات وذخائر تعوض خسائرهم وتجعلهم اكثر قدرة على الصمود في معارك الاستنزاف . ويأملون في الوقت نفسه ان لا يضطرهم ميزان القوى على الجبهة المصرية الى سحب جزء من قواتهم ودفعها الى صحراء سيناء .

ومن المؤكد ان العبء الاكبر على الجبهة السورية يقع في هذه المرحلة على عاتق السوريين والعراقيين . وتقوم الوحدات المغربية وقوات جيش التحرير الفلسطيني بدورها القتالي على أكمل وجه ضمن قطاعات عمل القطعات الكبرى السورية ــ العراقية العاملة في القطاعين الشمالي والاوسط . اما الوحدات الاردنية والسعودية فهي تعمل على المحور الثانوي (الجنوبي) .

العمليات على الجبهة المصرية

مرت المعارك على الجبهة المصرية بخمس مراحل متميزة : مرحلة عبور القناة ، ومرحلة الحفاظ على الجسور، ومرحلة توسيع رؤوس الجسور وصد الهجمات المعاكسة، ومرحلة التقدم باتجاه الشرق ، ومرحلة الهجوم المعاكس الاستراتيجي المعادي .

قام المصريون في المرحلة الاولى بعبور القناة واقتحام خط بارليف الحصين عن طريق استخدام قوات الكوماندوز المنقولة بقوارب مطاطية ووحدات من الدبابات البرمائية والعربات المدرعة البرمائية والمهندسين عبرت القناة تحت ستارة كثيفة من نار المدفعية، ورافقها في الوقت نفسه ابرار قوات محمولة بالهليكوبتر وراء خط بارليف لمهاجمته من

الخلف وقطع طرق انسحابه وخطوط مواصلاته وعرقلة تقدم الاحتياطات اذا ما شاءت التقدم لنجدته . ولقد تمت هذه المرحلة بنجاح وسرعة ووتيرة عالية ولم يتمكن الطيران المعادي من التدخل فيها لان وسائط الدفاع ضد الطائرات (مقاتلات معترضة ، وصواريخ أرض ــ جو ، وبطاريات مدفعية مضادة) طردته من اجواء مسرح العمليات. ولم تستطع القوات الاحتياطية التدخل لان المدفعية المصرية شلت حركتها والحقت بها الكثير من الخسائر . وانتهت المرحلة الاولى ببناء جسور عائمة لمرور الدبابات والمشاة الميكانيكية والمدفعية اللازمة لتدعيم رأس الجسر وتوسيعه .

وبدأت المرحلة الثانية في اليوم التالي عندما حاول العدو استخدام الطيران والمدفعية لقطع الجسور وعزل القوات التي عبرت الى الضفة الشرقية بغية تدميرها . وكانت هذه المرحلة مبارزة عنيفة بين الطيران المعادي ووسائط الدفاع الجوي المصرية . وانتصرت وسائط الدفاع بشكل مذهل . ويذكر مراسل نيوزويك الذي شهد معركة الحفاظ على الجسور في الايام الاولى للحرب ان ٣ طائرات من كل خمس طائرات اسرائيلية حلقت فوق منطقة القناة سقطت بفعل وسائط الدفاع الجوي . وان هذه الطائرات اضطرت الى القاء قنابلها من ارتفاعات عالية الامر الذي خفض نسبة اصابتها الى حد بعيد . ولقد عجزت المدفعية الاسرائيلية بعيدة المدى عن ضرب الجسور لان الدفاعات الجوية لم تسمح بتحليق طائرات الهليكوبتر الخاصة بملاحظة الرمايات وتصحيحها . وكانت قنابل المدفعية تسقط بعيدة عن الجسور بما لا يقل عن ٢٠٠ متر . ومن المعروف ان المدفعية الاسرائيلية لا تملك سوى عدد محدود من المدافع بعيدة المدى ذاتية الحركة من طراز م ــ ١٠٧ (عيار ١٧٥ مم) والتي يبلغ مداها ٣٢ كيلومترا نظرا لان العدو بنى تكتيكات الدعم الناري اساسا على القوات الجوية التي شلتها الدفاعات الارضية بشكل ملحوظ .

وتمثلت المرحلة الثالثة بتدفق القوات المصرية عبر الجسور لتدعيم رؤوس الجسور وتوسيعها . ولقد بدأت هذه المرحلة بتطهير كافة مواقع العدو على خط بارليف . وكان العدو يحاول مهاجمة رؤوس الجسور بقواته الاحتياطية التي جمعها على عجل وأخذ يدفعها الى مسارح العمليات « بالتقسيط » دون ان يشكل منها قوات كبيرة قادرة على تسديد ضربات ساحقة . ونجم عن ذلك امتصاص رؤوس الجسور لهذه الضربات وصدها ومتابعة التقدم وتعزيز المواقع . وكان لعدم قدرة العدو على استغلال السيطرة الجوية تأثير كبير على سير العمليات البرية لان القوات البرية المعادية كانت تقاتل في ظروف غير مألوفة بالنسبة لها . فقد اعتادت القتال تحت حماية جوية كاملة كما اعتادت تلقي دعم ناري جوي يعوض نقص قوة نيران مدفعيتها . ولما وجدت نفسها تقاتل في ظروف عادية وتحت سماء « غير نظيفة » تعثرت هجماتها ولم تعد قادرة على تنفيذ تكتيكاتها بشكل باهر .

وبدأت المرحلة الرابعة في ١٠/١٣ عندما عززت رؤوس الجسور مواقعها وعبرت الى الضفة الغربية قوات مدرعة ومشاة ميكانيكية ومدفعية بحجم هجومي قادر على التغلغل في عمق سيناء . وتحولت رؤوس الجسور الى جيوب واسعة في المناطق الواقعة شرقي القنطرة وشرقي الاسماعيلية وشرقي الشط . ويعتبر الجيب الاول قاعدة للانطلاق على المحور الشمالي قنطرة شرق ــ العريش ، ويعتبر الجيب الثاني قاعدة للانطلاق على المحور الاوسط الاسماعيلية ــ جنجافة ــ ابو عويقلة (ويدعوها البعض ابو عجيلة). ويعتبر الجيب الثالث قاعدة للانطلاق على المحور الجنوبي الشط ــ ممر متلا ــ صدر الحيطان والذي يتفرع بعد ذلك الى محورين يتجه احدهما نحو القسيمة كما يتجه الاخر الى الكنتلا والى ايلات .

وتتميز هذه المرحلة بتقدم المصريين نحو الشرق بحذر وثقة دون التورط بالابتعاد عن مدى حماية الصواريخ المضادة للطائرات ، ودون اطالة المواصلات بشكل يخلق لهـا معضلات لوجيستيكية (ادارية) حادة . وتتقـدم القوات المصرية مستخدمة أسلـوب « الهجوم الدفاعي » مقابل أسلوب « الدفاع الهجومي » المعادي ويتمثـل الاسلـوب المصري بالتقدم بحجم هجومي وتحصين الارض المستولى عليها بشكل يجتذب هجمات العدو المعاكسة ويدمرها دون ان يسعى الى مطاردتها او يخضـع لاغـراءات التقدم السريع العميق الذي يعرضه للاخطار الجوية في أرض جرداء . وما ان يتم تحصـين المناطق المحتلة حتى تتقدم « المدحلة الساحقة » وثبة اخرى تحتل بها مناطق جديـدة وتدمر قوات جديدة .

ويستخدم العدو مقابل هذا الاسلوب اسلوبـا قتاليا يتمثـل بالهجمات المعاكسـة المستمرة النشطة دون الاهتمام بالخسائر التي تلحق بهم ودون تحقيـق اي تبديـل في موازين القوى . ولقد استخدم الالمان هذا التكتيك على الجبهتين الشرقية والغـربية في اخر مراحل الحرب العالمية الثانية . وابرز مثال عليه معركة الاردين الثانية (كـانون الاول ١٩٤٤) وبددوا من جراء ذلك كثيرا من القوات التي كان بوسعهم استخدامهـا للدفاع عن الاراضي الالمانية وحماية برلين بشكل افضل واطالة مدة دفاعهم سنة كاملة على الاقل .

ولقد جرت معـارك هذه المرحلة في المنطقـة المحصورة بين المرتفعات ورؤوس الجسور . وهي منطقة واسعة منبسطة صالحة لقتال القطعات المدرعة الكبيرة. وحاول المصريون فيها استنزاف القوات الاحتياطية الاسرائيلية قبل اقتحام المرتفعات والممرات. على حين حاول الاسرائيليون فيها منع تقدم المصريين وتقليص رؤوس جسورهم او اجبارهم على الوقوف في المواقع التي وصلوا اليها ريثما تصل الامدادات الاميركيـة المنتظرة. وتمتاز خطة المصريين بأنها تؤمن الحشد والحفاظ على القوى واجبار العدو على القتال على الارض التي يختارونها ويرون انها تقدم لهم أفضل الشروط. فهم يقاتلون غربي المرتفعات على أرض قريبة من قواعد امدادهم وتموينهم وتحت حماية صواريخهم المضادة للطائرات على حين يقاتل الاسرائيليون في منطقة بعيدة عن قواعـد امدادهـم وتموينهم . وتضطر قوافل قواتهم الاحتياطية وقوافل امدادهم الى المرور عبر ممـرات اجبارية معرضة للضرب بالطائرات .

ولقد اتسمت معارك هذه المرحلة بالعنف والشراسة وضخامـة القوات المشتركـة فيها وضخامة القوة النارية لدى الطرفيـن . اذ اشرك المصريـون الجزء الاكبر مـن دباباتهم ومشاتهم الميكانيكية في القتال كما نقل العدو الى مسرح العمليات المصري معظم قواته البرية ودفع القسم الاكبر من قواته الجوية لدعم القوات البرية وقصف الاهداف الاقتصادية والمطارات والتجمعات السكانية داخل الاراضي المصريـة . ومن ابـرز التكتيكات التي طبقها المصريون في هذه المرحلة والمرحلة التي سبقتها استخدام القوات المحمولة جوا وانزالها من المظلات على نطاق واسع وراء خطوط العدو لازعاجها وقطع مواصلاتها .

وفي يوم ١٠/١٦ انتهت المرحلة الرابعة وبدات المرحلة الخامسة . اذ بينما كـانت القوات المصرية المحتشدة شرقي القناة تتقدم باتجاه الشرق وتصد الهجمات المعاكسة المتتالية انطلق الهجوم المعاكس الاسرائيلي الكبير نحو الجيب الذي حققه المصريون على القطاع الاوسط . ورافق هذا الهجوم قيام قوة خاصة من المدرعات البرمائية بالتسلل بين الجيبين المصريين الاوسط والجنوبي ، والعبـور من البحيـرات المرة الى الضفة الغربية للقناة ، وخلق رأس جسر على هذه الضفة .

ولقد دعم العدو هذه القوة بمدرعات ومدفعية نقلها على عبارات بالاضافة الى وحدات محمولة جوا نقلها بالهليكوبتر . ثم أمن لها نقاط عبور (جسور) على القناة وبدأ تعزيزها بالمعدات القتالية الثقيلة .

وكانت خطة العدو تتمثل بتدمير جيب القطاع الاوسط بهجوم بري وجوي قوي تشترك فيه قوات احتياطية كبيرة ، في الوقت الذي تقوم به القوة الخاصة بتهديد طريق مواصلات هذا الجيب وجسوره ، وتدمير مرابض مدفعيته ومقرات قيادته وقوافل تموينه وامداده . ومن المؤكد ان المهمة الرئيسية كانت ملقاة على عاتق الهجوم المعاكس البري على الضفة الشرقية أما القوة الخاصة فلم تكن تستهدف سوى ازعاج المؤخرة . ولقد سلط عليها العدو اضواء دعائية اكبر من حجمها لاسباب نفسية وسياسية (داخلية وخارجية) .

ورد المصريون على هذه الخطة بالتدابير التالية : ١ ــ صد الهجوم الاسرائيلي على القطاع الاوسط وتدمير القوات المهاجمة ، ٢ ــ تطويق القوة الخاصة والعمل على تدميرها بواسطة قوات الاحتياط الاستراتيجي الموجودة على الضفة الغربية بالتعاون مع سلاح الطيران ، ٣ ــ قصف ممرات التسلل بالمدفعية والطيران ، ٤ ــ مهاجمة الطرف الشرقي لمنطقة التسلل بقوات مدرعة وميكانيكية تنطلق من الجبهة الشرقية لقطع امداد القوة الخاصة . واستمرت المعركة على الضفتين سبعة ايام (من ١٠/١٦ حتى ١٠/٢٢) تم خلالها حصر القوة الاسرائيلية الخاصة على الضفة الغربية ومنع تقدمها وبدأت القوات المصرية تصفيتها ، ولكن المعركة الاساسية على الضفة الشرقية لم تحسم رغم الخسائر التي تكبدها العدو الاسرائيلي على أرض سيناء .

*

وبتوقف اطلاق النار تنتهي مرحلة ساخنة من مرحلة حوار الارادات بين العرب واسرائيل . انها الحرب الرابعة ، حرب العرب . ولقد ارادها العدو حربا خاطفة يدمر فيها الجيوش العربية خلال ايام ويجرد العرب من درعهم ويفرض عليهم الركوع في ظل « السلم الاسرائيلي » وارادها العرب حربا طويلة تستنزف العدو ماديا ومعنويا حتى تحطم قواه العسكرية وتخضعه لارادتها السياسية وتحرر الارض العربية وتعيد الحق لاصحابه الشرعيين ، بيد ان حساسية المنطقة وضخامة المصالح العالمية فيها ،وخطورة تطور الصراع جعلت الدولتين العملاقتين تتدخلان لايقاف القتال شريطة انسحاب العدو الاسرائيلي من الاراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ . وقبلت اسرائيل قرار الامم المتحدة المبني على اقتراح سوفياتي ــ أمريكي شريطة تطبيق القرار ٢٤٢ وفق تفسيرها. وقبلت مصر وسورية وقف اطلاق النار . فاذا لم يكن في الامر لعبة امريكية ــ اسرائيلية جديدة . فان قبول تل ابيب لهذا القرار يعني من جملة ما يعني خضوع اسرائيل للهدف السياسي الذي قبلته مصر من قبل ، واضطرارها لان تنفذ والمسدس في صدغها ما لم تستطع المساعي السياسية اجبارها على تنفيذه خلال ستة أعوام . وبهذا تتم مرحلة تصفية آثار العدوان التي تعتبرها جماهيرنا المناضلة خطوة على طريق التحرير الشامل لكامل تراب الوطن المغتصب .

٤ ــ الثورة الفلسطينية في المعركة

لقد رسم تناقض معطيات الواقع العربي في الفترة التي سبقت الحرب أمام الثورة الفلسطينية صورة مستعصية التفسير . فمن جانب كانت **تحليلات** الثورة المنصبة على عناصر الوضع العربي ومعها **حسابات** جميع القوى التقدمية في المنطقة تستنتج ان جو

السعي وراء الحل « السلمي » لازمة الشرق الاوسط المسيطر على العالم العربي يجعل احتمال فتح الجبهات العربية النار على العدو امرا في حكم المستحيل . وفي الجانب الآخر كانت ثمة **مؤشرات** تشير بوضوح الى ان الجو المحيط بجانبي خط وقف اطلاق النار كليهما كان جوا صنع قرار القتال . ومن هنا ولتعارض التحليل مع المؤشرات شرعت تظهر في أفق الثورة الفلسطينية تفسيرات شتى لجوانب الصورة وملامحها، كانت في كل مرة تصطدم بجدار من التشاؤم والتخوف مبنيين على جملة من التساؤلات اثيرت بارتياب عن أهداف الحرب ، ان حدثت ، وابعادها الحقيقية ، وعما اذا كانت فعلا منزهة عن غرض لا ينبع من ارضية المنطقة العربية نفسها وعما اذا لم يكن يخالطها بعد تسوية ، آفاقها أوسع واشمل من آفاق المتصارعين المباشرين ويدخل في نطاقها اعادة النظر في ترتيب قضايا العالم بما ينسجم مع سياسة الوفاق الدولية التي سيطرت هواجسها على قطاعات واسعة في اوساط الثورة . وكان يعزز هذه التساؤلات عامل رديف انبثق مع الهزيمة السياسية والايديولوجية التي منيت بها اسرائيل في فينا والتي عانت منها في الاساس قضيتان تبني عليهما اسرائيل مبرر وجودها نفسه : الاولى قضية الهجرة اليهودية اليها والثانية مسألة ولاء اليهودي حيثما كان هذا اليهودي الى « الوطن — ارض اسرائيل » هذا الولاء الذي طعن في الصميم عندما تصرف كرايسكي ، مستشار النمسا ، وهو اليهودي المذهب ، بما ينسجم مع مصلحة وطنه الحقيقي (النمسا) مخالفا متطلبات « الولاء الصهيوني » . نتيجة هذه الهزيمة السياسية — الايديولوجية بدت توقعات تشير الى ان اسرائيل ستقدم على عمل كبير ليس بقصد « الانتقام والردع » هذه المرة وانما بهدف فرض حل نهائي بالقوة ، وقد عززت هذه التوقعات الحشود الضخمة التي قامت بها اسرائيل على الحدود السورية . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان مسألة توازن القوى بين المعسكرين العربي والاسرائيلي كان ينظر اليها دائما بالنظرة نفسها التي صنعتها هزيمة ١٩٦٧ نجد ان التشاؤم الذي ساد اوساط الثورة الفلسطينية في الايام القليلة التي سبقت الحرب كان مبررا وقابلا للتفسير . غير ان ساعات ما قبل الحرب حملت لقيادة الثورة ما ينفي هواجسها عندما تأكد لدى هذه القيادة ان زمام المبادرة سيكون في هذه الجولة في اليد العربية . وقد جاء هذا التأكيد — كما تردد — من خلال اطلاع قيادة الثورة على توقيت المعركة واهدافها ودعوتها الى المشاركة في صنع قراراتها وتحمل جزء من واجباتها القتالية . من هنا لم تفاجيء الحرب الثورة الفلسطينية ، وكان النداء الذي وجهه الاخ ابو عمار الى « الاخوة المقاتلين داخل الاراضي المحتلة وخارجها » في الدقائق الاولى التي اعقبت اندلاع الحرب دليلا على ان قيادة الثورة كانت مدركة ماهية هذه الحرب التي نشبت وآفاقها . فقد اعتبر ابو عمار ان تلك كانت « لحظات حاسمة من تاريخ شعبنا وأمتنا » ، وحدد لقوات المقاومة دورا ينسجم مع متطلبات حرب كبيرة تتطاحن فيها جيوش اكثر منه دورا يتصدى لمجرد « عدوان واشتباكات حدود » . كان الدور كما رسمه ابو عمار كما يلي : « ان المزيد من الضربات لخطوط مواصلات العدو ومراكز تجمعاته ومرافقه الحيوية داخل الارض المحتلة وحدودها امر هام وحاسم » .

ومع قرار الحرب وممارستها على الجبهتين المصرية والسورية تحطمت من أمام الثورة الفلسطينية عقبات كانت تشل توجهها نحو تصعيد نضالها في ارضها وقدرتها على ممارسة هذا النضال بكل الزخم المرصودة له هذه الثورة . فغليان **المواجهة المصرية** الذي امتد لهبه من جبهة القتال المباشرة الى ارجاء الوطن العربي جميعا أسقط جميع التحفظات من جهة وشل من جهة اخرى جميع الموانع التي اقعدت الثورة عن تصعيد عملها المسلح وتطويره في المرحلة التي سبقت الحرب . وهكذا وجدت الثورة

نفسها من جديد قادرة على تحمل مسؤولياتها كاملة ووضعتها الظروف الجديدة التي خلقتها الحرب امام ثلاثة ميادين ولجتها الثورة فعلا بكفاءة : الميدان الاول كان المشاركة الفاعلة المؤثرة مع الجيوش العربية على مسرح عمليات هذه الجيوش نفسه ، والميدان الثاني فتح مع انهيار الحواجز التي حالت بين قوات الثورة المتمركزة في الجنوب اللبناني واداء واجبها النضالي في شمالي فلسطين ، اما الميدان الثالث فكان مسرحه فلسطين كلها مارست فيه قوات الثورة انماطها القتالية التي سبقت الحرب بشكل متطور متصاعد ومكثف .

الميدان الاول كان جديدا بالنسبة للثورة استحدثه هذا الواقع الجديد المتمثل في خوض الجيوش العربية حربا نظامية على طول الجبهتين المصرية والسورية . لقد كانت هذه تجربة جديدة تماما خاضتها الثورة في عملها بتنسيق تكتيكي مع الجيوش النظامية او تحملها جزءا من واجبها الموكول اليها او نشاطها خلف خطوط العدو . ولا ينفي حداثة هذه التجربة ان الثورة (فتح بالتحديد) أعلنت في عدد من بلاغاتها العسكرية في اثناء حرب حزيران ١٩٦٧ انها عملت خلف خطوط العدو بينما كانت الجيوش العربية تقاتل معاركها النظامية . غير ان تلك كانت تجربة جنينية لم يكتب لها بسبب هزيمة ١٩٦٧ السريعة النضج والاثمار . ولكن على الرغم من حداثة التجربة وعدم وضع الثورة في حسابها — نتيجة الافكار التي سادت قبل الحرب — ان تخوض مثل هذه التجربة ، فقد اثبتت عملياتها ليس كفاءتها فحسب وانما جدواها كذلك . وتقول بلاغات الناطق باسم القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ان جهد الثورة في هذا الصدد متشعب النشاطات ، فمن الجهة الاولى أخذت بعض المجموعات مهمات قتالية الى جانب الجيوش العربية المشتركة في الحرب ، وتشير اوساط الثورة الى فاعلية هذه المجموعات بشكل خاص على الجبهة السورية ، وذكر الاخ زهير محسن ، رئيس الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية ، ان وحدات من جيش التحرير الفلسطيني قاتلت على الجبهتين الى جانب القوات المصرية والسورية بشجاعة فائقة (وفا ١٣/١٠) . وكان من أبرز النجاحات التي حققتها فصائل الثورة الفلسطينية سيطرتها يوم ١٠/٧ على بعض المواقع الاستراتيجية في جبل الشيخ ، فقد جاء في برقية بعث بها الاخ ابو عمار الى الرئيسين حافظ الاسد وأنور السادات ما يلي : « سيطرت قوات الثورة الفلسطينية بناء على الواجب المطلوب منها على مرتفعات الرؤوس في سفوح جبل الشيخ الغربية وتمت السيطرة على الرؤوس الثلاثة الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم » . وكتبت « المحرر » (١٩/١٠) انه على الجبهة الشمالية في الجولان ومنذ اللحظات الاولى للقتال تحدد لكتائب قوات حطين من جيش التحرير واجباتها القتالية . فالكتيبة ٤١١ وضعت تحت تصرف رئاسة الاركان مباشرة ونفذت واجباتها بنصر مجيد عندما تمكن افرادها المحمولون في طائرات الهليكوبتر من النزول وراء خطوط العدو ، فاحتلت سرية منها موقع تل الفرس بعد ان هبط الافراد فوق العدو مباشرة ... اما السريتان الاخريان فلا تزالان وراء خطوط العدو حتى الآن تمهدان بعمليات خاصة للقوات السورية النظامية . اما الكتيبة ٤١٢ ، ومن خلال خطة موضوعة ، فقد قامت بنقل سراياها بالهليكوبترات واحتل افرادها المواقع التالية : تل عكاشة ، تل العباس ، تل ابو الذهب. وكذلك نفذت الكتيبة ٤١٣ مهامها فاحتلت خسفين والعال . اما قوات القادسية فتعمل بتنسيق كامل مع احدى فرق الجيش السوري .

من جهة ثانية قامت الثورة الفلسطينية بما يوصف عادة بأنه عمليات خلف خطوط العدو(*) ، وكان هذا عنوانا عريضا اندرج تحته مايلي : (١) نصب كمائن لقوافل

---

* راجع جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧٣/٩/١٤ — ١٩٧٣/٩/٢٢ .

تموين العدو ، (٢) مهاجمة تحركات العدو العسكرية والاشتباك مع قواته المتجهة نحو المعركة ، (٣) اعاقة تحركات العدو بواسطة زرع الالغام في الطرق التي يستعملها او نسف العبارات والجسور امام تحرك آلياته ، (٤) مهاجمة تجمعات العدو ومعسكراته ومشاغلتها وتكبيدها الخسائر .

الميدان الثاني الذي ولجته الثورة الفلسطينية ، كما اشير ، فقد فتح مع انهيار الحاجز الذي حال بين قواعد الثورة في الجنوب اللبناني واداء دورها في شمال فلسطين . وقد كان هذا الانهيار نتيجة طبيعية لانفتاح أكثر من جبهة مع العدو بحيث سقطت الحجة القديمة القائلة ان صمت الجبهات العربية الاخرى يكفي تبريرا لوقف النشاط الفلسطيني المسلح من الحدود اللبنانية ، كما ان الحماس الشعبي الواسع والانتصارات العسكرية التي حققتها الجيوش العربية كانت رادعا لاية محاولة او نية محاولة لوقف النشاط العسكري الفلسطيني من الحدود اللبنانية .

وفي اليوم الاول للقتال أعلنت الثورة الفلسطينية « ان قواتنا تخوض الان معارك ضارية على طول امتداد المواجهة في القطاع الشرقي [من الحدود اللبنانية] متصدية لقوات العدو التي تستخدم الطائرات والمدفعية وكافة انواع الاسلحة الاخرى » . كما أعلن البلاغ رقم ٩ الصادر عن القيادة العامة للثورة الفلسطينية (١٠/٧) ما يلي : « قامت وحدات المدفعية والصواريخ التابعة لقواتنا بجنوب لبنان بقصف شديد ومركز على كل من مستعمرتي المنارة وهونين » . وبذلك كان هذا الاعلان اقرارا لواقع لا يمكن تجاوزه او القفز من فوق معطياته تمثل في حق الثورة في ان تعمل من مختلف الجبهات لا تحكمها سوى تكتيكات القتال وقرارات الثورة نفسها العسكرية والسياسية . وكان جهد الثورة الفلسطينية واسعا اتخذ له اكثر من محور : (١) لقد انفتح المجال واسعا امام قوات الثورة لتصفي حساباتها مع المراكز العسكرية التي اقامها العدو على الاراضي اللبنانية في الجنوب ففي ١٠/٧ حدثت اشتباكات شديدة في منطقة العرقوب الشرقي وتم في ١٠/٩ تحرير تل الدانة والسيطرة عليه جنوب شبعا في قطاع العرقوب كما تم تحرير منطقة بركة النقار في العرقوب التي كان قد احتلها العدو في العام ١٩٧٠ . (٢) تسنى لقوات الثورة المنطلقة من الجنوب اللبناني ان تنشط خلف خطوط العدو العسكرية . (٣) تمكنت قوات الثورة من شن غارات مؤثرة على المستوطنات الاسرائيلية في شمالي فلسطين وخاضت معارك مع قوات العدو المتمركزة فيها او بالقرب منها . وقد مارست الثورة في تعاملها مع هذه المستوطنات صنوفا من القتال : كالقصف بالصواريخ والمدفعية او مهاجمة بعض هذه المستعمرات واقتحامها . وشاركت في هذه العمليات قوات اليرموك ووحدات من قوات حطين ومجموعات قتالية من منظمات الثورة .

كانت الجبهة التي فتحتها الثورة الفلسطينية في شمال فلسطين منطلقة من الجنوب اللبناني مؤثرة دفعت العميد (احتياط) حاييم هرتسوغ ، المعلق العسكري الاسرائيلي ، الى التصريح للاذاعة الاسرائيلية (١٠/١٠) بقوله « في هذه الليلة فتحت **جبهة اخرى** ، على الرغم من صغرها ولكن على كل حال تعتبر جبهة ، والمقصود هنا النشاط التخريبي [الفدائي] من وراء الحدود ضد مستوطناتنا » وقد جاء هذا الاعتراف من الجانب الاسرائيلي بعد فترة من التعتيم مارسه الاعلام الاسرائيلي على عمليات الثورة الفلسطينية . واذا كان هرتسوغ في تصريحه ذلك قد حمل السلطات اللبنانية مسؤولية عمليات الثورة فان التطور النوعي في موقف الجماهير اللبنانية الذي انتقل من تخوم تأييد المقاومة والدفاع عنها الى قلب المشاركة في عملياتها العسكرية يعتبر ردا عمليا على تهديدات اسرائيل . فقد نشرت وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » (١٠/٢٢) انها « علمت ان مجموعات من انصار الثورة الفلسطينية في الساحة اللبنانية تشترك مع

المقاتلين الفلسطينيين جنبا الى جنب في مواجهة العدو الصهيوني وتقوم بكل المهام التي تطلب منها في تعزيز ودعم الجهد القتالي العربي » .

الميدان الثالث الذي خاضت غماره الثورة الفلسطينية كان تصعيد انماطها النضالية التي سبقت الحرب وتكثيفها وتطويرها . وكان من الواضح قبل نشوب الحرب ان الخط البياني لعمليات المقاومة كان في تصاعد ، وقد جاءت ظروف الحرب لتسارع من تصاعد هذا الخط . ففي اليوم الاول للقتال أصدرت قيادة الثورة امرا الى كافة مجموعات الثورة داخل الاراضي المحتلة بالتحرك للقيام بواجبها وفق الاهداف المحددة لها ، وناشدت القيادة جماهيرنا الفلسطينية في الارض المحتلة لتقديم كل مساعدة ممكنة لمجموعات الثورة المقاتلة لتتمكن من القيام بواجبها على الوجه الاكمل . وقد غطت عمليات المقاومة رقعة واسعة من الارض الفلسطينية ، اذ شملت قصف عدد من المستعمرات والمدن الاسرائيلية في الداخل ، كما شملت مهاجمة بعض الاهداف الاستراتيجية والحيوية لاسرائيل .

كانت هذه اطلالة على الميادين الثلاثة او الجبهة الثالثة التي فتحتها المقاومة الفلسطينية التي نظرت الى هذه الحرب الرابعة باعتبارها حربا وطنية تشارك فيها المقاومة بهدف تحقيق هدفها الكبير تحرير كامل التراب الفلسطيني ، « فاذا اعتمدنا المنظور الوطني القومي الشامل لهذه الحرب الوطنية [كما ذكرت فلسطين الثورة ١٠/١٠] واذا تحققت فعليا وعمليا مشاركة الشعوب الوطنية العربية في المعركة فان الهدف من وراء هذه الحرب هو تحرير فلسطين والقضاء على قاعدة الامبريالية في بلادنا » . وقد أكد الاخ ابو عمار القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية هذه النظرة الى هذه الحرب في أكثر من مناسبة ففي برقيته التي ارسلها الى الرئيس السادات (وفا ١٠/٩) يقول « ان شعبنا الصامد في الارض المحتلة وفي كافة اماكن تجمعه يرى في تحرير القنطرة بدء عملية تحرير شاملة » ، كما ذكر في برقية بعث بها الى معتمدي ومناضلي الثورة والى الجاليات العربية في المهجر « اؤكد لكم عزمنا وتصميمنا على المضي في النضال حتى التحرير الكامل لتراب وطننا » (وفا ١٠/١٣). وقد كان للانتصارات الكبيرة التي حققتها الجيوش العربية وقوات المقاومة بالاضافة الى التصميم المبدئي لقوى الثورة الفلسطينية على تحقيق هذا الهدف (التحرير الشامل) الاثر الحاسم في تحديد هذه الغاية وجعلها مطلبا للجماهير العربية وان قرار وقف اطلاق النار الذي صدر عن مجلس الامن يوم ١٠/٢٢ والذي بني على اقتراح سوفياتي — اميركي لا يسقط هذا المطلب الذي هو هدف الثورة الاستراتيجي . ذلك ان الثورة الفلسطينية كانت قد اعلنت ، وتمسكت بهذا الاعلان ، منذ العام ١٩٦٥ انها تقاتل من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني الذي أقيم عليه الكيان الصهيوني ، وطرحت الدولة الفلسطينية الديموقراطية بديلا عادلا وجذريا للواقع الموجود . وبذلك فان انسحاب اسرائيل الى الخطوط التي كانت قائمة يوم ٤ حزيران ١٩٦٧ — ان حدث — لا يعني نهاية المطاف لثورة الشعب الفلسطيني ، ويجب الا يعني ذلك ، كذلك فان وقف اطلاق النار بالنسبة للجيوش المتحاربة او أي منها ، لا ينسحب بالضرورة على الثورة الفلسطينية التي كانت قد اخذت زمام المبادرة في الكفاح المسلح قبل الحرب الاخيرة بزمن طويل وتبنت هذا الشكل من النضال اسلوبا استراتيجيا لها .

ان الثورة الفلسطينية التي شاركت في الحرب بشكل فعال مؤثر ، ومهما كانت المعطيات الجديدة التي ستنبثق عن قرار وقف اطلاق النار ، ستكون في وضع افضل ان احسنت استثماره ، ولا شيء يمنع الثورة من الافادة منه ، وهو وضع تتمثل أبعاده الاساسية في الهزيمة العسكرية التي لحقت باسرائيل ، وفي عودة الثقة الى الجماهير

العربية بقدراتها وبسمو تضحياتها ، وفي التجربة الممتازة التي تمرس بها مقاتلو الثورة على مختلف الجبهات ، وفي مصداقية ما طرحته الثورة منذ انبثاقها عن ان القتال هو الوسيلة الوحيدة لاسترجاع الحق العربي وعبثية اية وسيلة سواها . وكما قال الاخ أبو عمار « ان الجيوش العربية التي حاربت لمست ما كنا نؤكده دائما ، نتيجة ٩ سنوات من الكفاح المسلح ، وهو ان العدو الاسرائيلي ليس متفوقا علينا ، وليس سوبرمان . حاربت الجيوش العربية وتخطت جدار الخوف . والمقاومة شاركت مشاركة فعلية في هذه الحرب . شاركت بقوات ارسلتها الى سوريا ومصر وبعمليات فدائية ضد المواقع الاسرائيلية . اسرائيل نفسها اعترفت قبل يومين بان الفدائيين قاموا بأكثر من ٢٠٠ عملية ضد الاهداف الاسرائيلية منذ بدء حرب ٦ تشرين الاول . واعترفت ايضا بان الفدائيين ضربوا اكثر من ٤٠ مستعمرة . نحن شاركنا فعليا في هذه الحرب » .

وحين سئل القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية عن قرار وقف اطلاق النار أجاب : « بنادقنا لن تسكت ولن نتوقف عن قتال العدو ، سنواصل حربنا مهما كلفنا ذلك من تضحيات » . (النهار ١٩٧٣/١٠/٢٣) .

هذا وقد أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا قالت فيه انها ليست معنية بالقرار الذي اتخذه مجلس الامن ، وأكدت انها ستتابع الكفاح المسلح والجماهيري ضد الكيان الصهيوني « من أجل تحرير الوطن وحق شعبنا في تقرير مصيره بنفسه » .

واضاف البيان ان الثورة الفلسطينية « تواصل الكفاح المسلح مع قوى أمتنا العربية لانجاز تحرير كل الاراضي المحتلة بلا قيد أو شرط » .

حجم القوات المشتركة في القتال يوم اندلاعه

هشام عبدالله

هذه الدراسة عبارة عن جزء من كتاب ميزان القوى العربية الاسرائيلية (٧٣—١٩٧٤) الذي سيصدر عن مركز الابحاث . والذي ارتأت شؤون فلسطينية ضرورة نشره في ظروف القتال الحاضرة .

(١) جمهورية مصر العربية

آ — المعطيات الاستراتيجية

١ — عدد السكان : ٣٤،٩٠٠،٠٠٠ نسمة
طلبة الجامعات والمعاهد العليا (٦٨ — ١٩٦٩) ١٥٦،٩٠١ طالب .

— المساحة : ١،٠٠٢،٠٠٠ كيلومتر مربع .
الطرق : ٢٠٨٠٠ كيلومتر بالاضافة الى الملاحة في النيل وقناة السويس .
الخطوط الحديدية : ٤٢٥٠ كيلومترا خطوط رئيسية و ٢٥٨٠ كيلومترا خطوط فرعية .

جـ — الدخل القومي (١٩٧١) : ٦،٩١ مليار دولار .
معدل دخل الفرد : ١٩٧ دولارا .
موازنة الدفاع للسنة ٧٢—١٩٧٣ : ١،٥١٠ ملايين دولار .
نسبة مصاريف الدفاع الى الدخل القومي : ٢١،٧ ٪ .
مصاريف الدفاع للفرد الواحد (١٩٧١) : ٤٣ دولارا .

د — الانتاج : الزراعة هي قطاع الانتاج الرئيسي .
انتاج الطاقة الكهربائية (١٩٦٩) : ٧،١٣٤ مليون كيلوات/ساعة .
انتاج الاسمنت (١٩٧٠) : ٣،٦٩٤،٠٠٠ طن .
الانتاج الحربي : هناك انتاج ، الا ان ارقامه غير متوفرة لدينا .
طاقة تكرير النفط (١٩٧٠) : ٨،٣٢٠،٠٠٠ طن .
انتاج الحديد والصلب (١٩٧٠) : ٢٢٧،٠٠٠ طن متري .
انتاج السيارات (١٩٧٠) : سيارات سياحية ٣٦٠٠ .
سيارات نقل ٢٧٠٠ .

ب — التسليح

مجموع القوات المسلحة : ٣٢٥ الف رجل .
القوات شبه النظامية : ١٠٠ الف رجل .
يمكن دعم هذه القوات عند التعبئة العامة بـ ٥٢٠ الف رجل .

الجيش : ٢٨٥،٠٠٠ جندي .

٣ فرق مدرعة .
٣ فرق مشاة ميكانيكية .
٥ فرق مشاة .
٢ لواء مظلات .
١٦ كتيبة مدفعية .
٢٨ كتيبة مغاوير .

أنواع الاسلحة التي يستخدمها الجيش :

الدبابات

ـ دبابات ثقيلة جوزيف ستالين ج س ـ ٣ JS III العدد ٥٠ .
ـ دبابات متوسطة « ت ـ ٥٤ » و « ت ـ ٥٥ » «T-54, T-55» العدد ١٥٠٠ .
ـ دبابات متوسطة « ت ـ ٦٢ » «T-62» العدد غير محدد .
ـ دبابات متوسطة « ت ـ ٣٤ » «T-34» العدد ٤٠٠ .
ـ دبابات برمائية خفيفة « ب ت ٧٦ » «PT 76» العدد ١٠٠ .

المصفحات : سيارات استطلاع وناقلات جنود مدرعة مختلفة . وعددها ٢٠٠٠ من من الانواع التالية :

ـ سيارات استطلاع برمائية مدرعة على عجلات « ب ت ر ـ ٤٠ » «BTR-40»
ـ ناقلات جنود برمائية مدرعة مجنزرة « ب ت ر ـ ٥٠ ب » «BTR 50 P» .
ـ ناقلات جنود برمائية مدرّعة على عجلات « ب ت ر ـ ٦٠ ب » «BTR 60 P» .
ـ ناقلات جنود مدرعة على عجلات « ب ت ر ـ ١٥٢ » «BTR-152» .
ـ ناقلات جنود مدرعة على عجلات أوت ـ ٦٤ «OT-64» تشيكوسلوفاكية .

المدفعيـــة :

أ ـ **مدافع ذاتية الحركة :**

ـ مدافع ذاتية الحركة مضادة للدبابات س يو ـ ١٠٠ «SU-100» .
ـ مدافع ذاتية الحركة جي س يو ـ ١٥٢ «JSU-152» .

ب ـ **مدافع متطورة :**

ـ من مختلف العيارات العدد ١٥٠٠ ، بالاضافة الى ٤٠ مدفعا ثقيلا عيار ٢٠٣ملم.
ـ مدافع هاوتزر عيار ١٢٢ ملم.
ـ مدافع ميدان عيار ١٣٠ ملم.
ـ مدافع هاوتزر عيار ١٥٢ ملم.
ـ مدافع هاوتزر عيار ٢٠٣ ملم ، العدد ٤٠ .

جـ ـ **مدافع مضادة للدبابات :**

ـ عيار ٥٧ ملم.

ـ عيار ٨٥ ملم.

ـ عيار ١٠٠ ملم.

د ـ **مدافع هاون** من مختلف العيارات ٨٢ ملم، ١٢٠ ملم، ١٦٠ ملم.

هـ ـ **مدفعية صاروخية :**

ـ تذائف صاروخية عيار ١٣٠ ملم.

ـ تذائف صاروخية عيار ٢٤٠ ملم.

متفرقـــات :

ـ صواريخ مضادة للدبابات طراز سنابير «SNAPPER» ؛ وساجر «SAGGER».

ـ صواريخ ارض ارض طراز « فروغ ٣ » «FROG 3» العدد ٢٤ .

ـ صواريخ ارض ـ ارض طراز « فروغ ٧ » «FROG 7» .

ـ صواريخ سطح ـ سطح لحراسة السواحل طراز « ســامليت » «SAMLET» العدد ٢٥ .

ـ مدافع مضادة للطائرات ذاتية الحركة « زد س يو ـ ٢٣ ـ ٤ » «ZSU-23-4»

ـ مدافع مضادة للطائرات ذاتية الحركة « زد س يو ـ ٥٧ ـ ٢ » «ZSU-57-2»

سلاح الطيران : ٢٥،٠٠٠ جندي

المقاتلات : ٥٦٨ طائرة مقاتلة موزعة كما يلي :

ـ مقاتلات صف اول من طراز ميغ ٢١ بنماذجها المختلفة سوفياتية ، العدد ٢٢٠ .

أ ـ ميغ ٢١ ف «Mig 21 F» المقاتلة المعترضة .

ب ـ ميغ ٢١ ب ف «Mig 21 PF» المطاردة المعترضة .

جـ ـ ميغ ٢١ م ف «Mig 2 MF» مقاتلة لمختلف الاغراض ، بمقعد واحد .

ـ مقاتلات للهجوم الارضي من طراز سوخوي ٧ «Sukhoi Su-7» ســوفياتيــة ، العدد ١٢٠ .

ـ مقاتلات صف ثاني طراز ميغ ١٧ «Mig 17» المقاتلة المعترضة ســوفياتيــة ، العدد ٢٠٠ .

ـ قاذفات قنابل متوسطة طراز توبوليف تو ـ ١٦ TU-16 «Tupolev» سوفياتيــة ، العدد ١٨ .

ـ قاذفات قنابل خفيفة طراز اليوشن ٢٨ بمقعدين ، سوفياتية ، العدد ١٠ . (يحتمل ان تكون قد سحبت من الخدمة) .

طائرات النقل : أكثر من ٦٠ طائرة نقل موزعة كالتالي :

ـ اليوشن ١٤ طائرة نقل خفيفة بمحركين ، سوفياتية ، العدد ٤٠ .

ـ انتينوف ـ ١٢ «Antinov-12» طائرة نقل بأربع محركات ، سوفياتية ، العدد ٢٠ .

— انتينوف — ٢٤ «Antinov-24» طائرة نقل بمحركين ، سوفياتية .

طائرات هيلوكبتر : ١٨٠ طائرة هيلوكبتر من مختلف الاحجام .

— طائرة هيلوكبتر خفيفة « مي — ١ » «Mi-1» يقودها ملاح واحد .

— طائرة هيلوكبتر خفيفة طراز « مي — ٤ » «Mi-4» يقودها ملاحان .

— طائرة هيلوكبتر ثقيلة طراز « مي — ٦ » «Mi-6» يقودها ٥ ملاحين .

— طائرة هيلوكبتر متوسطة « مي — ٨ » «Mi-8» يقودها ملاحان .

طائرات التدريب : طائرات تدريب سوفياتية وتشيكوسلوفاكية ، العدد ٢٠٠ .

— طائرات تدريب اساسي من طراز « ياك ١٨ » مروحية .

— طائرات تدريب اساسي ومتقدم ل — ٢٩ دلفين تشيكوسلوفاكية .

— طائرات تدريب متقدم من طراز ميغ ١٥ و١٧ .

الدفاع الجوي : تتكون شبكة الدفاع الجوي من صواريخ ارض — جو ، ومدافع مضادة ترتبط ببعضها بشبكة انذار وقيادة واحدة .

الصواريخ : ١٢٠ قاعدة صواريخ تضم الواحدة ٦ صواريخ ارض — جو من النماذج التـــالية :

— صواريخ سام — ٢ ، سوفياتية .

— صواريخ سام — ٣ ، سوفياتية .

— صواريخ سام — ٦ ، سوفياتية .

المدافع المضادة للطائرات :

— مدافع عيار ٥٧ ملم ، سوفياتية .

— مدافع عيار ٢٣ ملم (ثنائية) ، سوفياتية .

— مدافع عيار ١٠٠ ملم ، سوفياتية .

— مدافع عيار ٨٥ ملم ، سوفياتية .

البحرية : ١٤،٠٠٠ ضابط وبحار (بما في ذلك حرس الشواطىء) .

مجموع القطع : ١٢٧ قطعة موزعة كما يلي :

غواصات : ١٢ غواصة .

— غواصات من الفئة « ر » «R» Class سوفياتية ، العدد ٦ .

الوزن : طافية ١١٠٠ طن ، غائصة : ١٦٠٠ طن .
التسليح : ٦ انابيب طوربيد عيار ٥٣٣ ملم .
الطاقم : ٦٥ ضابطا وبحارا .

— غواصات من الفئة « دبل يو » «W» Class سوفياتية ، العدد ٦ .

الوزن : طافية ١٠٣٠ طنا ، غائصة ١١٨٠ طنا .
التسليح : ٦ انابيب طوربيد عيار ٥٣٣ ملم ، ٤ في المقدمة و٢ في المؤخرة + مدافع مضادة للطائرات عيار ٢٥ ملم ، عدد ٤ .
المدى : ١٣،٠٠٠ ميل . الطاقم ٦٠ ضابطا وبحارا .

مدمرات : ٥ مدمرات(١) .

— مدمرات طراز « سكوري » «Skory» Type سوفياتية العدد ٤ .
اسماؤها هي الناصر — الظافر — دمياط — السويس .
الوزن : قياسي ٢٦٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٣٥٠٠ طن .
التسليح : ٤ مدافع ١٣٠ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٧٦ ملم عدد ٢ ، عيار ٣٧ ملم عدد ٧ — أسلحة مضادة للغواصات : قاذفات قنابل أعماق عدد ٤ . تحمل ٨٠ لغما + ١٠ انابيب طوربيد عيار ٥٣٣ ملم .
المدى : ٤٠٠٠ ميل . الطاقم : ٢٥٠ ضابطا وبحارا .

— مدمرة طراز « زد » «Z» Type بريطانية ، العدد ١ ، اسمها الفاتح .
الوزن : قياسي ١٧٣٠ طنا ، بحمولة كاملة : ٢٥٧٥ طنا .
التسليح : ٤ مدافع عيار ١١٥ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٦ + اسلحة مضادة للغواصات : ٤ قاذفات قنابل أعماق .
المدى : ٢٨٠٠ ميل . الطاقم : ٢٥٠ ضابطا وبحارا .

سفن حراسة : ٤ سفن(٢) .

— سفينة حراسة طراز «بلاك سوان» «Black Swan» Type بريطانية ، سميت طارق .
الوزن : قياسي ١٤٩٠ طنا ، بحمولة كاملة ١٩٢٥ طنا .
التسليح : ٦ مدافع عيار ١٠٢ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٤ وعيار ٢٠ ملم عدد ٢ + ٤ قاذفات قنابل أعماق .
المدى : ٤٥٠٠ ميل . الطاقم : ١٨٠ ضابطا وبحارا .

— سفينة حراسة طراز « ريفر » «River» Type بريطانية ، سميت رشيد .
الوزن : قياسي ١٤٩٠ طنا ، بحمولة كاملة ٢٢١٦ طنا .
التسليح : مدفع واحد ١٠٢ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٢ ، وعيار ٢٠ ملم عدد ٦ ، + ٤ قاذفات قنابل أعماق .
المدى : ٩٥٠٠ ميل . الطاقم : ١٨٠ ضابطا وبحارا .

— سفينة حراسة طراز « هنت » «Hunt» Type بريطانية ، سميت بور سعيد .
الوزن : قياسي ١٠٠٠ طن ، بحمولة كاملة ١٤٩٠ طنا .
التسليح : ٤ مدافع عيار ١٠٣ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٢ ، وعيار ٢٠ ملم عدد ٢ + قاذفي قنابل اعماق .
المدى : ٢٠٠٠ ميل . الطاقم : ١٤٦ ضابطا وبحارا .

— سفينة حراسة طراز « فلور » «Flower» Type بريطانية ، سميت السودان .
الوزن : قياسي ١٠٦٠ طنا ، بحمولة كاملة ١٣٤٠ طنا .
التسليح : مدفع واحد عيار ١٠٢ ملم + مدافع مضادة للطائرات عيار ٢٠ ملم عدد ٢ .
المدى : ٧٠٠٠ ميل + الطاقم : ٨٥ ضابطا وبحارا .

---

١ — من المحتمل ان يزود الاتحاد السوفياتي مصر بمدمرات مسلحة بصواريخ بحر — سطح من فئة كروبني «KRUPNY» او كيلدن «KILDIN» .

٢ — ليس لسفن الحراسة البريطانية العاملة في البحرية المصرية أي قيمة عسكرية معتبرة بسبب قدمها .

كاسحات ألغام ملحقة بالاسطول :

ـــ كاسحات الغام من طراز « ت ٤٣ » Type «T 43» سوفياتية عدد ٦ ، أطلق عليها الاسماء : اسيوط ، البحيرة ، الشرقية ، الدقهلية ، الغربية ، سيناء .

الوزن : قياسي ٤١٠ اطنان ، بحمولة كاملة ٥٣٠ طنا .

التسليح : ٤ مدافع عيار ٣٧ ملم .

ـــ كاسحات الغام من طراز « يوركا » Type «Yurka» سوفياتية عدد ٤ ، أطلق عليها الاسماء : الفيوم ، المنوفية(٣).

الوزن : قياسي ٥٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٥٥٠ طنا .

التسليح : ٤ مدافع عيار ٣٠ ملم (ثنائية) .

كاسحات ألغام ساحلية :

ـــ كاسحات الغام من طراز « ت ٣٠١ » Type «T 301» سوفياتية عدد ٢ أطلق عليها الاسماء : الفيوم ، المنوفية(٣).

الوزن : قياسي ١٣٠ طنا ، بحمولة كاملة ١٨٠ طنا .

التسليح : مدافع مضادة للطائرات ٢ عيار ٣٧ ملم + ٢ عيار ٢٥ ملم .

الطاقم : ٣٠ ضابطا وبحارا .

زوارق دورية :

ـــ زوارق دورية طراز « سوي » Type «Soi» سوفياتية عدد ١٢ .

الوزن : خفيف ٢١٥ طنا ، بحمولة كاملة ٢٢٠ طنا .

التسليح : ٤ مدافع ٢٥ ملم ثنائية + ٤ قاذفات صواريخ خماسية (بخمس فوهات).

زوارق صواريخ :

ـــ زوارق صواريخ طراز « اوسا » Type «Osa» سوفياتية عدد ١٢ .

الوزن : قياسي ١٦٠ طنا ، بحمولة كاملة ٢٠٠ طن .

التسليح : ٤ صواريخ موجهة طراز ستيكس «Styx» يزيد مداها عن ٣٠ كيلومترا + مدافع مضادة للطائرات عدد ٤ عيار ٢٥ ملم (مدفع في المقدمة ، ومدفع في المؤخرة ، ومدفع ثنائي) .

الطاقم : ٢٥ ضابطا وبحارا .

ـــ زوارق صواريخ طراز « كومار » Type «Komar» سوفياتية عدد ٧ .

الوزن : قياسي ٧٥ طنا ، بحمولة كاملة ١٠٠ طن .

التسليح : ٤ صواريخ طراز ستيكس مداها ٢٠ كيلومترا تقريبا + مدافع مضادة للطائرات عدد ٢ عيار ٢٥ ملم .

الطاقم : ٢٠ ضابطا وبحارا .

زوارق طوربيد :

ـــ زوارق طوربيد طراز « شيرشن » Type «Shershen» سوفياتية عدد ٦ .

الوزن : قياسي ١٥٠ طنا ، بحمولة كاملة ١٩٠ طنا .

التسليح : مدافع مضادة للطائرات عدد ٤ عيار ٢٥ ملم (ثنائية) ، انابيب طوربيد عدد ٤ عيار ٥٣٣ ملم .

الطاقم : ١٦ ضابطا وبحارا .

---

٣ ـــ يحتمل وجود كاسحة الغام ساحلية ثالثة .

ــ زوارق طوربيد طراز « ب » ٦ «P6» Type سوفياتية عدد ٢٤ .
الوزن : قياسي ٥٠ طنا ، بحمولة كاملة ٧٥ طنا .
التسليح : ٤ مدافع ٢٥ ملم + انابيب طوربيد عدد ٢ عيار ٥٣٣ ملم .
الطاقم : ٢٠ ضابطا وبحارا .
ــ زوارق يوغوسلافية الطراز عدد ٦ .
الوزن : بحمولة كاملة ٥٦ طنا .
التسليح : مدفع واحد عيار ٤٠ ملم + ٤ انابيب طوربيد .

سفن انزال :

ــ سفن انزال طراز « فيدرا » «Vidra» Type سوفياتية عدد ١٠ .
الوزن : قياسي ٣٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٥٠٠ طن .
الحمولة : تستطيع حمل امدادات ومعدات عسكرية حتى زنة ٢٥٠ طنا .

ــ سفن انزال طراز « س م ب ١ » «SMB 1» Type سوفياتية عدد ٤ .
الوزن : قياسي ٢٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٤٢٠ طنا .
الحمولة : تستطيع حمل امدادات ومعدات عسكرية حتى زنة ١٥٠ طنا .

سفن اخرى

ــ قاطرات اسطول طراز أوختنسكي «Okhtensky» Type سوفياتية عدد ٤ .

(٢) الجمهورية العربية السورية

آ ــ المعطيات الاستراتيجية

ا ــ عدد السكان : ٦،٤٤٥،٠٠٠ نسمة .
طلبة الجامعات والمعاهد العليا (٦٨ــ١٩٦٩) ٣٨،٤١٣ طالبا .

ب ــ المساحة ١٨٥،١٨٠ كيلومترا مربعا .
الطرق ٦٠٠٠ *كيلومتر طرق معبدة* ، ١٣٠٠ كيلومتر طرق ممهدة ، ٦٠٠٠ كيلومتر طرق ترابية .
الخطوط الحديدية ٥٥٥ كيلومترا خطوط عادية ، ٣١٣ كيلومترا خطوط ضيقة .
قيد الانشاء اللاذقية ــ حلب ــ الجزيرة .

جـ ــ الدخل القومي (١٩٧١) : ١،٨ مليار دولار .
معدل دخل الفرد : ٢٧٩ دولارا .
موازنة الدفاع للسنة المالية ١٩٧٢ : ٢٠٦،٤٥٢،٠٠٠ دولار .
نسبة موازنة الدفاع الى الدخل القومي : ٩،٨ ٪ .
مصاريف الدفاع للفرد الواحد (١٩٧١) : ٢٧ دولارا .

انتاج الطاقة الكهربائية (١٩٧٠) : ٩٤٧ مليون كيلووات / ساعة .
انتاج الاسمنت (١٩٧٠) ٩٦٤ الف طن .
طاقة تكرير النفط (١٩٧٠) ٢،٩٥٠،٠٠٠ طن .

ب ــ التسليح

القوات المسلحة النظامية ١٢٠ الف رجل .
يدعمها عند التعبئة ٢٠٠ الف رجل احتياطي .

الجيش ــ ١٠٨،٠٠٠ جندي
٢ فرقة مدرعة
١ فرقة ميكانيكية
٢ فرقة مشاة
١ كتيبة مظلات
٥ كتائب مغاوير
٧ افواج مدفعية
٨ بطاريات سام ــ ٢ وسام ــ ٣ .

الدبابــات

ــ دبابات ثقيلة « جوزيف ستالين » ــ ٣ «JS-3» سوفياتية العدد ٣٠ .
ــ دبابات متوسطة ت ــ ٦٢ «T-62» سوفياتية ، العدد ١٠٠ .
ــ دبابات متوسطة ت ــ ٥٤ و ت ــ ٥٥ «T-54, T-55» ٩٠٠ .
ــ دبابات متوسطة ت ــ ٣٤ «T-34» سوفياتية العدد ٢٤٠ .
ــ دبابات خفيفة ب ت ــ ٧٦ «PT-76» سوفياتية .

ناقلات جنود مدرعة ٥٠٠ ناقلة من الانواع التالية :

ــ ناقلات جنود مدرعة ب ت ــ ٥٠ «BTR-50» سوفياتية .
ــ ناقلات جنود مدرعة ب ت ــ ٦٠ «BTR-60» سوفياتية .
ــ ناقلات جنود مدرعة ب ت ــ ١٥٢ «BTR-152» سوفياتية .

المدفعيــة

ــ مدافع عيار ١٢٢ ملم
ــ مدافع عيار ١٣٠ ملم
ــ مدافع عيار ١٥٢ ملم
ــ تذائف صاروخية عيار ١٣٠ ملم كاتيوشا سوفياتية .
ــ تذائف صاروخية عيار ٢٤٠ ملم غراد سوفياتية .
ــ صواريخ ارض ــ ارض طراز فروغ ٧ .

الدفاع الجوي

ــ مدافع مضادة للطائرات عيار ٣٧ ملم سوفياتية .
ــ مدافع مضادة للطائرات عيار ٥٧ ملم سوفياتية .
ــ مدافع مضادة للطائرات عيار ٨٥ ملم سوفياتية .
ــ مدافع مضادة للطائرات عيار ١٠٠ ملم سوفياتية .
ــ صواريخ ارض ــ جو طراز سام ٢ سوفياتية .
ــ صواريخ ارض ــ جو طراز سام ٦ سوفياتية .

متفرقة ــ تذائف موجهة مضادة للدروع طراز ساجر «Sagger» سوفياتية .

الطيران ١٠،٠٠٠ رجل

المقاتلات ــ ٣١٠ طائرات مقاتلة موزعة كالتالي : ــ

ــ طائرات مقاتلة من طراز ميغ ٢١ «Mig 21» سوفياتية العدد ٢٠٠ .
ــ مقاتلات قاذفة من طراز ميغ ١٧ «Mig 17» سوفياتية العدد ٨٠ .
ــ قاذفات مقاتلة من طراز سوخوي ــ ٧ سوفياتية «Su-7» العدد ٣٠ .

ـــ يحتمل ان تكون سورية قد استلمت طائرات مقاتلة معترضة من طراز سوخوي ١١

طائرات نقل :

ـــ طائرات اليوشن ـــ ١٤ «Il-14» سوفياتية .

ـــ طائرات س ـــ ٤٧ «C-47» اميركية .

طائرات هيلوكبتر :

ـــ طائرات مي ـــ ٢ «Mi-2» سوفياتية العدد ٤ .
ـــ طائرات مي ـــ ٤ «Mi-4» سوفياتية العدد ١٠ .
ـــ طائرات مي ـــ ٨ «Mi-8» سوفياتية العدد ٢٢ .

البحرية :

ـــ كاسحات الغام طراز « ت ٤٣ » Type «T 43» سوفياتية(١) العدد ٢ .
سميت : حطين ، اليرموك .

ـــ كاسحات الغام ساحلية سوفياتية العدد ٢ .

ـــ زوارق دورية طراز « ش » Type «CH» فرنسية (بنيت عام ١٩٣٩) العدد ٣ ،
سميت : عقبة بن نافع ، عبدالله بن عريسي ، طارق بن زياد .
الوزن : قياس ١٠٧ أطنان : حمولة كاملة : ١٣١ طنا .

التسليح : مدفع واحد عيار ٧٦ ملم + مدفع عيار ٢٠ ملم عدد ٢ + قنابل أعماق .
الطاقم : ٢٨ . (يعتقد بأنها لم تعد صالحة للخدمة) .

ـــ زوارق صواريخ سريعة من طراز « اوسا » «Osa» سوفياتية العدد ٢ .

ـــ زوارق صواريخ من طراز « كومار » «Komar» سوفياتية العدد ٦ .

ـــ زوارق طوربيد « ب ٤ » Type «P 4» سوفياتية . العدد ١٧ .
الوزن : قياسي ٤٥ طنا ، حمولة كاملة ٥٠ طنا .
التسليح : انبوب طوربيد عدد ٢ عيار ٥٣٣ ملم + مدافع عيار ٢٥ ملم عدد ٢ .

(٣) اسرائيل

آ ـــ المعطيات الاستراتيجية

أ ـــ عدد السكان : ٣،١٥٥،٠٠٠ نسمة .

طلبة الجامعات والمعاهد العليا : ٣١،٢٣٨ طالبا في اسرائيل + عدد من الطلاب في الخارج (غير محدد) .

ب ـــ المساحة : ٢٠،٨٦٥ كم مربع .
الطرق : ٣،٢٧٠ كم من الطرق المعبدة + طريق طوله ٢٤٠ كم الى شرم الشيخ .
الخطوط الحديدية : ٧٣٣ كم خطوط عاملة + خط قيد الانشاء الى ايلات .

جـ ـــ الدخل القومي : (١٩٧١) : ٦،٢ مليارات من الدولارات .
معدل دخل الفرد : ١٩٦٢ دولارا .

---

١ ـــ لمواصفات القطع السوفياتية انظر بحرية جمهورية مصر العربية .

موازنة الدفاع للسنة المالية (١٩٧٢ ـــ ١٩٧٣) ١،٢٤٧ مليون دولار (مقابل ١،٤٨٤ للسنة ٧١ ـــ ٧٢) .

نسبة مصاريف الدفاع الى الدخل القومي : ٢٣،٩٪ .
مصاريف الدفاع للفرد الواحد (١٩٧١) : ٤٧٠ دولارا .

انتاج الطاقة الكهربائية (١٩٧٠) ٦،٨٣٨ مليون كيلووات/ساعة .
انتاج الاسمنت (١٩٧٠) ١،٣٨٤،٠٠٠ طن .

طاقة تكرير النفط (١٩٧٠) ٦،٠٠٠،٠٠٠ طن .
انتاج الحديد والصلب (١٩٦٩) ١١٠،٠٠٠ طن متري .
انتاج السيارات (١٩٧٠) سيارات سياحية ٣،٩٠٠ . سيارات نقل ٥،٧٠٠ .

ب ـــ التسليح

مجموع القوات النظامية ٩٥ الف رجل .
يرتفع العدد عند التعبئة العامة الى ٣٠٠ الف رجل .

الجيش :

٦١،٥٠٠ جندي نظامي .
٢٧٥،٠٠٠ جندي عند التعبئة العامة .
٤ الوية مدرعة (تصبح ١٠ الوية مع الاحتياط) .
٥ الوية مشاة ميكانيكية (تصبح ٩ الوية مع الاحتياط) .
٥ الوية مشاة .
١ لواء مظلات (تصبح ٥ الوية مع الاحتياط) .
٣ الوية مدفعية .

الاسلحة التي يستخدمها الجيش :

الدبابات :

ـــ دبابات متوسطة طراز م ـــ ٦٠ «M-60» امريكية العدد ٢٠٠ .
ـــ دبابات متوسطة طراز سنتوريون النموذج ٥ و ٧ «Centurion MK 5,7» بريطانية معدلة العدد ٩٥٠ .
ـــ دبابات متوسطة باتون م ـــ ٤٨ أ ١ «Patton M 48 A 1» امريكية العدد ٤٥٠ .
ـــ دبابات متوسطة ت ٥٤ ، ت ٥٥ «T54, T55» سوفياتية معدلة العدد ١٠٠ .
ـــ دبابات خفيفة م ـــ ٥٠ ، م ٥١ «Cherman M50, M51» امريكية معدلة العدد ١٥٠ .
ـــ دبابات استطلاعية خفيفة « آ ام اكس ١٣ » «AMX-13» فرنسية العدد ١٢٥ .

المدرعات

ـــ مدرعات امل ٩٠ «AML 90» فرنسية ، العدد ١٥ .
ـــ مدرعات امل ٦٠ «AML 60» فرنسية .
ـــ مدرعات ستاغهاوند «Staghound» امريكية .

ناقلات جنود مصفحة :

ـــ ناقلات جنود نصف مجنزرة طراز م ـــ ٣ «M3» امريكية ، العدد ١٠٠٠ .
ـــ ناقلات جنود مدرعة م ـــ ١١٣ «M-113» امريكية .

المدفعيــة

المدفعية ذاتية الحركة حوالي ٤٠٠ مدفع ذاتي الحركة من العيارات التالية :

ـ مدافع هاوتزر م ـ ١١٠ «M-110» امريكية .
ـ مدافع هاوتزر م ـ ١٠٧ «M-107» امريكية .
ـ مدافع هاوتزر م ـ ١٠٩ «M-109» امريكية ، العدد ٢٤ .
ـ مدافع هاوتزر طراز سلطان (تجمع في اسرائيل) .
ـ مدافع هاوتزر م ـ ٧ بريست «M.7 Priest» امريكية (قديمة ويحتمل انها سحبت من الخدمة) .
ـ مدافع هاوتزر فرنسية على قواعد دبابات شيرمان عيار ١٥٥ ملم .
ـ مدافع هاوتزر موديل ٥٠ «Model 50» فرنسية .

مدافع مضادة للدروع :

ـ مدافع محمولة على نصف مجنزرات م٣ «M3» فرنسية ، عيار ٩٠ ملم .
ـ مدافع محمولة على سيارات جيب عديمة الارتداد ، عيار ١٠٦ ملم .
ـ مدافع ذاتية الحركة مضادة للدروع ب ت ٧٦ سوفياتية ، اعداد قليلة استولت عليها اسرائيل في حرب حزيران .

مدافع هاون : ٩٠٠ مدفع هاون محمولة على مجنزرات م٣ ، وقواعد دبابــات « ا م اكس ١٣ » من العيارات التالية : ١٢٠ ملم ، ١٦٠ ملم ، ٨١ ملم .

مدفعية صاروخية :

ـ قذائف صاروخية عيار ٢٤٠ ملم ، سوفياتية تصنع في اسرائيل .
ـ قذائف صاروخية عيار ١٣٠ ملم ، سوفياتية تصنع في اسرائيل .
ـ مدافع عيار ١٣٠ ملم ، سوفياتية .
ـ مدافع هاوتزر عيار ١٢٢ ملم ، سوفياتية .
ـ مدافع ٢٥ رطلا ، بريطانية .

قذائف مضادة للدروع :

ـ صواريخ مضادة للدروع س س ١٠ «SS-10» فرنسية .
ـ صواريخ مضادة للدروع س س ١١ «SS-11» فرنسية .
ـ صواريخ مضادة للدروع كوبرا ـ ٨١٠ «Cobra 810» المانية غربية .

مدافع مضادة للطائرات :

ـ مدافع ل ـ ٧٠ بوفورز عيار ٤٠ ملم سويدية (تصنع في بريطانيا) .
ـ مدافع هسبانو ـ سويزا ٣٠ ملم سويسرية .
ـ مدافع ثنائية عيار ٢٠ ملم مجمعة من مدافع طائرات الاوريغان الفرنسية .

الطيران ١١،٠٠٠ جندي يرتفع هذا الرقم الى ٢٠،٠٠٠ عند دعوة الاحتياط .

مقاتلات : ٤٣٢ طائرة مقاتلة موزعة كما يلي : ـ

ـ مقاتلات صف اول من طراز فانتوم ف ٤ اي «F-4E» امريكية ، العدد ١٠٠ .
ـ مقاتلات صف اول من طراز ميراج ٣ سي «Mirage III C» فرنسية ، العدد ٥٠ .
ـ مقاتلات صف اول من طراز سكاي هوك ا ـ ٤ اي/هـ «A-4E/H» امريكية ، العدد ١٦٥ .

ـــ مقاتلات صف ثاني من طراز ميستير ٤ أ «Mystere IV A»فرنسية ، العدد ٢٧ .
ـــ مقاتلات صف ثاني من طراز اوريغان «Ouragan» فرنسية ، العدد ٣٠ .
ـــ مقاتلات صف ثاني من طراز سوبر ميستير«Super Mystere»فرنسية ، العدد ٩ .
ـــ قاذفات خفيفة من طراز فوتور «Voutour» فرنسية ، العدد ١٠ .

طائرات استطلاع : من طراز فانتوم ر ف ـــ ٤ أي RF-4E العدد ٦ .

طائرات نقل : ٤٢ طائرة نقل من الانواع التالية :

ـــ طائرات من طراز هيركوليز سي ١٣٠ «Hercules C 130» امريكية ، العدد ٢ .
ـــ طائرات من طراز نوراطلس «Noratlas» فرنسية ، العدد ٢٠ .
ـــ طائرات من طراز سي ٤٧ «C-47» امريكية ، العدد ١٠ .
ـــ طائرات من طراز ستراتوكروزر «Stratocruiser» امريكية ، العدد ١٠ .

طائرات هليكوبتر : ٧٢ طائرة من الانواع التالية :

ـــ طائرات من طراز سوبر فريلون «Super Frelon» فرنسية ، العدد ١٢ .
ـــ طائرات من طراز سيكورسكي «CH-53 C (S-65)» امريكية ، العدد ١٠ .
ـــ طائرات من طراز اغوستابل أ ب ـــ ٢٠٥ أ «AB-205 A» امريكية ، العدد ٣٠ .
ـــ طائرات من طراز ألويت «Alouette» فرنسية ، العدد ٢٠ .

طائرات تدريب :

ـــ طائرات تدريب اساسي ومتقدم فوغا ماجستير «Foga Magister»فرنسية ، العدد ٨٥ .
ـــ طائرات تدريب أساسي وارتباط من طراز « سيزنا سكاي واجن » «Cessna Skywagon» امريكية .

البحرية : تضم ٢٢٠٠ ضابط وبحار ، واكثر من ٥٩ قطعة موزعة كالتالي :

غواصات :

ـــ غواصات من الفئة « ت » «T» Class بريطانية العدد ٢ سميت « ليفياتان » و « دلفين » .

الوزن : طافية ١٣٠٠ طن . تحت الماء ١٧٠٠ طن .
التسليح : ٦ انابيب طوربيد عيار ٥٥٣ ملم .
الطاقم : ٦٧ ضابطا وبحارا .

زوارق صواريخ سريعة :

ـــ زوارق سريعة فئة « ساعر » «Saar» Class صممت في المانيا وبنيت في فرنسا . العدد ١٠(١). سميت ـــ عكو ، ايلات ، جعاش ، حيفا ، حانيت ، حيريف ، حيتس ، ميسجاف ، ساعر ، صوفا .

الوزن : قياسي ٢٢٠ طنا ، بحمولة كاملة ٢٥٠ طنا .

التسليح : يمكن تسليحها بقاذفي صواريخ ثلاثية + مدفع عيار ٧٢ ملم او بقاذفي صواريخ ثلاثية + قاذف واحد ثنائي ، او مدفع مضاد للطائرات عيار ٤٠ ملم عدد ٣ + انبوب طوربيد عدد ٢ .

المدى الاقصى : ٢٥٠٠ ميل .
الطاقم : ٣٥ ـــ ٤٠ ضابطا وبحارا .

ـــ زوارق صواريخ سريع طراز « رشاف » بني في اسرائيـــل تحت اشراف فرنسي ويعمل بمحركات المانية ، العدد ٢ سميت رشاق ، وكيشيت .

الوزن : ٤١٥ طنا .

التسليح : ٧ صواريخ سطح ـــ سطح + مدفع عدد ٢ عيار ٧٦ ملم + ٤ قاذفـــات قنابل اعماق .

المدى : ١٢٥٠ ميلا .

الطاقم : ٤٥ ضابطا وبحارا .

سفن دورية :

ـــ زورق دورية واحد طراز « ب سي » «PC» امريكي .

الوزن : قياسي ٢٩٥ طنا . بحمولة كاملة ٤٥٠ طنا .

التسليح : مدفع واحد عيار ١٠٢ ملم + مدافع مضادة للطائرات واحد عيار ٤٠ ملم + ٣ عيار ٢٠ ملم + ٤ قاذفات قنابل اعماق .

الطاقم : ٧٠ ضابطا وبحارا .

زوارق طوربيد ٩ زوارق من الفئات التالية :

ـــ زوارق طوربيد فئة عوفير «Ophir» Class بنيت في ايطاليا لحساب البحريـــة الاسرائيلية العدد ٣ . سميت عوفير ت ١٥٠ ، شفا ت ١٥١ ترشيش ت ١٥٢ .

الوزن : ٤٠ طنا .

التسليح : مدافع مضادة للطائرات واحد عيار ٤٠ ملم + ٢ عيار ٢٠ ملم + طوربيد عيار ٤٥٠ ملم عدد ٢ .

ـــ زوارق طوربيـــد فئة ايا «Ayah» Class فرنســـية العـــدد ٦ . سميت ـــ ايـــا ت ٢٠٧ ، باز ت ٢٠١ ، دايا ت ٢٠٢ ، بيريس ت ٢٠٣ ، تحماس ت ٢٠٤ ، ياسور ت ٢٠٥ .

الوزن : قياسي ٦٢ طنا .

التسليح : مدافع مضادة للطائرات واحد عيار ٤٠ ملم ، ٤ عيار ٢٠ ملم + طوربيد عيار ٤٥٠ ملم عدد ٢ .

الطاقم : ١٥ ضابطا وبحارا .

قوارب دورية ٢٠ زورق دورية من الفئات التالية :

ـــ قوارب دورية فئة كدما «Kedma» Class يابانيـــة العدد ٤ . سميت كدمـــا ٤٦ ، نيجبا ٥٢ ، ياما ٤٨ ، زافونا ٦٠ .

الوزن : ٣٢ طنا .

التسليح : مدفعين عيار ٢٠ ملم .

الطاقم : ١٠ بحارة .

ـــ زوارق دورية فئة يار «Yar» Class المـــانية العدد ٢ . سميت ياردـــن ٤٢ ، ياركون ٤٤ .

الوزن : قياسي ٥٦ طنا . بحمولة كاملة ١٠٩ أطنان .

التسليح : مدفعين عيار ٢٠ ملم .

الطاقم : ١٦ ضابطا وبحارا .

---

١ ـــ كانت هذه الزوارق في الاصل ١٢ زورقا ، باعت اسرائيل اثنين منهما : « مفتاح » و « مزنان » الى سيلان .

ــ زوارق دورية صغيرة طراز بـبـر «PBR» Type العدد ١٢ .
الوزن : ٧،٥ طن .
التسليح : رشاش واحد عيار ٥٠.
الطاقم : ٥ افراد .

ــ زوارق دورية «HDML» Type بريطانية العدد ٢ سميت درور ٢١ ، تيرتسا ٢٥.
الوزن : قياسي ٤٦ طنا ، بحمولة كاملة ٥٤ طنا .
التسليح : مدفعين عيار ٢٠ ملم + ٨ قنابل اعماق .
الطاقم : ١٢ بحارا .

ــ زوارق دورية طراز دبور «Dabur» امريكية .
الوزن : ٣٦،٢٥ طنا .
التسليح : مدفع عدد ١ ــ ٢ عيار ٢٠ ملم + رشاش ٥٠، مزدوج + قاذف قنابل عيار ٤٠ ملم ، او قاذف قنابل اعماق .
الطاقم : ٦ افراد .

سفن انزال ١٠ سفن انزال من الفئات التالية :

ــ سفن انزال فئة « آش » «Ash» Class بنيت في اسرائيل العدد ٣ . سميت : اشدود ٦١ ، اشكلون ٦٣ ، احزيف ٦٥ .
الوزن : قياسي ٤٠٠ طن ، بحمولة كاملة ٧٣٠ طنا .

ــ سفن انزال طراز « ل سي » «LC» Type العدد ٣ .
سميت : تسيون غوبير ٥١ ، شيكومونا ٥٣ ، ل سي ٥٥ .
الوزن : قياسي ١٨٢ طنا ، بحمولة كاملة ٢٣٠ طنا .

ــ سفن انزال طراز « لسيم » «LCM» Type اميركية العدد ٣ .
الوزن : قياسي ٢٢ طنا ، بحمولة كاملة ٦٠ طنا .

ــ سفينة انزال واحدة فئة بيت شافي «Beit Shafei» تستطيع حمل ١٦ دبابة.

الناقلات :

الناقلة بات شيفا «Bat Sheva» Type
الوزن : ٩٠٠ طن .
التسليح : ٤ مدافع عيار ٢٠ ملم .
الطاقم : ٢٦ بحارا .

ــ سفينة نقل صغيرة مسلحة « بات يام » «Bat Yam»

ملاحظات :

ــ عقدت البحرية الاسرائيلية اتفاقا مع «Vickers Barrow» لشراء ٣ غواصات من فئة ٥٠٠ طن .

دراسة تحليلية
للقوات المشتركة في القتال يوم اندلاعه

المقدم الهيثم الايوبي

هذه الدراسة عبارة عن جزء من كتاب ميزان القوى العربية ـ الاسرائيلية (٧٣ ـ ١٩٧٤) الذي سيصدر عن مركز الابحاث، والذي ارتأت شؤون فلسطينية ضرورة نشره في ظروف القتال الحاضرة .

(١) جمهورية مصر العربية

تملك جمهورية مصر العربية قوات مسلحة عاملة تضم ٣٢٥ الف رجل موزعين على القوات البرية والبحرية والجوية . وتتألف القوات البرية من ثلاثة جيوش ميدانية يضم كل جيش منها عددا غير متساو من الفرق والالوية والكتائب المستقلة . وتعتبر الفرقة أو مجموعة اللواء المستقل الوحدة التكتيكية الاساسية لتشكيل الجيش .

ويتسلح الجيش المصري اساسا بأسلحة سوفياتية ويطبق التكتيك الحربي السوفياتي المعدل وفق ظروف قتال الصحراء وفي ظروف السيطرة الجوية المعادية .

ولقد كانت الاتصالات وادامة الاليات والمعدات واخلاء الجرحى والاليات وعمليات الاسعاف والاصلاح تتم حتى حرب ١٩٦٧ بشكل غير ملائم . وكانت أسباب هذا الضعف ترجع الى انخفاض القاعدة التكنولوجية العامة وعدم كفاية الاعداد المهني داخل القوات المسلحة المصرية . ثم جرى تلافي الجزء الاكبر من هذه النقاط بفضل التدريب المستمر وارتفاع المستوى الثقافي والتكنولوجي للجنود بفضل تجنيد « جنود المؤهلات » من ذوي المستوى العلمي العالي .

واذا قارنا مجموع القوات المسلحة النظامية ٣٢٥ الف رجل الى مجموع عدد الرجال في سن الخدمة العسكرية (من ١٨ الى ٤٥ سنة) ويبلغ ٦،٦٥٠،٠٠٠ رجل وجدنا أنها تعادل ٥ ٪ وهذا يعني أن القوات المسلحة النظامية لا تؤثر ، رغم ضخامتها ، على اليد العاملة المنتجة ولا تعرقل (بشريا) سير البناء الاقتصادي، وان كانت تعرقل (اقتصاديا) الى حد ما سير هذا البناء . وبالرغم من ان عدد الرجال في سن الخدمة العسكرية يعادل ٦،٦٥٠،٠٠٠ فان هذا العدد غير مدرب عسكريا ولا يمكن اعتباره رقما قاعديا لحساب ما تستطيع جمهورية مصر العربية تجنيده عند اعلان التعبئة العامة . ولقد منع الوضع الاقتصادي والمصروفات اللازمة للتدريب من تدريب جميع الرجال الصالحين للخدمة العسكرية ، وكانت لوائح التجنيد في كل عام لا تشمل جميع أفراد القرعة الذين ينبغي تدريبهم ، ولم يكن مستوى التدريب العسكري في المدارس الثانوية يسمح باعتبار خريجي

هذه المدارس جنودا احتياطيين او شبه احتياطيين . وتقول الاحصائيات الغربية المنشورة ان عدد الاحتياط المدرب اي الاحتياط البشري الذي يمكن استدعاؤه في حالة التعبئة العامة يعادل ٥٠٠ الف رجل .

وترجع ضخامة القوات المسلحة المصرية النظامية الى عاملين : يتمثل اولهما في عدم تأثر عجلة الاقتصاد (بشريا) عند غياب ٣٢٥ الف رجل في الخدمة العسكرية ، ومساهمة هذا الغياب في حل جزء من مسألة البطالة الظاهرة والمقنعة في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي ، وهي مسألة تتزايد بتزايد السكان عامة ، وهجرة سكان مدن القناة الى الداخل ، وتزايد عدد خريجي الجامعات سنويا ، وعدم قدرة الاقتصاد على النمو وايجاد فرص العمل بسرعة مماثلة لسرعة تزايد اليد العاملة الصناعية والزراعية والفكرية . ويتمثل الثاني في ضعف نظام التعبئة العاملة الصناعية والزراعية قواتها العسكرية والاقتصادية في فترة زمنية قصيرة لصد الاعتداءات الاسرائيلية التي تأخذ شكل حرب خاطفة سريعة .

الجيش

يمتاز السلاح المدرع المصري بضخامة عدد دباباته المتوسطة ٢٠٠٠ دبابة منها ١٦٠٠ دبابة صف اول و ٤٠٠ دبابة صف ثاني . وترجع ضخامة هذا السلاح الى ان مسارح المعارك المنتظرة هي مسارح صحراوية منبسطة تسمح للسلاح المدرع بحرية المناورة والحركة السريعة بشكل يجعل هذا السلاح يعطي افضل مردود قتالي . وسواء استخدمت هذه الدبابات هجوميا في سيناء او دفاعيا في الصحراء الشرقية فان قوة نيرانها وسرعة حركتها ستجعلها محور العمليات الحربية والقوة الاساسية التي ستحسم المعركة .

ويضم هذا السلاح الدبابات الثقيلة الوحيدة في المنطقة ج س ــ ٣ القادرة على العمل بفاعلية كبيرة ضد الهجمات المدرعة ، والقادرة ايضا على دعم الهجوم المدرع وتدمير الهجمات المعاكسة التي تقابله . بيد أن قلة عدد هذه الدبابات (٥٠ دبابة) وعدم زيادة هذا العدد بعد اعادة تسليح الجيش المصري بعد حرب ١٩٦٧ تدل على التوجه نحو الاستغناء عن هذا الصنف من الدبابات والاكتفاء بالدبابات المتوسطة تـ٥٤ وتـ٥٥ المزودة بمعدات الرؤية الليلية . اما الدبابات المتوسطة ت ــ ٦٢ المتطورة المزودة بمعدات الرؤية الليلية ومدفع عيار ١١٥ والتي يمكن ان تقوم بمهمات الدبابات ج س ــ٣ من ناحية مدى الرمي وقوة المدفع والتي تمتاز على سابقتها بسرعة الحركة وخفة الوزن فانها لم تدخل الخدمة في السلاح المدرع المصري على نطاق واسع. وليس لدينا معلومات مؤكدة عن عدد الدبابات ت ــ ٦٢ الموجودة في مصر وان كان من المعتقد أنها لا تقل عن ١٠٠ دبابة .

ويستخدم المصريون دباباتهم داخل تشكيلات مدرعة كبيرة (٣ فرق) تضم الدبابات ت ــ ٥٤ وت ــ ٥٥ وج س ــ ٣ بالاضافة الى وحدات مشاة ومدفعية ميدان ومدفعية م/ط وم/د ومهندسين واشارة وخدمات وشرطة عسكرية . وتشكل هذه الفرق والالوية المدرعة المستقلة القوة الضاربة الاساسية ويدخل قسم منها في الاحتياط الاستراتيجي والعملياتي .

اما الدبابات ت ــ ٣٤ فهي موزعة على فرق والوية المشاة . وتستخدم كدبابات دعم مباشر في الهجوم كما تستخدم في الدفاع لتدعيم الدفاع ضد الدبابات وخلق العقد المضادة للدبابات وتكون القوة الضاربة في الاحتياط التكتيكي لالوية المشاة سواء كانت الوية المشاة مستقلة او ضمن تشكيلة الفرقة .

ويرجع السبب في الحاق الدبابات ت ـ ٣٤ بالمشاة الى صغر عيار مدفعها (٨٥ مم)، وصغر سرعتها (٥٠ كم/ساعة) ، وضعف تصفيحها (البرج ٢٠ ـ ٧٥ مم) ، وعدم قدرتها بالتالي على الاشتباك بمعارك الدبابات التصادمية المبنية على السرعة والتصفيح وعيار المدفع ومدى الرمايات . كما يرجع السبب أيضا الى الرغبة في زيادة قوة النار والصدمة لوحدات المشاة .

والتطور الجديد في سلاح المدرعات المصري هو وجود ١٠٠ دبابة برمائية خفيفة ب ت ـ ٧٦ (لواء) . ولقد فرض هذا التطور الاحتلال الاسرائيلي لسيناء ، ووقوف الجيش الاسرائيلي على الضفة الشرقية للقناة ، وضرورة عبور هذا المانع المائي في اية عملية هجومية محدودة أو واسعة . ومن المؤكد ان بوسع هذه الدبابات المشاركة في دعم العبور نفسه ـ في بعض المواقع التي تسمح بها الضفاف بالنزول الى الماء والصعود منه ـ كما يمكنها تدعيم راس الجسر الذي يتم تشكيله من قبل موجات العبور الاولى سواء تم هذا العبور بالهليكوبتر او عبر القناة بقوارب الاقتحام ، وتشكيل قوة ضاربة قادرة على توسيع راس الجسر او صد الهجمات المدرعة المعاكسة الرامية الى تطهيره وازالته ، ريثما يتم بناء الجسور العادية أو العائمة وعبور وحدات مدرعة للمشاركة في تنفيذ هذه المهمات .

ومن الملاحظ ان السلاح المدرع المصري ـ المسلح من الاتحاد السوفياتي ـ لا يضم وحدات من الدبابات الخفيفة المستخدمة في الاستطلاع نظرا لان التكتيك السوفياتي لا يستخدم مثل هذه لدبابات ويدعم وحدات الاستطلاع المؤلفة من وحدات مشاة ميكانيكية بدبابات متوسطة سريعة الحركة وقادرة على القتال عند اللزوم اذا ما فاجأتها دبابات العدو على عكس الدبابات الخفيفة التي لا يسمح لها تصفيحها او عيار مدفعها بالاشتراك في معارك من هذا النوع .

ويمتاز السلاح المدرع المصري بوجود القانصات (المدافع ذاتية الحركة س يو ـ ١٠٠) وهي سلاح سريع الحركة قوي التسليح (عيار ١٠٠ مم) قادر على قنص الدبابات المعادية من مسافة بعيدة . ويستخدم التكتيك السوفياتي هذه القانصات في الهجوم لمرافقة الدبابات وخاصة دبابات ت ـ ٣٤ وحمايتها ويكون عادة في النسق الثاني للهجوم . كما يستخدم القانصات في الدفاع كسلاح فعال بعيد المدى ضد الدبابات يدعم المواقع الدفاعية والعقد الدفاعية المضادة للدبابات . ولقد كان لهذه القانصات أهمية كبيرة عندما كانت الدبابات مزودة بمدفع ٨٥ مم (ت ـ ٣٤) وكان ضروريا لمرافقة هذه الدبابات لقنص دبابات العدو المزودة بمدفع عيار أقل من ١٠٠ مم قبل أن تستطيع هذه الدبابات الاشتباك بالمعركة . ولا تزال للقانصات اهمية ملحوظة في القتال اذا كانت الدبابات المستخدمة من طراز ت ـ ٣٤ ، ولكن هذه الاهمية تنخفض عندما تكون الدبابات المستخدمة من طراز ت ـ ٦٢ ذات المدفع عيار ١١٥ او من طراز ت ـ ٥٤ او ت ـ ٥٥ ذات المدفع عيار ١٠٠ مم ، وخاصة بعد أن طور العدو الاسرائيلي دباباته وركب عليها مدافع عيار ١٠٥ مم .

ويؤمن سلاح المدرعات المصري حمايته الجوية المباشرة بالمدافع المضادة ذاتية الحركة زد. س. يو ـ ٢٣ ـ ٤ الرباعية (٢٣ مم) ، و زد. س. يو ـ ٥٧ ـ ٢ الثنائية (٥٧ مم) المركبة على هياكل دبابات . كما يؤمن الدعم الناري المدفعي بمدافع جي.س. يو ـ ١٥٢ (١٥٢ مم) المركبة على هياكل دبابات ج س ـ ٣ نظرا لقدرة هذه الاسلحة على مواكبة القطعات المدرعة ، والتحرك بسرعة لا تقل عن سرعة المدرعات وتؤمن عدم انفصال اسلحة الدعم عن دبابات الصدمة . ولكن هذا لا يمنع قطعات المدرعات من استخدام المدافع المقطورة المضادة للدبابات لحماية نفسها وخاصة في الدفاع ، كما لا

يمنع استخدام مدفعية الميدان المتطورة من مختلف العيارات في الدفاع أو في رمايات التمهيد التي تسبق الهجوم والخرق أو تسبق الهجوم المعاكس .

وتؤمن الخدمات الهندسية الميدانية لقطعات المدرعات المصرية دبابات متوسطة مزودة بكاسحات الغام ، ودبابات متوسطة مزودة بشفرات خاصة (تانك دوزر) . بيد أنه لا يبدو ان لدى المهندسين المصريين دبابات حاملة جسور أو دبابات باصقة لهب .

ويظهر من تشكيل الجيش المصري ان سلاح المشاة تطور تطورا كبيرا يتمثل في انشاء ٣ فرق مشاة ميكانيكية محمولة على ناقلات جنود مدرعة (ب.ت.ر من مختلف الانواع ، و أو.ت — ٦٤) . ويؤدي هذا التطور الى زيادة القدرة الحركية وقوة الصدمة لقطعات المشاة . ويؤمن لها وتيرة تقدم عالية في الهجوم والمطاردة . الامر الذي يسمح لهـا بمواكبة الفرق المدرعة خلال الخرق والالتفاف وعند العمل في عمق دفاعات العدو . كما يسمح لها — اذا ما دعمت بالدبابات — بتنفيذ مهمات مستقلة على محاور بعيدة أو ثانوية .

ومن المفيد عند الحديث عن المشاة الميكانيكية الاشارة الى الملاحظات الثلاث التالية :

١ — ان عدد عربات نقل الجنود المدرعة (٢٠٠٠) لا يكاد يكفي لنقل ثلاث فرق ، بالاضافة الى نقل سرايا الاستطلاع في الوية المشاة وكتائب الاستطلاع في فرق المشاة ، وسرايا المشاة والاسلحة المعاونة في كتائب الدبابات الملحقة بألوية المشاة العادية ، وعدد من كتائب المغاوير الصدامية ، ووحدات السدود المتحركة (رص الالغام المتحركة)، ووحدات الكيميائيين ، وعدد من وحدات المغاوير ... الخ كمـا انه لا يسمح بوجود احتياطي كبير من الاليات المدرعة لتعويض الخسائر خلال المعركة .

٢ — اذا استثنينا عربات نقـل الجنود المدرعة بـتر — ٥٠ ب المجنزرة وجدنا ان بقية عربات نقل الجنود المدرعة تسير على عجلات الامر الذي يعيق مرونة حركتها في الصحراء ، ويبطىء تقدمها في مناطق الرمال الناعمة ، ويجعلها اكثـر حساسية ازاء نيران اسلحة المشاة الثقيلة (رشاشات ١٢،٧ ، شظايا الهاون) .

٣ — ان وجود عربات نقل الجنود البرمائية المدرعة يعني توجه قوات جمهورية مصر العربية نحو اعداد وحدات اقتحام لعبور قناة السويس في معارك هجومية واسعة او محدودة . لان هذه العربات المسلحة قادرة على المشاركة في الاقتحـام بضرب الخـط الدفاعي الامامي بنيران رشاشاتها ، كما انهـا قادرة على المشاركة في توسيع رأس الجسر وصد الهجمات المعاكسة المدرعة .

وعلى الرغم من اهمية فرق المشاة الخمس المزودة — عضويا — بدبابات ومدفعية ميدان ومدفعية مضادة للطائرات والدبابات ومهندسين واشارة ... الخ ، وعلى الرغم من الدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه في الدفاع والهجوم ، فانها تبقى قوة محمولة على آليات عادية ، وهذا ما يجعلها بطيئة الحركة ولا تتلاءم كليا مع حرب الصحراء الهجومية الحديثة . ولا تتلاءم الا جزئيا مع الدفاع الديناميكي المتحرك المبني على التقدم والتراجع والالتفاف وهذا يعني انها غير مؤهلة تماما للمشاركة بالقتال الصحراوي الذي يتـم بأسلوب يشبه اسلوب القتال البحري الذي لا يهتم بمسرح العمليات قدر اهتمامه بالبحث عن قوات العدو وتدميرها والتملص من ضربات العدو المعاكسة .

ويكمل القوة المصرية الضاربة لواءان مظليان مدربان على القفز بالمظلات والقتال بالهليكوبتر . ولم تكتسب هذه القوات خبرة قتالية في حـربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ولكنها اكتسبت مجموعة خبرات قتالية وادارية وقيادية في حرب اليمن وحرب الاستنزاف . ومن المحتمل أن تلعب دورا اساسيا في عمليات تسخين الجبهة المصرية أو في أي هجوم مصري

في سيناء لان بوسعها – اذا تأمنت لها التغطية الجوية المناسبة – عبور قناة السويس دون الحاجة للاصطدام مع خط بارليف وقطع خط التراجع عن الوحدات الاسرائيلية المدافعة عنه وعرقلة تقدم قوات الاحتياط العملياتي والاستراتيجي الاسرائيلية القادمة من العمق ، والمشاركة في ضرب خط بارليف من الخلف لمساعدة الهجوم الجبهي عبر القناة .

وتستطيع طائرات النقل العسكرية المصرية (اليوشن وانتينوف) حمل لواء مظلي مع أسلحته الثقيلة، كما تستطيع طائرات الهليكوبتر الموجودة (١٨٠ طائرة «مي» من مختلف الانواع) حمل لواء مظليين من القوات المجوقلة . وهذا يعني أن بوسع القيادة المصرية استخدام لواءي المظلات ، واسقاطهما وتموينهما بآن واحد اذا كان حجـم العمليات المنفذة ، وسعة مسرح العمليات ، وحجم التغطية الجوية تسمح بذلك . وبوسع هذين اللوائين تنفيذ مهمات قتالية فعالة في عمق دفاع العدو ، خاصة وان تزويدهمـا بآليات مدرعة خفيفة ، وعربات جيب مسلحة يؤمن لهما قدرة حركية تكتيكية جيدة . كما ان التسليح الحديث ضد الدبابات (مدافع عديمة الارتداد ، مدافع خفيفة مضادة ذاتية الحركة ، صواريخ موجهة مضادة) والتسليح الحديث ضد الطائرات (صواريخ فردية تطلق من الكتف) تسمح لهما بالقتال مدة طويلة وراء خطـوط العدو ، والصمود حتى تتصل بهما القوات البرية المهاجمة من الجبهة .

يمتاز الجيش المصري بضخامة مدفعيته الميدانية من مختلف العيارات (اكثر من ١٥٠٠ مدفع) . الامر الذي يؤمن له قوة نارية هائلة في الهجوم والدفاع. وتتوزع المدفعية على كتائب تابعة لالوية المشاة والمدرعات ، والوية مدفعية تابعة لفرق المشاة والمدرعات ، والوية مدفعية مستقلة تلحق بالفرق والالوية حسب المهمات القتالية . وتستخدم جميع المدافع للرمي ضد الاهداف البرية المختلفة ، كما أن من الممكن استخدام معظمها – في حالة تغلغل العدو في عمق الدفاع – كأسلحة مضادة للدبابات قادرة على تحطيم حدة الهجوم المدرع واعداد الظرف الملائم للهجمات المعاكسة الصديقة .

ويرجع السبب في ضخامة حجم المدفعية المصرية الى أن التكتيك الحربي المصري المبني على التكتيك الحربي السوفياتي يعتمد على غزارة نار المدفعية في الهجوم لخرق دفاعات العدو ، وكثافة السدود النارية الثابتة والمتحـركة في الدفاع لايقاف الهجوم المعادي ، أو تشتيت تشكيلاته وتخفيف سرعة تقدمها ، وفصل المشاة المهاجمـة عن الدبابات لتسهيل ضرب كل سلاح منهما بشكل افضل .ويؤدي طول مدى المدفعية المصرية الى امكانية ضرب القوات الاحتياطية المعادية المتمركزة في العمق أو اجبارها على أخذ مواقع بعيدة لا تصلها نيران المدفعية الامر الذي يطيل الزمن اللازم لتدخلها في سـد الثغرات أو شن الهجمات المعاكسة ويجعلها معرضة للقصف الجوي والبري مدة أطول خلال انتقالها المكشوف من مواقع تمركزها الى خط الانتشار المحدد للهجوم المعاكس . ونقطة الضعف الوحيدة في سلاح المدفعية المصري هو أن غالبيـة مدفعيته مقطورة بالآليات العادية او المجنزرة . وهذا ما يضعف مناورتها وقدرتهـا على مرافقة المشاة الميكانيكية والمدرعات في الهجوم والمطاردة بصورة خاصة ، ويجعل مرابضها أكثر تعرضا للقصف الجوي المعادي . فاذا استثنينا المدافع جي. س. يو – ١٥٢ (عيار ١٥٢ مم) ذاتية الحركة وجدنا أن جميع المدافع (١٢٢ مم ، و ١٣٠ مم ، و ١٥٢ مم ، و٢٠٣ مم) مقطورة تصلح للدفاع وللهجوم الكثيف بأسلوب « المدحلة الساحقـة » ولكنها اقـل صلاحية لقتال الصحراء المرن المعتمد على المناورة السريعة .

ولقد زادت القوة النارية المصرية زيادة كبيرة وزاد مداها بعـد استخدام الصواريخ أرض – أرض فروغ – ٣ وفروغ – ٧ البعيدة المدى . وتستطيع هذه الصواريخ ضرب

تحشدات العدو وتدمير تجمعات قواته في الهجوم والدفاع ، كما يمكنها المشاركة في قصف التجمعات السكنية بعد تقدم المصريين في سيناء للرد على عمليات القصف الجوي التي سيمارسها العدو ضد المدن المصرية والاهداف المدنية الاخرى .

وتشكل المدافع المضادة للدبابات هيكل الدفاع البري ضد الدبابات وهي موزعة الى وحدات عضوية ملحقة بكتائب والوية وفرق المشاة ، بالاضافة الى وحدات مستقلة احتياطية لدعم التشكيلات القتالية حسب المهمات . فاذا استثنينا القانصات (المدافع س. يو ــ ١٠٠) ذاتية الحركة وجدنا أن المدافع الاخرى كلها مقطورة ، وتنطبق عليها الملاحظة المذكورة بالنسبة لمدفعية الميدان .

ومن احسن التطورات التي أدخلها الجيش المصري على دفاعه المضاد للدبابات هو استخدام صواريخ سنابير وصواريخ ساغر الموجهة المضادة للدبابات والقادرة على تدمير مدرعات العدو وآلياته من مسافات بعيدة .

وتتوزع وحدات المهندسين القتالية (وهي غير وحدات المهندسين المكلفة بالانشاءات والاشغال) الى سرايا مهندسين ملحقة عضويا بألوية المشاة والمدرعات ، وكتائب مهندسين ملحقة عضويا بفرق المشاة والمدرعات ، بالاضافة الى كتائب مهندسين احتياطية وكتائب مهندسين للمهمات الخاصة تعمل بامرة قيادات الجيوش البرية الثلاثة او تلحق بالفرق والالوية لمدة محدودة حسب المهمات الملقاة على هذه التشكيلات . ومن اهم هذه الكتائب كتائب الجسور الثابتة او العائمة الثقيلة والخفيفة .

ويضم الجيش المصري بالاضافة الى ذلك وحدات كيميائية للتطهير ووحدات قاذفات اللهب الخفيفة والثقيلة . وهي موزعة على قطعات المشاة والمدرعات او مجمعة داخل تشكيلات احتياطية تستخدم لمهمات معينة او تلحق بالتشكيلات القتالية حسب ضرورات المعركة .

ويلاحظ في القوات البرية المصرية ضخامة القوات الخاصة (٢٨ كتيبة مغاوير أي ما يعادل ٣ فرق مشاة) ، وهي وحدات مختارة جيدة التسليح والتدريب وتتمتع بمعنويات عالية وقدرة كبيرة على الحركة وروح صدامية مرتفعة . وتستطيع هذه الكتائب تنفيذ المهمات الصعبة وراء خطوط العدو ، كما يمكن ان تستخدم في مرافقة القوات الميكانيكية والتشكيلات المدرعة ، وتقوم بعملها بكفاءة عالية في قتال الجبال والصحراء وتطهير المدن .

ولقد أثبتت هذه الكتائب فاعليتها في حرب اليمن ، وكان من الممكن أن تقوم بدور فعال في حرب ١٩٦٧ ــ وخاصة من الجبهة الاردنية ــ لو طالت مدة الحرب وتخلخلت مؤخرات العدو . وتدل خبرة حرب الاستنزاف ، التي كانت من الجانب المصري حرب مدفعية وعمليات خاصة ، على فاعلية هذه الكتائب التي قامت بعمليات ناجحة وراء خطوط العدو وقدمت صورة لما يمكن ان تقوم به من مهمات في أية حرب مقبلة مع اسرائيل .

الطيران :

يملك سلاح الطيران المصري بالاضافة الى طائرات النقل وطائرات الهليكوبتر ٥٦٨ طائرة مقاتلة سوفياتية الصنع موزعة على مطارات الجبهة ومطارات العمق وعدد من مطارات السودان . ويمكن تصنيف طائرات سلاح الجو المصري من ناحية مهماتها القتالية الى ثلاثة أنواع يضم كل واحد منها فروع متمايزة جزئيا .

ويتمثل **النوع الاول** في قاذفات القنابل المتوسطة وحمولتها ٩ أطنان من القنابل

وقاذفات القنابل الخفيفة وحمولتها ٢ ــ ٣ أطنان من القنابل . ويسمح مدى القاذفات المتوسطة بضرب الاهداف البعيدة وتنفيذ المهمات الاستراتيجية حتى لو انطلقت مــن مطارات موجودة في السودان أو جنوب جمهورية مصر العربية ، كما ان مدى القاذفات الخفيفة يسمح لها بضرب الاهداف المتوسطة البعد والمشاركة في القصفين العملياتي والتكتيكي . بيد ان ضعف سرعة القاذفات وقلة مرونتها وانعدام تسليحها بالصواريخ جو ــ جو يجعلها هدفا لمقاتلات العدو ويجعل من الضروري حمايتها دائما بمظلة من المقاتلات السريعة المزودة بصواريخ جو ــ جو . وتستطيع طلعة القاذفات المصرية المتوسطة والخفيفة حمل ١٨٠ ــ ١٩٠ طنا من القنابل زنة الواحدة ٢٥٠ ــ ٥٠٠ كغ .

ويتمثل **النوع الثاني** في مقاتلات الهجوم الارضي المعدة لدعــم القوات البرية خلال الهجوم والدفاع . ويضم هذا النوع ١٢٠ طائرة من طائرات الصف الاول سوخوي ــ ٧ و ٢٠٠ طائرة من طائرات الصف الثاني ميغ ــ ١٧ . وتمتاز هذه الطائرات بقدرتها على العمل على الارتفاعات المنخفضة ولكن صغر مداها يجعلها طائــرة المهمات التكتيكية ويفرض عليها العمل من مطارات قريبة من مسرح العمليات . كما ان ضعف سرعتها (وخاصة الميغ ــ ١٧) وعدم تزويدها بصواريخ جو ــ جو يجعلهــا بحاجة لحماية مقاتلات الصف الاول المعترضة . وتستطيع طلعة مقاتلات الهجوم الارضي المصرية حمل ١٦٠ طنا من القنابل زنة الواحدة ٢٥٠ كغ و٤٣٢ قذيفة صاروخية من عيار ٥٥ مم .

وتستطيع مقاتلات الصف الاول المصرية العمـــل في ميزان القوى الجوي العربي ــ الاسرائيلي الحالي ، ولكن مقاتلات الصف الثاني عاجزة عن العمل بفاعلية الا عند تخلخل هذا الميزان بصورة عامة ، او فوق مسرح العمليات الذي تؤمن فيــه القيادة الجوية المصرية تفوقا محليا مؤقتا .

ويتمثل **النوع الثالث** في المقاتلات المعترضة (ميغ ٢١ مــن مختلف الانواع) وهي مخصصة لاعتراض قاذفات العدو والاشتباك مع مقاتلاته ، وحماية قاذفات القنابل ومقاتلات الهجوم الارضي . وتحمل هذه المقاتلات ، وكلها من مقاتلات الصف الاول ، صواريخ جو ــ جو ويسمح لها مداها بالتحليق من مطارات داخلية بعيدة نسبيا ومرافقة القاذفات الى عمق أجواء العدو . وتستطيع بعض نماذج هذه الطائرات ، مثل الميغ ــ ٢١ م ف المقاتلة متعددة الاغراض والميغ ٢١ ــ ف ، حمل قنابل زنة الواحدة ٢٥٠ كغ لقصف الاهداف الارضية . ولكن تسليحها الاساسي يبقى الصواريخ جو ــ جو أتول ، وتبقى مهمتها الاساسية القتال ضد الطائرات المعادية .

ولا يوجد في سلاح الجو المصري مقاتلات قاذفة مماثلة للفانتوم ف ــ ٤ الامريكية . وهذا ما يجعل التكتيك الجوي المصري مبنيا على دعم القوات البرية بمقاتلات الهجوم الارضي المحمية بالمقاتلات المعترضة ، او بالمقاتلات ميغ ــ ٢١ ب ف ، وتنفيذ مهمات القصف العملياتي بالقاذفات الخفيفة المحمية بالمقاتلات المعترضة ميغ ــ ٢١ ف وميغ ٢١ ــ ب ف ومداها حوالي ٦٠٠ كم أو بالمقاتلات ميغ ٢١ م ف متعددة الاغراض ، وتنفيذ مهمات القصف الاستراتيجي بالقاذفات المتوسطة المحمية بالمقاتلات المعترضة ميغ ــ ٢١ م ف متعددة الاغراض ومداها ١١٠٠ كم .

ويؤدي تخصص الطائرات السوفييتية وعدم وجــود طائرات سوفييتية متعــددة الاغراض والمهمات الى تعقيد استخدام سلاح الجو المصري وخاصة عند قصف الاهداف في عمق أراضي العدو . ولكن سهولة صيانة الطائرات السوفييتية وسهولة استخدامها والتدرب عليها ، وانخفاض ثمنها وتكاليف ادامتها تجعلهــا سلاحا يتلاءم مــع الواقع الاقتصادي ــ البشري للبلدان النامية أكثر من الطائرات الامريكية المعقدة ، ويزيد سرعة استيعابها من قبل الطيارين المصريين .

وتذكر المصادر الغربية أن ٢٠٠ طائرة من الطائرات المقاتلة موجودة في المخازن، دون ان تحدد هذه المصادر أنواع الطائرات المخزونة . بيد أن عدد الطيارين المصريين ، والاستعدادات التكنولوجية الارضية التي ارتفع مستواها بشكل ملحوظ بعد حرب ١٩٦٧ ، وضرورات الاستعداد للمعركة تجعل النبأ مستغربا ولا يستند الى واقع مادي، ولا يجد سندا في المحاكمة المنطقية للامور .

ويقدر المصريون ان طائراتهم قادرة على القيام بأربع طلعات جوية في اليوم ، وتستخدم الطائرات المصرية القنابل العادية وقنابل النابالم والصواريخ جو — جو والقذائف الصاروخية جو — أرض ، والصواريخ جو — بحر ، وليس هناك ما يدل على امتلاكها لذخائر خاصة مثل القذائف المضادة للرادار (المماثلة للقذائف شرايك) والقنابل الانزلاقية . . . الخ .

ويعتمد الدفاع الجوي المصري على المقاتلات المعترضة التي تحدثنا عنها ، وعلى أسلحة الدفاع الارضية المؤلفة من المدافع المضادة للطائرات والصواريخ أرض — جو . ويملك الجيش المصري مدافع مقطورة مضادة للطائرات من عيار ٢٣ و ٥٧ و ٨٥ و ١٠٠ مم ، وهي موزعة على وحدات ملحقة عضويا بكتائب والوية وفرق القوات البرية ، ووحدات احتياطية موضوعة تحت تصرف الجيوش لحماية المواقع والتجمعات القتالية الهامة ، ووحدات مستقلة لحماية المنشآت الجوية والاستراتيجية داخل البلاد . ويؤمن التنسيق بين هذه المدافع المختلفة العيارات والمدى شبكات مضادة لضرب الطائرات المعادية على الارتفاعات العالية والمتوسطة والمنخفضة . وبوسعنا هنا ان نذكر من جديد المدافع الذاتية الحركة زد. س. يو — ٢٣ — ٤ (الرباعية) المضادة للطائرات ، والمدافع الذاتية الحركة زد. س. يو — ٥٧ — ٢ (الثنائية) المضادة للطائرات والمخصصة لمرافقة القطعات المدرعة .

ولقد ارتفع مستوى الدفاع الجوي المصري ارتفاعا كبيرا بعد حرب ١٩٦٧ وذلك باستخدام قواعد الصواريخ أرض — جو سام — ٢ المخصصة للرمي ضد الطائرات المحلقة على ارتفاعات عالية . ولقد بذل العدو محاولات كثيرة خلال حرب الاستنزاف لمنع اقامة القواعد الثابتة لهذا الصواريخ . ثم دخلت المعركة الصواريخ ارض — جو سام — ٣ المحمولة على عربات مجنزرة والقادرة على الرمي ضد الطائرات المحلقة على ارتفاعات منخفضة وامنت مع قواعد الصواريخ سام — ٢ شبكة دفاع قوية مضادة للطائرات . وحاول العدو من جديد تدمير هذه الشبكة ولكن مرونة الصواريخ سام — ٣ وقدرة عرباتها على الحركة وتبديل الموقع أحبط خطة الطيران الاسرائيلي الذي أخذ يفقد طائرات الفانتوم التي كانت مستعصية على صواريخ سام — ٢ الامر الذي أجبر الولايات المتحدة الامريكية على تزويد اسرائيل بطائرات التشويش الاليكترونية وصواريخ جو — ارض من طراز شرايك لضرب الرادار واعماء شبكة الصواريخ . وبدخول الصواريخ سام — ٦ المحمولة على عربات مجنزرة والمخصصة للرمي ضد الطائرات على كل الارتفاعات تكاملت شبكة الدفاع الجوي المصري التي تضم اليوم ١٢٠ قاعدة صواريخ من الانواع الثلاثة والمرتبطة بشبكة رادار للرصد والانذار . وتستطيع هذه الشبكة بالتعاون مع بطاريات المدفعية المضادة للطائرات ، والطائرات المقاتلة المصرية اداء مهمتها بكفاءة ، وحماية الاجواء المصرية وتكبيد طائرات العدو الراغبة بالقصف خسائر رادعة لانها تفوق النتائج المرجوة من القصف الذي تستطيع القيام به الطائرات القليلة التي تنجو من شبكة الدفاع الجوي .

واذا أضفنا الى هذه الشبكة المتكاملة مجموعات الصواريخ الفردية الخفيفة سام — ٧ الموزعة على الوحدات البرية والمعدة للرمي بفاعلية ضد المقاتلات المنخفضة التي تقل

سرعتها عن سرعة الصوت وضد الهليكوبتر ، تصورنا الى أي حد ارتفع مستوى الدفاع الجوي المصري منذ حرب الاستنزاف حتى اليوم .

واذا كانت الصواريخ سام ــ ٢ التي تطلق من قواعد ثابتة سلاحا جيدا للدفاع عن التحشدات والمواقع الدفاعية والمنشآت الحيوية والاستراتيجية فان الصواريخ سام ــ ٣ وسام ــ ٦ تشكل سلاحا أكثر فاعلية لان امكانية اطلاقها مـــن العربات المجنزرة التي تحملها يمنحها قدرة كبيرة على الحركة والانتقال المستمر ، الامر الذي يعطيها مرونة كبيرة تساعدها على تبديل مواقعها ، أو نصب الكمائن لطائرات العدو ، أو مواكبة القطعات الكبيرة الزاحفة في الهجوم .

ولا يمكن اعتبار مهمة الصواريخ سام ارض ــ جو الموجودة على الضفة الغربية لقناة السويس دفاعية بحتة لان مداها الكبير (٤٠ ــ ٥٠ كيلومترا بالنسبة لصاروخ سام ــ ٢ و ٢٠ كيلومترا بالنسبة لصاروخ سام ــ ٣) يجعلها قادة على لعب دور هجومي في حالة قيام الجيش المصري بعبور قناة السويس لانها تستطيع مـــن مواقعها الحالية تغطية سماء منطقة العبور وسماء رؤوس الجسر وحمايتها من الطائرات المعادية .

والحقيقة ان التعاون والتنسيق الجيد بين سلاح الطيران وقـــوات الدفاع الجوي المتحركة هما أحد الحلول العملياتية لافقاد سلاح الطيران الاسرائيلي تفوقه الحالي ، بشكل يسمح للقوات البرية ــ الجوية المصرية الضاربة بتنفيذ مهمات هجومية داخل سيناء على أن تكون وتيرة الهجوم متوافقة مع وتيرة تقدم بطاريات الصواريخ المضادة وأن يكون مدى الهجوم متوافقا مع بعد المطارات الميدانية ومدى عمل المقاتلات المعترضة ميغ ــ ٢١ . وقد تسمح الحماية الجوية اذا ما وصلت الى مستوى جيـــد باستخدام مقاتلات الصف الثاني لدعم الهجوم البري الامر الذي يزيد حجم القوة النارية للمهاجمين .

البحرية :

تعتبر البحرية المصرية أفضل قوة بحرية في منطقة الصراع العربي ــ الاسرائيلي من ناحية حجمها (حوالي ١٢٨ قطعة) أو من ناحية تكاملهـــا . فهي تمتلك المدمرات ، والغواصات ، والزوارق حاملة الصواريخ ، والطوربيدات ، وسفن الانزال ، ومختلف أنواع كاسحات الالغام الملحقة بالاسطول والساحلية ، وقـــوارب الدورية ، وسفن الامداد . ولم تتح حرب ١٩٦٧ للبحرية المصرية فرصا كبيرة للعب دور حاسم في المعركة، الا ان المعارك القليلة التي خاضتها بعد حرب ١٩٦٧ أثبتت قدرتها القتالية .

وتستطيع مراكب الاسطول الحربي المصري القيام بالمهمات التالية :

أولا : المهمات الدفاعية البحرية . وتنفذها الغواصات والزوارق حاملة الصواريخ والطوربيدات وقوارب الدورية . بالاضافة الى المدفعية الساحلية والصواريخ الموجهة ارض ــ بحر من طراز ساملبت ، والتي يبلغ مداها ٨٠ كيلومترا تقريبا .

وتتسلح الزوارق حاملة الصواريخ المصرية من طراز أوسا ، وكومار بأحدث أنواع الصواريخ سطح ــ سطح من طراز ستيكس التي أحدث استخدامها ضد المدمرة ايلات في عام ١٩٦٧ انقلابا في النظرة العالمية الى اهمية هذه القطع الخفيفة الحركة وذات القدرة التدميرية العالية . ويبلغ مدى هذه الصواريخ ٤٠ كيلومترا اي حوالي ضعف مدى الصاروخ الاسرائيلي سطح ــ سطح غبرييل المركب على الزوارق شيربورغ الفرنسية المستخدمة في اسرائيل . وتستطيع الزوارق المصرية التي تحمل هـــذه الصواريخ ، والغواصات ، وزوارق الطوربيد زنة ١٥٠ طنا ، وزوارق الطوربيد الخفيفة زنة ٥٠ طنا تأمين حماية كبيرة للسواحل المصرية اذا استطاع الطيران تغطيتها بشكل يؤمن لها حرية المناورة .

ثانيا : المهمات الهجومية البحرية . وتنفذها الغواصات والمدمرات والزوارق حاملة الصواريخ ، والطوربيدات ، وكاسحات الالغام كل حسب مداها وقدرتها النارية . ويمكن أن تتحدد مهمتها في الاغارة على مواقع العدو الساحلية الهامة ، أو قطع خطوط مواصلات البحرية ضمن اطار الخنق الاستراتيجي .

ان المدمرات المسلحة بمدافع عيار ١٣٠ مم ترمي بمعدل ١٠ قذائف بالدقيقة ولمدى يبلغ حوالي ٢٥ كيلو مترا قادرة على ضرب دفاعات العدو الساحلية ومنشآته الحيوية في الموانىء . وتؤمن لها مدافعها التسعة المضادة للطائرات حماية جوية جيدة . كما ان بالامكان اجراء تعديلات عليها وتسليحها بصواريخ سطح ــ جو بشكل يزيد قوة نيرانها المضادة للطائرات . وتستطيع الغواصات تشكيل حزام خانق حول السواحل المعادية ذلك لان مداها وعددها يسمحان لها بعمل حزام يمتد على طول الساحل الفلسطيني وبعمق عشرات الاميال بالاضافة الى اغلاق الملاحة أمام السفن الاسرائيلية في البحر الاحمر الذي تزداد أهميته يوما بعد يوم بالنسبة لاسرائيل المستفيدة حاليا من اغلاق قناة السويس . وتقوم الزوارق حاملة الصواريخ والطوربيدات خلال الهجوم بمهمات اساسية ضد القطع البحرية المعادية التي تستهدف عرقلة الهجوم البحري المصري أو ايقافه . ويكون دور كاسحات الالغام في الهجوم فتح الثغرات في حقول الالغام البحرية التي تغطي الشواطىء والموانىء الهامة والممرات المائية الحساسة .

ثالثا : مهمات دعم القوات البرية في الهجوم . تستطيع المراكب البحرية المذكورة في مهمات الهجوم البحري المشاركة في دعم عمليات الانزال البحري على شواطىء العدو . وتملك البحرية المصرية سفن انزال ذات طاقة انزال تعادل ٣٣٠٠ طن وهذا يعني انها قادرة على انزال كتيبتين مدرعتين دفعة واحدة . ويسمح وجود الدبابات البرمائية وعربات نقل الجنود المصفحة البرمائية بزيادة سرعة الانزال ووتيرته ويقدم للقيادة حرية اكبر في اختيار شاطىء الانزال دون الخضوع لتحديدات عمق الشواطىء . وتملك البحرية المصرية ايضا مراكب امداد وتموين قادرة على انشاء خط تموين بحري لتدعيم راس الجسر عند انشائه بالاضافة الى وحدات (غير محددة العدد) من مشاة البحرية التي يمكنها الاشتراك في موجات الانزال الاولى .

هنا لا بد لنا من الاشارة الى ان عمليات الانزال البحري التي تمثل ضربات غير مباشرة عبارة عن عمليات معقدة تتطلب امكانات بحرية كبيرة ، وسيطرة جوية ملحوظة وتدريبا طويلا وخبرة في حل معضلات الامداد والتموين ، وليس في التاريخ الحربي المعاصر للبحرية المصرية عمليات انزال تعطينا فكرة عملية عن مدى قدرة مصر على القيام بمثل هذه الضربات . وبالاضافة الى ذلك فان حجم قوات الانزال الممكنة (المحدودة) واحتمالات تعرض راس الجسر الى هجمات الاحتياط المدرع المعادي العملياتي أو الاستراتيجي تجعل عمليات الانزال المصرية المتوقعة والممكنة محدودة الحجم ، وضد اهداف معزولة عن مواقع تمركز القوات الاحتياطية المعادية (جزر صغيرة مثلا) وتقع ضمن مدى عمل الطيران . او في حالة اضطرار العدو لزج قواته الاحتياطية ضد الهجمات البرية بعد تطور هذه الهجمات بشكل خطير . الامر الذي يعني ان عمليات الانزال البحري المصرية لا يمكن ان تكون ، اذا ما توفر لها الدعم الجوي ، سوى عمليات تشتيتية محدودة .

رابعا : المهمات الخاصة . تملك البحرية المصرية وحدات (غير معروفة العدد) من الكوماندوز البحرية والضفادع البشرية القادرة على تنفيذ مهمات خاصة على شواطىء العدو او في موانئه . ويمكن نقل هذه القوات وسحبها بعد تنفيذ مهمتها بحرا أو بواسطة طائرات الهليكوبتر . ولقد قامت قوات الصاعقة البحرية بعمليات

استطلاعية وقتالية خلال حرب الاستنزاف اهمها العمليات المنفذة ضد السفن الاسرائيلية الراسية في ميناء ايلات .

وهكذا فان استخدام البحرية المصرية سيكون اما ضمن اطار الاستراتيجية الدفاعية (الدفاع عن الشواطىء والعمليات الخاصة) ، او ضمن اطار الاستراتيجية الهجومية (ضرب القوافل ، القتال ضد البحرية المعادية ، مهاجمة الاهداف الساحلية ، الانزال البحري ، العمليات الخاصة) . وسيتعرض عملها رغم تفوقها على بحرية العدو الى التحديدات التالية :

١ ــ التفوق الجوي المعادي الذي سيحرمها من حرية المناورة والحركة ويجمد نشاطها . وسيكون تأثير الطيران المعادي على العمليات البحرية المصرية كبيرا في شرق البحر الابيض المتوسط ومعظم اجزاء البحر الاحمر ، ولكنه سيفقد جزءا كبيرا من اهميته في جنوب البحر الاحمر واواسط البحر الابيض المتوسط وخاصة اذا ما اشترك في القتال الى جانب الطيران والبحرية المصريين سلاح الطيران الليبي وسلاح الطيران السوداني بالاضافة الى طائرات مصرية تقلع من الاسكندرية ومرسى مطروح ومطارات صعيد مصر ومطارات السودان واليمن .

٢ ــ ان المهمة الاستراتيجية الاساسية للبحرية المصرية هي القيام بالخنق الاستراتيجي في اواسط البحر الابيض المتوسط وجنوب الاحمر . ويعني هذا الخنق التعرض للقوافل المتجهة نحو اسرائيل لقطع الامداد بالمواد الاستراتيجية . بيد ان طبيعة اسرائيل كقاعدة للامبريالية وجزء عضوي منها سيعني محاولة البحرية الامبريالية المدنية والعسكرية فك هذا الحصار بنقل المواد الاستراتيجية بمراكب امريكية لا يمكن التعرض لها دون تصعيد الصراع مع الامبريالية الى مستوى قد لا تخطط له القاهرة ولا تسعى الى بلوغه . ويقدم لنا الحصار البحري لشواطىء فيتنام الشمالية مثالا عن خرق الحصار بمراكب دولة عظمى (الاتحاد السوفييتي) لا يرغب المحاصرون في تصعيد المعركة الى مستوى الصدام معها . كما يقدم لنا الحصار البحري لشواطىء كوبا خلال ازمة الصواريخ عدم امكانية خرق الحصار بسفن دولة عظمى اذا كان المحاصرون مستعدين لتصعيد المعركة الى مستوى الصدام معها . الا ان الحصار سيفرض على اسرائيل وضعا خانقا لانه سيعني تعطيل اسطول اسرائيل التجاري الضخم المكون من ١٠٢ سفينة كما سيعطل اسطول ناقلات النفط الاسرائيلية .

٣ ــ ستتعرض المناورة البحرية المصرية الى معضلة ضرورة توزيع قواتها بين البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، وتعذر تحقيق الحشد السريع حسب المتطلبات العملياتية خاصة بعد اغلاق قناة السويس ، وسهولة قطع هذا الممر المائي الحساس حتى في حالة فتح القناة .

والحقيقة ان كل هذه التحديدات لا تحرم البحرية المصرية من اهميتها وفاعليتها التي ستتمثل خلال الصراع بمهمات قتالية فعلية ، او بالبقاء على الاقل قوة كامنة قادرة على تنفيذ مهمات قتالية الامر الذي يجبر العدو على تجميد جزء من قواته الضاربة للاحتفاظ بها كاحتياط استراتيجي معد لمجابهة عمليات هذه القوة الكامنة القادرة على تهديد اهدافه الحيوية في كل لحظة .

(٢) الجمهورية العربية السورية

تملك القوات المسلحة السورية ١٢٠ الف رجل موزعين على القوات البرية والجوية والبحرية . وهي مسلحة اساسا بأسلحة سوفياتية وتطبق التكتيك الحربي الخاص بالعقيدة الشرقية مع بعض التعديلات المتعلقة بحجم الوسائط النارية في الوحدات . وتقاتل هذه القوات على أرض تعرفها جيدا . وهي تتمتع بقوى معنوية عالية ومستوى تدريبي وقيادي وتكنولوجي يفوق المستوى الذي كان سائدا في حرب ١٩٦٧ . كما تتمتع بمستوى عال من التسييس والتلاحم مع الجماهير من طريق أقنية الحزب . وتستطيع سورية رفع عدد قواتها المسلحة خلال التعبئة العامة الى ٣٢٠ — ٣٥٠ الف رجل . ويحتاج جمع الاحتياط واعادة تنظيمه وزجه في المعركة الى عدة اسابيع .

وتعادل القوات المسلحة العاملة في سورية ١،٢٥ / ١٠٠ من مجموع عدد السكان اي ما يعادل ١٠/١٠٠ من الرجال في سن الخدمة العسكرية وتصبح القوات المسلحة بعد التعبئة معادلة لـ ٣/١٠٠ من مجموع عدد السكان و ٢٧/١٠٠ من الرجال في سن الخدمة العسكرية . فاذا عرفنا ان سورية لا تشكو من قلة اليد العاملة وان عدداً كبيرا من اليد العاملة السورية يعمل بصورة دائمة او موسمية في بعض البلدان العربية عرفنا ان التعبئة العامة التي تجمد ٣/١٠٠ من السكان لا تعرقل (بشريا) عجلة الاقتصاد السوري ولا تؤثر بفاعلية على القوة البشرية اللازمة لمخططات التنمية .

يعتبر التجنيد الالزامي المصدر الاساسي للقوة البشرية في القوات المسلحة السورية ويشمل هذا التجنيد جميع المواطنين الذكور في سن التجنيد ، وهو يزود القوات المسلحة لا بالجنود فحسب بل بالضباط وضباط الصف الاحتياطيين والفنيين الذين يتم اختيارهم من بين ذوي المؤهلات العلمية العالية والمتوسطة ، الامر الذي يسمح باكمال نواقص الكادر الفني في القوات العاملة ، كما يسمح بخلق قطعات احتياطية فنية بكوادر احتياطية .

الجيش :

يتألف الجيش السوري من فرق حلت محل مجموعات الالوية السابقة . كما يتألف بالاضافة الى ذلك من كتائب والوية مستقلة . وتعتبر الفرقة او اللواء المستقل القطعة التكتيكية الاساسية لتشكيل الجيش . وهناك بالاضافة الى ذلك حوالي ٣٠ الف رجل مجمعين داخل سرايا الدفاع المحمولة القادرة على القيام بمهمات كثيرة أهمها الصراع ضد القوات المحمولة جوا ، وحماية المنشآت الحيوية الهامة بالتعاون مع وحدات مدرعة خفيفة وكتائب الجماهير الشعبية المسلحة .

يمتاز السلاح المدرع السوري بضخامة عدد دباباته المتوسطة (حوالي ١٢٠٠ دبابة) منها حوالي ٩٦٠ — ١٠٠٠* دبابة صنف اول و ٢٤٠ دبابة صنف ثاني . ولقد بذل السوريون عناية كبيرة بسلاحهم المدرع على اعتباره القوة الضاربة القادرة على خرق دفاعات العدو في الجولان بفعل قوة النار والصدمة ، والقادرة بعد ذلك على مطاردته في العمق واستثمار النصر .

ويضم السلاح المدرع السوري ٣٠ دبابة ثقيلة ج س — ٣ واعدادا غير معروفة من الدبابات ت — ٦٢ المتطورة المزودة بمعدات الرؤية الليلية وبمدفع ١١٥ القادر على التفوق على جميع دبابات العدو المزودة بمدافع عيار ١٠٥ مم .

---

* تختلف الارقام هنا من مصدر الى آخر بسبب تضارب الاراء حول كمية الدبابات ت — ٦٢ التي وصلت الى سورية .

وتشكل الفرقتان المدرعتان السوريتان هيكل القوة الضاربة البرية وهي تضم دبابات ت ــ ٦٢ ، وت ــ ٥٥ ، وت ــ ٥٤ ، وج س ــ ٣ بالاضافة الى المشاة الميكانيكية ومدفعية الميدان والمدافع المضادة للطائرات والمضادة للدبابات ، ووحدات المهندسين والاشارة والشرطة العسكرية والخدمات الادارية . الخ . ولقد درب السوريون هاتين الفرقتين للقيام بمهمات الخرق والمطاردة والالتفاف ، كما دربوهما للعمل كاحتياط عملياتي واستراتيجي مهمته شن الهجمات المعاكسة .

أما الدبابات ت ــ ٣٤ فهي موزعة على الوية المشاة . وتستخدم كدبابات دعم مباشر وكأسلحة قوية مضادة للدبابات ، وكاحتياط تكتيكي لشن هجمات معاكسة على مستوى لواء وفرقة المشاة . بيد أن صغر عيار مدفع هذه الدبابة (٨٥ مم) وضعف تصفيحها يجعل من الضروري حمايتها بالمدافع ذاتية الحركة س ــ يو ١٠٠ .

ويلاحظ ان الجيش السوري لم يهتم كثيرا بخلق وحدات دبابات برمائية كبيرة نظرا لان مسرح عملياته المنتظر لا يتضمن موانع مائية هامة . كما انه لم يهتم باستخدام الدبابات الخفيفة او المصفحات التي لا تدخل في اطار التكتيك الحربي المطبق في سورية. ولم يزد السلاح المدرع السوري عدد مدافعه ذاتية الحركة س يو ــ ١٠٠ نظرا لان الدبابة ت ــ ٦٢ المزودة بمدفع عيار ١١٥ ، والدبابتين ت ــ ٥٤ وت ــ ٥٥ المزودتين بمدفع عيار ١٠٠ مم لم تعد بحاجة لدعم هذا المدفع الذي كان يلعب دورا هاما عندما كانت القطعات المدرعة تعتمد على الدبابات ت ــ ٣٤ .

وتستخدم القطعات المدرعة السورية اعدادا كبيرة من المدافع ذاتية الحركة المضادة للطائرات (زد.س يو ــ ٢٣ ــ ٤ ، و زد.س يو ــ ٥٧ ــ ٢) . واعدادا محدودة من المدافع جي. س. يو ــ ١٥٢ ذاتية الحركة والمركبة على هياكل دبابات . بيد أنها تعوض نقص المدافع ذاتية الحركة باستخدام اعداد كبيرة من مدفعية الميدان المقطورة من مختلف العيارات المستخدمة في الدفاع وفي رمايات التمهيد التي تسبق الهجوم والخرق او تسبق الهجوم المعاكس . وتعزز الدبابات قوتها النارية ضد دبابات العدو بصواريخ ساغر الموجهة المحمولة على العربات المدرعة .

وتؤمن الخدمات الهندسية الميدانية لقطعات المدرعات السورية وحدات مهندسين مجهزة بالمعدات اللازمة لفتح الطرق وازالة حقول الالغام دون ان يكون لديها على ما يبدو دبابات حاملة جسور أو دبابات باصقة لهب .

وبالرغم من عدم وجود مجاري مياه في مسرح عمليات الجيش السوري فان في وحدات المهندسين السوريين تملك وحدات جسور ثابتة (بيللي) ووحدات جسور عائمة ثقيلة وخفيفة معدة لاخذ مكان الجسور المدنية اذا ما قصفها العدو .

وتعتبر الفرقة الميكانيكية السورية المحمولة على ناقلات جنود مدرعة ب. ت. ر من مختلف الانواع . وتستطيع هذه العربات السير بكفاءة على أراضي الجبهة السورية كما يمكنها التقدم بوتيرة عالية مماثلة لوتيرة تقدم الدبابات الامر الذي يسمح لها بمواكبة قطعات المدرعات ، كما يسمح لها ــ بعد دعمها بالدبابات وصواريخ ساغر الموجهة المضادة للدبابات ــ بتنفيذ مهمات مستقلة على محاور بعيدة أو ثانوية .

وتملك فرقتا المشاة المحمولتان على عربات عادية قوة نارية جيدة ، فهي تضم مدفعية ميدان وم/د وم/ط ودبابات عضوية بالاضافة الى أسلحة المشاة . وتستطيع تنفيذ مهماتها في الهجوم والدفاع وتصلح للعمل الدفاعي والهجومي على ارض الجولان الوعرة . ولكنها لا تتلاءم مع الحرب المتحركة التي لا يتوقع حصولها على الجبهة

السورية على نطاق واسع نظرا لان وعورة الارض وقلة الممرات تحد من امكانات تنفيذها .

وتكمل القوة الضاربة السورية كتيبة مظليين و٥ كتائب مغاوير وهي مؤهلة للعمل وراء خطوط العدو ، او لتطهير المدن والقتال في الجبال والمناطق المشجرة ، او لمرافقة دبابات الاقتحام عندما تهاجم مواقع العدو الدفاعية . ومن المحتمل ان يستخدم السوريون المظليين المنقولين بالهليكوبتر للقيام بعمليات محدودة وراء خطوط العدو .

وتمتاز المدفعية السورية بكبر عددها وطول مداها وارتفاع مستوى تدريبها . ومن المعروف ان مستوى تدريب هذه المدفعية وخبرتها القتالية عاليان جدا فلقد كانت دائما القوة التي تشتبك مع الاسرائيليين وتصد اعتداءاتهم وتدمر منشآتهم . وتتوزع هذه المدفعية على كتائب تابعة لالوية المشاة والمدرعات،وافواج مدفعية تابعة للفرق، وافواج مستقلة احتياطية تعمل تحت تصرف قيادة الجيش لدعم المحاور الرئيسية في الهجوم والدفاع . والسبب في ضخامة حجم المدفعية السورية هو نفس السبب الذي ادى الى ضخامة المدفعية المصرية كما ذكرنا من قبل . ويزيد من القوة النارية للمدفعية السورية وجود بطاريات من صواريخ أرض — ارض «فروغ» بعيدة المدى. وعامل ضعف المدفعية السورية الوحيد هو أن معظم مدافعها مقطورة تجد في بعض الحالات صعوبة في التحرك بوتيرة عالية تتلاءم مع وتيرة تقدم الدبابات التي تقوم بالمطاردة او بالالتفاف الواسع . ويجعل مرابضها أكثر تعرضا للقصف الجوي المعادي . بيد ان حجم هذه المدفعية وبعد مداها يؤمن للقوات البرية دعما ناريا قويا ويسمح بتطبيق التكتيكات الشرقية المبنية على الدعم الناري الكثيف .

وتشكل المدافع المضادة للدبابات هيكل الدفاع البري ضد الدبابات وهي موزعة بوحدات ملحقة بالكتائب والالوية والفرق ، بالاضافة الى وحدات مستقلة احتياطية . ولقد زادت قوة الدفاع ضد الدبابات بعد أن أدخل الجيش السوري في تشكيلاته القذائف السوفياتية الموجهة المضادة للدبابات من طراز ساغر القادرة على تدمير جميع انواع دبابات العدو من مسافات بعيدة لا تقل عن ٢٠٠٠ م .

وتتوزع وحدات المهندسين القتالية الى سرايا مهندسين ملحقة بألوية المشاة والدبابات وكتائب مهندسين ملحقة بفرق المشاة وكتائب مستقلة تابعة لقيادة الجيش التي تستخدمها لمهمات خاصة او لدعم التشكيلات القتالية حسب الحاجة .

ويضم الجيش السوري وحدات كيميائية للتطهير ، ووحدات قاذفات اللهب الخفيفة والثقيلة . وهي موزعة على قطعات المشاة والمدرعات او مجمعة داخل وحدات احتياطية تعمل تحت تصرف قيادة الجيش لتنفيذ مهمات محددة او لتدعم التشكيلات القتالية حسب مقتضيات المعركة .

ومن الجدير بالذكر ان جنود الجيش السوري يحملون معدات وقاية من الغاز (قناع) وهم مدربون على الحرب في ظروف استخدام اسلحة الدمار الشامل (غازات ، ذرة) .

الطيران :

يملك سلاح الطيران السوري بالاضافة الى طائرات النقل والهليكوبتر حوالي ٣١٠ طائرات مقاتلة منها ٢٠٠ طائرة ميغ — ٢١ مقاتلة معترضة قسم كبير منها ميغ — ٢١ م ف. و ٣٠ طائرة سوخوي — ٧ . وتعتبر الميغ — ٢١ والسوخوي — ٧ من طائرات الصف الاول . وتأتي بعدها طائرات الهجوم الارضي ميغ — ١٧ وهي من طائرات الصف الثاني . وتعمل المقاتلات المعترضة السورية لصد غارات العدو وحماية طائرات الهجوم

الارضي خلال تنفيذ مهماتها القتالية ، اما طائرات الهجوم الارضي فتعمل في دعم القوات البرية المتقدمة في العمقين التكتيكي والعملياتي .

وتستطيع مقاتلات الصف الاول السورية العمل في ميزان القوى الجوي العربي — الاسرائيلي الحالي . اما طائرات الصف الثاني فلا يحتمل استخدامها بفاعلية الا عند تخلخل هذا الميزان بشكل ملحوظ . ولا يوجد في سلاح الطيران السوري قاذفات — مقاتلة الامر الذي يجبره على استخدام طائرات الهجوم الارضي لدعم القوات البرية بعد حمايتها بالمقاتلات المعترضة . ولقد أثبتت المعارك الجوية الماضية ان الطيارين السوريين يقاتلون بجراة نادرة حتى في حالة التفوق المعادي . وهم يستخدمون في مجابهة التفوق المعادي تكتيكات انقضاضية مفاجئة تقلب حسابات العدو الذي لا يتوقعها ولا يستطيع تفسيرها . وتستخدم الطائرات السورية القنابل العادية وقنابل النابالم والصواريخ جو — جو « آتول » والقذائف الصاروخية جو — أرض وليس هناك ما يدل على امتلاكها لذخائر خاصة مثل القذائف المضادة للرادار والقنابل الانزلاقية .

البحرية :

ويعتمد الدفاع الجوي السوري على المقاتلات المعترضة والمدافع المضادة للطائرات من مختلف العيارات وقواعد الصواريخ وسام — ٣ . ويبدو ان هذه القواعد قد دعمت مؤخرا بصواريخ سام — ٦ . ولكن من الواضح ان الدفاع السوري ضد الطائرات أصغر حجما من الدفاع المصري المماثل . وتعمل المدفعية المضادة للطائرات داخل وحدات ملحقة بألوية وفرق المدرعات والمشاة بالاضافة الى وحدات مستقلة لحماية المنشآت الحيوية او دعم التشكيلات القتالية . ولقد زادت قدرة القوات البرية على مجابهة طائرات الهجوم الارضي وطائرات الهليكوبتر بعد تزويدها بصواريخ سام — ٧ الفردية بأعداد كبيرة .

تعتبر البحرية السورية قوة لحراسة الشواطىء . وهيكلها الاساسي مبني على زوارق الصواريخ « كومار » المزودة بأحدث انواع الصواريخ الموجهة سطح — سطح من طراز ستيكس (المدى ٤٠ كيلومترا) وزوارق الطوربيد . وتستطيع هذه الزوارق بالاشتراك مع المدفعية الساحلية حماية الشواطىء ضد الهجمات البحرية المعادية . كما تستطيع مقاتلة المراكب المعادية في معارك بحرية محدودة .

ولا تملك البحرية السورية غواصات او مدمرات لذا فان من غير المنتظر مشاركتها في عمليات الخنق الاستراتيجي . ومن غير المنتظر ايضا قيام البحرية السورية بعمليات أنزال كبيرة ولكن هذا لا يمنعها من المشاركة في عمليات انزال قوات كوماندوز محدودة لتخريب اهداف حيوية على شواطىء العدو شريطة ان يتم ذلك ليلا للتخلص من خطر الطيران المعادي .

ويؤمن وجود هذه القوة بالاضافة الى ذلك ردعا كافيا يمنع العدو من القيام بعمليات ابرار جوية قرب الشاطىء بقوات محمولة جوا تنفذ مهماتها التخريبية وتنسحب بعد ذلك بحرا .

(٣) اسرائيل

تضم القوات المسلحة الاسرائيلية البرية والبحرية والجوية ٩٥ الف رجل من بينهم ٢٣ الف كادر . وتعتمد هذه القوات على نواة من المتطوعين المحترفين وعدد ممن يؤدون الخدمة العسكرية . وتتألف القوات البرية من الوية مستقلة عاملة واخرى احتياطية . وتعتبر مجموعة القتال التي تضم لواء مشاة او مدرعات معزز بأسلحة من مختلف الصنوف الوحدة التكتيكية الاساسية . ولا يقاتل الجيش الاسرائيلي بوحدات ذات تشكيل عضوي ثابت بل يقاتل بمجموعات قتال تعزز بأسلحة المعاونة حسب المهمة . وتعمل هذه المجموعات بصورة مستقلة او تجمع لتشكل مجموعات الوية يختلف حجمها باختلاف مهمتها وطبيعة المحاور التي تقاتل عليها .

وتتسلح القوات الاسرائيلية بأسلحة امريكية وفرنسية وبريطانية والمانية غربية وسويسرية واسرائيلية . وهي تطبق التكتيك الحربي الغربي وتعتمد الهجوم كعقيدة حربية سواء كان ذلك في الهجوم نفسه ام في الدفاع .

ولم تقاتل القوات المسلحة الاسرائيلية دفاعيا منذ عام ١٩٤٨ الا في فترة حرب الاستنزاف . ولقد وضعتها القيادة السياسية ـ العسكرية دائما في حالة تفوق استراتيجي جعلتها تنتصر قبل المعركة ، وجعلت عملياتها التكتيكية الظافرة تبدو وكأنها عمليات اسطورية (١٩٥٦ و ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف) الامر الذي أعطاها ثقة كبيرة ومعنويات عالية . ويمكن القول بأن القوات المسلحة الاسرائيلية هي احدى القوات المسلحة المحترفة التي تستخدم الاساليب الصدامية في القتال وفق خطط يضعها قادة مغامرون ميالون الى العمليات التظاهرية المتسمة بالغرابة والتجدد وتتم في ظل تفوق استراتيجي مؤكد ، وبعد تحقيق التفوق التكتيكي في زمان المعركة ومكانها .

وتتميز القوات المسلحة الاسرائيلية بسرعة حركتها ودقة اتصالاتها وسرعة عملياتها اللوجيستيكية (الادارية) الخاصة بالامداد والتموين والاخلاء نظرا لاستنادها الى قاعدة تكنولوجية متقدمة .

ولا يمثل الـ ٩٥ الف رجل سوى القوات الموجودة تحت السلاح ، ويرتفع عدد هذه القوات في حالة التعبئة العامة الى ٣٠٠ ـ ٣٢٥ الف رجل. وتعتمد الخطط الاستراتيجية الاسرائيلية كلها على سرعة تنفيذ التعبئة العامة ودقتها ، وارتفاع المستوى القتالي والتقني للجنود الاحتياطيين ، ووجود معدات الوحدات الاحتياطية واسلحتها وتجهيزاتها كاملة وفي حالة حسنة من الصيانة .

ويعود اعتماد الاسرائيليين على الاحتياط الى رغبتهم في عدم بناء قوات عاملة كبيرة لا تسمح بها الطاقة البشرية المحدودة ، وثقتهم بقوة الردع التي تملكها قواتهم المسلحة، واعتمادهم على دقة معلومات الاستخبارات، والقدرة على تنفيذ التعبئة العامة في فترة لا تزيد عن ٧٢ ساعة .

وتبني اسرائيل خططها القتالية على أساس الردع المعتمد على التفوق . وشن الهجوم الاجهاضي عندما تضعف تأثيرات الردع . وهي تراهن دائما على انهاء الحرب بسرعة خاطفة عن طريق تدمير قوات خصومها بعمليات حاسمة برية وجوية . ويرجع السبب في ذلك الى رغبتها في حسم الموقف قبل اي تدخل دولي ، وقبل تمكن العرب من حشد كل قواهم ، وعدم قدرتها (بشريا) على شن حرب طويلة تتطلب تعبئة بشرية كاملة تضع في أتون المعركة اكثر من ١٠/١٠٠ من عدد السكان و٥٠/١٠٠ من مجموع الرجال في سن الخدمة العسكرية وحوالي ١٠/١٠٠ من النساء في سن الخدمة العسكرية الامر الذي يعطل عجلة الاقتصادين الزراعي والصناعي .

الجيش :

يحتـل الجيش في اسرائيل المرتبة الثانية بعد الطيران . وتعتمد تكتيكاته وخطط تحشده وتحركه على وجود السيطرة الجوية الاكيدة . وأبرز أسلحة الجيش الاسرائيلي هو سلاح المدرعات الذي يضم حوالي ٢٠٠٠ دبابة : ١٧٠٠ دبابة متوسطة امريكية وانكليزية و٢٧٥ دبابة خفيفة فرنسية . وتعمل هذه الدبابات ضمن ٤ الوية مدرعة عاملة تصبح عند التعبئة ١٠ الوية .

وترجع ضخامة هذا السلاح الى رغبة اسرائيل في مجابهة المدرعات العربية على أكثر من جبهة واحتمالات القتال في الصحراء وضرورة تعويض النقص البشري بزيادة قوة النار والصدمة. وليس في السلاح المدرع الاسرائيلي دبابات ثقيلة. وهو يستخدم الدبابات الخفيفة وفق العقيدة الغربية لعمليات الاستطلاع والمطاردة خاصة بعد تزويدها بمدفع ١٠٥ مم . ولا تذكر المصادر العالمية ان في الجيش الاسرائيلي عددا كبيرا من الدبابات البرمائية . ولكن وجود القوات الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة ، وعقيدتهـا التعرضية الهجومية ، وميل قياداتها الى العمليات المفاجئة والضربات الردعية التظاهرية يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن في الجيش الاسرائيلي وحدات دبابات وعربات مدرعـة برمائية بأعداد تكفي لاجراء عمليات خاصة على الضفة الغربية .

تملك معظم الدبابات الاسرائيلية (المتوسطة والخفيفة) مدفعا من عيار ١٠٥ مم كما تملك معظم دباباتها المتوسطة اجهزة رؤية ليلية .

ويستخدم الاسرائيليون دباباتهم في القتال داخل كتل ضخمة ، ونادرا ما استخدموها في الماضي بوحدات مبعثرة . ويدعمون المجموعات المدرعة بوحدات من المشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة والمهندسين والمدافع المضادة للطائرات .. الخ . وتكون هذه التشكيلات المدرعة هيكل القوات الضاربة أو في الاحتياط. وعندما يريدون دعم مجموعات القتال المشكلة من وحدات المشاة فانهم يقدمون لها دبابات الصف الثاني لزيادة امكانات النار والصدمة لهذه التشكيلات .

ويضم السلاح المدرع الاسرائيلي وحدات من المصفحات يستخدمها للاستطلاع المسلح او لمجابهة القوات المحمولة جوا . ولكن استخدامها الاساسي هو لمحاربة قوات الثورة الفلسطينية وقمع الاهالي الواقعين تحت الاحتلال . ان وجود هذه المصفحات في جيش متطور ، رغم اختفائها من جميع الجيوش الحديثة ، يدل على طبيعة هذا الجيش القمعية واستعداده لتنفيذ المهمات الداخلية .

ويؤمن سلاح المدرعات الاسرائيلي حمايته الجوية بالمدافع م/ط . ولكنه يعتمد في حمايته الجوية اساسا على سيطرة السلاح الجوي الاسرائيلي الذي يمنع الطائـرات العربية من التحليق في سماء المعركة . اما الدعم الناري فهو يحصل عليه من المدافع ذاتية الحركة (٤٠٠ مدفع من مختلف العيارات) بالاضافة الى دعم الطيران . ويرافق التشكيلات المدرعة عادة مدافع مضادة للدبابات عيار ٩٠ مـم محمولة علـى نصف مجنزرات ومدافع ثنائية عيار ٢٠ مم (رشاشات اوريغان) محمولة على عربات نصف مجنزرة م ــ ٣ قادرة على مرافقة الدبابات وزيادة قدرتها النارية ضد الدبابات .

وتؤمن الخدمات الهندسية الميدانية لقطعات المدرعات الاسرائيلية دبابات كاسحات الغام ، وأخرى مزودة بشفرات بلدوزر (تانك دوزر) ودبابات حاملة جسور لاجتياز الموانع المائية الصغيرة والحفر على الطرقات والخنادق المضادة للدبابات .

وتضم القوات الضاربة الاسرائيلية ايضا ٥ الوية مشاة ميكانيكية تصبح عند دعوة الاحتياط ٩ الوية . وهي محمولة على ناقلات جنود مدرعة م ــ ٣ و م ــ ١١٣ نصف

مجنزرة الامر الذي يعطيها قدرة حركية كبيرة ، ويؤمن لها امكانية مواكبة الدبابات . ولقد اهتمت القيادة الاسرائيلية بزيادة عدد الوية المشاة الميكانيكية ضمن خطة تستهدف الغاء الوية المشاة العادية التي لا تتلاءم كثيرا مع حرب الحركة السريعة الخاطفة في الصحراء .

وترافق الوية المشاة الميكانيكية الدبابات بغية مساعدتها وتدمير المقاومات امامها . وقد تستخدم هذه الالوية لتنفيذ مهمات خاصة على محاور ثانوية ، وتدعم في هذه الحالة بالدبابات ومدفعية الميدان ذاتية الحركة والصواريخ المضادة للدبابات والطائرات . وتمتاز ناقلات الجنود المدرعة المستخدمة في هذه الالوية بأنها مجنزرة او نصف مجنزرة قادرة على الحركة في الصحراء. بيد ان الناقلات المدرعة من طراز م ــ ٣ نصف المجنزرة ضعيفة التصفيح ويمكن لنيران الرشاشات الثقيلة خرقها .

ويكمل القوة الضاربة الاسرائيلية ١ــ٢ لواء مظلات يتحول عند التعبئة العامة الى ٥ــ٦ ألوية . ولا تملك اسرائيل طائرات نقل وطائرات هليكوبتر لنقل كل هذه القوات دفعة واحدة . ولكنها تملك ما يؤمن نقل لوائين معا . ولقد استخدمت اسرائيل قواتها المحمولة جوا في المجابهات السابقة كقوات كوماندوس محمولة على عربات مدرعة ودفعتها لتطهير المدن بمساعدة الدبابات . كما استخدمتها في عمليات مظلية صغيرة محدودة ضد الجيوش العربية وضد قوات الثورة الفلسطينية . ولكنها لم تستخدمها حتى اليوم في عمليات مظلية كبيرة ذات مهمات استراتيجية .

وتدل تصريحات القادة الاسرائيليين على أنهم ينوون زيادة حجم قواتهم المحمولة جوا، ورفع مستوى قدرتها القتالية، وتزويدها بأسلحة ثقيلة وأسلحة ضد الدبابات والطائرات واستخدام طائرات الهليكوبتر المزودة بالرشاشات والصواريخ جو ــ ارض لدعم المظليين العاملين على الارض بقوة نارية فعالة ، واعداد اسطول من طائرات النقل وطائرات الهليكوبتر لنقل اعتدة ثقيلة (مدفعية ــ دبابات ــ عربات . . . الخ) وامدادات وانزالها في مسرح عمليات المظليين . الامر الذي يشير الى احتمالات استخدام المظليين على نطاق واسع وداخل تشكيلات كبيرة لتحقيق المفاجآت الاستراتيجية في عمق الاراضي العربية .

وبالرغم من رغبة اسرائيل في الغاء سلاح المشاة وتحويله الى مشاة ميكانيكية تابعة للمدرعات والوية مظلات فلا يزال لدى هذا الجيش ٥ الوية مشاة عاملة مدعومة بالمدفعية والدبابات والمهندسين . وتستخدم هذه الالوية للدفاع على المحاور الثانوية او لتطهير المدن او في الانساق الخلفية للهجوم . ويمكن اعتبارها اضعف وحدات العدو واقلها ملاءمة للحرب الخاطفة .

ولا تهتم اسرائيل اهتماما كافيا بالمدفعية . وليس في جيشها أعداد كبيرة من المدافع المقطورة ، ومعظم مدفعيتها ذاتية الحركة . ويرجع التوجه نحو المدافع ذاتية الحركة الى الرغبة في استخدام المدافع القادرة على مسايرة تقدم الوحدات المدرعة والميكانيكية . أما ضعف المدفعية النسبي فيرجع الىاعتماد اسرائيل على الدعم الناري الجوي .

ويعتمد الدفاع الاسرائيلي المضاد للدبابات على المدافع المضادة ذاتية الحركة والمدافع ١٠٦ عديمة الارتداد المحمولة على سيارات جيب بالاضافة الى الصواريخ س س ــ ١٠ وس س ــ ١١ وكوبرا الثابتة او المحمولة على عربات نصف مجنزرة . ولا يبدو ان الجيش الاسرائيلي يولي المدافع المقطورة المضادة للدبابات اهتماما كبيرا .

اما المدفعية الارضية المضادة للطائرات فهي اضعف أسلحة العدو ، وتضم مدافع من عيار ٢٠ و ٣٠ و ٤٠ مم . وكلها موزعة على التشكيلات القتالية او ضمن وحدات خاصة

للدفاع عن المنشآت الحيوية . وتتمثل القوة الاساسية في الدفاع الجوي الاسرائيلي في صواريخ هوك المعدة لحماية أهم النقاط الحيوية . ولا يرى الاسرائيليون ان هناك ضرورة لتقوية دفاعهم الارضي ضد الطائرات طالما أنهم يتمتعون بالتفوق الجوي الذي يؤمن الحماية ضد الطائرات وفق مبدأ الطائرة ضد الطائرة .

وتتوزع وحدات المهندسين القتالية الى سرايا مهندسين ملحقة عضويا بألوية المشاة والدبابات والمظليين، وكتائب مهندسين قتالية مستقلة وكتائب مهندسين للمهمات الخاصة وتوضع هذه الكتائب تحت تصرف قيادات الجبهات لتنفيذ مهمات محددة لصالح الجبهة او لتدعم بها التشكيلات القتالية حسب طبيعة المهمة المكلفة بها .

ويضم الجيش الاسرائيلي وحدات كيميائية للتطهير ووحدات قاذفات لهب ، وهي موزعة على ألوية الجيش أو مجمعة داخل وحدات احتياطية تستخدم للقيام بمهمات خاصة او لتلحق بالتشكيلات القتالية .

الطيران :

يملك الطيران الاسرائيلي بالاضافة الى طائرات النقل والهليكوبتر ٤٣٢ طائرة مقاتلة منها ٣١٥ طائرة صف اول : ١٠٠ طائرة قاذفة ــ مقاتلة فانتوم ، ٣٥ طائرة قاذفة مقاتلة ميراج ــ ٣ سي ، و ١٦٥ طائرة هجوم ارضي سكايهوك .

ويبني الاسرائيليون نظرياتهم العسكرية في الامن والرد والردع على امتلاك التفوق الجوي الساحق القادر على حسم المعركة في الاراضي المكشوفة او خلق افضل الظروف القتالية الملائمة لعمل القوات البرية بشكل يرفع كفاءة هذه القوات ويعطيها تفوقا يزيد عن حجمها الحقيقي بمرتين او ثلاث مرات .

وبالرغم من قلة عدد الطائرات الاسرائيلية فانها تملك قوة نارية كبيرة . وتستطيع طائرات الصف الاول ان تحمل في طلعة واحدة (حمولة كاملة) ١٥١٣ طنا من القنابل ، كما تستطيع طائرات الصف الثاني حمل ٧٧ طنا . ومن المؤكد ان وجود ١٠٠ طائرة قاذفة ــ مقاتلة فانتوم ذات السرعة العالية والمزودة بصواريخ سبارو وسايدوندر واجهزة متطورة والتي يقودها طياران قادران على الافادة معا من هذه الاجهزة بشكل افضل يدخل عاملا جديدا في حسابات الميزان الجوي .

ويعتمد سلاح الطيران على القاذفات ــ المقاتلة (فانتوم وميراج) القادرة على القيام بمهمات الدفاع الجوي ومهمات القصف في العمق العملياتي والاستراتيجي ، ويدعم قواته البرية في مسرح المعركة بطائرات السكايهوك المعدة للهجوم الارضي . ويمكنه استخدام طائرات الصف الثاني مستير وسوبر مستير وأوريغان القاذفة المعترضة لدعم القوات البرية في حالة السيطرة الجوية الكاملة ، او في حالة السيطرة الجوية في مسرح محدد وزمن معين .

ويسهل وجود القاذفات ــ المقاتلة مهمات الطيران الاسرائيلي ويخفف من تعقيدات استخدام هذا السلاح ويعطي اسرائيل قدرة على القصف في العمق تفوق قدرة اسلحة الطيران العربية خاصة وان طائرة الفانتوم تعتبر حاليا من طائرات التفوق .

ولوجود طائرات الفانتوم تأثير آخر أيضا . ويتمثل هذا التأثير في منع الطائرات ميغ ــ ٢١ من تنفيذ مهمتها عند اعتراض طائرات الميراج والسكايهوك وطائرات الصف الثاني . لان كل مجابهة تتم بين هذه الطائرات الاسرائيلية وطائرات الميغ ــ ٢١ تنقلب الى مجابهة بين الميغ ــ ٢١ والفانتوم التي تشكل مظلة حماية . وهي مجابهة لصالح الفانتوم لانها اسرع من الميغ ــ ٢١ وتملك أجهزة اكثر تطورا وصواريخ ابعد مدى واكثر عددا . ولكن هذه المجابهة ستكون لصالح الطيران العربي في حالتين : ١) ان يحصل

هذا الطيران على طائرات ميغ ــ ٢٥ او طائرات سوخوي ــ ١١ وهي مقاتلة معترضة تملك سرعة اكبر من سرعة الفانتوم ، واجهزة متطورة ، وصواريخ حديثة ، ٢) اذا ما تم تنسيق جيد بين طائرات الميغ ــ ٢١ وبطاريات صواريخ ارض ــ جو سام من مختلف الانواع .

وتستطيع طائرات الصف الاول الاسرائيلية العمل فور بدء الاشتباكات كما ان التفوق الجوي الاسرائيلي يسمح باستخدام طائرات الصف الثاني منذ البداية تحت حماية مظلة جوية من طائرات الفانتوم .

ويقدر الاسرائيليون ان طائراتهم قادرة على القيام بست طلعات جوية في اليوم ، ولقد كان بوسعهم في عام ١٩٦٧ القيام بعدد أكبر من الطلعات نظرا لقرب مسارح العمليات . اما اليوم وبعد اتساع مسارح العمليات فاننا نعتقد ان قدرة الطيران الاسرائيلي على القيام بست طلعات جوية يوميا أمر فيه بعض المبالغة .

وتستخدم الطائرات الاسرائيلية القنابل العادية وقنابل النابالم والصواريخ جو ــ جو (سبارو ، وسايدوندر ، وشفرير) والقذائف الصاروخية جو ــ أرض بالاضافة الى القنابل الانزلاقية ، والقنابل المتأخرة الانفجار ، والقنابل المنفلقة المضادة للاشخاص ، وقنابل شرايك المضادة للرادار .

البحرية :

تملك اسرائيل سلاحا بحريا صغيرا (٥٩ قطعة) بالنسبة للبحرية المصرية والسورية معا ، وبالنسبة لطول شواطىء الارض المحتلة وضرورة العمل في بحرين منفصلين .

وبالرغم من ضعف البحرية الاسرائيلية النسبي فقد قامت في المجابهات الماضية بأكثر من عملية بحرية بفضل التفوق الجوي الذي كان يحرم البحرية العربية من حرية الحركة . ولا تعتمد البحرية الاسرائيلية على المدمــرات او الغواصات بل تعتمد علــى زوارق الطوربيد وزوارق الصواريخ المزودة بصواريخ غبرئيل .

ان حجم البحرية الاسرائيلية ونوعيتها ، وميزان القوى البحري لا يسمحان للبحرية الاسرائيلية الا بالقيام بمهمة الدفاع عن الشواطىء ، وببعض عمليات انزال محدودة او عمليات كوماندوس بحرية خاصة . بيد ان اختلال ميزان القوى الجوية سيجعلها قادرة على القيام بعمليات تفوق امكاناتها ، وسيساعدها على التحرك الى مسافات ما كانت لتجرؤ على التحرك اليها في ظل ميزان قوى جوي عادي .

مواقف عالمية من الحرب

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية خلال المواجهة الجديدة مع العدو الاسرائيلي مجموعة من الدراسات والتقارير في سلسلة « النشرات السياسية الخاصة » دار معظمها حول ردود الفعل العالمية ومواقف الكتل المختلفة من الانفجار الاخير وملابساته السياسية والاعلامية على هذا الصعيد . وكانت هذه النشرات تطمح في النهاية الى تغطية واسعة لاصداء هذه الحرب وترتباتها . الا ان ما صدر منها حتى الان وما ينشر هنا لا يفي بالغرض هذا ويكتفي بتغطية بعض الدول والمناطق وبطرح بعض القضايا الجزئية . ويهمنا ان نؤكد هنا ان المواجهة الاخيرة — مهما قصرت واكتنف الغموض بعض جوانبها السياسية — ستغير الكثير من الموازين والاوضاع في المنطقة وعلى الصعيد الدولي (وقد نتطرق لاحقا لهذا الجانب) . فالحرب عبارة عن عمل سياسي مكثف في المحتوى والزمان . ولهذا يجدر بنا ان نتابع بدقة كافة الاصداء وردود الفعل التي تنشا من اندلاعها واستمرارها . وقد شارك في اعداد هذه التقارير (بالترتيب الابجدي) : رفعت ابو العون ، داود تلحمي ، سعيد جواد ، عواطف عبد الرحمن ، محمد نصر وجميل هلال .

(١) الموقف السوفياتي من الحرب من خلال الصحافة السوفياتية

ان المتتبع للصحافة السوفياتية منذ مطلع عام ١٩٧٣ يلاحظ اهتمام السوفييت بالتحشدات الاسرائيلية على حدود كل من سوريا ولبنان واستفزازات اسرائيل الدائمة ضد لبنان وسوريا . فان صحفهم لا تكاد تخلو وبشكل دائم من الاشارة لاستفزاز اسرائيل ضد سوريا او لبنان ، وبين الفترة والاخرى نجد تعليقات سياسية حول سياسة اسرائيل العدوانية والتوسعية على حساب الشعوب العربية ، وكذلك تنديد بشكل دائم بسياسة العسكرية الاسرائيلية في المنطقة . هذا اضافة الى موقف السوفييت الثابت من الحركة الصهيونية العالمية ومحاولة فضح اساليبها وزيف ايديولوجيتها وافلاسها ، والترابط العضوي بين كل من الحركة الصهيونية العالمية وحكام تل أبيب من جهة والامبريالية العالمية من جهة ثانية ، وفق ذلك كله فقد صدرت في الصحافة السوفياتية عدة تحليلات للمجتمع الاسرائيلي وحركات الاضرابات الداخلية وتعاظم الجرائم في اسرائيل ونمو جيل منحرف نتيجة السياسة الخاطئة التي تنتهجها العسكرية الصهيونية الحاكمة في اسرائيل ، وتنوه الصحف السوفياتية بين الحين والاخر بدور الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ركاح » في النضال ضد الطغمة الصهيونية الحاكمة في تل ابيب.

كما أن الصحف السوفياتية أبدت اهتماما بالغا هذا العام وبشكل ملحوظ بحركة المقاومة الفلسطينية ، وتابعت باستمرار فضح الجرائم الاسرائيلية التي ارتكبت وترتكب ضد المخيمات الفلسطينية وضد قادة حركة المقاومة الفلسطينية في لبنان .

وكان أبرز ما اولته الصحافة السوفياتية اهتمامها حادث العدوان ضد البداوي ونهر البارز وعملية الانزال الاسرائيلية ضد هذين المخيمين ، وقد كتب عدة معلقين

سوفييت مقالات حول هذا الحادث منددين بالسياسة الاجرامية لاسرائيل وحكامهـا الصهاينة . ثم حادثة اغتيال القادة ابو يوسف ، كمال ناصر ، كمال عدوان ، ونسف مكتب الجبهة الديمقراطية في الفاكهاني ، وحوادث الاغتيال التي تمت في دول اوروبية . وقد اتهمت الصحف السوفياتية دوائر المخابرات الاسرائيلية وعملائها بأنها تقف وراء مثل هذه الحوادث الاجرامية . وكذلك حوادث التعرض للطائرات العربية (الطـائرة الليبية ، الطائرة العراقية ، الطائرة اللبنانية) .

وكانت لصحافة السوفياتية باستمرار تحذر اسرائيل من نتيجة اللعب بالنار وتطالب بوقف مثل هذه السياسة التي ستكون دمارا على اسرائيل ، وقد نوهت الصحف بدور الامبريالية العالمية في دعم اسرائيل وتشجيعها لارتكاب مثل هذه الاعمال .

والتزمت الصحافة السوفياتية في الاونة الاخيرة سياسة فضح اسرائيل في افريقيا ووعي قادة حركة التحرر في افريقيا لدور اسرائيل التآمري مع حكام جنوب أفريقيـا العنصريين ، وركزت الصحافة السوفياتية على عملية قطع العلاقات الدبلوماسية بين عدة دول افريقية واسرائيل نتيجة انفضاح مواقف اسرائيـل العدوانية والتآمريـة العنصريـة .

كما أبرزت وكالات الانباء السوفياتية والصحف السوفياتية خطابات الوفود التـي نددت باسرائيل في الامم المتحدة معتبرة اياها بؤرة حرب في الشرق الاوسط . وجاء ذلك في مقال بعنوان « يجب اخماد بؤرة الحرب في الشرق الادنى » بقلم معلـق بوكالة نوفستي بليشفسكي بتاريخ ٧٣/١٠/٦ .

كما ركزت وكالة نوفستي في مقال حول رسالة تفضح زيف الادعاءات الصهيونية من مهاجر يهودي روسي هارب من اسرائيل . تحت عنوان : « مهاجر يهودي هرب مـن اسرائيل يتحدث عن الحياة في تلك البلاد » .

ويوم ١٩٧٣/١٠/٧ اهتمت الصحافة السوفياتية بشكل مثير باحـداث الشرق الاوسط وفي صفحاتها الاولى وبعناوين بارزة ادانت العدوان الاسرائيلي الصهيوني ضد الشعوب العربية .

فقد كتبت جريدة البرافدا يوم ٧٣/١٠/٧ في عرضها للاحداث الدولية تقول : «اليوم حيث تقدم الانفراج وازداد الامن تعززا بفضل نمو القوة والتأثـير الدولي للاتحـــاد السوفياتي وكل الاسرة الاشتراكية ولسياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية النشيطة ونضال كل الشعوب الشغوفة بالسلم ، تقوم قوى الرجعية والعدوان الصهيونيـة باعتداءات جديدة على سلم الشعوب وحريتها واستقلالها . فيوم أمس هاجمت القوات الاسرائيلية ، بعد اعداد دقيق وتعبئة الاحتياط ، مصر وسوريا وكانت الصحافة العالمية الاجنبية قد تحدثت قبل عدة أيام متوالية عن احتمال مثل هذا الهجوم . وان معـارك شديدة يشترك فيها الطيران والمدفعية والمشاة والمدرعات تجري على طول خط وقف اطلاق النار مع سوريا وعلى طول جبهة قناة السويس .. »

واستمرت تعليقات البرافدا مدينة العدوان الصهيوني وكذلك الازفستيا وكل الصحف السوفياتية مثل النجم الاحمر ، وجريدة الترود ، والكمسومولسكيا برافدا وغيرها .

ويوم ١٩٧٣/١٠/٨ نشرت كل الصحف السوفياتية بيان الحكومة السوفياتية الذي أشارت فيه الى « ان مسؤولية التطور الحالي في الشرق الادنى والاحداث الجـارية هناك ونتائجها تقع بكاملها على اسرائيل وعلى تلك الاوساط الرجعية الخارجية التي تتساهل دوما مع اسرائيل في مطامعها العدوانية . » وأشار كذلك بيـان الحكومـة السوفياتية الى « ان الاتحاد السوفياتي اذ يدين سياسة اسرائيل الاحتلالية يدعم بحزم

المطالب المشروعة للدول العربية حول تحرير كافة الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧ » .

كما نشرت البرافدا وغيرها من الصحف السوفياتية بيان اللجنة السوفياتية لتضامن بلدان آسيا وافريقيا ، والذي توجهت فيه اللجنة السوفياتية الى جميع القوى المحبة للسلام وكافة المنظمات والحركات الديمقراطية في العالم بنداء تدعو فيه الى « تشديد دعمها للنضال الباسل الذي تخوضه شعوب مصر وسوريا دفاعا عن حرية واستقلال وسلامة اراضي بلديهما » .

وكتب معلق في صحيفة البرافدا مقالا حول «الاعمال العدوانية الجديدة التي قامت بها اسرائيل» . والمعلق هو فلاديمير يرماكوف وجاء في التعليق « ان « صقور » تل ابيب سلكوا من جديد طريق الاعمال العدوانية وتحدوا بذلك كافة القوى المحبة للسلام . واحدثوا في الشرق الادنى وضعا مشحونا بأخطر العواقب » .

أما معلق وكالة انباء نوفوستي فكتب يوم ١٠/٨ مقالا بعنوان « اسرائيل كانت تسير بخط مستقيم نحو عدوان جديد » . وجاء في التعليق : « قبل بضعة أيام من الاحداث التي بدات يوم ١٠/٦ فضحت تل أبيب نفسها تماما بتكرارها كل اساليب الدعاية التي مارستها خلال اعداد عدوان سنة ١٩٦٧ ، فكما في ذلك الحين أرادت الصحافة الصهيونية ان تظهر اسرائيل وكأنها « عرضة لهجوم محتمل » وبهذه الذريعة اعلنت وزارة ديان التعبئة العامة وحشدت وحدات هامة على طول خط وقف اطلاق النار مع الدول العربية المجاورة ... الخ » .

واستمر المعلق في فضح سياسة اسرائيل الارهابية وفي عمليات تسميم المزروعات في منطقة نابلس وارهابها ضد شعب فلسطين داخل الارض المحتلة وخارجها .

وحدد مسار السياسة الاسرائيلية العدوانية في ثلاثة اتجاهات هي :

أ) احباط كل الاعمال والمبادرات الرامية الى تسوية نزاع الشرق الادنى بالطرق السلمية .

٢) تحويل الاراضي العربية المحتلة الى نهب اقتصادي لاسرائيل ومن ثم تهويدها تدريجيا خلافا وانتهاكاً للقانون الدولي .

٣) ممارسة الارهاب ضد البلدان العربية وضد الوطنيين من الشعب الفلسطيني .

ومراقب سياسي اخر ستروخانوف في الوكالات السوفياتية كتب تعليقا بعنوان : « الاتحاد السوفياتي يدعم قضية العرب العادلة » . يتطرق التعليق حول مواقف السوفييت المؤيدة للعرب في مختلف المجالات وكذلك محادثات بريجينيف ونيكسون وتأكيد بريجينيف على ضرورة حل النزاع بالطرق السلمية مع احترام الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وتطرق التعليق كذلك لخطاب بريجينيف في بلغاريا في ١٩ نيسان سنة ١٩٧٣ حيث أكد على احترام حقوق كل الشعوب في تقرير مصيرها ومن ضمنها الشعب العربي الفلسطيني .

وركزت وكالات الانباء والصحف السوفياتية يوم ١٠/٨ على تزايد عزلة اسرائيل في المجتمع الدولي .

ويومي ٩ و١٠/١٠ اكدت الصحف على بيان الحكومة السوفياتية وعلى مواقف السوفييت المستنكرة للعدوان الاسرائيلي والمؤيدة للشعوب العربية في النضال لدحر العدوان . وخصصت الصحف ، خاصة البرافدا مجالا لنشر بيان من النقابات السوفياتية ضد العدوان ومن اجل تأييد ودعم الشعوب العربية وشعب فلسطين وحقوقه العادلة .

وتحت عنوان « يجب لجم المعتدين الاسرائيليين » كتب المراسل والمندوب الخاص لصحيفة الجمهورية القاهرية الرفيق دافيدوف من موسكو حول موقف الراي العام السوفياتي من العدوان الاخير ضد مصر وسوريا ، ونقل آراء دكاترة واساتذة جامعات في موسكو حول العدوان وضرورة دعم الشعوب العربية لدحر العدوان . والمعلق « ميدفيدكو » كتب مقالا حول العدوان تحت عنوان « دروس تلقن للمعتدين » اكد على طبيعة اسرائيل العدوانية وعلى عدوانها الاخير وارتباطه بعدوان سنة ١٩٦٧ وعرقلة اسرائيل لاية تسوية لازمة الشرق الاوسط . وأكد على ضرورة دعم الشعوب العربية من أجل تحرير اراضيها .

وفي يوم ١١/١٠ كانت أبرز عناوين الصحف حول العدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية ، وخصص المعلقون جزءا كبيرا من الصحف لتعليقاتهم فالمعلق السياسي لوكالة نوفستي كتب تحت عنوان « اسرائيل تحصد ما زرعت » : « ان القصف البربري لمدينة دمشق من قبل الطيران الاسرائيلي الذي ادى لوقوع ضحايا بين السكان المدنيين والدبلوماسيين ليس أبدا حادثا عرضيا في هذه الحرب ، فقد كانت اسرائيل منذ البداية سنة ١٩٤٨ معتديا وقحا لا تتورع عن استخدام اي وسيلة للتوصل الى اغراضها التوسعية : اغتصاب الاراضي العربية بالقوة ، الارهاب ، طرد السكان العرب بالقوة، التوسع الصارخ بذريعة استصلاح أراض جديدة الخ . . . »

واما معلق ازفستيا « كوربافين » فيكتب تحت عنوان « تل ابيب تلعب النار » يعلق على تصريحات وزير خارجية اسرائيل عن السلام في الامم المتحدة ومحتواها الفارغ من اي معنى او أية قيمة ، ثم يتحدث عن اعتداءات اسرائيل المتكررة على الدول العربية ، وعن الدعم من وراء المحيط لاسرائيل في اعتداءاتها ويقصد بذلك طبعا الولايات المتحدة ، ويتحدث عن العلاقات العربية السوفياتية وقوة الصداقة وتأثير هذه الصداقة في صد اي عدوان ضد العرب ، وعن الحرب النفسية التي تشنها اسرائيل وحماتها الامبرياليين ضد العرب . ثم يأتي على الموقف المبدئي للاتحاد السوفياتي في دعم الامة العربية بنضالها من أجل تحرير اراضيها المحتلة عام ١٩٦٧ ومن أجل استعادة حقوق شعب فلسطين المشروعة وحق تقرير المصير لهذا الشعب .

ومعلق اخر في صحيفة ازفستيا « ماتغيف » يعلق تحت عنوان «ثم الرعونة» ويهاجم السياسة الاسرائيلية بشدة ليقول « ان الطغمة العسكرية الاسرائيلية تحارب لتحقيق اغراض احتلالية وتوسعية ، في حين ان القوات المسلحة المصرية والسورية والمستندة الى دعم متعاظم من جانب سائر البلدان العربية ، تخوض النضال في سبيل استرجاع اراضيها وحقوقها المشروعة » .

وفي ختام التعليق يقول ماتغيف :

ليس هناك ثمة سبيل اخر من اجل السلم في الشرق الادنى « ويؤكد في سياق التعليق على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني . .

وتنشر صحيفة « موسكو المساء » رسائل من مهندسين واطباء سوفييت ينددون بالعدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية وفي سبيل التوسع ، ويؤيدون نضال الشعوب العربية لدحر العدوان .

وصحيفة « الترود » الناطقة باسم اللجنة المركزية للنقابات السوفياتية تؤكد في مقال طويل على ضرورة نضال الشعوب العربية لتحرير اراضيها ، وتؤكد على حقوق شعب فلسطين ايضا . وتهاجم بشدة العدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية ، وضرورة انهاء مثل هذه الاعتداءات ووضع حد نهائي لها . وتؤكد على أن اسرائيل هي بؤرة

الحرب والتوتر بالمنطقة . وكذلك تؤكد وكالات الانباء علـى بيـان جمعية الصداقة والتضامن مع الشعوب والبلدان العربية والداعي لانهاء العدوان الاسرائيلي ضـد الشعوب العربية واعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة وحق تقرير مصيره .

(٢) المانيا الديموقراطية والحرب

في ٨/١٠ أصدر المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحـد بالاشتراك مع مجلس الدولة ومجلس الوزراء في جمهورية المانيا الديموقراطية بيانـا جاء فيه :

« ان الوضع في الشرق الاوسط يتصف منذ سنوات بالتوتر نتيجة لسياسة اسرائيل العدوانية المتواصلة تجاه الدول والشعوب العربية ...

وخلال الايام القليلة الماضية عبأت اسرائيل قوات الاحتياط وزادت من حدة الوضع بتصريحات مختلفة من قادتها وحشدت قوات كبيرة على طول خطوط وقف اطلاق النار مع سوريا ومصر ، ثم بدأت اخيرا بالعمليات العسكرية ...

ان مطالب الدول العربية بانسحاب المعتدي الاسرائيلي من جميع المنـاطق العربية المحتلة عام ١٩٦٧ **وتلبية المطالب العادلة للشعب العربي الفلسطيني** تحظى بمساندة جميع القوى المحبة للسلام في العالم ومنها جمهورية المانيا الديموقراطية .. » .

وفي اليوم نفسه ، ابلغ اريش هونيكر السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب سفراء كل من مصر وسوريا والعراق نص هذا البيان و« تأكيد وقوف الحـزب الاشتراكي الالماني الموحد وشعب جمهورية المانيا الديموقراطية بثبات الى جانب الشعوب العربية» حسب تعبير وكالة انباء (ا. د. ن) .

وفي حفل استقبال بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لتأسيس الجمهورية ، تكلم فيلي شتوف رئيس مجلس الدولة مستنكرا بشدة سياسة اسرائيل العدوانية ومبديا تضامن الحزب والدولة مع « الشعوب العربية المناضلة من أجل قضيتها العادلة بما فيها الشعب العربي الفلسطيني » .

واثناء اجتماعه في اولان باتور مع السكرتير الاول للجنة المركزية لحـزب الشعب الثوري المنغولي تسيدنبال ، اعرب اريش هونيكر مجددا عن دعم بـلاده « لقضية الشعب العربي » مضيفا : « اننا نقدم تضامننا ومساندتنا السياسية والمادية لضحايا العدوان الاسرائيلي » .

وبالفعل ذكرت وكالة (ا.د.ن) في عدد ١١/١٠ ان حكومة المانيا الديموقراطية اتخذت « قرارا بتقديم كميات كبيرة من بلازما الدم والعقاقير الطبية لحكومتي مصر وسوريـا وذلك دعما للنضال المرير والعادل الذي تخوضه الشعوب العربية ضـد المعتديـن الاسرائيليين ... وتبرع منذ السادس من تشرين الاول العديد من مواطني المانيـا الديموقراطية بالدم تعبيرا عن نضالهم ... »

كما نشرت الوكالة نص بيان اصدره **اتحاد النقابات الالمانية الحرة** ووجهـه الـى الاتحاد العام لنقابات العمال العرب ويعلن فيه تضامن العمال في المانيا الديموقراطية مع عمال وشعوب الدول العربية « وخاصة المهددة منها بالعدوان » ونشرت بيانا اخر اصدرته منظمتا الشبيبة الالمانية الحرة (التي اشرفت على مهرجان برلين في الصيـف الماضي) والرواد الصغار يحمل مساندة « الجيل الجديد » للمطالب العربية .

وقد اتخذت منظمات سياسية وجماهيرية اخرى مواقف مشابهة نشير بينها الـى

موقف الحزب الديموقراطي الليبرالي الالماني (وهو احد احزاب الجبهة الوطنية في المانيا الديموقراطية ويضم بعض الرأسماليين والمثقفين والفلاحين) الذي ندد بالسياسة التوسعية لاسرائيل وطالب بتطبيق قرارات الامم المتحدة وتصفية بؤرة الحرب في الشرق الاوسط (تاس ١٠/١٢) .

وقد رددت الصحف خط التضامن من هذا منددة بالعدوان الاسرائيلي ومركزة على تهديد اسرائيل لامن المنطقة وللسلام الدولي .

فكتبت صحيفة « برلين تسايتونغ » الواسعة الانتشار تعليقا في عدد ١٠/٨ جاء فيه « ان الاعتداء الغاشم موجه بشكل متعمد ضد الحل السياسي العادل لمشكلة الشرق الاوسط والذي **ظهرت في هذا الوقت شروط دولية ملائمة له** » .

وذكرت كبرى صحف المانيا الديموقراطية « نويس دويتشلاند » في ١٠/٩ ان « ازالة البؤرة الخطرة للحرب والازمات في الشرق الاوسط على اساس الانسحاب الكامل للمعتدين الاسرائيليين من جميع الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ وضمان الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني تشكل ضرورة لازمة لصيانة السلام العالمي » ، وان « مثل هذه التسوية هي في المصلحة المبدئية لجميع الشعوب التي رحبت بعملية تخفيف التوتر الدولي التي برزت للوجود في المدة الاخيرة » .

وفي مقالها الافتتاحي يوم ١٠/٩ ذكرت جريدة « نويه تسايت » ان المسؤولين عن الانفجار الحالي « هم انفسهم اولئك الذين انتهجوا **منذ ساعة ولادة دولة اسرائيل** سياسة عدوانية ضد الجيران العرب باعتبارها مبدأ للدولة ... »

واثارت صحيفة برلين المسائية الصادرة بعد ظهر ١٠/٨ نفس القضايا مشيرة الى ان « الجمعية العامة للامم المتحدة **ومؤتمر القمة لدول عدم الانحياز** اظهرا بوضوح العزلة الدولية لزمرة دايان » ، ومنددة بصحافة المانيا الاتحادية الرجعية وخاصة صحافة شبرنغر المؤيدة لاسرائيل .

وتحدثت صحيفة « هوريتسونت » الاسبوعية (ا.د.ن ١٠/١١) بشكل خاص عن نضال الشعب الفلسطيني مؤكدة على « ان النضال من اجل احترام الاستقلال والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني اصبح بصورة متزايدة عاملا جوهريا مشجعا لحركة الشعوب العربية ... » وعلى ان « مشاكل الشرق الاوسط لا يمكن حلها كما لا يمكن ازالة آثار العدوان الاسرائيلي دون مراعاة **المصالح الحيوية** للشعب الفلسطيني » ، مضيفة ان « منظمة التحرير الفلسطينية تعارض بصورة متزايدة المحاولات الرامية الى فصل الحركة الفلسطينية عن حلفائها الطبيعيين في النضال ضد الامبريالية » .

وقد أثارت معظم صحف المانيا الديموقراطية وسائر وسائل الاعلام تحيز الصحف والحكومة في المانيا الاتحادية لجانب اسرائيل . وقد ابرز بعضها تصريحا للاخ ياسر عرفات بهذا الاتجاه .

وباختصار نستطيع ان نقول ان الموقف الالماني الديموقراطي من القضايا العربية موقف قوي . واذا اخذنا بعين الاعتبار قيمة الكلمات في البيانات الرسمية فان عبارة « تلبية المطالب العادلة للشعب العربي الفلسطيني » في البيان الحكومي والحزبي عن الحرب تظهر تأييدا متقدما (مقارنة مع عبارات « الحقوق الشرعية » او « الحقوق القومية » او « الثابتة » الخ) . ولا بد من التذكير بأن المانيا الديموقراطية سمحت مؤخرا بفتح مكتب لمنظمة التحرير في برلين واستقبلت الاخ ياسر عرفات رسميا اكثر من مرة .

(٣) الصحافة الالمانية الغربية والحرب

من أبرز صحف المانيا الغربية صحيفة « سودويتش تسايتونغ » اليومية الصباحية الواسعة الانتشار والنفوذ التي تصدر في ميونيخ وتجد صدى كبيرا لدى المثقفين .

وهي في مجمل سياساتها المحلية والاوروبية والعالمية ، ذات صبغة ليبرالية تعكس آراء الحزب الديموقراطي الاشتراكي الحاكم في بون ، او على الاقل تمثل بدقة مواقف الجناح الليبرالي فيه .

وبالنسبة للقضية الفلسطينية ، فان الصحيفة معروفة بانحيازها الى الجانب الاسرائيلي . وفيما يتعلق بالحرب العربية ـ الاسرائيلية الدائرة حاليا ، فان الصحيفة سارت على سياستها التقليدية من الصراع ، واظهرت في أنبائها وتحليلاتها وحتى في رسومها الكاريكاتيرية (خاصة في الايام الاولى من القتال) انحيازا الى جانب وجهة النظر الاسرائيلية ، مؤكدة التزامها ببقاء « اسرائيل » ، مظهرة اهتمامها بما يسمى « أمن اسرائيل » ، متعاطفة مع قواتها المحاربة في الميدان .

على ان الصحيفة تعود ، في الايام التالية ، وتحت تأثير الضربات الموجعة التي نالتها الآلة العسكرية الصهيونية ، وبفعل أثبات القوات المسلحة العربية لوجودها ، الى شيء من مراجعة النفس ، لا يمس السياسة العامة للصحيفة ، بقدر ما يمثل موقفا « أكثر عقلانية » في تأييد « اسرائيل » ، وذلك يظهر خاصة حين تجد الصحيفة نفسها مضطرة الى الاعتراف بالواقع العسكري الجديد ، ناصبة من نفسها صديقا مخلصا لاسرائيل ينصحها بشيء من بعد النظر والواقعية والمرونة في تعاملها مع العرب ، والاقلاع عن النصاب الذي لا يؤدي الا الى « زيادة الاتجاهات الراديكالية والتضامن بين العرب ، وهو الامر الذي لا يلائم مصالح اسرائيل ، ولا يلائم مصالحنا أيضا !! » ـ اي مصالح الغرب بصورة عامة ـ !

وفي يوم ١٠/٨ نشرت رسما كاريكاتيريا ظهر فيه جندي مصري يقفز فوق قناة السويس ... ليقع في شرك مصيدة اسرائيلية ! وفي تحليلها السياسي أعطت البيانات الاسرائيلية قدرا من الاهتمام أكبر مما أعطت للتقارير العربية . وأشارت الى ان « اسرائيل » تجد نفسها ـ مرة أخرى ـ مضطرة للدفاع عن نفسها (!) امام معسكر عربي متضامن هذه المرة . وفي مغالطة فادحة قالت : « ونحن في الدول الغربية ساهمنا في تمويل الصدام بالاموال التي ندفعها ثمنا للنفط » !!

لكن الصحيفة غير مقتنعة بجدية التضامن العربي ، وتؤكد أن الدول العربية تفضل الاهتمام بمصالحها الخاصة ، بدلا من الاهتمام بالقضايا المشتركة !

وفي رأيها ان المفارقة المحزنة ان هذه الحرب ـ كما تريدها الاطراف الدولية ـ هي السبيل الوحيد لكسر جمود الموقف والسعي نحو حل سياسي .

وفي رأي الصحيفة ان هذه الحرب وجهت ضربة للدكتور كيسينجر ، وانها ستكون آخر الحروب في النزاع العربي الاسرائيلي .

وتعود في اليوم التالي (١٠/٩) الى نغمة « القاء اسرائيل في البحر » لتؤكد ان الولايات المتحدة ستتدخل اذا ما شعرت ان ذلك ممكن الحدوث .

وبصورة مستهجنة للغاية تربط الصحيفة بين تفوق « اسرائيل » عسكريا ، وبين مصلحة السلام العالمي ، ففي رأيها ان اختلال التوازن العسكري لغير مصلحة « اسرائيل » يهدد السلام العالمي !!

وكما فعلت بالامس ، فانها تحاول اليوم أيضا أن تثير الحساسيات بين الدول العربية،

فتزعم ان القذافي لا مصلحة له في ان يربح السادات الحرب !!

لكن الصحيفة تنصح « اسرائيل » بتهذيب شديد ، ومداورة ، بأن تتعلم كيف تكسب السلام بعد كسب الحرب (!) ، وذلك بالتخفيف من التصلب « الذي يؤدي الى تعاظم الاتجاهات الراديكالية والتضامن في العالم العربي . . . وهو أمر ليس في صالح اسرائيل . . ولا في صالحنا أيضا ! »

وعادت « سودويتش تسايتونغ » في اليوم التالي (١٠/١٠) الى الاعتراف بأن سنوات النكسة لم تضعف معنوياتهم ، بل زادت من قوتها ، وان الحس العسكري العربي قد برز بعد غيابه في « الصورة القديمة للنزاع » .

كما لاحظت ان « اسرائيل » تجد نفسها في الجمعية العامة للامم المتحدة « معزولة سياسيا » .

وفي تعليقها يوم ١٠/١١ لفتت الانظار الى ان هذه الحرب قد فاجأت خبراء الاسلحة في الغرب ، وخاصة بظهور طائرة السوخوي ـــ ٢٠ ذات الاجنحـــة المتحركة في أيدي العرب ـــ على ذمة الجنرال هيرتسوغ !

ومن فلسطين كتب مراسلها مسجلا حالة القلق المتصاعد التي تعم الاسرائيليين بسبب خسائرهم البشرية ، كما سجل ذهول الاسرائيليين بسبب « اكتشافهم » أن « حدودهم » ـــ أي خطوط ١٩٦٧ ـــ لم تكن منيعة كما يفترض امام الهجوم العربي .

وفي مكان آخر تكهنت الصحيفة بأن من « سلبيات » هذه الحرب انها سوف تؤثر على الهجرة اليهودية الى فلسطين !

● اما صحيفة « فرانكفورتر الجماينه » المحافظة الواسعة الانتشار والمقربة مـــن اوساط الحزب الديموقراطي المسيحي المعارض والمعبرة عـــن طبقة رجال الاعمـــال والبورجوازية الكبيرة فذكرت (١٠/٨) ان انتصار « اسرائيل » أمر مفروغ منه ! ولكنها لا تستبعد امكانية نشوب حرب عالمية ثالثة في حالة قيام « اسرائيل » بتدمير نظام الدفاع الجوي السوفياتي في مصر وسوريا « بصورة مخجلة » تثير ردود فعل عنيفة في صفوف القوات المسلحة السوفياتية !

وبرزت العنصرية المعادية للعرب في قولها « وستظهر التطورات مقدار ضآلة تكيف العرب مع متطلبات القرن العشرين ، اذ أنهم لن يستطيعوا استخدام معداتهم العسكرية العصرية بكفاءة ومهارة مثل الاسرائيليين » !

لكن الصحيفة اضطرت ـــ مداورة ـــ يوم ١٠/١٢ الى الاعتراف « ببعض النجاحات العربية » لكنها برأت القيادة السياسية الاسرائيلية من اية مسؤولية ، مشيرة الى اخطاء ارتكبتها القيادة العسكرية الاسرائيلية وعلى رأسها « سوء التقدير » . وتصب الصحيفة جام غضبها على موشي دايان « أسد حرب حزيران » الذي في اعتقادها لم يكن على صواب في قراراته . والصحيفة تتمنى ان تأتي الانتخابات الاسرائيلية الجديدة بممثلي الجيل الجديد « فان ذلك افضل للدولة اليهودية ولامكانات الاستقرار والسلام في الشرق الاوسط » وفي رأيها ان الجيل الاسرائيلي الجديد راغب ـــ وقادر ـــ على خلق سلام دائم مع الاقطار العربية .

واشارت الصحيفة في تقرير عسكري الى قوة التصدي العربي للهجمات الاسرائيلية ، مؤكدة ان « اسرائيل » لم تمتلك حتى الآن في اي من الجبهتين حرية المبادرة والحركة .

كما سجلت الصحيفة ان الدعاية العربية هي الان افضل بكثير من أيام حرب ١٩٦٧ وتصريحات القاء اليهود في البحر ! والى أن العرب قد بدأوا يصدقون ما تقوله اذاعاتهم .

وقالت ان العكس يحدث في « اسرائيل » حيث كلام كثير عن انتصارات « يخرج قبل أوانه بكثير » !

● اما صحيفة « دي فيلت » اليمينية المتطرفة التي تصدر عن مؤسسة شبرنجر الصحفية الضخمة الصهيونية الميول،فان خطها الاعلامي المعادي للعرب لا زال هو نفسه خط عام ١٩٦٧ حيث « اليهودي المسكين مضطر مرة اخرى الى الدفاع عن نفسه » أمام تفوق عربي كاسح ! وحيث البطولات الفردية الاسرائيلية تهزم الكثرة العربية على الجبهتين !

وبطريقة مبتذلة للغاية يكتب مراسلها (١٠/١٢) في فلسطين عن الجنود السوريين المساكين الذين يدفعون الى الموت ، والقتل ، والحرق والدمار ، بينما قادتهم يجلسون في غرف مكيفة الهواء ، يحيطهم الخدم والحشم ، ويكتفون باصدار الاوامر « حتى يتم القاء الاسرائيليين في البحر » !

ومع هذا فان مراسل الصحيفة في سيناء (على الجانب الاسرائيلي) يعترف (١٠/١٥) بأن المصريين كسبوا احتراما كثيرا في أعين الجنود الاسرائيليين ، لكن المراسل يزعم ان احترامهم الحقيقي هو بالفعل للصواريخ السوفياتية المضادة للطائرات !

● اما صحيفة « فرانكفورتر روندتشاو » المستقلة الليبرالية الجادة والمقروءة على نطاق واسع في اوساط طلاب الجامعات ، فدعت (١٠/١٣) اوروبا الى الخروج من موقف المتفرج ، خاصة لتأثرها من تهديدات العرب « النفطية » بصورة رئيسية .

● أما صحيفة « هانوفير شه برس » الليبرالية اليسارية والمحلية الاقليمية فركزت الانظار على كميات الاسلحة الواردة للمنطقة — على الجانبين — من كل من موسكو وواشنطن .

● وفي راي صحيفة « مينشنر ميركور » أن ليونيد بريجنيف يمكنه ان يلحق هزيمة قاصمة بالعرب بصورة أسهل من قدرة ريتشارد نيكسون على ترك الاسرائيليين يواجهون الهزيمة !

وزعمت الصحيفة ان ما أسمته « نكران الجميل والعداء من جانب عملاء موسكو العرب — تقصد الدول العربية الصديقة للاتحاد السوفياتي — ان هذا ترك آثاره على المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي وقراراته بالنسبة للمنطقة » (محاولة مفضوحة للاساءة للعلاقات العربية السوفياتية وهدفها اظهار ان الموقف السوفياتي المؤيد للعرب حاليا هو موقف رجل واحد هو بريجنيف الذي «يخاطر» كما تقول الصحيفة بموقفه الحالي !!) .

● لكن صحيفة « شتوتجارتر تسايتونغ » الليبرالية فقالت ان عجز الدولتين الاعظم والامم المتحدة عن ايقاف الحرب قد عرضها جميعا للشكوى أو للسخرية ! لكن الصحيفة تعود الى شيء من التحليل تخرج منه باستنتاج مؤداه « انه ثبت ان موسكو وواشنطن قادرتان على منع الحروب في ظل بعض الظروف لكن الواقع انه ينبغي عليهما في مناطق معينة السماح بنشوب الحرب حتى لا يتورطان بصورة مباشرة فيها » !

وفي رأي الصحيفة ان هزيمة اسرائيل سوف تكون « شيئا رهيبا » بالنسبة للنفوذ الامريكي !

● «كولينش روند شاو» الصحيفة الاقليمية المحلية تساءلت ما اذا كانت الاستراتيجية العربية تسعى الى نقل النزاع الجديد الى المسرح الدولي؟ ونصحت الصحيفة «اسرائيل» بعدم التوسع في خطوط القتال الى ما وراء خطوط ١٩٦٧ لان ذلك قد يقوي التضامن

العربي ، وقد يفجر معركة النفط ، واضافت « وكونها ضحية عدوان (!) من حق اسرائيل ان تدافع عن خطوط الهدنة المحددة قبل ٦ سنوات ، لكن عليها ان تعترف بأن هذه هي الفضلى وأن تكتفي بها » !

● أما « فرانكفورتر روند شاو » فدعت الى اسكات الاسلحة وبدء المفاوضات وذلك على يد عمل حازم من جانب الدول الكبرى !

وباختصار فان معظم الصحف الكبيرة في المانيا الغربية تتخذ موقفا عدائيا من العرب وتعكس مواقف التيارات السائدة في الحكم والمعارضة .

(٤) فرنسا والحرب

الموقف الفرنسي الرسمي :

انعكست خلال الحرب التناقضات التي تنخر الرسميين الفرنسيين في مواقفهم تجاه القضية الفلسطينية ، انعكست في تصريحاتهم ، رغم الحرص الشديد على ابداء موقف موحد . فرئيس الوزراء (المعروف « بصداقته » لاسرائيل) صرح في اليوم الثاني للمعارك : « ان الجيش ــ مهما كان ــ الذي يبادر في العمليات ، يحقق دائما بعض النجاحات في البداية . وهذه ملاحظة عامة تأكدت في كل الصراعات العسكرية » . وهذه العبارة غير الواضحة عمدا تحمل في طياتها :

ــ اعتبار العرب بادئين في القتال بما انهم هم الذين حققوا النجاحات الاولية .

ــ اعتبار هذه النجاحات مؤقتة ، بما أن الحروب لا تحسمها المعارك الاولى .

وذكرت جريدة لوموند الصادرة في اليوم الثالث للمعارك ان الرئيس بومبيدو يفضل أن يلتزم الصمت (ان « ينتظر ويرى ما سيأتي » على حد تعبيرها) في « قضية ما زالت بعض جوانبها غامضة » .

لكن السياسة الفرنسية التي دشنها ديغول ابان حرب ١٩٦٧ والتي تحاول اظهار تعاطف الحكومة الفرنسية مع الجانب العربي فرضت تعديلا على هذا الموقف . فما لبث وزير الخارجية ميشيل جوبير ان تساءل في اليوم نفسه (١٠/٨) : « هل يشكل دخول الانسان الى بيته بالضرورة عدوانا غير متوقع ؟ » مشيرا الى المبادرة المصرية ــ السورية .

وهنا برزت التناقضات الداخلية (أي داخل الاحزاب الحاكمة) وبين الموقف الرسمي الفرنسي وغالبية الاجهزة السياسية والاعلامية المسيطرة على البلد ، حين ثارت حملة واسعة ضد تصريح وزير الخارجية ، واضطر الناطق الرسمي للحكومة لتخفيف وطأة التصريح ان يشير الى ان الكلمة الهامة في العبارة هي « غير متوقع » مضيفا بأن الوزير حاول أن يطرح الامور من الزاوية المصرية ــ السورية . وهذا ما دفع جريدة لوموند بأن تطالب وزراء فرنسا بمحاولة وزن تعليقاتهم بشكل افضل .

هذا على صعيد التعبير المباشر . اما على صعيد الموقف السياسي ، فقد عبر عنه وزير الخارجية في نهاية خطابه أمام الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ١٠/١٠ حين قال : « اني اعبر عن استعداد بلدي للمساهمة في تهدئة الحرب سريعا ومنعها من الاندلاع ثانية . وبوسعنا تقديم اقتراحات تؤدي الى حل سلمي شرط ان يريده الجميع وان يريد الجميع فعلا سلاما عادلا ودائما . واني واثق بأن **أصدقاءنا الاوروبيين** لهم نفس الرغبة » .

ومن هذه العبارة الموزونة كلمة كلمة ، يمكن استخلاص المواقف الفرنسية في هذه المرحلة :

— فرنسا تطرح نفسها **كوسيط** بين الطرفين المتنازعين .

— وهي تطرح نفسها بثقلها الاوروبي أي على اعتبار انهــا ستكون مفوضة مـن المجموعة الاقتصادية الاوروبية (دول السوق الاوروبيــة المشتركة التسع) للقيــام بالوساطة .

— كما تطرح حلا « عادلا ودائما » أي على حد تعبير الناطق الرسمي باسم الحكومة « تسوية نهائية — بناء على قرار ٢٤٢ لمجلس الامن — مرضيا عنه من الجميع ومؤمنا للجميع ضمانات الامن الضرورية » .

وقد سارعت اسرائيل الى رفض الوساطة الفرنسية متهمة فرنسا « بالانحياز الى جانب العرب » . الا ان الحكومة الفرنسية لا تقف عند هذا الرفض ، وتذكر بأن ديغول في الماضي كان قد عرض وساطة بلده في المسألة الفيتنامية ورفضها حكام سايغون آنذاك بتهمة مشابهة . فالسياسة الديغولية (وما بعد الديغولية) تعتمد على ان موازين القوى في المنطقة ستتطور الى غير صالح اسرائيل آجلا او عاجلا وستفرض على الاسرائيليين ليونة اكثر . وحينذاك ، بعد ان يقبل الطرفان بالوساطة الفرنسيــة (او بشكل اعم الاوروبية الغربية) ، تبرز كتلة السوق المشتركة كقوة سياسية « فعالة » بين الدولتين الكبريين الملتزمتين عمليا بدعم احد طرفي النزاع .

ولا ضرورة للتأكيد على حاجة اوروبا الغربية (وفــرنسا) « للاستقرار في الشرق الاوسط » الذي يشكل المصدر الاساسي للنفط الاوروبي . فلاوروبا الغربية مصلحة مباشرة في تأمين استمرار تدفق النفط وفي اعادة فتح قناة السويس التي توفر على نفط الخليج مسافة كبيرة . ففرنسا مثلا تستورد ثلثي نفطها من منطقة الخليج ونحو ثمانين بالمئة منه من الدول العربية تتوزع كالتالي (لعام ١٩٧٢) : السعودية ٢١ ٪ ، الكويت ٤ر١٤ ٪ ، الامارات ٦ر١٢ ٪ ، العراق ١ر١٢ ٪ ، الجزائر ٣ر٩ ٪ ، ليبيا ٣ر٨ ٪ ، والمجموع ٧ر٧٧ ٪ .

وهذه الارقام تكاد تكون متقاربة لكافة دول اوروبا الغربيــة وتفسر الى حد بعيد التحولات في السياسة الفرنسية تجاه القضايــا العربية كما تفسر الحرص الاوروبي الغربي على عدم التورط كثيرا الى جانب الطرف الاسرائيلي في النزاع (مع بعض التفاوت طبعا بين مواقف ايطاليا وفرنسا وبريطانيا مثلا من جهة والمانيا الاتحادية وهولندا من جهة اخرى) .

وهنا لا بد في ما يخص فرنسا من الاشارة الى قضيــة طائرات الميراج الليبية التي اثارتها اسرائيل والاوساط المؤيدة لها في فرنسا . وقد نفت الحكومة الفرنسية التهم الاسرائيلية كما اشارت الصحف الفرنسية الى أن الميراج الليبية ليست قابلة للاستعمال في الحرب الدائرة الان نظرا لعدم توفر قطع الغيار بشكل كاف ولانعدام خزانات الوقود الاضافية التي تسمح لها بالانتقال الى مسافة بعيدة عن قواعدها في ليبيا .

مواقف القوى السياسية الفرنسية :

تقف القوى الماركسية (الحزب الاشتراكي الموحد ، قوى اليسار الجديد) بقوة الى جانب الطرف العربي في الحرب . وتركز بعضها بشكل خاص علــى تأييدها للمقاومة الفلسطينية .

أما قوى الوسط واليمين فتقف بشكل مطلق الى جانب اسرائيل وتقود التظاهرات المعادية للعرب .

بقي قوتان كبيرتان تتنازعهما عواطف التأييد (المبدئي او المصلحي) لاحد الطرفين : التحالف الحاكم (وخصوصا الحزب الديغولي) واليسار المعتدل (وخصوصا الحزب الاشتراكي) .

ففي ١٠/١١ وقع ثمانون نائبا من مختلف الاتجاهات (باستثناء الحزب الشيوعي ، وهو الحزب الماركسي الوحيد الممثل في البرلمان) على بيان « للجنة التضامن الفرنسية مع اسرائيل » . وبين هؤلاء النواب عدد من نواب الحزب الديغولي . وهذا يظهر مدى الانقسام في مواقف الكتلة الحاكمة — أو بالاحرى تناقض الموقف الرسمي مع عواطف غالبية قاعدته السياسية والانتخابية . اما الحليف الرئيسي للحزب الديغولي في الحكم (وهو مجموعة « الجمهوريين المستقلين ») فقد اتخذ موقفا مؤيدا ضمنـــا لاسرائيل باشارته الى « الاعتداءات الجديدة التي أدت الى اندلاع المعارك ثانية في دول الشرق الادنى » ومطالبته الحكومة الفرنسية باتخاذ موقف « غير متحيز او متسم بالتحيز » .

اما الحزب الاشتراكي فقد ظهرت بجلاء التناقضات الجديدة التي تتحكم في موقف قادته وقواعده . فمنذ الايام الاولى للمعركة، سارع احد قادته ورئيس بلدية مارسيليا غاستون دوفير الى التأكيد على ان « المصريين والسوريين هـــم المسؤولون عن الحرب » وهم الراغبون في ابادة اسرائيل « الدولة الديموقراطية » التي تواجه « ديكتاتوريات امـــا شعبية او اقطاعية » على حد تعبيره في جريدة « لو بروفنسال » (١٠/٨) التي تصدر في مرسيليا . وتخوف بعد أيام السكرتير الاول للحزب فرنسوا ميتران من ان « الجيوش المصرية والسورية لو بدات هجومها من حدود غزة ومشارف الجولان لاصبحت في قلب اسرائيل » وهددت بالتالي وجودها الذي يحرص عليه .

وفي الوقت نفسه ، كتب جان روس احد اعضاء المكتب الاداري للحزب الاشتراكي مقالا يحمل فيه مسؤولية الانفجار الحالـــي « للمواقف المتصلبة التي اتخذتها غالبيـــة الحكومة الاسرائيلية » تجاه المبادرات السلمية (وخاصة مبادرة يارنغ ومبادرة منظمة الوحدة الافريقية) .

واخيرا اتخذ المكتب التنفيذي للحزب يوم ١٠/١٠ قرارا «معتدلا»حسب وصف الصحافة الفرنسية يؤكد على « وجود اسرائيل وحقها في الامـــن وكذلك حـــق الامة العربيـــة الفلسطينية » وعلى الاتفاق على حدود دائمة بعـــد محادثات بين الاطـــراف المعنية والانسحاب من الاراضي المحتلة . وقد صوت ثلاثة عشر عضوا من المكتب على هذا القرار وعارضته أقلية من ثمانية اعضاء مركزة معارضتها على عبارة « وجود اسرائيل سيكون غير مضمون اذا لم تحصل على حدود آمنة » ، باعتبار ان هذه العبارة قد توحي بالقبول بضم بعض الاراضي .

الصحافة والحرب :

الصحافة **الواسعة الانتشار** في فرنسا عدائية بشكل مطلق للنضال العربي **ويمينية** بشكل أعم . ومن هذه الصحف اليومية في باريس « فرانس سوار » و « لوبارزيان ليبيريه » و « باري جور » و « لورور » و « لوفيغارو » والامر نفسه ينطبق على كبريات الصحف في المقاطعات (خارج باريس) . الصحف الباريسية التي يمكن استثناؤها من جو العداء هذا ، هي :

— **لوموند** : الصحيفة الليبرالية الرزينة الكبيرة التأثير في اوساط المثقفين والطبقات الوسطى . وتعتبر عالميا من اكثر المصادر جدية . (وهذا لا يمنعها بالطبع من التحيز باتجاه أو بآخر ، الا انها تعطي بشكل عام معلومات كثيرة) .

— **لومانيته** : جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي . توزيعها لا يستهان به وخاصة في

الاوساط العمالية . تقف الى جانب قضايا التحرر العربية .

ــ **لا ناسيون** : جريدة الديغوليين . ضعيفة التوزيع . تعبر عـــن وجهة نظر شبه رسمية .

ــ كومبا : جريدة اليسار المعتدل . كانت حتى وقت قريب مؤيدة لاسرائيل . الا انها اليوم اكثر ذكاء في طروحاتها .

ــ ليبراسيون : جريدة أقصى اليسار (اليسار الجديد) . ظهرت منذ أشهر وتوزيعها محدود . تضامنها مع الثورة الفلسطينية قوي . يديرها جان بول سارتر .

جريدة **لوموند** اعطت منذ اندلاع الحرب اهتماما كبيرا بها ، فهي تخصص لها صفحتها الاولى وعددا من صفحاتها الاخرى يصل أحيانا الى تسع صفحات . تحاول الجريدة اعطاء أكبر قدر ممكن من المعلومات من المصادر المتوفرة بالاضافة الى مقالات محرريها ومراسليها في المنطقة (بعضهم عرب واسرائيليون) . تحاول في تعليقـــاتها ان تكون متوازنة وتتجه نحو موقف وسطي انساني يحاول أن يوفق بيـــن الاعتراف بالوجـــود الفلسطيني وادانة التشنج الاسرائيلي والاعتراف بوجـــود اسرائيل وضرورة تأميـــن مستقبلها . الا أن العواطف الشخصية للمحررين والمسؤولين الرئيسيين في الجريدة متفاوتة رغم ما تشيعه الاوساط الصهيونية عن ميل لوموند الى الجانب العربي . في الافتتاحية الاولى بعد اندلاع الحرب برزت الجوانب التالية :

ــ مبادرة العرب في الهجوم .

ــ التركيز على أن هدف مصر وسوريا في نهاية المطاف هو المباحثات من موقع أفضل .

ــ الاعتراف بأن العرب حققوا منذ البداية ومهما كانت نتيجة المعارك انتصارا كبيرا بتحطيمهم صورة المنهزمين والجبناء التي الصقت بهم .

ــ التشكيك بامكانية ايجاد حل دائم بعد هذه الحرب .

اما جريدة **لوفيغارو** اليمينية والتي تعتبر أحيانا جريدة البورجوازية الكبيرة فقد أبرزت مرة أخرى عداءها المطلق للعرب وتأييدها الكلي لاسرائيل . وقـــد برز ذلك منذ الايام الاولى للحرب حيث ركزت على حتمية الهزيمة العربية وأكثر من هذا تحولت أمنياتها الى وقائع فعنونت عددها الصادر بتاريخ ١٠/٩ بعناوين ضخمة تؤكد اختراق اسرائيل لقناة السويس ونجاح هجومها المضاد في الجولان وسيناء وتقدمها نحو ضواحـــي دمشق وتدميرها لقواعد الصواريخ العربية تدميرا تاما الخ . وقد اضطرت في الاعداد اللاحقة ان تعترف بأن الهجوم الاسرائيلي يلقى صمودا عربيا (١٠/١٠) وأن الجنود العرب يظهرون شجاعة وكفاءة عسكرية . وقد أثارت هذه التناقضات حفيظة عدد من القراء اتصلوا بادارة الجريدة واتهموها بالتحيز الى جانب اسرائيل (عدد ١٠/١٠) .

جريدة **لومانيته** الشيوعية عبرت مرة أخرى عن تضامن الشيوعييـــن مع القضايا العربية وأشارت (عدد ١٠/٨) الى أن المصريين والسوريين في أرضهم حينما «يهاجمون» في سيناء والجولان . كما أشارت الى احتمال تدخل أمريكي .

جريدة **كومبا** « الليبرالية » تؤكد على **تصميم** اسرائيل وعلى رغبـــة العرب في حل مشاكلهم الداخلية عن طريق الحرب وعلى الخطر الذي يتهدد النظامين المصري والسوري في حالتي النصر والهزيمة .

جريدة **لاناسيون** الديغولية (١٠/٨) تذكر بانذار ديغول لابا ايبان عشية حرب ١٩٦٧ وتذكر بوضع الفلسطينيين الذي يهملهم الرأي العام فيندفعون الى اعمال « هوجاء » . كما تشير الى اهمية البترول في المعركة ، وتطالب الامم المتحدة والدول الكبرى بالتدخل لايجاد حل عادل .

جريدة **ليبراسيون** اليسارية (اليسار الجديد) (١٠/٨) تقول انه « يتوقف على الشعوب العربية وعلى الفلسطينيين بأن يكون الصراع الدائر اكثر من لعبة دامية بين القيادات تحسمها الدول الكبرى » وتشير الى احتمال وضع المقاومة الفلسطينية تحت هيمنة الدول العربية في حال الانتصار . وقد عبرت هذه الجريدة في عدد ١٠/١٢ عن تمزق ادارتها بقولها « بأن بعضنا من اصل يهودي . والبعض يؤيد الجيوش العربية . وآخرون يخشون من أن اي انتصار عربي قد يعني مصيبة جديدة للشعب اليهودي . منطقيا ، هم يوافقون على جدلية التاريخ التي جعلت من مقهور وارسو مضطهدا للفلسطينيين في الشرق الادنى . ولكن عاطفيا الامر ليس بنفس السهولة » . ووراء هذه الكلمات يلاحظ القارىء نفس جان بول سارتر .

(٥) بريطانيا والحرب

يحدد الموقف البريطاني الراهن تجاه القتال الدائر حاليا بين القوات العربية وقوات العدو الاسرائيلي جملة من العوامل والاعتبارات الرئيسية أهمها : المصالح البريطانية في المنطقة (وخاصة فيما يتعلق بالنفط) والعلاقة الجديدة التي تربط بريطانيا بدول اوروبا الغربية (السوق الاوروبية المشتركة) من جهة وعلاقة بريطانيا التاريخية كحليفة للولايات المتحدة الامريكية من جهة اخرى . ويلعب دورا كذلك طموح بريطانيا (وخاصة بعد التقلص الذي أصاب نفوذها كدولة استعمارية كبرى) في أن تلعب دورا قياديا ضمن المجموعة الاوروبية متكافىء مع الدور الذي تلعبه فرنسا ضمن المسعى الاوروبي الهادف الى تحويل أوروبا قوة ثالثة مستقلة عن الدولتين الكبيرتين (بشكل نسبي طبعا لبقاء الترابط الاقتصادي القائم بين الدول الرأسمالية والمصالح التي تشدها الى الامبريالية الامريكية) . كما أن هناك اعتبارات ذات أهمية ثانوية تخص الوضع السياسي الداخلي في بريطانيا . ولعل أهم هذه وجود قوة صهيونية منظمة تسيطر على بعض المراكز السياسية والاعلامية الهامة ، وموقف احزاب المعارضة (وخاصة حزب العمال) المتعاطف بشكل واضح مع اسرائيل والمتفهم لاهدافها .

مع اندلاع القتال على الجبهتين السورية والمصرية قامت الحكومة البريطانية بالاتصال مع الولايات المتحدة من جهة وفرنسا والمانيا الغربية من جهة اخرى محاولة منها لتحديد موقف سريع من القتال الجاري . وبادرت بالدعوة الى عقد اجتماع طارىء لمجلس الامن دعت فيه الاطراف المتحاربة الى وقف مباشر لاطلاق النار . الا أن هذه الدعوة فشلت بعد اصرار الولايات المتحدة على عودة الجيوش العربية الى خطوط وقف اطلاق النار السابقة (خطوط ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧) ومطالبة الاتحاد السوفييتي بربط اي قرار بوقف اطلاق النار بعودة اسرائيل الى حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ودعم الصين الشعبية لهذا الاتجاه .

ولعل اعتقاد الحكومة البريطانية بان حكومة مصر العربية (وبالتالي الاتحاد السوفياتي) مستعدة لقبول مثل هذا الاقتراح ما دامت قواتها تسيطر على الضفة الشرقية من القناة ومحاولة بريطانيا بلورة موقف متميز نسبيا عن موقف الولايات المتحدة المتجانس كليا مع الموقف الاسرائيلي هو الذي دفع حكومة بريطانيا الى تقديم الاقتراح السابق . والاقتراح البريطاني هذا يعكس تقييم الحكومة البريطانية للاهداف السياسية التي تسعى حكومة مصر العربية الى الوصول اليها كهدف للقتال . وقد عكست مقالات بعض الشخصيات البريطانية في الصحف البريطانية بعض الملامح الاساسية لهذا التقييم . ففي مقال في جريدة « التايمز » اللندنية (١٠/١٠) عبر ريشارد كروسمان (وزير عمالي سابق وذو اتجاه صهيوني واضح) عن اعتقاده بان احتمال اعتراف

الانظمة العربية بوجود اسرائيل يقوى اذا ما ابلــت الجيوش العربيــة بلاءا حسنا في الحرب الحالية وبعد « ازالة الاهانة القومية » التي ذاقتهــا العــرب في حرب حزيران ١٩٦٧ . ولعل التقييم الذي نشرته مجلة « ايكونومست » البريطانية (والتي تعكــس عادة والى حد كبير وجهات نظر الاوساط الحاكمة في بريطانيا) في افتتاحية عددها بتاريخ ١٠/١٣ يوضح الى حد كبير احتمالات الوضع السياسي في المنطقة بعد انتهاء الحــرب وهذه الاحتمالات مرتبطة ارتباطا وثيقا بميزان القوى العسكــري بعد وقــف القتال . وتحدد الايكونومست ثلاثة احتمالات لهذا الوضع ونتائجه على الصعيد السياسي .

١ ــ هزيمة عسكرية للقوات المصرية وانسحابها الى الضفة الغربية من القنــاة . هذا قبل ان يتمكن العرب من ادخال النفط كسلاح في المعركة . وتقول الايكونومست ان حدوث هذا يجعل تحقيق اي تسوية سياسية مبنية على حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ غير ممكن .

٢ ــ اما الاحتمال الثاني فتلخصه « الايكونمست » في تمكــن القوات المصريــة من الاستمرار في السيطرة على جزء من سيناء (الضفة الشرقية للقناة) لفترة زمنية كافية بحيث تصبح المطالبة بحدود جديدة ومباحثات جديدة امرا واقعيا . وفي هذه الحالة فان الولايات المتحدة ستقع تحت ضغط شديد من الملــك فيصل (سلاح النفــط) لاجبــار اسرائيل على الانسحاب الى حدود قريبة من حدود ما قبل ١٩٦٧ . وترى «الايكونمست» ان مثل هذا الوضع سينطوي على مضاعفات خطــيرة لان بعض الاطــراف العــربية (المقاومة الفلسطينية وبعض القوى العربية الاخرى) لن ترضى بحدود ١٩٦٧ .

٣ ــ والاحتمال الثالث الذي تحدده الايكونمست هو انتصار شامل للقوات المصرية في سيناء بعد ان تفقد اسرائيل معظم طائراتها (السيطــرة الجوية) مما يمكــن هذه القوات من دخول سيناء تحت حماية الطيران العربي . وتعلق الايكونمست عــلى هذا الاحتمال « ان الخوف ، في مثل هذه الحالة ، هو ان يدفع السادات الى الاعداد لحرب اخرى وان يصبح انسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل ١٩٦٧ غير كاف » ..!!

وترى الايكونمست ان « السلام » يعتمد على قبول العرب لاسرائيل كجزء من المنطقة وهذا يتطلب رفض الدول العربية للمنطق القائل « بان المهم ليس اية حدود تتمتع بهــا اسرائيل بل الوجود الاسرائيلي نفسه » . وترى الايكونمست كذلك ان اية تسوية دائمة للنزاع يجب ان تتضمن ثلاثة عناصر رئيسية :

١ ــ حق اليهود في البقاء تحت حماية دولة اسرائيل (ضمــان بقاء دولة اسرائيــل والاعتراف بها كجزء من المنطقة) .

٢ ــ الاعتراف بحقوق العرب . وهذا يتطلب تقسيم الارض المتنازع عليها (وهنا لا تقدم الايكونمست اي تحديد لهذا التقسيم ولا تحدد « الارض » المتنازع عليهــا .. ولا تحدد من هم العرب المعنيون بتقسيم هذه الارض ..)

٣ ــ ان هذا التقسيم يجب ان لا يفرض على اسرائيل بل يجب ان تقبله اسرائيــل طوعيا والا بقي الخوف الاسرائيلي من قيام العرب بهجوم اخــر واثارة مسألة حــق اسرائيل في الوجود من جديد .

بعد فشل مجلس الامن في التوصل الى قرار بخصوص القتال في المنطقة امتنعــت بريطانيا عن التقدم بمبادرة جديدة واتخذت ــ كما يبدو ــ موقف **الانتظار** حتى يحسم الموقف عسكريا ولعل هذا نابع من اعتبارين رئيسيين : الاول ، الشعور بان العامــل الحاسم على الصعيد الدولي هو موقف الدولتين الكبيرتين ، وانه ما لم تتفق الولايــات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، فسيبقى مجلس الامن مشلولا عن الحركــة والمبادرة .

الثاني العمل على تحديد الدور الاوروبي بدور الوسيط الذي سيدخل طور الفعالية بعد وقف اطلاق النار والدخول في مرحلة صياغة مشاريع التسوية السياسية ومرحلة التفكير في الاجراءات التنفيذية لتطبيق اي مشروع تسوية يتم الاتفاق عليه .

ان الموقف الانتظاري التمهيدي هذا انعكس في محتوى وقلة تصريحات المسؤولين البريطانيين حول الوضع الراهن في الشرق الاوسط . ففي خطابه « بلاك بول » ١٠/١٢ قال وزير خارجية بريطانيا (السير اليك هيوم) « انه لا يجوز فرض تسوية على الاطراف المتنازعة وان اية تسوية تحتاج الى ضمانات دولية » ثم اعلن عن استعداد بريطانيا للمساهمة بالرجال والمعدات والاسلحة لتشكيل « قوة سلام » دولية (تحت اشراف الامم المتحدة) تقف الى جانبي الحدود الجديدة . وتكون هذه على نمط قوات الامم المتحدة الموجودة في قبرص . (التايمز اللندنية ١٠/١٣) ولقد لمح وزير الخارجية في خطابه ان السبب الاساسي في اندلاع الحرب هو احتلال اسرائيل للاراضي العربية في حرب ١٩٦٧ معبرا عن هذا بقوله « انه من المستحيل ان يبقى العرب ينظرون بدون انقطاع الى اراضيهم عبر حدود وقف اطلاق النار بدون اندلاع الحرب » .. الا ان خطاب هيوم لم يحدد شروط التسوية سوى انها يجب ان تبقى ضمن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ « بالرغم من غموضه » (حسب قول هيوم) وان هذه التسوية يجب ان تتم تحت اشراف الامم المتحدة . وتأكيده بان المبادرة من قبل الامم المتحدة او من قبل اي فريق اخر « لن تكون مجدية قبل ان يشعر احد الطرفين بانه على وشك هزيمة عسكرية » .

هذا وقد اوردت الديلي تلغراف اللندنية (وهي جريدة محافظة يمينية مؤيدة لاسرائيل) في عددها بتاريخ ١٠/١٣ نقلا عن الاوساط الرسمية بان المعلومات المتوفرة لدى الحكومة البريطانية تشير بان اسرائيل تواجه قوى عسكرية اقوى واشد مما واجهته في حرب ١٩٦٧ وانها بدأت تدرك ان العرب سيكونون اشد قوة وبأسا مما هم عليه الان اذا ما نشبت حرب جديدة بعد سنوات قليلة .. وبالتالي فان استمرار القتال اسابيع متعددة اخرى سيحمل اسرائيل على التفكير في تسوية دائمة . ولهذا تشعر الحكومة البريطانية (حسب معلومات الديلي تلغراف) بان الوقت لم يحن بعد للبدء في التحركات الدبلوماسية من اجل التسوية السياسية .

كما تجسد الموقف التمهيدي في اعلان بريطانيا الحظر على الاسلحة الى الدول المتحاربة ، وفي تركيزها على اهمية الدور الوسيط الذي تستطيع بريطانيا ان تلعبه في النزاع . ان دور الوسيط هذا يتطلب قبل كل شيء ان تكون الدولة الوسيطة مقبولة لدى الحكومات العربية المعنية ومن هنا جاءت محاولة بريطانيا دور الدولة « غير المنحازة » في الصراع . من هنا جاء القرار البريطاني بحظر شحن الاسلحة الى دول القتال بالرغم من المعارضة الشديدة الداخلية التي واجهت هذا الاجراء . والواقع ان هذه المعارضة ومهاجمة الحكومة الاسرائيليةللقرار (على اساس ان المتضرر الاول منه هو دولة اسرائيل لان الجزء الاكبر من دبابات اسرائيل ــ كما تقول الصحف البريطانية ــ هو من نوع « السنتوريون » والقرار سيحرم اسرائيل من قطع الغيار اللازمة لهذه الدبابات ..) ساعدت على ابراز هذا الدور « المستقل » للحكومة البريطانية وهي بالتالي من قبيل التهيئة والاعداد للعب دور الوسيط في المستقبل . ولعل ابراز بريطانيا خبر انها تقوم بتدريب ١٢ طيارا مصريا على طائرات الهيلوكبتر يصب في الهدف نفسه .

وقد ابرز رئيس وزراء بريطانيا هذا الدور التمهيدي الوسيط لبريطانيا في خطاب له في ١٠/١٣ بقوله « ان النتيجة المأساوية لبدء القتال في الشرق الاوسط تثبت مرة اخرى

ان القوى العظمى لا تسيطر وغير قادرة على السيطرة على ما يجري في العالم . ولهذا فسيكون للقوى الوسطى دور دائم وخاصة الاقطار ــ مثل بريطانيا ــ التي لها خبرة طويلة في المغامرة والديلوماسية في جميع انحاء العالم » (خبرة بريطانيا الاستعمارية) واكد ان اهتمام بريطانيا الاوحد ازاء الوضع الراهن في الشرق الاوسط هو العمل من اجل « تسوية حقيقية » على اساس قرار مجلس الامن ٢٤٢ . واضاف انه كلما طالت الحرب كلما زاد خطر جر الدول العربية الاخرى في الصراع وكلما زاد تورط الدول العظمى نفسها في النزاع وكلما زاد الضرر اللاحق بمصالح العالم الغربي » .

هذا وقد رافق الموقف الانتظاري التمهيدي هذا التخوف من ان يؤدي استمرار القتال الى عرقلة امداد النفط الى اوروبا والى الاخلال « بالوفاق الدولي » القائم بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ومضاعفات هذا على علاقة المنظومة الاشتراكية واوروبا الغربية من جهة وعلى علاقة الاخيرة مع الولايات المتحدة من جهة اخرى . الا ان الخوف الاكبر كما بدا من اهتمامات الصحف البريطانية يدور حول النفط بسبب اعتماد دول اوروبا الغربية اعتمادا رئيسيا على النفط العربي .

وقد حاولت جريدة التايمز اللندنية التعرض لموضوع النفط في افتتاحية بتاريخ ١٠/١٣ استنتجت فيه ان الوضع في الدول الصناعية سيكون خطيرا اذا ما استعمل سلاح النفط ولكنه حسب قول الجريدة ، « لن يكون حرجا لان احتياطي النفط في اغلبية البلاد الصناعية يكفي ما بين ٦٥ ــ ٩٠ يوما حسب معدل الاستهلاك اليومي العادي ، وقالت الافتتاحية « ان قطع الامدادات النفطية عن اوروبا الغربية وشمال امريكا واليابان سيؤدي بصورة مباشرة وغير مباشرة الى الضغط على حكومة نيكسون لتبني سياسة اقناعية تجاه اسرائيل . ان هذا الاقناع سيتجه نحو احراز سياسة مبنية على التفاوض في الشرق الاوسط » . هذا وقد اوردت الصحف البريطانية اخبارا حول بدء المباحثات بين شركات النفط والحكومة البريطانية حول اجراءات تقنين النفط ، كما اعلنت الحكومة البريطانية عن استكمالها للاجراءات اللازمة لبدء التقنين عند الضرورة . واعلن وزير الصناعة البريطاني ١٠/١٢ ان قسيمات البترول جاهزة للاستعمال « حسب ضرورية الوضع » ، واعترف انه « وقت قلق بالنسبة لبريطانيا » . كما اوردت بعض الجرائد اخبار ارتفاع اسعار زيوت التدفئة في خلال اسبوع واحد من ٩٦ دولارا الى ١٢٥ دولارا للطن الواحد (التايمز ١٠/١٣) بسبب الوضع في المنطقة العربية . وذكرت مجلة الايكونمست ١٠/١٣ او اوروبا ستضطر الى تقنين البترول ان استمرت الحرب ثلاثة او اربعة اسابيع اخرى حتى ان لم تقطع الدول العربية النفط . وذكرت المجلة ان اوروبا تحصل على ١٠٪ من وارداتها النفطية عن طريق موانيء شرقي البحر المتوسط المغلق حاليا لناقلات البترول . وتقول الايكونمست انه اذا اوقفت دولة واحدة امداداتها من النفط فان هذا سيحتم تقنين البترول في اوروبا . اما اذا قطعت النفط ثلاثة او اربعة بلدان « فان اوروبا واليابان سوف تشعران بالضيق الجدي ولكن الوضع لن يكون خطيرا الا ان كانت السعودية احدى هذه الدول » . واضافت المجلة من المؤكد ان بعض الحكومات لن تسمح لان يتعرض من اجل المحافظة على سياسة امريكا الخارجية او من اجل اسرائيل مواطنيها للبرد او لان يصبحوا غير قادرين على استعمال سياراتهم . . . ولهذا فان بعض هذه الحكومات ستقوم بترتيبات مباشرة وخاصة مع الحكومات العربية بدون وساطة شركات البترول الامريكية . . »

اما التخوف من ان يؤدي استمرار القتال الى تفاقم الوضع الدولي فقد عبرت عنه افتتاحيات عدد من الصحف البريطانية الرئيسية . فقالت « الصاندي تلغراف » الاسبوعية ١٠/١٤ ان استمرار القتال حتى يستعمل العرب سلاح النفط والى حين

تستهلك اسرائيل مواردها العسكرية سيؤدي الى وضع يصبح فيــه الوفاق الدولي (بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة) والذي يعتمد عليه استقرار العالم ككل ، غير قابل للانعاش من جديد « كما اكدت جريدة « الجارديان » (الليبرالية) نفس الفكرة في افتتاحيتها بتاريخ ١٠/١٥ اذ قالت ان استمرار القتال سيؤدي الى توريط الدولتين الكبرتين مما يهدد علاقات الوفاق بين الشرق والغرب .

يمكن تلخيص الموقف البريطاني حول القتال الدائر في المنطقة بالنقاط التالية :

ـــ وقف اطلاق النار واتاحة المجال لبدء المفاوضات ضمن قرار مجلس الامن رقــم ٢٤٢ . وهذا هو موقف اوروبا الغربية بشكل عام . وترى الدوائر البريطانية الرسمية ان قرار رقم ٢٤٢ يشكل ـــ حسب قول وزير الخارجية اليك هيوم ١٠/١٥ ـــ « افضل فرصة للتوصل الى تسوية لانه القرار الوحيد الذي يوافق عليه العرب والاسرائيليــون جميعا » .

ـــ تجنب الدخول في تفاصيل عملية حول شروط التسوية السياسية . فالتصريحات الرسمية لا تدلي حتى الان بتفاصيل حول الحدود التي يستلزم على اسرائيل الانسحاب اليها . واشارة الى الحدود لا تتعــدى التعابير الغامضة حــول « الحــدود الامنة » لاسرائيل . واقوال وزير الخارجية البريطاني ١٠/١٢ ان التسوية يجب ان « تجمع بين السيادة العربية والامن الاسرائيلي » . وان هذه التسوية يجب ان تتــم تحت اشراف الامم المتحدة وحمايتها .

هذا وقد بدأت الصحف البريطانية في الايام الاخيرة تناقش بشكــل تفصيلي نسبيا شروط التسوية السلمية فترى جريدة « الجارديان » ١٠/١٥ ان وقف اطلاق النار يجب ان يتبعه مؤتمر سلام ، وترى الجريدة ان متطلبات « الامن الاسرائيلي » ورغبة العرب في استرجاع اراضيهم المحتلة يشترط وجود مناطق عريضة مجردة من السلاح في سيناء ومناطق اخرى . ويشترط كذلك وجود قوات الامم المتحدة في شرم الشيخ . اما مستقبل القدس والفلسطينيين فهو بحاجة الى مفاوضات بين الطرفين . وترى الاوبزرفر ١٠/١٤ ان القدس تشكل « الصعوبة الاقليمية الوحيدة امام التسوية » .

ـــ التخوف من ان يؤدي استمرار القتال لفترة طويلة الى مضاعفات اقتصادية خطيرة في اوروبا لاعتمادها على النفط العربي . كما تبدي الصحف البريطانية بعض التخوف من ان تؤدي اطالة القتال الى نتائج سلبية على صعيد « الوفاق الــدولي » والى اعـــادة الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والراسمالي . هذا وقد اشتدت في الايــام الاخيرة مطالبة الصحف البريطانية للدولتين الكبيرتين بمباشرة الضغط على الاطــراف المتحاربة لوقف اطلاق النار وبدء المفاوضات .

ـــ يبدو ان بريطانيا تطمح لان تقوم لوحدها او بالمشاركة مع فرنسا (بصفة انهمــا تتزعمان دول اوروبا الغربية) في القيام بدور الوساطة لاحلال تسوية سياسية . كما يبدو ان هذا يتطابق مع طموح فرنسا الا هناك تباينا بين الموقــف الفرنسي والموقــف البريطاني حول دور اوروبا في هذا المجال والمجالات الاخرى . ففرنسا تــرى ان دور اوروبا كقوة فعالة مرهون بقدرتها على لعب دور توازني « بين المعسكر الاشتراكي والولايات المتحدة ، بينما ترى بريطانيا بضرورة التنسيق والتعاون مع الولايات المتحدة والاستعمار الامريكي لمصلحة اوروبا (وبالتالي يهمها ان يبقى نفوذ الولايات المتحدة قويا في المنطقة العربية) .

وباختصار فان بريطانيا لا تزال تميل الى التفســير الامريكي ـــ الاسرائيلي (وهو تفسير اللورد كارادون صاحب المشروع) لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . الا ان تغير

موازين القوى لصالح القوات العربية على أرض المعركة ومدى التوجه الجدي لضرب المصالح الامبريالية في المنطقة هما العاملان الحاسمان في فرض الشروط وتغييرها .

(٦) افريقيا : نحو عزل مستمر لاسرائيل

يمكن القول ان عام ١٩٧٣ كان عام القضية العربية على الصعيد الدولي فقد اتسعت بسرعة دائرة التأييد العالمي للحق العربي وكان لمؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر في اوائل يوليو الماضي ومؤتمر القمة الافريقي العاشر الذي عقد في اديس ابابا في مايو الماضي دور اساسي في هذا الاتجاه .

فقد شهد هذا العام سلسلة قرارات اتخذتها الدول الافريقية لقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل بدأت في مارس ١٩٧٢ عندما قطعت اوغندا علاقاتها باسرائيل احتجاجا على استمرار العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية وعلى الدور التخريبي الذي تقوم به اسرائيل في افريقيا ثم تلتها تشاد التي قطعت علاقتها باسرائيل في ٢٨ نوفمبر ١٩٧٢ ثم الكونغو برازافيل وتلتها مالي والنيجر وبوراندى . والمعروف ان غينيا قد قطعت علاقاتها مع اسرائيل عام ١٩٦٧ احتجاجا على العدوان . وفي ٤ اكتوبر الحالي أعلن الرئيس موبوتو رئيس جمهورية زائير اثناء وجوده في الامم المتحدة قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل كما ادان بشدة الاحتلال الاسرائيلي اللاشرعي للاراضي العربية وقال (اعلن امام العالم قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل حتى تسترجع مصر وسائر الدول العربية اراضيها المغتصبة حاليا) وعندما أعلن ذلك قوبل بترحاب شديد من ممثلي الدول في الامم المتحدة .

ولقد أثار العدوان الاسرائيلي الجديد السخط والاستنكار لدى الراي العام الافريقي واعربت حكومات الدول المستقلة ومنظمة الوحدة الافريقية ورؤساء البعثات الدبلوماسية في الخارج عن تضامنهم التام مع النضال العادل الذي تخوضه الشعوب العربية من اجل تحرير الاراضي العربية المحتلة .

فقد أعرب السيد نزو ايكانجاكي السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقية في برقية بعث بها الى رئيس جمهورية مصر العربية عن (التأييد التام للدول العربية والثقة بانتصار القضية العربية العادلة) .

وطلب سفراء ٢٥ دولة افريقية في القاهرة يمثلون منظمة الوحدة الافريقية بعد اجتماعات استمرت يومين الاجتماع مع وزير الخارجية المصرية لابلاغه نص القرار الذي اتخذوه بعد مداولاتهم بادانة العدوان الاسرائيلي على الدول العربية وعلى مصر بالذات . وقد التقى بهم وزير الخارجية بالنيابة والقى ملس عندوم سفير اثيوبيا وعميد السلك الدبلوماسي كلمة تأييد اشار فيها الى الوثيقة التي يحملونها عن التضامن الافريقي مع الشعب المصري والشعوب العربية الاخرى ووصف الاعمال العدوانية التي قامت بها اسرائيل بانها (حرب وحشية لا انسانية وان مقدرة العرب في صد العدوان يعد انتصارا للقارة الافريقية على قوى العدوان) كما اعلن ممثلو الدول الافريقية (١٢ دولة) لدى المقر الاوروبي لهيئة الامم المتحدة في جنيف عن دعمهم لمصر وسوريا دعما تاما وبدون تحفظ في نضالهما العادل ضد العدوان الاسرائيلي .

كذلك اجتمع سفراء الدول الافريقية في الاتحاد السوفييتي في السفارة المصرية واصدروا البيان التالي (عطفا على القرار الذي تم اتخاذه في الدورة العاشرة لمنظمة الوحدة الافريقية التي عقدت في اديس ابابا في مايو الماضي يعرب سفراء الدول الافريقية عن تضامن ودعم حكوماتهم وشعوبهم لحكومة وشعب مصر والشعوب العربية الاخرى

التي تخوض نضالا عادلا من اجل تحرير اراضيها من العدوان الاسرائيلي) . كذلك اعرب سفراء الدول الافريقية في واشنطن عن تضامنهم الكامل مع مصر والدول العربية الاخرى في جهودها لاستعادة اراضيها المحتلة كما نددوا بشدة بقصف المدنيين من جانب السلاح الجوي الاسرائيلي وناشدوا الحكومة الامريكية وقف جميع الامدادات العسكرية التي تقدمها الى اسرائيل فورا وحثوها على بذل كل ما لديها من نفوذ مع سرائيل كي تنسحب من الاراضي العربية المحتلة .

هذا وقد اصدر ممثلو حركات التحرير الافريقية في القاهرة بيانا اعلنوا فيه تأييدهم التام لقضية الحق العربي وللكفاح الذي تخوضه الشعوب العربية من اجل حريتها واستقلالها وجاء في البيان الذي وقعه ممثلو حركات تحرير جنوب افريقيا وزيمبابوى وناميبيا وموزمبيق وانجولا (ان من حق الشعوب التي وقع عليها عدوان ان تتخذ كافة الوسائل الدفاعية لتحرير اراضيها وازالة العدوان عنها) .

ردود فعل متفاوتة :

اما بالنسبة لموقف الدول الافريقية فقد تفاوتت ردود الفعل ازاء اندلاع الحرب في الشرق الاوسط اذ تراوحت ما بين التأييد والمساندة المطلقة للدول العربية والتي وصلت الى حد قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل باعتبارها الدولة التي تعرقل بسياستها العدوانية احراز السلام في الشرق الاوسط . وقد اتخذت هذا الموقف تسع دول افريقية هي على التوالي توغو ورواندا وداهومي وفولتا العليا والكاميرون وغينيا الاستوائية وتانزانيا ومدغشقر وافريقيا الوسطى وقد اجمعت هذه الدول كما جاء في نص قرارات قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل على (ادانة واستنكار العدوان الاسرائيلي على الشعوب العربية بشدة وتحميل اسرائيل مسئولية تصعيد الحرب في الشرق الاوسط بتجاهلها الدائم لقرارات الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية . كما ادانوا استخدام اسرائيل قنابل النابالم وغيرها ضد المواطنين المدنيين العزل في مصر وسوريا وأعلنوا ان قرار قطع العلاقات ليس الا تطبيقا امينا لقرار منظمة الوحدة الافريقية في دورتها الاخيرة) .

كذلك اتخذت بعض الدول الافريقية موقف التأييد المصحوب بتقديم معونات للدول العربية التي تخوض الحرب ضد اسرائيل كما اعتبرت نفسها في حالة حرب مع اسرائيل مثل موريتانيا والصومال ، فقد اعلنت حكومة موريتانيا تأييدها المطلق للشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي ووجهت نداء الى الدول الافريقية تهيب بها ان تبذل قصارى جهدها ومساعداتها الى الشعوب العربية التي تواجه عدوانا اسرائيليا جديدا . كما دعت الشعب الموريتاني ان يتابع باهتمام سير العمليات العسكرية في الشرق الاوسط وان يكون على اهبة الاستعداد لتقديم المساعدة الضرورية الى اشقائه المحاربين . واتخذت حكومة موريتانيا قرارا بتقديم المساعدة المادية الى كل من مصر وسوريا وحركة المقاومة الفلسطينية كما ارسلت وزير الخارجية الى نيويورك كي يقدم لممثلي الدول العربية الدعم الدبلوماسي والسياسي .

وقد ارسلت الصومال انطلاقا من سياسة تقديم المعونة المادية الى شعبي مصر وسوريا المناضلين ضد العدوان ٢٥٠ طنا من اللحوم والاسماك وتشكلت بقرار من مجلس الثورة لجنة حكومية تتولى جمع التبرعات لمصر وسوريا . كما جرت مظاهرات في مقديشيو وكيسمايو وجوهار وايسكوسويان عقدها الشغيلة لمساندة القضية العربية . واعلن مجلس الثورة ان الصومال تعتبر نفسها في حالة حرب مع اسرائيل .

وداخل اطار التنوع الذي اتسمت به المواقف الافريقية ازاء العدوان الاسرائيلي الجديد يبرز موقف اوغندا الفريد الذي وصل الى حد قيام رئيس جمهوريتها عيدي امين

بزيارة جبهات القتال وابداء الاستعداد للمشاركة الفعلية في الحرب وقد تجلى ذلك في الجولة التي قام بها الرئيس عيدي أمين لزيارة سوريا والسعودية والاردن والعراق وقال انه (يقوم بجولة في العالم العربي كي يتمكن من اطلاع افريقيا على صورة صادقة لمعارك حرب الشرق الاوسط) .

وهناك بعض الدول الافريقية التي اقتصر تأييدها على ارسال برقيات الى الدول العربية التي تخوض الحرب تعلن فيها انه (ما دامت الاراضي العربية محتلة من جانب القوات الاسرائيلية فان الشرق الاوسط سيظل بؤرة صراع تهدد السلام العالمي وعلى الامم المتحدة ان تبذل جهدا مضاعفا من اجل احلال السلام في المنطقة) . وقد ورد ذلك في برقية ارسلها الامبراطور هيلاسلاسي امبراطور اثيوبيا* وتصريح ادلى به كوامي يار المسئول بوزارة خارجية غانا وكذلك البيان الذي صدر عن وزارة خارجية زامبيا .

موقف كينيا من النزاع العربي الاسرائيلي :

وهناك بعض الدول الافريقية التي تتنوع في داخلها المواقف ازاء حرب الشرق الاوسط مثل كينيا والسنغال ففي الاولى ادان الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا بشدة العدوان الاسرائيلي المسلح في الشرق الاوسط واكد البيان (على ان استمرار احتلال اسرائيل لاراضي مصر احدى الدول المؤسسة لمنظمة الوحدة الافريقية يخلق خطرا جديا على السلام والامن في افريقيا ذاتها ودعا الاتحاد كافة الدول الافريقية المستقلة والقوى المحبة للسلام للوقوف ضد دسائس الصهيونية التي تساندها الامبريالية العالمية) . هذا بينما لم يخرج تصريح مجو روجيه مونجاي وزير خارجية كينيا عن التأكيد (على عدم السماح بالاستيلاء على اراضي الغير عن طريق القوة واهاب بالامم المتحدة ان تجد الحل الدائم لمشكلة الشرق الاوسط على اساس الانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة واحترام حقوق الشعوب) .

وهذا التنوع الذي تتسم به ردود الفعل في كينيا يعكس موقف التأييد المطلق للقضية العربية الذي تتبناه الجاليات الاسلامية هناك وخاصة في منطقة الساحل مقابل موقف الحياد الذي تحاول ان تبدو به حكومة كينيا ازاء مشكلة الشرق الاوسط ككل اذ لم تكن تخرج تصريحات المسئولين فيها وخاصة وزير خارجيتها عن ان كينيا تؤيد التوصل الى حل سلمي عن طريق التفاوض وهي عبارة غامضة لم تكن تتمشى مع تأييدها لقرارات منظمة الوحدة الافريقية التي تساند قرار مجلس الامن المطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية . ولكن يلاحظ ان بيان وزير الخارجية الاخير يعكس تحسنا ملموسا في موقف كينيا الرسمي من ازمة الشرق الاوسط — وتظهر اثار ذلك في وسائل الاعلام التي تملكها او تديرها الحكومة مثل الاذاعة والتلفزيون (صوت كينيا) ووكالة انباء كينيا فهي تقوم باذاعة الانباء الخاصة بالحرب في الشرق الاوسط دون التعليق عليها ويتضمن ذلك عرضا شاملا لتطورات الموقف والتصريحات التي يدلي بها الزعماء من جانبي النزاع دون التعليق عليها كما يقوم التلفزيون بعرض هذه الانباء والاحداث بصفة يومية . اما الصحافة في كينيا فهي ملك لشركات اجنبية غربية وخاصة شركة لونرو وهي شركة احتكارية بريطانية لها مصالح واسعة في روديسيا وجنوب افريقيا وكينيا وتمتلك مجموعة صحف الايست افريكان ستاندرد المعروفة بميولها الصهيونية ولهذا فان الصحافة تعكس وجهة النظر المعادية للعرب وللمقاومة الفلسطينية بصفة خاصة بينما نلحظ ان مجلة (كينيا مسلم) التي تعبر عن الرأي العام المثقف للجاليات الاسلامية تعكس التأييد المطلق للقضية العربية .

---

* بعد ذلك ببضعة ايام اعلنت اثيوبيا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

موقف السنغال :

كذلك موقف السنغال وقد جاء في بيان المكتب السياسي للحزب التقدمي السنغالي (ان الموقف في المنطقة العربية كان يمثل سلاما مزيفا يهدف الى تبرير ضم اراض اقليمية بالقوة ويجب ملاحظة الاعمال العدوانية التي تشنها اسرائيل في نفس الوقت الذي ترفض فيه الاعتراف بمبدأ ضم اراضي بالقوة ولا شك ان المسئولية تقع على اعضاء مجلس الامن وخاصة الدولتين الكبيرتين لانهم فشلوا خلال ٦ سنوات في تطبيق قرار مجلس الامن الخاص بانسحاب القوات الاسرائيلية) .

ويلاحظ بشكل عام ان اجهزة الاعلام السنغالية اقرب الى وجهة النظر الصهيونية منها الى وجهة النظر العربية في كافة القضايا المتعلقة بالنزاع العربي الاسرائيلي وقد انعكس ذلك بوضوح على معالجة الصحف للعدوان الاسرائيلي الجديد فهم يحرصون على تجنب كل ما من شأنه ان يسيء الى اسرائيل أو يفضح موقفها امام الرأي العام وقد برز ذلك في موقف صحيفة الشمس Le Soleil التي تديرها شركة فرنسية برأسمال يهودي ويرأس تحريرها باراديوف وهو معروف بعلاقاته الوثيقة بالسفارة الاسرائيلية في داكار . وذلك عكس صحيفة (غرب افريقيا) التي يرأس تحريرها اوبييه ديوب وهو منفتح على القضايا العربية وقد ابدت هذه الصحيفة تفهما ملموسا للقضية العربية واظهرت تضامنها مع الجانب العربي ودعت الامم المتحدة الى اتخاذ قرارات حاسمة من اجل وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط .

كما ان هناك بعض الدول الافريقية التي ادانت اسرائيل وهددت بقطع العلاقات الدبلوماسية معها اذا لم تبادر بسحب قواتها من الاراضي العربية مثل نيجيريا . وقد صرح بذلك يعقوب جوون رئيس الحكومة الاتحادية في نيجيريا اثناء توقفه في مدينة مونروفيا عاصمة ليبريا في طريق عودته من الجمعية العامة للامم المتحدة . كما أكدت الصحيفة الرسمية (نيو نيجريان) ان المسئولية عن تجدد القتال وتصاعد الاعمال العسكرية في الشرق الاوسط تقع كلية على عاتق السلطات الاسرائيلية . وقالت الصحيفة (أن مفتاح التسوية السلمية في الشرق الاوسط هو تنفيذ اسرائيل غير المشروط لقرار مجلس الامن الذي ينص على الانسحاب الفوري لقوات المحتلين من الاراضي العربية) .

ومن المهم تحليل وتقييم هذا التحول كعامل مؤثر على مركز اسرائيل في افريقيا وبالتالي على النزاع العربي الاسرائيلي . ففي نطاق سعي اسرائيل المستمر لتدعيم وتنمية العلاقات الدبلوماسية مع اكبر عدد من الدول الافريقية استطاعت ان تحقق نجاحا كبيرا عندما بلغ النشاط الاسرائيلي ذروته خلال الستينات ويتضح ذلك من انه في عام ١٩٦٨ وصل عدد بعثاتها الدبلوماسية الى ٣٢ بعثة في قارة بها ٣٥ دولة افريقية غير عربية هذا بالاضافة الى اقامتها علاقات وثيقة بالمسئولين في هذه الدول وتوقيع معاهدات صداقة وتعاون معها . وذلك كله فضلا عما حققته اسرائيل في المجال الاقتصادي (التجاري والاستثماري) وتكفي الاشارة الى اعداد الخبراء الذين اوفدتهم اسرائيل الى افريقيا قد وصل الى ٢٨٥٩ خبيرا في الفترة ما بين ١٩٥٨ — ١٩٧٢ وهو ما يمثل ٦٠ ٪ أو أكثر من جملة الخبراء الذين أرسلتهم اسرائيل الى دول العالم الثالث كما تلقى ٨١٤٢ فريقيا تدريبات في اسرائيل .

وبالفعل فقد ارادت اسرائيل ان تكون افريقيا ساحة ممتدة تحاصر بها الدول العربية وتنمي داخلها نقاط ارتكاز لنشاطها وصورت نفسها للدول الافريقية غير العربية الحديثة الاستقلال بأنها دولة تنتمي الى العالم الثالث والى قارتي اسيا وافريقيا والى تطلعاتهما الى التقدم والتحديث والتحرر بعد الاستقلال وانها بين هذه الدول تعد نموذجا فريدا

في قدراتها على الانجاز التكنولوجي وعلى تطوير الزراعة وعلى استزراع الصحراء وعلى تنشيط بيع منتجات القارة من المواد الخام والمحصولات الزراعية وانها فوق ذلك قادرة على الاقراض وعلى تنمية مشروعات تتولاهـا دولة صغـيرة لا تنتمـي الى الغـرب الاستعماري الذي تحملت افريقيا ابشع صوره استغلاله وقمعه واضطهاده واستطاعت ان تقنع القادة الافريقيين بأنها قادرة على ان توفر لمجتمعاتهم الاستقرار وان مخابراتها كفيلة بتقديم مشورات مفيدة ومعنويات جدية في كبت كل حركة تمرد وملاحقة كل محاولة انقلاب .

منظمة الوحدة الافريقية والنزاع العربي الاسرائيلي :

ولكن رغم هذه الانجازات التي حققتها اسرائيل فقـد اصيب المخطط الاسرائيلـي باخفاق دبلوماسي تمثل في اقدام ١٧ دولة افريقية على قطع علاقاتها الدبلوماسية مـع اسرائيل . ويعكس هذا الاخفاق مدى التطور الذي طرأ على موقـف منظمة الوحـدة الافريقية من النزاع العربي الاسرائيلي منذ عدوان ١٩٦٧ حتى الان .

فبينما نلحظ في مؤتمر منظمة الوحـدة الافريقيـة المنعقد في سبتمبر سنـة ١٩٦٧ اقتصارها على (ابداء تعاطفها مع مصر واعرابها عن قلقها ازاء الموقف الخطـير الذي يسود جمهورية مصر وهي بلد افريقي تحتل جزءا من اراضيه قوة اجنبية) نرى ان هذا الموقف قد تطور في سبتمبر ١٩٦٨ واصبحت المنظمة تطالب (بانسحاب القوات الاجنبية من جميع الاراضي العربية طبقا للقرار الصادر عن مجلس الامن في نوفمبر ١٩٦٧) . ثم نلحظ ان الازمة قد ادرجت لاول مرة بشكل اساسي في جدول اعمال المنظمة في المؤتمر الذي انعقد في سبتمبر ١٩٦٩ حيث دعت الى ضرورة (انسحاب القوات الاجنبية مـن الاراضي العربية المحتلة وناشدت الدول الاعضاء في المنظمة بالعمل على المساهمة في تنفيذ هذا القرار بدقة) . كذلك في مؤتمر اديس ابابا في سبتمبر ١٩٧٠ اكدت المنظمـة على (ضرورة تأييد الجهود التي يبذلها الممثل الخاص للامم المتحدة من اجل تنفيذ احكام قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الخاص بالانسحاب) . وفي الدورة الثامنة لمنظمة الوحدة الافريقية التي انعقدت في يونيو ١٩٧١ واشترك فيها رؤساء ١٥ دولة افريقية طالـب بضرورة انسحاب اسرائيل الى الحدود التي كانت قائمة قبل حرب الايام الستة . كما ندد المؤتمر باسرائيل لانها لم ترد بالايجاب على مذكرة الدكتور يارينج الممثل الخاص للامم المتحدة في فبراير ١٩٧١ . وفي مقابل ذلك اعرب رؤساء افريقيا عن تضامنهم وتقديرهم لموقف مصر الايجابي لانها ردت بشكل ايجابي على مقترحات الدكتور يارينج ممـا يعتبر بمثابة مبادرة يمكن ان تسهم في اعادة سلام عادل ودائم في المنطقة العربية .

وقد شمل قرار منظمة الوحدة الافريقية بندا اضافه رئيس زامبيا ينص على تشكيل لجنة تتكون من عشرة رؤساء افريقيين تقوم بالضغط على الدول الكبرى من اجل التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط وتركز هذه اللجنة جهودها على ضرورة تطبيـق قرار مجلس الامن وتأييد مهمة يارينج مبعوث الامم المتحدة للسلام . وبالفعل فقد تشكلت اللجنة من رؤساء عشر دول افريقية هي موريتانيا واثيوبيا وليبريا والكاميرون وساحل العاج والسنغال وتنزانيا وكينيا وزائيري ونيجيريا برئاسة المختار ولـد داده رئيـس موريتانيا . وقد تفرعت عن لجنة العشرة لجنة الحكماء الافريقيين الاربعة وهم رؤساء الكاميرون والسنغال ونيجيريا وزائيري وقد قامت هذه اللجنة بالاتصالات بين الاطراف المعنية وقدمت تقريرا شاملا بنتائج اتصالاتها الى سكرتير الامم المتحدة . وقد اكـدت منظمة الوحدة الافريقية في دورة انعقادها التاسعة بالرباط في يونيو ١٩٧٢ على استنكار موقف اسرائيل السلبي المعوق الذي يمنع استئناف مهمة يارينج وحثت جميـع الدول الاعضاء على (تكثيف عملها في المحافل الدولية ومجلس الامن والجمعية العامة لاتخـاذ

جميع المبادرات من اجل انسحاب اسرائيل الفوري وغير المشروط من الاراضي العربية وشجب موقف اسرائيل الذي يعرقل تنفيذ قرار مجلس الامن) كما طالبت الدول الاعضاء (بالامتناع كلية عن تزويد اسرائيل بأية اسلحة او معدات عسكرية مما قد يشجعها على الاستمرار في احتلال الاراضي العربية والافريقية) .

ويعتبر القرار الذي اتخذته منظمة الوحدة الافريقية في دورة انعقادها العاشرة (مايو ١٩٧٣) بشأن ازمة الشرق الاوسط اقوى قرار اتخذته منذ حرب ١٩٦٧ اذ لأول مرة اعترفت (بأن احترام الحقوق الثابتة لشعب فلسطين يشكل عنصرا اساسيا في أي حل عادل ومنصف للازمة) كما اعلنت ان موقف اسرائيل (قد يحمل الدول الاعضاء في منظمة الوحدة الافريقية على ان تتخذ على المستوى الافريقي بصورة فردية او جماعية تدابير سياسية واقتصادية ضد اسرائيل وذلك بسبب تهديدها لامن القارة الافريقية ووحدتها نتيجة لعدوانها المستمر ورفضها الجلاء عن الدول التي وقعت ضحية لعدوان ١٩٦٧) .

وعلى نطاق الامم المتحدة حدث تحول افريقي مماثل،ففي اعقاب حرب يونيو١٩٦٧ اتسم الموقف الافريقي عموما بالتردد كما ادى رفض ١٩ دولة افريقية تأييد مشروع قرار عدم الانحياز الذي كان يدعو الى سحب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط ٥ يونيو الى اسقاطه الا أنه يلاحظ حدوث تغير واضح منذ سنة ١٩٧٠ في الموقف الافريقي بشكل عام وخاصة بعض الدول التي كانت تدافع بشدة عن وجهة النظر الاسرائيلية وهي غامبيا وغانا ومدغشقر . وقد وصل هذا التطور الايجابي الى حد مساهمة دولتين افريقيتين هما نيجيريا وتانزانيا في المناقشات الاخيرة لمجلس الامن كممثلتين لمنظمة الوحدة الافريقية للتعبير عن ادانة المنظمة الشديدة للاحتلال الاسرائيلي .

(٧) الموقف الاميركي تجاه : « الحدود الآمنة لاسرائيل » و « المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني »

١ ــ خلفية السياسة الاميركية تجاه اسرائيل :

يحكم السياسة الاميركية تجاه اسرائيل ثلاثة تناقضات أساسية :

التناقض الاول هو التناقض القائم بين **مهام حركة التحرر الوطني** العربية وقواها الطبقية المحركة وبين **المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية الاميركية** والطبقات والفئات والقوى الاجتماعية التي ترتكز عليها تلك المصالح . ويتخذ هذا التناقض شكل التضاد بين التصدي لانجاز مهام حركة التحرر الوطنية العربية في الاستقلال الاقتصادي والسياسي والعسكري ومصالح الولايات المتحدة ومرتكزاتها الاجتماعية والسياسية .

التناقض الثاني بين **وجود اسرائيل ونقيضها التاريخي** الشعب الفلسطيني ، ووحدة هذا النقيض مع حركة التحرر العربية . ويتخذ هذا التناقض الاساسي في المنطقة العربية موضوعة الاشمل بالتضاد بين **وجود واستمرار** اسرائيل وانجاز المهام الوطنية لحركة التحرر الوطنية العربية والفلسطينية من اجل التحرير وتقرير المصير للشعب الفلسطيني وانجاز الاستقلال الاقتصادي والسياسي والعسكري لفصائل حركة التحرر العربية ، والتي تشكل بمجموعها اداة تنفيذية موحدة لنقض اسرائيل .

التناقض الثالث هو التناقض الكامن بين « أهداف وطموحات » اسرائيل التوسعية الاقليمية (من النيل الى الفرات) وما يرافق ذلك التوسع من أهداف اقتصادية وسياسية

وعسكرية ، وبين الاهداف الوطنية لحركة التحرر العربية السياسية والاقتصادية والعسكرية .

هذه التناقضات هي التي تحدد معسكري الصراع وموضوعة معسكر الولايات المتحدةواسرائيل . الولايات المتحدة ومصالحها الاقتصادية معبرا عنها بالقوى الاجتماعية التي ترتكز عليها ، واسرائيل كأداة ضاربة في المنطقة ضد حركة التحرر العربية والفلسطينية ومعسكر حركة التحرر العربية والفلسطينية الذي يشكل وجوده ومصالحه تعاكسا مع وجود ومصالح المعسكر الاول .

هذه التناقضات هى التي تعين جوهر السياسة الامريكية تجاه اسرائيل :

٢ ــ السياسة الاميركية تجاه اسرائيل قبل الخامس من حزيران :

انطلاقا من طبيعة تناقضات الصراع وحدت السياسة الاميركية أرضية تداخلها مع سياسة اسرائيل واتخذت الخطوط الرئيسية التالية :

١) الدعم الاقتصادي الاميركي لبناء اقتصاد اسرائيلي مرتبط باقتصاد الولايات المتحدة .

٢) المساعدات العسكرية الاميركية لايجاد تفوق اسرائيلي يواكب البناء العسكري العربي .

٣) الدعم السياسي والديبلوماسي المطلق لتغطية اعتداءات اسرائيل على المنطقة العربية وتخفيف اثار المقاطعة العربية .

٣ ــ السياسة الاميركية تجاه اسرائيل بعد حزيران ١٩٦٧ :

بعد الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي اثناء حرب حزيران ، اتخذت السياسة الاميركية تجاه اسرائيل المحاور التالية :

١) المحافظة على **التفوق العسكري** الدائم وتجهيز اسرائيل بمختلف انواع الاسلحة المتطورة آخرها « الفانتوم » .

٢) المحافظة على **تماسك الاقتصاد** الاسرائيلي بالدعم المستمر الذي وصل الى اكثر من ٧٠٠ مليون دولار سنويا .

٣) التأييد الكامل لاسرائيل من المنظمات الدولية لدعم سياستها في البقاء في الارض العربية المحتلة .

أهداف السياسة الاميركية :

١ ــ تحويل الانتصار الاسرائيلي الى انتصار اميركي وما يترتب على ذلك من تغيرات اقتصادية وسياسية في المنطقة .

٢ ــ الابقاء على احتلال الاراضي وعدم تنفيذ المقررات الدولية في الانسحاب لاحداث التغيرات الطبقية والاقتصادية التي تخدم استراتيجية الولايات المتحدة الاميركية .

٣ ــ محاولة عرقلة وتهديم العلاقات العربية السوفياتية لشل التأثيرات الايجابية الفعالة للصداقة السوفياتية . خاصة في المجالين العسكري والاقتصادي. والابقاء على الاختلال في ميزان القوى لصالح اسرائيل .

٤ ــ الضغط على الانظمة العربية الوطنية واضعافها لدفع الانظمة المحافظة للتأثير الفعال في المنطقة والتصدي لقيادتها . . . وقد اتخذت السياسة الاميركية تجاه معضلة الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ صيغة تأييد « الحدود الآمنة لاسرائيل » معبرا عنها بــ:

ــ تأييد قرار مجلس الامن نظريا والالتزام بالتفسير الاسرائيلي للحدود الآمنة عمليا .

— التأييد المطلق لمطلب اسرائيل في المفاوضات المباشرة التي تحرم الجانب العربي الرسمي من توازن القوى الدولي في المفاوضات الدولية ، وجعلها تقوم على اساس الاحتلال لصالح اسرائيل لفرض شروطها .

اما تجاه « المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني وهي الصيغة التي اجبرت الثورة الفلسطينية الولايات المتحدة على الاقرار بها . فان السياسة الاميركية تحاول التلاعب بها وتجويفها بما ينسجم مع سياستها ومصالح اسرائيل .

١ — التفسير العملي الاميركي لهذه الصيغة اتخذ شكل البحث عن ممثلين للشعب الفلسطيني من خارج حركة المقاومة . من الممكن ان يمثلوا كل شيء الا المصالح الحيوية للشعب الفلسطيني ، كما أعلن سيسكو عشية الحرب .

٢ — الصيغة التي تحكم السياسة الاميركية تجاه الارض المحتلة عام ١٩٦٧ ، وتفسيرها « للمصالح المشروعة للشعب الفلسطيني هي الصيغة التي تشكل المنطلق النظري لوزير الخارجية الاميركي قبل الحرب وهي « تسوية بين الفريقين (العربي الفلسطيني — الاسرائيلي) يكون كل فريق **غير راض** تماما ولكنه **لا يستطيع ان يخرق التسوية** » الترجمة التطبيقية .

— اسرائيل تكون فيها **غير راضية تماما** . اي باقناعها بقبول التفسير الاميركي « للحدود الآمنة » وغير قادرة على ترجمة عدم الرضى بمعنى عدم موافقة السياسة الاميركية على تجاوز تلك « الحدود الآمنة » .

— العرب المحتلة اراضيهم سيكونون **غير راضين تماما** ، عليهم ان **يرسبوا عدم رضاهم** مقابل ارجاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ مع ضمان « الحدود الآمنة وتعديلاتها » مقابل اتفاقية « لسلام دائم » على حساب الوطن والشعب الفلسطيني .

— الفلسطينيون يكونون **غير راضين** ليس بسبب ما لا يقبله العدو او يقبله بل بسبب **وجود العدو نفسه** . وبالتالي فان السياسة الاميركية لم تكن واضحة اطلاقا في تفسير الصيغة التي اقرتها في بيان القمة السوفياتية الاميركية عن المصالح المشروعة .

هذه المنطلقات وجدت ترجمتها في التفسيرات العملية لمناقشات الوزير الاميركي مع الوزراء العرب عشية الحرب .

الصيغة العملية : « ايجاد حل يمكن ان يكون **مقبولا من كل الاطراف** وعلى اساس ذلك يقام السلام » .

اسرائيليا : حدود آمنة معدلة بصيغة اميركية **وترسيب عدم الرضى التام** مقابل ضمان اميركي في الحماية .

عربيا : انسحاب اسرائيلي من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ في حدود **عدم رضى جزئي** وترسيبه بسبب ما سترتبه الاتفاقية من شل قدرة اية معارضة عربية او ترجمة لعدم الرضى .

فلسطينيا : حتى عشية اندلاع الحرب لم يكن للسياسة الاميركية اية تصريحات أو صيغ محددة لتلبية « المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني » .

في اجتماع كيسينجر مع الوزراء العرب وردت فيه الاشارة الوحيدة من الصيغة القائلة بأن وجود محاور فلسطيني في المفاوضات سيسهل المشكلة « مع محاولة التوفيق بينها وبين موافقة حسين ، في اطار مشروعه او غيره.

هذه الاسس النظرية والنصوص الرسمية هي التي **أرسيت عليها** دعائم السياسة

الاميركية تجاه اسرائيل والعرب ، تجاه المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ و « الاماني المشروعة للشعب الفلسطيني » .

٤ ــ **الموقف والسياسة الاميركية تجاه اسرائيل بعد اندلاع الحرب :**

منذ اندلاع العمليات الحربية في السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ اتخذت السياسة الاميركية مواقف متغيرة متبدلة ، ولكن حدود التغير والتبدل **لم تخرج عن المرتكزات الاساسية** للاستراتيجية الاميركية بأي شكل من الاشكال .

الفصل الاول : مواجهة بدء القتال :

لقد اتخذ الموقف الاميركي تجاه بدء العمليات الحربية واستمرارها الشكل التالي :

ــ الدعوة لايقاف اطلاق النار الفوري ، **دون تحديد او شروط** لوقف اطلاق النار . وبعد التنسيق مع الموقف الاسرائيلي والاتصالات المكثفة مع أبا ايبن ، التزم الموقف الاميركي تماما بوجهة النظر الاسرائيلية .

ــ المطالبة بايقاف اطلاق النار مشروطا **بانسحاب عربي** الى حدود ما قبل القتال .

ــ دعوة وزير الخارجية الاميركية حكام الاردن والسعودية « **للتصرف باعتدال** » .

ــ التلويح بالاسطول السادس الاميركي ، كما عبر عنه الناطق باسم الخارجية الاميركية بالقول « ان قطعا بحرية تابعة للاسطول السادس الاميركي تحركت من موانىء اليونان في البحر الابيض المتوسط » .

ــ التهديد بالموقف العسكري الاسرائيلي والثقة بقدرته على صد الهجمات العربية وتحطيمها واعادة القوات العربية الى حدود ما قبل اندلاع القتال . وهذا ما قاله وزير الخارجية الاميركي للوزير المصري (الزيات) بصيغة **ثقة مطلقة** بقوة اسرائيل، وتأكد مطلق **بفشل** الهجوم العربي، مصحوبا بتهديد اميركي عن المصير الذي ينتظر العرب... هذه الخطوط الاربعة هي التي ميزت الموقف الاميركي في الفصل الاول .

في اجتماع مجلس الامن : كان التحرك الديبلوماسي الاميركي باتجاه العمل على تحقيق **انسحاب عربي الى خطوط ما قبل المعارك** ، محاولة سريعة لردع الانظمة العربية عن المشاركة في القتال او تأييده ، ولكي يكون التحرك الديبلوماسي الاميركي فعالا ، كان التلويح بالتدخل الاميركي والاعلان عن تحركات الاسطول الاميركي الغامضة المهمات والاتجاه .

هذا التحرك الاميركي ، كان **الاحتياط البديل** للثقة الاميركية المطلقة بالقدرة العسكرية الاسرائيلية على **تدمير وسحق القوات العربية** وتحقيق انتصارات عاجلة في ميدان القتال تساعد التحركات الديبلوماسية وتخلق عناصر نجاحها .

ولكن الثقة الاميركية بالقدرة العسكرية الاسرائيلية على تحقيق أرضية لتحركها الديبلوماسي ارتطمت وتحطمت امام الدفاعات العربية السورية ــ المصرية وصمود المقاتلين العرب في الجبهات المحاربة الثلاث الجنوبية والشمالية وجبهة الثورة الفلسطينية .

في النتيجة لم يستطع التحرك الاميركي ان يحقق شيئا بسبب انعكاس وقائع جبهات القتال على جميع المواقف السياسية العالمية . وبعد ان استطاع الفيتو السوفياتي ــ الصيني في مجلس الامن ان يعرقل اي قرار اميركي لمصلحة اسرائيل . ولم يبق من التحرك السياسي الاميركي سوى مدى التأثير والردع الذي احدثته الرسائل الاميركية الى السعودية والاردن « بالتزام جانب الاعتدال » . الى جانب تصعيد اشارات التلويح بتحركات الاسطول السادس الاميركي .

ولكن حقائق ميادين القتال العنيدة هذه المرة **بدأت تهدد المرتكزات الرئيسية للسياسة الاميركية** بعد استنفاد زخم الهجوم الاسرائيلي المضاد وتحول الحرب الى سجال متبادل في المعارك وانتصارات عربية متزايدة في اليوم الثالث للقتال . هذا الواقع دفع بالسياسة الاميركية نحو فصل جديد يستجيب بسرعة **لمواجهة التغيرات الاساسية في ميادين القتال** ... ولكن الخطوط الرئيسية لهذا الفصل لا تخرج ايضا عن المرتكزات الاساسية العامة تجاه الازمة .

الفصل الثاني في السياسة الاميركية : لمواجهة فشل المراهنة على الهجوم المضاد الاسرائيلي ووصول المناورة الاميركية الى طريق مسدود ، **وبوادر الاختلال في ميزان القوى** في جبهات القتال تحددت خطوط هذا الفصل كما يلي :

١ ــ التصعيد الى درجة التهديد بالتدخل ، ودفع الصراع الى آفاق دولية . اي الى آفاق المواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

٢ ــ مخاطبة الاتحاد السوفياتي بعبارات تهديدية ، « بوضع جميع **عناصر الاتفاقات الثنائية** » بين البلدين **وعناصر الانفراج الدولي** مقابل **حصر النزاع وتطويقه** في الشرق الاوسط ، قبل الاختلال الواسع في ميزان القوى ضد اسرائيل ، وبالتالي ضد اميركا .

٣ ــ الحرص على ابقاء التهديد في حدود **تكتيكية ضيقة** عن طريق الاشارة الى عدم توفر عناصر ضرورة الموقف الحازم ، **والاشارة الى امكانات التراجع المفتوحة** .

في تصريحات هنري كيسينجر نتلمس هذه الخطوط بوضوح « ان التقارب بين اميركا والاتحاد السوفياتي لا يمكن ان يستمر ... وان الحكومة الاميركية لا تخادع نفسها فيما يتعلق بالسياسة التي ينتهجها المسؤولون في الكرملين ... ولذا فان الولايات المتحدة حرصت على تطوير وسائل دفاعية غير محدودة (النهار ٩ تشرين الاول ١٩٧٣) .

اما عناصر محاولة التهديد والردع في تصريحات الوزير فقد وردت في القول « ان على الاتحاد السوفياتي ان لا يتخذ موقفا غير مسؤول » ولكن المقطع الاساسي من التصريحات الذي يحاول **تدويل الصراع وتهديد التوازنات** الدولية التي خففت من حدة التوتر في العامين الماضيين فقد حددها الوزير الاميركي « بان الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الايدي اذا استغلت سياسة تحقيق حدة التوتر كشعار لتصعيد الخلافات في مناطق دولية مضطربة » وهذه اشارة واضحة الى الموقف السوفياتي الواضح في تأييد حق العرب في تحرير الاراضي المحتلة ، وبالتالي تأييد العمليات الحربية لتحريرها ــ هذا الموقف السوفياتي من وجهة النظر الاميركية « استغلال لسياسة تحقيق التوتر لتصعيد الاضطرابات في الشرق الاوسط » .

ولتأكيد ازدواجية السياسة وترابط مرتكزاتها الرئيسية حرصت الخارجية الاميركية على **تسريب تفسيرات** لاقوال كيسينجر لكي تخفف من ردود الفعل المحتملة تجاه التصريحات ، او اعطاءها تفسيرات جدية ، خاصة في لهجتها التهديدية . لقد قال المسؤولون في الخارجية « ان كيسينجر لم يقصد ان الكرملين يتصرف بشكل غير مسؤول»... وكذلك الاشارة الى «ان موسكو ابدت **اهتماما مماثلا** لاهتمامات واشنطن لوقف القتال » . (النهار ٩ تشرين الاول ١٩٧٣) .

وكان الرد السوفياتي عنيفا والفعل سريعا : الاعلان عن الاستجابة الكاملة **لتزويد العرب بالسلاح والعتاد** وجميع المتطلبات الضرورية ، العسكرية والاقتصادية لتحرير الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ والرسالة « التحريضية » لبومدين لتأييد القتال ودعوة الدول العربية للدخول في المعركة . كانت الرسالة الخطيرة **اكثر العناصر استفزازا** بالنسبة للولايات المتحدة . كذلك كان الموقف العربي ، السوري ــ المصري المقاتل خاصة

مستجيبا للتصعيد وقابلا للتحدي ، في حدود الاستمرار في القتال ، وكانت ميادين القتال هي الاخرى ، وهي الاصل تصب في عناصر هذا التصعيد العربي — السوفياتي .

واستجابة لهذه المواقف التي واجهت التصعيد الاميركي في الفصل الثاني ... جاءت التصريحات الجديدة لوزير الخارجية الاميركي لترسم **خطا معتدلا مرة اخرى** ، دافعة السياسة الاميركية الى الفصل الثالث من مرحلة ما بعد القتال .

الفصل الثالث : لقد تميز هذا الفصل بتلطيف لهجة التصعيد ، تحديدهم المساعدات لاسرائيل في حدودها الضرورية . الابقاء على عنصر البديل ، أي التهديد ، ودفعه الى الوراء كاحتياطي ثابت لاحتمالات اختلال التوازن في ميادين القتال ، ومن أمثلة ذلك :

— في توضيحه للخط الاول أكد وزير الخارجية الاميركي بعد يوم واحد من تهديداته السابقة مناشدا العرب والاتحاد السوفياتي بالقول « ما زلنا نحاول تلطيف النزاع ».

— **التقدير الاميركي** ،وبشكل استثنائي ومتكرر في جميع التصريحات لـ « **اهمية ضبط النفس النسبي** ، الذي ظهر في وسائل الاعلام العامة في الاتحاد السوفياتي ، وفي سلوك مندوبه لدى مجلس الامن .

— **التقييم الاميركي للمساعدات السوفياتية** المقدمة للعرب . يقول كيسينجر بعد يوم واحد من اتهامه للاتحاد السوفياتي بـ « تصعيد الخلافات في مناطق مضطربة » : يقول عن شحن الاسلحة والمعدات السوفياتية للمناطق المضطربة « ان شحن المعدات في الجو في هذا الوقت **معتدل** وهو أكثر من خفيف **وشحن جوهري** الى حد ما ، اذا ما نظر اليه بالنسبة الى احتمال التأثير على العمليات العسكرية » .

وفي مخاطبة العرب ، بعد التصعيد السابق ، يحاول الوزير الاميركي ان يكون معتدلا ايضا ، **معتدلا بما فيه الكفاية** لاعطاء المبررات الضرورية للدول النفطية المحافظة على عدم استخدام النفط كسلاح حاسم وباجراءات فعالة . اشار الوزير الاميركي الى ذلك بالقول « لقد قمنا بمجهود جدي للغاية في هذه الازمة **للاخذ في الاعتبار** ، بشكل جدي **قلق العرب** ووجهات نظرهم » .

— اما العنصر الاخير في تصريحاته « الهادئة » ، والاول في تصريحات التصعيد السابقة ، (التهديد) فقد دفعه كيسينجر الى الوراء ، لجعله **البديل الجاهز** في حالة عدم الاستجابة السوفياتية العربية لتلطيف التحديات وايقاف التصعيد ، هذا العنصر الاخير جاء بالصيغة التالية : « عندما نتوصل الى اقرار ان الاعمال (مساعدات السوفيات) **وصلت الى نقطة اللامسؤولية** فاننا لن نتردد في هذه الازمة في اتخاذ **موقف حازم** » .

وكانت ردود الفعل السوفياتية العربية ، ليست كما تريد السياسة الاميركية بالضبط. فان سير المعارك في جبهات القتال ، واشتراك جيوش عربية اخرى وبفاعلية كبيرة خاصة الجيش العراقي ، واستمرار ثبات الموقف المصري السوري ، أجبر السياسة الاميركية على الانتقال مرة اخرى ، وبسرعة ايضا الى الفصل الرابع ... التصعيد ثانية ، وبوتيرة أكثر ايقاعا من قبل .

الفصل الرابع : تتميز عناصر هذا الفصل بخطوطها الرئيسية التالية :

— التهديد الرسمي بالتدخل (خطاب نيكسون) — الاعلان عن شحن كميات كبيرة من الاسلحة — الابقاء على خط التراجع ودفعه الى الوراء **كاحتياطي نحو** ضبط الصراع وتلطيفه مرة اخرى .

— لقد جاءت لهجة التهديد في تصريحات نيكسون وبنص رسمي يوحي بامكانات

التدخل ويعني شكل ذلك التدخل المحتمل . في الشق الاول يؤكد نيكسون « ان وجود الولايات المتحدة **قوية ومحترمة** ضروري لاقامة « سلام » في الشرق الاوسط » . اما عن تعيين شكل التدخل فقد أعطى الرئيس الاميركي نموذجا للمقارنة مع ظرف التدخل الاميركي عام ١٩٥٨ عندما تدخلت وحدات البحرية التابعة للاسطول السادس في شواطىء بيروت للدفاع عن حكومة شمعون ضد التدخل السوري كما اوردت التفسيرات . واستعداد الاسطول السادس واستنفار الفرقة ٨٢ للتدخل ضد سوريا في نهاية عام ١٩٧٠ عندما ظهر احتمال اختلال التوازن العسكري في الاردن لصالح حركة المقاومة الفلسطينية .

ـــ الاعلان رسميا عن الجسور الجوية والمحاور البحرية لتزويد اسرائيل بالمعدات الحربية وبكميات كبيرة . ولتبرير زيادة ارسال الاسلحة ، أعلنت المصادر الاميركية ان الاسلحة والاعتدة الجديدة التي تشحن الى اسرائيل لا تساوي غير عشر (١/١٠)(١) المساعدات السوفياتية (الاسلحة والمعدات) التي وصلت الى دمشق والقاهرة في الاسبوع الماضي .

ـــ الاعلان الرسمي عن شحن الاسلحة جاء بعد ساعات من صدور تصريحات عربية مهددة بتخفيض متصاعد للنفط المصدر للولايات المتحدة ، اي تجاوز التهديدات النفطية واهمالها .

ـــ ولكن **خط التراجع بقي مفتوحا** وبقي **يرافق التصعيد** والتهديد **كالظل** في الفصول السابقة هذا الاحتياط جاء بصيغة قائلة « ان الاتصالات مع موسكو مستمرة » .. وهدفها تجنب « تصاعد اكبر في النزاع » هذا البديل الاخير هو الجسر الذي تبقى عليه السياسة الاميركية **لالتقاط الاستجابات** العربية ـــ السوفياتية .

الفصل الخامس : خطاب الرئيس السادات والتفسيرات الاميركية والخطوات السياسية التي تترتب على تلك التفسيرات .

ـــ كان الفصل الاول كما اوردته رويتر كالاتي : « رحب مسؤولون في الولايات المتحدة من نظرة اولى بعرض الرئيس السادات لحضور مؤتمر سلام باشراف الامم المتحدة ، وقالوا ان تحركا نحو وقف اطلاق النار يجب ان يكون في الاتجاه الصحيح » . هذا « الاتجاه الصحيح » الذي يتحدث عنه الاميركيون تجده في وجه المنظر الرسمية للحرب ، او التفسيرات الاميركية بطبيعتها واهدافها (النهار ١٨ تشرين الاول ١٩٧٣).

ـــ في التفسير الذي تحدث عنه كيسينجر لهدف الحرب، والذي تبنى اسس السياسة الاميركية لمعالجة الحرب ومضاعفاتها على اساسه هو « ان الهجوم العربي قد حركه الامل بأن تظهر الحرب الجديدة عدم قبول القاهرة ودمشق للامر الواقع ، واذا كان هذا هو الهدف ، يقول الوزير الاميركي .. **« نعتقد ان هذا الهدف قد أنجز »** الحديث بعد اسبوع فقط من القتال ١٢ تشرين الاول ١٩٧٣ . ويضيف اخيرا بناء على ذلك « ان الولايات المتحدة مستعدة للمساعدة على تحقيق تسوية متفاوض عليها » .

ـــ الهيرالد تريبيون الاميركية تضرب على خطوط هذا التفسير الاميركي فقد كتبت في

---

١ ـــ الاسلحة والمعدات الاميركية التي شحنت بحرا وجوا في يومي الاحد والاثنين بلغت :

ـــ ٥٠٠ طن من المعدات . كما ذكر المسؤولون في واشنطن ان السوفيات واميركا يشحنون ٧٠٠ طن يوميا.

ـــ ٢٠ طائرة نفاثة فانتوم ، اقلعت من قواعد اميركية من اوروبا .

ـــ سفينة شحن تحمل طائرات ، سكاي هوك ، ودبابات ، أقلعت من ولاية فرجينيا .

ـــ ٢٥ طائرة سكاي هوك حطت في احد الموانىء الاميركية تمهيدا لشحنها الى اسرائيل .

٨ تشرين الاول ١٩٧٣ « ربما قام العرب بذلك — اي الحرب — أملا في تحقيق نجاح عسكري كاف لتعزيز موقفهم المفاوض » .

— بهذه الخلفية في وجهة النظر الاميركية التي تحدث عنها وزير الخارجية والصحيفة الاميركية اجتمع نيكسون بوزراء الخارجية العرب ، **وبالطبع بعد سماعه لخطاب السادات ومشروعه** ، وبعد تحديد وجهة نظر اميركية تجاهه .

ان التغييرات في فصول السياسة الاميركية لا تعني ، وللحظة واحدة ، اي تغيير في المرتكزات الاساسية المتقدمة لها . بل تعني وبالضبط ، الاستجابة لمعطيات التغيرات العسكرية في ميادين القتال وتفاعلاتها السياسية في الموقف السوفياتي والعربي ودول العالم . والمعالجات الاميركية المتغيرة هي معالجات **تستجيب الى درجات الحرارة السياسية المتغيرة في الموقف السوفياتي والمواقف العربية والعالمية** التي تؤثر فيها حقائق ميادين القتال . ولكن تلك التحولات الجزئية في السياسة الاميركية تصب جميعا في الحدود والاشكال التنفيذية والتطبيقية للمرتكزات الاساسية وهي : **ضبط الصراع وتطويقه عسكريا وسياسيا** . العمل على خلق ظروف تسمح بتحقيق تسوية اميركية — اسرائيلية معدلة بالحدود الدنيا لتأثيرات المعارك بعد تشرين الاول ١٩٧٣ والتي هي كما في تفسير الوزير الاميركي المتقدم « لاثبات عدم الخضوع للامر الواقع » ، وقد انجز الهدف ، كما يقول . وكما تذهب الصحيفة الاميركية الى المعنى نفسه . ولكن تلك التعديلات التي ستفرضها المعارك « لا يمكن ان تحددها رغبات الولايات المتحدة الذاتية او ضغوطات اسرائيل المتزايدة بل أن الحجم والوزن العسكري وطبيعة قيادته السياسية هي التي حددت وستحدد مستقبل الصراع وافاقه وليس شيئا اخر أبدا .

ان التغييرات التكتيكية المؤقتة والمتحولة في السياسة الاميركية تعبر عن الشكل الوحيد الذي **يمكن من عدم الانزلاق** الى تدخل استراتيجي اميركي مباشر ، ومواجهة اميركية سوفياتية شاملة حسب التقديرات الاميركية ، تدفع بالصراع الى آفاق بعيدة يمكن لها أن تدمر المصالح الاميركية وتهز الانظمة الحليفة لها ، وتقلب الحسابات الاستراتيجية راسا على عقب ، وتهز مرتكزاتها . وهذا يعتمد على قدرة قيادة الحرب العربية على **الاستمرار في القتال** .

٥— المرتكزات الاستراتيجية الاساسية للسياسة الاميركية في المنطقة :

١) **الحفاظ على ميزان القوى العسكري** في المنطقة مختلا لصالح اسرائيل ، ودرجة الاختلال المطلقة هي ما عملت السياسة الاميركية على تركيزها قبل اندلاع القتال ، وعندما تجد من الصعوبة بسبب نتائج الحرب الحفاظ على تلك النسبة ، لا تتخلى الاستراتيجية الاميركية عن هدف الاختلال النسبي لصالح اسرائيل بسهولة ، الا اذا ارغمت على ذلك . وكما حدد ايبن في تقييمه للسياسة الاميركية تجاه موضوع التوازن العسكري بالقول « ان الاتصالات المتواصلة حول كل ما يتعلق بميزان القوى لا زالت قائمة » (في اليوم العاشر للقتال ١٦ تشرين الاول) . ولذا فانني لا ارى أي ظلال قائمة بل استمرار في التعارن والتقييم والمشاورات .

٢) **امن اسرائيل : هذه المسألة كانت قبل الحرب تأخذ صيغة « الحدود الامنة » أما** بعد اندلاع القتال واستمراره فان قضية « امن اسرائيل » تحظى بالتأييد الثابت والمطلق من الولايات المتحدة باعتبار ان دولة اسرائيل لها سيادة واستقلال بين دول المنطقة . هذا ما أعلنه نيكسون في تحديده للمرتكزات الاستراتيجية في المنطقة بالقول : « اننا نقول بحق كل أمة في الشرق الاوسط **في المحافظة على استقلالها وأمنها** » .

٣) الوزن السياسي والعسكري والاقتصادي للولايات المتحدة هو الضمانة الوحيدة لاستقرار المنطقة وتوفير فرص السلام فيها . وهذا ايضا ما أعلنه نيكسون في

تصريحاته الاخيرة عن الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة ، كدولة **قوية ومحترمة لفرض السلام** في المنطقة .

هذه المرتكزات للسياسة الاميركية ، تحاول اسرائيل اعطاءها مضامين تتجاوز احيانا مضامينها الاميركية ، دافعة الاتجاهات الصهيونية في مجلس الشيوخ والادارة للدفاع عنهـــا . وتتمثل هذه الظاهرة بالعناصر التالية :

١) محاولة ايبن لتأكيد السياسة الاميركية تجاه مسألة ميزان القوى ، بالاستعانة بتضريح لوزير الخارجية والقائل « بأن الاتصالات مستمرة حول كل ما يتعلق بميزان القوى » لكي يستنتج بانه لا يرى اية ظلال قائمة ، بل استمرارا في التعاون والتقييـــم والمشاورات .

٢) محاولة الاستعانة بالتصريحات الصهيونية وابرازها والتركيز عليها رغم تعارضها النسبي مع السياسة الرسمية التي يمثلها كيسينجر . بتصريحات لرد مستشار نيكسون للشؤون الداخلية الذي يؤكد ان الولايات المتحدة تقف في مجابهة مكشوفة مع الاتحـــاد السوفياتي ، بينما يحاول كيسينجر تحقيق حوة التوتر مع السوفيات . وهذا الموقف الاسرائيلي يستهدف الحصول على مزيد من الاسلحة .

٣) الاستعانة بتصريحات مسؤولين اميركيين ثانويين حول حاجة اسرائيل المتزايدة الى السلاح والعتاد واستعداد الولايات المتحـــدة لتعويض جميع خسائر الحرب لجعل تلك التصريحات سياسة عامة رسمية .

٤) تهويل كميات الاسلحة السوفياتية الى العرب يهدف المطالبة بكميات مقابلة من السلاح بينما يصف وزير الخارجية شحن الامدادات السوفياتية بانه « معتدل، وخفيف، وجوهري » .

هذه العناصر تشير الى **حاجة اسرائيل المتزايدة** للاسلحة والمعدات . وان هـــذه الحاجة المتزايدة لا تستجيب لها الا الاتجاهات الاكثر صهيونية في مجلس الشيـــوخ والادارة . وبهذا المعنى تكون حاجة اسرائيل اسرع بكثير من استجابة الادارة الاميركية، بسبب التهام القتال لها . وهذه الحاجة تؤكد عددا من الحقائق :

(١) بطلان الادعاء القائل بقدرة اسرائيل على انتاج ٧٠ — ٨٠ من السلاح خلال فترة قصيرة كما أعلن ذلك دايان عشية الحرب .

(٢) التناقض بين هذه الحاجة الكبيرة والبيانات الرسمية التي لا تشير الا الـــى خسائر خفيفة ومحدودة .

(٣) اضافة لحجم الخسائر الفعلي ، فان ذلك يؤكد خوف اسرائيل من المستقبـــل والحاجة للسلاح والمعدات الذي يتوقع الاسرائيليون ان تلتهمها ميادين القتال .

(٤) الحاجة المتصاعدة للاسلحة والمعدات تدفع باتجاه الارتباط الكامل بالقـــرار الاميركي ، وهذا يعني ان أي هامش للاستقلال من الاستراتيجية الاميركية تفرضـــه مصالحها القومية وحسابات الاستراتيجية العالمية سيجعل اسرائيل كليا تحت رحمة القرار الاميركي الذي لا يتطابق تماما مع القرار الاسرائيلي ، ويفقدها استقلالها النسبي الذي كانت تتحرك من خلاله ، والذي كان يسمح له بحرية رفض التفسيرات الاميركية « للحدود الامنة » او معارضتهم لضم القدس ، وهذا يحدث في حالة استمرار القتال، وزيادة التدخل الامريكي .

وقد عبر هذان الفريقان الاميركيان عن مواقفهما بالوقائع التالية :

١ — **الاتجاه الصهيوني والضغط على الادارة الاميركية** للاستجابة الكاملة لمتطلبات

حماية اسرائيل والابقاء على تفوقها . وقد عبر عن موقفه كما يلي :

١) طلب شيخان ديمقراطيان و١٨ عضوا في برلمان الولايات المتحدة من الادارة الاميركية تزويد اسرائيل بالاسلحة .

٢) دعا الشيخ هنري جاكسون الادارة الاميركية الى استعمال صلاحيتها لتقديم قرض من اجل تزويد اسرائيل بالمعدات العسكرية ووسائل الدفاع .

٣) دعا الشيخ هاريسون وليامز الولايات المتحدة ان تضاعف مساعداتها لاسرائيل لكي تتمكن من الدفاع عن نفسها .

٤) مطالبة السناتور كندي واعضاء اخرين في مجلس الشيوخ ، ورئيس نادي الرؤساء يعقوب ستاين الولايات المتحدة بارسال معدات واسلحة لتعويض ما فقدته اسرائيل في الحرب .

٥) جورج متي رئيس حركة العمل الاميركية توجه الى نيكسون ، يطالبه بزيادة دعم اسرائيل بالسلاح .

٦) الروابط المهنية الكبيرة في الولايات المتحدة وبينها روابط عمال السيارات ، المعادن ، النسيج ، الخدمات ، توجهت بطلب الى نيكسون لتزويد اسرائيل بالسلاح .

٧) السناتور جورج ماكغفرن نشر بيانا ندد فيه « بالعدوان » السوري والمصري وطالب بأن تلتزم الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بالاعتدة حسب احتياجاتها لصد العدوان . وان تلقي الولايات المتحدة بثقلها من اجل السلام وذلك بواسطة المفاوضات. وقال : ان كل احتمال للسلام متعلق باقناع العرب بأنهم لا يمكنهم الحصول على أي شيء بواسطة الحرب (رصد اذاعة اسرائيل) .

٨) وقع ٦٧ شيخا من اصل ١٠٠ شيخ في الكونجرس الاميركي على مشروع قرار يدعو الادارة الاميركية الى تزويد اسرائيل بكل ما تحتاج اليه من طائرات « فانتوم » وسائر المعدات العسكرية ، وقد قدم المشروع الشيخ هيوبرت همفري . ويعرب القرار عن التأييد المطلق لاسرائيل ، ويندد بمصر وسوريا ، ويدعو الادارة الاميركية الى « الحفاظ على قوة اسرائيل الرادعة » عن طريق تزويدها بالطائرات والمعدات العسكرية الاخرى .

٩) لقد كان من بين الموقعين على القرار الذي قدمه همفري ، الشيخ هيو سكوت زعيم كتلة الجمهوريين في مجلس الشيوخ . وهذا يعني ان الكتلة الجمهورية في المجلس تؤيد ذلك المشروع . وبالتالي فان الادارة الاميركية ليست خاضعة للتأثير الصهيوني من جانب جاكسون وهمفري ومؤيديهم .. بل ان الحزب الجمهوري الحاكم يساهم بفاعلية في اصدار قرارات التأييد لاسرائيل ، وتنفيذ تلك القرارات ، بعد ان يكون هو عبر ممثليه في مجلس الشيوخ قد ساهم في المشاريع التي تصدر عن الكونجرس . وبالنتيجة فان الاتجاهات الصهيونية في مجلس الشيوخ تتبادل الدعم والتنسيق في المواقف مع ممثلتها في الادارة الاميركية التي يرأسها نيكسون .

٢ ــ **اما الاتجاه الليبرالي ، فولبرايت ، مانسفيلد ، والمعارض للتورط الاميركي المباشر** فقد برز من خلال الوقائع التالية :

(١) **مستقبل الصراع** : في الخطاب الذي القاه في مؤتمر السلام على الارض وخطوطه الرئيسية هي :

ــ ان الدول العربية بما فيها تلك التي هي الان محافظة ، قد تصبح متطرفة ، اذا اصبحت ظلامتها مستديمة .

ــ « اسرائيل دولة عسكرية تواجه احتمال وقوع ارهاب متزايد وحرب متكررة

وكيانا وطنيا **لا يتوفر فيه شيء من الامن** ، ومهما تكن ثقة الاسرائيليين في مقدرتهم العسكرية فانه من المستبعد أن يستطيعوا هذا الاحتمال .

(٢) **الطاقة والعالم الاوروبي والاميركي :**

ـ حتى لو استطاع المتحاربون ان يقبلوا احتمال قيام كفاح لا نهاية له فان العالم الخارجي لا يستطيع ذلك .

ـ ان الشرق الاوسط اصبح نقطة الوميض لنزاع عالمي مثلما كان البلقان عام ١٩١٤ .

ـ الطاقة :

هناك مشكلة الطاقة سموها كما شئتم ـ ابتزاز ، عملا تجاريا عاديا ، ان الشرق الاوسط يملك ما لا يقل عن ٣٠٠ر٠٠٠ مليون من أصل ٥٠٠ر٠٠٠ مليون برميل من احتياط العالم المعروف من النفط . الولايات المتحدة تحتاج الى علاقات جيدة مع الدول المنتجة لانها لا تملك قدرة انتاجية اضافية خاصة بها .

ـ الدول المنتجة للنفط ليست على خلاف مباشر مع الولايات المتحدة ، ولم تفعل **شيئا قط لالحاق الاذى بالولايات المتحدة** .

ـ ان اعتمادنا على نفط الدول العربية المنتجة هو مسألة مصلحة وطنية ، ربما ليس اكثر من رابطتنا العاطفية مع اسرائيل ولكن بالتأكيد ليس اقل أيضا .

الشيخ فولبرايت يسمي العلاقات الاستراتيجية العسكرية مع اسرائيل تجاه المنطقة العربية **رابطة عاطفية** ويغفل الاسس الموضوعية التي تشد السياسة الاميركية لها .

اما الاقتراحات التي يقدمها فولبرايت لمعالجة الازمة فهي :

١ ـ وقف اطلاق النار بصورة عاجلة ، ليس وقف نار متأخر بحيث يمكن لهذه الجهة او تلك ان تفرض « حقائق جديدة » بل وقفا عاجلا عن اطلاق النار يأمر به مجلس الامن بمقتضى السلطة التي يتمتع بها . وعليه بموجب المادة السابعة من الميثاق ان يقرر الاجراءات الواجب اتخاذها لاستعادة السلام .

٢ ـ تطبيق قرار ٢٤٢ الذي يدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة ، **والذي ينص ايضا على بقاء اسرائيل وعلى أمنها** عن طريق طلب « انهاء كل ادعاءات حالات الحرب والاعتراف واحترام السيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة » .

ان منطلقات الشيخ فولبرايت عن المصالح الاميركية في المنطقة ، هي عينها التي رددها منذ سنوات ، ولكن اقتراحاته الاجرائية والتنفيذية الحاسمة التي يقترحها ظهرت فجأة ولاول مرة لتطبيق قرار ٢٤٢ **بالقوة** بعد ست سنوات من الرفض الاسرائيلي والدعم الاميركي . ان اقتراحاته تعكس القلق على اختلال التوازن في ميزان القوى ، والقلق من انفجار الصراع في المنطقة عموما وهو ما لا يرضى عنه حتى أكثر الشيوخ الديمقراطيين الذين يعارضون الادارة الاميركية .

ـ **اما الشيخ مايك مانسفيلد السيناتور الديمقراطي فان مثل فيتنام ماثل امامه بشكل** واضح وقد حدد موقفه على الشكل التالي :

١ ـ ان المارينز الاميركيين « جنود البحرية » يجب ان لا يشتركوا في حرب الشرق الاوسط .. « ان فيتنام واحدة تكفي » .

٢ ـ **اقترح ان يصدر الرئيس الاميركي** « دعوة عاجلة الى الرؤساء لحضور المؤتمر : بريجنيف ، بومبيدو ، برانت ، هيث ، كاكوي تاناكا ، والذين يمثلون الدول

الخمس : الاتحاد السوفياتي ، فرنسا ، المانيا الغربية ، بريطانيا ، اليابان » .

ان هذا المؤتمر كما يقترح الشيخ مانسفيلد يجب ان يسعى الى « تحقيق وقف فوري لاطلاق النار » .

الاتجاهات المتعارضة الصهيونية والليبرالية **تؤثر في السياسة الاميركية بدرجات مختلفة** ، وان ادارة نيكسون **توازن** بين نتائج السياسة الاميركية الداعمة لاسرائيل الى النهاية ومعاكسة مصالحها الحيوية في المنطقة ، وبين **التراجع** بين تلك السياسة والتخلي عن التأييد والدعم المطلق ، الذي يعرض كيان اسرائيل ونظامها الى الاهتزاز وهو ما يؤدي بالنتيجة الى احتمالات لا يمكن تقديرها وتقدير اثارها على تلك المصالح الاميركية الحيوية في المنطقة . ومن هنا فاميركا معنية بايجاد **التوازن** الدقيق بين **حماية اسرائيل وحماية مصالحها الحيوية** لما للتداخل بين الاثنين من تعقيد واهمية مطلقة . هذه الازدواجية في السياسة الاميركية تجاه المنطقة واسرائيل هي التي تفسر **ثبات الاستراتيجية الاميركية** في مرتكزاتها الاساسية وحرص الولايات المتحدة على استمرارها ، **رغم تعارض خطوط فصولها وتغيرها .**

وقد جاءت تصريحات نيكسون الاخيرة مؤكدة لثبات استراتيجية المحافظة على**التوازن** بين حماية اسرائيل وحماية المصالح الاميركية الحيوية . وبالضبط التغيرات التي تحافظ على الاستراتيجية العامة .

اعلن البيت الابيض ان الرئيس نيكسون طلب من الكونجرس ان يوافق فورا على اعتمادات لبرنامج مساعدة عسكري جديد لاسرائيل يبلغ مجموعه مليارين و ٢٠٠ مليون دولار ، ومن جهة اخرى اكد المقربون له انه يتوقع « ان ينهي القتال في الشرق الاوسط في وقت قريب نسبيا » وفي تبريره للاعتمادات قال نيكسون « ان هذه الاعتمادات ضرورية لمنع اختلال اساسي في التوازن العسكري نتيجة تزويد الاتحاد السوفياتي مصر وسوريا بمعدات على نطاق واسع » .

وفي تقييمه للمساعدات الاميركية لاسرائيل على شكل معدات حربية في الايام الاثني عشر الاولى قال « انها بلغت ٨٢٥ مليون دولار » .

ولم يخف نيكسون ان المساعدات كلما ارتفع حجمها أصبحت تفوق امكانات اسرائيل وبالتالي فلا بد ان تكون مساعدات مجانية وفي رسالته الى الكونجرس قال :« ان اتساع النزاع وحجم المساعدات السوفياتية خلقا حاجات تتجاوز طاقة اسرائيل على تسديد ثمن مشترياتها من الولايات المتحدة ومن هنا ضرورة تزود هذا البلد مجانا بالمعدات العسكرية » .

وقالت وزارة الدفاع الاميركية « ان الولايات المتحدة استدعت بعض الاحتياطيين في سلاح الجو الاميركي للمساعدة في عمليات نقل الاسلحة والاعتدة الى اسرائيل » .. وايضا « اوفدت عددا من رجال الطيران للمساعدة في عمليات اعادة تزويد تل ابيب بالسلاح » ولا يمكن اخفاء حقيقة تزويد اسرائيل بالطيارين فقد اعترف الطيار الاسير في القاهرة « ان طائرات الفانتوم قد وصلت الى تل ابيب بقيادة الطيارين الذين ارسلتهم الولايات المتحدة الى اسرائيل للاشتراك في القتال » .

هذا التصعيد الذي دفع به نيكسون هو تصعيد لضمان استمرارية المرتكزات العامة للسياسة الاميركية في هذه المرحلة من الصراع المتغير والعنيف من مراحل حرب التحرير الوطنية . وهو الشكل الوحيد ، في تقديرات ، نيكسون — كيسنجر ، الذي يمكن ان يحقق ضبط الصراع وتجميده حسب معادلة التصعيد الاقصى = وقف اطلاق النار « وتسوية مقبولة » من وجهة النظر الاميركية .

الحرب النفسية والخطوط الاعلامية لاذاعة اسرائيل باللغة العربية

شكل مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية وحدة من باحثيه لمتابعة الحرب النفسية الاسرائيلية ولتحليل الخطوط الاعلامية التي توجهها اذاعة اسرائيل باللغة العربية ومقارنتها مع ما تذيعه باللغة العبرية . وقد أصدرت هذه الوحدة اربعة تقارير وزعتها ، في فترة الاسبوعين الاولين للحرب ، على الاجهزة الفلسطينية والعربية ذات الاختصاص . وتكونت الوحدة من الاخوة الباحثين بلال الحسن وسعيد جواد ونزيه قوره وعنان العامري .

يوم السبت ، ٦ تشرين الاول ، ومنذ اللحظات الاولى لاندلاع القتال ، كان الخط الاعلامي الاسرائيلي الاول ، موجها نحو الداخل . وكانت كافة الاخبار تصاغ باتجاه رفع المعنويات ، وتبرير انتصارات الاندفاعة الاولى للجيشين السوري والمصري . ومن الواضح ان جو الحرب اثار في اوساط السكان الاسرائيليين قلقا كبيرا برز من خلال تركيز الاذاعة على القضايا التي تتعلق بحياتهم اليومية ومصير ابنائهم الجرحى . لذلك حرصت الاذاعة على تكرار الاخبار التي تتعلق بالامور التالية :

التعبئة الداخلية

١ ـ توفر الاغذية : كان هناك تركيز واضح على توفر الاغذية . ففي الساعة الثامنة من مساء اليوم الاول للقتال أعلن وزير التجارة والصناعة ان مخزون الاغذية الموجود بكفي الاستهلاك العادي ووعد بتوفير الاغذية بانتظام واستمرار . ولمواجهة الاقبال على شراء الاغذية بكميات كبيرة طلب وزير التجارة من السكان عدم شراء البضائع بهدف خزنها ، والتصرف كما هو الحال بالايام العادية . ولكن يبدو ان السكان لم يستجيبوا لهذا الطلب ، مما اضطر وزير التجارة والصناعة ، ان يصدر امرا بمنع تخزين الحاجيات ، مهددا كل من يخالف الامر بتقديمه للمحاكمة . كان هذا في اليوم الاول . اما في اليوم الثالث للقتال (١٠/٨) فقد بدأت العوامل السلبية بالظهور . اذ اختفت سلع اساسية ، وبدأ التجار يرفعون الاسعار ويظهر ذلك بوضوح من البيان الذي اذيع باسم المجلس الاسرائيلي للاستهلاك ، وطلب منه تذكير السكان بانه جرى تنظيم عملية تسويق جميع انواع الاغذية في جميع انحاء البلاد . ولكن البيان اعترف بان بعض المواد لا تصل الى الاسواق فقال « في حال حدوث عراقيل مؤقتة في التوزيع ، فان المجلس يدعو الى التحلي بالصبر » . اما بالنسبة لانتشار زيادة الاسعار ، فقد طالب البيان تقديم شكوى لدى كل زيادة ، وخاصة في اسعار البطاطا . ومن الواضح ان احد اسباب ازمة الغذاء في اسرائيل ، هو ان حالة الحرب والاستنفار قد أدت الى شلل في جهاز

المواصلات ، حيث قالت وزارة التجارة في اليوم الثالث للحرب انه تم تأمين وسائل نقل وتوزيع الحاجيات الاساسية مثل الخبز والزيت والسكر .

٢ ــ **المستشفيات** : من الواضح ان انباء القتال الاولى اثارت ذعرا في اوساط الاسرائيليين وحين وصلت انباء الخسائر الكبيرة التي تكبدوها ازداد هذا الذعر ، وازداد القلق على مصير ابنائهم الجرحى . ولذلك كانت الاذاعة الاسرائيلية معنية الى حد كبير، وخاصة في اليوم الاول ، واليوم الثاني للقتال ، على توضيح تهيؤ كافة المستشفيات لاستقبال الجرحى والعناية بهم .

ففي اليوم الاول ، وبعد ساعتين ونصف الساعة من القتال فقط ، أعلنت الاذاعة الاسرائيلية أن مستشفى مئير في كفار سابا اخرج جميع المرضى من أصحاب الحالات غير الخطرة . وفي الساعة الخامسة مساء اعلنت الاذاعة انه تمت تخلية مستشفى آخر هو مستشفى موروكا في بئر السبع «وذلك لاعداد المستشفى لاستقبال المصابين». وبعد وقت قليل من ذلك اذيع ايضا ان الاجراءات نفسها اتخذت في مستشفى صرفند ، وفي مستشفى كبلان في رحوفوت. وتابعت الاذاعة بث الانباء المشابهة فأعلنت في الساعة السادسة والربع مساء ان مستشفى هداسا قد تمت تخليته ، وتم بشكل خاص «توسيع غرفة استقبال المصابين » وكذلك كان الحال في مستشفى رمبام ، ومستشفى شعاري شيدك في القدس .

وفي الليل ، وعند الساعة التاسعة مساء أعلنت الاذاعة ان المركز الطبي في تل هشومير قد استقبل بعض الجرحى من الجبهة المصرية . وكانت الاذاعة حريصة على ابراز قول مدير المستشفى بان الجرحى وصلوا بعد ان تلقوا معالجة طبية ممتازة في منطقة المعارك .

ولكن هذه التطمينات كلها ، لم تؤد الغرض المطلوب منها . فقد اقبل السكان بأعداد كبيرة الى المستشفيات للاطمئنان على ابنائهم الجرحى ، وادى ذلك الى حالة من الازدحام والتوتر . ولذلك طلبت الاذاعة من السكان ان لا يحضروا الى المستشفيات بسياراتهم الخاصة !! كي لا يشكلوا ازدحاما على المداخل . ومن الواضح ان عدد الجرحى كان كبيرا جدا بحيث أصيب الاطباء والمرضون بالارهاق الشديد ، ولذلك وجه مستشفى تل ــ هشومير نداء للمتطوعين ان يحضروا الى المستشفى « ليحلوا مكان الاطباء والمرضين الذين ينبغي عليهم ان يستريحوا » . وزاد ذلك بدون شك من قلق السكان حول مصير جرحاهم .

٣ ــ **التعبئة الشعبية** : وعلى صعيد التعبئة الشعبية العامة ، بدىء منذ الساعات الاولى للقتال بالعمل حسب قوانين الطوارىء . ففي الساعة الرابعة والنصف من يوم القتال الاول أصدر وزير العمل اوامره « بتجنيد الطاقة البشرية للمرافق الحيوية » . وفي الساعة السابعة مساء أعلن وزير المواصلات توقيف اشارات المرور في الشوارع ، والغاء الانارة في الطرق ، وذلك لتوفير الطاقة الكهربائية من جهة ، ولانخفاض عدد القادرين على تشغيلها بسبب التعبئة العامة . ولمواجهة ازمة المواصلات طلب وزير المواصلات من السكان « عدم استخدام وسائط النقل العام دون حاجة » . وبالاضافة الى ذلك طلبت الاذاعة من السكان تخزين المياه من أجل الاستعمال اليومي ، ومن اجل الاستفادة منها في اطفاء الحرائق .

هذا ما كانت تقوله الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية . اما في اذاعتها الموجهة باللغة العربية ، فقد كانت تنقل الانباء المقلقة نفسها ، بصورة مشرقة وايجابية ، هدفها التأثير على معنويات المواطن العربي . فحول موضوع الاغذية مثلا ، قالت الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية في الساعة ١١،٣٠ صباح اليوم الثالث للقتال « ان المواد

الاستهلاكية قد وصلت الى الاسواق والحوانيت بصورة منتظمة ، وان الاهلين يقومون بمشترياتهم كالعادة » . وفي المقابل كانت الاذاعة الاسرائيلية معنية بابراز عدم توفر المواد الغذائية في الاسواق العربية فاذاعت في لساعة ٢،٣٠ من ظهر اليوم الثالث للقتال (١٠/٨) ان وزير التموين المصري قد أصدر تعليماته بتوزيع السكر والشاي بموجب بطاقات على ان لا تزيد حصة كل منهم على ٥٠ بالمائة من الكمية التي كانوا يتلقونها قبل نشوب القتال . وهكذا تكون اجراءات التقشف مباحة للاسرائيليين ، بينما تبرز وكأنها نقطة ضعف عند العرب .

اما بالنسبة للاضاءة والكهرباء ، فبالرغم مما تم في اسرائيل من اطفاء لانوار الطرق واشارات المرور ، فقد كانت حريصة على ان تذكر في اذاعتها العربية باستمرار « ان نظام التعتيم مفروض على دمشق والقاهرة منذ نشوب الحرب » . وبالطبع لم تكن تذيع مثل هذه الاخبار البديهية في الاذاعة الموجهة للاسرائيليين باللغة العبرية ، ذلك ان الاجراءات المطبقة عليهم كانت ولا تزال أشد من الاجراءات المطبقة في العواصم العربية.

ومن الامور الملفتة للنظر ان الاعلام الاسرائيلي الموجه للعرب ، عمد الى ترويج اخبار كاذبة من النوع الذي يكشف مباشرة وبسهولة . ففي اليوم الثالث للقتال ، وفي الساعة الثانية عشرة والنصف قالت الاذاعة الاسرائيلية « ان منع التجول قد فرض على العاصمة السورية دمشق » ، في الوقت الذي كان فيه المواطنون السوريون يملأون طرقات دمشق لرؤية حطام الطائرات الاسرائيلية . لقد جاء هذا الخبر الكاذب في ذروة الهجوم الاسرائيلي المضاد ضد القوات السورية ، وواضح ان الهدف منه رفع معنويات الجندي الاسرائيلي فقط .

وتكفي هذه الوقائع على صعيد التعبئة الداخلية ، لتبرز حالة الاضطراب التي شهدتها اسرائيل ، ولتبرز التناقض الواضح بين ما يذاع باللغة العبرية ، وما بين ما يذاع باللغة العربية ، هذا التناقض الذي يصل الى حد الكذب المفضوح .

٤ ــ **محاولات رفع المعنويات**: كان من الواضح تماما، من خلال متابعة ما تذيعه الاذاعة الاسرائيلية ، ان معنويات السكان تعاني حالة من الاضطراب ، تستدعي التركيز على انباء (اسطورية) من أجل رفع المعنويات المنهارة ، والتي نجمت عن انتصارات الاندفاعة العربية الاولى ، بينما كانت مثل هذه الانباء متجاهلة تماما في الاذاعة الموجهة باللغة العربية . ومن الامثلة البارزة على انباء رفع المعنويات النبأ الذي اذيع في الساعة الخامسة من اليوم الثاني للقتال (١٠/٧) والذي يقول ان ضابطا اسرائيليا واحدا قد تصدى لطابور مدرعات سورية ، واستطاع منفردا ان يدمر ٥٠ دبابة وشاحنة في وسط هضبة الجولان ، وان دبابة الضابط المذكور لم تصب الا في نهاية المعركة . ومن الواضح تماما ان هذا التركيز على البطولات الفردية ذات النوع الاسطوري ، انما يتم لتجاهل الحديث عن المجرى الاساسي للمعركة ، الذي كان فيه الجيش الاسرائيلي ككل يقوم بتراجعات واسعة ، ويواجه خسائر كبيرة .

وعلى نفس نسق الانباء الساعية لرفع المعنويات ، حرصت الاذاعة الاسرائيلية على ابراز الانباء التي تبين تلهف الاسرائيليين للالتحاق بالمعركة ، وخاصة الاسرائيليين المقيمين في الخارج . وركزت بشكل خاص على اظهار تعاطف المواطن الاوروبي العادي مع الاسرائيليين . ففي خبر كامل قالت الاذاعة الاسرائيلية في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الثالث للقتال ان سائق سيارة الاجرة الذي نقل احد الاسرائيليين الى مطار لندن « رفض ان يتقاضى اجره عندما عرف ان زبونه اسرائيلي » .

ان هذا النسق من الانباء الساعية لرفع المعنويات ، والموجه اساسا للاسرائيليين باللغة العبرية ، لم يكن يذاع باللغة العربية . وكانت تذاع بالمقابل مجموعة من الانباء

الساعية لاضعاف المعنويات العربية . وكان اختيار هذه الانباء يتم بصورة مبتذلة وبعيدة عن كل منطق . فحين وجهت اذاعة صوت العرب نداء للجنود المصريين المرابطين على الضفة الشرقية للقناة ان يكونوا حذرين وان يكونوا يقظين ازاء كل المفاجــآت ردت الاذاعة الاسرائيلية (الساعة ١٢،٣٠ ظهرا — يوم ١٠/٨) بنبأ يقول ان صوت العرب حذر الجنود المصريين من عنصر المفاجأة في الحرب ، وقال لهم « انه عندما تقع المفاجأة تصاب القيادات بالعجز وسوء التصرف » .

وكذلك لجأت الاذاعة الاسرائيلية الى ترويج اخبار يصح وصفها بأنها أخبار سوقية وذلك حين كانت معنية بان تذيع خبرا كاملا يقول بان « الرئيس المصري انور السادات بعث بتعليمات الى قرينته السيدة جيهان وابنائه في اوروبا بعدم العودة الى مصر ، وكان الرئيس السادات قد بعث بزوجته واولاده الى اوروبا مؤخرا » . وهنا يلاحظ ان اسرائيل لم تذع هذه الانباء باللغة العبرية . لان المقصود منها هو اضعاف المعنويات العربية فقط ، وليس اذاعة الخبر بحد ذاته .

الموقف من المقاومة الفلسطينية

في بداية الحرب ، حرصت الاذاعة الاسرائيلية على تجاهل دور المقاومة الفلسطينية والعمليات التي تقوم بها . ولذلك اكتفت بان تشير اليها اشارات عابرة ، وان تبرز فقط العمليات الاسرائيلية ضد المقاومة . ففي الساعة الثامنة من اليوم الاول للقتال قالت اذاعة اسرائيل ان « المخربين » الفلسطينيين انضموا الى الجيش السوري في المعارك ضد اسرائيل **قرب الحدود اللبنانية** . وواضح من هذه الصياغة انها تريد ان تتجنب القول بان الفدائيين يقومون بعمليات من الحدود اللبنانية واكتفت الاذاعة بان تقول ان الطائرات الاسرائيلية قصفت مواقع « المخربين » في جنوب لبنان ، دون ان توضح لماذا .

وكذلك في اليوم التالي ، تجاهلت الاذاعة الاسرائيلية نشاط المقاومة ، واكتفت بذكر النشاط السياسي الذي تقوم به ، وذلك حين اذاعت في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم الثاني ان ياسر عرفات دعا جميع اعضاء منظمات « التخريب » لضرب المصـــالح الاسرائيلية داخل اسرائيل وفي العالم بأسره . وكذلك دعا الى وقف تصدير النفط للغرب ووضع هذا النفط بتصرف الدول المقاتلة ضد اسرائيل .

اما في اليوم الثالث للقتال ، فلم تستطع الاذاعة الاسرائيلية ان تستمر في تجاهلها لنشاطات حركة المقاومة ، فأعلنت في الساعة السابعة صباحا « ان اعمالا « تخريبية » جرت خلال الليل في مناطق مختلفة على طول الحدود اللبنانية ، فقد اطلق « المخربون » عددا من صواريخ الكاتيوشا وقذائف الهاون والبازوكا » . وبعد ساعات قليلة ، وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر قالت الاذاعة الاسرائيلية ان الطائرات قامت بقصف أهداف « المخربين » في منطقة العرقوب في جنوب لبنان . وبذلك توضح ان القصف قد تم بسبب نشاط حركة المقاومة المباشر ، وليس بسبب انضمامها للجيش السوري . وفي الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم نفسه قدمت الاذاعة الاسرائيلية لسكان اسرائيل نبأ عن نشاط المقاومة ، صيغ بطريقة تريد أن تبرر لهم سبب نشاط حركة المقاومة . قالت الاذاعة ان العواصم العربية كانت معنية بابراز نشاط حركة المقاومة ، وخاصة على الجبهة السورية . وتساءلت كيف يتم ذلك بعد الخلاف الذي نشب قبل الحـــرب بينها وبين سوريا ؛ واستنتجت ، ان ذلك كان ثمن السكوت الذي قدمه لهم حافظ الاسد. فقد وعدهم بالاشتراك في القتال ، مقابل انهاء الخلاف الناشب . وايا يكن التفسير الاسرائيلي لذلك ، فان تجاهل نشاط المقاومة لم يعد ممكنا من قبل الاذاعة الاسرائيلية.

والاعتراف به بعد استمرار الصمت عنه ، كان لا بد وان يأتي بهذه الصيغة التبريرية . وهنا من الضروري ان نلاحظ ، ان كل هذا الحديث عن المقاومة لم يرد في نشرات الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية ، وكل ما كان يرد فقط هو انباء ضرب مواقع الفدائيين ، وذلك حتى لا تؤدي مثل هذه الانباء الى رفع معنويات المواطنين الفلسطينيين ، ولا الى ابراز الدور الخاص الذي يلعبه الفدائيون في المعركة .

المؤتمرات الصحفية لكبار القادة الاسرائيليين

منذ اللحظات الاولى لاندلاع القتال قام كبار القادة الاسرائيليين السياسيين والعسكريين ، بتوجيه سلسلة متواصلة من البيانات ، وبعقد سلسلة اخرى من المؤتمرات الصحفية . وكان الهدف المباشر لكل هذا النشاط رفع معنويات السكان الاسرائيليين من جهة ، وابراز الجوانب التي تقود الى تركيز ثقة الجمهور بهم وباجراءاتهم لمواجهة القتال الناشب . وكان القادة الاسرائيليون معنيين بتقديم أجوبة على عدد من الاسئلة التي اثارها اندلاع القتال . ومن هذه الاسئلة :

ـــ لماذا لم تبدأ اسرائيل بالضربة الاولى ؟

ـــ لماذا نجح المصريون في اختراق قناة السويس بسرعة ؟

ـــ لماذا نجح السوريون في اختراق خط القتال في الجولان ؟

ـــ لماذا هذه الخسائر الكبيرة في القوات الاسرائيلية ؟

وقبل ان نعرض للاجابات الاسرائيلية المقدمة ، لا بد ان نشير الى ان هذه المقابلات والبيانات كانت تذاع بالكامل باللغة العبرية ، وعندما تتم ترجمتها الى اللغة العربية ، تؤخذ منها فقط الجمل التي تشير الى الصمود الاسرائيلي ، والى نقاط الضعف العربية.

لقد وجهت البيان الاول جولدا مئير رئيسة الوزراء بعد الساعات الاولى من يوم القتال الاول . وركزت فيه على النقاط التالية :

١ ـــ ان القوات الاسرائيلية تقوم **بصد** الهجوم السوري المصري .

٢ ـــ ان خسائر جسيمة قد وقعت في صفوف القوات السورية والمصرية .

٣ ـــ ان اسرائيل لم تفاجأ باندلاع القتال .

٤ ـــ ان قوات اسرائيل كانت قد اخذت حالة الاستعداد اللازم لمواجهة الخطر .

٥ ـــ ان اسرائيل قد بدأت بتجنيد **جزئي** لقوات الاحتياط .

٦ ـــ اعلنت ثقتها بأن احدا لن يصاب بالذعر .

٧ ـــ أطلقت شعار انتهاك **يوم الغفران** اليهودي .

وقبل منتصف الليل بقليل ظهر موشي دايان على التلفزيون ، وقال كلاما فيه كثير من التناقض مع كلام جولدا مئير :

ـــ فبدلا من حديث مئير عن صد العدوان قال « يحتمل ان يكون عدد من الدبابات السورية قد توغل هنا وهناك عبر خطوطنا ، ويحتمل ايضا ان يكونوا احتلوا بعض مواقعنا » .

ـــ وبدلا من حديث مئير عن الخسائر الجسيمة للسوريين والمصريين قال دايان « تدور الان معارك قاسية على الجبهتين » .

— وبدلا من حديث مثير عن ان اسرائيل كانت قد استعدت للهجوم قال دايان « نحن مستعدون ولكن ليس بقوتنا القصوى » .

— وبدلا من حديث مثير عن الاستدعاء الجزئي للاحتياط ، تحدث دايان عن الاستدعاء الكامل للاحتياط باعتدته وقال « عندما وصل الاحتياط الى الجبهة نكون بكل قوتنا » .

وقد حاول دايان ان يجيب عن الاسئلة الاخرى المطروحة ، محاولا تقديم تفسير مقبول للسبب الذي مكن القوات المصرية بشكل خاص من اجتياز القناة . وكان تفسير دايان ان هدف اسرائيل هو « المحافظة على حياة سلام داخل البلاد ولذلك لا نحافظ على الخطوط البعيدة . . . لاننا في حالة كهذه سنعرقل الحياة المنتظمة في البلاد » . اما السبب الثاني الذي قدمه دايان فيقول ان اسرائيل لم تكن تريد شن حرب وقائية ، لانها لم تكن تريد البدء بالقتال . وقد سمحنا لانفسنا القيام بذلك لان « باستطاعتنا بهذه الوسيلة ضربهم في سيناء في نهاية الامر » . وكتطمين نهائي قال دايان « لا بد من ان تكون هناك فترة انتقال بين الحرب . . . وبين ذلك الوقت الذي نصل فيه الى كامل قوتنا » . وبهذه الحجج تناسى دايان احاديثه هو بالذات ، والتي كررها عشرات المرات منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، والتي كان يقول فيها ان اسرائيل تمتلك الان افضل حدود جغرافية مناسبة لامنها العسكري ، وان هذه الحدود تمنع العرب من شن اي حرب ضدها ، وبرزت لديه فجأة الاراء التي تتحدث عن فترة الانتقال ، وعن عدم القدرة على حماية الحدود بقوة حتى يمكن سير الحياة في الداخل بانتظام .

وقد تحدث دايان للمرة الثانية في مساء اليوم الاول نفسه ، وكان حديثه هذه المرة موجها للصحافيين ، وابرز في حديثه النقاط التالية :

١ — ان هدفنا على قناة السويس هو صد المصريين وبعد ذلك اخضاعهم .

٢ — اعلن رفضه لوقف اطلاق النار قائلا انه « يأمل ان لا يحصل « العدو » على اية مكاسب مثل الوصول الى وقف اطلاق النار » .

٣ — اعلن انه لا يتوقع ان تستمر الحرب اشهرا ، او اسابيع ، او حتى ايام .

وفي المقارنة بين حديث دايان في التلفزيون للسكان الاسرائيليين ، وبين حديثه للصحفيين الاجانب . نجد انه كان حريصا في حديثه للسكان ان يجيب بشكل مرض عن الاسئلة التي تقلقهم ، بينما كان حريصا في حديثه للصحافيين الاجانب ، ان يتجنب النواحي المقلقة ، وان يتحدث أمامهم بثقة عن مخططاته وحتمية نجاحها . وحين نفى ان الحرب قد تستمر حتى اياما ، فقد كان يعني انها ستستمر ساعات فقط . ونسي انه كان يتحدث بعد عشر ساعات من نشوب القتال .

وبعد دايان برز الى واجهة الاحداث الجنرال حاييم هرتسوغ ، كبير المعلقين العسكريين الاسرائيليين ، والقائد السابق للمخابرات الاسرائيلية ، وأوكلت له مهمة مخاطبة لسكان باستمرار . وفي حديثه الاول الذي اذيع في الساعة ١٢ ليلا من يوم القتال الاول بدأ هرتسوغ يقدم المبررات لانتصارات الاندفاعة العربية الاولى . فأعادها الى يوم الغفران « حيث تكون اسرائيل على درجة أقل من الاستعداد » . كما أعادها الى وجود قوة اسرائيلية صغيرة على قناة السويس (متناسيا خط بارليف والقوة الجوية الاسرائيلية التي يمكن تحريكها بأقل من ساعة) وقائلا « كان باستطاعتهم بسهولة توجيه الضربة الاولى من هذه النقطة او تلك . والشيء ذاته ينطبق على الوضع في الجولان » . وقد يكون هرتسوغ شعر بأن هذه الحجج ليست مقنعة كفاية للسكان الاسرائيليين فقدم لهم حججا أخرى موضوعة للتنفيذ وهي :

١ — مع اتمام التجنيد سيتم الانتقال الى مرحلة الهجوم المضاد .

٢ ــ ان الامر المقرر هو التفوق الجوي لاسرائيل .

٣ ــ مع بدء الهجوم المضاد سيوافق العرب على وقف اطلاق النار . . بعد أن يتم انتزاع الاراضي التي احتلوها .

وعلى غرار دايان أجرى هرتسوغ في عصر اليوم الثاني حديثا آخر مع الصحافيين الاجانب ، تهرب فيه من الاجابة على الاسئلة ، قائلا انه لا يريد تكرار مــا قاله وزير الدفاع موشي دايان . واضاف « لا يزال هناك ما يسمى **ضباب المعركة** ، وهذا الضباب هو في مصلحتنا » . واعترف هرتسوغ بايجاز شديد « ان المعركة في الجولان صعبة للغاية » . وهكذا لم يستطع هرتسوغ ان يتحدث مع الصحافيين الاجانب بنفس لهجة التبرير والتطمين التي تحدث فيها الى السكان الاسرائيليين ، ولجأ بدلا من ذلك الى بعض الاشارات الغامضة مثل قوله انه « لم يشاهد طائرات العــدو » ، ومثل قوله أيضا « ان تجميع القوات استغرق وقتا » .

ولكن حاييم هرتسوغ لم يستطع ان يبقى ضمن هذه العموميات ، فقد وصلت انباء اليوم الثاني للقتال بدون شك الى داخل اسرائيل . وكان من المطلوب تقديــم تفسير للهزائم التي واجهتها القوات الاسرائيلية ، وخاصة في هضبة الجولان . والملفت للنظر هنا ان التفسير الذي قدمه هرتسوغ ليبرر تراجع الجيش الاسرائيلي ، هو نفس التفسير الذي كان يقدم في السابق لتبرير التفوق الاسرائيلي على الجيش السوري . فقد قال هرتسوغ ان اسباب نجاحات الجيش السوري هي :

١ ــ ان الجيش السوري يعمل بالقرب من قواعده .

٢ ــ عدم وجود خط طبيعي مثل قناة السويس يفصل بين الجيشين .

٣ ــ عدد القوات السورية أكبر من القوات الاسرائيلية .

ونسي هرتسوغ وهو يدلي بهذه الحجج الاقوال الاسرائيلية التي كانت تروج في السابق كيف ان الجيش الاسرائيلي له سيطرة كاملة في الجولان لانه قريب جدا مــن دمشق ، ويستطيع بسهولة ضرب كل خطوط الامداد والتموين التابعة له . وبينما كان دايان يقول ان الحرب لن تدوم حتى اياما ، اضطر هرتسوغ لان يقول « ليس من جدوى في ان نتكهن منذ الآن بسرعة المعركة . . . فهذه الحرب تختلف تماما عن الحروب السابقة . . . ولاول مرة منذ حرب الاستقلال نخوض حربا دفاعية ، والمبادرة ليست بأيدينا » .

وبالطبع ، فان كل هذه التعليلات لم تكن تذاع باللغة العربية وكان يتم الاكتفاء بابراز ما يرد فيها عن الصمود الاسرائيلي ، وذلك من أجل الاسهام في حملة اضعاف المعنويات العربية .

ان الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية سلاح من اسلحة المعركة ضد العرب . ولا بد من النظر الى ما تذيعه من هذه الزاوية بالذات . وما قدمناه هنا من وقائع كاف ليثبت الكذب الذي تمارسه ، والتضليل الذي تهدف من ورائه الى اضعاف الجبهة العربية الداخلية بحملة نفسية مكثفة .

الاعلام الاسرائيلي والمواقف الدولية

الموقف الامريكي تجاه اسرائيل : لقد تلخص الموقف الامريكي عشية اندلاع القتال في « السعي من أجل مفاوضات بين العرب واسرائيل ترتب انسحابا اسرائيليا من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ (بحدود لا تختلف كثيرا عن الطموحات الاسرائيلية) مقابل التزامات تنازلية من جانب العرب » وباندلاع القتال كان رد الفعل الامريكي الاولي والسريع متمثلا في « دعوة الولايات المتحدة اسرائيل ومصر الى وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط .

في الساعة ٢٠ من يوم السبت اي بعد ٨ ساعات فقط من بدء القتال . كما أوعز نكسون الى وزير خارجيته هنري كيسينجر «لعمل اي شيء لايقاف اطلاق النار» . وبدوره هو الآخر ـــ اي كيسينجر ـــ بعث برسالة الى السعودية والاردن « دعا حكامها للتصرف باعتدال » . (اذاعة اسرائيل العبرية الساعة ٢٠) .

لكن المواجهة والمعالجة الاسرائيلية للموقف الامريكي استهدفت على الفور تحديد وتأطير الموقف الامريكي في ترجمة الصيغة الاسرائيلية لوقف اطلاق النار ، اي الايقاف المشروط للقتال بانسحاب العرب الى حدود السادس من تشرين الاول .

لقد اتخذ الفعل الاسرائيلي الاول شكل الاتصال الدائم والمباشر بين ايبن وكيسينجر لاطلاع الاخير على تطورات الموقف ، كان ذلك بعد خمس ساعات فقط من اندلاع القتال في مساء يوم السبت . وفي الساعة الحادية والعشرين من اليوم نفسه جاء التوضيح الاسرائيلي لصيغة وقف اطلاق النار كما أورده ايبن لشبكة التلفزيون الامريكي « اي. بي. سي. » أي ان وقف اطلاق النار مشروط بانسحاب عربي الى حدود ما قبل بدء القتال « ومطالبا واشنطن ان تؤيد العودة الى خطوط وقف اطلاق النار » وكما يؤكد رغبته في أن تندد الولايات المتحدة « بالعدوان » . وزاد في مطالبيه « ان تندد بالهجوم ، فليس من معنى الآن لان موقف حيادي » (السبت ٥ر١٢ اذاعة اسرائيل) .

لقد جاء هذا الموقف الاسرائيلي المصحوب بنشاط دبلوماسي مكثف وسريع لمواجهة اي صيغة للموقف الامريكي تبتعد عن الصيغة الاسرائيلية ، وتحقق وقف اطلاق النار في حدود غير الحدود التي بدأ منها القتال ، اي في حدود جديدة تحقق انتصارا عربيا جزئيا وتحشد القوى العربية وتلهب قدراتها القتالية ضد اسرائيل ، بينما تعكس بالمقابل هزيمة اسرائيلية مهما كانت جزئية تحطم اسطورة اسرائيل الكلية القدرة . وتكون مضاعفاتها غير معروفة وغير منظورة النتائج بالنسبة لاسرائيل ولا يمكن تقدير مضاعفاتها البعيدة بعد انتقال المبادرة الى الجانب العربي وصعود امكانات تطور وتجذر الصراع في عموم المنطقة . هذه النتائج هي ما تفسر اصرار الاسرائيليين منذ بدء القتال ولحد الآن على ربط وقف اطلاق النار بالعودة نحو حدود ما قبل بدء القتال والضغط الواسع على الموقف الامريكي للدفاع عن هذا الموقف .

وبسبب من معرفة ابا ايبن لموقف المنظمة الدولية التي خرقت حكومته قراراتها لمدة ٢٥ عاما ، فقد سارع ايبن الى القول « بأنه لا يتوقع تحقيق اية نتائج سياسية مـــن مؤسسات الامم المتحدة .. لان المنظمة الدولية بلا حول ولا قوة » كما أوردت تصريحه اذاعة اسرائيل العبرية في الساعة السابعة من صباح الاثنين . وقد جاء الموقف الامريكي في مجلس الامن مستجيبا للنداءات والمطالب الاسرائيلية عندما طلب مندوب الولايات المتحدة من مجلس الامن « ان يطلب المجلس من الاطراف المتقاتلة العودة الى المواقع التي كانت فيها قبل بدء الاشتباكات يوم السبت » . (اذاعة اسرائيل العبرية الثلاثاء ـــ الثانية صباحا) .

ويذهب الموقف الاسرائيلي بعيدا في محاولة التأثير على الموقف الامريكي من الاشارة الى ان واشنطن لا تمانع في اجتياز اسرائيل لقناة السويس وخطوط ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . وهذه الاشارة جاءت بالتواقت مع أعلى مراحل هجومها المضاد الواسع في اليوم الثالث للقتال (الاثنين ـــ اذاعة اسرائيل العبرية ساعة ٢٠) .

وقد تعامل الاعلام الاسرائيلي مع قضية عدم تدخـــل الولايات المتحدة والاتحـــاد السوفياتي بشكل مباشر في النزاع ـــ بوجهين مختلفين اظهار عـــدم امكانية التدخل السوفياتي مقابل التلويح بامكانية التدخل الامريكي المباشر .

لقد أوردت اذاعة اسرائيل ما قالته صحيفة « الواشنطن بوست » في اذاعتها العبرية في العاشرة من صباح الاثنين ما نصه « ان الولايات المتحدة كانت واثقة ان باستطاعة اسرائيل صد الهجوم ... وان الدولتين الكبيرتين اي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لن تتدخلا عسكريا في المعارك » والمقصود هنا ، عدم تدخل الاتحاد السوفياتي الى جانب العرب . ولكنها في المقابل كانت تذيع باستمرار تحركات الاسطول السادس ، وتشير الى وجهة ابحاره بغموض ، وتؤكد وجود حاملة للطائرات . وعلى امتداد الايام الثلاثة الاولى للقتال . كانت الاذاعة العبرية تتابع تحركات قطع الاسطول . هذا الخط الاعلامي الواضح المقاصد يستهدف التهديد والترهيب للتأثير على سير المعارك من جهة والتلويح بامكانية التدخل الامريكي في حالة اختلال التوازن العسكري لصالح الجبهة العربية .

اما موقف السناتور فولبرايت فقد اذاعت البرامج العبرية في اليوم الثالث للقتال في الساعة ١٤ تصريحاته في مجلس الشيوخ والتي تشير الى الصراع داخل المجلس بين الاتجاهات الصهيونية التي تضغط على الادارة الامريكية ، للدفاع عن موقف اسرائيل ، ودعوة فولبرايت المحددة لكبح جماح الادارة الامريكية من تجاوز السياسة الامريكية التي تحافظ على « التوازن » بين المصالح الامريكية الحيوية في المنطقة العربية (الطاقة) من جهة ، واتفاقات الانفراج الدولي ومتطلباتها من جهة اخرى .

الموقف السوفياتي والاعلام الاسرائيلي : قبل اندلاع القتال يتحدد الاتجاه الرئيسي في الموقف السوفياتي بـ « تأييد حق العرب في تحرير أراضيهم المحتلة » كما هو في مختلف البيانات العربية ــ السوفياتية المشتركة .

اما بعد اندلاع القتال فقد تمثل الموقف السوفياتي في البيان الرسمي لوكالة تاس في تحميل مسؤولية نشوب القتال بصورة قاطعة على أسرائيل وأوساط رجعية في الخارج وهذا ما أوردته الاذاعة الاسرائيلية في اليوم الثاني للقتال في الساعة التاسعة عشرة .

ومنذ الساعات الاولى للقتال حاولت الاذاعة الاسرائيلية ان تظهر أن هناك تناقضا بين الموقف السوفياتي والعربي تجاه الحرب . وأبرزت في نشراتها المختلفة خبر اخراج أو خروج الخبراء السوفيات من سوريا ومصر لكي تتوصل الى عدم موافقة الاتحاد السوفياتي على اعلان الحرب ، أو معارضته لها . ومن هذه المحاولة يريد المعلق السياسي الاسرائيلي القول بأن السوفيات لا يمكن أن يؤيدوا العرب ، أو أن تأييدهم سيكون غير فعال . وقد أوردت اذاعة اسرائيل بعد ساعات من بدء المعارك « في الوقت الذي بدأت فيه عمليات الاستعدادات العسكرية للبلدان العربية بدأ المستشارون السوفيات بالخروج بسرعة من مصر وسوريا » وتواصل « بأن حدوث عملية الاخلاء في مصر وسوريا في آن واحد يدل على ان الاخلاء جاء بمبادرة الاتحاد السوفياتي » ويخلص المعلق في النتيجة الى « ان السوفيات لم يفلحوا بالتأثير على الدولتين العربيتين عن هذه الخطط (خطط الحرب) » . بالمقابل اكدت جميع وكالات الانباء عدم صحة هذه الاخبار . كذلك ما ورد في النشرة العبرية من افتراء مفضوح صباح يوم الثلاثاء من « ان الاتحاد السوفياتي حذر اسرائيل قبل نشوب القتال بثلاثة أيام وذلك بواسطة وسيط فرنسي » . وهنا يبدو واضحا ان الاعلام الاسرائيلي قد جعل من العلاقات العربية السوفياتية قضية مركزية لالقاء ظلال من الشك على الموقف السوفياتي لشل فاعليته اثناء المعارك ، وبالتالي تأثيره الفعال في الميدان العسكري والسياسي .

لما كان الموقف السوفياتي قبل الحرب يتمثل في تأييد العرب لتحرير بلادهم فان ترجمته العملية بعد اندلاع القتال هي التأييد المطلق لاستمرار القتال حتى تحرير جميع الاراضي العربية . ولقد أوردت اذاعة اسرائيل هذا الموقف على الشكل التالي على لسان مراسل

الاسوشيتدبرس بأنه « لا أمل في امكان اتخاذ قرار بوقف اطلاق النار لان الروس والصينيين لا يوافقون على ذلك ، الا اذا تعهدت اسرائيل بالانسحاب من جميع المناطق التي احتلتها في حرب الايام الستة ، وهذا الامر لا يقبله الامريكيون » . (اذاعة اسرائيل ـــ الاثنين ـــ الساعة ١٦) . وبعد انعقاد مجلس الامن وارفضاضه تأكد الموقف السوفياتي في الاصرار على « وقف اطلاق النار بعد انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة عام ٦٧ » وهذا الموقف الى جانب الموقف الصيني جعل المجلس يصل الى طريق مسدود بسبب تعاكسه مع الموقف الامريكي . لقد تمثل التعاكس بتعبير الموقف السوفياتي عن الصيغة العربية لوقف اطلاق النار . بينما عبر الموقف الامريكي بدقة عن الصيغة الاسرائيلية لوقف القتال . اما الصيغة العربية التي وردت في تصريح الزيات في الامم المتحدة فهي « ان مصر لن توقف القتال حتى تستعيد أراضيها المحتلة عام ١٩٦٧ » . (النهار ٨ تشرين) .

وبسبب من تصاعد وتيرة الضغط الاسرائيلي على الولايات المتحدة ، والقلق الامريكي من تطور الصراع في ساحات القتال لصالح الجبهة العربية واختلال ميزان القوى ، *تصاعدت وتيرة الضغط الامريكي على الاتحاد السوفياتي والتهديد بتعريض الوضع* العالمي برمته الى الخطر كما في تصريح هنري كيسينجر صباح يوم الثلاثاء وكما أوردته الاذاعة الاسرائيلية « بأن جو التقارب بين الدولتين الكبيرتين من شأنه ان ينهار اذا لم يتصرف الاتحاد السوفياتي بمسؤولية بشأن الشرق الاوسط » ماذا يعني « التصرف بمسؤولية » في مفهوم الدبلوماسية الامريكية ؟ وكما أوردت الاذاعة الاسرائيلية تفسيرا لتلك الصيغة التي ظهرت في البيانات المتبادلة بين نكسون وبريجينيف يأمل فيها نكسون « دفع بريجينيف لوضع حد للحرب في الشرق الاوسط » . وفي تفسيره لطريقة وضع حد للحرب أكد نكسون بأن الولايات المتحدة « تأمل في الحصول على تأييد الموقف ناجح يؤدي الى وقف المعارك » . (اذاعة اسرائيل الساعة ١٨ ـــ الاثنين) . ووقف المعارك يكون « بالعودة الى المواقع التي كانت فيها الاطراف المتقاتلة قبل بدء الاشتباكات » كما أوردت الاذاعة الاسرائيلية في الساعة الثانية من صباح يوم الثلاثاء .. أي ان التصرف بمسؤولية من التفسير الامريكي يكون في موافقة الاتحاد السوفياتي بل وتأييده لانسحاب عربي من الاراضي العربية المحررة وتقدم اسرائيلي لاحتلالها .

وفي الوقت الذي حاول فيه الاعلام الاسرائيلي التشديد على الموقف الامريكي المتصاعد في الضغط على الاتحاد السوفياتي . جاء في تصريحات بريجينيف في دعوة الدول العربية لتأييد سورية ومصر في قتالهما ضد اسرائيل وقوله « بأن المصالح الحيوية لكل الدول العربية مرتبطة بتأييد مصر وسورية في المعركة القائمة ، وان بلاده تقدم مساعدات مختلفة للمساعدة في تحرير الارض العربية » . (الاربعاء ـــ لندن الساعة ٢٠) .

من خلال عرض الموقف السوفياتي والامريكي يبدو واضحا جدا اضطراب الاعلام الاسرائيلي في مواجهة الموقف السوفياتي . فهو يبدأ بالتشكيك وبالدس ، ثم ينتقل الى الاستعانة بالموقف الامريكي في محاولة الضغط والابتزاز . واخيرا تلجأ الاذاعة الاسرائيلية الى ايراد تصريحات ونصوص غامضة لتوحي بها مواقف مفترضة لا تعكس حقيقتها، منها ما اذاعته النشرة العبرية على لسان الناطق الامريكي مكلوسكي وقوله أن « للاتحاد السوفياتي موقفا مماثلا للولايات المتحدة » .. وان الاتحاد السوفياتي يرغب بتقيد الصراع بين العرب واسرائيل . وهذا ما يعكس اضطراب وتناقض الاعلام تجاه اخطر موقف يواجه اسرائيل .

أوروبا الغربية واسرائيل : الموقف العام لاغلب دول اوروبا الغربية قبل الحرب هو : تأييد قرار مجلس الامن ٢٤٢ والذي يتضمن انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ .

وقبيل اندلاع القتال بساعات ، نشطت الدبلوماسية الاسرائيلية لابلاغ دول أوروبا الغربية عن نوايا العرب في الحرب ، ونواياها هي « السلمية » ، لتطويق موقف هذه الدول والابقاء عليه في الحدود التي تستطيع السياسة الاسرائيلية ان توظفه لصالحها .

لقد أوردت الاذاعة الاسرائيلية ان كبار موظفي وزارة الخارجية اتصلوا بسفراء دول أوروبا الغربية لابلاغهم ان الجيشين المصري والسوري قد حشدا قواهما لعبور القناة ومهاجمة الجولان . (السبت ـــ ساعة ٢٢) .

وبعد بدء القتال اتخذت الدول الغربية مواقف مختلفة لم تستطع السياسة الاسرائيلية واعلامها مواجهة تلك المواقف الا بارتباك واضطراب ظاهرين .

الموقف الفرنسي كما ورد في الساعة ٢٢ من مساء يوم الاثنين من الاذاعة الاسرائيلية، والذي ورد على لسان وزير الخارجية الفرنسي في تعقيبه على الحرب في الشرق الاوسط « أن الاشخاص الذين يحاولون وضع أقدامهم في بيوتهم لا يمكن اعتبارهم يقومون بأعمال عدائية غير متوقعة » .

وفي محاولة الاذاعة الاسرائيلية لتفسير هذا الموقف الواضح قالت بأن هذه موافقة من جانب حكومة فرنسا على رواية العرب والاتحاد السوفياتي ، وتضامن مع هجوم مصر وسورية . هذا التبسيط في الدعاية الاسرائيلية لا يقول شيئاً ولا يفسر شيئاً . انه يتهرب فقط من مواجهة الموقف والبحث عن جوهر السياسة الفرنسية تجـــاه محتل وطالب تحرير .

اما الموقف البلجيكي كما أوردته الاذاعة الاسرائيلية فقد تمثل بالقول « بأن خرق وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط هو أمر مؤسف » وأيضا « ان بلجيكا مقتنعة بأن على مجلس الامن أن يبذل جهوده لايقاف المعارك » (الاثنين الساعة ١٠) . وقد تمثل الموقف البريطاني في التأكيد على ايقاف القتال ، وشجب الاعمال الحربية .

يبدو واضحا ان المعالجات الاسرائيلية في التصريحات والبيانات واجهزة الاعلام كانت تستهدف الابقاء على مواقف دول أوروبا الغربية في اطار تأييدها للقرار ٢٤٢ . ولكن اندلاع القتال الذي يفترض موقفا محددا ومباشرا من قضية وقف اطلاق النار هو في جميع الحالات التي عبرت بها هذه الدول عن مواقفها معاكس للسياسة الاسرائيلية، ومحاولتها ايقاف القتال في حدود ما قبل حرب اكتوبر الحالية .

دول العالم الثالث : لقد اتخذت دول العالم الثالث ، آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية خلال اكثر من ست سنوات من الاحتلال مواقف متفاوتة في تأييدها للحق العربي ومطالبتها بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة ، وعلى وجه التحديد تأييدها للقرار ٢٤٢ .

ولكن اندلاع الحرب وضع هذه الدول امـــام موقف جديد . ولقد أوردت الاذاعـــة الاسرائيلية موقف هيلاسي لاسي في مساء يوم الاثنين (ساعة ٢٢) والذي يحمل دلالة واضحة في ادانة اسرائيل وتأييد حرب التحرير العربية ، وهذا الموقف هو نموذج لمواقف أغلبية الدول الافريقية التي لم تقطع علاقتها مع اسرائيل لحد الآن .

ان قول هيلاسيلاسي « انه طالما لم تعد المناطق المحتلة بالقوة الى أصحابها ، ستكون الحكومة صاحبة العلاقة ملزمة باتخاذ الوسائل لاعادتها » . هذا القول يجسد جوهر الموقف الافريقي تجاه اسرائيل ويعبر عن موقف جميع الدول التي تؤيد القرار ٢٤٢ .

وبعد مضي ما يزيد عن ستة اعوام على الاحتلال الاسرائيلي فان الاعلام الاسرائيلي ليس لديه من وسائل في مواجهتها سوى المطالبة بالعودة الى حدود ما قبل القتال ، أي مطالبة العرب بالتخلي عن اراضيهم ثانية ، وهذا ما يعود علـــى السياسة والاعلام الاسرائلي بالنتائج العكسية .

المعالجة الاعلامية للمواقف العربية

يبدو واضحا من متابعة الاذاعتين العربية والعبرية ان ما تقوله اسرائيل في العبرية من بيانات وتصريحات حول المواقف العربية يتسم بالتقليل من أهمية المواقف العربية. بينما في نشراتها العربية تحاول ابراز التناقضات العربية وتضخيمها والاستنتاج بعدم فاعليتها.

في النشرات العربية كانت المعالجة بالنسبة **للموقف العراقي** كالتالي :

١ ــ التركيز على ابراز التناقضات العربية الشكلية والجزئية وحتى المختلقة منها، دون النظر الى اعتبارات ظروف الحرب، وصعود التناقض الرئيسي بين البلدان العربية واسرائيل.

٢ ــ ابراز تلك الخلافات على انها حاسمة، وهي كل شيء في تحديد موقف العراق، مع محاولة اغفال اي أساس وطني قومي للموقف العراقي.

٣ ــ التلويح بانهيار النظام السوري بين لحظة واخرى.. لردع العراق عن المساهمة في المعركة. وهذا الموقف الاعلامي في محاولة منع العراق من المساهمة، رغم عدم أهمية منطلقاته، فانه يتقلب ضد اسرائيل، لانه يشكل دافعا أساسيا للموقف العراقي، ومبلورا لضغط جماهيري عراقي وعربي للمساهمة السريعة والفعالة في المعركة.

في الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الاثنين يقول المعلــق السياسي في الاذاعة العربية « ان العلاقات بين دمشق وبغداد قد ساءت بصورة مؤكدة ». وبعد أن يتحدث المعلن عن جملة من المشاكل الحقيقية وغير الحقيقية منها يتوصل الــى النتيجة التي يريدها بالتساؤل عن الهدف الحقيقي الذي تسعى اليه حكومة العراق، ليتوصل الى ان هدف زعماء البعث العراقي هو « استغلال فرصة انهيار السلطــة السورية المتوقع « قريبا » وما سينشأ عنها من فراغ في نظام الحكم السوري لكي يفرضوا سيطرتهم ».

هذا التفسير الساذج للموقف العراقي يغفل كليا طبيعة الحرب وجوهرها ومضاعفات وتفاعلات استمرار القتال بالنسبة للحكومات والشعوب العربية.

اما البرهان الذي تقدمه الاذاعة الموجهة الى الجماهير العربية لتأكيد تحليلها للموقف العراقي ــ السوري فهو القول « ان هدف الرئيس الاسد من وراء تركيزه لقوات سورية مدرعة حول العاصمة دمشق هو صد محاولة العراق لاستغلال الفرصة عند انهيار الوضع السوري ».

وفي الساعة الرابعة عشرة من مساء الثلاثاء تحدث حــاييم هرتسوغ عــن الموقف السوري اكد ان على القائد السوري أن يتخذ قراراته في ضمان الموازنة بين حماية أمن دمشق وبين استمرار وتصعيد الجبهة السورية. هذا التحليــل العسكري للموقف السوري في الاذاعة العبرية يتحول الى اعلام مسطح وغير قادر على اقناع أحد، لانه يتحول الى موقف ينطلق من تصورات اسرائيلية تقليدية مسبقة تخص الخلافات العربية الثانوية ما قبل المعارك.

وفي الوقت الذي تحاول فيه الاذاعة العبرية التأكيد على ان المساعدات العربية هي « وعود » وليس لها ابعاد بالنسبة للمعركة في المرحلة الحالية كما في نشرتها الصباحية ليوم الثلاثاء، تنفرد تفسيرا خاصا للموقف العراقي والقول بأن نقطة واحدة جديدة نسبيا تسبب القلق لاسرائيل. تلك النقطة الجديدة « تتعلق بالنبأ الذي يقول ان العراقيين تلقوا في الآونة الاخيرة عددا من القاذفات الروسية الحديثة من طراز « توبوليف ٢٢ » وفي النتيجة تحاول ربط القرار العراقي باستخدام هذه القاذفات ضد اسرائيل « بالموقف السوفييتي ورغبة الروس » ولا يجد معلق الشؤون العربية دوف ينون غــير الموقف

الامريكي ليضعه في مواجهة الموقف العراقي والسوفياتي حسب تحليله . فبعد ان يقول دون ينون « اذا كان ـ لا سمح الله ـ نوايا كهذه » اي تدخل عراقي في الحرب فان تحذير هنري كيسينجر للروس من ان التقارب السوفياتي قد يتزعزع « اذا لم يتصرف الاتحاد السوفياتي بمسؤولية » قد يحول دون استخدام الطائرات والاسلحة العراقية . ان هذا الربط بين القرار العراقي والموقف السوفياتي يهدف الى التخويف من الموقف السوفياتي ، ومواجهته بالموقف والتهديد الامريكي . ولكن هذا الربط يغفل مرة اخرى طبيعة الحرب العربية الاسرائيلية وطابعها التحرري العادل الذي لا يمكن ان يكون موقف الصداقة السوفياتية فيه الا موقفا مساعدا وداعما وليس مقررا .. والموقف الامريكي وابتزازه وتهديداته لا يؤدي اذا استمر في تصعيده الا الى مضاعفات عكسية ، في تصعيد القرارات العربية وتفجير طاقات الجماهير ، وهذا يعني ان الاعلام في معالجاته لهذه المواقف يتخذ خطا دعائيا تبسيطيا خاطئا لا يمكن أن تكون له فاعلية في خدمة السياسة والاهداف الاسرائيلية .

معالجة الموقف اللبناني وحركة المقاومة : الموقف الاسرائيلي تجاه لبنان والمقاومة قبل اندلاع المعارك يعتمد على المعادلة التالية : الردع تجاه لبنان لكي يضغط على المقاومة والتهديد بمهاجمته كلما تصاعدت العمليات التي تدعي اسرائيل ان مصدرها لبنان .

بعد اندلاع القتال توقف التهديد بالردع او تنفيذه خوفا من خطر فتح جبهة قتالية جديدة . وعمليات المقاومة التي يمكن أن تنطلق من جنوب لبنان تصاعدت كما اعترف العدو مؤخرا وهذا يضع المعادلة الاسرائيلية في مواجهة التحدي . حول العمليات المسلحة للمقاومة هل يمكن ردعها بفتح الجبهة اللبنانية ؟

بعد صمت عن العمليات العسكرية للمقاومة استمر حتى اليوم الثاني من أيام الحرب أوردت الاذاعة العبرية في الساعة الثامنة عشرة من يوم الاثنين ثالث يوم القتال « بأن رئيس الحكومة اللبنانية طلب من السفراء العرب التأثير على « المخربين » بأن لا يقوموا بأية عملية من شأنها ان تعطي اسرائيل ذريعة لمهاجمة لبنان » . ثم تؤكد الاذاعة « وكان « المخربون » قد نشروا خلال الايام الاخيرة معلومات جمة حول عمليات قاموا بها ضد اسرائيل ، والاستمرار في التقليل من اهمية عمليات المقاومة يحقق هدفا مزدوجا : اخفاء فاعلية المقاومة الفلسطينية من جهة ، وعدم الوقوع بمعادلة التحدي التي كانت قائمة قبل الحرب في ردع لبنان من جهة اخرى ، لان الردع بعد القتال معناه فتح جبهة جديدة ، عسكريا وجماهيريا .

هذا الاتجاه تمثل بوضوح في القفز من فوق فاعلية عمليات المقاومة ليأتي قرار مجلس الوزراء في تحذير لبنان « بأن لا يقدم مساعدة عسكرية فعالة لسوريا » . كما ورد في نشرة الاخبار مساء يوم الاثنين .

هذه التغطية لحقيقة الموقف في جنوب لبنان وربط التحذير الاسرائيلي للبنان بالمساعدات التي تقدم لسوريا سرعان ما جاء الموقف الرسمي المحذر للبنان من التدخل ليكون اكثر وضوحا في اليوم الثالث للمعارك ، لانه جاء مصحوبا بالاشارة للمقاومة بدلا من سوريا وبالاعتراف « بأن بعض **« المخربين »** العاملين من لبنان وجهوا ضربات من الاراضي اللبنانية نحو المستوطنات الاسرائيلية » .

وهذا التناقض في معالجة الموقف الاسرائيلي تجاه لبنان ، تارة بالحديث عن سوريا وتارة أخرى بالحديث عن المقاومة ، يعكس حقيقة المأزق العسكري في تحديد موقف نهائي من الجبهة اللبنانية .

معالجة الموقفين الليبي والاردني : يقوم الموقف الاسرائيلي قبل اندلاع القتال تجاه الاردن وليبيا على امتداح « الحكمة » الاردنية في عدم التصدي لاسرائيل ونشدان السلام

بينما يتخذ جانب التحدي « لاستراتيجية القذافي القومية المعادية لاسرائيل » كما ترددها أجهزة الاعلام والتي تصفها « بالجنون والحمق القذافي » .

بعد اندلاع المعارك وضع النظامان الاردني والليبي امام الترجمة العملية لمواقفهما .

لقد كان موقف القذافي في اعلانه عن التأييد المطلق لمصر وسوريا بكل امكانات ليبيا في دعم القتال واستمراره . ولكن الجزء الثاني من « تصريحه هو الاعلان عن عدم موافقته على خطة الحرب لانها لا تقود الى التحرير الكامل وتبقي هدف الحرب في حدود تحرير الاراضي المحتلة عام ٦٧ » .

لقد حاول الاعلام الاسرائيلي التركيز على جانب نقد القذافي لاستراتيجية الحرب وتكرار هذا النقد بشكل مستمر . واخفاء الجانب الآخر في تأييد مصر وسوريا في قتالهما ضد اسرائيل .

وبالاضافة الى محاولة تفسير الموقف الليبي بما يخدم اهدافها في ابراز ليبيا وكأنها لا تؤيد المعركة بل وتقف ضدها ، فان دعوة الملك حسين والحكومات الاخرى للاقتداء « بحكمة القذافي » هي دعوة قائمة على تفسيرات وهمية لموقف ليبيا .

لقد كررت الاذاعات الاسرائيلية العبرية والعربية دعوة الملك حسين الى الاقتداء « بالقذافي وحكمته » . كما اظهرت في نشرتها العبرية بعد ساعات من اندلاع القتال رسالة هنري كيسنجر الى السعودية والاردن ودعوته لحكامها « للتصرف باعتدال » .

يبدو ان الموقف الاعلامي تجاه الاردن وليبيا يبدأ بافتراض وتفسير للموقف الليبي أولا . وبناء نصائح اسرائيلية على تلك التفسيرات لمواقف «الحكمة» الوهمية لتصديرها الى الاردن والدول العربية الاخرى .

مرة أخرى يكشف الاعلام الاسرائيلي في مواجهته لوقائع الحرب وسياساتها التي لا يمكن تأطيرها حسب تصورات اسرائيلية او اوهام وتفسيرات ذاتية تتمناها اسرائيل وتعالج المواقف المترتبة عليها . وبالتالي ما يجعل هذا النمط من المواجهة يتعاكس مع ابجدية الاعلام في مواجهة سياسات واقعية وليس تفسيرات وتخيلات وتلاعب في النصوص والتصريحات كما هو في التعامل مع موقف ليبيا .

ان الاعلام الاسرائيلي يغفل ان موقف الاردن لا يمكن ان تعينه وتحدده النصائح الاسرائيلية بقدر ما تقدره طبيعة النظام وقيادته السياسية ، وسير المعارك في جبهات القتال .

الهدف من السياسة الاعلامية هو ان تتمكن من التأثير في المواقف والسياسات الفعلية للدول العربية وتوجيه جميع طاقاتها للتأثير في تلك المواقف . اما ان تصطنع مواقف خيالية حسب تفسيراتها فهذا لا يعني سوى أن السياسة الاعلامية لا تتعامل مع الوقائع السياسية والعسكرية . وهذا ما يجعلها تقع في التناقض والتبسيط والسذاجة في خطوطها الاعلامية الرئيسية .

قوات الكوماندوس المصرية : كيف عالج الاعلام الاسرائيلي موضوع الكوماندوس المصريين ، الذين تم انزالهم خلف القوات الاسرائيلية منذ ساعات الاول لاندلاع القتال؟

لقد كانت هذه المعالجة نموذجا للتضليل الاعلامي ، ونموذجا لتجاهل الانباء التي يمكن ان تضعف الروح المعنوية الاسرائيلية .

فالاذاعة الاسرائيلية الموجهة باللغة العبرية صمتت عن أي اشارة لهذا الموضوع طوال اليومين الاول والثاني من القتال . ولم تورد أي نبأ حول الكوماندوس المصريين الا في اليوم الثالث للقتال . أي حين بدأ الهجوم الاسرائيلي المضاد ، وأصبح الكشف عن

نشاط رجال الكوماندوس ، يمكن أن يكون مقبولا من الاسرائيلي العادي ، وهو يسمع في نفس الوقت انباء الهجوم المضاد .

ولكن حتى في اليوم الثالث ، فان الاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية ، لم تتحدث الا عن سحق وابادة الكوماندوس ، وتجاهلت تجاهلا كاملا الاعمال التي قاموا بها . وكذلك كان الامر بالنسبة للاذاعة الاسرائيلية الموجهة باللغة العربية .

ففي اليوم الثالث للقتال اذاعت اسرائيل بالعبرية للمرة الاولى في الساعة ٨٫٤٥ صباحا خبرا جاء فيه « قبل اكثر من ساعة وقع اشتباك بين قواتنا وقوات كومندو مصرية . ويبدو ان هذه القوات قد دخلت الى خليج السويس في اليوم الاول للمعارك ، وتستعين قواتنا بطائرات الهيلكوبتر لمطاردة قوات العدو ... وستجري ابادة افراد الكومندو المصري خلال ساعات قليلة » . ان الحديث هنا يتركز على الابادة ضمن ساعات قليلة ، ولكن الخبر يتجاهل انه قد مضى على وجود الكوماندوس في سيناء اكثر من ٤٨ ساعة . ولذلك فان الحديث عن القضاء عليهم وابادتهم لا يهدف الا الى رفع معنويات الجندي الاسرائيلي الذي اعترض رجال الكوماندوس بدون شك تقدم هجومه المضاد .

وفي الساعة الثانية عشرة ظهرا ، اتسع موضوع الكوماندوس ونشاطهم . مما اضطر الجنرال هرتسوغ كبير المعلقين الاسرائيليين العسكريين ان يشير اليهم في تحليلاته المتواصلة فقال « في نطاق مطاردة وحدتي كومندو مصريتين ادخلتا الى سيناء ليل الهجوم الاول ، تم القضاء على واحدة منهما ، عدد افرادها ٥٠ رجلا » . وعلى عكس الخبر الاسرائيلي الاول ، الذي يتحدث عن فرقة كوماندو مصرية واحدة ، يتحدث هرتسوغ هنا عن وحدتين ، ويشير الى ابادة الوحدة الاولى ، دون أن يشير الى نشاط الوحدة الثانية .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر من يوم القتال الثالث ، نقلت الاذاعة الاسرائيلية حديثا لمراسلها من داخل جبهة القتال . وتبين في هذا الحديث ان الكوماندوس الموجودين في سيناء هم اكثر من مجموعتين . قال المراسل « اصطدمت قوات الجيش الاسرائيلي المحاربة في سيناء اكثر من مرة بوحدات كوماندوس مصرية » .

اما في الوصف التفصيلي فقد كانت الاذاعة الاسرائيلية مضطرة للاعتراف بصعوبة المعارك مع رجال الكوماندوس . فاحد الجنود يروي لمراسل الاذاعة القصة التالية : « هوجمنا بواسطة كمين من الكوماندوس المصري .. وحدثت بيننا اصابات ...وكانت العملية صعبة ، فقد كانوا مستحكمين في الرمال ، وبعد معركة قصيرة اصطدمنا بهم في معركة عن قرب ، فرمونا بالقنابل المضادة للدبابات ، ولم نستطع ضربهم بالاسلحة الثقيلة » . وبعد هذا الوصف لصعوبة المعركة ، وبعد تجاهل الخسائر التي اوقعوها بالقوة الاسرائيلية ، اكتفى مراسل الاذاعة بذكر الجملة الاخيرة التالية على لسان الجندي « في مراحل المعركة الاخيرة دسناهم بجنازير المصفحات والدبابات » .

اما في الاذاعة الموجهة باللغة العربية ، فان كل هذه التفاصيل لم يرد لها اي ذكر . وكانت الاشارة الوحيدة للموضوع من خلال تعليق يشرح معنى ابادة فرقة الكوماندوس، ويلخص القصة كلها ، بانهم جاؤوا ليواجهوا الموت المحقق وان مهمة القيادة ان تتيح للكوماندوس فرصة العودة ، وهو ما لم تفعله القيادة المصرية .

ان هذه المعالجة لموضوع الكوماندوس ، تظهر مقدرتهم على البقاء فترة طويلة وراء خطوط العدو . كما تظهر انهم نفذوا بشجاعة مهمة عرقلة الهجمات الاسرائيلية المضادة . وذلك بالرغم من كل الصمت الذي احيط به نشاطهم ، وبالرغم من التركيز على ابادتهم فقط .

التعاطف الشعبي الدولي : في اليوم الرابع للقتال (الثلاثاء ــ ١٠/٩) ، وبعد فشل الهجوم الاسرائيلي المضاد ، وبعد بروز المزيد من الانتصارات العربية في الجولان وسيناء ، بدأت الاذاعة الاسرائيلية تركز على مظاهر التأييد الشعبي العالمي لاسرائيل . موجهة الانظار بشكل خاص الى مظاهر التأييد الشعبي الاميركي . وقد أذيعت هذه الانباء بشكل خاص باللغة العربية ، مما يوضح ان الهدف منها اقناع العرب ان الوضع الدولي غير مؤيد لهم . وانه يمكن لهذا الوضع الدولي المؤيد لاسرائيل ان يغير من نتائج المعركة . وبالطبع .. فان الاذاعة الاسرائيلية تجاهلت كل مظاهر التأييد الدولية التي تلقاها العرب ، سواء على الصعيد الرسمي او الشعبي .

ففي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم الثلاثاء نقلت الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية ان مظاهرات كبيرة ستجري في الولايات المتحدة تأييدا لاسرائيل . وسيجتمع ٥٠٠ من الزعماء اليهود في واشنطن ويصدرون قرارا يدعون فيه الحكومة الاميركية الى تأييد اسرائيل .

وبعد ان اذاعت اسرائيل على لسان وزير المالية التكاليف المالية الضخمة التي تكبدتها بسبب الحرب ، ركزت اسرائيل في اذاعتها العربية على نشاطات الجباية اليهودية في الولايات المتحدة . فقالت « ان الجباية اليهودية أعلنت عن عزمها على جمع مئة مليون دولار لدعم اسرائيل ... وقد تم جمع ٣٥ مليون دولار قيمة بيع سندات القرض الاسرائيلي » .

ولمزيد من التطمين للسكان الاسرائيليين ، وباتجاه رفع المعنويات ، والقول بان كل شيء يسير على ما يرام ، اعلنت الاذاعة الاسرائيلية في اليوم نفسه انباء مضحكة عن « ... وصول مجموعات السياح الى البلاد كما كان مقررا ... ومن المتوقع ان تصل الى اسرائيل في الايام القليلة القادمة مجموعتان اخريان من السياح » . والحقيقة ان اسرائيل تقوم من ضمن حملة جمع الاحتياط ، باستدعاء كافة الاسرائيليين المقيمين في الخارج . وغالبية هؤلاء الاسرائيليين يحملون جنسية بلادهم الاصلية اضافة الى الجنسية الاسرائيلية . وبالاضافة الى ذلك تقوم اسرائيل باستقدام المتطوعين الاوروبيين على غرار ما حصل في حرب حزيران عام ١٩٦٧ . وحتى تتجنب اسرائيل ذكر هذه الوقائع ، تتحدث عن افواج السياح التي تصل باستمرار . وفي الوقت نفسه ، ولاحداث الاثر النفسي المطلوب ، تبرز اسرائيل بشكل متواصل الانباء التي تقول بان شركات الطيران قد أوقفت رحلاتها الى مطارات دمشق والقاهرة ، بسبب الوضع القائم في الشرق الاوسط .

الاتجاهات العامة للسياسة الاعلامية الاسرائيلية

لقد كان لاندلاع القتال ، وتوقيته ، وشكل ومسار العمليات الحربية الاولى ردود فعل سريعة ومتباينة بالنسبة للاسرائيليين من جهة ، والشعوب العربية وشعوب العالم وحكوماتها من جهة أخرى . حسب طبيعة موقف كل منهما من الحرب .

ان ردود الفعل السريعة التي صنعتها حقائق القتال في ايامه الاولى قد عبرت عن السقوط الكامل لجميع الادعاءات والركائز الاعلامية التي عبرت عن مختلف السياسات الاسرائيلية لما قبل الحرب . تلك السياسات التي شيدت عليها جميع « القناعات » و « الاساطير » طيلة السنوات الست التي مضت على حرب حزيران ١٩٦٧ . ومن هنا فان مسيرة المعارك والتفاعلات العسكرية والسياسية التي تترتب عليها ، والمضاعفات المستقبلية التي خلقتها ، قد اجبرت السياسة الاعلامية الاسرائيلية على مواجهة مرحلة انتقال مضطربة تتسم بالتذبذب والتناقض الشديدين ، قبل ان تتمكن من الانتقال الى المرحلة التي تستطيع فيها بناء الخطوط والركائز الاعلامية الجديدة ، التي تجيب على

اسباب فشل السياسات الاسرائيلية وغطائها الاعلامي لما قبل بدء معارك اكتوبر . وتستجيب لظروف التغيرات التي تخلقها ساحات المعارك بعد ان هدمت كثيرا من الاوهام والاساطير وشيدت مجموعة من الحقائق والوقائع التي طالما تعرضت للتشويه على يد مخططي السياسة الاعلامية العامة .

اولا — معالجة قضية اندلاع الحرب المفاجيء : لقد كانت الدعاية الاسرائيلية عبر تاريخها ، وخاصة بعد حرب حزيران ، تقوم على الزعم بان الاستخبارات الاسرائيلية غير محدودة القدرة في معرفة خطط العرب وتفكير قادتهم بدقة . وبالتالي فان جميع الخطط والسياسات الاسرائيلية تكون مبنية على أدق المعلومات واصدقها ، خاصة العسكرية منها ، لمواجهة اي موقف يمكن ان يستجد في المنطقة عموما تكون اسرائيل معنية فيه . لكن اندلاع القتال ، وتوقيته ، وعدم توقعه بالنسبة للقيادة الاسرائيلية السياسية والعسكرية ، الا بصورة « احتمال » فحسب ، وقبل ساعات فقط من بدء العمليات (حتى الزعم الرسمي بمعرفة نوايا الحرب عند العرب كان احتمالا غير محدد الشكل والسعة والاتجاه) ، واندلاع القتال بتلك الهمة قد عين على الفور المعنى الذي يترتب على الثقة المطلقة باسطورة المخابرات ، وبناء الخطط الحربية «لأمن» اسرائيل على اساس معلوماتها وتقديراتها . من هنا واجه الاعلام الاسرائيلي مأزقه الاول .

كيف واجه الاعلام الاسرائيلي هذا المأزق ؟

١ — اسرائيليا : الاعلام الموجه للاسرائيليين باللغة العبرية : لقد حاولت الاذاعة العبرية ان تبرز بشكل مكثف ودائم التكرار قضية « خرق » العرب لحرمة يوم الغفران، لاخفاء واقع المفاجأة ، والتغطية على « اسطورة » المخابرات التي لا تخطىء ولا تفاجأ . وفي الوقت الذي استهدف هذا التوجه في الاعلام اخفاء « الحقيقة » التي اكدتها السياسة الاعلامية طيلة سنوات ما بعد الحرب ، حقيقة عجز العرب الكلي وانهيار ارادتهم القتالية تماما ، وتحويل «الذهن» الاسرائيلي نحو قضية ثانوية تماما هي قضية « غدر » العرب « وخرقهم » للمقدسات . فقد استهدف ايضا تحريك والهاب اكثر المفاهيم والنزعات الدينية تخلفا في المجتمع الاسرائيلي ولكن المحاولة الاخيرة ليست كبيرة الفاعلية بالنسبة للاسرائيليين الذين يمارسون الاصول والواجبات الدينية « كطقوس » اعتادوها بفعل التكرار ، ولا تشكل بالنسبة لهم جزءا من الايديولوجية الصهيونية ومفاهيمها الاساسية . كذلك بالنسبة للقطاعات الواسعة التي هي على قدر من المعرفة بأوليات العلم العسكري وانفصاله عن الدين وطقوسه بالنسبة لهم او للعرب . واذا كان هذا الالحاح الاعلامي يمكن ان يكون له بعض الآثار المباشرة لدى اوساط مختلفة من المجتمع الاسرائيلي ، فان التمسك به في منابر الامم المتحدة يتحول الى مثار للسخرية والاستخفاف وكدليل ضعف في الجانب الاسرائيلي وسط الحقائق الاساسية المروعة التي تسببها الحرب ، والتي يكون الرأي العام الاوروبي معنيا باتخاذ موقف تجاه مضاعفاتها .

٢ — عربيا : الاعلام الاسرائيلي الموجه للشعوب العربية : لقد ركز الاعلام على أن اعلان الحرب من جانب العرب هو « مغامرة اجرامية حمقاء » من قبل السادات والاسد . لكي يحقق هذا الخط تشكيكا سريعا في امكانية استمرار الحرب او تحقيق أي نصر للعرب . هذه المحاولة تعبر عن استمرار للخط القائم على تيئيس الجماهير العربية من تعذر امكانية تحقيق أي مكسب في مواجهة اسرائيل كلية القدرة والسطوة ، من قبل العرب كليي العجز والضعف .

ولقد عبر هذا الاتجاه الاعلامي عن نفسه في سيل متزايد من التهديدات المتصاعدة النبرة لاستيعاب رد الفعل العربي السريع بعد اندلاع الحرب . لقد وصلت تلك التهديدات الى الحديث عن «تحطيم رأس الافعى» اي سحق القيادة المصرية والسورية، ووضع حد « نهائي » لاحتمالات المغامرة في المستقبل .

لكن هذا الخط الاعلامي الذي يشكل امتدادا لاتجاهات الاعلام بعد حرب حزيران ومنطلقاتها الاساسية ، كان يمكن ان يعطي تأثيرا ايجابيا في ارباك الجماهير والحكومات العربية ، وكان يمكن ان يحقق ايضا دفعا سريعا لمعنويات الجنود الاسرائيليين في حالة تحقيق انتصارات سريعة في صد الهجوم العربي . او على الاقل ايقاف زخمه الاولي عبر انتصارات اسرائيلية ميدانية . بينما يكون فعل هذا الخط عينه في الحالة التي يثبت فيها خطأ الحسابات الاسرائيلية وعدم صحة التهديدات والعنجهيات وصيغ التهديد ضد العرب . وهو ما حصل فعلا ، يكون الفعل والتأثير معاكسا تماما لاهدافه فهو يخلق ثقة عالية للجماهير بالقيادة العربية وامكانات النصر بينما يبدأ الاسرائيليون بالتشكيك في قيادتهم وتكذيب خطها الاعلامي من جهة وبداية اعادة النظر في اقوال القادة الاسرائيليين عن العرب وقدراتهم القتالية .

الحصيلة لاستمرار خط ما قبل الحرب بعد المعارك كان على العكس من اهدافه المرجوة . بالنسبة للجماهير العربية . تمثلت بالتشكيك وتكذيب الدعاية الاسرائيلية عن قدرات القيادة العربية مقابل صعود الثقة وتركزها بامكانات النصر وتحطيم اسطورة القدرة الاسرائيلية التي بدأت تقهر .

٣ ـ **عالميا** : الاعلام الاسرائيلي في مخاطبة الشعوب والحكومات الاوروبية : قبل الحرب تركز الاعلام الاسرائيلي الموجه الى الحكومات والشعوب الاوروبية على اساس ان فرض الامر الواقع هو المدخل الوحيد لتحقيق لسلام مع العرب . وان الاسرائيليين لا يمانعون في تحقيق تسوية مع العرب « ضمن حدود آمنة » لم تحددها القيادة الاسرائيلية حتى اندلاع القتال . بالمقابل كان الراي العام الاوروبي والحكومات الاوروبية تلتزم وتدافع عن قرار ٢٤٢ كمدخل لاحلال السلام في المنطقة : انسحاب اسرائيلي مقابل التزام عربي بالاعتراف باسرائيل وضمان سلامتها .

وبعد اندلاع المعارك تصدى الاعلام الاسرائيلي لاستيعاب ردود الفعل تلك والتي عبرت عن تعاطفها وتفهمها لدوافع العرب بدخول الحرب باعتبارها حربا تستهدف تحرير اراضيهم التي تمانع اسرائيل في الانسحاب منها طيلة اكثر من ست سنوات .

في مواجهة هذه الارضية ركز الاعلام عبر الاذاعات والتصريحات والمؤتمرات والصحافة المؤيدة لاسرائيل على القول بان الحرب قد « حطمت فرص السلام التي كانت وشيكة من قبل» . هذه المخاطبة لشعوب اوروبا وامريكا وحكوماتها يمكن أن تلتقي مع الرغبة الاكيدة في احلال السلام ، دون ان تدرك بالضبط الطبيعة الخاصة والاستثنائية للصراع في المنطقة العربية .

لكن ذاكرة الشعوب الاوروبية وحكوماتها ، من خبرتها في السياسة والاعلام الاسرائيليين طيلة ستة اعوام كانت كافية لتأكيد حقيقة ان اسرائيل كانت حتى ساعة اندلاع الحرب غير معنية تماما بتحقيق السلام في المنطقة . وهذه الحقيقة تجعل التأكيد الاعلامي على قضية « ان الحرب قد حطمت فرص السلام الوشيك » لا تلقى استجابة واسعة . خاصة وان برنامج حزب العمل الانتخابي الاخير لا تخفى حقيقة اهدافه وموقفه من موضوعة السلام ، والذي تعرف الشعوب والحكومات الاوروبية الكثير عنه قبل بدء المعارك .

ربما تجد دعوى اسرائيل في الحرص على السلام صدى بين الشعوب الاوروبية باتجاه الضغط لوقف اطلاق النار عن الحدود القتالية القائمة ، ولكن هذا الموقف لم يحققه الادعاء بان « الحرب حطمت فرص السلام » ذلك ان الجو العالمي ، وهو الذي تبلورت فيه سياسة الانفراج الدولي وحل اكثر المعضلات التهابا عن طريق المفاوضات، هو الذي سيقرر اتجاه الرأي العام الاوروبي .

ان النتائج الفعلية للخط الاعلامي الموجه الى اوروبا وامريكا شعوبا وحكومات ، عن رغبة الاسرائيليين المفاجئة في « السلام » ، سوف تقررها النتائج الفعلية لموازين القوى العسكرية في جبهات القتال .

ثانيا : الاعلام في مواجهة اشتداد المعارك : أ ــ مرت السياسة الاعلامية الموجهة **للاسرائيليين** ، عبر مرحلتين متمايزتين :

مرحلة ما بعد بدء المعارك مباشرة وقد اتسمت بالخطوط العامة عبر التسلسل التالي :

١ ــ الوعد بالهجوم المضاد الصاعق الذي ينهي « الحماقة العربية والمغامرة الجنونية » .

٢ ــ التأكيد على أن عدم بدء القتال من قبل اسرائيل هو موقف رسمي اتخذته الحكومة الاسرائيلية مستهدفة فضح مواقف ونوايا العرب العدوانية لكي يمكن ادانتها وخلق شروط عدم تكرارها . . !

٣ ــ التأكيد على الاهمية القصوى « لضمان السلام داخل حدود الخط الاخضر » وهو ما يتطلب الاهتمام بأمن أسرائيل (داخل الخط الاخضر) وثانوية المناطق البعيدة عسكريا خاصة سيناء (كما في تفسير دايان لنجاح المصريين من عبور القناة) .

٤ ــ ابراز تأييد يهود العالم والتركيز على تعاطف اليهودي اينما كان ، والتركيز على وقائع شكلية صغيرة (سائق تاكسي لم يستلم اجورا من المسافر بعدما عرف انه يهودي) .

٥ ــ التكرار الدائم في الحديث عن صور من بطولات اسرائيلية في حرب حزيران ومقارنتها بصور عن « هزائم » عربية في تلك الحرب .

٦ ــ اللجوء الى تكرار الاساليب التي استخدمت اثناء حرب حزيران في مخاطبة القادة والجنود العرب بانكم تغامرون بحياتكم وان معركتكم يائسة ، وان نهاية المغامرة العربية قريبة جدا .

٧ ــ التركيز على التأييد الواسع للموقف الاسرائيلي .

٨ ــ اعتبار الموقف السوفياتي مسألة ذات اهمية استثنائية مركزية وملاحقته بدءا من الادعاء بمعارضته لقرار الحرب ، والتشكيك بفاعلية السلاح السوفياتي وحتى اختلاف قضية تسريب قرار الحرب الى الاسرائيليين .

ولكن هذه الخطوط الاعلامية التي تخاطب الاسرائيليين واجهت مأزقا جديا بعد تكسر الهجوم المضاد وعدم تحقيق اي من الوعود الاسرائيلية وبالتالي تأكيد عدم صحة الخطوط الاعلامية الستة الاولى،امام تصاعد القتال وثبات الانتصارات العربية وتقدمها.

في نهاية المرحلة ، وبعد ان فقدت الخطوط الرئيسية للسياسة الاعلامية فاعليتها وفرض تصديقها ، تركز الاعلام الاسرائيلي على ابراز الموقف الامريكي المؤيد لاسرائيل ، وعلى وضعه في مواجهة الموقف السوفياتي والتأكيد على تدويل الصراع وجعله مرتبطا في مصير جميع المعضلات العالمية المختلف عليها بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية .

الخطوط الاعلامية الرئيسية للمرحلة الثانية :

١ ــ اعداد الاسرائيليين لحرب استنزاف طويلة .

٢ ــ التركيز على ان موقف الولايات المتحدة المؤيد لاسرائيل هو الذي يمكن من اجبار السوفيات على عدم تصعيد الحرب والضغط على العرب لايقاف القتال .

٣ ــ التأكيد على عدم فاعلية الدعم العربي للدول المقاتلة ، واستثناء اهمية اشتراك العراق وجعل موقفه مرتبطا بالقرار السوفياتي .

ب ــ **السياسة الاعلامية الموجهة للشعوب العربية** : لقد اتخذت السياسة الاعلامية الموجهة للشعوب العربية وحكوماتها الاتجاهات الرئيسية التالية :

١ ــ الادعاء بان الهجوم العربي « حماقة كبرى » و « مغامرة » امام التفوق الاسرائيلي المطلق ، وما هي الا ساعات « لا اعتقد انها تدوم اياما » (دايان) .

٢ ــ الحديث عن التفوق العلمي للاسرائيليين واهميته في تقرير مصير القتال وذلك بايراد امثلة من المعركة عن صور تثبت كفاءة المهندسين الاسرائيليين . وهذا استمرار لاعلام اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ .

٣ ــ التأكيد على التخلف والعجز العربي في القتال .

٤ ــ التكرار المستمر والممل لابراز صور « حزيرانية » ومقارنة مفاهيم « واساطير » حزيران صورة بصورة بواقعه عبر اشكال مختلفة في الدعاية واجتزاء بعض من المعارك للمقارنة . منها (شكل الحرب في سيناء كما في حزيران ، هروب القادة العرب ،المصيدة العسكرية في سيناء) وبالنتيجة مناشدة الجنود العرب والقادة الاختيار بين الهلاك او الاستسلام .

٥ ــ محاولة ايجاد مقارنة بين القول بصفات الشجاعة العربية وهروب العرب في حزيران . ومحاولة تجريد الانسان العربي والمقاتل من جميع الصفات ما عدا صفة « العقل » الذي تدفعه للاستسلام وانقاذ حياته .

٦ ــ ابراز الصفات « السيئة » للقادة والجنود في الجيوش العربية والاسفاف في التأكيد على صفات التخلف لضباط وجنود الجيش العراقي الى درجة تكرار الاكاذيب عن « الانحرافات » لتقليل القدرات الكفاحية للضباط والجنود العرب .

٧ ــ محاولة تصوير الخلافات العربية كأنها هي كل شيء وهي الحاسمة في تحديد الموقف من القتال ومنها القول بان اشتراك العراق في المعركة يهدف لاسقاط حكومة الاسد وليس لدعم القتال .

٨ ــ ابراز التأييد الامريكي الواسع ودفع تحركات الاسطول السادس الى المقدمة في الاتجاه الاعلامي .

٩ ــ تصعيد نبرة الهجوم على الاتحاد السوفياتي والتشكيك بمواقفه تجاه العرب . بهدف الحيلولة دون تطور العلاقات الكفاحية وتأثير ذلك التطور على مسار الحرب سياسيا وعسكريا .

لقد استهدفت الخطوط العامة للاعلام العربي « تحطيم » ارادة القتال لدى الجيوش والشعوب العربية ، استمرارا للنهج الاعلامي الناجح في ظروف حرب حزيران المختلفة .

لكن هذا الاتجاه الاعلامي بدأ يعطي نتائج معاكسة تماما لاهدافه مع تطور المعارك وتأكيد ارادة القتال ، وفقدان المزاعم الاسرائيلية اية امكانية على التأثير او التصديق .

اما الاعلام الخاص بالموقف السوفياتي والامريكي فقد فقد الاول فاعليته بتطور الموقف العملي للاتحاد السوفياتي من الحرب ، بينما ادى التأكيد على الدعم الامريكي والتهديد بتحرك الاسطول السادس الى موجة عداء جماهيرية عربية عارمة للقتال ضد اسرائيل وضرب المصالح الامريكية .

لم يبق من الخطوط الاعلامية التي لها قدر من الفاعلية سوى وضع معادلة الصدام السوفياتي الامريكي امام الشعوب العربية وربط مصير العالم بقضية الشرق الاوسط وهذا المحور الاعلامي ستقرر حدود فاعليته في الايام القادمة . وساحات القتال هي ما يقرر كل شيء .

جـ ــ **الاعلام الموجه الى شعوب وحكومات اوروبا** : الاعلام الموجه الى شعوب

اوروبا وحكوماتها يختلف تماما عنه بالنسبة للاسرائيليين والعرب . لان الرأي العام الاوروبي رغم جنوحه لتأييد « السلام » وتحقيق الانفراج الدولي . فان الموقف الاعلامي الاسرائيلي في مخاطبته ليس على درجة كبيرة من السهولة . ذلك بسبب من التصلب الاسرائيلي تجاه تنفيذ القرارات الدولية، ومن جهة حصول العرب على قرارات صاغتها شعوب العالم وايدتها حكوماته . تلك القرارات تؤيد حق العرب في اراضيهم وتطالب اسرائيل بالانسحاب . فالقتال بهذا المعنى يحمل معه وثيقة تأييد دولية من شعوب العالم وحكوماته .

من هنا كان الاعلام الاسرائيلي مدركا لهذه النقطة الاساسية ولكن كيف عالجها وما هي فاعلية معالجته في خطوطه الاساسية .

لقد اتسمت المعالجة بالتسلسل التالي :

١ ـ التركيز على الضرورة القصوى لوقف اطلاق النار وانسحاب العرب الى حدود ما قبل القتال هو المدخل الوحيد « لانعاش وتجديد فرص السلام » .

٢ ـ ابراز الاتجاهات الصهيونية المؤيدة لاسرائيل داخل حكومات اوروبا او في مؤسساتها السياسية لتطويق رد الفعل الاوروبي المعادي لاسرائيل او التخفيف من حدته .

٣ ـ اظهار التأييد اليهودي والصهيوني لاسرائيل في مناطق مختلفة من العالم (تظاهرات ، وقائع عطف ، متطوعون) .

هذه المحاور الاعلامية لن تجد لها فاعلية كبيرة في اوساط الاوروبيين ، المؤيدين للموقف الاسرائيلي ، او الذين يلتزمون موقفا حياديا . ذلك ان الموقف العربي **الرسمي** المنطلق من قرار مجلس الامن ، قد حدد موقفه السياسي بالاستعداد لوقف اطلاق النار عند حدود الخامس من حزيران ، كما في تصريح الزيات . وهو موقف تستطيع الحكومات الاوروبية ان تدافع عنه امام الضغوطات الصهيونية التي قد تتعرض لها .

وحتى حين يتحدث المسؤولون العرب عن تحقيق جميع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، كما في تصريح الرئيس السادات ، فان الموقف الاوروبي المعارض والمحايد، سينظر الى هذه النقطة على انها وردت في بيان القمة السوفياتية ـ الاميركية ، الاخير، وخاصة بعد التأييد العالمي الواسع الذي لقيته هذه القضية في مهرجان برلين ، وفي مؤتمر الجزائر .

أما اظهار تعاطف اليهود واظهار الاتجاهات الصهيونية المؤيدة لاسرائيل كما في الحكومة الفرنسية ومؤسساتها السياسية فان فاعلية هذا الاتجاه مرتبط باستمرار مسيرة القتال وما يترتب عليه من مواقف في السياسة الدولية بالنسبة للشعوب والحكومات .

د ـ **الاعلام الموجه الى الشعب الامريكي وحكومته** : المراهنة السياسية والاعلامية على موقف الولايات المتحدة هي مراهنة مصيرية حاسمة بالنسبة لاسرائيل . من هنا فان الدبلوماسية والاعلام الاسرائيلي معنيان بالتأثير في الموقف الامريكي حكومة واحزابا وجماهير .

لقد تمثل الخط الاعلامي الذي يخاطب الامريكيين وحكومتهم واحزابهم بالمحاور التالية :

١ ـ التأكيد على ان انتصار العرب وهزيمة اسرائيل هو هزيمة للولايات المتحدة وانتصار للاتحاد السوفياتي ، وتهديد للمصالح الامريكية في المنطقة (لان اسرائيل حامية للمصالح الاميركية) .

٢ ـ العمل على ابقاء الموقف الامريكي مطابقا للموقف الاسرائيلي ومتابعة اطلاع

المسؤولين الامريكيين اولا بأول على حقائق ميادين القتال ، للوصول الى تقديرات مشتركة للموقف ، والمعالجة (الاتصال الدائم بين ايبن وكيسينجر) .

٣ ــ ابراز وتضخيم فاعلية الموقف السوفياتي المؤيد للعرب واعتباره هو القضية الوحيدة في وجه اعادة « شروط » السلام .

٤ ــ التأكيد على أن فرص السلام ستكون قائمة فقط عندما ينسحب العرب الى حدود ما قبل الحرب . لان اعطاءهم اي انتصار جزئي يؤجج نواياهم « العدوانية » ضد اسرائيل والولايات المتحدة .

هذه الخطوط الاعلامية في مناشدة الحكومة الامريكية ومنظماتها السياسية تؤثر حاليا في الموقف الامريكي ، ولكن ذلك لا يتم بسبب من براعة السياسة والاعلام الاسرائيليين بل وبالضبط بسبب من المصالح الامريكية الحيوية التي تهددها الانتصارات العربية ، والانكسارات الاسرائيلية . ولكن الخلل الكامن في الدعاية والسياسة الاسرائيليين ينبع من الحدود التي تقف عندها المصالح الامريكية وتبدأ بالابتعاد عن المصالح والاهداف الاسرائيلية . ان حدود هذا الافتراق وتعبيراته مرتبط بمتغيرات عديدة متشابكة في علاقة الولايات المتحدة مع الانظمة الرجعية العربية وحساباته لمستقبل المنطقة . تلك العوامل مجتمعة هي التي ستقرر في النهاية الحدود التي يمكن للموقف الامريكي ان يقف عندها . والخطوط العامة التي تحرك سياستها الدولية .

من هنا فان حدود فاعلية الاعلام الاسرائيلي الذي يناشد الامريكيين وحكومتهم ، تقررها اساسا ، المصالح الامريكية . وعند ظهور اية بوادر في الاختلاف بين الموقفين يعجز الاعلام الاسرائيلي عن التأثير الواسع والفعال في الموقف الامريكي .

ان وقائع القتال الذي تشتد وتيرته هي ، وليس غيرها ، ما سيقرر جميع السياسات العالمية وهي وحدها تترك بصماتها القوية على المواقف الامريكية والسوفياتيةوالعالمية . وتجعل الاعلام الاسرائيلي بالتالي يخرج من مأزق ليدخل اخر ، حتى يستطيع ان يتخلص من الارث الثقيل للاعلام الاسرائيلي القائم على اوهام الحرب الحزيرانية .

تناقضات الاعلام الاسرائيلي بالوقائع والنصوص

الهجوم المضاد والحديث عن الابادة

في اليوم الثالث للحرب العربية الاسرائيلية (الاثنين ــ ١٩٧٣/١٠/٨) بدأ الهجوم الاسرائيلي المضاد في الجولان وسيناء . وكان الاعلام الاسرائيلي قد ركز طويلا على هذا الهجوم المنتظر ، مؤكدا ان كل الانتصارات العربية سوف تسحق فور ان يبدأ . ومع الساعات الاولى لانطلاقة هذا الهجوم تغيرت كل اللغة الاعلامية الاسرائيلية التي كانت تتحدث عن صد الهجمات العربية ، وبدأ الحديث عن **سحق وابادة** القوات العربية وفيما يلي الاقوال والمواقف التي تثبت ذلك :

« اننا ننقض وننقض . ويقول لي رجال المدرعات ان امامنا قوة تفوقنا عددا . ولكن المعرفة في هذه الحالة تلعب دورا اكبر من العدد المتفوق . تماما مثل لعبة الشطرنج » .

« انني استطيع ان اصف قائد القوة التي ارافقها بانه صاحب القبضة الساحقة » . تقرير مراسل الاذاعة العبرية « رافي اونجر » عن المعارك في قناة السويس ١٠/٨/ ١٩٧٣ .

« ان المعطيات القائمة في ارض المعركة الان ، تؤهلنا لابادتهم تماما » . مراسل الاذاعة العبرية يهوشواع جلون ، عن المعارك في الجولان ١٩٧٣/١٠/٨ .

بعد فشل الهجوم المضاد الاعتراف بضراوة المقاومة

ولكن الهجوم الاسرائيلي المضاد ، لم يستطع رغم كل الحملة الاعلامية المركزة التي احيط بها ، ان يحقق ما كان مرجوا منه ، وقوبل بمقاومة عربية ضاربة ، تظهرها الاقوال الاسرائيلية التالية :

« اما بالنسبة للقوات الارضية ، فانها مزودة بمعدات مضادة للطائرات ، كثيرة جدا وفعالة جدا . وان قوة النيران المضادة للطائرات قوية جدا في معظم الجبهات » . ضابط اسرائيلي من سلاح الطيران ، في مقابلة مع الاذاعة العبرية ١٩٧٣/١٠/٨ .

« ما زلنا نتعرض لقصف شديد ، شديد جدا ، وتقع القذائف حولنا . وبسبب القصف المدفعي الشديد تراجعنا الى الوراء . لكن المسؤولين يأمرون بالتقدم الى الامام بأي ثمن . ونحن ننتظر ما سيحدث ، وفي هذه الاثناء تستمر عمليات القصف » . تقرير مراسل الاذاعة العبرية «يهوشواع جلون» عن المعارك في الجولان ليل ١٩٧٣/١٠/٩.

« الحرب تدور من جبل الى جبل ، ومن كيلومتر الى كيلومتر . فاذا كانت القوات المصرية تقف صباح اليوم على بعد عشرة كيلومترات من القناة ، فانها الان تراجعت كيلومترا واحدا . . . وعلى الرغم من الاصابات التي حلت بالجسور، فما زال بامكانهم نقل القوات والذخائر الى قواتهم العابرة » . مراسل الاذاعة العبرية ، « برميا يوفيل » عن القتال في سيناء ١٩٧٣/١٠/٩ .

« معارك مريرة . . مقاومة العرب اكبر مما قدر كثير من الاسرائيليين » صحيفة التايمز اللندنية ١٩٧٣/١٠/٩ .

انهيار الهجوم المضاد وانهيار الحالة النفسية

وبعد ان واجه الجنود الاسرائيليون هذه المقاومة الصلبة في الجولان وسيناء ، وبعد ان انكسرت حدة الهجوم الاسرائيلي المضاد ، برزت في اوساط الجنود الاسرائيليين حالة معنوية يائسة كشفت عنها الوقائع التالية :

« كان القصف على امتداد القناة . . وقال احد ضباط المدفعية لو كان لدي مدافع كهذه ، لكنت ترى ما كنت سأفعله بهم »!! مراسل الاذاعة العبرية « عاموس أتينجر » عن المعارك في سيناء ١٩٧٣/١٠/٩ .

« بالامس كنت شاهدا لنقاش بين بعض الجنود في آلية نصف مجنزرة ، وكان الموضوع : ما هو الاسم الذي سيطلقونه على هذه الحرب . وتبلور اقتراح بتسميتها : حرب الايام الرهيبة » . مراسل الاذاعة العبرية « روني دانيال » عن الحرب في الجولان ١٩٧٣/١٠/٩ .

التبرير الاسرائيلي لفشل الهجوم المضاد

وفي مواجهة هذا الانهيار النفسي في اوساط الجنود الاسرائيليين ، والممتد بدون شك الى اوساط الجمهور الاسرائيلي ، بدأت حملة اعلامية لرفع المعنويات وللدفاع عن صواب الخط السياسي والعسكري الذي اتبعته القيادة . وبرز ذلك في المواقف والاقوال التالية :

« ان الاستراتيجية التي اتخذناها ، والمتمثلة بالانتظار حتى غزو العدو ، كانت سليمة تماما واثبتت نفسها . . . كان من الضروري هذه المرة اثبات المؤامرات العدوانية للعدو في الوقت الذي اعلنت فيه اسرائيل عن استعدادها لقبول تسوية سلمية عن طريق اتفاق جزئي ، او اتفاق شامل ، او باية طريقة اخرى » . ايجال آلون في حديث خاص للاذاعة العبرية ١٩٧٣/١٠/٩ .

« في اليــوم الخامس للحرب .. يبدو لي أننا نقدر حق التقدير ، **المكسب الكبيـر** الكامن في الاعتراف باننا فقدنا الخطوط امام قوات العدو ، واننا اقمنا قاعدة مأمونــة استعدادًا لما سيأتي ... وهذا يعود الى كوننا مدللين » .

« ليس بالامكان ان نفسر للجمهور الاعتبارات الكامنة في هــذا التحــرك او ذاك . فاحيانا تكون هذه الاعتبارات نابعة من الرغبة في اغراء العدو والايقــاع به . وهــذا المجرى يبدو للمراقب احيانا بطيئا ومحطما للاعصاب » . العميد هرتسوغ كبير المعلقين العسكريين ١٠/١٠/١٩٧٣ .

تقديم بعض الحقائق للجمهور الاسرائيلي

وبعد تقديم هذه التبريرات والتفسيرات ، كان لا بد من تقديم بعض الحقائق للجمهور الاسرائيلي . وفي هذه الحقائق اعترف المسؤولون الاسرائيليين بجزء من الانتصــارات العربية . وبدأوا يهيئون الجمهور الاسرائيلي لحرب طويلة الامــد ، بعد ان اغروه في البداية بحرب خاطفة تنتهي بسرعة فور وضع قوات الاحتياط في المعركة . وقد ظهــر هذا الخط الاعلامي في المواقف التالية :

« هذا لا يعني ان العدو السوري قد دمر ، الا انه عانى من خسائر كبيرة ، وارغــم على التنازل عن معظم انجازاته » .

« ينبغي عدم التقليل من أهمية رؤوس الجسور التي اقيمت على القناة » . العميد اهارون ياريف ٩/١٠/١٩٧٣ .

« انكم اليوم تواجهون اصعب حرب ... وهذه ليست الحرب الخاطفة التي اعتدنا عليها . اذ ان الحرب هذه المرة صعبة وطويلة الامد .. واسلوب القتال لدى عدونــا هو اسلوب حرب الشعوب التي لا قيمة لحياة البشر فيها » . العميد شموئيل جونون ، قائد قوات سيناء ١٠/١٠/١٩٧٣ .

« ان المعركة التي سنخوضها ستطول ، نستطيــع ان نصمد فيهــا اذا ما اعترفنا بالوقائع كالمطلوب ... وان بوسعنا الاستمرار في قتالنا بواسطة جملة من الاجراءات بتعقل » . العميد اهارون ياريف ٩/١٠/١٩٧٣ .

« ان اسرائيل تتكبد خسائر كبيرة بسبب ايمانها بالسلام والديبلوماسية » . سيمحا دينيتس ، سفير اسرائيل في واشنطن ١٠/١٠/١٩٧٣ .

ثم بدأ التهديد بالمستقبل

ولتعويض الخسائر ، ولمواجهة الحالة النفسية الداخلية المضطربة ، بدأ المسؤولون الاسرائيليون يلجأون الى التهديد والرعبة . ويركزون على تخويف العرب من المستقبل. وساهمت في هذه الحملة الاعلامية الجديدة ، بعض الصحف الاوروبية الموالية لهــم . وكذلك تصريحات المسؤولين الامريكيين . ومن الامثلة على ذلك :

« ان جيش الدفاع الاسرائيلي لن يتوقف عند خطوط وقف اطلاق النار ، اذ اقتضت الحاجة ، وذلك من أجل ابادة العدو المصري والسوري » . ييجــال الون نائب رئيسة الوزراء ١٠/١٠/١٩٧٣ .

« يجدر فهم رغبة اسرائيل في مطاردة اعدائها وراء القناة والى داخــل سوريا ... ذلك ان اسرائيل لا تستطيع ان تسلم بحرب استنزاف بطيئة ، ولا يمكنها ان تسلم بتكرار شن مثل هذه الحرب بعد بضعة اعوام » . الديلي تلجراف اللندنية ١٠/١٠/١٩٧٣ .

« ان الولايات المتحدة لم تطلب من اسرائيل بان لا تجتاز قناة السويس » المتحــدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية ٨/١٠/١٩٧٣ .

تقارير عسكرية

ننشر فيما يلي عددا من التقارير العسكرية التي اعدها القسم العسكري في مركز الابحاث الفلسطينية ، باشراف المقدم الهيثم الايوبي ومساعدة الباحثين في القسم محمود عزمي وهشام عبدالله ، ووزعها على الصحف العربية والجهات المختصة ، في الاسابيع الماضية ، كملاحق للنشرة العسكرية الخاصة التي كان القسم يعدها ويوزعها على الصحف يوميا .

(١) اضواء على « خط بارليف »

عقب وقف اطلاق النار في حرب ١٩٦٧ اقامت القيادة العسكرية الاسرائيلية مجموعة من المراكز الدفاعية الخفيفة العادية على طول القناة ، ولكن عندما بـدأت المدفعية المصرية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ تمارس دفاعا ايجابيا في مواجهة الاعتداءات الاسرائيلية على مدن القناة وخاصة بعد أن تعززت قواها بوصول مئات مـن قطع المدفعية الجديدة من الاتحاد السوفياتي ، شعرت القيادة الاسرائيلية أن هناك ضرورة لمواجهة احتمال ممارسة مصر للضغط عن طريق القصف المدفعي المركز الذي يهدف الى حرمان اسرائيل من حق التواجد المستقر الهادىء على الضفة الشرقية للقناة ، عن طريق اقامة خط دفاعي قوي نسبيا يقلل من حجم القوات اللازمة للسيطرة على ضفة القناة ــ وهو هدف سياسي اساسا ــ ويقلل في الوقت نفسه من الخسائر التي يمكن ان تلحق بها نتيجة لقصف المدفعية ورصاص القناصة المصريين .

ولذلك شنت القيادة الاسرائيلية عمليات ردع غير مباشرة في مؤخرة الجبهة المصرية البعيدة بواسطة وحدات فدائية محمولة جوا (اغارة على محطة كهرباء قرب نجـع حمادي وعلى جسر نجع حمادي) حتى تربك القيادة المصرية وتجبرها على ايقاف قصف المدفعية بعض الوقت وتتيح بذلك فرصة اقامة الخط المذكور . وكانت المشكلة العسكرية والفنية المطروحة على القيادة الاسرائيلية وقتئذ ، في ظل فترة رئاسة الجنرال حاييـم بارليف للاركان ، هي كيف يمكن التوفيق بين اعتبارين متعارضين اولهما ضرورة وجود قوات كافية للسيطرة على خط القناة معرضة بشدة لتركيز المدفعية داخل تحصينـات منيعة توفر لها الحماية والقدرة على تغطية القناة بالنيران الرادعة للمصريين حتى لا يفكروا في عبور القناة ، مع ما تفرضه هذه الضرورة من تثبيت حركة قوات كبيرة داخل مواقع ثابتة ، وعدم جدوى هذه المواقع الامامية في حالة عدم وجود عمق دفاعي مكمل لها ، وبين ضرورة الاحتفاظ بقوات احتياطية رئيسية متحركة للقيام بالهجمات المعاكسة تتفق واسلوب حرب الحركة الذي درب الجيش الاسرائيلي عليه ومارس قتاله العملي وفقا له دائما في حرب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ . بمعنى ان اقامة خط دفاعي ثابت يتطلب ان تكون شبكة المواقع الدفاعية المقامة على طول القناة ذات عمق كـاف والا تعـرضت للاختراق نتيجة تركيز قوة متفوقة فجأة عند أي نقطة في الخط مدعومة بقوات محمولة

جوا بطائرات الهليكوبتر يجري ابرازها في مؤخرة الخط والانقضاض عليه من الخلف . وهذا يفترض حشد قوات كبيرة ــ فضلا عن النفقات المالية الضخمة للمنشئات الدفاعية ــ وتثبيت حركتها في الوقت نفسه، وكلا الامرين لا يتوافقان مع امكانات اسرائيل من حيث الطاقة البشرية ومن حيث ضرورة ان تكون قوتها الرئيسية متحركة حتى تستطيع ان تناور بها على الخطوط الداخلية بين الجبهات المختلفة بمرونة وسرعة .

وكان الحل الممكن واقعيا هو انشاء مجموعة من النقط الدفاعية القوية التحصين على مقربة شديدة من القناة بلغ عددها ٣٥ نقطة قوية تبدأ من اول الكيلومتر ١٠ شمالا حتى بور توفيق جنوبا وهي مسافة قدرها ١٢٣ كيلومترا أي بمعدل نقطة حصينة لكل اربعة كيلومترات باستثناء منطقة البحيرات المرة تدعمها في المؤخرة قوات مدرعة ميكانيكية تمثل القبضة الضاربة المتحركة المساندة للنقط الدفاعية التي كان من المفترض أن تعيق عمليات العبور المصرية المحتملة لحين تحرك القوى المتحركة وتحديد اتجاهات العبور الرئيسية . وبطبيعة الحال اعتبر الطيران هو القوة الضاربة الاساسية المساعدة . وقد تم انشاء مجموعة النقط القوية الدفاعية هذه بحيث تتسع لقوة كتيبة تقريبا عند الاقتضاء ويفصل بين كل نقطة واخرى بضعة كيلومترات قليلة يمكن تغطيتها بالنيران الصادرة من النقط المتعاونة مع بعضها البعض . ووضعت هذه النقط على مقربة شديدة من ضفة القناة لتستطيع ان تراقب الحركة عليها وتغطيها بنيرانها المباشرة والمؤلفة من الرشاشات والبنادق والاسلحة المضادة للدبابات بالاضافة لنيران المدفعية والهاونات الموضوعة في مواقع خلفية . وقد تم سقف الملاجيء ومواقع الرمي (الدشم) التي تضم الاسلحة المستخدمة داخل النقط الدفاعية في بداية انشاء الخط الدفاعي المذكور ، الذي حمل اسم قائد الاركان الاسرائيلي «حاييم بارليف»،في اواخر عام ١٩٦٨ وبداية ١٩٦٩ بكتل من قضبان وفلنكات السكك الحديدية وبكميات كبيرة من أكياس الرمل لتقليل النفقات المالية . ولكن ثبت ضعف هذه التقنية الهندسية في مواجهة قصف مدفعية الميدان المصرية من عيارات ١٢٢ ، ١٢٠ ، ١٥٢ مم والهاونات الثقيلة عيارات ١٢٠ مم ، ١٦٠ مم . وذلك عندما بدأت حرب الاستنزاف بالقصف المدفعي الشهير يوم ٨ اذار (مارس) ١٩٦٩ والذي أدى الى تدمير نحو ٦٠ ٪ من دفاعات الخط المذكور خلال الشهرين التاليين . ولذلك جرى بعد ذلك ، وخاصة بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ ، اعادة بناء النقط الدفاعية وتجهيزها بشكل اقوى واحدث وسقفت الملاجيء ومواقع الرمي (الدشم) المحفورة تحت الارض بكتل سميكة منيعة من الاسمنت المسلح تستطيع ان تتحمل الاصابات المباشرة من قذائف الهاونات والمدفعية المصرية وقنابل الطائرات التي زنتها الف رطل . وجهزت الملاجيء بكافة وسائل الراحة التي تمكن الجنود من الحياة بصورة حسنة دون التعرض لخطر القصف المدفعي بما في ذلك دورات المياه غير المألوفة ميدانيا ووجود مخزون كبير من المياه والمؤن والذخيرة ونقط مراقبة تلسكوبية لعدم تعريض المراقبين لنيران القناصة ، وبلدوزر لاعادة فتح طرق المواصلات عند الضرورة بين الرمال نتيجة للقصف، وطبيب مقيم ، كما ربطت كل نقطة دفاعية بشبكة الاتصالات التليفونية العسكرية المتصلة بالشبكة المدنية حتى يستطيع كل جندي الاتصال ببيته كل يوم اذا رغب في ذلك لرفع معنويات الجنود وعدم شعورهم بالعزلة . هذا وقد احيطت النقط القوية من كل اتجاه بحواجز قوية من الاسلاك الشائكة والالغام وبمختلف وسائل الانذار . ومدت انابيب المياه الى اقرب اماكن ممكنة من النقط وبحيث تكون الانابيب غير مكشوفة من الجو قدر الامكان (اي تحت الارض) كما درب الجنود العاملون في النقط الدفاعية على العمل كمراقبين ارضيين مساعدين للطيران لتسهيل التعاون بين النقط والدعم الجوي المباشر لها. وكذلك للعمل كمراقبين معاونين

للمدفعية ذاتية الحركة والدبابات المحتشدة في العمق التكتيكي والعملياتي كاحتياطي متحرك ، والتي كان يجري تحريكها باستمرار من موقع لاخر منعاً لتحديد مواقعها بصورة ثابتة دائمة للمدفعية المصرية التي تقع داخل مرماها البعيد (اذ كان يصل مدى بعض أنواع المدافع المصرية المذكورة من عيار ٢٠٣ مم الى ٩٩ كلم ومن عيار ١٣٠ مم الى ٢٥ كلم ومن عيار ١٢٢ مم الى ٢٢ كلم) .

هذا كما اقيم على امتداد ضفة القناة امام النقط الدفاعية حاجز رملي يبلغ ارتفاعه ما بين ١٢ و ٢٠ مترا عن سطح الماء بواسطة الجرافات الضخمة وذلك لاعاقة الاليات البرمائية المصرية عند محاولتها عبور القناة وتسلق الضفة الشرقية. وجهز هذا الساتر الترابي بين النقط القوية ليكون مصاطب يمكن للدبابات استخدامها كما زودت النقــط القوية بخزانات مملوءة بمواد ملتهبة ومواسير خاصة تصل لسطح القناة لعمل ستارة من النيران فوقها وقد قدرت جملة نفقات الخط المالية بنحو ٢٣٨ مليون دولار . وقــد شبه الكاتب العسكري الامريكي المقدم ارفينج هيمونت «خط بارليف» بخط «مينيسوتا» الدفاعي الامريكي الذي اقيم خلال المراحل الاخيرة من الحرب الكورية ! ولكن الجندي المصري والتخطيط العسكري المصري الجيد الذي وصل الى حد اقامة نماذج للخــط وتدريب الجنود على اقتحامها حطما أسطورة « خط بارليف » الذي قيل أنه لا يقهر يوم ٦ تشرين الاول (اكتوبر) المجيد وحطما ايضا معه اسطورة الاحتياطي المتحرك والطيران المدعم له القادر على القاء القوات المصرية المهاجمة الى القناة واثبتــا ان الخطــوط الدفاعية الحصينة تنقلب في الحرب الحديثة الى ستارة كرتونية هشة اذا ما هاجمتهــا قوات تتمتع بروح هجومية عالية ، وقدرة نارية كبيرة ، وقدرة حركية في البعد الثالث . وسوف تحمل لنا الايام القادمة مزيدا من التفاصيل عن هذا الخــط وكيفيــة اختراقه بواسطة القوات المصرية الباسلة كما أشار الى ذلك رئيس الاركان المصري الفريــق سعد الدين الشاذلي في حديثه يوم ٩ تشرين الاول الماضي .

(٢) حقائق امكانات المشاركة العسكرية العربية

لم تعد حرب الصيام حرب سورية ومصر وحدهما . فلقد تعربت منذ ايامها الاولى ، واشتركت بها قوات عربية اخرى . وكان دخول الجيوش العربية متتابعا ، وسيستمر هذا الدخول مع انتقال القوات العربية من مواقع تمركزها البعيدة في العمق الاستراتيجي الى مواقع تمركزها في العمقين العملياتي والتكتيكي .

وليس حجم المشاركة العربية متماثلا، كما ان سرعة زجها في القتال تختلف من جيش الى اخر . وتتأثر هذه الامور بحجم القوات المسلحة لكل بلد وطبيعة هــذه القوات وتدريبها وتسليحها وبعدها عن مسرح العمليات ، وسهولة المواصلات او صعوباتها ، وضرورات ابقاء اجزاء منها في البلد المعني لاسباب عسكرية او سياسية . ولكي نعطي القارىء العربي صورة حقيقية عن هذه المشاركة واحتمالاتها في المستقبل لا بد لنا من أخذ كل هذه العوامل بعين الاعتبار وادخالها في حسابات التوقعات .

الجمهورية العراقية : يتكون الجيش العراقي من ٦ فرق ، واحدة مدرعة وواحــدة ميكانيكية ، وفرقتي مشاة في الواحدة ٤ الوية و٧ كتائب مدفعية وكتيبة مظلات، وفرقتين جبليتين ، ويمتلك ٩٠٠ دبابة متوسطة و٦٥ دبابة خفيفة . و٢٠٠ مدفع من عيار ١٢٢ و١٣٠ ملم . ويضم سلاح الطيران ١١٠ طائرات مقاتلة من طراز ميغ ٢١ و٣٢ طائرة قاذفة من طراز هوكر هنتر ، و٤٨ قاذفة سوخوي ٧ و٩ قاذفات تو ١٦ .

ويستطيع الجيش العراقي دعم الجبهة الشمالية بفرقة مدرعة وفرقة ميكانيكية وفرقة

مشاة و٢ ـــ ٣ كتائب مدفعية وكتيبة مظليين ، وحوالي ٦٠٠ دبابة متوسطة و٢٠٠ مدفع بالاضافة الى ١١٠ طائرات ميغ ٢١ ـــ و٤٨ قاذفة سوخوي ـــ ٧ و٩ قاذفات تو ـــ ١٦ . نظرا لانه مضطر للحفاظ على قواته الاخرى لحراسة الحدود . ولقد استطاعت الدبلوماسية العراقية الاريبة تحرير جزء كبير من القوات بعد تحسين العلاقات مع ايران ، كما أن سياسة التفاهم مع الاكراد ، وانتشار الروح الوطنية المعادية لاسرائيل بين صفوف الاكراد يعني ان العراقيين غير مضطرين لتجميد قوات كبيرة من جيشهم في البلاد .

ولا يعترض نقل الطيران العراقي الى القتال اية صعوبة . فالمسافة بين المطارات العراقية والمطارات السورية محدودة ، كما أن المطارات السورية مجهزة بمعدات واجهزة أرضية سوفياتية من النوع الذي تحتاجه الطائرات العراقية . ويتطلب تجمع القوات البرية العراقية وانتقالها عدة ايام على طرق صحراوية مكشوفة . وكان من الممكن عرقلة تقدمها ومنعها من الوصول الى الجبهة والمشاركة في القتال لو أن الطيران الاسرائيلي حافظ على تفوقه . ولكن اختفاء اسطورة التفوق الجوي يجعل من الممكن اجراء هذه الحركة الاستراتيجية بكل سهولة تحت تغطية الطيرانين السوري والعراقي اللذين لا يستطيع الطيران الاسرائيلي ان يحشد ضدهما قوة جوية تحقق التفوق المحلي والمحافظة في الوقت نفسه على التوازن الجوي على الجبهة المصرية .

الجمهورية العربية الليبية : يضم الجيش الليبي ٢٠ الف جندي هي : ٤ الوية (لواء مدرع ، لوائي مشاة ميكانيكي ، ولواء حرس وطني) و٦ كتائب هي كتيبة مغاوير و٣ كتائب مدفعية وكتيبتي مدفعية م/ط . ويتسلح بحوالي ٢٥٠ دبابة متوسطة و١٦٣ مدفع ميدان . وبطاريات كروتال وسام ـــ ٢ . اما سلاح الطيران فمن المحتمل أن يكون قد استلم ٨٢ طائرة قاذفة ـــ مقاتلة من طراز ميراج ٥ بالاضافة الى ١٠ طائرات قاذفة مقاتلة من طراز ف ـــ ٥ أ .

ولا تتعرض الحدود الليبية لاي تهديد خارجي . وبوسع ليبيا ان ترسل الى الجبهة الجنوبية بكل سهولة لواء مدرعا ولوائي مشاة ميكانيكيين وكتيبة مغاوير وكتيبتي مدفعية على الاقل . ويمكن لهذه القوات ان تصل الى الجبهة خلال ٣ ـــ ٤ ايام نظراً لتحركها على طرق محمية من أي خطر جوي جدي . والدعم الاكبر الذي تستطيع ليبيا تقديمه هو الطائرات القاذفة ـــ المقاتلة (ميراج ، وف ـــ ٥ أ) شريطة ان تنقل المعدات والتجهيزات الارضية الى المطارات المصرية بشكل مسبق نظرا لان الطائرات الليبية (الفرنسية والامريكية الصنع) لا تستطيع استخدام المعدات والتجهيزات الارضية المصرية (السوفياتية الصنع) .

وتستطيع ليبيا الحفاظ على جزء من الطائرات في مطاراتها للاشتراك مع بعض الطائرات الجزائرية والمغربية في عمليات الخنق الاستراتيجي في وسط وغرب البحر الابيض المتوسط .

الجزائر : يتألف الجيش الجزائري من ٤ الوية مشاة ميكانيكية ولواء مظلات و٨ كتائب (٣ كتائب دبابات مستقلة ، و٥ كتائب مدفعية مستقلة) بالاضافة الى ١٣ سرية قوات صحراوية . ويتسلح بدبابات سوفياتية متوسطة عددها ٦٠٠ و٥٠ دبابة خفيفة و ٢٥ مدفعا ذاتي الحركة س ـــ يو ١٠٠ وجي أس يو ١٥٢ ومدافع متطورة من عيار ـــ ٨٥ ملم و١٢٢ ملم و١٥٢ ملم .

أما سلاح الطيران فيتكون من ٣٠ طائرة ميغ ٢١ و٩٥ طائرة من طراز ميغ ١٥ و١٧ بالاضافة الى ٣٠ قاذفة خفيفة اليوشن ـــ ٢٨ .

ولا تتعرض الحدود الجزائرية لاي تهديد خارجي . وبوسع الجزائر ان ترسل الى الجبهة الجنوبية ٣ الوية ميكانيكية ولواء مظلات وكتيبتي دبابات مستقلة و٤ — ٥ كتائب مدفعية . مع الحفاظ على لواء ميكانيكي و١٢ سرية صحراوية وكتيبة دبابات داخل اراضيها وتحتاج هذه القوات الى ٦ — ١٠ ايام للتجمع والتحرك والوصول الى الجبهة. وان كان بوسع أقسامها الاولى الوصول قبل ذلك. ولا تتعرض حركة القوات الجزائرية لاي خطر جوي جدي نظرا لتحركها على طرق محمية من الطيران الاسرائيلي. اما الدعم الجوي الجزائري فمن الممكن ان يكون فعالا جدا وسريعا اذا ارسلت الجزائر طائرات الميغ — ٢١ والميغ — ١٧ والقاذفات الخفيفة اليوشن — ٢٨ الى المطارات المصرية المزودة بمعدات وتجهيزات ارضية سوفياتية ملائمة للطائرت الجزائرية السوفياتية الصنع . وتستطيع الجزائر الحفاظ على بعض طائراتها للمشاركة في الخنق الاستراتيجي .

ان الاحتمال الاكبر هو ارسال القوات الجزائرية الى الجبهة الجنوبية ولكن هذا الاحتمال لا ينفي امكانية ارسال جزء منها عن طريق البحر الى الجبهة الشمالية .

المغرب : يبلغ تعداد الجيش المغربي ٦ الوية (لواء مدرع ، و٣ الوية مشاة ميكانيكية ولواء امن خفيف ولواء مظلات) بالاضافة الى ١٧ كتيبة (٩ كتائب مشاة مستقلة ، وكتيبة حرس ملكي ، وكتيبة هجانة ، و٣ كتائب فرسان صحراوية ، وكتيبتين مهندسين) هذا بالاضافة الى ٥ مجموعات مدفعية . ويتسلح الجيش المغربي بدبابات متوسطة عددها ١٢٠ دبابة وخفيفة عددها ١٢٠ دبابة . ويملك سلاح الطيران ٣٦ طائرة مقاتلة من طراز ف — ٥ أ و١٢ ميغ — ١٧ .

ولا تتعرض الحدود المغربية لاي تهديد خارجي . وبوسع المغرب ان يرسل الى الجبهة الجنوبية لواء مدرعا ولوائين ميكانيكيين ولواء مظلات و٤ مجموعات مدفعية . ويحتاج تجمع هذه القوات وتحركها ووصولها الى مصر ١٠ — ١٤ يوما. ولكن القطعات الاولى تصل قبل ذلك بزمن كبير . ولا تتعرض حركة هذه القوات للخطر الجوي . ومشكلتها الوحيدة عند الانتقال هي اضطرارها الى التحرك على الطريق الساحلي الوحيد نفسه الذي تتحرك عليه القوات الليبية والجزائرية الامر الذي يخلق تعقيدات كبيرة تتعلق بامور تنظيم الارتال وقوافل التموين . ويمكن للمغرب تقديم عدد جيد من الطائرات . واذا كان قدوم الطائرات ميغ — ١٧ الى المطارات المصرية لا يتطلب اي اعداد ارضي مسبق فان ارسال الطائرات ف — ٥ أ الامريكية الصنع لا بد وان يسبقه وصول تجهيزات ومعدات أرضية ملائمة . ويستطيع المغرب الحفاظ على طائراته الامريكية الصنع في مطارات بلاده للمشاركة في الخنق الاستراتيجي .

ان الامر الطبيعي هو ارسال القوات المغربية الى الجبهة الجنوبية ولكن هذا لا يعني عدم امكانية ارسال جزء منها الى سورية عن طريق البحر .

السودان : يبلغ عدد افراد الجيش السوداني ٣٥ الف رجل موزعين كالتالي : ٨ الوية (لواء مدرع ، ٦ الوية مشاة ولواء مظلات) و٧ أفواج (٣ افواج مدفعية و٣ أفواج مدفعية م/ط وفوج مهندسين) ويتسلح بـ ١٥٠ دبابة متوسطة . و١٢٠ مدفعا عيار ٢٥ رطلا و١٠٥ ملم و١٢٢ ملم بالاضافة الى مدافع هاون عيار ١٢٠ ملم . أما سلاح الجو فيضم ١٦ ميغ — ٢١ ، و٨ مقاتلات قاذفة ميغ — ١٧ .

ولا تتعرض حدود السودان لاي تهديد خارجي . لذا فان بوسعه ان يرسل الى الجبهة الجنوبية لواء مدرعا ولواء مظلات و٣ ألوية مشاة وفوجي مدفعية وفوجي مدفعية م/ط وفوج مهندسين و١٠٠ مدفع . ويعترض وصول هذه القوات عدم وجود طرق برية او نهرية بين مصر والسودان واضطرار الارتال الى التحرك بواسطتين برية ونهرية

الامر الذي يتطلب وقتا طويلا وخاصة بالنسبة لقطعات المدرعات والمدفعية . امـــا الطائرات السودانية فان من الممكن الحفاظ عليها في المطارات السودانية البعيدة عـــن قصف طائرات العدو وذلك للمشاركة في الخنق الاستراتيجي في جنوب البحر الاحمر .

الاردن : يضم الجيش الاردني ٣ فرق واحدة مدرعة وواحدة ميكانيكية وواحدة مشاة بالاضافة الى لواء مشاة مستقل وكتيبة قوات خاصة و٣ افواج مدفعية ولديه ٣٥٠ دبابة متوسطة . و١٣٠ مدفعا ٢٥ رطلا و ٥٠ مدفع هاوتزر عيار ـــ ١٠٥ ملم و١٥٥ ملم. و ١٠ مدافع ١٥٥ ملم. اما سلاح الطيران فيضم ١٥ طائرة من طراز ستارفايتر ف ـــ ١٠٤ ، و٣٥ طائرة من طراز هوكر هنتر .

يشكل الاردن دولة من دول المواجهة. لذا فان وضعه يختلف بشكل جذري عن اوضاع الدول العربية الاخرى . ولا يستطيع الاردن تفريغ اراضيه من القوات وارسالها الى الجبهة الشمالية لان اشتراكه في القتال على الجبهة السورية (تحت تغطية جويـــة سورية ـــ عراقية) يعني اعلان الحرب الذي يمكن أن ترد عليه اسرائيل بهجوم علـــى الاراضي الاردنية او على ميناء العقبة على الاقل .

ولا يستطيع الاردن زج كل قواته الا اذا قرر بالفعل الهجوم من الجبهة الشرقية . أما اذا قرر الاكتفاء بدعم الجبهة السورية فان مشاركته ستكون محدودة لا يزيد حجمها عن فرقة واحدة ، اذ أن عليه في هذه الحالة ان يحتفظ بكبد قواته لحماية مينائه الوحيد (العقبة) وحماية الطرق المؤدية الى عمان ، مع الحفاظ على احتياط كبير في شمال البلاد لصد أي هجوم اسرائيلي يحاول الالتفاف على ميسرة الجيشين العراقي والسوري بحركة واسعة تخترق الاراضي الاردنية . أما على الصعيد الجوي فان حجم الطـــيران الاردني يكاد لا يسمح له بحماية قواته البرية ، وسيحتاج الاردن في أية معركة على الجبهة الشرقية لدعم عراقي كثيف خاصة وان دفاعات الاردنيين ضد الطائرات محدودة ولا تضم سوى اعداد قليلة من صواريخ ارض ـــ جو من طراز تايغر كات البريطانية .

المملكة العربية السعودية : يبلغ تعداد الجيش السعودي ٣٦ الف رجل ، موزع على ٤ الوية مشاة و ١٠ كتائب صواريخ ارض ـــ جو من طراز هوك . ويتسلح بستين دبابة خفيفة و ٣٠ دبابة متوسطة . أما سلاح الطيران فيمتلك ٣٤ طائرة لايتننغ القاذفـــة المقاتلة و١٢ طائرة قاذفة هوكر هنتر و١٥ مقاتلة سابر ف ٨٦ .

ولا تتعرض حدود المملكة العربية السعودية لاي خطر خارجي . ولكن سعة المملكة وصغر القوات البرية السعودية يجعلنا نعتقد أن الدعم الذي يمكن ان يقدمه السعوديون للاردن هو عبارة عن كتيبة مدرعة ولواء او لوائي مشاة مع مدفعية وصواريخ هوك . ويمكن استخدام القوات البرية لتعزيز الدفاع عن ميناء العقبة ، كما أن بوسع صواريخ هوك تعزيز الدفاع الجوي للجيش الاردني . وليس من المحتمل ارسال قوات سعودية الى الجبهة السورية الا باعداد محدودة . وتستطيع السعودية دعم الجبهتين السورية والاردنية بطائرات لايتننغ تنطلق من المطارات الاردنية ، مع الحفاظ على طائرات سابر وهوكر هنتر في المطارات السعودية للمشاركة في الخنق الاستراتيجي في جنوب البحر الاحمر .

المقاومة الفلسطينية : تتمثل القوات المسلحة للثورة الفلسطينية بقطعـــات نظـــامية (القادسية وحطين وعين جالوت ولواء اليرموك) وكلها عبارة عن وحدات مشاة خفيفة مدربة على قتال الصاعقة . بالاضافة الى القوات غير النظامية المدربة علـــى حرب العصابات . وخلايا التنظيم السري المسلح داخل الارض المحتلة . فاذا استثنينا وحدات جيش التحرير المتمركزة في لبنان وجدنا أن كافة قوات الثورة الفلسطينية النظامية وغير النظامية مشتركة في القتال منذ اليوم الاول ، وتقوم بمهماتها وراء خطوط العـــدو .

وستتزايد فاعلية المقاومة باستمرار كلما تخلخلت قبضة الجيش الاسرائيلي من الارض المحتلة وانشغلت القوات الاسرائيلية الاحتياطية بالحرب على جبهات القتال العربية .

ان سرعة الحشد ودقة وحسن اختيار مواقعه عوامل هامة في الحرب وشرط أساسي من شروط نجاحها. وستدل الايام القليلة القادمة الى اي مدى تتقن الجيوش العربية تنفيذ هذا المبدأ لمعادلة سيل الاسلحة الامريكية المتدفقة او التي ستتدفق على اسرائيل .

(٣) الدبابات العربية - الاسرائيلية تتجابه في الميدان

تلعب المدرعات العربية حاليا دورا بالغ الاهمية في المعارك الدائرة في سيناء والجولان، وذلك بعد أن توفر لها قدر كاف من الحماية الجوية الناتجة عن وسائل الدفاع الجوي الارضية الفعالة والنشاط الاخذ في الازدياد للمقاتلات المعترضة فوق الجبهات . وسوف يزداد هذا الدور أهمية وحسما على نتائج المعارك البرية في الايام المقبلة ، خاصة في الجبهة المصرية حيث توجد في صحراء سيناء ارض عمليات أنموذجية للمدرعات وبالذات على المحور الاوسط « الاسماعيلية ــ بيرجفجافة » ، والمحور الشمالي « القنطرة ــ العريش » ، وذلك يصبح من المهم ان نتعرف على أبرز المواصفات والامكانات التقنية لمختلف أنواع هذه المدرعات بالمقارنة مع انواع المدرعات الموجودة لدى العدو الاسرائيلي (من خلال المعلومات الواردة في مختلف المراجع العالمية) وعلى الارقام التقديرية لقوى الطرفين في هذا المجال .

تضم المدرعات العربية الموجودة لدى كل من مصر وسوريا انواع الدبابات التـالية:

الدبابة ت ــ ٦٢ : دبابة متوسطة سوفييتية الصنع تزن نحو ٣٧ طنا وقوة محركها الديزل ٧٠٠ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق الى نحو ٥٥ كلم / ساعة . اما على الارض العادية فتبلغ اقصى سرعة لها ٣٢ كلم. ويصل مدى عملها الاقصى على الطرق وهي مزودة بخزانات الوقود الاضافي الى نحو ٤٨٠ كلم . ويبلـغ سمك درع هيكلها الامامي ١٠٠ مم والجانبي ٨٠ مم أما درع البرج فأقصى سمك فيه يبلغ ٢١٠ مم . ويتألف طاقمها من ٤ افراد . وهي مسلحة بمدفع مضاد للدبابات (ذو ماسورة ملساء وهو الاتجاه الحديث في مدافع الدبابات) عيار ١١٥ مم ورشاش عيار ٥ر١٤ مم ، والمدفع مزود بجهاز أشعة تحت الحمراء للرؤية الليلية (وكذلك هناك جهاز مماثل لسائق الدبابة) كما أنه مزود بجهاز يضبط التصويب بدقة اثناء السير سواء فوق الارض المستوية او غير المستوية . وقد بدأ انتاج هذه الدبابة في عام ١٩٦٥ .

الدبابة ت ــ ٥٥ : دبابة متوسطة سوفييتية الصنع تزن نحو ٣٦ طنا وقوة محركها الديزل ٥٨٠ حصان وتصل سرعتها الى ٥٥ كلم / ساعة و٣٢ كلم على الارض العادية، وسمك دروعها مماثل لسمك دروع الدبابة ت ــ ٦٢ . ويصل مدى عملها الاقصى على الطرق الى نحو ٦٢٠ كلم . ويتألف طاقمها من ٤ أفراد . وهي مسلحة بمدفع عيار ١٠٠ مم ورشاش ٦٢ر٧ مم . ومزودة بأجهزة القتال والسير الليلي والتصويب بدقة اثناء السير وفوق الارض غير المستوية وقد بدأ انتاج هذه الدبابة في عام ١٩٦٢ .

الدبابة ت ــ ٥٤ : دبابة متوسطة سوفييتية الصنع تزن نحو ٥ر٣٥ طن وقوة محركها الديزل ٥٧٠ حصان وسرعتها القصوى على الطرق ٥٠ كلم / ساعة وهي مماثلة في سمك دروعها وكذلك في مدى عملها وتسليحها الرئيسي للدبابة ٥٥ باستثناء انها مزودة برشاش اضافي مضاد للطائرات « دوشكا » ٧ر١٢ مم فوق البرج وأنواعها الحديثة قادرة على القتال الليلي أيضا ، وقد بدأ انتاجها في عام ١٩٥٤ .

الدبابة ت ــ ٣٤ : دبابة متوسطة سوفييتية الصنع تزن نحو ٣٢ طنا وقوة محركها

الديزل ٥٠٠ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق الى نحو ٥٠ كلم / ساعة ويصل مدى عملها الاقصى على الطرق الى نحو ٣٥٠ كلم ويبلغ سمك دروع هيكلها الامامي ٤٧ مم وسمك درع برجها ٧٥ مم ، وهي مسلحة بمدفع عيار ٨٥ مم ورشاشان عيار ٧٫٦٢. ويتألف طاقمها من ٥ افراد وهي ليست مزودة باجهزة قتال ليلي او تصويب محكم للمدفع اثناء السير . وقد بدأ انتاجها في عام ١٩٤٣ .

الدبابة ب ــ ت ٧٦ : دبابة خفيفة برمائية سوفييتية الصنع تزن نحو ١٤ طنا وقوة محركها الديزل ٢٤٠ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق الى ٣٠ كلم / ساعة وسرعتها في الماء تبلغ نحو ١٩ كلم / ساعة . ويبلغ سمك درعها الامامي ١٥ مم وسمك برجها ٤٥ مم ، ويصل مدى عملها على الطرق الى نحو ٢٥٠ كلم وهي مسلحة بمدفع عيار ٧٦ مم ورشاش ٧٫٦٢ مم ، ويتألف طاقمها من ٣ افراد . وقد انتجت عام ١٩٥٥ .

وتتميز الدبابات المذكورة عموما بسرعة المناورة وبعد مدى عملها بدون تزود جديد بالوقود وتحملها للعمل والقتال فترة طويلة نسبيا دون الحاجة لصيانة كما ان تصميم الانواع الثلاثة الاولى (ت ٦٢ ، ٥٥ ، ٥٤) يتميز بانخفاض ارتفاع جسم الدبابة (٢٤٠ سم في ت ٥٥ و ٥٤) ، (٢٨٨ سم في ت ٦٢) الامر الذي يصعب نسبيا عملية اصابتها من مسافات بعيدة في الارض المنبسطة ، كما تتميز هذه الانواع الثلاثة ايضا (وت ٣٤ الى حد ما) بمتانة دروعها بسبب ميلها الشديد وانسيابيتها وطريقة صبها من الناحية التقنية ، الامر الذي يعوض نسبيا قلة سمك دروعها بالقياس للانواع الغربية الاثقل وزنا مثل السنتوريون والباتون . وتتألف الكتلة الرئيسية من الدبابات العربية من نوعي ت ٥٤ ، ٥٥ التي يقول تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني انه يوجد منها لدى مصر نحو ١٥٠٠ دبابة منهما ولدى سوريا نحو ١٠٠ دبابة منهما ايضا .

ويقول ايضا انه يوجد لدى مصر نحو ٤٠٠ دبابة « ت ٣٤ » ولدى سوريا نحو ٢٥٠ دبابة منها ، وهذا فضلا عن اعداد اخرى غير معروفة على وجه الدقة من دبابات ٦٢ لدى كل من مصر وسوريا . كما يقال ان لدى مصر نحو ١٠٠ دبابة ب ت ٧٦ البرمائية ولدى سوريا عدد قليل منها . وبالاضافة الى ذلك فانه يقال ايضا ان لدى مصر نحو ٥٠ دبابة ج س ــ ٣ ولدى سوريا نحو ٣٠ اخرى من النوع نفسه ، (وهي دبابات ثقيلة سوفييتية الصنع انتجت في عام ١٩٤٥ وتزن الواحدة منها نحو ٤٦ طنا وتبلغ قوة محركها الديزل ٥١٩ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق نحو ٣٧ كلم / ساعة ويصل مدى عملها على الطرق الى ٢٠٨ كلم ويبلغ سمك درع جسمها الامامي الى ١٢٠ مم وسمك درع برجها الى ٢٣٠ مم ، وهي مسلحة بمدفع عيار ١٢٢ مم ورشاشان ٧٫٦٢ مم واخر م/ط ١٢٫٧ ويتألف طاقمها من ٤ افراد) .

كما يوجد لدى مصر نحو ١٥٠ مدفع مضاد للدبابات ذاتي الحركة مدرع من نوع « س يو ١٠٠ » ولدى سوريا نحو ٥٠ مدفعا من النوع نفسه (وفقا لتقديرات عام ١٩٧٢) وهو قانص دبابات سوفييتي الصنع يتألف من مدفع عيار ١٠٠ مم مضاد للدبابات مركب على شاسيه دبابة ت ٣٤ ويزن نحو ٣٠ طنا وتبلغ سرعته القصوى على الطرق نحو ٥٠ كلم / ساعة ويصل مدى عمله الى ٢٨٠ كلم وهو يعمل في مصاحبة الدبابات كمدمر للدبابات المعادية او مدفع اقتحام للمواقع الدفاعية ويمكن استخدامه ايضا كمدفع ميدان ذاتي الحركة معاون للدبابات او المشاة الميكانيكية .

تلك هي اهم خصائص المدرعات العربية الموجودة لدى القوات المصرية والسورية والعراقية والجزائرية كما توجد أنواع منها ايضا لدى ليبيا والسودان والمغرب . وتنتظم معظم الدبابات المصرية والسورية ضمن تشكيلات فرق مدرعة اساسا وبعض الالوية او الافواج المدرعة المستقلة التي قد تلحق بفرق المشاة الميكانيكية او للعمل كاحتياطي عملياتي .

اما المدرعات الاسرائيلية فتضم خليطا من انواع مختلفة من الدبابات الامريكية والبريطانية والفرنسية تؤلف في مجموعها عددا يصل في تقديرنا الى نحو ٢٠٠٠ دبابة .

وفيما يلي ابرز الخصائص الفنية لانواع الدبابات الاسرائيلية المستخدمة :

الدبابة م ٦٠ أ ١ : دبابة متوسطة امريكية الصنع تزن نحو ٤٨ طنا وتبلغ قوة محركها الديزل ٧٥٠ حصان وتصل سرعتها القصوى على الطرق ٤٨ كلم / ساعة ويصل مدى عملها الاقصى في هذه الحالة الى ٥٠٠ كلم ويتألف طاقمها من ٤ افراد وهي مسلحة بمدفع عيار ١٠٥ مم بريطاني التصميم امريكي الانتاج ورشاش ٧٫٦٢ مم وهي مجهزة بوسائل القتال الليلي ودقة تصويب المدفع فوق مختلف انواع الاراضي واثناء السير ويبلغ ارتفاع الدبابة ٣٢٦ سم . وقد زودت الولايات المتحدة اسرائيل بعدد من هذه الدبابات ولكنها لا تؤلف الكتلة الاساسية من المدرعات التي تتألف اساسا من دبابات سنتوريون وباتون .

سنتوريون مارك ٥٫٧ : وهي دبابة متوسطة بريطانية الطراز تزن ٥٠ طنا كانت انواعها الاولى مجهزة بمدفع عيار ٨٣٫٤ ذي القذيفة ٢٠ رطلا ثم اصبحت انواعها الاحدث مجهزة بمدفع اقوى من عيار ١٠٥ مم ، وقد وحد الاسرائيليون تسليح جميع دباباتهم من هذا الطراز بمدافع عيار ١٠٥ مم . وهي مزودة ايضا بجهاز يؤمن استقرار المدفع اثناء الرمي مهما كانت وعورة الارض . وتبلغ اقصى سرعة لها على الطرق ٣٤ كلم / ساعة . ويصل مدى عملها الى ١٨٥ كلم تقريبا .

باتون م ٤٨ أ ٢ ، م ٤٨ أ ٣ : وهي دبابة متوسطة امريكية الطراز تزن نحو ٤٥ طنا مزودة اصلا بمدفع عيار ٩٠ مم ذي سرعة قذيفة عالية (وهذا يوفر للقذيفة قدرة اكبر على اختراق الدروع من مسافات بعيدة نسبيا وهي في حالة الباتون تقدر بنحو ٢٠٠٠ متر) وقد زودت وفقا لتقارير من المانيا الغربية التي أمدت اسرائيل بها ، بجهاز بصري جديد لتحديد المدى يتيح لها اطلاق قذائف المدفع الثقيلة مباشرة على الهدف دون ان تضطر الى اطلاق الرصاص الخطاط المحدد للمدى اولا . وتبلغ اقصى سرعة لهذا النوع من الدبابات نحو ٥١ كلم / ساعة على الطرق ، وهي مزودة بمنظار للاشعة تحت الحمراء .

شيرمان م ـ ٤ ماركات (٥٠ ، وسوبر شيرمان، و٥١): وهي دبابات امريكيةمتوسطة من مخلفات الحرب العالمية الثانية تزن حوالي ٣٠ طنا ، وكان بعضها مزودا بمدافع عيار ٧٦ مم والبعض بمدافع ٩٠ مم والبعض الاخير زود بمدفع ١٠٥ مم وهي بشكل ما معادلة للدبابة السوفييتية الطراز « ت ٣٤ » ، ولكن هيكلها وبرجها لم يكن تصميمهما جيدا مثل الـ « ت ٣٤ » . وذلك بحكم ارتفاعه وعدم انسيابيته كما في الـ « ت ٣٤ » . وقد زودت هذه الدبابات بمحركات جديدة اقوى من التي كانت بها أصلا ، كما ركبت لها سلاسل اعرض لتكون اكثر قدرة على السير في الرمال مثل « ت ٣٤ » . وتصل اقصى سرعة لها الى نحو ٤٠ كلم / ساعة ، ومدى عملها قصير نسبيا لا يزيد عن ١٣٠ كلم وربما اقل من ذلك .

أم اكس ١٣ : وهي دبابة خفيفة فرنسية الطراز تزن نحو ١٥ طنا مسلحة بمدفع عيار ٧٥ مم ، وتبلغ اقصى سرعة لها ٦٠ كلم / ساعة ويصل مدى عملها لنحو ٣٢٠ كلم . وهي تستخدم اساسا في الاستطلاع او العمليات التي تتطلب مطاردة سريعة نظرا لسرعتها وقدرتها على المناورة ، وذلك بحكم ان تدريعها خفيف للغاية حتى ان باطنها لا يحتمل انفجار لغم تحته ولذلك يكون سائقها معرضا بشدة لخطر الالغام .

وتوضح لنا هذه البيانات المقارنة للخصائص الفنية للدبابات الموجودة لدى الطرفين

ان الدبابات العربية متفوقة في الجملة على الدبابات الاسرائيلية سواء من حيث حداثة الطراز بالنسبة لغالبيتها (وخاصة الدبابات الموزعة على الالوية المدرعة لانها كلها « ت ٥٤ » و « ت ٥٥ ») او من حيث القدرة على المناورة ، او من حيث جودة وكفاءة تصميم الهيكل وطريقة تصفيح الدروع بغض النظر عن السمك (وهو الامر الذي تتفوق فيه « السنتوريون » و« الباتون » على « ت ٥٤ » و « ت ٥٥ ») او من حيث بعد المدى . كما انها تتعادل معها في قوة النيران والمدى المؤثر للاصابة وذلك بالنسبة للقوة الاساسية للدبابات الاسرائيلية « السنتوريون » و« الباتون » وتفوق الانواع الاخرى . هذا كما ثبت ان « ت ٥٤ » تفوق « الباتون » في عدد من النواحي الامر الذي اضطر امريكا الى انتاج الدبابة الجديدة « م ٦٠ » التي أخذت تزود بها اسرائيل . اما «ت٣٤» فهي ذات كفاءة أفضل من « السوبر شيرمان » واستطاعت ان تدمر عددا من « السنتوريون » و « الباتون » في حرب ١٩٦٧ .

وليست الدبابة « أم أكس ١٣ » اكثر من مركبة استطلاع مدرع سريعة الحركة . هذا كله من حيث مقارنة نوعية السلاح المدرع لدى الطرفين ، اما من حيث اجمالي عدد المدرعات او الدبابات المتوفر لدى كل طرف ، فلدى اسرائيل ٢٠٠٠ دبابة ولدى جيوش مصر وسوريا معا نحو ٣٠٠٠ دبابة ، فاذا اضفنا اليها مئات الدبابات العراقية والمغربية المشتبكة فعلا بالقتال . ومئات الدبابات الجزائرية والليبية والاردنية التي يحتمل اشتراكها* تكونت لدينا صورة واضحة عن حجم القبضة الفولاذية التي تسدد ضرباتها الساحقة لجيش العدو كل يوم وعلى جميع الجبهات وفي ظل ميزان قوى جوية يسمح لها بالحركة بفاعلية وكفاءة .

(٤) القوات العربية الخاصة ودورها في الحرب

جاء في تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني عن عام ١٩٧٢ — ١٩٧٣ بصدد تقديره لقوة الجيش المصري (وهي تقديرات يجب عدم الاخذ بحرفيتها) ان قواته تضم ٢٨ كتيبة مغاوير (او « صاعقة » كما يطلق عليها في اللغة العسكرية المصرية) كما تضم لواءين من المظليين ، ومن المعروف ايضا ان لدى البحرية المصرية وحدات خاصة من الصاعقة البحرية او رجال الضفادع البشرية .

ويقول التقرير المذكور ايضا ان لدى الجيش السوري ٥ كتائب مغاوير وكتيبةمظليين . هذا وقد تطور حجم ونوعية القوات الخاصة المصرية عقب هزيمة ١٩٦٧ وخلال مرحلة حرب الاستنزاف عامي ١٩٦٩، ١٩٧٠ نظرا للدور الطليعي الذي لعبته خلال هذه الحرب بالتعاون مع سلاح المدفعية والدفاع الجوي الارضي في عمليات ومعارك هذه الحروب الهجومية المحدودة .

فقد قامت وحدات المغاوير (الصاعقة) بعديد من عمليات العبور الجزئية لقناة السويس تضمنت أعمال دوريات في العمق التكتيكي للعدو وكمائن لالياته ودورياته واقتحام مواقعه الحصينة ، وكانت اهمها واكثرها اثارة وخطورة بالنسبة للعدو الاسرائيلي وقتئذ عملية الاقتحام للموقع الاسرائيلي المحصن في الشريط المواجه لبور توفيق قرب مدينة السويس جنوب القناة التي جرت يوم ١٢ يوليو عام ١٩٦٩ حين عبرت قوة من المغاوير القناة حوالي الساعة السابعة مساء تحت حماية المدفعية التي كانت تقصف الموقع المحصن الاسرائيلي بعنف ثم تسلقت الضفة الشرقية وهاجمت الموقع

---

* راجع عدد الدبابات التي يمكن اشتراكها في القتال في **ملحق النشرة العسكرية الخاصة** رقم ٧ الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية في ١٤/١٠/١٩٧٣ .

ودمرت ٥ دبابات كانت رابضة فيه وقتلت وجرحت نحو ٤٠ جنديا وأسرت واحدا اخر ثم عادت الى الضفة الغربية . وقد اهتزت القيادة الاسرائيلية وقتئذ كثيرا من هذه العملية واعتبرتها سابقة خطيرة يجب ردع المصريين عن محاولة تكرارها نظرا لفداحة الخسائر التي نتجت عنها ولخطورة مغزاها التكتيكي ، ولذلك بدأت بعد ذلك تصعيد الردع الذى كانت تمارسه على الجبهة حينئذ عن طريق بدء استخدام الطيران في قصف بعض المواقع المصرية في بور سعيد يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٩ . ومما يذكر ان هذا الموقع الحصين هو الموقع الذي استسلم مؤخرا للقوات المصرية بعد أن حوصرت حاميته عدة أيام عقب اقتحام القناة يوم ٦ تشرين الاول (اكتوبر) الحالي .

كما قامت وحدات من المظليين المحمولين بطائرات الهليكوبتر يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ قبيل الفجر بالنزول الى منطقة قريبة من مركز اداري وقيادي للعدو في «مصفق» الواقعة على بعد ٨٥ كلم من قناة السويس على المحور الشمالي لسيناء ثم قصفته بصواريخ كاتيوشا بشدة وعادت الى قاعدتها . وتكررت هذه العملية في منطقة «رأس مطارمة ـ رأس ملعب» على الساحل الشرقي لخليج السويس بالاشتراك مع وحدة اخرى من الكوماندوس المنقولين بحرا . هذا وقامت وحدات خاصة اخرى من الضفادع البشرية المصرية خلال المرحلة نفسها بمهاجمة ميناء ايلات ثلاث مرات . الاولى في ٨ نوفمبر ١٩٦٩ والثانية في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ والثالثة في ٩ شباط (فبراير) ١٩٧٠ ونجحت في اغراق سفينة تموين ساحلية واعطاب سفينة أنزال واعطاب سفينتي نقل اخريتين فضلا عن اصابة منشآت الميناء باضرار مختلفة ، واعترفت الصحف الاسرائيلية وقتئذ بمعظم هذه الخسائر . وقد نقلت وحدات الضفادع البشرية الى مقربة من هدفها بواسطة طائرة هليكوبتر ونجحت في العودة سالمة الى قواعدها في جميع المرات . واستنادا الى الخبرات العملية الهامة المكتسبة خلال حرب الاستنزاف جرى تدريب وتطوير الوحدات الخاصة المصرية وتركز الاهتمام ايضا على وحدات المظليين الذين اصبح طابع تدريبهم واعدادهم الرئيسي يعتمد على نقلهم بطائرات الهليكوبتر التي زاد حجمها ونوعيتها زيادة طردية مع زيادة اهتمام القيادة المصرية بهذه القوات ، خاصة في ظل تولي الفريق سعد الدين الشاذلي رئاسة الاركان بحكم انه كان اصلا ضابطا مظليا ويدرك اهمية تطوير واستخدام هذه القوات والوحدات الخاصة عامة . وتقدر مصادر معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني عدد طائرات الهليكوبتر المصرية بنحو ١٨٠ طائرة من انواع مي ـ ٢ ، مي ـ ٤ ، مي ـ ٦ ، مي ـ ٨ السوفييتية الصنع ، وهي قوة نقل جوي عمودي تكفي لنقل لواء كامل من المظليين (نحو ٢٠٠٠ جندي) دفعة واحدة على الارجح خاصة اذا ما عرفنا ان طائرة « مي ـ ٦ » تستطيع نقل ٦٥ جنديا بأسلحتهم وان « مي ـ ٨ » تستطيع نقل ٢٨ جنديا بسلاحهم وهما النوعان اللذان يمثلان النسبة الرئيسية من مجموعة طائرات الهليكوبتر المصرية . وهذا يفسر لنا الدور الفعال الذي قامت به هذه الوحدات في عملية « الشرارة » اي عملية اقتحام خط القناة و« خط بارليف » اذ انزلت خلف المواقع الحصينة وهاجمتها من الخلف وخلقت الاضطراب في مؤخرتها التكتيكية بل والعملياتية ايضا حيث تعرضت بالكمائن لقوافل او آليات ومدرعات العدو المتجهة اثناء الليل الى الجبهة على المحاور الثلاثة الرئيسية في سيناء . كما هاجمت ايضا منطقة آبار البترول في « رأس سدر » على الشاطىء الشرقي لخليج السويس وأحدثت بها اضرارا وحرائق ، وترددت انباء عن عمليات كوماندوس مصرية في منطقة شرم الشيخ ، واعلن عن قيام وحدة من الكوماندوس بمهاجمة موقع معادي على المحور الساحلي في شمال سيناء يوم ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) واقتحامها اياه من اكثر من اتجاه وعودة القوة الى قاعدتها سالمة بعد الحاقها خسائر للعدو في الافراد والمعدات . كما انه من المعروف ان قوات اخرى من هذه

الوحدات الخاصة تعمل حتى الان وراء الخطوط الاسرائيلية في سيناء وفقا لمصادر العدو نفسها التي قالت ان هذه الوحدات قد انزلت على امتداد جبهة سيناء وانــه يصعب القضاء عليها لكثرة المخابىء الطبيعية في المنطقة .

وتوضح لنا العمليات الحربية التي استخدمت فيها هذه الوحدات الخاصة العربية ان القيادة العسكرية المصرية استخدمتها في اقتحام بعض المواقع الحصينة في « خط بارليف » سواء بعبور القناة نفسها او بالنزول وراءها نظرا لارتفاع قدراتها وكفايتها الفنية في ممارسة هذا النوع من العمليات القتالية ، واستخدمتها أيضا في عمليــات بالعمق العملياتي ضد طرق المواصلات ووسائل الامداد والتموين والمراكــز الادارية والاهداف العسكرية الاخرى الهامة في مؤخرة العدو بهدف ارباك قيادته وتشتيت جهده وانزال بعض الاضرار المادية بقواته فضلا عن استطلاع هذه المؤخرة في المناطق او الاوقات التي لا يستطيع الاستطلاع الجوي القيام بنشاط فعال فيها .

ومن المعلوم ان القوات الخاصة المصرية تضم فرعا جديدا نسبيا للاستطلاع بعيد المدى يتلقى افراده تدريبا شاقا وخاصا يمكنهم من العمل فرادى او جماعات محدودة في مهام استطلاعية وراء خطوط العدو بمسافة كبيرة ولفترة طويلة . وما زالت الكتلــة الرئيسية من وحدات المظليين المصريين لم تستخدم بعد حتى الان في عمليات كبــيرة (وكذلك الوحدات المماثلة لدى الجانب الاسرائيلي الذي يقال ان لديه ٥ — ٦ الوية من المظليين وقدرة نقل لواء منها دفعة واحدة بطائرات النقل لاسقاطه بالمظلات ولواء آخر يمكن نقله بطائرات الهليكوبتر) . ولكن امكانات المعركة المقبلة في سيناء التي ستبرز مع تطور الهجوم المصري داخل سيناء ترجح استخدام هذه القوات في عمليات كبيرة في ظل درجة كافية من السيطرة الجوية المصرية وضعف فاعلية طيران العدو خاصة بالنسبة للنقط الدفاعية الاسرائيلية المتفرقة المتباعدة عن بعضها البعض على طول الشاطىء الشرقي لخليج السويس وفي شرم الشيخ ورأس محمد بأقصى جنوب شبه جزيرة سيناء، وربما أيضا في المدخل الشرقي لممر متلا عند جبل الحيطان حيث يمكن بذلك تطويق القوات المعادية المستحكمة داخل تلال وكهوف وجبال منطقة ممر متلا البالغ طولها بين « ممر الحيطان » شرقا و« ممر متلا » غربا نحو ٢٠ كلم متى توفرت ظروف ملائمة من الناحية الجوية وامكانات تقدم سريع للمدرعات المصرية من طرق اقتراب غير مباشرة بالنسبة للقوات المعادية في الممر .

* وفي الجبهة السورية نشطت ايضا القوات الخاصة العربية وقامت بتنفيذ عدد من المهام القتالية الهامة للغاية ، فقد قامت قوة من المغاوير السوريين المحمولين بطائرات الهليكوبتر باقتحام موقع محصن به محطة رادار كبيرة في جبل الشيخ يعرف بالمرصد واستولت عليه بعد قصف تمهيدي له بالطائرات (وهي عملية تشبه مــن الناحيــة التكتيكية عملية اقتحام المظليين الألمان المحمولين بطائرات شراعية لقلعة « ابين ايمايل » البلجيكية الواقعة على قناة البرت عند الحدود البلجيكية مع لوكسمبورغ في مطلع الحرب العالمية الثانية يوم ١٠ مايو ١٩٤٠) .

وقامت ايضا كتائب قوات حطين من جيش التحرير الفلسطيني بتنفيذ بعض هــذه المهام الخاصة ، فالكتيبة ٤١١ انزل افرادها وراء خطوط العدو في الجولان واحتلت سرية منها موقع تل الفرس بعد أن هبط افرادها بواسطة طائرات الهليكوبتر مباشرة فوق مواقع العدو واستشهد من رجالها ١٢ مقاتلا وجرح ١٠ ولا تزال السريتان الاخريتان من الكتيبة المذكورة تعملان حتى الان وراء خطوط العدو تمهيدا لعمليات تقوم بها القــوات السورية النظامية .

والكتيبة ٤١٢ قامت بنقل سراياها بطائرات الهليكوبتر ايضا واحتل افرادها مواقع

تل عكاشه وتل العباس وتل ابو الذهب ، وتكبدت خسائر كبيرة في الارواح نتيجة دقة وخطورة المهام المكلفة بتنفيذها والتي نجحت فعلا في القيام بها .

وكذلك احتلت الكتيبة ٤١٣ مهامها فاحتلت قرى خسفين والعال في القطاع الجنوبي من الجولان ، ومما يذكر ان هذه القرى كانت قوات المظليين الاسرائيليين المحمولين بالهليكوبتر قد احتلتها يوم ١٠ حزيران عام ١٩٦٧ دون قتال نظرا لانسحاب القوات السورية منها طبقا لامر عام بالانسحاب واعتبرت عملية الاستيلاء عليها من قبل اجهزة الدعاية الصهيونية عملا تكتيكيا هاما في تاريخ المظليين الاسرائيليين .

وتتلقى الوحدات الخاصة من مغاوير او مظليين او صاعقة بحرية تدريبات شاقة للغاية تستهدف رفع مستوى اللياقة البدنية لافرادها المنتقين بعناية (وغالبا عن طريق التطوع) حتى يتحملون مشاق المهام التي سيقومون بها ، منها مثلا التدرب على الجري يوميا مسافة لا تقل عن ١٠ كيلومترات والسير بكامل تجهيزات الميدان مسافات كبيرة تصل احيانا لنحو ١٢٠ كلم دفعة واحدة ، والقيام بتدريبات شاقة في تخطي مواقع مختلفة ، خلال زمن قصير وبسرعة . كما تتضمن تدريبا راقيا على استخدام مختلف أنواع الاسلحة الصغيرة من بنادق ورشاشات وقواذف مضادة للدروع وهاونات وقنابل يدوية والغام وعبوات ناسفة ، فضلا عن الهبوط بالمظلات سواء بالنسبة للمظليين المنقولين بطائرات النقل او بالهليكوبترات او بالنسبة للمغاوير او الضفادع البشرية . ويزداد عنف وتنوع التدريب بالنسبة لوحدات الصاعقة البحرية (الضفادع البشرية) ووحدات الاستطلاع بعيد المدى الذين ينتقون بعناية خاصة وعلى أساس التطوع بالكامل ويكلفون بمهام صعبة للغاية . كما يدرب جنود الوحدات الخاصة من المغاوير او المظليين على القتال كمشاة آلية وبالتعاون مع المدرعات والطيران والمدفعية خاصة وان وحدات المظليين اصبح الان من الممكن لها ان تستخدم المصفحات والمدافع ذاتية الحركة المنقولة جوا سواء بواسطة طائرات النقل التي يمكنها ان تلقي هذا العتاد الثقيل بواسطة أنواع خاصة من المظلات المجهزة بصواريخ تقليل سرعة الاصطدام بالارض عند اقترابها منها او بطائرات الهليكوبتر الضخمة مثل « مي ـ ٦ » . وعموما فان حجم ونوعية القوات الخاصة العربية يسمح لها أن تلعب دورا كبيرا فعال الاثر في المراحل الاكثر تطورا المتوقعة على الجبهتين المصرية والسورية .

النفط العربي في خدمة المعركة

الدكتور طارق يوسف اسماعيل

الذين يلمون بالسياسة الدولية يعلمون ان اهم مقومات العلاقات الدولية هو ما يطلق عليه بالمصلحة القومية وهي المؤثر الاول في السياسة الخارجية لاي دولة ، فهي التي تقرر اتجاه العلاقات الدولية لاي امة مهما عظم شأنها او قلت اهميتها . فالمصلحة القومية اذن هي المحور الرئيسي لسياسة اي دولة لانها منبع حاجة ذلك الشعب وهي التي تعبر عن حاجاته وتطلعاته وآماله ، وبالطبع عن ارائه في الحياة وفلسفته في الوجود . ولهذا فان المصلحة القومية يمكن ان تعتبر العامل الاول في تكوين وتطوير وادارة السياسة الخارجية لكل امة .

ويعرف دارسو العلاقات الدولية المصلحة القومية بانها كل ما يتعلق بصيانة استقلال الدولة وأمنها ، وتأمين استمرار سيادتها والحفاظ على رضاء مواطنيها . ويميز علماء السياسة بين شكلين من اشكال المصلحة القومية ، الاول ما يسمى بالمصلحة الحيوية والثاني بما يدعىبالمصلحة الثانوية والفرق بينهما في النوعية والاهمية فقط ، فالامم عادة تجند كل امكاناتها ، وفي معظم الاحيان تخاطر بكل ما لديها من اجل الدفاع عن مصلحتها الحيوية ، اذ ان المصلحة الحيوية تعني امورا مهمة تتعلق بكيان الدولة كالدفاع عن الدولة وسيادتها ومعتقداتها وما تعتبره اساسيا لبقائها، بينما المصلحة الثانوية تتضمن امورا لا يعني عدم وجودها انتقاصا من الاستقلال ولكنها تدعم السيادة وتؤمن تحقيق امال مواطنيها واطماحهم . فبالامكان تحويل المصلحة الثانوية الى مصلحة حيوية والعكس بالعكس . وتتغير تلك المصالح من مكان الى مكان ومن زمان الى اخر . فما هو حيوي لدولة اليوم قد لا يكون مهما غدا وربما لم تكن له اهمية بالامس . وما هو حيوي لدولة ما قد لا يكون الا ثانويا لاخرى او عديم الاهمية لثالثة او قد يكون مهما لعدد من الدول .

فالنفط العربي لم يكن مهما للدول الغربية ثم اصبح جزءا من مصلحتها الثانوية خلال الخمسينات . وكان بيع النفط واثمانه مصلحة حيوية بالنسبة للدول العربية المنتجة للنفط اذ بدونه لا يمكن ان تواجه متطلبات شعوبها وحتى لا يمكن لها ان تعيش بدون اثمانه .

وبهذا كانت حياة الدول المنتجة للنفط بيد الدول المستهلكة وجاءت السبعينات واحدثت ثورة في هذه العلاقة . فالدول المنتجة الان لديها من الفائض النقدي ما يمكنها من العيش باقل من ربع واردات نفطها وفي حالة السعودية بدونه وكذلك الكويت هذا مع العلم بان الدول المستهلكة للنفط تحتاج الى ضعف ما ينتج الان ليفي باحتياجاتها . وازمة الطاقة التي تمر بها الدول الصناعية وعلى رأسها الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية تجعل تأمين ضخ النفط اليها حاجة ماسة ومصلحة قومية . في ضوء ما تقدم يمكن للعرب استعمال هذه القوة التي لديهم الان اما لتحييد تلك الدول في النزاع العربي الاسرائيلي او الضغط عليها بتغيير سياساتها لصالح العرب . واقل ما يمكن ان يحدث هو عدم زيادة الانتاج للوفاء باحتياجات تلك الدول . وفي بعض الحالات فان المصلحة القومية الحيوية لبلادنا تقتضي عدم زيادة الانتاج حاليا لان مستقبل بعض الدول المنتجة سوف يكون مظلما اذا ما نضب لديها النفط ، والتوقعات لذلك ليست بعيدة عن بداية القرن القادم .

في الصفحات التالية سنحاول بيان اهمية النفط العربي في الاقتصاد العالمي واثر ذلك في السيطرة النقدية وسنقدم بعض المقترحات عن كيفية استعمال هذا السلاح لاغراضنا القومية .

أهمية نفط العالم العربي

كانت الولايات المتحدة الاميركية حتى عام ١٩٦٦ تحتل المرتبة الاولى في انتاج النفط في العالم ولكنها نزلت الى المرتبة الثانية لان الشرق الاوسط احتل مركز الصدارة الدولية اذ بلغ انتاجه ذلك العام ٤٧١ مليون طن بينما بلغ انتاج الولايات المتحدة ٤٦٢ مليون طن واحتلت المرتبة الثالثة في العالم الكتلة الشيوعية اذ انتجت نحو ٢٩٠ مليون طن في ذلك العام .

واستمر انتاج الشرق الاوسط وجميعه نفط عربي(١) — ما عدا ايران — بالزيادة . وفي عام ١٩٧٣ ينتج العالم العربي وايران ٤٣٪ من نفط العالم غير الشيوعي وتحتوي طبقات ارضه ثلثي الاحتياطي المثبوت ، فالاحتياطي المعروف من النفط في العالم هو ٦٧٠ بليون برميل موزع على النحو التالي: المملكة العربية السعودية ١٣٨،٠٠٠،٠٠٠، ايران ٦٥،٠٠٠،٠٠٠ ، الكويت ٦٤،٩٠٠،٠٠٠ ، الجزائر ٤٧،٠٠٠،٠٠٠ ، ليبيا ٣٠،٤٠٠،٠٠٠ ، العراق ٢٩،٠٠٠،٠٠٠ ، باقي البلدان العربية ٥٨،٤٠٠،٠٠٠ .

ويتوقع العديد من المعنيين بشؤون النفط ان تزداد اهمية الشرق الاوسط البترولية في العقد المقبل . ولنأخذ مثلا الزيادة التي يتوقع ان تطرأ على انتاج بلد واحد فقط من الشرق العربي لنرى درجة هذه الزيادة . ففي عام ١٩٧٢ انتجت المملكة العربية السعودية ٢ر٥ بليون برميل يوميا ويتوقع ان يتضاعف انتاجها عام ١٩٨٠ . وتثبت الاحصائيات المتوفرة لدينا هذا الاتجاه ان لم تتجاوزه ، ففي اوائل ايلول ١٩٧٣ اعلنت وزارة المعادن الفنزويلية احصائيات تثبت أن المعدل اليومي لانتاج النفط ارتفع بنحو ١٠٪ عن معدل العام الماضي وذلك خلال الاشهر الخمسة الاولى من السنة الحالية(٢).

وكميات الانتاج حسب اهميتها كانت كالتالي : (بالبرميل يوميا) المملكة العربية السعودية ٧،٤٥٢،٠٠٠ ، ايران ٥،٨١٨،٠٠٠ ، فنزويلا ٣،٣٣٧،٠٠٠ ، الكويت ٣،٠٧٢،٠٠٠ ، قطر ٥٩٥،٠٠٠ .

وتدأكدت مجلة Middle East Economic Digest أهمية موقع الشرق الاوسط بقولها : ان الشرق الاوسط ، وبضمنه شمال افريقيا ، عزز موقعه كاحد المصادر الرئيسية في انتاج الطاقة في العالم. حيث انتجت دوله في عام ١٩٧٢ ٤١،٣٪ من الانتاج العالمي للنفط الخام بينما كان انتاجها ٤٠،٥٪ فقط في السنة السابقة لذلك . كل هذا في الوقت الذي ارتفع معدل انتاج النفط في العالم ٥٪(٣). فهكذا فان معظم دول العالم سوف تجد نفسها بصورة مباشرة او غير مباشرة متأثرة بنفط العالم العربي الذي لا بد ان يكون ضمن نطاق المصالح القومية في اكثر الدول الصناعية بدرجات متفاوتة ، فقد يكون في بعض منها جزءا من المصالح الحيوية ويكون للبعض الاخر جزءا من المصالح الثانوية ، وهنا تكمن قوتنا .

العرب والبترول والنقد الدولي

وكنتيجة لهذا التوسع في الطلب على البترول في الشرق الاوسط ازداد احتياطي النقد للدول المنتجة للنفط في المنطقة . تقول المجلة الاميركية نيوزويك ان احتياطي العربية السعودية من العملة النادرة والذهب سيكون (٣٠) بليون دولار سنة ١٩٨٣ وليبيا لديها الان (٣) ملايين دولار احتياطي(٤). ويقول أحد خبراء النقد السيد هوراس س. بيلي ، نائب الرئيس الاقدم « للمصرف الكيميائي » « ان حكومات الشرق الاوسط سيتراكم في خزاناتها نحو ١٧٥ بليون دولار ، ممثلة ما قد يكون اكبر تراكم مالي لنقود اجنبية في التاريخ » وفي نهاية عام ١٩٧١ بلغ احتياطي الذهب(٥) في الشرق الاوسط عشرة بلايين دولار .

ويعتقد ان هذا الرقم قد ارتفع في العامين التاليين . هذا ويبلغ احتياطي اميركا الان نحو (١٣) بليون دولار ولو حاولنا حساب ما حل باحتياطي اميركا من هبوط وما نتوقع ارتفاعه من احتياطي الشرق الاوسط لخرجنا بنتيجة واحدة وهي ان احتياطي الشرق الاوسط الان مساو لما تملكه اميركا . هذا مع العلم بان التوقعات هي ارتفاع احتياطي العرب كما ذكرنا وانخفاض احتياطي اميركا . وعندما حدثت ازمة الدولار الاميركي في شهر اذار ١٩٧٣ والتي تعتبر اكبر ازمة نقدية واجهها الغرب منذ الثلاثينات عندما تدفقت كميات هائلة من الدولار الى المانيا الغربية تبلغ قيمتها ٢،٧٠٠،٠٠٠ دولار نصفها جاءت من الشرق الاوسط كما يدعي احد المسؤولين الالمان، اعترى الغرب الذهول لقوة العرب النقدية ، فقد

اعترف وزراء مال الدول الغربية في اذار ١٩٧٣ لدى اجتماعهم في العاصمة الفرنسية لبحث ايجاد حلول للازمـــات المتوالية لنظـــام النقد العالمي ، اعترفوا « بظهور قوة نقدية جديدة هي قوة اموال البترول في شمال افريقيا والشرق الاوسط »(٦).
ويقول بعض خبراء المال الاميركان ان عجز ميزان المدفوعات في اميركا نتيجة شراء البترول الخـــام سيكون نحو (٢١) بليون دولار سنويا ، واوربا (٢٥) بليون واليابان نحو (١٥) بليون . وذلك الدخل سيكون ما يقدر انه نصيب دول الشـــرق الاوسط المنتجة للبترول ما بين ٣٠ ــ ٤٠ بليـــون دولار سنويا . ونصيب السعودية من ذلك قـــد يكون النصف . وقد أعلن السيد محمود ريـــاض الامـــين العـــام للجامعة العربية بان الفائـــض النقدي(٧) في البلاد العربية عام ١٩٨٠ يتـــراوح بين ٢٠ ــ ١٠٠ بليون دولار(٨). اذا كانت هـــذه التوقعات صحيحة واذا كانت هذه الاستنتاجات واقعية فان في العالم العربي اليوم قوة لا تضاهى ، فان الاقتصاد العالمي اليوم في قلق دائم نتيجـــة الارتباك المالي الذي حصل نتيجـــة لازمة النقـــد الاميركية في بدايتها والتي اصبحت عالمية فاذا كان سبب التدهور هو هذا الجزء القليل من الاحتياطي العربي الذي نزل عفويا الى اسواق التبـــادل النقدي الاوروبية فكيف ستكون النتائج اذا جـــاءت محصلة خطة متعمدة ؟

لماذا يحتاج العالم نفطنا ؟

هناك سببان رئيسيان لاقبال العالم على النفط العربي وهما :

١ ــ احتياجات العالم له ، فالطلب المتزايـــد وعدم وجود مصادر اخرى للطاقة هما الاســـاس لهذا التهافت على نفط العالـــم العربي والشرق الاوسط فالحاجة اذن هي السبب هنا .

٢ ــ السبب الثاني هـــو رخـــص وسهولـــة استخراج النفط في البلاد العربية(٩).

من يعتمد على نفطنا ويحتاجه ؟

تحدد التايمس اللندنية حاجات الدول الصناعية من البترول حسب الجدول التالي وتورد ايضا(١٠) احتياجات تلك الدول في عـــامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ و ١٩٧٠ للمقارنة فقط وبملايين الاطنان :

اسم البلد	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٨٥
انولايات المتحدة	٧٢٥	٩٥٥	١،٤٤٠	٢،١٧٥	٢،٦٥٠
السوق الاوروبية المشتركة	٣١٥	٤٣٥	٧٠٠	١،٠٧٥	١،٣٤٠
اليـــابـــان	٣٠	٧٠	٢٤٠	٤٦٠	٦٣٥
المجمـــوع	١،٠٧٠	١،٤٨٠	٢،٣٨٠	٣،٧٠٠	٤،٦٢٥

وتقـــول التايمس اللندنيـــة ان توازن القوى النفطي في العالم تغير تغيرا مفاجئا وسريعا في ثلاث طـــــرق : ١ ــ ان المبـــادرة هي في يد الـــدول المستهلكة المنتجة وان التـــوازن الاقتصادي هـــو لصالحها بدرجة عظيمة . فان الدول المنتجة الان تملك قوة كبيرة . ٢ ــ تغير الدور الذي تلعبـــه شركات النفط العالمية في اسواق النفط فقد تغـــير دورها من محتكرة مسيطرة على جميع العمليات المتعلقة بالنفط الى دور المشتري الذي يتنافس على النفط مع بقية المشترين . ٣ ــ العلاقة بالسكان الغربيين تغيرت ايضا لانهم اصبحوا مستهلكـــين عليهم ان يدفعوا اسعارا اكثر . ففي الماضيكانوا يشترون المنتجات النفطية في تلك الدول باسعـــار ارخص من تلك التي تباع على اهـــل وشعـــوب المنتجة للنفط(١١).

ومن يتفحص احتياجـــات النفط العالمي يجـــد الصورة كما يلي :

حتى هذا القرن كانت الولايات المتحدة تكتفـــي اكتفاءا ذاتيا من النفط ولا تستورد الا القليل وقد وضح الان ان حاجات اميركا تفوق انتاجها ويعتقد المختصون انه في عام ١٩٨٠ ، ينبغي على الولايات المتحدة ان تستورد خمس احتياجاتها . وهناك في هذا المضمار ملاحظة مهمة ، وهي ان الولايـــات المتحدة التي يعيش على ارضها ٦٪ من مجمـــوع سكان العالم فقط تستهلك ٣٠٪ من الطاقة العالمية. وان اليابان واوربا الغربية تعتمدان اعتمادا كليا

على اسواق عالمية اخرى ويزودهما الشرق الاوسط تقليديا باحتياجاتهما النفطية . وقد كانت الدول الاشتراكية حتى الان مكتفية ذاتيا غير ان هنالك دلائل تشير الى ان هذه الدول تدخل قريبا اسواق النفط العالمية كمشترية . هذا واذا نظرنا الى الزيادة السنوية للاستهلاك العالمي للطاقة التي تبلغ ٥٠٦٪ وان المنطقة الوحيدة في العالم التي لديها الامكانات في تأمين هذه الاحتياجات هي الشرق الاوسط فان ازمة الطاقة هي في الوقت الحاضر هي ازمة سياسية بالدرجة الاولى . ذلك ان الطاقة موجودة ومتوفرة ويمكن ان تفي بحاجة المستهلكين خلال العشرين سنة القادمة ولكن الخوف والهلع هما نتيجة فرض السيادة التي تملكها الشعوب المنتجة للنفط على مواردها النفطية . فسابقا كانت الدول المستهلكة وبالذات احتكارات شركات النفط العالمية ، تسيطر على انتاج النفط وتسويقه فهم وحدهم يقررون مكان انتاج النفط وكميات هذا الانتاج بينما الدول المنتجة لا تتدخل مطلقا . بالاضافة الى كل ذلك فان تلك الاحتكارات هي التي تقرر حتى اسعار النفط ، وبما ان ميزانيات معظم تلك الدول المنتجة للنفط تعتمد اعتمادا كليا على وارداتها النفطية فان تلك الشركات قررت حتى ميزانيات تلك الدول ، وفي معظم الاحيان تدخلت تدخلا مباشرا في شؤونها السياسية الداخلية .

وقد اعترفت وكالة المخابرات الامريكية بدورها بالاشتراك مع شركات النفط في خنق ايران دوليا وتأليب الجيش على حكومة محمد مصدق عام ١٩٥٢ والتي أدت الى سقوط ذلك الحكم . وقد ادى هذا الدور الى فرض ظل من الارهاب على معظم الثورات التقدمية لدى مجابهتها لشركات النفط في بلادها او حتى التعرض لها ، فان مصير مصدق كان انذارا لكل حركة تسعى الى تحدي شركات النفط فالمشكلة اذن الان هي مشكلة سياسية ، فدول الغرب المستهلكة للنفط واحتكارات النفط العالمية فقدت سيطرتها الكاملة على النفط وعلى مصير البلاد المنتجة له . والان وقد زالت هذه السيطرة فالغرب ثائر يهول النتائج المترتبة على ذلك خاصة وان بعض الدول المنتجة للنفط ، وعلى الاخص العربية منها ، تريد ان يكون لها صوت في السياسات التي تؤثر على مستقبلها . فالعالم العربي يسيطر على الاسواق العالمية الان وسيمد سيطرته خلال العقدين القادمين ، بينما ترفض امريكا بالذات هذه الاحتمالات وتريد العودة الى المعادلة القديمة التي تكفل لها التعسف والاستغلال والسيطرة التي تقترب من شكل الاستعمار القديم وتورد مجلة « ميدل ايست ايكونوميك دايجست » « ان احتياجات امريكا من النفط عام ١٩٨٠ ستربو على ٨٠٠ر١ مليون طن سنويا ثلثها يجب ان يأتي من العالم العربي » بالاضافة الى ان الولايات المتحدة ستحتاج الى استيراد ٠٠٠ر٣٠٠ متر مكعب من الغاز سنويا وقد تعاقدت الجزائر مع امريكا لتزويدها بنحو عشر ذلك(١٢) .كما تؤكد احتياجات حلفاء العالم الغربي اهمية الاعتماد على العالم العربي وتقول مجلة نيوزويك الامريكية « اعتمادا على احدث الاحصائيات ، ان امريكا واليابان واوربا ستحتاج (٧١) مليون برميل في اليوم عام ١٩٨٠ بينما تستهلك الان فقط (٣٨) مليون يوميا ، ولكن هذه الدول سوف تنتج (٣٥) مليون برميل يوميا وان هذا النقص يمكن تلافيه من الشرق الاوسط فقط » واستطردت المجلة قائلة « ان المنطقة يمكن ان تستخرج يوميا(١٣) (٦١) مليون برميل في عام ١٩٨٠ . وان امريكا تستورد الان اقل من مليون برميل من النفط يوميا وهو ما يعادل ٣٪ فقط من الاستهلاك العام . ولكن التقديرات تشير بان الاستيراد سيزداد الى ٤٠٪ من احتياجات امريكا »(١٤). ومن الواضح اذن ان هذه الدول المعتمدة على النفط العربي سوف تكون مضطرة لتأمين استمرار حياتها الطبيعية وبضمنها الصناعية والتي هي الان مصلحة قومية حيوية ولا بد لها ان تعمل كل شيء لضمانها .

النفط كسلاح عربي

كما بينا يحتاج العالم الى النفط العربي لانه لا يمكن للعالم الغربي بصورة خاصة الاستمرار بدونه في ظل التطور الصناعي المتفوق، وليس بامكان ايجاد مصادر اخرى للطاقة فان العشرين السنة القادمة تؤكد على ان في ايدي العرب سلاحا فعلا وهو ايضا يؤثر تأثيرا بالغا على المصالح القومية لدول امريكا واوربا الغربية واليابان فقد آن لهم ان يجعلوه آلة تحقق جزءا من مصالحهم القومية . ان هذا حق شرعي في العلاقات الدولية وبامكانهم استعمال دبلوماسية حاذقة لهذا الخصوص خاصة وانهم لا يحتاجون الى واردات النفط بل العكس لقد تراكمت احتياطيات واسعة في خزائن العالم

العربي وان من الافضل ان يبقى النفط في باطن اراضي العالم العربي وذلك لضمان مستقبل العالم العربي ورخائه الاقتصادي للسنوات المقبلة فان انتاجه بالكميات الهائلة سوف يؤدي الى صرف معظم وارداته .

ان واردات النفط ستكثر في المستقبل اذ ان اسعاره ستزداد يوما بعد يوم .

ولعل ما يخيف الغرب وعلى الاخص الاميركان هو انهم على حد تعبير دافيد فريمان (وهو احد اخصائيي مؤسسة فورد) « اننا — يعني الاميركان — سوف نستورد النفط لا اختيارا وانما بالضرورة » ولهذا يحاول العديد من المهتمين بشؤون النفط(١٥) في اميركا وانكلترا لتسفيه الرأي القائل بعدم احتياج العرب الى الاسواق الغربية رغم كل ما هو واضح من الاحصائيات المحايدة واحسن مثل على ذلك هو موقف الاستاذ ايدلمن (الاستاذ في معهد ماستيوست الفني فهو يصر على ان بالامكان تحدي الدول المنتجة للنفط وبالتالي اجبارها على قبول رغبات الدول المشترية !! ان هذا الرجل بصورة خاصة اخطأ في كل تقديراته(١٦) عن النفط . مثلا في الستينات قال ان الاحتياجات الاستهلاكية من النفط ستقل كثيرا وبالطبع اثبت الواقع بطلان هذا في كل يوم ، ومع ذلك تنشر له الصحف هذه الاراء السخيفة غير العلمية . ومع كل الحقائق الواضحة الثابتة عن ملايين وبلايين الدولارات التي تتراكم في خزانات الدول العربية تقول جريدة الديلي تلغراف البريطانية : « يجب ان لا ينسى المرء ان العرب لا يمكنهم اكل النفط ، ان عليهم بيعه لاجله ، فهناك احتمال بعيد ان تجابه الصناعة البريطانية اي نقص في النفط نتيجة ما يحصل في العالم اليوم »(١٧).

ومن الغريب ان معظم هؤلاء الذين يدعون العلم ويحاولون تطمين الرأي العام الغربي هم من الخبراء اليهود . ترى هل للصهيونية دخل في ذلك . فهناك ملمح بارز في ستراتيجية اسرائيل في التقليل من أهمية البترول العربي ، ففي مؤتمر صحفي عقد في ميامي في ١٦ مارس ١٩٧٣ قال ايبان « ليس هناك اساس من الصحة في الاراء التي تدعي بان الحكومات العربية سوف تقطع النفط عن اميركا لاسباب سياسية ، فانهم لم يفعلوها في الماضي ولن يفعلوها الان . ان الدول المستهلكة للنفط لها خيار في الشراء من مصادر اخرى .

وليس للعرب خيار الا في بيع نفطهم لان ليس لهم اي مصادر اخرى — للحياة — قط !! » وبالطبع بادر ممثل الولايات المتحدة في الامم المتحدة قائلا(١٨) بان ليس هناك اي تأثير للنفط ولا لدوله المنتجة على سياسة اميركا الخارجية(١٩).

ان ما يخيف اميركا هو محاولة الدول المنتجة للنفط العربية استعمال هذه القوة التي تدفع ايديهم للضغط على اميركا لتبديل سياستها في المنطقة وجاء في تقرير الشؤون الخارجية والذي نشرته وزارة الخارجية الاميركية في ابريل سنة ١٩٧٣ ما يؤكد ذلك حين قال : « ان علينا ان نحاول خلق علاقات طيبة بيننا وبين الدول المنتجة للنفط ونحاول الحد من التأثيرات الخارجية التي قد تؤثر على ضمان احتياجاتنا من النفط واحتياجات المستهلكين الاخرين ، وان على الدول المنتجة ايضا ان تكون مصلحتها في تطوير صناعة النفط في دولها بسلام وانتظام وان لا تسمح للنفط بان يصبح قضية سياسية بينها وبين الدول المستهلكة »(٢٠) وفي الوقت نفسه بدأت صيحات الاحتجاج على السياسة الاميركية في الشرق الاوسط تعلو حتى في مجلس الشيوخ الاميركي فقد حذر رئيس لجنة الشؤون الخارجية السيناتور وليم فلبرايت الذي يعالج القضايا العربية بطريقة خاصة تنسجم مع مصالح اميركا في المنطقة ، حذر اميركا من مغبة الاستمرار في سياستها الحالية في الشرق الاوسط والتي قد تضطر بعض الدول العربية المنتجة للنفط بان تقطع النفط عن اميركا وسوف يؤدي ذلك حتما الى كارثة في الطاقة باميركا والتي قد تحمل بعض المسؤولين على اتخاذ اجراء عسكري بهذا الخصوص عن طريق « حلفائها اسرائيل وايران » وقد اكد جون سكالي رئيس الوفد(٢١) الاميركي الى الامم المتحدة ان ليس للنفط اي تأثير على سياسة اميركا الخارجية !! رغم ان جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط(٢٢) صرح بان للنفط اثرا في السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط(٢٣).

مقدمات العمل السياسي

نشطت في الاونة الاخيرة المحاولات التي تقوم بها السعودية لتذكير اميركا بالقوة التي تملكها بهذا الخصوص فقد اعلن الملك فيصل للصحفيين في تموز ١٩٧٣ « ان من الصعب على السعودية ان تستمر في علاقاتها الطيبة وتتعاون مع اميركا اذا استمرت

اميركا في سياستها الحالية مع اسرائيل »(٢٤). وكان قد سبقه السيد احمد زكي اليماني وزير النفط السعودي في اعلان الاتجاه نفسه في اذار ١٩٧٣(٢٥). كما أكد هذا الموقف اكثر من مرة وزير الخارجية السعودي السيد عمر السقاف(٢٦). وكان اخر تصريحات الملك فيصل هو ما قاله لمجلة نيوزويك الاميركية « اذا لم تستجب اميركا وقريبا الى احد شروطنا في استمرار زيادة الانتاج ... فعند ذلك سنعيد تقييم الموضوع كما تمليه علينا مصالحنا الخاصة . وفي هذه الحالة ستكون النتيجة الارتفاع في الاسعار وهو ما سيزيد من دخلنا فنضطر الى تقليل الانتاج »(٢٧). وبالطبع اعلن العراق تأييده الكامل لمثل هذه الخطوات ، وكذلك ابدت الكويت الاتجاه(٢٨) نفسه وكذلك أعلنت ابو ظبي(٢٩).

وأهم تلك التطورات هو الموقف الموحد الذي قررت اجتماعات وزراء الخارجية العرب اتخاذه في اثناء مباحثات منظمة الدول المصدرة للنفط(٣٠). وبهذا يمكننا ان نستفيد من الوضع العالمي الحاضر فقد قالت مجلة الايكونوميست البريطانية المعروفة « ان علينا ان نفهم ان تجارة النفط سياسية اكثر من منها عملية اقتصادية »(٣١).

خاتمة :

ان هذه الثروة العظيمة التي بين ايادي العرب وحاجة العالم الماسة اليها يجعلنا لاول مرة نسخر ثرواتنا لخدمة مصلحتنا الحيوية الخاصة فان استمرار التوسع الاسرائيلي يعني انتهاك سيادتنا وبالتالي مصلحتنا الحيوية ، كما ان حاجة اميركا والغرب الماسة لنفط العرب يجعله ضرورة قومية ملحة لهم وتدخل في حساب المشرنين على سياسة الغرب الخارجية .

---

١ — Tareq Y. Ismael, *Governments and Politics of the Contemporary Middle East* (Homewood, III.: Dorsey Press, 1970), p. 19.

٢ — *Daily Star* (Beirut), September 5, 1973. p. 8.

٣ — *Middle East Economic Digest*, January 19, 1973, p. 59.

٤ — *Newsweek*, February 19, 1973, p. 18.

٥ — *International Herald Tribune*, March 21, 1973.

٦ — **الاهرام** ، ١٩٧٣/٣/١٩ .

٧ — *International Herald Tribune*, March 21, 1973.

٨ — Chase Manhattan Bank, Capital Investments by the World Petroleum Industry, November 1961, Nevember 1962, as quoted by George W. Stocking, *Middle East Oil: A Study of Political and Economic Controversy* (Vanderbilt University Press, 1970), p. 424.

٩ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 38, July 13, 1973, p. 11.

١٠ — *London Times*, April 9, 1973.

١١ — *Ibid.*

١٢ — *Middle East Economic Digest*, January 19, 1973, p. 61.

١٣ — *Newsweek*, July 23, 1973.

١٤ — *Ibid.*

١٥ — *Newsweek*, July 23, 1973.

١٦ — *Foreign Affairs*, Winter 1973.

١٧ — *Daily Telegraph* (London), February 15, 1973.

١٨ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 31, May 25, 1973, p. 9.

١٩ — *Ibid.*

٢٠ — *The Daily Star* (Beirut), April 20, 1973.

٢١ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 31, May 25, 1973, p. 9.

٢٢ — *Ibid.*

٢٣ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 2, August 10, 1973.

٢٤ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 38, July 13, 1973.

٢٥ — *Middle East Economic Survey*, April 20, 1973.

٢٦ — *Middle East Economic Survey*, June 1, 1973 and June 8, 1973.

٢٧ — *Newsweek*, September 10, 1973, p. 12.

٢٨ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 35, June 22, 1973.

٢٩ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 45, August 31, 1973.

٣٠ — *Middle East Economic Survey*, Vol. XVI, No. 44, August 24, 1973.

٣١ — *The Economist* (London), July 7, 1973.

الحرب في صحف الضفة الغربية

الصحيفتان الاسبوعيتان اللتان وصلتا من الضفة الغربية ، واللتان صدرتا يوم ٦ تشرين الاول المجيد ، كانتا تتحدثان عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية وعن الامبراطورية الاسرائيلية التي يسعى قادة اسرائيل لتحقيقها على حساب شعوب امتنا العربية . فصحيفة الفجر التي صدرت ووزعت قبل اندلاع المعارك بساعات قليلة، كان العنوان الرئيسي الذي يتصدر صفحتها الاولى : « استمرار الحشود الاسرائيلية على حدود سورية » . أما صحيفة « صوت الجماهير » التي صدر عددها الاول في ١٩٧٣/٩/٢١ ، فقد كان عنوان عددها الثالث الذي صدر ووزع ايضا قبل نشوب المعارك بساعات ، هو : « الف لا للحالمين باقامة امبراطورية اسرائيلية » .

أما بعد اندلاع الحرب ، وبعد ان فتحت صفحة جديدة في تاريخ هذه المنطقة وشعوبها العربية ، فانه كان من الطبيعي ان تتبدل الاهتمامات وان يتقدم بعضها على البعض الاخر . وعليه ، فان من الطبيعي كذلك ان تتبدل اهتمامات الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية وان يتقدم اهتمامها بالحرب ونتائجها المنظورة وغير المنظورة ، عما عداه من الاهتمامات.

اذن كيف كانت الحرب في صحف الضفة الغربية ؟

اولا لا بد ان نسجل في بداية هذا التقرير ملاحظة على غاية كبيرة من الاهمية . وهي أن الصحف ذات الاتجاه الوطني مثل جريدتي «الشعب» و«الفجر» ، اكتفت بابراز اخبار المعارك وسيرها على مختلف الجبهات دون أن تتناولها بالتعليق . وربما منعا لتعرضها للاغلاق او المصادرة ، فانها لم تصدر بافتتاحياتها وتعليقاتها العادية طوال فترة المعارك حتى يوم ١٠/١٨/ ١٩٧٣ . وقد لاحظ ذلك مراسل جريدة « معاريف » الاسرائيلية في عددها الصادر مساء يوم ٧ تشرين الاول حيث قال : انه قد صدرت صباح أمس — الاحد — صحيفة الشعب اليومية التي تطبع في شرقي القدس — المؤيدة لمصر وللمنظمات الفلسطينية — بدون مقال افتتاحي .

وشيئا اخر لاحظه مراسل صحيفة معاريف « ايدي سومر » ، وهو أن : صحيفة القدس اليومية التي تصدر ايضا في شرق القدس ، والتي تعتبر مؤيدة للديوان الهاشمي ، قد نشرت مقالها الافتتاحي والذي يعبر عن موقف الملك حسين في هذه المرحلة ، حيث يحاول عدم التدخل في الحرب دون الاعلان عن ذلك رسميا .

لقد نشرت هذه الملاحظات جريدة الشعب نفسها الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/٨ ، قائلة : لماذا لم يشر مراسل صحيفة معاريف الى سبب عدم وجود الافتتاحية ، ولماذا لم يتساءل عن سبب ذلك ؟؟ والذي يفهم من اشارة « الشعب » هذه ، أن هناك اوامر من سلطات الاحتلال الاسرائيلي بعدم نشر صحيفة الشعب وغيرها من الصحف ذات الاتجاه الملتزم بالنضال الوطني الفلسطيني ، اية افتتاحيات او تعليقات تتناول طبيعة وسير المعارك الدائرة . ونحن محقون جدا في هذا الاستنتاج ، نظرا لمعرفتنا بزيف وهشاشة«الليبرالية الاسرائيلية» التي تحاول بها سلطات الاحتلال ، اخفاء ملامح وجهها العنصري البشع . لذلك فانه من الطبيعي جدا ، ان الصحف التي طلب اليها عدم نشر افتتاحيات تتعلق بالمعارك وسيرها — كما هو واضح من اشارة « الشعب » السابقة ، ان تمتنع بدورها عن نشر أية تعليقات اخرى يمكن ان تصرف اهتمام جماهيرها عن المسألة الاساسية التي تشغل قلب وعقل سائر شعوب هذه المنطقة.

واذا عدنا للتعرف على كيفية تناول الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية لانباء المعارك وسيرها على مختلف الجبهات ، فان علينا ان نفرق هنا بين تناول كل من صحيفتي الشعب والفجر من

جهة وصحيفة القدس من جهة اخرى ، لسير انباء هذه المعارك . وذلك ليس استنادا الى ملاحظة مراسل جريدة معاريف الاسرائيلية التي أشرنسا اليها ، وهي صحيحة جدا ، ولكن استنادا الى قراءتنا لهذه الصحف ومعرفتنا لاتجاهاتها ، خلال الشهور السبعة الماضية*.

صحيفتا الشعب والفجر :

« الشعب » صدرت يوم ٧ تشرين الاول ، اي ثاني يوم المعارك ، تحت عنوان رئيسي يقول : « اندلاع الحرب .. معارك ضارية بين القوات المصرية السورية والاسرائيلية على الجبهتين الشمالية والغربية .. الجيش المصري ينجح في عبور قناة السويس ويرفع العلم على بعض المواقع في الجبهة الشرقية والجيش السوري يخترق خطوط القتال بالمرتفعات ويحتل عددا من المواقع الاسرائيلية ... » . ومما استلفت انتباه « المعلق الدبلوماسي » لجريدة الشعب ان الانباء الصحفية التي وردت من القاهرة ودمشق وبيروت قبل يومين من اندلاع المعارك قد « اعلنت مسبقا عن وجود حشود عسكرية على الجبهتين ، الامر الذي دفع بالقيادة العسكرية الموحدة المصرية والسورية الى اتخاذ اجراءات عسكرية سريعة لمواجهة الموقف المتدهور » وملاحظة اخرى لفتت انتباه المعلق الدبلوماسي للصحيفة ، وهي أن خطاب الرئيس السادات في ذكرى وفاة عبد الناصر « قد جاء خلوا من التطرق الى الموضوعات العسكرية مما أثار حفيظة الاوساط الشعبية واستغراب المحافل السياسية » . وانتقلت الصحيفة بعد اشارتها الى عدد من الملاحظات الاخرى الى وصف وقع انباء المعارك على سكان مدينة القدس بشقيها العربي والاسرائيلي . وندرج فيما يلي النص الحرفي لوصف « الشعب » لصدى المعارك في مدينة القدس كما ورد في عددها الصادر في ١٩٧٣/١٠/٧ ، وذلك للاهمية : « ..أما في القدس بشقيها العربي الاسرائيلي لوحظ ان الامور منذ الصباح كانت تجري بصورة غير طبيعية ، اذ ظهرت في السماء طائرة حربية اسرائيلية في نحو السابعة من صباح امس ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر سمع صوت صفارات الانذار في القدس بشقيها العربي والاسرائيلي ، وكان مدعاة للفت النظر ، وان كان المواطنون للوهلة الاولى لم يعيروا الموضوع اهتماما زائدا الا ان المواطنين الذين اعتادوا سماع الانباء من صوت العرب والقاهرة ، لاحظوا ان المحطتين استبدلتا برامجهما العادية بالاناشيد الوطنية والقومية والمارشات العسكرية . وسرعان ما انتشرت أنباء المعارك انتشار النار في الهشيم . والتف الناس حول اجهزة الراديو في الحوانيت وعلى جوانب السيارات وحول الباعة المتجولين يستمعون الى انباء المعارك . كما أن محطة الاذاعة الاسرائيلية التي كانت مغلقة بسبب عيد الغفران لدى اليهود ، استأنفت البث باللغات العبرية والعربية والانجليزية والفرنسية ، كما لوحظ ان المصلين اليهود في المبكى اخذوا يغذون الخطى في العودة الى مساكنهم . كما حمل جنود الدوريات في الشوارع العربية اجهزة الراديو واخذوا بدورهم يستمعون الى انباء المعارك في الجبهتين المصرية والاسرائيلية . وحيث ان المواطنين اعتادوا العودة الى منازلهم قبل مدفع الافطار ، لوحظ أن اقبال الناس على المشتريات كان أكثر من العادة بقليل . بيد أن الجنود والمواطنين الاسرائيليين اقبلوا على شراء السجاير بينما ظل راديو اسرائيل في نشراته الاخبارية باللغة العبرية يوجه التعليمات الى الاطباء والموظفين ورجال الشرطة وغيرهم بالتوجه الى مراكز اعمالهم . وعززت الدوريات البوليسية والعسكرية ، بالاضافة الى كل ذلك لوحظ أن الاذاعات العربية والاسرائيلية بدأت في استعمال الشيفرة على موجاتها العاملة . ولكن الامر لم يستمر بالهدوء الذي كان عليه قبل الظهر حيث انقلب في المساء الى شيء واضح من التأزم والاستعداد العسكري على نطاق اوسع عندما بدأت سيارات الشرطة في القدس العربية تدعو الناس بموجب قانون الطوارىء وامر الدفاع الى التعتيم ، الامر الذي اضطر اصحاب المقاهي والحوانيت والحلويات الى الاسراع الى اغلاق محلاتهم ، والتزم الناس بيوتهم بهدوء وتابعوا سماع الانباء من شتى المصادر العربية والاسرائيلية وعواصم الدول الكبرى ... » واخذت صحيفة الشعب في اعدادها الصادرة فيما بعد تبرز الاخبار المحلية ، الى جانب المعارك العسكرية ، المتصلة بالحرب ووقعها على السكان العرب سواء

---

* لمزيد من التفاصيل راجع ملحق المناطق المحتلة في « شؤون فلسطينية » عدد ٢٦ .

في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، وفي الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . وكان مجرد ايراد «الشعب» لمثل هذه الاخبار المحلية ، ردا واضحا على ما حاولت اجهزة الاعلام الاسرائيلية الايحاء به من اختلاف التكوين النفسي لعرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ عن العرب الذين احتلت ارضهم عام ١٩٦٧. فقد جاء في أحد الانباء التي اوردتها « الشعب » نقلا عن صحيفة « معاريف » الاسرائيلة : ان عددا من الشباب العرب في باقة الغربية وام الفحم الواقعتين في المثلث قد نصبوا (دبكة) في شوارع قريتهم فرحة بالنصر العسكري الذي حققته الجيوش العربية ضد اسرائيل في اليوم الاول . هذا وقد علمت الشرطة بالامر فقامت باعتقال عدد من هؤلاء الشباب للتحقيق في أسباب تصرفهم حسب اقوال الشرطة . وأوردت الصحيفة خبرا اخر يتعلق باوضاع المناطق المحتلة جاء فيه « ان حركة السير المدنية بين القدس وباقي مدن الضفة الغربية المحتلة شبه مجمدة وكذلك حركة المشاة كانت قليلة . وفهم ان معظم السيارات من (دوبل كابنيه والتندر) قد جرى تسليمها للسلطات حسب طلبها » الشعب ١٩٧٣/١٠/٨ .

وقبل أن نستطرد في مجال متابعة الصحف العربية لانباء المعارك ووقعها على السكان العرب، فانه لا بد من الاشارة الى أن هذه الصحف خاصة « الشعب » — قد بدأت بالتعبير أكثر فأكثر عن وجهة نظرها من خلال صياغتها لتلك الاخبار . فمثلا عندما ذكرت ان عدد الاسرى الاسرائيليين خلال اليومين الاولين للقتال بلغ اثنين وسبعين أسيرا، قالت الشعب « ... ومعظم هؤلاء الاسرى قد سلموا أنفسهم وبعضهم بأسلحتهم ومعداتهم مما يدل على يأسهم من استمرار التمسك بالارض التي احتلوها عنوة وفي ثقة من كفاءة القوات المصرية وقدرتها على الحاق هزيمة كبرى بقوات العدو ، وذلك لاصرار قواتنا على تحرير الارض ... » (الشعب ١٩٧٣/١٠/٩) كما اوردت الشعب في نفس عددها السابق ان الصليب الاحمر أبلغ اهالي المساجين العرب في السجون الاسرائيلية بأن الزيارات لابنائهم قد الغيت بسبب الحالة الراهنة . وقالت تحت عنوان اخر ان سلطات الاحتلال استدعت صباح أمس حوالي ١٢ وجيها من وجهاء مدينتي رام‌الله والبيرة حيث وضعت معظمهم في غرف منفردة من الصباح الى ما قبل الافطار بقليل ، ثم جرى التنبيه عليهم تحسبا من أي « عمل يخل بالامن مع تحميلهم مسؤولية اي عمل يحدث في المنطقة بسبب الاحداث الجارية ». وفي خبر اخر اوردته الشعب في نفس عددها المذكور قالت فيه : « بدت القدس خلال اليومين الماضيين شبه خالية فقد كانت معظم المحلات التجارية مغلقة وانقطعت حركة التنقل بين القدس العربية والقطاع الغربي من المدينة ... اما اخبار قطاع غزة فتكاد تكون مقطوعة تماما حيث انقطع السير بين القطاع واسرائيل والضفة الغربية المحتلة ويعيش القطاع هذه الايام في شبه عزلة تامة . وفي الضفة الغربية ، باستثناء الخليل ونابلس حيث تطغي الحالة التجارية على الاسواق، فان بيت لحم ورام‌الله وجنين وطوكرم واريحا فتبدو الحركة العادية والتجارية شبه مجمدة . أما في قطاعات الريف بالضفة الغربية فقد توقفت حركة السفر للمدن الا في حالات اضطرارية » (الشعب ١٩٧٣/١٠/٩) .

بقي موضوع العمال العرب الذين يعملون في المصانع والورش الاسرائيلية . فقد عنيت وسائل الاعلام الاسرائيلية على هذا الموضوع خصوصا بعد أن وجهت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية نداء لهم بالامتناع عن الذهاب الى اماكن عملهم في المصانع الاسرائيلية . وقد وجدنا في جريدة الشعب الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/١٠ ان العمال العرب قد امتنعوا بالفعل عن الذهاب الى أماكن عملهم الامر الذي أدى الى تعطل اعمال البناء وتجارة الجملة . وفي هذا الخبر ما يؤكد على التفاف العمال وسائر القطاعات الفلسطينية حول الثورة وطرحها لكل الشعارات والنداءات .

وفي يوم ١١ تشرين الاول صدرت الشعب بعناوين متفائلة مثل : « دفة القتال في صالح القوات العربية ... المصريون يتوغلون في سيناء حوالي ٢٥ كيلومترا ، ٦٠٠ — ٨٠٠ دبابة وقاعدة صواريخ مصرية عبرت قناة السويس » . كما أبرزت الصحيفة مشاركة القوات العراقية في القتال واخبار قطع عدد من دول العالم لعلاقاتها مع اسرائيل . بالاضافة الى نشرها صورة فوتوغرافية لصاروخ « فروغ » الذي تحدثت اسرائيل عن أن القوات السورية تستعمله في هذه الحرب .

وبعد اسبوع من القتال كانت عناوين «الشعب»

الرئيسية اشد تفاؤلا ، الى جانب ذلك اوردت بعض الاخبار المحلية الهامة مثل اجتماع الوجهاء في رام‌الله والقدس ومثل ارتفاع الاسعار بنابلس وعدم تعامل التجار الا بالدينار . وفي قطاع العمل والعمال قالت الصحيفة « ولاول مرة وجد الناس من يعرض نفسه عليهم للعمل لديهم بأية اجرة كانت مما يدل على أن عدم السفر للعمل في اسرائيل بسبب الحرب كان من حظ رجال الاعمال والبناء العرب الذين كانوا يتوقفون عن اعمالهم بين اونة واخرى بسبب عدم وجود عمال » (الشعب ١٩٧٣/١٠/١٢) .

أما جريدة الفجر الاسبوعية ، أشد صحف الضفة التزاما ووطنية ، فقد صدر عددها الاول بعد الحرب يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ يحمل عناوين حمراء صاخبة مثل : « يا عمال العرب دمروا منشآت البترول .. اعنف قتال على الجبهة السورية » . وكانت « الفجر » على غرار جريدة الشعب خالية من أي تعليق او افتتاحية فامتلأت صفحاتها الداخلية بسرد المعارك يوما بيوم .وكانت في سردها لسير المعارك تأخذ وجهة نظر الجانب العربي وعواطفه الوطنية .

ولاول مرة يرد ذكر انباء عمليات قوات الثورة الفلسطينية ، في صحف الضفة الغربية ، كان في عدد جريدة الشعب الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ ، حيث نقلت الخبر عن لسان ناطق عسكري اسرائيلي ولكنها صاغته على النحو التالي : « اعترف راديو اسرائيل صباح أمس بتصاعد عمليات المنظمات داخل الارض المحتلة . وقال ان اشتباكا وقع بين قوات اسرائيلية ومجموعة من الفلسطينيين تضم حوالي ٢٠ شخصا مزودين بقذائف صاروخية واسلحة مختلفة . واضاف ان الاشتباك وقع داخل الارض المحتلة قرب الساحل وان أحدا من جنوده لم يصب بأذى » .

وبعد ، فان الذي يشغل المواطن الفلسطيني داخل سجن الاحتلال الكبير ، هو اي الانتصارات ومدى ما تحقق منها على الجبهات المقاتلة . لذلك نجد أن صحيفة الشعب الصادرة يوم ١٠/٥/ ١٩٧٣ تبرز على صفحتها الاولى الانباء المشجعة والمطمئنة عن سير المعارك . فنقلت عن وكالة انباء « الاسوشيتد برس » عن معارك الجبهة السورية « انه لا يظهر ان الاسرائيليين يحرزون اي تقدم في القتال او أنهم كما يقولون يتوجهون الى مناطق قريبة من دمشق » ونقلت عن وكالة الانباء الالمانية « ان القوات العراقية تتولى مهمة اقتحام القطاع الشرقي في الجبهة السورية من الشمال الشرقي لهضبة الجولان ... (وان) الطوابير العراقية تمضي قدما في طريقها » . وكان نشر مثل هذه الانباء على الصفحة الاولى يعني شيئا هاما بالنسبة لعرب الارض المحتلة بعد أن وعد ديان باقتحام دمشق وضرب الجيوش العربية .

صحيفة القدس

انفردت صحيفة القدس دون سواها من الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية خلال الاسبوعين الاولين للحرب ، بنشرها افتتاحية يومية تتعلق بشجون الحرب وشؤونها . وانطلاقا من الخط السياسي المهادن لهذه الصحيفة اليومية ، نشرت افتتاحيتها الاولى بعد نشوب الحرب ، داعية للسلام وتطبيق قرار مجلس الامن الشهير لعام ١٩٦٧ . ورغم ان عناوين صفحتها الاولى والرئيسية كانت تتحدث عن تقدم القوات المصرية والسورية. فقد كتبت تقول : « ... وعليه فان على دعاة السلام الحقيقيين في العالم اذا ارادوا خدمة السلام أن يتداركوا الامر بالقلب المفتوح والعدالة المطلقة ... ان مثل هذه الارادة الخيرة فقط هي التي تكتب للسلام البقاء ولهذه المنطقة التي طالت غيبة السلام عنها الطمأنينة والاستقرار » القدس ١٩٧٣/١٠/٧ .

وعندما دعي مجلس الامن لمناقشة تطورات الازمة بعد نشوب الحرب،بناء على طلب من الولايات المتحدة ، صدرت جريدة القدس تحمل افتتاحية تشرح الاختلاف بين وجهات نظر المجموعات الرئيسية التي يتشكل منها مجلس الامن ، فوصفت المجموعة الاوروبية بانها داعية لحل الازمة عن طريق تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . أما الولايات المتحدة فان موقفها وبالتالي اقتراحاتها سوف تبقي الازمة في جمودها السياسي الذي عاشته منذ سنوات عديدة . وعندما تطرقت « القدس » الى الموقف السوفياتي قالت أن موقفه غير متطابق مع الموقف الاميركي . (القدس ١٠/٩/ ١٩٧٣) .

اما عندما انتهت اجتماعات مجلس الامن للمرة الاولى ، دون التوصل الى اية نتيجة عملية ، علقت « القدس » على مطالبة اميركا بعودة القوات

المتحاربة الى حدود ٥ تشرين الاول بقولها : « لا نعتقد ان احدا يختلف مع نيكسون في ان بناء اطار للسلام يجب ان يكون هو الهدف ، ولكن هل امكن الاتفاق على حدود للسلام الذي يتحدث عنه نيكسون ؟ ان سلاما يقف مفهومه عند الحدود التي دأبت على رسمها السياسة الاميركية مع تجاهل كامل لحقوق الشعب الفلسطيني الذي دارت رحى هذه الحرب وكل حرب سابقة عليها ، وأريقت فيها الدماء لاسباب ابرزها معاناته وتشريده عن ارضه، بل وعدم الاعتراف بوجوده ... ان سلاما هذا شأنه يفقد ابرز مقومات الاقتناع به وتحقيقه » . (القدس ٧٣/١٠/١٠) .

استمرت « القدس » في الايام التالية تناقش الموقف الاميركي وتبسطه للبحث والتعليق . فبعد ان وضح أن مجلس الامن لم يستطع الخروج بالازمة الى افاق التسوية السياسية ، حملت « القدس » مسؤولية كل ذلك الموقف الاميركي المنحاز الى جانب اسرائيل . وقالت في معرض تعليقها هذا : « لقد اصبح متعينا على اميركا بالذات ان تدرك ان الحلول والمبادرات الهزيلة ستكون البذور الصالحة ، والاعداد النفسي والطبيعي لتجدد القتال كلما لاحت فرصة مواتية لتجدده ، **وذلك ما لا يرغب فيه احد ، ولا ينبغي أن يسمح لاحد بابداء رغبته فيه ، لان اجيالا من المواطنين ينبغي ان تنشأ في ظل السلام الحقيقي وتنفتح قلوبها للسلام وحده** . وليس يخلق المناخ الملائم لهذا السلام الا الاعتراف بالحقوق المشروعة للعرب وللفلسطينيين في الارض وفي الحياة والوجود والاستقرار » (القدس ١٩٧٣/١٠/١١).

وبعد ان فشل مجلس الامن للمرة الثالثة بالوصول الى نتائج ملموسة ، حملت « القدس » مسؤولية ذلك هذه المرة للدولتين الكبيرتين . وظهرت افتتاحيتها تحت عنوان « خلاف الكبار » . كما كان عنوان صفحتها الاولى الرئيسي بالخط الاحمر : « الاسلحة الاميركية والروسية تتدفق على المتحاربين » (القدس ١٩٧٣/١٠/١٢) . لكن « القدس » التي تحدثت في افتتاحيات سابقة لها عن الانحياز الاميركي ، لم تستطع ان تظل توازي في موقف الدولتين الكبيرتين ازاء ازمة المنطقة . فعادت في بداية الاسبوع الثاني للقتال ، بتحميل فشل الخروج بحل للازمة الطاحنة ، لموقف الولايات المتحدة الاميركية. ولخصت ذلك بفقرة من افتتاحيتها الصادرة يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ تقول فيها : « ان مجلس الامن ينعقد وينفض ، ثم ينعقد وينفض ، ويتوالى ذلك منه في غير طائل ، ما لم تتجه اميركا الى حيث يتجه العالم كله ، واذ ذاك فقط تدنو من العدل الذي ابدى نيكسون حرصه على ان تلعب حكومته دورها في تحقيقه » .

ان صحيفة « القدس » التي عندما تحمل اميركا مسؤولية الاحداث الراهنة ، تتحدث عن ذلك بحياء وحذر ظلت مشغولة — من خلال افتتاحياتها المتتالية — بشرح وتحليل مواقف الاطراف الدولية المعنية . فمن المساواة بين موقف الدولتين الكبيرتين (القدس ١٠/١١) ، انتقلت الى دعوة حكومة الرئيس نيكسون لتلعب دورها الذي وعدت به لتحقيق السلام العالمي (القدس ١٠/١١) ، انتقلت الى دعوة الدول الاوروبية وحضها على المساهمة بالتسوية المنشودة للازمة ، وجاء في دعوتها هذه أن الدول الاوروبية يمكن ان تتعرض لازمة نفطية ، ليس بسبب قرار عربي ، وانما بسبب من استمرار نشوب المعارك وتعطل امكانيات نقل النفط الى موانئها . (القدس ١٩٧٣/١٠/١٥) .

اما عندما قررت اميركا ان ترسل شحنات الاسلحة الى اسرائيل ، واعلنت ذلك رسميا ، فما كان من « القدس » الا ان وصفت اميركا بدولة « لا تصنع السلام » ، وتتجاهل « حق الشعب الفلسطيني الذي تقوم الدولة الصديقة لاميركا على انقاضه » . وختمت « القدس » تعليقها على هذا الموقف من جانب اميركا بقولها : « ان الاصرار على استيعاب وتمثيل وجهة نظر واحدة في النزاع الدائر في الشرق الاوسط ، لا يسمح مطلقا ، كما لا يترك مجالا للتفكير بتقبل وصف اميركا بأنها « صانعة سلام » . » (القدس ١٩٧٣/١٠/١٦).

عيسى الشعيبي

الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية والقول بان « العرب يريدون إلقاء اليهود في البحر »

عبد العال الباقوري

« لسنا هواة قتل وتدمير انما نحن ندفع عن أنفسنا القتل والتدمير . لسنا معتدين ولم نكن معتدين لكننا لا نزال ندفع عن أنفسنا العدوان . نحن لا نريد الموت لاحد انما ندفع الموت عن شعبنا . اننا نعشق الحرية ونريدها لنا ولغيرنا وندافع اليوم كي ينعم شعبنا بحريته . نحن دعاة سلام ونعمل من اجل السلام لشعبنا ولكل شعوب العالم وندافع اليوم من أجل ان نعيش بسلام . » [الرئيس حافظ الاسد ٦/١٠/١٩٧٣] .

- **« نحن لم نكن مهددين بخطر الابادة عشية حرب الايام الستة ، ولم نقل ابدا او نفكر بوجود احتمال من هذا القبيل . ومن الصحيح ان هذه الفرضية جرى تصورها ابان حرب ١٩٤٨ ، لكنها تكشفت عن ضآلة في الجدية منذ ذلك الحين . »**
- **« انا من جهتي لا استعمل التعريف عن تدمير اسرائيل ، لان مغزى هذه الكلمات في معناها المألوف هو الافناء الجسدي لمليون من اليهود او الغزو الفعلي لاراضي دولة اسرائيل او الامران معا . ومثل هذا الخطر لم يكن قائما » (عشية عدوان حزيران ــ يونيو ــ ١٩٦٧) . [حاييم بارليف ، نيسان وتموز ١٩٧٢] .**

مهد جهاز الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية والامبريالية لعدوان حزيران بحملة مكثفة وواسعة النطاق ، تم اعدادها مسبقا . وشملت هذه الحملة العالم كله تقريبا، وركزت بصفة خاصة على امريكا الشمالية واوربه الغربية.وبتأثيرها ــ وبتأثير عوامل اخرى عديدة ومتشابكة ــ استطاعت اسرائيل والصهيونية العالمية استنفار الرأي العام وأغلب القوى الفاعلة داخل هذه الدول ، ضد العرب وزعمائهم ، مع ضمان التأييد والمساندة لاسرائيل .

وقد اعتمدت هذه الحملة الدعائية ــ فيما اعتمدت عليه ــ على ترويج ونشر فكرة رئيسية هي : أن اسرائيل ، الضعيفة المسالمة ، في خطر حقيقي من جراء هجوم وحشي تقوم به الذئاب العربية المصممة على تدميرها ، والقضاء عليها ، وكان الشعار المحوري في هذه الحملة هو ترديد ان العرب يعلنون ويصرحون ليلا ونهارا بأن هدفهم « القاء اليهود في البحر » ، وقد جاء ذلك على ألسنة زعمائهم ، وصحفييهم ومعلقيهم السياسيين .. واستندت أدوات الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية ، في نشر diffusion هذا الادعاء، على الاقتباس بعد تصريحات بعض الزعماء العرب ، والمقالات الصحفية ، بل والرسوم الكاريكاتورية ، مما راج في الايام السابقة على العدوان ، وأغلبها اقتباسات يمكن ان تحمل او تفسر ــ اذا أخذنا بظاهر معناها ــ على أنها توحي بذلك .

وكانت الحملة الدعائية ضد العرب ، من التركيز والضخامة والانتشار ، حتى قيل ان اسرائيل استطاعت كسب المعركة قبل ان تبدأ باطلاق اول رصاصة(١)، بمعنى أنها هيأت الاذهان لقبول ما كانت تعد له وتدبره .

ولم يكن صدفة التركيز في هذه الحملة على اذاعة ونشر تعبير « العرب يريدون القاء اليهود

في البحر » ، ذلك أن الحملة كانت تعرف اهدافها، كما أن مخططيها على وعي كبير بالجماهير التي تخاطبها ، تعرف مدى حساسيتها نحو ما يمكن ان يمثل « اعتداء » على « اليهود » فالذهن الاوربي والامريكي بصفة عامة يختزن ذكريات خاصة من حملات اضطهاد « اليهود » وما تعرضوا له في تلك البلاد ، مما ولد عنده حساسية خاصة تجاه ما يعرف « باللاسامية » او معاداة اليهود ، وهو العامل الذي تلاعبت به الدعاية الصهيونية كثيرا ، وغذته وضخمته بشكل كبير .

القول بأن « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » ، رغم انه أشيع بشكل واسع في الحملة الدعائية التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) — وربما حتى الان(٢)، الا انه ليس اختراعا حديثا لقد صكته الدعاية الصهيونية مبكرا ، وحاولت ان تشرعه دائما في وجه العرب ، كاتهام مسلط، لتكسب به عاطفين عليها ، ومؤيدين لاهدافها ، تستعديهم جميعا ضد العرب ، هذا ، في وقت كان العرب لا يتحدثون عن مواطنيهم « اليهود » الا بقولهم : انهم منا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وهنا نلاحظ ان تداول الدعاية الصهيونية لهذا التعبير يروج رواجا كبيرا في حالتين : اذا ما شعرت الصهيونية ان مخططها يواجه أزمة او عقبة ما ، تعوق تنفيذه او اكتماله ، او اذا ارادت ان تخطو خطوة جديدة نحو تحقيق اهدافها ، وصولا بها الى الهدف الاعلى : اسرائيل الكبرى .

وبينما كانت القوى الصهيونية تشنع على العرب زاعمة أنهم « يريدون القاء اليهود في البحر » كان زعماؤها هم الذين يتحدثون بصراحة وبدون مواربة، ويخططون بنشاط وجد ، ويعملون بسرعة كبيرة وصولا الى : « القاء العرب في الصحراء » بل ان اكثر زعماء الصهيونية وروادها كانوا يسقطون الوجود العربي في فلسطين من حسابهم ، ففلسطين أرض بلا شعب ، يجب أن تعطى لشعب بلا أرض! حسب الشعار الصهيوني الذائع الانتشار . والقضية هنا ليست قضية كلام او مجرد شعار، فقد نفذ هذا الشعار بدقة وبحسم ، وفي مراحل متتابعة ومرسومة . فالمعول عليه هنا اذا ما كان العرب قد القوا « باليهود » في البحر حقا أم لا ؟ واذا ما كان العرب قد انتزعوا شعبا من وطنه وارضه وسلخوه منه وشردوه ، في صورة لم يعرف لها التاريخ مثيلا ؟

من هذا العرض الموجز ، نستطيع ان نضع أمامنا ثلاثة افتراضات رئيسية :

الاول : ان يكون العرب قد قالوا فعلا بالقاء اليهود في البحر .

الثاني : أن العرب لم يقولوا بالقاء اليهود في البحر ، وأن التعبير — أصلا — من خلق الدعاية الصهيونية .

الثالث : أن يكون بعض العرب ، نفر قليل منهم قد تورط في قول ذلك ، ولكن بمعنى خاص، ليس هو المعنى الحرفي لهذه العبارة ، وانما هي على الارجح تعبيرات تدخل في اطار « التشنجات الخطابية » التي ينساق وراءها هذا الحاكم العربي او ذاك في محاولة لارضاء الجماهير او كسبها والحصول على تصفيقها .

هذه الافتراضات الثلاثة يمكن أن نعرض لها من جانب تاريخي يحاول البحث عن موقف العرب تجاه « اليهود » ، خصوصا منذ بدأت الهجرة الصهيونية الى فلسطين تتزايد على نحو خطير منذ السنوات التي تلت الحرب العالمية الاولى مباشرة حين بدأت الامبريالية العالمية تعد فلسطين لتكون « الوطن القومي لليهود » . وفي مقابل ذلك، لا بد ان يكون واضحا في ذهننا ما اذا كان يعد الصهاينة للعرب : ما الذي كانوا يقولونه ، ويفعلونه بحيث انتهى — او بتعبير ادق وصل بهم — الامر الى ما هم عليه اليوم : عدوانا وتوسعا على حساب الارض العربية وتشريدا لسكانها . وفي ضوء ذلك نحاول ان نتلمس الطريق وصولا الى القول بأن هذا الشعار ليس ابن الايام التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ ، بل هو تعبير قديم ، متجدد ، وسيظل يتجدد طالما بقيت اسرائيل في موقف المنتصر والمتفوق عسكريا وهو تفوق وانتصار يجعل كلمتها قابلة للتصديق، خاصة مع امتلاكها لجهاز قوي وقادر على قلب الحقائق ، في حين يفتقد العرب ، وجود نظير له(٣).

ونأتي اخيرا الى الملابسات الدعائية ان صح هذا التعبير لعدوان حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧: نرصد جانبا واحدا من الصورة ، هو تصريحات المسئولين العرب لنرى هل نادى احد منهم بالقاء اليهود في البحر ، وهنا نقف قليلا امام التصريح الذي نسب الى السيد احمد الشقيري حين كان رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ونخلص من ذلك الى مناقشة ما الذي عنساه بعض العرب حين قال مثلا : «تدمير اسرائيل» او « القضاء عليها » ، وغير ذلك من الالفاظ التـي توحي لما يقرب من المعنى الذي روجته الدعـــاية الصهيونية ــ الاسرائيلية ، ثم ما الاسباب التي جعلتهم يتساقون وراء مثل هذه الكلمات ، ولنر في الوقت نفسه ان كثيرا من التصريحات العربية المسئولة والاقرب حقا الى التعبير عما اراده ويريده العرب ــ قد حذفها العقل الدعائي الصهيوني واهال عليها ركاما كثيفا من الغبار ، لان الاشارة اليها او مجرد الاعتراف بوجودها ليس في جانبه ولا في جانب الاهداف التي يسعى لتحقيقها وفـي الوقت نفسه ايضا سنكتشف ان الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية ملأت الدنيا صراخا وعويـلا : « انقذونا .. انقذونا .. نحن في خطر ، العرب يريدون القاءنا في البحر » بينما كان القادة والزعماء والمسئولون الصهيونيون والاسرائيليون يعرفون ان العرب ليسوا مصممين على خوض حرب ولا شن قتال ، وانهم اذا فعلوا ذلك فهم أضعف ــ حسب التوقعات الاسرائيلية وقتئذ ــ من تحقيق انتصار عسكري على اسرائيل في ظل الاوضاع العسكريـة القائمة وقتئذ فكيف يستساغ اذن القول بأن العرب كانوا مقدمين على القاء اليهود في البحر ؟

وهكذا ، يمكن ان تتكشف لنا الحقيقة عن هذا التعبير : « العرب يريدون القاء اليهود فـــي البحر». اذن لنتابع القصة التي لم تتم فصولها بعد.

تشويه الطابع القومي العربي :

من المتفق عليه ان الدعاية ــ في حد ذاتها ــ ليست هدفا ، وانما هي وسيلة لتحقيق هدف ، وقد تحدد زمانا ومكانا في غالب الحالات. والحركة الصهيونية وعت منذ نشأتها اهمية العمل الدعائي في تحقيق اهدافها ، ولا أدل على هذا من ان نقلب يوميات هرتزل « ففيها شواهد كثيرة على صدق ما نقول . ولا مجـــال للخوض في الحديث عن الدعاية الصهيونية والاسرائيلية علينا ان نتذكر فقط انها تمتاز بعدة ميزات من اهمها :

١ ــ دعاية منظمة ومخططة ذات اهـــداف استراتيجية واضحة ولذلك فهي تسبق الاحداث وتواكبها ولا تأتي في اعقابها ، وتتبع ازاء كل حدث ما يلائمه من المضامين والاساليب ويتلاءم والجهود الذي تخاطبه والمرحلة التاريخية التي يقع فيها، فهي تعي اهمية عنصر التوقيت كما تفهم اهميـة المرحلية وما تفرضه من مرحلة تاريخية(٤).

٢ ــ انها دعاية تكرارية بمعنى انها تعتمـد على تكرار مجموعة من القضايا او الادعـــاءات وتلح عليها بقصد تثبيتها وترسيخها ، حتـى تصبح وكأنها « حقائق » لا يأتيها الباطل من بين يديهـا ولا من خلفها . فحين يصبح المرء ويمسي علـى فكرة تتسرب اليه بطرق شتى : تطرق اذنيه مـن خلال المذياع ، وتتجسم امامه صورا مرئية من خلال التلفزيون ، ويراها كلمة مقروءة من خلال الصحيفة او المجلة وتتردد امامه على يد اناس متعددين وتطارده في البيت او في العمل واحيانـا لا تتركه حتى وهو في السرير الا حين يسلم عينيه للنوم ، عندئذ لا يجد المرء مفرا امام هذا الحصار من الانصياع او على الاقل التأثر بهذه الفكـرة بدرجة او اخرى ، وهو تأثر غالبا ما ينقلب الى قبول بها ثم اعتناقها والتشيع لها والاستعـداد للدفاع عنها وهذه هي نقطة القوة الاساسية في الدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية . ويتضح هذا بصفة خاصة في حملاتها التي تسبق قيامها بـأي عدوان جديد ومن المعروف ان من اهم القضايـا التي تدور حولهـا هذه الدعايـة : الحديث عن المعجزة الاقتصادية الاسرائيلية ، انقاذ « اليهود » المضطهدين في العالم لا يكون الا بوجود اسرائيـل قوية ، اسرائيل حصن الديمقراطيـة في الشـرق الاوسط ، اسرائيل ضعيفة محاطة بذئاب يريدون الفتك بها ... وغير ذلك . ويبرز في هذا الاطار الادعاء القائل بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر . والعقل الدعائي الصهيوني ــ الاسرائيلي يدرك ان هذه « أكاذيب » في الاصل ، ولكنه قد تعلم من سادته النازيين ان الكذبة كلما كانت كبيرة وكلما اعيد تكرارها وترديدها ، كلما كان لها اثرها في تشكيل الرأي المطلوب تشكيله وباختصار كلما كانت الكذبة كبيرة سهل بلعها .

الهدف الرئيسي او احد الاهداف الاساسيـة للدعاية الصهيونية ــ الاسرائيلية هو « تشويـه الطابع القومي العربي » ، تلطيخ صورة العربي من حيث هو انسان ووصفه بعدد كبير من المثالب والنقائص هنا يعن لنا ان نتساءل لماذا اذن ركـز جهاز الدعاية الصهيونية الاسرائيلية في التمهيـد لعدوان حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ على القول بأن « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » ؟

لقـد عاشت الدعايــة الصهيونية ووريثتهـا الاسرائيلية على المتاجرة بالكـوارث التي حلـت

باليهود عبر التاريخ ، خاصة في العصر الحديث لدرجة ان الموالين للصهيونية يعتبرون ان النازية وفرت لهم بعد الحرب العالمية الثانية حجة أدبية لا يستطيع العالم غير اليهودي رفضها او ردها . نكل « مصيبة » حلت باليهود هي سلاح دعائي في يد الصهيونية واسرائيل وهو السلاح الذي شرعته للقول بأن قيام « اسرائيل » هو الحل الوحيد والصحيح للمشكلة اليهودية وتمكنت الصهيونية واسرائيل من تثبيت هذا الادعاء عالميا وانطلقت منه لتقول ان هذا الحل مهدد باستمرار وقابل للضياع . لماذا ؟ بسبب العداء العربي ، بسبب التعصب الديني والعنصري ، وهو التعصب الذي يدفع بأصحابه الى التصميم على القاء « اليهود » المعذبين والمضطهدين والمستضعفين و .. الخ الى البحر . وتضيف الدعاية الصهيونية تكملة لدائرة الاستعداء ضد العرب فتقول : ان هؤلاء العرب لديهم أرض شاسعة وواسعة تتسع لملايين أخرى من السكان بينما اسرائيل مجرد نقطة على الخريطة العربية ولكنها نقطة متقدمة والعرب المتخلفون لا يريدون ان يروا دولة متقدمة والهمج لا يريدون دولة متحضرة والكسالى لا يريدون دولة نشيطة ، والجهلة لا يريدون دولة تكون منارة للعلم والحضارة ... لذلك يريدون التخلص منها بالقاء سكانها ، « اليهود » في البحر .

اذن فتعبير أن العرب يريدون القاء اليهود في البحر هو نقطة مركزية وقضية محورية في مضمون الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية . انه يكاد يلخص جوهر الموقف الصهيوني بالكامل . القاء اليهود في البحر : تلخيص مركز لكل التشويه الذي تريد اسرائيل ان تلخصه بصورة الانسان العربي والطابع القومي العربي بصفة عامة وبحقيقة موقف العرب تجاه « اليهود » من حيث هم يهود .

لهذا كله كان اهتمام الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية والامبريالية عشية العدوان (بترديد هذه العبارة) لانها عبارة « مرجعية » تثير معان كامنة كثيرة ، اثارتها لا تتطلب اكثر من ذكر هذا القول . فقد قيل ان راديو بون — حسب رواية أحد الاصدقاء الذين كانوا في المانيا الغربية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ — استخدم هذه العبارة ٣٥ مرة في اليوم الاول من ١٩٦٧ في معرض متابعته وتغطيته لاحداث هذا اليوم . فهل هذا حقا هو موقف الانسان العربي تجاه « اليهود » ؟

في الاجابة على هذا السؤال نحاول العودة قليلا الى الوراء ، الى التاريخ القريب فلسنا في حاجة الى الحديث عن المعاملة التي لقيها « اليهود » في ظل الدولة الاسلامية ، ولا موقف العرب ، مسلمين ومسيحيين ، تجاه « اليهود » كأصحاب رسالة سماوية . نقطة بدايتنا هي المرحلة التي تنبه فيها العرب على خطورة « المشروع الصهيوني » عن اقامة دولة يهودية في فلسطين او وطن قومي لليهود كما سمي في البداية .

« لهم ما لنا وعليهم ما علينا »

كان رد الفعل العربي — في فلسطين وغيرها من الاقطار العربية — تجاه « وعد بلفور » ، وضد المخطط الصهيوني رد فعل وطنيا وقوميا ، ولم يكن بأي حال رد فعل عنصريا او دينيا . وعكس العرب بذلك تراثا طويلا في التسامح بين الاديان ، كما عبروا عن احد المبادىء التي ارسلتها الحركة القومية العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر ، مبدأ « الدين لله والوطن للجميع »(٥). لذلك لم يقاوم العرب هذا الوعد لانه وعد ممنوح « لليهود » كأتباع دين سماوي معين ، وانما قاوموه لانه اعتداء على حقوقهم في التحرر والاستقلال وتقرير المصير . ورد الفعل هذا لم يكن ليختلف كثيرا لو ان الوعد منح لمسلمين او مسيحيين من مواطني اية دولة اخرى، يأتون ليقتلعوا سكان البلاد منها ، كيف لا وقد ثار العرب ضد « الخليفة » المسلم ، وضد الاتراك المسلمين ؟

وقد تنبه العرب — رغم حنقهم ضد «الحليفة» بريطانيا التي نقضت عهودها معهم ورغم انزعاجهم من المشروع الصهيوني — الى التفرقة بين « اليهود » كأصحاب دين ، وبين الصهاينة كدعاة عاملين على « اقامة الوطن المسمى باليهودي » ، ومن ثم فرقوا بوضوح بين « اليهود » من ابناء البلاد ، وبين الصهاينة المهاجرين . وعبر زعماء العرب في فلسطين عن موقفهم هذا في مناسبات عديدة ، كما عبرت عنه اجهزتهم الرسمية والشعبية المختلفة سواء في داخل فلسطين او خارجها .

واذا كان العرب قد نادوا وتنادوا بعد الحرب العالمية الاولى الى منع الهجرة « اليهودية » (= الصهيونية) الى فلسطين ، فان هناك حقيقة تاريخية لا بد من ذكرها في هذا المجال ، وهي

ان دخول « اليهود » كافراد الى فلسطين لم يكن يثير اي تساؤل من جانب العرب قبل سفور الصهيونية عن وجهها العدواني ، الا فيما يتصل بالاجراءات العادية التي تتخذ قبل اي أجنبي يبغي الاستقرار في البلاد . وشيئا فشيئا ، بدأت تظهر وتنمو روح المقاومة العربية ضد الهجرة « الصهيونية » حين بدأت هذه الهجرة تتزايد وتتضخم ، وعندما حاول الصهاينة فرض سلطانهم على البلاد عن طريق الرشوة وتقديم المنح السخية الى من في يدهم مفتاح الباب الذييدخلون منه للاستيلاء على فلسطين .

السبب الاساسي اذن للموقف العربي المعارض للصهيونية يتلخص في ان اهل البلاد لم يكن متوقعا منهم الاستجابة لايديولوجية وحركة تسعى الى حرمانهم من وطنهم ، فهبوا يرفضون اي محاولة تستهدف القضاء على الطابع العربي لبلادهم ، واعلنوا ذلك بوسائل مختلفة : من خلال قرارات المؤتمر السوري الاول ، ومن خلال قرارات الجمعيات المسيحية — الاسلامية التي تكونت في فلسطين نفسها ، او من خلال المذكرات العديدة التي رفعت لمؤتمر الصلح ، وللحاكم العسكري في فلسطين ، وغير ذلك .

وفي كل ذلك لم يتحدث العرب عن « القاء اليهود في البحر » ، بل وصفوا « اليهود » من ابناء وطنهم بأنهم : « اخواننا لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا » . وهو التعبير الذي شاع استعماله على ألسنة الفلسطينيين في تلك الفترة — أعقاب الحرب العالمية الاولى . وهذه نقطة يجدر التفصيل فيها بعض الشيء .

عندما علم العرب بـ « وعد بلفور » ، ثارت مخاوفهم من الاهداف الكامنة وراءه . وتحركت بريطانيا لتحافظ على ولاء « حليفها » الشريف حسين ، مؤكدة له ان الاستيطان اليهودي في فلسطين « لن يتعارض مع استقلال العرب في تلك البلاد » . وكان من مصلحة الشريف أن يصدق تطمين حليفته له ، معتبرا ان « اليهودية » كدين لا تمت الى الصهيونية السياسية بصلة(٦). وبناء عليه ، كتب مقالة في جريدته الرسمية « القبلة » في ٢٣ اذار (مارس) ١٩١٨ ، ذكر فيه عرب فلسطين بأن « كتبهم المقدسة وتقاليدهم توصيهم بواجبات الضيافة والتسامح » وحضهم على الترحيب باليهود ، والتعاون معهم في سبيل المصلحة المشتركة(٧). وهذا رأي لا يستطيع احد أن يلمس فيه اي شبهة لتعصب ديني او عرقي .

والموقف نفسه التزمه الامير فيصل (الملك فيما بعد) حين اذاع في الخامس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ بلاغه الى اهالي سورية المحترمين ، الذي اعلن فيه انشاء ادارة عرفية على «سورية». وقد جاء في هذا البلاغ انالحكومة التي تكونت : « تنظر الى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم واديانهم نظرا واحدا ، لا تفرق فيالحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي»، وكلمة الموسوي في لغة ذلك العهد معناها « اليهودي »(٨).

وكل الوثائق التي صدرت عن عرب فلسطين في تلك الفترة تفصح عن موقف لا يعرف التعصب ولا يقبل به ، بل ينبذه ويرفضه . ومن هذه الوثائق يمكن ان نذكر ما يلي :

● **احتجاج الفلسطينيين المنفيين الى هيئة السلم العام ووزارة الخارجية البريطانية على الصهيونية والحالة في فلسطين بتاريخ ١٢ — ١٢ — ١٩١٨ جاء فيه ما يلي :(٩):**

« ان اليهود في فلسطين لا يتجاوز عددهم ثمن عدد العرب الاهلين ، وليس لهم في الاراضي اكثر من ثلاثة في المائة . أفيجيز العدل هضم حقوق الاكثرية المطلقة ؟. اما اخواننا اليهود ، سكان الوطن الاهليون، فهم اخواننا في السراء والضراء، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، نعيش واياهم في ارغد عيش ، نتمتع كلنا بالحرية الشخصية ... نرفع شكوانا الى الحلفاء العادلين ، ونحتج على الصهيونية التي تثير التعصب الديني في القرن العشرين والاثرة والانانية والطمع الخبيث الذي جر على الانسانية بلاء هذه الحرب ، اي الحرب العالمية الاولى . هذه الكلمات تقول شيئا هاما في القضية التي نحن بصددها ، تقول ان من أسباب رفض العرب للصهيونية كونها « تثير التعصب الديني في القرن العشرين » وأنها بذلك ستكون خميرة لتوليد « تعصب مضاد » نحن لا نريده ولا نبتغيه ، وليس من المصلحة اثارته ، والصهيونية حين تفعل ذلك ستكون خميرة الفوضى والاضطراب في هذه المنطقة من العالم . وقد تحقق ذلك فعلا .

● **قرار الجمعية الاسلامية — المسيحية في القدس الى الحاكم العسكري ، بتاريخ ٢٤ اذار (مارس) ١٩١٩ (١٠):** حدد هذا القرار ستة

مطالب ، احدها : « اعـادة من هاجروا الـى فلسطين بقصد الاقامة الى اماكنهم الى ان يعطى القرار الاخير » فالقرار لا يتفوه بالتهديد بالالقاء في البحر ، او الابادة ، ولكنه يدعو الى الاعادة من حيث اتوا ، الى ان يتخذ القرار النهائي بخصوص موضوع الهجرة . ولكن الفكر الصهيوني يديـن حتى هذا الموقف الذي يطالب بعودة المهاجريـن الصهاينة الى بلادهم من حيث أتوا ، ويصر على مطالبة العرب بأن يفسحوا الطريق لهم للاستقرار والاستيطان ، لان هذا حقهم « الالهي » في أرضهم ووطنهم ، اما العرب فأمامهم الصحراء واسعة !

● **وثائق المؤتمر السوري الاول ومقرراتـه ونتائجه ومنها :**

أ ــ في جلسة افتتاح المؤتمر ، في الثاني مـن تموز (يوليو) ١٩١٩ طالب الملك فيصل المؤتمـر « بسن قانون اساسي يكون دستور اعمال الامة في المستقبل ويحفظ حقوق الاقليـات في البلاد » وخاطب اعضاء المؤتمر بقوله : « لانكم تعلمون ، ايها الاخوان ، ان الترك هضموا حقوق الاقليـة فيجب علينا نحن مراعاة هذه النقطة » . ووافق المؤتمر في اليوم نفسه على قرار يقضي بتنظيـم « قانون اساسي تراعى فيه حقوق الاقليات »(١١). و « اليهود » من اهل فلسطين كانوا احدى هذه الاقليات .

ب ــ وقد اتخذ المؤتمر في اليوم نفسه قرارا جاء فيه(١٢): « اننا نرفض مطالب الصهيونيين ، بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية ، اي فلسطين ، وطنا قوميا للاسرائيليين ، ونرفـض هجرتهم الى اي قسم من بلادنا : لانه ليس لهـم فيها ادنى حق ، ولانهم خطر شديد جدا علـى شعبنا ، من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي. أما سكان البلاد الاصليون من اخواننا الموسويين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

● **شهادات ومذكرات العرب امام لجنة كينج ــ كراين** : يمكن القول بصفة عامة انه ما مـن وفد عربي قابل هذه اللجنة الا وأكـد أمامهـا التمسك بمبدأ ان « اليهود » من مواطني فلسطين « اخوان لنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينـــا » . وجرى تأكيد هذا المبدأ بأشكال ومظاهر متعددة . كانت اللجنة ، او الوفد ــ على حد تعبير صحيفة « الكوكب » على اساس ان اللجنة موفدة مـن قبل مؤتمر الصلح ــ في القدس وفي كل مكان نزل فيه يسأل عن نفوس كل طائفة من الطوائـف في البلاد . وكان يسأل المسلمين عن الطريقة التـي يعاملون بها الاقلية . فأجمعت الاجوبة تقريبا على ان الاقلية تعامل بعد الاستقلال بالمساواة التامة، فلا يعقل أن يصدر من الاكثرية اجحاف بحقـوق الاقلية ، في حين ان الامة تريد ان تبرهن للعالم أجمع عن اهليتها لان تحكم نفسها بنفسهـا ... ومن اليوم التالي لوصول اللجنة الى القـدس علقت الجمعيات العربية ألواحا كبيرة بالقرب مـن البلدية ، كتبت عليها عبارات منها عبارة تقول : « المسلم والمسيحي واليهودي الوطني اخـوان وشركاء في الاستقلال »(١٣).

وهذا الموقف نفسه وجدته لجنة كينج ــ كراين عند العرب غير الفلسطينيين . ففي عمان مثلا ، وجهت اللجنة الى اعضاء « نادي البلقاء »السؤال التالي : « ما هي حقوق الاقلية عندكم ؟ » . وكان الجواب : « لا فرق بين مسلم ومسيحي ويهودي، وعندنـا للاقلية مـا للاكثريـة مـن الحقوق في البلاد ... »

وحين سألت اللجنة : لماذا ترفضون المهاجـرة الصهيونية ؟ ، كان الجواب : لانها تضر بفلسطين جارتنا وشقيقتنا العربية ، يسوءنا مـا يسوءها ، ولان الصهيونيين يحاولون الاستيلاء على البـلاد، أما اليهود القاطنون فيالبلاد قبلا فهم اخواننا(١٤).

هذا هو موقف العرب تجاه « اليهود » واضح جلي ، وبعيد عن اي مظنة للتعصب دينيا كان أو عنصريا ، فماذا كان موقف الصهاينة تجاه العرب كما حددته لجنة كينج ــ كراين نفسها ؟. لقد جاء في تقريرها : « الحقيقة التي وقفت اللجنة عليها في أحاديثها مع ممثلي اليهود هي ان الصهيونيين يتوقعون ان يجلوا السكان غير اليهود من فلسطين بشراء الاراضي منهم »(١٥). وعبـارة « شراء الاراضي منهم ــ أي من العرب » كانت مجـرد شعار فقط ، خاصة في فترة كانت قوة الصهيونية ضعيفة ، لم يشتد عودها العدواني بعد ...

من الوقائع الجديرة بالتسجيل هنا ، ما يرويه المؤرخ السوفييتي شليستر(١٦). في عام ١٩٢٠ نشبت ثورة فلاحية في الجليل الاعلى ، وكان وقتئذ ضمن منطقة الاحتلال الفرنسي ، بدأت بامتنـاع الفلاحين عن دفع ايجار الارض للملاك . وتقـدم جيش الاحتلال لاخماد الثورة ، وجرت اشتباكات مسلحة بين الفلاحين الثائرين والقوات الفرنسية.

كانت توجد في منطقة « الثورة » مستعمرة يهودية كبيرة هي « المطلة » ، ومسكنان كبيران بجوارها للعمال . وكان عدد السكان اليهود في المنطقة يقدر ببضع مئات من الاشخاص ، هرب العدد الاكبر منهم في بداية « الثورة » ، مع ان قادتها شددوا في تصريحاتهم بانهم لا يفكرون بهذا النوع من الحرب ضد « اليهود » ، وبأن علاقتهم مع اليهود من السكان الاصليين لا زالت علاقة طيبة كما هو الحال من قبل ، وبأنهم يكافحون ضد الفرنسيين فقط ، وينتفضون ضد الذين يريدون قسرا اقامة نير السلطة الاجنبية على الفلاحين .

ويكمل شليستر روايته قائلا : ان هذه التأكيدات العربية لم تمنع النقيب العسكري الانجليزي « ترومبالدور » من قيادة العمال اليهود المعميين بالشوفينية في سبيل « حماية شرف الراية اليهودية » . وفي غمرة كفاح الفلاحين غير المالكين في سبيل ارضهم وحريتهم وقف « رواد » و« ابطال » الاستعمار الصهيوني الى جانب المحتلين الفرنسيين، وساندوا مضطهدي الفلاحين.

هؤلاء الرواد انفسهم سيحملون هذه المهمة على عواتقهم ، ويأخذون مسئولية اضطهاد الفلاحين العرب وطردهم من ديارهم.هذه القصة تعبير مكثف عن موقف العرب من جانب وموقف الصهاينة في الجانب الاخر : العرب يعلقون ان « اليهود » لن يمسهم سوء ، فيرد « الابطال » و « الرواد » زعماء « الاشتراكية الصهيونية بتوجيه نيران اضطهادهم ضد العرب .

وتمر سنوات ، وتكشر الصهيونية أكثر عن نواياها ، وتتبدى هذه النوايا على حقيقتها ، وتبدأ الخطوات لاعداد فلسطين لتكون « الوطن القومي لليهود » ، أي للصهاينة . فهل يتغير موقف العرب تجاه « اليهود » ؟

لنواصل بحثنا ، في محاولة للرد على هذا التساؤل معتمدين على الوثائق والوثائق وحدها .

في مذكرة قدمتها اللجنة التنفيذية الى وزير المستعمرات البريطاني بتاريخ ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٢٥ ، نقرأ ما يلي(١٧):

« ان العرب وهم في فلسطين يطلبون حقهم في الحكم التشريعي ، لم يريدوا قط ان يغمطوا حقوق اليهود الذين يساكنونهم ، ولكنهم يريدون أن يتمتعوا بحقهم باعتبار أنهم أكثرية ساحقة في العدد والمصلحة ، وباعتبار أنهم وعدوا بوعود صريحة ، وباعتبار ان عهد جامعة الامم يخولهم ذلك مع حفظ حق اليهود الوطنيين في الاشتراك في الادارة والتشريع بحسب نسبتهم ، اما اليهود المهاجرون — أي الصهاينة — فيمكنهم ان يتركوا فلسطين راجعين الى بلادهم ، كما يقول تقرير للجنة(١٨) نفسها مرفوع الى لجنة الانتدابات في عصبة الامم في أيار (مايو) ١٩٢٧ ، وذلك حتى « لا تصيبهم مصائب هم المسؤولون عنها » ببقائهم في ارض ليست لهم ، وفي وطن ليس من حقهم . وهكذا فلا تهديد ولا وعيد من جانب العرب ، وانما مجرد تحذير فقط من النتائج التي يمكن ان تترتب على استمرار « الصهاينة » في البقاء في فلسطين ، واستمرار افواجهم الجديدة في التدفق عليها .

ويزيدنا رئيس اللجنة التنفيذية ، موسى كاظم باشا الحسيني ، توضيحا لهذا الموقف العربي تجاه « اليهود » ، فيقول في حديث صحفي في العام نفسه(١٩)، حين سئل عن مدى الميل عنده للتفاهم مع « اليهود » ، يقول : « لهذه المسألة وجهان : الاول : اننا نقبل الوطنيين على الرحب والسعة ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ولكننا لا نقبل مبدأ الوطن القومي ، أصلا كفكرة سياسية تنطوي على تغلب اليهود وطغيانهم على الوطن . وانما يمكن اذا قامت في البلاد حكومة دستورية مسؤولة ان يسن قانون للهجرة ، ولا مانع عندئذ ان يهاجر اليهود الى فلسطين في حدود القانون وعلى قدر موارد البلاد الاقتصادية .

«واليهود يزعمون أنهم يريدون التفاهم والتسوية ولكن دون مراعاة النسبة في الانفس والمصالح ، أعني أنهم يريدون أن تكون التسوية على أساس التناصف والمساواة ، وهم يعتبرون كل اليهود الذين يطمحون الى الهجرة وما زالوا خارج فلسطين او من مكث منهم في البلاد اياما فقط فلسطينيا وطنيا يجب ان يسوى بالوطني في كل شيء » .

كشف موسى باشا في هذا الحديث عن موقف أكثر مرونة ولينا تجاه الهجرة « اليهودية » ، فهو لا يطالب مثلا باعادة المهاجرين ، بل نلاحظ انه لا يمانع حتى في الهجرة المحدودة والمشروطة بالقانون، وعلى قدر موارد البلاد الاقتصادية ، اما الموقف من اليهود الوطنيين فواضح ومحدد ولا اخلال به : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

●

ونخطو خطوة أخرى ، ونعبر سنتين لنصل الى العام ١٩٢٩ ، وهو تقريبا العام الذي علا فيه الضجيج الصهيوني صارخا بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر . لن نتطرق الى تفاصيل انتفاضة ١٩٢٩ ، فوقائعها مذكورة في أي مرجع يتناول تطور القضية الفلسطينية . ولكن هذه الانتفاضة رغم قوتها عن كل ما سبقها من تحركات عربية في مقاومة المخطط الصهيوني ، وذلك بسبب وضوح خطورة هذا المخطط ، تخللتها أعمال عديدة أكدت ان العرب لا يكنون عداء عنصريا او دينيا ضد « اليهود » . وبالرغم من ذلك فان الصهيونية أغرقت وقائع هذه الانتفاضة في بحر من التزييف والتزوير ، حتى ان الحاخام الاكبر في فلسطين بعث ببرقية الى باريس قال فيها : « اليهود في خطر ، أسرعوا بالاعانات »(٢٠). ومما له مغزى خاص هنا ان بعض « اليهود » من مواطني فلسطين أعربوا عن تعاطفهم مع العرب ، فشاركوا في مظاهرات الاحتجاج ضد الصهيونية ، ففي طبريه ، على سبيل المثال ، أعلنت جماعة منهم في بيان وجهته الى « المسلمين » انها تقف ضد الصهيونية وتساند مطالب المسلمين في حائط المبكى(٢١). وكان ذلك في حقيقته نتيجة لموقف العرب ، الذين حمى فلاحوهم وعمالهم في تلك الايام ، وأحيانا تحت خطر الموت — كما يقول المؤرخ السوفييتي شليستر(٢٢)— الشغيلة اليهود في حالات عديدة . فمثلا ، حين وصل القرية العربية « ارتوف » رسل من القدس يعلنون : « هدم جامع عمر من قبل اليهود وقتل ٣٠٠ مسلم » ، ووصلت رسالة من ابن رئيس اللجنة التنفيذية العربية سامي كاظم بك(٢٣) يدعو فيها الى الهجوم على « اليهود » ، حينئذ حذر فلاحو « ارتوف » جيرانهم في مستعمرة العمل اليهودية ، ووعدوهم بتقديم المساعدة لهم ، واقترحوا عليهم الاختباء في قريتهم . وبالقرب من بيت لحم ، حيث يعمل في مقالع الحجارة بعض اليهود وعشرات من العرب سويا ، حمى « المسلمون » العمال « اليهود » ورفضوا حتى تسليمهم ، عندما طلب ذلك باسم الدين .

وما هذه الحالات وغيرها كثير الا صور رائعة لفقدان التعصب الديني لدى العرب ، لان جوهر المسألة الحقيقي ليس صراع اديان . لهذا كانت الحركة الوطنية الفلسطينية في عمومها ، خاصة في أوقات مدها ، تركز نيرانها ضد الاحتلال البريطاني، وقد كانت ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ قمة ذلك(٢٤).

لم تكد الحالة تهدأ في فلسطين في أعقاب انتفاضة ١٩٢٩ ، حتى كان العرب يجددون تحديد موقفهم — رغم كل الغبار المثار — تجاه « اليهود » بعيدا عن أي تعصب او عنصرية . ففي اول تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٢٩ ، نشرت صحيفة « الماتان »(٢٥) الفرنسية مقالا لمندوبها الخاص في فلسطين ضمنه أحاديث مع بعض الزعماء الفلسطينيين ، منها حديث لموسى كاظم باشا ، قال فيه : ان المسلمين واليهود والمسيحيين كانوا في سلام ووئام عظيمين ، قبل تصريح بلفور . ونحن لا يمكننا ان نقبل بقدوم الصهيونيين الى بلادنا ليكونوا فيها أسيادنا ، وهي بلادنا منذ قرون عديدة . ومن الصعب أن نعيش مع اليهود الصهيونيين . ولما كنت في لندن قال لي المستر تشرشل بأنه يخشى في حالة ايجاد برلمان في فلسطين ان يحاول طرد اليهود منها ، لان الاكثرية فيه تكون من العرب ، فقلت له : اننا لا نفعل ذلك بتاتا . ولكن اليهود لا يريدون ان يوجد برلمان في فلسطين الا متى زاد عدد المهاجرين اليهود ، لكي تصبح الاكثرية في جانبهم ، وهذا ما نحتج عليه ، ونبلغ احتجاجنا جمعية الامم والعالم كله .

وأضاف موسى باشا : ان العرب لا يكرهون اليهود ، بل يريدون ان يعيشوا معهم في سلام ، كما كانوا قبل تصريح بلفور ولكن العرب سيواصلون الكفاح ضد تصريح بلفور ، ولا يسوغ ان يلومنا أحد لاننا لا نقبل ان يتسلط علينا أناس يجيئون بلادنا من بلدان أخرى .

ولم يكن موقف موسى كاظم باشا فريدا في بابه، كان ذلك موقف العرب الفلسطينيين عامة ، مهما كانت الخلافات الاخرى بينهم . فحسن صدقي الدجاني يلتزم الموقف نفسه ، وهو أحد زعماء « المعارضة » ضد المجلسيين في فترة لاحقة ، ويقول في حديث صحفي(٢٦): « من الخيانة الكبرى أن يعتقد أي انسان أن العرب في فلسطين هم ضد اليهود ، أو أن هنالك نزاعا بين يهودي وعربي . بل الحقيقة بعكس ذلك . فنحن العرب كنا ولا نزال ولن نزال* نجل اليهود ونحترمهم ونعطف عليهم . وقد كنا واياهم على أتم وفاق ووئام . لاننا نعتقد أن لهم ما لنا في البلاد وعليهم ما علينا . واما الخلاف والنزاع فهو قائم بين العرب والصهيونيين الذين جاءوا الى فلسطين بحجة انهم يريدون أن يعيشوا فيها بسلام . وما لبثوا ان بدأوا يطالبون فيها بملك صهيوني ، ويعاكسون مطالبنا الوطنية

في تأليف حكومة وطنية في البلاد ، كما صرح بذلك أخيرا أحد زعماء اليهود المستر « فان وايزل » أمام لجنة التحقيق. وانني أثق أيضا ان الصهيونيين لم يسيئوا الينا وحدنا ، بل أساءوا الى اخوانهم اليهود أكثر منا أيضا ، اذ أنهم بمطامعهم وسياستهم الخرقاء التي يتبعونهما انما يولدون الشقاق ويغرسون بذور التفرقة بين العرب واليهود الذين عاشوا معنا قرونا عديدة في بلاد واحدة وبسلام وأمان . ولعلك تستغرب اذا قلت لك أن يهود فلسطين الوطنيين يتألمون من اعمال الصهيونيين أكثر منا » .

وعلى ضوء هذا كله ، وعلى أساسه لم يكن العرب ليقفوا ضد «الهجرة» لو أنها كانت « هجرة يهود » يدخلون البلاد بصفتهم هذه ، وليسوا بصفة كونهم صهيونيين — كما أعلن جمال الحسيني في مقال كتبه في صحيفة « الديلي ميل » اللندنية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٩(٢٧).

وبعد لجنة شو وتحقيقاتها واصدار توصياتها ، صدر الكتاب الابيض البريطاني لعام ١٩٣٠ . وردت عليه اللجنة التنفيذية العربية ، وتحدثت عن الموقف العربي من اليهود بقولها(٢٨): « ان العرب لا يمقتون اليهود لكونهم يهودا، ولا يرفضون التعاون معهم لهذا السبب ، بل انهم يتقبلون كل سياسة ترمي الى مصلحة هذه البلاد العربية ونفعها ، غير ان اللجنة تؤكد ان اليهود الصهيونيين لن يعدلوا عن سياسة ترمي الى ايجاد أكثرية يهودية في فلسطين . الامر الذي لا يستطيع العرب التسليم به أبدا . ان العرب لم يعتدوا على أحد. وان غاية ما يتوقون اليه هو المحافظة على كيانهم القومي » .

ولا نستطيع ان نقف أمام كل عبارة او استشهاد نقدمه لنحلله ونتعمق في فهم مدلولاته ، فذلك يحتاج الى مجال أفسح ، ونكتفي بأن نتخذ من هذه الاقوال دليلا وشاهدا على موقف العرب ، منذ بدأت الغزوة الصهيونية — الامبريالية المنظمة ، تجاه « اليهود » ...

وفيما بين ١٩٣٠ — ١٩٣٥ تزايد الخطر الصهيوني في فلسطين . ورأى الوطنيون الفلسطينيون ان الوطن القومي اليهودي يزحف على البلاد باستماتة ، وان بريطانيه مستميتة في الدفاع عن الاهداف الصهيونية . وقد ساعدت عملية الوضوح هذه في تهيئة المسرح الوطني الفلسطيني لنشوب الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦ — ١٩٣٩ . في اعقاب الفترة الاولى من الثورة كرر البريطانيون لعبتهم التقليدية بارسال لجنة تحقيق . وجاءت لجنة بيل وأجرت تحقيقاتها . هل نفسر الموقف العربي تجاه « اليهود » .

نستطيع ان نقلب صفحات الشهادات والبيانات التي أدلى بها العرب أمام اللجنة ، فلن نجد تهديدا واحدا بالقاء اليهود في البحر ، او بدفنهم أحياء ، وغير ذلك من التعبيرات التي تنسبها الصهيونية عادة الى العرب .

ونكتفي بأن نشير الى مناقشة اللجنة مع اثنين من العرب يعتبران من أكثر الذين تحدثوا امام اللجنة « تطرفا » ولو من الناحية الكلامية في تلك الفترة ، وهما الحاج امين الحسيني ، وعوني عبد الهادي .

جرى الحوار بين اللورد بيل — رئيس اللجنة — والحاج أمين ، بخصوص القضية التي نحن بصددها ، على النحو التالي(٢٩):

اللورد بيل : تطلبون سماحتكم انشاء حكومة وطنية في البلاد ، فماذا تفعلون بالـ ٤٠٠ الف يهودي الموجودين هنا ؟

الحاج أمين : ليست هذه أول مرة يكون فيها اليهود في حماية دولة عربية ، اذ أن الدول العربية كانت فيما مضى أرحم دول العالم بهم ، ويروي التاريخ دائما أن اليهود ما استراحوا في جميع العصور الا في ظل الحكم العربي ، وكان الشرق ملجأ لليهود الفارين من الضغط الاوروبي .

اللورد بيل : قلتم ان عدد اليهود أخذ يزداد بكثرة ، ذلك لان العرب كانوا عند الاحتلال ٩٠ في المئة فأصبحوا الان نحو ٧٠ في المئة من عدد السكان .

الحاج أمين : نعم .

اللورد بيل : ومع ذلك لو عقدت معاهدة مع الانكليز أتكونون أنتم العرب مستعدين لابقاء اليهود في البلاد ؟

الحاج أمين : هذا شأن الحكومة التي ستؤلف في ذلك الوقت والتي سيكون مبدؤها العدل والنظر لمصلحة البلاد ومنافعها قبل كل شيء .

اللورد بيل : هل تعتقدون ان اليهود يقبلون بهذا التصريح دون ان يكون لديهم شيء ثابت ، لان

مثل هذا التصريح الشفوي لا يقنعهم .

الحاج أمين : اليهود في سائر البلاد العربية اليوم يتمتعون بحقوقهم وحريتهم .

اللورد بيل : أظن انه في امكاني ان اقول ماذا يقول اليهود بهذا الشأن (ضحك من الجميع) .

أما الحوار مع عوني عبد الهادي ، فقد جرى في الجزء الذي يهمنا هنا ، على النحو التالي(٣٠):

اللورد بيل : لا يريد اليهود ان يبقوا في موقف المسود .

عوني بك : نحن أيضا لا نريد .

اللورد بيل : انني أردد فقط ما يقوله اليهود .

عوني بك : لا يحبون لهم هذا الموقف هنا وفي كل بلد عربي .

اللورد بيل : ولكن هل يكونون مسودين بحكم انهم أقلية .

عوني بك : في الحقوق لا . عندما كنا ٩٠ بالمئة لم يكن فرق بيننا وبينهم .

......

اللورد بيل : تقولون بأنكم لا تقبلون أية مفاوضة أو تسوية . وأنا أقول ان هذا يؤدي الى سفك الدماء ، وهذا غير مستحب .

عوني بك : اذا سئلنا ان نعطي جزءا من فلسطين باختيارنا ورضانا ، فلا تصدقوا أبدا . ولكن اذا طلب منا تعهدات تحفظ مصالح جميع السكان ، فنحن لا نريد ما يريده اليهود من بقاء الانتداب . بل نقول بأن تستقل فلسطين وتؤلف حكومة وطنية تعقد معاهدة مع بريطانيا تحفظ فيها حقوق جميع السكان ويمكن ايجاد نص واضح لحفظ حق جميع السكان .

اللورد بيل : اذا تم هذا تكونون مستعدين أن تحلوا اليهود على الرحب والسعة .

عوني بك : أقول ان مصالح أهالي فلسطين ستؤمنها المعاهدة، وعند عقد المعاهدة أعطي رأيي.

اللورد بيل : أريد وجهة نظرك .

عوني بك : المسؤولون عن المعاهدة يتولون ذلك ، ونحن نعترض على وجود الاربعمائة ألف يهودي ، ونعتقد أن دخولهم للبلاد كان ظلما وعدوانا .

اللورد بيل : هل تطلب اخراجهم ؟

عوني بك : أنا لم أقل باخراجهم ، أكرر حقيقة واقعة بأن دخولهم للبلاد غير من وضعيتها .

اللورد بيل : لا تريد اخراجهم ، وعددهم كثير، فماذا تفعل ؟

عوني بك : يوجد قسم كبير منهم غير فلسطينيين.

اللورد بيل : لا أقصد الفلسطينيين منهم ، بل أطلب جوابا صريحا .

عوني بك : هذا ليس بسؤال يمكن تقريره هنا.

هذا الحوار « الشائك » ليس في حاجة الى تعليق . وواضح ان أحدا لم يقل بالقاء اليهود في البحر ، ولا حتى باخراج كل المهاجرين من فلسطين، مع ان الهجرة في تلك السنوات كانت قد تزايدت بشكل كبير وخطير .

أما شهادة جورج أطونيوس امام اللجنة ، وفي جزئها الخاص بموقف العرب من « اليهود » فهي بالغة الدلالة بهذا الخصوص ، حيث جاء فيها(٣١): « لنعد الى موقف العرب وموقف اليهود . فالحكومة دائما تتهم الاولين — وربما يعتقد اليهود بأن شك العرب وريبتهم لا أساس لهما . هذا غير صحيح . ان العرب لا يكرهون اليهود لانهم يهود. اذ لاسامية في هذه البلاد . ان اللاسامية اختراع اوروبي ... والعرب لا سيما المسلمين لا يعرفون اللاسامية بتاتا ، وقد لاقى اليهود أجمل ايام التسامح والانتعاش الذهني والمادي في زمن الحكم الاسلامي ... اننا تأسف كثيرا للمعاملة الخشنة التي يلقاها اليهود في بعض بلدان أوروبا المسيحية، وواجب كل انسان متمدن أن يخفف من وطأة هذه المعاملة . لكن لا يمكن ان يجيء هذا عن طريق القاء الحمل على شعب بريء وعلى حساب هذه الامة » .

وتبدو روح التسامح هذه فيما قرره مؤتمر بلودان الذي عقد في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ ، وحضره ٤٠٠ عضو يمثلون أكثر الاقطار العربية ، خاصة اقطار المشرق العربي ، أعلن هذا المؤتمر : « يتعهد العرب في فلسطين بأن يعامل اليهود كما تعامل الاقليات في جميع البلاد التي تطبق فيها مبادىء عصبة الامم » .

ولكن متى كان الصهاينة يقبلون بأن يبقوا اقلية في فلسطين ؟.. ان هذه هي المشكلة او المعضلة . لقد كان هدفهم الحقيقي لا يقف حتى عند وصولهم الى الاكثرية ، كان مطمحهم ومطمعهم اكبر من

هذا ، وأوسع من فلسطين مهما رحبت . والدليل على ذلك ان بعض العرب كانوا ميالين الى قبول الوضع الذي آلت اليه الامور حتى ذلك التاريخ ، أي فيما قبل الحرب العالمية الثانية ، وتعبر عن وجهة نظر هذا الفريق من العرب المذكرة التي تدمها الدكتور عزت طنوس في عام ١٩٣٨ لوزير المستعمرات البريطاني حول السياسة البريطانية في فلسطين ومطالب العرب وحقوقهم . تقول المذكرة(٣٢): « يرى العرب أن الوطن القومي ، المنطوي في وعد بلفور ، قد نفذ . ولم ينص في وعد بلفور ، ولا في أي بيان رسمي سابق لتقرير اللجنة الملكية على انشاء مملكة لليهود في فلسطين. والحل الوحيد الذي يراه العرب هو اعتبار السكان الموجودين الان في فلسطين كأمانة في عهدة الاماكن المقدسة ويصبح لجميع الفلسطينيين ، بصرف النظر عن الجنس والدين ، حقوق مدنية وسياسية متساوية ، وتقام حكومة وطنية تتمثل فيها جميع طبقات الشعب بنسبة عددهم ، مع ضمان حفظ حقوق الاقليات ، كذلك تضمن مصالح بريطانيا المشروعة ، وتعقد محالفة بين فلسطين وانكلترا شبيهة بمحالفة العراق معها » .

ويمكن القول بصفة عامة ان الكتاب الابيض البريطاني لعام ١٩٣٩ قام على أسس قريبة من هذه الاسس . ولذلك عارضته الصهيونية، اثناء الحرب العالمية الثانية ، وعملت على اسقاطه ، حتى سقط .

ولا نستطيع أن نترك سني الحرب العالمية الثانية ، دون ان نشير الى ما حاق بـ « اليهود » على يد حكومة النازي ، وهو أمر لم يكن للعرب دخل فيه من قريب أو بعيد ، وان كانت الصهيونية لا تترك العرب دون ان تحاول الصاق جزء من التهمة بهم !! حتى أنها تتحدث عن مناصرة العرب لهتلر ، وأنهم تعاونوا معه ، وتسوق هنا عدة مواقف ، أبرزها موقف الحاج أمين الحسيني . والتعاون مع النازي لا يمكن للصهاينة — عند التحليل الموضوعي للامور — أن يضغطوا به على أحد ، لان فريقا من أبرز زعمائهم لم يكن بعيدا عن المشاركة في مثل هذا الدور ، لاسباب مختلفة، تصب في النهاية في خدمة المصلحة الصهيونية — الامبريالية ، ولو على حساب آلاف من «اليهود» . أما موقف الحاج أمين الحسيني ، ومن نحا نحوه من العرب في فترة ما ، فلا يعدو ان يكون تعبيرا عن سياسة قصيرة النظر ، تقوم على اساس ان مبدأ « عدو عدوي صديقي » مبدأ مطلق ، صالح للتطبيق في جميع الحالات . وهو في جوهره لا يعبر الا عن يأس من سياسة التعاون والتقارب مع الانكليز وحلفائهم من دول المعسكر الاستعماري .

وباختصار ، فان موقف الحاج أمين في هذه النقطة بالذات ، لا يعكس موقف العرب في فلسطين او في غيرها من الاقطار العربية ، فقد تمسك العرب بموقفهم المبدئي تجاه « اليهود » ، والقائم على التفرقة بين اليهودية والصهيونية ، وعلى ان حل قضية اليهود المضطهدين في العالم يختلف عن قضية الصهيونية الحائرة على حد تعبير الملك عبد العزيز آل سعود في رسالته الى الرئيس الامريكي روزفلت في ١٠ آذار (مارس) ١٩٤٥(٣٣). وأوضح الملك عبد العزيز : « ان ايجاد أماكن لليهود المشتتين يمكن أن يتعاون عليها جميع العالم. وفلسطين قد تحملت فوق طاقتها . وأما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم في بلاد آهلة بسكانها والقضاء على أهلها الاصليين فأمر لا مثيل له في التاريخ البشري ، كما تحدث عن « اليهودية الصهيونية » وليس عن اليهودية بصفة مطلقة ، وعبر عن خشيته من قيام الصهيونية بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب . وباختصار ، فان العرب ظلوا يؤكدون ان لا عداء ضد اليهود او اليهودية ، اما الصهيونية فشيء آخر ، فهي أس البلاد ومصدره.

وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ... وجد الصهيونيون في زحفهم الطويل نحو تحقيق مشروعهم الكبير . لقد تغيرت موازين القوى في العالم ، ومن داخل المعسكر الاستعماري نفسه برزت قوة جديدة ، لها أطماعها في الوطن العربي. وحدث تزاوج سريع بين المصالح الامبريالية الامريكية وبين الصهيونية . وتجسد ذلك سريعا — وضمن أشكال أخرى — في لجنة التحقيق الانجلو — امريكية المشتركة ، التي جاءت : تبحث ، وتستقصي ، ثم توصي !! أدلى كثير من العرب بآرائهم أمام اللجنة ، وهي آراء تواصل التمسك بنفس الافكار السابقة ، مفرقة بوضوح بين اليهودية والصهيونية ، حتى ان قوى عربية عرفت بالرجعية في أفكارها الاجتماعية والدينية ، تميز موقفها بقدر كبير من الاستنارة والعصرية ، كما سنرى حالا .

سأل أحد أعضاء اللجنة عزام باشا الامين العام للجامعة العربية وقتئذ : ما هو الفرق بين اليهودية والصهيونية ؟ أجاب عزام : « ان

الصهيونية كطائفة تهدف الى اقامة دولة يهودية ، اما اليهودية فهي دين يتمتع افراده بنفس الحقوق والمزايا التي يتمتع بها المسلمون والمسيحيون . ودستور الجامعة ينص على ان من يسكن ديارنا وتحدث بلغتنا وشعر بشعورنا فهو منا سواء كان هنغاريا او بولنديا او ارمنيا . وهناك كثيرون من اليهود يعيشون بسلام في مصر والعراق وفلسطين نفسها »(٣٤).

أما ألبرت حوراني ، في مناقشة اللجنة له ، فوعد بأن اليهود سيجدون معاملة طيبة ، بل انهم يستطيعون مع العرب انشاء مجتمع أرفع مستوى مما انشيء من المجتمعات في اي بلاد اخرى ، ولكن هذا مشروط فقط بنبذهم للصهيونية السياسية(٣٥).

وطالب مفتي لبنان ، في المذكرة التي قدمها الى اللجنة ، الدول الديموقراطية الحريصة على سيادة السلام في الشرق الادنى والعالم الاسلامي ان تكف عن تأييدها للصهيونية . ولم يتحدث عن « اليهود » مطالبا بالتخلي عنهم أو نبذهم أو القائهم في البحر، وانما طالب هذه الدول نفسها بأن : « تشاركنا شعورنا بأن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر اذ أننا ونحن نقاوم الصهيونية بنفس الشدة التي قاوم بها العالم الديموقراطي النازية والفاشية ، نعلن عن تقديرنا للمجهودات التي قدمتها اليهودية مع النصرانية والاسلام في سبيل نشر المثل العليا الدينية والروحية في الشرق والغرب » . ومضى الشيخ خالد مبلورا فكرته أكثر ومواصلا السير على درب التراث العريق للفكر الاسلامي المستنير البعيد عن التعصب ، فقال : « ونحن أسفنا لما حل بيهود اوروبا من محن لا يمكن للبنانيين ولا للعرب ولا للمسلمين الا استنكارها ، ولكننا نرى ان فلسطين لا يمكنها ان تحل هذه المشكلة ، وان حلها لا يكون الا بتضافر جميع الدول على وقف اضطهاد اليهود ، حيثما كانوا ، وكمعاونتها في قبول جماعات منهم بالقدر الذي أدخل الى فلسطين حتى الان ، هذا القدر الذي لم يكن مشروعا ولم يرض عنه العرب »(٣٦).

وحتى الشيخ حسن البنا ، منشيء جماعة « الاخوان المسلمين » ومرشدها حتى وفاته او استشهاده كما يرى أتباعه ، لم يشذ في شهادته أمام اللجنة عن الخط العربي في التفرقة بين اليهود والصهاينة ، فقال : « هنـاك ناحية دينية نريد ايضاحها وهي ان خصومتنا لليهود ليست خصومة دينية ، لان القرآن الكريم والاسلام شريعة انسانية قبل ان يكون جنسية . وقد جعل القرآن بيننا وبينهم (اليهود) عدة روابط . ولهذا فاننا اذا عارضنا الصهيونية والهجرة اليهودية بكل قـوة فانما نعارضها لانها خطر سياسي ولان من حقنا ان تظل فلسطين عربية »(٣٧).

وهكذا تتبين الحقائق سافرة ، واضحة ، وقوية: لا عداء لدى العرب ضد « اليهود » من حيث هم « يهود » .. وانما العداء كل العداء موجه ضد الصهيونية والصهاينة الذين يريدون عنوة وقسرا اغتصاب الحقوق ونهبها ، متسترين الى ذلك بدعاوى دينية .

والفكر الصهيوني لا يستسيغ ولا يقبل التفرقة بين اليهودية والصهيونية ، ويرى فيهـا محاولة لتغطية المواقف اللاسامية . وهذه واحدة من اكبر المغالطات الصهيونية ، يكفي لدحضها معرفة ان كثيرا من اليهود والمنظمات اليهوديـة في العالم يتمسكون بهذه التفرقة ويصرون عليها . وحين يكون الشاهد من اهل المدعي ، تتهاوى كل الحجـج وتسقط كل البراهين . فاحدى الحيل التي يتكيء عليها الفكر الصهيوني هي « وصم » كل ظاهرة او فكرة او عمل يعوق تحقيـق اهدافه بأنـه « لاسامي » . ولذلك كان سهلا على الصهيونية ان تصف المقاومة العربية في فلسطين بأنها معادية لليهود ، ولا سامية ، ما دامت تتعارض مـع أهدافها وتعوق تنفيذها . يشير الى ذلك احد كاتبي سيرة حاييم وايزمان فيقول : « ان العرب الذين انتفضوا ضد تسليم وطنهم للصهيونية ، كان ينظر اليهم ليس فقط كخصوم سياسيين بل كمجرمين ، بات يطلق عليهم في وقت لاحق اسم : لصـوص وقتلة ، وذلك عندما شرعوا بالانتفاض ضد اليهود بشكل ناشط ، وأصبح يخيل لعديد من الصهيونيين ان قوة شريرة ما — يحتمل ان تكون لاسامية — قد أوجدت العرب لالحاق المتاعب باليهود »(٣٨)!!

ان «الهجمة الدعائية» الصهيونية — الاسرائيلية عشية عدوان حزيران (يونيـو) لم تكـن الا استمرارا لتقليد صهيوني قديم ، حيث تم صك تعبير « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » والذي لم نعثر على عربي واحد ، زعيما او مفكرا، قد استخدمه طيلة الفترة التي استعرضناها ، منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، الى ما قبل قيام « اسرائيل » ، بل عبر هؤلاء وتبنوا بصفة عامة

وجهة نظر مناقضة لذلك على طول الخط . وما حدث قبل عدوان ١٩٦٧ ، كررته الصهيونية من قبل عدة مرات ، وكانت في كل مرة تتداول نفس التعبير المسكوك والجاهز تقريبا . فقد صار سلاحا مجربا .

اذن ، فلنلق نظرة على مجهودات الصهيونية في صياغتها ونشرها لهذا التعبير الذي يمكن ان يكون الصهيونيون قد صاغوه ، ورددوه بعض العرب بشكل ببغاوي ، وبحسن نية !

العودة بالبحر تتحول الى القذف في لجته !

من المثير للاهتمام والتساؤل ان عبارة «العرب يريدون القاء اليهود في البحر» عبارة متكررة ، وتتردد عبر فترة تاريخية طويلة . فهي ليست وليدة «الهجمة الدعائية» الصهيونية – الاسرائيلية التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) ومهدت له . فهي اقدم من ذلك بكثير ، ويتداولها الصهيونيون مفكرين وزعماء سياسيين ورجال دعاية منذ كان شعار العرب وبعد أهم في موقفهم من « اليهود » من أبناء البلاد هو « لهم ما لنا وعليهم ما علينا ».

لنحاول – قدر الجهد والطاقة – أن نستقصي متى واين بدأ هذا التعبير في الظهور بواسطة الصهيونيين . ولنلاحظ مقدما انه مما يدعو الى الاسترابة فعلا وحقا ويدعو الى الشك القريب من اليقين في كون الصهاينة هم الذين صاغوا هذا التعبير ونشروه ، مما يدعو الى ذلك ان هذه العبارة « جاهزة » دائما لدى الصهاينة يستخدمونه ويشرعونه كلما هب العرب يقاومون الاجتياح الصهيوني لديارهم ووطنهم . وسنرى كيف يلح الصهاينة بشكل ملفت للنظر على هذه القضية ، يقدمونها وكأنها احدى المسلمات التي لا تقبل أي نقاش .

أول مرة نقع فيها على استخدام الصهاينة لهذا التعبير كان في عام ١٩٢١ . ومن المحتمل ان تكون هناك سوابق اقدم من ذلك تاريخيا لم تقع تحت يدي . في حدود المعلومات التي أمكن تحصيلها ، كانت المرة الاولى التي ظهر فيها هذا التعبير هي خطاب ارسلته « شانا – أخت جولدا مائير – الى زوجها « سام » وهي في الطريق الى الاسكندرية عبورا الى فلسطين . تقول شانا لزوجها :(٣٩) « ذهب بعضنا لمعرفة ميعاد مغادرة السفن للميناء حتى نتمكن من السفر . وعادوا بهذا التقرير : يبدو انه ليس بوسعنا التقدم اكثر من ذلك . انهم لا يبيعون تذاكر سفر . وقد حصلنا على جواب مضحك من الشركات ، وهو جواب يستحق ان يضحك عليه المرء ، اذ قالوا : بوسع المسيحيين والمسلمين فقط الذهاب الى فلسطين ، ولكن ليس في استطاعتهم بيع تذاكر لليهود . انهم يفعلون هذا لمصلحتنا ، لان العرب يقذفون باليهود الى البحر . وهكذا واجهتنا هذه النكتة المحزنة ، فليس بمقدور اي يهودي دخول اسرائيل » .

والملاحظ ، أن العبارة تساق هنا وكأنها تعبير عن حقيقة واقعة . فهي لا تقول مثلا ان العرب يهددون ، او يرغبون ، في القاء اليهود في البحر ، وانما تقول انهم يفعلون ذلك . فهل كان هذا يحدث حقا في فلسطين عندئذ ؟. لم يقل أحد بهذا ، ولم يعرف احد أن العرب في تلك الايام – على الاقل – ألقوا بيهودي واحد الى البحر ، وانما كانوا يتحدثوا – كما رأينا – عن الاخوة والمساواة في الحقوق والواجبات ، وكانت معارضتهم واحتجاجاتهم تتركز على استنكار تدفق المهاجرين الصهاينة الى فلسطين .

ويبدو ان العقل الدعائي الصهيوني وجد ان الادعاء بأن العرب «يقذفون باليهود في البحر» ادعاء غير سهل التصديق ، لانه غير واقعي . اذن فلتكن صياغة الادعاء بشكل اخر « العرب يهددون بالقاء اليهود في البحر » . وهذه عبارة ادعى للتصديق، واكثر تحقيقا للفوائد المطلوبة ، فهي تستثير العطف على قوم مهددين بالالقاء في البحر ، واكثر قابلية لان تعيش فترة اطول ، تتردد خلالها ، وتبرز حين يكون الصهاينة في حاجة الى ذلك ، ثم انها مع الترديد والتكرار ستصير فكرة مقبولة ومسلما بها .

وهذا ما جرى تطبيقه بالفعل . فما ان جاءت هبة البراق عام ١٩٢٩ ، حتى كانت هذه العبارة تسري وتنتشر في العالم كله تقريبا . فقد كرست وسائل الدعاية الصهيونية الواسعة الانتشار نفسها في ذلك العام لتزييف حقائق الموقف في فلسطين تزييفا مروعا . وكانت الصهيونية قد أعدت نفسها لشن هذه الحرب الدعائية ، حتى انه تم خلال سنة ١٩٢٩/٢٨ ، اصدار ٦٥ صحيفة صهيونية جديدة في ١٩ بلدا(٤٠)، وتدفق سيل من الكتب والكتابات الصهيونية عن القدس وعن

« اليهودية » والحركة الصهيونية وعن مذابح فلسطين(٤١).

ودارت عجلة التزييف والتزوير الصهيوني بسرعة فائقة ، كما سلف القول . وحين جاءت « لجنة شو » للتحقيق في حوادث ذلك العام في فلسطين، وتحدث امامها الحاج امين الحسيني، خرج الصهاينة يعلنون ان الحاج يريد القاء اليهود في البحر . ورددت وكالات الانباء العالمية ذلك ، ونقلته عنها صحف العالم كله . فماذا قال الحاج امين أمام اللجنة ؟. كان الحوار بين الحاج أمين واللجنة طويلا ومتشعبا ، وقد إثار الصهاينة انتقال اللجنة اليه ، بدلا من انتقاله اليها ،وتناول الحوار قضايا كثيرة ، يعنينا منه الجزء التالي :(٤٢)

سؤال : ما هو موقع الطائفة اليهودية في هذه الدولة العربية ؟

جواب : نحن مستعدون ان نضع في دستور الدولة الضمانات الكافية لحماية حقوق الاقليات .

سؤال : والهجرة اليهودية ، ما موقفكم منها ؟

جواب : نحن نعارض في الهجرة اليهودية . نعتبرها غير مشروعة .. ولا حق لدولة الانتداب ان توافق على هجرة اليهود الى فلسطين ... نحن أصحاب البلاد الشرعيين ... كل هجرة أجنبية يجب ان تكون بموافقة أصحاب البلاد كما هو الحال في جميع بلاد الدنيا ...

سؤال : وهل تعتبرون يهود فلسطين سكانا غير شرعيين ؟

جواب : عند الاحتلال البريطاني في ١٩١٨ كان عدد اليهود في فلسطين ستين ألفا ... هؤلاء هم مواطنون فلسطينيون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

سؤال : والاخرون ؟.. ويتجاوزون الان مائتي ألف .

جواب : هؤلاء ليسوا مواطنين شرعيين . لقد دخلوا البلاد بغير حق ، من غير ارادة الشعب الفلسطيني .

سؤال : وماذا تفعلون بهم ، ما هو مصيرهم ؟

جواب : يعودون الى بلادهم ، الى اوطانهم الاولى . فلسطين ليست وطنهم . انها وطن الشعب الفلسطيني : المسلمين والمسيحيين واليهود الفلسطينيين .

وسأل محامي الوكالة اليهودية : وهل تريد يا سماحة المفتي القاء اليهود بالبحر ؟

فأجاب الحاج أمين الحسيني : نحن لا نريد القاء اليهود بالبحر . بلادنا لنا واليهود المهاجرون يعودون الى بلادهم .

ويعلق أحمد الشقيري ــ الذي اعتمدنا عليه في نقل هذا الحوار ــ على ذلك بقوله : « وظل اليهود يرددون أمام كل لجنة تحقيق ان العرب يريدون القاء اليهود في البحر ، وأن الحاج أمين قالها أمام لجنة شو » .

ومما له مغزى خاص هنا أن تعبير « القاء اليهود في البحر » قد جاء اولا على لسان محامي الوكالة اليهودية ، بينما كان الحاج أمين يتحدث فقط عن اعادة المهاجرين الى اوطانهم الاولى ، ولم يستخدم هذا التعبير الجاهز . وحين استدرج لترديده تنبه الى ذلك فنفاه . وسنجد فيما بعد أن هذه اللعبة قد تكررت بشكل ما مع الشقيري في مؤتمره الصحفي الشهير في عمان في اول حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، الذي خرج بعده الصهاينة يقولون : انه هدد بالقاء اليهود في البحر ، فهل قال الشقيري ذلك ؟ سؤال سنجيب عليه فيما بعد .

لا زلنا مع احداث عام ١٩٢٩ ، نبحث كيف حاولت الصهيونية تصويرها أمام العالم . نأخذ العاصمة البريطانية لندن ــ وكانت عامئذ احدى عواصم الحركة الصهيونية ان لم تكن العاصمة الاولى ــ كمثال لما روجته الدعاية الصهيونية في ذلك الوقت . استنفرت الصهيونية كل قواها في عملية دعائية مركزة . فالصحف لا تنقل الا الاخبار التي تبثها الصهيونية ، وافواج « اليهود » تتدفق على مكاتب التلغراف في العاصمة البريطانية ترسل برقيات الى جميع انحاء العالم حاملة الانباء عما يجري في فلسطين(٤٣). ولا نحتاج الى قدح زناد الذهن كثيرا لنتعرف على نوعية هذه الانباء ، ومضمونها . أما حاخام القدس فيبرق الى حاخام لندن ــ وكل حاخامات العواصم العالمية ــ بأن اليهود في خطر !!(٤٤).

وتسابقت صحف لندن في نشر كل ما من شأنه النيل من سمعة العرب وتشويه صورتهم أمام الرأي العام الانجليزي وغير الانجليزي . « فالصنداي تايمز » تصف العرب بالخشونة والهمجية، مما دفع احد اعضاء البرلمان الانجليزي

الى الرد على ما كتبته(٤٥)، بعد ان وجد ان ما اوردته من أكاذيب وافتراءات اكبر من ان تحتمل(٤٦).

كانت الحملة الدعائية الصهيونية ضد العرب من العنف في البلاد الاوروبية الى حد لم يكن أمام العرب الا ان يسارعوا باعلان مواقفهم لدحض الاكاذيب الصهيونية . فالحاج امين الحسيني — الرجل الذي انصبت عليه الاتهامات الصهيونية من كل ناحية — بعث برسالة الى جريدة (التايمز) الشهيرة في اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٩ وصف فيها موقف العرب السلمي قبل الفتنة ، وخلالها ، وبعدها(٤٧). اشار رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في هذه الرسالة الى تسامح المسلمين مع « اليهود » في الماضي .. وفند تصريحات زعماء الصهيونية المنافية للحقيقة بشأن الاضطرابات ، وأكد ان العرب لا يقاومون « اليهود » لانهم يهود ، بل انهم يضطرون الى مقاومة السياسة الصهيونية الغاشمة التي تسلبهم حقوقهم السياسية ، وتريد ان تسلبهم حقوقهم الدينية ، في حائط البراق ... وختم الحاج امين الرسالة بلفت نظر العالم الى ما يبثه الصهيونيون في كل مكان لتشويه سمعة العرب .

وفي فلسطين نفسها ، كان للحملة الدعائية الصهيونية عام ١٩٢٩ وجه اخر . هذا الوجه أيضا ، كان هدفه « اختلاق » واقعة او وقائع ، ثم تأكيدها وتثبيتها ، ونشرها في العالم كله من أجل المزيد من تشويه الصورة العربية .

في فلسطين ، كانت الصحف « اليهودية » تمعن في نشر افتراءات واوراق مزورة تنسبها الى المجلس الاسلامي الاعلى ، بينما كانت لجنة شو تواصل عملها(٤٨)، لدرجة ان الادارة البريطانية وجدت نفسها مضطرة الى التدخل لوقف مثل هذه الاعمال، ولفت محاميها نظر لجنة التحقيق رسميا ، وقدم اليها نماذج مما تنشره الصحف الصهيونية من دعايات حول هذا الموضوع ، ومنها الخطاب الذي نسب الى المفتي ، وقد سبقت الاشارة الى هذا .

هل يمكن ان نستخلص من ذلك كله ان الصهاينة — والعقل الدعائي الصهيوني — هو الذي صك عبارة « القاء اليهود في البحر » ونسبها الى العرب . نحن لا نتحدث عن ذلك ولا نريد التثبت مما اذا كان العرب قد استخدموا هذا التعبير ام لا . الغرض الذي نريد اثباته هنا هو أن العرب لم يصوغوا هذا التعبير ، وانما الجانب المعادي هو الذي صاغه وعمل على نشره واذاعته ،بحيث نجد الحاحا صهيونيا غريبا على تكرار نسبة هذا التعبير الى العرب وانهم يريدون تطبيقه ، ولا تترك آلة الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية أي موقف من جانب العرب تجاه الصهيونية والصهاينة ، الا وتحاول لوي عنقه وتصويره على انه محاولة عربية لالقاء اليهود في البحر ! فمعركة ١٩٤٨ مثلا، كانت من وجهة نظر الصهاينة — غزوا عربيا استهدف رمي اليهود في البحر ، ويتمسك بهذا التفسير ثلاثة من المفكرين الصهيونيين المعاصرين والمحسوبين على اليسار ، وذلك في العدد الخاص من « مجلة الازمنة الحديثة » عن النزاع العربي — الاسرائيلي ، وهؤلاء الكتاب هم دوف بارنير في مقال بعنوان « اليهود ، الصهيونية والتقدم » وافرايم تادى في مقالته المعنونة « معنى اسرائيل » وروبير مزراحي في مقالته « التعايش او الحرب »(٤٩).

هل هي مجرد الصدفة التي تجعل هذا التعبير شائع الاستعمال على اقلام المفكرين الصهاينة ، ورجال الدعاية والزعماء الاسرائيليين ، ومؤيدي الصهيونية ومناصريها ، مع التمسك بنسبته الى العرب ؟ أم ان الامر في حقيقته مرسوم ومحدد وان هناك غاية او غايات معنية من الاصرار على استخدام هذا التعبير بالذات : « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » ؟.

الاجابة على هذا السؤال هي التي توضح وتكشف الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية قبل عدوان حزيران في اعتمادها على استصراخ الرأي العام العالمي : أنقذونا ، العرب يريدون القاء اليهود في البحر ، خاصة اذا ما توفرت لديهم وتحت ايديهم بعض تصريحات عربية يمكن لادوات الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية ان تحورها ، وتحرفها لتستخرج منها المعنى الذي تريد ترويجه .

لنبدأ أولا باستعراض بعض الملامح والشواهد في الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية المعززة بجهاز الدعاية الامبريالي العالمي ، قبل عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

الاعداد للحملة الدعائية قبيل العدوان :

كان المضمون الرئيسي لحملة الدعاية الصهيونية

ـ الاسرائيلية عشية العدوان هو ان « اسرائيل في خطر »، فالعرب يريدون القاء اليهود في البحر!. وفي صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) حين أشاعت اسرائيل ان العرب هاجموها ، كان العالم مهيأ لسماع اخبار « المذبحة » التي كانت في انتظار الاسرائيليين المسالمين الضعفاء . كيف لا ، وموشي ديان ، الصقر الجارح يتحدث صبيحة نفس اليوم من اذاعة اسرائيل فيبدو وكأنه حمامة مسالمة ويدعي : « نحن لا نملك منظمة للغزو والفتح ، وهدفنا هو احباط محاولة الجيوش العربية لاجتياح بلادنا ، وكسر الطوق الحصاري والعدواني الذي اقيم حولنا وسحقه »(٥٠).

توصلت الدعاية الصهيونية ـ الاسرائيلية الى تهيئة الرأي العام العالمي بهذا الشكل ، بواسطة عمل نشيط ومخطط ، استخدمت فيه ترسانتها المحتشدة من صحافة واذاعة وتلفزيون وغيرها ، مما يخضع لسيطرة الصهيونيين او ملكيتهم او تواجد الصهيونيين كعاملين فيها .

ولكن الحملة الدعائية ، فيما يبدو كانت مثل الحملة العسكرية مصممة من قبل ، ومعدةباحكام، ومستعدة جيدا « لاصطياد » بعض التصريحات التي كان متوقعا سلفا ان بعض الزعماء العرب سينقادون الى التفوه بها في حمى الموقف . واذا كانت تكتيكات هذه الحملة الدعائية وأساليبها ، وكيفية ادارتها وتوجيهها لم يكشف عنها بالكامل بعد ، الا ان بعض الدلائل تشير الى أنها لم تكن حملة بنت لحظتها ، فضلا عما نسلم به من ان الدعاية الصهيونية ـ الاسرائيلية دعاية مخططة .

منذ أواخر عام ١٩٦٦ فكر الصهاينة والاسرائيليون في الاعداد لحملتهم الدعائية . ففي ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٦ اي قبل عدوان حزيران بحوالي ستة اشهر ، وجه عضو الكنيست « شلومو كوهين تسيدون » الى وزير الخارجية الاسئلة التالية :(٥١) « صدرت من اذاعات القاهرة (برنامج .. « صوت فلسطين ») ومن اذاعات دمشق نداءات لابادة اليهود وابادة الشعب الذي يقيم في صهيون . ارجو سيادة الوزير ان يجيبني عما يلي :

« ١ ـ أحقا أن هذه النداءات تتعارض مع مبادىء الامم المتحدة التي تنتمي اليها مصر وسوريا ؟

« ٢ ـ هل أجرت الوزارة ، التي يرأسها سيادة الوزير ، حملة اعلامية في عواصم العالم حول هذه الحملة التي تقوم بها حكومات القاهرة ودمشق لابادة اليهود ؟

« ٣ ـ ما هي الاعمال والخطوات التي اتخذتها وزارة الخارجية لتلزم الامم المتحدة بالتدخلووضع حد لمثل هذه الحملة ؟

« ٤ ـ هل هناك في العالم دولة غير عربية تقوم باذاعة نداءات لابادة شعوب على اساس الدين او القومية غير هذه الحملة التي تصدر عن القاهرة ودمشق ؟ »

ورد أبا ايبان وزير الخارجية على هذه الاسئلة في نفس الجلسة ، فقال : « فيما يتعلق بالسؤال الاول : اننا نتابع دائما اذاعات الدول العربية المختلفة بما في ذلك القاهرة ودمشق بمحطاتها المختلفة . ان اذاعات القاهرة ودمشق ،خصوصا الاذاعة التي تصدر عن القاهرة والتي تسمى « صوت فلسطين » ، اذاعات معادية جدا لاسرائيل ، وهي تكثر من ترداد شعار الحرب لابادة اسرائيل ولمحاربة الصهيونية . ان الحكومة الاسرائيلية تنظر نظرة خطيرة الى هذه الاذاعات التحريضية ، التي تتناقض تناقضا تاما مع مبادىء الامم المتحدة .

« وفيما يتعلق بالسؤال الثاني والثالث : قامت وزارة الخارجية ، وما زالت تقوم في الاطار الدبلوماسي وفي المؤسسات العالمية وفي عمليات الاعلام باستنكار التصريحات والنداءات من هذا النوع . ولقد أكدنا خلال كلمات ممثلي اسرائيل في الجمعية العامة للامم المتحدة وفي مجلس الامن مرات كثيرة انتهاكات ميثاق الامم المتحدة واتفاقيات الهدنة ، التي تكمن في هذه التهديدات . وان مثل هذه البيانات العدوانية من قبل عناصر عربية تثير الاستنكار في العالم أكثر مما تثير الموافقة . ان تاريخ هذه المنطقة خلال الثماني عشرة سنة الاخيرة قد زاد الشك لدى الرأي العام العالمي حول جدية هذه البيانات ، وان كان لا ينبغي أن نستهين بكونها تنطوي على خرق خطير للقانون الدولي .

« وبالنسبة الى السؤال الرابع : بحسب معلوماتنا لا توجد في العالم أية دولة تذيع اليوم نداءات لابادة شعوب على أساس القومية او الدين » .

ولم تتوقف المناقشة في الكنيست في ذلك اليوم ، ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٦ ، عند هذا الحد . فقد عاد شلومو كوهين نفسه يعقب على رد أبا ايبان ويسأل مرة اخرى :

« هل الوزارة التي يرأسها سيادة الوزير مستعدة لان تبحث في امكان اصدار كتاب يخصص للنشر في أنحاء العالم ، ويقدم صورة تفصيلية لمضمون الاذاعات العربية التي تدعو الى تدمير دولة اسرائيل وابادة اليهود الذين يسكنون فيها مهما كانت صورة هذه النداءات ، اي سواء أكانت في صورة تعليقات أو أفلام تلفزيون أو قصص أو مسرحيات اذاعية ؟ »

وكان رد ايبان على هذا السؤال : « لقد اتجه السائل المحترم الى رأي وزارتنا . اننا نعد كتابا لا يشتمل على التهديدات التي أصدرتها الحكومات العربية ومؤسسات الاعلام العربية فحسب ، بل يشمل أيضا الاعمال التي تعبر عن هذا العداء نظريا وعمليا . سيروي هذا الكتاب كل قضية العداء العربية بتهديداتها واعمالها منذ قيام الدولة وفي الفترة السابقة لقيامها ، ولكنه لن يقتصر على التصريحات المعادية فحسب ، بل يجب أن يشتمل على العداء الفعلي » .

هذه الاسئلة والاجابات التي تدمت عليها ، تحمل في الواقع دلالات أكبر من ظاهر الكلمات . فمهمة كالتي دعا اليها وطالب بها « تسيدون » هي مهمة عادية في عمل اي سفارة لاي دولة ، وبالذات سفارات اسرائيل ووزارة خارجيتها . ولم يكن الموضوع ليثار بهذا الشكل لولا ان المقصود منه هو اعداد حملة منظمة وواسعة النطاق . ومن الواضح ، ان الافكار الاساسية التي طرحت سواء بواسطة تسيدون او ايبان هي الافكار الاساسية التي قامت عليها الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية التي سبقت عدوان الخامس من حزيران (يونيو) .

لقد كان كل شيء معدا سلفا ، وجاهزا للتنفيذ. وليس من قبيل الصدفة ان يقف عضو الكنيست نفسه في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٦٧ ، ليعلن انه سمع من اذاعة دمشق تصريحا خاصا بالقضاء على اليهود(٥٢).

ودارت العجلة الجهنمية للدعاية الصهيونية — الاسرائيلية ، مرددة ومركزة على نشر الادعاءات التي بدأت تركز عليها وتتداولها على اوسع نطاق منذ عدوان السويس ، وفي مقدمتها ان : العرب مصممون على افنائها . وهذا الادعاء ، من كثرة الترديد والتكرار ، اصبح حقيقة لا تقبل المناقشة(٥٣). واصبح الرأي العام الغربي ينظر الى اسرائيل دائما على انها ليست دولة معتدية. وانما هي دولة ضعيفة ، مضطرة للدفاع عن نفسها ضد من يسعون لابتلاعها(٥٤). او القاء سكانها من «اليهود» في البحر .

وهذه الادعاءات نفسها هي ما انصرف كل زعماء اسرائيل الى ترديدها عشية عدوان ١٩٦٧، ونشرها في العالم كله ، تحدث بذلك أشكول رئيس الوزراء في الكنيست . وجارته جولدا مائير ، وكانت حينئذ سكرتيرة لحزب الماباي الاسرائيلي . فقد ارسلت رسائل خاصة الى زعماء الاحزاب الاشتراكية (!) تدعوهم الى بذل جهدهم في الضغط على حكوماتهم لتكون « جبهة عالمية قادرة تستطيع ان تقف في وجه العدوان الناصري الذي أصبح يهدد كيان اسرائيل »(٥٥).

وفي خارج اسرائيل تمت تعبئة أغلب الصحف العالمية والعاملين فيها ، وبمعونة اجهزة الدعاية الامبريالية العالمية ، لترويج مضمون الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية ، وكذلك محطات الاذاعة والتليفزيون ، ومضت جميعها لا تتحدث الا عن اسرائيل المهددة بالافناء والابادة ، وانها الان في ساعة الاحتضار .

ونأخذ أمثلة عن نتائج هذه الحملة :

في فرنسا ، يقول الفيلسوف المعروف جان بول سارتر ان الشعب الفرنسي بأجمعه كان يؤمن بأن العرب كانوا يريدون الحرب من أجل تصفية اسرائيل بسرعة ، وافناء سكانها اليهود(٥٦).

ويصف صحفي عربي باريس عشية العدوان وتأثير الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية فيها فيقول :(٥٧) « لا يمكن للانسان ان يتصور — من بعيد — مدى الحمى الصهيونية التي لفحت وجه باريس — مثلا — قبيل العدوان ... وأنا أتحدث عن باريس كنموذج للغرب ... لانني كنت فيها خلال تلك الساعات العصيبة .

« لو أن باريس ذاتها هي التي يحاصرها العدو ، لما استطاعت الصحف الفرنسية ان تصرخ بأعلى مما تفعل الان » وذلك رغم الموقف الذي كانت

تتخذه الحكومة الفرنسية وقتئذ من تطورات الازمة. فما بالنا اذن ببقية العواصم الاوربية الاخرى التي كانت حكوماتها اكثر استجابة وانصياعا لضغط الصهيونية ؟

وفي المانيا الغربية ، جردت الصحافة نفسها في حملة تذكير للرأي العام الالماني بالمذابح النازية، ومناداته الى ان يكفر عن ذنبه بمساعدة اسرائيل. ووصل الامر بصحيفة « دي فيلت » ان تدعي الخجل من انتساب المانيا الديموقراطية الى الشعب الالماني ، لمجرد انها انتقدت اسرائيل وأيدت العرب . وعبرت صحافة بون عن اتجاهات عنصرية تجاه العرب . واستخدمت ضدهم تعابير تذكر بالتهجم على اليهود خلال العهد النازي(٥٨).

ودقت صحافة أمريكا نفس النغمات الصهيونية. ذكرت بالمذابح الهتلرية ضد اليهود ، وبالمعاملة السيئة التي تعرضوا لها في السابق ، ونشرت بعضها اعلانات تحث الرئيس والشعب الامريكي على العمل لتجنب « ميونيخ » اخرى ، وتجنب حدوث مجزرة اخرى اذا أمكن(٥٩). كأن المجزرة كانت واقعة لا محالة ، فاسمعوا — يا عالم ! — الى تحاشيها .

وتتضح اتجاهات الحملة الدعائية الصهيونية — الاسرائيلية — الامبريالية ، في أمريكا عشية العدوان من ترديد الصحف والمجلات الامريكية الرئيسية والاوسع انتشارا وتأثيرا في صياغة الرأي العام الامريكي ، لمضمون هذه الحملة . ففيما بين ١١ ايار (مايو) وحتى نهاية حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ذكرت سبع صحف ومجلات امريكية ١١٢ مرة ان العرب عازمون على تدمير اسرائيل ، وكررت ١٥٠ مرة تقديم تبريرات لاعمال اسرائيل ، ورددت ٢٠٤ مرات ان العرب يسيئون معاملة اسرائيل،ولم تذكر مرة واحدة ان العرب يرغبون في السلام والامن(٦٠).

وعندما شنت اسرائيل عدوانها لم تكف عجلة دعايتها عن الدوران ، وانما دارت ودارت بشكل أسرع وأكبر ، مرددة نفس الادعاءات السابقة ، زاعمة ان العرب بدأوا هجومهم المتوقع .

هكذا ، وجهت الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية الى العرب « الاتهام » بأنهم يريدون القاءها في البحر . وصدق الرأي العام الغربي هذا الاتهام، دون أن يعطي نفسه فرصة — وكانت الحملة من الضخامة بحيث لم تتح له مثل هذه الفرصة ، بجانب عوامل اخرى — للتساؤل اذا ما كان العرب يقولون ذلك ، وهل يقصدون فعلا ما يقولون ، وهل سينفذونه ، ثم هل هم قادرون على هذا التنفيذ ؟ .

وهنا ، نجد أنفسنا وجها لوجه امام السؤال الرئيسي : هل ردد العرب حقا قبل عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أنهم يريدون القاء اليهود في البحر ؟ سؤال ليس من السهل نفيه او اثباته ، لا نملك الا ان نحاول البحث عن اجابة ، وقد نخطيء او نصيب ، ونتحمل وزر ما نفعل .

مضمون التصريحات العربية :

الاجابة الصحيحة والموضوعية على هذا السؤال تتطلب القيام برصد كل ما قاله العرب في صحفهم واذاعاتهم ، ومحطات التلفزيون ، وفي نشراتهم الاعلامية والدعائية ، وفي خطبهم واحاديثهم وبياناتهم ، معتمدين في ذلك المنهج المعروف بأسم « تحليل المضمون » Content analysis وهذه مهمة غير يسيرة . ويمكن أن نكتفي من القلادة ما يحيط بالعنق ، فنلقي نظرة على بيانات الساسة والحكام العرب ، تاركين لاخرين تتاح لهم فرصة افضل للحصول على سجلات اذاعية وصحفية وتلفزيونية متكاملة تساعدهم على استكمال الجوانب الاخرى في هذه العملية . وان كان يغلب على الظن ان ما ينطبق على تصريحات الزعماء والساسة العرب سينطبق على ما صدر عن الاجهزة الاعلامية والدعائية العربية(٦١).

اما بخصوص استخلاص العبارات التي يمكن أن تنم عن موقف العرب عشية عدوان حزيران (يونيو) ، ونظرتهم الى طبيعة المعركة ، والى العدو الذي سيخوضونها ضده ، وما هو هدفهم منها . فيمكن الرجوع الى كتاب « الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧ »(٦٢). فمن مراجعتنا للتصريحات والبيانات والاحاديث والخطب التي صدرت في الفترة ما بين تدفق التصريحات الاسرائيلية عن الهجوم على اسرائيل واسقاط الحكم القائم فيها وقتئذ ، وحتى الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، من الكتاب المذكور ، استطعنا ان نحصي بتحديد ودقة التعبيرات التي ادلى بها العرب عن المعركة التي كانوا يتوقعونها حينئذ مع اسرائيل . ومن بين

هذه العبارات تظهر كلمات مثل « القضاء » و« استئصال » و« تصديع » و« سحق » و« نسف » و« تصفية » و« تقويض » و« تدمير » و« انهاء » و« ازالة » . وجميعها موجهة ضد اسرائيل . وليس ضد اسرائيل لمجرد انهـا « اسرائيل » او « دولة اليهود » وانما ضدهـا من حيث هي : « احدى الركائز الاستعمارية » و« كيان صهيوني مصطنع » و« وجود عدواني » و« مظهر من مظاهر الامبريالية » و« دولة مغتصبة عنصرية أقامها الاستعمار العالمي » و« عميلـة للاستعمار » .. معنى هذا ان التهديدات العربية وجهت الى « اسرائيل » لانها كيـان صهيوني امبريالي عدواني غاصب ، وسالب لحقوق العرب من سكان فلسطين ، وليس للتوسع ، ويهـدد سلام المنطقة العربية وامنها ويؤخر تطورهـا وتقدمها . وبالتالي ، فان هدف هذه المعركة — التي كان العرب يتحدثون عنها — هو « تحرير فلسطين » و« استرداد » او « اعـادة » او « استعادة » او « استرجاع » — ونحن هنـا نحصي الالفاظ العربية المستخدمة — الوطـن السليب ، المشرد أهله .

بجانب هذا فان بعض القادة العرب — وأبرزهم هنا بالذات الرئيس عبد الناصر — حين أشـار الى « تدمير اسرائيل » ، و« المعركة الشاملة » ضدها علق ذلك على شرط هو « اذا بدأت بأي عمل عدواني ضد سوريا وضد مصر » — بل ان عبد الناصر قال — وكانت هذه هـي خطيئتـه العسكرية الكبرى — قال : «احنا قاعدين مستنيين، ناركين المبادأة لهم ، اللي عايز يحاربنا يتفضـل يجي يحاربنا، واحنا مستعدين ان احنا نرد عليه». اذن فلا هو هدد بقذف في بحر او باقامة مذبحة، بل لم يكن يريد القتال اصلا ، كان يريد كعادته تحقيق نصر سياسي ، وكان العدو يعرف هـذا تمام المعرفة . ولم يكن موقف عبد الناصر شاذا عن موقف الزعماء العرب الاخرين الذين حـرص بعضهم على اعلان ما يلي :

- « الصراع ليس بين العرب واليهود » .
- « الحقد ليس حقدا بين اليهود كيهود والعرب كعرب .. انها قضية استعمارية محضة » .
- « موقفنا ضد اسرائيل لا اثر فيه لاي تعصب ديني او عنصري او كراهية لليهود » .

ومثل هذه التصريحات لم يكـن مـن صـالح الصهيونية ولا من صالح حلفائها وانصارها وسادتها ان « يكشفوا » انه يوجد من العرب من يقولها، او يؤمن بها او حتى ينطق بها !.لذلك فلا بد من اقامة ستار ضخم واصم على اذان العالم حتى لا يسمع هذه التصريحات . والا فاين هي الصحيفة او الاذاعة او محطة التلفزيون الغربية التي اهتمت بنقل حديث الرئيس الجزائري هواري بومدين في مدينة سيدي بلعباس في ٣ حزيران (يونيو) ان المقابلة الصحفية التي نشرتها « الاومانيتيـه » صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي مـع وزيـر الخارجية السوري في ذلك الوقت ، وغير ذلك من الاحاديث والكلمات العربية التي تعلن انـه لا يوجد عداء عربي ضد « اليهود » كيهود ، وانما عداء العرب ، كل عدائهم ، ينصب ضـد الصهيونية وكيانها العدواني المغتصب لحقـوق الشعب العربي الفلسطيني .

وقد يبدو للبعض ان يتساءل : ولكن ما الذي كان يقصده العرب بحديثهم عن « تدمير اسرائيل » والقضاء عليها وتصفيتها ؟ . لا شك ، ان الهدف العربي في الملابسات التي سبقت لعدوان حزيران (يونيو) مباشرة لم يكن هدفا واضحا : لا محدد المعالم ، ولا معروف الحدود . من يتأمل صورة الوطن العربي في تلك الايام ، يستطيع ان يتصور وجود يد خفية ، شيطانية ، كانت تسوق العرب الى قدر او شرك منصوب لهم . بدا الموقف يومئذ وكأن العرب كانوا منساقين الى معركة ، او مستدرجين الى ساحة لا يعرفون ابعادهـا ولا تضاريسها بالضبط . ومن جهة اخرى ، لم يكن متصورا ولا معقولا ان كل عربي يتحدث بكلمة او بتعبير قد يرد عفوا على لسانه ، كالقول بـ «تدمير اسرائيل» او ازالتها ، كان عليه ان يستخرج من جيبه « مذكرة تفسيرية » توضيحية ، يقول فيهـا ان قصده كذا وكذا ، مثل الدعوة الى اقامة دولة ديموقراطية لاهل الاديان الثلاثة ، او ازالـة الطابع العنصري الامبريالي لاسرائيل...ثم يبقى ان مثل هذا الهدف كان اقصى ما يستطيع العرب في حرب حزيران (يونيو) تحقيقه والوصول اليه، ولم يكن في مقدورهم اكثر منه وذلك باعتـراف المسئولين الاسرائيليين انفسهم . وهنا يمكن القول بأن كل « العنتريات » العربية ضد اسرائيل انما نتجت في الاصل عن نقطة ضعف اساسية في الموقف العربي وهي ان العرب منذ قامت اسرائيل ،

وربما حتى اليوم ، لم يكونوا يملكون تصسورا استراتيجيا محددا لكيفية مواجهتها ، وتحقيق هدفهم في « تحرير فلسطين » . لقد صارت هذه قضية يستغلها الحكام العرب في خلافاتهم ، وفي التشنيع على بعضهم والمزايدة الكلامية ، وفي الهاب اكف الجماهير بالتصفيق كلما علا صوت الحاكم يرعد ويزبد عن « تدمير اسرائيل » وهو يعرف انه لا يفعل شيئا يحقق هذا ، كما أن العدو كان يعرف ايضا ان هذه كلمات لا تستحق عناء الاهتمام بها الا لاتخاذها وسيلة لتحقيق اهدافه الخاصة . فالفكر الصهيوني والدعاية الصهيونية — الاسرائيلية بارعان كل البراعة بحيث يحولان القول بأن المعركة موجهة ضد اسرائيل ، ليصير المعركة موجهة ضد « سكان اسرائيل » ، ضد « اليهود » .

لننظر معا كيف تتم هذه الحيلة البارعة وهي حيلة من قبيل « لوي عنق الحقيقة » ، وذلك على يد مفكر صهيوني ، يحول العرب الساميين الى اعداء للسامية : « ان شعور العرب بالغبن : لانهم حرموا من جزء من اراضيهم لامر طبيعي ، لكنه يوقعهم في شرك العنف . فيطالبون بتدمير اسرائيل ، ويخططون لابادة جماعية ، ويبررون نزعتهم العرقية . وطبعا اذا كانت دولة اسرائيل غير جديرة بالبقاء الى درجة انه ينبغي اصدار الحكم باعدامها ، فان مواطني اسرائيل هم أيضا غير جديرين بالحياة ، ومن هنا الاتجاه نحو اللاسامية . وليس ذلك صدفة من الصدف . بل هو أساس الحقد السياسي الذي يكنه العرب لاسرائيل ، ولكن يتحول يتحول العرب في نهاية الامر الى ضحايا لنزعتهم اللاسامية ... »(٦٣).

قد تبدو هذه الحيلة الفكرية لاول وهلة بارعة وذكية ، ولكنها تعتمد على منطق شكلي زائف ، وعلى حقائق مغلوطة ، لا تلبث ان تتهاوى مع اول نظرة مدققة وفاحصة . ولكن متى كان الفكر الصهيوني يهتم بالحقائق . انه مستعد لاختلاق الوقائع من اجل اثبات وجهة نظره . وهذا ما برع الصهاينة والاسرائيليون وكل حلفائهم وانصارهم في القيام به في حملتهم الدعائية التي سبقت عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ : العرب يتحدثون عن تدمير اسرائيل ، والقضاء عليها ونسف وجودها ، ولكنهم يقصدون القضاء على سكانها « اليهود » والقائهم في البحر . وبالنسبة لقطاع عريض من الرأي العام في العالم ، يكفي ان تذكر كلمة « يهودي » و« يهود » حتى تخلق رد الفعل الذي كان يريده من خططوا لهذه الحملة الدعائية التي اديرت بتركيز وضراوة قبل الخامس من حزيران .

●

يبقى معنا تصريح واحد اغفلنا الاشارة اليه عمدا ، فيما سبق ، وقد أخذ على أنه يعني «نصب مذبحة لليهود» . وهو التصريح المنسوب الى السيد احمد الشقيري ، الرئيس السابق لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويحتاج هذا التصريح لوقفة هادئة لا تحاول النفي او الاثبات ولا تتطوع بالادانة او الابراء الا على ضوء الوقائع ، والوقائع وحدها، بقدر ما تتيسر وتتوفر حتى الان .

في الاول من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، عقد السيد احمد الشقيري مؤتمرا صحفيا في العاصمة الاردنية ، عمان . وقد خرجت احدى الصحف اللبنانية في اليوم التالي وهي تعلن ان الشقيري قال في هذا المؤتمر(٦٤): « اما نحن واما اسرائيل، ولا يوجد حل وسط ، ولن نقبل بأي حل لا يؤدي الى التحرير .

« سنعمل على مساعدة وتسهيل سفرهم (اي اليهود) بالبحر الى الدول التي جاءوا منها أصلا .

« ان كل من يبقى على قيد الحياة (من الاسرائيليين الذين ولدوا في فلسطين) يبقى في فلسطين وتقديري انه لن يبقى منهم احد حيا » .

هذا ما ذكرته « الجريدة » . وكلامها لا يمكن التعويل عليه كثيرا الا اذا كانت هناك صحف عربية اخرى ، بيروتية وغير بيروتية ، قد نقلت وقائع هذا المؤتمر ، واجمعت على أن الشقيري أدلى بمثل هذا الكلام . ثم هل طيرت — على حد التعبير الصحفي المعروف — وكالات الانباء مثل هذا التصريح منسوبا للشقيري ؟

لو افترضنا جدلا ان كل هذه الوسائل اجمعت على نسبة هذا القول الى الشقيري ، فان من الممكن للمحلل الموضوعي ان يتشكك في صدق روايتها اعتمادا على أن احد الحاضرين أول احدى العبارات الشقيرية على هواه ، وهمس بها في اذن زميل بجواره ، ثم سرت بين الجميع ، ونقلوها على أنها منسوبة للشقيري . ومن المعروف ، ان أغلب المراسلين الصحفيين وبصفة خاصة مراسلي

الصحافة الاجنبية ، يحضرون مثل هذه المؤتمرات الصحفية الهامة مزودين بالات تسجيل للصوت فهل أذاع احدهم او قال انه يحتفظ بشريط صوتي مسجل لهذا المؤتمر ، وعليه هذا الكلام المنسوب الى الشقيري . هذه كلها تساؤلات لا نملك جوابا محددا عليها ، ولكن هذا لا يمنع من طرحها والقائها .

أما الاستاذ الشقيري فينفي انه قال هذا الكلام. ويقدم من جانبه ما يعتبره « نصا رسميا » للمؤتمر الصحفي الذي عقده . وقد بعث بهذا النص الى « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » لتضمه الى كتابها الوثائقي الخاص بعام ١٩٦٧ ، كما أعاد نشر هذا النص في كتاب اخير له(٦٥).

يصف الشقيري — في كتابه — المؤتمر الصحفي بأنه كان خاصا بالمراسلين الاجانب بالاضافة الى الصحفيين العرب ، وأنه شرح الموقف العربي بالنسبة الى القضية الفلسطينية والمؤامرات الدولية التي أدت في النهاية الى تشريد الشعب الفلسطيني ثم يورد النص التالي :

« س : هل تعتقدون أن التوتر الحاضر سيؤدي الى حرب بين الدول العربيه واسرائيل ؟

ج — يبدو لي ان الحرب واقعة لا محالة ، وأنه اصبح لا مفر منها .

س : وهل ستشترك منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الحرب ؟

ج — لقد وضع جيش التحرير الفلسطيني تحت امرة الدول العربية ليحارب الى جانبها ، بل انه سيكون في الصفوف الامامية في هذه المعركة .

س : وما هو هدفكم اذا ربحتم الحرب ؟

ج — ان هدفنا هو تحرير وطننا من الاحتلال الاسرائيلي ، شأننا في ذلك شأن جميع الحركات التحريرية في العالم ، نناضل من أجل حريتنا الوطنية وسيادتنا القومية .

س : وما هو مصير الاسرائيليين وهل تلقونهم في البحر ؟

ج — لا نريد القاء اليهود بالبحر ، هذه تهمة قديمة ، أول ما زيفتها الصهيونية على القيادة الفلسطينية عام ١٩٢٩ اثناء الثورة التي نشبت لمناسبة احداث حائط البراق . أما مصير الاسرائيليين ، فهو موضوع تقرره الامم المتحدة باعتباره مشكلة دولية .

س : هل تفضل لنا هذا الرأي ؟

ج — لقد سبق لي في عام ١٩٥٧ ، ان تقدمت باقتراح الى الامم المتحدة ودعوت فيه الى انشاء وكالة تعرف بـ « وكالة العودة » تعمل على تسهيل اعادة الاسرائيليين الى مواطنهم الاولى . وانني أضيف الان ان الدول العربية بوصفها أعضاء في الامم المتحدة مستعدة ان تساهم بنصيبها في ميزانية هذه الوكالة لتسهيل عودة الاسرائيليين الى أوطانهم السابقة .

س : وهل معنى ذلك انكم تريدون طرد اليهود من فلسطين ؟

ج — ليس هذا صحيحا ، نحن ضد اسرائيل الدولة ولسنا ضد اليهود بهذه الصفة . نحن نقاوم الحركة الصهيونية وجميع الصهيونيين سواء كانوا في فلسطين او خارجها . ان اليهود الفلسطينيين يستطيعون البقاء في فلسطين ، وكذلك اليهود الذين جاؤوا من البلاد العربية وليس لنا عليهم الا شرط واحد وهو أن لا يكون لهم ولاء للصهيونية ولاسرائيل الدولة .

س : واليهود الباقون ؟

ج — يعودون كما جاؤوا ، لقد جاؤوا بالبحر ، وبالبحر يعودون ، ونحن مستعدون ان نساهم مع الامم المتحدةفي تسهيل عودتهم الى اوطانهمالاولى».

ويضيف الشقيري في رسالته التي بعث بها الى « مؤسسة الدراسات الفلسطينية » قائلا : « هذه هي الاسئلة والاجوبة من ذلك التصريح الذي زورته الدعاية الصهيونية ، في كل انحاء العالم ، وزعمت فيه أنني قلت بأننا نلقي اليهود بالبحر ، فأدخلته في أفلامها وكتبها ، والصحافة التي تسيطر عليها ، حتى جاز على بعض العرب بين غافل او مغفل . وقد كذبت الكذب الصهيوني في مؤتمرات صحفية عقدتها في الخرطوم ، وبيروت ، وفي بغداد وفي الكويت وفي الجزائر ، ولكن سيطرة الصهيونية راحت تصر ان التكذيب كاذب !! »

ويكمل الرواية في كتابه على النحو التالي : « في طرفة عين انطلقت وكالات الانباء العالمية تنقل الخبر الرهيب : الشقيري يعلن من عمان ان العرب يحاربون لالقاء اليهود بالبحر . واستمرت هذه الحملة بكل شراستها وضراوتها ودخلت حرب

الايام الستة ، ودخلت معها هذه الجملة على هامش الانتصارات في الجولان وسيناء وفي قطاع غزة » .

وبالطبع ، فنحن لسنا امام « فزورة » ما بين نسبة هذا القول الى الشقيري ، ومـا بين نفي الشقيري له . وعلى أية حال ، فان رجلا كالشقيري بما له من دراية وخبرة بقـوة أجهزة الدعايـة الصهيونية ، كان يعرف ان الصهيونية تتربص به — كما تتربص بكل مسؤول عربي — تنتظر أن تتلقف منه عبارة تستغلها في معركتها الدعائية . وهذه المعرفة كانت تفرض عليه ، وهو في مركز رسمي وحساس في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، التحرز والتحوط كثيرا قبل أن ينطق بعبارة « انه لن يبقى منهم احد » .

من زاوية أخرى ، مـن المحتمل ، أن رجلا كالشقيري جهوري الصوت ، يجيد الخطابة ، وهي بطبيعتها تدفع صاحبها الى الانسياق وراء الكلمات الرنانة ، بالاضافة الى جو الحماس الذي كان سائدا وقتئذ ، قد انزلق الى الافضاء بهذا القول ؟

ثم لماذا كل هذا الضجيج والصخب حول هذه الواقعة ؟

لنفـرض جـدلا — كمـا يقـول المناطقة — ان الاستاذ الشقيري قال العبارة المذكورة، الا يمكن ان يؤخذ هذا على انه الاستثناء الذي يثبت القاعدة. والقاعدة هنا — كما تبين مما سبق — ان العرب لا يكنون عداء أو حقدا ضد اليهود من حيث هم يهود ، وانما عداؤهم موجـه ضد الصهيونيـة والصهاينة واسرائيل بتكوينها العنصري ، وكذراع امبريالي مفروض داخل الوطن العربي . ولو كانت المشكلة مشكلة تصريحات لامكن ان نورد مئات ان لم يكن آلاف التصريحات التي ادلى بها مفكرون وساسة صهيونيون واسرائيليـون — منذ بداية الحركة الصهيونية وحتى اليوم — تحط من العرب وتحقر تاريخهم وقيمهم ، وتدعـو الى القائهم في الصحراء ...

اللغة العربية الخطابية وعوامل اخرى :

هل نستطيع أن نخلص مـن هذا العـرض والاستعراض الى الاستنتاج بأن العرب لم يقولوا « بالقاء اليهود في البحر » لم ينطقوا هـذا ولم يهدفوا اليه ، فلم يكن قصدهـم اقامة مذبحـة « بوجروم » ضد « اليهود » ؟

في ضوء ما سبق ، فان هذا الاستنتاج قابل للترجيح ، وقابل للميل اليه . ولكننا لا نستطيع قوله بشكل مطلق يتصف بالتعميم والقطع . وسبب ذلك ان بعض التصريحات العربية يمكن ان تمتد اليها آلة الدعـاية الصهيونية — الاسرائيليـة بالزيادة ، والتشويه ، والمبالغة ، وتحولها الى اجماع عربي على القاء اليهود في البحر . فرجل الدعاية — خاصة الدعاية غير المبدئية — هو في المقام الاول رجل يجيد التلاعب بالحقائق ، يحورها كيف يشاء ويفسرها على نحو يخدم أهدافه ، بل انه يختلق الحقائق أحيانا اذا اضطر لتأييد الفكرة التي يريدها . وتاريخ الدعايـة الصهيونية — الاسرائيلية ضد العرب سلسلة متصلة من هذه العملية .

ولكننا لا بد أن نقرر ان هذه الدعاية حين فعلت ذلك ، وما زالت تفعله ، وجدت عوامل مساعدة لها في القيام بعملية « التشويه » اللغوي ، وفي تحقيق النجاح فيها . من هذه العوامل ثلاثة عوامل رئيسية ، وكل منها يمكن ان تتشعب عنه عوامل فرعية أخرى . هذه العوامل الثلاثة هي :

١ — طبيعة اللغة العربية : من المعروف ان كل لغة من اللغات لها ذاتيتها الخاصة من حيث تركيباتها ، وتكوين جملها ، وميلها الى التأكيد والمبالغة ومدى التدقيق في استخدام الكلمات وغير ذلك . ومن الشائع ان اللغـة العربية تعطي « الفكرة معنى مبهما على العموم ، وتشدد على الاهمية النفسية للرمـوز الكلامية علـى حساب معانيها ... وتكثر من التأكيد والمبالغة » . وهي لغة ميالة الى المجاز والتعبيرات الخيالية والادبية أكثر من ميلها الى الدقة ، بحيث يكون لكل كلمة في الجملة معناها ومغزاها . والانسان العربي ميال أيضا الى المبالغة والتأكيد في كلامه ، وترديد الالفاظ الضخمة الفخمة ذات الجرس العالي(٦٦). وهذا واضح في الادب العربي الكلاسيكي : شعره ونثره ، وفي الخطابة العربية . وكل منا يستطيع ان يتذكر عشرات الابيات من الشعر التي « تهد » الكون بالكلمات : « اذا غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس او سبكت دما » او « اذا بلغ الفطام لنا رضيع... تخر له الجبابر ساجدينا» وغير ذلك كثير كثير .

كما ان مقدمات « الجملة » العربية — وهي عادة جملة مركبة طويلة — لا تدل احيانا على نهايتها ، بحيث يمكن فصل اي جزء منها ، وأخذه على حدة والتدليل به على وجهة نظر معينة ، قد يكون الكاتب الاصلي يريد التدليل على عكسها . ونستطيع ان نذكر مثلا على ذلك بيت شعر معروف: «١٠ألا أيها النوام ويحكمو هبوا ... أسائلكم هل يقتل الرجل الحب » . ان جرس الكلمات ، ورنتها ومضمون « صدر » البيت لا يوحي ابدا بأن الشاعر سينتهي بنا في « العجز » الى عاشق محبط ، يائس لدرجة أنه يتساءل عما يفعله الحب بالناس ، بعد أن كان متوقعا أنه سيدعو سامعيه وقارئيه الى خوض معركة او التهديد بها .

هذه بعض خصائص لغة الضاد . وهي خصائص لا تمثل في حد ذاتها عيبا في هذه اللغة . ولكن رجل الدعاية يستطيع ان يلعب على هذا الحبل حين يترجم من لغة الى أخرى : فحيث ان كل لغة لها تركيبها الخاص ، واصطلاحاتها ورموزها الخاصة، يكون من الصعب اعطاء نفس المعنى وبدقة تامة عند الترجمة من لغة لاخرى . وقد تتوفر قدرة كبيرة لقلة من المترجمين ممن يمتلكون ناصية اللغتين التي يترجمون منها والتي يترجمون اليها ، على تخطي مثل هذه العقبات . ولكن ما حاجة رجل الدعاية الى ذلك ؟ ان هذه نعمة هبطت عليه من السماء ، وعليه أن يستغلها فيما يريد من تشويه وتحريف في المعنى بالشكل الذي يحقق له الهدف المطلوب . ولذلك يجد رجل الدعاية في « سيولة » اللغة العربية ، وفي ميل ابنائها الناطقين والكاتبين بها الى الاطناب والمبالغة في التأكيد والوصف ، يجد في ذلك منبعا ثرا عند النقل الى اللغات الاخرى لتشويه المعنى على النحـو الذي يهواه ، فقد يستطيع بنفس الالفاظ أن يختلق معنى جديدا غير المعنى الاصلي . ويأخذ المعنى المجازي ويقدمه على انه معنى لا خيال فيه ، وغير ذلك .

٢ — ان كل شعب من الشعوب تتولد عنده عادة حساسية خاصة تجاه بعض الالفاظ ، كما ان لكل شعب ظروفا حضارية وثقافية خاصـة ، تشكل مفاهيمه العقلانية ، وأساليبه في مناقشة القضايا واستيعابها بشكل خاص . ومـن المعروف ان الشعوب الاوربية — نتيجة لتجاربها الخاصة — لديها حساسية شديدة تجاه لفظ او كلمة «يهودي». مجرد نطق الكلمة يولد شكلا ما من اشكال ردود الفعل النفسية التي تعبر في حقيقتها عن التوتر والخوف والاحساس بالذنب والرغبة في التكفير . وخبراء الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية يدركون كل هذا ، ولذلك يسارع كل واحد منهم الى نقل اي تصريح عربي يتحدث عن « اليهود » دون ان يذكر الصهاينة أو الاسرائيليين [وان كان الداعية الصهيوني — الاسرائيلي يجعل هذه الالفاظ الثلاثة ذات معنى واحد ولا يقبل أي تفرقة بينها] وهو واثق ان مجرد ذكر هذا التصريح سيعطيه رد الفعل الذي يبغي خلقه وتكوينه فيمن يخاطبه . فما بالنا حين يقال للشخص المخاطب : انظـر « العرب يريدون القاء اليهود في البحر » !! وها هم يرددون ذلك في صحفهم واذاعاتهم وبعظمة او عظام ألسنة قادتهم .

٣ — والذهن الغربي — بالمدلول العام والواسع لكلمة الغرب— يحمل صورة مشوهة عن العرب(٦٧)، لها خلفيات متعددة عاطفية وفكرية تعكس تجربة تاريخية عرفت الصراع والحرب والقتال ، ونتج عن ذلك عداء ظاهر او خفي، علني او كامن مستتر تأتي الدعاية الصهيونية — الاسرائيلية لتوقظـه وتستنزه قائلة ان « العرب يريدون القضاء على اسرائيل » لانها القلعة التي تحمي الثقافة الغربية وسط هذا العالم المتخلف ، وهي واحة الديمقراطية في عالم تحكمه وتتحكم فيه الدكتاتورية والحكومات العسكرية .. وما الى ذلك مما تعرف الصهيونية انه سيكسبها تأييد ومناصرة القوى التي تخاطبها.



لا شك ان العرب قد ألقوا — كعادتهم — قبل عدوان حزيران (يونيو) بسيل متدفق من الكلمات والبيانات والتصريحات والتهديدات . حملت جميعها قدرا هائلا من الحماس . وعبرت الكلمات والالفاظ عن أكثر مما كان مقصودا ومطلوبا ومستطاعا . من يسترجع صورة الجو العربي الذي ساد في تلك الايام ، يحس — كما سبق القول — بأنه كانت توجد « هيصة » — ولا أجد كلمة أدق في التعبير عما أريد من هذه الكلمة — اختلطت فيها أشياء كثيرة وعديدة ، وأخذت الاحداث برقاب بعضها ، وتدافعت الحوادث ، وظهر العرب وكأنهم مساقون الى طريق لا يعرفون نهايته ، لانهم لم يختاروها ولم يحددوها . كانت طبول العدو تدق وكنا نرقص على وقعها : تصريحات وبيانات ساخنة . كان سهلا في مثل هذا الجو ان يتفوه البعض بكلمات تقول أكثر

مما كنا نريد ونقدر . على العكس من ذلك كان موقف العدو محددا ومرسوما : كانت كلماته عكس ما كان ينويه ويبتغيه ويقدر عليه : كان مستعدا للعدوان وجاهزا للقيام به ، ولا يتحدث ، خاصة في الخارج ، الا عن اسرائيل المسالمة التي تنتظر قدرها بالموت يزحف عليها كالقدر .

ولكن المسألة في جوهرها ، ليست مسألة بيانات أو تصريحات . هل كانت اسرائيل ستكف عن العدوان لو ان العرب لم ينطقوا بتصريحاتهم النارية ؟ أو هل كان العدوان حربا دفاعية كما ادعت اسرائيل ؟ لو كان الامر كذلك فلماذا مثلا لا تتراجع اسرائيل [وهذا جزء من اوهام بعض العرب] بسلام عن الارض التي احتلتها بعد أن كف العرب عن توجيه «صواريخهم» الكلامية نحوها وأعلنوا انهم لم يكونوا يقصدون اقامة مذبحة ضد « اليهود » أو رميهم في البحر ؟

عند هذا الحد تتكشف لنا القضية كلها في أن الامر بالاساس — حتى لو اعتمد على تصريحات صحيحة لمسؤولين عرب — كان حملة دعائية مخططة ومرسومة ومحددة الهدف . فاسرائيل في وقت كانت تستصرخ فيه العالم : انقذونا ، نحن في خطر ، العرب المتوحشون يريدون القاء السكان اليهود في البحر ، كانت تعرف تأكيدا ان العرب غير مستعدين للهجوم عليها وبدء القتال معها ، وكانت تعرف ايضا انهم حتى لو بدأوا القتال ، فانهم أضعف من تحقيق نصر كبير يتمكنون بواسطته من القاء اليهود في البحر ، بافتراض جدلي بأن مثل هذه النية موجودة لديهم ، مع انها — كما رأينا — غير واردة على ذهن احد الا أذهان الصهيونيين والاسرائيليين وحلفائهم الامبرياليين العالميين كستار لتغطية العدوان الذي كانوا يستعدون له .

ومنذ العدوان حتى الان تكشفت وقائع ، وتأكدت حقائق تدلل على ذلك . وقد أشار الى هذا وزير الخارجية المصري الدكتور محمد حسن الزيات ، أمام مجلس الامن في جلسته بتاريخ ٦ حزيران (يونيو) ١٩٧٣(٦٨): « ان الاسطورة التي اختلقتها اسرائيل ومن يؤيدونها لتبرير هجومها ضدنا في سنة ١٩٦٧ ، مدعية بانها كانت معرضة لخطر الابادة من جانب مصر سرعان ما بددها أولئك الذين اختلقوها . ولقد أدلى الجنرال رابين ، الذي كان في ذلك الوقت رئيس أركان اسرائيل ، بتصريح نقلته عنه جريدة (هآرتس) في ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ ، وجريدة (لوموند) في ٢٩ فبراير ١٩٦٩ ، ذكر فيه انه كان معروفا لدى اسرائيل ان مصر ليس لديها أي نية في الهجوم على اسرائيل في مايو — يونيو ١٩٦٧ . ولم يكن الجنرالات الاسرائيليون هم وحدهم الذين اعترفوا بعدم وجود مثل هذا الخطر، وأن مصر التي لم تبدأ الهجوم على اسرائيل في سنة ١٩٥٦ لم تكن ايضا تعد هجوما على اسرائيل في ١٩٦٧ . فقد اعلن ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل في ١٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ : « ان تغيير مواقع القوات المصرية في سيناء عشية الحرب انما كان ذا طبيعة دفاعية ». أما وقد بدد الاسرائيليون انفسهم خرافة « خطر الابادة المحيق » ، فقد كان عليهم ان يبحثوا عن ذريعة اخرى لتبرير عدوانهم ... »

لماذا اذن هذا التركيز الدعائي الصهيوني — الاسرائيلي على القول بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر ؟ بالاضافة الى ما سبق ، ضمنا، من أسباب ، تؤخذ أسباب عدة يمكن ان نوردها بايجاز :

١ — المزيد من تشويه الصورة العربية لدى الرأي العام في العالم العربي ، بتصوير العرب بأنهم برابرة ، متوحشون ، معادون للسامية ، مع ما يثيره مجرد ذكر هذا الاتهام من تعاطف مع اسرائيل ، وتأييد لها .

٢ — تبرير الاعتداءات الاسرائيلية ، الصغيرة والكبيرة ، على الدول العربية بتصويرها على أنها « حرب دفاعية » قبل ان يتمكن العرب من نصب مذبحة ضد « اليهود » لافنائهم والقضاء عليهم .

٣ — التلاعب على « عقدة الذنب » في النفسية الاوروبية تجاه « اليهود » ، وذلك بربط كل ما هو صهيوني واسرائيلي باليهود وبما تعرضوا له من عمليات اضطهاد ، لا يجب ان تتكرر .

٤ — جذب المعونات الاجنبية ، خاصة من « يهود » الدياسبورا ، حتى لا يتعرض اخوانهم في الدين لمذبحة يقيمها اعداؤهم في الدين من « المسلمين » .

٥ — وفي داخل اسرائيل ، فان ترويج هذا الشعار يدفع سكانها الى التضامن والتآزر والانصهار والاندماج في مواجهة « عدوان عربي »

متنظر في كل لحظة يهددهم جميعا لانهم « يهود » . وفي نفس الوقت فان هذه العبارة تستخدم كحافز لافراد الجيش الاسرائيلي لان يقاتلوا بشراسة ، فكل معركة هي معركتهم الاخيرة ، والويل لهم اذا انتصر العرب مرة واحدة ، فالعرب امامهم والبحر وراءهم !!

ان النتائج التي تقضي اليها أي سياسة هي المقياس الوحيد للحكم عليها ، ولا يجوز الحكم على أي سياسة بناء على النوايا ، او الكلمات التي ترد في تصريحات او خطب او احاديث صحفية . فتصريحات الرغبة في الاعتداء لا قيمة لها ما دام هذا العدوان لم يقع . واذا كان الحكم على السياسة يتم بناء على التصريحات والكلمات والاقوال فان الصهيونية هي أول من يوضع في قفص الاتهام بالعنصرية والوحشية والبربرية ومجافاة الروح الانسانية وغير ذلك من الاتهامات التي ترمي بها العرب . فالفكر الصهيوني منذ نشأته وحتى الان ، وبعد الان ، لا ينكر ولا يخفي هدفه في طرد العرب والقائهم في الصحراء ، والقضاء على حضارتهم وغير ذلك .

ولكن هناك فرقا هائلا وضخما بين التصريحات العربية والتصريحات الصهيونية — الاسرائيلية . فقد بقيت التصريحات العربية مجرد كلام . أما الصهاينة فقد حولوا تصريحاتهم وكلماتهم الى واقع عملي نراه اليوم مجسدا امام عيوننا فوق أرض الواقع : ما بين طرد العرب من اراضيهم واحتلال وطنهم ، وطرد السكان منه ، وتشريدهم ، ورفض الاعتراف بحقوقهم وأولها حق العودة الى وطنهم ، بينما تعطي اسرائيل هذا الحق لاي صهيوني يهاجر اليها ، حالما تطأ قدماه أرض الميعاد .

الفرق واضح بين ما قاله العرب ولم ينفذوه ، وما قاله الصهاينة وينفذونه بدأب وباستمرار ، واضح من أعمال اسرائيل منذ عدوان ١٩٤٨ ، ومنذ عدوان ١٩٦٧ ، وما تقوم به ضد السكان والاراضي العربية .

ذكر تقرير خرج من اسرائيل اخيرا ، ان خطتها لهدم القرى العربية في الاراضي المحتلة نتيجة لعدوان ١٩٦٧ ، بعد سحب الارض من ملاكها العرب ، تسير تماما بنفس الوتيرة التي سارت بها منذ ١٩٤٨ . وعلى سبيل المثال — يقول التقرير — ان اسرائيل احتلت في عام ١٩٤٨ حوالي ٤٧٥ قرية عربية هدمت منها حتى اعداد التقرير واذاعته ٣٨٥ قرية وبقي ٩٠ قرية فقط !(٦٩)

فليست العبرة أبدا بتصيد الكلمات ما بين فقرة هنا او تعبير هناك : يرد عرضا ودون تدقيق في حديث لسياسي تأخذه موجة حماس ، او في مقال صحفي غير مدروس يكتبه بعض من لا قدرة لهم الا على رص الكلمات دون اكتراث بمعناها الدقيق ، او في تعليق اذاعي سريع .. العبرة هي بالخط الفكري والسياسي المحدد والواضح والثابت من ناحية ، وبتنفيذ هذا الخط تنفيذا عمليا من ناحية أخرى . في ضوء هذا هل نريد تبرئة العرب من تهمة الرغبة في القاء اليهود في البحر ؟

دون أن تنقصنا الجراة على تقديم الاجابة المباشرة على هذا السؤال ، تقول ان احدا لا يستطيع ان يدعي — مهما حاول ومهما تصيد : مغفلا حقائق التاريخ ومتجاوزا حقائق الواقع — أن الخط الثابت في الموقف العربي هو « القاء اليهود في البحر » . فضلا عن ان هذا لم يحدث ولن يحدث . فالعرب لم يدعوا حقا تاريخيا في ارض يسكنها شعب غيرهم ، ولا هم طردوا سكانها منها ، وتركوهم لاجئين خارجها : ينكرون عليهم اي حق في العودة الى وطنهم . وفوق ذلك : ان تراث العرب وقيمهم وتاريخهم مع « اليهود » من سكان الوطن العربي ، بعيد كل البعد عن التعصب . والعرب بصفة عامة يعطون مكانا فريدا لاحترام الكائن البشري وتقديسه وتكريمه ، حتى ولو كان عدوا لهم ، وهم اصلا لا ينظرون الى « اليهود » كأعداء بل « اخوان لنا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وهو المبدأ العظيم الذي أعلنته واكدته حركة المقاومة العربية في فلسطين منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، ولم تتخل عنه رغم الاجتياح والاضطهاد الصهيوني الفظيع الذي لاقاه العرب على يد الصهاينة في فلسطين . ولذلك فان عداء العرب هو ضد الصهيونية ، والصهاينة ، وضد اسرائيل كدولة صهيونية عادية غازية توسعية ، تمثل قاعدة للاستعمار والامبريالية في المنطقة العربية .

الحواشي :

١ — قد يوحي هذا التعبير بأن النصر الدعائي الاسرائيلي كان اهم من الانتصار العسكري ، حسبما يرى بعض الكتاب والمفكرين العرب . وهو رأي ساد خصوصا في أعقاب الهزيمة العربية مباشرة ، حين حاول كثيرون القاء التبعة كلها على الدعاية والاعلام والعجز والتقصير في هذا المجال . انظر مؤلف استاذنا الدكتور حامد عبدالله ربيع « **فلسفة الدعاية الاسرائيلية** » . سلسلة دراسات فلسطينية — ٧٢ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت تموز (يوليو) ١٩٧٠ . ص ٢٠ ، حيث يقول : « ... مظاهر اخرى تعكس النصر الساحق للعمل الدعائي الاسرائيلي وكيف ان هزيمة ١٩٦٧ كانت اعلامية اكثر منها عسكرية » . بينما يقول في موضع اخر من نفس الكتاب ص ٥٥ — ٥٦ : «الحقيقة التي يجب ان تتذكرها دائما هي ان الدعاية مهما بلغت من قوة فهي في ذاتها سلاح فرعي ، هي لا تستطيع ان تلغي الحقائق الموضوعية ، الدعاية مهما بلغت من قوة لا يمكن ان تلغي سياسة ناجحة او ان تحيل سياسة اثبتت اخفاقها الى سياسة ناجحة . هي عامل اساسي وحاسم في تضخيم النجاح او في تحويل الفشل الكلي الى فشل جزئي ولكنها لا تستطيع ان تجتاز هذه الحدود . لقد ظلت دعاية هتلر حاسمة طيلة فترة انتصاراته المذهلة ولكنها انقلبت الى اخفاق منذ ان بدأت موجة المد النازي تتقلص وتبرز اخطاء ونقائص الحكم الهتلري » . وهذا رأي اقرب الى الصحةكثيرا من الرأي السالف ومع ذلك فليس الدكتور ربيع فريدا في هذا الباب اذ يجاريه في التضخيم من دور نجاح الدعاية الاسرائيلية الدكتور ميشال سليمان (« وسائل الاعلام الجماهيرية والحرب » في د. انيس صايغ : مشرف : **فلسطينيات — المجموعة الثانية** . سلسلة كتب فلسطينية — ١٨ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت سنة ١٩٦٩ . ص ٩٣) فيقول: «... احدى النتائج التي سيتوصل اليها المؤرخون في المستقبل من دراساتهم لاحداث صيف عام ١٩٦٧ هي ان اعظم عمل انجزته اسرائيل لم يكن انتصارها العسكري بل نجاحها في ايصال وجهة نظرها الى الرأي العام العالمي وقبوله بها ، وان هزيمة العرب الكبرى لم تكن على أرض المعركة بل فيالتنافس على استدراج عقول الناس » !!

٢ — من الحوادث الغريبة التي تدل على ان الدعاية الاسرائيلية ما زالت متشبثة — حتى الان وبعد انتصارها واحتلالها للمزيد منالارض العربية — برفع شعار ان العرب يريدون القاء اليهود في البحر ما رواه الصحفي والسياسي المصري المعروف محمد حسنين هيكل اخيرا في مقاله الاسبوعي الشهير بصراحة (**الاهرام** ، السنة ٩٩ ، العدد : ٣١٥٩٨ ، الجمعة ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٣) تحت عنوان «عزيزي المستشار » يقصد المستشار فيلي برانت مستشار المانيا الاتحادية (الغربية) . يقول هيكل : « ليس عندي ما اقوله عن مسز مائير ، فهي مغرمة بتحريف كلامي او باستنتاج ما لم اقله من خلال ما اكتب ... وهي امامك هذه المرة تكرر نفس الشيء ... تقول انني ادعو الى تدمير اسرائيل، والى القاء اليهود في البحر، وتستنتج ذلك من عبارة في مقالي الاخير كان ما قلته فيها بالنص : « ان اسرائيل — بوضعها وتركيبها ومزاجها الحالي — لا مستقبل لها في هذه المنطقة وانها كيان محكوم عليه تاريخيا ». ويضيف هيكل : « ولست ارى في هذه العبارة دعوة الى تدمير اسرائيل ، والى القاء اليهود في البحر . لقد خصصت حين قلت : « اسرائيل بوضعها وتركيبها ومزاجها الحالي » ... لم يكن الكلام افلاتا ولا كان جزافا . ثم انني حددته حين قلت « انها كيان محكوم عليه تاريخيا » وقبل هذه الفقرة روى هيكل ان مسز مائير دفعت بكلام الى المستشار برانت قائلة له : تفضل واقرأ ماذا يقولون ... أليس هذا واحدا من الذين تقرأون لهم في اوروبا — ! — وتستمعون اليهم ... ها هو يخط يده وبعظمة لسانه يطالب بتدمير اسرائيل والقاء اليهود في البحر .. حتى تصدقونا عندما نقول لكم ان عداء هؤلاء الناس لا يقف عند حد .

هذه الواقعة تفسر لنا كيف يستخرج الذهن الاسرائيلي على هواه من كلام العرب ما يريد استخراجه ويفسره بالشكل الذي يحلو له ويروقه . لا نريد هنا ان نستبق الامور فندعي بان هذا تقريبا وعلى نحو ما هو اسلوب

اسرائيل ، قادتها ، ورجال دعايتها في قولهم بأن العرب يريدون القاء اليهود في البحر . ومما يستحق الذكر هنا ان محمد حسنين هيكل كان واحدا من اكثر الذين نعوا على العرب تهديداتهم « العنترية » بالقضاء على اسرائيل او تدميرها او القاء اليهود في البحر .

٣ — في موقف الصهيونية والفكر الصهيوني تجاه العرب انظر على سبيل المثال :

أ — الدكتور اسعد رزوق : **اسرائيل الكبرى — دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني** . سلسلة كتب فلسطين — ١٣ مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت تموز (يوليو) سنة ١٩٦٨ .

— **الصهيونية وحقوق الانسان العربي** ، جزءان . دراسات فلسطين ٤٧ ، ٤٨ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ .

ب — ج. م. ن. جفريز : **فلسطين اليكم الحقيقة** . ترجمة احمد خليل الحاج . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ ، ١٩٧٢ (أربعة اجزاء) .

جـ — ملخص كتاب **التجربة والخطأ (مذكرات حاييم وايزمان)** ترجمة وديع البستاني .مطبعة الحكيم ، الناصرة ، ١٩٦٤ .

د — **يوميات هرتزل** — اعداد د. أنيس صايغ. سلسلة كتب فلسطينية — ١٠ . مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ .

وغير ذلك من المؤلفات التي تتوافر حاليا في المكتبة العربية .

٤ — الدكتور علي الدين هلال : « التطويق الصهيوني للرأي العام الامريكي » . **السياسة الدولية** : السنة التاسعة ، العدد ٣٣ ، تموز (يوليو) ١٩٧٣ . ص ٤٢ ، وانظر ص ٣٩ .

٥ — حين ذهبت « لجنة كينج — كراين » الى فلسطين ، كان أهل كل قضاء يستقبلونها رافعين شعارات وطنية ، كان من بينها شعار « الدين لله والوطن لاهله » ، كما في قضاء جنين في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩١٩ . (انظر **الكوكب** ، العدد ١٤٨ ، في ٨ تموز (يوليو) ١٩١٩ ، ص ٤) .

٦ — الدكتور أسعد رزوق ، **اسرائيل الكبرى** ، ص ٣٦٧ .

٧ — **المصدر نفسه** .

٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٩٠ — ٣٩١ .

٩ — عبد الوهاب الكيالي (جامع ومصنف) : « **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٨ — ١٩٣٩)** » . مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ . ص ٢ .

١٠ — **الكوكب** ، العدد ١٣٧ ، في ١٩١٩/٤/١٨. ص ١٢ .

١١ — **الكوكب** ، العدد ١٤٩ ، في ١٩١٩/٧/١٥، ص ٣ .

١٢ — نقلا عن أسعد رزوق : **اسرائيل الكبرى** ، ص ٤٢٤ .

١٣ — **الكوكب** ، العدد ١٤٨ ، في ١٩١٩/٧/٨ ، ص ٢ .

١٤ — **الكوكب** ، العدد ١٥٠ ، في ٢٢/٧/ ١٩١٩ . ص ٥ .

١٥ — د. أسعد رزوق : **اسرائيل الكبرى** ، ص ٤٢٥ .

١٦ — ا. شليستر : « الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين » (دراسة منشورة في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٢٩ . ترجمة رياض يونس . **دراسات عربية** ، السنة السادسة ، العدد ١٠ ، اب (أغسطس) ١٩٧٠ . ص ٣١ — ٣٢ .

١٧ — اميل توما : **جذور القضية الفلسطينية** . دراسات فلسطينية — ٩٢ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ . ص ١٥٧ — ١٥٨ .

١٨ — الكيالي : **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية** ، ص ٩٨ .

١٩ — محمد عبد الله عنان : « القضية الفلسطينية كما هي اليوم : حديث لسعادة رئيس اللجنة التنفيذية كاظم باشا » **السياسة الاسبوعية** ، العدد ٦٣ ، السبت ٢١ ايار (مايو) ١٩٢٧ . ص ١٨ .

٢٠ — **الاهرام** ، السنة ٥٦ ، العدد ١٦٢٣٦ ، ٥ شباط (فبراير) ١٩٣٠ . ومن امثلة التزوير الصهيوني في تلك السنة نسبة احاديث وأقوال الى بعض القادة العرب لم يقولوها ، ومن امثلة ذلك : نسبة حديث من ملك مصر الى الحاخام الاكبر في مصر ، وحديث من شيخ الجامع الازهر الى الحاخام ، وتزوير حديث عن

لسان المفتي الحاج أمين نشر في « **البالستين بولتين** » وغير ذلك . انظر **المقطم** ، العدد ١٢٣٨١ في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٩ ، وفي ٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٩ ، و ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٩ ، و ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٠ .

٢١ ــ شليستر : « الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين » ، **مرجع سابق** ، ص ٣٨ .

٢٢ ــ **المصدر نفسه** .

٢٣ ــ الشائع ان مثل هذه الرسالة نسب الى الحاج امين الحسيني . وقد اثير هذا أمام « لجنة شو » التي جاءت للتحقيق في اسباب الانتفاضة . واثار الموضوع مريمان « محامي الجانب الصهيوني » ، ولكنه لم يستطع ان يجزم بصحته (انظر نص الرسالة المزعومة في **المقطم** العدد ١٢٣٨١ ، مرجع سابق) . ولكن محامي الحكومة اي محامي الادارة الانتدابية في فلسطين اعلن اعتراف الحكومة بتزوير الرسالة . ووافقه على هذا رئيس اللجنة حتى انه هدد الصحفيين بحرمانهم من حضور الجلسات اذا لم يراعوا الدقة فيما ينشرونه ، لان الصحف الصهيونية حرصت على اثارة الموضوع والتهويل فيه واعتباره حقيقة واقعة. انظر **المقطم** ، العدد ١٢٣٨٣ في ١٩٢٩/١١/١٠.

٢٤ ــ يعتبر الشيخ عز الدين القسام هو مفجر الشرارة الاولى لهذه الثورة العظيمة . وهو من رجال الدين . ولكنه كان لصيقا بالطبقات الكادحة من الشعب ، ولم يكن مواليا للقيادات الاقطاعية التقليدية ، ولا كان من المتاجرين بالدين . كان مناضلا استوعب المفهوم النضالي للدين الاسلامي من حيث هو عقيدة تحض على الجهاد دفاعا عن الحق ، سواء كان حقا فرديا أو حقا جماعيا ، سواء تعلق بدم الفرد او ماله او عرضه ، او بأرض الوطن او ما اطلق عليه الفقهاء « دار الاسلام » التي اعتبروا ان الاعتداء عليها يجعل الجهاد فريضة على كل مسلم قادر .

٢٥ ــ نقلا عن **الاهرام** ، السنة الخامسة والخمسون ، العدد ١٦١٠١ ، في ١٩٢٩/١٠/٢.

٢٦ ــ **الاهرام** ، السنة ٥٥ ، العدد ١٦١٧٣ ، ١٩٢٩/١٢/١٤ .

* هذا خطأ لغويا ، والصحيح ان يقال و « سنظل » .

٢٧ ــ **المقطم** ، السنة ٤١ ، العدد ١٢٣٩٤ ، في ١٩٢٩/١١/٢٣ .

٢٨ ــ الكيالي : **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية** ، ص ٢٠٦ .

٢٩ ــ محمد توفيق جانا : « **الشهادات السياسية أمام اللجنة الملكية في فلسطين** » . مطبعة بابيل ، دمشق ، ١٩٣٧ ، ص ٤٤ ــ ٤٥ .

٣٠ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٥٣ و١٥٩ ــ ١٦٠.

٣١ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٣٤٣ ــ ٣٤٤ .

٣٢ ــ الكيالي : **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية** ، ص ٦١٢ ــ ٦١٣ .

٣٣ ــ الامانة العامة لجامعة الدول العربية [ادارة فلسطين ــ الشعبة السياسية] : **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ــ المجموعة الاولى ١٩١٥ ــ ١٩٤٦** . مطابع جريدة الصباح ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص ٣٤٨ .

٣٤ ــ جميل الشقيري : **مجموعة الشهادات والمذاكرات المتقدمة الى لجنة التحقيق الانكلو امبركية المشتركة حول قضية فلسطين مع تواصي اللجنة** . مطبعة النجاح التجارية ، يافا ، حزيران (يونيو) ١٩٤٦ . ص ٥٣ ــ ٥٤ .

٣٥ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٥٠ ــ ١٥١ .

٣٦ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٨ .

٣٧ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٥٨ .

٣٨ ــ نقلا عن : يوري ايفانوف : **احذروا الصهيونية** . مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، دون تاريخ . ص ١٠٢ .

٣٩ ــ ماري سيركين : **جولدا مائير** : ترجمة هيئة الاستعلامات ، وزارة الاعلام ، القاهرة ، بدون تاريخ . كتب مترجمة رقم ٧٠٥ . ص ٤٠ .

٤٠ ــ خالد تشطيني : **الحكم غيابيا ، القضية الفلسطينية في نظر العالم الغربي** . سلسلة أبحاث فلسطينية ــ رقم ١١. مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٩. ص ٢٦ .

٤١ ــ **المقطم** ، السنة ٤٢ ، العدد ١٢٤٨٧ ، في ١٩٣٠/٣/١٦ . وانظر العدد رقم ١٢٥٠١ في ١٩٣٠/٤/٣ .

٤٢ ــ أحمد الشقيري : **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء** ، دار العودة ، بيروت ٦/١٥/ ١٩٧٢ .

٤٣ ــ **الشورى** ، السنة الخامسة ، العدد ٢٤٠، ١٩٢٩/٨/٢٨ .

٤٤ ــ **المصدر نفسه** . وقد مر بنا ان حاخام القدس ارسل نفس البرقية الى حاخام باريس .

٤٥ ــ **الاهرام** . السنة ٥٥ ، العدد ١٦١٠١ ، ١٩٢٩/١٠/٢ .

٤٦ ــ للوقوف على الاسلوب الذي اتبعته الصحف ووكالات الانباء البريطانية خاصة « رويتر » في تغطية اخبار فلسطين في ذلك الوقت ، وكيف كانت تنسب الى العرب القيام بالاعتداء على « اليهود » ومقدساتهم ، انظر **الشورى** ، العدد ٢٤٠ ، مرجع سابق ، والاعداد التالية ، في متابعتها لاحداث فلسطين . وانظر رسالة محمد ابو الفيلات من نيويورك الى **الشورى** ــ العدد ٢٤٥ في ١٩٢٩/١٠/١٦ ــ وقد ذكر فيها ان «معظم الصحافة الاميركية في هذه الاونة تحمل على العرب في فلسطين بمناسبة الثورة ناسبة الينا التوحش والوحشنة . أما ذنبنا منذ ذلك لاننا نريد ان نعيش في بلادنا احرارا». ولمزيد من التفصيلات عن موقف الصحافة الامريكية ، انظر **الشورى** العدد ٢٤٨ ، ١٩٢٩/١١/٦ . ومن المعروف ان جل ان لم يكن كل مراسلي الصحف العالمية في فلسطين في تلك الايام كانوا من الصهيونيين او على الاقل من الموالين للصهيونية .

٤٧ ــ **الشورى** ، السنة الخامسة ، العدد ٢٤٤ ، ١٩٢٩/١٠/٩ .

٤٨ ــ **السياسة** ، السنة الثامنة ، العدد ٢١٩١، ١٩٢٩/١١/١٠ . وانظر عدد ١٩٢٩/١١/١٥ ايضا .

٤٩ ــ **من الفكر الصهيوني المعاصر** ــ سلسلة كتب فلسطينية ــ ١١ . مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، شباط (فبراير) ١٩٦٨ . ص ٩٢ و١٦٢ و١٨١ .

٥٠ ــ الدكتور اسعد رزوق : **اسرائيل الكبرى** ، ص ٦٢٤ .

٥١ ــ « **محاضر الكنيست ــ نصوص مختارة من محاضر الكنيست السادس ، الدورة الثانية** ». مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالاهرام ومؤسسة الدراسات الفلسطينية ، القاهرة وبيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧.

٥٢ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٦٥٢ .

٥٣ ــ عقيل هاشم : **تخطيط الاعلام العربي** ، دراسات فلسطينية ٤٥ . مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطيني ، بيروت ، ١٩٦٨ . ص ٧١ .

٥٤ ــ الدكتور حامد ربيع : **فلسفة الدعاية الاسرائيلية** ، ص ٧٧ .

٥٥ ــ شلومو نيكدمون : **ما قبل ساعة الصفر : قصة الاحداث التي سبقت حرب الايام الستة.** وزارة الارشاد القومي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة . كتب مترجمة رقم ٦٨٩ ، بدون تاريخ ، ص ٨٨ ــ ٨٩ .

٥٦ ــ مقابلة مع لطفي الخولي . **الاهرام** ، ١٩٦٧/٧/٣ ، نقلا عن خالد قشطيني : **الحكم غيابيا** ، ص ١٠٤ .

٥٧ ــ احمد بهاء الدين : **اسرائيليات وما بعد العدوان** . طبعة كتاب الهلال ، العدد ٢٠٠ . دار الهلال ، القاهرة ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ . ص ٢٨١ .

٥٨ ــ نبيل أيوب بدران : « حرب الشرق الادنى في صحافة المانيا الغربية » (عرض كتاب) : **شؤون فلسطين** ، العدد الخامس ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ . ص ٢٥١ .

٥٩ ــ الدكتور ميشال سليمان : « وسائل الاعلام الجماهيرية والحرب » ، **مرجع سابق** ، ص ٩٧ .

٦٠ ــ **المصدر نفسه** ، انظر الجدول رقم (٥)، ص ١١٦ ــ ١١٧ .

٦١ ــ تركز الدعاية الصهيونية والاسرائيلية على تعليقات الاذاعات العربية ، وتنسب اليها ــ ربما اكثر من غيرها من اجهزة الدعاية العربية ــ « التهديد بالقاء اليهود في البحر » . وينسب البعض مثلا الى اذاعة دمشق أنها قالت في ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٧ : « لقد صممنا على ان نغسل هذه الارض بدمائنا، وعلى أن نطردكم أيها المعتدون وان نلقي بكم في البحر الى الابد » . يذكر ذلك الكاتب الصهيوني المعروف والتر لاكور في كتابه « **الطريق الى حرب ١٩٦٧ : جذور الصراع العربي الاسرائيلي** » ــ كتب مترجمة رقم ٦٦٣ . الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الارشاد القومي ، القاهرة ، شباط (فبراير) ١٩٦٩ . ص ٥٣ . ومع ان العبارة تتحدث عن « المعتدين » ، والمقصود بها الصهاينة ، فانها يمكن أن تؤخذ أصلا كتعبير مجازي اكثر منها تعبيرا حرفيا . وهذا ينطبق على اكثر العبارات العربية التي فسرت على

انها تعني « القاء اليهود في البحر » ، كما سيأتي في الاصل او المتن .

٦٢ — جورج خوري نصرالله (جمع وتصنيف): **الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧** . مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩، ص ١٥٥ — ٢٩٥ .

٦٣ — ي. حركبي: «عقبان وحمائم» في **« من الفكر الصهيوني المعاصر »** ، ص ١٢٥ .

٦٤ — **الجريدة** (بيروتية) في ١٩٦٧/٦/٢ ، نقلا عن **الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧** . مرجع سابق ، ص ٢٦٤ .

٦٥ — **المصدر الاخير** ، ص ١٠٨٤ واحمد الشقيري : **على طريق الهزيمة** ...

٦٦ — الدكتور ميشال سليمان : « العرب والغرب — حلقة اتصال مفقودة » — من د. انيس صايغ (مشرف) : **فلسطينيات — المجموعة الثانية** — ص ٨٠ .

٦٧ — لمزيد من التفصيلات عن صورة العربي لدى الغرب انظر : ارسكين تشيلدرز : **« الطريق الى السويس »** ، تعريب خيري حماد ، سلسلة كتب سياسية ، العدد ٢٩٦ . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ . ص ٣٣ — ٦٢ .

٦٨ — **الجمهورية** (القاهرية) ، ١٩٧٦/٦/٧ . وانظر ايضا ما يلي : الدكتور اسعد رزوق « عدوان حزيران وخرافة الابادة » . **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٣ ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ . ص ١٦ — ٢٥ .

— الدكتور برهان الدجاني «المواجهة الشاملة»، مقدمة **« الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ »**. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص XV - XIV.

— خالد خالد تشطيني : **الحكم غيابيا** ، ص ١٠٣ .

— شلومو نيكدمون : **ساعة الصفر** ، ص ١٣٢ — ٦٤ و ١٦١ — ١٦٢ .

٦٩ — صلاح الدين حافظ : « عام استيعاب الارض العربية المحتلة » . **الاهرام** ، السنة ٩٩ ، العدد ٣١٦٣٦ ، ١٣ تموز (يوليو) ١٩٧٣ . ص ٧ .

النشاط الفدائي
حسب اعترافات الناطق الاسرائيلي

ماذا كان دور الفدائيين الفلسطينيين في الحرب العربية ـ الاسرائيلية الدائرة منذ يوم السادس من تشرين الاول الحالي ؟

ان وقائع النشاط الفدائي تسجله البيانات الرسمية التي تصدر كل يوم . ولكن اسرائيل تلجأ كعادتها الى تجاهل النشاط الذي تبرزه البيانات الفدائية الرسمية ، او هي في احسن الاحوال ، تقلل من قيمته ومن فاعليته . اما في الحرب الحالية الدائرة ، فقد تابعت اسرائيل نفس خطها الاعلامي السابق ، الا ان اتساع نطاق العمليات الفدائية ، لم يمكنها من الاستمرار في تجاهل العمليات الفدائية ، فأخذت تذيع نتفا منها، مخفية النتائج الحقيقية لهذه العمليات . ومع ذلك ، فان ما اذاعته اسرائيل عن هذه العمليات ، كاف وحده ، ليبرز مدى النشاط الفدائي ، ومدى اتساعه .

والجدير بالذكر ان العمليات الفدائية الفلسطينية ، تتم بالاتجاهات الاربعة التالية :

١ ـ نشاط الفدائيين الفلسطينيين المنطلقين من داخل الارض المحتلة ، وبشكل خاص في الضفة الغربية وقطاع غزة . وهذا النشاط لا تنشر اسرائيل عنه شيئا على الاطلاق . وتساعد ظروف الحرب في أن لا تنتقل انباءه الى الخارج بواسطة المراسلين الصحافيين .

٢ ـ نشاط الفدائيين الذين ينطلقون في الليل من جبهة الجولان لضرب الدبابات الاسرائيلية . وهنا يتداخل النشاط الفدائي مع نشاطات الجيش السوري ، بحيث يستحيل التمييز بين النشاطين .

٣ ـ نشاط جيش التحرير الفلسطيني الذي يعمل حسب الخطة الاستراتيجية السورية . وتشير المعلومات الاولية ان هذا الجيش قد لعب دورا بارزا في عمليات الجولان العسكرية ، ونفذ بشكل خاص الجزء الاكبر من العمليات الخاصة التي طلبها الجيش السوري . وتنظر اسرائيل الى هذا النشاط على انه جزء من نشاط الجيش السوري .

٤ ـ النشاط الفدائي المنطلق من الاراضي اللبنانية باتجاه منطقة الجليل . وهذا هو النشاط الوحيد الذي تحدثت عنه اسرائيل في نشراتها الاذاعية .

فاذا تجاهلنا الانواع الثلاثة الاولى من النشاطات الفدائية ، وركزنا فقط على النوع الرابع من النشاط في منطقة الجليل ، فنجد ان الاعترافات الاسرائيلية تعطي لهذا النشاط حجما بارزا ، بالرغم من ميلها للتقليل منه ومن نتائجه الى حد كبير . وقبل ان نشير الى تفاصيل العمليات التي اعترفت بها اسرائيل لا بد اولا من تسجيل الملاحظات التالية :

١ ـ ان اسرائيل تكتفي بذكر العموميات حول النشاط الفدائي . فتقول ان الفدائيين

هاجموا منطقة كذا ، دون ان تشير الى الهدف المحدد الذي تمت مهاجمته .

٢ — تتجاهل اسرائيل الاشارة الى ضرب اي جسر او اي شبكة لتوزيع المياه أو الكهرباء ، مكتفية فقط بالحديث عن الهجمات التي تستهدف المستعمرات . ومعلوم انه في حالة حرب من النوع الذي نشهده ، يكون لضرب الجسور وأعمدة الكهرباء تأثير أفضل من تأثير العمليات التي تستهدف المستعمرات .

٣ — تؤكد اسرائيل في كل اخبارها المذاعة ان عمليات الفدائيين لم تحدث اي اصابة بشرية ، ولم تستطع الحاق اي ضرر بالابنية والمنشآت .

وتكرر اسرائيل هذا الادعاء بشكل متواصل ، بحيث يصبح استمرار النفي بحد ذاته ، هو الذي يؤكد جدوى العمليات الفدائية ، خاصة وان اسرائيل وهي تنفي اي خسارة في الارواح او المنشآت ، تركز على ابراز كثافة نيران الفدائيين .

٤ — النقطة الواضحة دائما في بيانات اسرائيل هي خسائر الفدائيين فقط .

٥ — كان الفدائيون يقومون بكل عملياتهم يوميا وبصورة متواصلة . ولكن الاعلان الاسرائيلي عن العمليات كان يكتفي بذكر بعض الوقائع كل يومين او ثلاثة .

وبعد هذه الملاحظات حول طبيعة الاعلان الاسرائيلي عن العمليات الفدائية نستطيع الانتقال الى التفاصيل . وفي هذه التفاصيل نجد ان اسرائيل اعترفت بنفسها ان الفدائيين هاجموا منذ اندلاع الحرب ٢٣ مستعمرة اسرائيلية في منطقة الجليل فقط . وبعض هذه المستعمرات تم الهجوم عليه أكثر من مرة مثل كريات شمونا (الخالصة) والمطلة . وقد بدأ ترابط العمل الفدائي كما يلي :

— يوم ١٠/٧ وجه السيد ياسر عرفات دعوة الى جميع اعضاء المنظمات الفدائية لضرب المصالح الاسرائيلية في كل مكان داخل اسرائيل .

— يوم ١٠/٨ ، وتلبية لنداء القائد العام للثورة الفلسطينية اعترفت اسرائيل بانه قد « جرت خلال الليل أعمال (تخريبية) على طول الحدود اللبنانية . فقد أطلق (المخربون) عددا من صواريخ الكاتيوشا وقذائف الهاون والبازوكا ، باتجاه كريات شمونه . الا أن أحدا لم يصب بأذى ، ولم تقع اضرار » .

وردا على هذه العمليات قام الطيران الاسرائيلي بمهاجمة المواقع الفدائية في منطقة العرقوب .

— يوم ١٠/٩ اعترفت اسرائيل بأن مجموعة من الفدائيين تسللت باتجاه المطلة ، ولكنها اذاعت الخبر قائلة انه عندما « أطلق عليهم بعض قذائف الهاون بدأت المجموعة الانسحاب نحو الحدود اللبنانية » .

ومن الضروري هنا ان نلاحظ انه في الايام الثلاثة الاولى للقتال ، كان الهجوم على أشده في الجولان ، وكان العمل الفدائي بالتالي منسجما في عملياته مع مجرى القتال العام . وقد تغير هذا المجرى يوم ١٠/٩ حيث كان الهجوم الاسرائيلي المضاد قد بلغ ذروته ، وعلى ضوء هذا الهجوم ، رفع الفدائيون من كثافة عملياتهم . وفي صباح اليوم التالي ١٠/١٠ ظهرت نتائج هذه العمليات . فقد اعترفت اسرائيل بنشاط مكثف للفدائيين امتد حسب اعترافهم من منطقة فتح لاند (العرقوب) وحتى رأس الناقورة ، واطلقت في هذا الهجوم من ٤٠ — ٥٠ قذيفة كاتيوشا . وشملت هذه الهجمات :

نهاريا : صاروخ كاتيوش .
جسر الزيب : ٦ صواريخ كاتيوشا .
كريات شمونا : ٣٠ صاروخ كاتيوشا .

حرشات تال : ٨ صواريخ كاتيوشا .

كيبوتس يفتاح : قذيفة بازوكا .

مرجليوت : قذيفة بازوكا .

وبالرغم من كل هذه العمليات قالت اذاعة اسرائيل انه لم تحدث اية اضرار ، ولم تقع اي خسائر بالارواح باستثناء شخص واحد اصيب بجراح خفيفة . ولكن هذا التقليل الاعلامي المتعمد لتأثير العمليات الفدائية ، لم يكن منسقا مع كبير المعلقين الاسرائيليين العسكريين الذي اعترف في نفس اليوم انه « في هذه الليلة فتحت جبهة اخرى ، وهي على الرغم من صغرها الا انها جبهة على كل حال . واقصد بها نشاط (المخربين) من وراء الحدود ضد مستوطناتنا » .

ــ وبعد ذلك بيومين (١٠/١٢) قالت اذاعة اسرائيل « عاد (المخربون) الليلة وأطلقوا قذائف بازوكا وصواريخ كاتيوشا على : المطلة ، ومعالوت ، وشلوميت حيث اصيب احد المنازل . وفي المواقع الاخرى لم تقع أضرار » .

ــ يوم ١٠/١٥ قالت اذاعة اسرائيل « شهدت الحدود اللبنانية نشاطا محدودا قام به (المخربون) . فقد أطلقت قذائف على منطقة رأس الناقورة وبيست . وقد كمنت قواتنا للمخربين وقتلت ٦ منهم ولم تقع اصابات بين قواتنا » .

ــ يوم ١٠/١٦ قالت اذاعة اسرائيل « واصل (المخربون) هجماتهم الليلة ايضا . وقد اطلقت قذائف بازوكا على زرعيت واصيب احد المواطنين اصابات طفيفة . واما في منطقة المنارة ، فقد قتل ٣ (مخربين) في اشتباك » .

وبينما كان الفدائيون الفلسطينيون يقومون بهذه العمليات ، اعلنت الولايات المتحدة رسميا انها ستعوض اسرائيل عن كل خسائرها العسكرية ، وطلب نيكسون موافقة الكونجرس الاميركي على مساعدات لاسرائيل مقدارها مليار ان و ٢٠٠ مليون دولار . وفي ضوء هذا الموقف الاميركي شدد الفدائيون مرة اخرى من ضرباتهم ورفعوا من كثافة عملياتهم . ففي يوم ١٠/١٧ قالت اذاعة اسرائيل « كان هناك نشاط واسع قام به (المخربون) في شمال البلاد ، فقد قصفت مستعمرات يعارا ، والمالكية ، والمطلة ، ودان ، بالبازوكا وصواريخ كاتيوشا . وقد اصيب مواطن من المطلة ، كما اصيب منزل وسيارة » .

ــ وفي يوم ١٠/١٨ اعلنت اسرائيل ان صاروخا من طراز كاتيوشا قد اطلق على بلدة شلومي ، وجرح احد المواطنين . وأضافت « قامت مجموعات من (المخربين) بالعمل في الشمال ، حيث قصفت المنارة ، ولم يصب احد بأذى . كما اطلقت عدة قذائف على رمات مجشميم ، ولم تقع اصابات » .

ــ يوم ١٠/١٩ اعترفت اسرائيل « ان المخربين قاموا الليلة بنشاط واسع في المنطقة الشمالية . فقد ضربت اماكن مختلفة مما ادى الى اصابة اثنين من الاسرائيليين أحدهما اصيب بجراح خطيرة ، كما اشعلت النار ببعض الحقول . وفي بعض الحالات جرى الرد على النار بالمثل . وفي منطقة بيرانيت قتل كمين اقامته قواتنا اثنين من (المخربين)».

وجريا على عادة اسرائيل في اخفاء خسائرها نتيجة العمليات الفدائية فقد اعلنت يوم ١٠/٢٠ انه قد « توجه ٢٠ من رجال الشرطة صباح اليوم للقيام باعمال المساعدة على اصلاح الالواح الزجاجية التي تهشمت في كريات شمونه بفعل صواريخ الكاتيوشا في الليالي الاخيرة » .

وبعد هذا التقليل المضحك من آثار العمليات الفدائية ، اضطر الناطق الاسرائيلي لان

يعترف في اليوم التالي ١٠/٢١ ، بأن الفدائيين هاجموا ست مناطق دفعة واحدة . وهذه المناطق هي : أفيفيم ، المطلة ، وكريات شمونه ، بيت هليل ، كفار سولد ، هجوشريم ، والمنطقة بين كريات شمونه والمنارة . وقال الناطق الاسرائيلي كالعادة ، انه لم تقع اصابات في جميع هذه العمليات .

واذا توقفنا عند هذا الحد من نشاط الفدائيين ، نجد ان هذا النشاط قد شمل حسب الاعتراف الاسرائيلي ٢٣ مستعمرة ، وكان عدد الهجمات ٢٩ هجوما . الا ان الناطق الاسرائيلي نفسه اعترف في اليوم التالي ١٠/٢٢ ، ان الفدائيين قد قاموا منذ اندلاع الحرب بالهجوم على ٤٢ مستعمرة ، وبلغ عدد هجماتهم ٢٠٠ هجوم ، اي بمعدل ١٢ هجوما في اليوم الواحد . وهذا وحده كاف لان يبرز نقطتين هامتين :

١ ــ ان الناطق الاسرائيلي يقدم بنفسه الدليل المادي على كذب الاعلام الاسرائيلي ، وعلى توجهه للتقليل من عدد العمليات الفدائية . فمجموع الاعترافات اليومية يصل الى ٢٩ عملية فقط ، بينما يصل الاعتراف النهائي الى ٢٠٠ عملية .

٢ ــ ان النشاط الفدائي كان كثيفا وفعالا وقريبا من البيانات العسكرية الفدائية . وهو نشاط لا بد وان تكون له دلالات سياسية في المرحلة المقبلة .

المناطق والمستعمرات التي شملها نشاط الفدائيين حسب اعترافات اسرائيل

١ ــ كريات شمونا
٢ ــ المطلة
٣ ــ جسر الزيب
٤ ــ نهاريا
٥ ــ مرجليوت
٦ ــ حرشات تال
٧ ــ كيبوتس يفتاح
٨ ــ معالوت
٩ ــ شلوميت
١٠ ــ رأس الناقورة
١١ ــ بيست
١٢ ــ زرعيت
١٣ ــ المنارة
١٤ ــ يعارا
١٥ ــ المالكية
١٦ ــ دان
١٧ ــ شلومي
١٨ ــ رمات مجشيم
١٩ ــ بيرانيت
٢٠ ــ افيفيم
٢١ ــ بيت هليل
٢٢ ــ كفارسولد
٢٣ ــ هجوشريم

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٤/٩/١٩٧٣ ــ ٥/١٠/١٩٧٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	ــ ٩/١٤	١٩،٣٠	الطريق العام بين القاعتبلة صفد ــ ميرون		قنبلة يدوية	٢	٣	تدمير سيارة عسكرية واشتعال النيران فيها	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٧٨	٩/١٧
٢	ــ ٩/١٦	١٠،٣٠	نهاريا	تفجير	عبوات ناسفة	ــ	ــ	تدمير واشعال النيران في مصنع « بلينغ » للموبيليــا	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٧٩	٩/١٧
٣	ــ ٩/١٧	٢١،٠٠	ناتانيا	هجوم	أسلحة رشاشة	غيرمحدد		هجوم بالمدافع الرشاشة على تجمع للعسكريين امـــام سينما شارون	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٨٠	٩/١٧
٤	ــ ٨/٣٠	٣،٠٠	تل ابيب/حي كريات شالوم	تفجير	عبوة حارقة	ــ	ــ	تدمير شاحنة واشعال النيران فيها	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٨١	٩/١٧
٥	ــ ٨/٣٠	ــ	تل ابيب/شخونات غرزا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد		اشعال النيران في بركس للشرطة العسكرية	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٨٢	٩/١٨
٦	ــ ٩/٢١	ــ	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	ــ	ــ	تدمير سيارة تابعة للجمارك الصهيونية	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٨٣	٩/٢١
٧	ــ ٩/١٠	ــ	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	قنابل موقوتة	ــ	٩	اصابة محطة القطارات باضرار	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٨٤	٩/٢١
٨	ــ ٩/٢٢	ــ	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	ــ	ــ	تدمير جزء من بناية يسكن فيها يعقوب بدريك الذي يعمل سجانا في سجن الرملة واصابـــة البنايات المجاورة لها باضرار	ــ	ــ	ــ	تصريح عسكري رقم٧٨٥	٩/٢٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
٩	٨/٢٨	١٣،٠٠	بناح‌تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير محلات شورلي وامتداد النيران الى المحلات المجاورة وتقدر الخسائر بمليون ونصف ليرة اسرائيلية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٦	٩/٢٢
١٠	٩/٢٤	١٨،٠٠	تل ابيب/تل باروخ	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد		تدمير منتجع تل باروخ واصابته باضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٨٩	٩/٢٦
١١	٩/٢٥	٢٤،٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير احد ابراج الضغط العالي الكهربائي	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٩٠	٩/٢٦
١٢	٩/٢٨	١،٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير مصنع للبلاستيك واشتعال النيران وامتدادها الى الابنية المجاورة ومنها مصنع المواد الغذائية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٩١	٩/٢٩
١٣	٩/٢٧	٢٤،٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير جزء من مطعم كبير يقع في شارع ديزنكوف ٩٣ واشتعال النيران في معظم محتوياته	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٩٢	٩/٢٩
١٤	٩/ ٨	١٩،٣٠	تل ابيب/شارع متسباعكيدش	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير جزء من نادي للشبيبة واشتعال النيران فيه	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٩٣	٩/٣٠

١٥ ـ ٩/١٥	ـ	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	ـ ـ	تدمير مكتب عضو الكنيست « يعقوب نحو شتان »	ـ	ـ	ـ	تصريح عسكري رقم٧٩٤	٩/٣٠
١٦ ـ ٩/١٦	ـ	عكا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير الطابق الارضي من مبنى دائرة الضباط الاحداث واشتعال النيران في المبنى	ـ	ـ	ـ	تصريح عسكري رقم٧٩٥	٩/٣٠
١٧ ـ ٩/٢٩	ـ	غابات الكرمل	تفجير	عبوات حارقة	ـ ـ	اشتعال النيران في عشرات الدونمات من الاشجار، تدمير معظم التحصينات الخاصة بتدريب المشاة في الغابة، احتراق عدد من خيام العدو	ـ	ـ	ـ	تصريح عسكري رقم٧٩٦	٩/٣٠
١٨ ـ ٩/٢٩	٢٤٤٠٠	مستعمرة سورنانان /جنوبطولكرم	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اندلاع النيران في المستعمرة	ـ	ـ	ـ	تصريح عسكري رقم٧٩٧	١ /١٠
١٩ ـ ٩/٢٩	ـ	خانيونس/جنوب قطاع غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة باص بأضرار تابع لشركة «ايجد»	ـ	ـ	ـ	تصريح عسكري رقم٧٩٨	١ /١٠
٢٠ ـ ٩/ ٥	ـ	غزة	تفجير	عبوات حارقة	ـ ـ	اشتعال النيران في مستودعات « حاييم بن بط » للاخشاب	ـ	ـ	ـ	تصريح عسكري رقم٧٩٩	١ /١٠
٢١ ـ ٩/١٥	ـ	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	ـ ـ	احداث فجوتين في احدى سفن الشحن الاسرائيلية في ميناء غزة واتلاف معظم محتوياتها	ـ	ـ	ـ	تصريح عسكري رقم٨٠٠	٢ /١٠
٢٢ ـ ١ /١٠	ـ	بين جنين ونابلس	كمين	قنابل يدوية واسلحةرشاشة	غيرمحدد	تدمير احدى سيارات العدو واعطاب اخرى	ـ	ـ	ـ	تصريح عسكري رقم٨٠١	٤ /١٠

العمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية في الاسبوعين الاولين من الحرب

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	٦ / ١٠	١٤،٠٠	عين عطا/جنوب لبنان	غارة	—	—	—	قام طيران العدو بالاغارة على مواقع للثورة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١	٦ /١٠
٢	٦ / ١٠	١٦،٤٥	القطاع الشرقي/ الجولان	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		التصدي لقوات العدو على طول امتداد المواجهة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢	٦ /١٠
٣	٦ / ١٠	١٧،٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تعطيل اذاعة العدو باللغة العبرية حيث توقفت لمدة خمس عشرة دقيقة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣	٦ /١٠
٤	٦ / ١٠	—	الخالصة	قصف	صواريخ	غيرمحدد		غير محدد	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤	٦ /١٠
٥	٦ / ١٠	١٩،٠٠	اللطرون	كمين	تنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد		تدمير خمس سيارات من قافلة عسكرية مكونة من اثني عشر سيارة واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥	٦ /١٠
٦	٦ / ١٠	١٨،٠٠	الخضيرة ـ حيفا	هجوم	بازوكا	غيرمحدد		تدمير باص عسكرية تحمل عددا من الطيارين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦	٦ /١٠
٧	٧ / ١٠	١٤٠٠	شبعا/العرقوب	قصف	—	—	—	قام العدو بقصف مواقع للثورة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧	٧ /١٠

٨ ــ ٧/ ١٠	ــ	دان واشكول/ الجولان	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	٨	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٨	٧ /١٠
٩ ــ ٧/ ١٠	ــ	الخالصة/العباسية	قصف	مدفعيةوصواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت حيث استمر القصف ثلاث ساعات	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٨	٧ /١٠
١٠ ــ ٧/ ١٠	١٦٠٠	المنارة وهونين	قصف	مدفعيةوصواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت حيث استمر القصف ساعة وعشرين دقيقة	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٩	٧ /١٠
١١ ــ ٧/ ١٠	٣٦٠٠	ترشيحا ومعلولا	قصف	صواريخ	غيرمحدد	قصف المصانع والمنشآت العسكرية فيهما	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ١٠	٧ /١٠
١٢ ــ ٧/ ١٠	٣٦٣٠	ترشيحا/معلولا	كمين	أسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير عدد من آليات العدو في اشتباك دام تسعين دقيقة	٢	١	ــ	بلاغ عسكري رقم ١٠	٧ /١٠
١٣ ــ ٧/ ١٠	٩٦٠٠	رويسات العلم/ القطاع الشرقي	قصف	مدفعيةوصواريخ	غيرمحدد	احتلال مواقع في القطاع وتدمير عدد من منشآت العدو	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ١١	٧ /١٠
١٤ ــ ٧/ ١٠	ــ	غوربيسان الشمالي	قصف	غير محدد	غيرمحدد	اصابة المستعمرات بأضرار	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ١٢	٧ /١٠
١٥ ــ ٧/ ١٠	١٢٦١٥	جبل الشيخ	قصف	غير محدد	ــ	اصابة طائرتين للعدو	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ١٣	٧ /١٠
١٦ ــ ٦/ ١٠	٢٣٦٠٠	عتليت	هجوم	اسلحةمختلفة	غيرمحدد	مهاجمة احدى القواعد البحرية	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ١٤	٧ /١٠
١٧ ــ ٦ــ٧/١٠	ــ	مطار تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير خزانات الوقود واشتعال النيران فيها كما تعطلت حركة الطيران الحربي في المطار	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ١٥	٧ /١٠
١٨ ــ ٦/ ١٠	ــ	مفرق الظاهرية بئر السبع	كمين	أسلحةمختلفة	غيرمحدد	تدمير عدد من سيارات قافلة تموين	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ١٦	٧ /١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١٩	١٠/ ٧	٤،٣٠	جبل الشيخ	هجوم	اسلحةمختلفة	غيرمحدد	اضرار بالغـة ، وتم تحرير موقع رفـع عليه العلم الفلسطيني	٥	١١	—	بلاغ عسكري رقم ١٨	١٠/ ٧
٢٠	١٠/ ٨	٠،٤٠	منطقة سعسع/ الجولان	هجوم	صواريخومدافع الهاون	غيرمحدد	اصابـة المعسكـر بأضرار بالغة	١	٣	—	بلاغ عسكري رقم ١٩	١٠/ ٧
٢١	١٠/ ٨	٢٤،٠٠	جبل الجرمق/ الجليل الغربي	قصف	صواريخثقيلة	غيرمحدد	قصف شبكة الرادار الموجودة على قمة الجبل المذكور	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٠	١٠/ ٨
٢٢	١٠/ ٨	٢٣،٣٠	ادمك/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير وتعطيل سـير قافلة عسكرية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢١	١٠/ ٨
٢٣	١٠/ ٨	١،٣٠	ادمك/الجليل الغربي	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	قصف مستعمرة ادمك	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢١	١٠/ ٨
٢٤	١٠/ ٧	٢٣،٠٠	مستعمرةهونين	اشتباك وقصف	أسلحة رشاشة مختلفة ومدافع الهاون	غيرمحدد	تعطيل قافلة عسكرية	—	٢	—	بلاغ عسكري رقم ٢٢	١٠/ ٨
٢٥	١٠/ ٧	—	جبل أمحواويط/ النقب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تفجـير مستودعـات الذخيرة والاحتيـاط هناك	—	—	—	تصريحعسكريرقم٨٠٣	١٠/ ٨
٢٦	١٠/ ٧	—	بين بئرالسبع وعسلوج	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمـير ثلاث سيارات نقل عسكرية واشعال النيران فيها	—	—	—	تصريحعسكريرقم٨٠٤	١٠/ ٨
٢٧	١٠/ ٧	—	بين بيت شيمش وباب الواد/غرب القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	نسف عدد من الجسور والعبارات	—	—	—	تصريحعسكريرقم٨٠٥	١٠/ ٨

٢٨ — ٧/١٠	—	خان يونس/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تفجير وتدمير عدة عربـات مـن قطار محمل بالذخـيرة واشتعال النيران فيها	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٦	٨/١٠
٢٩ — ٧/١٠	٢٢٦٠٠	كفارسابا وقلقيليا	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	مهاجمة مركز للشرطة العسكرية والاستيلاء على ثلاث رشاشات عوزي	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٧	٨/١٠
٣٠ — ٧/١٠	٢٠٦٠٠	بين اريحا والعوجا	كمين	شبكة الغام	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية واعطاب السيـارة النصف مجنزرة	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٨٠٨	٨/١٠
٣١ — ٨/١٠	١٧٦٣٠	رويسة الرمثا/ الجولان	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٣	٨/١٠
٣٢ — ٩/١٠	٢٦١٥	مجدليوث/ ومسكاف عام	قصف	مدفعية الهاون	غيرمحدد	اصابة عـدة منشآت في المستعمرتين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٤	٨/١٠
٣٣ — ٩/١٠	٣٦١٠	المنارة/ الجليل الاعلى	قصف	مدفعية صاروخية	غيرمحدد	اصابة عـدة منشآت وتجمعات للعـدو بأضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٥	٨/١٠
٣٤ — ٨/١٠	٢٠٦٠٠	مرتفعات جبل حوراني/الجولان	—	—	— —	تم السيطرة على هذا الموقع	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٦	٩/١٠
٣٥ — ٩/١٠	٢٦٠٠	معسكر نشكول/ جبل الشيخ	قصف	مدافع الهاون	غيرمحدد	اصابة المعسكر بأضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٢٧	٩/١٠
٣٦ — ٩/١٠	٢٦٣٠	بين مسكاف عام والمالكية	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تعطيل سير قوات العدو	—	١	١	بلاغ عسكري رقم ٢٨	٩/١٠
٣٧ — ٩/١٠	١٦٠٠	المنارة/الجليل الاعلى	اشتباك وقصف	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	قصف حشود العدو واصابة وتدمير عدد من الاليات	—	٣	—	بلاغ عسكري رقم ٢٩	٩/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
٣٨	٨/ ١٠	٢٢،٠٠	صليحا/الجليل الاعلى	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اقتحام عدد من المواقع العسكرية	٢	١	—	بلاغ عسكري رقم ٣٠	٩/ ١٠
٣٩	٩/ ١٠	—	منطقة البونة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة عدة آليات للعدو	٢	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٣	٩/ ١٠
٤٠	٩/ ١٠	٨،٣٠	ابرانيت/الجليل الاعلى	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة عدة آليات للعدو	١	١	—	بلاغ عسكري رقم ٣٥	٩/ ١٠
٤١	٨/ ١٠	—	كفارحسديم/حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مستودعات النفط الاحتياط واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٦	٩/ ١٠
٤٢	٨/ ١٠	—	بانفطاة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير خط انابيب البترول وتدمير مجمع المضخة الرئيسية واشتعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٧	٩/ ١٠
٤٣	٨/ ١٠	—	بين الناصرةو العفولة /بين حيفاو عكا/بين باب الوادو الرملة/ منطقةوادي العرار	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير الجسور في المناطق المذكورة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٨	٩/ ١٠
٤٤	٨/ ١٠	—	بين خان يونس ورفح	—	—	— —	نزع قضبان سكة الحديد ولعدة مئات من الامتار مما عطل مرور القطارات	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٣٩	٩/ ١٠
٤٥	٨/ ١٠	—	بين القدس واريحا	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	اصابة عدد من الآليات وتعطيل حركة المرور على الطريق	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٤٠	٩/ ١٠

٤٦ ــ ٩ /١٠	ــ	بين جلعادي والمطلة	قصف	صواريخ وأسلحة أخرى مختلفة	غيرمحدد	تدمير مهاجع جنود العدو ومستودعاته	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤١	٩ /١٠
٤٧ ــ ٩ /١٠	ــ	بركة النقار/العرقوب	ــ	ــ	ــ ــ	تحرير هذه المنطقة بعد ان كان العدو قد احتلها عام ١٩٧٠	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٢	٩ /١٠
٤٨ ــ ٩ /١٠	ــ	الجردي/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عدد من الاليات	٤	٦	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٣	٩ /١٠
٤٩ ــ ٩ /١٠	ــ	جبل الشيخ	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مرصد للعدو في المنطقة	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٤	٩ /١٠
٥٠ ــ ١٠/١٠	٣٦٠٠	نهاريا	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اشعال النيران في عدد من المنشآت	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٥	١٠/١٠
٥١ ــ ١٠/١٠	١٦٣٠	بين المالكية والمنارة	كمين	قذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة عدد من الاليات من قافلة عسكرية	٣	١	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٦	١٠/١٠
٥٢ ــ ١٠/١٠	١٦٣٠	المنارة	قصف	مدافع الهاون	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت وحشود العدو	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٧	١٠/١٠
٥٣ ــ ١٠/١٠	١٦٣٠	المنارة	اشتباك	أسلحة رشاشة	غيرمحدد	ــ	ــ	١	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٧	١٠/١٠
٥٤ ــ ١٠/١٠	٤٦٣٠	يفتاح	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مركز اداريات العدو (تموين وتجهيزات) تدميرا كليا	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٨	١٠/١٠
٥٥ ــ ١٠/١٠	٢١٦٣٠	كريات شمونة وبانياس	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عدد من الاليات وموقع اداري	٥	٢	ــ	بلاغ عسكري رقم ٤٩	١٠/١٠
٥٦ ــ ١٠/١٠	٠٦٣٠	المطلة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير ثلاثة مواقع للعدو	٨	٥	ــ	بلاغ عسكري رقم ٥٠	١٠/١٠
٥٧ ــ ١٠/١٠	٢٦٣٠	شمونة وبانياس	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اشعال النيران في بعض مواقع العدو	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم ٥١	١٠/١٠

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٥٨ —	١٠/١٠	٢٤٠٠	تلال ابو الروس	—	—	—	—	احتلال رويس الرمثه وتحريرها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥١	١٠/١٠
٥٩ —	١٠/ ٩	—	برديس‌حنا/الخضيرة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير مصنع لاطارات السيارات واشعال النيران فيه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٢	١٠/١٠
٦٠ —	١٠/١٠	١٤٠٠	وادي‌الصرار/ القدس	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		تفجير مستودعات الذخيرة في معسكر للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٣	١٠/١٠
٦١ —	١٠/١٠	١٤٠٠	الجولان	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		ضرب تجمعات وحشود العدو واصابة عدد من آلياته	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٤	١٠/١١
٦٢ —	١٠/١٠	٠٤٣٠	مسكاف‌عام	هجوم‌وقصف	أسلحة مختلفة وصواريخ	غيرمحدد		ضرب قافلة مكونة من ثماني آليات عسكرية واعطاب عدد منها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٦	١٠/١١
٦٣ —	١٠/١١	١٤٠٠	مارزعيت/الجليل الغربي	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		نسف مستودعات للاسلحة وعدة منشآت اخرى كما تم تدمير احدى السيارات العسكرية المحملة بالذخيرة	—	٣	—	بلاغ عسكري رقم ٥٧	١٠/١١

٦٤ — ٩ /١٠	٢٤٤٠٠	اسدود ورشون لزيون	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير عدد من ابراج كهرباء الضغط العالي مما ادى الى انقطاع التيار الكهربائي	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٨	١٠/١١
٦٥ — ٩ /١٠	—	الخضيرة	تفجير	عبوات حارقة	— —	تدمير جزء من مصنع للورق واحراق محتوياته	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٥٩	١٠/١١
٦٦ — ١٠/١٠	٢٠٦٠٠	تل ابو الفيثار/ الجولان	هجوم	اسلحة صاروخية	غيرمحدد	تدمير عدد من الاليات	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٠	١٠/١١
٦٧ — ١٠/١٠	٢٣٤٤٠	الخالصة/الجليل الاعلى	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اشعال النيران في مستودعات الوقود واصابة منشآت اخرى	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦١	١٠/١١
٦٨ — ١٠/١٠	٢٣٦٠٠	بانياس/القطاع الشمالي	قصف	مدفعية ثقيلة	غيرمحدد	اصابة معسكر تل المغاوير	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٢	١٠/١١
٦٩ — ١٠/١٠	٢٤٤٠٠	بانياس — الدان	قصف	مدفعية	غيرمحدد	اصابة عدد من آليات العدو كانت ضمن قافلة تسير على هذا المحور	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٢	١٠/١١
٧٠ — ١٠/١٠	—	اسدود — وبيت هانون/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير خط سكة الحديد وتعطيل الحركة عليه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٣	١٠/١١
٧١ — ١٠/١٠	—	منطقة عومر/بئر السبع	هجوم	ار.بي.جي. والرشاشات	غيرمحدد	تدمير قافلة مكونة من ست شاحنات محملة بالذخائر وقتل جميع حراساتها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٤	١٠/١١
٧٢ — ١٠/١٠	—	كفرمالك/رام الله	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير الرادار تدميرا كليا	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٥	١٠/١١

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
٧٣	١٠/١١	١٨٠٠	مسادا/سمخ	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدة منشآت في المستعمرة بأضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٦	١٠/١٢
٧٤	١٠/١١	٢٤٠٠	مطار بيت هيل/ الحولة	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	يعتقد باصابة بضعة طائرات هليكوبتر كانت في ارض المطار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٧	١٠/١٢
٧٥	١٠/١١	٢١٠٠	الخالصة/بانياس	كمائن	قذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير آليتين نصف مجنزرة وثلاث شاحنات كبيرة كانت تسير في قافلة عسكرية للعدو	—	١	—	بلاغ عسكري رقم ٦٨	١٠/١٢
٧٦	١٠/١٢	١٤٢٠	القطاع الشرقي/ جنوب لبنان	غارة للعدو	أسلحة مضادة	غيرمحدد	اصابة طائرة فانتوم	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٦٩	١٠/١٢
٧٧	١٠/١١	٢١٤٠	المطلة/الجليل الاعلى	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير ثلاث منشآت للجنود واسكات رشاش ومربض مدفع هاون وتدمير آلية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٠	١٠/١٢
٧٨	١٠/١٢	٠٠١٠	المطلة/محور ابل القمح	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين للعدو من أربع آليات كانت ضمن دورية للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٠	١٠/١٢
٧٩	١٠/١١	—	هاكوشريم والخالصة	كمين	قذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧١	١٠/١٢
٨٠	١٠/١١	٢٢٠٠	هاكوشريم والخالصة	هجوم	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	تدمير عدة منشآت في المستعمرتين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧١	١٠/١٢

٨١ — ١٠/١١	—	دان — دفنه — سيأ ، ياشوف	هجوم	هاون ٦٠ملم وصواريخ وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت الحيوية في المستعمرات كما شوهدت ثلاث طائرات هيلوكبتر تخلي الاصابات	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧١	١٠/١٢
٨٢ — ١٠/١١	—	بانياس/صيرة الحسين	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عربة نصف مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٢	١٠/١٢
٨٣ — ١٠/١١	٢٠٦٣٠	نخيلة/دان	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عربة نصف مجنزرة وقتل وجرح من فيها .	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٢	١٠/١٢
٨٤ — ١٠/١١	—	طريق العباسية/ بانياس	هجوم	أسلحة مختلفة وقذائف صاروخية	٨ —	تدمير احدى آليات العدو					
٨٥ — ١٠/١١	١٢٦٠٠	مرجعيون/بفتاح	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير رشاش ٧ر١٢ وقتل طاقمه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٣	١٠/١٢
٨٦ — ١٠/١١	—	سلمة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	—	٤	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٣	١٠/١٢
٨٧ — ١٠/١٢	—	قرب كفربرعم	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير جيب عسكري واعطاب مجنزرتين	١	٢	١	بلاغ عسكري رقم ٧٥	١٠/١٣
٨٨ — ١٠/١٢	—	الفجر/بانياس	كمين	أسلحة مختلفة	١٠	تدمير آلية للعدو				بلاغ عسكري رقم ٧٦	١٠/١٣
٨٩ — ١٠/١٢	—	معسكرنشكول	هجوم	هاونات ثقيلة ورشاشات متوسطة	غيرمحدد	اسكات مربض مدفعية للعدو				بلاغ عسكري رقم ٧٦	١٠/١٣
٩٠ — ١٠/١٢	—	مستعمرة أفيفيم/ الجليل الاعلى	قصف	مدافع الهاون	غيرمحدد	تدمير احد مواقع العدو المحيطة بالمستعمرة				بلاغ عسكري رقم ٧٦	١٠/١٣
٩١ — ١٠/١٢	—	مستعمرة زرعيت/ الجليل الغربي	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مجنزرة واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٦	١٠/١٣
٩٢ — ١٠/١٢	—	الفجر والنخيلة/ الجولان	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير دبابة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٧	١٠/١٣
٩٣ — ١٠/١٢	—	روض الفجر	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير ثلاث سيارات عسكرية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٧	١٠/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٩٤	١٠/١٢	—	بانياس/القنيطرة	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	تدمير احدى سيارات العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٧	١٠/١٣
٩٥	١٠/١٢	—	الخالصة/المطلة	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين ونصف مجنزرة	١	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٧	١٠/١٣
٩٦	١٠/١٢	—	جنوب رفح/غزة	كمين	تنابل يدوية والرشاشات	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية من نوع « باور واجن »	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٨	١٠/١٣
٩٧	١٠/ ٩	—	المجدل/شمال غزة	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	احراق محطة للبنزين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٧٩	١٠/١٣
٩٨	١٠/١٠	—	بيتحانون ودير سنيد/غزة	تفجير	الغام	غيرمحدد	تدمير سيارة نصف مجنزرة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٠	١٠/١٣
٩٩	١٠/١١	—	شرقي خان يونس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	نسف عبارتين للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨١	١٠/١٣
١٠٠	١٠/١٣	—	نابلس	تفجير	القاء قنبلة	غيرمحدد	اصابة سيارة عسكرية بأضرار وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٢	١٠/١٣
١٠١	١٠/١٣	٢،٣٠	معسكر العلم	قصف	قذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة المعسكر بأضرار	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٣	١٠/١٤
١٠٢	١٠/١٣	—	بركة النقار	تفجير	حقل ألغام	— —	تم تدمير الالغام والاسلاك	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٣	١٠/١٤
١٠٣	١٠/١٤	١،٣٠	نهاريا	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	تدمير عدد من منشآت العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٤	١٠/١٤
١٠٤	١٠/١٣	٥،٣٠	المنارة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من منشآت العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٥	١٠/١٤
١٠٥	١٠/١٤	٩،٣٠	كفرشوباوراشيا الفخار	اشتباك	مدافع	— —	تراشق بالمدفعية مع قوات العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٦	١٠/١٤
١٠٦	١٠/١٤	٣،٠٠	الفجر العباسية	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو واصابة من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٨٧	١٠/١٤

١٠٧ـ ١٠/١٤	ـ	المطلة	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية ورشاش أ ـ ٦	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم ٨٨	١٠/١٤
١٠٨ـ ١٠/١٣	ـ	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير اجزاء من مصنعي القنابل اليدوية ومصنع « لاهن » لصناعة الاسلحة الخفيفة واشعال النيران فيهما	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم ٩٠	١٠/١٤
١٠٩ـ ١٠/١٣	ـ	بيت شيمش/القدس	قصف	تذائف صاروخية	غيرمحدد	تنجير قسم تركيب طائرات « عرفاه » و« كومودور جت » في مصنع انتاج الطائرات كما اصابت بعض القذائف قسم صناعة وتركيب صاروخ غبريال البحري	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم ٩١	١٠/١٤
١١٠ـ ١٠/١٤	ـ	بين نابلس ورام الله	كمين	قنابل وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير آليتين واصابة من فيهما	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم ٩٢	١٠/١٤
١١١ـ ١٠/١٣	ـ	المطلة	هجوم	تذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت والافراد	٣	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم ٩٣	١٠/١٤
١١٢ـ ١٠/١٣	ـ	مزارع شبعا	قصف	تذائف صاروخية	غيرمحدد	اسكات مربض مدفع	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم ٩٣	١٠/١٤
١١٣ـ ١٠/١٤	ـ	مسكاف عام	كمين وقصف	أسلحة مختلفة وتذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت والافراد	ـ	١	ـ	بلاغ عسكري رقم ٩٣	١٠/١٤
١١٤ـ ١٠/١٤	ـ	مستعمرة ادمت	قصف	تذائف صاروخية والقنابل	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت وشوهدت سيارات الاسعاف قادمة الى المنطقة	ـ	١	ـ	بلاغ عسكري رقم ٩٦	١٠/١٥
١١٥ـ ١٠/١٤	١٩،٣٠	المنارة	اشتباك	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير مربض رشاش واسكات آخر	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم ٩٧	١٠/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١١٦ــ	١٠/١٤	—	المنارة/الناقورة/ مسكافعام/ ادمت/سمعسع	هجمات	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير رادار في الناقورة ومنشآت أخرى	٧	عدد	—	بلاغ عسكري رقم ٩٨	١٠/١٥
١١٧ــ	١٠/١٤	—	كفار جلعادي	قصف	مدفعية ثقيلة	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ٩٩	١٠/١٥
١١٨ــ	١٤/١٣	—	قطاع غزة	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارة نصف مجنزرة قرب مستعمرة تيرين وسيارة « باور واجن» قرب مستعمرة نيرعام وتدمير سيارة عسكرية قرب مستعمرة « مردخاي »	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠٠	١٠/١٥
١١٩ــ	١٠/١٤	—	العباسية	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	٤	١	—	بلاغ عسكري رقم١٠١	١٠/١٥
١٢٠ــ	١٠/١٤	—	المطلة	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير طاقم وأفراد كمين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠١	١٠/١٥
١٢١ــ	١٠/١٤	—	شمال فلسطين	هجوم وقصف	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	قصف نهاريا، ومهاجمة مواقع العدو في النبي يوشع في مسكاف عام ، مهاجمة دورية آلية بين زرعيت ــ افيفيم ، مهاجمة كمين في مستعمرة شتولا ، نصب كمين لدورية بين كفار جلعادي وبيت هليل	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٠٢	١٠/١٥

۱۲۲— ۱۰/۱۵	۱٤۰۰	شبعا/جبل الرامة	هجوم	قنابل ورشاشات	۱۲ —	تدمير مركز رادار هود الجدي	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰۳	۱۰/۱۵
۱۲۳— ۱۰/ ۹	—	مستعمرقحانوتة	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اشعال النيران في معسكر الكماندو الاسرائيلي	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٤	۱۰/۱۵
۱۲٤— ۱۰/۱٤	—	الهضبة الشمالية/ الجولان	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٥	۱۰/۱۵
۱۲٥— ۱۰/۱۵	—	مزرعيت	قصف	مدفعيةصاروخية	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٦	۱۰/۱٦
۱۲٦— ۱۰/۱۵	—	مزرعيت	هجوم	قنابل يدوية وأسلحةمختلفة	غيرمحدد	تدمير برج مراقبة وآلية نصف مجنزرة ورشاش ٥۰۰	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٦	۱۰/۱٦
۱۲۷— ۱۰/۱۵	—	بانياس/مسعدة	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين من قافلة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٦	۱۰/۱٦
۱۲۸— ۱۰/۱۵	—	كفارجلعادي	قصف	صواريخ	غيرمحدد	تدمير بعض المنشآت	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٦	۱۰/۱٦
۱۲۹— ۱۰/۱۵	—	المطلة/بانياس	اشتباك	مدافع	غيرمحدد	غير محدد	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٦	۱۰/۱٦
۱۳۰— ۱۰/۱۵	—	مستعمرقحانوتة	قصف	مدفعيةوصواريخ	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٦	۱۰/۱٦
۱۳۱— ۱۰/۱٤	—	البصة/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة عدد من افراد حراسات المطار العسكري	٤	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰٦	۱۰/۱٦
۱۳۲— ۱۰/۱۵	—	بين يفتاح والمنارة	هجوم	أسلحة مختلفة	٨ —	تدمير كمين للعدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰۷	۱۰/۱٦
۱۳۳— ۱۰/۱۵	—	وادي العسل/جبل الشيخ	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مربض لمدفعية العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰۷	۱۰/۱٦
۱۳٤— ۱۰/۱۵	—	العباسية/بانياس	هجوم	أسلحة مختلفة	۱۰ —	غير محدد	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰۷	۱۰/۱٦
۱۳٥— ۱۰/۱٦	—	العباسيةوتلة الرمتة /جبل الشيخ	تفجير	زرع شبكة الغام	غيرمحدد	غير محدد	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰۸	۱۰/۱۷
۱۳٦— ۱۰/۱٦	—	المطلة	قصف	صواريخومدفعية ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰۸	۱۰/۱۷
۱۳۷— ۱۰/۱٦	۲۳٤۰۰	دان،دفنه، شارياشوف	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم۱۰۹	۱۰/۱۷

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٣٨ـــ	١٠/١٧	ـــ	تل أحمر، تل قاضي	قصف	صواريخ	غيرمحدد	قصف تجمعات للعدو	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١٠٩	١٠/١٧
١٣٩ـــ	١٠/١٧	١٦٠٠	وادي العسل/ جبل الشيخ	قصف	هاونات ثقيلة	غيرمحدد	قصف مرابض مدفعية العدو واسكاتها	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١٠٩	١٠/١٧
١٤٠ـــ	١٠/١٦	٢٣٠٠	العباسية	كمين وقصف	هاونات واسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير عربة كمبيون عسكرية وقتل وجرح من فيها	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١٠٩ *	١٠/١٧
١٤١ـــ	١٠/١٥	٦٠٠	سمخ/طبريا	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اصابة تجمعات للعدو	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١١٠	١٠/١٧
١٤٢ـــ	١٠/١٥	ـــ	جسر رامين/نابلس	تفجير	عبوات ناسفة/ الغام	غيرمحدد	تدمير دبابة كانت تسير في مقدمة رتل عسكري	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١١١	١٠/١٧
١٤٣ـــ	١٠/١٥	ـــ	نابلس	تفجير	قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة شرطة وقتل وجرح من فيها	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١١١	١٠/١٧
١٤٤ـــ	١٠/١٥	ـــ	نابلس	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل	٦ ـــ	تدمير سيارة عسكرية	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١١١	١٠/١٧
١٤٥ـــ	١٠/١٧	٢٠٥٠	كفاريونال وجلعادي	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عربة نصف مجنزرة	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١١٢	١٠/١٧
١٤٦ـــ	١٠/١٦	٢١٠٠	الخالصة وكفار جلعادي	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١١٢	١٠/١٧
١٤٧ـــ	١٠/١٦	٢١٠٠	بقره ومطار البصة	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	غير محدد	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١١٢	١٠/١٧
١٤٨ـــ	١٠/١٦	٢٠٣٠	المالكية	كمين	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية نصف مجنزرة وقتل وجرح جميع افرادها	ـــ	ـــ	ـــ	بلاغ عسكري رقم١١٢	١٠/١٧

١٤٩— ١٠/١٦	—	يفتاح، النبي يوشع، ادمت	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	نسف محطة توزيع المياه للمستعمرات المذكورة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٣	١٠/١٧
١٥٠— ١٠/١٦	—	يفتاح، النبي يوشع، ادمت	اشتباك	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	اشتباك مع قوة للعدو دام ٤٥ دقيقة	—	١	—	بلاغ عسكري رقم١١٣	١٠/١٧
١٥١— ١٠/ ٨	—	معسكر الشاطىء/ غزة	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤	١٠/١٨
١٥٢— ١٠/١١	—	مزلقان الصايغ جنوب غزة	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة دورية عسكرية واصابة جميع ركابها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤	١٠/١٨
١٥٣— ١٠/١٢	—	دوار النصيرات	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة باور واجن واصابة جميع ركابها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤	١٠/١٨
١٥٤— ١٠/ ٩	—	بين خان يونس ورفح	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة نصف مجنزرة للعدو واصابة جميع من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤	١٠/١٨
١٥٥— ١٠/١٤	—	خان يونس	كمين	قنابل يدوية	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية واصابة من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤	١٠/١٨
١٥٦— ١٠/١٥	—	همشلوشا/خان يونس	تفجير	الغام	غيرمحدد	تدمير سيارة « باور واجن » واصابة من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٤	١٠/١٨
١٥٧— ١٠/١٣	—	تل أبيب	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	حرق معمل للمارتديلا وحانوت لتصنيع الجلود والبلاستيك وامتداد النيران الى المنازل القريبة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٥	١٠/١٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٥٨ــ	١٠/١٣	ــ	مستعمرة ملبس/ تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	حرق مصنع للورق	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١١٥	١٠/١٨
١٥٩ــ	١٠/١٤	ــ	تل ابيب	تفجير	قنبلة موقوتة	غيرمحدد	تدمير سيارة كانت تقف في الشارع رقم١٠	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١١٥	١٠/١٨
١٦٠ــ	١٠/١٥	ــ	بيوتا/تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	ــ ــ	تدمير منزل ضابط عسكري	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١١٥	١٠/١٨
١٦١ــ	١٠/١٢	ــ	غورالاردن	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	تدمير معمل للسفن واشعال النيران فيه	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١١٦	١٠/١٨
١٦٢ــ	١٠/١٧	ــ	الجليل الاعلى	تصفوهجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اقتحام مستعمرة المطلة ، ومهاجمة مستعمرتي كفار يوفال ، ومهاجمة معسكر نشكول ، وقصف مستعمرة الخالصة ومطار بيت هليل بالصواريخ	٤	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١١٧	١٠/١٨
١٦٣ــ	٨ /٩	٢١٤٠٠	بئر السبع والماسورة	كمين	لغم مسيطر عليه كهربائيا	غيرمحدد	تدمير شاحنتي تموين وذخيرة وقتل من فيهما	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١١٨	١٠/١٨
١٦٤ــ	١٠ــ١٠/١١	ــ	الشيخ زويد والعريش	تفجير	الغــام	غيرمحدد	تدمير نصف مجنزرة وناقلة جنود وقتل من فيهما	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١١٨	١٠/١٨
١٦٥ــ	١٠ــ١٠/١١	ــ	شرقي خزاعة/ قرية ابوستة	تفجير	ألغــام	غيرمحدد	تدمير سيارة باور واجن وقتل وجرح من فيها	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١١٨	١٠/١٨

١٦٦– ١٠/١٨	١٤١٠	شالومي/الجليل الغربي	قصف	تذائف صاروخية وهاون ٦٠ملم	غيرمحدد	تدمير جميع منشآت المستعمرة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١١٩	١٠/١٨
١٦٧– ١٠/١٨	٢٤٠٠	العباسية	قصفوهجوم	هاون ١٢٠ملم وتذائفمختلفة	غيرمحدد	غير محدد	—	٢	—	بلاغ عسكري رقم١١٩	١٠/١٨
١٦٨– ١٠/١٨	—	الجليل الاعلى والاوسط	هجوم وقصف	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	هجوم على دورية قرب مستوطنة المنارة واقتحام المستوطنة، وكذلك في مستوطنة مسكاف عام . مهاجمة احد كمائن العدو في بركة ريشه في الجليل الاوسط وقصف مدينة نهاريا بالصواريخ الثقيلة	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٠	١٠/١٨
١٦٩– ١٠/١٨	—	مجدل شمس	قصف وهجوم	تذائفصاروخية وأسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مستودع للوقود وبلدوزر	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢١	١٠/١٨
١٧٠– ١٠/١٨	—	الجليل الاوسط	تفجير	عبوات ناسفة	—	تدمير مجمع الكهرباء في القطاع الاوسط	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٢	١٠/١٨
١٧١– ١٠/ ٩	٢٠٤٠٠	وادي التفاحبين بئر السبع والقدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	تدمير جسر وتعطيل المرور عليه	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٣	١٠/١٩
١٧٢– ١٠/١٨	—	المطلةوالفجر	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية نصف مجنزرة وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٤	١٠/١٩
١٧٣– ١٠/١٨	—	تل القاضي/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة رشاشة	١٠	اصابة موقع مدفعية للعدو بأضرار	٤	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٤	١٠/١٩
١٧٤– ١٠/١٨	—	بانياس/القنيطرة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير خمس آليات كبيرة وسيارتي جيب وقتل من فيها	٣	—	—	بلاغ عسكري رقم١٢٤	١٠/١٩

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٧٥ـ	١٠/١٧	ـ	هاجولان/سمخ	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اصابة المستعمرة بأضرار	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٥	١٠/١٩
١٧٦ـ	١٠/١٨	ـ	مزرعيت/الجليل الاعلى	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير كمين للعدو واشعال النيران فيه	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٥	١٠/١٩
١٧٧ـ	١٠/١٩	٢٤،٣٠	نهاريا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مصنع للاسبست	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٦	١٠/٢٠
١٧٨ـ	١٠/١٩	ـ	تل الزعتر/شرقي حيفـا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير الجانب الجنوبي من مصنع الذخائر الخفيفة واشعال النيران فيه	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٦	١٠/٢٠
١٧٩ـ	١٠/١٩	ـ	صفد	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٧	١٠/٢٠
١٨٠ـ	١٠/١٩	ـ	كفارجلعادي	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اقتلاع الاسلاك الشائكة حول المستعمرة	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨١ـ	١٠/١٩	ـ	معسكر نشكول	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية مجنزرة كما تم تدمير آليتين في هجوم على دورية للعدو	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨٢ـ	١٠/١٩	ـ	جبل الرز	هجوم	قذائفصاروخية	غيرمحدد	تدمير بلدوزر	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨٣ـ	١٠/١٩	ـ	جبل الرؤوس	قنص	ـ	١ ـ					بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨٤ـ	١٠/١٩	١٢،٠٠	كريات‌شمونة	قصف	مدفعية	غيرمحدد	اشعال النيران في المستوطنة	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٨	١٠/٢٠
١٨٥ـ	١٠/١٥	٢١،٢٠	تل‌شنار/غزة	كمين	رشاشات‌وقنابل يدوية	غيرمحدد	اعطاب‌سيارة باور واجن واصابة من بداخلها وفرار آلية اخرى	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٩	١٠/٢٠
١٨٦ـ	١٠/١٨	١٦٠٠	نحال‌عوز/غزة	تفجير	الغـام	غيرمحدد	تدمير نصف مجنزرة واصابة من فيها	ـ	ـ	ـ	بلاغ عسكري رقم١٢٩	١٠/٢٠

١٨٧ــ ١٠/١٨	ــ	مستعمرقيرعيم/ ديرالبلح	تفجير	الغـــام	غيرمحدد	تدمـــير سيارتـــين عسكريتين واصابة من بداخلهما	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٢٩	١٠/٢٠
١٨٨ــ ١٠/١٢	١٩٦٠٠	الجثمانية ــ راس العامود/القدس	كمين	تنابل يدوية ورشاشات	غيرمحدد	اعطاب آليـــات للعدو	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣٠	١٠/٢٠
١٨٩ــ ١٠/١١	ــ	نابلس	تفجير	القاء قنبلة	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية واصابة من فيها	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣٠	١٠/٢٠
١٩٠ــ ١٠/١٢	ــ	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تـــدمير جزء كبير من مستودع قطع غيار الطائرات الحربية	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣١	١٠/٢٠
١٩١ــ ١٠/١٤	ــ	عكا	هجوم	عبوات ناسفة وقنابل ورشاشات	غيرمحدد	الحاق أضرار بالغـــة بمطار عكا	١	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣٢	١٠/٢٠
١٩٢ــ ١٠/١٣	ــ	بئرالسبع	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة قافلة من سبع سيارات عسكرية وثـــلاث ناقـــلات جنود بأضرار بالغة	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣٣	١٠/٢٠
١٩٣ــ ١٠/١٦	٢٣٦٠٠	كفارغزة/غزة	تفجير	الغـــام	غيرمحدد	تدمير سيارة باور واجن واصابة من فيهـــا وكذلك تدمير سيارة جيب عسكرية واصابة من بداخلها	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣٣	١٠/٢٠
١٩٤ــ ١٠/١٨	ــ	هشلوشما/ديرالبلح	تفجير	الغـــام	غيرمحدد	تدمير سيـــارة نصف مجنزرة	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣٥	١٠/٢١
١٩٥ــ ١٠/١٩	٢٣٦٣٠	ابوطويلة ومعسكر الدوليين	تفجير	الغـــام	غيرمحدد	تدمير سيارة واصابة من فيها كما هاجم ثوارنا سيارة اخرى وتم اعطابها وقتل وجرح من فيها	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣٥	١٠/٢١
١٩٦ــ ١٠/١٩	١٦٠٠	رنيتس والغرابية/ كمين	كمين	تنابل ورشاشات	٧ ــ	اعطاب ســـيارة باور واجن	ــ	ــ	ــ	بلاغ عسكري رقم١٣٥	١٠/٢١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٩٧ـ	١٠/١٩	٤،٠٠	طريق الطبية اريحا	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير عبارة وقطع الطريق	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٥	١٠/٢١
١٩٨ـ	١٠/١٩	٢١،٠٠	الفجر ــ العباسية	كمين	اسلحة مختلفة	٨	—	تدمير آلية	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٤	١٠/٢١
١٩٩ـ	١٠/١٩	—	مسكاف عام والمطلة	هجوم	اسلحة مختلفة	١٥	—	مهاجمة مهجع لجنود العدو	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٤	١٠/٢١
٢٠٠ـ	١٠/١٩	—	داخل الارض المحتلة	اشتباك	اسلحة مختلفة	غيرمحدد		غير محدد	٣	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٤	١٠/٢١
٢٠١ـ	١٠/٢٠	—	المطلة	هجوم	اسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير كمين وقتل وجرح افراده	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٦	١٠/٢١
٢٠٢ـ	١٠/٢٠	—	الفجر/الجليل الاعلى	كمين	اسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير آلية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٦	١٠/٢١
٢٠٣ـ	١٠/٢٠	—	الخالصة	قصف	صواريخ	غيرمحدد		تدمير عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٦	١٠/٢١
٢٠٤ـ	١٠/٢٠	—	المالكية	هجوم	قذائف صاروخية وبازوكا	غيرمحدد		تدمير رشاش ٥٠٠ واسكات رشاش آخر	٣	٢	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٧	١٠/٢١
٢٠٥ـ	١٠/٢٠	—	تل العبار	هجوم	اسلحة مختلفة	غيرمحدد		تدمير آلية ورشاش ٥٠٠ وتم ايضا تدمير كمين	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٧	١٠/٢١
٢٠٦ـ	١٠/٢٠	٢٠،٣٠	جردية	اشتباك	رشاشات وقذائف صاروخية	غيرمحدد		تدمير كمين واصابة كمين آخر	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٧	١٠/٢١
٢٠٧ـ	١٠/٢١	١٤،٣٠	شبعا وجبل الشيخ	غارة	—	—	—	اسقاط طائرة فانتوم	—	—	—	بلاغ عسكري رقم ١٣٨	١٠/٢١

ملاحظة : تصدر التصاريح العسكرية عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

غازي خورشيد

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor,* Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL. 45. *Address:* P.O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢½ ل.ل. في لبنان
٣½ ل.س. في سوريا
٤٠٠ فلس في الكويت
٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية

شؤون فلسطينية

٢٨
كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢½ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : لوحة « لمن السلام ؟ » للفنان الفلسطيني توفيق عبد العال وهي واحدة من ست لوحات صدرت عن مركز الابحاث (سعر المجموعة ١٠ ل. ل.) .

المحتويات

حرب تشرين الأول المجيدة والثورة الفلسطينية

الدكتور سعيد حمود

ليس ممكنا تصور أفضل من بداية حرب عربيـــة بالشكل الذي بدأت فيه بعد ظهر السادس من تشرين الاول وفي ظل الظروف التي كانت سائدة قبل ذلك التاريخ ، بالنسبة للثورة الفلسطينية وبالنسبة للقضية التي من أجلها تقاتل . ويمكننا القول ، بكلام آخر ، أن الثورة الفلسطينية لم تكن ، في أكثر تحليلاتها تفاؤلا ، تحلم باشتعال الجبهات العربية على النحو الذي حدث . ان خروج الجيوش العربية لمقاتلة اسرائيل ، بعد فترة صمت قاتل غير قصير ، بصرف النظر عن حدود القرار الذي وجه تحركها ، يعتبر عاملا حاسما في الصراع الذي تخوضه الثورة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني المغتصب . ومهما كانت قاسية ظروف حالة اللاسلم ـــ اللاحرب على الاوضاع العربية وخاصة في مصر وفي سوريا وعلى جيشيهما ، فانها كانت أشد قسوة ومرارة بكثير على وضع الثورة وعلى مقاتليها . وعندما كانت الثورة تركز فكرها وتخطط لخطواتها ولتصعيد نضالها بهدف الخروج من المأزق ـــ الازمة ، ومن حالة الانحسار التي عاشتها طويلا ، بالذات منذ ايلول عمان الاسود في العام ١٩٧٠ ، لم تكن تجد مناصا مـــن رؤية اشتعال الجبهات العربية في وجه العدو الاسرائيلي ، مناسبة تاريخية لا مثيل لها وعاملا أساسيا مـــن عوامل الخروج من المأزق . كان وما زال في صلب قناعة الثورة ، ان اشعال القتال وازكاء روح المجابهة وانعاش آمال الجماهير بعدم استحالة تحقيق أهدافها ورفع حالة الظلم والقهر المهيمنة عليها ، انما هي العوامل الرئيسية الممهدة للنهوض الثوري العارم الذي يضع المنطقة كلها على مسار حرب الشعب الطويلة المكللة بالنصر في نهاية المطاف. ولقد كان صحيحا وموضوعيا ، اذن ، ان ترى الثورة الفلسطينيـــة ، كفصيل طليعي مقاتل ، من فصائل حركة التحرر العربية ، بركود الجبهات العربية ، وما ترتب عليه من نتائج سلبية على مختلف المستويات ، كان طبيعيا ان ترى الثورة بكـــل هذا ، مناخا لتحطيم معنويات الجماهير ، وتأخير نهوضهـــا الثوري ، وجرها الى مواقع اليـــأس واللامبالاة .

من هنا ومع انطلاق النار العربية وبدايات الزحف العربي المقدس يوم السادس من تشرين الاول المجيد ، وجدت الثورة الفلسطينية نفسها في تلاحم مصيري لا مثيل له مع الانطلاقة المقاتلة . وابان القتال شعرت الثورة وفعلت وتحركت وكأنها الحليف الرئيسي الطبيعي للرصاص المنهمر . وسوف تظل أيام القتال المجيد وساحاته وأعماق فلسطين شاهدا بارزا على دور المقاتل الفلسطيني وعلى بطولاته وعلى عطائه السخي وعلى الاثر الفاعل الذي أحدثه هـــذا الدور . وعندما نستعرض بعد قليـــل عمليات الثورة الفلسطينية خلال الحرب على الجبهات العربية وفي أعماق فلسطين المحتلة ، فاننا لن نتمكن من الحديث الا عن جزء من الحقيقة ، لان ضخامة الحرب نفسها من جهة، والتعمد في التعتيم على الدور الفلسطيني من قبل العدو ومن قبل غيره ، من جهة أخرى ، أحدث ستارا على الحقيقة كاملة . رغم ذلك فقد كان دور المقاتل الفلسطيني رائعا ومعطاء وتعبيرا صادقا عن معنى اندلاع الحرب بالنسبة للثورة وقضيتها . البندقية الفلسطينية،

التي جاء وقت لم يكن مرتفعا فيه سواها ، البندقية في يد المقاتل الفلسطيني الذي « اشترى » الوقت للمقاتل البطل في الجيوش العربية ليستعد لساعة القتال ، البندقية التي صنعت تاريخا ، في الوقت الذي صعبت وقست فيه صناعة التاريخ ، البندقية التي افتخر بها أمام العالم وقدس معناها القائد الفلسطيني ، هذه البندقيــة شاركت بكل قوتها في صناعة مجد حرب تشرين الخالدة ، لم يكن دورها رمزيا ولم يكن دورها ثانويا ولا هامشيا ، بل كان تعبيرا صادقا عن فهم حقيقة دورها الى جانب الجيوش النظامية ، عندما تخوض حربا عادلة ضد عــدو مغتصب شرس : الاقتحام الاول مــع الجيوش النظامية ، ثم الانتشار وراء خطوط العدو ، والعمل هناك على ارباك وعرقلة تحركه وتشتيت تنبهه ، وكذلك التوغل في أعماق العدو والحاق الاذى في منشآته العسكرية والمدنية وارباك حياته في كل مجال ، بهدف التأثير العسكري والمعنوي عليه في آن واحد. هذا الدور ذو الطابع « العصابي » ، يزداد تأثيره وفعله مع تصاعد العمليات العسكرية النظامية على الجبهة ، بمعنى أنه كلما ازدادت شراسة القتال ، توسعت دائرة تأثير العصابات وأخذ بالفعل العنيف على بنيان العدو وتماسك قواه .

ان هذا الدور العسكري ابان القتال ، على أساسيته وفعاليته ، ما هو الا جزء من معنى وجود الثورة وحجمها التاريخي خلال فترة اللاحرب في قضية حسم الصراع تاريخيا مع العدو الامبريالي الصهيوني لصالح استرداد فلسطين واقامة المجتمع الديموقراطي التقدمي على كامل التراب الفلسطيني . ان المعنى التاريخي لوجود الثورة الفلسطينية ولبقائها على أساس مبادئها ومنطلقاتها يكمن في تفجير حرب الشعب . وحرب الشعب بدورها لا تعني مطلقا أن « جحافل » الثورة الفلسطينية سوف تجتاح الارض المحتلة و« تدحر » الجيش الاسرائيلي وتحرر الارض ، تفجير حرب الشعب يعني في الاساس اطلاق طاقات الجماهير وحشدهـــا وتجنيدها وادخالهــا مباشرة في أتون الصراع ، واستنهاض نضالها الثوري واستعدادها للمجابهة وللقتال ولتحمل التضحيات مهما بلغت ومهما طال زمنها . ترتكز هذه العملية كلها على ايمان الجماهير بحتمية النصر في نهاية المطاف ، والثورة ، بدورها التاريخي ذي النفس الطويل ، هي التي تزرع في الجماهير العريضة الثقة بالنصر ، والجنود والضباط في الجيوش النظامية هم أبنــاء الشعب وتشملهم العملية الثورية ضمن أي تحليل . من فهم في يوم من الايام ان تحرير فلسطين، وتحليل الثورة لتحرير فلسطين ، بأنه لن يكون نتاج تلاحم دور الجيوش العربية النظامية مع الثورة وجماهيرها في الخارج والداخل ، يكون قد فهم المسألة بشكل خاطىء من الاساس .

لقد اثبتت حرب السادس من تشرين الاول المجيدة نفسها عقم التفتيش ومقاربة الحلول السلمية في ظل ميزان القوى الراهن . لو كان الامر غير ذلك لما خرجت الجيوش العربية الى القتال ، ولما كانت الحرب هي الحل الوحيد المتبقي . ان المراهنة على الاسلوب السلمي لحسم معادلة الصراع القائمة ، عقيمة وفاشلة. ولعل سير التطورات بعد وقف اطلاق النار يلقي مزيدا من الاضواء على صحــة هذه المقولة . ولا نعتبره استباقا للاحداث القول بأن أية تركيبة للحل السلمي ، في الظرف الراهن ، ستكون هشة وضعيفة ومعرضة للاهتزاز ، وبالتالي لن يكون هناك استقرار ولا حل دائم . ان حالة القهر والظلم ستظل قائمة على الشعب الفلسطيني وعلى الشعب العربي كله ، وبالتالي فان الصراع مستمر واللااستقرار مستمر ، والثورة الفلسطينية قادرة ، برغم كل قسوة الظروف ، على « شراء » الوقت مرة اخرى حتى يستكمل النهوض الثوري شروطه ، لينطلق ويفجر الاوضاع من جديد ، حتى تنتهي الى الابد حالة القهر وتعود الامور الى نصابها في المنطقة .

بعد هذه النظرة السريعة الى أسس فهم الثورة الفلسطينية للحرب العربية المجيدة

ولدورها فيها ، نأتي الآن الى استعراض دور الثورة الفعلي خلال الحرب . وكما أشرنا سابقا فان المعلومات المتوفرة ما هي الا جزء من الحقيقة الكاملة ، تلك التي لا بد من الانتظار فترة أطول ، لانتشالها من براثن التعتيم ومحاولات التغييب :

١ ــ حملت التقارير الخاصة من داخل الارض المحتلة ، وكذلك تقارير بعض الشهود من أبناء شعبنا الذين كانوا في الداخل حين نشوب القتال ، جملة من المعلومات حول تحرك جماهير الشعب الفلسطيني مع بداية القتال ، وقد نشرت الصحف اللبنانية وبعض الصحف الاجنبية أخبارا تؤكد العديد مما ورد في التقارير الخاصة وتقارير الشهود ، لذلك سنعمد هنا الى ذكر هذه القضايا كما وردت دون الاشارة الى مصدرها ، وهذه التحركات تعتبر مظهـــرا أساسيا من مظاهر دور الثـــورة الفلسطينية ، لان الثورة هي تعبير عن ارادة هذه الجماهير ، وقواتها مزروعة بينها تحتضنها وتقدم لها كل أنواع الدعم والحماية (ولعل مثال الوضع في قطاع غزة من ابرز الامثلة في هذا الصدد) .

أ ــ في اليوم التالي لبداية الحرب أي يوم الاحد في ١٩٧٣/١٠/٧ لمس أن عددا كبيرا من سيارات العدو الموجودة في مدن الضفة الغربية قد نفست اطاراتها أو قطعت .

ب ــ منذ اليوم الثاني للقتال بدأت مجموعات كبيرة من العمال العرب الذين يعملون في بعض قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي ، في الامتناع عن الذهاب الى أماكن عملها ، وقد تصاعدت عمليات المقاطعة مع اتساع نطاق الحرب .

جـ ــ تعطلت الحياة العادية في أكثر مدن القطاع والضفة الغربية وخاصة القدس ، بمعنى أن عديدا من المراسلين الاجانب لاحظوا فراغ الشوارع ، مع ظهور دلائل الحماس على وجوه المارة من العرب .

د ــ أخذت صيغة التعامل بين العرب والاسرائيليين تنقلب وقد أشار أحد المراسلين الاجانب ، الى أن الحراس العرب على مدخل المسجد الاقصى ، مثلا ، كانوا في السابق لا يجرؤون على منع أحد من اليهود من الدخول او من ممارسة اساليب الاعتداء على حرمة المسجد ، ولكنهم مع بداية الحرب وسماع أخبار تطوراتها ، أخذوا يوقفون الزوار ويطالبوهم بالالتزام في القوانين ومراعاة حرمة المسجد ، وبلهجة شجاعة .

هـ ــ أخذ الناس يتناقلون فيما بينهم أخبار القتال ، ويهنئون بعضهم بعضا في العلن ودون خوف بل بكل تحد لقوات العدو ، ويوجهون الاهانات والتحديات لهم .

و ــ في اليوم الثاني لبدء القتال أيضا اعترضت مجموعة من الجماهير طريق القوافل الاسرائيلية المتوجهة الى سيناء وكان الاولاد يهتفون في وجه الجنود « بيع سلاحك بيعو ، لابو عمار بيعو ، اشتري العيش وبيعو » ، (كما نقلت سيدتان فلسطينيتان لصحيفة « النهار » البيروتية بعد خروجهما من قطاع غزة ، حيث كانتا هناك عند بدء القتال) .

هذه وغيرها من الاخبار التي وصلت عن تفاعل جماهيرنا في الداخـــل مع الاحداث وارتفاع معنوياتها ولمحاولاتها العفوية لدليل قاطع على تلاحم هذه الجماهير مع الثورة ومع القتال ، وفي الوقت نفسه برهان على صحة الحقيقة التاريخية عن الجماهير ، بأنها لا تيأس ولا تتعب . انها على استعداد دائم للعطاء وللفعل عند تسلحها بالثقة وايمانها بالنصر . للجماهير قوة خارقة لا يطلق عقالها الا القتال والفعل الثوري .

٢ ــ قامت قوات الثورة الفلسطينية خلال الحرب بما يزيد عن ٢٠٧ عمليـــات عسكرية ، حوالي ٢٣٪ منها عمليات قصف و٢٣٪ عمليات تفجير و٢٢٪ عمليات هجوم و١٣٪ كمائن ونحو ١٢٪ اشتباكات و٧٪ عمليات اغارة وقنص . ويدل حجـــم العمليات على أنه قد تضاعف خمس عشرة مرة خلال الحرب عنه بالنسبة للمعـــدل

العادي في الشهور السابقة ، وهذه نسبة ارتفاع وتصاعد عالية جدا . انها تعكس بوضوح أمرين : الاول مدى الجدية التي ادركت بها الثورة معنى دورها في الحرب ، والثاني هو قدرة الثورة على تصعيد عملياتها بسرعة وكثافة وفاعلية . وقد شملت هذه العمليات رقعة واسعة من الارض ، تقريبا كل بقعة في الارض المحتلة . ولم يستطع العدو ، برغم تجاهله ومحاولة تعتيمه على دور الثورة ، الا الاعتراف بغالبية العمليات وقد اعترف المعلق العسكري الاسرائيلي حاييم هرتزوغ بأن الفدائيين الفلسطينيين فتحوا الجبهة الثالثة في وجه العدو الاسرائيلي منذ الايام الاولى على بدء القتال . بلغ عدد المستعمرات التي شملتها عمليات قوات الثورة ٤٢ مستعمرة (وقد تم تحرير موقع في جبل الشيخ ورفع عليه العلم الفلسطيني بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٧) . ان الامر الذي أصدره القائد العام لقوات الثورة يعبر تعبيرا دقيقا عن الفهم الصحيح لدور هذه القوات ، اذ قال ابو عمار للمقاتلين : « ان المزيد من الضربات لخطوط مواصلات العدو ومراكز تجمعاته ومرافقه الحيوية داخل الارض المحتلة وحدودها أمر هام وحاسم » . وقد اتسمت عمليات الثورة خلال الحرب بمواصفات هذا الفهم : أ — نصب كمائن لقوافل تموين العدو ، ب — مهاجمة تحركات العدو العسكرية والاشتباكات مع قواته المتجهة نحو المعركة ، ج — اعاقة تحركات العدو بواسطة زرع الالغام في الطرق التي يستعملها او نسف العبارات والجسور أمام تحرك آلياته ، د — مهاجمة تجمعات العدو ومعسكراته ومشاغلتها وتكبيدها الخسائر (أنظر شؤون فلسطينية العدد ٢٧ الماضي صفحة ٤٦ — ٤٧) . على هذا الاساس ارتفعت بعض التعليقات تنتقد عمليات الاحتلال ورفع العلم الفلسطيني على بعض المواقع ، الا اننا نرى ان هذا النوع من العمليات كان رمزيا (بحجم محدود) عكس نظرة الثورة على هذه الحرب بأنها في اطار حرب التحرير . أما تفسير هذا الحجم الكبير من العمليات (التي ما زالت البلاغات العسكرية للقيادة العامة لقوات الثورة تتحدث عنها حتى الان مثل البلاغ الذي صدر يوم ١٩٧٣/١١/١٣ عن عمليات قامت بها قواتنا يوم ١٩٧٣/١٠/١٨) فيكمن في حقيقة ان الحدود اللبنانية الجنوبية قد ارتفعت عنها القيود والتقييدات السابقة خلال الحرب، وان المخزون من الطاقات والامكانيات وجد مناسبة له في الانطلاق ، وان العدو قد ارتبكت قواته من شدة العمليات العسكرية العربية على الجبهات (الى الحد الذي لوحظ فيه بقاء العديد من المستعمرات دون حراسات فاعلة) .

٣ — قد لا نكون قادرين الان عن الاستعراض التفصيلي لدور قوات جيش التحرير الفلسطيني على الجبهتين المصرية (قوات عين جالوت) والسورية (قوات حطين ، وكذلك قوات القادسية التي جاءت الى مسرح العمليات في سوريا مع طلائع القوات العراقية) بسبب قلة المعلومات عن هذا الدور ، (يعد قسم الدراسات العسكرية في مركز الابحاث دراسة ميدانية مفصلة حول هذا الجانب نأمل ان نتمكن من نشرها في العدد القادم) ، ولكن تاريخ حرب تشرين الاول سوف يسجل صفحات ناصعة بالمجد والبطولات للدور الخالد الذي قامت به هذه القوات ، لقد كانت في طليعة قوات الاقتحام وظلت خلف خطوط العدو تقوم بدور القوات الخاصة وتشغل العدو بشكل مؤثر وفعال .

لقد أثبت المقاتل العربي في الجيوش العربية وفي قوات الثورة الفلسطينية ، انه مقاتل قادر وصلب واكبر من « الاساطير » التي خلقت في وجهه . كما اثبت المقاتل العربي النظامي والفدائي انه في مستوى يؤهله ، اذا ما استوعبت دروس الحرب ونضجت ظروف القتال الحقيقي الكامل ، ان يتوجه الى هدف التحرير . في هذه الحرب لم تكن طاولة المفاوضات في اعين المقاتلين ولا نص القرار ٢٤٢ و٣٣٨ و٣٣٩ ، وانما كانت ارض فلسطين في اعينه وفي خلده . ولا شك انه سيأتي الظرف الذي ينعم فيه المقاتل العربي برؤية حلمه حقيقة ، حقيقة بلا أي غبار .

مقومات القرار الفلسطيني ومحاذيره

الدكتور كلوفيس مقصود

أكثر من اي وقت مضى يجد الفلسطينيون أنفسهم أمام امتحان صعب يستوجب منهم قرارا حاسما وواضحا . ولعل الثورة الفلسطينية — ومعها الملتزمون العرب — تجد ان الاحداث التي جرت في المنطقة والنتائج التي اوجدتها المعارك التشرينية التي خاضتها ببسالة جيوش مصر وسوريا ضد العدو الاسرائيلي وضعتها في الموقع الذي تبدو — ونؤكد كلمة **تبدو** — انها امام خيارين فاما ان تنسجم مع نفسها ومبدئيتها الثورية وتفقد جدواها وفعاليتها في المرحلة الراهنة او تصر على ان تفعل في المرحلة وتبدو وكأنها تخلت بعض الشيء عن التزاماتها الثورية .

لقد أكدنا على كلمة (تبدو) لان المأزق الظاهري ليس مأزقا في الواقع لان الثـورة الاصيلة عندما تصل الى مثل هذا الوضع ، الذي تتضاءل فيه امامها الخيارات ، تتوجه الى ذاتها من اجل استخراج طاقاتها الجدلية والابداعية بدلا من التسليم بأن عليها التقرير في اي من هذين الخيارين .

هذا يتطلب باديء ذي بدء تقييما دقيقا للمرحلة والاحاطة بمختلف جوانب القضية الفلسطينية في الاطار العربي الحاضر وبالتالي تكييف تحرك الثورة نحو القرار بموجب التمازج الجدلي بين التصور المستقبلي للثورة وبين التحديات التي تشكل الوقائع القائمة والمحتملة في المنطقة . هذا يعني بدوره ان الثورة الفلسطينية يجب ان تجنب سلوكها (وبالطبع تفكيرها) مزالق التهالك على الحلول الفورية وما ينطوي عليه هذا التصرف من **ميوعة في الالتزام** ومن **معالم الارهاق في مواصلة النضال** وما يعنيه من ضيق في الافق وقصر في النظر . لكن ، على الثورة الفلسطينية ، في الوقت نفسه ، ان تتجنب ايضا النزوع الرومانسي نحو استساغة اعلان المواقف المبدئية دون التلفت نحو قيمتهـا التأثيرية المباشرة على الظروف والوقائع الموضوعية ذلك لاننا لسنا في صدد استفتاء على من هو قادر **على تسجيل** المواقف المبدئية بل ان الثورة هي في صدد **ترجمة** ماديـة لهذه المواقف من حيث تتمكن ان تستفيد من الوقائع والظروف بقدر الامكان وان تغير منها باتجاه ما تفرضها التزاماتها المبدئية بقدر الامكان . هذا هو مكمن التحدي للفكر الجدلي الذي تنطوي عليه كل ثورة أصيلة وكل حركة هادفة نحو ايجـاد التغييرات الجذرية في الساحة التي تعمل فيها .

المطلوب من الثورة الفلسطينية اذا ان تستبقي قدرتها على الانسجام مع نفسها ومع تراثها النضالي ومع التزاماتها المبدئية ، التي وحدها دفعت بقوافل الشهداء نحو ترسيخ هذه الالتزامات في وجدان الامة والجماهير ، مع المحافظة على ضرورة استمرار فعاليتها في قيادة الشعب الفلسطيني اثناء احدى المنعطفات الرئيسية في تاريخه .

ان الوقائع والظروف المستجدة التي أعقبت الحرب التشرينية (حرب ٦ اوكتوبر) اسهمت في ادخال تغييرات اساسية على نمط تفكير الشعب الفلسطيني وسلوكه وعلى طلائعه الثورية . ذلك ليس مستغربا نظرا الى وحدة الانتماء القومي وبالتالي وحدة

المصير . فمن البديهي القول ان القضية الفلسطينية بكل ابعادها هي منشأ ازمة الشرق الاوسط ، وبالتالي فان المعالجات العربية للازمة تؤثر وتتأثر بالضرورة بنضالات الشعب الفلسطيني ومواقفه . هذا التداخل المحتوم هو مصدر قوة لطاقات المجابهة الفلسطينية مع الكيان الصهيوني كما انه مصدر تقييد على مدى ثورية التحرك الفلسطيني بمقدار افتقار الانظمة الى الالتزامات التحررية والوحدوية او دفع للتحرك الثوري الفلسطيني بمقدار التزام بعض الانظمة ذات الاوجه والسياسات التحررية والوحدوية .

النقطة الرئيسية في هذا المضمار انه مع اصرار الرفض الفلسطيني لما يسمى «بوصاية» الانظمة العربية على الثورة الفلسطينية ، فان استعمال هذه الكلمة يبقى في حيز الانفعال المشروع وليس محصلة تقييم سليم لحقيقة الانتماء القومي للشعب الفلسطيني .

منذ نهاية حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كان من المستحيل ان تبقى اسرائيل محتلة لاراضي الدول العربية . وكان لا بد ان تقوم الدول المعنية بالمساعي التي من شأنها ان تؤدي الى عودة هذه الاراضي أي الى عودة الوضع الراهن السابق للخامس من حزيران ١٩٦٧ . وبالنظر الى محدودية هذا الهدف، فقد لاقى استجابة عند قطاعات دولية هامة كما ان رضوخ هذه الدول العربية لمجرد استرجاع اراضيها مع اقرارها بحق اسرائيل في الوجود الآمن كما حدده قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، انتزع موافقة دولية شاملة للهدف العربي المحصور . ومثلما أعطيت الضمانات الكافية للمجتمع الدولي بأن لجوء الدول العربية الى المعركة القتالية سيكون بمثابة الملجأ الاخير لها نحو اجبار اسرائيل على تنفيذ المقررات الدولية بشأن الانسحاب من الاراضي المحتلة ، فان المجهودات الدولية انصبت على دعم الموقف العربي الرسمي في توجهه المسالم . الا ان تعنت اسرائيل ومراوغتها في تنفيذ الارادة الدولية وضربها بعرض الحائط بمختلف المبادرات والمحاولات الدبلوماسية والسياسية وتعمدها سياسة التوسع وبناء المستعمرات في الاراضي المحتلة واشاعة قناعتها بان الارادة العربية متلاشية الا فيما يتعلق بتصرفات من أسمتهم « بالمخربين » ، كل هذا أدى الى ترسيخ القناعة في المجتمع الدولي بأن لا بد للصبر العربي ان ينفد وان اية معركة يخوضها من أجل الهدف المحدود تكتسب صفة **المشروعية الدولية** . وقد مهدت مصر ، كما هو معروف ، بحملة دبلوماسية واسعة النطاق من أجل ضمان الحد الاقصى من التفهم العالمي لكل عمل تقوم به من أجل الهدف المحدود والمحصور بايجاد تغيير في المنطقة من شأنه ترشيح الازمة للتحرك ومن ثم للحل الحاسم .

قامت المعركة واستؤنف القتال على الجبهتين المصرية والسورية وسجلت من الاعمال ما أمكنها من تجاوز الهزيمة وتأكيد مقدرة فائقة على مجاراة الحداثة في الفنون العسكرية والتصورات الستراتيجية . كل هذا ادى الى عودة الحيوية والامل الى الساحة العربية بمجملها الا انها أوجدت عند الجماهير آمالا بمواصلة المعركة ونوعا من التغافل عن محدودية الاهداف للمعركة . رغم ان القيادات كانت بمنتهى الوضوح والصدق بصدد ماهية اهدافها .

نقول هذا لا انتقاصا من المعاني التاريخية التي اوجدتها المعركة ، الا ان جوهر الموضوع آنيا يكمن في النتائج الموضوعية والسياسية للمعركة اكثر من المعاني التاريخية لها . في ضوء هذه النتائج يجب ان نتدارس الاثار التي أدت اليها بالنسبة للقضية الفلسطينية نفسها .

يبقى ان النتائج السياسية للمعركة تفرض نفسها بمجرد انها جاءت في اعقاب معركة. فمن اولى النتائج للمعركة التشرينية انها عززت مصداقية للنظامين الوطنيين في مصر

وسوريا لدى قطاعات واسعة من الجماهير العربية . هذا يعني بالضرورة انها اوجدت للمعركة قيمة سياسية هامة لدى اوساط الشعب الفلسطيني من حيث انها ، بالنسبة للرازحين تحت نير الاحتلال الاسرائيلي المباشر، فانها قربت من موعد ازاحة هـذا الكابوس وبالتالي جعلت منهم عامل ضغط هام في اتجاه ايصال احتمال استفادة القضية الفلسطينية من التحركات العربية الرامية الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتـلة .

كما ان قطاعا هاما من الشعب الفلسطيني يعي ان تجاربه السابقة تدفعه نحو انتزاع ما يمكن انتزاعه حتى تصبح الارض الفلسطينية اطارا لتواجد فلسطيني مكثف ينظم الفلسطينيين ويلملم شملهم من حيث ان الكيانية الناتجة عن التسوية في هذا الاتجـاه تكون قد أعطتهم ما افتقدوه طوال ربع القرن الماضي — اي الهوية الفلسطينية القانونية للشخصية الفلسطينية . وبرغم انه لا يمكن ، ولا يجوز تجاهل مثل هذا المنطق وكونه يتوافق الى حد كبير مع الاهداف المحدودة للمفاوضين العرب الذين خاضوا المعركة ، الا ان هذا المنطق يجب أن يوضع تحت مبضع الامتحان لان المنطق الذي يعمل بموجبه لا يمكن ان يستر على المحاذير التي يجب ان تلازم تقديراتنا وحساباتنا . الا اننا نكرر بان هذا المنطق مهما كانت اسباب رفضنا له يبقى متحركا بدوافع — هي في أكثرها — وطنية وسطية ويجب ان تشير الى معاناة صادقة عند الكثيرين من ابناء الشعب الفلسطيني وبالتالي لا يجوز اسقاطها من اعتبارات قرار الثورة الفلسطينية او نزع صفة الوطنية والصدق عن معظم الذين ينادون بهذا المنطق .

اكثر من ذلك لا بد ان نعي ايضا ان من النتائج السياسية للمعركة التشرينية هي انها وضعت موضوع تحقيق الاهداف الفلسطينية في التحرر بالتدرج في حيز القبول الذي كان يستحوذ عليه موضوع تحقيق الاهداف الفلسطينية نفسها بالثورة فقط . هذا لا يعني ان التدرج نحو التحرير والثورة من أجل التحرير تساويا من حيث القيمة الحقيقية او الجدوى في المدى الطويل لكنه يعني حتما ان صيغة التدرج أصبحت ، مهما كان الموقف النظري او المبدئي منهـا ، معتبرة في صلب عوامـل القـرار الفلسطينـي المطلوب واعتباراته ولم يعد بالامكان تجاهلها او اسقاطها . هذا ما نعنيه بالنتـائج السياسية للمعركة والكامنة في كونها ادخلت المأرب الجزئي في حسابات الثورة . من هنا تشكلت قناعة بأن المعركة التي خاضتها الانظمة أدت الى استباق الثورة في المعضلة المركزية للازمة — أي في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

الا ان الثورة الفلسطينية في حين تسلم بهذه النتيجة السياسية الهامة للمعركـة التشرينية وتأخذها في صميم اهتماماتها وتعي صدق المعاناة عند الذين يعملون بالمنطق التدرجي الا انها لا تستسلم لهذه النتيجة وبالتالي لا تعتبرها الخيار الاخير للثورة . لان التسليم بهذه النتيجة يحفز الوجه الجدلي للفكر الثوري بينما الاستسلام لهذه النتيجة يجعل الثورة نفسها وريثة ما قد ناقضته منذ قيامها . لذلك كان همنا ، بل تركيزنا ، على ان لا تضع الثورة الفلسطينية نفسها في الموقع الذي تفرض على نفسها ان تختار بين ما يفرضه الواقع المستجد في أعقاب المعركة وما تلتزمه من منهج ثوري لتأمين التزامها في التحرير الكامل خاصة وان ادخال خيار التدرج في صلب القرار الفلسطيني لا يعني استبدال الثورة بالتدرج في القرار المطلوب .

يتبين لنا ان الحرب التي خاضتها مصر وسوريا كانت محدودة الاهداف وكانت بالتالي محدودة النتائج . وبرغم ان فرض مصر وسوريا حدودا على هدفهما من المعركة لم يكن نتيجة قناعة بمقدار ما كان نتيجة تقييم للمعادلات الدولية والقومية ، فان هـذا أتاح امام القضية الفلسطينية ان تؤمن لذاتها نتيجة محدودة . المشكلة — اذا كان من

مشكلة ـــ هي بأن الثورة الفلسطينية ادركت ان المعركة التي طالما دعت الانظمة الوطنية الى خوضها مكنت الانظمة التي خاضت المعركة ان تشترك ولو جزئيا في التمهيد لصنع القرار . كما ان نقطة اضافية يجب اخذها بعين الاعتبار وهي ان هذا التأييد ـــ شبه الاجماعي ـــ الذي ناله الجانب العربي في المعركة كان جزئيا نتيجة ان الاهداف المحدودة هي ما أجمعت عليه الامم المتحدة والمنظمات الدولية على انها هي ما تتشكل منه عناصر **المشروعية الدولية** . من هنا ايضا يترتب على الثورة الفلسطينية ان تجعل قرارها آخذا بعين الاعتبار مدى تجانسه مع المشروعية الدولية الراهنة من جهة والمشروعية الدولية التي يجب ان تكون من جهة اخرى . الا ان **الاهداف المحدودة** للمعركة التي خاضتها الانظمة تعني **التزاما محدودا** بها من قبل الثورة مما يسهل على الثورة ضرورة تميزها دون ان يجعلها اداة تعطيل لما يمكن للانظمة انتزاعه من الكيان الصهيوني .

الا ان المحاذير التي يتوجب علينا بحثها نظرا لخطورة القرار الفلسطيني في المرحلة الراهنة ونظرا لصعوبة الظروف المحيطة بهذا القرار ، بالاضافة الى مسؤولية الثورة في مواجهة الموقف واعطاء التوجيه اللازم ، تتطلب منا تسجيلها ومن ثم توضيحها حتى لا تؤدي السرعة المطلوبة في أخذ القرار الى تسرع في اتخاذه او اعلانه .

ان اولى المحاذير تكمن في ان تجاري الثورة الفلسطينية محاولات استبعاد عودة التصلب الاسرائيلي في مناهضة مشاريع التسوية . فاذا ما عاد التصلب الاسرائيلي الى ممارساته العادية في مرحلة لاحقة تكون « مرونته » الشكلية هي مجرد انحناءة تكتيكية للوقائع التي اوجدتها المعركة في المنطقة وعلى الصعيد الدولي . من هنا نجد مخاطر التغييب لاحتمال عودة التصلب الاسرائيلي من حيث ان هذا من شأنه ان يفلت قوى عربية وعالمية شدها الينا مناخ المعركة وجديتها . والذي ينطبق على محذور عودة التصلب ، ينطبق ايضا على اجترار أساليب المراوغة والمماطلة والتحايل بغية فك التلاحم العربي والدولي وبالتالي التمهيد لهجوم معاكس تقوم به اسرائيل لا في الجبهة العسكرية فحسب بل في الجبهات الاعلامية والدبلوماسية والسياسية والنفسية . **من هنا نجد** ان الثورة غير مطالبة باتخاذ او باعلان قرار ما لم تتوفر لها كل الضمانات والمعلومات الكفيلة بان يكون القرار بمستوى القضية وليس مجرد عملية اضفاء شرعية على حلول تستهدف تقليص القضية وتفريغها من مقوماتها التصحيحية وطموحاتها المستقبلية .

والمحذور الثاني ان الضاغطين على الثورة الفلسطينية بأن تأخذ قرارا محددا واضحا في موقف لا يزال مائعا وغامضا ، يبدو وكأنهم يريدون من الثورة الفلسطينية ان تكون هي نفسها عامل حسم في موقف مستجد لم تساهم فيه وليس هو ، من حيث كونه نتيجة مبتورة،موقفا لصالحها . من هنا ينشأ المحذور بأن مطالبة الثورة الفلسطينية بالاسراع باتخاذ قرار واضح يشكل خطرا عليها من حيث ان مجرد اتخاذ القرار الان يكشف أوراق القضية الفلسطينية ويجعلها مرشحة للامتصاص داخل معادلات دولية وقومية تترجح فيها عناصر النتائج المبتورة على القضية نفسها . كما يفقدها دورها الثابت كونها أداة استقطاب طاقات الرفض العربي وتفجير عناصر التصحيح في الساحة العربية .

في هذا المجال ينشأ ايضا **المحذور الثالث** وهو أهلية تمثيل الشعب الفلسطيني في كل المراحل وفي كل المجالات وعلى مختلف الاصعدة . رغم انه قد تم البت في هذا الشأن من حيث أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الجهة الشرعية الوحيدة المؤهلة لمثل هذا التمثيل فقد تعمدت السلطة الاردنية ان تعاود ايجاد الالتباس في هذا الموضوع .

ورغم ان مشاركتها الاسمية ـ او الرمزية ـ كان كافيا ان يؤكد الحقيقة الثابتة بكون النظام الاردني ضالعا في المحور الاميركي ـ الاسرائيلي . أضف الى ذلك ان اصرار اسرائيل على اعتبار النظام الاردني الراهن بمثابة صمام الامان لاسرائيل هو انذار للدول العربية بأن اسرائيل تطالب بأن يكون لها قول مباشر فيما يتعلق بموضوع التمثيل الفلسطيني . وهكذا نجد ان منطق التسوية يكرس التباسا في موضوع اساسي المفروض ان يكون قد حسم قبل المعركة وان تكون المعركة قد ازالته نهائيا بدلا من ان تكرسه . من هنا فان تحرك النظام الاردني بهدف انتزاع موافقة مسبقة من الدول العربية لحقه في تمثيل الشعب الفلسطيني ـ على الاقل ابناء الضفة الغربية ـ يعني ان رصيده من التواطؤ في الماضي صار قابلاً للمكافأة بدلا من الحاجة القومية لمعاقبته .

وقد استطاعت الانظمة الوطنية ـ خاصة في مصر وسوريا ـ بالاضافة الى القوى والسلطات الوطنية في الوطن العربي تؤكد للاردن التزامها بكـون منظمة التحرير هي الاطار الشرعي الذي تتمثل من خلاله الارادة الفلسطينية . فما كان من النظام الاردني الا ان قام بفذلكة ترتكز على حق تمثيل فلسطينيي الضفة الغربية والقدس في مراحل تنفيذ بنود الانسحاب حتى يكون الانسحاب بموجب قرار مجلس الامن مـن الاراضي الاردنية وبالتالي تعود الى الاردن . ومهما كانت اوجه المنطق الشكلي فـي هذا الموضوع الا ان المحذور الذي يجب التنبيه له هو في ضرورة تبيـان الموقف العربي بحيث ان اي تنفيذ لقرارات الامم المتحدة يجب ان لا يلحق اضرارا بالمقررات الجوهرية والقومية المتعلقة بالحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني ككل .

يستتبع هذا المحذور الرابع ولعله من الوجهة السياسية المحذور الاهم وهو أن ما اعتبر من قبل المجموعة الدولية « بالحقوق المشروعة » للشعب الفلسطيني لا يشكل بالنسبة للشعب الفلسطيني نفسه **الحقوق المشروعة** . **فالحقوق المشروعة** هي حقوق الشعب الفلسطيني التاريخية وهذا لا يتأمن الا من خلال تحرير كامل التراب الفلسطيني واقامة المجتمع الديمقراطي العلماني على كل الارض الفلسطينية . الا ان المطروح الان هو تأمين الحقوق المشروعة بموجب المقررات الدولية وبموجب ما سمي بالتوافق الدولي والموافقة العربية عليها . ان هذه الحقوق المشروعة لا تصبح قابلة ان تكون عنصرا رئيسيا في القرار الفلسطيني ما لم تتحدد معالم هذه الحقوق ومدى قابليتها ان تسهم في تأمين الحقوق التاريخية في مرحلة لاحقة . ولعل التحديد المطلوب هو التحديد العربي الراهن حتى يتمكن القرار الفلسطيني من شمول ما يتوقعه مستقبلا في هذا المجال اذا جاء القرار الفلسطيني متوافقا مع المستلزمات المرحلية للاقطار العربية .

من هنا تتبين لنا أيضا معالم المحذور الخامس وهو ان القرار الفلسطيني لا يمكن البت فيه اذا لم يأخذ بعين الاعتبار احتمال ايجاد تغييرات جذرية في معادلات المنطقة نحو اتخـاذ خطوات وحدوية محتملة بين بعض الاقطار ذات الانظمة الوطنيـة او تغيير ثوري في الاردن ، ان مثل هذه الاحتمالات التي يجب ان تكون مدار التفكير والعمل الفلسطيني والعربي العام لا يمكن ان تسقط من حسابات القرار الفلسطيني . المحذور هو أن يقعدنا الاعتقاد بأن المعادلة الكيانية الراهنة وموازين القوى الجديدة الناشئة عن المعركة التشرينية هي معادلة وموازين نهائية .

ان هذه المحاذير وغيرها يجب أن تكون في خلفية المنهج الذي يتحكم في طريقة اخذ القرار الفلسطيني . ان المعركة التشرينية احدثت تغييرا جزئيا في واقع المجابهة العربية الاسرائيلية . الخطر يكمن في أن يعتقد الفلسطينيون والعرب الملتزمون ان التغيير

الجزئي هو الحد الاقصى من التغيير الممكن . اذا حصل ذلك نكون فقدنا الانسجام مع انفسنا وفقدنا في الوقت ذاته الجدوى والفعالية .

التحدي هو أن يبقى التصور واضحا وان تبقى الثورة معززة بمزيـــد من المعرفة والنضج حتى تزيح عن اطرها المائعين والمتشنجين الذين يصطفون الى جانب التسرع في اخذ القرار لانهم في الحقيقة لا يدركون مدى اصالة الثورة وتجذرهـــا في وجـــدان الفلسطينيين وفي ضمير الامة العربية .

سرحان
يحب امرأة من فرح !

محمود درويش

● بين يوم الغفران وليلة القدر ، تحول جسم سرحان الى جزيرة .

لماذا تختفي في الاشياء ؟ سألناه .

لانني أتوحد — قال .

وأضاف : ان الطين يرتديني لأرتدي الشجر . ألم تقولوا ، دائما ، ان الوطن جسد وان الجسد وطن !

— ولماذا تأخذ شكل الجزيرة . هل تكون بلادك جزيرة بين الاوطان ؟

— كانت الحروب ماء . وكنت عائما على ثلاث حروب . وكدت أغرق ولا أصل . والآن أمد جسدي جسرا للعبور . وتنبت لي أيد كثيرة كأنها شواطىء الجزر . البحارة ماهرون على ما يبدو ، والآن أقترب .

● كان الحوار على رحم الحرب .

لم يكن سرحان كاملا ، لانه لم يصل تماما . كان سرحان يؤلف نفسه . وفي هذه السن المبكرة ، كان يعترف لنا بأنه يحب .. يحب امرأة من فرح .

اين قابلتها يا سرحان ؟

— في الجحيم وفي الذاكرة .. في خطيئة أمي وأبي .

وماذا كنتما تفعلان ، انت وامرأة الفرح ؟

— كنت أكتب اليها رسائل من حزن . وكنت أهدد العالم بالاغتيال . كنت أكتب اليها رسائل ، واثبتها بمسامير الهواء على جدران الزنزانة .

— وهل وصلت ؟

— لم تصل اليها . ولكنها وصلت اليّ . رسائلي وصلت اليّ ، وهذا كان كافيا لان أتعلم المشي اليها .

● كانت امرأة الفرح التي يحبها سرحان خارج الزنزانة ، تعد شيئا من أجل عيد متوقع . كانت تهبط من الغيم المعلق على أصابع الشجر . وكانت الصحراء كالبحر ، صالحة للرؤية . وكان شعراء كثيرون ، وفرسان يتذكرون فلسطين ، ويدعونها لحفل الزفاف .

وكان سرحان يؤكد لنا ان امرأة الفرح ليست هي فلسطين ، وان كانت تشبهها في الحالة الوجودية وفي الوعد . وكان الناس لا يصدقون ، لان سرحان ــ كما يبدو لهم ــ ممنوع من التفريق بين المرأة والخارطة . كل ما يحبه سرحان يجب أن يكون فلسطين .

● سألناه عن الامر ، فأكد لنا أن الرجل لا يتزوج ترابا .

ــ حتى لو كان سجينا مثلك !.

ارتبك سرحان ، وصارت مشيته الرضيعة ثقيلة لان الاسئلة كانت شاقة ، فآثر الحديث عن الحرب :

ــ من هي عروس الحرب ؟

لم نرتبك ، لاننا نتقن الحوار . وأجبنا دفعة واحدة :

أن يولد شيء ما ، أن يولد . هذه هي عروس الحرب .

ــ وماذا عن الارض ؟ وماذا عن فلسطين ؟.

ــ هذا الشيء الذي يولد هو الأهم ، لانه قادر على أي شيء. المهم ان تكتمل الولادة ، فهي قابلة الارض وهي قابلة فلسطين .

● وفي رحم الحرب ، كانت تجري العملية الكبرى . وكنا نتغير . من شكل هلامي الى جنين . كنا نتكلم لغة واحدة . ونموت معا بلا مناقشة . كنا نولد . وكان الحلم الذي يشبه المرض سابقا يتحول الى طين ونار ، فنرتديه ونذهب الى الولادة .

وفي كل حرب ، كان سرحان يجهض . يكتب رسائل ويعلقها بمسامير الهواء على جدران الزنزانة . كانت رسائله تصل اليه ، فيتعلم المشي من جديد ، ويعود الى رحم الولادة من جديد :

لأنني لا أريد ولادة مشوهة .

وبين يوم الغفران وليلة القدر ، تحول جسم سرحان الى جزيرة .

قال أدونيس : لا أحد يولد الا من رماده . وقال سرحان : ها هو رمادي يملأ الارض والبحر . أطلت أعشاب كثيرة على الصحراء ، وعاد الأسرى .. فالى اين أعود ؟

نصف الحرب نصف ولادة .

وما زلت معلقا على مسامير الهواء .

قلنا : لا يولد أحد الا من رماده .

● كانت شوارع كثيرة تترنح من المفاجأة . استعدنا القدرة على المفاجأة . وكانت شفاه كثيرة تتوقف عن القبل . وكان النصف . نصف معركة . نصف هزيمة . نصف

انتصار . نصف طريق . كان النصف يقسم الناس الى نصفين . وكانت الدهشة تملأ الطقس :

نفرح .. أم نحزن ؟.

ان نصف الفرح هو نصف الحزن . ونصف الموت هو نصف الحياة . فمن أين تعالج الظواهر ؟

من القلب دائما .. من المستقبل .

ويعرف سرحان أن جسمه — الجزيرة عرضـــة للمد والجزر دائما . لم يحزن ولم يفرح . ولكن كثيراً من الايدي التي نبتت في جسمه بين يوم الغفران وليلة القدر قد اختفى أو تراجع . صار صعبا عليه أن يعانق المرأة التي يحبها بيد واحدة .

نصف عناق — قلنا له لكي يبتسم .

قال : ان زنزانتي صارت أضيق . وهذا حسن . كلما ضاقت الزنزانة كلما اتسع الأفق في الخارج .. وامتد الميدان .

● تساءل متشائم : أيهما أسوأ : هذا الفجر الغامض الذي ننتظر الآن ، أم ذاك الليل الواضح الساطع الذي كنا نعرف أننا نسير فيه الى اتجاه ما ؟.

قال آخر : في دخان المعارك نرى انفسنا . وفي دهاليز السلام لا نرى شيئا .

وقال متفائل : لم نخرج بعد من الليل الساطع الى الفجر الغامض . المعركة لم تنته.

وقال صحفي يعرف الأرقام والخسائر : لماذا نقاتل ؟ أليس من أجل السلام . تقولون ان السلام هو القتال ، وقد قاتلنا .

— لم يهزم العدو .

— ولم ينتصر .

— نفرح أم نحزن ؟

— هل هي وجهة نظر ؟ هل تنتظرون قرارا بالحزن، وقرارا بالفرح. ما هذا السؤال؟

— السلام بشع اذا كان وهما . وفي هذه الدهاليز لا نرى شيئا .

— والحروب لا تكون جميلة الا اذا كانت حرية .

— أشياء كثيرة تغيرت . أشياء كثيرة . المهم والأهم هو اننا تغيرنا وتحررنا من الأسر الذي اخترناه فاستعبدنا . تغيرنا . عرفنا أنفسنا . اكتشفنا ذواتنا ، وصار لنا رأي . المهم والأهم هو اننا عرفنا طريق الولادة . مشينا على شارع البداية ، فمن يردنا ؟

— لن نعود الى البيت وننتظر . لن نعود ، لان البيوت أسر ، والشوارع حرية . لن نعود .. لن نعود .

● حين ضاقت الزنزانة كثيرا .. اي حين صارت اقرب من الجلد الى الدم .. حين غاصت جدرانها في دمه ، كان سرحان يمشي بين الشاطىء والصحراء لملاقاة امرأة الفرح التي يحبها . وعند ما يبدو أنه آخر الطريق بين الشاطىء والصحراء كان الغموض يأخذ شكل حدود . سمع سرحان صوتا من الخلف . التفت . رأى الصوت قادما من شرفة

الزنزانة اياها . . الزنزانة التي غادرها قبل قليل . كانت امرأة الفرح تكتب رسائل الى سرحان وتعلقها بمسامير الهواء على جدران الزنزانة . كانت الرسائل تصل اليها فتتعلم المشي اليه .

صارت امرأة الفرح حزينة . وصار سرحان يعرف مـــن اين لا يحزن ، ويختار من اين يفرح .

واصل سرحان الطريق حتى تصير جدران الزنزانة أقرب الـــى دم امرأة الفرح من جلدها ، تماما كما حدث له قبل قليل .

وبين الالتفاتة الى الوراء ، ومواصلة السير الى أمام ، كانت قدماه ترسمان دائرة واسعة من الماء والرمل . .

اسرائيل والسلام في الشرق الاوسط :
محاولة لتحديد مسؤولية عالمية

الدكتور حسام الخطيب

أنجز هذا البحث قبل أيام من نشوب حرب تشرين الاول ، وان مجرد نشوب هذه الحرب الطاحنة يمكن أن يعتبر دليلا جديدا على صحة الاستنتاجات الواردة هنا .

بعد مضي أكثر من ربع قرن على نشوء دولة اسرائيل ، وبعد مرور اكثر من ست سنوات على عدوان حزيران ١٩٦٧ ، لم يعد هناك أي لبس أو شك في حقيقة النزعة العدوانية التي قام عليها الكيان الصهيوني في فلسطين وفي حقيقة مسؤولية اسرائيل الكاملة عن الوضع المتردي في الشرق الاوسط الناجم بالدرجة الاولى عن الموقف المضاد للسلام الذي اتصفت به سياسة الطبقة الحاكمة الاسرائيلية وتصرفاتها منذ سنة ١٩٤٨ حتى اليوم .

ان الكلام على عدوانية الدولة الصهيونية ومناهضتها للسلام أصبح يشكل اليوم قناعة كاملة في أوساط الحركات التحررية في العالم ، وبلدان المنظومة الاشتراكية ولدى جميع الشعوب المحبة للسلام . وفيما عدا الاوساط الراسمالية والرجعية أصبحت ادانة اسرائيل كاملة في العالم وأصبحت كلمة الصهيونية تعني بالدرجة الاولى : العدوانية والشوفينية ومناهضة الاشتراكية وتهديد السلام . وان نظرة واحدة على سجل الدولة الصهيونية في هيئة الامم المتحدة تظهر انه سجل حافل بالادانة واللوم والتهديد باتخاذ العقوبات(١)، بل أن السنتين الاخيرتين شهدتا سلسلة من الادانات الاجماعية لاسرائيل في دوائر هيئة الامم المتحدة ، كانت اخرها في شهر آب ١٩٧٣ ، حيث ادينت اسرائيل بسبب قرصنتها ضد الطيران المدني العربي ووجه اليها التهديد بتطبيق العقوبات من قبل مجلس الامن . ونظرا لفداحة الجريمة ووضوحها(٢) لم يستطع حتى المندوب الامريكي — الذي سبق ان استعمل حق النقض « فيتو » لحماية اسرائيل في مرات سابقة — ان يتملص من الاشتراك في الادانة ، ولو أن موقفه هذا كان يرمي الى تفادي ادانة أشد صراحـة .

واذا قد يبدو الحديث عن النزعة العدوانية الاسرائيلية ضربا من فضول القول ، ومن هنا كان ضروريا منذ البدء التأكيد على أن البحث الحالي لا يأتي بجديد في مجال ابراز عدوانية اسرائيل ومناهضتها للسلام ولكنه يطمح الى تثبيت جملة من الحقائق المتصلة بهذه المسألة :

اولا : **ان الكيان الصهيوني في فلسطين يشكل العائق الاساسي للسلـم في الشرق الاوسط ، وان الازمة المستمرة في الشرق الاوسط تنبع أصلا من وجود هذا الكيان ومن طبيعته العدوانية .**

ثانيا : **ان مناهضة اسرائيل للسلام ليست أمرا طارئا على سياستها بل هي جزء لا**

يتجزأ من طبيعة تركيبها وأيديولوجيتها الصهيونية وارتباطاتها الامبريالية ، وهذا يعني ان الخطر الاسرائيلي على السلام ليس مرهونا بالوقت الحاضر فقط بل هــو خطر متجــدد .

ثالثا : **ان الموقف الاسرائيلي الفعلي من السلام يحمل في ذاته ضمانات كافية لعدم تحقيق أي سلام .**

وفي سبيل البرهان على الحقيقة الاولى سوف يجري في هذا البحث تفحص واقعي لنشأة الدولة الصهيونية والنتائج التي ترتبت عليها .

أما الحقيقة الثانية فسوف تتم معالجتها من خلال النقاط التالية :

أ ــ التناقض السافر بين الايديولوجية الصهيونية ومفهوم السلام . (الوجــه الايديولوجي للمسألة) .

ب ــ التناقض بين طبيعة الدولة الصهيونية وبين العناصر التي يقوم عليها مبدأ السلام (الوجه السياسي) .

جـ ــ التناقض بين ارتباطات اسرائيل الامبريالية وبين متطلبات السلام . (الوجه الاستعماري) .

د ــ التناقض بين مصلحة اسرائيل العملية وبين وجــود سلام فعلي . (الوجه النفعي او البراغمي) .

أما الحقيقة الثالثة فسوف يجري تناولها في البحث من خــلال تحليــل للمواقف الاسرائيلية الرسمية من مشروعات التسويات السلمية المختلفة .

أولا ــ الكيان الصهيوني في فلسطين هو العائق الاساسي للسلم ومبعث الاضطراب في الشرق الاوسط

لقد مضى حتى الان ربع قرن على قيام دولة اسرائيل ، وفي غمــرة الاضطرابات السياسية التي تعكر جو تلك المنطقة من العالم التي تسمى بالشرق الاوسط يميل معظم الناس ، ولا سيما جيل الشباب الذي لم يشهد أحداث سنة ١٩٤٨ ، الى تناسي النتائج السياسية والمآسي الانسانية التي ترتبت على نشوء الدولة الصهيونية . وبما ان هذه النتائج والمآسي ما زالت حتى الان قوية ومؤثرة وفاعلة ، سواء على المستوى السياسي او الانساني ، فانه يبدو ضروريا التنويه بها ولو عن طريق الايماء المركز .

١ ــ قامت اسرائيل على أنقاض شعب صغير هو الشعب العربي الفلسطيني ، وكان قيامها بتدبير من القوة الامبريالية الرئيسية في النصف الاول من القرن العشرين وهي بريطانيا .

وقد أدى قيام اسرائيل الى تشريد (٧٥٠) الف فلسطيني طردوا من بلادهم خلال الشهرين الاولين لقيام اسرائيل ، وما زالوا ــ بعد مضي ربع قرن ــ يعيشون في حالة بؤس وتشرد ، ولا تبدو في الظروف المعاصرة اية بارقة أمل بانتهاء معاناتهم وعذابهم . وخلال الاعوام الفائتة تزايد عددهم وبلغ مليونا ونصفا بفعل الزيادة الطبيعية من جهة وبسبب اقدام السلطات الاسرائيلية على طرد مزيد من الفلسطينيين . وقد رفضــت اسرائيل حتى اليوم تلك السلسلة الطويلة من القرارات التي اتخذتها هيئة الامم المتحدة بضرورة اعادة اللاجئين الى ديارهم ، ويسمع المرء بين يوم واخر تصريحات اسرائيلية متوالية عن استحالة عودتهم ، مع العلم ان قبول اسرائيل في هيئة الامم المتحدة كان في الاصل مشروطا باعادة الفلسطينيين الى ديارهم .

ان وجود مليون ونصف انسان بلا جنسية ولا دولة ولا مأوى ولا مورد رزق ثـابت في اية منطقة في العالم كفيل باثارة الاضطراب وتشكيل عامل تهديد مستمر للسلم المحلي والعالمي(٣)، وان اسرائيل تعرف ذلك جيدا ولكنها غير معنية بقضية السلم ، ثم أن الطبيعة الشوفينية لهذه الدولة لا تسمح لها بقبول مبدأ اعادة اللاجئين حتى لو وجدت الرغبة في ذلك لان عودتهم تتعارض مع مبدأ « الحياة اليهودية » الصافية على « أرض الميعاد »(٤).

٢ ــ اغتصبت اسرائيل بالقوة اراضي الشعب العربي الفلسطيني وارتكبت سلسلة من المذابح ــ كمذبحة دير ياسين ــ لا يمكن لاي شعب أن ينساها . وقد أنكرت وجود الشعب الفلسطيني وما زالت تصر حتى اليوم على عدم رؤية الواقع بل حاولت عدة محاولات لتصفية هذا الشعب بالابادة الجماعية والتفريق والتهجير وطمس الكيـان والشخصية .

وهو أمر غير ممكن في عالمنا المعاصر الذي لم يعد ملكا لاية جهة معينة والذي أصبحت الجبهة المعادية للاستعمار فيه قادرة على فضح الظلم الاستعماري والوقوف في وجهه. ان التصرفـات الاسرائيلية في فلسطين تذكر الانسان بجرائم النازية ضـد اليهود ، وبالتالي يجب أن تذكرنا بمصير النازيين انفسهم . وهذه رؤية المؤرخ البريطاني توينبي للموضوع : « لقد كان حوالي ٦٨٤٠٠٠ من مجموع ٨٥٩٠٠٠ عربي فلسطيني يقطنون في الرقعة التي احتلها اليهود الصهيونيون من فلسطين بقوة السلاح سنة ١٩٤٨ ــ وقد فقد هؤلاء بيوتهم وممتلكاتهم وغدوا مشردين معدمين .

واذا كان ينبغي لنا قياس فظاعة اقتراف الجرم بدرجة انغماس المذنب في ذنبه فان عذر اليهود في ترحيلهم عرب فلسطين من أوطانهم سنة ١٩٤٨ يقـل عن عذر نبوخذ نصر وتيطس وهدريان ومحاكم التفتيش الاسبانية والبرتغالية ، فيما اقترفه جميع هؤلاء من استئصال شأفة اليهود واضطهادهم وابادتهم في فلسطين وغيرها ، خلال فترات مختلفة من التاريخ . لقد كان اليهود سنة ١٩٤٨ يدركون فظاعة ما يفعلون من خلال تجربتهم الشخصية الخاصة . وهذا بحد ذاته مأساة كبيرة ويزيد في عنف تلك المأساة انه ما كان ينبغي ان يتمخض الدرس الذي عاناه اليهود على يد العرقيين الالمـان ، عن تقليدهم لتلك الوحشية بل أن يتمخض عن تخلصهم منها »(٥).

ان الظلم الذي وقع على الفلسطينيين سنة ١٩٤٨ تضاعف سنة ١٩٦٧ ، وأصبحت فلسطين كلها تحت قبضة الغزاة الصهيونيين . اما الشعب العربي الفلسطيني فأصبح قسمين كل واحد منهما أتعس من الآخر : قسم تحت الاحتلال الاسرائيلي والقسم الثاني مشرد في الاقطار العربية وبلدان اخرى من العالم . وان اي انسان ذي منطق سليم يتساءل : **هل يمكن أن يقوم أي سلام قبل اصلاح هذا الوضع المغلوط ؟**

٣ ــ كان قيام اسرائيل اشارة لبدء صراع دام طويل دفع جميع دول المنطقة الـى الدخول في سباق للتسلح مدمر للاقتصاد الوطني ومعيق للتطور الاجتماعي . وبالنسبة لاسرائيل كفل لها ارتباطها مع الامبريالية سيلا متدفقا من المعونات العسكرية والمالية . أما بالنسبة للدول العربية فقد اضطرت الى تخصيص اعتمادات ضخمة للدفاع وصلت الى ثلاثة ارباع الميزانية العامة للدولة في بعض الاقطار المواجهة لاسرائيل مثل مصر وسورية . ومن الواضح ان مثل هذا الانفاق يعني حرمان الجماهير الشعبية، والشبيبة الناشئة بوجه خاص ، من مشروعات التنمية ومن الخدمات العامة من جهة ، واشغالها من جهة اخرى بالنضال الاجتماعي ضد الاستغلال والاحتكار . وفي مثل هذا الجـو المتوتر الذي يحقنه العدوان الاسرائيلي بشحنات يوميـة لا محل لسلام حقيقي ، لان السلام الحقيقي لا يمكن ان يبنى على التغاضي عن الظلم والتسليم بالامر الواقع .

وهكذا يبدو واضحا لكل منصف ان الكيان الصهيوني في فلسطين هو مبعث كل الاضطرابات المؤسفة التي تجري في الشرق الاوسط منذ خمسة وعشرين عاما ، وان العائق الاساسي في تحقيق السلم في هذه المنطقة الحساسة من العالم انما هو الكيان الصهيوني الذي كان بروزه الى الوجود عام ١٩٤٨ ايذانا بظهور سلسلة من المآسي والقلاقل والصدامات يصعب على أي مراقب أن يتصور متى تنتهي .

ان الفكر المتزن يرفض عادة التسليم بوجه واحد للحقيقة ، او تفسير الظواهر السياسية والاجتماعية بعامل واحد ، ولكن حالة السلام في الشرق الاوسط بالذات تبدو، سواء للوهلة الاولى أو بنتيجة البحث والتقصي ، قابلة للتفسير بعامل واحد ، والحقيقة أن البعيدين عن جو الصراع العربي الاسرائيلي يصعب عليهم تقبل هذه الحقيقة ولكن الملاحظ بوجه عام انه كلما اقترب الانسان من التفصيلات الملموسة المتعلقة بالقضية الفلسطينية ازداد استعدادا لتقبل هذه الحقيقة . وفيما يلي خلاصة للرأي الذي توصل اليه الدكتور جون دايفز وهو مفكر اميركي متزن ، على اثر خدمة طويلة مباشرة في قضية فلسطين والشرق الاوسط(٦): « ان عقدة القضية هي أن اسرائيل ، لكي ينتهي النزاع في الشرق الاوسط ، ينبغي ان تتصرف كدولة تقليدية يكون اهتمامها الاول رفاهية شعبها والثاني رفاهية الذين يعيشون في المنطقة التي تشكل جزءا منها . ان اسرائيل باختصار يجب أن تصبح جزءا لا يتجزأ من منطقة الشرق الاوسط ، وهذا يعني بوجه خاص ان المبادىء الصهيونية ، التي حفزت اسرائيل على اقتراف ما أثار النزاع ، ينبغي اعادة النظر بها ، وان دور اسرائيل كمحور ومركز للتركيب « كوندومينيون » الصهيوني — الاسرائيلي يجب ان يحد اذا لم يبتر ، كما يعني ايضا ان الاخطاء الماضية التي اقترفت بحق الشعب العربي يجب تقويمها ، وحين تتم هذه الاشياء لن تبقى هناك حاجة للحض على الحد من التسلح وسيعم السلام الشرق الاوسط » .

ان جون دايفز ، اذ يؤكد على أن طبيعة الكيان الصهيوني — الاسرائيلي هي أساس الاضطراب ، يدرك تماما ان فرضية تحول اسرائيل الى دولة عادية كسائر دول الشرق الاوسط هي فرضية وهمية بعيدة عن التحقق ، ولذلك فهو يردف قائلا : « الا ان اسرائيل نفسها اليوم عاجزة عن التخلي عن رسالتها او تعديلها تعديلا كبيرا ، فالقوى الصهيونية التي صنعتها قد قيدتها بالسبيل الذي هو سبيلها ، كما ان زعماء اسرائيل لا يريدون ان يغيروا رسالتها ، وكثيرون منهم كانوا موظفين صهيونيين قبل أن يصبحوا زعماء اسرائيليين ، لذلك فان اية مبادرة لتحديد الرسالة الصهيونية لاسرائيل وتغييرها بشكل حاسم يجب ان تأتي من خارج الكوندومينيون »(٧).

ثانيا — الخطر الاسرائيلي على السلام مستمر متجدد
لانه جزء لا يتجزأ من طبيعة اسرائيل وايديولوجيتها الصهيونية

ان اسوأ ما في الخطر الصهيوني على السلام انه متجدد ومستمر ، ذلك لانه ليس وليد ظرف تاريخي عابر أو مرحلة تطور اجتماعي في حياة الامة كما هو شأن كثير من الحالات التاريخية التي حملت تهديدا للسلام . ومن هنا كانت الدعوة الى اعتبار ما صنعه الاسرائيليون من توسع حتى اليوم امرا واقعا fait accompli ومطالبة العرب بالانطلاق من هذا الامر الواقع لتحقيق نوع من أنواع التسويات السلمية دعوة غير واقعية وغير مقبولة لانها تنطوي على تجاهل استمرارية الخطر القائمة في صميم الكيان الصهيوني سواء من حيث ايديولوجيته أو من حيث سياسته العامة أو من حيث ارتباطه بالامبريالية أو من حيث مصلحته العملية . ان تفحص هذه الجوانب المختلفة يؤدي بالمرء الى اقتناع بأن هذا الكيان والسلم المحلي والعالمي يقفان على طرفي نقيض .

آ ــ التناقض بين الايديولوجية الصهيونية ومفهوم السلام. (العامل الايديولوجي) :

تعتبر الصهيونية نفسها ايديولوجية قومية تقوم على الزعم بان اليهود شعب واحد له ماضيه الواحد وله هدف عام واحد ومصير واحد على الرغم من تشتت شمله عبر القرون . ومنذ البدء قدمت الصهيونية نفسها على انها حل للمسألة اليهودية ، ودعت يهود العالم جميعا الى الهجرة الى (أرض المعاد) لكي يستأنفوا حياتهم القومية التي انقطعت بسبب الشتات diaspora . وقد صاحبت هذه الدعوة نزعة شوفينية اتصفت بالتميز والاستعلاء وانكار حقوق الاخرين . وكانت نظرتهم الى العرب الفلسطينيين بوجه خاص أشد عنصرية من نظرة الاميركيين الى الهنود الحمر او الروديسيين الى الافريقيين . ولقد التقت آراء الزعماء الفكريين الصهيونيين حول مسألة التخلص من العرب ، ولكنهم تفاوتوا احيانا في انتقاء الوسيلة ، فعند تيودور هرتزل ان الابادة الجماعية هي الحل ، وعند زانغويل ان ترحيل عرب فلسطين عن ديارهم هو أكثر رقة من تكتيك زميله وايزمن الهادف « الى خنقهم ببطء to snow them down » .

ان النزعة الشوفينية والنزعة العسكرية العدوانية لا تنفصلان ، وقد كانتا لب الحركة النازية في ثلاثينات هذا القرن . وينسى الناس عادة ان السبق في هذه النزعة يرجع الى الفكر الصهيوني الذي سبق النازية في الزمن وفاقها في درجة الوضوح .

وتكشف كتابات تيودور هرتزل انه كان يفضل لو تقوم الدولة الصهيونية بقوة السلاح كما تكشف عن تمسك شديد بالعنف والقوة ، وتشير هذه الكتابات الى تصور مزدوج للطرفين الصهيوني والعربي في اواخر القرن التاسع عشر ، فالطرف الصهيوني سيعتمد على السلاح والعنف الجماعي المنظم وسيضم جيشا من « الرجال البائسين الذين هم أفضل الغزاة » . اما الطرف العربي فسيكون قطيعا من الوحوش علاجه الوحيد هو الابادة الجماعية : « فمثلا اذا وجدنا في موقف يتطلب منا تطهير بلد من الوحوش الضارية ، طبعا لن نحمل القوس والرمح ونذهب فرادى في أثر الدببة كما كان الاسلوب في القرن الخامس في اوروبة ، بل ستنتظم حملة صيد جماعية ضخمة ومجهزة ، ونجمع الحيوانات ونرمي وسطها قنبلة شديدة الانفجار »(٨) .

وتنبع خطورة هذا الكلام من أن هرتزل كان يعنيه حرفيا ، وفيما بعد أثبت الصهيونيون انهم حرفيون في فهم أقوال مؤسس الحركة الصهيونية ، ولم تكن مذابح دير ياسين وقبية ونحالين وغيرها سوى حفلات صيد كبيرة سيقت اليها القطعان العربية على طريقة هرتزل . وقد تحدر التعلق المرضي بالعنف من هرتزل الى قادة الفكر الصهيوني سواء منهم من وصف بالاعتدال او بالتطرف وقد ذهب فلاديمير جابوتنسكي الى حد تقديس السيف جنبا الى جنب مع التوراة وكان يعنيه تماما ان يغرس هذه الافكار في نفوس الطلبة والشبيبة الناشئة ، وقد جاء في كلمة له وجهها الى الطلبة اليهود في فيينه: « عليكم ان تحتفظوا بالسيف لان الاقتتال بالسيف ليس ابتكارا المانيا بل هو ملك لاجدادنا الاوائل . ان التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء »(٩) .

اما مناحيم بيغن ، زعيم منظمة (ارغون) التي تحولت الى حزب (حيروت) الحالي فهو مشهور بعبارته : « أنا احارب اذا انا موجود » وهو يذكر في كتابه (الثورة) صراحة ان الممارسات الارهابية ضد المدنيين العرب اشبعت « رغبة جارفة مكبوتة عند اليهود للانتقام » .

ان مثل هذه الايديولوجية القائمة على الشوفينية والهوس العدواني هي بطبيعة الحال مناهضة للسلام . ولكن الخداع الايديولوجي الصهيوني كان يقدم دائما للجماهير اليهودية المضطهدة اللون الفكري الذي يمكن ان يستهويها وذلك بصرف النظر عن

تعبيره الحقيقي عن الفكر الصهيوني ، وقد رات الصهيونية منذ القديم ان الاشتراكية (بما تقدمه من حلول لهذه الجماهير) هي عدوها الاول ولذلك حاولت أن تحاربها بطرق عديدة منها :

الاولى : طمس تلك الجوانب المعينة من الفكر الاشتراكي التي تحلل المسألة اليهودية تحليلا علميا ، واوضح مثال لذلك طمس مقالة ماركس عن (المسألة اليهودية) التي تؤكد ان الحل الاساسي للمسألة اليهودية مرتبط بازالة الاستغلال من العالم واندماج اليهود في مجتمعاتهم المحلية .

الثانية : تشويه الفكر الاشتراكي بل تقديمه معكوسا ، وقد وصل الامر بالصهيونيين الاوائل الى درجة مضحكة . وفيما يلي فقرة من تقرير قدم لمؤتمر منظمة (تسيري زيون) الصهيونية (أيار عام ١٩١٨) : « أن الصهيونية خلق وبعث ، والاشتراكية تهديم وانحلال . الصهيونية تعني السلم ، والاشتراكية تعني الضغينة . الصهيونية تعني توحيد جميع اليهود ، والاشتراكية تعني نضال طبقة ضد اخرى داخل اليهود . الصهيونية تحتاج الى النظام المعاصر (أي الرأسمالية) ، اما الاشتراكية فانها تشهر سيفها في وجه هذا النظام . ان الاشتراكية تعترض سبيل الصهيونية ، لذا فانهما ليسا نقيضين فحسب ، بل هما عنصران ينفي أحدهما الاخر نفيا تاما »(١٠).

الثالثة : التظاهر الخادع بالطابع الاشتراكي لاغواء الجماهير الكادحة والظهور بمظهر تقدمي ، كما يفعل عدد من الاحزاب الاسرائيلية اليوم (مابام ، ماباي) وكما فعل أوائل الصهيونيين الذين حاولوا اعطاء شكل شيوعي للمضمون الصهيوني . ولكن هذه اللعبة اصبحت معروفة ومكشوفة ذلك ان الصهيونية « كانت ولا تزال حتى يومنا هذا عدوا غادرا ومحنكا للاممية وللصداقة والاخوة بين جميع الشعوب ، وسلاحا خطرا في يد الرجعية الامبريالية »(١١).

وقد يبدو الكلام على التناقض بين الاشتراكية والصهيونية نوعا من الاستطراد هنا ، ولكن شيئا من التمعن بالأمر يفضي بالمرء الى استنتاج واضح وهو ان الحركة الصهيونية خلقت لمحاربة الاشتراكية أي لمحاربة السلم والتقدم ، وانها من الناحية الايديولوجية تتناقض مع مفهوم السلم وتحاربه بل تزدريه .

ب ــ التناقض بين طبيعة الدولة الصهيونية وبين العناصر التي يقوم عليها مبدأ السلام :

من الطبيعي ان مبدأ السلام لا بد من ان يستند الى قاعدة متينة من الحق والعدالة والشعور بالمشاركة الانسانية ، والا كان السلام مجرد هدنة بين حربين . واذا قبلنا هذا التفسير البسيط للسلام وقسناه بالعناصر التي تقوم عليها اسرائيل فسرعان ما نستنتج ان هذه الدولة بطبيعتها مهيأة لان تكون ضد السلام . وبما ان هذا الاتهام ليس بسيطا على الاطلاق وبما انه مقصود حرفيا ، لذلك سوف تجري مناقشته بمنتهى الدقة.

ان دولة اسرائيل ليست دولة تقليدية ، فهي لم تنشأ بالتدرج ضمن حدود معينة وانما أتت تجسيدا لعمل ايديولوجي وسياسي ولذلك فهي تعكس هذا العمل تماما . وتصر الطبقة الحاكمة الاسرائيلية على الطبيعة الصهيونية لاسرائيل وترفض أي فهم آخر لها. ان هذه المسألة شديدة الاهمية بالنسبة لكل مفكر يساري او تقدمي لانها تتطلب منه ان ينظر الى اسرائيل نظرة مختلفة عن نظرته الى أي بلد آخر في العالم ، وان لا يتوقع منها تطورات اجتماعية وسياسية شبيهة بما يحدث في المجتمعات العادية . وهذا هو بن غوريون ، أكبر مهندسي الدولة الصهيونية يوضح خطورة العلاقة الصهيونية ــ الاسرائيلية . . . « ان اسرائيل ليست دولة لمواطنيها فحسب . . . بل للشعب اليهودي

كله ولكل يهودي اينما كان يختار ان يعيش في وطنه ويفضل استقلال اسرائيل على الحياة في المنفى »(١٢).

وكذلك : « ولكن ميزة اسرائيل هذه هي مصدر تقييد لهـا أيضا ، فسيادة الدولة محصورة ضمن حدودها وتطبق فقط على مواطنيها، على حين لا يزال ٨٠ ٪ من الشعب اليهودي يعيشون ولا أحد يدري الام ؟ خارج حدودها . . . » .

وكذلك: « لذلك لم تعتبر المنظمة الصهيونية العالمية عديمة النفع حين قامت اسرائيل، بل على عكس ذلك ، زادت زيادة كبرى تبعاتها ومهامها. ان الدولة والحركة الصهيونية تتمم الواحدة منهما الاخرى وتحتاج الواحدة منهما الى الاخرى ، وبجهدهما المشترك تستطيعان بل ويجب ان تستطيعا تنشيط الشعب اليهودي ودفعه كي يحقق مثال خلاصه »(١٣).

واذا اكتفينا بهذا الوصف الذي أعطاه بن غوريون لدولة اسرائيل يمكن أن نستنتج بسهولة الحقائق التالية :

١ ــ اسرائيل دولة غير تقليدية لا تنحصر بحدودها ، انما تفترض ان مواطنيها (اليهود) منتشرون في جميع أنحاء العالم ، وحتى لو كان هؤلاء اليهود غير موالين لاسرائيل وكثيرون منهم ليس لهم علاقة بالصهيونية وفيهم من يدينها حقا ــ فان اسرائيل لن تتركهم بسلام بل ستجعلهم عرضة للدعاوة المغرضة التي من شأنها ان تشعرهم بأنهم غرباء في أوطانهم ، وفي هذا طبعا افتئات على حقوق الدول التي يشكلون جزءا من مواطنيها بل تدخل في شؤون الدول الاخرى . الا يكفي ذلك ليشكل اكبر تهديد للسلام بين الدول ؟

٢ ــ ان اسرائيل لم تستوعب سوى جزء من يهود العالم (حوالي ربعهم حتى اليوم) وقد احتلت حتى الان جميع أراضي فلسطين وأراضي ثلاث دول عربية أخرى مجاورة . الان لنفترض ان اسرائيل أصابت نجاحا جديدا في استقدام مهاجرين يهود بكميات ضخمة ، أين سيقيم هؤلاء ، وهل يمكن ان تكتفي الدولة الصهيونية بحدودها الحالية . وأي سلام يمكن ان يسود في منطقة محدودة الموارد يفد اليها كل عام مائة ألف مهاجر(١٤) مشبعون بروح العداء لاهالي المنطقة وبنزعة شوفينية عدوانية ؟

٣ ــ ان الايديولوجية الصهيونية التي تسود اسرائيل تقوم على اعتبار كل المنطقة الممتدة بين النيل والفرات (ارض اسرائيل) . وتعتبر ما حققته اسرائيل حتى اليوم من فتوحات ليس الا اسرائيل الصغرى بل ان الاراضي المحتلة حتى اليوم لم تستكمل حدود اسرائيل الصغرى وينقصها حسب المخططات الصهيونية جنوب لبنان ومنابع نهر الاردن والهضاب الشرقية المحاذية لنهر الاردن ومنطقة حوران في سورية . ان هذا التحديد يتكرر أكثر من مرة في المراجع الصهيونية وفي حزيران سنة ١٩١٨ نشرت جريدة (فلسطين) اليهودية مقالة مسهبة كتبها دافيد بن غوريون (أول رئيس وزراء اسرائيلي) واسحق بن زفي (ثاني رئيس دولة يهودي) تحت عنوان « حدود فلسطين ومساحتها » جاء فيه : « يحد فلسطين غربا البحر الأبيض المتوسط ، وفي الشمال جبل لبنان ، وفي الشرق الصحراء السورية (صحراء الشام) ، وفي الجنوب شبه جزيرة سيناء ، هذه هي الحدود التي حددتها الطبيعة لفلسطين » .

وبعد هذا التحديد يذكر الكاتبان بالتسمية المناطق التي تتضمنها كلمة (فلسطين) : « وبكلمات أخرى تضم فلسطين النقب برمته ، واليهودية ، والسامرة، والجليل وسنجق حوران ، وسنجق الكرك (بما في ذلك معان والعقبة) وجزءا من سنجق دمشق أي اقضية القنيطرة ووادي عنجر وحاصبيا »(١٥).

والجدير بالذكر ان هذه الحدود لا تختلف كثيرا عن الحدود التـــي تضمنتها خريطة (الدولة الصهيونية) التي قدمها الوفد الصهيوني الى مؤتمر الصلـــح في باريس سنة ١٩١٩(١٦). وهي حتى الآن الخريطة الرسمية للايديولوجية الصهيونية ولم يصدر في الفكر الصهيوني ما يشير الى اي تراجع عنها ، بل على العكس هناك براهين في تصرفات دولة اسرائيل وتصريحات قادتها تشير بشكل واضح الى انها الخريطة المعتمدة حتى اليوم .

ويزيد من خطورة الامر ان دولة اسرائيل حتى اليوم لم تشر الى حدودها في اي بيان رسمي ، وعند انشاء الدولة سنة ١٩٤٨ ثارت مناقشات كبيرة حول حدود الدولة وتقرر الاكتفاء بدستور مؤقت بدلا من الدستور الدائم لكي تتجنب الدولة وضع نفسها ضمن اطر جغرافية وسياسية محددة .

ان هذا الواقع بحد ذاته يشكل عقبة نوعية في طريق اية تسوية سلمية في الشرق الاوسط لان اسرائيل لا تستطيع من الناحيـــة الايديولوجية ــ على الاقل ــ أن تلتزم بحدود معينة وقد سبق لاسرائيل أن واجهت مشكلة مماثلة ولكن على درجة مصغرة عند توقيع اتفاقيات الهدنة مـــع الدول العربية اثـــر حرب ١٩٤٨ ، اذ أبدى كثير مـــن الصهيونيين انزعاجهم بحجة ان توقيع مثل هذه الاتفاقيات قد يؤدي الى حصر اسرائيل في بقعة محددة(١٧).

هل يحتاج المرء بعد هذه الشواهد الى التذكير بالتناقض الصارخ بين مفهوم الدولة الصهيونية وابسط مفهومات السلام . ان الحق هنا ينظر اليه من طرف واحد ، وهو حق الطبقة الحاكمة الاسرائيلية وزعماء الصهيونية العالمية في حشد يهـــود العالم في فلسطين وتسخيرهم للمآرب والاطماع الامبريالية . اما العدالة فهي غير واردة هنا لان التوسع يتم على حساب مجتمعات بشرية لا يحسب لها حساب وكأنها غير موجودة على الاطلاق . أما المشاركة الانسانية فهي كلمة غير موجودة في قاموس الصهيونية على الاطلاق ، فالمهم أن تقوم اسرائيل التاريخية ولو على حساب المصير الانساني كله .

جـ ــ التناقض بين ارتباطات اسرائيل الامبريالية وبين متطلبات السلام :

ليس الارتباط بين اسرائيل والامبريالية وليد المصادفة او المصلحة المؤقتة بل هو ارتباط عضوي ولد مع ولادة الحركة الصهيونية ، وتطور بحسب التطـــور التاريخي للحركة الاستعمارية ، ففي القرن التاسع عشر غلب على أفكار رواد الحركة الصهيونية ومفكريها ما كان سائدا في عصرهم من النزعات الكولونيالية ، وكان المثال الذي حذوا حذوه هو الحركات الاستعمارية الغربية المنبثقة عـــن هذه النزعات . وقد استعمل موسس هس كلمة (الكولونيالية) عنوانا لكتابه حول الارض المقدسة(١٨) الذي يعتبر من أقدم الكتب الصهيونية الاستعمارية ، ثم ان هرتزل لم يجد سوى (رودس)(١٩) أكبر ممثل للاستعمار في عصره ، ليكتب اليه رسالة في ١٩٠٢/١/١١ قال فيها : « ان ما أبغيه في فلسطين هو أمر استعماري » . ورجا فيه أن يعلن ان ما يسعى له هرتزل (صحيح قابل للتطبيق)(٢٠). كما ان كتابه (الدولة اليهوديـــة) يمتلىء بأفكار التفوق الاوروبي وفيه تأكيد مستمر على ولاء الدولة الصهيونية لاوروبة ورسالتها البيضاء في وجه الوحشية الاسيوية : « سنشكل هناك حصنا لاوروبة ضد آسيه ، وموقعا متقدما للحضارة ضد البربرية ، وسوف نظل ــ باعتبارنا دولة محايدة (بالنسبة لدول أوروبه)ــ على اتصال بكل أوروبه التي يجب عليها أن تضمن وجودنا »(٢١).

أما حاييم وايزمن فلم يجد خيرا من الاستعمار الفرنسي في تونس مثـــلا ليشبه به الحركة الصهيونية ودورها في فلسطين فقال : « ان ما يستطيع الفرنسيون القيام به في تونس يستطيع اليهود ان يقوموا به في فلسطين »(٢٢).

ان المرء يستطيع أن يجد في الفكر الصهيوني احتذاء لجميع أشكال الفكر الاستعماري ومراحله . اما من الناحية العملية فقد كان هناك ارتباط مستمر بين الحركة الصهيونية والدول الاستعمارية ، وقد جرب هرتزل زعيم الصهيونية الاول حظه مع المانيا القيصرية ثم مع بريطانيا وكان يأمل الحصول على (موافقة رسمية تختصر طرقا طويلة) . واخيرا استطاع عقد صفقة مع بريطانيا قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ، وما أن أوشكت هذه الحرب أن تضع أوزارها (٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧) حتى كانت الصهيونية بقيادة خليفته حاييم وايزمن قد استطاعت أن تحصل على أول وثيقة دولية استعمارية تؤيد ادعاءات (الوطن القومي اليهودي) وهي تصريح بلفور . وبصرف النظر عن المغالطات التاريخية والقانونية التي بنيت عليها هذه الوثيقة فقد استطاع الصهيونيون بتأييد الدول الاستعمارية — ادخال هذه الوثيقة في صك الانتداب البريطاني على فلسطين الذي أقرته (عصبة الامم) وكذلك جعلوه أساسا للحكم البريطاني لفلسطين ، وقد التزمت به الادارة الاستعمارية وبعد حوالي ثلاثين سنة من التهيئة والاعداد استطاعت بريطانيا أن تسلم فلسطين للاجهزة الصهيونية التي كانت تمثل دولة ضمن دولة في حين أن عرب فلسطين لم يسمح لهم بممارسة أي نوع من أنواع النشاط السياسي تحت ظل الانتداب .

وفي الوقت نفسه كان مركز الثقل الامبريالي في العالم قد انتقل الى الولايات المتحدة الاميركية وكان طبيعيا أن ينتقل كذلك مركز ثقل التحالف الصهيوني الامبريالي الى واشنطن بدلا من لندن ، وذلك دون أن تنقطع الصلات بالمراكز الامبريالية الاخرى . وخلال ربع القرن الماضي تدفقت سيول الاسلحة والمساعدات على اسرائيل من مختلف الدول الامبريالية . وقد بلغ مجموع المساعدات والهبات والقروض التي تلقتها اسرائيل منذ نشوئها حتى عام ١٩٧٣ حوالي ١١ مليار دولار(٢٣)، وهي تتلقى بانتظام من الولايات المتحدة الاميركية وحدها ما يقارب (٥٠٠) مليون دولار سنويا . وبالمقابل تقوم اسرائيل بخدمات جلى للامبريالية ، فهي تشكل موقعا أماميا للاستعمار و (حاملة طائرات لا تغرق) كما قال وزير دفاع اميركي سابق ، وهي تشكل تهديدا مستمرا للحركة الثورية العربية وللشعب العربي المتطلع للخلاص من نير الاستعمار ، وتشكل كذلك حاجزا ضد الحركات التقدمية في المنطقة ، وتشكل أيضا عائقا للتطور الاجتماعي في المنطقة العربية، كما تحاول ان تكون مركزا للاحتكارات الاميركية وجسرا يمتد منه النفوذ الامبريالي الاقتصادي والسياسي الى سائر نحاء آسيه وافريقيه .

ازاء هذا الواقع هل يمكن أن تكون اسرائيل مع السلام ؟ أليس السلام يتنافى تنافيا تاما مع مهمتها الامبريالية ؟ أوليست الامبريالية هي التي تجعل منها قاعدة للعدوان ومستودعا ضخما للاسلحة ؟ أوليست المغامرات العدوانية جزءا لا يتجزأ من الوجود الاسرائيلي . لقد كان هذا بالضبط ما عناه البلاغ الرسمي السوفياتي الذي أذيع يوم اندلاع الحرب في ٥ حزيران ١٩٦٧ : « وهكذا اندلع لهيب القتال في الشرق الاوسط ، بسبب السياسة المغامرة لبلد واحد وهو اسرائيل التي تشجعها الاعمال السرية والعلنية لاوساط امبريالية معينة . وقد دفع الى هذه الاعمال الخطرة زعماء اسرائيل الذين يزعمون دائما انهم يقاتلون من أجل وجود اسرائيل كدولة . على ان القادر على نسف اسس تطور وجود اسرائيل نفسها هو بالذات سياسة التهور والمغامرة التي تتبعها اليوم الاوساط الحاكمة فيها »(٢٤).

وليس المقصود من ايراد هذا النص هو التأكيد على ادانة الاتحاد السوفياتي للعدوان الاسرائيلي كما يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى . فهذه الادانة تشكل جزءا لا يتجزأ من السياسة الرسمية المعلنة للدولة السوفياتية والمعسكر الاشتراكي وانما المقصود هنا

لفت النظر الى ان المغامرات العدوانية الاسرائيلية هي شيء في طبيعة اسرائيل ولكنها في الوقت نفسه هي « القادرة على نسف أسس تطور وجود اسرائيل نفسها » .

واذا كانت المغامرة العدوانية الاسرائيلية من التمادي بحيث تشكل تهديدا للوجود الاسرائيلي نفسه فأحرى بها قبل ذلك أن تشكل تهديدا صارخا للسلام وأن تتم من خلال انتهاك جميع مقوماته .

د ـ التناقض بين مصلحة الطبقة الحاكمة الاسرائيلية وبين وجود سلام فعلي . (العامل النفعي أو البراغمي) :

بصرف النظر عن جميع العوامل السابقة يمكن اعتبار العامل المصلحي (أو البراغمي) سببا من أسباب تناقض السياسة الاسرائيلية الدائم مع قيام سلم فعلي في المنطقة . والمؤسسة العسكرية التي تسيطر على مفاتيح الحكم في اسرائيل تعرف ذلك تمام المعرفة ولذلك تهيىء الراي العام الاسرائيلي باستمرار لفكرة الحرب والعدوان . ثم ان تجربة اسرائيل خلال ربع القرن الماضي دفعتها دفعا مطردا باتجاه نوع من الايمان المطلق بأن القوة هي الحل الوحيد لجميع المشكلات . والملاحظ ان اسرائيل كسبت في أوقات الحرب أضعاف أضعاف ما كسبته في فترات وقف اطلاق النار . والواقع أن تاريخ اسرائيل الحالي هو سلسلة من الحروب الكبيرة مثل حرب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ تتخللها سلسلة متواصلة من الاعتداءات الصغيرة . والنجاح الاسرائيلي العسكري ما زال يدفع بالاسرائيليين الى مزيد من الايمان بأن الحرب هي الحكم في كل الامور . ومما زاد الامر سوءا انه ـ بسبب ملابسات كثيرة منها الدعم الاستعماري ـ كانت الخسائر الاسرائيلية منخفضة جدا بالنسبة للمكاسب التي حصلت عليها من خلال الحروب . والاشارة هنا يمكن ان تنحصر بالخسائر البشرية ما دامت نفقات الحرب كلها مغطاة من قبل الدوائر الامبريالية والرأسمال الصهيوني . وحسب الاحصاءات الاسرائيلية بلغ مجموع القتلى ٦٦٩ قتيلا في حرب حزيران التي أعطت اسرائيل سيطرة على أراض تبلغ مساحتها أكثر من أربعة اضعاف مساحة الدولة الصهيونية . ولم يحدث خلال الحرب أن تعرضت المدن الاسرائيلية لغارات فعلية او قصف فعال (باستثناء المستعمرات المواجهة للحدود السورية التي أخليت من السكان سلفا) . كما ان الاسرائيليين لم يعانوا خلال السنوات الماضية اي نكسة عسكرية يمكن أن تفتح أذهانهم على المعنى اللاانساني للحرب . ولذلك نرى قادتهم العسكريين والسياسيين يتحدثون عن الحرب وكأنها لعبة مسلية ، ويتقبل الرأي العام مثل هذه الهستيريا لان وسائل الاعلام الرسمية والحزبية تعده نفسيا لقبولها(٢٥) .

وبالطبع ما كان ذلك ممكنا لولا ان هناك عوامل موضوعية قائمة في طبيعة التركيب الاسرائيلي تدفع الكيان الصهيوني باتجاه الحرب دائما ، وربما كان ابرز هذه العوامل :

١ ـ الوضع الخاص لاسرائيل باعتبارها دولة غريبة عن المنطقة فرضت نفسها بالقوة وظلت تصر على معاملة المنطقة بأسرها من موقع الغطرسة والتعالي .

٢ ـ المطامع الاقتصادية والسياسية الناجمة عن استقدام المهاجرين بأعداد ضخمة والحاجة الى مجال حيوي Lebens Raum .

٣ ـ ضرورة اصطناع الازمات الكبرى من اجل اثارة تعاطف اليهود في العالم والضغط على المنظمات الصهيونية خارج اسرائيل من أجل جمع الاموال والمعونات بحجة الاخطار التي تهدد يهود اسرائيل .

٤ ـ وجود عرب خاضعين للاحتلال الاسرائيلي ومفعمين بالنقمة ضد هذا الاحتلال ،

مما يدفع بالمحتل دائما الى اتباع سياسة القوة والتخويف واخضاع الجوار من اجل القضاء على شريان المقاومة .

٥ ــ مصلحة الطبقة العسكرية في ابقاء المجتمع الاسرائيلي تحت رحمتها من جهة واستمرار احتفاظها بمفاتيح السلطة من جهة أخرى بحجة وجود الخطر الخارجي . ومن الملاحظ أن اسرائيل فاقت أية دولة أخرى في العالم المعاصر بدرجة تقديس قادتها العسكريين .

٦ ــ امتلاء المجتمع الاسرائيلي بالتناقضات ، ومن جملتها التمييز العنصري ضد اليهود الشرقيين وضد الاقلية العربية ، مما يجعل من أي جو سلمي فرصة لبروز هذه التناقضات .

٧ ــ الصعوبات الاقتصادية التي تعانيها اسرائيل والتي يمكن أن تدمرها لولا سيل المعونات المتدفق . ومن المعروف ان العامل الاقتصادي كان من بين أهم العوامل التي هيأت اسرائيل لعدوان سنة ١٩٦٧(٢٦).

ان هذه العوامل وعوامل أخرى كثيرة تدفع الاسرائيليين باستمرار في طريق الحرب وتجعل موقفهم من السلام الحقيقي موقفا سلبيا ، ومن الضروري التأكيد هنا على أن كل هذه العوامل من صنع الفكر الصهيوني والطبقة الحاكمة في اسرائيل وليس من صنع الظروف الخارجية ، ولئن كانت هذه الحقيقة تزيد من خطورة الموقف الاسرائيلي على سلام منطقة الشرق الاوسط والعالم بأسره فانها في الوقت نفسه تحمل تأكيدا راسخا على مسؤولية اسرائيل الكاملة عن حالة التأزم التي تعيشها المنطقة .

ثالثا ــ الموقف الاسرائيلي من مساعي السلام يحمل في ذاته ضمانة كافية لعدم تحقيق السلام

حتى الان توصلت المناقشات السابقة في هذا البحث الى اثبات ان اسرائيل مناهضة لفكرة السلام من حيث المبدأ وبنتيجة طبيعة تكوينها وعلاقاتها الصهيونية والامبريالية . ولكن هذه المناقشات تظل ذات طابع نظري في معظمها وتحتاج الى تفحص في ضوء المواقف العملية النوعية من محاولات السلام . ومن المعروف ان المواقف العملية للدول تتصف بالدينامية والتغير وتختلف عن السكونية النسبية للمبادىء والايديولوجيا . ولكن في حالة اسرائيل بالذات يبدو الانسجام تاما بين النظرية والتطبيق حتى الان ، ربما لان الامبريالية التي خلقت النظرية الصهيونية هي نفسها التي خلقت الدولة ومازالت تتعهدها بالرعاية والحماية . والتجسيد الاسرائيلي للصهيونية ما زال حتى اليوم صارخا ، ومن هنا كان الموقف الاسرائيلي العملي من مشروعات التسوية السلمية التي ما زالت تطرح في منطقة الشرق الاوسط مستمرا ومنسجما مع الطبيعة العدوانية للصهيونية . على انه من الضروري التنبيه منذ البدء الى ان مشروعات التسوية السلمية ــ كما عرفت خلال السنوات الاخيرة ــ ليست هي الصورة الوحيدة التي تعبر عن مفهوم السلام ، والموقف المباشر من أي مشروع سلمي لا يمكن أن يعتبر تماما تجسيدا للرغبة في السلام أو عدم الرغبة فيه .

فهناك شروط غير مباشرة للسلام تتمثل في سلوكية الدول وتصرفاتها وطبيعة تطلعاتها وطبيعة علاقاتها مع الدول الاخرى . ومن هذه الزاوية يمكن التأكيد ــ اعتمادا على المناقشات السابقة في هذا البحث ــ ان مجمل سلوك الدولة الصهيونية خلال ربع القرن الماضي كان مناقضا على طول الخط لفكرة السلام ، وان ركام المشكلات والضغائن والنزاعات التي تولدت من الموقف الاسرائيلي خلقت حالة شبه مستعصية ازاء السلام ،

ولن يغير من طبيعة هذه الحالة أي موقف اسرائيلـــي ايجابي مباشر مـــن مشروعات التسوية السلمية(٢٧).

ومما يلفت نظر الباحث بشكل صارخ ان عدد مشروعات التسويـــة السلمية التي انبثقت سواء من داخل المنطقة او من خارجها خلال سنوات (١٩٤٨ ـــ ١٩٧٣) يفوق عدد السنوات التي تؤلف عمر الدولة الصهيونية . ويميل الناس عـــادة لتناسي هذه الحقيقة نظرا لتعاقب هذه المشروعات وبروز مشروعات جديدة دائما قبـــل ان تستنفد المشروعات المطروحة(٢٨).

ويتضح من استعراض تطورات هذه المشروعات انها جميعا ودون استثناء انتهت بسبب تعنت الموقف الاسرائيلي وتمسكه بنقطة معينة (غالبـــا المفاوضات المباشرة) والاصرار عليها بشكل يثير الطرف الاخر ، واخيرا اختلاق عذر للانسحاب من الموقف ، وهكذا .

عناصر الموقف الاسرائيلي من التسوية :

ويتضح من استعراض الموقف الاسرائيلي من مشروعات التسوية خصائص مشتركة اهمها :

١ ـــ رفض مباشر لاية مقترحات تبنى على أساس مقررات هيئة الامم المتحدة .

٢ ـــ اصرار كامل على اعتبار القدس مدينـــة اسرائيلية وعاصمـــة للدولة (خلافا للمقررات المتكررة للامم المتحدة بتدويل القدس) .

٣ ـــ اصرار على الاحتفاظ بقسم كبير من الاراضي المحتلة اثر حرب ١٩٦٧، ولا سيما الجولان وقطاع غزة وشرم الشيخ وجزء من سيناء .

٤ ـــ رفض فكرة الضمانات الدولية ورفض مشاركة أية قوات دولية في حفظ الامن على الحدود سواء أكانت تحت اشراف هيئة الامم المتحدة أو الدول الكبرى(٢٩).

٥ ـــ اعتبار نهر الاردن هو الحد الآمن لاسرائيل وعدم السماح لاية قوات عسكرية عربية أن تعبره . اما الحدود النهائية بين اسرائيل والاردن فهي خاضعة للمفاوضات (بشرط ابقاء الضفة الغربية مجردة من السلاح) .

ان هذه الشروط هي من قبيل التعجيز والاغلاق المسبق لاي باب من ابواب التفاوض لانها تعني ان اسرائيل لا تريد اعادة الارض المحتلة مقابل الاعتراف العربي ـــ كما يظن بعض المتفائلين ـــ ولكنها باختصار تريد الارض والاعتراف معا ، أي تريد السلام على أساس من الاقرار بشرعية انتصاراتها العسكرية ، وليس هذا الكلام من قبيل الاستنتاج فهناك عشرات التصريحات الاسرائيلية التي تؤكد هذه الفكرة ومنها مثلا التصريح التالي الذي أدلى به حاييم بارليف ـــ رئيس أركان الجيش الاسرائيلي سنة ١٩٦٨ الى صحيفة (معاريف) الاسرائيلية بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٩ والذي أوضح ان هدف العمليات العسكرية: « فرض ظروف حالية للتسوية مع الدول العربية ... نستطيع ان نفرض على الاردن التسوية التي نريد اذا استعملنا قواتنا العسكرية استعمالا صحيحا ، وبهذه الطريقة نجبر (حسين) على أن يسعى الينا ملتمسا منا توقيع اتفاق معه . ونستطيع ان نفرض تسوية سلمية اذا نحن اكرهناه على قبولها . ولن نستطيع ان نحقق ذلك **الا اذا كنا على الجانب الآخر من الحدود** »(٣٠).

أما بشأن قرارات هيئة الامم المتحدة فان أقوال الجنرال دايان تشكل موقفا فريدا من نوعه في العالم المعاصر تجاه هذه الهيئة الدولية ، فهم قوم استندوا في شرعية دولتهم الى قرار متعجل اتخذته هيئة الامم المتحدة بضغط ظروف دولية معينة (قرار تقسيم

فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) ، ثم بدأوا مباشرة بعد تطبيق القرار بالشكل الذي يريدونه يتنكرون لكل ما يصدر عن هيئة الامم المتحدة . ادلى دايان في اجتماع مغلق لكتلة حزب العمل ببيان جاء فيه (وفقا لما نشرته « معاريف » في ١٩ حزيران ١٩٦٨) : « على اسرائيل ان لا توافق على قرار مجلس الامن تحت اية ظروف لان هذا القرار يدعو بوضوح الى انسحابنا الى خطوط الرابع من حزيران سنة ١٩٦٧ . وليس من المفيد أن يتلاعب الانسان بالكلمات في محاولة لفهم القرار فهما مغايرا لذلك »(٢١).

والموقف الاسرائيلي يفسر نفسه بنفسه ، فاسرائيل ترفض أي تدخل دولي ، بما في ذلك هيئة الامم المتحدة لانها تقف في موقف قوة وتريد ان تترك لها حرية التصرف الكاملة في المنطقة ، ثم انها ترفض التخلي عن أية مناطق مهمة مقابل السلام والاعتراف لانها تعتبر هذه المناطق جزءا لا يتجزأ من (أرض اسرائيل Eretz Israel) ، وأخيرا ليس ما يدعوها للتعجل في المصالحة مع الاقطار العربية لانها حتى الان لم تستكمل الكيان المطلوب وتشعر ان أية تسوية قد تؤدي الى تجميدها ضمن حدود واضحة .

ومن أجل ذلك ترفض اسرائيل أي شكل من أشكال المفاوضات مع العرب سوى شكل المفاوضات المباشرة وتعتبرها الوسيلة الوحيدة لاحلال السلام. على ان لعبة المفاوضات المباشرة واضحة تماما ، وفيما يلي موجز لاهم اغراضها :

١ ـ الاصرار على المفاوضات المباشرة يهدف الى تحقيق مكسب واضح لمجرد قبول العرب بالمفاوضات وهو اعتراف العرب باسرائيل قبل أن تقدم اسرائيل أي شيء لقاء هذا الاعتراف مثل قبول مبدأ الجلاء عن الاراضي المحتلة . وحتى لو فشلت المفاوضات فالكاسب هو اسرائيل لانها تكون قد انتزعت اعترافا عمليا من العرب بوجودها الشرعي . ثم انها تتوقع في حالة اخفاق المفاوضات أن يلتهب الوطن العربي بالخلاف والفوضى وأن يقع الحكام في ورطة مع شعوبهم تؤدي بهم في النتيجة الى الخضوع لاية شروط اسرائيلية مهما كانت مجحفة .

٢ ـ تعلن اسرائيل أن المفاوضات يجب أن تكون غير مشروطة أي أن لا يكون الانسحاب من الاراضي المحتلة شرطا للجلوس حول مائدة المفاوضات . وبما أن الاحتلال الاسرائيلي يشكل البند الاول في قائمة عناصر الازمة الراهنة فان المفاوضات ستنصب بطبيعة الحال على مسألة الانسحاب لاعلى المسائل الكبرى التي نجمت عن ظهور الكيان الصهيوني كمشكلة الشعب الفلسطيني ومشكلة ملكية الاراضي التي استولى عليها الاسرائيليون ومشكلة مياه نهر الاردن ومشكلة التوسع الاسرائيلي بوجه عام .

٣ ـ الاصرار الاسرائيلي على شكل المفاوضات يهدف الى الاحراج من جهة وتحويل الانظار من جهة اخرى عن حقيقة العدوان حتى تبدو المسألة مسألة شكل لا مضمون وبالتالي حتى لا تصل الى نتيجة .

٤ ـ تهدف المفاوضات المباشرة بالمفهوم الاسرائيلي الى استبعاد اي دور للامم المتحدة أو أية قوى دولية اخرى . وهي تعني ببساطة وضع المغلوب تحت ضغط الامر الواقع وتجاوز سلسلة قرارات هيئة الامم المتحدة التي لا تريدها اسرائيل والتي بلغت مئة وخمسين قرارا تتعلق بتخطيط حدود اسرائيل واعادة اللاجئين الى ديارهم ورفض الحاق القدس باسرائيل والدعوة الى الانسحاب من الاراضي المحتلة وادانة العدوان الاسرائيلي المتكرر .

٥ ـ تهدف اسرائيل من وراء المفاوضات المباشرة مع الدول العربية الى استبعاد الفلسطينيين الذين يشكلون طرفا اساسيا في المسألة والذين فقدوا ديارهم وكيانهم السياسي . وتختفي وراء ذلك الرغبة في الحصول على اعتراف سياسي حقوقي من الدول

العربية بانتهاء الوجود الفلسطيني بعد أن أنهته اسرائيل من الناحية المادية بتشريد نصف الشعب الفلسطيني ووضع النصف الاخر تحت الاحتلال .

٦ ـ وتبدو اسرائيل متأكدة من رفض العرب للمفاوضات المباشرة على النحو الذي تطرحه اسرائيل وهكذا يتاح لها أن تستمر في الاحتلال وأن تنادي بالسلام في وقت واحد .

ومن هنا كانت ترفض أي تنازل عن هذه الصيغة وتتشدد بالمناداة بها كلما شعرت أن هناك صيغا قريبة منها قد تكون مقبولة من العرب كما حدث خلال محادثات سنة ١٩٧١ .

٧ ـ وفي الوقت نفسه تمضي في اتخاذ اجراءات من شأنها أن تقطع الطريق على أية تسوية محتملة :

أ ـ فقد الحقت القدس باسرائيل وجعلتها عاصمة لها متحدية بذلك قرارات هيئة الامم المتحدة ومشاعر الرأي العام العالمي .

ب ـ رفضت تطبيق قرارات هيئة الامم بالسماح للاجئين الفلسطينيين بالعودة الى ديارهم .

جـ ـ بنت سلسلة من المستوطنات العسكرية في الاراضي المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ .

د ـ تستمر في تهجير الفلسطينيين من قراهم وتستولي على أراضيهم بالقوة وتعمل على الحاق اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي(٣٢) .

هـ ـ تدلي الطبقة الحاكمة الاسرائيلية بتصريحات متكررة تشير الى أن القدس غير قابلة للتفاوض ، والجولان غير قابلة للتفاوض ، وشرم الشيخ غير قابلة للتفاوض ، والشريط المحاذي لنهر الاردن غير قابل للتفاوض . وهذا يعني بالنسبة لكل من يفكر بالتفاوض مع اسرائيل ان التفاوض لن يعني شيئا على الاطلاق(٣٣) .

وختاما ان المرء لا يملك الا أن يعترف بأن صورة الوضع في الشرق الاوسط قاتمة بكل ما في الكلمة من معنى ، لقد نشبت الازمة مع قيام دولة اسرائيل ، ان لم نقل خلال السنوات التي شهدت الاعداد لقيام هذه الدولة ، ومنذ ذلك الحين تتلاحق المشاكل والازمات وينتهك السلام يوميا وتشهد كل مجموعة من السنوات فورة توسعية جديدة لهذا الجسم الغريب الذي أخفق في أن يلائم نفسه مع المنطقة واختار طريق القوة والارهاب . ويزيد الامر سوءا أن القوى الامبريالية ـ بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ـ تنتهج سياسة متمادية باستمرار ، قوامها مكافأة المعتدي واغداق الاسلحة والهبات المالية عليه . وان كل العوامل تشير الى أن العدوان مستمر وانتهاك السلام مستمر ما دام الكيان الصهيوني مستمرا . وفي الوقت الحالي يصعب على الانسان التفكير بأية معادلة سلمية يمكن أن تستجيب لها اسرائيل بعد أن رفضت أكثر من ثلاثين مشروعا للتسوية خلال ربع القرن الماضي . ولكن هذا الموقف المعقد لا يعني الاستسلام للتشاؤم والسوداوية . فمع مضي المعتدي في غطرسته تتعاظم موجة نضال الشعوب ضد الامبريالية ، ويزداد الصوت العالمي الداعي الى السلام والرافض للظلم جهارة وقوة . . . وفي مثل هذا الظرف ، وفي حالة أزمة كأزمة السلم في الشرق الاوسط ، يجد أحرار العالم أنفسهم مطالبين جميعا بمزيد من الوعي وتحديد المسؤولية لان ذلك هو الكفيل بانارة طريق الخروج من الازمة . وبالنسبة للطرف العربي من المسألة تشكل كل خطوة عالمية في سبيل تحديد المسؤولية في الازمة الناشبة دفقة من الدعم متناسبة مع درجة وضوح المسؤولية . ذلك ان تجربة النضال العربي اثبتت أنه لا يمكن ولا يجوز أن يقوم في الفراغ ، لا بسبب التطابق بين أهدافه ومواقفه وبين أهداف ومواقف حركات التحرر العالمي فحسب بل كذلك لان الطرف الاسرائيلي يستقي الجزء الاكبر من قوته

ومدده من الشريان الامبريالي الدولي . وأما بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني — وهو الذي عانى طويلا من الانسحاق السياسي بالاضافة لوجوه المعاناة الاخرى — فتشكل خطوات تحديد المسؤولية على الصعيد الدولي أهمية جوهرية لانها تعني بالدرجة الاولى نوعا من اعادة الاعتبار الانساني له وبالدرجة الثانية مؤشرا واضحا الى تطور نوع من الفهم العالمي لحقيقة أهدافه القومية المشروعة في تقرير مصـــيره فوق أرضه بالذات وبالتالي ازالة العقبة الاساسية التي تعيق اقامة سلام عادل ودائـــم في هذه المنطقة الحساسة من العالم ، وبذلك يكون أي اسهام معنوي أو ملموس في دعم أهداف شعب فلسطين هو اسهام مباشر في تحقيق السلام المنشود على مستوى المنطقة العربية وربما على مستوى العالم أجمع .

ويقتضي الانصاف ان يشير المرء الى ان السنوات الاخيرة قد شهدت تطورا ملموسا في هذا الاتجاه ولا سيما على صعيد المنظومة الاشتراكية والشعوب المناضلة ، ولكن الدقة تقتضي أيضا الاشارة الى أن الطريق الى وضع الامور في نصابها ما يزال طويلا ويحتاج الى نضال مستمر وجهد جدي .

---

١ — من أجل فكرة سريعـــة عن طبيعة هـــذه الادانات يمكن مراجعـــة الكتيب الذي نشـــره السفير جورج طعمه بعنوان :
Tomeh, Georges: *Palestine Reconsidered;* 1969, U.S.A. Broklyn, N. Y. January 1970.

٢ — اقدام الطائرات الحربيـــة الاسرائيلية ، تنفيذا لاوامر واضحة ، على اسقاط طائـــرة مدنية ليبية ضلت طريقها فوق سيناء .

٣ — سوف يقتصر التحليل في جميع نقاط البحث على الجانب المتصل بمسألة السلام فقط . اما الجوانب الاخرى مـــن سياسية وانسانية فلن نتطرق اليها .

٤ — تظهر أدبيات المعارك الانتخابية في اسرائيل مقدار أهمية هذه المسألة بالنسبة للرأي العام الاسرائيلي الذي تجري تغذيته دائما بأفكـــار العنصرية والانغلاقية .

٥ — توينبي ، ارنولد : **فلسطـــين : جريمة ودفاع** ، تعريب عمـــر الديراوي ، بيروت ، حزيران ، ١٩٦١ ، ص ١٥ — ١٧ .

٦ — عمل الدكتور ديفز مـــدة خمس سنوات مفوضا عاما لوكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (اونروا) ثم عمل مع الجامعة الاميركية في بيروت ، وفي سنة ١٩٦٦ انتخب نائبا تنفيذيا لرئيس مجلس امناء هذه الجامعة .

٧ — ديفز ، جون : **السلام المراوغ** ، ترجمة محمود فلاحة ، دمشق ، ص ١٢٠ — ١٢١ . وقد ادخلت تعديلات طفيفـــة على الترجمة . عنوان الكتاب الاصلي :
Davis, John, *The Evasive Peace*

٨ — أنظر ص ٤٢ — ٤٣ من
Herzl, Theodore, *l'Etat Juif*, L'Herne, 1969.

٩ — انظر : العـــابد ، ابراهيـــم : **العنف والسلام : دراسة في الاستراتيجية الاسرائيلية**، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ١١ ، والنص منسوب الى كتاب شختمان : **مقاتل ونبي : قصـــة فلاديمير جابوتنسكي ، السنـــوات الاخيرة** ، نيويورك ، ١٩٦١ .

١٠ — انظـــر : ايفانوف ، يـــوري : **احذروا الصهيونية** ، منشورات وكالـــة نوفوستي ، ١٩٦٩ ، الترجمة العربية ، ص ٧٣ — ٧٤ .

١١ — **المصدر السابق** ، ص ٧ .

١٢ — *The Jewish Agency Digest*, 24 August 1951, Vol. 3, No. 49, p. 1890.

١٣ — **المصدر السابق** ، ١٦ أيار ١٩٥٢ ، المجلد الرابع ، رقـــم ٣٠ ، ص ١٠٦١ والنصـــان منقولان عن ص ٩٩ — ١٠٠ مـــن (**السلام المراوغ**) لجون ديفز .

١٤ — معدل الهجرة في السنوات الاخيرة .

١٥ — انظر : الكيالي ، عبد الوهاب : **المطامع الصهيونيـــة التوسعية** ، منظمـــة التحريـــر الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٦، ص ٧٨ — ٧٩ .

١٦ — انظر تفاصيل الخريطة في ص ١٢ — ١٣
من : هداوي ، سامي : **ملف القضية الفلسطينية** ، تحرير د. يوسف الصايغ ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٨ .

١٧ — رزوق د. اسعد : **اسرائيل الكبرى : دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني** ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٥٤١ .

١٨ — Hess, Moïs: *Projet de colonisation de la terre sainte*, 1867

١٩ — سميت روديسيا باسمه ، وهي من أشرس معاقل الاستعمار والتمييز العنصري في هذا العصر .

٢٠ — انظر هرتزل : **اليوميات الكاملة**، نيويورك، ١٩٦٠ ، ص ١١٩٤ .
Herzl, Theodore: *Complete Diaries*, New York, 1960.

٢١ — Herzl, *L'Etat Juif*, p. 45.

٢٢ — Wiezmann Chaim, *Trial and Error* London, 1950, p. 244.

٢٣ — بلغت الدفعة الاولى من المساعدات العسكرية الاميركية لاسرائيل ما قيمته ٨٠٠ مليون دولار خلال الايام الاولى من حرب تشرين الاول ١٩٧٣ وطلب الرئيس الاميركي نيكسون من الكونغرس رصد اعتمادات لمساعدة اسرائيل تبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار .

٢٤ — انظر في : جيجيك ، بان وفالشنوفسكي ، تاديوش : **خفايا عدوان حزيران ١٩٦٧** ، ترجمة محمود فلاحة ، منشورات ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي بجيش التحرير الفلسطيني ، دمشق ، ١٩٧٣ ، ص ٣٦ .

٢٥ — اول ما يلفت نظر الزائر في اسرائيل — كما يذكر مراقب الهدنة هاتشسون — النزعة العسكرية المسيطرة ، فالزائر : « يخرج بانطباع لا بد منه ، وهو ان الاشياء العسكرية لها الافضلية في كل شيء ... منظمات الشباب، الجنود النظاميون ، البحارة ، الطيارون ، الاحتياطي العسكري الضخم المجهز والمدرب والمخبأ خلف أسوار ما يسمى بالمستعمرات الزراعية ، الرجال على الحدود ، وقوات البوليس ... كل شيء يشير الى ان هذه الامة تضع تأكيدا شديدا على اجهزة ومعدات الحرب » .
انظر : العابد : **العنف والسلام** ، ص ٤١ .

٢٦ — انظر مثلا اعداد
The Jewish Observer and The Middle East Review,
خلال النصف الاول من عام ١٩٦٧ . والجدير بالذكر ان الهجرة الى اسرائيل انخفضت الى ادنى حد في هذه الفترة . انظر ايضا : الخطيب ، حسام : « تقييم جديد للحكم الصهيوني في الارض المحتلة » ، **البعث** ، دمشق ، ع ١٢٣٨ ، ٣ نيسان ١٩٦٧ .

٢٧ — من أجل هذا كان موضوع البحث الحالي « اسرائيل والسلام في الشرق الاوسط » لا « اسرائيل ومشروعات التسوية السلمية » ، والتسويات السلمية منظور اليها هنا باعتبارها جزءا من الموقف العام ، ازاء السلام لا مرادفا له .

٢٨ — من اجل عرض واف لمشروعات التسوية انظر : القاضي ، ليلى سليم : تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الاسرائيلي (١٩٤٨ — ١٩٧٢) ، **شؤون فلسطينية** ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، ع ٢٢ ، حزيران ١٩٧٣ .

٢٩ — ترفض اسرائيل بوجه خاص مشاركة اية قوات سوفياتية في أي مشروع دولي لحفظ الامن ، وقد ورد هذا الكلام صراحة في تصريح رسمي لغولدا مائير (٤ نيسان ١٩٧١) .

٣٠ — التشديد من المؤلف .

٣١ — وجاء في هذا البيان ايضا : « بالنسبة لاسرائيل تشكل المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الاردن وحدة ارضية متماسكة . وانني أقاوم بشدة تخطيط اية حدود من شانها ان تقسم هذه الوحدة الارضية » .

٣٢ — لفهم السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة انظر : الخطيب ، د. حسام : « حدود مقفلة وجسور مفتوحة » ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ع ٢١ أيار ١٩٧٣ .

٣٣ — تعتمد هذه المناقشة اعتمادا رئيسيا على :
Al-Abid, Ibrahim, *Israel and Negotiations*, P.L.O. Research Center, Beirut, 1970.

الاساس القانوني لمركز المقاومة الفلسطينية وشرعيتها في القانون الدولي

مروان الفاهوم

طرحت اثر حرب السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ قضية تبادل اسرى الحرب بين الدول العربية واسرائيل . وقد ركزت اسرائيل على هذه القضية بشكل قوي جدا وجندت وسائل اعلامها وادوات الضغط المتاحة لها لتاليب الراي العام والهيئات الدولية على مصر وسوريا بغية استرداد اسراها خاصة وانه تبين ان بين الاسرى الاسرائيليين عددا من المرتزقة . هذا وقد انبرى الصليب الاحمر الدولي للمطالبة بالافراج عن الاسرى الاسرائيليين وتسليمهم لاسرائيل بما في ذلك المرتزقة وقال بان اتفاقيات جنيف تنطبق على المرتزقة اذا كانوا يرتدون لباسا مميزا ويخضعون لامرة قيادة عسكرية .

وبهذه المناسبة ، نقدم هذه الدراسة للمحامي مروان الفاهوم عن الوضع القانوني للمقاومة الفلسطينية ولاسرى الحرب الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية والذين ترفض اسرائيل ان تعاملهم كاسرى حرب ، والذين لم ينبر الصليب الاحمر الدولي للمطالبة بمعاملتهم كاسرى حرب كما فعل بالنسبة للمرتزقة الذين اشتركوا في الحرب مع القوات الاسرائيلية رغم الفارق الكبير بين الوضع القانوني والسياسي والاخلاقي للثوار الفلسطينيين والمرتزقة . هذا وقد قدمت هذه الدراسة من قبل الهلال الاحمر الفلسطيني في اجتماع الصليب الاحمر الدولي الذي عقد في طهران في الاسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني ١٩٧٣ .

التحرير .

يهدف هذا البحث الى الكشف عن مشروعية المقاومة الفلسطينية واظهار مركزها الشرعي في القانون الدولي **وما يترتب على هذه المشروعية من اعتبار الصراع القائم بين المقاومة الفلسطينية والعدو الاسرائيلي صراعا قانونيا تنطبق عليه القوانين الدولية بشأن تنظيم الحرب التي تقع بين دولتين او قوتين متصارعتين ، وما ينبني على هذا الاعتبار ، وجوب اعتبار اسرى المقاومة الفلسطينية اسرى حرب ومعاملتهم على هذا الاساس** في كل ما يترتب لاسرى الحرب من حقوق وفقا للقوانين والاتفاقيات الدولية ، وابرز هذه الحقوق حق الاسير في عدم اخضاعه للتعذيب والتحقيق وعدم تقديمه للمحاكمة واصدار الاحكام بشأنه ، والاكتفاء بسؤاله فقط عن اسمه ووحدته ومعاملته المعاملة الانسانية اللائقة به كمحارب طوال مدة اسره .

ليس في موقف اسرائيل المتجاهل لشرعية المقاومة الفلسطينية مـا يثـير الدهشة والاستغراب ، ذلك ان اسرائيل التي قامت في الاصل على الاغتصاب لتكون بؤرة للتجمع الامبريالي في المنطقة ، ما زالت تستمد وجودهـا وقوتها مـن التحامهـا العضـوي بالامبريالية ، والتزامها بالسياسة التوسعية الاستعمارية . وهذا الوصف هو المعيار الحقيقي الذي يتحدد في ضوئـه موقف الدول من حركات المقاومـة عموما . فالدول الاستعمارية التوسعية قديما ، والدول الامبريالية حديثا ، تكون دائما في موقف معـاد لكافة حركات المقاومة والتحرير وتضرب بعرض الحائط بالقوانين والاعراف الدولية في كل ما يتعلق بشرعية حركات المقاومة والتحرير .

مدخـل :

ليس من شك في أن نظرية الحرب وتطبيق قانون تنظيمها ، قد شهدت تطورا كبيرا في أحكام القانون الدولي ، سواء من حيث انتهائها الى تحريم الحرب الا في حالات الدفاع الشرعي عن النفس ، أو من حيث تطور القوانين التي تنظمها حيث بدأت باعتبارها حالة قانونية لا تنشأ الا بتوافر شروط معينة تتعلق بشروط بدء القتال ، والاشخاص اطراف الاشتباك ، وانتهت الى اعتبارها حالة اشتباك مسلح فعلي يستتبع تطبيق قانون الحرب وتنظيمها بصرف النظر عن شروط بدء القتال ، او أشخاص اطراف الاشتباك .

لقد رافق انتصار الراسمالية ، ونشوء الدول القومية ، وتبلور سيادتها ، عصر نشأة القانون الدولي الذي هدف لتنظيم العلاقات الدولية على أساس التوازن التقليدي للقوى الدولية ذات السيادة ، واشتراط القانون الدولي توافر عناصر معينة لاطلاق صفـة الدولة ذات السيادة على مجتمع من المجتمعات ، كما دأب على اعتبار بعض التصرفات من خصائص سيادة الدولة ، ورتب لها الاحكام اللازمة على هذا الاساس . ولقد دأبت النظرية التقليدية الى اعتبار الحرب احدى هذه الخصائص ، وبالتالي أصبح تنظيـم حالة الحرب ، ووضع القوانين اللازمة لها يتمان وفقا لارادة الدول بموجب ما لها من حقوق السيادة ، وترتب على هذا تضمين قواعد تنظيم الحرب صيغا وشروطا قانونية معينة تجعل منها حربا قانونية معترفا بها دوليا ، او غير قانونية وبالتالي غير معترف بها دوليا بحسب توافر تلك الصيغ والشروط من عدمها . ولما كانت الدول ذات السيادة تنظر الى الحرب على أنها وسيلة لا غنى عنها لتنفيذ سياستها وبرامجها على حساب الدول والمجتمعات الاخرى فقد كان بديهيا اذن ، أن لا تسعى الى شجب الحرب او تحريمها بل تكتفي بوضع بعض القواعد والنظم المنظمة لها والمستمدة أساسا مما ثبت من أعراف دولية ومبادىء قررتها الاداب الدولية والاديان السماوية والضمير الانساني، بهدف تنظيم الاعمال الحربية والتخفيف ما أمكن من مصائب الحرب وويلاتها . ولقـد انبثقت النظرية التقليدية انطلاقا من اعترافها بمشروعية الحرب . الا ان محتوى النظرية التقليدية في التعبير عن مشروعية الحرب الدولية (وهي التي تقع بين القوات النظامية لدولتين او اكثر) ــ كوسيلة لا غنى للدول عنها لتنفيذ سياساتها وبرامجها ــ بـدأ يتزعزع نتيجة لتوقيع ميثاق عصبة الامم سنة ١٩١٩ الذي وان لم يحرم الحرب اطلاقا الا انه احاطها بمجموعة من القيود ضيقت كثيرا من نطاق مشروعيتها .

الحرب في ميثاق عصبة الامم :

فرضت المادة (١٠) من ميثاق عصبة الامم على كل عضو في العصبة « احتـرام وضمان وسلامة اقاليم الاعضاء الاخرين واستقلالها السياسي ضد اي اعتداء واذا وقع اعتداء او تهديد باعتداء يقرر المجلس الوسائل التي تكفل تنفيذ هذا الالتزام » . ويترتب على هذه المادة عدم مشروعية الاعتداء الذي تقوم به دولة عضو في العصبة ضد عضو آخر . كما فرضت المادة (١٢) من العهد المذكور عدم جواز « الالتجاء الى الحرب لفض

نزاع قبل عرضه على التحكيم ، او القضاء ، او مجلس العصبة ، او بعد عرضه للفصل فيه باحدى هذه الطرق لكن قبل مضي ميعاد ثلاثة شهور من تاريخ صدور قرار التحكيم او القضاء او مجلس العصبة » . ويترتب على هذه المادة عدم مشروعية الالتجاء الى الحرب اذا ما تم بالمخالفة لحكم هذه المادة . . كما نصت المادتين (٤/١٣) و(٦/١٥) على عدم مشروعية اعلان حالة الحرب على الدولة التي قبلت قرار التحكيم او القضاء او التزمت بقرار المجلس الصادر بالاجماع ، ولو بعد مضي الميعاد المحدد (ثلاثة أشهر من تاريخ صدور قرار التحكيم او القضاء او مجلس العصبة) . كما يستخلص من المادة (١٧) عدم مشروعية الحرب التي تقع في حالة قيام نزاع بين دولتين احداهما او كلتاهما غير عضو في العصبة ودعوة المجلس لهما الى اتباع الاجراءات المتقدمة ورفض احدهما ذلك والتجائها مباشرة الى الحرب . ولقد اجاز العهد توقيع جزاءات اقتصادية وعسكرية على الدولة التي تشن حربا غير مشروعة ، ولقد حصرت المادة (٧/١٥) مشروعية الحرب في حالة الحرب الدفاعية وفي حالة الالتجاء الى الحرب من أجل نزاع سبق عرضه على مجلس العصبة ، ولم يصدر فيه قرار باجماع الاراء ، وبعد مضي ثلاثة شهور من صدور قرار الاغلبية .

الحرب في ميثاق باريس ١٩٢٨ :

اذا كان ميثاق عصبة الامم قد اكتفى بالتضييق من نطاق مشروعية الحرب الدولية كوسيلة لا غنى للدول عنها لتنفيذ سياساتها وبرامجها فان ميثاق باريس لسنة ١٩٢٨ (ميثاق بريان ــ كيلوج)(١) قد نص صراحة في المادة (١) على اعلان الدول المشتركة فيه « استنكارها الالتجاء الى الحرب لتسوية الخلافات الدولية ونبذها اياها في علاقاتها المتبادلة كاداة للسياسة القومية » كما نصت المادة (٢) منه على « ان جميع الخلافات والمنازعات التي يمكن ان تقوم بينها ايا كانت طبيعتها وايا كان أصلها لا يجوز ان تعالج الا بالوسائل السلمية » .

الحرب في ميثاق الامم المتحدة ١٩٤٥ :

لقد تأكد اتجاه عدم مشروعية الحرب في ميثاق الامم المتحدة عام ١٩٤٥ الا في حالة الدفاع الشرعي عن النفس ، اذ نصت المادة (٤/٢) منه على « امتناع اعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة واستخدامها ضد سلامة الاراضي او الاستقلال السياسي لاية دولة او على اي وجه اخر لا يتفق ومقاصد الامم المتحدة » كما نصت المادة (٣/٢) على وجوب « فض جميع اعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والامن والعدل الدولي عرضة للخطر » . ولقد بينت المواد (٣٣) و(٣٤) و(٣٥) و(٣٦) وسائل حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية كما نصت المادة (١/٣٧) على أنه « اذا اخفقت الدول التي يقوم بينها نزاع من النوع المشار اليه في المادة (٣٣) (أي نزاع من شأن استمراره أن يعرض حفظ السلم والامن الدولي للخطر) ــ في حله بالوسائل المبينة في تلك المادة ــ (المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية) ، وجب عليها ان تعرضه على مجلس الامن . كما أجازت المادة (٢/٣٧) « لمجلس الامن اذا رأى ان استمرار النزاع من شأنه ان يعرض للخطر حفظ السلم والامن الدولي ان يقرر ما اذا كان يقوم بعمل وفقا للمادة (٣٦) (ان يوصي بما يراه ملائما من الاجراءات وطرق التسوية ــ ان يراعي الاجراءات التي سبق لطرفي النزاع اتخاذها لحل النزاع ــ ان يراعي وجوب قيام أطراف النزاع بعرض المنازعات القانونية على محكمة العدل الدولية) .

واذا كان الميثاق قد جاء واضحا وصريحا في تحريم الحرب الدولية وعدم الاعتراف بشرعيتها ، وبما ينجم عنها من مكاسب اقليمية تدعي باسم مشروعية الحرب ، او حق

الفتح في ضوء النظرية التقليدية الا انه لم يلتزم الجانب السلبي في هذا التحريم ، اذ تضمن الميثاق المذكور احكاما تجيز لمجلس الامن توقيع الجزاء العسكري السريع ضد اية دولة تشن حربا من أي نوع كان اخلالا بما تعهدت به في الميثاق ، فقد نصت المادة (٤٢) على أنه « اذا رأى مجلس الامن ان التدابير المنصوص عليها في المادة (١٤) (حق الجمعية العامة ان توصي باتخاذ التدابير لتسوية اي موقف مهما يكن منشؤه تسوية سلمية) لا تفي بالغرض او ثبت أنها لم تف به ، جاز له ان يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الاعمال ما يلزم لحفظ السلم والامن الدولي ، او لاعادته الى نصابه . ويجوز ان تتناول هذه المظاهرات والحصر والعمليات الاخرى بطريـق القوات الجوية او البرية التابعة لاعضاء الامم المتحدة » .

واذا كان الميثاق قد حرم جميع انواع الحروب الدولية كوسيلة تلجأ اليها الدول لتنفيذ برامجها وسياساتها على حساب الدول الاخرى ، ورتب على هذا التحريـم عقوبات مختلفة تصل الى حد العمليات العسكرية الا انه استثنى من هذا التحريم حرب الدفاع عن النفس ، اذ نصت المادة (٥١) من الميثاق على انه « ليس في هذا الميثاق ما يضعف او ينتقص الحق الطبيعي للدول ، فرادى ، او جماعات ، في الدفاع عن نفسها اذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الامم المتحدة وذلك الى ان يتخذ مجلس الامن التدابير اللازمة لحفظ السلم والامن الدولي ، والتدابير التي اتخذها الاعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفس الى المجلس فورا ، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس — بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمدة من أحكام هذا الميثاق — من الحق في أن يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الاعمال لحفظ السلم والامن الدولي او اعادته الى نصابه » .

وهكذا نلاحظ كيف تطورت نظرية الحرب ذاتها في القانون الدولي وتغيرت من حيث النظر اليها في السابق على أنها وسيلة مشروعة دائما من حق الدولة ان تلجأ اليها كلما كانت مصلحتها تقتضي ذلك ، وكلما ارادت تنفيذ برامجها وسياساتها الدولية ، الى تحريمها تحريما مطلقا الا في حالة الدفاع الشرعي عن النفس .

ولما كانت النظرية التقليدية في الحرب الدولية قد انطلقت أساسا من مبدأ تسليمها بمشروعية الحرب الدولية ، واقتصرت على وضع القوانين المنظمة لها بهدف التخفيف من ويلاتها ومصائبها ، فانها تكون بذلك قد فقدت أساس مبرراتها النظرية التي تستند اليها عند التطبيق العملي .

قانون تنظيم الحـــرب :

لقد رافق موضوعة تحريم الحرب تطورا اخر يتناول **قانون تنظيمها كحالة فعليـــة .** ان النظرية التقليدية التي دأبت على اعتبار الحرب الدولية من خصائص سيادة الدولة، رتبت على ذلك تضمين قانون الحرب قواعد واجراءات معينة ، اشترطت توافرها لكي تعترف بالحرب الدولية ، وبالتالي تطبيق قانون الحرب وانظمته عليها . وعلى أساس من هذا المفهوم نظمت النظرية التقليدية الحرب وشروط تطبيق قانونها على أساس من الاعتبارات التالية :

١ — ان الحرب التي يسري عليها قانون الحرب وانظمته ، بصفة عامة ، **هي الحرب التي تقع بين دولتين او اكثر ذات سيادة** — ويتم تحديد هذه السيادة طبقـــا لقواعد واحكام القانون الدولي — **أما النضال المسلح الذي يحدث بين بعض الجماعات داخل دولة ما ، او الذي تقوم به جماعة ضد دولة اجنبية فلا يعتبر حربا ولا شأن للقـــانون الدولي به .**

٢ ــ اعلان الحرب ، والانذار بها ، قبل البدء بأي عمل عسكري ، التزام يقع على عاتق الدولة الراغبة في الحرب وعليها ابلاغه الى الدولة الاخرى، وباقي اعضاء المجتمع الدولي ، وعلى هذا الأساس فان الفقه التقليدي رفض تكييف اي حالة حرب فعلية بين دولتين لم يسبقها اعلان او انذار بالحرب على أنها حرب قانونية وهذا مما دفع المؤتمرين في لاهاي الى تضمين اتفاقية لاهاي الثالثة لعام ١٩٠٧ نصا يقضي بمراعـــاة الدول المتعاقدة وجوب الانذار بالحرب .

٣ ــ ليست الحرب الا **حالة قانونية** لا تنشأ الا بتوافر شروط معينة ، وتوافر الحالة القانونية هي التي تكيف الاشتباك المسلح الفعلي بأنه حالة حرب ، واما مجرد الاشتباك المسلح الفعلي الذي يقع بصرف النظر عن شروط بدء القتال ، او اطراف الاشتباك فلا يستتبع مجرد قيامه بالضرورة تطبيق قانون الحرب عليه .

ونظرا لعجز النظرية التقليدية عن تحقيق الحماية الكافية للانسانية في الحروب نتيجة لانبثاقها كتعبير عن مصالح الدول الراسمالية الذي صبغ اسلوبها في فهم الحرب الدولية، والتمييز بينها وبين مختلف انواع الاشتباكات المسلحة الاخرى ، ونتيجة لعدم فهمهـــا للتطورات الحديثة التي طرأت على العلاقات الدولية ، وحروب التحريـــر والثورات الوطنية ، وعدم اخذها بعين الاعتبار لحقوق الشعوب في تقرير مصيرها وحماية حرياتها بالوسائل المتوفرة لديها ، لانها تحول بين الشعوب وبين اباحة لجوئها الى القوة المسلحة بغير طريق الحرب الدولية من أجل الدفاع عن حرياتها ، فقد اتجه الفقه القانوني ، والعمل في المجال الدولي الى تطوير قانون الحرب بحيث يشمل انواعا اخرى من الحروب لم تعترف بها النظرية التقليدية . وبذلك يكون العمل القانوني في المحيط الدولي قـــد تجاوز هذه النظرية ومفاهيمها **فلم يعد اعلان الحرب والانذار بها مثلا شرطا لاسباغ صفة الشرعية على الحرب** ، فأصبح يكفي لتطبيق قانون الحرب ، اعتبار الدولة احـــد أطراف النزاع نفسها **في حالة حرب مع الدولة الاخرى ، وبدئها بالاشتباك الفعلي دونما حاجة لاعلان الحرب** . واصبح الاخلال بهذا الشرط مجرد خرق لهذا الالتزام لا يترتب عليه عدم تطبيق قانون الحرب على الاشتباكات الفعلية .

ولعل اوضح مثال على ذلك حالة الحرب الفعلية التي قامت مـــؤخرا بين الهنـــد والباكستان بشأن بنغلاديش فبالرغم من عدم اعلان اي من الدولتين حالة الحرب على الدولة الاخرى الا ان هذه الحرب اعتبرت حربا قانونية ، وطبقت عليها قوانين الحرب. هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لما حظر ميثاق الامم المتحدة الحروب الدولية بكافة أشكالها ، وحرم استعمال القوة او التهديد بها مستثنيا بذلك حق الدولة في الدفاع عن نفسها في صد العدوان مؤسسا هذا الاستثناء على أساس شرعية هذا الدفاع (الحرب العادلة في الدفاع عن النفس) (Just War of Self-Defence) كـــان يقصـــد مـــن وراء ذلك الاعتراف القانوني بحالة جديدة استلزمتها ضرورات الحياة العملية في المجتمع الدولي . واذا كان الميثاق الذي أجـــاز الحرب الدولية دفاعا عن النفس قد اكـــد في ديباجته ايمان المجتمع الدولي « بالحقوق الاساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية » كما أكد في المادة (٢/١) تمسكه في « انماء العلاقات الودية بين الامم على اساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها ، وكذلك اتخاذ التدابير الملائمة لتعزيز السلم العام » ، يضاف لذلك ما اكده المجتمع الدولي في المادة (٣٠) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان التي تنص على انه « ليس في هـــذا الاعلان نص يجوز تأويله على انه يخول لدولة او جماعة او فرد اي حق في القيام بنشاط او تأدية عمل يهدف الى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه » . واذا كان ذلك صحيحا

« فان ظاهرة الحروب الثورية كحروب التحرير والمقاومة الوطنية التي تقوم بها الشعوب المحتلة بهدف تقرير مصيرها او صد العدوان او طرد قوات الاحتلال لا تعدو ان تكون من قبيل حروب الدفاع الشرعي عن النفس »(٢)، وبالتالي حروبا قانونية تخضع لقانون الحرب .

وهذا المفهوم قد سبقه محاولات دولية سابقة لاقراره من قبل مجموعة الدول الصغيرة في مؤتمري بروكسل سنة ١٨٧٤ ، ولاهاي ١٨٩٩ اللذين انعقدا لوضع قانون الحرب ، اذ رفضت هذه الدول قصر مفهوم الدول الاستعمارية الكبرى للحرب القانونية على الاشتباك العسكري البحت عن طريق الجيوش النظامية للدول ذات السيادة ، وطالبت باسباغ الصفة القانونية على الاشتباكات المسلحة الفعلية والتي تقوم فيها المقاومة الوطنية . ونتيجة لتمسك كل منهما بموقفه فقد أصدر المؤتمر تصريحا اورد فيه « ان بعض القواعد العرفية للحرب في الاتفاقيات الصادرة عن هذا المؤتمر لا يعني بأي حال من الاحوال التقليل من شأن الوسائل الاخرى للدفاع »(٣).

وثمة اعتراف اخر للمجتمع الدولي يبدو اكثر وضوحا في تقريره بأن قانون الحرب المتعارف عليه دوليا ، والذي نظمته ونصت عليه اتفاقيتي لاهاي سنة ١٨٩٩ ، وسنة ١٩٠٧ ، وبروتوكول جنيف لسنة ١٩٢٤ ، واتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ ، لا يتضمن بصورة شاملة جامعة حدود الحرب ووسائلها ، فقد نصت المادة (٦٣) من اتفاقية جنيف الاولى ، والمادة (٦٢) من الاتفاقية الثانية ، والمادة (٤٧) من الاتفاقية الثالثة ، والمادة (١٥٨) من الاتفاقية الرابعة لعام ١٩٤٩ ، وقرارات المؤتمر الدولي لحقوق الانسان المنعقد في طهران للفترة ما بين ٤/٢١ الى ١٩٦٨/٥/١٣ ، على انه « حتى يحين الوقت لوضع مجموعة من القواعد اكثر كمالا في قوانين الحرب يقرر الاطراف السامون المتعاقدون بأنه في الحالات التي تتضمنها النصوص المنظمة والمقبولة منهم ، يظل الاهلون والمتحاربون تحت حماية وسلطان مبادىء القانون التي يقررها العرف المستقر بين الشعوب المتمدنة وقوانين الانسانية وما يوحي به الضمير الانساني » .

ومن هذا تتضح قناعة المجتمع الدولي في عدم استغراق القواعد الحالية في قانون الحرب لحدود ووسائل الحروب الحديثة وأن عدم استغراق قانون الحرب لها لا ينفي عنها صفتها القانونية ، وبالتالي تمتعها بحماية وسلطان مبادىء القانون الدولي ، وقوانين الانسانية ، وما يوحي به الضمير الانساني .

وعلى هذا الاساس يجب القول بأن الاعتبارات والقواعد التي يقوم عليها قانون الحرب الذي يعترف بالحروب القانونية وينظمها ، والتي تتضمنها أحكام الاتفاقيات الدولية (لاهاي ــ جنيف) ، انما بنيت على أساس الغايات والمقاصد الانسانية ، وعليه يجب الرجوع الى ما استقر عليه ضمير الانسانية في كل حالة اشتباك مادي لم تتناول تنظيمه الاتفاقيات الدولية .

ومما يؤكد القول بوجوب تطبيق قانون الحرب على الاشتباكات المادية بصرف النظر عن كونها تعتبر حروبا دولية بالمعنى التقليدي للحروب ام لا ، ما قررته المادة (٤٢) من ميثاق الامم المتحدة ، حيث أجازت لمجلس الامن القيام بالعمليات الحربية المسلحة ضد الدولة المعتدية ، فمجلس الامن حينما يمارس صلاحياته هذه بتوقيع العقوبة على الدولة المعتدية انما يمارس صلاحياته تلك باسم المجتمع الدولي ، وليس بصفته دولة او مجموعة من الدول متحالفة ذات سيادة . وهذه الحرب التي يخوضها المجتمع الدولي تعتبر قانونية بحكم الميثاق ، والعرف الدولي وتطبق عليها قوانين الحرب بالرغم من عدم تطابقها مع الفقه التقليدي في الحرب الدولية . وبالاضافة لكل ما تقدم فأن تجارب

الحروب الحديثة قد دلت على ان وصف الحرب بالقانونية لم يعد يقتصر على القتال الذي ينشب بين الدول ذات السيادة فقط ، وفقا للشروط والمواصفات التي حددتها النظرية التقليدية . فالقتال الذي دار في الهند الصينية بين القوات الفرنسية وقوات فيت مان قبل قيام دولة فيتنام الشمالية اعتبر حربا دولية قانونية طبق عليه قوانين الحرب . وكذلك الشأن بالنسبة للقتال الذي نشب في كوريا ما بين سنتي ١٩٥٠ — ١٩٥٣ بين قوات الامم المتحدة والقوات الكورية اعتبر حربا قانونية طبق عليه قوانين الحرب بالرغم من أن احد طرفيها لم يكن دولة ذات سيادة ، علما بأن القرار اتخذ من وجهة نظر تفسير الامبريالية الامريكية للميثاق ، وكان عملا عدوانيا ضد الشعب الكوري ، ولكن الذي يهمنا هنا هو سابقة التوسع في مدلول الحرب الدولية القانونية لتشمل حالات الاشتباك المسلح الفعلي بغض النظر عن مدى تطابقه مع النظرية التقليدية في الحرب .

خلاصة :

يبدو مما تقدم ان الاتجاه يسير نحو التوسع في مدلول الحرب الدولية القانونية بحيث يجري تطبيق قانون الحرب على القتال المسلح حتى ولو كان بين دولة ذات سيادة وبين جماعات تتصف بوصف الدولة وفقا لقواعد القانون الدولي ، وبالتالي يترتب على ذلك اخضاع هذا النوع من الحروب الى قانون الحرب وانظمته المتعارف عليها دوليا ، والتي تسعى لتخفيف ويلات الانسانية ومصائبها ، وتحقيق الحد الادنى من الحماية الانسانية لاطراف الاشتباك .

ولقد عبرت الاتفاقيات الدولية المنظمة لقوانين الحرب عن هذه الحقيقة وارتأت **الاخذ بمعيار الاشتباكات الفعلية لتطبيق قانون الحرب عليها بصرف النظر عن أشخاص أطراف هذه الاشتباكات وبصرف النظر عن مدى توافر شروط الحرب وفقا للمفهوم التقليدي .**

حماية المدنين والجرحى والاسرى في الحرب :

لقد نصت المادة (٢) من اتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩ بشأن حماية الاشخاص المدنيين في وقت الحرب على ما يلي :

« علاوة على الاحكام التي ستنفذ وقت السلم تطبق هذه الاتفاقية في جميع حالات اعلان الحرب **او في حالة أي اشتباك مسلح آخر يمكن ان ينشب بين طرفين أو أكثر من الاطراف الساميين المتعاقدين** ، حتى اذا لم يكن احد الاطراف قد اعترف بحالة قيام الحرب » .

« وتطبيق الاتفاقية ايضا في جميع حالات الاحتلال الجزئي ، او الكلي ، لاراضي أحد الاطراف السامية المتعاقدة ، حتى اذا كان هذا الاحتلال لا يواجه مقاومة مسلحة ، **وحتى اذا لم تكن احدى الدول المشتبكة في القتال طرفا متعاقدا بهذه الاتفاقية** ، فان الدول المتعاقدة تبقى مع ذلك ملتزمة بأحكامها في علاقاتها المتبادلة ، وعليها فوق ذلك ان تلتزم بها في علاقاتها مع الدولة المذكورة اذا قبلت هذه الاخيرة احكام الاتفاقية وطبقتها» .

كما نصت المادة (٣) من نفس الاتفاقية المذكورة ، والاتفاقيات الثلاث الاخرى (اتفاقية جنيف بشأن تحسين حالة الجرحى والمرضى في القوات المسلحة / اتفاقية جنيف بشأن تحسين حالة الجرحى والمرضى والمصابين في القوات البحرية / واتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب) على انه « في حالة قيام اشتباك مسلح ليست له صبغة دولية في اراضي احد الاطراف السامية المتعاقدة ، فعلى كل طرف في النزاع ان يطبق كحد أدنى الاحكام الآتية :

١ ـ الاشخاص الذين ليس لهم دور ايجابي في الاعمال العدائية ، بما فيهم افراد القوات المسلحة الذين سلموا سلاحهم ، والذين أبعدوا عن القتال بسبب المرض ، او الجراح ، أو الاسر ، او أي سبب آخر يجب معاملتهم في جميع الاحوال معاملة انسانية دون أن يكون للسلالة او اللون ، او الدين ، أو الجنس ، أو المولد ، أو الثروة ، أو ما شابه ذلك ، أي أثر ضار على هذه المعاملة .

ولهذا الغرض تعتبر الاعمال الآتية محظورة وتظل معتبرة كذلك في أي وقت وفي أي مكان بالنسبة للاشخاص المذكورين :

أ) أعمال العنف ضد الحياة والشخص ، وعلـى الاخص القتل بكل أنواعه ، وبتر الاعضاء والمعاملة القاسية ، والتعذيب .

ب) أخذ الرهائن .

جـ) الاعتداء على الكرامة الشخصية ، وعلى الاخص التحقير والمعاملة المزرية .

د) اصدار الاحكام وتنفيذ العقوبات دون محاكمة سابقة أمام محكمة مشكلة قانونا تكفل جميع الضمانات القضائية التي تعتبر في نظر الشعوب المتمدنة لا مندوحة منها .

٢ ـ يجمع الجرحى والمرضى ويعتنى بهم ، ويمكن لهيئة انسانية محايدة كاللجنة الدولية للصليب الاحمر أن تقدم خدماتها لاطراف النزاع .

وعلى أطراف النزاع أن يعملوا علاوة على ذلك على تنفيذ كل ، أو بعض ، الاحكام الاخرى لهذه الاتفاقية عن طريق معاهدات خاصة .

وليس في تطبيق الاحكام السابقة **ما يؤثر على الوضع القانوني لاطراف النزاع** » .

ومن هذه النصوص يتضح وجوب تطبيق هذه الاتفاقيات على مجـرد الاشتباكات الفعلية بقصد تحقيق الحد الادنى من الحماية الانسانية لاطراف الاشتباك ، بما ينسجم مع الحقوق ، والحريات الاساسية للشعوب والافراد **المقررة** في الاعلان العالمي لحقوق الانسان لعام ١٩٤٨ ، وفي الميثاقين السياسي والاجتماعي الاقتصادي المفتوحين للتوقيع في سنة ١٩٦٨ .

من خلال سياق نص المادة (٢) من الاتفاقية الرابعة ، يتضح ، بجـلاء تام ، ان **المؤتمرين قصدوا الى تأكيد وعيهم لوجود اشتباكات فعلية غـير حالات اعلان الحرب الدولية ، وقصدوا الى توسيع نطاق تطبيق هـذه الاتفاقية لتشمـل جميع حـالات الاشتباكات الفعلية** ، وهذا ظاهر من مدلول عبارة النص الاصلي :

«The Present convention shall apply to all cases of declared war or of any other armed conflict...».

القانون الدولي والثورات :

ويضل أي رأي كذلك يسعى لتفسير عبارة الاشتباك المسلح الواردة في نص المادة (٢) المذكورة آنفا ، على انها محصورة بالاشتباكات الفعلية التي تنشب بين دولتين ، أو أكثر ، ذات سيادة دون قيام احداهما أو كلاهما باعلان حالة الحرب ، والانذار بها ، حسبما تقضي به قواعد الحرب التقليدية ، ذلك ان عبارة النص المذكور قد أطلقت حكمها على جميع الاشتباكات الفعلية دونما تحديد ، أو تمييـز لها ، **بحيث جاءت لتشمـل الاشتباكات الفعلية التي تقع بين دولتين ذات سيادة وبين جماعات ليس لهـا صفة الدولة** . ومما يؤكد هذا المعنى ما جاء في صدر المادة (٣) من نفس الاتفاقيات المشار اليها ، والتي سبق ذكرها ، حيث أوضحت هذه المـادة وجوب تطبيق احكام المـادة المذكورة « ... في حالة قيام اشتباك مسلح ليست له صبغة دولية في اراضي احـد

الاطراف السامية المتعاقدة ... » ومن مدلول هذه العبارة يتضح ان المؤتمرين في جنيف قصدوا الى تطبيق الاحكام الواردة في اتفاقيات جنيف الاربع على جميع الاطراف في حالات الاشتباكات المسلحة الفعلية ، دون تمييز بينها ، وذلك **كحد ادنـى** ، لحماية وصيانة حقوق وحريات الافراد والشعوب ، المقررة في المواثيق الدولية .

وليس هناك اي نصيب من الصحة كذلك للمحاولات التي تهدف الى استثناء المقاومة أو الثوار الذين لم يعترف لهم بعد بحقوق المحاربين ــ نظرا لعدم اتساع نطاق ثورتهم أو نشاطهم العسكري ــ من حكم هذه المادة ومحاولة تحديد انطباق عبارة « ... الاشتباك المسلح غير ذي الصفة الدولية ... » على المراحل التالية التي تشتعل فيها الثورة او المقاومة المسلحة ، وتحتل حجما كبيرا بحيث لا يجوز معه تجاهلها(٤)، ذلك ان الحكمة المقصودة من ايراد نص المادة (٣) من الاتفاقيات المذكورة **هو توفير الحد الادنى من الحقوق والحماية الانسانية في جميع مراحل الثورة أو المقاومة** ، ولعل حكمة توفير الحد الادنى من الحقوق والحماية الانسانية للمحاربين تبدو بشكل أظهر بالنسبة للثوار أو المقاومين في المراحل الاولى للثورة أو المقاومة ، اذ أن الحكمة في هذه الحالة تتوفر بشكل أقوى لان الثوار أو المقاومين يكونون ، في المراحل الاولى للمقاومة أو الثورة ، أقل قدرة من الناحية العملية على الزام أعدائهم باحترام حقوقهم الانسانية مما يستتبع وجوب اسباغ قدر أكبر من الحماية الانسانية لهم ، هذا بالاضافة الى ان نص المادة (٣) **لم يفرق بين أي من هذه المراحل اذ جاء النص متسما بصفـــة العمومية والشمول بحيث يشمل نطاق تطبيقه جميع مراحل الثورة أو المقاومة .**

وثمة دليل آخر على اتساع نص المادة (٣) من الاتفاقيات المذكورة ليشمل كل مراحل الثورة أو المقاومة ، ما قررته هذه المادة في فقرتها الاخيرة من انه « ... **ليس في تطبيق الاحكام السابقة ما يؤثر على الوضع القانوني لاطراف النزاع ...** » ومما يفهم من هذا النص أن التزام أطراف النزاع بالحد الادنى من الحماية الانسانية المقررة في نفس المادة لا يؤدي الى تغيير في الوضع او المركز القانوني لكلا الطرفين مما ينبغي على ذلك وجوب تطبيق المادة (٣) من هذه الاتفاقية على الثوار والمقاومين الذين يكونون في نزاع مع الطرف الآخر ، دون أن يستتبع تطبيق هذه المادة عليهم أي تغيير أو تطوير في المركز القانوني في مواجهة الطرف الآخر من النزاع مما يحتم على الطرف الآخر في النزاع **معاملة الثوار أو المقاومين بموجب احكام المادة (٣) دونما أي اعتبار لاعتراف الطرف الاخر القانوني بهم كقوة مقاتلة من عدمه** ، ولعل في التاريخ الفلسطيني المعاصر نفسه شواهد عملية على هذا الوضع ، اذ أن الاشتباكات الفعلية التي وقعت بين رجال العصابات الصهيونية والدول العربية في فلسطين عام ١٩٤٨ اعتبرت حـــربا قانونية ، أخضعت لقوانين الحرب وطبقت عليها الاتفاقيات الدولية ، بالرغم من عدم اعتراف الدول العربية بأي مركز أو وضع قانوني للعصابات الصهيونية آنذاك .

خلاصة :

من كل ما تقدم نخلص الى القول بأن التفرقة التقليدية بين مـــا يعتبر من الحروب الدولية والحروب غير الدولية ، بالمعنى التقليدي ، قد تلاشت تماما لجهة وجوب التزام أطراف النزاع بتوفير الحد الادنى من الحماية الانسانية للمحاربين من كلا الطرفين تنفيذا لما تنص عليه المادة (٢) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ والمادة (٣) من اتفاقيات جنيف الاربعة الآنفة الذكر ، وذلك بصرف النظر عن مدى توافر الصفة الدولية لاحد طرفي النزاع .

حقوق السكان تحت الاحتلال :

لقد انتهى البحث المتقدم الى اظهار الحقيقة القائلة بوجوب اسباغ الحماية الدولية للحقوق الانسانية المقررة في الاتفاقيات الدولية (جنيف / لاهاي) على قوات الثورة ، والمقاومة ، التي تقوم بالنضال المسلح ضد أعدائها . ولكن ما هو مقدار الحق الذي يتمتع به سكان المناطق المحتلة بالثورة على سلطات الاحتلال ومقاومته ؟ وما هو الاساس القانوني الذي يبنى عليه هذا الحق ؟

للاجابة على هذا السؤال يتعين علينا أولا تحديد الطبيعة القانونية للاحتلال ثم تحديد العلاقة القانونية بين دولة الاحتلال وسكان المناطق المحتلة ثانيا .

أولا : الطبيعة القانونية للاحتلال ــ عدم شرعية الاحتلال :

ان ميثاق الامم المتحدة لم يستثن من تحريمه للحرب الدولية الا حالة واحدة هي حالة حرب الدفاع الشرعي عن النفس ، ولهذا يكون قد حرم جميع أنواع الحروب الدولية الاخرى سواء تلك الحروب التي تلجأ اليها الدول للحصول على مزايا أو تحقيق مطامع لا سند لها من القانون أو الحروب التي تلجأ اليها الدول لحسم موقف أو نزاع غير مسلح ترى مع استمرار وجوده خطرا يهدد مصالحها ولم تصل الى حله بالوسائل السلمية(٥) .

ويترتب على هذا التحريم عدم مشروعية أي مزايا ، أو مكاسب اقليمية ، تدعيها الدولة المحتلة باسم مشروعية الحرب ، أو حق الفتح والضم ، بارادتها المنفردة ، وبدون الاتفاق على ذلك بينها وبين الدولة المحتلة أراضيها . وعلى هذا الاساس يجري تحديد الطبيعة القانونية للاحتلال بأنه **وضع طارىء مؤقت يستند الى مجــرد القوة المادية المسلحة وينتهي بانتهاء الحرب ، اما بعودة الاقليم المحتل الى سلطان الدولة المحتلة أراضيها ، أو بتحديد مستقبله بموجب اتفاق يجري بينها وبين الدولة المحتلة أراضيها ، وتبقى السيادة على الاقليم المحتل للدولة الام طوال فترة الاحتلال** ، ذلك انه ليس من الطبيعة القانونية للاحتلال نزع سيادة الدولة الام عن الاقليم المحتل ، اذ تبقى لهـــا السيادة القانونية عليه وان كانت هذه الدولة غير قادرة عمليا على ممارسة صلاحيات سيادتها عليه بفعل الاحتلال ، وعلى هذا فالتكييف القانوني لسلطة الاحتلال يتم على انها **قوة أو سلطة فعلية مؤقتة** ليس لها حق السيادة على الاقليم المحتل . وعلى ضوء هذا التحديد القانوني لطبيعة الاحتلال يجري تحديد العلاقة بين دولة الاحتلال وسكان الاقليم المحتل .

ثانيا : العلاقة بين دولة الاحتلال وسكان الاقليم المحتل ــ ولاء السكان تحت الاحتلال للوطن الأم :

ما دامت السيادة على الاقليم المحتل تبقى للدولـــة الأم ، فان الاحتلال يرتكز على السلطة الفعلية المؤقتة المستندة الى القوة المادية ، وينجم عن هذا الوضع الاستثنائي الشاذ ازدواجية في السلطة ، يكون سكان الاقليم المحتل بمقتضاها مطالبين عنوة من قبل سلطات الاحتلال بالطاعة لها ، والانصياع لاوامرها في حين انهم ما زالوا مرتبطين من الناحية القانونية برابطة الولاء والطاعة لدولتهم الأم .

فالاحتلال الحربي للاقليم لا ينزع الطابع القومي للاقليم المحتل ، ولا يؤثر على رابطة ولاء سكانه واخلاصهم للدولة الأم . ولقد اكدت اتفاقيات جنيف هذه الحقيقة اذ نصت المادة (٦٧) من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ بشأن حماية المدنيين في وقت الحرب (بمناسبة قيام المحاكم العسكرية التي تشكلها سلطات الاحتلال عادة بمحاكمة أحد أبناء الاقليم المحتل) على انه « ... **يجب أن تضع محل الاعتبار أن المتهم ليس مـــن رعايا دولة الاحتلال** .. » ومما يفهم ضمنا من هذا النص انه أخذ بموضوعة عدم ولاء مواطني

الاقليم المحتل الى دولة الاحتلال واستمرار علاقة الولاء هذه قائمة بينهم وبين دولتهم الأم . كما نصت المادة (٣/٦٨) ، والمادة (١١٨) من نفس الاتفاقية المذكورة والمادتان (٨٧) ، و (١٠٠) ، من اتفاقية جنيف الثالثة المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب على انه **« لا يجوز اصدار حكم بالاعدام ضد شخص محمي الا بعد توجيه نظر المحكمة ، بصفة خاصة ، الى أن المتهم ليس من رعايا دولة الاحتلال ، وغير ملزم بواجب الولاء نحوها »** وكذلك نص المادة (١٠٥) من اتفاقية جنيف الرابعة اذ نصت ، « على الدول الحاجزة أن تخطر بمجرد اعتقال اشخاص محميين الدولة التي يدينون لها بالولاء ودولتهم الحامية عن الاجراءات التي تتخذ لتنفيذ الاحكام الواردة بهذا الفصل ، وعلى الدولة الحاجزة أيضا أن تخطر الاطراف المختصة بكل تعديلات تستجد لهذه الاجراءات » . ومما يفهم من هذه النصوص **ان اتفاقيات جنيف جميعها لسنة ١٩٤٩ لا تلزم سكان الاقليم المحتل بواجب الولاء لدولة الاحتلال وتبقي على هذا الولاء للدولة الأم .**

وعلى هذا لا يمكن تصور صيرورة سكان الاقليم المحتل أعداء لابناء وطنهم الأم لمجرد وقوعهم في قبضة الاحتلال . ولقد أكد هذا المعنى أيضا الحكم الصادر عن محكمة الغنائم بتاريخ ٢ ابريل عام ١٨٥٧ حيث جاء فيه « ... ليس من المعقول انه مهما طال زمن هذا الاحتلال أن تصبح مولدافيا جزءا من روسيا ، وأن يصير أهلها أعداء للذين يحاربون روسيا ، اذ أن أقصى ما قد يصل اليه الامر في الاحتلال هو الايقاف المؤقت لسيادة الباب العالي ، وافتراض مؤقت للسلطة الروسية الا أن طابع الاقليم الوطني يبقى على الحالة التي كان عليها دونما تغيير ، أو تبديل . وأية محاولة من جانب روسيا يغاير هذا المبدأ مقابل بالرفض ... »(٦).

ولما كان مجرد الاحتلال لا يعطي الدولة المحتلة حق اجراء أي تغيير أو تعديل في المركز القانوني للاقليم المحتل بضمه اليها ، أو بادعائها حق السيادة عليه ، كما انه لا ينزع الطابع القومي للاقليم المحتل ولا يؤثر على ولاء سكانه للدولة الام ، فانه يمتنع على سلطات الاحتلال أن تقوم ، بصفة عامة ، **باجراء تغيير أو تعديل في التشريحات والقوانين والقضاء وتظل الهيئات القضائية في الاقليم المحتل على ما كانت عليه قبل الاحتلال وتستمر في اصدار أحكامها باسم رئيس الدولة الام كما لو لم يكن هناك احتلال** ، ولا يحق لسلطات الاحتلال الزام الهيئات القضائية في الاقليم المحتل على اصدار أحكامها باسم رئيس دولتها ، كما يمتنع عليها تغيير القضاة والموظفين العموميين ، أو توقيع العقوبات عليهم ، كما يمتنع عليها كذلك نقل المحاكم من الاقليم المحتل الى اراضي دولة الاحتلال ، كما ويتوجب على سلطات الاحتلال فوق ذلك احترام حياة سكان الاقليم المحتل وشرفهم، وممتلكاتهم ، ومعتقداتهم ، وأن تكفل لهم مباشرة عبادتهم ، ويحظر عليها أن تكلفهم بحلف يمين الولاء لها ، أو أن ترغمهم على الادلاء بما لديهم من معلومات عن جيش دولتهم الام ، ويتعين على سلطات الاحتلال كذلك أن تمتنع عن مطالبة سكان الاقليم المحتل تقديم الخدمات الا ما يكفي لحاجة جيشها شرط أن لا تؤدي هذه الخدمات الى الزام سكان الاقليم المحتل في الاشتراك في الاعمال الحربية ضد دولتهم الام . وعلى سلطات الاحتلال كذلك أن تراعي احترام الملكية الخاصة وتمتنع عن النهب ، وأخذ الرهائن ، **والمصادرة العامة للاموال والممتلكات ونقل السكان الالزامي أو تهجيرهم الى مناطق غير تلك التي كانوا فيها قبل الاحتلال.أو اخضاعهم لعمليات التعذيب، وحظر مزاولة النشاط الفكري.** المواد (من ٢٧ الى ٣٤) والمواد (٤٧ الى ٧٨) من اتفاقية جينيف بشأن حماية المدنيين في وقت الحرب والمادة (٤٨) ، والمواد من (٤٩ الى ٥٨) من لائحة لاهاي . وجميع هذه الواجبات الملقاة على عاتق سلطات الاحتلال بموجب الاتفاقيات المذكورة شرعت اساسا لتنظيم علاقة سلطات الاحتلال بسكان الاقليم المحتل ، والتي تقوم فقط على أساس الاخضاع للسلطة الفعلية المؤسسة على القوة والقهر . وما دام الامر كذلك ،

فانه لا يمكن والحالة هذه تصور أساس قانوني نظري تستند اليه سلطات الاحتلال في مطالبتها لسكان الاقليم المحتل بالطاعة ، هذا من جهة. ومن جهة أخرى ليس في اتفاقيات جنيف ما يمنع سكان المناطق المحتلة من الثورة على سلطات الاحتلال عند اخلال الاخيرة بالالتزامات المفروضة عليها بموجب هــذه الاتفاقيات . وهنا لا بد مــن الاشارة الى المخالفات الصريحة التي ارتكبتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي اخلالا بما تفرضه القواعد العامة في القانون الدولي بشأن الضم الفعلي لمدينة القدس ، بارادتها المنفردة ، وبدون الاتفاق بشأنها مع الاطراف المعنية ، ومخالفاتها المتكــررة للواجبات المفروضة عليها بموجب اتفاقية جنيف بشأن حماية المدنيين في الاراضي المحتلة وعلى الأخص الواجبات التي تفرضها المواد (٢) ، (٢٧) ، (٣٢) ، (٤٧) و (٤٩) ، وتتمثل هذه المخالفات على سبيل المثــال في مصادرة حريات المدنيين وتعذيبهــم ومصادرة أموالهم وتدمير ممتلكاتهم الخاصة وتهجير السكان ، وتغيير أنظمتهم القانونية ، والحد من حرياتهم في مزاولة شعائرهم الدينية(٧)، كي تتضح حقيقة تردي الاوضاع التي يحياها سكان المناطق المحتلة ، ونظرا لعدم قدرة المنظمة الدولية على فرض قراراتها على اسرائيل وايقاف خرقها للواجبات الملقاة على عاتقها بموجب اتفاقيات جنيف/لاهاي المذكورة ، فلا يبقى والحالة هذه اذن الا قيام سكان هذه المناطق بالتصدي لسلطات الاحتلال للدفاع عن حقوقهم المقررة لهم بالاتفاقيات المذكورة وذلك عن طريق الثورة والمقاومة المسلحة .

سكان المناطق المحتلة وحقهم بالثورة والمقاومة :

السؤال الآن هو مدى حق سكان المناطق المحتلة بالثورة على سلطات الاحتلال في الحالات التي تلتزم فيها هذه السلطات بحدود الواجبات الملقاة علــى عاتقها بموجب اتفاقيات جنيف/لاهاي ؟ . لا يختلف الجواب في هذه الحالة عن الحالة السابقة القاضي بتقرير حق سكان المناطق المحتلة بالثورة على سلطات الاحتلال ، ذلك ان **هذا الحق مستمد أساسا من طبيعة العلاقة بين سلطات الاحتلال وسكان المناطق المحتلة التي سبق لنا تحديدها على أساس استمرار علاقة الولاء والتبعية للوطن الام وعدم الالتزام بالطاعة والولاء لدولة الاحتلال وكذلك على أساس التكييف القانوني للاحتلال بأنه سلطة فعلية مؤقتة تستند الى واقع القوة المادية وعلى أساس من قاعدة تحريم ضم الاراضي بالارادة المنفردة .** ويضاف لذلك كله حق سكان المناطق المحتلة في الدفاع عن أنفسهم في سبيل المحافظة على أمنهم ، وكيانهم ، وحقهم في تقرير مصيرهم ، وفقا لما تقضي به أحكام المادة (١ / ٢) من الميثاق التي تنص على « انماء العلاقات الودية بين الامم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل فرد منها تقرير مصيرها ... » وطبقا لما تقضي به المادة (١ / ٤) من نفس الميثاق المذكور التي تنص على « ... امتناع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الاراضي أو الاستقلال السياسي لاية دولة أو على اي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الامم المتحدة ... »

وهكذا نجد أنه من حق سكان المناطق المحتلة لا بل من واجبهم الثورة على سلطات الاحتلال وحمل السلاح للدفاع عن ما تقرره لهم المواثيق الدولية مــن حقوق ، فسلطة الاحتلال التي تقوم على أساس القوة المسلحة ، لا القانون ، لا يمكن أن تقاوم الا بالقوة المسلحة .

المقاومة المسلحة المنظمة :

لقد توصلنا الى اظهار مدى ما يتمتع به سكان المناطق المحتلة من حق في الثورة على سلطات الاحتلال ومقاومته بقوة السلاح ولكن الامر لا ينتهي عند هذا الحد اذ سرعان مــا يعمد سكان المناطق المحتلة الى **تنظيم اعمــال المقاومة المسلحة بصورة منظمة**

من خلال منظمات سياسية عسكرية للمقاومة يكون لها، أو لكل منها ، اجهزتها السياسية والعسكرية التي تتبع أساليب العمل السري في مقاومة الاحتلال ، وهنا يثور لدينا سؤال آخر عن مدى مشروعية هذه المنظمات ، ومقاومتها لسلطات الاحتلال وعما اذا كان يجب تطبيق قانون الحرب والقواعد الانسانية المقررة في الاتفاقيات الدولية على افراد قوات هذه المنظمات . ومبعث هذا التساؤل هو ما تتسم به أعمال منظمات المقاومة من سرية في التنظيم ، والحركة ، وأساليب القتال التي تعتمد أساسا على طريقة «اضرب واهرب» «Hit and Run» . **وقد اتجه غالبية الفقه الحديث الى اعتبار الاشتباكات التي تقوم بها قوات منظمات المقاومة السرية مشروعة ، ورتب على ذلك وجوب تطبيق قوانين الحرب والقواعد المقررة في الاتفاقيات الدولية لضمان الحد الادنى من الحماية الانسانية لافراد هذه المنظمات ، ولقد ذهب فريق آخر من الفقه الى المطالبة بتطبيق قوانين الحرب وقواعد الحماية الانسانية المقررة في اتفاقيات جنيف على أفراد منظمات المقاومة على أساس مشروعية حربهم ضد الاحتلال وحرمان أفراد قوات الاحتلال النظامية من هذه الحماية تأسيسا على عدم مشروعية وجود هذه القوات في الاقليم المحتل نتيجة اجتياحها للاقليم بحرب غير مشروعة**(٨)، ورتبوا على ذلك حرية سكان الاقليم المحتل في الدفاع عن انفسهم وبلادهم ضد قوات الاحتلال بشتى الوسائل الممكنة مع وجوب استمرار هذه القوات بتطبيق الاتفاقيات الدولية في معاملتها لافراد منظمات المقاومة(٩). ولقد جاء في حكم للمحكمة البولندية العليا في قضية (Greiser) « **ان الاعمال التي يعتبرها القانون الدولي مشروعة ، لا يمكن للمحاكم البولندية ان تصدر أحكاما بعقاب مرتكبيها كما أن حرب العدوان لا يمكن تبريرها في ضوء القانون الدولي كما تعتبر أعمال سلطات الاحتلال غير قانونية ، ما دام الاحتلال الناشيء عن حرب قامت خلافا للقانون الدولي هو غير مشروع** »(١٠). كما جاء في حكم آخر لمحكمة لاهاي الخاصة بتاريخ ٤٨/٥/٤ « . . . فليس هناك اذن التزام قانوني أو أدبي يقع على كاهل الاهالي في الاراضي المحتلة تجاه دولة الاحتلال وقواتها **حتى لتصبح** المقاومة السرية ضد العدو في الاقليم المحتل شكلا مشروعا من أشكال الحروب . . . »(١١).

ومن هذا يتضح لنا بجلاء ما جرى عليه العمل في الفقه والقضاء الدوليين بشأن شرعية أعمال المقاومة التي تنظمها منظمات المقاومة ضد الاحتلال .

المقاومة السرية والمقاومة النظامية :

لقد جاءت اتفاقية لاهاي الرابعة بشأن الحرب البرية لسنة ١٩٠٧ واتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩ لتؤكد في النهاية ما جرى ويجري عليه العمل بهذا الشأن في المجال الدولي. فقد نصت المادة (١) **من ملحق اتفاقية لاهاي المذكورة على ما يلي : « تطبق قوانين وحقوق وواجبات الحرب لا بالنسبة للجيوش فحسب وانما كذلك بالنسبة للميليشيا والوحدات المتطوعة التي تتوافر فيها الشروط التالية :**

١ ــ أن تكون تحت قيادة شخص مسؤول عن مرؤوسيه .
٢ ــ أن تكون لها علامة مميزة معينة يمكن تمييزها عن بعد .
٣ ــ أن تحمل السلاح بشكل ظاهر .
٤ ــ أن تقوم بعملياتها طبقا لقوانين وأعراف الحرب .

ونصت المادة (٤/أ ٢) من اتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب والمادة (١٣/أ ٢) في كل من اتفاقيتي جنيف الاولى بشأن (تحسين حالة الجرحى والمرضى من القوات المسلحة) والثانية (بشأن تحسين حالة الجرحى والمرضى والمصابين من أفراد

القوات البحرية) نصت هذه المواد على مـــا يلي : « **أفراد الميليشيا الاخرى وأفراد الوحدات المتطوعة الاخرى بما في ذلك الذين يقومون بحركات مقاومة نظامية ويتبعون احد اطراف النزاع ويعملون داخل أو خارج أراضيها . حتى ولو كانت هــذه الاراضي محتلة بشرط أن تتوفر في هذه الميليشيا أو الوحدات المتطوعة بما فيهــا تلك المقاومة المنظمة الشروط التالية :**

١ ــ أن تكون تحت امرة شخص مسؤول عن مرؤوسيه .

٢ ــ أن تكون لها علامة مميزة معينة يمكن تمييزها عن بعد .

٣ ــ أن تحمل أسلحتها بصورة ظاهرة .

٤ ــ أن تقوم بعملياتها طبقا لقوانين وأعراف الحرب .

من خلال عرض هذه النصوص يتضح أنها تتضمن شروطا حاولت الدول الاستعمارية الكبرى تفسيرها على انها حاجز يحول دون انطباق هذه النصوص على أفراد تنظيمات المقاومة السرية باعتبارها تعتمد أساليب العمل السري ، ولذا لا تعتبر حركات مقاومة نظامية «Organised Resistance Movements» وبالتالي تحول دون تمتع افرادها بالحقوق الدولية التي تسبغها اتفاقيات جنيف ولاهاي على المحاربين.والحقيقة هي بخلاف ذلك، فمن خلالمقارنة هذه النصوص ببعضها البعض يتضح ان ما نصت عليه اتفاقيات جنيف بهذا الشأن قد جرى اقتباسه تقريبا من نص المادة (١) من ملحق اتفاقية لاهاي الرابعة لعام ١٩٠٧.الا ان هذه الاتفاقية كانت قد وضعت في وقت لم تكن فيه ظاهرة المقاومة السرية طويلة الامد قد انتشرت بعد ، كما انها وضعت في وقت سابق على توقيع عهد عصبة الامم المتحدة وميثاق الامم المتحدة الذي نص على حق الشعوب في تقرير مصيرها، وحظر جميع أنواع الحروب الا في حالة الدفاع الشرعي عن النفس ، وفي زمن كان طابع الحرب التقليدية هو الطابع الغالب حيث كانت الحرب تعتمد أساسا على الصدام المسلح التقليدي بين الجيوش النظامية، ولم تكن فيه ظاهرة حروب التحرير الشعبية قد انتشرت في العالم . ولما كان هذا حال الزمن الذي وضعت فيه نصوص اتفاقية لاهاي المذكورة ، ونظرا لتطور مفهوم نظرية الحرب ذاتها بحيث أصبح يشمل حروب الثورات الوطنية ، والمقاومة ، ويعترف بها كحروب تستوجب توفير الحماية الدولية لقوات المتحاربين فيها ، ومتى كان واقع الحال يشير دائما الى تفوق قوات الاحتلال والجيوش النظامية عامة على قوات منظمات المقاومة في حالة الصدام المباشر وفقا لاساليب المواجهة العسكرية التقليدية بسبب ما تتمتع به الجيوش النظامية من تفوق عسكري ساحق علــى قوات المقاومة يمكنها دائما من ضرب المقاومة ، والقضاء عليها ، ونظرا لحق سكان المناطق المحتلة في الدفاع عن أنفسهم ضد قوات الغزو والاحتلال التي تشن حربا غير مشروعة ، فانه يكون لهؤلاء السكان كامل الحق في اللجوء الى أساليب المقاومة السرية التي تمكنهم من أن يقفوا في وجه العدو ، وما يملكه من امكانيات عسكــرية ضخمة في مقابل مـــا يمتلكونه من امكانيات متواضعة . وليست عبارة السيد بول هنري سباك وزير خارجية بلجيكا في حكومة المنفى « طالما ان الحرب قائمة بين بلجيكا والمانيا فعلى كل بلجيكي ان يستنتج النتائج التي تتطلبها قيام هذه الحالة » ، الا تأكيــدا لهذا المعنى وعلى هــذا نستطيع القول بأنه نتيجة للتطورات التي حدثت بعد توقيع اتفاقية لاهاي لم يعد بالامكان التفرقة بين نوعين من المقاومة احداهما مقاومة نظامية والاخرى سرية من حيث صلاحية تطبيق احكام اتفاقيات جنيف عليها . ذلك ان كلا النوعين من المقاومة النظامية والسرية يشتركان معا في ذات الحركة والعلة التي من أجلهما نصت اتفاقيات جنيف المذكورة على وجوب تطبيق هذا الاتفاقيات على المقاومة النظامية ، اذ ان علة تطبيق احكام اتفاقيات جنيف على المقاومة تكمن في الهدف من ورائها ، وهو مقاومة الغزو والاحتلال ، كما ان

الحكمة التي من اجلها اقتضت اتفاقيات جنيف تطبيق نصوصها على المقاومة النظامية ، هي توفير الحد الادنى من الحماية الانسانية لأفراد المقاومة النظامية ، وللتخفيف ما أمكن من ويلات الحرب ، وكل من هذه العلة والحكمة موجودتان في المقاومة السرية بنفس مقدار ما توجد به في المقاومة النظامية .

وما دام الامر كذلك فان محاولة استثناء المقاومة السرية من نطاق اتفاقيات جنيف المشار اليها يصبح متعارضا مع الاعتراف بالمركز القانوني لحركات المقاومة من حيث المبدأ لعدم وجود ما يبرر التفرقة بين المقاومة السرية والمقاومة النظامية ، الامر الذي لا يمكن التسليم به نظرا لاعتراف المواد (٤/أ ٢) و (١٣/أ ٢) المذكورة في اتفاقيات جنيف المشار اليها بالمركز القانوني للمقاومة .

وحين نصت المواد (٤/أ ٢) و (١٣ / أ ٢) المذكورة على انطباق احكام هذه الاتفاقيات على المقاومة النظامية «Organised Resistance Movements» لم تضع معيارا دقيقا لتحديد معنى النظامية المقصودة من هذا النص ، وبالتالي لم تستثن صراحة المقاومة السرية من نطاق تطبيق هذه المواد ، وعليه يمكن القول بأن سرية المقاومة لا يتعارض مع نظاميتها ما دام ان لهذه المقاومة قواتها وتنظيمها المسلح واساليبها الخاضعة للقواعد العسكرية التي تتلائم مع طبيعتها السرية . ومما يؤكد القول بانتفاء التفرقة بين ما يسمى بالمقاومة النظامية ، والمقاومة السرية ، ان نعيد للاذهان فشل المحاولات التي قامت بها الدول الاستعمارية الكبرى في مؤتمر جنيف الدبلوماسي (الذي انعقد عام ١٩٤٩ لوضع اتفاقيات جنيف) لتكريس مبدأ التفرقة بين المقاومة النظامية والمقاومة السرية لجهة تطبيق احكام اتفاقيات جنيف على الاولى دون الثانية ، ففي ذلك المؤتمر سقط اقتراح تلك الدول القاضي باشتراط سيطرة قوات المقاومة على اراضي محددة ، وبالتالي ارتفاع قوات المقاومة في تكتيكاتها واساليبها العسكرية الى الجيوش النظامية ، كشرط لازم لها لتطبيق احكام اتفاقيات جنيف على افرادها ، كما سقط اقتراح اخر لتلك الدول يقضي بوجوب اعتراف دولة الاحتلال بالمقاومة كقوة فعلية وذلك كشرط اخر لتطبيق احكام اتفاقيات جنيف على افرادها . وعلى هذا الاساس فأننا نرى ان اتفاقيات جنيف حين نصت صراحة على وجوب تطبيق احكامها على افراد المقاومة النظامية انما قصدت كذلك الى تطبيق هذه الاحكام على المقاومة بشكل عام سواء كانت نظامية او سرية ، ذلك حيث ان المواد (٤ أ ٢) و (١٣ / أ ٢) لم تستعمل صراحة عبارة المقاومة السرية الا انها كذلك لم تستثن المقاومة السرية من نطاق تطبيق هذه المواد ، ولعل ورود هذه النصوص على هذا النحو قصد منه التوفيق بين موقف الدول الاستعمارية الكبرى التي ارادت قصر انطباق اتفاقيات جنيف على المقاومة النظامية بمفهومها التقليدي وموقف الدول الصغرى التي رفضت هذا الاتجاه واصرت على تمتع جميع اشكال المقاومة باحكام اتفاقيات جنيف . وعليه يجب فهم الشروط الواردة في نص المواد (٤ / أ ٢) و (١٣ / أ ٢) المذكورة على نحو ينسجم مع طبيعة اساليب المقاومة السرية .

حول المواجهة :(١٢)

ان شرط قيام المقاومة بعملياتها طبقا لقوانين واعراف الحرب لا يعني وجوب اتباع تنظيمات المقاومة للاساليب التقليدية للجيوش النظامية التي تعتمد اساسا على المواجهة ، فالمقاومة حين تعتمد اسلوب اضرب واهرب او حينما تقوم بعملياتها ليلا او في غفلة من قوات الاحتلال او على حين غرة منها والاختفاء فورا ، فانما هي بذلك تطبق القواعد والتكتيكات العسكرية التي تتلائم مع متطلبات عملها وامكانياتها يضاف لذلك ان هذه الاساليب كثيرا ما تلجأ اليها القوات النظامية (وخاصة فرق الكوماندوس)

التي تتوغل في اراضي الاعداء بقصد تحطيم منشآت العدو ومعنوياته ، وبالرغم من ذلك فان تطبيق القوات النظامية لهذه الاساليب لا يحرمها من الحماية المقررة في اتفاقيات جنيف .

وعلى هذا لا يمكن فهم معنى المواجهة بين قوات المقاومة وقوات الاحتلال الا المواجهة حين لحظة بدء الاشتباك او القتال وليس قبل ذلك ، وعليه يجب كذلك فهم شرط حمل الاسلحة بصورة ظاهرة على انه ينصرف فقط عند المواجهة التي حددناها بلحظة بدء القتال ، وليست قبله لان فهم هذا الشرط على غير هذا النحو يعود بنا لتكريس الاساليب التقليدية للحروب التي لم تعد هي وحدها الاساليب السائدة في العالم . وما من شك في ان قوات المقاومة تظهر اسلحتها عند لحظة بدء القتال ، وبالتالي تكون قد وفرت لنفسها هذا الشرط .

المقاومة والعلامة المميزة :

ويجب ان نقف قليلا عند الشرط القاضي بان يكون لقوات المقاومة علامة تميزها عن بعد ، فلقد نصت الفقرة (أ ٦) من المواد (٤) و (١٣) المذكورة في هذه الاتفاقيات على ما يلي : « **سكان الاراضي غير المحتلة الذين يحملون السلاح باختيارهم عند اقتراب العدو لمقاومة القوات الغازية دون ان يكون لديهم الوقت الكافي لتشكيل انفسهم في وحدات نظامية مسلحة شرط ان يحملوا السلاح بشكل واضح وان يحترموا قوانين وتقاليد الحرب** » . ومما يبينه هذا النص ان هذه الفقرات اجازت لسكان المناطق غير المحتلة ان يهبوا للدفاع عن انفسهم ضد قوات الغزو دون ان تشترط عليهم حمل علامات مميزة ، واذا كانت هذه الفقرات قد اشترطت لذلك ان لا تكون قوات الغزو قد سيطرت على الاقليم سيطرة فعلية تامة بحيث انها لم تصبح بعد في وضع يمكنها من فرض الاستقرار في الاقليم المحتل ، ومتى كان قيام المقاومة بعملياتها ضد قوات الاحتلال في المناطق المحتلة من شأنه افقاد السيطرة الفعلية نسبيا لقوات الاحتلال على المناطق المحتلة وبالتالي اضعاف الهدوء والاستقرار النسبيين فيها ، فانه يجوز القول والحالة هذه بقياس حالة المقاومة التي تقوم في المناطق المحتلة على حالة قيام سكان المناطق المهددة بالاحتلال في التصدي المسلح للقوات الزاحفة ، وذلك من حيث استلزام حمل العلامات المميزة لقوات الاحتلال .

واذا كنا نرى بأن التفسير المشار اليه اعلاه لشرط وجوب حمل العلامات المميزة يصبح امرا حيويا بالنسبة لافراد منظمات المقاومة غير التابعين لاجهزتها العسكرية فان هذا الشرط برمته لا يشكل اي عقبة امام العناصر التابعة للاجهزة العسكرية في منظمات المقاومة طالما انها تحمل ما تحمله من العلامات المميزة لها، والمتمثلة بالبستها وشعارات تنظيماتها عند قيامها بعملياتها العسكرية في المناطق المحتلة .

المقاومة تحت قيادة مسؤولة :

واما عن مضمون الشرط الرابع القاضي بوجوب ان يكون افراد المقاومة تحت قيادة شخص مسؤول عن مرؤوسيه ، فحيث ان عمليات المقاومة تتم عادة بواسطة مجموعات لا يقل عدد افرادها عن ثلاثة وعلى رأسهم مسؤول ، وطالما ان هذا الشرط لا يتطلب تواجد جميع عناصر كل مجموعة من هذه المجموعات في نفس رقعة الاشتباك اذ يجوز وبموجب هذا الشرط ان يتوزع عناصر كل مجموعة تشتبك مع قوات الاحتلال على رقاع مختلفة في المكان الواحد للاشتباك بحسب ما تتطلبه مقتضيات العملية الواحدة من هجوم ودفاع وتغطية ، كما ان هذا الشرط لا يتطلب كذلك قيام كل عناصر المجموعة الواحدة في القيام بنفس الافعال والادوار اللازمة للعملية الواحدة المراد تنفيذها ، فانه لا يتعارض مع هذا الشرط قيام هذه المجموعة بتقسيم الادوار بين عناصرها بحيث يقوم

كل عنصر فيها بدوره ولو منفردا طالما ان هذا الدور يشكل جزءا من خطة العملية الواحدة ككل والتي تقوم بتنفيذها عناصر المجموعة الواحدة معا كل حسب دوره .

المقاومة وشرط التابعية :

ومما تجدر ملاحظته كذلك ان المادة (٤ / أ ٢) والمادة (١٣ / أ ٢) من اتفاقيات جنيف المذكورة لم تشترطا ان يكون افراد المقاومة تابعين تبعية قانونية (اي برابطة الجنسية) لنفس البلد المحتلة اراضيه وانما يكفي للقول بتحقق شرط التبعية المقصودة في المواد المشار اليها ان يكون هؤلاء الافراد من المؤيدين لوجهة نظر البلد المحتلة اراضيه والعاملين لصالحه بصرف النظر عن ارتباطهم برابطة الجنسية مع البلد المحتلة اراضيه ، وعلى هذا فشرط تبعية افراد المقاومة المنصوص عليه في المواد المشار اليها يتحقق بمجرد اقدام هؤلاء الافراد على الانضمام لقوات المقاومة حتى ولو لم تتوفر لهم رابطة التبعية القانونية (رابطة الجنسية) للبلد المحتلة اراضيه ، وهكذا يصبح افراد تنظيمات المقاومة من غير الفلسطينيين افرادا عاملين في المقاومة الفلسطينية ، وتابعين لها ، مما يستوجب تطبيق احكام اتفاقيات جنيف عليهم .

خلاصة :

نظرا لما تقدم ليس هنالك اي سند قانوني يستند اليه من يحاول استثناء المقاومة السرية من نطاق احكام المواد (٤ / أ ٢) و (١٣/ أ ٢) المشار اليها .

ولو سلمنا جدلا مع القائلين باستثناء المقاومة السرية من احكام نص المواد المذكورة آنفا الا ان افراد هذه التنظيمات تظل مشمولة على الاقل برعاية اتفاقية جنيف الرابعة (بشأن حماية المدنيين وقت الحرب) التي تهدف الى توفير الحد الادنى من الحماية الانسانية المقررة لسكان المناطق المحتلة . فلقد جاء في صدر المادة (٤) منها (وهي التي تعين الاشخاص الذين تنطبق عليهم احكام هذه الاتفاقية) « الاشخاص المشمولين بهذه الاتفاقية هم الذين يكونون في لحظة معينة وتحت اي ظرف من الظروف ، ويجدون انفسهم عند قيام حرب او احتلال في ايدي احد الاطراف المتحاربة او دولة محتلة هم ليسوا مواطنيها ... » . فهذا النص استوجب تطبيق احكام هذه الاتفاقية على جميع المدنيين في المناطق المحتلة مهما كان الظرف الذي يكون فيه هؤلاء السكان ، واذا سلمنا جدلا بعدم الاعتراف لافراد المقاومة السرية بحقوق المحاربين من افراد المقاومة « النظامية » لجهة عدم تمتعهم باحكام اتفاقيات جنيف الا انهم **يظلون متمتعين على الاقل باحكام اتفاقية جنيف بشأن حماية المدنيين وقت الحرب بوصفهم مدنيين من سكان المناطق المحتلة ، ولا يؤثر على اعتبارهم كذلك قيامهم بالعمليات المسلحة ضد قوات الاحتلال لان صدر المادة المذكورة اطلق انطباق هذه المادة على جميع المدنيين دون استثناء وتحت اي ظرف كان .**

من خلال كل ما تقدم نجد انه لا مفر من انطباق نصوص اتفاقيات جنيف على افراد المقاومة السرية وبالتالي تمتعهم بكامل الحقوق التي تخلعها عليهم هذه الاتفاقيات ، وهذا ما اكده العمل في المحيط الدولي اذ جرى الاعتراف بجماعة الانصار اليوغسلاف بقيادة الماريشال تيتو اثناء الاحتلال النازي ليوغوسلافيا في الحرب العالمية الثانية ، وكذلك فرق المقاومة الفرنسية التي سميت بالقوات الفرنسية في الداخل ، وكذلك ايضا قوات المقاومة الروسية (قوات الانصار) التي اعتبرت جميعها فرق مقاومة وطالبت الدول والهيئات الدولية آنذاك بتطبيق احكام اتفاقيات لاهاي عليها .

الحواشي

١ — من الدول الموقعة عليه : فرنسا ، المانيا ، بلجيكا ، الولايات المتحدة ، بريطانيا ، ايطاليا ، اليابان ، بولونيا ، تشيكوسلوفاكيا ، وقد انضمت اليه فيما بعد غالبية الدول بحيث أصبح ذي صفة عالمية .

٢ — Meten Tamakoc, *International Civil War*. Ankara 1967 pp. 67-87.

٣ — Ford, W.J. «Resistance Movements in Occupied Territory». *Netherlands International Law Review*. October 1956, p. 355.

٤ — كان هذا موقف الدول الاستعمارية الكبرى في مؤتمر جنيف الدبلوماسي الذي انعقد عام ١٩٤٩ لوضع اتفاقيات جنيف .

٥ — يلاحظ ان اسرائيل حاولت التمسك بحق الدفاع الشرعي حينما قامت بهجومها على « الجمهورية العربية المتحدة » عام ١٩٦٧ اذ ادعت اولا انها لم تبدأ باطلاق النار ، وانما كان الجانب المصري هو البادىء في ذلك ، ثم عندما اتضح حقيقة بدئها باطلاق النار حاولت التوسع في تفسير معنى الدفاع الشرعي ، بحيث يشمل حالة التجائها الى الحرب دفاعا عن نفسها ، ضد الموقف الذي وضعت فيه ، نتيجة اغلاق المضائق في وجه الملاحة الاسرائيلية ، مما يشكل خطرا كبيرا يهدد مصالحها ووجودها . وعلى فرض صحة ادعائها بانها خاضت حرب الايام الستة دفاعا عن مصالحها المذكورة فان هذه الحجة لا تخلع صفة الدفاع الشرعي على الحرب التي قامت بها اسرائيل عام ١٩٦٧ لانها لجأت بادىء ذي بدء الى استعمال القوة المسلحة لحل النزاع قبل استنفادها لا بل قبل لجوئها الى الوسائل والطرق السلمية لحله ، وحرب كهذه تعتبر غير مشروعة في نظر الميثاق .

٦ — ES. Roscoe, *Reports of Prize Cases*, 1245-1859. 1905, Vol. II, pp. 584-5950.

٧ — التقرير الصادر عن مركز الابحاث الفلسطينية المرفوع اساسا للجمعية الدولية لحقوق الانسان بعنوان « اسرائيل وحقوق الانسان » للسيد ابراهيم العابد ، بيروت ١٩٦٩ . وقد صدر عن مركز الابحاث ايضا دراسات اخرى حول هذا الموضوع .

٨ — من هؤلاء الفقيه البولندي ساوبكي والفقيه الروسي ترينين .

٩ — كان هذا رأي الادعاء في قضية الرهائن امام المحكمة العسكرية الامريكية الخامسة .

١٠ — **المجلة المصرية للقانون الدولي ١٩٦٩** .

١١ — **المرجع نفسه** .

١٢ — يضم شرط المواجهة الشرطين (٣ ، ٤) حمل السلاح بشكل ظاهر والقيام بالعمليات طبقا لقوانين الحرب .

اضرار واخطار اسرائيل على اقتصاد لبنان

بطرس لبكي

تهدف هذه الدراسة الى تبين الآثار الاقتصادية الناجمة عن قيام اسرائيل وما نتج عن هذا القيام من نزوح جماعي ومقاطعة اقتصادية عربية منذ عام ١٩٤٨ على الاقتصاد اللبناني .

لقد سعت اسرائيل ولا تزال تسعى الى خرق هذه المقاطعة . وقد نجحت الى حد ما في ذلك بعد عام ١٩٦٧ . ولاسرائيل مشاريع اقتصادية ايضا تسعى من خلالها الى السيطرة على المنطقة والى استعمارها اقتصاديا بعد أن تكون استعمرت قسما منها اسكانيا . وقد أخذت تلك المشاريع الاقتصادية طريقها الى حيـز التنفيذ في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ وبدأت تضر أيضا ببعض قطاعات الاقتصاد اللبناني . ومن المتوقع في حال سقوط المقاطعة الاقتصادية العربية ان تجتاح اسرائيل قطاعـات واسعة مـن الاقتصاد اللبناني وتسيطر على البعض الآخر . مرادنا في هذا البحث القاء أضواء سريعة على هذه الحقائق من أجل ايضاح هذا الجانب من الصراع مع العدو للمواطن اللبناني خاصة وللمواطن العربي عامة .

تأثير قيام اسرائيل على الاقتصاد اللبناني بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧

ان قيام دولة اسرائيل على أرض فلسطين العربية قد تسبب بنزوح قسم من شعب فلسطين العربي الى لبنان ونزوح رساميل فلسطينية ومقاطعة اقتصادية عربية للكيان الصهيوني . ويشير الى ذلك الدكتوران يوسف صايغ ومحمد عطاالله في كتابهما « نظرة ثانية في الاقتصاد اللبناني »(١) . ويمكننا تلخيص هذه الافادة بالنقاط التالية :

أولا : لقد انتقلت تجارة الترانزيت ما بين الغرب من جهة والاردن والعراق من جهة أخرى من الموانىء الفلسطينية وميناء حيفا أساسا(٢) (الذي كان منافسا موفقا لمينائي بيروت وطرابلس) الى ميناء بيروت وذلك خلال سنوات عديدة ، حتى انشاء الاردن ميناء العقبة . لكن نشاط هذا الميناء خف بعد حرب ١٩٦٧ بسبب اغلاق قناة السويس وعاد قسم لا بأس به من التجارة الخارجية الاردنية يمر عبر ميناء بيروت .

كما ان تصدير النفط العراقي عبر الانبوب الذي كان يربط حقول شمال العراق بحيفا قد توقف عام ١٩٤٨ وكانت طاقته السنوية عام ١٩٤٨ قد بلغت ٩ ملايين طن(٣) . وقد مدت بعد ذلك أنابيب أخرى من آبار شمالي العراق الى مرفأ طرابلس اللبناني أساسا . ولولا المقاطعة العربية لاسرائيل لكان أنبوب التابلين الذي يربط حقول رأس تنورة النفطية في السعودية بمرفأ صيدا اللبناني قد صمـم ليصب على الشاطـىء الفلسطيني ، اذ ان المسافة بين الحقول السعودية وهذا الشاطىء أقصر من المسافة بينها وبين صيدا(٤) .

وعلينا ان نلاحظ أيضا انه من الاوفـر للاردن أن يصدر فوسفاته عبـر الموانىء الفلسطينية بدل أن يصدر قسما منه عبر بيروت .

هكذا فلولا مقاطعة العرب لاسرائيل لكـــان لبنان خسر مداخيـــل مهمة في حقلـــي الترانزيت وعائدات مرور وتكرير النفط .

وفي هذا المجال لا بد أن نذكر ان مصفاة حيفا قبل ١٩٤٨ كانت تؤمن نصف صادرات فلسطين للبلدان العربية التي كانت تتألف من مشتقات النفط المكرر فيها(٥) وقد حلت مشتقات النفط المنتجة في مصافي طرابلس وصيدا محل هذه الصادرات الفلسطينيـــة لبعض الاسواق العربية .

ثانيا : لقد استفاد تجار ومزارعو وموضبو وناقلو الحمضيات اللبنانية جزئيا مـــن المقاطعة العربية لاسرائيـــل اذ حلت الحمضيات اللبنانية جزئيا محـــل الحمضيات الفلسطينية في الاسواق العربية . ومن المؤكد ان قطاع الحمضيات اللبنانية الذي يوجه انتاجه أساسا للتصدير الى الاسواق العربية ما كان ليتمكن من ان ينمو كما نما لولا محاصرة منافسه الاساسي والاقوى في المنطقة من خلال فرض طوق المقاطعة العربية . والامر شبيه بالنسبة للكثير من المصنوعات الفلسطينية التي كانت تبـــاع في الاقطار العربية والتي حلت محلها الى حد ما المنتوجات اللبنانية . ويمكننـــا التأكيد انه لولا المقاطعة العربية لما تمكنت الصناعة اللبنانية من أن تنمو في سوقها الداخلي وتصدر الى البلدان العربية بالحجم المحقق حاليا اذ أن منافسة الصناعة الاسرائيلية لم تكن لتسمح لها بذلك(٦) .

ثالثا : لولا المقاطعة العربية لاسرائيل لما نمت نشاطات اعـــادة التصدير والنقـــل والنشاطات المصرفية والسياحية والتربوية والطبية والفنية التي تشكل العامود الفقري لقطاع الخدمات المهيمن على الاقتصاد اللبناني والتي « تصدر » الى الاقطار العربية . اذ أن المؤسسات الاسرائيلية من شركات نقل ومؤسسات مالية وسياحية وتجارية هي أكثر تطورا من المؤسسات اللبنانية المماثلة كما تتمتع بدعم الرأسمال الصهيوني خاصة والغربي عامة . لذلك فهي بلا شك أكثر قدرة من المؤسسات اللبنانية المماثلة في هذه الحقول ولولا المقاطعة لكانت اسرائيل قد انتزعت من الاقتصاد اللبناني قسما كبيرا من دوره الوسيط بين المشرق العربي والدول الغربية : هذا الوسيط الذي يجمع الرساميل من بعض الاقطار العربية وينقلها الى الغرب لقاء عمولة ، ويروج المصنوعات الغربية في العديد من البلدان العربية . كما ان قسما من المواد الخام العربية تصدر عبره الى البلدان الصناعية (البترول السعودي والعراقي ، الفوسفات الاردني الخ ...) .

اما بالنسبة للسياحة العربية فمن المعروف ان اسرائيل تتمتع بتجهيزات سياحية ضخمة تتمكن في حال سقوط المقاطعة من جذب عدد لا بأس به من السياح والمصطافين العرب من الذين يفدون عادة الى لبنان . ومن المعلوم ان عددا لا بأس به من السياح والمصطافين العرب كان يؤم ربوع فلسطين قبل ١٩٤٨ ثم تحول الى حد كبير نحو لبنان .

وفي الحقل التربوي من المعلوم ان الوفا من طلاب المدارس الثانوية كانوا ينهلون العلم في مدارس فلسطين جاءوا بعد النكبة الاولى يفيدون من مؤسسات التعليم في لبنان التي اتسعت كثيرا تبعا لذلك . والامر مشابه بالنسبة للخدمات السياحية(٧) . فقد حولت المقاطعة القسم الاكبر من العرب الوافدين الـــى فلسطين بداعي التطبيب والاستشفاء الى لبنان ، ولولاها لكان الجهاز الطبي والاستشفائي الاسرائيلي استوعب نسبة كبيرة من العرب الوافدين الآن الى لبنان للتطبيب والاستشفاء . ويمكننا ذكر نفس الظاهرة بالنسبة للخدمات الفنية التي يصدرها لبنان الى بلدان النفط ، اذ أن اسرائيل تستحوذ على نسبة من الفنيين اكبر مما يستحوذه لبنان ولها مؤسسة فنية ضخمة معدة للعمل في الخارج(٨) .

لذلك فمن المؤكد ان المقاطعة العربية لاسرائيل قد سهلت لمختلف قطاعات الاقتصاد

اللبناني عملية النمو ولعب دور وسيط بين المنطقة العربية المشرقية والغرب. هذا الدور الذي كانت اسرائيل قد انتزعته منه بكل سهولة لولا المقاطعة .

وقد بدأ التخلخل الحالي للمقاطعة العربية لاسرائيل ينعكس سلبيا على بعض فروع الاقتصاد اللبناني بسبب بدايات تسلل اسرائيل الى الاسواق العربية .

رابعا : واخيرا علينا ان نذكر ان نزوح قسم من عرب فلسطين الى لبنان قد ترجم عمليا بأن دخلت البلد قوى عاملة رخيصة الاجور ومهارات اقتصادية وفنية ورساميل جديدة ، اذ أن النازحين الى لبنان كانوا أكثر النازحين الفلسطينيين تملكا للكفاءات العلمية والفنية والرساميل التي استطاعوا ان يجلبوها معهم(٩) : فقد اقيمت أكثرية بساتين الحمضيات والموز والخضار في الجنوب الساحلي على يد العمال الزراعيين الفلسطينيين العاملين بأجور متدنية بسبب بؤس مستوى معيشتهم والبطالة المتفشية في مخيماتهم ومناطق الجنوب المحيطة بها . كما ان القوى العاملة الفلسطينية تلعب دورا مهما في الزراعة الحديثة في مناطق بعلبك والمنية وعكار وساحل بيروت الجنوبي المحيطة بالمخيمات . كما ان العمال الفلسطينيين يساهمون بقسط مهم في القوى العاملة في قطاع البناء وفي الكثير من الاعمال المضنية التي يفضل اللبناني الامتناع عن القيام بها ، وذلك بأجور منخفضة .

ومن جهة أخرى فقد جاءالى لبنان عدد مهم من الفلسطينيين المتمتعين برساميل وكفاءات في قطاع الخدمات (كمعرفة اللغة الانكليزية والتقنيات التجارية والمصرفية الحديثة المكتسبة على ايدي المؤسسات الاقتصادية البريطانية في فلسطين التي كانت أكثر تقدما من مثيلاتها الفرنسية عندنا) . وقد ساهم هؤلاء الفلسطينيون في قطاع الخدمات بشكل خاص والدليل على ذلك النسبة المرتفعة في الفلسطينيين في بعض النشاطات : شركات النقل الجوي في مطلع الخمسينات ، المصارف (انترا وما تفرع عنه ، البنك العربي الخ ...) ، تجارة المواد الغذائية ، صادرات الفاكهة الخ ...

ومن المفيد هنا ذكر آراء بعض المصادر الاقتصادية اللبنانية والاسرائيلية حول هذا الموضوع :

كتب الدكتور مروان اسكندر (المسؤول الحالي عن ملحق « النهار » الاقتصادي) عام ١٩٦٠ قائلا(١٠): « ... نستنتج من ذلك ان للمقاطعة نتائج مضرة باقتصاد اسرائيل وباقتصاد بعض البلدان العربية، لكن الاضرار التي يتكبدها الاقتصاد الاسرائيلي تفوق بكثير الاضرار التي تتكبدها البلدان العربية حيث كان للمقاطعة نتائج ايجابية على بعضها وبشكل خاص على لبنان » .

كما ان نشرة لوزارة الاعلام اللبنانية تقول : « ان المقاطعة العربية لاسرائيل مفيدة للبنان اذ تحرم اقتصاد اسرائيل من مزاحمة اقتصاد لبنان في لبنان وفي البلدان العربية »(١١).

هذا هو ايضا رأي الاقتصادي الاسرائيلي « ميكايل شفر » وهو خبير لدى وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية واستاذ اقتصاد في جامعة تل أبيب : « ان النزاع العربي الاسرائيلي يكبد خسائر فادحة لاربعة بلدان عربية وهي العراق والاردن وسوريا ومصر بينما يوفر مكاسب اكيدة لاقتصاد بلد واحد وهو لبنان »(١٢).

وعلينا قبل أن ننهي بحثنا عن المكاسب التي جناها الاقتصاد اللبناني من جراء قيام دولة اسرائيل بين ١٩٤٨ و١٩٦٧ ، ان نذكر بأن هناك منطقة من لبنان قد تضررت من قيام اسرائيل ، وهذه المنطقة هي الجنوب اللبناني وبخاصة اقضية صور وبنت جبيل ومرجعيون وحاصبيا . ان هذه المناطق كانت قبل ١٩٤٨ تقيم مبادلات تجارية مع

فلسطين وكان عدد من أبنائها يعمل في فلسطين وكان العديد من ملاكيها يملكون أراض زراعية في فلسطين في سهل الحولة خاصة . وبعد النكبة انقطعت المبادلات ولم يعد العمال يستطيعون العمل في فلسطين ، وسلبت أراض واسعة للجنوبيين ، ثم خضعت المنطقة للنظام العسكري مما حدد تنقلات الاهالي ونشاطهم . وبعد ١٩٦٧ بدأت الاعتداءات الاسرائيلية وبدأ احتلال بعض الاراضي المتاخمة لخط الهدنة والحدود ومنع الاسرائيليون أهالي العديد من القرى من استغلال قسم وافر من اراضيهم . وكان هذا الوضع من بين أسباب تدفق هجرة الجنوبيين ، ابتداء من مطلع الخمسينات ، على ضواحي بيروت حيث يشكلون فئات كادحة اجمالا وعلى المهاجر في بلدان النفط وفي افريقيا .

وفي هذا الصدد من المحتمل جدا أن لا تكون اسرائيل غريبة عن تلكؤ البنك الدولي خلال حوالي عشرين عاما عن تمويل مشروع ري الجنوب من الليطاني لتثبيت أهله فيه ومنعهم من ترك أرضهم .

الان وبعد أن استعرضنا المنافع التي جناها اقتصاد لبنان نتيجة لقيام اسرائيل فلنستعرض ماهية المشاريع الاقتصادية الاسرائيلية في المنطقة وكيف بدأت اسرائيل تنفيذها .

المشاريع الاقتصادية الاسرائيلية في المنطقة

بالنظر لما تلحقه المقاطعة باقتصادها من خسائر ، سعت اسرائيل الى فك هذا الحصار او خرقه بشتى الاساليب ، منها فتح طريق بحري من ايلات الى البحر الاحمر وافريقيا وآسيا الجنوبية والشرقية كنتيجة لعدوان ١٩٥٦ . والى جانب أهدافها الاستعمارية الاستيطانية فان لها أهدافا استعمارية من النوع الكلاسيكي تعلن عنها كأنها مشاريع « للتعاون الاقليمي » او « لعقلنة استغلال موارد المنطقة » أو غيرها من المظاهر البراقة ، وهي تعتبرها ذات أهمية حيوية بالنسبة لها لتحصل على درجة أعلى من الاستغلال والنمو . وقد عبر الاقتصاديان الاسرائيليان « ميكايل شفر » و « شاوول زرحي » عن هذا البرنامج الاستعماري الاقتصادي وقد لخصاه بالنقاط التالية(١٣):

١ ــ استيراد اسرائيل لعدد من المواد الخام العربية المتوفرة بأسعار رخيصة (النفط، القطن ، السكر ، اللحوم ، الحبوب الخ . . .) بالنسبة لاسعار هذه المواد الخام المستوردة حاليا الى اسرائيل او المنتجة فيها .

٢ ــ جلب القوى العاملة العربية الرخيصة الى اسرائيل لان كلفة قوة العمل الاسرائيلية (واليهودية بخاصة) مرتفعة بالنسبة لكلفة قوة العمل العربية. وهذا يعني تشغيل العرب بأجور متدنية في المؤسسات الصهيونية في اسرائيل .

٣ ــ تصدير الرساميل الاسرائيلية الى البلدان العربية ، هذا لان ما يسميه الاقتصاديان الاسرائيليان بـ « انتاجية الرأسمال » هي أكثر ارتفاعا في الاقطار العربية منها في اسرائيل . هذا ، أساسا ، بسبب سعة أسواقها ورخص قوة العمل والمواد الاولية في أقطارنا .

٤ ــ تصدير السلع الصناعية الاسرائيلية الى البلدان العربية .

من الواضح ان هذا البرنامج يهدف الى جعل اسرائيل قطب المنطقة الاقتصادي وجعل الاقطار العربية مستعمرات لاسرائيل : اذ أن المستعمرات والبلدان المتخلفة اجمالا تزود الدول الصناعية المستعمرة بالمواد الخام الرخيصة وبالقوى العاملة الرخيصة (كالعرب المغاربة والاتراك مثلا في اوروبا الغربية ، والمكسيكيين والبورتوريكيين في الولايات

المتحدة) . والدول الصناعية المستعمرة تصدر الرساميل الى مستعمراتها او الدول المتخلفة الواقعة تحت نفوذها لتستغل فيها الموارد الطبيعية والقوى العاملة والاسواق، كما تحول المستعمرات والدول المتخلفة التابعة الى أسواق لسلعها المصنعة .

اذن تعتبر اسرائيل انه من الضروري تكملة استعمارها الاستيطاني باستعمار تقليدي للمنطقة . وهي تسعى الى ذلك بشكل حثيث ، وقد بدأنا نلمس ذلك فعليا في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ونلمس الاضرار التي بدأت تلحقها ببعض قطاعات الاقتصاد اللبناني خاصة .

وقد أوضح ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل هذه المرامي بقوله ان اسرائيل ترغب أن تكون علاقتها بالدول العربية كعلاقة الولايات المتحدة بأميركا اللاتينية(١٤).

بداية تنفيذ الاهداف الاقتصادية الاسرائيلية في المنطقة العربية

أولا : في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ :

١ ــ لقد بلغت صادرات اسرائيل الى الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ما بين ٦٠٠ و ٧٠٠ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٧١(١٥) أي حوالي ربع مجمل صادراتها(١٦). فأصبحت اسرائيل كذلك تؤمن عام ١٩٧٠ ٨٦ ٪ من مستوردات الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧(١٧). فتكون هذه المناطق قد أعطت اسرائيل دفعا ضخما لتوسعها الاقتصادي خاصة وان اسرائيل تلاقي مصاعب جمة في تنمية سريعة لصادراتها(١٨) وهذه الصادرات الى الاراضي المحتلة تتشكل من سلع صناعية بنسبة ٧٥ ٪(١٩). كما تمكنت اسرائيل من خلال سياسة الجسور المفتوحة من ادخال منتوجاتها الصناعية الى الاسواق العربية تحت غطاء انها من مصنوعات الضفة الغربية(٢٠).

٢ ــ كذلك فقد حققت اسرائيل من خلال استثمارها لبترول سيناء ارباحا تقدر بمئة وعشرة ملايين ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٢ فقط(٢١). كذلك تشجع السلطات الاسرائيلية الزراعات المنتجة للمواد الاولية الضرورية للصناعة الاسرائيلية ، كالقطن والشمندر السكري ، وقصب السكر ، والسمسم والتبغ والبندورة واللوز ، وذلك من خلال حوافز متعددة ووسائل قسرية منها التلاعب بالاسعار او تلف البساتين وعقود مع مصانع التعليب الاسرائيلية(٢٢).

كما ان المزارع في الاراضي المحتلة يجبر على شراء الاسمدة والادوية والاعلاف والآلات الزراعية من اسرائيل(٢٣).

٣ ــ بلغ عدد عمال المناطق المحتلة الذين كانوا يعملون عام ١٩٧٢ في اسرائيل ٤٠,٠٠٠ عامل يتمتعون باجازات عمل و ١٠,٠٠٠ يعملون من دون اجازة . وفي مطلع ١٩٧٣ بلغ اجمالي عدد فلسطينيي الاراضي المحتلة الذين يعملون في اسرائيل ٥٣,٠٠٠ عامل : ٥٥٪ منهم يعملون في البناء والاشغال العامة و ٢١ ٪ منهم يعملون في الزراعة(٢٤). أي ان أكثر من ثلاثة أرباع هؤلاء العمال يقومون بأعمال يهرب منها العمال اليهود وخصوصا الغربيون منهم . ذلك ان تدفق المهاجرين غير المهرة من شمال افريقيا وآسيا قد توقف واسرائيل أصبحت بحاجة الى يد عاملة غير ماهرة للقيام بالاعمال المضنية في الزراعة والبناء . وعندما ترددت غولدا مائير عام ١٩٦٩ في السماح بتشغيل ابناء الضفة الغربية في اسرائيل ، كتب اسرائيليان غاضبان الى جريدة « هآرتس » الصهيونية قائلين : « اذا كانت السيدة مائير تشعر بمتعة في رؤية العمال العبريين ينضحون عرقا في أيام الصيف الحارة فهذا شأنها . ولكن لا يمكن ان يصبح هذا هو المقياس الوطني الذي نستعمله لاقناع الجمهور بأنه لا يجب علينا دمج اقتصاد الضفة الغربية ... ان كل أم يهودية تريد أن ترى ابنها ينهي الدراسة الثانوية والجامعية ويصبح كيماويا او مهندسا

او فنيا او على الاقل سنكريا مدربا . من الذي يدرب الشبان الصغار اليوم على المهام البسيطة مثل نقل اوعية الاسمنت او الاسفلت لتعبيد الطرق ؟ لا بد خلال الوقت ان نحتاج الى العمال العرب للبناء والزراعة والصناعة . والمهاجرون الجدد الذين يفدون كل عام يمتلكون حرفا أبعد ما تكون عن تلك المهام البسيطة »(٢٥).

هذا نموذج عن موقف ودوافع اسرائيل بالنسبة لتشغيل عمال الاراضي المحتلة ، مع العلم ان هناك تمييزا عنصريا في الاجور ايضا اذ لا تتعدى اجرة العامل العربي نصف اجرة العامل اليهودي الذي يقوم بالعمل نفسه ، اذ أن نصف أجرة العامل الفلسطيني يدفع كاشتراكات في مختلف الخدمات الاجتماعية التي لا يستفيد منها فعليا وكأجور نقل من الاراضي المحتلة الى اسرائيل . بينما يكون الاجر الفعلي للعامل الزراعي الاسرائيلي ١٨ ليرة اسرائيلية لا يبقى للعامل الفلسطيني الا حوالي ٩ ليرات(٢٦).

٤ ــ اما تصدير الرساميل الاسرائيلية الى الاراضي المحتلة فهو جار على قدم وساق، ان من خلال توسيع التجهيزات النفطية في سيناء وانشاء مصانع اسرائيلية في قطاع غزة(٢٧) وتشييد المستعمرات والمشاريع الزراعية في الضفة الغربية وسيناء ، الى فتح فروع للمصارف الاسرائيلية (كمصرف ليومي مثلا) في الضفة الغربية ، الى التوظيف في المضاربات العقارية(٢٨).

وقد لخصت وزارة الدفاع الاسرائيلية هذا الوضع ببلاغة عندما قالت واصفة المناطق المحتلة : « تعتبر هذه المناطق سوقا مكملا للبضائع والخدمات الاسرائيلية من ناحية ، ومصدر عوامل انتاجية ــ وخاصة اليد العاملة ــ للاقتصاد الاسرائيلي مــن ناحية اخرى »(٢٩).

هكذا نرى ان اسرائيل قد بدأت فعلا بتنفيذ برنامجها الاقتصادي الاستعماري في المناطق المحتلة : من خلال تحويلها الى اسواق لمنتجاتها الصناعية ، الى جعلها مصدرا للمواد الاولية وقوة العمل الرخيصة ، الى تصدير الرساميل اليها لتحقيق استثمارات مربحة اقتصاديا واستراتيجيا واخيرا من خلال التسلل عبرها الى العالم العربي .

هذا هو وضع المناطق الخاضعة عسكريا وسياسيا للعدو ، وهذا هو ما ينتظرنا في حال الاستسلام . لكن اسرائيل لم تنتظر الاستسلام لتبدأ تسللها في الاسواق العربية وضربها لبعض قطاعات الاقتصاد اللبناني كما سنبين من خلال بعض الوقائع .

ثانيا : الاضرار التي تلحقها اسرائيل حاليا بالاقتصاد اللبناني :

أ ــ على صعيد السياحة الغربية :

لقد انشأت اسرائيل مكتبا خاصا في اوروبا الغربية لقراءة الصحف اللبنانية وجمــع المعلومات عن حوادث السير والسرقة والقتل وانباء غلاء المعيشة . ومن ثم لترجمــة هذه المعلومات الى عدة لغات اجنبية وطبعها وتوزيعها على مكاتب ووكالات السفر في مختلف انحاء العالم تحت عنوان « لبنان كما يراه اهله .. فتأملوه »(٣٠).

ب ــ على صعيد تصدير المنتوجات والخدمات اللبنانية الى الاسواق غير العربية :

تسيطر اسرائيل في دول اوروبا الغربية على تجارة بعض المنتجات الزراعية المهمة بالنسبة لصادرات لبنان كالحمضيات والتفاح والبيض ، وبعضها مهــم ايضا بالنسبة لصادرات اسرائيل اذ تشكل الحمضيات مثلا ١٥٪ من مجموع صادرات اسرائيل الان بينما كانت تشكل ٥٠ ٪ من تلك الصادرات عام ١٩٥٠(٣١). ان اسواق اوروبا الغربية حيوية بالنسبة لاسرائيل اذ كانت تصرف فيها عام ١٩٦٨ ، ٨٥ ٪ مــن صادراتهــا الزراعية(٣٢). وبفضل السيطرة التي لها على هذه الاسواق من خلال تنظيم التسويق

والدعاية ومرونة الاسعار فقد اقصت اسرائيل من اسواق أوروبا الغربية كبار مصدري الحمضيات العرب : المغرب ، تونس والجزائر ، خلال الستينات وهي تمنع الحمضيات اللبنانية من ولوج هذه الاسواق(٣٣).

اما في اوروبا الشرقية فان اسرائيل لا تستطيع ان تنافس حمضياتنا كما في أوروبا الغربية بسبب سياسة دولها المؤيدة للدول العربية . لكنها على الرغم من ذلك فانها تمارس سياسة اغراقية بالنسبة للحمضيات في كل من يوغسلافيا ورومانيا والمجر . ففي يوغسلافيا مثلا استطاعت اسرائيل ان تعرض الحمضيات واصلة الى مرافىء يوغسلافيا بسعر ٩٠ دولارا للطن الواحد بينما كان سعر كلفة طن الحمضيات اللبناني في مرفأ بيروت ١٢٠ دولارا(٣٤). هذا جانب من المنافسة في يوغسلافيا . لكن الجانب الاخطر اكتشفته دوائر وزارة الخارجية اللبنانية في نهاية عام ١٩٦٩ عندما زار وزير الخارجية يوغسلافيا وطالب السلطات المسؤولة بتنفيذ بنود الاتفاقية التجارية المعقودة بين البلدين وخاصة البند القاضي باستيراد يوغسلافيا عشرة الاف طن من الحمضيات اللبنانية . هذا مع العلم ان لبنان لم يستطع بيع يوغسلافيا حتى عام ١٩٦٨ الا ٢٨٦٨ طنا . وصرع الوزير عندما قدمت اليه السلطات اليوغسلافية احصاءات ومستندات تفيد بأن يوغسلافيا تستورد من لبنان الكمية المتفق عليها بموجب الاتفاقية التجارية ، بينما كانت المعلومات المتوافرة لدى الوزير اللبناني تفيد عكس ذلك . فأجرى الوزير تحقيقا اثر عودته الى لبنان اكتشف من خلاله ان بعض التجار اللبنانيين يتواطأ مع اسرائيل لبيع الحمضيات الاسرائيلية في يوغسلافيا على اساس انها لبنانية ومن ضمن حصة لبنان من واردات يوغسلافيا للحمضيات(٣٥).

اما في اسواق افريقيا واسيا فتضايق اسرائيل الصادرات الصناعية اللبنانية (ادوات منزلية ، نسيج ، البسة جاهزة) ، كما تضايق تصدير الخدمات اللبنانية في الكثير من الدول الافريقية من خلال الشركات المختلطة الاسرائيلية الافريقية التي تنشئها . كما انها تشدد الخناق على المهاجرين وتعرقل اعمالهم(٣٦).

ج ــ على صعيد الاسواق العربية :

سبق لنا وذكرنا تسرب المصنوعات الاسرائيلية الى الاسواق العربية نتيجة لسياسة « الجسور المفتوحة » ، وهذه المصنوعات الاسرائيلية تزاحم المصنوعات اللبنانية في الاسواق العربية لا سيما ان أهم الفروع الصناعية من حيث الصادرات هي نفسها بالنسبة للدولتين . لكنه ليس بامكاننا تقدير تلك الاضرار بسبب شحة المعلومات بصددها .

لكن ما نعرفه الان خير المعرفة وبشكل ملموس وأكيد فهو تسرب كميات من الحمضيات الاسرائيلية عبر جسر اللنبي في الضفة الغربية الى الضفة الشرقية وعبرها الى اسواق المشرق العربي . وقد سمحت اسرائيل لتجار حمضيات الاراضي المحتلة بتصدير النخب الثاني وما دون من حمضياتهم الى الضفة الشرقية (على اساس انها تختار النخب الاول وتصدره على اساس انه اسرائيلي المنشأ) وبتوضيب الانتاج في مصانع التوضيب الاسرائيلية شرط ان يصرفوا قسما من انتاج اسرائيل من النخب الثالث والرابع في الاسواق العربية . وهكذا بدات تتسرب تلك الحمضيات الى الاسواق العربية تحت ستار انها من حمضيات الاراضي المحتلة التي يسمح باستجلابها لدعم الصمود !! وحقيقة هذا التسرب تبدو جلية من خلال المعطيات التالية : (١) ان كمية الحمضيات التي تعبر الاردن تفوق بكثير انتاج الحمضيات في الاراضي المحتلة .

٢) ان معظم الحمضيات المصدرة الى الدول العربية عبر الاردن هي من البرتقال والليمون الحامض بينما اكثر من نصف انتاج الاراضي المحتلة هو من صنف الفالنسيا(٣٧).

وقد سعى مكتب مقاطعة اسرائيل الى منع تسرب الحمضيات الاسرائيلية من خلال بعض التدابير التي لم تنفذ فعليا . وقد تواطأت غرف التجارة والصناعة العربية في الاراضي المحتلة مع السلطات الاسرائيلية فأخذت تعطي شهادات منشأ عربية للمنتجات الاسرائيلية . فقد قرر مكتب مقاطعة اسرائيل في ١٩٧١/٦/١٢ منع دخول جميع منتجات الاراضي المحتلة الى الاردن بما فيها الحمضيات . لان هذه الحمضيات اما من منشأ اسرائيلي او تحتوي على نسبة مرتفعة من القيمة المضافة والمواد الوسيطة الاسرائيلية (فوائد ، ادوية ، اسمدة ، الات ، توضيب ، ارباح تسويق ..). لكن هذا القرار لم يطبق بسبب عدم رصد مبالغ لدعم صمود اهالي الارض المحتلة تعويضا عن الخسارة الناتجة عن مقاطعة صادراتهم . وقد ساهمت ظاهريا ، مداخلات بعض كبار التجار العرب في الاراضي المحتلة مع السلطات الاردنية في الابقاء على سياسة الباب المفتوح امام « حمضيات الاراضي المحتلة » في اواخر ١٩٧٠ ومطلع ١٩٧١ . فظلت الحمضيات الاسرائيلية تتسرب بقوة الى الدول العربية عبر الاردن(٣٨).

وفي ١٩٧٠/٩/١٦ منعت الحكومة السورية دخول الليمون الحامض الوارد من الضفة الغربية الى اراضيها بعد أن تبين لها بأن معظم هذا الانتاج وارد من اسرائيل . وكان يباع كيلو الليمون الحامض الوارد من « الضفة الغربية » بسعر اغراقي قدره خمس وخمسون قرشا سوريا بينما مثيله اللبناني كان يباع بليرة سورية . وهذه العملية الاغراقية الحقت بالحامض اللبناني اضرارا جسيمة كما سنبين فيما بعد(٣٩).

ونتيجة لتسلل الحمضيات الاسرائيلية الاغراقي الى الاسواق العربية تراجعت حصة لبنان من استهلاك بعض الاقطار العربية من الحمضيات : فقد انخفضت حصة سوريا من استيراد البرتقال اللبناني من ٦٧٪ في السنوات ١٩٦١/١٩٦٣ الى ٥٦٪ في السنوات ١٩٦٧/١٩٦٩ ، فالخسارة اذا هي حوالي ٢٫٤٢٥ مليون ليرة في العام الواحد في الاسواق السورية . وانخفضت فجأة واردات الاردن من ١٧٪ من مجمل صادرات البرتقال اللبناني الى ٠٫٦٩٪ منه خلال نفس الفترة . كما تراجعت حصته من صادرات الليمون الحامض اللبناني من ١٣٪ الى ٥٫٤٤٪ في نفس الفترة . فالخسارة السنوية هي حوالي ٣٫٦٨ مليون ليرة في الاسواق الاردنية(٤٠).

وقد كتب الدكتور رياض سعادة وهو استاذ الاقتصاد الزراعي في جامعتي القديس يوسف والاميركية في بيروت معلقا على هذه الوقائع في مطلع عام ١٩٧١ : « شددنا في دراسات السنوات السابقة على خطر منافسة الحمضيات الاسرائيلية للحمضيات اللبنانية في الاسواق العربية التي تستورد حاجاتها من لبنان . بدأت هذه المنافسة عشية حرب حزيران بعد فتح ثغرة في المقاطعة الاقتصادية التي فرضت على العدو المغتصب للاراضي العربية منذ أواسط عام ١٩٤٨ ، واصبح العديد من المنتجات الاسرائيلية لا سيما الزراعية يتسرب الى الاردن وعبره الى الدول العربية وذلك تحت ستار منتجات الاراضي العربية المحتلة . لدينا بعض الدلائل التي تجعلنا نجزم بأن غالبية الانتاج المتدفق في الاراضي العربية المحتلة الى الاردن عبر جسر اللنبي هو انتاج اسرائيلي المنشأ . *رغم هذا الواقع لم تتخذ حتى الان اية اجراءات فعالة لمنع هذا* التسرب ولحماية الانتاج اللبناني خاصة الحمضيات »(٤١).

ان السبب الرئيسي لتضرر منتجي الحمضيات اللبنانية يكمن في الاسعار الاغراقية التي تباع بها الحمضيات الاسرائيلية في الاسواق العربية . فبينما كان صندوق

الحمضيات الاسرائيلي يباع في اسواق عمان وسوريا والسعودية والكويت والخليج بسعر وسطي يبلغ ٦٥٠ قرشا لبنانيا في موسمي ٦٩/٧٠ و ٧٠/٧١ كان سعر صندوق « الحمضيات اللبناني يباع في نفس الاسواق وفي نفس المواسم باكثر من ضعف هذا السعر »(٤٢) ولا عجب في هذه السياسة الاغراقية : اذ ان الحكومة الاسرائيلية تدفع منحة تصدير على صادراتها العادية تبلغ حوالي ٢٥٪ من سعر الصادرات(٤٣) ، فكيف اذا كانت هذه الصادرات تلعب دورا استراتيجيا لخرق حصار المقاطعة العربية ؟!. وعلى كل حال فان المساعدات الاميركية والالمانية الغربية والصهيونية تغطي هذه التكاليف اذ تبلغ خمس مداخيل اسرائيل !!

ومن الطبيعي ان ينتج عن ذلك اضرار على منتجي الحمضيات في لبنان ، اذ أن ثمن موسم الحمضيات عام ٧٠/٧١ لم يبلغ ثمن موسم العام السابق ذلك بسبب تدني الاسعار الناتج عن تدهور التصريف بسبب الاغراق الاسرائيلي للاسواق العربية . وفي هذا الموسم تكبد « الضامنون » خسائر لانهم ضمنوا موسم الـ ٧٠/٧١ على اساس اسعار موسم الـ ٦٩/٧٠ وذلك قبل ظهور ازمة التصريف . ولم يستطع الا القليل جدا منهم ان يستعيد ما دفعه لصاحب البستان والتكاليف الاخرى ، وقد وقعت اغلبيتهم الساحقة في خسارة تراوحت بين ٢٥٪ و ٥٠٪ من مجموع ما دفعوه من مال . اما المزارعون فقد تكبد صغارهم خسائر كبيرة بسبب ضعف قوتهم التفاوضية مع « الضمان » بينما استطاع كبارهم ان يحققوا ارباحا ، اما المتوسطون فقد استطاعوا ان يردوا تكاليفهم فقط(٤٤) .

وقد علقت جريدة « النهار » اللبنانية على هذه الازمة في ١٩٧١/٤/٤ : قائلة : « ازمة تصريف الحمضيات التي نشأت هذه السنة نتيجة لغزو الحمضيات الاسرائيلية اسواق لبنان التقليدية في الخليج العربي بدأت تنعكس نتائجها على مزارعي الحمضيات في البلد . فالدخل الذي يتوقعه هؤلاء هذه السنة سيهبط الى اقل من نصف ما كان عليه العام الماضي اذ ان متوسط سعر كيلو الفالنسيا هذا الموسم لا يتجاوز الخمسة والعشرين قرشا لبنانيا . تضاف الى تدني الاسعار صعوبة تصريف الانتاج ، فحتى اوائل نيسان كان أكثر من نصف الحمضيات لا يزال على الشجر بينما العادة هي انتهاء الموسم في هذه الفترة من كل عام . مزارعو الحمضيات مهددون بموجة من الافلاس ما لم تتدخل الدولة وتضغط على المصارف لتأجيل تسديد القروض المستحقة(٤٥) .

ولم يقف تدهور الوضع الى هذا الحد فقد تناقصت صادرات الحمضيات اللبنانية الى الاقطار العربية بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢ كما يلي(٤٦) :

الصنف	الصادرات بالطن عام ١٩٧١	الصادرات بالطن عام ١٩٧٢
برتقال	١٤٧،٦١٧	١٢٦،٨٣٢
ليمون حامض	٢٦،٤٢٦	٨،٨٥٧
ليمون افنـدي	٥،٣٦٩	٦،٣٦٨
كريب فروت	١،٩٤٩	٩٠٠
المجمـوع	١٨١،٣٦١	١٤٢،٩٥٧

اي ان الصادرات تراجعت بنسبة ٢١،١٨٪ في عام واحد .

خطر اسرائيل على الاقتصاد اللبناني في حالة رفع المقاطعة

ان اسرائيل تسعى الى الاستغناء رويدا رويدا عن الدعم المالي الضخم الذي تتلقاه من الغرب (اميركا ، المانيا الغربية ، الصهيونية) والذي يبلغ حوالي خمس مواردها والذي بدونه ما كانت قد تمكنت من الوجود والصمود والنمو والغزو . لذلك تسعى جاهدة الى التصدير الى الخارج فتحاول دخول اسواق افريقيا واسيا والى عقد اتفاق مشاركة مع السوق الاوروبية . لكن كل ذلك ضئيل بالنسبة لامكانيات التصدير الى الدول العربية : اذ رأينا ان التصدير الى الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ وحدها امن لها ربع صادراتها . لذلك فاسرائيل تسعى وستسعى جاهدة الى اختراق جدار المقاطعة العربية اكثر فاكثر وقد بدأت باختراقه فعلا كما رأينا . وفي هذا المجال فالتهديد للاقتصاد اللبناني واضح في الكثير من فروعه :

أ ــ **في قطاع الخدمات** : ان خدمات النقل هي اهم الخدمات التي تصدرها اسرائيل : فهي تتمتع بأسطول بحري وجوي من الطراز العالمي . وتأتي السياحة في الدرجة الثانية(٤٨)، (سبق لنا وذكرنا « الهجمة » الاسرائيلية على السياحة في لبنان) .

اما بالنسبة للترانزيت فالتهديد واضح ، وقد لوحت اسرائيل مثلا وبشكل علني عن امكانية اعطاء ممر بري للاردن نحو المتوسط . وفي حال رفع المقاطعة فان كامل الترانزيت من الغرب مع الاردن وقسم مهم من الترانزيت مع العراق والخليج والسعودية سيمر عبر موانىء حيفا ويافا واسدود وعسقلان ويترك مرفأ بيروت وشأنه(٤٨). اما في القطاع المالي فستقضي اسرائيل على دور بيروت كمركز لجمع اموال النفط وارسالها الى الغرب وتوظيف قسم ضئيل منها محليا . وستستولي اسرائيل على مركز بيروت المالي لا سيما لان ارتباطها بكبريات المصارف الغربية أقوى بكثير من ارتباط لبنان بها . وبالطبع سيقضي على البقية الباقية من المصارف الوطنية العاملة على الصعيدين الخارجي والداخلي .

ب ــ **القطاع الصناعي** يشكل النشاط الاسرع نموا من حيث صادراته في اسرائيل. لكن الصادرات الصناعية الاسرائيلية الرئيسية : الورق ، الخشب ، الاسمنت ، المعجلات ، غزل القطن ، لم تنم الا قليلا في السنوات الاخيرة بسبب « المنافسة الحادة في السوق العالمي والتي كان بعضها من الدول النامية » ... وقد كان « أهم عامل في نمو تلك الصادرات فكان تشجيعها بوسائل اصطناعية مثل المعاهدات التجارية الثنائية وأسعار الصرف المرتفعة .. والاتفاقيات التي تشكل حماية للسوق المحلي » . والصادرات ذات اهمية حيوية بالنسبة لاسرائيل بسبب العجز الضخم والمتنام لميزان مدفوعاتها الذي يبلغ الان حوالي مليار دولار سنويا(٤٩). لذلك وبما ان « الاسواق العربية الاكثر طبيعية لاسرائيل هي الدول العربية »(٥٠) وبما ان امكانية زيادة انتاجها وصادراتها الزراعية هي محدودة بالنهاية بسبب « نضوب الارض الخصبة ومصادر المياه »(٥١)، وبما أن الدول الصناعية تضع قيودا على مستورداتها (السوق الاوروبية المشتركة ، الولايات المتحدة) فالطريق الاسهل بالنسبة لاسرائيل هو غزو الاسواق العربية بسلعها الصناعية .

وفي هذه الاسواق ستنافس الصناعة اللبنانية (التي تشكل ثاني قطاع صناعي من حيث الحجم بعد مصر في المشرق العربي) . والنشاطات الاهم في الصناعة الاسرائيلية بعد صقل الماس هي النسيج ، المواد الغذائية والكيمياء(٥٢). وهذه هي أيضا النشاطات الاهم في الصناعة اللبنانية(٥٣)، وهي توجه ما يفوق عن ٨٥ ٪ من صادراتها في الاقطار العربية(٥٤).

وبالاضافة الى كل ذلك فان قدرة اسرائيل على منافسة صناعتنا في السوق اللبنانية وفي سائر الاسواق العربية كبيرة لا سيما ان مجمل الصادرات الاسرائيلية تتلقى دعما ماليا من حكومتها يبلغ نحو ٢٥٪ من سعرها . والصناعة الاسرائيلية اكثر تطورا وارفع انتاجية واكفأ من الناحية التسويقية من الصناعة اللبنانية .

لذلك فالخطر كبير على القطاع الصناعي اللبناني في حال رفع المقاطعة .

ج ـ **القطاع الزراعي** : ان الخطر المحدق بهذا القطاع اهم ، والاضرار اصبحت واقعة بفرع من اهم فروعه (الحمضيات) بينما المقاطعة العربية لا تزال رسميا قائمة. والخطر قد يهدد فرع ثان نشيط من هذا القطاع وهو فرع تربية الدواجن وانتاج البيض . وهذا الفرع في حالة متأزمة وهو يشكل العنصر الثالث من حيث الاهمية في صادراتنا الزراعية(٥٥) وصادراته تتجه اساسا نحو الاسواق العربية . وهذا القطاع يعتبر قطاعا نشيطا ومصدرا في الزراعة الاسرائيلية ، ويأتي بالمرتبة ما بين الصادرات الصناعية الاسرائيلية وهو يعاني من بعض الصعوبات في أسواقه التقليدية في اوروبا الغربية وايطاليا خاصة بسبب سياسة السوق الاوروبية المشتركة(٥٦). لذلك فليس من المستبعد ان تسعى اسرائيل لبيع هذا الانتاج للدول العربية .

والان يجب ان نتوقع انه في حال رفع المقاطعة ليس من المستبعد ان تسعى اسرائيل الى التثمير في لبنان : وانها قد لا تحتاج ان تصدر الينا رساميل من اجل ذلك . فسيكون بأمكانها ان تقترض من المصارف الاجنبية التي قد تبقى في بيروت التي تجلب قسما من اموال النفط وان تقيم المشاريع التي تريد مستفيدة من رخص القوى العاملة النسبي . كما انها ستسعى الى استعمال قسم من الرساميل العربية التي تكون قد بقيت في مصارف لبنان لتنميتها وتقويتها وتخفيف اعتمادها على الدعم المالي الخارجي .

واخيرا ليس من المستبعد ان تعمل اسرائيل في حال رفع المقاطعة الى تشغيل العمال اللبنانيين وخاصة اهل الجنوب المكتظ بالسكان والمتاخم للكيان الصهيوني في مشاريعها الزراعية والصناعية والعمرانية كما هي حالة اهالي الاراضي المحتلة ، وبشروط قد تكون مشابهة .

خلاصة

من مجمل ما سبق يمكننا ان نستنتج ان النمو الاقتصادي الذي اصاب لبنان بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، كان من مسبباته قيام دولة اسرائيل وما نتج عن هذا من انفراد لبنان في دور الوسيط بين الغرب وقسم من المشرق العربي . ان هذا النمو قد اصبح مهددا بسبب الجوانب الاقتصادية لسياسة اسرائيل الاستعمارية بالاضافة الى جوانبها العسكرية والاحتلالية .

وان لبنان قد بدأ يتضرر نتيجة لبدايات خرق اسرائيل لطوق المقاطعة الاقتصادية العربية ، ولهجوم اسرائيل الاقتصادي على لبنان في اوروبا وافريقيا .

ولن يصد هذا الهجوم ويعيد ويقوي احكام الطوق المقاطعة الا مزيد من قوة الصمود والمجابهة في الموقف العربي .

لذلك فمن مصلحة الاغلبية الساحقة من اللبنانيين بمختلف آرائهم السياسية وانتماءاتهم الطائفية والطبقية وبعكس ما يعتقده قطاع شعبي واسع ، فمن مصلحتنا ان يكون الموقف العربي تجاه اسرائيل قويا ومتناميا وان يتحسن ميزان القوى الحالي للصالح العربي . والا فليست اراضي ومياه جنوب لبنان فقط مهددة بل ان اقتصاده مهدد بالدمار والافلاس والتبعية والابتلاع من قبل اسرائيل .

الحواشي :

١ — يوسف صايغ ومحمد عطاالله ، « **نظرة ثانية على الاقتصاد اللبناني** » ، دار الطليعة — بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٣٠ — ٣١ .

٢ — *La Palestine* - Mémento Economique I N S E E , Paris, 1948, PUF. ص١١٠ .

Michael Shefer, Les conséquences du boycottage arabe sur les économies arabes et israeliennes », « *Les Temps Modernes* », No. 253 Bis, 1967.

ص ٩٥١ — ٩٥٢ .

٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٥٤ .

٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٥٤ .

٥ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٣٦ .

٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٤٣ — ٩٤٤ — ٩٤٥ .

٧ — يوسف صايغ ومحمد عطاالله، **المصدر المذكور سابقا** ، ص ٣٠ — ٣١ .

٨ — ميخائيل شفر ، **المصدر المذكور**، ص ٩٤١.

٩ — يوسف صايغ ومحمد عطاالله ، **المصدر المذكور سابقا** ، ص ٣١ .

١٠ — نقلا عن ميخائيل شفر ، **المصدر المذكور** ، ص ٩٦٦ — ٩٦٧ .

١١ — وزارة الاعلام — النشرة الخارجية رقم ٥٥، (باللغة الانكليزية) .

١٢ — ميخائيل شفر ، **المصدر المذكور** ، ص ٩٢٥ و٩٦٧ .

١٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٣٩ — ٩٦١ — ٩٦٢ — ٩٦٣ — ٩٦٤ و Shaul Zarhi «Importance de la paix pour l'économie israelienne» *Les Temps Modernes*, No. 253 Bis, 1967, pp. 914-924.

١٤ — تقارير مريب (Merip) العدد ٣ — تشرين الثاني ١٩٧١ .

١٥ — نعيم خضر ، «La politique israelienne dans les territoires occuppés» *La Revue Manuelle*, Avril 1973, Bruxelles, p. 431.

١٦ — *Statistical abstract of Israel,* 1971, pp. 218-219.

١٧ — مكتب الاحصاء الاسرائيلي المركزي — **النشرة الشهرية** — ك١ ١٩٧٠ .

١٨ — شيلا ريان : « بناء امبريالية جديدة : اسرائيل والضفة الغربية » ، مجلة **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٨ ، شباط ١٩٧٣ ، ص٩٢.

١٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٨ .

٢٠ — نعيم خضر ، **المصدر المذكور** ، ص ٤٣٢ — ٤٣٣ .

٢١ — صحيفة « **هآرتس** » الاسرائيلية ، في ١٥/١٢/١٩٧٢ .

٢٢ — نعيم خضر ، **المصدر المذكور** ، ص ٤٣١ — ٤٣٢ . وشيلا ريان ، **المصدر المذكور** ، ص٩٧ .

٢٣ — نعيم خضر ، **المصدر المذكور** ، ص ٤٣٢ . وشيلا ريان ، **المصدر المذكور** ، ص ٩٧ — ٩٨ .

٢٤ — نعيم خضر ، **المصدر المذكور** ، ص ٤٣٣ .

٢٥ — رسالة من ايلي مايس ليش وبيتر تكفاك الى صحيفة **هآرتس** في ١٥/٥/١٩٦٩ .

٢٦ — صحيفة « **معاريف** » الاسرائيلية في ١٢/٧/١٩٦٩ .

٢٧ — شيلا ريان ، **المصدر المذكور** ، ص ٩٨ .

٢٨ — *Le Monde Diplomatique*

٢٩ — **وحدة تنسيق النشاط في المناطق المحتلة** — وزارة الدفاع الاسرائيلية « **التنمية والوضع الاقتصادي على الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء ، ١٩٦٧ — ١٩٦٩ ، ملخص** » ، تشرين الاول ١٩٧٠ .

٣٠ — صحيفة « **الجريدة** » اللبنانية بتاريخ ٢٤/٦/١٩٧٢ .

٣١ — شيلا ريان ، **المصدر المذكور** ، ص ٩٢ .

٣٢ — خليل ابو رجيلي : **الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة** ،مركز الابحاث الفلسطينية — بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٣ .

٣٣ — خليل ابو رجيلي : **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٩٤ الى ٩٧ .

٣٤ — **مذكرة** مصدري الحمضيات اللبنانيين الى وزير التصميم العام ، ١٩٧١ .

٣٥ — صحيفة « **النهار** » اللبنانية ، عدد ١٠٥٨٢، بتاريخ ٢٣/١/١٩٧٠ ، نقلا عن خليل ابو رجيلي، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، ص ٩٨ — ٩٩ .

٣٦ — النشرة الخارجية لوزارة الاعلام ، العدد ٥٥ ، بيروت

٣٧ — خليل ابو رجيلي ، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، ص ٨٣ — ٨٤ — ٨٥ — ٨٦ .

٣٨ — خليل ابو رجيلي ، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، ص ٨٧ — ٨٨ — ٨٩ .

٣٩ — **النهار** ، ١٩٧٠/٩/١٧ .

٤٠ — خليل ابو رجيلي ، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، ص ٩٤ . — المجموعة الاحصائية اللبنانية — العدد ٧ ، ١٩٧١ ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .

٤١ — Riad F. Saadé, « L'Agriculture libanaise en 1970 » dans *« Le commerce du Levant »*

بتاريخ ١٩٧١/٣/٢٠ ، نقلا عن خليل ابو رجيلي، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، ص ٩١ .

٤٢ — خليل ابو رجيلي ، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، ص ٩٢ .

٤٣ — Shlomo Setton, *L'Economie d'Israel*, Paris, 1971, p. 199.

٤٤ — خليل ابو رجيلي ، **الحمضيات في فلسطين المحتلة** ، ص ٩٢ — ٩٣ .

٤٥ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٣ — ٩٤ .

٤٦ — Riad F. Saadé, «Les exportations de fruits», *Le Commerce du Levant* No. 4448/151, p. 30.

٤٧ — شلومو سيتون ، **المصدر المذكور**، ص٢٠٢.

٤٨ — ميخائيل سلزر ، **المصدر المذكور**، ص١٥١.

٤٩ — شيلا ريان ، **المصدر المذكور** ، ص ٩٢ .

٥٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٩١ .

٥١ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٢ .

٥٢ — شلومو سيتون ، **المصدر المذكور** ، ص ١٩٣ .

٥٣ — بطرس لبكي ، **القطاع الصناعي ، وضعه ، آفاق تطوره ، سياسة الدولة تجاهه**، منشورات وزارة التصميم العام ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١١ — ١٢ — ١٥ — ٣٠ — ٣٢ — ٣٤ .

٥٤ — بطرس لبكي ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٥ .

٥٥ — **المجموعة الاحصائية اللبنانية** ، ١٩٧١ ، ص ٣٠٧ .

٥٦ — خليل ابو رجيلي ، **الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة** ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

بدايات تعثر العسكرية الاسرائيلية

هشام عبدالله

الاسبرطية الاسرائيلية :

عملت الحركة الصهيونية على بناء مجتمع عسكري منذ بدء الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وتعززت العسكرية الاسرائيلية في الاعوام التي تلت اعلان الدولة اليهودية ، ومن الصعب بمكان اليوم ايجاد ناحية من نواحي النشاطات الاسرائيلية دون وجود « لمسة » عسكرية فيها ، فالمؤسسة العسكرية تكاد تشرف على أي شيء يتحرك داخل المجتمع الاسرائيلي وتسخره لخدمة الاهداف الصهيونية .

وليس تدخل المؤسسة العسكرية في كل هذه النشاطات نوعا من « التجاوز » بل هو من صلب مهماتها لبناء المجتمع الصهيوني على أرض فلسطين ، هذا الدور الذي حدده بن غوريون لقلب المؤسسة العسكرية ، الجيش ، حين قال : « ... يجب على الجيش أن يكون أيضا مركزا تربويا للشبيبة اليهودية ، المولودة هنا ، او من المهاجرين الجدد . ان واجب الجيش هو تربية الجيل الرائد ليصبح صحيح الجسم والروح، شجاعا مخلصا، الامر الذي من شأنه توحيد جميع القبائل والذين يعيشون في الشتات ، وبذلك يعد هذا الجيل نفسه لتحقيق المهمة التاريخية لدولة اسرائيل »(١). فالجيش اذا هو البوتقة التي تصهر كل ذلك الشتات المتنافر من اليهود .

ومنذ البدء ، وعت الحركة الصهيونية اهمية القوة ، فلم يكن اقتلاع شعب من أرضه، والمحافظة على هذه الارض ، ثم التوسع فيما بعد ممكنا بوسائل غير القوة . ولان أهداف الحركة الصهيونية تتركز في هذه النقاط بالذات ، الاحتلال والتوسع ، لذلك حظيت المؤسسة العسكرية الصهيونية باهمية خاصة على أساس انها اليد الاقوى القادرة على تحقيق تلك الاهداف ، وخلق اسرائيل الكبرى .

ونظرا لاهمية هذه المؤسسة بالنسبة للاهداف الصهيونية فقد نمت بشكل غير طبيعي ، وبلغت حجما ضخما بالنسبة لدولة يزيد عدد سكانها قليلا عن ثلاثة ملايين نسمة . فاسرائيل تجند مع الاحتياط جيشا يزيد تعداده عن ٣٠٠ الف رجل وهذا يساوي ١٠ ٪ من مجموع سكانها اليهود تقريبا ، وتبلغ نفقات دفاعها ما يوازي ٢٣،٨ ٪ من مجموع دخلها القومي البالغ ٦،٨٥ مليار دولار ، وهذه أعلى نسبة في العالم(٢). وتمتلك قوة جوية يزيد حجمها عن قوة اي من الدول الاوروبية باستثناء فرنسا وبريطانيا والمانيا. وليس بامكان اسرائيل حشد هذا الجيش الهائل ، والذي يشكل ٥٠ ٪ من مجموع الرجال الذين هم في سن الخدمة العسكرية لديها(٣)، بشكل مستديم ، لذا اتبعت نظام الاحتفاظ بقوات صغيرة نسبيا لا تزيد عن مئة الف رجل تقريبا ، وطورت نظام التعبئة العامة ودعوة الاحتياط خلال فترة لا تزيد عن ٧٢ ساعة ، وقد شاع في السابق القول بأن اسرائيل هي جيش يمتلك دولة ، وهذا صحيح الى حد بعيد ، فطلبة المدارس الثانوية والجامعات هم « الشباب الرواد المحاربون » ، والقرى هي مستعمرات شبه عسكرية،

والمواطن « جندي في اجازة مدتها احد عشر شهرا »(٤) والصناعة نظمت لخدمة الجيش بشكل أساسي ، والادب الصهيوني سخر لتمجيد العنف والقوة العسكرية .

ولقد نمت في داخل الجيش ذاته بعض القوى اكثر من غيرها ، وذلك بناء على الخبرات المستفادة من العمليات العسكرية واوضاع المنطقة ولتناسب في الوقت ذاته الامكانات الصهيونية المادية والثقافية والنفسية . ولهذه الاسباب مجتمعة بدأت تتكشف للقيادة العسكرية الاسرائيلية اهمية الطيران خاصة في اوائل الستينات ، فطبيعة المنطقة الجغرافية تسمح باستخدام واسع ومؤثر للطيران في المنطقة ، كاداة للردع ضد المدنيين، وكوسيلة لمنع أى تحرك عسكري عربي ، ساعدها في ذلك ان الدول العربية كانت في معظمها في تلك الفترة ، دولا حديثة الاستقلال ، ولم يكن قد اتيح لها فرصة بناء قوة جوية قادرة على الدفاع لافتقارها الى الكوادر القيادية والفنية ، او عدم قدرتها على تغطية الكلفة العالية لهذا السلاح . وهذه امور لم تكن اسرائيل تشكو منها الامر الذي اعطاها قصب السبق في هذا المجال . بالاضافة الى ذلك ، بدا سلاح الطيران افضل منفذ للاستراتيجية الاسرائيلية ، فتيم حاييم بارليف رئيس الاركان السابق هذا السلاح بقوله « ان من المهم جدا ان نحصل على الطائرات المتقدمة لسبب رئيسي هو صفتها الردعية ، وهي مهمة جدا للوصول الى هذه الغاية »(٥) . كما أن الطيران قادر على « الدفاع [عن اسرائيل] دون سقوط ضحايا »(٦) كما ترجو غولدا مائير . وكما تخطط اسرائيل نظرا لان الصهيونيين يعلقون اهمية بالغة على هذه النقطة بالذات لقلة عددهم ، ولاسباب تتعلق بالهجرة .

الردع والتوسع :

بعد وقف اطلاق النار في حزيران ١٩٦٧ ووقوف الجيش الاسرائيلي على خطوط جديدة « هي خط الحدود الوحيد الفاصل بين العرب واسرائيل »(٧) كما قال ييغال الون . وبناء اسرائيل لمنظومة دفاعية على هذه الخطوط « تستند الى موانع مائية ، وموانع طبيعية ، وموانع اصطناعية تشمل الغاما واسلاكا انفق عليها جيش الدفاع اموالا طائلة »(٨) . واعتقاد اسرائيل بأنها قد امتلكت قوة الردع الكافية « لان العرب يحافظون على وقف اطلاق النار ليس من حبهم بالسلام بل لخوفهم من الدبابات والجنود والطيارين الاسرائيليين »(٩) كما قالت غولدا مائير . بدأت الصهيونية تنفذ مخططاتها التوسعية باطمئنان تام باقامة المستعمرات في الاراضي العربية المحتلة في سيناء والجولان والضفة الغربية تمهيدا لابتلاعها . وعملت في الوقت نفسه على فرض واقع جديد هو أساس الاستراتيجية الصهيونية التي ذكرها الون والتي تهدف الى الوصول بالعرب « الى النتيجة بأن اسرائيل حقيقة واقعة في المنطقة لا يمكن ازالتها من الوجود وان مصير أية محاولة أخرى لمهاجمتها هو الفشل المؤكد »(١٠) والتي عبر عنها موشيه ديان بقوله بعد حرب ١٩٦٧ « ان هدف اسرائيل هو تحويل خطوط وقف اطلاق النار الى سلام دائم في العالم العربي ، وللوصول الى ذلك فان علينا حماية حدودنا **الجديدة** بطريقة تطرد ادنى امل قد يعلق في اذهان اعدائنا بقدرتهم على طردنا بقوة السلاح »(١١) .

ولتحقيق ذلك لم تنس المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ان تذكر الدول العربية المجاورة بقوتها العسكرية وسلاحها الجوي . بضربة هنا ، او هناك ، او التهديد باستخدام القوة لضرب ارادة الصمود العربية ، وقد ذكر موشيه ديان بعد حرب الاستنزاف بأن « وقف اطلاق النار مع المصريين ناتج عن الغارات الجوية في عمق مصر »(١٢) وصرح في موضع اخر « اذا اردنا او احتجنا فان بامكاننا جعلهم ينهارون عن طريق السكان المدنيين »(١٣) . اما محصلة هذه السياسة التي يهدف اليها الاسرائيليون

فتتلخص في ان « ارتداع العدو ولفترة زمنية طويلة من شأنه ان يؤدي الى تسليم بالامر الواقع والتسليم يؤدي بالتالي الى السلام »(١٤).

ولم يقتصر تذكير اسرائيل بقوتها على الدول العربية المجاورة بل تعداه ، الى الدول العربية البعيدة ، وكان آلون قد طالب « ببذل جهود مستمرة لتحسين مدى الطيران التنفيذي الذي تقوم به الطائرات التي تهاجم اهدافا ارضية وبحرية واقامة قواعد جوية بعيدة المدى »(١٥). وذلك لمواجهة « الاخطار التي تتربص بحرية الملاحة الاسرائيلية على مسافات بعيدة »(١٦). او أي احتمالات اخرى قد تنشأ .

وهكذا اتسع دور اسرائيل كشرطي حام للمصالح الامبريالية في المنطقة ، ولم يعد دورها محدودا في المحافظة على الاوضاع في الدول العربية المجاورة ، بل تعداه الى الدول العربية البعيدة ، صحيح ان اسرائيل لم تقم بأي عمل عسكري ضد هذه الدول ، ولكن الحديث كان قد بدأ يدور حول امكانية تدخل اسرائيل لحماية المصالح النفطية الغربية في المنطقة . وعن امكانية احتلال منابع النفط او ضربها كوسيلة « لتأديب » الدول العربية التي قد تتمرد على المصالح الامبريالية ، الامر الذي ساعد على تكتيل الدول لمواجهة المد الصهيوني .

« اسرائيل العظمى » :

عاشت اسرائيل « عصرها الذهبي » خلال السنوات الست الماضية ، كمسيطرة تدير شؤون المنطقة ، يتدفق عليها سيل من المهاجرين يستوطنون مناطق جديدة واسعة، واعتقدت من الاختبارات التي أجرتها ، بقصف المدن والقرى العربية في لبنان وسوريا ومصر والاردن ، ان ليس هناك قوة تردعها « وان حدود اسرائيل ستبقى مجمدة خلال الاعوام العشرة المقبلة ولن تنشب حرب »(١٧) كما قال ديان : « وان العرب لا يستطيعون احتلال بوصة واحدة »(١٨) كما قال آلون . واطمأنت بالتجربة الى عدم فاعلية الضغط الدولي ، وقدرتها على تجاوزه بعد عمليات مثل الاغارة على مطار بيروت ، واسقاط الطائرة الليبية ، واغتيال قادة المقاومة في بيروت ، وعملية ايلول (١٩٧٢) ضد جنوب لبنان ، وقصف المخيمات والقرى في سورية ولبنان . ووثقت بكفاءتها في الضغط على الدول الكبرى ، حين تمكنت بالتعاون مع الولايات المتحدة من اجبار الاتحاد السوفياتي على السماح بالهجرة اليهودية الى اسرائيل .

اعتقدت اسرائيل بأن الوقت قد حان لتدخل في عداد « الدول الكبرى » فبدأت تخطط للاكتفاء الذاتي من ناحية الانتاج الحربي ، فأقامت صناعات للاسلحة الثقيلة لبناء الطائرات من طراز بارك ، وهي تصميم لطائرة ميراج يطير بمحرك فانتوم ، والتي يستبعد ان تكون قد دخلت الخدمة ، وزوارق الصواريخ السريعة من طراز ساعر ٤ ، والصواريخ المضادة للطائرات من طراز هوك ، وكذلك الاليات والدبابات . وتوقع ديان ان ٧٥ ٪ من مشتريات جيش الدفاع ستكون مصنوعة محليا عام ١٩٧٧ ، وستتضمن أسلحة مثل الطائرات والصواريخ والدبابات(١٩). وسارت أشواطا أبعد حين بدأت تقدم « المعونة الفنية » للعديد من الدول النامية ، وفي « تبني » الدول الافريقية وتقديم المساعدة لها فانفقت مبالغ طائلة في سبيل المحافظة على أوضاعها في افريقيا ، ومن أجل تعزيز وجودها هناك ، وبلغ مجموع هذا الانفاق السنوي ١٠٠ مليون ليرة اسرائيلية (٣٣ مليون دولار)(٢٠). وهناك ٦٥ دولة نامية تستفيد من البرنامج الاسرائيلي للتعاون الدولي(٢١). وعقد ثلاثون بلدا افريقيا اتفاقيات للتعاون الفني مع اسرائيل (٢٢). متجاهلة انها هي ذاتها تعيش على المساعدات والتبرعات والتعويضات الاجنبية . وكانت الخطط الصهيونية ترمي في هذا المجال الى ان تصبح اسرائيل القطب الذي تتجمع حوله لا الدول

الافريقية فحسب بل ومعظم الدول النامية التي تعاني من عقدة « عدم التكافـؤ » في علاقاتها مع الدول العظمى .

بدات هذه المعطيات والدعاية الاسرائيلية التي ضخمتها ، تتحكم في تصرفات الحكام والافراد الاسرائيليين ، الذين تصوروا أنهم تجاوزوا المنطق القائل بأن هناك ارادتين تتصارعان في منطقة الشرق الاوسط ، الى منطق الارادة الواحدة ، ارادة اسرائيـل العظمى ، التي تفرض ما تشاء ، وليس أمام خصمها الا ان يقبل بما تقدمه له ، او أن الهزيمة المحتمة ستكون من نصيبه .

تعثر العسكرية الاسرائيلية :

في ظل هذه الافكار التي سيطرت على عقلية السلطات الاسرائيلية وتصرفاتهـا ، واطمئنان المؤسسة العسكرية الى عدم تجرؤ الجيوش العربية على الاقدام على مهاجمة اسرائيل ، واعتقاد غولدا مائير « بانه اذا اعتقد الرئيس السادات ان هناك فرصـة معقولة للنجاح في مغامرة عسكرية ضد اسرائيل فانه سيفعل ، واذا فعل فانه سيمنـى بهزيمة كبرى »(٢٣). نشبت حرب تشرين الاول ، وكما اسلفنا كانت اسرائيل تعتقد بأنها قد تجاوزت مرحلة وجود قوتين تتصارعان الى وجود قوة واحدة مسيطرة . لذا كانت المفاجأة بالنسبة لاسرائيل حين حطمت الجيوش العربية هذا الاعتقاد وعبرت القناة ودمرت خط بارليف ، ووقفت وقفة الند للند في الجولان .

تركزت جهود الصحافة الغربية المؤيدة للصهيونية اثناء الحرب وما تلاها على ابراز موازين الربح والخسارة على أساس مساحة الارض التي احتلها كل طرف ، وعلى حجم الخسائر والبشرية المادية التي مني بها كل جانب ، والحقيقة ان هذا اخفاء لبعد الهزيمة وفداحة السقطة الاسرائيلية ، فالربح العربي هو ربح معنوي قبـل أي شيء آخر ، والخسارة الاسرائيلية هي انهيار لكل ما اعتقدت اسرائيل انها قد وصلت اليه . ودمار للعديد من النظريات العسكرية التي بنت عليها اسرائيل استراتيجيتها . فالعودة الـى فرضية وجود قوتين متصارعتين يعني ببساطة انهيار نظرية الردع الاسرائيليـة التي تعتمد على تفوق اسرائيل العسكري المطلق خاصة في القوة الجوية . ويعني انتهـاء اسرائيل كشرطي للمنطقة وقدرة العرب على المبادرة والهجوم سقوط لنظرية « الحدود الآمنة » .

لقد أدى الانتصار السريع الذي حققه الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران الى جمود الفكر العسكري الاسرائيلي ، الذي لم يعد قادرا على التطور الصحيح ، وأضاع في خضم الاعلام والدعاية والمنافسة السياسية التقييم الدقيق للقوة العربية ، وتجاوز الحدود في تقدير قوته . وكانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية قد بلورت منظومتها العسكرية على أساس استراتيجية الحرب الخاطفة ، وذلك بالحشد السريع لكل قوات الاحتياط ، وباختيارها للطائرات التي تتمتع بقوة نارية كبيرة مثل الفانتوم والسكاي هوك ، وفي أعتمادها على المدافع ذاتية الحركة مثل م ـــ ١٠٧ و م ـــ ١٠٩ لسرعة الحشد في ميدان القتال ، بالاضافة الى التوسع في استخدام القوات المنقولة جـوا ، وتضخيم سلاح المظليين . وذلك كي تتمكن من تكثيف الجهد العسكري في المكان المناسب لتوجه ضربة قوية تقصر أمد القتال .

وفي الحرب الاخيرة ، لم تتمكن اسرائيل من تطبيق استراتيجيتها هذه ، بسبب أخذ الجيوش العربية لزمام المبادرة ، وانحسار فاعلية الطيران .ولم تتفق دعوة اسرائيل لجمع الاحتياط خلال ٧٢ ساعة مع حساباتها السابقة ، لانها لم تأخذ في الاعتبار انه احتاج لفترة مماثلة او اكثر لايصاله الى الجبهة وزجه في القتال . ويبدو انه لم يكن

لدى اسرائيل خطط لمواجهة احتمالات حرب طويلة الامد . وقد لا يكون لهذه الحقيقة أثر كبير في الوقت الحالي بعد وقف اطلاق النـــار ، الا انه سيكون لهـــا أثر بالغ علـــى الاستراتيجية الاسرائيلية وحساباتها بغية الاستعداد للدخول في صدام مسلح جديد مع الدول العربية في المستقبل .

نكسة الصناعة الحربية

أصابت الضربة مشاريع التوسع الاسرائيلية في الصميم ، فالاحتمال كبير في أن ترضخ اسرائيل للضغوط الدولية وتنسحب من الاراضي التي احتلتها بعد حرب حزيران . ولا شك أن عودة الكثيرين ممن استوطنوا الاراضي المحتلة الى داخل حدود ١٩٤٨ سيربك مشاريع اسرائيل الاستيطانية الى حد كبير . وليست هذه هي الضربة الحقيقية ، فقد صورت الصهيونية دولة اسرائيل ليهود العالم على أنها « عنقاء لا تطال » ، وان الامن والسلام قد استقرا فيها بفضل قوة ردعها والى الابد . واليوم يكتشف العديد من يهود اسرائيل حقائق جديدة مغموسة بالدم اليهودي ، وليس العربي فحسب . وكما أدى انتصار اسرائيل في حرب حزيران الى هجرة واسعة اليها فمن المؤكد ان توقف الحقائق الحالية الهجرة اليها ، ومن المحتمل أن تزيد الهجرة منها .

وقد حجمت الحرب الاخيرة اسرائيل ، واظهرت قدرتها الحقيقية ، فأثبتت الصناعة الاسرائيلية انها أعجز من أن تستطيع مد المؤسسة العسكرية بما تحتاجه من عتاد وذلك على الرغم من ادعاء دايان بأنه كان من المفروض ان تقدم الصناعة الحربية الاسرائيلية هذا العام ٤٨ ٪ من مجموع مشتريات جيش الدفاع(٢٤)، اذ لم يكن بمقدورها تأمين هذا الامداد وتعويض خسائر سلاح الطيران بمقاتلات من انتاج مصانعها حتى لو كان لديها انتاج حربي . فحجم المنشآت الصناعية التي تستطيع اسرائيل اقامتها لن يمكنها من انتاج أكثر من طائرتين في الشهر، او ثلاث طائرات في ظروف استثنائية، فكيف يمكن ان تعوض خسارتها التي يحتمل ان تكون قد زادت عن مئتي طائرة في مدى نصف شهر فقط.فليس هناك أي تناسب بين الطاقة الانتاجية التي تستطيع اسرائيل تحقيقها وبين حجم الخسائر التي تمنى بها.ولن يخفف من ذلك تخزينها للسلاح بسبب التطور المستمر في تقنيات الطيران، فصناعة مئتي طائرة لاستخدام الطيران قد تستغرق عشر سنوات ، وتتطلب صناعة عدد مماثل للتخزين المدة ذاتها ، تكون فيها هذه الطائرات قد أصبحت طرازا بائدا او غير صالح للاستعمال . هذا بالاضافة الى الكلفة الضخمة لانتاجها . وما الذي تستطيع صناعة الدبابات ان تقدمه اذا كانت خسائرها ستصل الى ألف دبابة في مدى نصف شهر . هذا مع العلم ان أوضاع اسرائيل تفرض عليها التخزين ، الذي سينفد مهما بلغت كميته ان طالت الحرب . فلو تمكنت اسرائيل فرضا من اقامة منشآت صناعية ذات قدرة انتاجية عالية ، فانها ستكون مضطـــرة لاحتجاز قسم ضخم مـــن احتياطها ، قد يصل الى نصف مجموعه ، للعمل في مصانع الطائرات والدبابات والمدافع والعربات والصواريخ والذخيرة .

من هنا وعت اسرائيل حقيقة مهمة وهي أنها ليست « دولة عظمى » ، وانها لن تتمكن قط من الاعتماد على نفسها لتتحرر من الضغوط الدولية المتعلقة بسياستها التوسعية « أو أن يكون لها نفس أطول للاستقلال »(٢٥)، وضرورة ارتباطها بالولايات المتحدة ، الدولة الوحيدة التي تساندها اليوم .

مأزق اسرائيل

لا شك أن الحرب الاخيرة قد هزت المشاريع الاسرائيليـــة بكاملها وقلبت حسابات مؤسستها العسكرية ، ومن السذاجة أن نعتقد بأن اسرائيل سترضخ للوضع الحالي

ولن تعيد تنظيم صفوفها ، وقد تجبر الضغوط الاجنبية المتزايدة اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها بعد حرب حزيران . الا ان هذا لا يعني ان السلام سيحل ، وان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ستتراجع الى الصفوف الخلفية لتحل محلها مؤسسات اخرى مدنية . فقد سبق أن انسحبت القوات الاسرائيلية بعد حرب السويس من سيناء ، فلم يضعف ذلك المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، بل على العكس فقد استفادت منه في تقوية احساس الاسرائيليين بالخوف لقرب القوات العربية من المراكز السكانية فيها، وتمكنت بعملياتها ضد القرى العربية من الابقاء على حالة التوتر. وبالتالي ليس المحافظة على حجمها فحسب بل وزيادة هذا الحجم .

وما ينطبق على عام ١٩٥٦ ينطبق بشكل أو بآخر على عام ١٩٧٣ ، فالانسحاب الاسرائيلي المقرون بمعاهدة سلام لن يكون كافيا « فالقوة هي أفضل ضمانة » في العرف الصهيوني .

وستعمل عوامل عدة هي من صلب التكتيك الصهيوني على ابقاء حالة التوتر في المنطقة . أولا لاستغلال هذا التوتر في المحافظة على تماسك المجتمع الاسرائيلي الذي تطفو كل تناقضاته على السطح في أوقات السلم ، وفي الوقت نفسه ايجاد مبرر لتقوية وتعزيز المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، لاستخدام هذا التوتر كذريعة في المستقبل لشن هجمات ، أو حروب اذا سمحت الظروف بذلك ، ضد الدول العربية ، وللمحافظة على الحلم التوسعي الصهيوني المرتبط تماما بالمؤسسة العسكرية لانشاء اسرائيل الكبرى . فرضاء اسرائيل بحدود عام ١٩٤٨ سيحبس الآمال الصهيونية ويقتل أهدافها. ولسبب أساسي آخر يرتبط بالعقلية الصهيونية التي فرضت نفسها على أرض فلسطين بموجب « الامر الواقع » وهي تخشى أن يؤدي اي تراخ من جانبها الى خلق أمر واقع مختلف . خاصة وان سياسة البطش التي اتبعتها في المنطقة ، حتى ضد الاطفال العرب حين قذفتهم « بالهدايا المتفجرة » ، لن تتركها في مأمن من مخاوفها .

كما رأينا فمهما كانت نتيجة الضغوط الحالية ، فان اسرائيل لن تتخلى عن مؤسستها العسكرية ، وعدم تخليها هذا سيفرض المشكلة القديمة لميزان القوى . وكما في السابق فلن ترضى اسرائيل بوضع لا تكون فيه المتفوقة على جاراتها حتى لو عرضت عليها ضمانات عسكرية دولية ، « فالارتباط العسكري يؤدي الى ارتباط سياسي والارتباط السياسي يقيد حرية استخدام القوة للدفاع الذاتي ، ويجب أن لا يستبعد احتمال أن تحاول الدولة الضامنة لكيان اسرائيل فرض حل غير مرغوب فيه »(٢٦). ويجدر بنا القول **بان حرب تشرين لم تحطم البنية العسكرية الاسرائيلية ، بل نبهتها الى واقع جديد .** ومن المحتم ان القيادة الاسرائيلية تبحث الآن عن وسائل لسد الثغرات التي أحدثتها سياسة العرب وقواتهم المسلحة في استراتيجيتها العليا ، واستراتيجيتها ، وتكتيكها ، وغني عن القول ان الاستراتيجية الاسرائيلية الجديدة ستبنى على أسس أفضل من تلك التي بنيت عليها بعد حرب حزيران ، وانها ستأخذ في الاعتبار حقائق كانت قد أهملتها طيلة السنوات الست الماضية .

وكما اعتبر العرب حرب حزيران ١٩٦٧ هزيمة في معركة . لذا يجب أن لا نستبعد اعتبار اسرائيل لمأزقها الحالي مجرد هزيمة في معركة ما عليها الا أن تستعد « لمحو آثارها » ، فليس من السهل أن تنزع اسرائيل من ذهنها بين يوم وليلة مسألة تفوقها على الرغم من خسائرها المعنوية الفادحة، فاذا كان العرب قد تمكنوا من حسر تفوقها الجوي في سماء المعركة بواسطة صواريخ سام ، فهي تعلم ان قضية التغلب على هذه الصواريخ هي قضية وقت فحسب ، يعود بعدها لاسرائيل تفوقها الجوي ، وتتمكن من دحر المعنويات العربية . فقد بدأت بالفعل تسعى للحصول على طائرات أمريكية خاصة

بالحرب الالكترونية من طراز « براولر »(٢٧) لتعمية اجهزة الرادار وتضليل الصواريخ عن اهدافها . وقد لا يكون لهذه الطائرة فاعلية كافية في الوقت الحاضر ، ولكن الاعتقاد بأن صواريخ سام ستبقى سيدة الموقف هو فهم خاطىء لطبيعة الحرب وحوار الارادات فيها . وان كانت الجيوش العربية قد فاجأت القوات الاسرائيلية بأخذ زمـــام المبادرة وحرمان العدو من تطبيق استراتيجية الحرب الخاطفة ، فان اسرائيل ستبحث عـــن نواقص هذه الاستراتيجية وتتممها ، وستعمل على تعزيزها بالاسلحة الحديثة والذخائر الخاصة المتطورة التي حصلت عليها من الولايات المتحدة الامريكية مؤخـــرا ، والتي اشتملت على صواريخ متطورة مضادة للدروع من طراز « تاو » والتي يمكن اطلاقها من طائرات الهليوكبتر وصواريخ توجـــه بالرادار وبأشعة ليزر مـــن طراز « مافريك » وصواريخ مضادة للرادار طراز شرايك(٢٨).

واكثر ما تحتاج المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الآن هو الوقت ، وأن تتمكن من استغلاله بشكل أفضل من العرب ، وقد راهنت اسرائيـــل طويلا على هذه النقطة ، وتمكنت من احراز قصب السبق من هذه الناحية في السابق . الا انه يصعب القول ما اذا كانت ستنجح هذه المرة . فالقوة العربية الاقتصادية والعسكرية والسياسية تتعاظم باستمرار ، واذا كانت اسرائيل قد تمكنت من تعبئة كل طاقاتها كما ، وتحاول تحسينها نوعا ، فان القوة العربية لم تعبىء سوى جزء بسيط من طاقاتها لاجل المعركة ، لذا فان مجالات زيادة القوة العربية كما ونوعا هي أضخم بكثير مـــن القدرات الاسرائيلية ، وبالتالي فان فرصتهم للافادة من الوقت أكبر بما لا يقاس شريطة أن يحسنوا استخدام هذا الوقت .

العداء الاسرائيلي :

يحمل الانتصار العربي ، بالشكل الذي تحدثنا عنه ، كل مخاطر الانتصار غير الكامل، فالظروف الدولية لم تسمح للقوة العربية باستغـــلال التفوق الذي أحرزته في بدايـــة القتال . وهذا يبقي المؤسسة العسكريـــة الاسرائيلية قوية ، ثابتة وقادرة على ضم صفوفها وتنظيمها من جديد ، بل ويسمح لها بتجاوز فترات خسران التفوق بهدوء، تضبط خلاله موازينها وتعدلها ، وقد تتمكن من استعادة تفوقها . كما ان نتيجة الحرب الاخيرة لم تقض على أسباب الصراع ، فنقاط الخلاف ما زالت قائمة ، وحجم « هدف الرهان » بالنسبة للطرفين أكبر من أن يسمح للنوايا الطيبة او الضربات المحدودة بحسم الصراع. وقد أثبتت كل عوامل التهدئة في السابق فشلها ابتداء من قرارات مجلس الامن ، وانتهاء باتفاقيات الهدنة ووقف اطلاق النار .

ومن جهة اخرى ، فان اسرائيل تجد نفسها مضطرة لاستعادة تفوقها بشكل يضمن لها تمثيل دور الشرطي في المنطقة من جديد، وذلك للمحافظة على ارتباطها مع الامبريالية الامريكية ، التي قال ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل « انها تدعـــم اسرائيل لا لمجرد العطف عليها ، بل كما ذكر نيكسون للحيلولة دون خرق ميـــزان التسلح ، لان ذلك ضروري للولايات المتحدة »(٢٩)، ولكي لا تتخلى عنها هذه الاخيرة اذا ما رأت انها غير قادرة على القيام بالدور المطلوب .

والحقيقة ان المخاوف الاسرائيلية اكبر بكثير من ان تنتزعها اتفاقية سلام ، ليس فقط لان « العداء العربي لاسرائيل أبدي خالد ، وسرمدي دائم ، وانه يستحيل قيام علاقات طبيعية بين العرب والاسرائيليين »(٣٠) كما قال جوزيف كرافت في صحيفة هيرالد تربيون الامريكية . بل لان العرب يزدادون قوة وغنى وعلما سنة بعد سنة ، وهذا ما لا يبعث على اطمئنان اسرائيل الى مستقبلها. ولان جوهر عقيدة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية

مبني على « القوة » ، و« فرض الارادة » ، و« مد السيطرة » وكلها مفردات تستقي جذورها من مفردات عقيدة « المجال الحيوي » التي تبناها النازيون وساروا على هديها على طريق شائك مزروع بدماء الشعوب وآلامها انتهت بهم الى الهزيمة .

---

١ — اموس بيرلمتر ، **الجيش والسياسة في اسرائيل** (نيويورك ، فردريك أ. برايجر ، ١٩٦٥) ، ص ٦٩ .

٢ — *Military Balance* 1973 - 1974

٣ — *Military Balance* 1972 - 1973

٤ — اميتاي اتزيوني ، مجلة **جويش فرونتير** ، نوفمبر ١٩٥٩ .

٥ — **جيروزاليم بوست** ، ١٩٧٣/٩/٢٠ .

٦ — **نشرة رصد اذاعة اسرائيل** ، مركز الابحاث ، ١٩٧٢/١٠/٢٤ .

٧ — بيغال الون ، **الستار الرملي** ، ترجمة مركز التخطيط ، ص ٥٥ .

٨ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٨/٦ .

٩ — **رصد اذاعة اسرائيل** ، ١٩٧٣/١٠/٢٦ .

١٠ — **الستار الرملي** ، ص ٣٧ .

١١ — **جيروزاليم بوست** ، ١٩٧٢/٩/١٩ .

١٢ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٦/٨ .

١٣ — سيف ، دان ، بن فورت ، **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ .

١٤ — **الستار الرملي** ، ص ٩٨ .

١٥ — **المرجع السابق** ، ص ٤٦ .

١٦ — **المرجع السابق** ، ص ٤٦ .

١٧ — مجلة **تايم** الامريكية ، ١٩٧٣/٧/٣٠ .

١٨ — **النهار** اللبنانية ، ١٩٧٣/٥/١٧ .

١٩ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٦/٨ .

٢٠ — توم تيتفاه ، **نشاط العملاء السريين الاسرائيليين الهدام في افريقيا** ، ١٩٦٨ ، ص ١٥ .

٢١ — رياض القنطار ، **التغلغل الاسرائيلي في افريقيا** ، مركز الابحاث ، ١٩٦٨ ، ص ٣٢ .

٢٢ — **الثورة** السورية ، ١٩٦٩/١٠/٨ .

٢٣ — **الحياة** اللبنانية ، ١٩٧٣/٨/٣ .

٢٤ — **معاريف** ، ١٩٧٣/٦/٨ .

٢٥ — **المرجع السابق** .

٢٦ — **الستار الرملي** ، ص ٢٥ .

٢٧ — **نشرة رصد اذاعة اسرائيل**، مركز الابحاث، ١٩٧٣/١١/٧ .

٢٨ — **افييشن ويك** ، ١٩٧٣/١١/٥ .

٢٩ — **دافار** ، ١٩٧١/٤/١٨ .

٣٠ — **المحرر** ، ١٩٧٣/١١/١٣ .

الحرب الخامسة ـ حرب الاستنزاف الثانية على جبهتين

محمود عزمي

لعله ليس من المبالغة في شيء اذا ما قلنا ان مأثورة « كلاوزفيتز » القائلة « ان الحرب عمل سياسي وهي ليست عملا سياسيا فحسب ، ولكنها أداة سياسية حقيقية ، واستمرار للعلاقات السياسية وتحقيق لهذه العلاقات بوسائل أخرى » قد وجدت في حرب السادس من اكتوبر ١٩٧٣ نموذجا بارز الوضوح والتطبيق المثبت لصحتها، ودليلا عمليا قويا على مدى موضوعية العلاقة الجدلية القائمة بين الحرب والسياسة ، ومدى تأثر العمل العسكري بالهدف السياسي الموضوع له والعكس بالعكس أيضا . لقد كانت الحرب والسياسة ممتزجتان بصورة شديدة التشابك في هذه الحرب بحيث يصبح من الصعب للغاية مناقشة الجوانب الاستراتيجية العسكرية في هذه الحرب بمعزل عن بحث تأثير جوانب الاستراتيجية السياسية للحرب وآثار القرارات السياسية على القرارات الاستراتيجية العسكرية .

وضمن هذا الاطار من الفهم العام للحرب يجب أن يجري تقييم النتائج العسكرية الاستراتيجية لهذه الحرب التي تجسدت فيها بوضوح كامل جميع المعطيات السياسية المحلية والدولية التي دارت الحرب في حدودها .

ويقتضينا هذا التحديد للاطار السياسي للحرب أن نلقي الاضواء حول الهدف المحدد لها وتأثير هذا الهدف على المخطط الموضوع لاستراتيجية العمليات العسكرية .

• الهدف السياسي لحرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ :

ان نجاح أي استراتيجية عسكرية مرتبط بوجود هدف سياسي محدد واضح المعالم ممكن التحقيق موضوعيا على ضوء معطيات وظروف كل من المناورتين الخارجية (المتعلقة بالموقف الدولي وكسب الحلفاء وتحييد بعض القوى الاخرى) والداخلية (المتصلة بالقدرات الاستراتيجية المادية والمعنوية لكل طرف من أطراف الصراع وكيفية حشدها واستخدامها أفضل استخدام ممكن) .

ومن ثم فان الشعار العام الذي نشبت في ظله حرب ٦ اكتوبر ، وهو شعار « ازالة آثار العدوان » ، يعتبر هدفا استراتيجيا ملائما في ظل توازن القوى القائم بين العرب واسرائيل ، ذلك التوازن الذي لا يمكن عزله مطلقا عن العنصر الدولي المرتبط به والمؤثر فيه بالنسبة لطرفي الصراع .

وقد اتخذ هذا الشعار العام ، والذي يعتبر في المنظور الاستراتيجي الشامل للصراع العربي ـ الاسرائيلي هدفا جزئيا ومرحليا بطبيعة الحال بالنسبة للهدف الاستراتيجي الاساسي والبعيد المدى المتمثل في تصفية الكيان الصهيوني لاسرائيل واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية التي تجمع العرب واليهود معا ، اتخذ له من قرار مجلس الامن

رقم ٢٤٢ الصادر في نوفمبر عام ١٩٦٧ منطلقا تنفيذيا باعتبار أن هذا القرار هو التعبير العملي عن الحد الادنى من التأييد أو التحييد الدولي المطلوب لنجاح المناورة الخارجية اللازمة للحرب واستراتيجيتها العسكرية ، وان كان هذا القرار في مضمونه الفعلي يعني عند تطبيقه وضعا سياسيا مختلفا عن الوضع الذي كان قائما في ٤ يونيو ١٩٦٧ بالنسبة لنوعية العلاقة بين دول المواجهة العربية واسرائيل ، وهو وضع يعكس بعض المكاسب الهامة لاسرائيل (المتمثلة في حدود آمنة معترف بها لها وحرية الملاحة في الممرات المائية العربية) ويعبر عن قدر من المحصلة السياسية لحرب ١٩٦٧ التي حققت اسرائيل فيها نصرا عسكريا كبيرا يفوق حقيقة امكاناتها الاستراتيجية بالقياس الى الامكانات الحقيقية للدول العربية والتي لم يتح لها أن تستخدم في ظروف تلك الحرب .

وهكذا يمكن لنا أن نقرر ان هدف حرب ٦ اكتوبر العربية ـ الاسرائيلية الرابعة كان هو تحقيق قدر من الضغط العسكري الذي يسمح بتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والقاضي بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة خلال حرب ١٩٦٧ وفقا للتفسير العربي والسوفييتي للقرار .

وحين نقول أن الهدف هو تحقيق قرار مجلس الامن عن طريق الضغط العسكري لا نقصد مجرد ضغط رمزي أو استعراض قوة عسكرية ، لان القيادات السياسية العربية قد أدركت بعد حرب الاستنزاف عدم جدوى مثل هذا النوع من الضغوط العسكرية ، وانما كان المقصود من الضغط العسكري العربي في هذه الحرب توجيه ضربة قاسية للجيش والطيران الاسرائيليين تهز أسس نظرية الامن الاسرائيلية هزا عنيفا وتوقع بالقوات الاسرائيلية خسائر شديدة (وهذا هو السبب فيما نعتقد في عدم توجيه ضربات في العمق الاسرائيلي ضد المدنيين والتزام القيادات العسكرية العربية بذلك رغم لجوء اسرائيل الى قصف أهداف مدنية عربية) .

وتظهر للقيادة الاسرائيلية العسكرية والسياسية وللولايات المتحدة الامريكية وللعالم اجمع بصفة عامة حقيقة القدرات العسكرية والاستراتيجية العربية القائمة حاليا والممكنة مستقبلا (وهي قدرات لا يمكن عزلها مطلقا عن الدعم العسكري والسياسي السوفييتي وهذا ما يجعل الموقف العربي مختلف كلية عن ظروف ١٩٤٨ حيث كان الغرب الامبريالي هو مورد السلاح للطرفين بكيفية تضمن التفوق الاسرائيلي دائما) ، وعدم قدرة اسرائيل على الصمود في حرب استنزاف واسعة النطاق مع العرب معتمدة على خرافة قدرتها الذاتية التي روجتها عقب انتصارها في حرب ١٩٦٧ نتيجة لعدم ظهور الدور الامبريالي الخارجي المساند لها بصورة مكشوفة على مسرح الاحداث كما كان الحال في حرب ١٩٥٦ ، وبالتالي تعود اسرائيل الى حجمها الحقيقي ويتضاءل دورها الرادع في المنطقة ، وتوضع بذلك نقطة البداية لنهاية الحلم الصهيوني في السيطرة على مقدرات المنطقة العربية ، وهو الحلم الذي حلقت به انتصارات اسرائيل العسكرية في حرب ١٩٦٧ الى آفاق عريضة واسعة لدى كل من اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية .

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نقول ان الهدف السياسي المحدد لحرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، والذي نتصوره على هذه الصورة على ضوء معطيات الاحداث التي سبقت ولازمت واعقبت هذه الحرب، له بعدان أساسيان : البعد الاول مباشر ومتمثل في محاولة تحقيق قرار مجلس الامن (وهو هدف محدود نسبيا بالنسبة لاهداف النضال العربي) ، والبعد الثاني غير مباشر ويتمثل في محاولة هز جوهر الكيان الصهيوني والعسكري الذي تقوم على أساسه الدولة الاسرائيلية وتهتدي به سياستها خاصة منذ حرب ١٩٦٧ بشكل واضح .

والآن علينا أن ننتقل الى دائرة التطبيق العملي لهذا الهدف السياسي للحرب ، أو بمعنى آخر كيف حددت أهداف الاستراتيجية العسكرية بحيث تحقق هذا الهدف السياسي والى أي مدى كان هذا التحديد للهدف الاستراتيجي العسكري ملائما لتحقيق الهدف السياسي وأبعاده المختلفة ؟

● الهدف الاستراتيجي العسكري للحرب :

. يقول الجنرال « أندريه بوفر » الاستراتيجي الفرنسي المعاصر «ان هدف الاستراتيجية هو الوصول الى الاهداف التي حددتها السياسة ، مع استخدام الوسائل المتوفرة لدينا افضل استخدام »(١).

وقد أوضحت تطورات المعارك التي أعقبت عملية عبور القناة في ٦ اكتوبر المجيد أن الهدف العسكري الاستراتيجي ، الذي حددته القيادة السياسية المصرية كهدف ملائم للوصول بالضغط العسكري الى حد فرض تطبيق قرار مجلس الامن على كل من اسرائيل والولايات المتحدة ، كان هو عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف واحتلال الضفة الشرقية للقناة بعمق محدود نسبيا يتراوح بين ١٠ — ١٥ كلم تقريبا ثم الصمود في المواقع الجديدة أمام الضربات الاسرائيلية المضادة في حماية مظلة الدفاع الجوي المقامة أصلا قرب الضفة الغربية للقناة مع دفع بعض عناصرها المتحركة الى الضفة الشرقية ، وتكبيد الجيش والطيران الاسرائيليين اكبر قدر ممكن من الخسائر بفضل توفر الاسلحة الحديثة كصواريخ « سام ٦ » وصواريخ «ساغر» واستخدام الاسلحة التقليدية الاخرى بكفاءة عالية وفرتها سنوات التدريب الطويلة وممارسات حرب الاستنزاف ، وذلك لحين أن تطلب اسرائيل وقف اطلاق النار وتتدخل القوى الدولية في الموقف فتطلب كل من مصر وسوريا (التي كان عليها تنفيذ الشيء نفسه في مرتفعات الجولان) تطبيق قرار مجلس الامن وفقا للتفسير العربي — السوفييتي له كشرط لوقف هذا الشكل الجديد من حرب الاستنزاف على مواجهة واسعة وجبهتين متناسقتين والقصيرة من الناحية الزمنية ، وبهذا يتحقق الهدف السياسي للمرحلة التاريخية الحالية التي يجتازها الصراع العربي — الاسرائيلي والممكن تحقيقه موضوعيا في ظل علاقات القوى الموجودة حاليا على النطاقين المحلي والدولي .

وقبل أن ننتقل الى مناقشة مدى ملاءمة هذا الهدف الاستراتيجي العسكري للوصول الى الهدف السياسي المطروح ، نرى من الضروري توضيح تصورات العدو الاسرائيلي المسبقة لامكان وجود وتنفيذ مثل هذا الهدف العسكري وصولا لذلك الهدف السياسي ، لان ذلك سيساعدنا على فهم استراتيجيته العسكرية والسياسية قبل وخلال حرب ٦ اكتوبر وما بعدها .

يقول الكاتب الاسرائيلي « زئيف شيف » في كتابه « فانتوم فوق النيل » الذي تناول فيه معارك الطيران الاسرائيلي خلال حرب الاستنزاف عامي ١٩٦٩ — ١٩٧٠ : « في بداية شهر مارس ١٩٦٨ اجتمعت هيئة الاركان المصرية العامة برئاسة الرئيس المصري . وكان الموضوع المطروح على بساط البحث هو مطلب قيادة الجيش المصري بالقيام بعملية عبور لاحتلال قناة السويس .. وشجعت تقارير دوريات المخابرات المصرية في سيناء هي الاخرى ، هيئة أركان ناصر . وقامت قيادة الاسلحة المصرية الموجودة على الجبهة بتنظيم جماعات استطلاع وارسلتها الى سيناء .. وقدم المستطلعون المصريون كذلك تقريرا عن حقيقة مقلقة وهي ان الاسرائيليين يعملون بحماسة غير عادية في عمليات التحصينات . وقد وصلت المخابرات الى تقدير يقول ان هناك احتمالا معقولا جدا لانزال قوة كبيرة على الضفة الشرقية من قناة السويس ..

وانه من الناحية العسكرية يجدر الاسراع في هذه العملية لان قوات الجيش الاسرائيلي ليست محصنة على النحو الواجب على طول القناة .. ومن الافضل ان ينفذ ذلك بأسرع ما يمكن قبل أن ينهي الاسرائيليون تحصيناتهم »(٢). ثم ينتقل الكاتب بعد ذلك الى شرح خطة مصرية اقترحها الفريق عبدالمنعم رياض رئيس الاركان وقتئذ تتلخص في قيـام الجيش المصري بتنفيذ خطة محدودة لا تهدف الى تحرير سيناء كلها وانما تكتفي باحتلال « قطاع طوله حوالي ٣٠ كيلومترا من سيناء شرق القناة . وكبديل ، من الممكن الاكتفاء بقطاع أصغر اذا ما فشلت هذه العملية . وفي هذه الحالة يعبر الجيش المصري القناة في مكانين ، بينما يوجه الجهد الاساسي الى القطاع الشمالي مـن القناة .. ومع أخـذ المسافات القصيرة في الحسبان يجب افتراض أنه من الممكن انزال كتيبة دبابات واحدة خلال الليل . وتعبر قوات مدرعة أخرى القناة ، في البداية الدبابات البرمائية وبعد ذلك المدرعات العادية ، وذلك بمساعدة الجسور المتحركة التي حصل عليها الجيش المصري. والقطاع الشمالي من القناة مليء بالمستنقعات وسيجد الاسرائيليون صعوبة في القيام بهجوم مدرع .. وذكر الفريق رياض بأن مفتاح أية عملية مصرية موجود في يد سلاح الطيران ، ولكنه يريد فقط الحد الادنى ، أي يريد تفوقا مصريا محليا لمنطقة القناة ، ذلك التفوق الذي يضمن عبور القوات ، وبعد ذلك يقوم بصد القوات المدرعة الاسرائيلية أو على الاقل يحول دون ازعاج الطائرات الاسرائيلية للعملية البرية »(٣). ويستطرد الكاتب بعد ذلك موضحا أن الخطة المصرية كانت تستهدف تمهيد الارض بنيران المدفعية لعدة أسابيع ثم تتسلل وحدات فدائية بين الحين والآخر الى الضفة الاخرى لتدمير خطوط المواصلات الاسرائيلية وتحيل حياة الجنود الاسرائيليين على الجبهة الى مشقة وخطر دائم وفي المرحلة الثانية في موعد يتم تحديده فيما بعد يبـدأ العبور وسوف يتم تنسيق التاريخ الذي سيحدد لذلك العبور مع الجيش السوري والاردني كما يستطيع الفدائيون الفلسطينيون المساهمة وقتئذ بعمليات واسعة داخل الارض المحتلة لعرقلة تحركات الجيش الاسرائيلي وأنه « سوف يحدد موعد العبور في اللحظة الاخيرة ، حينما تكون هناك ثقة كاملة في نجاح العملية . واذا كان هذا اليوم يوما مكفهرا او يوم عاصفة رملية ، فان الامر يكون أحسن ، حيث سيكون من الصعب على الطائرات الاسرائيلية أن تعمل في يوم كهذا . وأمل عبدالناصر في أن تنجح وحداته خلال أربع وعشرين ساعة في الوصول الى مكاسب حقيقية . وفي هذه المرحلة بالذات تقوم الدول العظمى بفرض وقف اطلاق النيران . واذا حدث تعقيد تستطيع قواته صد الاسرائيليين في معركتهم الدفاعية »(٤).

والواقع أنه سواء كانت هذه التفاصيل التي يرويها الكاتب الاسرائيلـي صحيحة بالكامل أم غير صحيحة فانها تعكس تصور القيادة الاسرائيلية او الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي لاهداف حرب الاستنزاف والخطوات العسكرية المحتملة من جانب القيادة المصرية خلال هذه الحرب . ولقد سارت بعض هذه الخطوات بالفعل في هذا الاتجاه الذي تصوره الكاتب الاسرائيلي المذكور فقد قامت المدفعية المصرية ابتداء من يوم ٨ مارس ١٩٦٩ بقصفات مركزة عنيفة بصورة شبه مستمرة وعلى مدى شهرين تقريبا لتحصينات خط بارليف ، كما شنت الوحدات الخاصة عدة عمليات فدائية عبر القناة وفي العمق الاسرائيلي بل وقامت وحدات مشاة تدرج حجمها من سرية حتى كتيبة بعمليات عبور ناجحة للقناة في بعض النقاط الخالية من التحصينات رفعت خلالها العلم المصري فوق رمال الضفة الشرقية وأحيانا فوق بعض المواقع الاسرائيلية التي كانت تنجح في اقتحامها ، مثل الموقع الذي كان مقاما في لسان بورتوفيق عند مدينة السويس والذي احتلته مؤقتا بالفعل قوة من المغاوير المصريين يوم ١٢ يوليو ١٩٦٩ تقدر بسرية كاملة استطاعت أن تدمر خمس دبابات كانت بالموقع وتقتل وتجرح نحو ٤٠ جنديا اسرائيليا

وتأسر واحدا . الا أن تدخل الطيران الاسرائيلي في المعارك واشتداد أثره الرادع ، خاصة بعد وصول طائرات الفانتوم اليه في أواخر عام ١٩٦٩ ، مع استمرار عجز الطيران المصري عن احراز درجة كافية من السيطرة الجوية فوق منطقة القناة وعدم قدرة الدفاع الجوي على ابطال أو اضعاف فاعلية الطيران الاسرائيلي الا في أواخر يوليو ١٩٧٠ حين نجحت بطاريات صواريخ سام ٣ المضادة للطيران المنخفض بالتعاون مع سام ٢ و سام ٧ والمدفعية المضادة للطائرات ، وبعد تجارب عملية طويلة كتبت بكثير من دماء الجنود المصريين والعمال المصريين العاملين في بناء قواعد الصواريخ ، في اسقاط ٨ طائرات فانتوم و٦ طائرات سكاي هوك خلال اسبوع واحد ، فكان أن قدمت الولايات المتحدة « مشروع روجرز » وقبلت مصر وقف اطلاق النار على أساسه (حتى يمكنها تطوير جهاز دفاعها الجوي الصاروخي وبناء شبكته المتقدمة على الضفة الغربية للقناة) .

ولقد اعتبرت القيادة الاسرائيلية انها حققت هدفها الاستراتيجي خلال هذه الحرب بأقل قدر ممكن من الخسائر ودون قيامها بحرب شاملة بكامل قواتها ، وذلك على اعتبار أن عمليات الطيران الاسرائيلي (مدعومة بعمليات الكوماندوس ذات الاثر النفسي مثل الاغارات المختلفة في صعيد مصر وعملية خطف رادار رأس غارب والاغارة على جزيرة شدوان) في جبهة القناة وفي العمق ايضا حول القاهرة قد حالت دون تطوير عمليات حرب الاستنزاف من جانب القيادة المصرية الى الاقدام على عملية عبور قناة السويس . وقد انتقد بعض المتشددين من الصقور الاسرائيليين استراتيجية القيادة الاسرائيلية خلال حرب الاستنزاف ومنهم « عيزر ويزمن » قائد سلاح الطيران الاسرائيلي سابقا الذي كتب ضمن مقال له نشرته صحيفة معاريف في ١٩٧١/٥/١٤ يقول « دون تحليل ادارة الحرب في سنتي ٦٩ — ٧٠ ليس من الصعب أن نفهم كيف وصلنا الى هذا الوضع. ولاسباب معروفة أستطيع ان أفعل ذلك في خطوط عريضة ... في هذه الحرب اختفت من قاموس جيش الدفاع الاسرائيلي القاعدة التي كانت دائما الشمعة التي تضيء طريقنا خلال كل السنين وهي انه اذا نشبت الحرب ، سننقلها الى أرض العدو . ولكننا لا نستطيع نقل المعركة الى أرض العدو بسلاح الجو وحده . حذفت هذه القاعدة بسبب ظواهر نحن مسؤولون عنها ، فقد غرقنا كثيرا بالرضا البالغ عن انفسنا ، حتى اننا لم نستغل المهلة التي توفرت لنا بعد حرب الايام الستة لنبلور سياسة أمنية جدية بعيدة المدى، ونضع أهدافا استراتيجية واضحة الخ»(٥). ويعكس لنا هذا الرأي حول سياسة الحكومة الاسرائيلية من الناحية الاستراتيجية العسكرية صورة ما يمكن ان تثيره المعارضة اليمينية المتطرفة اليوم داخل اسرائيل بعد احداث حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ازاء النجاح العسكري العربي النسبي الذي تم خلالها .

وبعد وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ عاود الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي بحثه في احتمالات تجدد القتال من جانب مصر ومحاولة تنفيذ الاهداف العسكرية والسياسية التي لم تحققها حرب الاستنزاف فكتب الكاتب الاسرائيلي نفسه « زئيف شيف » ، الذي تناول معارك الطيران الاسرائيلي خلال هذه الحرب ، كتب مقالا بعنوان « احتمالات الهجوم المصري ، التركيز على قوات الكوماندوس وافراد المظلات في الجيش المصري » نشرته صحيفة « هآرتس » في ١٩٧١/١٢/٣ يقول فيه « لا يتحدث المصريون على الاطلاق عن حرب الحسم بل عن الحرب مع الاهداف المحدودة، حرب الاستنزاف المحسنة والسيطرة على مناطق معينة . وكل ذلك من أجل أن يفرضوا على اسرائيل شروط التسوية . ومن أجل أن يدير الجيش المصري مثل هذه الحرب المحدودة يوجد امامه احتمالات مختلفة . وفي المقام الاول يوجد الاحتمال بأن يضع المصريون أمام انفسهم هدف احتلال قناة السويس . وهذه مهمة كبيرة والمزايا فيها في حالة التوصل اليها كبيرة وكثيرة . ويمكن

ان نفترض أن المصريين يتطلعون الى هذا الهدف،والمشكلة المرتبطة بتنفيذ هذا الهدف هي تقريبا نفس المشكلة المرتبطة باحتلال كل سيناء،والسيطرة على قناة السويس سوف تلزم الجيش المصري بالعبور الشامل لكثير من رؤوس الجسور بقوات كبيرة تستطيع ان تصد جيش الدفاع الاسرائيلي الى مسافة بضع عشرات من الكيلومترات . وقد مر الجيش المصري في العام الماضي بتدريبات هامة ، ومن الممكن ان نعتبر حجم هذه التدريبات بأنها مدهشة، وكانت هناك تدريبات للفرق ، ومن الصعب ان نقدر مستوى المناورات وقدرتهم على استخلاص الدروس منها وتطبيقها . ولكن اذا وصلوا الى مكاسب فهناك الذين يقولون ان الجيش المصري غير قادر اليوم على تنفيذ عملية عبور عامة لقناة السويس والتغلب على كل المشكلات خلال الحرب العنيفة ، وعلاوة على ذلك الافتراض هو ان قادة الجيش المصري ايضا يعرفون ان جيشهم لا يزال غير قادر على مواجهة هذه المهمة المعقدة التي تعتبر مهمة صعبة بالنسبة لاي جيش متقدم . ولذلك اعتقد انه من المعقول جدا أن تختار القيادة للاركان المصرية الاحتمال المحدود وهو احتلال مناطق صغيرة جدا قبل السيطرة على جزء من قناة السويس من جانبيها او السيطرة على منطقة مثل شرم الشيخ .. ومن الممكن ان نقرر أن الجيش المصري قادر اليوم على تنفيذ عمليات عبور ولكن يوجد شك في أن يستطيع صد الهجمات الي تأتي بعد ذلك في حين يقف وظهره للقناة »(٦).

وكتب معلق الشئون العسكرية الاستراتيجية « ادوارد لوتيك » في صحيفة « دافار » الاسرائيلية يوم ١٩٧١/١٢/٣ أيضا يقول تحت عنوان « استراتيجية مخاطرات صغيرة » ضمن دراسة مطولة عن « قيود التكنولوجيا العسكرية للسوفييت في مصر، الاستراتيجية السوفييتية قد تمكن القاهرة من استئناف حرب الاستنزاف » انه « يمكن ان تمكن هذه الاستراتيجية الروسية المصريين من تجربة قواهم والعودة الى حرب الاستنزاف كما حدث قبل سنتين ولكن ليس اكثر من هذا . ومع كل القوة الموجودة لديهم — اكثر من ١٠٠٠ مدفع ميدان وهاونات وكتائب اسلحة كوماندوس وطائرات هليكوبتر وشبكات صواريخ م/ط على طول القناة — وحتى بمعونة كل هذه القوة التي قد تقلل الطاقة الهجومية لقواتنا الجوية لا يستطيع المصريون في حالة فتح النيران الهجومية وهجمات الكوماندوز ان يضطرونا للانسحاب من خط بارليف .. وفي مثل هذه الحالة ستضطر القوات المصرية ان تحارب الى النهاية أمام طوابير مدرعاتنا بدون مساعدة من الجو وفي أحسن الظروف لا يمكن لاي طرف الاستعانة بالمعاونة الجوية .. وعلى كل حال اذا دارت المعركة خارج مدى الصواريخ م/ط فستكون القوات الاسرائيلية قادرة على الدخول الى العمل بدون ان تخشى صواريخ « سام ٢ » و« سام ٣ » الموجودة على طول القناة والاحتمالات المصرية ستكون منعدمة تماما . وبحسب اخبار ترددت في الفترة الاخيرة أرسل الروس الى مصر وحدات متحركة لصواريخ م/ط من طراز سام ٤ « جانتس » وسام ٥ « جاينهول » . وهذا السلاح من الناحية النظرية يمكن لقوات الدفاع الجوي التحرك للامام مع القوات البرية المتقدمة . ولكن ليس هناك دليل على هذا لان ٢٠٠٠ — ٣٠٠٠ وحدة الصواريخ المطلوبة لهذه المهمة لو فرضت انها موجودة في مصر فليس هناك قوة مصرية مدربة لاستخدام هذه الوحدات »(٧).

ومن خلال استقراء هذه المقتطفات من المقالين المذكورين نستطيع ان نقول أن الفكر والتصور الاستراتيجي الاسرائيلي لم يكن بعيدا ، على ضوء خبراته خلال مرحلة حرب الاستنزاف وتقدير علاقات القوى العسكرية ، عن توقع اقدام القيادة السياسية المصرية على شن « حرب استنزاف جديدة محسنة » ذات اهداف استراتيجية عسكرية محدودة النطاق نسبيا تستهدف الضغط على اسرائيل من أجل فرض تسوية سياسية لصالح

العرب. وان بحثه كان يدور حول مدى محدودية هذا الهدف العسكري لمثل هذه الحرب وما اذا كان سيصل الى حد احتلال قناة السويس « وهذه مهمة كبيرة والمزايا فيهـــا كبيرة وكثيرة » على حد تعبير « زئيف شيف » ، أم سيقتصر على « احتلال مناطق صغيرة جداً قبل السيطرة على جزء من قناة السويس من جانبيها » ؟ وكان تصور حجم وفاعلية القدرة العسكرية المصرية هو الذي يجعل الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي غير متأكد من حجم محدودية الهدف العسكري الاستراتيجي الذي يمكن ان تختاره القيادة المصرية ، وخاصة من حيث قدرة الدفاع الجوي والطيران على حماية القوات البرية في اثناء تنفيذها لهذا الهدف ، وقدرة الدبابات والاسلحة المضادة للدبابات على مواجهة الهجمات المدرعة الاسرائيلية التي ستتم بعد العبور الاولي للقناة على « فرض تقليل الطاقة الهجومية » للقوات الجوية الاسرائيلية او القتال «بدون مساعدة من الجو وفي أحسن الظروف لا يمكن لاي طرف الاستعانة بالمعاونة الجوية » على حد تعبير « ادوارد لوتيك » الســابق ذكـــره .

كما كان هناك احتمال وارد بشكل ضعيف للغاية لدى الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي بأن تتقدم القوات المصرية بعد عبورها القناة الى مسافات داخل سيناء خارج مـــدى الصواريخ م/ط « سام ٢ » ، « سام ٣ » على اساس استخدام صواريخ سام المتحركة، والتي كان يتصور انها ستكون من طراز « سام ٤ » و« سام ٥ » ، المصاحبة لزحف القوات البرية ، ولكن هذا الاحتمال غير ضعيف في التقدير الاسرائيلي نظـــرا للشك في توفر العدد الكافي من هذه الصواريخ لدى القوات المصرية والشك في وجود او امكـــان وجود اطقم كافية مدربة على استخدامها في حال توفر الكميات اللازمة منها .

● مدى توقع العدو الاسرائيلي للحرب :

رغم أن احتمال اقدام مصر وسوريا على شن حرب محدودة بهدف فرض تسويـــة سياسية عادلة على اسرائيل كان واردا كاحتمال نظري لدى الفكر الاستراتيجي كما تدلنا على ذلك المقتطفات السابقة ، الا ان اقدام القيادة السياسية العربية على اتخاذ القرار السياسي ببدء مثل هذه الحرب كان احتمالا ضعيفا للغاية لدى الدوائر الاسرائيليـــة السياسية والعسكرية رغم توفر المعلومات لديها عن وجود القدرة العسكرية العربية على تنفيذ مثل هذه الخطوة . فقد صرح « موشي ديان » يوم ١٩٧٣/٩/٢٦ بأنه « خلف الحدود السورية مئات الدبابات ومئات المدافع وشبكة صواريخ مضادة للطائرات توازي في حجمها تلك الشبكة الموجودة في الخط المصري غربي قناة السويس »(٨).

ويبدو ان قادة اسرائيل كانوا يستبعدون اقدام مصر وسوريا على القيـــام بعمل عسكري واسع النطاق استنادا الى تصوراتهم المبالغ فيها عن قوة الردع الاسرائيلية ، فقد صرحت « جولدا مئير » مثلا في كلمة لها بمناسبة رأس السنة العبرية يوم ١٩٧٣/٩/١٨ حيث قالت « ان الهدوء على خطوط وقف القتال ناتج لسببين ، قوة جيش الدفاع الاسرائيلي الرادعة ، وقوة اسرائيل الداخلية . ان هذين العاملين لا يسكتان فقط مدافع العدو بل يساهمان أيضا في تحقيق السلام »(٩).

كما كان « موشي ديان » هو الاخر قد صرح في خطاب القاه بمناسبة مرور ثلاثة اعوام على وقف اطلاق النار في يوم ١٩٧٣/٨/٩ قائلا « ان تفوقنا العسكري هو نتيجة مزدوجة لضعف العرب وقوتنا . فضعفهم يتجسد في مستوى جنودهم الضعيف والانشقاق بين الدول العربية . . ان ميزان القوى العام هو في صالحنا . وهذا أمر حاسم بالنسبة لكافة الاعتبارات والدوافع العربية المختلفة . وهو يكبح جماح الرغبة في اســتئناف الحرب بصورة فورية(١٠) » .

وفي اثناء مقابلة اذاعية مع عضو الكنيست « حاييم تسادوك » رئيس لجنة الشؤون الخارجية والامن في الكنيست جرت يوم ١٩٧٣/٥/١٨ بمناسبة الاتفاق بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية على وقف اشتباكات مايو أجاب على سؤال خاص بمدى رغبة سورية في الهدوء في الوقت الحاضر بالايجاب على أساس خشيتها من المجابهة مع اسرائيل ، وأجاب على سؤال يقول « هل تعتقد بأن الهدوء على حدودنا مع مصر سيستمر رغم الاستعدادات للحرب التي تبذل هناك اخيرا ؟ » أجاب بقوله « تصعب الاجابة على هذا السؤال بصورة قاطعة ، فحكومة مصر تواجه معضلة خطيرة . فمن ناحية ، هم يدركون جيدا انه ليس لديهم اي أمل في الانتصار في الحرب الشاملة ، عن طريق حملة عسكرية شاملة ، وهم يعلمون أيضا أنهم اذا حاولوا حصر المعركة في مجال محدد ، فان الامر غير مضمون ، لان اسرائيل سترد على اتساع لا يلتزم بالتحديد المصري ، بل على الاتساع الذي ترتأيه استراتيجيتها العسكرية . وجيش الدفاع الاسرائيلي لم يخض حتى الآن معركة دفاعية . وهكذا يدرك المصريون انه ليس لديهم اليوم اي أمل ، لا في معركة شاملة ضد اسرائيل ، ولا في نشاط عسكري محدود . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فهناك قلق عميق في مصر ، من أنه اذا لم يقم نشاط فسيعتاد العالم على الوضع الراهن وينسى مشكلتهم . واعتقد بأنه نتيجة لهذا فاننا نسمع اليوم تهديدات عسكرية . . واعتقد بأنه ينبغي النظر الى هذه التهديدات بجدية تامة »(١١).

وهكذا تراوحت التقديرات الاسرائيلية السياسية بالنسبة لاحتمال اقدام كل من مصر وسوريا على شن حرب محدودة بين التوقع الضعيف والمتوسط ، وكانت التوقعات المتوسطة أكثر في مايو الماضي عنها في سبتمبر ، ولعبت عدة عناصر مختلفة دورها في تخفيف مثل هذه التوقعات ــ رغم توافر المعلومات عن معظم الاستعدادات العسكرية نتيجة لتقارير المخابرات ــ اولها غرور القوة الاسرائيلية المبالغ فيها ، والفهم غير السليم لحقيقة القدرات القتالية العربية خاصة المتصل منها بالانسان الفرد كجندي او قائد ، فضلا عن التقدير الخاطىء لتصرفات القيادة السياسية العربية على الساحة الديبلوماسية الدولية من حيث ان مغزاها لم يفد عدم الرغبة في اللجوء الى القوة العسكرية مطلقا وانما كان ضمن المناورة الخارجية المطلوبة كغطاء للعمل العسكري ، واستمر سوء التقدير لنوايا القيادة السياسية العربية ، خاصة القيادة المصرية ، حتى وقت قصير للغاية قبل نشوب القتال ففي ندوة اذاعية تمت يوم ٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، حول مسألة اسناد الحكومة المصرية لعملية مد خط الانابيب للبترول بين السويس والاسكندرية الى شركة امريكية ، قال المعلق الاسرائيلي المتخصص في الشئون العربية « دوف ينون » ردا على سؤال بما اذا كان هناك « مغزى سياسي لانشاء الخط المذكور في الوقت الذي نسمع فيه عن اعلان حالة الطوارىء في الجيش المصري ؟ » بقوله « نعم ثمة مغزى سياسي للامر يتعلق بالوضع في المنطقة . ذلك لان اقامة هذا المشروع على مسافة قصيرة من مواقعنا ــ مع العلم انه سيشغل الوف الاشخاص الذين سيعملون في البناء ــ يعني أن الهدوء يهم المصريين واذا كانوا يريدون انشاء مشروع اقتصادي فليس في صالحهم ان يهددوا بالحرب . واعتقد ان المصريين يعتبرون ان الصراع سيستمر مدة طويلة ، ولذلك فانهم احسوا الحاجة الى مد خط الانابيب هذا »(١٢).

وهكذا يمكن القول ان اسرائيل لم تكن غير متوقعة اقدام مصر او سوريا على شن حرب محدودة الهدف عسكريا من أجل فرض تسوية سياسية في اطار تطبيق قرار مجلس الامن بما يتفق والتفسير العربي له ، كما انها لم تكن تجهل وجود الامكانات العسكرية والاستعدادات العملية لها ، الا انها كانت تستبعد وضع هذا الاحتمال النظري وذلك التأهب العسكري موضع التطبيق العملي على أساس استنتاجات سياسية خاطئة تتعلق بنوايا القيادات السياسية العربية واستنتاجات عسكرية خاطئة تتصل بحقيقة القدرات

القتالية العربية ، وعلى ضوء هذا يمكن لنا ان نفهم مغزى قول الجنرال حاييم بارليف يوم ١٩٧٣/١١/٢ انه « سيكون لدينا من الان وصاعدا انباء موثوق بها كما حدث حتى الان ، لكن الاستنتاج والتقييم سيكونان مختلفين عما حدث في حرب عيد الغفران »(١٣).

● **التطبيق العربي للهدف الاستراتيجي العسكري :**

حصلت مصر وسوريا على المبادأة الاستراتيجية وتحقق لهما عنصر المفاجأة بالكامل في يوم السادس من اكتوبر ١٩٧٣ الذي سيبقى ، رغم كل نواقص عسكرية او سياسية ظهرت بعد ذلك ، مشعلا مضيئا في تاريخ العسكرية العربية وبداية نقطة تحول هامة في مجرى الصراع العربي ـ الاسرائيلي . واختلت حسابات الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي المسبقة سواء بالنسبة لحجم العمليات العسكرية ـ رغم عدم تغير حسابات محدودية الهدف العسكري للحرب من جانبهم على ما نعتقد ـ او بالنسبة لوجود وحدة العمل العربي العسكري ـ نتيجة لدخول سوريا الحرب منذ اللحظة الاولى لها وبدرجة كبيرة من التنسيق خاصة في المراحل الاولى ـ او بالنسبة لقدرة الجيش المصري على صد الهجمات الجوية والمدرعة المضادة ، نتيجة للمفاجأة التقنية المتمثلة في قدرة الصواريخ سام ٦ وسام ٧ والمدافع المضادة للطائرات الموجهة بالرادار وفي ارتفاع كفاءة الاطقم المستخدمة لها ، وكذلك في القدرة التقنية للصواريخ الموجهة المضادة للدبابات من طراز « سنابر » و « ساغر » وارتفاع كفاءة أطقمها والروح القتالية العالية مع القدرة التكتيكية الملائمة لجنود المشاة الذين استخدموا قذائف « الار بي جي ٧ » ومدافع « ب ١٠ » عديمة الارتداد ضد الدبابات بالاضافة للصواريخ الموجهة ، فكان أن دمرت موجات الهجمات المدرعة المعاكسة الاولى بصورة مذهلة اسقطت حسابات الخطة الاسرائيلية المضادة والمعتمدة على معادلة ثلاثية الاطراف تتكون من « تحصينات خط بارليف » و« الاحتياطي المدرع » و« فاعلية الطيران » .

لقد كانت المفاجأة استراتيجية وتكتيكية ايضا سواء من حيث اتخاذ القرار السياسي بالحرب المحدودة او اتساع نطاق المواجهة محليا وعربيا او من حيث ارتفاع كفاءة التخطيط العسكري ومستوى التدريب ودرجة تقدم الاستيعاب التقني والتكتيكي للاسلحة الحديثة المعقدة او من حيث الروح القتالية وارتفاع المعنويات ، وهكذا امكن للجيش المصري أن يعبر القناة ويحتل الضفة الشرقية بالكامل وهي المهمة التي اعتبرها « زئيف شيف » من قبل « مهمة صعبة بالنسبة لاي جيش متقدم » و« مهمة كبيرة والمزايا فيها في حالة التوصل اليها كبيرة وكثيرة » كما تحطم شكه « في ان يستطيع الجيش المصري صد الهجمات التي تأتي بعد ذلك في حين يقف وظهره للقناة » ! وسوف يكون لذلك التغير الضخم في قدرة الجيش المصري والسوري أثره الكبير والواضح مستقبلا في كافة الحسابات الاستراتيجية العليا والعسكرية . بالنسبة لكل من اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية سواء بالنسبة لنظرية الامن الاسرائيلية او مدى اعتماد الولايات المتحدة على قدرة الردع العسكري لاسرائيل بالنسبة لدول المنطقة العربية .

وهكذا أمكن لقوة الجيش المصري التي تضم مدفعية الميدان وبطاريات الصواريخ م/ط وكتائب الكوماندز التي تحدث عنها « ادوارد لوتيك » قائلا انه « حتى بمعونة كل هذه القوة التي قد تقلل الطاقة الهجومية لقواتنا الجوية لا يستطيع المصريون في حالة فتح النيران الهجومية وهجمات الكوماندز ان يضطرونا للانسحاب من خط بارليف » امكن لهذه القوة ان تحطم خط بارليف في معظم اجزائه الفعالة خلال ٦ ساعات فقط وان تحطم الوية المدرعات الاسرائيلة وتسقط ٤٠ طائرة اسرائيلية خلال يومين من بدء القتال قرب قناة السويس كما تقول المصادر الامريكية نفسها(١٤). وتبددت خرافة عدم قدرة

مصر ، والعرب عامة ، على خوض « لا معركة شاملة ضد اسرائيل ، ولا نشاط عسكري محدود » كما قال « حاييم تسادوك » ! وهكذا ايضا انهى الجيشان المصري والسوري اسطورة « موشي ديان » القائلة « ان تفوقنا العسكري هو نتيجة مزدوجة لضعف العرب وقوتنا . وضعفهم يتجسد في مستوى جنودهم الضعيف والانشقاق بين الدول العربية»! وتبددت أيضا خرافة « القوة الرادعة للجيش الاسرائيلي وقوة اسرائيل الداخلية » التي تسكت مدافع العرب وتؤدي الى الاحتفاظ بحالة الهدوء على خطوط وقف اطلاق النار السابقة كما كانت «جولدا مئير» تتوهم ! واضطر الجنرال « حاييم بارليف » بعد الحرب ان يبرر انهيار الخط الدفاعي الذي تم انشاؤه تحت اشرافه اثناء توليه رئاسة الاركان خلال حرب الاستنزاف بقوله « ان هذه التحصينات اقيمت في حرب الاستنزاف كقواعد متماسك بعضها ببعض لكل عملياتنا على طول امتداد القناة ، وان اي انسان عادي يعرف ان عشرين تحصينا لم تكن لتوقف وحدها هجوما شاملا تشنها خمس ، او ما يزيد ، من الفرق المصرية . وفي مواجهة مثل هذا الهجوم كان يوجد جهاز شامل كانت التحصينات نفسها تشكل ضمنه عنصرا واحدا . وان الزعم بأن التحصينات لم تتمكن من صد المصريين هو قول احمق ، لانها لم تكن معدة لهذه الغاية اصلا . وقد سقطت التحصينات لانها كانت عبارة عن مواقع امامية فقط ، لا أكثر ولا أقل »(١٥)! فأين موضع هذه الاقوال من أقوال « ادوارد لوتيك » السابقة وغيرها من الدعايات الاسرائيلية حول خط بارليف الذي لا يقهر ! واضطر المعلق العسكري الاسرائيلي الجنرال « حاييم هرتسوج » ان يقول في تقييمه للموقف العسكري بعد اسبوعين من بدء القتال « لقد قام الجيش المصري يوم عيد الغفران بعبور القناة بقوة كبيرة ، ونجح في مهمته وتغلب على الخط الامامي الاسرائيلي ، وأقام مواقع تعتمد على رؤوس جسور على امتداد الضفة الشرقية للقناة »(١٦). كما اضطر « يتسحاق رابين » ان يقول يوم ١٩٧٣/١١/٩ بعد توقف اطلاق النار « لا يجوز طمس الحقيقة في أننا فوجئنا بالهجوم يوم الغفران ويجب اجراء تحقيق وأخذ العبر ويجب معرفة لماذا فوجئنا وكذلك صحة الافتراضات العسكرية والسياسية التي تمسكنا بها حتى نشوب الحرب »(١٧). وقال الجنرال « حاييم بارليف » ايضا هو الاخر حول الموضوع نفسه « ان الانتصارات المفاجئة للعدو في بداية الحرب نجمت عن ان الجهاز الدفاعي لجيش الدفاع الاسرائيلي لم يكن في الساعة المصرية كامل الاستعداد لمواجهة خطر الحرب الشاملة »(١٧).

وقد تحققت في الجبهة السورية ايضا خلال المرحلة الاولى من الحرب انتصارات ضخمة وتعمقت القوات السورية أكثر من ٢٠ كلم في بعض المناطق وتكبدت القوات الاسرائيلية هناك خسائر فادحة ، كما تكبد الطيران الاسرائيلي خسائر شديدة للغاية في مرحلة الهجوم المضاد الاسرائيلي وخاصة في العمق فوق دمشق والمناطق القريبة منها كما أمكن صد الهجوم المضاد وايقافه تماما بعد ذلك . الا أن الهجوم الاسرائيلي المضاد في الجبهة المصرية استطاع بعد حوالي اسبوعين من بدء القتال أن يحقق تقدما هاما يتمثل في عبور القناة شمالي البحيرات المرة واحداث ثغرة بين الجيشين الثالث والثاني على الضفة الشرقية والغربية جرى توسيعها بعد ذلك ، خاصة عقب وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر الى حد تهديد خطوط مواصلات الجيش الثالث وقطع طريق السويس — القاهرة . ومن المؤكد ان هذا العبور الاسرائيلي كان تنفيذا لعملية أعدها العدو مسبقا خلال السنوات الست الماضية ، واجرى الاستطلاعات والتدريبات اللازمة لها لتكون ردا على أي عبور مصري محدود في القسم الشمالي من القناة كما كان متوقعا .

تلك هي باختصار نتائج التطبيق العملي للعمل العسكري العربي ذي الاهداف الاستراتيجية العسكرية المحدودة نسبيا . ونحن نعتقد ان تحقيق الهدف السياسي للحرب كان يمكن ان يضمن ظروفا افضل وأكثر ملاءمة وامكانا للتطبيق المطلوب وفقا

التفسير العربي لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، لو أن الهدف الاستراتيجي العسكري كان اكثر بعدا مما حدد له قبل بدء القتال ، خاصة في الجبهة المصرية حيث كان من الضروري استراتيجيا الوصول بسرعة نسبية مع تأمين اكبر قدر ممكن من الدفاع الجوي والحماية الجوية الى منطقة الممرات الاربعة في سيناء وهي « متلا » و« الجدي » و« جفجافة » و« رمانة » واقتحام الدفاعات الاسرائيلية المقامة فيها اما بالمواجهة او بالتطويق العمودي (بواسطة القوات المحمولة جوا) او بالالتفاف حول بعضها برا او بحرا وفقا للحالة التكتيكية لكل موقع وظروف القتال فيه . حتى يمكن للقوات البرية ان تتمركز هناك على مواجهة محدودة نسبيا غير قابلة للالتفاف البري حولها او اختراقها في بعض المواضع بسهولة نسبية ، ذلك لان من الصعوبة بمكان ان يستطيع جيش اقامة خط جبهة متصلة على امتداد الضفة الشرقية للقناة من القنطرة شمالا حتى السويس جنوبا فوق ارض منبسطة قابلة للاختراق بواسطة المدرعات في اية نقطة ضعيفة نسبيا ، وهي بالضرورة ستوجد ويسهل على وسائل الاستطلاع الجوي الحديثة اكتشافها بالنسبة لجبهة طويلة كهذه ، وفي هذه الحالة يكون من العسير نسبيا على جيش لم يتمرس بدرجة كافية على حرب الحركة والدفاع الديناميكي (خاصة بعد بقائه فترة ست سنوات متخندقا في مواقع دفاعية ثابتة قرب الضفة الغربية للقناة) وفي ظل مراعاة الاعتبارات السياسية المختلفة المحيطة بالحرب من حيث ضرورة الاحتفاظ بكل الارض المحررة بالضفة الشرقية وتعزيزها بقوة ومن حيث قصر الفترة الزمنية المطروحة للعمل العسكري الواسع النطاق بسبب العوامل الدولية الخ ، نقول يكون من الصعب على الجيش ، في ظل اختيار هذا المدى الاستراتيجي للتقدم وممارسة حرب استنزاف محسنة منه ، أن يحافظ على كل المكاسب العسكرية التي حققها ويمنع العدو من تحقيق أي كسب محدود يستخدمه بعد ذلك في تقليص المكاسب السياسية المطلوب تحقيقها من وراء الهدف العسكري الاستراتيجي . هذا مع ملاحظة ان هناك في الحقيقة ورغما عن كل شيء كما قال الاستاذ محمد حسنين هيكل في مقاله المنشور يوم ٧٣/١١/٩ « فارق بين العبور المصري أمام حصون خط بارليف وضد عدو حاول ترسيخ تفوقه ، وبين عبور اسرائيلي في خضم معركة وضمن حركة اختراق ممكنة في مسار الحروب . . مع التسليم بأنه لم يكن هناك ما يبرر وقوعها على النحو الذي وقعت به ، ولا التأخير في حصرها وتصفيتها »(١٨) .

والواقع ان حرب ٦ اكتوبر المجيدة ، وهي مجيدة رغم تحقيق العدو الاسرائيلي لثغرة محدودة في كل من الجبهتين السورية والمصرية كان يمكن ان لا تحدثا ، قد تحكم فيهما القرار السياسي بشكل مباشر وأكثر وضوحا أو تداخلا من اي حرب أخرى ، نظرا للظروف الشديدة الخصوصية (محليا ودوليا) التي يجري فيها الصراع ، وذلك سواء اثناء التحضير لها واختيار أهدافها الاستراتيجية العسكرية ، أو اثناء تنفيذها في مراحلها المختلفة وخاصة المراحل الاخيرة منها التي ظهرت فيها آثار التدخل الامريكي غير المباشر بصورة وحجم ونوعية لم تكن متوقعة على هذا النحو من جانب القيادة السياسية العربية . ولكن على أي حال ، فان هذه الحرب تشكل منعطفا هاما للغاية في مجرى الصراع العربي ــ الاسرائيلي وتتضمن خبرات عسكرية وسياسية ثمينة تحتاج الى مزيد من البحث والدراسة ستعود قطعا بالفوائد على مستقبل الصراع بين الشعوب العربية من جهة واسرائيل والامبريالية الامريكية من جهة أخرى بغض النظر عما قد يتم التوصل اليه من تسويات سياسية مرحلية معبرة عن حصيلة علاقات القوى العسكرية والسياسية المحلية والدولية خلال هذه المرحلة التاريخية .

الحواشي

١ — بوفر ، اندريه ، **مدخل الى الاستراتيجية العسكرية** ، ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي ، بيروت ، دار الطليعة ، ص ٢٩ .

٢ — كتاب « **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي** » ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

٣ — **المرجع السابق** ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

٤ — **المرجع السابق** ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

٥ — وايزمن ، عيزر ، **معاريف** في ٧١/٥/١٤ ، عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، عدد ١ حزيران ١٩٧١ .

٦ — شيف ، زئيف ، احتمالات الهجوم المصري ، صحيفة **هآرتس** العبرية ، عدد ١٩٧١/١٢/٣ .

٧ — لوتيك ، ادوارد : « قيود التكنولوجيا العسكرية للسوفييت في مصر » ، صحيفة **دافار** العبرية في ١٩٧١/١٢/٣ .

٨ — **نشرة رصد اذاعة اسرائيل** ، مركز الابحاث ، العدد ٣٣٣ ، ص ٨٦٧ .

٩ — نشرة « ر ا ا » العدد ٣٢٦ ، ص ٧٩١ .

١٠ — نشرة « ر ا ا » العدد ٢٩٢ ، ص ٥٧٠ .

١١ — نشرة « ر ا ا » العدد ٢٢٧ ، ص ٥ (الملحق) .

١٢ — نشرة « ر ا ا » ملحق العدد رقم ٣٣٨ ، ص ٩١٢ .

١٣ — نشرة « ر ا ا » العدد رقم ٣٨١ ، ص ١٤٦٧ .

١٤ — «The Desert as a Proving Ground,» *Time*, 29 October, 1973, p.27.

١٥ — نشرة « ر ا ا » العدد رقم ٣٨١ ، ص ١٤٦٧ .

١٦ — نشرة « ر ا ا » العدد ٣٦٥ ، ص ١٢٣٣ .

١٧ — نشرة « ر ا ا » العدد ٣٨٧ ، ص ١٥٩٨ .

١٨ — هيكل ، محمد حسنين ، مقال « بصراحة » ، صحيفة **الانوار** ، عدد ٩ تشرين٢ ١٩٧٣ ، ص ٧ .

جنوب افريقيا واسرائيل

الدكتور جورج طعمه

كان التمييز العنصري والاستعمار وفلسطين ، منذ بدء الامم المتحدة ، بين اكثر المشكلات التي بحثت ، والتي اقترعت الجمعية العامة واجهزتها الرئيسية على أكبر عدد من القرارات في شأنها . وقد صدرت في سنة ١٩٧٠ ، خلال الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس الامم المتحدة ، ثلاثة اعلانات هي التالية :

١ ــ اعلان حول تقوية الامن الدولي .

٢ ــ تنمية استراتيجية دولية لعقد التنمية الثاني للامم المتحدة .

٣ ــ مبادىء قانون دولي خاصة بالعلاقة الودية والتعاون بين الدول وفقا لميثاق الامم المتحدة .

مثلت هذه الاعلانات الثلاثة ، بأكثر من طريقة واحدة ، مطامح البشرية وما تحن اليه بعد خمسة وعشرين عاما من تأسيس المنظمة العالمية . وفي كل هذه التصريحات اعتبر التمييز العنصري والاستعمار سياستين « محرمتين » تكونان خطرا على السلام والامن الدوليين .

وبعبارة محددة واضحة تناشد الجمعية العامة في قرارها رقم ٢٥٤٧ ب (دورة ٢٤)، الذي عنوانه اجراءات فعالة لمكافحة التمييز العنصري ، « جميع تلك الحكومات التي لا تزال تحتفظ بعلاقات دبلوماسية وتجارية وعسكرية وثقافية وبعلاقات اخرى بنظام الاقلية العنصرية غير الشرعية في جنوب افريقيا وبنظام الاقلية العنصرية غير الشرعية في روديسيا الجنوبية الى قطع هذه العلاقات فورا وفقا لقرارات الجمعية العامة ومجلس الامن ذات العلاقة بالموضوع » . صوتت اسرائيل مع هذه القرارات وما يماثلها والقى الناطق باسمها في الامم المتحدة احيانا بيانات زائفة في تأييد موقف الامم المتحدة . اما الحقيقة فهي أن العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل لم تكن قائمة منذ تأسيس هذه الدولة فحسب بل قبل ذلك ايضا وبعد موافقتها على قرارات الامم المتحدة . وتستمر في كل من البلدين طلبات ملحة لتقوية العلاقات في كل الميادين ، ولا تجعل صحف جنوب افريقيا والصحف الاسرائيلية من ذلك سرا .

التعاون السياسي

صدر في ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، في صحيفة « هآرتس » الاسرائيلية التي تمثل المنظمة الاسرائيلية ــ الصهيونية مقال عنوانه « تحسن العلاقات بجنوب افريقيا » تعليقا على وصول دبلوماسي من جنوب افريقيا الى اسرائيل جاء فيه انه « يدل ، كما يرجى على افتتاح فصل جديد في العلاقات بين البلدين ، ان المساعدة التي قدمها الافريقيون الجنوبيون بموافقة حكومتهم خلال حرب الاستقلال لم تنس ابدا ولا لحظة واحدة . ان كلا من القدس وبريتوريا تستحق الثناء على النجاح » . اعادت الصحيفة

* سيقدم هذا البحث في المؤتمر العربي الافريقي ــ الخرطوم ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ .

الاسبوعية الصهيونية « جويش كرونيكل » التي تصدر في جوهانسبرج نشر مقال هآرتس بكامله في ١٨ ايار ١٩٧٢ وحثت حكومتي جنوب افريقيا واسرائيل على رفع رتبة مفوضيتهما الى سفارة دون تأخير . وقد نشرت الصحيفة الاسبوعية نفسها التي تصدر في جنوب افريقيا بعناوين كبيرة في ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٢ نبأ زيارة مستر بوثا ، وزير الزراعة والشؤون المائية في جنوب افريقيا ، لاسرائيل ، فاعتبرته نجاحا ، واشارت « الى السواء التام في العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا كحلم عظيم ». وجاء في المقال نفسه ايضا : « هناك نقطة أكدها مستر بوثا مرارا انه لم تنعم اسرائيل ولا جنوب افريقيا بوفرة من الموارد المائية ، ولذلك كانت مشكلاتهما المائية متشابهة وتستطيع احداهما ان تتعلم من الاخرى » . كذلك نقف من الصحيفة نفسها في عدد ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ على الزيارة العاطفية التي قام بها وايزمن، الجنرال السابق في السلاح الجوي واحد كبار الصقور في اسرائيل وعضو حزب حيروت اليميني المتطرف ، فقد جاء في المقال ما يلي : « من روديسيا يقوم وايزمان برحلة عاطفية . خلال جدول حافل دام ثلاثة ايام لقي الجنرال وايزمن ترحيبا حارا من المجتمع اليهودي في روديسيا . خطب الجنرال وايزمن في جموع كبيرة في بولاوايو وسالزبيري ، ووجهت اليه أسئلة كثيرة أجاب عنها فورا . في جويلو قابل المجتمع اليهودي عائلة وايزمن في مطار تورنهيل . زار الجنرال وايزمن ثانية محطات الطيران التي تدرب فيها وحصل على شارته الجناحية خلال الحرب العالمية الثانية » .

ذكرت صحيفة **ذي ستار** ، التي تصدر في جوهانسبرج ، في ١٠ شباط ١٩٦٨ ان نداء وقعته رابطة اسرائيل في جنوب افريقيا ودعت فيه الحكومة الاسرائيلية الى تحسين علاقاتها بجنوب افريقيا قد ظهر كاعلان كبير في **جروزالم بوست** الصحيفة الاسرائيلية اليومية التي تصدر باللغة الانجليزية ، سرد صداقة جنوب افريقيا لاسرائيل واشار الى ان « جنوب افريقيا سمح دوما بتدفق التبرعات والمتطوعين الى اسرائيل وأيد الدولة اليهودية » . وحث مقال افتتاحي في **ذي فادرلاند** على علاقات اوثق بين البلدين واعلن أن « بقاء اسرائيل في الشرق الاوسط جزء أساسي من امننا » . ورحب المقال بالزيارة التي سيقوم بها في شهر ايار (مايو) رئيس وزراء اسرائيل السابق ، بن غوريون ، الذي افتتح الجباية الاسرائيلية الموحدة لحالة الطوارىء سنة ١٩٦٩ وحملة وحدة المصالح والاهداف في جنوب افريقيا ، وجاء فيه ما يلي : « اذا اصغى اخواننا المواطنون اليهود الى ما جاء زائرنا المهم يطلبه ... عندها يكون تبرعهم مساهمة في امن جنوب افريقيا ايضا » . واشارت الصحيفة الى سيطرة اسرائيل الى درجة مهمة على طريق الشيوعية الروسية الى شرقي القارة الافريقية ، وعنت بذلك طبعا سيطرة اسرائيل على قناة السويس ، تلك السيطرة التي أجبرت السفن الى التحول عن القناة المغلقة واستعمال موانىء جنوب افريقيا في طريقها الى المحيط الهندي وعودتها منه .

وترجع هذه العلاقة الوثيقة الى الايام التي تقرر فيها مصير فلسطين في الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ . خلال الدورة الخاصة الاولى لفلسطين كان وفد جنوب افريقيا بين اقوى المؤيدين لمشروع التقسيم . ذكر مستر لورنس ، عضو ذلك الوفد في أحد بياناته ان رئيس وزراء جنوب افريقيا ، الجنرال سمطس ، كان أحد واضعي تصريح بلفور الاصليين ، واكد ان تأسيس وطن قومي يهودي كان سياسة قومية صريحة منذ ١٩١٩ .

ان يهود جنوب افريقيا ، كمجتمع لا شك في تأييده لاسرائيل والصهيونية ، يؤيدون مثل ذلك التمييز العنصري ضمنا ان لم يكن صراحة . انهم يودون ان يصفوا سياستهم نحو التمييز العنصري بأنها سياسة عدم تدخل . ولكنها في الواقع تآمر صامت يفضح نفسه حين يصبح تأييدا مكشوفا لزعماء التمييز العنصري . والمؤسف اكثر من ذلك ان نسمع رئيس حاخامي المجتمع اليهودي في جنوب افريقيا يؤبن في القداس الدكتور

فيروورد . وقد قيل ان الحاخام البروفسور ابراهامز وصف فيروورد بـأنه « رجل اخلاص واستقامة ... وراء سياسته ضمير فاضل . انه اول رجل اكسب التمييز العنصري أساسا خلقيا . » كذلك الحاخام الاكبر للطائفة اليهودية التقدمية ، آرثر سوبر ، أبّن الدكتور فقال انه من أعظم رؤساء الوزارة الذين اخرجهم جنوب افريقيا ان لم يكن اعظمهم .

« هنا كان رجل ، كموسى في الزمن القديم ، قاد شعبه الى الارض الموعودة بعد بستين عاما من التيه . كانت لديه الجرأة والقوة ليؤسس جمهورية جنوب افريقيا ، وبذلك حل باجراء واحد التراث القديم من البغضاء ، والحسد الطائفي ، والولاءات الملطخة ، والاحقاد القديمة ، والمظالم الماضية التي كانت تحول دون أن يصبح جنوب افريقيا شعبا واحدا . ويبدو أن المستقبل يحمل روابط تعاون أقوى بين البلدين . دعونا لا ننسى ان جنوب افريقيا قدم عددا من الشخصيات للخدمة العامة الاسرائيلية ، وخصوصا م. كوماي ممثل اسرائيل لدى الامم المتحدة ، وابا ايبان وزير الخارجية ، والسفير لوري ، وكثيرين اخرين » .

التعاون العسكري

اقترح اولا ، في معالجة هذه الناحية من التعاون ، ان نتعمق في نقطة واحدة معينة . هناك نشرة موثوقة حول الاسلحة الحربية اسمها **« التوازن العسكري »** يصدرها سنويا المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية . جاء في عدد ١٩٧٠ — ١٩٧١ من هذه النشرة أن لدى اسرائيل ٩٥٠ دبابة ، منها ٤٥٠ من طراز سنتوريون . وذكر عدد ١٩٧٢ — ١٩٧٣ الذي صدر مؤخرا ان مجموع الدبابات التي تملكها اسرائيل ١٥٠٠ ، منها ٩٥٠ دبابة من طراز سنتوريون . فكيف نعلل هذه الزيادة في عدد دبابات سنتوريون من ٤٥٠ في ١٩٧٠ — ١٩٧١ الى ٩٥٠ في ١٩٧٢ — ١٩٧٣ اهي خطأ مطبعي ، والا فما يمكن أن تكون ؟ ماذا لدينا من الادلة لتفسير هذه الزيادة المفاجئة ؟

قبل سنتين من ظهور اخر عدد من نشرة المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ، في ٣٠ كانون الثاني ١٩٧٠ ، كان مجلس الامن يبحث « الوضع في ناميبيا » مع تأكيد خاص على منع شحن الاسلحة الى النظام العنصري في جنوب افريقيا . وكان المجلس في ذلك الحين يسترشد بقراراته السابقة وبآخر قرار أصدرته الجمعية العمومية في ٢٥ يناير (كانون الثاني) . وكعضو في المجلس أمثل بلدي سوريا لفت النظر الى خبر صدر في « النشرة الاخبارية اليومية » لوكالة البرق اليهودية في ٢٠ يناير ١٩٧٠ جاءها من لندن ويقول :

« بدات حكومة جنوب افريقيا تنظم تصدير الدبابات الى اسرائيل معلنة « مرحلة جديدة » من التعاون بينهما . ان دبابة جنوب افريقيا ضخمة . تزن ستين طنا ، مسلحة بمدفع ثقيل ومصممة على طراز الدبابة البريطانية الجديدة . وهذه اشارة واضحة الى الدبابة البريطانية الكبيرة الجديدة التي كانت اسرائيل تحاول شراءها من بريطانيا » .

في ٢ شباط ١٩٧٠ ارسل ممثل اسرائيل لدى الامم المتحدة رسالة شديدة اللهجة الى رئيس مجلس الامن يقول فيها ان « هذه الايحاءات كاذبة كليا ، وقد نفيت رسميا في اسرائيل » (س/٩٦٢٣) . والواقع ان ما ظهر في وكالة البرق اليهودية في ٣١ يناير ١٩٧٠ انما كان خبرا عنوانه :

« لا تعليق على تهمة تسلم اسرائيل أسلحة من جنوب افريقيا .

« ليس لدى وزارة الخارجية الاسرائيلية تعليق اليوم على التهمة القائلة ان جنوب افريقيا يشحن السلاح الى اسرائيل . ان التهمة التي ظهرت في عدد الاحد من ازفستيا

ادعت ان حكومة جنوب افريقيا كانت تخطط لتصدير دبابات ضخمة الى اسرائيل تزن الواحدة خمسة وستين طنا » .

ونورد على مجمل ما تقدم الملاحظات التالية :

١ ــ ان السلطات الاسرائيلية ، خلافا لما ادعاه ممثل اسرائيل لدى الامم المتحدة ، لم تنكر شراء دبابات ثقيلة من جنوب افريقيا . والخبر الذي نشرته وكالة البرق اليهودية في ٢١ يناير ١٩٧٠ وهو ((**لا تعليق على هذه التهمة**)) يجعل كل قارىء يستنتج ان الخبر الذي لا ينفي صحيح .

٢ ــ هناك دليل اخر على الشراء الفعلي لدبابات سنتوريون ، وانها دبابات جديدة، يزودنا به مصدر اسرائيلي هو الكتاب الذي الفه الكولونيل بنيامين كاجان ونشر في سنة ١٩٦٦ وعنوانه ((**المعركة السرية من اجل اسرائيل**)) . عرف المؤلف في الكتاب بأنه مثل دورا مهما في كنس العالم لجمع الاسلحة لاسرائيل . وهذا قوله : « في ١٩٥٥ كنا لا نزال بحاجة الى دبابات ثقيلة وقد علمنا ان جنوب افريقيا قد يكون مستعداً لبيع بعض دبابات سنتوريون التي حثه البريطانيون على شراء كمية كبيرة منها . وقد رجونا ان يكون زعماء جنوب افريقيا مسرورين بالسماح لنا بأخذ الفائض من السنتوريون » . (ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦) . ولا أظن ان بالامكان تقديم أقوى من هذا الاثبات ان اسرائيل اشترت دبابات سنتوريون .

٣ ــ ان وجود خطين لنقل السلاح بين اسرائيل وجنوب افريقيا مباشرة او غير مباشرة يثبته دليل اخر . بناء على مقال نشرته نيويورك تايمز في ٣٠ نيسان ١٩٧١ كان جنوب افريقيا يصنع رشيش عوزي UZI بموجب ترخيص . وهذا مخالف لقرار مجلس الامن رقم ٢٨٢ في ٢٣ تموز ١٩٧٠ الذي يطالب جميع الدول الاعضاء « بالغاء جميع الرخص والبراءات العسكرية الممنوحة لحكومة او شركات جنوب افريقيا لصنع الاسلحة » .لكن رخصة صنع رشيش عوزي منحته لجنوب افريقيا شركة بلجيكية حصلت على الترخيص بانتاج السلاح في ١٩٥٥ من اسرائيل « وقد استولى الثوار الافريقيون على عدد من الرشيش الاسرائيلي هذا من الجنود البرتغاليين وغيرهم من جنود الاستعمار الذين يكبتون الشعوب الافريقية » . ان الوثائق الرسمية في الامم المتحدة تتضمن هذه الحقائق . (الوثيقة A/AC. 115/L. 205 في ٢ مايو (ايار) ــ اللجنة الخاصة بالتمييز العنصري . مذكرة حول تطور تنفيذ حظر شحن الاسلحة الى جنوب افريقيا) .

يرجع هذا التعاون العسكري الخبيث بين دولتي الاستيطان العنصريتين الى سنة ١٩٤٧ اي الى ما قبل زرع اسرائيل في قلب الوطن العربي.وقد ذكر المؤلف نفسه المذكور اعلاه ، بنيامين كاجان عضو الهاجناه سابقا ، في كتابه ان ممثلي الهاجناه في جنوب افريقيا جندوا المتطوعين بحرية ودون اي عقبات من قبل الحكومة ، في ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ لم يكن لدى مؤسسة الهاجناه الارهابية ، التي أصبحت فيما بعد جيش اسرائيل الرسمي ، سوى بضعة طيارين ، وقد شكل الطيارون المتطوعون من جنوب افريقيا للقتال مع الارهابيين الصهيونيين اكبر فريق بعد الفريق الاميركي .

هناك عضو سابق في منظمة ارغون زفاي ليومي الارهابية ، وهو اوري افنيري ، عضو الكنيست الاسرائيلي حاليا ، ذكر في كتابه ((**أسرائيل دون الصهيونيين**)) الذي نشر في سنة ١٩٦٨ ان موشي دايان خلال حرب ١٩٤٨ كان يقاتل الجيوش السورية في الجبهة الشمالية تحت قيادة ضابط من جنوب افريقيا . (ص ١٣٨) . وبين الاعضاء البارزين في منظمة ارغون زفاي ليومي، التي كان يرئسها بيجن بطل ديرياسين ــ المماثلة

لمذبحة شاربيل ـ عضو اسمه صموئيل كاتز ، وهو ضابط عالي المكانة من جنوب افريقيا ، يتكلم في كتابه **ايام النار** بعبارات واضحة جدا عن موقف حكومة جنوب افريقيا الحر من الصهيونيين في حربهم ضد العرب وعن معونتها المستمرة لهم في ذلك بكل قدرتها .

ظهر فيما يتعلق بعلاقات ما قبل حرب ١٩٦٧ ان أول خبر عن خطة موضوعة لتمكين اسرائيل من التدخل في جنوب افريقيا ضد الشعب الافريقي المضطهد والمستغل قد خرجت الى الوجود . وردت في عدة مناسبات اشارات معينة الى اجراءات اسرائيل العدوانية المستوحاة من الاستعمار . وعلى الرغم من أن جنوب افريقيا كان ينتج القاذفات المقاتلة النفاثة في مصنع شركة اطلس للطائرات قرب جوهانسبرج ، دخلت اسرائيل الميدان كموردة للطائرات التي ستستعمل ضد المناضلين الافريقيين . (ذي ايكونوميست ، ٣ ـ ٩ آب ١٩٦٨ . تريكونتيننتال بوليتن ، حزيران ١٩٦٨ !) .

وقد ذكرت صحف جنوب افريقيا ان وكيل مدير صناعات الطائرات الاسرائيلية العام ورئيس مهندسيها ، وهي اكبر مؤسسة تنتج الطائرات في الشرق الاوسط ، كانا بين فريق مؤلف من ستين من كبار الاسرائيليين زار جنوب افريقيا ضيفا على العال ، الخطوط الجوية الاسرائيلية .

تجول خبراء الطيران الاسرائيليين في انحاء مصنع اطلس للطائرات في جنوب افريقيا ، وبدات بعد جولتهم الترتيبات لاحضار الطائرة الاسرائيلية الصنع « عرفا » التي تنهض وتحط رأسا وذلك لعرضها في جنوب افريقيا . وقد أيد هذه المعلومات تقرير «سيشابا» في نيسان ١٩٧٠ .

وزار جنوب افريقيا في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ الجنرال موردخاي هود ، قائد السلاح الجوي الاسرائيلي ، وخاطب فريقا منتخبا من الضباط في كلية الطيران الحربي قرب بريتوريا .

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ زار فريق من موظفي الحكومة ورجال الاعمال وخبراء الطيران ، بينهم وكيل المدير العام لصناعات الطائرات الاسرائيلية ورئيس مهندسيها ، جنوب افريقيا وقاموا بجولة فيه . وقد زار الاسرائيليون مصنع اطلس للطائرات قرب جوهانسبرج وقالوا انهم يرجون احضار الطائرة الاسرائيلية الصنع التي تقلع وتحط رأسا لعرضها في جنوب افريقيا .

التعاون الاقتصادي :

يظهر تحليل الملخصات الاحصائية لتجارة اسرائيل مع مختلف البلاد الافريقية ان جنوب افريقيا تلقى القدر الاكبر من تجارة الصادرات الاسرائيلية ، نحو ٢٥ ٪ من مجموعها في ١٩٧٠ ، و٢٥ ٪ في ١٩٦٩ و٢٢ ٪ في ١٩٦٨ ويظهر الاتجاه نفسه نسبة معادلة لهذه في زيادة التجارة من جنوب افريقيا الى اسرائيل . وبينما لا اود ان ازعجكم بكل الارقام المتعلقة بهذا الموضوع ، الا ان الارقام مهما كانت مؤثرة تميل في الواقع الى التقليل من حجم التجارة الحقيقية القائمة بين هاتين الشريكتين العنصريتين . فالارقام غالبا تعمل تجارة الالماس او تكون غامضة . وعلى الرغم من أن مناجم جنوب افريقيا تسيطر على نحو ٨٠ ٪ من الالماس الخام الذي ينتجه العالم الا ان اسرائيل هي التي تأتي في الدرجة الثانية بعد بلجيكا في التصدير العالمي من الالماس المصقول . ان الالماس الخام الذي تشتريه اسرائيل ، وان كان يأتي من مصادر مختلفة ، الا ان معظمه من منظمة البيع المركزي التي يسيطر عليها جنوب افريقيا ، قالت صحيفة **راند ديلي ميل** في عدد ٣ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ما يلي :

« ان مستوردات الالماس الى اسرائيل المشتراة من جنوب افريقيا زادت قيمتها على ١٠٠ مليون دولار في ١٩٧١ ، ومثلت نحو نصف مورد اسرائيل . ان العلاقات بجنوب افريقيا ودية وقد كان (م. سنتزر رئيس تبادل الالماس الاسرائيلي) واثقا من استمرار الموارد لحاجات الصناعة النامية » .

في سنة ١٩٦٨ اشترت اسرائيل من جنوب افريقيا ٥٢ ٪ من مجموع موردها السنوي ، وتمثل هذه النسبة المئوية العقد الماضي حين تدرجت المشتريات من حد أدنى قدره ٤٠ ٪ الى حد أعلى قدره ٦٠ ٪ . ان صقل هذا الالماس الخام اكبر صناعات التصدير الاسرائيلية ، ويبلغ ٤١٫٨ ٪ من مجموع صادراتها غير الزراعية و٣٥ ٪ تقريبا من مجموع صادرات البلد في ١٩٦٩ . (أنظر الملخص الاحصائي لاسرائيل : ١٩٧٠) .

ان حماسة حكومة جنوب افريقيا لتأييد اسرائيل ماليا يثبتها **« نداء الطوارىء الاسرائيلي في جنوب افريقيا »** الذي نظم لجمع التبرعات لاسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ الخاطفة ضد العرب ، فقد جمع خلال أسابيع ٢٨ مليون دولار . وفي منتصف حزيران (يونيو) ١٩٦٧ سمحت حكومة جنوب افريقيا بتحويل المبلغ الى اسرائيل .

وعقد في القدس في منتصف ١٩٦٨ مؤتمر اقتصادي وبناء على ما ورد في الكتاب السنوي الاميركي اليهودي لسنة ١٩٦٩ (ص ٤٥٤) : « حضر المؤتمر الاقتصادي في القدس وفد قوي من جنوب افريقيا بدعوة من رئيس الحكومة ليفي اشكول في نيسان (ابريل) . ولدى عودة الوفد الف اتحاد تجاري بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، ترأسه موريس لوبز ، وذلك لتشجيع التجارة بين البلدين » . ان هذا المصدر الخاص الذي تنشره سنويا اللجنة اليهودية الاميركية وجمعية النشر اليهودية في اميركا من اوثق المنشورات التي تدون نشاطات اليهود العالمية .

في مقابلة في ايار (مايو) ١٩٦٨ علق مستر ميسلز ، رئيس الاتحاد الصهيوني في جنوب افريقيا ، على مؤتمر نيسان (ابريل) الذي ادعى انه ادى الى رد فعل عملي سريع :

« قرروا اقامة مؤسسة تجارية تشجع التجارة المتبادلة بين جنوب افريقيا واسرائيل. قال مستر ميسلز ان اشتراك وفد جنوب افريقيا الفعال جدا في المؤتمر الاقتصادي، وعزمه على خلق روابط تجارية عملية بين اسرائيل وجنوب افريقيا سيساهمان كثيرا في تفاهم اتم بين شعبي البلدين » . وقد رحب في هذه المناسبة بتعيين اسرائيل اميتاي بن يوسف قنصلا خاصا للتجارة في جنوب افريقيا (جويش كرونيكل ، لندن ، ٣١ ايار ١٩٦٨) .

وقد لخص ديفيد سوسمان من جنوب افريقيا ، أصغر خطيب حضر هذا المؤتمر ، موقف جميع الذين حضروه بقوله : « نأمل ان نستثمر بحرية في هذه الارض الموعودة او بالاحرى ارض الوعود » . (اسرائيل دايجست ، نيويورك ، ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٦٨) .

التعاون الثقافي :

ليست العلاقات ، على المستوى الثقافي ، اقل نشاطا من النواحي الاخرى ، زار اساتذة اسرائيليون جامعات جنوب افريقيا باستمرار ، وقد مدحهم من استمع اليهم في جنوب افريقيا ورحب بهم ترحيبا حارا . ان التقارير عن رحلات اهالي جنوب افريقيا الى اسرائيل كسياح او في التبادل الثقافي قد سجلها بعناية الكتاب السنوي اليهودي الاميركي . في سنة ١٩٧٠ ذهب الى اسرائيل ٢١ من اعضاء حركات الشباب الصهيوني في جنوب افريقيا للاشتراك في دورات التدريب على القيادة . (الكتاب السنوي، ١٩٧١،

من ٤٥٥ ـــ ٤٥٦) . كذلك سجلت تدريب الشباب اليهودي في جنوب افريقيا نشرة اخبار تصدرها وكالة البرق اليهودية في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، فقد جاء فيها أن :

« ستمائة شاب يهودي من اميركا الجنوبية واستراليا وجنوب افريقيا وصلوا الى اسرائيل للاشتراك في الدورات الدراسية الشفوية التي تعقدها الوكالة اليهودية . ينتسب الشباب الى المنظمات الصهيونية العامة والمراكز المجتمعيةفيبلادهم . سيقيمون هنا نحو ثمانية أسابيع » .

ان الوكالة اليهودية ، التي هي ايضا المنظمة الصهيونية العالمية ، تعترف بها دولة اسرائيل ، بموجب قانون ١٩٥٢ ، « كوكالة مفوضة بالعمل في اسرائيل في التنمية واستيعاب المهاجرين وتوطينهم،وتنسيق نشاطات المؤسسات والجمعيات العاملة في هذه الميادين ، وادارة برامج ثقافية واسعة مصممة جزئيا لنشر معلومات عن اسرائيل ، وخصوصا لتعزيز الفلسفة الصهيونية عن طريق النشرات الدورية والكتب والمنشورات المنوعة » .

في سنة ١٩٦٩ زار اسرائيل جاكوبس جوهانس فوشيه ، الوزير السابق للخدمات الزراعية الفنية ، وامتدح روحها الوطنية وتقدمها . (الكتاب السنوي اليهودي الاميركي ، ١٩٦٩ ، ص ٤٤٧) . وذكر هذا المصدر نفسه ان المجلس النسائي الصهيوني في جنوب افريقيا عقد مؤتمره الذي يعقد كل سنتين اول مرة في القدس ، وتضمن جزء من البرنامج جولة في اسرائيل .

وبناء على المصدر نفسه (الكتاب السنوي ، ١٩٧١) « احضر مكتب الوكلاء اليهودي في جنوب افريقيا البروفسور شيمارياهو تالمون من الجامعة العربية في القدس لجولة محاضرات امتدت طوال آذار ـــ نيسان (مارس ـــ ابريل) وحضرها كثيرون » . وقبل ذلك قام عالم الآثار ييغال يادين ، رئيس الاركان سابقا ، بجولة محاضرات في جنوب افريقيا واستقبل كبطل .

على أن تدفق السياح والخبراء لم يكن من جانب واحد ، فقد اشار موشي كول وزير السياحة الاسرائيلي في خطاب القاه في اجتماع عقد في القدس على صهيونيين من جنوب افريقيا ان نحو « ٧٠٠٠ من جنوب افريقيا زاروا اسرائيل في الاشهر التسعة الاولى من ١٩٧٠ ، بزيادة قدرها ١٤ ٪ على الفترة نفسها من سنة ١٩٦٩ » (جنوب افريقيا ، ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠) .

ان اعظم الحقائق التي تؤيد كل ما ذكرت يمكن ان نجدها في **التقارير التي رفعت الى المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين الذي عقد في القدس من ١٨ ـــ ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢** . تشمل هذه التقارير الفترة من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ الى أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ وتتحدث عن منجزات المنظمة الصهيونية العالمية و/أو الوكالة اليهودية لاسرائيل في مساعدة الحكومة الاسرائيلية على استيطان الاراضي العربية التي احتلت في ١٩٦٧ بتنفيذ برنامج القدس الذي جرى تبنيه بعد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين ، اي نصف سنة بعد احتلال القوات الاسرائيلية في ١٩٦٧ أراضي ثلاث دول عربية أعضاء في الامم المتحدة . وقد اثبت صهيونيو جنوب أفريقيا وروديسيا التزامهم نحو اسرائيل والمنظمة الصهيونية كأي صهيونيين في أي مكان من العالم . وتؤيد هذا حقائق وأرقام من التقارير تثبت دون أي شك العلاقة المتناسقة الوثيقة بين المجتمعات الصهيونية في جنوب افريقيا وروديسيا من جهة وبين اسرائيل من جهة أخرى في كل الميادين التي عالجتها ، السياسية والاقتصادية والعسكرية والمالية والثقافية .

تخبرنا هذه التقارير ايضا ان عشرة من الزعماء الصهيونيين في جنوب افريقيا انتخبوا

لاعلى هيئات المنظمة الصهيونية العالمية . وقد اشترك ٢٧٩ من كبار العاملين النشيطين في المنظمات الصهيونية ، صحافيين وشخصيات جامعية وأساتذة وسواهم ، من جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية ، في ٥٣ حلقة دراسية في اسرائيل خلال الفترة من ١ تموز (يوليو) ١٩٦٩ الى أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ (ص ٣٥ — ٣٧) . ويجب ان نشير الى أن عدد هؤلاء المشتركين يأتي في الدرجة الثانية بعد أولئك الذين قدموا من الولايات المتحدة وكندا والذين بلغ عددهم ٥٣٧ .

في ميدان الهجرة من جنوب افريقيا الى اسرائيل بلغ مجموع العدد ٢٥٠٥ مهاجرين حتى حزيران ١٩٧١ . وتذكر « التقارير » ان تأثير اليقظة الوطنية بعد حرب الايام الستة كان كبيرا في جنوب افريقيا ، كما في البلاد الاخرى التي توجد فيها مجتمعات يهودية نشيطة ، وان الهجرة تضاعفت تقريبا ، اذ ارتفع معدلها من ٤٥٠ في السنة التي سبقت الحرب الى رقم قياسي بلغ ٩٠١ في ١٩٦٩ .

كذلك تخبرنا التقارير ان **الصندوق الوطني اليهودي** احتفل في أواخر آب (اغسطس) ١٩٧١ بذكرى السنة السبعين لعمله في فلسطين ، وحضر الاحتفال ممثلون من ٦٧٠ مستوطنا من كل أنحاء اسرائيل .

« شرح رئيس مجلس الادارة ، يعقوب تزور ، برنامج الصندوق للسنوات الخمس القادمة . سيقوم الصندوق الوطني اليهودي بمهمة تنمية ٣٠٠٠٠٠ دونم من الارض (نصفها داخل حدود ما قبل ١٩٦٧ ، وذلك لتوحيد ١٤٠ مستوطنا قائما اقتصاديا ، والنصف الاخر ضمن الاراضي المحتلة) وزرع ٢٥ مليون شجرة (٥ ملايين سنويا) » . (التقارير ص ٢٤٥) .

بعد سرد نشاطات الصندوق وما يدعى « مشاريعه للتنمية » — تلطف في التعبير عن استعمار الاراضي العربية واستيطانها — يتناول التقرير النشاطات في مختلف البلاد ، والتي تتألف من مشاريع معينة نفذتها فروع الصندوق في الولايات المتحدة وكندا واميركا اللاتينية وأوروبا وجنوب افريقيا واستراليا وبلاد أخرى . وفيما يلي ما ورد عن جنوب افريقيا :

« اكمل الصندوق في جنوب افريقيا مشروعا في منطقة بانياس في مرتفعات الجولان ، وبدأت بمناسبة الذكرى السبعين عدة مشاريع بينها تنمية نيوت هاكيكار . وكانت بين الشباب أيضا نشاطات كثيرة ومتنوعة منها مشروع شورش ، وامتحان التوراة وسواهما » . (تقارير الى المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين ، ص ٢٤٤ — ٢٤٦) .

دعونا نتساءل في هذه المرحلة هل هذه العلاقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا عرضية. لا ريب ان مثل هذا التحالف الوثيق ، ان لم يكن الاساسي ، بين دولتين ينبع من حقيقة كون كل منهما دولة مستوطنة عرقية وامتدادا للاستعمار الاوروبي . ان بعض اولئك الذين وجهوا التمييز العنصري وساهموا في تنميته كسياسة كانوا الاشخاص أنفسهم الذين خططوا في فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى لقتل الشعب العربي الفلسطيني جغرافيا وسياسيا. افكر بصورة خاصة في الجنرال سمطس، رئيس وزارة جنوب افريقيا الذي أصبح مرتين عضوا في وزارة الحرب البريطانية . يمكننا تخصيص دراسة كاملة للدور الشرير الذي مثله في بناء الدولة الصهيونية العنصرية في فلسطين ، ولكن ذلك يستغرق وقتا طويلا .

سألجأ ثانية الى القياس فأذكر الكاتب الصهيوني بول جنيافسكي صاحب كتاب من ٧٠٠ صفحة عن الصهيونية باللغة الفرنسية . يضع كتابه بأكمله وعنوانه **« وجها التمييز العنصري »** على أساس الارتباط الايديولوجي والعملي بين صهيونية اسرائيل وبين

التمييز العنصري في جنوب افريقيا ، ويقترح في كتابه يوتوبيا « بانتوية » شبيهة بيوتوبيا هيرتزل الصهيونية كحل للتمييز العنصري تماما كمـا قضت الدولة اليهودية علـى اللاسامية . قال : « ان كلمة بانتوية حين تطبق على الباتو (زنوج افريقيا) تبدو لي ذات جوهر سيكولوجي كجوهر دولة هيرتزل اليهودية » (ص ١٦) .

واذا كان هناك من يساوره أدنى شك في أمر هذه العلاقة فان هذا الكتاب يقضي عليه . طبعا لا شك يعتاض به عن قراءة ٣٧٣ صفحة في هذا الكتاب . يشير الكاتب مرارا الى الشبه بين العنصرية في جنوب افريقيا وبين العنصرية الصهيونية ، ويبرهنه ، ويدافع عنه ، ويجعله عقيدة .

اقتبس المؤلف من خطاب القاه في ١٩٦٠ طبيب هولندي ما يعبر بطريقة فيها رعونة غير عادية « عما تفكر فيه أكثرية البيض في جنوب افريقيا » . قال الطبيب : « أيقول ، العنصرية ؟ فليكن ! نعم ، أشعر انني متفوق على زنوج هذا البلد الاغبياء والكسالى . ألا تشعرون ؟ » .

« لم نأخذ شيئا منهم . نحن هنا على الاقل منذ ثلاثة قرون قبلهم . هم الغزاة .

« العالم كله عندنا ، فليكن ، لا اريد أن أنتحر كي أسر العالم بأسره . . .

« كمسيحي وطبيب أكره سفك الدماء كأي شخص آخر . اننا مثلكم ، نقتل من زنوج جنوب افريقيا أقل مما تقتلون من العرب في الجزائر » . (ص ٤١ — ٤٢) .

نبحث عبثا عن صفحة من التاريخ تقول ان الاوروبيين سبقوا الافريقيين في افريقيا .

في طبعة ١٩٦٥ هذه ، بعد مرور عشرين عاما على تأسيس الامم المتحدة وبدء تصفية الاستعمار يؤيد المؤلف « عبء الرجل الابيض » :

« لا أشعر بأي من عقد الاثم التي يبدو انها تعني ان الرجل غير الابيض يجب أن يسمح له بكل شيء: الاغتصاب في الكونغو، ونهب قناة السويس ، وهدم بعض أعضاء المجموعة الافرو — اسيوية للامل الكبير الذي عنته لنا الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية . اعتقد ان للرجل الابيض الحق في الدفاع عن نفسه ضد مفاسد مراهقة صاخبة ، تماما كما ان لغير البيض ما يبرر نضالهم عن حقوقهم ، وكسبها ، على الرغم من كل مـن يعارضه » . (ص ١٦) .

يجب ان يكون واضحا حيث تنطبق كلمة « مناف للطبيعة » .

كتب المعلق الاميركي الكبير مي. ل. سولزبيرجر الذي دينه اليهودية ، والذي تتمتع مقالاته الافتتاحية باعجاب قرائه ، مقالا من جوهانسبرج في جنوب افريقيا عنوانه « عدم تحالف غريب » ، قال فيه :

« هناك شراكة وثيقة تلفت النظر ، وان كان المعروف عنها قليـلا ، بين اسرائيل وجنوب افريقيا . ان هذه العلاقة بين الشعب الذي يسيطر على رأس افريقيا الجنوبي وبين الشعب الذي يملك بوابة رأسهـا الشمالي ، تؤثـر في الشؤون السياسيـة والاقتصادية والعسكرية .

« ثم أن لها فوق ذلك ، من وجهة نظر جناح هذا البلد الايمن ، اهمية سيكولوجية . لذلك يشعر جنوب افريقيا انه اذا كانت اسرائيل متعاطفة معه فان ذلك يساعد موقفه الدولي الخاص .

« يشعر جنوب افريقيا ، كاسرائيل ، ان دور اللغة والدين مهم للبقاء القومي. ويذهب فورستر ، رئيس الوزراء ، حتى الى أبعد من ذلك فيقول ان اسرائيل تواجه الآن مشكلة

تمييز عنصري في كيفية معالجة سكانها العرب . ان كلا مـن الدولتين لا تريد وضع مستقبلها بأسره في أيدي أكثرية محيطة بها ، وتفضل أن تحارب » . (نيويورك تايمز ، ١٧ أيار ١٩٧١) .

واذا تقدم لتمزيق بعض الحجب عن هذه القضية ، سأعتمد كثيرا على كتاب صهيونيين واسرائيليين ومن بينهم الاسرائيليون السابقون والحاليون الذيـن ثاروا على التمييـز العنصري في اسرائيل ، ومن جملة القدامى أي. ف. ستون ، وميشيل سلزر ، وادري ديفيز كما سأعتمد على التشريع الاسرائيلي .

اسرائيل دولة استيطان الاوروبيين البيض

كان المقصود ان تكون اسرائيل دولة استيطان استعماري أوروبي ، جزءا من الزحف إلى مستعمرات في آسيا وافريقيا ، كما قال هيرتزل نفسه في كتابه « الدولة اليهودية » تكهن في ١٨٩٦ بأن على اليهود « أن يكونوا سورا دفاعيا في أوربا وآسيا ومركزا طليعيا للحضارة ضد البربرية » . والشبه الظاهر هنا بين اسرائيل وجنوب افريقيا انما كان الاستمرار فيه ، بعد تعزيز الطبقة الحاكمة لسلطتها ، كسياسة تمييز عنصري وانعزال .

ولد ميشيل سلزر ، مؤلف : « اريانية الدولة اليهودية »* في الهند سنة ١٩٤٠ ، وتلقى تعليمه في انجلترا في مدرسة بيرالس وكلية باليول في اكسفورد ، واقام في اسرائيل أربع سنوات وهو الان مستقر في الولايات المتحدة . يعرف غلاف الكتاب عمله كما يلي :

« كان تخيل اسرائيل وتأسيسها بجهد واع لارنية اليهـود ، وبذلك تلطف الصور العقلية اللاسامية في الشخصية اليهودية ، وتؤسس دولة لا يهودية على صورة الدول الغربية الكبرى . ونتيجة لذلك تواجه اسرائيل الان أزمة هوية و ــ لان أكثرية سكانها غير اوروبيين ــ وضعا عنصريا لا يقل تفجيرا عن مشكلة زنوج اميركا » . (ص ١٠) .

ويستمر التعريف في قوله :

« انه يعرض التأسيس الناجح لوطن قومي يهودي مناضل متغرب يدعي انه الدولة اليهودية وانه ينطق باسم اليهود جميعا » . وأخيرا يصور اسرائيل المعاصرة التي أكثرية سكانها من يهود شمال افريقيا والشرق الاوسط كاسرائيل التي يحاول زعماؤها بتلهف المحافظة على بناء حكمهم الاوروبي عن طريق اجراءات قمعية غير ديموقراطية في الحكم والاسكان والتوظيف والتربية .

يخبرنا مستر سلزر نفسه بما يلي :

« ثم جرت كل محاولة للقول للسكان جميعا في الداخل : نحن الاوروبيين نكون قاعدة اسرائيل . قال عضو بارز في حكومة اسرائيل مؤخرا ان اسرائيل تنتسب الى اوروبا ــ ثقافيا وسياسيا واقتصاديا ــ على الرغم من وضعها الجغرافي في الشرق الاوسط ، وذلك حين شرح طلب اسرائيل عضوية السوق الاوروبية المشتركة » (ص ٧٠) .

(ان هذا العضو الحكومي هو ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل) .

« كتب ملفورد سبيرو عن كيبوتسه قريات باويديم فقال : رفضت احدى الطالبات ، مثلا ، الاكل على المائدة نفسها مع اليهود الشرقيين الذين يعملون في الكيبوتس . وحين جلس احدهم بجانبها ، نهضت احدى الطالبات وخرجت . قالت انه يحرضها ان تجلس على المائدة نفسها معهم » . (ص ٧٨) .

---

* The Aryanization of the Jewish State.

ان يهود اوروبا الشرقية وسط جمهور المهاجرين من اليهود الشرقيين ينعمون الان الرضا الباطني باظهار التفوق على الاخرين ، بينما كان آخرون من قبل يحقرونهم باظهار التفوق عليهم . ان الاسيوي سابقا يمثل الان دور الغربي . وعلى الرغم من ان منزلته مهددة بكثرة عدد الشرقيين الا انهم عاجزون ، على الاقل ، عن دحض ادعاءاتهم وفضح خداعهم لانفسهم » .

اما آي. ف. ستون ، الكاتب اليهودي الاميركي المعروف ، الذي اصبح الان ليبراليا انسانيا كبيرا ، فقد كان في السابق صهيونيا يعمل جنديا متطوعا في الهاجناه السرية . كان مؤلف كتاب عنوانه **« سرا الى فلسطين »** نشر في سنة ١٩٤٦ وأظهر فيه تحمسا للصهيونية نظريا وعمليا ، ثم بعد زيارته لاسرائيل في سنة ١٩٦٩ كتب عن موقف الاسرائيليين الاوروبيين الاستعماري الغربي فقال :

« ان الموقف اليهودي العادي من العرب هو موقف التفوق المزدري . كان سائق سيارتنا الى الشمال يهودي فر أمام الزحف النازي الى هنغاريا ولكن ذلك لم يخلصه من عاداته العنصرية . حين اقترحت اخذ ولد معنا على الطريق رفض قائلا ان الولد عربي. وحين سألته ما الفرق ، قال ان رائحة العرب كريهة » .

قابل ستون المشكلة العنصرية في اسرائيل بتلك التي في اميركا :

« ستواجه اسرائيل قريبا تحدي التقشف والتوزيع الافضل للدخل . ان مجتمعها الغني ، كمجتمع اميركا ، قلما رأى سوى حواشي فقر واسعة . ان تباهي الغني بالترف لا يزيد الطاقة على تحمل ذلك . وهناك كما في اميركا ، يزيد مشكلة الفاقة شدة اللون والعرق . ان لدى اسرائيل مشكلة « زنجية » مزدوجة : اليهود السمر من الشرق ومن شمال افريقيا ، والاقلية العربية ، الذين يعانون التحيز » . (آي. ف. ستون ، في وقت للعذاب ، نيويورك ، ١٩٧١ ، ص ٤٣٧) .

هذا الانقسام بين اليهود الشرقيين والغربيين أدى الى حوادث عنف شديد في اسرائيل خلال السنة الماضية أدى الى حركة الفهود السود .

يتميز المجتمع الاسرائيلي ، كذلك الذي في جنوب افريقيا ، بثلاث فئات : الاشكناز ، واليهود الشرقيين أو السفارديم ، والعرب الفلسطينيين . خلال الاشهر الاولى من سنة ١٩٧١ اصطدمت اسرائيل بواقع تمييزها العنصري ضد اليهود الشرقيين بسلسلة تظاهرات عنيفة نظمتها جماعة من الشباب السفارديم دعوا انفسهم الفهود السود .

المستعمرون

كان كل تقدم في الاستعمار الصهيوني لفلسطين منذ أول القرن كمنطلق الى توسع آخر عن طريق الاستيلاء على العمل واحتلال الارض . في أيار (مايو) ١٩٦٨ تحدث موشي دايان ، وزير الحرب ، الى مؤتمر للشباب فقال :

« عليكم ان تؤمنوا بتجميع الشعب اليهودي هنا وان تعملوا لتوسيع الاستيطان . ليس عليكم ان تنهوا العمل لكن لا تتوقفوا ، لا سمح الله ، عن العمل وتقولوا : الى هنا، حتى دجانيا ، حتى معفاسيم ، حتى ناحال عوز لا ابعد . استمرت العملية منذ مائة عام، وعليكم أن تقوموا بدوركم فيها . اليوم نجلس من قناة السويس الى الجولان ... نسير خطوة خطوة على أساس الواقع نحو تنفيذ الاهداف المنتقاة » . (اقتباس وولف اهربيك: نظرية العنصرية وتطبيقها في اسرائيل . بروكسل ، ٣٠ أيار (مايو) ١٩٧٢) .

أصبح الاستعمار جزءا من التشريع الاسرائيلي. في عالم المنظمة الصهيونية — الوكالة

اليهودية يظهر لنا بوضوح البندان ٣ و ٤ من القانون رقم ٥٧١٣ الذي صدر في ١٩٥٢ صفة الاستيطان الاستعماري لدولة اسرائيل :

٣ ــ « ان المنظمة الصهيونية العالمية ، التي هي أيضا الوكالة اليهودية ، تهتم كما من قبل بالهجرة وتدير مشاريع الاستيعاب والاستيطان في الدولة » .

٤ ــ « تعتبر دولة اسرائيل المنظمة الصهيونية العالمية وكالة مفوضة تستمر في العمل في دولة اسرائيل لتنمية استيطان البلد ، واستيعاب المهاجرين من الشتات ، وتنسيق نشاطات المؤسسات والمنظمات اليهودية الفعالة في اسرائيل في هذه الميادين » .

ويجب أن يضاف أن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية و/أو الوكالة اليهودية تعتبر في البند ١١ من القانون نفسه « هيئة شرعية » ، فان البند ينص على ما يلي :

١١ ــ « ان اللجنة التنفيذية هيئة شرعية ، ويجوز لها عقد العقود ، وحيازة الاملاك والتخلي عنها ، وان تكون طرفا في أي معاملة قانونية أو سواها » .

ان المنظمة الصهيونية العالمية و/أو الوكالة اليهودية بمركزيها الرئيسيين في نيويورك والقدس ، وبفروعها في كل انحاء العالم ، جزء من حكومة اسرائيل بموجب الاتفاقية المعقودة بينهما ، وتعمل كما في الولايات المتحدة بصورة مكشوفة وحرة في « استعمار » الارض العربية وطرد السكان العرب في النهاية .

ان الدولة الاسرائيلية التي ، كالاستعمار الكلاسيكي ، قد رفضت منذ تأسيسها التزام الحدود المعترف بها دوليا ، قائمة على انكار حقوق العرب الثابتة في العودة الى وطنهم. كتب يعقوف تالمون البروفسور في الجامعة العبرية الى اسرائيل جاليلي وزير الاعلام في سنة ١٩٦٩ يقول :

« لا تنس يا صاحب السعادة ان الوطن القومي اليهودي وتأسيس دولة اسرائيل قد جاءا نتيجة اتفاقية بين الدول الكبرى فرضت على العرب . لذلك حين نقول انك لا تعتبر عرب فلسطين كيانا محسوسا او شرعيا في فلسطين لهم خصائص قومية معينة فأنت في الحقيقة تقول انهم « مواطنون » بلا هوية خاصة . وبكلمة اخرى ليست لهم حقوق كمجتمع . فلماذا اذن تعجب حين يصفكم العرب أو آخرون كمستعمرين ، ويدعون انهم لا يستطيعون التوصل الى اتفاق معكم لانكم لا تعترفون بمبدأ الاحترام المتبادل بل تتطلعون الى التوسع فقط ؟ » . (معاريف ، ٦ ايار (مايو) ١٩٦٩) .

ولا يقل عن ذلك الزعيم الصهيوني ناحوم غولدمان نفسه الذي قال :

« لكن مهما كانت ادعاءات الحركة الصهيونية صحيحة كان عليها الا تعمى ابدا عن حقيقة كونها تمثل شذوذا عن القاعدة الثابتة عالميا وهي ان الارض تخص اكثرية السكان الذين يعيشون عليها . وبكلمة أخرى كان على الصهيونية من وجهة نظر ايديولوجية وأخلاقية ، وكذلك من وجهة نظر السياسة العملية ، ان تحاول من البداية التوصل الى تفاهم مع العالم العربي » . (سيرة ناحوم غولدمان بقلمه . نيويورك ، ١٩٦٩ ، ص ٢٨٥) .

في مكان مثل هذا التفاهم الذي تصوره غولدمان ، لدينا نقيض كلمات دايان ، اقتبسها اوري افنيري في « اسرائيل دون صهيونيين » :

« دعونا لا نلقي اليوم التهم على العرب . من نحن حتى نناقش بغضاءهم ؟

« منذ ثماني سنوات وهم جالسون في مخيمات اللاجئين في غزة ، وامام اعينهم نحول الى مساكننا الارض والقرى التي عاشوا فيها هم واجدادهم .

« نحن جيل مستوطنين ، ودون الخوذة الفولاذية ، والمدفع لا نستطيع غرس شجرة وبناء بيت .

« دعونا لا ننفر حين نرى العداوة تثور وتملأ حياة مئات الالوف من العرب الذين يقيمون حولنا . دعونا لا نحول أعيننا كي لا تخطىء يدنا » . (اقتباس اوري افنيري في : اسرائيل دون صهيونيين . نيويورك ، ١٩٦٨ ، ص ١٣٤) .

ويقول افنيري « ورد في قصة قديمة ان شابا من اعضاء الكيبوتس سئل : كيف تنظر الى المشكلة العربية ، فأجاب : عبر جهاز التسديد في البندقية » .

تظل الحقيقة التي لا يمكن انكارها ان هناك شبها بين عدوان اسرائيل والصهيونية العالمية وفجورهما ضد العرب وبين التمييز العنصري الذي يطبق على شعب جنوب افريقيا الاصلي . قد يكون القناعان مختلفين ولكن الوجه واحد ، وقد تكون لتجميع البشرة الوان مختلفة ولكنها لا تلبث ان تزول ويرى العالم بأسره ما تحتها من قبح .

ان الروابط الاساسية بين العنصرية والصهيونية تظهـر بايديولوجيات واجراءات متشابهة تماما . ان كلا من اسرائيل الصهيونية وجنوب افريقيا العنصري يعتبر نفسه دولة اوروبية مفروضة على طرفي قارتين هما افريقيا وآسيا . وتشترك الدولتان في افتراض مركز متفوق للطبقة الحاكمة في معاملتها للسكان الاصليين ، وهو تفوق قائم على العرق او الدين او الاصل ، او على هذه مجتمعة . ولتقوية مركزها لا تتقيد الطبقة الحاكمة بأي قانون ، وأحيانا بالقوانين التي تكون هي التي سنتها .

كلتا الدولتين تستعمل ضد الشعب الاصلي اللغة نفسها : لغة الازدراء ، والقوة ، والطغيان ، والاضطهاد ، وانكار الحقوق الثابتة .

فليس عجيبا ، اذن ، ان تتخذ الجمعية العمومية خلال احتفالها بذكرى تأسيسها الخامس والعشرين القرار رقم ٢٦٤٩ في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ الذي وضع حكومتي اسرائيل وجنوب افريقيا في نفس المستوى ، وادان كلا منهما في سياسته القائمة على التمييز العنصري . وهذا نص الفقرة النافذة المفعول :

« تدين تلك الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير للشعوب التي تعد مستحقة له ، وخصوصا شعبي جنوب افريقيا وفلسطين » .

تحول يهود اميركا الى تأييد نيكسون

عودة ابو ردينة

ساهم المتبرعون اليهود في السنة الماضية بملايين الدولارات دعما لخزائن الرئيس نيكسون السياسية . ومع أنه ليس في ذلك أمر غير قانوني فان أسئلة كثيرة يمكن اثارتها حول ما يتوقعه هؤلاء المتبرعون . ونظرا لفضيحة ووترغيت ولحقيقة أنها تمت بواسطة اموال التبرعات بما فيها بعض التبرعات المالية اليهودية فان موضوع هذه المقالة هو المساعدة المالية والسياسية التي تلقاها الرئيس نيكسون من الطائفة اليهودية الاميركية .

شهدت انتخابات الرئاسة الاميركية في العام ١٩٧٢ تغيرا بطيئا وحاسما في المظهر والمسلك السياسيين لليهود الاميركيين الذين تحول تأييدهم عن الحزب الديموقراطي الى الحزب الجمهوري . فقد بلغ عدد الاصوات اليهودية المؤيدة للرئيس نيكسون في السابع من تشرين الثاني ١٩٧٢ ثلاثة أضعاف ما بلغه في العام ١٩٦٨ . ووفقا لاحدى الاحصائيات التي قامت بها وسائل الاعلام فقد حصل الرئيس نيكسون على ٤٣ بالمئة من أصوات يهود الولايات المتحدة واصبحت العلامة الاولى على التحول في المواقف السياسية اليهودية في نيسان ١٩٧٢ عندما تلقى الرئيس نيكسون رسالة من هرمان ادلزبرغ احد مدراء جمعية بناي بريت يعلق فيها بقوله : « في هذا الوقت يبدو ان الاهتمام اليهودي الاساسي هو الخطر على اسرائيل » وان « زعامة الطائفة اليهودية ... سمعت مرارا أن نيكسون قد كان أفضل صديق لاسرائيل في العشرين سنة الماضية »(١). وأصبح التحول ملموسا بصورة أكثر عندما دعي سبيرو أغنيو ، نائب الرئيس الاميركي ، ليتكلم في المأدبة السنوية الثانية والستين للصهيونيين الاميركيين المتدينين في أوائل حزيران من العام ١٩٧٢ حيث جرى تجاهل الديمقراطيين .

أضف الى ذلك ان يتسحاق رابين ، السفير الاسرائيلي في الولايات المتحدة آنذاك ، أشار الى أنه يفضل اعادة انتخاب الرئيس نيكسون . وقد قال رابين : « يجب علينا ان نفرق بين المساعدة الفعلية والمساعدة اللفظية فبينما نقدر الدعم اللفظي الذي نتلقاه من احد المعسكرين لا بد لنا من أن نفضل الدعم الفعلي الذي نحصل عليه من المعسكر الآخر »(٢). وقال رابين أيضا ان أي رئيس آخر لم يدل بتصريح أبعد مدى من حيث التزام الولايات المتحدة بدعم وجود اسرائيل من التصريح الذي أعلنه نيكسون في خطابه أمام الكونغرس بعد عودته من موسكو .

وقد قالت « معاريف » ، أوسع الصحف الاسرائيلية انتشارا ، ان « صفقة » سياسية قد تمت بين غولدا مئير ونيكسون في وقت ما في العام ١٩٧٠ وكان مضمون هذه « الصفقة » أن تشير غولدا مئير بذكاء وحذر على اليهود الاميركيين أن يصوتوا الى جانب اعادة انتخاب نيكسون اذا هو توقف عن ممارسة الضغط على اسرائيل للانسحاب من معظم الاراضي العربية المحتلة .

وقد أكدت « معاريف » « انها حقيقة أن أشخاصا مهمين في ادارة نيكسون قد تذمروا

من عدم تقدير الناخبين اليهود في الولايات المتحدة لكل ما فعله نيكسون من أجل اسرائيل تقديرا كافيا . . . وقد تم طلب ثمن لهذا العمل وكان الجانب الذي قدم الثمن (اسرائيل) مستعدا لدفعه بل دفعه فعلا »(٣). وقال يوجين بوروفتش ، رئيس تحرير مجلة « شما » اليهودية الفكرية ، « ان الضغط الشديد الذي لا يلين الذي مارسه الاسرائيليون على يهود الولايات المتحدة للتصويت تأييدا لنيكسون جاء محقرا جدا » . وتابع بوروفتش قائلا : « . . . قبل سنوات عديدة احتشدنا للاحتجاج على مشروع روجرز وذلك من أجل الحصول على طائرات الفانتوم . وهذه السنة تغيرت أولوياتنا السياسية بحيث أصبحت أصواتنا مؤيدة لنيكسون . ان اليهود الاميركيين ليسوا القوة المؤثرة سياسيا لصالح اسرائيل كليا . وعندما يتصرف الاسرائيليون وكأن الامر كذلك ، وهو ما يقومون به فعلا ، فانهم يعتبروننا وسيلة لتحقيق أغراضهم السياسية . ان الافتراض بأن ما هو في مصلحة دولة اسرائيل هو دائما في مصلحة اليهود حيثما كانوا ليس الا سوء فهم لروابط الوحدة اليهودية . ان اسرائيل الدولة أقل بكثير من اسرائيل الشعب اليهودي . اننا نحب الاسرائيليين ولكن مطاليبهم السياسية هذه تعبر عن غطرسة وعنجهية . انهم يستغلون حبنا ولا بد من رفضهم »(٤). وقد ردد الحاخام بلفور بريكنر ، مدير النشاطات المتعلقة بالاديان والمدير المشارك للجنة العمل الاجتماعي في الاتحاد الاميركي للكنس العبرية ، ردد آراء بوروفتش بلهجة أقوى . فقد أعرب عن أسفه لتأثير اسرائيل على التفكير السياسي لليهود الاميركيين واتهم الاسرائيليين بالتدخل في الحياة السياسية المحلية الاميركية ضاربا مثلا على ذلك تبني يتسحاق رابين لنيكسون .

يقول الحاخام بريكنر : « ان الدرجة التي جعلنا معها اسرائيل الموضوع الاول على جدول أعمالنا توحي بأننا نعاني من أزمة هوية رهيبة . ماذا نحن ؟ هل نحن اسرائيليون مرحلون أو مشردون نفسيا نعيش في المنفى الاميركي أم نحن يهود اميركيون آمنون »(٥).

اما تصريح رابين فقد حمل المؤرخ والمستشار السابق للرئيس كنيدي السيد آرثر شلزنغر الابن على الادلاء بملاحظة لاذعة جاء فيها : « ان أي مبعوث أجنبي منذ أيام ساكفيل — وست في العام ١٨٨٨ لم يتدخل بلا روية في السياسة الاميركية الداخلية بالقدر الذي يتدخل فيه السفير الاسرائيلي الحالي في واشنطن الجنرال رابين. فقد وصف رابين الديموقراطيين علنا بأنهم حزب ألفاظ وامتدح الجمهوريين على انهم حزب أفعال ، اما في السر فقد أشار على زعماء اليهود بوجوب الوقوف وراء نيكسون . واذا لم تستدعه حكومته فاننا لا بد وان نفترض انه ينفذ سياسة موضوعة ومرسومة سلفا»(٦).

ويعتقد جاك فشبين ، صاحب صحيفة « الحارس » اليهودية الاسبوعية الصادرة في شيكاغو ورئيس تحريرها ، ان بعض أقسى الضربات السياسية التي وجهت لجورج ماكغفرن في اوساط اليهود أطلقها عضوا مجلس الشيوخ الاميركي هيوبرت همفري وهنري جاكسون اثناء السلسلة المريرة من انتخابات الرئاسة الاولية . وقد قال فشبين: « ان اعلانات همفري في الصحافة اليهودية في اثناء الانتخابات الاولية في ولاية كاليفورنيه تركت بلا شك أثرا قويا جدا . فقد كانت هذه الاعلانات أقسى بكثير من تلك التي يستخدمها الجمهوريون حول المسألة ذاتها »(٧). وأضاف فشبين : « وعليكم أن تتذكروا أيضا ان الاسرائيليين كانوا يقولون لنا منذ مدة طويلة في اجتماعات « سندات اسرائيل » ان ادارة نيكسون قد عملت من أجل اسرائيل في مجال المساعدة اكثر من اية ادارة اخرى . وانني أعتقد أن ذلك عالق في أذهان الكثيرين من الناخبين اليهود »(٨). وعلى حد قول الصحافيين ايفانز ونوفاك فانه « لا يمكن تصور حدوث هذا التحول بدون مباركة الحكومة الاسرائيلية »(٩).

وعلى الرغم من نفي الحكومة الاسرائيلية وسفيرها في واشنطن تأييدهما لاعادة

انتخاب نيكسون فان ستيوارت السوب يقول : « انه صحيح طبعا »(١٠). ويعزو السوب دعم اسرائيل لنيكسون الى حقيقة انه خلال القتال في ايلول عام ١٩٧٠ في الاردن بين الجيش الاردني والفدائيين تلقى سفير اسرائيل رابين مكالمة من البيت الأبيض : ماذا تستطيع اسرائيل أن تفعل لوقف الدبابات السورية التي كانت تتحرك باتجاه الاردن لمساعدة الفدائيين ؟ وأجاب رابين بأن الاسرائيليين كانوا واثقين ثقة مطلقة ان قواتهم العاملة في مرتفعات الجولان تستطيع أسر القوة السورية بأكملها أو تدميرها . وكان الاسرائيليون يرغبون في ركوب المخاطر التي ينطوي عليها ذلك بشرط واحد فقط هو ان توضح الولايات المتحدة للاتحاد السوفياتي ان ادارة نيكسون تعارض بشدة أي عمل مضاد في منطقة قناة السويس أو أي مكان آخر . ووافق نيكسون على هذا الالتزام دون تردد . ومن هنا أصدر نيكسون أمرا صارما : « لا اتصال اطلاقا مع موسكو او اية عاصمة اخرى . ستكون هناك افعال لا اقوال »(١١).

وقد استنفرت احدى الفرق الاميركية المتمركزة في المانيه الغربية ، استنفارا تامــا وكذلك الفرقة الثانية والثمانين المجوقلة في الولايات المتحدة . وفي الوقت نفسه جرت ترتيبات سرية مع الحكومة اليونانية لتأمين مناطق انطلاق وقاعدة دعم في حال تحرك القوات الاميركية .

وعلاوة على ذلك ، تم تعزيز الاسطول السادس الاميركي في البحر الابيض المتوسط تعزيزا كبيرا بحاملات الطائرات والقوة الضاربة المرافقة . وزادت قــوة الاسطول السادس من حجمها العادي الى ما لا يقل عن خمس حاملات من القوات الضاربة . وبدأت هذه القوة الضاربة الهائلة بالتحرك نحو الساحل الشرقي للمتوسط .

وأبرزت أزمة العام ١٩٧٠ للاسرائيليين الحاجة الى وجــود اسطول اميركي في المتوسط . اما برنامج ماكغفرن فكان يقضي بالاحتفاظ لا بخمس فرق اميركية في اوروبه بل بفرقتين فقط . أضف الى ذلك ان ماكغفرن أراد أن يخفض القوى الاميركية الضاربة من ١٤ الى ٦ . وأخيرا ، كان متوقعا أن يقطع ماكغفرن كل عون اميركي الى نظام الحكم اليوناني وأن ينهي كل المنشآت الاميركية في اليونان(١٢).

وكتب السوب يقول : « وفي مثل هذه الظروف كما يعلــم الاسرائيليون جيدا فان الولايات المتحدة تستطيع تقديم الكلمات ولكن القليل من الافعال القيمة »(١٣). ولاحظ بيتر غروس في نيويورك تايمز : « ان تمييز اسرائيل عن غيرها يقوم على اساس موقف الرئيس المعادي للسوفيات بقوة في الشرق الاوسط وعلى أساس سياسته في متابعة حرب فيتنام . وعلى مر السنين لم يتردد الاسرائيليون الحساسون سياسيا في الاختلاف مع الاميركيين الليبراليين حول فيتنام . ان مزاج هــذا البلد (اسرائيــل) هو مزاج الصقور ووجهة النظر الاسرائيلية هي وجهة نظر امة قوية تقف مع حليف صغير . ومن الواضح ان هذه السياسة تتمتع بجاذبية قوية في صفوف الاسرائيليين »(١٤).

وبعد اعادة انتخاب نيكسون بأغلبية كبيرة برر رابين تدخله تأييــدا لنيكسون في حملة انتخابات الرئاسة الاميركية الاخيرة دون أن يعتبر ذلك التأييد تدخلا . ولكــن تفسيره الذي أذاعه التلفزيون الاسرائيلي الرسمي أعطى انطباعا بأنه لم يكن راضيا فقط عن نتائج الانتخابات بل حاول حشد الامتنــان السياسي الاسرائيلــي لموقفه (موقف نيكسون)(١٥).

وقال رابين أيضا ان احد المرشحين (دون ذكر أسماء الا انه كان يقصد ماكغفرن) رفع شعاره عودة أميركا الى ذاتها . وأضاف رابين أن هــذا الموقف يضر بمصلحــة اسرائيل التي تتوقع من واشنطن ان تدعمها على الجبهتين الديبلوماسية والسياسية في نزاع الشرق الاوسط وذلك عن طريق الوقوف في وجه الاتحاد السوفياتي . ان السبب

الذي يعزى اليه في معظم الاحيان تغير مواقف اليهود الاميركيين هو اسرائيل . « ان اسرائيل كمسألة هي أساسية »(١٦) على حد قول ريتا هاوزر ، احدى مديري حملة نيكسون الانتخابية في مدينة نيويورك . ان الاهتمام في صفوف الطائفة اليهودية يتجاوز سياسة ماكغفرن الخارجية . فهناك مسألة تضاهيها من حيث الاهمية لدى الاغنياء وغير الاغنياء من اليهود وهي برنامج ماكغفرن الضريبي الذي يقضي بفرض ضرائب ثقيلة على الاغنياء ، وكذلك دعمه للنقل العام من المدارس واليها وما يسمى (Scatter Housing) للسود الفقراء في الضواحي مثل فورست هلز في ولاية نيويورك »(١٧) .

ان ما يقلق اليهود الاميركيين قلقا عميقا هو استعمال نظام الحصص أكثر فأكثر في التربية والتوظيف : « أين يترك هذا النظام اليهود الامريكيين الذين يشكلون أقل من ٣ ٪ من مجموع السكان ؟ هل سيطرد رؤساء المدارس الثانوية اليهود لان مناطق الجوار أصبحت سوداء ؟ وماذا عن نخبة جامعات شمالي شرق الولايات المتحدة والمسماة « ايفي ليج » Ivy League وكليات الطب ؟ ان نحو ٢٥ بالمئة من الرجال والنساء في هيئات تدريس هذه المدارس (مدارس ايفي ليج) هم من اليهود »(١٨) . وعلى الرغم من أن السناتور ماكغفرن أخبر مجلس حاخامي نيويورك بأنه يعارض « نظام الحصص الجامد » الا أنه لم يتراجع عن وعده أو يعدله وهو الوعد الذي قطعه للسود وغيرهم من الجماعات الاثنية الاخرى بأن يعطيهم نسبة مئوية معينة من الوظائف في الحكومة الفدرالية . وهكذا ، اذا طبقت الاصلاحات التي ينادي بها الحزب الديموقراطي لتطبيق نظام الحصص على النساء والشبان والسود في المجتمع ككل « فلن يكون هناك أبدا يهودي في المحكمة العليا في الولايات المتحدة . هل هذا في صالح اليهود ؟ »(١٩) .

وقد أزعجت مقترحات ماكغفرن بشأن الضرائب أيضا كثيرين من اليهود . فقد قال جون لؤاب ، كبير المشاركين في شركة لؤاب وردس وشركاهم والشخصية البارزة في وول ستريت : « بصراحة ان سياساته الاقتصادية تضايقني »(٢٠) . اما غوستاف ليفي ، كبير المشاركين في شركة غولدمان وساخس وشركاهم ، فقد قال : « اننا ننظر اليه باستياء شديد . ولا نعتقد أنه يعرف عما يتحدث . انا نخاف منه حتى الموت »(٢١) .

وقال يهودا غراوبارت ، احد مندوبي ماكغفرن في شيكاغو والذي يعمل مع « وكالة الخدمة اليهودية في الولايات المتحدة » : « ان اليهود الاميركيين يصبحون أكثر محافظة مما هم عليه بل أكثر اثنية اذا أردتم . وأحد العوامل في هذا التحول هو الانتقال الى الضواحي وكذلك اتضاح اعمال معينة قام بها اليسار الجديد وخاصة التصريحات المؤيدة للعرب من قبل أعضاء اليسار الجديد . وبعض اليهود يتساءلون الآن : أين هم السود ؟ أين هم الليبراليون ؟ لقد أصبحوا أكثر اهتماما بمصالحهم ، ومثال على ذلك مسألة الفقراء اليهود . لهذه الاسباب قد يكون ماكغفرن الشخص غير المناسب في المكان غير المناسب وفي الزمان غير المناسب »(٢٢) .

وذكر الصحافي الاميركي توماس برادن ان زعماء الديمقراطيين ربطوا بين سفير اسرائيل في واشنطن رابين وبين جمع مبلغ خمسة ملايين دولار من الطائفة اليهودية الاميركية لصالح اعادة انتخاب نيكسون للرئاسة . وقد ضم زعماء هذه الحملة لويس بويار المعروف منذ زمن طويل بأنه يتبرع لصالح اسرائيل ، وماكس فيشر من الحزب الديمقراطي والمتبرع لاسرائيل ولنيكسون ، ويوجين كلاين من الشركة العامة القومية وعضو الجمعية المختارة لمؤسسي الجامعة العبرية ، وغوستاف ليفي كبير المشاركين في شركة جولدمان وساخس وشركاهم ، وتافت شرايير ، من الشركة الموسيقية الاميركية ، وتركمنغز ، مؤسس شركة أسواق الطعام سابقا ، وبيرنارد لاسكر ، أحد متمولي وول ستريت ، وسام روتبرغ ، المدير العام لمنظمة سندات اسرائيل . ولاحظ روبرت

شتراوس ، الزعيم القومي الديمقراطي ، ان الحزب الجمهوري قد يكون حصل على « اموال يهودية » في العام ١٩٧٢ اكثر مما حصل الحزب الديمقراطي(٢٣) .

وقال عضو نادي هيلكرست للينبوع الحار في جنوبي كاليفورنيه والذي يقصده اثرياء اليهود « ان أكبر جامعي" أموال لنيكسون هما هنري كسنجر وغولدا مئير »(٢٤). وهو يشير بذلك الى حقيقة ان كسنجر كان يخبر اثناء الحملة الانتخابية مجموعات صغيرة من رجال الاعمال اليهود المتنفذين حول الشؤون الخارجية . وقد أوضح احد العاملين في حملة نيكسون الاشارة الى غولدا مئير بقوله ان زعيمين يهوديين في الولايات المتحدة مقربين جدا من غولدا مئير هما صموئيل روتبرغ ولويس بويار « يلتقيان بغولدا مئير ست مرات في السنة . وهما ديمقراطيان كما انهما جامعا أموال بارزين لحملة نيكسون هذه السنة (١٩٧٢) »(٢٥) .

قائمة بتبرعات ٢٤ يهوديا

١ — جورج فركاس وزوجته	٣٠٠٫٠٠٠ دولار
٢ — صموئيل شولمان	٢٦٢٫٥٧٤ دولارا
٣ — وولتر اتنبرغ	٢٥٤٫٠٠٠ دولار
٤ — شاوول شتاينبرغ	٢٥٠٫٠٠٠ دولار
٥ — جاك درايفوس الابن	٢١٩٫٠٠٠ دولار
٦ — مشولام ريكليس	١٥٠٫٠٠٠ دولار
٧ — جولز شتاين	١١٧٫٨٢٣ دولارا
٨ — وليم لفيط	١٠٢٫٠٠٠ دولار
٩ — م. ب. سبريتان	١٠٠٫٣١٥ دولارا
١٠ — ماكس فيشر	١٠٠٫٠٠٠ دولار
١١ — تافت شرايير	٧٥٫٧٠٢ دولار
١٢ — غوستاف ليفي	٦٨٫١٢٢ دولارا
١٣ — ابي يلاو	٥٦٫٠٠٠ دولار
١٤ — جورج وايز	٤٧٫٠٠٠ دولار
١٥ — جون سافر	٤٢٫٠٠٠ دولار
١٦ — فلورنز اوريسمان	١٩٢٫٠٠٠ دولار
١٧ — ايروين كاهن	٤٠٫٦٦١ دولارا
١٨ — ويلارد ليفي	٣٧٫٠٠٠ دولار
١٩ — ستانلي غولدبلم	٣٤٫٠٠٠ دولار
٢٠ — آرثر كوهين	٣٢٫٠٠٠ دولار
٢١ — ألفرد هارت	٢٥٫٠٠٠ دولار
٢٢ — لويس بويار	٢٣٫٦٤٩ دولارا
٢٣ — اندريه ماير	٢٣٫٥٠٠ دولار
٢٤ — جاي ن. بريتسكر	٣١٫٦٦٠ دولارا(٢٦)

يتضح من القائمة اعلاه ان المتبرعين اليهود قدموا مبلغ ٢٫٦١٤٫٥٧٩ دولارا من أجل اعادة انتخاب نيكسون . والى جانب ذلك هناك مئات المتبرعين اليهود الذين قدموا مبالغ تتراوح بين الف دولار وعشرين الف دولار .

ولا بد من الاشارة الى أن هناك صهيونيين مسيحيين تبرعوا بمبالــغ طائلة منهم و. كليمنت ستون الذي قدم مبلغ ٢٫١ مليون دولار . وكان قد جرى تكريم ستون على

يد قسم التأمين في منظمة سندات اسرائيل في الرابع من تشرين الاول ١٩٧٢ كما تلقى جائزة الانسانية القومية من بناي بريت . ومن الصهيونيين المسيحيين الآخرين ليونارد ك. فايرستون ، مدير شركة فايرستون للمطاط ، الذي قدم ١١٣٫٦٠٠ دولار والذي استغل امتياز شركته في ليبريه لحمل الحكومة الليبيرية في العام ١٩٤٧ على التصويت مع قرار التقسيم . وهناك اخيرا المغني فرانك سيناترا الذي تبرع بمبلغ ٥٠٫٠٠٠ دولار(٢٧). وقد تلقى سيناترا في اول تشرين الثاني من العام ١٩٧٢ رصيعة الشجاعة الاسرائيلية .

ان عائدات الاستثمار السياسي لا يمكن حسابها . الا أن هناك حقيقة يمكن ايضاحها وهي ان السياسيين الاميركيين يزداد اعتمادهم أكثر فأكثر على مبالغ هائلة تدرهـا حملات التبرع . وقد عبر عن هـذا بايجاز السناتور مسكـي لدى انسحابـه مـن الانتخابات الاولية : « ليس لدينا المال ... ببساطة لم يكن من الممكن القيام بها بدون المال »(٢٨). وقد أعلن جس أنرون رئيس « جمعية كاليفورنيه العامة » ، بدون خجل وبدقة ، « ان المال هو حليب الرضاعة في السياسة »(٢٩). وهكذا يزداد أكثر فأكثر تطلع المرشحين للرئاسة الى المتبرعين الذين يستطيعون تقديم المـال . وكلما بلغت تكاليف الحملات الانتخابية ارقاما خيالية يزداد بالمقابل نفوذ الدولار . « الا يطلب الذين يدفعون المال للعازف على الاقل بعض الالحان ؟ »(٣٠). ومن الواضح ان كثيرين من كبار المتبرعين يستفيدون مما تشتريه الاموال الطائلة على شكل دعوة الى البيت الابيض او فرصة لتقديم المشورة . واثناء زيارة مئير الاخيرة الى واشنطن دعي كثيرون من المتبرعين المذكورين آنفا الى البيت الابيض لحضور حفلة الاستقبال التي اقيمت على شرفها ومن اولئك المتبرعين ريكليس وشتاينبرغ وفيشر ولفيط وشرايبر وفركاس وزوجه .

لا بد من الاشارة الى أن التبرعات اليهودية لا تذهب كليا لتعزيز مصالح اليهود . ومع ان مسألة اسرائيل تشكل عاملا رئيسيا فان الليبرالية اليهودية تشكل عاملا آخر مهما في الايحاء للمتبرعين اليهود .

ان اليهود قد يكونون أسخى المتبرعين على الساحة الاميركية . الا أن الدولارات اليهودية ليست موجهة فقط الى السياسة اذ أن كثيرا منها يذهب الى الاعمال الانسانية التقليدية ، وهناك أعداد كبيرة من اليهود يتبرعون بمبالغ مالية كبيرة الى الاعمال الخيرية البروتستانتية والكاثوليكية . وقبل قيام اسرائيل بكثير كان اليهود يتبرعون لحملات تدي روزيفلت وودرو ويلسون الانتخابية . وفي الفترة الاخيرة حصلت حركات الحقوق المدنية والسلام على تبرعات يهودية كبيرة . وقال الصحـافي جوزف السوب : « ان الاموال اليهودية الاميركية هي في معظمها اموال تحكمها روح المصلحة العامة كما انها اموال ليبرالية وسياسية فاعلة »(٣١).

وفي تحليل حملات التبرعات من أثرياء اليهود لا بد لنا من أن نتذكر ان هؤلاء اليهود هم رجال اعمال مثل انداده‌م من البروتستانتيين الانغلوسكسون البيض يتوقعون ان تعود عليهم تبرعاتهم بعطف وحظوة في جميع الهيئـات الحكومية ولدى البيروقراطيين الذين سينفعونهم عند الحاجة .

ان نظرة على اسماء المتبرعين اليهود تبين لنا ارتباطهم باسرائيل .

وقد ظهر في قائمة المتبرعين السابقة عدد كبير من زعماء النداء اليهودي المتحد مثل جورج فركاس وصموئيل شولمان وشاوول شتاينبرغ ولويس لهرمان(٣٢). وهناك أيضا ماكس فيشر ، المتبرع لاسرائيل وعضو مجلس محافظي الوكالة اليهودية(٣٣)، ومشوليم ريكليس ، أحد زعماء النداء اليهودي المتحد الاكبر في نيويورك والذي تعهد بجمع مبلغ مليوني دولار في العام ١٩٧٣(٣٤). اما وليم لفيط فقد « دعا قرابة مئة من المليونيريين الى

يخته للحديث عن حاجات اسرائيل ولجمع تعهدات بالتبرع تبلغ قيمتها عشرة ملايين دولار »(٣٥). وستانلي غولدبلم « متبرع كبير ... لاغراض اسرائيلية »(٣٦). وذكر ان ولتر آننبرغ ، سفير الولايات المتحدة في بريطانيه ورئيس شركة منشورات المثلث التي تصدر دليل التلفزيون ، قد تبرع بمبلغ مليون دولار الى اسرائيل اثناء حرب العام ١٩٦٧(٣٧). ونذكر ايضا آرثر كوهين ، رئيس قسم البناء والعقارات في النداء اليهودي المتحد في نيويورك ، الذي منح في ٢١ تشرين الثاني من العام ١٩٧٢ رصيعة وايزمن مقابل « خدماته الممتازة للعلوم والتربية ولاسرائيل »(٣٨). ولويس بويار هو رئيس المجلس القومي لحافظي « سندات اسرائيل »(٣٩). وجورج وايز هو الرئيس السابق لجامعة تل ابيب والمتبرع للمؤسسات التربوية الاسرائيلية(٤٠). وتافت شرايير زعيم يهودي بارز في كاليفورنيه ومتبرع لاسرائيل . وهناك « الفرد هارت الذي يعمل بلا كلل في سبيل سندات اسرائيل »(٤١).

وقبل أن يتولى جون كنيدي مهام الرئاسة اجتمع الى دافيد بن غوريون وقال له على حد قول الاخير : « لقد انتخبت بواسطة يهود نيويورك وانني أحب أن أعمل شيئا من اجل الشعب اليهودي »(٤٢). وقد صدم بن غوريون لهذا القول وقال بدوره الى سي. ال. سولزبرغر الصحافي في نيويورك تايمز : « لماذا يقول شيئا كهذا لاجنبي ؟ »(٤٣).

ووفقا لما يقوله ستيفن كلايدمان الصحافي في واشنطن بوست فان المعلومات التي تصل الى الرئيس واعضاء الكونجرس بواسطة أفراد من اليهود ومنظمات يهودية مؤثرة سياسيا « تشكل جزءا وأحيانا جزءا مهما مما يدخل في قرار الرئيس حول مسائل مثل المساعدة الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل »(٤٤).

وقال البروفسور ناثان كلايزر : « بالنسبة لي فانني أعتقد ان التأثير السياسي اليهودي في هذا البلد هو على درجة يضطر معها أي رئيس اميركي الى تقديم دعم ما لاسرائيل ... »(٤٥).

وصرح السناتور فولبرايت بقوله : « ان الاميركيين ... سمحوا لانفسهم أن يستدرجوا الى الجانب الاسرائيلي بروابط العطف وتحت تأثير أكبر قوة فاعلة في السياسة الخارجية في الحياة السياسية الاميركية »(٤٦).

وأخيرا وعلى حد قول مجلة تايم الاميركية : « لا يستطيع اي مرشح للرئاسة مثلا ان يخاطر بالتوجه الى الناخبين اليهود ــ والمتبرعين الاثرياء منهم ــ حتى بالاشارة الى ان عطفه على اسرائيل أقل من العطف التام »(٤٧).

---

١ ــ **واشنطن ستار و الدايلي نيوز** ، ١٠/١٢/١٩٧٢ ، ص ١٥ أ .
٢ ــ **واشنطن بوست**، ١٩٧٢/٦/١١ ، ص ١ أ.
٣ ــ **ناشونال اوبزرفر** ، ١٩٧٢/٢/١٠ ، ص ٦.
٤ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/١٠/٩ ، ص ٣١ .
٥ ــ **جويش كرونيكل** ، ١٩٧٢/١١/٣، ص ١٢ .
٦ ــ مجلة **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٧/٣٠ ، ص ١٩ .
٧ ــ **شيكاجو تريبيون** ، ١٩٧٢/٩/٢ ، ص ٨ي.
٨ ــ **المصدر نفسه** .
٩ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص ٢٣ أ .
١٠ ــ **نيوزويك** ، ١٩٧٢/٧/١٠ ، ص ١٠٠ .
١١ ــ **المصدر نفسه** .
١٢ ــ **المصدر نفسه** .
١٣ ــ **المصدر نفسه** .
١٤ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٧/١٤ ، ص ١٢ .
١٥ ــ **ايفننج ستار و الدايلي نيوز** ، ١٩٧٢/١١/٢٨ ، ص ١٠ أ .
١٦ ــ مجلة **تايم** ، ١٩٧٢/٨/٢١ ، ص ١٢ .
١٧ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص ٢٣ أ .
١٨ ــ **نيويورك مجازين** ، ١٩٧٢/٨/١٤ ، ص ٢٨.
١٩ ــ **المصدر نفسه** .

٢٠ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٧/٣ ، ص ١٨ .
٢١ ــ **المصدر نفسه** .
٢٢ ــ **شيكاجو تريبيون** ، ١٩٧٢/٩/٢ ، ص ٨ي.
٢٣ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/١٠/٢٩ ، ص ١ ب .
٢٤ ــ **ايفننج ستار و الدايلي ستار** ، ١٩٧٢/١٠/١٣ ، ص ١٠ أ .
٢٥ ــ **المصدر نفسه** .
٢٦ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧٣/٥/١٣ ، ص ٧م، و ١٩٧٣/٦/١٥ ص ١٧ أ . **صنداي ايفننج ستار والدايلي نيوز** ، ١٩٧٣/٢/٢٥ ، ص ٨ . **وول ستريت جورنال** ، ١٩٧٣/٤/٢٥ ، ص ٢٠ . **نيويورك تايمز** ١٩٧٢/٩/٢٥ ، ص ٤١ ، و١٩٧٣/٣/١٢ ، ص ١٠ .
٢٧ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧٣/٥/١٣ ، ص ٧م.
٢٨ ــ **ناشونال جورنال** ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٥ .
٢٩ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٩/٤، ص ١٨ أ.
٣٠ ــ **جويش كرونيكل** ، ١٩٧٢/١٠/٢٧ ، ص٢٤.
٣١ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧١/٦/٩، ص ١٥ أ.
٣٢ ــ **ساوث وست جويش برس** ، ١٩٧٢/١٠/٢٠ ، ص ٨ .
٣٣ ــ **جويش بوست اند اوبينيون** ، ١٩٧٣/٣/٩، ص ١ .
٣٤ ــ **وكالة البرق اليهودية** ، ١٩٧٣/٢/٨ ، ص ٢ .
٣٥ ــ **جويش بوست اند اوبينيون** ، ١٩٧٣/٣/٢، ص ٩ .
٣٦ ــ **مانشستر جارديان ويكلي** ، ١٩٧٣/٣/١٧ ، ص ٧ .
٣٧ ــ **واشنطن بوست**، ١٩٧٣/٤/٢٩، ص ١ ل.
٣٨ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٦٧/٦/٩ .
٣٩ ــ **وكالة البرق اليهودية** ، ١٩٧٢/١١/٢٢ ، ص ٤ .
٤٠ ــ **هريتاج ــ ساوث وست جويش بريس** ، ١٩٧٢/١٢/١٥ .
٤١ ــ **واشنطن بوست**، ١٩٧٢/١٠/٢٩، ص٣ أ.
٤٢ ــ **هريتاج ــ ساوث وست جويش برس** ، ١٩٧٢/١٠/٢٠ ، ص ٨ .
٤٣ ــ Robert Silveberg, *If I Forget Thee O Jerusalem*, p. 571 (Pyramid Books, New York, 1972).
٤٤ ــ **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٢/٢٠ ، ص ٤أ.
٤٥ ــ J. William Fulbright, *The Crippled Giant*, p. 109 (Vintage Book).
٤٦ ــ مجلة **كومنتري** ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢، ص ٤٥ .
٤٧ ــ مجلة **تايم** ، ١٩٧٢/٨/١٤ ، ص ١٤ .

ملحق*

جدول باسماء المتبرعين اليهود لنيكسون في العام ١٩٧٢

	بالدولارات الاميركية
١ ــ جورج فاركاس	٣٠٠،٠٠٠
٢ ــ صاموئيل شولمان	٢٦٢،٥٧٤
٣ ــ والتر انينبرج	٢٥٠،٠٠٠
٤ ــ جون سافر	٢٥٠،٠٠٠
٥ ــ سول شتينبرج	٢٥٠،٠٠٠
٦ ــ ماكس فيشر	٢٢٥،٠٠٠
٧ ــ جاك درايفوس (الابن)	٢١٩،٠٠٠
٨ ــ ميشولام ريكليس	٢٠٠،٠٠٠
٩ ــ فلورنس اوريسمان	١٥٠،٠٠٠
١٠ ــ جولس شتاين	١١٧،٠٠٠
١١ ــ جوزف مئيرهوف	١٠٤،٨٤٨
١٢ ــ وليام ليفيت	١٠٢،٠٠٠
١٣ ــ أي. ل. وارنر	١٠٠،٠٠٠
١٤ ــ ناتان ليبسون	٩٨،١٢٠
١٥ ــ تافت شرايبر	٧٥،٨٠٢
١٦ ــ جوستاف ليفي	٧٠،٤٤٢
١٧ ــ فريدريك أهرمان	٦٣،٥٧٨
١٨ ــ ابي بلوف	٥٦،٠٠٠
١٩ ــ هنري كراون	٥٠،٠٠٠
٢٠ ــ اندريه ماير	٥٠،٠٠٠
٢١ ــ والتر هاس	٤٨،٥٥٧
٢٢ ــ جورج وايز	٤٧،٠٠٠

	بالدولارات الاميركية
٢٣ — ناثان كامينجز	٤٤٤٣٥٦
٢٤ — ثيودور كامينجز	٤٣٤٤٠٧
٢٥ — ايروين كاهن	٤٠٤٩٦١
٢٦ — ويلارد ليفي	٣٧٤٠٠٠
٢٧ — ستانلي جولدبلوم	٣٤٤٠٠٠
٢٨ — آرثر كوهن	٣٢٤٠٠٠
٢٩ — جاي بريتزكر	٣١٤٠٠٠
٣٠ — الفرد هارت	٢٥٤٠٠٠
٣١ — لويس بويار	٢٣٤٦٤٩
المجموع	٣٤٤٠١٤٥٣٩

وبالاضافة الى ذلك ، هنالك مئات من اليهود الذين تبرعوا بمبالغ تتراوح بين الالف والعشرين الف دولار اميركي . واخيرا هناك الصهيونيون المسيحيون الذين تبرعوا بمبالغ ضخمة مثل دبليو . كليمنت ستون الذين دفع مبلغ ٢٤١٠٠٤٠٠٠ دولار .

---

* صحيفة **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٣/٩/٢٩ (ص١٥)، و١٩٧٣/٣/١٢ (ص ١٠)، و١٩٧٢/٩/٢٥ (ص ٤١)، و **وول ستريت جورنال** ١٩٧٣/٤/٢٥ (ص ٢٠) ، و **صنداي ايفننج ستار** ، ١٩٧٣/٢/٢٥، (ص ٨).

ملاحظات حول مقال مشاريع التسوية السلمية للنزاع العربي – الاسرائيلي

محمد عزة دروزة

قرأت المقال الممتع للكاتبة الفاضلة ليلى القاضي في عدد حزيران ١٩٧٣ من مجلة شؤون فلسطينية. ومع احاطته باطراف الموضوع رأيت انه فات الكاتبة الفاضلة ذكر بعض مشاريع مهمة يحسن ذكرها في السلسلة . ورأيت الى هذا ان مناقشة الكاتبة لمدى وقبول قرار مجلس الامن ومبادرة روجرز تتحمل كلاما او تعقيبا وان عرض مبادرة الرئيس السادات لفتح قناة السويس غامض بعض الشيء . فكتبت هذا البحث الذي ارجو ان يكون فيه فائدة للقارىء وخدمة تاريخية لقضيتنا المقدسة .

فاولا – في صدد المشاريع التي فاتت الكاتبة الفاضلة :

١ – ان اقدم مشروع اعتقد وجوب ذكره هو موضوع ضم النظام الاردني لما بقي من الاقسام العربية التي نجت من الاحتلال اليهودي في فلسطين . وقد يكون هذا المشروع من جانب واحد حقا . ولكنه في الحقيقة مشروع تسوية وتصفية خطيرة حيث كان بمثابة طمس لاسم فلسطين ، واعتراف بقيام الكيان اليهودي في المناطق التي احتلها اليهود من فلسطين وكرسته اتفاقية الهدنة الدائمة . ولا سيما ان الوثائق والحقائق والوقائع اثبتت بما لا يدع مجالا للشك في ان العاهل الاردني الاول لم يدخل الحرب العربية الهزيلة الاولى مع الدول العربية عام ١٩٤٨ الا بعد ان تعهد لبريطانيا ثم لليهود بان الجيوش العربية التي حرص على ان تكون قيادتها العليا له لن تدخل الا الاقسام الباقية من الضفة الغربية بدون احتلال يهودي مضمنا بذلك اعترافه بالدولة اليهودية التي كانت اعلنت قبل دخول هذه الجيوش استنادا الى قرار التقسيم ٢٩ – ١١ – ٤٧ وان اول ما فعله اعلان حل الهيأة العربية العليا لفلسطين وكتائب الجهاد المقدس التي كانت تأتمر بأمرها وتجريدها من السلاح حتى لا تكون معرقلة لما ارتبط به مع بريطانيا واليهود .

ولقد كنا نتابع ظروف وتطورات هذا المشروع ونسجلها . ثم شرحناها في الجزء الخامس من كتابنا حول الحركة العربية الذي طبع في سنة ١٩٥٢(١).

وهذه خلاصة نرجو ان تكون وافية لما جرى :

طلبت الهيأة العربية العليا لفلسطين اعلان دولة عربية فلسطينية عقب اعلان نهاية الانتداب وزحف الجيوش العربية في ١٥ مايس ١٩٤٨ لما رأته من ضرورة بروز تمثيل رسمي عربي لفلسطين ، ولم يتسع وقت الجامعة العربية للنظر في هذا الامر الا بعد الهدنة الاولى وبين يدي استئناف القتال حين انقضائها فقررت لجنته السياسية التي كانت استقطبت صلاحياتها في العاشر من تموز ١٩٤٨ بعد المشاورة والاتفاق مع الهيئات الفلسطينية قرارا بانشاء ادارة مدنية لتسيير الشؤون والخدمات المدنية في الاقسام التي تحتلها الجيوش العربية لتكون فاتحة عهد يتمكن الفلسطينيون فيه من تولي شؤونهم بانفسهم ومقدمة لممارستهم خصائص استقلالهم .

وكان مقتضى هذا القرار انشاء مجلس من رئيس وتسعة مديرين لشؤون الادارة الداخلية والامن العام والقضاء والصحة والاجتماع والمواصلات والاقتصاد الوطني والزراعة والدعاية . على ان

تحدد صلاحيات الحكام العسكريين الذين تعينهم الجيوش العربية في مناطق احتلالها من قبل مجلس الجامعة بصورة لا يكون تداخل بين هذه الصلاحيات وسير الادارة المدنية .

وقد سمي احمد حلمي عبد الباقي رئيسا وجمال الحسيني للامن العام وعوني عبد الهادى للشؤون الاجتماعية والدكتور حسين الخالدي للصحة وسليمان طوقان للمواصلات وعلي حسنة للقضاء ويوسف صهيون للدعاية وامين عقل للزراعة ، وتقرر منح المجلس سلفة او هبة الى ان يتسنى له ترتيب امور وجباية الضرائب والعائدات .

غير ان العاهل الاردني الذي كان يمارس صلاحيات القائد الاعلى والذي كان جيشه يحتل هو والجيش العراقي القسم الاكبر من المناطق العربية عارض هذا القرار بشدة حتى جمده ، انطلاقا من فكرته الرامية الى ضم المناطق العربية الى مملكته . وقد كان ما جرى عقب استئناف القتال بعد الهدنة الاولى من نكسة مريعة على الموقف العربي العسكري والسياسي ما ساعد على بقائه مجمدا .

غير ان ضرورة تقدم ممثلين رسميين للشعب العربي الفلسطيني امام الهيأة الدولية في دورتها التي عقدت في باريس في اوائل عام ١٩٤٩ ، جعلت اللجنة السياسية تعود الى الفكرة بنطاق اوسع بحيث يقام كيان فلسطيني سياسي ومدني معا على أرض فلسطين حتى ان هذا كان من اهم ما شغل هذه اللجنة في اجتماعاتها في ايلول ١٩٤٨ وقد عارض ممثل الاردن في اللجنة الفكرة بكل شدة . ثم اخذ العاهل بنفسه زمام المعارضة فاستنكرها في تصريحاته وبرقياته واوعز الى عملائه في الاقسام التي يحتلها جيشه بالاستنكار والاحتجاج ، وساد في جو الجامعة توتر وتشاد بالرغم من موافقة سائر الحكومات بما فيها العراق على وجاهة الفكرة وضرورتها ، وقد رأت اللجنة ان تكتفي تفاديا لعواقب الانقسام بين الحكومات العربية باقرار الفكرة وناطتها بأهل فلسطين على أن تعترف الحكومات العربية بالحكومة الفلسطينية اذا اقروها وتساعدها ماديا وادبيا .

وحينئذ خطت الهيأة العربية العليا خطوتين في سبيل ذلك بالتشاور والتفاهم مع اللجنة السياسية وامين عام الجامعة وبتشجيع قوى من بعض الحكومات . وكانت الخطوة الاولى ان ذهب احمد حلمي عبد الباقي مع فريق من رجالات فلسطين الى غزة واعلنوا قيام حكومة عموم فلسطين بتاريخ ٢٨ ايلول ١٩٤٨ برئاسة احمد حلمي وعضوية كل من جمال الحسيني ورجائي الحسيني وعوني عبد الهادي واكرم زعيتر والدكتور حسين الخالدي وعلي حسنة وميشيل ايكاريوس ويوسف صهيون وامين عقل . وكانت الخطوة الثانية ان دعت الهيأة العربية العليا نحو ١٥٠ شخصا من الفئات التي تمثل مختلف انحاء فلسطين وهيئاتها وميولها الى عقد مجلس وطني في غزة لاسباغ الشرعية على ذلك . وقد استجاب نحو تسعين وانعقد المجلس في ٢٨ ذي القعدة ١٣٦٧ و ١ تشرين الاول ١٩٤٨ وقرر هذا القرار :

(بناء على الحق الطبيعي والتاريخي للشعب العربي الفلسطيني في الحرية والاستقلال ، هذا الحق الذي بذل في سبيله اذكى الدماء وكافح دونه قوى الاستعمار والصهيونية التي تألبت عليه وحالت بينه وبين التمتع به فاننا نحن اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مدينة غزة نعلن هذا اليوم الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٦٧ الموافق للواحد من تشرين الاول سنة ١٩٤٨ استقلال فلسطين كلها التي يحدها شمالا سورية ولبنان وشرقا سورية وشرق الاردن وغربا البحر الابيض وجنوبا مصر استقلالا تاما واقامة دولة حرة ديموقراطية ذات سيادة يتمتع فيها المواطنون بحرياتهم وحقوقهم وتسير هي وشقيقاتها الدول العربية متآخية في بناء المجد العربي وخدمة الحضارة الانسانية مستلهمين في ذلك روح الامة وتاريخها المجيد ومصممين على صيانة استقلالها والذود عنه والله على ما نقول وكيل) ثم اذاع بيانا فند فيه قيام دولة يهودية على ارض العرب بالقوة والاغتصاب . وناشد الامة العربية والعالم الاسلامي احباط ذلك والاخذ بيد الشعب الفلسطيني لانقاذ فلسطين . وقرر ان يكون علم دولة فلسطين هو علم الثورة العربية باللون الاسود وتحته الابيض وتحته الاخضر مع مثلث احمر قاطع بدون نجمة . ووضع دستورا من مقتضاه ان يكون جهاز الدولة مؤلفا من مجلس أعلى يكون بمثابة مجلس عرش ومجلس دفاع ومجلس وطني وحكومة . ومثلت الحكومة امامه فالقت بيانا عن خطتها وفي المقدمة بذل الجهود

بالتعاون مع الحكومات العربية لتحرير فلسطين فاقره ومنحها ثقته على اساسه .

وهاج عاهل الاردن وماج من الحركة فأمر بعقد مؤتمر في عمان في نفس اليوم الذي انعقد فيه المجلس الوطني في غزة برئاسة الشيخ سليمان التاجي(٢) فقرر عدم شرعية ما تم في غزة . واشتد هياج الملك وغيظه فاوعز الى اوليائه في الضفة الغربية بالاحتجاج وتجول في الضفة الغربية ساخطا طالبا من اوليائه الانكار والاحتجاج . ثم امرهم بعقد مؤتمر ثان على أرض فلسطين فعقدوه في اريحا في اول كانون الاول ١٩٤٨ برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري الشهير بولائه لليهود والنظام الاردني معا فاعلن وحدة الارض الفلسطينية الاردنية ومبايعة الملك عبد الله ملكا عليها والطلب من الحكومات العربية باتمام ما اخذته على عاتقها من انقاذ فلسطين وبذل جهدها في اعادة اللاجئين والتعويض عليهم ، ورفعت القرارات للملك الذي تظاهر بقبولها شاكرا مغتبطا قائلا : انه عبء عظيم يحمله وانه باذل جهده في سبيل اداء هذه الامانة في عنقه حقها . وابرق بالقرارات الى امانة الجامعة العربية والحكومات العربية . واصدر مجلس الوزراء الاردني بلاغا جاء فيه : (ان الحكومة الاردنية تقدر حق التقدير رغبة سكان فلسطين الممثلين في مؤتمر اريحا فيما يتعلق بتوحيد البلدين الشقيقين شرق الاردن وفلسطين ، وهي رغبة متفقة تماما مع رغبات الحكومة الاردنية ، وستبادر الى اتخاذ الاجراءات الدستورية لتحقيقها) . وقد عاد الملك فتجول ثانية في فلسطين يتقبل من اهلها البيعة والتهنئة .

ولقد كانت هذه الظروف هي الظروف التي اشتدت فيها معركة النقب بين مصر واليهود رغم قيام الهدنة الثانية والتي اصاب اليهود فيها نجاحا كبيرا في حين وقفت الحكومات العربية وجيوشها موقف الجمود ولم يكن في ميدان فلسطين من يستطيع مساعدة الجيش المصري او التخفيف عنه غير الجيش العراقي والاردني . فكان الناس يألمون لجحودهما ويرون فيه قصد عاهل الاردن والعراق وتآمرهما على مصر لانها شجعت على حركة مؤتمر غزة ...

ولم تسكت مصر فاستدعى الملك سفراء العرب وابلغهم استنكاره وكون ما تم هو اخلال بالهدف الذي دخلت الجيوش العربية فلسطين لتحقيقه وهو انقاذ فلسطين وتسليمها لاهلها وتمزيق لوحدة العرب . وفعل مثل هذا امين الجامعة العام . وجماعة كبار العلماء الذين عدوه مما يدخل في الانذار القرآني (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وحملت الصحف المصرية حملات شديدة . وشاركت سورية في كل ذلك .

وركب عاهل الاردن رأسه فأمر بعقد مؤتمر اخر في رام الله في اخر كانون الاول ١٩٤٩ حشد فيه حشودا من قرى القدس للرد على ما قيل ان مؤتمري عمان واريحا لا يمثلون الا قلة فلسطينية ايد فيه المؤتمرين ، وامر العاهل مجلس الاعيان والنواب فاجتمعا في جلسة مشتركة قرر الموافقة على توحيد فلسطين والاردن في مملكة واحدة هي المملكة الاردنية برئاسة الملك عبد الله والطلب من الحكومة الاردنية اتخاذ الاجراءات الضروريةلتنفيذ ذلك . وانهاء قضية فلسطين بالطرق السلمية او السلاح وبذل كل ما يستطاع في اعادة اللاجئين الى ديارهم .

وقد تحسبت الحكومة العراقية من العواقب وجاء وفد عراقي مؤلف من نوري السعيد وجميل المدفعي الى عمان لاقناع الملك بتأجيل تنفيذ الخطوة وتظاهر بالانصياع للنصيحة ونشر تصريح عن لسانه يعلن فيه رغبته في مواصلة التكاتف مع الدول العربية وموافقته على التريث في الخطوة النهائية كما اعلن توفيق ابو الهدى رئيس الوزارة فيمؤتمر صحفي ان حكومته قررت عدم تنفيذ قرارها وقرار البرلمان بتبني قرارات مؤتمر اريحا في الوقت الحاضر مع اتفاق هذه القرارات مع سياسة الحكومة الاردنية كل الاتفاق .

ثم أقدمت على تنفيذها في نيسان ١٩٥٠ في ظروف توتر عربي شديد . وكان من اجراءات ذلك ان الغيت في كانون الاول ١٩٤٩ الجمارك والجوازات بين الضفتين ، ومنح الفلسطينيون جوازات اردنية ، كما الغيت ادارة فلسطين الخاصة ووحدت الادارة والمرجع على الضفتين وسوي في المركز والحقوق بين سكانها ، واعلن حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة لكل من الضفتين عشرون مقعدا في المجلس النيابي وستة مقاعد في مجلس الاعيان ، وفي ١١ نيسان ١٩٥٠ جرت الانتخابات واشترك فيها سكان الضفة الغربية

الاصليون منهم واللاجئون وعين الملك اعضاء مجلس الاعيان واجتمع المجلسان برئاسة توفيق ابو الهدى يوم الاثنين ٧ رجب ١٣٦٩ او ٢٤ نيسان ١٩٥٠ حيث استمعا الى خطاب العرش الذي صيغ بأسلوب الايحاء القوي بالضم وتدابيره ، وقد قرر المجلسان بعد ديباجة اثني فيها على جهاد الملك عبدالله في تحقيق الاماني القومية وأكد فيها على الروابط القائمة بين ضفتي الاردن ووحدتهما الطبيعية والقومية ومصالحهما المشتركة تأييد الوحدة التامة بينهما في دولة واحدة هي المملكة الاردنية ، ورفع القرار الى الملك فورا فقال للوفد الذي رفعه اليه (أشكر مجلس الامة على ثقته ، اما وقد صدر هذا القرار فلا يسعني الا قبول ارادة الامة...!) ثم صادق على القرار رسميا ، واطلقت المدافع ايذانا بالاتحاد وابلغ القرار رسميا الى الدول العربية والاجنبية .

ولقد سارت خطوات الضم الاولى بدون ضجة فبادرت حكومة عموم فلسطين الى الاحتجاج ولفت نظر الحكومات العربية حتى تحركت وبحثت الامر في الجامعة العربية فقررت اعتبار الضم منافيا للاسس التي دخلت عليها الجيوش العربية وهو انقاذ فلسطين وتسليمها لاهلها ليقرروا مصيرهم بأنفسهم وان الاخلال بذلك هو خروج على الجامعة وميثاقها واهدافها وانذرت الاردن بالطرد في حالة الاخلال والمضي الى النهاية . وحاول بعضهم انقاذ الموقف بمساع ثم بصيغ متنوعة وتبودلت البرقيات والمذكرات والتصريحات ولكن ذلك لم يؤخر النهاية حيث كان للتناقضات العربية اثر في التعثر ثم في التمييع وحيث استمر عاهل الاردن ورجال حكومته في تحديهم وخطواتهم حتى تمت على النحو الذي شرحناه .

ومنذئذ انطمس اسم فلسطين وشعب فلسطين وغدت فلسطين (الضفة الغربية) وشعب فلسطين اردنيين من الاسرة الاردنية الهاشمية ، وحينما كانت فلسطين تذكر عابرا في اثناء بحث قضية فلسطين كان اليهود ينبرون للرد والاحتجاج قائلين انه ليس هناك فلسطين ولا شعب فلسطين وانما اردن واسرائيل ...

واذا كانت عموم فلسطين ظلت قائمة وظلت الجامعة العربية تحتفظ بمقعد لفلسطين وفقا لميثاقها وظلت تمنح رئيس حكومة عموم فلسطين ان يشغل هذا المقعد فان ذلك كان وظل هزيلا تافها عربيا ودوليا ولم يكن من شأنه ان يغير الصورة التي قامت .

ولقد سارعت الحكومة الانكليزية التي كانت بدون ريب مباركة لكل ما تم الى اعلان اعترافها بالضم في ٢٧ نيسان ١٩٥٠ برغم ما فيه من نقض لقرارات هيأة الامم . وقد أعلن الاعتراف وزير الدولة في مجلس العموم الذي قال (ان الحكومة تلقت تبليغا رسميا من المملكة الاردنية الهاشمية باتحاد هذه المملكة مع ذلك الجزء الذي تحتله الاردن وتشرف عليه ، وانها قررت الاعتراف رسميا بهذا الاتحاد . وانها تنتهز هذه الفرصة لتعلن انها تعد احكام معاهدة التحالف المعقودة بين بريطانية والاردن سنة ١٩٤٨ سارية على جميع الاراضي التي يضمها الاتحاد. غير أن الامر يستدعي ايضاحا في نقطتين اولاهما تتعلق بالحدود الممتدة بين هذه الاراضي واسرائيل التي لم يتقرر مصيرها بعد بصورة نهائية . لانها حدود هدنة دائمة موافق على ان يدخل عليها ما قد تتفق عليه الدولتان من تعديل او ما قد يحل محله من اي تسوية شاملة . والنقطة الثانية تتصل بالقدس وذلك الجزء من فلسطين المتحد الان مع المملكة الاردنية ويشمل جزءا من المنطقة الداخلة في مشروع تدويل القدس الذي أقرته الجمعية العامة لهيئة الامم في ٩ ديسمبر ١٩٤٨ وتود حكومة جلالته ان تقرر انه لا يسعها ما دام مصير هذه المنطقة لم يتقرر الاعتراف بسيادة الاردن على اي جزء منها وان كانت تعترف بأن الاردن يباشر سلطة فعلية في الجزء الذي تحتله ، ولذلك ترى ان معاهدة التحالف الاردنية البريطانية تسري احكامها على هذا الجزء ريثما تباشر هيأة الامم سلطة فعلية فيه . والتزامات حكومة جلالته التي ترتبها هذه تخضع بطبيعة الحال لالتزاماتها بموجب ميثاق هيئة الامم ، وتود حكومة جلالته ان تضيف الى ما سبق انها لا تنوي انشاء قواعد عسكرية في وقت السلم في منطقة فلسطين المتحدة مع مملكته الاردن .. ومن الطريف ان اليهود حنقوا من عملية الضم واعتراف الانكليز به وتشميل معاهدة التحالف القسم المنضم اشد الحنق بالرغم من ان الانكليز حاولوا في سياق اعترافهم هذا مجاملة اليهود ورشوتهم فأعلنوا اعترافهم بدولتهم اعترافا قانونيا في نفس الوقت والموقف الذي أعلنوا فيهما اعترافهم ، لانهم اي اليهود — رأوا فيه

عقبة ما في طريق مآربهم ومطامعهم وخاصة في زوال خوف الاردن الذي كان يحفزه الى مصالحتهم ، وقد بحثوا الموضوع في مجلسهم النيابي وأعلنت حكومتهم انها لا تعترف بالضم ولا بامتداد المعاهدة الانكليزية وانها تعتبر ذلك عملا من اعمال الكيد والعداء ، وانها كانت مستعدة لقبول خطوط الهدنة الحالية أساسا للتسوية الاقليمية مع الاردن . ولكن هذا لم يتم ، ولذلك فانها لا يمكنها ان تهمل مصير منطقة مرتبطة بالدولة اليهودية من الوجهة العسكرية والتاريخية . ووافق مجلسهم النيابي على سياسة الحكومة هذه التي ينطوي فيها كما هو ظاهر ما يرمون اليه من مطامع ، برغم ما يعود عليهم من الضم من فوائد حيث انه أزال عنهم كابوس اسم فلسطين وشعب فلسطين الذي كان سيؤرقهم صبح مساء لانهم قاموا على أشلائه ودمائه وأرضه وبيوته ومقدساته ، ونسوا ان ذلك كان ثمنا متفقا عليه مسبقا حينما تعهد لهم العاهل الاردني من احترام الاقسام التي يحتلونها ، ويظهر من سطور بيان حكومتهم انهم أرادوا ان يكون لهذا ثمن متمم وهو انعقاد الصلح القانوني بينهم وبين الاردن على الاقل وانهم خشوا ان يكون امتداد الحماية البريطانية على الاقسام المنضمة عقبة لهذا الثمن المتمم . ومع ان العاهل الاردني سعى في سبيل عقد صلح مع اليهود فان مساعيه تعثرت لانه طلب من اليهود ثمنا لذلك فلم يروا ان يستجيبوا اليه وأرادوا على ما يبدو ان يكون ذلك بدون ثمن جديد على ما سوف نشرحه بعد .

ولقد سكتت اميركا وروسيا وغيرهما على ما فعله الاردن رغم كونه مناقضا لقرار الجمعية العامة لهيأة الامم فكان ذلك صورة اخرى من التواطؤ والتآمر على طمس اسم فلسطين وشعب فلسطين .

ولقد ظلت الصفقة التي عقدها العاهل الاردني الاول مع اليهود وبريطانيه في عنق النظام كالتزام مستمر . فما كادت تبرز فكرة احياء كيان فلسطين ليتولى زمام مبادرة القضية المنسية ويحييها ويسير بها نحو التحرير واسترداد الحق السليب في سنة ١٩٦٠ وبعدها في أوساط الجامعة العربية وبخاصة في مؤتمر القمة سنة ١٩٦٤ حتى انبرى العاهل الحفيد ليحاربها بمختلف الاساليب مما هو ماثل للاذهان وبلغ الامر ارتكاب المجازر الرهيبة ضد الفلسطينيين وسحق حركة مقاومتهم الكبرى التي أعادت الروح والحياة لقضيتهم عربيا وعالميا والتي أثارت شديد الرعب والفزع في الكيان الصهيوني وأنصاره ورفعت العرب من أوحال الهزيمة وجعلت العالم يعترف بحركة المقاومة كحركة تحرير وطنية لشعب يضحي بكل شيء ويقدم على كل شيء لاخذ ثأره وغسل عاره واسترداد وطنه السليب وتقويض الكيان المجرم الذي قام على انقاضه بالغدر والحديد والنار والخيانة ومساعدة الاستعمار . وكان هذا بنوع خاص هو أشد ما أثار الرعب والفزع في العدو وانصاره فطلبوا سحقه من عميلهم المجرم وأيدوه بالمال والسلاح وأقدم هو على اقتراف جريمته وتلطيخ ايديه بدماء شعبه والقضاء على حركته المقدسة من حيث ان نجاح هذه الحركة ستفقده مبرر وجوده وما تمنحه اميركا واليهود من ورائها من حماية وتأييد وعون .

وهذه الحرب التي شنها هذا الحفيد على فكرة وخطوات بعث الكيان بدأت كما قلنا في سنة ١٩٦٠ برغم موافقة جميع الدول العربية عليه وتأييدهم له وقبل حركات ما بعد سنة ١٩٦٧ بل وقبل حركات سنة ١٩٦٥ الفدائية تكذب كل الحجج التي يتبجح بها للاقدام على ما أقدم عليه من مجازر رهيبة وسحق المقاومة العلنية في الاردن .

٢ — ومن المشاريع التي فاتت الكاتبة الفاضلة القاضي (الحركة التي تحركها عاهل الاردن الاول نحو الصلح مع اليهود) والتي كانت في ظروف حركة ضم اشلاء فلسطين الى مملكته واختلطت أحداثها وتوتراتها معها .

وقد كنا نتابع ونسجل تطورات هذه الحركة وشرحناها في الجزء الخامس من كتابنا حول الحركة العربية الحديثة(٣).

ففي صيف عام ١٩٤٩ قام الملك عبدالله برحلة الى انكلترة ولما عاد أقامت له بلدية عمان حفلة خطب فيها خطبة تعد براعة استهلال لفكرة الصلح مع اليهود (أيلول ١٩٤٩) التي جاء بها من رحلته على ما هو المبادر . وقد جاء في الخطبة فيما جاء « انه عازم على السعي لايجاد الحالة السلمية المقتضية للحيلولة دون احداث تسبب تكرار الشكوى والخصام واتباع الخطبة التي تبعث على احترام هذه المملكة المحبة للسلام المدافعة عنه الراغبة في أن تحيا حياة لا عداوة فيها مع كل من جاورها » .

ومن ثم اخذت ترد اخبار اتصالات بين الاردن واليهود وأخذت الصحف العربية منذ أوائل عام

١٩٥٠ تردد اخبارها وتحمل على شرق الاردن ، ونشرت اخبار اليوم المصرية وثائق بالزنكوغراف بما كان يجري بين عمان واليهود من رسائل مشبعة بالمجاملات ، وكان ذلك يثير الهياج والسخط في الرأي العام العربي ضد العاهل الاردني ورجال حكومته .

ولقد اطلعنا على وثيقة خطيرة وبتعبير آخر على كتاب مرسل من الملك عبدالله الى عوني عبدالهادي الذي كان عمل سكرتيرا له فترة من الوقت وظلت صلاته به حسنة يتبرم فيه من الحالة الراهنة التي لا هي سلم ولا هي حرب ويذكر عزمه على الخروج منها الى السلم الذي يمكن تأمين بعض المكاسب منه للعرب مما فيه توكيد حاسم لتلك الاتصالات .

ومما فهم من ما نشر ونقل أن الملك كان يتفاوض أولا فيما سماه ميثاق عدم اعتداء وتعديل للهدنة يمتد حكمه خمس سنوات وفي نطاق مواد الهدنة بدلا من تسميته ذلك مفاوضات صلح نهائي ، وان الملك حاول أن ينال كسبا ما من اليهود يبـرر حركته وخطته ، مثل استرجاع اللد والرملـة والمجدل مع طريق حر الى هذه الاقسام ، ومثل ما اخذه اليهود من قرى المثلث العربي وأراضيه ولم يكونوا محتلين له(٤) فلم يستجب اليهود الى طلبه ، وكل ما أمكن ان يتنازلوا عنه رد نحو مائة الف دونم مع بعض القرى من المثلث وفتح طريق القدس وبيت لحم القصيرة التي كانوا يسيطرون عليها واعادة بعض الاحياء العربية خارج السور في القدس والسماح لاصحاب الاملاك من اللاجئين بالعودة الى مناطقهم مؤقتا لاجل تصفيتها او توكيل من يصفيها لهم وتعيين لجنة مختلطة للاشراف على عمليات التصفية وتسييرهـا وحل الخلاف فيهـا واعطاء الاردن منطقة حرة في ميناء حيفا ، وذلك مقابل سماح الاردن لليهود بالعودة الى حيهم في القدس القديمة وبحرية زيارة حائط المبكى لجميع اليهود وفتح طريق الجامعـة العبرية ومستشفى هداسا في جبل الطـور المعروف بجبل سكـوبس الحصين المشرف على غـور أريحا وفتح طريـق القدس ــ اللطرون ــ يافا القصيرة التي يسيطر على بعض نقاطها الجيش الاردني . ثم عقد اتفاقية تجارية بين الدولتين بحيث يصبـح شرق الاردن وبطريقها بلاد العرب مفتوحة للتغلغل الاقتصادي اليهودي .

ويظهر ان ما طلبوه أكثر وأوسع مـن المنح التافهة التي وافقوا عليها وانهم رفضوا التنازل عن شيء مهم من الارض التي دخلت في حوزتهم حيث يبدو من هـذا قوة تصميمهم المبدئي على الاحتفاظ بكل ارض كسبوها . وعدم التنازل عن شيء جوهري بطرق سياسية وسلمية برغم ما كان من حاجتهم الشديدة الـى كسر الطوق العربي والظفر باعتراف عربي ما بشرعية وجودهم وظل هذا ديدنهم في كل وقت الى الان ...

ومع ذلك فان العاهل لم يتراجع وظل يواصل اتصالاته وأخذه ورده مع اليهود . ولقد كان يقال ان الذي كان يتولى المفاوضات السرية سمـير الرفاعي . وكان توفيـق ابو الهدى هو رئيس الوزارة آنذاك ، فاستقال نتيجة للضجة الثائرة فعهد الملك الى سمير الرفاعي بتشكيل الوزارة فتأيد بذلك ما كان يقال من ان هذا هو الذي كان يتولى المفاوضات ومـن كون العاهل لم يرد ان يتراجع بسهولة عن حركته ...

ولقد نشرت التايمس اللندنية في مارس ١٩٥٠ مقالا دافعت فيه عن ميول الملك السلمية المتسقة مع الواقع والتي هي الطريق الوحيد لاستقرار الحالة في العالم العربي فاعتبر الناس ان حركة العاهل تجري بمباركة من الانكليز وتشجيعهم مما شدد الهياج ضده وضد سمير الرفاعي فكان ذلك مما عثر على هذا تأليف الحكومة وجعل الملك يطلب من أبي الهدى الرجوع عن استقالته على ان يتوقف ما كان يجري الى ان تجري الانتخابات النيابية التي كان يزمع اجراءهـا في نصف نيسان ١٩٥٠ وكان من أثر الضجة ان عقد مجلس الجامعة في ١ نيسان ١٩٥٠ اجتماعا للنظر في هذا الامر في جو عاصف من الغضب الذي كان يمتزج بالغضب من حركة الضم التي كانت تجري في وقت واحد وخط متواز . وبالغضب مـن جمود الجيشين الاردني والعراقي وموقف عاهليهما الشامت(٥) ازاء معارك النقب وانتصار اليهود فيها على المصريين الذي ادى الى تصفية اليهود للسيطرة المصرية عليه . وقد امتنع الاردن عن ارسال ممثل ولكنه أرسل برقية انكر فيها ما يشاع من مفاوضات صلحية او تسوية جديدة ما وقال ان كل ما هنالك هو رغبة في اجراء تعديلات متبادلة على خطوط الهدنة وفي نطاقها وقد صرف النظر عن ذلك في الوقت الحاضر.

وقد اتخذ مجلس الجامعة مع ذلك قرارا عاما وبالاجماع بفصل كل دولة تشذ وتعقد صلحا منفردا

مع اليهود . وطلب من اللجنة السياسية وضع ما يجب تطبيقه من تدابير على الشاذ . فوضعت اقتراحات من مقتضاها قطع العلاقات السياسية والقنصلية واغلاق الحدود ووقف التبادل والتعامل الاقتصادي والتجاري والمالي مباشرا او غير مباشر مع رعايا الدولة الشاذة . ووافق المجلس بما فيها الاردن على هذه الاقتراحات ووقف الامر عند هذا الحد ، حيث يكون العاهل قد رأى ان عمليتي الضم والصلح معا فوق ان تتحمله طبيعة كيانه وما سوف يتعرض له هذا الكيان من ضغط وعزلة فاكتفى في هذه المرحلة بما كان من عملية الضم والاهتمام بتمريرها وتمييع الانذارات ضده بسببها .

ولقد حنق اليهود أشد الحنق على هذه القرارات التي حظرت أية محاولة أو مفاوضة منفردة بسبيل أي اتفاق بينهم وبين الدول العربية لانهم كانوا يعولون على هذا تعويلا كبيرا ، ويعملون له في كل فرصة ، وينشرون الاشاعات ويدسون الدسائس في سبيله . فهم يدركون أن صلحهم الاجماعي مع العرب يكاد يكون مستحيلا بدون ثمن مرض في حين انهم يريدونه بدون ثمن مع شدة حاجتهم اليه . وفي هذا منتهى القحة والطمع والاستهتار وهم يعتقدون أن صلحا او تسوية ما منفردة مع دولة من شأنه ان يفك طوق الحصار الشديد المضروب عليهم وان حصن العرب سينهار بذلك فيتابع بعضهم بعضا كما فعلوا في مأساة المفاوضات المنفردة في الهدنة الدائمة فتنفتح بذلك آفاق البلاد العربية لهم اقتصاديا وثقافيا ودعائيا وسياحيا ثم استيطانيا ...

ولم يكن اليهود منفردين في حنقهم هذا . فقد شاركهم الانكليز والاميركان على ما رددته الصحف العربية والاجنبية . لانهم رأوا في القرار عقبة في سبيل توطيد كيان الدولة اليهودية الذين هم حريصون عليه كل الحرص وتفريج كرب اليهود وسببا في بقاء حالة الاضطراب والحقد والغليان في نفوس العرب ومبعدا للاستقرار الذي تنشده الدولتان في الشرق الاوسط والذي تريدانه عن طريق حمل العرب على شرب الكأس المسمومة الكريهة حتى الثمالة مع تبنيهم نظرية اليهود في ايجاب الصلح بدون ثمن والاعتراف بالحالة الراهنة والتخلي عن قرارات هيأة الامم في صدد اللاجئين والحدود . وقد بذل ممثلو الدولتين في القاهرة جهودهم الكبيرة للحيلولة دون صدور هذا القرار حتى ردد بعض اعضاء مجلس الجامعة ما كان من الحاحهم وضغطهم في تصريحات صحفية قالوا فيها فيما قالوه « انهم اوقظوا من نومهم في منتصف الليل ليبلغوا ما ابلغه سفير اميركا من تعليمات حكومته » ...

وقد حنقت لجنة التوفيق بدورها من القرار ايضا لانه أيأسها من النجاح في مهمتها على الوجه المرغوب فيه من وجهة نظر الدول التي تمثلها وهي اميركا وفرنسا وتركيا . وقد كانت اللجنة وما زالت حريصة كل الحرص على السير وفق هذه الوجهة ضاربة بواجب الشرف والنزاهة التي توجبه عليها طبيعة مهمتها .

٣ — ومن المشاريع التي فاتت الكاتبة الفاضلة المشروع الذي عرف بميثاق لوزان . ولعل هذا المشروع أهم مشاريع التسوية بين العرب واليهود عامة وأخطرها . فهو من جهة من أكبر وأبكر هذه المشاريع . ومن جهة انه حظي بموافقة وتوقيع ممثلي مصر وسورية ولبنان والاردن وهي الدول المحيطة بفلسطين والتي ارتبطت مع اليهود باتفاقيات الهدنة الدائمة التي تم توقيعها خلال عام ١٩٤٩ وهذا فريد وحيد في بابه بدرجة ما هو خطير .

ولقد كنا كذلك نتابع ظروف وتطورات هذا الامر ونسجلها ثم شرحناها في الجزء الخامس من كتابنا حول الحركة العربية الحديثة(٦).

ولقد كان ذلك عبر لجنة التوفيق التي عينتها الجمعية العامة لهيئة الامم في أيلول ١٩٤٨ لتحل محل الوسيط برنادوت الذي اغتاله اليهود وتقوم بما عهد اليه من مهمات وفي اي اعمال اخرى قد يطلب القيام بها اليها مجلس الامن او هيئة الامم على ما جاء في القرار . ومن جملة ذلك تنمية الصلات الحسنة بين دولة اسرائيل وعرب فلسطين والدول العربية ومساعدة الحكومات والسلطات المختصة على انهاء جميع الخلافات القائمة بينها وهي مؤلفة من ممثلين عن اميركا وفرنسه وتركيه.

ولقد سارعت الدولة اليهودية بعد اتفاقيات الهدنة الى طلب الانضمام الى هيئة الامم فوافق مجلس الامن على ذلك في ٥ مارس ١٩٤٩ وأحال الامر على الجمعية العامة . ولقد اعترضت بعض الدول الصديقة على قبولها لانها لم تتقيد بميثاق وقرارات هيئة الامم سواء في صدد اعادة اللاجئين

او في البقاء في الاراضي التي احتلتها بالقوة مما هو مخصص للدولة العربية ام في تدويل القدس . وحينئذ بدا على لجنة التوفيق نشاط نعتقد انه بتحريض ومساعي اليهود وأصدقائهم فدعت اللجنة الحكومات العربية الى مؤتمر تعقده معها في بيروت وعقد المؤتمر فعلا في ٢١ مارس ١٩٤٩ وكان على رأس وفد مصر وزير خارجيتها وعلى رأس وفدي سوريه ولبنان رئيسا وزارتهما وعلى رأس وفد الاردن وزير خارجيتها وجاء الشيخ يوسف ياسين عن المملكة السعودية . وكان انعقد في القاهرة قبل هذا مجلس الجامعة العربية الذي قرر وجوب التمسك بقرارات الامم المتحدة وفي صدد عودة اللاجئين بصورة خاصة والمحافظة على حقوقهم وأموالهم وكفالة ذلك وكون هذا مطلبا عاجلا ملحا غير مرتبط بأي أمر آخر . وقد تحدثت اللجنة بعد الاجتماع مع كل وفد على حده **فسمعت منهم كلاما واحدا وهو وجوب التعجيل في أمر اللاجئين فذهبت الى تل ابيب فعلقت هذا الامر على التسوية السلمية النهائية ورفضت تنفيذ قرار هيئة الامم في صددها منفردا بحجة انهـا لا تستطيع ان تسمح بوجود طوابير خامسة او متمردة في ارضها قبل عقد الصلح وزوال حالة الحرب** . فاستقر قرار اللجنة على جمع الطرفين لمحاولة اجراء مفاوضات صلحية ووجهت دعوة الى الحكومات العربية وتل ابيب لارسال ممثليها الى لوزان وعينت تاريخ ١٦ نيسان ١٩٤٩ موعدا ، واستجابت حكومات مصر وسوريه ولبنان والاردن للدعوة ، وكذلك فعل اليهود . ومن ثم اخذت اللجنة تعقد اجتماعات بينها وبين العرب لحده وبينها وبين اليهود لحده ، لان العرب أبوا ان يجلسوا مع اليهود في اجتماع واحد وطالب العرب الاتفاق على أسس المحادثات وأعلن اليهود استعدادهم لتوقيع ميثاق يتضمن كأسس للمحادثات : (١) احترامهم الحدود المقررة للتقسيم مع بعض التعديلات التي تقتضيها الاعتبارات الفنية (٢) موافقتهم على تدويل القدس (٣) موافقتهم على عودة اللاجئين وتصرفهم بأموالهم وأملاكهم وسائر حقوقهم وعلى التعويض على الذين لا يرغبون في العودة منهم. وهذه الاسس الثلاثة التي قررتها هيئة الامم .

ولقد كانت معنويات العرب ومادياتهم محطمة نتيجة لما كان من أحداث اليمة في الحرب ثم من تخاذل وتفكك بل ومظاهر عداء بين الدول العربية وبخاصة بين مصر من ناحية والاردن والعراق من ناحية أخرى مما جعل ممثلي الحكومات العربية الاربع يوقعون على ميثاق يتضمن هذه الاسس وقد وقعه اليهود ووقعته أيضا لجنة التوفيق وكان ذلك في ١١ مايس ١٩٤٩ وفي اليوم الذي تنعقد فيه الجمعية العامة لهيئة الامم . وقد حمل المندوب اليهودي الميثاق وأعلنه في الجمعية ليكون شاهدا له على استعداد دولته لاحترام ميثاق هيئة الامم وقراراتها ، وبناء على ذلك تمت الموافقة على قبول الدولة اليهودية عضوا في الهيئة في ١١ مايس ١٩٤٩ .

ولقد نص القرار بقبولها « ان الجمعية العامة اذ تأخذ علما باعلان دولة اسرائيل انها تقبل دون تحفظ التزامات ميثاق الامم المتحدة وتعمل لتنفيذها منذ اليوم الذي تصبح فيه عضوا في الامم المتحدة واذ تذكر بقراريها المؤرخين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٩ و١١ كانون الاول ١٩٤٨ واذ تلاحظ التصريحات والبيانات التي قدمها ممثل حكومة اسرائيل امام اللجنة السياسية الخاصة بشأن تنفيذ القرارين المذكورين تقرر قبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة » .

والقرار الاول هو قرار التقسيم الذي تقوم بموجبه دولة يهودية واخرى عربية في حدود معينة لكل منهما . والقرار الثاني هو قرار حق الفلسطينيين العرب الذين نزحوا عن منازلهم بالعودة اليها والتعويض عن أملاكهم وخسائرهم لمن لم يرغب العودة .

والقرار صريح بأنه يربط بين قبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة وبين تنفيذها ما تعهدت به.

ولكن اليهود لم يلبثوا بعد ذلك ان نكثوا ونكصوا على اعقابهم فأقاموا الدليل بكل استهتار على انهم ما صرحوا بما صرحوا به ووقعوا على ما وقعوا عليه هو خدعة لجعل الجمعية العامة لهيئة الامم توافق على عضويتهم وتجعل العرب يوافقون في غمرة يأسهم ومن حيث يدرون او لا يدرون على التقسيم الذي ينطوي فيه الاعتراف بدولتهم ، وعلى التدويل الذي فيه تسليم بخروج منطقة القدس العربية والاماكن المقدسة فيها من سلطانهم القائم، حيث أخذوا يتفننون — أي اليهود — في اثارة المشكلات واقامة العقبات في سبيل السير وفق ذلك الميثاق . ولم يرض اليهود بتقديم البحث في أمر اللاجئين الا بعد تسوية مشكلة الحدود . ولما

بحثت هذه المشكلة طالبوا بضم قطاع غزة الى دولتهم وجعل حدود مصر الدولية حدا لدولتهم من جهة الجنوب مقابل اعادة واسكان اللاجئين الذين هم من اهل هذا القطاع ! وطالبوا بتعديل حدودهم اللبنانية بحيث تشمل منابع نهر الليطاني لانه نهر يجري الى دولتهم . وهذا وذاك مغايران لقرار التقسيم . وقد تمسكوا كذلك بما احتلوه عنوة من الاقسام المخصصة للعرب في قرار التقسيم لان ذلك ضرورة فنية لامنهم ومواصلاتهم وضروري لاسكان اللاجئين . وفي صدد اللاجئين رفضوا الموافقة على عودة الجميع في اي حال . وقالوا ان كل ما يمكنهم ان يقبلوا به عودة قسم منهم ضمن تسوية عامة يوطن بها بقيتهم في أماكن خارجة عن حدودهم ، مع استعدادهم بالاعتراف بملكية الملاكين منهم ودفع التعويض لهم عنها . ثم عمدوا الى حيلة جديدة فطالبوا بالتفاوض مع كل دولة لحدة اسوة بما كان من مفاوضات الهدنة فلم يغب عن العرب ما ينطوي في هذا من مكر وكيد فأبوه . ولم يعبأ اليهود بهذا الاباء لانهم حصلوا من مكرهم على ما أرادوا وكانوا متيقنين من ان العرب لن يستطيعوا ان يرغموهم بالقوة وان غيرهم من باب اولى لن يقدم على ذلك . هازئين مستهترين بالشرط الذي قبلوا به في هيئة الامم وكأنهم كانوا مطمئنين بأن ضمير هذه الهيئة لن يستيقظ ليرى تلاعبهم واستهتارهم بقرارها وميثاقها فيحاسبهم على ذلك وقد كان ما ظنوا ...

ومنذئذ واسرائيل توجه الصفعات وتقف موقف الاستهتار والتمرد والشتيمة والرفض لميثاق وقرارات هذه الهيئة التي كانت الوحيدة بين الدول التي خلقت بقرارها ثم فقدت مبرر عضويتها فيها باخلالها بالشرط الذي قبلت به عضوا فيها . وذلك الضمير نائم صابر على هذه الصفعات والمواقف بل غير مبال بها ...

ولما وصل الامر الى الطريق المسدود أعلنت لجنة التوفيق تأجيل الاجتماع لفترة ما . ثم عادت الى لوزان في تموز ١٩٤٩ ودعت العرب واليهود فسارع الفريقان للاستجابة وانعقد الاجتماع في ١٨ تموز ١٩٤٩ فقدم المندوب الامريكي ورقة عمل ليجري البحث والحل على أساسها ، وكانت تتضمن ما يلي :

١ — اقرار مشروع التقسيم وحدوده مع بعض التعديلات الفنية .

٢ — اعادة أصحاب الاملاك العرب الى منازلهم في القسم اليهودي . وقد قدر عددهم بنحو ربع مليون على ان يوطن باقي اللاجئين في القسم العربي .

٣ — اعادة الاملاك العربية الموضوعة تحت الحراسة او المصادرة الى أصحابها وكذلك اعادة السلع والاثاثات العربية المصادرة واطلاق أموال العرب المجمدة والمحجوزة .

٤ — تأليف لجنة دولية يشترك فيها العرب واليهود لاعداد جداول بالخسائر التي لحقت بالفريقين .

٥ — تعهد اليهود بمنح العائدين من الفلسطينيين نفس الحقوق التي يتمتع بها اليهود دون اي تمييز او ضغط او محاسبة .

٦ — جعل منطقة القدس دولية وتقسيمها الى ثلاث مناطق عربية ويهودية ومقدسة ، ووضع الاماكن المقدسة تحت الاشراف الدولي المباشر وادارة المنطقتين العربية واليهودية بواسطة سلطات محلية عربية ويهودية تحت اشراف هيئة الامم .

٧ — تعديل الحدود بحيث تكون يافا ضمن القسم اليهودي مع ضم بعض أقسام من مرج ابن عامر والخليل الشرقي الى هذا القسم وبحيث تضم المجدل الى القسم العربي وتعاد الحمة الى سورية وتكون حدود الهدنة الاردنية اليهودية حدودا رسمية .

٨ — قيام حكومة عربية في القسم العربي المعين حدوده في قرار التقسيم بعد التعديلات المقترحة وفقا لهذا الاقتراح .

واعلن المندوب الاميركي بعد تلاوة اقتراحه باستعداد حكومته لمنح مساعدات مالية لتوطين اللاجئين وتفريج كربهم .

ولقد قوبل الاقتراح الاميركي بشيء من الاستبشار والارتياح في الاوساط العربية الرسمية وغير الرسمية التي اصبحت نظرتها الواقعية للقضية وموافقتها على حلها على أساس قرارات هيئة الامم متسقة مع هذا الاقتراح . ودبت روح الحيوية والتفاؤل في لوزان ودنيا العرب . وغدا المندوب الاميركي قطب رحى الابحاث والنشاط واذيع ان لجنة التوفيق استدعت راغب النشاشيبي لمباحثته

في أمر تشكيل حكومة فلسطينية . وتأيد هذا بالاجتماع الفلسطيني الكبير الذي عقد في رام‌الله في ٢١ تموز ١٩٤٩ بدعوة من راغب . وقد ووفق مبدئيا على المشروع الاميركي . وحبذ لراغب قبول الدعوة والسفر الى لوزان حتى رشح له اعضاء للحكومة المطلوب تشكيلها كعوني عبد الهادي وعبد اللطيف صلاح وسليمان طوقان ورشدي الشوا وعفو الشقيري وسليم بشارة وانور الخطيب وشوقي سعد ...

وجن جنون اليهود لموقف اميركا واخذوا يبذلون جهودهم الجبارة في الولايات المتحدة لتبديله من جهة ويعترضون على ما في اقتراح المندوب الاميركي من نقاط من جهة اخرى ويعودون الى مطالبهم التوسعية الاقليمية .

وكان العاهل الاردني ورجال حكومته وأولياؤه قد أخذوا يسيرون خطواتهم في ضم الاقسام العربية فرأوا في الاقتراح الاميركي وآثاره في الفلسطينيين ضربة لامالهم فانبروا بدورهم الى تفنيده والتنديد به وبيان الاخطار التي سوف تنشأ عن تدويل القدس وهزالة الحكومة العربية التي سوف تنشأ في فلسطين وغدوها تحت رحمة اليهود . وأمرت الحكومة الاردنية ممثلها بالاعتراض ولو منفردا . فادى كل ذلك الى الانقسام والبلبلة . واستغل اليهود الموقف فأخذوا يلوحون للاردن باستعدادهم للتفاهم والتساهل معه لعقد تسوية خاصة ترضيه. وقدم الانكليز في غمرة هذه البلبلة اقتراحا مقتضاه ان يعطى الجليل الغربي لليهود مقابل اعطاء النقب او قسم منه للعرب ودمج القسم العربي جميعه بما فيه جميع القدس بالمملكة الاردنية فكان هذا مما جعل الاردن الاردن يشتد في موقفه ويزيد الموقف بلبلة . ووجد راغب النشاشيبي نفسه في حرج وورطة . فهو متوافق مع الملك عبدالله منذ ثلاثين سنة متواطىء معه ضد الحركة الوطنية الفلسطينية فسارع الى تجميد نشاطه ونفض يده من الامر .

ولم يلبث المندوب الاميركي ان فتر ثم غادر لوزان الى اميركا . ولم يلبث الفتور ان شمل جميع من في لوزان . ولم يلبث التفاؤل الذي ساد حينا ان زال حتى اذيع في أواخر شهر اغسطس ١٩٤٩ ان الفشل واليأس مخيمان على لوزان من الوصول الى اي نتيجة في اي شيء . وظل الامر الواقع من ناحية اليهود ومن ناحية الاردن الذي أتم خطوته في نيسان ١٩٥٠ على ما شرحناه هو القائم المستقر .

---

* نورد هنا فقط القسم الاول من ملاحظات المؤرخ الفلسطيني الكبير محمد عزة دروزة والذي يتعلق بالفترة الممتدة من ١٩٤٨ — ١٩٥٠ والمتضمنة تحليلا لسياسة الاردن واسرائيل وموقفهما من القضية الفلسطينية وسعيهما لتصفيتها . أما القسم الثاني فيتضمن ملاحظات الاستاذ دروزة على مشروع روجرز وقرار مجلس الامن ٢٤٢ وحرب تشرين ١٩٧٣ .

١ — انظر الصفحات ٧٠ — ٧٣ و٨٩ — ٩٧ و١٩٠ — ٢٠٣ وقد طبع هذا الجزء طبعة ثانية مع الجزئين ٣ و٤ بعنوان القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها في جزئين وجاء الشرح في الجزء الثاني ص ١٩٠ — ١٩٤ و٢١٠ — ٢١٨ و٣٠٧ — ٣١٩ .

٢— حينما اشتدت الحركة الوطنية الفلسطينية في سني ١٩٢٠ و٢١ و٢٢ ونجحت في مقاطعة المجلس التشريعي الذي كان يقوم على صك الانتداب ووعد بلفور برز بتشريع وسعي سلطات الانتداب الفريق الموالي لها الذي كان من اركانه رؤساء بلديات القدس ويافا والرملة وغزة وحيفا راغب النشاشيبي وعاصم السعيد ومصطفى الخيري وحسن شكري وتوفيق العبد الله وعقدوا في سنة ١٩٢٢ مؤتمرا ترأسه ايضا الشيخ سليمان التاجي فكان ذلك شقا للحركة الوطنية وتوهينا لها . وقد قرر المؤتمر انشاء حزب سمي الحزب الوطني لمناوأة الحركة الوطنية التي كان يمثلها المؤتمر الفلسطيني ولجنته التنفيذية برئاسة موسى كاظم الحسيني.

٣ — انظر الصفحات ١٨١ — ١٩٠ او الجزء الثاني من القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ص ٢٩٨ — ٣٠٦ .

٤ — كانت مساحة هذه الاراضي نحو نصف مليون دونم . وكانت من منطقة احتلال الجيش العراقي ، فلما أخذت تجري مفاوضات الهدنة أبى العراق ان يكون طرفا مباشرا فيها فاتفق العاهل الاردني معه على حلول جيشه محله . وكان ذلك بموافقة من اليهود أيضا . ولكن اليهود بعد ذلك غدروا ، وطلبوا من العاهل

الاردني ان يسحب قواته منه وان يوافق على ادخالها في خريطة الهدنة كجزء من ما هو تحت يدهم وحاول الاردن ان يحتج فأنذروه بأنهم سوف يحتلونها بالقوة وقد يحتلون غيرها ايضا فانصاع لانذارهم وعدل الخريطة .

٥ ــ لقد اخبرني المرحوم اخي محمد علي وكان اذ ذاك تاجرا في عمان ويشترك في النشاط الوطني ان الملك عبدالله كان في مجالسه الخاصة والعامة يظهر الشماتة بما كان يصيب الجيش المصري في القصف من صعوبات واندحارات ازاء اليهود وانه رأى ذلك وسمعه من الملك بنفسه .

٦ ــ انظر الصفحات ١٢٦ ــ ١٤٣ او الجزء الثاني من القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ٢٤٨ ــ ٢٦٢ .

اطلالة على تحديات مرحلة جديدة

شفيق الحوت

هذه محاولة للاسهام في اغناء الحوار الدائر بين مختلف الاوساط الوطنية ، على الصعيدين العربي والفلسطيني ، حول المهام الراهنة المطروحة امام قيادة حركة المقاومة الفلسطينية ، لمواجهة ومعالجة المتغيرات التي طرات — والتي قد تطرأ — على المنطقة العربية نتيجة لحرب السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ .

وهي محاولة تستهدف الخروج بالحوار الدائر من الحلقات التنظيمية المغلقة ، الى ساحة العلنية ، واختراق جدران « الحيرة والفزع » التي تحيط ببعض اجوائنا : الحيرة امام الجديد من المتغيرات ، والفزع من ابداء الرأي الحر فيما يترتب علينا اتخاذه من مواقف لمعالجة هذه المتغيرات او مجابهتها .

وهي تطمح بالطبع الى اثارة الجدل من حولها ، تمهيدا للخروج بمشروع موقف موحد ، يصبح فيما بعد ، عند اقراره من المجلس الوطني الفلسطيني ، موقفا رسميا ملزما لنا جميعا — في الساحة الفلسطينية — ابتداء من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وانتهاء بأصغر شبل ممن حملوا السلاح تحت راية المقاومة . وفي رأيي أن الشعب الفلسطيني ، كما قدم لنا المقاتل الفدائي الشجاع ، مطالب وقادر على تقديم المناضل السياسي الشجاع . وقبل الشروع في المناقشة حول المهام الراهنة المطروحة امامنا ، لا بد من التأكيد على أن هذه المهمة ، لا يجوز ان تبقى مقتصرة على الحركة الوطنية الفلسطينية ، باعتبار اننا امام منعطف مصيري لقضية قومية تمس في صميمها مستقبل الامة العربية بأسرها . وبالتالي فان بحثنا هنا ينطلق من هذه القاعدة وباعتبار حركة المقاومة الفلسطينية جزء من حركة الثورة العربية الشاملة واحدى قواها الاساسية التي تتحمل ، بحكم موقعها النضالي ، مسؤولية طليعية واساسية .

ولكي يبقى حوارنا متماسكا ومثمراً ، وينتقل عبر موجة واحدة من الاخذ والرد ، فلا نخطىء في فهم الواحد منا للاخر ، ولا نخلط بين ما نتفق عليه مما هو تاريخي من أهدافنا ومبادئنا وبين ما قد نختلف عليه من أساليب للوصول الى هذه الاهداف ، ارى من الضروري تثبيت فهمنا المشترك للهدف الستراتيجي للثورة الفلسطينية ، كما التزمنا به جميعا نصا وروحا ، وكما أوردناه في وثائقنا السياسية المتعددة وفي مقدمتها ميثاقنا الوطني . وهو : تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني من الاحتلال الصهيوني الاسرائيلي ، واقامة دولة فلسطين الديمقراطية .

من هذا الفهم المشترك والمتفق عليه بالاجماع ، يجب ان ننطلق في حوارنا الحر . وأي حوار ينطلق من خارج هذا الفهم ، او من الخروج عليه ، هو حوار لا يعنينا الا بقدر ما يترتب علينا من واجب التصدي له.

بغض النظر عن أي تقييم حول الدوافع التي ادت الى حرب السادس من تشرين الاول ، وحول النتائج التي ترتبت على هذه الحرب ، فلا مجال لاي خلاف حول اجماع القوى السياسية الوطنية كلها — فلسطينيا وعربيا — على ان هذه الحرب قد وضعتنا

جميعا على عتبات مرحلة جديدة ، تفرض علينا جميعا ، ان نعيد ترتيب أوضاعنا السياسية لمواجهة ومعالجة تحدياتها .

ويمكن تحديد هذه التحديات من خلال رسم صورة لملامح المرحلة الجديدة التي ساهمت هذه الحرب في ابرازها وطرحها دونما اي رتوش ، وهذه هي أهمها :

اولا : ان الصراع العربي — الاسرائيلي وفق المواصفات التي اتسم بها منذ عام ١٩٤٨ حتى حرب ١٩٧٣ ، واصل الى جدار مسدود لا يمكن تجاوزه ، الا اذا توفرت له مواصفات جديدة من أهمها قدرة اي من طرفي الصراع على متابعته بمعزل عن المعسكرين الجبارين وتحدي الاستراتيجية الكونية لاي منهما . اي بعبارة اخرى ، كاللجوء — بالنسبة للجانب العربي — الى ما يسمى بحرب التحرير الشعبية .

ثانيا : ان الصراع العربي — الاسرائيلي ، قد وصل في ذروته خلال حرب اكتوبر (تشرين الاول) الى حدود دائرة الصراع الدولي ومسها بشرار نيرانه مما دفع بالقوتين الاعظم — كما يطلق عليهما هذه الايام — الى استنفار اسلحتهما الستراتيجية والوقوف على شفير المجابهة النووية .

ان مثل هذا الموقف على المستوى الدولي ، حتى لو شاء البعض تصنيفه في دائرة المناورات ولعبة الحرب الباردة ، يبقى من غير شك سقف اللعبة الذي لا مجال لاختراقه دون مغامرة الخطر بمصير البشرية .

وقد ادى ذلك الى اتفاق سوفياتي — اميركي على الخطوط العريضة لازالة بؤرة التوتر هذه ، بقصد تجاوز خطر المجابهة — اولا — ودعما لسياسة الوفاق بينهما ثانيا ، التي لا مجال لشك في حرص القوتين الاعظم على استمرارها لاسباب لا يدركها الا من كان في موقعهما من حيث القوة والتقدم والطموح .

هذه الخطوط المتفق عليها ، لا تزال حتى هذه اللحظات غامضة وعامة ، ومكثفة في نقطتين اساسيتين : الاولى تضمن بقاء اسرائيل آمنة ، مقابل الثانية التي تشتمل على شقين يتناول احدهما ضمان انسحاب اسرائيل من كل ما احتلته من ارض عربية عام ١٩٦٧ ، والثاني يتناول ضرورة الالتزام بحقوق شعب فلسطين المشروعة واحترامها .

ثالثا : وكنتيجة لهذا كله ، اي وصول الصراع الاقليمي الى نقطة التقاطع مع الصراع الدولي ، في مرحلة يلتزم بها المعسكران الجباران بسياسة اللامجابهة والوفاق، فانه يصعب علينا أن نتصور اي تجاوز لهذا الاتفاق السوفياتي — الاميركي حول مصير المنطقة حتى ولو استؤنف القتال على النمط الذي اعتمدناه في جميع حروبنا مع اسرائيل بما فيها حرب ١٩٧٣ . فالقتال المستمد لامكانيات استمراره من الخارج ، بالنسبة الينا كما بالنسبة للعدو ، مهما سجل من نتائج ، سيبقى في نتيجته النهائية خاضعا لقوانين الوفاق الدولي ، اي لوفاق الدولتين المنتجتين للسلاح ، وضمن الاطار العام للمعادلة المتفق عليها والقاضية ببقاء اسرائيل من جهة ، مقابل انسحابها من الارض العربية المحتلة وحقوق شعب فلسطين المشروعة من جهة ثانية .

وفي ظني انه من المستحيل في هذه المرحلة ، ولفترة قد تطول او تقصر بانتظار جديد يطرأ على الميزان الراهن لقوى الدول الكبرى ، ان يتمكن اي من طرفي الصراع في هذه المنطقة ان يتجاوز ما اشرنا اليه من بنود الاتفاق الضمني الذي يكفل — امريكيا — بقاء اسرائيل آمنة ، كما يكفل — سوفياتيا — تحرير ما احتل عام ١٩٦٧ مقرونا بالالتزام بحقوق شعب فلسطين .

ولمزيد من توضيح الصورة ، رغم قسوة الافتراض الذي سأسوقه ، فاني اعتقد ان الولايات المتحدة ملزمة بردع اسرائيل والضغط عليها للعودة الى حدود ٤ يونيو

(حزيران) ١٩٦٧ ، بنفس القدر الذي سيشعر فيه الاتحاد السوفياتي بأنه ملـزم بردعنا والضغط علينا لابقاء اسرائيل قائمة وآمنة فيما لو قدر لنا ان نكون نحن ، لا هي، الرابحين عسكريا والمستردين لجزء مما نعتبره وعن حق بعض ما اغتصبته اسرائيل من تراب وطننا المقدس .

هذه هي ، في رأيي ، أهم ملامح المرحلة الجديدة ، وهي قاسية وحادة ، وأقسى ما فيها قدرة الذين رسموها على تنفيذها وفرضها على أرض الواقع . ويضاف اليها ملامح اخرى قد لا تكون بحدتها وقسوتها ، ولكنها هي الاخرى جديدة ، وفي مقدمتهـا هذا التحالف الجديد بين مختلف الانظمة العربية ، ولا سيما بين ما كان يصنف منها تقدمي ورجعي ، أو ثوري ومحافظ . لقد اختلطت الاوراق كثيرا خلال حرب اكتوبر (تشرين الاول) كما يقولون ، واصبح من غير الممكن اعتماد الحسابات الماضية في التصنيف دون خطر الوقوع في مطبات المرحلة المقبلة . ولا سيما بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية التي لا يمكنها ــ موضوعيا ــ أن تتحرك سياسيا أو عسكريا بمعزل عــن أرض عربية او نظام عربي واحد على الاقل .

فاذا صح هذا التصور العام لملامح المرحلة الجديدة ، واستخلصنا من هذه الصورة نوع التحديات الجديدة التي ستجابه حركة المقاومة الفلسطينية ، فلا بد عندئذ ، من طرح السؤال الثوري التاريخي : **ما العمل ؟**

ولعل اول متطلبات العلمية الثورية للرد الموضوعي على هذا السؤال ، تقتضي منا جميعا ان لا نغالي بتهويل صورة الوضع الراهن وكأنه مأزق تاريخي يستحيل علينـا تجاوزه والخروج منه ، وان لا نغالي ايضا في تبسيط الوضع والتقليل مـن مخـاطر تحدياته ، فنعاملها وكأنها عوارض طارئة وقد يكفي تجاهلها لتذليلها لنمضي بعد ذلك ، كما كنا قبل الحرب ، دونمـا اية اعادة للنظر في مسيرتنا . **ونعود للسـؤال الكبير : مـا العمل ؟**

عندما اندلعت نيران حرب اكتوبر (تشرين الاول) ، لم تتـوقف فصائـل الثورة الفلسطينية كثيرا عند محاولات البعض لمناقشة دوافع النظامين المصري والسـوري اللذين شناها ودفعا بقوتهما المسلحة لخوضها بكل الزخم والحماس الممكنيـن . وعلى الرغم من ثقة كل هذه الفصائل بان تلك الحرب كانت محدودة الاهداف ــ ولم يكن ذلك سرا بالاصل . ومن قبيل الانصاف للتاريخ ، ان ايا من الرئيسين السادات او الاسد لم يعدنا بالتحرير الشامل لكل ما اغتصب من أرض العرب قبل ١٩٤٨ وبعدها . ودعونا من بعض الصيغ التي يتعمد السياسيون احيانا ، تركها غامضة لتقبل اكثر من تفسير دون ان تفرض اي التزام او قيد . ــ فقد اندفع كل الفدائيين الفلسطينيين ، ومعهم كل شعب فلسطين في داخل الارض المحتلة وخارجها للمشاركة فيها ، بكل ما يملكون من قدرة وحماس . ومهما قيل في الدور الفلسطيني في هذه الحرب ، فلقد كان باعتراف العدو يمثل الجبهة الثالثة ، بعد الجبهتين المصرية والسورية . واذا كان هناك من يصر على تحجيم هذا الدور ، فعليه ان يبحث عن أسبابه خارج مسؤولية شعب فلسطين وحركته الثورية وعما وعمن اوصل هذا الشعب وحركته الثورية الى دون ما كان يتوقعه منهما من مساهمة فعالة . علما بأن الايام ستثبت ان الجهد الفلسطيني وان بدا دون ما نتمنى جميعا الا انه كان اكبر بكثير جدا مما يتصوره او يصوره البعض .

اذن ، لقد ساهمت الثورة الفلسطينية بهذه الحرب ، رغم وعيها لمحدودية اهدافها ، وان كانت في نفس الوقت قد راهنت على امكانية استمرارها حتى النصر النهائي وتحقيق الهدف الستراتيجي . وان لم تنجح الثورة في رهانها على حرب لا تتوقف عنـد هـدف مرحلي محدد ، فهي من دون ادنى ريب لم تفاجأ بهذا التوقف .

بعد هذا نمضي في مسلسل الحرب وما نجم عنها من نتائج عسكرية ، حتى نصل الى قرار مجلس الامن الذي قضى بوقف اطلاق النار وفق مشروع سوفياتي — اميركي ، يضمن التزام الدولتين الكبيرتين ، في اطار الامم المتحدة ، بتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ .

المقاومة لم تلتزم بهذا القرار ، رغم محاولة اسرائيل — ولاول مرة — **لان يشمل** القرار الزام الفدائيين الفلسطينيين بالتوقف ايضا عن نشاطهم العسكري ضدها .

وكانت المقاومة الفلسطينية في قرارها هذا منسجمة مع ما سبق من مواقفها . معتبرة بأن كفاحها المسلح قد بدأ قبل هذه الحرب ، وسيستمر من بعدها حتى تتحقق اهدافها .

واذكر ان جدلا قد وقع بين عدد من قادة المقاومة ، كنت طرفا فيه ، عندما أصدرت اللجنة التنفيذية بيانها الذي اعلنت فيه موقفها هذا .

فلقد ورد في البيان ان « **المقاومة الفلسطينية غير معنية بقرار مجلس الامن ... الخ** » ورأى البعض وأنا منهم ، ان الصيغة على هذا الشكل ليست دقيقة وانه كان من الاصوب القول ان « **المقاومة الفلسطينية ليست ملزمة (بدلا من ليست معنية) بقرار مجلس الامن ... الخ** » . **والحقيقة ان المشكلة لم تكن لغوية بقدر ما كانت سياسية ، أو بقدر ما كانت عاكسة — لنكون أكثر دقة — لنفسية سياسية . اذ كيف يمكن تصور حركة المقاومة ان تكون غير معنية بوقف نيران حرب يترتب على نتائجها مصير المنطقة ولو لمرحلة من الزمن ، وفي طليعتها مصير النضال الفلسطيني ذاته ، ان لم نقل مصير القضية الفلسطينية ذاتها .**

حتى هذه اللحظات كانت تحديات المرحلة الجديدة لا تزال في الافق في طريقها الينا . وكان من الممكن الاكتفاء بقرار المقاومة الرافض لوقف اطلاق النار — ولو كتسجيل موقف — ثم المضي في النضال وفق ما كان مرسوما له ، اي ممارسة القتال في الداخل ومن على الحدود ، تماما كما حدث يوم رفض مشروع روجرز الذي عقب القبول به وقف لحرب الاستنزاف .

ولكن ظروف ١٩٦٩ و١٩٧٠ هي غير ظروف ١٩٧٣ ، وعلى جميع المستويات ، فلسطينيا وعربيا ودوليا . ولسنا بحاجة لاكثر من لحظة تأمل كي ندرك الفروق بين الفترتين .

كان من الممكن الاكتفاء بقرار الرفض والمضي بالكفاح كما كان لو كان بالامكان ايقاف التحديات الجديدة القادمة من الافق وبأسرع ما كنا نتوقع .

وأهم هذه التحديات ما شمله قرار مجلس الامن من حديث عن « مؤتمر السلام » يبحث في « الحقوق المشروعة لشعب فلسطين » كجزء لا يتجزأ من المشروع العام الذي تبناه السوفيات والاميركان لحل « أزمة الشرق الاوسط » والذي بموجبه توقفت النيران عن الانطلاق .

عند هذا الحد من تسلسل احداث الحرب ونتائجها ، اشتد الحاح السؤال الكبير : ما العمل ؟ اذ من غير المعقول على حركة المقاومة ان تدعي بأن مثل هذا التحدي لا يعنيها . هو يعنيها في الصميم لانه من صلب مسؤولياتها ، ولا بد من موقف لمعالجته او مجابهته .

وعندما اقول انه لا بد من موقف ، فأنا لا اعني ان نكتفي بتحليل هذا التحدي وفرز ما له وما عليه ، ثم ان نطلق عليه ما نشاء من التسميات والصفات . فمثل هذا الموقف — كما ورد على لسان احد اعضاء مجلسنا الوطني — هو موقف المؤرخ السياسي ،

ولكنه بالقطع ليس موقف المناضل السياسي ، والفرق بين الموقفين ، هو الفرق بين المراقب غير المعني ، وبين القائد المعني والمسؤول .

من هنا اريد ان اسجل ان المشكلة المطروحة امامنا هي ليست في « ان نشترك او لا نشترك في مؤتمر السلام » ، وانما في « ان نشارك او لا نشارك » في تحرك سياسي دولي يحاول صياغة حل لقضية ، هي قضيتنا نحن — كشعب فلسطين — قبل ان تكون قضية اي طرف من المساهمين في عملية الصياغة هذه .

ولا بد ، ولو من قبيل التكرار لبديهية يفترض ان تكون واضحة تمام الوضوح ، ان اذكر بأن « المشاركة » لا تعني بالضرورة « الاشتراك » في هذا المؤتمر او ذاك ، بل ولعلها تكون في قمتها الثورية والوطنية عندما تقضي « بعدم الاشتراك » . هذه نقطة رأيت توضيحها لعدم الخلط بين المشاركة التي هي حق لنا يفترض ان نتمسك فيه باسناننا وبين « الاشتراك » الذي يمثل موقفاً نتخذه من وحي ارادتنا وبموجب حقنا .

وعلينا ، سواء قررنا الاشتراك ام عدمه ، ان نعرف كيف نحافظ على حقنا في المشاركة ، فلا نسمح لاي جهة ان تجير هذا الحق لصالحها مغتنمة فرصة موقف عابر قضى بحضورنا او غيابنا لا فرق .

والان ما هو الموقف من الدعوة للاشتراك في « مؤتمر السلام » ؟ هل نشترك — كمقاومة فلسطينية — ام لا نشترك ؟

على الرغم مما طالعته حتى الان من ردود على هذا السؤال ، سواء على لسان شخصيات وطنية من ذوي الرأي المؤثر ، او مما ورد في بيانات وتصريحات بعض المنظمات والهيئات السياسية المسؤولة داخل حركة المقاومة وخارجها ، فاني اعترف بأنني حتى الان ما زلت اشعر بافتقار شديد الى الكثير من المعلومات التي لا بد من توفرها قبل اعطاء رأي يستطيع صاحبه ان يتبناه وان يدافع عنه . ولا يزال قسم كبير مما بين ايدينا مما نظنه معلومات يحتاج الى من يؤكد صحته على انه حقائق او وقائع . فمثلاً :

هل هناك بالفعل دعوة لقيادة المقاومة للاشتراك في هذا المؤتمر ؟

واذا كانت هنالك من دعوة ، فمن هو الداعي ؟ وهل يملك هذا الداعي حق تقديم مثل هذه الدعوة ، او فرضها في حال تعرضها للرفض من قبل غيره من الاطراف ؟

وهل هنالك ، ان كان هناك ثمة دعوة مقبولة ، أي شروط مسبقة يفترض في المدعو الالتزام بها مسبقاً ؟

وهل هنالك أي تصور سياسي لحل المشاكل المطروحة على هذا المؤتمر ، لدى أي من الدولتين الكبريين متفق عليه فيما بينهما ؟

هذه بعض اسئلة لا بد من الرد عليها قبل ابداء الرأي ، وعلى ضوء هذه الردود يسهل عندئذ ، نسبيا ، القطع « **بنعم** » او « **لا** » مبدئية حول الاشتراك او عدمه .

ولقد كان المجلس المركزي لمنظمة التحرير الذي عقد سلسلة من الاجتماعات بين الخامس والسابع من هذا الشهر نوفمبر (تشرين الثاني) مصيبا جداً عندما اوصى اللجنة التنفيذية بضرورة توسيع وتعميق اتصالاتها مع الاشقاء والاصدقاء بقصد الاطلاع على المزيد من المعلومات — وحتى التصورات — التي لدى هؤلاء جميعاً حول المؤتمر المذكور ، وذلك تمهيداً لاتخاذ القرار النهائي .

وربما كانت هذه التوصية احدى الحوافز الاساسية التي أدت الى هذا التحرك السياسي النشط لممثلي المقاومة في العواصم العربية والاجنبية المعنية .

اذن لا بد من استكمال الصورة بدقائقها قبل النصح بـ « نعم » او « لا » .

مع ذلك ، وعلى اهمية ما اشرنا اليه ، عن ضرورة استكمال الصورة قبل اتخاذ القرار ، فان هناك ثمة اسئلة لا بد من الرد عليها ، حتى بعد استكمال هذه الصورة ، وهي في رايي الاسئلة المركزية التي يحسم الرد عليها الموقف نهائيا . وهي نوع من الاسئلة التي أصبح طرحها واردا في هذه الظروف الجديدة ، لانها الى حد كبير تشكل منعطفا في التفكير الثوري الفلسطيني .

من هذه الاسئلة : هل يمكن تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني دفعة واحدة ، بمعركة فاصلة واحدة ؟

كلنا متفق على تحرير كامل التراب . وما من عربي او فلسطيني حر شريف يقبل ، او يملك أصلا الحق بأن يقبل ، بالتنازل عن شبر واحد من تراب فلسطين الغالية . ففلسطين ليست عزبة ولا بيارة ، ولا قطعة ارض او عقار ، حتى يملك اي فريق من أبنائها ، او الغرباء عنها ، حق التنازل عنها او منح جزء منها ، او تشريع ما اغتصب منها لاي جهة كانت .

فلسطين وطن مغتصب بفعل القوة العنصرية الصهيونية المتواطئة مع الاستعمار ، ولا يمكن ان يتنازل اي فلسطيني عن حقه باستردادها كاملة وغسل العار عن ثراها . واذا عجزنا ، في هذا الجيل عن تحريرها جزئيا او كليا ، فلا اقل من أن نبقي ابواب النضال مشرعة امام جيل قادم يكون اوفر حظا في ظروفه المؤاتية للتحرير الكامل .

من هذا المنطلق نطرح السؤال مجددا وهو كما أوضحنا لا يطرح الهدف الستراتيجي للمناقشة ، وانما يطرح اسلوب تحقيق الهدف للمناقشة .

معروف ان هناك ثمة رأيا يرد على هذا السؤال « بنعم » ، وبناء عليه فانه يرفض « مرحلة » النضال ، ويتهمها كأسلوب عمل بالتنازل عن الهدف بشكل ضمني . ومن أجل الحوار ، فلنطرح وجهة النظر المضادة ، أي الداعية « لمرحلة » النضال ، والتوجه الايجابي للتمسك بالانتصارات الجزئية على طريق تحقيق الهدف النهائي .

يقول أهل هذا الرأي باختصار :

اولا : ان النضال المسلح وحده ، وبمعزل عن النضال السياسي ، هو موقف ثوري ناقص . وعلى الثورة ، كي تنتصر ، ان تعتمد الاسلوبين ، كي لا تكره ، تحت اي ظرف من الظروف ، على الجمود التام عن التحرك . والنضالان يتممان الواحد منهما الاخر .

ثانيا : ان النضال السياسي ، كالنضال المسلح ، لا يعني ولا يجوز ان يفهم على أنه ــ لانه صراع بالكلمات ــ أقل قدرة على الصمود في وجه العدو ، او انه أكثر استعدادا للتسامح في حقوق الشعب . ان لقاء المناضل السياسي مع خصمه ، في مجالات الصراع السياسي والدبلوماسي ، هي الصورة الاخرى للقاء الذي يتم بين الفدائي المقاتل وخصمه على ارض القتال .

ثالثا : ان في التاريخ المعاصر ، كما في التاريخ الغابر ، الكثير من العبر والتجارب التي تؤكد أن « مرحلة » النضال على طريق الهدف النهائي ، لا تعني مطلقا أي تنازل عن هذا الهدف ، بل ان العكس هو ما حدث في كثير من أمثلة الشعوب النضالية . ويسوق هؤلاء للتدليل على صدق استقرائهم للتاريخ الى نضال الفيتناميين، والكوريين . بل انهم يسوقون من تجربتنا نحن مثلا مثيرا ومن امسنا القريب . مثل غزة بعد عام ١٩٥٦ ، التي افترض بها أن تبقى تحت وصاية الامم المتحدة ومنزوعة

السلاح ، ثم ، وخلال اسبوع من النضال الجماهيري ، أعيدت اليها الادارة المصرية (التي كانت مطلبا شعبيا) ثم تلا ذلك عودة الجيش المصري وانشاء الكتائب الفلسطينية المسلحـــة .

يريد هؤلاء من هذا كله ان يقولوا ، او يؤكدوا حقيقة سياسية معروفة وهو أن اي اتفاق على الورق يبقى ساري المفعول الى ان تختل موازين القوى بين الاطراف التي وقعت عليه . هكذا جرى بعد حطين ايام الصليبيين ، وهذا ما جرى لفرساي بعـــد ١٩١٨ ، بل وهكذا جرى لجميع قرارات الامم المتحدة الصادرة بحق قضيتنا منذ عام ١٩٤٨ .

رابعا : يسوق أصحـــاب هذا الرأي ايضا موجزا لمسيرة النضـــال الفلسطينـــي ويخرجون بعبرة مفادها انه ليست كل ((لا)) قيلت في تاريخ نضالنا أتت بالضرورة بنتائج ايجابية لقضية الوطن ، رغم صوابية معظم هذه اللاءات من حيث المبدأ .

ويضيف هؤلاء اخيرا :

ان التصدي لمنع الانهيـــار في بعض مراحل الثـــورة ، يكون بحد ذاته اقصى ما هو مطلوب . فتثبيت وضع ما ــ لمرحلة ما ــ يكون المرتكز لانطلاقة جديدة ، قد يعطي المردود المطلوب منه ثوريا اكثر بكثير مما لو دفعنا لاسقاطه نهائيا ، على أمل اعتماد اسلوب جديد لا تزال ظروفه غير ناضجة ، كحرب التحرير الشعبية التي يتحدث عنها البعض وكان شنها لا يحتاج الا لقرار سياسي بمعزل عن متطلباتها الاساسية والظروف التي لا بد من توفرها لكي تنطلق وتنتصر . ان الاتفاق المبدئي على هذه القضية المختلف من حولها : قضية ((مرحلة)) النضال اصبحت من القضايا الملحة التي لا بد من حسمها. وبعد ذلك سيتفرع عنها العديد من القضايا الفرعية التكتيكية التي كنا ولا نزال نحجم عن ممارستها .

اما السؤال الثاني الذي لا بد من الرد عليه لمواجهة المرحلة الجديدة ، فيتناول العلاقة الحقيقية بين المقاومة الفلسطينية وحركة النضال القومية . فليس صحيحا القول مثلا اننا نحن الفلسطينيين نرفض أن نكون طرفا في هذا الصراع أو ذاك ، ولنتركه لغيرنا لكي يتورط به . ان القضية الفلسطينية هي قضية عربية ترفض الانسياق لمنطق جغرافي وقطري وقد توسعت أزماتها فيما بعد ٦٧ فشملت أراضي عربية ممـــا يفرض تنسيق المواقف وتصعيد المفهوم القومي . فلا تعود هناك نغمة تتحدث عن الجولان او سيناء وكأنها أراض من نوع آخر عن أرض فلسطين المحتلة . ولم يعد من الممكن الاستمرار في طرح القضية على انها من شقين : شق مسؤول عنه العرب ، وشق آخر مسؤول عنه الفلسطينيون . الفلسطينيون والعرب فريق واحد ، وما من فريق حر في الانفراد بتقرير مصير مشترك . هذا هو الموقف القومي المطلوب .

اما السؤال الثالث ، الذي لا بد من تناوله والرد عليه بوضوح ، علما بأن ممارسات الثورة الفلسطينية الاخيرة قد حددت موقفها منه فيتعلق حول علاقات الثورة الفلسطينية الدولية .

بعد سنوات من النضال ، وعبر الممارسة لا التحليل النظري ، استطاعت حـــركة المقاومة الفلسطينية ان تحدد ملامح علاقاتها الدولية ، وان تحدد موقعها فيما يسمى بالحركة الثورية العالمية . فلقد صنفت المقاومة نضالها ، على انه حركة تحرر وطني تناضل ضد شكل مميز من اشكال الاستعمار هو الاستعمار الصهيوني الاستيطـــاني المتحالف عضويا مع الامبريالية العالمية . بعد ذلك أصبحت عملية الفرز على الصعيد الدولي ممكنة وواضحة، فالتقت الثورة مع شقيقاتها من ثورات الشعوب المناضلة ، كما

التقت مع جميع شعوب وحكومات المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي. كذلك استطاعت الثورة أن تحافظ على علاقات جيدة مع الصين الشعبية ، ولم تنزلق الى ما بين بيكين وموسكو من خلافات . شهادة الحق تملي علينا ان نعترف بأن أيا من العاصمتين — موسكو وبيكين — لم تحاول جرنا الى هذا الخلاف بأي شكل من الاشكال. وبديهي ان نشير الى علاقات الثورة مع دول وشعوب العالم الثالث ، وان كانت هذه العلاقات متباينة وفق درجة تأييد هذه الدول للمقاومة . ومع العالم الثالث ، كان للثورة كذلك علاقات جيدة مع القوى الديمقراطية في العالم الغربي ولا سيما في صفوف اليسار الاوروبي .

ان هذه العلاقات السياسية الايجابية ، لم تأت كغيمة من السماء ، وانما هي محصلة نضال مرير خاضه الشعب الفلسطيني على امتداد سبع سنوات وأكثر . وبالتالي فلا بد من الحرص على هذه العلاقات التي كان لها الفضل الاساسي في تأليب الراي العام العالمي التقليدي الذي اعتاد دعم اسرائيل ومناصرتها في كل مواقفها اما نتيجة جهل لحقائق النضال في المنطقة ، او بسبب رفعنا لشعارات كان من الصعب على الرأي العام الخارجي ان يتقبلها جرعة واحدة .

وقد كان لشعار « الدولة الديمقراطية » الذي رفعته الثورة كحل وكهدف نهائي للمشكلة الفلسطينية ، أثره الايجابي في هذا المجال ، بالرغم من كل ما قيل ويقال حول هذا الشعار من مثالية ولا واقعية ، لانه بقي بعد ذلك الشعار البديل لـ « رمي اليهود في البحر » الذي صورته الصهيونية العالمية على انه هو هدف النضال العربي .

لذلك ، ونحن على عتبات المرحلة الجديدة واتخاذ قرارات لمعالجة تحدياتها ، لا بد لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار أهمية هذه العلاقات التي اقمناها مع اصدقائنا على المستوى الدولي . وعلينا ان لا ننسى للحظة واحدة ، ضمن معطيات هذا العصر ، استحالة تسجيل اي تقدم حقيقي بمعزل عن هذه القوى الدولية الصديقة . وهذا يعني اننا مطالبون باحترام آراء هذه القوى ومناقشتها بروح رفاقية تحرص كل الحرص على حل اي تناقضات في وجهات النظر ضمن دائرة الصداقة التاريخية ووحدة النضال العالمي .

وأرجو أن يكون من الواضح ان هذا الذي اطالب به لا يعني ابدا ان نستسلم لاي رأي يتقدم به الينا الرفاق ، ولكنني أقول ان علينا المناقشة وواجب الاقناع وان ندرك في نفس الوقت أن لغيرنا — كما لنا — حق التحرك وفق مصالحه كما يراها ويناضل من أجلها . ولعل من أشرف وأهم النضالات هو ذاك النضال الطويل النفس القادر دوما على الحفاظ على الروابط النضالية الاممية مهما تباينت وجهات النظر .

بعد الرد على مجموعة الاسئلة هذه ، والاتفاق من حولها ، نطرح السؤال المباشر : هل نشترك أم لا نشترك في مؤتمر السلام ؟

من دون تحفظ ، أقول أن البيان الذي صدر عن حركة « فتح » حول هذا السؤال كان غاية في التوفيق . كان الرد مرنا ، مسؤولا ، ووضع لمساته على كل مكامن الخطر والحساسيات عندما أعلن عن حرص الحركة على التشاور والتنسيق مع الاشقاء والاصدقاء . لقد تركت « فتح » الباب مواربا كما يقولون ، فلم تقطع « بنعم » او « لا » بانتظار المزيد من العناصر السياسية التي لا بد من توفرها قبل القطع بالجواب . كما كان المجلس المركزي للمنظمة ، كذلك ، على مستوى المسؤولية عندما اشار بضرورة العودة، قبل اتخاذ القرار ، الى المجلس الوطني الفلسطيني و« اهل العقد والربط » من ابناء شعبنا لسماع كلمتهم ومشورتهم .

فالخطوة من غير شك هامة ومصيرية على مستوى المرحلة ولا بد من تعزيز الموقف

المتخذ ، مهما كان ، بتأييد أوسع القواعد الجماهيرية الفلسطينية . وشخصيا أرى أن هناك مجموعة نقاط لا بد من التركيز عليها قبل اتخاذ القرار :

النقطة الاولى : مصير الضفة الغربية وقطاع غزة والحمة باعتبارها من الاراضي العربية التي يشملها قرار مجلس الامن بالنسبة لانسحاب القوات الاسرائيلية . هذا يعني ضرورة التحرك السريع والاتصال مع اخوتنا في الضفة الغربية والقطاع والاطلاع على ما يرونه في مصيرهم . ويصعب على أي فلسطيني أن يتصور عودة الضفة الغربية بالذات الى الاردن ، والقفز من فوق تجارب اكثر من عشرين سنة من الحياة السياسية في ظلال النظام الملكي هناك .

فكيف ، اذن ، ومن المشروعات المعدة الآن ما يشتمل على تقديم قطاع غزة بالاضافة الى الضفة ؟

ان حوارا جادا ومسؤولا يجب أن يجري بين المقاومة والحركة الوطنية في الاردن لتنسيق مواقفهما من مصير الضفة الغربية والشرقية معا اذ انه من الصعب تصور الفصل بين مصير شعبنا شرقي الضفة وشعبنا غربيها .

النقطة الثانية : ان أي قرار تصل اليه حركة المقاومة بالنسبة لموضوع الاشتراك او رفضه يجب ان ياخذ بعين الاعتبار ما قد يترتب على هذا الموقف . بالنسبة للرفض يجب أن يكون لدينا تصور مسبق عن البدائل التي قد تطرح وموقفنا منها : نمنعها ، نقاطعها ، نباركها الخ .. ويجب أن يكون لنا رأي واضح امام هذه البدائل كي يؤثر في موقفها وهذا أضعف الايمان . كذلك بالنسبة للرفض ، يجب ان يكون لدينا تصور مسبق عما قد يعكسه هذا الموقف على علاقاتنا مع الاشقاء والاصدقاء ، فيكون اخراج الموقف حريصا على استمرار هذه العلاقات التي قد تتهدد الى حد كبير . وهذا يعني استطرادا انه علينا كذلك تصور مستقبل نضالنا في ضوء الظرف الجديد والعلاقات الجديدة .

النقطة الثالثة : وفي حال الموافقة على الاشتراك ، فلا بد عندئذ من وضع ملف متكامل للقضية ، يكون في ما يحتويه من معلومات وأرقام وخرائط ، قادرا على الفصل بين ما هو تاريخي وما هو مرحلي من حقوقنا. فلا نقع تحت أي شكل من الاشكال في المنزلق الخطر الذي يجعل من حقوقنا الراهنة بديلا عن حقنا التاريخي .

وانا لست من المقتنعين بأن ما من قوة قادرة على وضعنا في مأزق الخيار هذا . والمطالبة بالممكن يجب أن لا تكون على حساب ما يسميه البعض « المستحيل » . فما هو « مستحيل » الآن سيصبح ممكنا فيما بعد ان نحن عرفنا كيف نقود معركتنا السياسية مسترشدين بتجارب غيرنا كالفيتناميين والكوريين ممن ارتضوا حلولا مرحلية دون ان يسقطوا حقوقهم التاريخية . بل على العكس كان حصولهم على الاهداف المرحلية المرتكز الذي انطلقوا منه لانتزاع حقوقهم الوطنية الكاملة .

حرب التحرير القومية النظامية الرابعة

وائل عزام

قد يكون من التعجل البحث في موقع حرب تشرين أول « اكتوبر » سنة ١٩٧٣ من الحركة التاريخية للثورة العربية ، فما زلنا نعيش أحداثها . ومن الصعب أن يتبين المرء موقعه خلال وقوع الحدث نفسه .

ولكن تسارع الاحداث والاثار المباشرة السياسية لهذه الحرب وما تثيره من غبـار كثيف يحجب الرؤية التاريخية ، ويكاد يفقدنا وضوح الطريق يبرر الاسراع بهذا البحث، وان لم يجنبه العثرات هنا او هناك .

وقد يتبين فيما بعد أن خطوات هذا البحث ليست على « أقصر الطرق » الـى فلسطين ولكنها على اي حال تتجه اليها ، ففلسطين .. كاملة .. هي ساحة الصدام العربي الاستعماري الرئيسية .

ملاحظة هامشية :

نستعمل كلمة **« القومية »** بدلا من « الوطنية » لما يعلق بالاخيرة من محدودية قطرية اقليمية وأيضا لان الحرب التي سيتناولها الحديث لم تكن بالفعل حرب قطر واحد ، وهي وان كانت محدودة الزمان والفعل العسكري فانها لا محدودة الاثر والتفاعل القومي سواء في اللحظة الراهنة أو في انعكاساتها على كل الاصعدة في المستقبل ، ولقد عرفت الامة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حروبا تحريرية متعددة ، على مواضع مختلفة من أرضها ، الا أن أربعا منها فقط هي التي يمكن ان تطلق عليها صفة « القومية » ان فعلا (مساهمة اكثر من جيش من أكثر من قطر) او موقعا تاريخيا (مواجهة أعلـى درجات الغزو الاستعماري وأكثرها حدة وتعبيرا عن كل أشكال الاستعمـــار القديـم والجديد وما قد يجد وهو الغزو الصهيوني الاستيطاني على أرض فلسطين والــذي يسعى لضمان قبضة القوى الاستعمارية المختلفة على الامة العربية كلها والذي اتسع فعلا ليشمل أجزاء من أكثر من قطر عربي محطما تقسيمات استعمارية سياسية قديمة لهذه الامة ، مرجعا قبضة الاستعمار وبدرجة أعلى على مقدراتها) .

ونحدد أنها الحرب الرابعة « النظامية » ، فالثلاث الاولى كانت كذلك أيضا ، كمـا أنها وان حملت اكثر من الثلاث السابقات بصمات المشاركة الجماهيرية الا انها ظلت نظامية تخطيطا واستخداما ومسارا ومساهمة . وعندما نصر على استخدام الكلمة فانما لكي نؤكد على الكلمة الاخرى وهي « حرب الشعب » فتلك متصلة وان تفاوتت درجة حدتها ، ومنتصرة بغض النظر عن النتائج « العسكرية » المباشرة ، ومستمرة طالما استمرت قوى الاغتصاب الاستعمارية تنتهك كرامة الامة وأرضها . وعندمـا نستخدم كلمة « النظامية » فاننا لا نقلل بحال من دور هذه الحرب وأثرها وانما لنحدد موقع هذه « الحروب » من الحركة التاريخية لحرب التحـرير العربية ، أي للثورة العربية والتي تسير منذ مطلع القرن الحالي ، أي منـذ بدء الغزو الصهيوني للامة العربية ، تسير على ساقين أحداهما نظامية والاخرى جماهيرية ، تتفاوت ادوارهما

بقدر قوة وضعف النظم من ناحية ، وتنظيم وعفوية الجماهير من ناحية اخرى .

موقع واحد تلتقي فيه على الدوام « الحرب النظامية » بـ « الحرب الشعبية » ، بل تتطابق ، ذلك هو الموقع الذي يسقط فيه المقاتل العربي شهيدا وهو يندفع لتحرير أمته . هنا لا فرق لا في « الفعل » ولا في « الاثر » ولا في الموقع التاريخي.

اهمية وضوح الحركة التاريخية :

الممارسة ليست كالتأريخ ..

الممارسة هي صنع التاريخ .. اما « التأريخ » فهو محاولة قراءة الممارسة من بعيد .. لذا فمن السهل ان ينتقد المؤرخ ويقيم الاحداث ، بينما من الصعب أن يتبين الممارس موقعه على الحركة التاريخية ..

ومع ذلك فان ما يميز الممارس عن الاخر هو درجة معرفته بموقع ممارسته والظروف المحيطة بها من الحركة التاريخية وخطته لتحقيق ارادته(١).

ولكي لا يبدو هذا التقسيم نوعا من الاستمتاع الفكري ، نستعير من حياة شعبنا مثل الفلاح الفاهم والفلاح الجاهل ، قد لا يبذل الاول جهدا قدر ما يبذل الثاني ، ولكنه على الدوام فاهم ومخطط لزراعته ، يعرف متى يحرث ، وعلى أي عمق يقلب الارض ، وماذا يبذر فيها ، وكيف يرعاها ، ولماذا يجب أن يدخر جزءا من حصاده بذورا للعام التالي . وهو في كل الاحوال لا يبدد جهدا وراء المستحيل وهو لا يحرث البحر ، ولا يبذر في الهواء ، ولا يسهر في انتظار القمر ليلة التاسع والعشرين من الشهر الهجري .. ان الفلاح الفاهم (يعي) ماذا يريد ، وكيف يحقق ما يريد ، يتصف بالواقعية والاصرار . يعي « مساره » فان واجهته أحداث مفاجئة يحدد من فوره موقع هذا الحدث المفاجىء من « مساره » وأثره .. ثم هو لا يكف عن « الفلاحة » وان اضطر لانتظار موسم جديد .

تلك أهمية وضوح اتجاه الحركة التاريخية ، ليس فقط لكي تقلل الى الحد الادنى تعرجات مسارها(٢)، وانما أيضا لكي يمكن تحديد مدى « صحة » و« أثر » كل فعل يقع خلال هذه المسيرة .. فليس كل الافعال التي تقع « افعال واعية » أي افعال منظمة متطابقة مع الضرورة الموضوعية « التاريخية » . بل ان الكثير منها « أفعال عفوية » تعبر تعبيراً فرديا أو جزئيا أو ناقصا عن الضرورة الموضوعية(٣). ولكن بعضها لا يعبر عن ذلك ، بل يضيع في **مسالك مسدودة تاريخيا** ، أي مسالك لا تصب في نهاية الامر لا فعلا ولا أثرا في المسار الرئيسي للحركة التاريخية .. ان التاريخ يعرف الكثير عن الجهود التي تبذل لتحقيق ما هو مستحيل تاريخيا ، والتاريخ يعرف أيضا فشل هذه الجهود المؤكد . ومع نمو الوعي باتجاه الحركة التاريخية ، تزايدت محاولات اعداء تقدم الجماهير لدفع جهودها في الطرق المسدودة لتضليلها عن الطريق الصحيح اطالة لاعمارهم وتبديدا لجهودها .

فاذا كانت معرفة اتجاه الحركة التاريخية يجعلنا قادرين على تقييم « **الافعال** » التي تقع يوميا فانها بلا شك تجنبنا الدخول في مثل هذه المسالك المسدودة ، والسعي وراء مستحيلات تاريخية .

ان وضوح اتجاه الحركة التاريخية يؤكد الثقة فيما هو حتمية تاريخية مهما طال الطريق اليها وينفي وهم ما هو مستحيل تاريخيا ، وان برزت أخباره أو حتى تشكل له كيان مصطنع مؤقت . والامثلة من واقعنا كثيرة .. فكون تحرير فلسطين حتمية تاريخية، يجعل « الحل السلمي » مستحيل تاريخيا حتى وان تمكن المستعمرون من تجميد الصدام

فترة من الوقت(٤). كما يجعل مشاريع الدولة الفلسطينية (التي هي دولة على جزء من ارض فلسطين تقوم وبجوارها قاعدة الاغتصاب الاستعماري اسرائيل) هي ايضا « مستحيلة تاريخيا » . افتراضا ان قامت ، لا بد لها من احدى صفتين ، اما كيان تقدمي متحرر ، واما كيان رجعي خاضع . الاول (الكيان المتحرر) لا يمكن ان يتحقق الا على كل الارض الفلسطينية ، أي بالقضاء على اسرائيل وبأن تكون جزءا من كيان العرب الموحد التقدمي (وهو أمر غير وارد الان على الاقل) والثانية ان تحققت فلن تكون سوى جزء من الكيان الهاشمي الذي **هو بلا مستقبل تاريخي أيضا** ، وانما هو كيان اصطنعوه لكي يكون درعا للكيان الصهيوني ويزول بزواله . وكما ان تحرير فلسطين حتمية تاريخية ، فان زوال الكيان الصهيوني حتمية تاريخية ، وذلك يقودنا الى أن دعاة الطريق القائل بامكان تطور « أمة اسرائيلية » يمكن ان تنمو فيها القوى الديمقراطية !! التي تتفاهم !! مع القوى الديمقراطية العربية دعاة « الامة الاسرائيلية » هؤلاء يسيرون في طريق مسدودة تاريخيا (ان حسنت نياتهم) . فهي — أي هذه الامة المزعومة — مستحيلة تاريخيا . وليس هذا بالتمني أو بالتعصب وانما هو استقراء موضوعي لحركة التاريخ . ففي عالم دخلت مقدمته الاجتماعية الغنية مرحلة ذوبان الحدود القومية ، وتصارع قاعدته الفقيرة من أجل التقدم واكتمال كياناتها القومية متحررة من القهر الاستعماري،في مثل هذا العالم من المستحيل العودة الى مملكة سليمان بن داوود القائمة على العرق والدين . كما أنه من المستحيل تاريخيا ان تقوم أو تتطور أمة باستيراد بشر مختلفين في التكوين النفسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي لا يجمعهم سوى أنهم يهود وباغتصاب أرض بشر هم متمايزون تاريخيا (أي متحدون) نفسيا واجتماعيا وثقافيا فضلا عن أنهم جزء من أمة ذات تكوين قومي مكتمل ومتصل ومتناسق هي الامة العربية . ان اليهودية نفسها مقبلة على الذوبان في المجتمعات البشرية التي تتحرر من الاستغلال فعلا وستعجل هذه العملية التاريخية بلا شك ، الحرب ضد الكيان الصهيوني الذي هو كما ذكرنا محاولة فاشلة تاريخيا لتمييز البشر على أسس عرقية ، وبالاضافة الى استحالة استمرار هذا الكيان الصهيوني المصطنع والدخيل على المسار التاريخي للمجتمعات البشرية ، فان رؤيته من الداخل تؤكد استحالة تطوره الى « أمة » كما يتوهم البعض فالقانون الرئيسي الذي يحكم باطن هذا الكيان هو الصراع بين « الضباط » وجلهم من « الاشكنازيم » ، والجنود ومعظمهم من « السفارديم » والهوة بين الاثنين هي كالهوة التي تفصل المجتمع الصناعي المتقدم الاستعماري ، عن المجتمع الزراعي في البلدان الفقيرة(٥). ان وهم تطور أمة اسرائيلية اذن ، هو وهم مخادع ومضلل فهي مستحيلة تاريخيا ، كما ان قيام الكيان الصهيوني نفسه كان خطة استعمارية لعرقلة التطور التاريخي الطبيعي للامة العربية نحو الوحدة القومية المتحررة التقدمية .

أهناك أهمية للاستطراد ؟ نعم بالتأكيد .

فبالاضافة الى ما بيناه من أهمية لمعرفة اتجاه الحركة التاريخية في وضوح الرؤيا الاستراتيجية والثقة بالنصر ، فان الوعي المستمر لمسار هذه الحركة وتعرجاتها والقدرة على التأثير فيها ، يسلح الممارس الواعي بالقدرة على اتخاذ التكتيكات المناسبة ، ومقاومة المواقف المعاكسة أو التي تحرف مسار الحركة ، بل والقدرة على التنبؤ المسبق بمصير كل خطوة وما قد يترتب عليها مستقبلا .

ونعود الى « الفلاح الفاهم » .. نجده يسبق الماء في قنوات أرضه ، يزيح من أمامه عقبة هنا وكومة هناك ، نجده يحرث الارض استعدادا لهطول المطر في الوقت المناسب ، نجده يصلح عود محراثه في وقت لا تحتاج فيه الارض لمحراث ... الخ ..

اي باختصار نجد « الفلاح الفاهم » يستعد لاستقبال أحداث ليس هو صانعها ، وانما هو المستفيد منها . . وعندما تقع ، عندما يسقط المطر لا يكون ذلك مفاجأة له . ولا سببا في ارتباكه . .

واقعنا أيضا مليء بالامثلة .

لا بد وأن يؤدي تصاعد عمليات الثوار الى تصعيد عمليات العدو لمواجهتها ، والى أن يلجأ العدو أيضا الى توسيع رقعة ضرباته بحيث يحاول الوصول الى منابعنا اي الى جماهيرنا ليرعبها . لذا فان هذا التوقع يحتم الاستمرار في عمليات التحصين وبناء الملاجىء ، وتدريب القادرين على القتال على الدفاع عن المخيمات والاحياء . .

كما ان مستقبل الصدام مع العدو الصهيوني يحمل في طياته حتما توسيع رقعة الصدام معه أرضا او جماهير او الاثنين معا . . هكذا تؤكد دراستنا لطبيعة العدو العدوانية التوسعية ، وأيضا لحتمية تصاعد النضال القومي العربي ضده . . ان ادراك هذه الحقيقة لا يجعلنا نستعد لملاقاة العدو في خارج الارض المحتلة حاليا فحسب ، وانما أيضا توجب على قوى الثورة المنظمة أن تبني جسورها النضالية فيما بينها مشكلة جبهة مقاتلة جماهيرية واحدة ضده(٦) . ان ادراك هذه الضرورة في وقت مبكر والعمل على بناء التنظيمات التي تحققها وتجسدها بشكل جماهيري وفعال كان من الممكن أن يستفيد بشكل كبير من الموقف الجماهيري العربي العام الذي رحب بالحرب ورفض وقف اطلاق النار ثم لم يجد من يعبر عنه بالارادة المنظمة .

والتناقض بين حرب الشعب وبين « حرب النظم » ، وان يكون داخل « مسار » واحد للحركة القومية التاريخية الا أن ذلك لم يمنع ولن يمنع من الصدامات المتوالية بين « النظم » وبين « الحركات المنظمة جماهيريا » . ذلك ما ينبىء به اتجاه الحركة التاريخية **وما يوجب على الثوار أن يحرصوا باستمرار على « حريتهم » في التحرك وعدم الوقوع في شراك « الترويض » الرسمية الحكومية ، او الانكشاف أمنيا لاجهزة النظم المختلفة مع ضرورة الاحتفاظ على الدوام باحتياطي معد سلفا للاستمرار بالقتال ضد العدو الصهيوني حتى في حالات تنجح فيها النظم في تقييد حرية ما « تراه » من التنظيم او تكتشفه أو تتعاون معه في مرحلة ما أو تسمح له بالنشاط رغما عنها .**

الامثلة عديدة كما قلنا . ويكفي أن يستعرض المرء الاحداث التي فاجأتنا ، والفرص التي أفلتت من أيدينا ، ليتضح له الفرق بين أن يكون « الممارس » واعيا بمسار الحركة التاريخية ، وبين ان يواجه الحدث برد الفعل وهو مفاجأ . . . *

وقبل أن نصل الى تحديد موقع « الحرب الرابعة » على مسار الحرب القومية العربية التاريخية سنحاول أن نرسم مسار هذه الحرب انطلاقا من فلسطين ، باعتبارها كما ذكرنا من قبل ساحة الصدام العربية الرئيسية مع كافة أشكال القهر الاستعماري .

فلسطين ، والابعاد الثلاثة :

تنقسم الحركة التاريخية الى مراحل تاريخية ، تتوالى ، كل منها أرقى من سابقتها وتحمل بقاياها ، وتولد من داخلها التي تليها . وتستمد كل مرحلة طابعها من النقيض الرجعي المسيطر والذي تصارع ضده القوى الموضوعية الناهضة ، صاحبة الحق

---

* تعتبر تجربة « الاشبال » في الثورة الفلسطينية مثلا رائعا للاستعداد النضالي والسياسي في مجرى الحرب الشعبية طويلة الامد . فضلا عن كونها تذكر دوما بطول الطريق فانها تعد ومنذ وقت مبكر اجيالا من الثوار يتولون المسئولية في الوقت الملائم .

التاريخي في التقدم . ومع كل ارتقاء لمستوى الصراع بين هذين النقيضين يزداد عنفا ، وصعودا ، ووعورة وتعقيدا حتى تتغلب قوى التقدم وتنهار القوى الرجعية .

ولقد بدأت الامة العربية مرحلة نهوضها القومي في تناقض مع الغزو الاجنبي الاستعماري الذي حرص على تقسيمها سياسيا وتنمية مظاهر الانعزال الاقليمية الاجتماعية والاقتصادية ومع ذلك لم تهدأ جماهير هذه الامة ولم تتوقف ابدا عن النضال ضد هذا الغزو . ومع تطور الظروف العالمية ، وتصاعد نضال حركات التحرر الوطني ، ومن بينها حركة التحرر العربية ، أرسى الاستعمار قاعدة استعمارية على أرض فلسطين ، اتسمت بخصائص أكثر بربرية وعنفا من اي شكل آخر معروف للاستعمار . « فاسرائيل » ليست مجرد احتلال ولا استعمار كذلك القائم مثلا في جنوب افريقيا او روديسيا أو الذي كان قائما في الجزائر . انها غزو استيطاني قائم على الاغتصاب وطرد سكان البلاد الاصليين منها ، هي في هذا الاولى من نوعها في العصر الحديث ، كما ان «اسرائيل» اقيمت لكي تمنع، او على الاقل تعرقل، التطور التاريخي المنتظر للامة العربية نحو التحرر والوحدة بالاضافة الى قيامها على اسس فكرية عرقية متعصبة (عنصرية) اي انها في ذات الوقت تشكل غزوا نفسيا واقتصاديا وعسكريا للامة العربية كلها ، وهي في هذا أيضا الاولى من نوعها . ثم هي ايضا تمثل رأس رمح المجتمع الصناعي المتقدم في قلب عالم البلاد الزراعية الفقيرة ، حيث يتشكل تركيبها البشري والقيادي اساسا من فئات نشأت وقدمت وتعيش في نفس البيئة ، والعلاقات الاجتماعية التي تعيش فيها بلاد العالم الصناعي الغني وتستثمر رؤوس أمواله وخبراته التقنية وهي في ذلك تمثل الجسر الذي تحاول قوى العالم الاستعماري العبور عليه الى آسيا وافريقيا .

هذا هو النقيض ، المطلوب ازالته ، والحتمي الزوال تاريخيا .

من هذا النقيض اكتسب النضال الفلسطيني ابعادا ثلاثة ، وهي دوائر ثلاث داخل بعضها : بعد وطني ، وبعد قومي ، وبعد أممي . بعد وطني باعثه الارض المغتصبة ، وبعد قومي مصدره العدوان على الامة كلها ، وبعد اممي في مواجهة استعمار عالمي وتسلط تقني غني . ولانها نقيض لما هو موضوعي (أي خارج ارادات الافراد ورغباتهم) فهي بلا شك أبعاد موضوعية تحكم مسار الحركة التاريخية وتبحث دوما عن بعد لها في نشاطات الافراد اليومية والمرحلية . هذه الابعاد الثلاثة تطبع مسار النضال الفلسطيني التاريخي بطابعها ، وهي جميعا في الوقت نفسه تقع تاريخيا ضمن المسار التاريخي لحركة التحرر القومية العربية ، او هي بالدقة محور هذه الحركة . كما أنها، وان تكن متداخلة ، ولا يمكن الفصل بينها ، الا أن حقيقة ان الارض مغتصبة والشعب مطرود منها جعلت ، وكان لا بد من ذلك ، السنوات الاولى تتخذ في الممارسات اليومية طابعا وطنيا(٧) سرعان ما اتسع ونما واكتسب الطابع القومي مع تصاعد الصدام مع العدو ، واتساع رقعته الفعلية خصوصا بعد حرب ١٩٦٧ . كما ان حداثة عهد النضال في الاتجاه الصحيح لم يمنع من ظهور بواكير « صدامية » تحمل طابعا أمميا حيث شارك مناضلون من غير العرب في الثورة المسلحة ، كما دارت بعض المعارك على أرض بلاد استعمارية وفي تحد مباشر لها .

ويترتب على رؤية المسار التاريخي للامة العربية (حتمية نهوضها وتحررها ووحدتها القومية) وللثورة الفلسطينية (محورا للنضال العربي القومي) من خلال هذه الابعاد الثلاثة (وهي أعماق موضوعية تاريخية) تترتب على ذلك امور كبيرة ، فضلا عن أن هذه الرؤية تسهل على المؤرخين « تصنيف » الاحداث اليومية والمرحلية (مع الحركة التاريخية او ضدها) فانها تسهل أيضا معرفة صحة توقيت الحدث المعين ومدى تطابقه مع الضرورة الموضوعية في اللحظة المعينة (فعل ناضج او متأخر او سابق لاوانه حسب

الظروف المحيطة بكل فعل) . فان اهم ما يترتب على الوعي بمسار الحركة واعماقها التي ذكرناها هو امكانية التخطيط مسبقا للنشاط الثوري المنظم ، وتحاشي الشراك التي ينصبها لنا العدو محاولا حرفنا عن الطريق أو ارجاعنا الى الوراء .

بهذه الرؤية يمكننا أن نفهم معنى الاهداف الاستراتيجية المعلنة للثورة الفلسطينية : وهي تحرير كامل التراب الفلسطيني وتصفية الكيان الصهيوني اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وثقافيا والمشاركة الفعالة في تحقيق أهداف الامة العربية في تحرير أقطارها وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد ومساندة الشعوب المضطهدة في كفاحها لتحرير أوطانها وتقرير مصيرها*. نفهم أولا ان هذه الاهداف تعبر عن « ضرورة » وليست انتقاء مزاجيا لواضعيها أو الملتزمين بها ، ونفهم ثانية أنها أهداف ثابتة على مدى المرحلة التاريخية أي انها لا تتغير الا بتحقيقها الذي سيؤدي حتما الى تغير في الظروف الموضوعية تاريخيا ، مما يستلزم وضع أهداف استراتيجية جديدة . كم تطول هذه المرحلة ؟ ذلك سؤال « ذاتي » . فهي بلا شك اطول عمرا من أجيال الممارسين الثوريين (خصوصا وان أسلوب النضال هو الكفاح المسلح) . وهي على أي حال مهما طالت ، فلا بد أن تتحقق الاهداف ، حتى عندما لا تجد في فترة زمنية معينة من يناضل من أجلها ، فان الضرورة التاريخية سرعان ما تعبر عن نفسها بآخرين يتقدمون على طريق النضال (في الحق أنها على الدوام تعبر عن نفسها في النشاطات العفوية للجماهير ، والجميع يعلم انه في المرحلة التي تشتت فيها جهود القوى الثورية الفلسطينية وتوزعت على البلدان العربية المحيطة ، فان « المتسللين » من أبناء الشعب الفلسطيني لم يكفوا أبدا عن عبور الاسلاك الشائكة وايقاع الخسائر في صفوف العدو المغتصب) . والرؤية التاريخية ، تؤدي الى احكام تاريخية أيضا على الذين يشكون في لحظة من اللحظات انه لم يعد في الامكان تحقيق الاهداف .. مثل هذا القول لن يوقف المسيرة ولن يكسب اصحابه الا « الادانة التاريخية » .

كما ان هذه الرؤية التاريخية للاهداف الاستراتيجية ، ترفض « التقسيم » سواء كان « تقسيم » الارض أو « تقسيم » النضال ولو تحت حجة المرحلية . « فالمرحلية » أمر مقر بلا شك في تكتيكات النضال ولكن في قضية كقضية فلسطين ، هي كما ذكرنا محور النضال العربي ، وذات أبعاد ثلاثة متداخلة ومترابطة ، فان القبول « بتقسيم » الارض يعني التسليم ببقيتها . والقبول بتقسيم النضال يعني تصفيته ، حتى لو غلفت هذه الدعاوى بشعارات براقة من طراز « اقامة حكم وطني ديمقراطي في الاردن(٨) بعد دحر الاحتلال في الضفة الغربية » ، فلا الضفة الشرقية ولا الغربية معزولة عن بقية أرض فلسطين المغتصبة ولا عن بقية الاراضي العربية المحتلة . ففضلا عن الاستحالة التاريخية لتحقيق ذلك مع استمرار الكيان الصهيوني فان هذه الشعارات نفسها تكشف عن نظرة « اقليمية » تخطتها مراحل النضال ، بالاضافة الى تعارضها مع المسيرة الصحيحة للحركة التاريخية . ان « العدو » نفسه قد يتظاهر في مراحل متقدمة من الصراع بقبول مثل هذه الشعارات بهدف تقسيم وحدة الجماهير المناضلة ضده ودفعها للاقتتال فيما بينها . كما ان محاولة تمرير هذه الدعاوى بالاستشهاد بتجارب شعوب أخرى(٩) أمر غير مقبول ، فكما أوضحنا نحن نواجه غزوا استعماريا لم يسبق له مثيل لا من حيث العنف فقط بل من ناحية الجوهر . ان بلدا من البلاد التي يستشهدون بأن قياداتها الثورية قبلت حلولا وسط ، لم يطرد شعبها أو لم تتعرض لمحاولات مستمرة لاذابة الشخصية القومية واخضاعها ، كما يحدث في منطقتنا ، ان الحل الوسط شيء والانجاز الجزئي شيء آخر ..

---

* من المبادىء والاهداف الاساسية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » .

الحل الوسط يعني كما قلنا التسليم ببقية الهدف ، وعندما نسلم بجزء من الهدف الاستراتيجي فان معنى ذلك التسليم بالهدف كله .

أما انجاز قسم من الاهداف ، فانه يعني مزيدا من القوة في سبيل التقدم نحو انجاز بقية الاهداف ، يعني مزيدا من تعبئة العوامل والقوى الموضوعية نحو النصر النهائي على العدو .

ولقد دل مسار السنوات الماضية حتى الان ، أن الغزو الاستعماري الصهيوني الموجه ضد الامة العربية والذي اتخذ له فلسطين المحتلة قاعدة أولى لم يتوقف عن التوسع منذ بدأ حتى الان ، وان بدا ان ذلك يعني من وجهة النظر الجغرافية أو العسكرية الصرفة خسارة جديدة فانه في الوقت نفسه يعني اتساع رقعة الصدام المباشر معه جغرافيا وجماهيريا .

لذا فان الرؤية التاريخية لمسار الثورة الفلسطينية ، وأبعاده الثلاثة ، توجب ان تكون الخطة الاستراتيجية لتعبئة القوى والعوامل التاريخية ذات المصلحة في تصفية الكيان الصهيوني وتحريكها هي خطة حرب الشعب طويلة الامد . وتستهدف توسيع رقعة الصدام مع العدو أرضا، وجماهير وعلى الساحات الثلاث مجتمعة بحيث تتحقق من خلال عملية التعبئة الطويلة ، والجماهيرية ، الغلبة المسلحة على هذا العدو .

ان اختيار حرب الشعب طويلة الامد ، خطة استراتيجية للتحرير ، ليس اختيارا مزاجيا وانما هو طريق جبري لا سبيل غيره ، طريق تفرضه طبيعة العدو وطبيعة المرحلة التاريخية وحتمية المسار التاريخي للامة العربية .

ولكن الوصول الى هذا الطريق لا يتم الا بالوعي بالحركة التاريخية ، أي أن الوصول اليه لا يمكن بأي حال أن يتم عن طريق النشاط العفوي ، فقد حدث ذلك بالفعل وانقضت السنوات من ١٩٤٨ — ١٩٦٥ قبل أن تدخل القوى الثورية العربية هذا الطريق ، وطوال هذه الفترة شهدت المنطقة محاولات فردية ، وجماعية ، عفوية ومنظمة ، الا أنها جميعا، وان عبرت عن الضرورة التاريخية (حتمية التحرير) كانت طرقا مسدودة لم تؤد الى شيء ، وانتهت لان تكون للقوى الثورية المخلصة .

ومع الانفجارات الثورية التي عمت الوطن العربي تقريبا بعد ١٩٤٨ ، وكرد فعل لما كشفته نكبتها ، اخذ طابع الحروب النظامية التالية يتغير وان ظلت حتى الان أسيرة « النظم » وما يحكمها من توازن للقوى الاجتماعية ، ونفوذ دولي ، وخوف من انطلاق الجماهير الى نهاية الشوط التاريخي(١٠)، حتى حركة الجماهير الفلسطينية نفسها لم تخل من اتجاهات ومؤسسات عسكرية نظامية وشبه حكومية عبرت عن سيطرة ونفوذ الافكار والمؤسسات الحكومية وغير الجماهيرية والانقلابية . ولقد خاضت حرب الشعب حتى الان معركة في الممارسة اليومية ، لا نستطيع أن نقول أنها حققت فيها النصر ، خصوصا انها، اي حرب الشعب ، عندما بلغت شأوا في أنظار الجماهير ، واجهتها بعض النظم بالمؤامرات تلو المؤامرات بغية فرض الوصاية مرة اخرى على الارادة الثورية للشعب الفلسطيني ، وتصفية فكر حرب الشعب الذي يتهدد بلا شك أصحاب الامتيازات على اختلاف اوضاعهم الطبقية .

ولا يقتصر الصراع بين منهج الاعتماد على الجماهير في الحرب باعتبارها أقوى العوامل الموضوعية المناقضة للاستعمار تاريخيا ، وبين منهج الاعتماد على المؤسسات والاجهزة والجيوش رغم انها زائلة ومتغيرة وخاضعة لتوازن القوى والعلاقات الدولية ، لا يقتصر هذا الصراع على شكلي حرب الشعب والحرب النظامية وانما يمتد الى مختلف نواحي النشاط المناهض للكيان الصهيوني وهو يعبر عن نفسه على الدوام في المعارك

والمواقف اليومية وعلى كل الساحات سواء في ذلك ساحة الحرب أو الاعداد لها ، او التعبئة في سبيلها أو حتى بناء التنظيمات المختلفة للقيام بها .

وسيظل هذا الصراع دائرا ، ولكنه بلا شك سيميل أكثر فأكثر مع اتساع رقعة الصدام مع العدو ارضا وجماهير ، سيميل لصالح الجماهير ودورها . لذا فان من واجب الثوريين الواعين أن يتسلحوا بالنفس الطويل ، والثقة المطلقة بالجماهير وقدراتها ، وأن يعملوا على الدوام على تعبئة جهودها وتنظيمها ، وعلى تصفية الافكار المعادية لها ، بالممارسة وضرب المثل ، فذلك هو السبيل الوحيد والاكيد للنصر .

بقي ان نشير الى الجانب الاممي في نضالنا ضد العدو الصهيوني . وقد ذكرنا من قبل كيف أن الكيان الصهيوني يمثل رأس رمح المجتمع الصناعي الاستعماري الغني في قلب العالم الزراعي الفقير ، وانه يمثل أعلى درجات الاستعمار التي عرفت حتى الآن . لذلك لم تخل ساحة الصدام يوميا من التدخل المباشر من جانب القوى الاستعمارية ، سواء في ذلك بالجيوش أو بالاسلحة ، أو بأجهزة المخابرات أو بالمؤامرات الانقلابية والانفصالية . الا ان السنوات الاخيرة شهدت تطورا بالغ الاهمية فعلى عكس السنوات الاولى لقيام الكيان الصهيوني حيث لم يكن هناك دور من خارج منطقة الصدام الا لقوى الاستعمار ، شهدت المنطقة تزايدا « ملموسا » لدور القوى الثورية التقدمية من مختلف انحاء العالم ، وفي مختلف انحاء العالم أيضا الى جانب الثورة . وربما تساءل البعض عن السر في تأخر استجابة أو اشتراك هذه القوى الثورية التقدمية في الصراع ضد الكيان الصهيوني كل هذه السنوات . ولكننا نجد الاجابة من ملاحظة ان العالم شهد في السنوات الثماني الاخيرة نشاطا منظما ومبلورا للثورة العربية ، مسلحا وموجها بشكل مباشر ضد الكيان الصهيوني . وكان لهذا النشاط المنظم الفضل الاول بلا شك في استقطاب جهود ومواقف الثوريين في العالم . ويتوجب علينا أن نزيد من هذا النشاط وأن نسعى الى هذه القوى نطرق أبوابها بأخباره من أجل جبهة عالمية واحدة ضد الاستعمار والعنصرية .

ان ادراك مسار الحركة التاريخية للامة العربية ، وابعاده الثلاثة يستوجب بشكل أساسي ضرورة المحافظة على قوى الثورة الفلسطينية وتطويرها ودعمها باعتبارها محور النضال القومي العربي كله ، حيث يؤدي غيابه — كما أدى من قبل — الى ضياع الجهود الثورية وتفشي الاقليمية والانتقال الجانبي فضلا عن تزايد وتدعم قوة العدو . كما يستوجب نفس الفهم بذل مزيد من الجهود من أجل توحيد النضالات القومية الجماهيرية حول الثورة الفلسطينية بحيث تبرز الى مسرح الفعل السياسي جبهة عربية ثورية واحدة تضم جهود القوى الثورية العربية التي يجمعها المصير المشترك والمصلحة المشتركة في التحرير والوحدة . وبنفس الادراك يجب العمل ضمن خطة واضحة لدعم الروابط القائمة الان مع حركات التحرر والحركات الثورية والتقدمية وتطويرها بحيث يمكن توسيع الصدام مع الاستعمار واستنزاف قواه في مختلف أنحاء العالم .

انها طريق طويل وشاق .. بدأت موضوعيا منذ بدأ الغزو الصهيوني في مطلع القرن واتخذت شكلا محددا بقيام الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، وانطلقت فوقها قوى الثورة الفلسطينية المنظمة منذ ثمان سنوات . وما أكثر ما انجز في هذه السنوات . في ظل هذه الانجازات ، وقعت حرب التحرير القومية النظامية الرابعة .

*

الحرب الرابعة :

الحرب ليست مشادة كلامية ، يمكن أن تبدأ وتنتهي بارادة المتخاصمين .

والمجتمع البشري يعرف اشكالا عديدة من الصدام والتناحر التي تعبر عن تضارب المصالح التي تحكمه ولكن الحرب هي بلا شك أرقى اشكال هذا الصدام وأكثرها تأثيرا في كافة النواحي الاجتماعية .

والحرب القومية ثورة ان اشتعل اوارها ثم توقف ، فان ذلك لا ينفي عنها انها جولة من جولات هذه الثورة حتى وان كانت نظامية .

بل أن الحرب القومية تحقق ما لا تحققه عادة الثورات التي تستهدف قلب سلطة أو اقامة اخرى ، ذلك انها في الوقت نفسه تعد ارقى أشكال الثورات الثقافية ، لما تحدثه من تغيير فكري ونفسي واجتماعي في صفوف الجماهير .

والحرب الرابعة ليست معزولة عن الحروب التي سبقتها ، ولا الظروف التي اشتعلت فيها وهي، وان توقفت بعد عشرين يوما، فقد حققت، او بالدقة انضجت ظروفا جديدة للنضال القومي هي أرقى من المرحلة التي سبقت هذه الحرب .

كانت الحرب مفاجأة للجماهير ، وللقوى السياسية المنظمة أيضا . ولم يكن ذلك بسبب السرية وحدها ، فحتى الذين بلغتهم انباء الاستعداد لم يصدقوا .

وحين اشتعلت بالفعل ، راجت التفسيرات ، وما تزال ..

وقد يختلف المؤرخون في المستقبل حول الدوافع التي حدت بالنظامين المصري والسوري لدخول هذه الجولة من الحرب القومية ، وفي هذا الوقت بالذات .. الا انهم على أي حال سيجمعون على أن المفاجأة شملت جميع الناس على اختلاف اوضاعهم الاجتماعية ، وجميع القوى السياسية على اختلاف مواقعها السياسية .

كانت المفاجأة ظاهرة عامة .. ويمكن لذلك البحث عن اسبابها بموضوعية ، فكون « النظم » لم تحارب من قبل (منذ وقف النار بعد القبول بمشروع روجرز في اب/ اغسطس ١٩٧٠) فذلك معناه انها لم تكن قادرة على القتال(١١). وكونها حاربت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ فذلك معناه انها اما اصبحت قادرة على القتال او انها لم تعد قادرة على استمرار حالة عدم القتال . الاحتمال الاول ثبت انه غير صحيح اذن هو الاحتمال الثاني .. وهو أن هذه النظم لم تعد قادرة على استمرار حالة عدم القتال ، لماذا ؟.. لان الجماهير العربية ظلت منذ هزيمة ١٩٦٧ وحتى الان (بعد وقف النار في الحرب الاخيرة) ظلت تطالب بالحرب وتقيم حكامها بمقياس الحرب .

فاذا كانت الجماهير هي السبب الرئيسي ، والمحرك الاساسي لهذه الحرب ، فلماذا اذن فوجئت ؟ .

الاجابة محددة وبسيطة : لان الجماهير ترى بحسها وبوعيها الذي تزايد خلال سنين النضال الاخيرة ، ان الحرب ضد العدو الصهيوني تتطلب تعبئة جهود الجماهير العربية وتوحيدها (وهو ما يعني في المعادلة السياسية اضعاف قوى اليمين الاجتماعي ومزيد من الصدام مع القوى الاستعمارية) وهو ما لم يكن يحظى بأي جهد ، بل بالعكس .

وبرغم ان موقف الجماهير كان صحيحا ، الا انها لم تتخلف ولا لحظة واحدة عن المساهمة المباشرة في الحرب والمجهود الحربي ، وحتى بالانضباط الذي أذهل الجميع. لقد اندفعت الجماهير تحقق أمنيتها في الحرب من خلال كل ثغرة ممكنة تركت لها أو فتحتها لنفسها . واستعصت جماهيرنا رغم عفويتها — على مؤامرات الحرب النفسية

التي شنها العدو ضدها لترويعها ، واستعدت في بساطة لما هو اكثر واكبر(١٢). من هنا كانت خيبة الامل والمرارة التي شعرت بها الجماهير عندما اعلن عن قبول وقف اطلاق النار .

كانت الجماهير على حق في الشعور بالمفاجأة عند بدء الحرب ، وكانت على حق ايضا في الشعور بالمرارة وخيبة الامل عند قبول وقف اطلاق النار .

*

عندما اندلعت الحرب . كانت ظروف النضال العربي تعاني من حالة التراجع الجماهيري التي بدأت منذ وقف حرب الاستنزاف ومذابح ايلول ١٩٧٠ .

كانت الجماهير صامدة ، وذلك يعني انها كانت في حالة دفاع مستمر . لم تخل السنوات الثلاث من هجمات جماهيرية مضادة (تزايد نسبة عمليات الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلة ، اعدام وصفي التل ، العمليات الخارجية ، مؤتمر نصرة الشعب الفلسطيني) ولكنها بشكل عام ظلت في حالة «دفاع». كان معنى ذلك تزايد دور وهيمنة الاجهزة والمؤسسات الحكومية في مسار النضال . وما تبعه من تزايد الهجمات القمعية على الجماهير والتي اتخذت اكثر اشكالها وضوحا في محاولات الترويض والاخضاع المستمرة للقوى المنظمة للثورة الفلسطينية (وهي المعبر المنظم الوحيد عن ارادة النضال الجماهيري المسلح) وتتابعت المذابح ، وفي كل مرة كان نفوذ « الحكومات » يزداد (بفعل الاتفاقيات) ويتراجع دور الجماهير ويتشتت (لضعف ادواتها المنظمة) وحيث لم تستطع مؤامرات الترويض الحكومية ان تفلح ، تقدمت عصابات العدو الصهيوني بقيادة آهارون ياريف تشن الاغارات ، وتغتال الكوادر لتضمن بقاء الجماهير في حالة الدفاع .

كان الهدف ـ ولا يزال ـ هو بث اليأس من فكرة حرب الشعب . أي من ثقة الجماهير بقواها وقدرتها على التحرير .

ومنذ عام تقريبا ، تبلور هذا الهجوم الرسمي في الاقتراح الذي رفضته قوى الثورة الفلسطينية وقتذاك ، والقاضي بأن تخضع هذه القوى للقيادة العربية الموحدة .

وبرغم رفض هذا الاقتراح ، الا انه بات واضحا ان قوى الثورة الفلسطينية (لا يجب ان ننسى أنها القوى الجماهيرية العربية الوحيدة المنظمة المسلحة) مقبلة على مرحلة الخضوع الكامل للوصاية الرسمية العربية ، وانها عمليا وضعت في هذا الموقف طوال العام الماضي .

وكان منطقيا ، ان تتراجع تبعا لذلك موجة الوحدة العربية(١٣) وان يتحول محور التعاون الرسمي العربي نحو اليمين .

كان هذا هو واقع الامة العربية عشية حرب ١٩٧٣ ، ولا يمكن عزل هذا الواقع عن الظروف العالمية التي اصطلحوا على تسميتها بظروف **الوفاق الدولي** والذي يعني في الواقع تخفيف حدة الصدام في العالم كله ، في ظروف مال فيها ميزان القوى العالمي لصالح الاستعمار وبشكل خاص لصالح امريكا(١٤).

ثم اندلعت الحرب .. وظاهرة الحرب ، اي حرب ، تصبح عندما تندلع عاملا كيانه متميز عن العوامل التي اوجبته .

وهكذا ، اضيف الى بوتقة العوامل الموضوعية المؤثرة في مجرى الصراع ، عامل الحرب ذاتها وما تتركه وتحدثه من اثار بعيدة المدى . ويمكن تلخيص هذه العوامل وترتيبها حسب الاهمية والتأثير كما يلي :

١ ــ الجماهير العربية ، وبوجه خاص جماهير البلاد التي احتلت أراضيها من قبل « هذا معناه الجماهير الفلسطينية بوجه أخص) . وهي باستمرار ترفض عفويا أي محاولة لتثبيت هذا الاحتلال او استمراره . كانت كما ذكرنا في حالة صمود ، أي دفاع ، يعكس اصرارها على الحرب . ولكنها ايضا كانت تعاني ــ وما تزال ــ من غياب القوى المنظمة المسلحة المعبرة عن ارادتها الحرة من سيطرة وتوجيه واحتواء النظم . باستثناء قوى الثورة الفلسطينية ، والتي عانت هي الاخرى كثيرا من محاولات الترويض بالذبح والغواية وشباك الاتصالات والاتفاقات الرسمية .

٢ ــ النظم والمؤسسات الرسمية العربية ، بما تحمل من تناقضات فيما بينها واتفاقات ايضا ، وما يحوطها من ارتباطات دولية سياسية واقتصادية وعسكرية ، وما تواجهه من ضغوط داخلية جماهيرية وغير جماهيرية بسبب الموقف من حالة اللاسلم واللاحرب .

٣ ــ الكيان الصهيوني نفسه ، بوصفه النقيض المباشر في الحرب ، والمرتكز سواء اقتصاديا او عسكريا على الولايات المتحدة الامريكية ويشكل قوتها الضاربة في وقت الحرب والضاغطة في وقت اللاحرب ، والذي برغم « تميزه » بشريا عن امريكا ، الا انه كتمايز كلب الحراسة عن سيده .

٤ ــ الاتحاد السوفيتي : أحد طرفي الوفاق الدولي ، وهو برغم هذا الوفاق ذو مصلحة خاصة في المنطقة تجعله يقف الى جانب الطرف العربي في الصدام الدائر ، وهو الى جانب ثقله السياسي الدولي ، مصدر السلاح الاساسي للجيوش العربية . ويهم الاتحاد السوفيتي الى حد كبير الا تنفرد امريكا بالمنطقة ، وبالذات بالجزء الشرقي منها (العراق ــ سوريا ــ الخليج) . كما ان موقف الاتحاد السوفيتي من قيام الكيان الصهيوني موقف مركب ، له مصلحة في هزيمتها (اضعاف لنفوذ امريكا في المنطقة ، واضعاف للنفوذ الصهيوني بين اليهود السوفيت أنفسهم) ولكنه ملتزم بما يسمى « حقها في الوجود » لاعتبارات مصلحية كثيرة ليس هنا مجال سردها .

٥ ــ دول السوق الاوروبية ، وهي التي يؤدي « الوفاق الدولي » بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الى اخضاعها عمليا واقتصاديا للولايات المتحدة ، خصوصا مع استمرار اغلاق قناة السويس وتعطيل مصالحها الاقتصادية في رقعة واسعة من السوق الاسيوية والافريقية . فضلا عن مصالحها في منطقة الشرق الاوسط نفسه(*).

٦ ــ الحرب في ذاتها ، وما تتطلبه من اجراءات سياسية واقتصادية ، داخلية وخارجية وما تحدثه من استقطاب في القوى ، وطمس للتناقضات الثانوية ، واطلاق طاقات العنف الجماهيرية ، وتدعيم دور الجيوش النظامية كمؤسسات متمايزة داخل كل بلد ، وتغيير طابعه وسلوك الحياة الاستهلاكية والاقتراب بها الى مستويات متقاربة معيشية .

*

تلك هي العوامل الرئيسية التي حكمت بدء ومسار الحرب القومية النظامية الرابعة فكيف اذن أصبح الوضع بعد وقف النار ؟..

(*) من أهم الاسلحة الاقتصادية التي استخدمت وما تزال في الصدام ، سلاح النفط . وليس في الامكان في هذا المجال تقييم دور النفط في المعركة بشكل مفصل وكامل ، ومع ذلك يجدر الاشارة انه وان كان لسلاح النفط تأثيره المباشر على طرح وتحريك القضية دوليا ، فان الظروف التي يستخدم فيها ، دون قتال ، ودون نشاط جماهيري واسع ، تجعل منه سلاحا محدود الاثر ، وينحصر تأثيره وأثره على المواقف الحكومية الدولية.

بداية .. ومنذ الساعة الاولى ، تحولت الحرب من حـرب بين الجيشين السوري والمصري وبين جيش الصهاينة ، الى **حرب قومية شاملة** .. من باب المندب في الجنوب الى اللاذقية في الشمال ، ومن بغداد في الشرق الى الرباط في الغرب ، كل القوى دخلت المعركة، الجماهير والمؤسسات، الجيوش والاقتصاد ، المتخاصمون والمتحدون، الرجال والنساء . لم يبق في الامة من لم يساهم في الحرب بغض النظر عن الدوافع او المفاهيم أو حتى التوقعات . وكانت الايام العشرين درسا لمن يفكر في سبـل تحقيق الوحـدة العربية ، ليس بغير القتال ، ضد الاستعمار وبالذات ضد اغتصاب فلسطين .

ثم هي لم تعد الحرب النظامية الصرفة .. فلانها قومية اكتسبت من فورها طابعـا شعبيا عبر عن نفسه بمختلف الاشكال ، من طوابير المتطوعين للخدمة المدنية ، الـى الانضباط الفاهـم لقيود الحـرب ، الى الاستنفـار اليقظ لمحـاولات العدو النفسية والعسكرية ، وبلغت أرقى أشكالها بلا جدال في موقف جماهير الارض المحتلة الذي حرم العدو فجأة، وفي احرج لحظات نشاطه، من خمسين الفا من العمال رفضوا التعاون معه منذ بدء القتال ، وعاشت الارض المحتلة ما يشبه العصيان المـدني العفوي مما القى الرعب في نفوس المحتلين . بالاضافة الى الدور الذي قامت به قوات الثورة الفلسطينية (الارادة المنظمة المسلحة للجماهير العربية) والتي أثبت مقاتلوها انهم ، وبعد سنوات ثلاث من محاولات التصفية الجسدية والسياسية والترويض الاجتماعي، ما يزالون أهلا بثقة الامة ، وقادرين على الاندفاع بشجاعة وتفان نحو الارض التي حرموا طويلا مـن التوجه نحوها .

وعندما توقفت الحرب كان طبيعيا ان تشعر الجماهير بالدهشة والغضب والمرارة والتوجس وكانت هذه المشاعر ايضا تمثل اعلى درجات وحدتها القومية واستنفارهـا العفوي .

الحصاد المباشر للحرب الرابعة كثير ، وستظل بذورها التي ارتوت بدماء الشهداء تعطي المزيد على الساحة الجماهيرية . تقف الجماهير العربية كلها الان في أرقى حالات الاستعداد والتهيؤ للنشاطات الثورية المختلفة سواء كانت موجهة مباشرة ضد العـدو الصهيوني (الحرب) . أو لتغيير واقعها الاجتماعي (مقاومة كل ثغـرة اجتماعية أو سياسية تنفذ منها سياسة الاستسلام) . **الجماهـير تتوقع من ادواتهـا السياسية (التنظيمات والاحزاب والحركات والحكومات) ان تعبر عن ارادتها ، فان لم تفعل فان الجماهير لا بد ستبحث وتبني لنفسها أدوات تعبـير نضالية اخرى غـير التي تعجز وتسقط .**

وفي الوقت نفسه تزايد بشكل كبير دور المؤسسات الحكومية وتأثيرها على مسـار الحركة القومية ذلك ان الحرب بدأت كما ذكرنا ، والساحة خالية تقريبا من المنظمـات الجماهيرية الفعالة . لذا تكاد تنفرد المؤسسات الحكومية الان بالنشاط وبالحديث باسم الامة كلها . وذلك برغم ان « رصيد » قوى الثورة الفلسطينية جماهيريا قد زاد بشكل كبير نتيجة ترجيح « الحرب » لوجهة نظرها الخاصة بأن القتال وحده هو الذي يحـرر الارض . وهي وجهة النظر التي دافعت عنها بصمود رائع طوال السنوات المـاضية كلها . الا ان عدم تبلور الاشكال التنظيمية للنضال الجماهيري القومي حول النضـال الفلسطيني في السنوات الماضية ، أدى الى غياب التنظيمات العربية الفعالة التي يمكنها التعبير عن اتساع رقعة النضال القومي المباشر ، والتي تحصد ثمار الحـرب القومية التي دارت(١٥) كما ان الثمار المباشرة السياسية للحرب الرابعة ، حتى الان هي مزيد من الحصار الرسمي حول الارادة الحرة للنضال الثوري الفلسطيني ، ومحاولة الضغط عليها واستدراجها الى مقتلها بقبول الحلول الوسط .

وكما ان الحرب أدت الى موقف موحد للنظم العربية ، فان وقف النار أدى وسيؤدي حتما الى مواقف متعارضة . وسيكون دور وتأثير كل دولة انعكاسا للدور الذي قامت به في الحرب اقتصاديا وعسكريا ، وتعبيرا في نفس الوقت عن مدى تأثير الجماهير في الصراع الداخلي لكل بلد .

أما بالنسبة للعدو ، فان الحرب الاخيرة كانت الاولى بالنسبة له من ناحية الخسائر البشرية والعسكرية ، وبالذات الخسارة النفسية في صفوف المستوطنين . ولكن بذور الخوف والتشقق التي بذرتها الحرب الرابعة داخل الكيان الصهيوني تحتاج الى مزيد من الحرب لكي يمكن ان تعطى ثمارها . والاغلب ان يحاول العدو القيام بضربة مفاجئة هدفها استعادة معنويات مستوطنيه ، او يحاول كسب الوقت لاحتواء الاثار المترتبة على الحرب . كما ادت الحرب بشكل مباشر الى وضوح الوجه الامريكي القبيح والذي حاول — ويحاول — الكثيرون ادعاء وجود تناقض بينه وبين قاعدته الصهيونية بل أن نتائج حرب ١٩٧٣ ، جعلت الولايات المتحدة تكاد تنفرد من بين كل الدول الاستعمارية بالتعرف على القاعدة الصهيونية ، تسلحها وتتفاهم باسمها وتضرب بها ، كما أدى وقف اطلاق النار ، بالصورة التي تم بها الى تدعيم الدور والنفوذ الامريكي في المنطقة كلها وبدرجة لم يسبق لها مثيل في السنوات العشرين الماضية .

أما الاتحاد السوفييتي فقد خرج من هذه الحرب بشهادة براءة لاسلحته المظلومة في حرب ١٩٦٧ ، وبعلاقات اوثق مع بعض الدول العربية وبالذات الشرقية منها ، وبدور أكبر يتعلق بالتسويات الدولية ، الا ان اشتراكه مع امريكا في تقديم مشروع وقف اطلاق النار (قرار ٣٣٨) أفقده الكثير مما كان يمكن ان يجنيه في صفوف العالم العربي ، ويؤدي تزايد النفوذ الامريكي في المنطقة الى ميل متزايد من جانب الاتحاد السوفييتي الى توثيق العلاقات مع « قوى الثورة الفلسطينية » ، باعتبارها غير مرتبطة بأي درجة وبأي شكل مع النفوذ الامريكي(١٦) .

أما دول السوق الاوروبية فقد اتخذت موقفا تحاول فيه الحفاظ على مصالحها في وجه الطغيان الامريكي ، خصوصا ان خبراءها يعرفون مقدما النتائج المترتبة على تزايد النفوذ الامريكي في الشرق الاوسط(١٧) .

*

ومع كل ما تقدم فقد كشفت الحرب الاخيرة عن انجازين كيفيين هامين :

الاول : ان النضال الفلسطيني الثوري ، لم يعد حبيس اسوار الاقليمية والقطرية بل امتد الصدام مع العدو الان ، أرضا وجماهير ، على الساحة القومية العربية كلها فعلا ، لا قولا ولا فكرا فقط . ان الظروف الموضوعية التي يتطلبها تشكيل جبهة نضال عربي جماهيري موحد ضد الاستعمار والصهيونية تكون فيها قوى الثورة الفلسطينية هي المحور والطليعة ، هذه الظروف هي الان ناضجة تاريخيا .

والثاني : ان نضال الثورة الفلسطينية طوال السنوات الماضية قد فرض فلسطين وشعبها مرة اخرى على الساحة العالمية حكومات وشعوبا . ولم يعد في امكان أي قوة تجاهل هذه الحقيقة التاريخية التي حاول الاستعمار طويلا أن يطمسها باسم اخر هو « اسرائيل » . الا ان ذلك لا يعني ان هذا المجتمع الدولي يسلم منذ الان بحتمية تصفية الكيان الصهيوني ، بل هو يسعى لضمان امن « اسرائيل » ، باجهاض الثورة العربية في منتصف الطريق الى فلسطين . ان استمرار الحرب الشعبية هو السبيل الوحيد لكي يسلم العالم (على اختلاف مواقف دوله) بعدالة مطلبنا في اقامة فلسطين الديمقراطية على كل ترابها .

*

قد يسأل سائل .. ايمكن توقع شيء محدد في المستقبل القريب ؟(١٨)

نعم .. حرب خامسة ، نظامية ايضا ، وقومية بلا شك ، سواء في ذلك طال الوقت أم قصر والارجح انه سيقصر . فالجماهير العربية المستنفرة الرافضة لوقف النار ، وتسارع الاحداث والتغيير سواء على الساحة العربية او الدولية ، والمأزق الذي يقف فيه الكيان الصهيوني كمؤسسة عسكرية عنصرية ليس امامها مجال كبير للمناورة والالتفاف ، كل ذلك يرجح قصر الفترة الزمنية بين الحرب الرابعة ، والحرب الخامسة . لن ينتظر العرب كما انتظروا من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ (حتى تلك الفترة تخللتها حرب استنزاف دامت عاما ونصف تقريبا) .

كما أن أي حرب ، في أي زمان ومكان ، يعقبها على الدوام تغييرات اجتماعية ، تعبر عن نفسها بتغييرات في المؤسسات السياسية . وهو أمر متوقع في اكثر من بلد عربي ، ولاكثر من مؤسسة سياسية ، رسمية او غير رسمية .

*

ثم ما هي المهام الملحة الملقاة على عاتق الثوريين العرب ؟

بداية **لا بد من الاستمرار** . ان الوقوف عند حد الرفض وحده لاتجاهات وقف الحرب بأنواعها ، موقف خاطىء .. لا بد من استمرار القتال ، وعلى وجه التحديد حرب الشعب ، لا بد من **الهجوم** ولا يجب ان يكون رد فعل وقف اطلاق النار دفاعيا . ثم أنه قد آن الاوان لخطوة تأخرت طويلا لقد اتسعت رقعة الارض المحتلة بحيث يمثل مصيرها ، مصيرا قوميا واحدا ، لذا يجب العمل بالجدية الواجبة على بقاء الادوات التنظيمية اللازمة للتعبير عن هذا العمق القومي لحرب الشعب التحريرية . يجب مقاومة الطرح الاقليمي السائد الان والرامي الى تقسيم القضية الى ما يسمى بما بعد ١٩٦٧ وما قبل ١٩٦٧ .. الى اخر هذه التقسيمات . يجب فضح هذه الدعاوى الاقليمية وعدم الوقوع في شراكها .

كما أن الظروف العالمية اليوم مهيأة اكثر من أي وقت مضى لبلورة اشكال من النضال المشترك مع القوى الثورية في افريقيا وامريكا اللاتينية ، ضد المصالح الاستعمارية وبالذات المصالح الامريكية .

وفي كل حال ، تظل فلسطين ارضا وجماهير هي الساحة الرئيسية للنضال ، والتي يجب ان تصب فيها كل الجهود الثورية العربية والاممية . ان هذه الساحة مهيأة ، الان ايضا ، اكثر من اي وقت مضى لعملية البناء التنظيمي الطويل المدى . لقد نهضت عروبة فلسطين المحتلة في ١٩٤٨ ، ولا يجوز ان تطعن بالتوقف وهي في ربيع نهوضها . كما تمرست جماهير الضفة والقطاع بالنضال ضد الاحتلال الصهيوني والقمع الهاشمي ، وجددت الحرب الاخيرة من معنوياتها ــ وهي الان احوج ما تكون الى التنظيم .

ولكي يمكن تحقيق هذه المهام فان من الضروري تحرير الارادة الثورية الجماهيرية الفلسطينية من كل وصاية رسمية ، والمحافظة على هذه الارادة مستقلة دوما ، محورا للنضال الثوري القومي العربي رمزا ومثلا وطليعة لحرب الشعب العربية .

ولان هذه المهمة الاولى ، هي مهمة ذاتية مهمة هذا الجيل من الثوار وامانة الشهداء منهم في اعناق الاحياء ..

ولان هذه المهمة الاولى ، مهمة تحرير الارادة الثورية ، كانت طوال السنوات الماضية ، ولا تزال هدف المؤامرات والمذابح والغواية والترويض .

ولانه لا فعل ثوري بدون ارادة ثورية .

فلنكسر طوق الوصاية من حولنا .
ولنمزق شراك الاقليمية .
ولننطلق ..
فالجماهير العربية الغاضبة ، تتلفت باحثة عن ارادتها القادرة الحرة ..
ولنرفع عاليا هتافنا ثورة حتى النصر .

---

١ — للتوصل الى معرفة اتجاه الحركة التاريخية لظاهرة معينة لا بد من تطبيق قوانين الحركة على العوامل الموضوعية لهذه الظاهرة ، واضعين في اعتبارنا ايضا اثر العوامل الموروثة والفكرية والفردية والنشاطات العفوية .. الخ وواضح ان التعرف الدقيق لمسار حركة اي ظاهرة يكاد يكون مستحيلا فالمعرفة تتحقق من خلال الممارسة ، وخلال الممارسة يصبح الدارس نفسه احد العوامل المؤثرة في الظاهرة، أي أن موقفه ووضعه الذاتي يلعب دورا في زاوية رؤيته حتى للعوامل الموضوعية المحيطة. والضمان الوحيد لعدم التردي في انحرافات حادة هو تحديد هدف تاريخي واضح يلبي ضرورة تاريخية عامة ، ثم خط عام للحركة ومداومة الاستعداد فكريا ونضاليا وسياسيا على مواجهة كل تغير طارىء او متوقع . ولا يتحقق هذا الاستعداد ابدا الا بالانغماس الكلي في حياة الجماهير ، والالتزام بموقفها في كل الاحوال وان تتم هذه الدراسة على الدوام ضمن اطار تنظيم ملتزم كله بنفس الرؤية السياسية .

٢ — ان مسار الحركة التاريخية ، مهما بلغت درجة « الوعي » للقوى المسيطرة عليه ، هو متعرج ، فان عوامل عفوية واخرى موروثة وطبيعية فضلا عن نشاط القوى المعادية للتقدم تؤدي حتى الى تعرج هذا المسار باعتباره محصلة صراع هذه القوى المتناقضة والتي تعبر عن « قوى جديدة » تتناقض مع القوى المسببة لها .

٣ — ان مهمة الجهد الواعي « أي المنظم » هي بلورة الجهود العفوية « والارتقاء بها درجة بعد اخرى في اتجاه الجماعية المنظمة تماما » كحفر قناة تجمع مياه الامطار والسيول لتحول حركتها الى « طاقة » . ان الجماهير على سبيل المثال تمارس « العنف » يوميا ضد مضطهديها، والكثير من هذا العنف فردي ، وجزئي . وبعضه بلا شك موجه في الوجهة المسدودة ، ومهمة التنظيم الواعي ليست هي استنكار هذه الجهود الفردية والتعالي عليها ، وانما تجميعها وتنظيمها والارتقاء بكفاءتها والتصرف فيها ضمن خطة محددة تخدم الهدف التاريخي .

٤ — حتى ما يسمى بالحل الجزئي السلمي « مستحيل تاريخيا » .. فان قبول « جيل » به لا يعني اطلاقا قبول الاجيال التالية له ، واتصافا حتى للجيل ، فان قبول البعض به لا يعني تسليم الجميع . فليس من الممكن الا ان يقع الصدام بين الجماهير الراغبة في التقدم وبين عصا الشرطي الامريكي في المنطقة وهي اسرائيل .

٥ — راجع مقال « حول مقال الصراع الطبقي في اسرائيل » لمحجوب عمر — مجلة **صوت عمال الاردن** .

٦ — المقصود هنا هو كل التنظيمات الثورية العربية . صحيح ان الثورة الفلسطينية هي محور الثورة العربية ولكن هذه المقولة لا يجب ان تكون مبررا لتقاعس الحركات الثورية العربية غير الفلسطينية عن القيام بالمسئولية سواء في القتال او في التنظيم .

٧ — حاول المستعمرون على الدوام ويحاولون ، تفتيت ارادة النضال العربية بمختلف الدعاوى الاقليمية الضيقة ، ومحاولة الانفراد بالقوى السياسية النشطة على ساحة الصدام . كما انه في فترة من الفترات (الخمسينات) سادت افكار ومناهج مختلفة بين صفوف المناضلين العرب واتهمها وظاهرها « قومي » ادى الى تشتت وتوزع الجهود الثورية وذلك عندما غاب عن الساحة اي تنظيم فلسطيني ، وانقسم المناضلون الى احزاب وجماعات مختلفة في البلاد العربية المحيطة بفلسطين . الا ان محصلة

هذه الفترة ، اثبتت ان البدء بفلسطين والتوجه اليها دوما هو الضمان الوحيد ليس فقط لصحة « مسار » النضال وانما ايضا لتوحيد الجهود المبذولة وتجمعها قوميا . ولتحرير هذه الجهود من التقسيمات الاقليمية ، والوصايات الرسمية التي هي بالضرورة مرتبطة ومتورطة في علاقات دولية ليس من مصلحتها ولا من خطتها القضاء على الكيان الصهيوني كما انها بصفتها « نظم » قامت في فترة التقسيم الاقليمي تميل دوما الى ان تخضع قضية فلسطين لحسابات المكسب والخسارة الاقليمية .

٨ — ذكرنا من قبل ان توجيه جهود المناضلين نحو شعارات واهداف مستحيلة تاريخيا، يؤدي نفس الدور الذي يسعى اليه العدو لحرف نضالات الجماهير عن « المسار » الصحيح للحركة التاريخية . ان تخيل امكان قيام نظام وطني ديمقراطي في الاردن بكل ظروفه التاريخية اقتصاديا وجغرافيا وبشريا ، هو مجرد وهم لا يؤدي الا الى تمرير الضمانات ببقاء الكيان الصهيوني . وليس معنى ذلك السكوت على النظام الهاشمي فانه كنظام اقيم درعا للكيان الصهيوني ، ولا بد من تشديد النضال الجماهيري من اجل فضح هذا الدور المضلل واسقاط هذا القناع المصطنع مما سيؤدي حتما الى توسيع رقعة الصدام مع العدو الصهيوني ارضا وجماهير .

٩ — الاستشهاد بكوريا وفيتنام ، يتجاهل ان المشكلة هناك هي ان الاستعمار والقوى الرجعية تسعى لتكريس انقسام الشعب الواحد. لذا يرفع الثوار شعارات التحرير والوحدة بين شطري كل بلد . في حالتنا نحن لا نسعى قطعا للوحدة بيننا وبين الكيان الصهيوني . ولا توجد اي أرض موضوعية لمثل هذه الوحدة ، وبالطبع ولا نضال مشترك بين (جماهير) المنطقتين ضد عدو واحد كما في فيتنام او كوريا . ان القبول بالحلول الوسط كان ممكنا لو ان الصراع هو بين فلسطين الغربية وفلسطين الشرقية مثلا ، اما وهو صراع بين اسرائيل من ناحية والامة كلها من ناحية اخرى فلا حل وسط . حتى بالنظرة الاقليمية المحدودة فالصراع هو بين الكيان الصهيوني السائد المسمى اسرائيل وبين الكيان التاريخي المقهور فلسطين .

١٠ — يتفاوت دور وطابع كل جيش نظامي عربي في الحرب ضد الكيان الصهيوني ، حسب توازن القوى الاجتماعية داخل البلد العربي المعين ودور الجماهير سواء المنظمة او العفوية ضمن هذه القوى الاجتماعية . ولكن الجيوش جميعا ، تظل مؤسسات حكومية سواء فيمراحل الاعداد او ما بعد الحروب المحدودة التي تخوضها . لذلك فانه برغم محاولة بعض القادة خلال ايام الحرب الفعلية تسليح الجماهير الا ان هذه الخطوة تأتي دائما متأخرة ولا تترتب عليها عمليا اي التحام فعلي بين الجيش والشعب في القتال ، كما ان الحروب التي حدثت حتى الان كانت قصيرة العمر ، وبعيدة عن اماكن التواجد الجماهيري (صحارى او مدن سبق اخلاؤها) باستثناء مدينة بور سعيد ١٩٥٦ وفيها سجلت الجماهير بالفعل تراثا نضاليا سجل اسم المدينة على صفحات التاريخ.

١١ — لا يعني ذلك ان الامة لم تكن قادرة على القتال وقد عبرت عمليات الثوار الفلسطينيين طوال السنوات الماضية عن قدرة الامة واصرارها على مواصلة القتال .

١٢ — عندما اعلن العدو ان جيشه يتقدم نحو دمشق ، كان رد فعل الجماهير هو مزيد من التحدي ولخص واحد منهم الموقف لمراسل أجنبي بقوله : **ليس المهم أن يتقدموا الى أي مدينة المهم ان يستمر القتال .**

١٣ — في الوحدة العربية هناك مجموعتان من العوامل مجموعة جماهيرية ، لا تعاني من تناقضات فيما بينها ، ومجموعة المؤسسات اي اجهزة الحكم والمصالح الاقتصادية الضيقة لاقليات اجتماعية وهذه تغلب مصالحها الضيقة على مصلحة الامة في الوحدة . لذا عندما تتراجع حركة الجماهير تتراجع حركة الوحدة والعكس صحيح .

١٤ — ليس هنا مجال مناقشة سياسة ، الوفاق الدولي وما يترتب عليها بالنسبة لشعوبالبلدان الفقيرة ولكن نشير فقط ان سياسة الوفاق هذه تدفع المتفقين عليها لان يجعلوا كل صدام (أي كل حرب) محدودا .

١٥ — سيسجل المؤرخون ان الفعل الجماهيري القومي العنيف والمباشر والوحيد الذي عبر عن

اتساع رقعة الصدام ارضا وجمـاهير ، كانت هي عملية بنك اوف اميركا .

١٦ ــ تحدث السوفيت في اخـر بياناتهم عـن «الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني».

١٧ ــ لاحظ انخفـاض سعر المارك الالمـاني ، والارتفاع الشديد في سعر الدولار الامريكي في الشهر التالي لوقف اطلاق النار .

١٨ ــ المستقبل البعيد ، هـو النصر النهـائي والوحدة القومية الكاملة .

تقارير

[١]
القتال والتسوية ، ومواقع النظام الاردني

جاء القتال الاخير مفاجأة تامة للنظام الاردني الذي دأب ينادي بضرورة تحاشي الصدام المسلح مع اسرائيل والسعي وراء موائد التسوية ضمن شروط التنازل غير المحدد ، مستفيدا بذلك من أوضاع جبهة التنسيق العربي الذي يتحمل الاردن بدوره المسؤولية الاولى في ترديها بمواقفه السلبية والمتميعة التي اجهضت كل المحاولات لاحياء جبهة شرقية فاعلة مع العدو ، وعانى النظام نتيجة تلك السياسة من عزلة عربية أعقبت مجازر أيلول الى أن جاء اجتماع القمة الثلاثي الاخير في القاهرة مع الرئيسين السادات والاسد وذلك في محاولة لاقناع النظام بالاضطلاع بجزء من مسؤوليات المواجهة العربية مع اسرائيل ، وواضح ان النظام الاردني وجد في هذا اللقاء فرصة للكسب السياسي أكثر من انصرافه لتنفيذ ذلك الجزء المتواضع من الالتزامات المترتبة عليه .

لقد ترك القتال انعكاسات قوية ومباشرة داخل الاردن كانت في مجموعها ردود فعل ايجابية كان من شأنها ، لو طال أمد القتال ، أن تغدو تحولات هامة تطيح بكثير من تلك المسلمات التي بني عليها النظام القائم لفترة طويلة . الا ان وقف اطلاق النار على الجبهات أعاد التوازن الى جسم النظام القائم ونقلته ملامح التسوية القادمة الى مواقع المبادرة في محاولة انتزاع حق تمثيل الشعب الفلسطيني ، تلك القضية التي بقيت على الدوام هاجس النظام المزمن .

القتال وردود الفعل :

لقد حرك القتال المشاعر الوطنية المكبوتة للشعب في الاردن ، ورغم قصور صيغ العمل الوطني وحالة الهزال التي عانت منها في مرحلة القمع التي أعقبت مذابح أيلول فقد أمكن لتلك الجيوب الوطنية والمتمثلة في شرائح البرجوازية الوطنية — من الوجوه الوطنية وممثلي الاحزاب الوطنية القدامى — مع اصدقاء المقاومة والشيوعيين من المبادرة الى عقد بعض الاجتماعات واصدار عدد من البيانات حيث وزع الحزب الشيوعي الاردني بكثافة بيانا في ٧٣/١٠/٩ وكذا وزعت بيانات في منطقة الشمال تحمل توقيع « قيادة قوات الميليشيا » وتداول طلبة الجامعة الاردنية فيما بينهم قصاصات صغيرة من الورق ، تحرض على تبني عدد من المطالب الشعبية وتدخلت السلطة لفض اجتماع كان يزمع عقده يوم ٧٣/١٠/١٠ في مبنى مجمع النقابات بدعوة من بعض الوجوه الوطنية ولجنة انقاذ القدس مع مندوبي التجمعات النقابية ورغم التأكيد للسطة بأن المقاومة بعيدة عن هذا التحرك وان القصد منه هو توجيه التحية الى كل من مصر وسوريا فان السلطة أحاطت المبنى بحراسات مشددة ومنعت الدخول اليه ، انصرفت مطالب التحرك الشعبي عموما في :

١ — دعوة الاردن لدخول الحرب والسماح للفدائيين وللقوات العربية بالدخول الى الاردن .

٢ — تسليح الشعب وتعبئة طاقاته في خدمة المعركة ، واطلاق الحريات العامة .

٣ — وحدة القوى الوطنية وتلاحمها حتى تتمكن من القيام بواجبها .

٤ — تصعيد القتال وضرورة استمراره (بيان الحزب الشيوعي الاردني المؤرخ في ٧٣/١٠/٧ ، قصاصات الجامعة الاردنية) .

لقد سحبت اسرائيل معظم قواتها على الحدود مع الاردن وتفيد التقارير ان اسرائيل احتفظت

بلوائي مشاة فقط على طول المواجهة وكان ذلك يتيح مجالا مؤاتيا امام عمليات العبور وشن عمليات عصابية في العمق لارباك الاسرائيليين ، او لادخال الذخيرة والاسلحة للارض المحتلة . وقامت المقاومة لذلك بجملة محاولات استهدفت اقناع السلطة الاردنية بالسماح بدخول خمسة آلاف مقاتل بكامل استعدادهم لعبور الاردن والقيام بعمليات محددة في الارض المحتلة وقام وفد مؤلف من ابي داود وصالح رأفت بزيارته الاولى في ٧٣/١٠/٩ واجتمع برئيس الوزراء الاردني زيد الرفاعي لهذا الغرض، الا ان النظام حرص في تلك الاتصالات على عدم اعطاء جواب قاطع بالنفي بل عمد الى كسب الوقت وربط ذلك في قرار دخول الاردن للحرب الذي سيكون قريبا ! واستهدف النظام في تعليق البت في طلب المقاومة الى قطع الطريق امام حركة المقاومة بشن هجوم اعلامي يحرج النظام او دخول الفدائيين بشكل سري عبر الحدود مع سوريا ووقوع صدامات مسلحة مع الجيش ، الامر الذي سيؤثر في الاجواء الشعبية والعربية وداخل الجيش ويدفع الى مزيد من العداء مع الفلسطينيين الذين يعمل النظام على كسبهم في هذه المرحلة على الاقل ، الا انه مع ذلك فقد جرى اعتقال عدد تجاوز الـ ٧٠ مقاتلا من الفدائيين اثناء عبورهم الاراضي الاردنية باتجاه الارض المحتلة ، وقتل عدد آخر منهم اثناء توغلهم في حقل الالغام الاردنية المزروعة على الحدود (تقرير خاص م.٥.أ).

جرى تحذير الاردن من طرف اسرائيل والولايات المتحدة من مغبة الاشتراك في الحرب وتحدث ايان روكر مراسل صحيفة صن البريطانية في فلسطين عن وجود اتفاق اسرائيلي — اردني على عدم فتح النار من الجبهة الاردنية وقال ان هذه المعلومات توافرت لديه منذ الايام الاولى لبدء القتال الا أنه منع من ارسالها الى جريدته (الشعب الصادرة في الضفة الغربية ٧٣/١١/٢١) . وفي محاولتها لتغطية مواقفها ، عمدت الحكومة الاردنية الى التصريح بأن موقفها انما جاء نتيجة تفاهم كامل مع كل من مصر وسوريا ، وأوحت أن هناك ثمة اجراءات وترتيبات ليس من المفيد الاعلان عنها !! الا أن هناك ما يؤكد عدم صحة تلك الادعاءات ، فالمصريون لم يخفوا استياءهم من موقف الملك حسين وأرسل الرئيس السادات برسالة الى الملك حسين تتعلق بالمقاومة ويتمنى فيها على الملك ان يشارك الفدائيون في المعركة من الاردن (النهار اللبنانية ٧٣/١٠/١٣) ، كذلك فقد استبعد السوريون ان يكون هناك اتفاق مع الملك حسين يمنعه من دخول الحرب .. وعندما اصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانها الذي فضح تخاذل النظام وكان الاشارة الرسمية والعلنية الاولى حول حقيقة الموقف الاردني كان زهير محسن عضو اللجنة التنفيذية ورئيس الدائرة العسكرية فيهما وممثل منظمة الصاعقة أكثر الاعضاء حماسة في الهجوم على النظام الاردني متهما اياه بالتواطؤ مع الولايات المتحدة (الطلائع والجماهير عدد ٢٩ ، ٣ تشرين الثاني) .

لقد أبدت اكثر من دولة عربية استعدادها لدعم موقف الاردن اذا ما قرر الدخول في الحرب كالسعودية ، الكويت ، الجزائر وليبيا ، بينما قام مرتضى حديثه ، وزير الخارجية العراقي ، باجراء محادثات في عمان استهدفت حمل الاردن للاشتراك في الحرب والسماح للعراقيين بادخال قواتهم واستخدام المطارات الاردنية — كمطار الازرق القريب من الحدود العراقية والذي تحمل الجيش العراقي نفقة انشائه — وأبدى استعداد بلاده لتقديم غطاء جوي كاف مع عدد من الصواريخ الا أنه جوبه بالاعتذارات الاردنية .

ان تلك العروض قد فضحت الذرائع الواهية التي اعتمد عليها النظام في تبرير مواقفه في تجنب الحرب مما دفع الى تململ الجيش وتذمره خاصة في اوساط صغار الضباط وضباط الصف والجنود مما استدعى الملك منذ اليوم الاول للحرب للقيام بجولات يومية على كافة القطاعات العسكرية يشرح لهم الموقف ويقنعهم بمقولاته القائمة على :

١ — ان هناك تنسيقا كاملا بيننا وبين كل من مصر وسوريا .

٢ — ان دخولنا الحرب مستحيل بدون غطاء جوي وبدون صواريخ .

٣ — ان هناك « قرارا سياسيا » اتخذ على أعلى مستوى لخوض المعركة واما القرار العسكري فسيكون رهنا بظروف المعركة .

ازاء هذا الوضع المحرج الذي آل اليه النظام كان عليه مهمة البحث عن مخرج بعد ان ازداد الضغط الداخلي والعربي عليه للاشتراك في القتال وقد اعترف زيد الرفاعي رئيس الوزراء الاردني

أمام وفد المقاومة بتلك الضغوط الشعبية الهائلة (تقرير خاص م ١٠) وتمخض هذا المأزق عن قرار الحكومة الاردنية بارسال اللواء المدرع ٤٠ للقتال على الجبهة السورية وجرت تغطية عملية اشراك اللواء الاردني بحملة اعلامية واسعة حول الدور « الباهر » و « الحاسم » للقوة الاردنية ، وبثت السلطة عددا من الاشاعات في متناول الشارع في هذا المجال بينما كانت تلك الصياغة المبتذلة لبيان الحكومة الرسمي حول اشتراك القوة الاردنية والذي تحدث في احدى فقراته عن « ابناء الثورة العربية الكبرى » محاولا احياء تلك الاوهام القديمة التي زرعها في اذهان الجيش ، طيلة السنتين الماضيتين عن احتمال غزو لسوريا ، سيما وأن هذا اللواء كان قد مني بهزيمة عندما اصطدم مع السوريين في الشمال خلال مجازر ايلول سنة ٧٠ (انظر الرأي الاردنية ٧٣/١٠/١٣) .

لقد منح اشتراك تلك القوة الاردنية « صك الغفران » للنظام الاردني امام الحديث عن اية التزامات قومية اخرى ، وعندما هاد وفد المقاومة في ٧٣/٩/١٥ للتباحث حول امكانية العبور من الاردن اوضحت الحكومة الاردنية موقفها بصورة اكثر جلاء حيث ذكر رئيس الوزراء « اننا لن ندخل الحرب مع اسرائيل وان مسألة دخول الفدائيين الى الارض المحتلة لن تكون قبلنا » ! وغداة وقف اطلاق النار تميز الموقف الاردني بابراز نشاطات « اللجنة الوطنية لدعم المعركة » التي ترأستها الملكة والتي انحصر دعمها للمعركة اخيرا في جمع مبالغ من البرجوازيات الاردنية والشركات لتقديم العون الى اسر الشهداء — تفيد بعض التقارير الى ان هناك ٣٠ شهيدا ، ٩٠ جريحا . بينما تفيد تقارير اخرى الى ان عدد الشهداء هو ١٢ والجرحى ٣٨ — وزيارة الجرحى في مستشفيات عمان وايدون وتقديم الهدايا لهم .

التسوية ومقدمات الدور الاردني :

كان النظام الاردني اول المستفيدين من وقف اطلاق النار ، وسارع الى اعلان موافقته عليه رغم عدم اشتراكه في القتال ، وابتدأ يهيء نفسه لقطف الثمرات السياسية أيا كان حجمها في التسوية المطروحة وذلك باعتباره طرفا معنيا وبشكل مباشر في تحديد مستقبل الاراضي المحتلة. وكان اعلان الملك حسين عشية وقف اطلاق النار عن تمسكه بحقوقه في الاراضي المحتلة بداية تحرك واسع للنظام في هذا الاتجاه في التصدي لمحاولة رفع وصايته عن الفلسطينيين او الاعتراف لهم بالحق في تقرير مصيرهم في معزل عن تلك الوصاية . لقد كانت تلك مهمة سهلة في الماضي عندما افتقد الفلسطينيون ممثليهم الحقيقيين ، ان الامر مختلف الان مع وجود منظمة التحرير الفلسطينية والتي يخوض شعبنا تحت قيادتها الحالية نضالا مسلحا مريرا لتحرير وطنه والتي تحظى بتأييد واسع من كافة القوى المحبة للسلام في العالم وكذا بتأييد من العرب .

الا انه مع تفهم كامل لكل هذه الاعتبارات فان الواضح ايضا ان النظام الاردني سيكون في موضع أفضل ضمن المواصفات المنظورة للتسوية المقترحة حيث تلعب الولايات المتحدة فيها الدور الاساسي . وستكون حركة النظام اكثر انسجاما مع ايقاع التسوية النهائي على اعتبار انه نظام عميل للامبرياليين وسيكون الطرف الاكثر سخاء في دفع المزيد من التنازلات امام الاعتراف له بحق التحدث باسم الفلسطينيين . وقد ابتدأ تحرك النظام واضعا في اعتباره جملة من المعطيات .

وقد ابتدأ تحرك النظام واضعا في اعتباره جملة « معطيات » .

١ — يرى النظام ان اجواء التسوية هي المسيطرة والغالبة في المنطقة ، واحتمال تجدد القتال أمرا مستبعدا ، وان الدول العربية المتحمسة للتسوية لن تجعل من قضية تمثيل الفلسطينين عقبة أساسية في أيام اقتطاف ثمرات التسوية .

٢ — يرى النظام — ان حركة المقاومة لا تملك هامشا واسعا للمناورة لالتزامها بمنطلقات استراتيجية مبدأية قائمة على تحرير كامل الارض الفلسطينية ، ولن تستطيع بسهولة طرح مهام مباشرة وفق التغيرات والظروف القائمة وجاءت انباء احتمال تقبل بعض اطراف المقاومة الرئيسية لمبدأ المفاوضة لتقع موقع « المفاجأة » بالنسبة للرسميين الاردنيين .

٣ — يرى النظام — ان احتمالات الانقسام واردة بين فصائل المقاومة وهذا يضعف بالطبع وحدة وتماسك القرار الفلسطيني في التسوية المطروحة .

٤ — يرى النظام — تحاشي فتح النار على

قيادة المنظمات الفلسطينية واتباع جانب المهادنة والحوار في هذه المرحلة على الاقل ومحاولة مد الجسور معها منعا من خلق حساسيات عربية ، او جلب مزيد من العداء الفلسطيني .

وبناء على جملة تلك المعطيات قام النظام بتحرك واسع وسريع عبر ابعاده الثلاثة : بين الفلسطينيين وعلى الصعيدين العربي والدولي :

١ – تحرك النظام لكسب ولاءات الفلسطينيين .

ففي داخل الاردن بادر النظام الى اتخاذ جملة خطوات فأصدر قانونا جديدا للعفو عن المعتقلين في ٧٣/١١/١ هو قانون العفو الثالث خلال الثلاث سنوات الاخيرة ، وجرى اخراج كافة المعتقلين داخل السجون وسمح بالعودة لمزيد من رجال المقاومة المتواجدين في خارج البلاد ، بينما صرح المدير العام للجوازات الاردنية بأنه أصبح في مقدور كل مغترب من اصل فلسطيني في المهجر الحصول على جواز سفر اردني كأي مواطن اردني اخر على الرغم من انه يحمل جنسية اخرى شريطة ان يكون مقيما في المهجر اقامة دائمة (وكالة الانباء الاردنية ٧٠/١١/٧) وجرى من ناحية اخرى استنفار رجال الاتحاد الوطني – حزب الدولة – من الفلسطينيين مجموعة عدنان ابو عوده ، جمعة حماد ، مصطفى دودين ، واميل الغوري وغيرهم ، للتحرك في اوساط الفلسطينيين في المخيمات ومراكز التجمع الاخرى لاستقطابهم حول مشروع المملكة المتحدة وفكرة أن النظام هو الممثل الحقيقي للشعب الفلسطيني . هذا بينما يجري الحديث حول احتمال حدوث تعديل وزاري يراعى فيه تشكيل ثلاث حكومات احدها في الضفة الشرقية والثانية في الضفة الغربية وحكومة مركزية في عمان يترأسها احد السياسيين المعتدلين من مجموعة التلهوني ، الرفاعي .. الخ ، وقد تكون مثل تلك الخطوة مبكرة الان الا انه صدر مرسوم في ٧٣/١١/١١ تعين بمقتضاه بهجت التلهوني رئيسا للديوان الملكي وجرى تعديل في بعض الحقائب الوزارية في هذا الاتجاه .

على الصعيد الاعلامي ، تحاشت السلطة في وسائل اعلامها ذكر تلك الانباء والتصريحات التي تحدثت عن حق الفلسطينيين في تمثيل انفسهم فحذفت الاذاعة والتلفزيون الاردني تلك الفقرات من المؤتمر الصحفي للرئيس السادات التي تحدثت عن هذا الموضوع .

أما بالنسبة لفلسطينيي الضفة الغربية فقد ابتدأ النظام حملة نشطة من الاتصالات معهم وذلك من خلال ترتيب اللقاءات مع مجموعات عديدة منهم تحول شعار « استطلاع الرأي » وكان الملك في لقاءاته معهم يؤكد على « أن هناك ضمانة اميركية باعادة الضفة الغربية الى المملكة الاردنية بعد اجراء تعديلات طفيفة على الحدود ، وانما لما كانت الضفة الغربية جزءا رسميا من المملكة فان التفاوض على الانسحاب الاسرائيلي يعنينا نحن ، ونحن المعنيين بوفد السلام المقترح ، ويمكن بعد أن يتوصل وفدنا في مؤتمر السلام الى تسوية وتعود لنا ارضها ، بعدها سنعطي الاهل هناك حق تقرير مصيرهم » (تقرير خاص م. أ.) .

ان النظام يريد التحايل على قضية تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، في سلبه الحق في التحدث باسم نفسه ، وتمشيا مع هذا النهج ايضا رأى النظام أن يمد جسور الحوار الى قيادة حركة المقاومة نفسها واوردت النهار اللبنانية في عددها الصادر يوم ٧٣/١١/١٧ انباء عن أن الرفاعي والتلهوني مندوبي الملك حملا رسالتين لفرنجية والاسد تعرضان وجهة نظر الاردن من قضية تمثيل الشعب الفلسطيني بأمرين أولها ان المقاومة ليست الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني وعليها التنسيق مع النظام ، ثانيا ، انه اذا لم تستجب المقاومة لتلك الدعوة فان الاردن سيسعى الى استعادة الضفة المحتلة وقطاع غزة ، ويجرى استفتاء الاهالي هناك بعد استرجاع الاراضي باشراف الامم المتحدة لمعرفة رأي اهل الضفة والقطاع في مسألة انشاء دولة فلسطينية وهل تكون هذه الدولة مستقلة عن الاردن او داخله في اتحاد فيدرالي معه كما يقترح مشروع المملكة العربية المتحدة الذي عرضه الملك حسين في اذار ٧٢ (النهار ٧٣/١١/١٧) .

ان الملك حسين يدرك سلفا رفض المقاومة له بالاعتراف بالتحدث باسم الفلسطينيين ولكنه يريد اقحام الزعماء العرب للحصول على مباركة عربية لخطواته المحتملة .

٢ – على الصعيد العربي .

فقد قام النظام بنشاط ملحوظ قام خلالها الملك

بجولتين سريعتين زار خلالهـا كـلا من مصر ، سوريا ، السعودية ، الكويت ، دول الخليـج ثـم ايران ، واوفد كذلـك عـددا من ممثليـه ومستشاريه بجولات مشابهة ، وكان الرسميون الاردنيون يؤكدون في هذه الجولات علـى ضرورة التحدث باسم الفلسطينيين الان على الاقل مخافة ضياع الفرص المطروحة ! وعلى ضرورة تخصيص الاردن بجزء من الدعم المالي العربي للمجهـود الحربي . وفي محاولة ابتزاز مفضوح دفع الاردن بمزيد من قواته العسكرية الى سوريا وجرى زيادة القوة العسكرية هناك الى فرقة كاملة وذلك بعد توقف القتال وانسحاب العراقيين . عربيا اذن فان النظام الاردني اصبح في وضع افضل بعد تلـك العزلة العربية التي عانى منها واستطاع تحويل مساهمته المحدودة في القتال على الجبهة السورية الى باب لانفتاح عربي جديـد فعاودت كل مـن الجـزائر وتونس علاقتهـا الدبلوماسية معه ، وعاودت الكويت دفـع اقساط المعونـة الماليـة المجمدة .

٣ ــ على الصعيد الدولي .

كالعادة فقد حظي النظام باهتمام خاص مـن الولايات المتحدة مع كل توتر او ازمة تعيشهـا المنطقة تقديرا منها للدور الذي يمكن ان يؤديه ، فحذر الرئيس نيكسون في ثاني يوم القتال الاردن من التورط في الحرب مع اسرائيل في نفس الوقت الذي جرى فيه التوقيع على دفـع مبلغ عشرة ملايين دولار من الولايات المتحدة لدعم الخزينـة الاردنية (النهـار اللبنانية ٧٣/١١/١٢) وصرح كيسنجر عقب زيارته للاردن في مطار عمان « بأنه في الوقت الذي تسعى فيه الولايات المتحدة الـى تحسين علاقتها مع كل دول المنطقة فانها لن تنسى اصدقاءها الذين وقفوا معها منذ سنوات عـدة » واضاف « بأنه سيكـون للاردن دور أساسي في مؤتمر السلام المرتقب منذ البداية » .

اما الاسرائيليون الذين حرصوا في اكثر مـن مناسبة على تمسكهم في بقاء نظام الملك حسـين فانهم يبدون الان معنيين اكثر بدعم موقف الملـك وعدم الاعتراف بأي حق للفلسطينيين في معزل عن نظام الملك . وصرحت جولدا مائير عقب لقائها مع كيسنغر « بأن الحل للفلسطينيين هي ضمن الحدود الاردنية وان دولة فلسطينية ثالثة تشكل سهمـا ضمن اسرائيل واننا لا نرغب أن ندع ياسر عرفات يخطو داخل اسرائيل ليطردنا خارجهـا » (نشرة الرصد ٧٣/١١/١٢) .

ان النظام الاردني سيكون الاوفر حظا في حلقة الابتزاز الاميركي الجديد في الحديث عن الحقـوق المشروعة للشعب الفلسطيني فهو الورقة الاكثـر ضمانا في نجاح شكل التسوية المطروح في تفريطه بمزيد من حقوق شعبنا ، وهذا يطرح بدوره ضرورة مراجعة الموقف العربي كي لا يقع فريسة فصـل تعسفي وغير مبرر لتلك الموضوعة الهامة في تمثيل الفلسطينيين عن النتائج المرتقبة لصيغة التسوية واتجاهاتها العامة .

عباس مراد

[٢]
الحرب الرابعة والمانيا الفيدرالية

ان شحن الاسلحة من الاراضي الالمانية الغربية على سفن اسرائيلية بدون علمها ادى الى سوء تفاهم بين الحلفاء من حلف الاطلنطي (المانيا الفيدرالية والولايات المتحدة الامريكية) كما ادى ذلك الى صدام بين الحكومة الفيدرالية الالمانية وبين المعارضة حيث اعتبرت الاخيرة على لسان جيرهارد شتولتنبرج نائب رئيس حزب الديمقراطيين المسيحيين CDU في مقابلة مع صحيفة دي فلت بتاريخ ١٩٧٣/١١/١ « بأنه أكثر الخلافات جدية في العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الفيدرالية منذ تأسيسها » .

ولتجنب تدهور الموقف رفضت حكومة المانيا الفيدرالية اتخاذ اي موقف رسمي حتى عند البدء بنقل المعدات العسكرية لاسرائيل والذي لم يتوقف ابتداء من اندلاع الحرب وحتى بعد وقف اطلاق النار .

كما وانه لم يصدر اي تعليق لدى انتشار الخبر بأن الطيارين الاسرائيليين نقلوا طائرات الفانتوم من قاعدة رام شتاين . وعندما تعالت اصوات المعارضة العربية ، وعندما تعاظم الخطر بوضع المانيا الفيدرالية على لائحة المقاطعة العربية تشجع وزير الخارجية ليوجه نداء الى الولايات المتحدة الامريكية عبر نائب السفير الامريكي في بون فرانك كاش بان تحافظ الولايات المتحدة على الموقف السياسي المحايد لالمانيا الفيدرالية تجاه الحرب في الشرق الاوسط .

وعند وقف اطلاق النار نبهه سكرتير الدولة في وزارة الخارجية بول فرانك السفير الامريكي هيلدي براند بان حكومة المانيا الفيدرالية تقرر منذ اللحظة بعدم السماح بشحن اي سلاح لاسرائيل من اراضي المانيا الفيدرالية .

وقد اكد السفير الامريكي هيلدي براند بأن المشكلة لم تعد قائمة خاصة وانه قد تم الاتفاق على وقف اطلاق النار .

وفي اليوم التالي بدأ شحن المواد الحربية لاسرائيل من ميناء بريمن تحت اشراف الشرطة العسكرية الامريكية وتم ذلك على ما يبدو بدون علم حكومة المانيا الفيدرالية .

وقد رات الصحافة الليبرالية مثل زود دويتش تسايتنج في ذلك محاولة مدروسة من الولايات المتحدة الامريكية لتوريط المانيا الفيدرالية بدون علمها في النزاع في الشرق الاوسط . كما رأت جريدة تسايت الليبرالية في عددها ٤٥ من وجهة نظر الحكومة في ذلك « تحديا سافرا » وبانه تهديد لحق الحكومة الالمانية في اتخاذ موقف محايد .

وقد كان جواب حكومة المانيا الفيدرالية هذه المرة أكثر حدة ، فقد دعا بول فرانك فورا نائب السفير الامريكي فرانك كاش واكد له بأن المعاهدة الالمانية المعدلة والمعقودة بتاريخ ١٩٥٤/١٠/٢٣ لا تعطي الولايات المتحدة الامريكية الحق في استخدام اراضي جمهورية المانيا الفيدرالية كقاعدة لارسال الاسلحة الى المناطق التي يتم بها الصدام المسلح .

ان حياد حكومة المانيا الفيدرالية « لا يسمح بنقل الاسلحة من المستودعات الامريكية فيجمهورية المانيا الفيديرالية لاي طرف من اطراف النزاع ولا يمنع فقط استخدام الاراضي الالمانية بل ايضا استخدام المنشآت الالمانية الفيدرالية » .

وقد ادى ذلك الى معارضة الولايات المتحدة الامريكية الشديدة . فقد انتقد الرئيس نيكسون في مؤتمره الصحفي يوم ٧٣/١٠/٢٦ الحلفاء الغربيين لعدم تعاضدهم مع امريكا واعطى الانطباع بانه ينتظر منهم الشكر العميق لجهوده التي جنبت الاوروبيين الغربيين خطر الصقيع من الشتاء القادم وقصد بذلك المشروع المشترك مع الاتحاد السوفييتي لوقف اطلاق النار .

وقد اعلن وزير الحربية الامريكي جيمس شليسنجر بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٧ بان الولايات المتحدة الامريكية سوف تعيد النظر بواجباتها تجاه المانيا الفيدرالية واي من اعضاء حلف الاطلنطي الذين رفضوا وضع اراضيهم تحت تصرف الولايات المتحدة الامريكية لنقل المواد الحربية لاسرائيل .

وقد عبرت مجلة دير شبيجل عن ذلك بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٩ بقولها :

« وبذلك اصبح واضحا وبشكل لا يقبل التأويل للالمان الغربيين بان سيادتهم لها ايضا حدودها ».

وقد اكد هــذا المفهوم احد موظفــي وزارة الخارجية بقوله لمجلــة دير شبيجل بان المانيــا الفيدرالية بواقعها ليست الا بلادا نصف مستعمرة. ان رد حكومة المانيا الفيدرالية اللطيف نسبيا على الانتقاد الحاد للولايات المتحدة اطلق تيارا من النقد تحول في بعض الاحوال لانتقاد شخصي من قبــل المعارضة والتي تخشى تحلل المانيا الفيدرالية من حلفها مع الولايات المتحــدة الامريكيــة لتسقط في التبعية للاتحاد السوفييتي وقــد زاد في خــوف المعارضة الزيارة التي يزمع وزير الخارجية القيام بها للاتحاد السوفييتي .

وقد كتب فرانس جوزيف شتراوس في صحيفة بيرن كوريير الناطقة بلسان حزبه يقول : ان حرب الشرق الاوسط قدمت البرهان القاطع علــى ان حكومة المستشار برانت تقع وبشكل لا اخلاقي وغير محدود تحت تبعية الاتحاد السوفييتي ، تلك التبعية التي تستهلــــك محليا تحــت اسم حياد المانيا الفيدرالية .

وفي مقابلة مع فيلت ام زونتاج يقول شتراوس « اننا نقف امام كوم من بقايا العلاقات الالمانية — الامريكية وسوف نشعر بذلك في المستقبل » .

ان أية سياسة تسيء الى العلاقات الالمانيــة الامريكية ستكون خطرة بالنسبة لبلادنا . هذا مــا قاله رئيس الحزب الديمقراطي المسيحي هيلموت كول وقد طالب شتولتنبرج نائب رئيس الحــزب الديمقراطي المسيحي المستشار بــرانت باجــراء محادثات فورية مع الرئيس الامريكي نيكسون ووزير خارجيته الدكتور كيسنجر للتغلب على الازمة .

وقد انتقد قائد المعارضة كارل كارستنس موقف حكومة المانيا الفيدرالية واتهمها بانها قد قدمــت خدمات سيئة للسلام وللمانيا وابدى اسفه في لقاء مع سكرتير الدولة الامريكي فالترشتوســـــل لان حكومة المانيا الفيدرالية لم تمتدح دور الولايــات المتحدة الامريكية في اعادة التــوازن للقــوى في الشرق الاوسط ودعم السلام (صحيفة زود دويتش تسايتنج بتاريخ ٧٣/١٠/٣١) .

وقد احتد الخلاف بين الحكومة والمعارضة بعد تصريــح لوزير الخــارجية شيــل علــى شاشة التلفزيون حيث قال : « ان علاقاتنا مع اسرائيل ليست فقط خاصة بل ايضا علاقاتنا مع الـــدول العربية » وقد رفضــت حكومة المانيــا الفيدرالية شحن الاسلحة الامريكية مــن الاراضي الالمانيــة لاسرائيل حتى يمكن ان نتمتع بالثقة من الـــدول العربية .

وقد اكدنا للعرب عام ١٩٦٥ بانه لن يتم شحن السلاح لاسرائيل وخدعناهم وكانــت النتيجة ان عشر دول عربية قطعت علاقاتها الدبلوماسية معنا بعد اكتشاف تلك الخدعة . واتهم شيل الرئيس الحالي لكتلة الديمقراطيين المسيحيين والمسيحيين الاجتماعيين كارستنس ورئيس حزب المسيحيين الاجتماعيين شتراوس بانهم لعبوا دورا اساسيا في شحن السلاح لاسرائيل في منتصف الستينات .

وقد كتبت صحيفة دي فلت بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢ تحت عنوان « لماذا قطعت العلاقات مع العــرب عام ١٩٦٥ » فقالت :

من المؤكد بان الشحنات السرية للسلاح قــد وفق عليها من قبل رؤساء جميع الكتل النيابية بمن فيهم رئيس الحــزب الديمقراطي الاشتراكي المعارض انذاك .

وبناء على ملاحظة اوردتها الصحيفة نفسهــا بتاريخ ٦٥/٢/٩ بان اديناور وقع على الاتفــــاق السري لشحن الاسلحة بدون علم البرلمان اجاب عليها اديناور في اليوم نفسه برسالة الى تلــك الصحيفة حيث قال : « اسمح لنفسي بان احيطكم علما بان الاتفاق مع اسرائيل قد تم توقيعه مــن قبلي وبموافقة سابقة من جميع الكتل النيابيــة الثلاث » .

وبشكل عام يظهر ان الرأي العام في المانيــا الفيدرالية بعد الحرب في الشرق الاوسط وبعــد الخلاف مع الولايات المتحدة الامريكية منقسم على نفسه .

ابتدأت الصحافة تعكس التناقض الذي ازدادت حدته الان والذي يتكون في الرغبة من التخلص من التبعية للولايات المتحدة الامريكية من جهة ، ومن جهة اخرى الرغبة في الاحتفاظ بالتواجد الامريكي بسبب عوامل امنية معينة حيث ان الراي العام متوافق مع نفسه على ان المانيا الفيدرالية بسبب موقعها الجغرافي لا زالت معرضة للتهديد .

فلو حدث في المستقبــل في جمهوريــة المانيــا الديمقراطية او تشيكوسلوفاكيا قلاقل او حــروب

اهلية فسوف يستطيع البريطانيون او الايطاليون النظر الى مثل هذه الامور بهدوء بينما المانيا الفيدرالية ستكون في موقع مغاير تماما لذلك (هكذا قالت زود دويتش تسايتنج بتاريخ ١١/٣/ ١٩٧٣) وقبل اي شيء فان المانيا الفيدرالية مطالبة بتعميق العلاقات الجيدة مع الولايات المتحدة الامريكية بسبب برلين . وقد عبرت عن ذلك صحيفة زود دويتش تسايتنج بتاريخ ١٩٧٣/١١/٣ بقولها : في حالة حدوث توتر او سوء في العلاقات الدولية فان الابتزاز يصبح ممكنا بدون ضمانة الولايات المتحدة الامريكية .

الا ان صحيفة فرانكفورتر الجيمايني تسايتنج قالت بخصوص تواجد القوات الامريكية في المانيا الفيدرالية : « من الطبيعي بان الثمن الذي تريده أمريكا من حلفائها هو ثمن باهظ جدا » .

ان الصحافة الالمانية باستثناء صحافة المعارضة انتقدت بشدة موقف الولايات المتحدة الامريكية تجاه رغبة المانيا الفيدرالية بالبقاء على الحياد في حرب الشرق الاوسط .

ان الامريكيين يتصرفون كما وانه لا يوجد حلف مع المانيا الفيدرالية (زود دويتش تسايتنج بتاريخ ١٩٧٣/١١/٣) .

ان سجل الاتهامات طويل ... فمنذ سنوات وواشنطن ترفض التعاون في ازمة النقد العالمية ... وقد حاولت امريكا بكل الطرق تدمير السوق الاوروبية المشتركة لكي تستطيع ايجاد اسواق اوروبية اوسع لفائض انتاجها الزراعي وتطالب السوق الاوروبية المشتركة بالغاء التسهيلات التي حصلت عليها المستعمرات الفرنسية والبريطانية السابقة في افريقيا (زود دويتش تسايتنج ١١/٣/ ١٩٧٣) .

وعندما نظم الامريكيون شحن السلاح من اراضي المانيا الفيدرالية لاسرائيل بدون اعلام الحكومة الالمانية بذلك واضطلاع حلفائها بحالة الاستنفار القصوى في قواتها العسكرية وذلك بعد ٧ ساعات من بدئه اطلقت موجات ضخمة من الاستنكار في المانيا الفيدرالية .

« ان امريكا لا تستطيع الاستمرار بوضع حلفائها الرئيسيين امام الحقائق الواقعة (فرانكفورتر الجيمايني تسايتنج بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٣٠) .

« ان الجميع متفقون على ان دعائم حلف الاطلنطي قد اهتزت » وبعض الاوساط تجد ان من الخير حصول هذا الان وليس في المستقبل . ولقد تعلم الاوروبيون درسا اذ يجب عليهم تقوية السوق الاوروبية المشتركة في المستقبل وبشكل خاص في مسائل السياسة الخارجية .

ومن هنا يمكن فهم رد الفعل القوي في جميع الاوساط الالمانية الغربية ضد بيان دول السوق الاوروبية المشتركة بخصوص الحرب في الشرق الاوسط . ويقيم هذا البيان بانه استسلام امام ضغط دول النفط العربية وتشجيع للعرب باستخدام النفط كوسيلة للضغط في المستقبل .

ولقد تعرض بيان جماعة السوق المشتركة للنقد ليس فقط من اوساط المعارضة بل ايضا من اوساط الحزب الديمقراطي الاشتراكي . فلقد عبر عضو البرلمان والعضو في الحزب الديمقراطي الاشتراكي هلموت زيجلر شميدت بانه « مندهش للغاية » نتيجة لهذا البيان وسوف يمنع ذلك اسرائيل من ان تعيش بسلام في المستقبل . وقد سمى ارنس نائب الحزب الديمقراطي الاشتراكي في البرلمان هذا البيان بانه « مثال مخيب للامال على سياسة الطاقة الاوروبية » .

وقد دافع المستشار برانت عن بيان دول السوق الاوروبية المشتركة في البرلمان يوم ٧٣/١١/٩ الا انه تراجع بعض الخطوات امام هجمة المعارضة بسبب موقف المانيا الفيدرالية من اسرائيل .

اما فيما يتعلق باسرائيل فقد قال برانت : يجب عدم الخلط بين عدم اتخاذ موقف ما وبين الحياد ان جوهر العلاقات بين المانيا الفيدرالية واسرائيل لم يمس ولم يتأثر . فبالنسبة لالمانيا الفيدرالية « لا يوجد هناك ما يمكن تسميته بحياد القلوب او الضمائر » . وتوجهه للعرب بقوله : بانه من خلال التهديد والابتزاز يؤثر الانسان بعض الشيء لبعض الوقت ، الا انه لا يستطيع بذلك كسب الاصدقاء (زود دويتش تسايتنج بتاريخ ١٠ — ١١/ ٧٣/١١) . وباختصار يمكن القول بان الرأي العام الالماني الغربي قد انفصل عن دعم اسرائيل بشكل او باخر واكتشف مصالحه الاقتصادية في العالم العربي .

الا انهم لا يزالون بعيدين عن التوقف عن دعم اسرائيل بشكل نهائي ولن يفعلوا ذلك طالما ان

اسرائيل قادرة على حماية نفسها والمحافظة على وجودها .

ويستطيع المرء ان يرى من التقارير الصحفية اثناء الحرب وبشكل خاص في الايام الاولى للحرب حيث حقق العرب انتصارات عسكرية واثبتوا بانهم قادرون على استخدام الاسلحة الحربية المتطورة، يستطيع ان يرى ان الاوساط التي دعمت اسرائيل بدون قيد ولا شرط ابتدأت تتساءل عما اذا كانت اسرائيل اليوم هي اسرائيل الامس وظهرت في هذه الاوساط انتقادات وتساؤلات عن طبيعة النظام والمجتمع الاسرائيلي . وعندما اظهرت اسرائيل قدرتها على التصدي تضاءلت هذه الانتقادات واختفت التساؤلات وظهر الانتقاد لسياسة الحكومة ذلك الذي لم يظهر في ايام الحرب الاولى . الا انه يجدر هنا القول بان الدعم المعنوي لاسرائيل اليوم لا يعادل مثيله ابان حرب عام ١٩٦٧ . وبالرغم من ان بيان دول السوق الاوروبية المشتركة جاء متفقا ومصالحها الاقتصادية فقد جنبها التعرض لمقاطعة دول النفط العربية ، الا ان هذا البيان قد تعرض لانتقاد شديد لعدة اسباب :

١) انه يعرض التحالف مع الولايات المتحدة الامريكية للاهتزاز .

٢) انه يعطي الدول العربية الفرصة في المستقبل للضغط والابتزاز السياسي .

٣) لقدرة اسرائيل على التصدي مما لا يدع مجالا لتهديد مصالح هذه الدول في المنطقة العربية.

ان المبادرة التي ظهرت في اوساط الرأي العام في المانيا الفيدرالية للتخلص من التبعية لامريكا هي تقوية السوق الاوروبية المشتركة مما يقوي مركزها ويضع حدا لخلافها مع الولايات المتحدة الامريكية .

فمن الناحية الاقتصادية تطورت اوروبا الى ند للولايات المتحدة الامريكية . فعندما تنمو السوق الاوروبية المشتركة وتنظم تجارتها الخارجية بشكل مركزي فسوف تجد الولايات المتحدة الامريكية نفسها امام كتلة اقتصادية يبلغ عدد سكانها ٢٧٠ مليون نسمة ذات دخل قومي يصل الى ٧٠٠ مليار دولار سنويا وتملك اكثر من نصف احتياطي العالم من الذهب بالاضافة الى ٦٠ مليار دولار احتياطي عملة .

هذه القوة الهائلة والتي تفوق قوة الكتلة الشرقية سوف تمنع ما يخشاه بعض الاوروبيين من تحيد اوروبا او تحويلها الى فنلندا جديدة (زود دويتش تسايتنج بتاريخ ٣ — ٧٣/١١/٤).

لقد أثبتت حرب الشرق الاوسط ان التحالف بين القوى الامبريالية ليس شيئا ثابتا بل انه محكوم بقانون التناقض فقد ظهر هذا جليا في تناقض المصالح الاقتصادية بين اوروبا والولايات المتحدة الامريكية .

فلقد كانت الحرب الرابعة والتي حققت سياسة نفطية عربية موحدة هي التي اطلقت التناقض بين اوروبا والولايات المتحدة الامريكية .

وبهذا سنخلص الى القول بان اي تغيير قد يطرأ على الوضع العالمي بشكل عام وعلى علاقات القوى الامبريالية بشكل خاص محكوم بقانون القوى الذاتية للدول والشعوب المضطهدة والمستغلة .

فبالقدر الذي تستطيع هذه الشعوب والدول ان تحققه من انتصارات على الصعيد الذاتي وتظهر من القوة ما يكفي لان تطلق التناقض بين القوى الامبريالية والرجعية تكون قد ادارت عجلة الزمن في الاتجاه التاريخي الصحيح .

فلولا ان حقق العرب بعض التقدم لما طرأ هناك اي تغيير على الواقع العالمي حيث خلقت الحرب الاخيرة معطيات جديدة لا يمكن تجاهلها او التقليل في شأنها .

ان القوى الامبريالية لا تجد ما يحركها لتغير مواقعها الا القوى الشعبية المقاتلة والقادرة على تحقيق النصر .

فاطمة ابو القاسم

[٣]

الاتحاد السوفياتي والعرب والوفاق الدولي

ان سياسة الوفاق الدولي التي يبدو ان تسوية أزمة الشرق الاوسط تتم في ظلها ، ليست جديدة بل هي استمرار وتصعيد لسياسة التعايش السلمي التي بدأها الاتحاد السوفياتي منـــذ المؤتمـــر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي الذي أقر هذه السياسة لابعاد شبح الحرب النووية الذي كان يخيم على العالم . وبالرغم من هذه السياسة التي حكمت علاقات السوفييت مع العالم الرأسمالي فلقد شهد العالمجملة من التغييرات والمعاركالمحلية الساخنة وكان للاتحاد السوفييتي دوره الطليعي في مساندة هذه التغيرات . علما بان السوفييت لم يكونوا في أي وقت منالاوقات بديلا للحركات الثورية في القيام بمهماتها الوطنية . فقد كانت المساندة مشروطة بتوفر القدرة الذاتية لدى هذه الحركات للقيام بالمهام المطلوبة منها . والى جانب ذلك تدم الاتحاد السوفياتي المساعدات ، على اختلاف انواعها للدول ذات التوجهات التقدميـــة انسجاما مع سياسته التي أعلنها في أكثر من وقت الا وهي بناء اقتصاد هذه الدول لتعزيز صمودها السياسي وترسيخ مواقعها التقدمية .

وبالرغم من ان الموقف السوفييتي كان محكوما بشكل عام بهذا الاتجاه المبدئي ، فان الكثير من الهمس كان يدور حول السياسة الدولية التي اختطها الاتحاد السوفييتي لنفسه في محاولـــة مشبوهة للاساءة لموقف السوفييت من خلال تحميله مسئولية الفشل الذي قد يلحق بالحركة الثوريـــة في أي منطقة من العالم ومن المنطقة العربية .

ان الوفاق هو وفاق بين متناقضين وليـــس بين متضادين او حليفين والتناقض هو تنـــاقض في المواقف السياسية والمصالح الحيوية ، وهكذا فان الطابع السلمي لتناقضهما لا يمكن ان يلغي مـــن طابع الصراع في علاقتهما . وهذا ما عبر عنه هنري كيسنجر حين قال « ان الانفراج في العلاقات وخصوصا بين امريكا وروسيا لا يزيل المصلحـــة المتضاربة ولا يمنع الاصطدامات العرضية » (النهار ١٩٧٣/١١/١٤) .

ان المواثيق التي تعقدها الامبريالية لا تلغي طابعها العدواني وحرصها على تقليم أظافر المعسكر الاشتراكي وتنشيط التناقضات داخل صفوفه في محاولة منها لاضعافه ومن ثم للانقضاض عليه ، ادراكا منها للخطر التاريخي الذي يمثله عليها وعلى مصالحها . قد لا يكون المعسكر الاشـــتراكي مستهدفا مباشرة في هذه المرحلة ولكن مطـــاردة نفوذه في جميع مناطق العالم هي الخطوة المنطقية الاولى لكي تتمكن الامبريالية من الانتقال الى مرحلة الهجوم الذي يستهدفه مباشرة بعد ان تكون أظافره وامتداداته قد قلمت .

ولهذا كانت الامبريالية الامريكية تعتبر التواجد السوفييتي في مصر وسوريا قضيتها الاساسية التي تقرر اسلوب تعاملها مع ازمة الشرق الاوســط الى درجة ان نكسون اعتبر المهمة الرئيسيـــة لحكومته ، في البيان الذي وجهه الى الامة في مطلع العام ١٩٧٢ انهاء الوجود السوفياتي في مصر .

وبالمقابل فان الاتحاد السوفييتي يعي مصالحه المباشرة ويعي درجة الخطر الذي تمثله امريكا ومخططاتها عليه . فالتعايش من أجل الصراع هو القانون الذي يحكم علاقته بأمريكا وحلفائها . كما وان أمنه مرتبط مباشرة بحزام الاصدقاء الذي يحيط به وكذلك بحجم علاقاته وتحالفاته . وحتى بالمقياس الضيق ، فان أمن الاتحاد السوفييتي مرتبط بالمحافظة على مصالحه الحيوية ، هـــذه المصالح التي تتأثر سلبا وايجابا ، بدائرة نفوذه سواء في المجالات الاقتصادية او السياسية او الفكرية .

من المهم جـــدا الاشـــارة الى ان الاتحـــاد السوفييتي ، وهو يقيم علاقة وفاقية مع امريكا ، فانه يقيمها من موقع متوازن مع الموقف الامريكي وليس من موقع ضعف ، فتوازن القوى هو الذي فرض سياسة الوفاق والتعايش السلمي ، كما صرح بذلك الماريشال اندريه غريشكو وزير الدفاع السوفييتي في الكلمة التي القاها بالذكرى السادسة والخمسين لثورة اكتوبر ، اذ قال « لقد تم التوصل الى نجاحات في مجال تخفيف حدة التوتر الـــدولي وذلك بفضل وازدياد جبروت الاتحاد السوفييتي اقتصاديا ودفاعيا وبفضل تأثيره الدولي » (النهار ١٩٧٣/١١/٨) . وعندما تقوم سياسة الوفـــاق في ضوء توازن القوى ، فليس هنالك ما يفرض

على أي من الجبارين التنازل عن مواقعه لصالح الفريق الاخر ، فالوفاق هو مصلحة سوفييتية بقدر ما هو مصلحة امريكية . والحديث عن القمح الامريكي لا بد ان يستكمل ليصل الى غاز سيبيريا وحاجة امريكا له في ظل حاجتها المتزايدة لمصادر الطاقة .

ان سياسة الوفاق الدولي ، والتي تتم من موقع متوازن ، تمنح القدرة نفسها من الضغط لكلا الطرفين ، وكذلك القدرة نفسها على الصمود. هذا يعني ان من المستبعد مثلا ان يتنازل الاتحاد السوفييتي طواعية او ببساطة عن أي من مواقع نفوذه لصالح سياسة الوفاق الدولي مع امريكا لانه بهذا يعرض بعض مقومات أمنه المباشر للخلل. لان أي تنازل يعني تلقائيا اخلالا بميزان القوى بين الطرفين بحيث لا تعود العلاقة علاقة وفاق وتوازن بل تصبح العلاقة علاقة املاء شروط بين قوي وضعيف .

واذا كانت امريكا تدعم اسرائيل لمصلحة امريكية ، فان السوفييت لا بد وان يدعموا حلفاءهم العرب سواء من موقف مبدئي او انطلاقا من حرصهم على مصالحهم الحيوية . لكن توقعنا للدعم السوفييتي يجب ان يبقى في اطار تقديرنا لكل الظروف الدولية التي تحيط به والتزاماته كدولة كبرى . فهو لم يتخذ مثلا موقفا مبدئيا معلنا من مسألة وجود او عدم وجود اسرائيل كما انه لم يعلن الحرب على اسرائيل !!!!. لكن عدم اتخاذه موقفا سياسيا بهذا الصدد لا يحدد بالضرورة درجة عطائه باعتبار ان الموقف السوفييتي لا يحدد من خلال التصريحات السياسية فحسب بل من خلال مقدار عطائه المادي ايضا الذي يمكن ان يساهم في خلق حقائق مادية يمكن ان تكون مقدمات لمرحلة جديدة وبالتالي لحقائق مادية جديدة . باعتبار ان الحقائق السياسية تتداعى من تلقاء نفسها اذا وضعنا لها مقدماتها المادية الصحيحة .

ان تنمية العامل الذاتي العربي ليكون قادرا على الاستفادة الكاملة من العطاء السوفييتي هو الذي يمكننا من ان نصل الى مرحلة جديدة نستطيع عندها ان نطالب السوفييت بموقف سياسي من مستوى جديد . فالاتحاد السوفييتي ، وهو يطالب بازالة آثار العدوان بكافة الاشكال بما فيها الاسلوب المسلح ، ويقدم الامكانات العسكرية والسياسية المطلوبة وخصوصا شبكة الدفاع عن العمق العربي ، انما كان يفتح الطريق امام العرب لتحقيق انتصار جزئي ، انتصار يجب ان لا يرى بشكله الميكانيكي بل بشكله الجدلي وانعكاسات هذا الانتصار على جملة الاوضاع في المنطقة ومنها اسرائيل الذي سيحولها الى موقع الدفاع .

ان هذا الموقف السوفييتي ينسجم مع القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ولا تجعله يخل بالتزاماته الدولية كدولة كبرى . كما وان تحويل اسرائيل الى موقع الدفاع سيعني بالضرورة ان العرب ، وبالتالي السوفييت لا بد وان ينتقلوا الى موقع الهجوم سياسيا ولسوف يمكنهم من طرح مهام جديدة في ظل آفاق سياسية جديدة .

ان تصعيد العامل الذاتي للوصول الى هذا الوضع عسكريا وسياسيا ، سيجعل اسرائيل مجبرة على تنفيذ قرارات صادرة عن الامم المتحدة عفا عليها الزمن حسب تعبير قادة اسرائيل . وسيكون السوفييت وفي ظل سياسة الوفاق الدولي ، وفي ظل حرصهم على قرارات الامم المتحدة ، سيكون بامكانهم ، في ظل كل هذا فتح الدفاتر القديمة للامم المتحدة وسيبعثون مثلا قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ .

ان الرؤية الاستراتيجية مهمة . ولكن الاهم هو تحديد المهام المرحلية التي تمكننا من ايجاد ارضية مشتركة مع الاصدقاء والحلفاء . وبالرغم من ان السوفييت ليسوا معنيين بقضية التحرير ولكنهم بالتأكيد معنيون مباشرة بأي واقع موضوعي جديد نخلقه .

حسين ابو النمل

[٤]
سياسة اسرائيل في افريقيا وحصادها في حرب تشرين

اولا : « الدعائم » الاساسية لسياسة اسرائيل في افريقيا :

تقوم سياسة اسرائيل في افريقيا على ثلاث فرضيات أساسية :

١) ان اسرائيل دولة ديمقراطية ، صغيرة ، **تنتمي الى العالم الثالث** بمشاكله وطموحاته .

٢) ان اسرائيل **معنية** بالمساهمة **في تنمية اقتصاديات افريقيا** و« تقدمها » بسبب تجربتها وتطورها الاقتصادي .

٣) **تشارك** اسرائيل الافريقيين معاناتهم العنصرية ، لان الاسرائيليين عانوا من التفرقة الدينية . اضافة الى الزعم القائل بأن الافريقيين يواجهون الاستعمار كما « واجه » الاسرائيليون الاستعمار البريطاني في فلسطين .

هذه الفرضيات الثلاث التي شيدت عليها السياسة الاسرائيلية في افريقيا قد شكلت الارضية التي تحركت عليها اسرائيل . وابتدأت وتبلورت بموجبها العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية .

في أوائل الستينات ومع بداية النشاط الاسرائيلي المكثف في افريقيا ، تحدثت مئير وزيرة الخارجية انذاك الى الافريقيين عن هذه الفرضيات والادعاءات بالقول «نحن دولة صغيرة ، ديمقراطية ليست لنا اية **تطلعات توسعية** . دولة حديثة تواجه بشكل مستمر بمشاكل من نوع مشاكلكم . لقد توفرت لنا تجربة اصلية من مجال التطور الاقتصادي **وكرواد** لذلك تفيد الدول الحديثة من تجربتنا » .

أما ابا ايبن فقد تحدث في حشد من الافريقيين عن مشاركة الاسرائيليين للافريقيين معاناتهم بالقول « ان اسرائيل دولة اقامها اناس **عانوا** من التفرقة الدينية كما عانى غيرهم من التفرقة بسبب اللون » .

على هذه الدعائم ارسيت سياسة اسرائيل في افريقيا وتحددت اهدافها .

ثانيا : الاهداف المباشرة وغير المباشرة لاسرائيل في افريقيا :

١) توكيد وجود الكيان الاسرائيلي ، وكسر الحصار والرفض الذي فرضه الموقف العربي تجاه اسرائيل ، لتوظيف العلاقات الافريقية في النهاية **لفرض الامر الواقع** على العرب . وكما اوضح ايبن في جولته الافريقية « ان الوضع الطبيعي بالنسبة لاسرائيل هو الانسجام الاقليمي. (Regional Harmony) ولكن اذا تعذر ذلك فستعمل على زرع الطعم الاسرائيلي في مئات العواصم . وتعمل على خلق وجود دولي لاسرائيل يمتد عبر جميع القارات وبذلك يمكن تطويق الحصار العربي » .

٢) **المصالح الاقتصادية** لدولة ذات اقتصاد **متطور** في علاقاتها مع دول ذات اقتصاد **متخلف** .

٣) **الاهداف الاستراتيجية** العسكرية خاصة في شرق افريقيا ، بالنسبة لامن اسرائيل (اثيوبيا ، كينيا ، تنزانيا ، اوغندا) وكونها تشكل « ظهر » المنطقة العربية ، والتي ازدادت اهميتها بشكل خاص بعد عدوان عام ١٩٦٧ واغلاق قناة السويس .

والى جانب هذه الاهداف فان سياسة اسرائيل تتخذ لها اهدافا ومهمات غير مباشرة . وبسبب من الطبيعة الخاصة لهذه المهام غير المباشرة فانها تتخذ شكل مهمات اسرائيلية امريكية مشتركة وهي:

١) الابقاء على المصالح الامبريالية الامريكية خاصة وتنميتها واستمرارها ، عن طريق القيام بدور الوسيط الاقتصادي للاستثمارات الامريكية والالمانية الغربية الجديدة .

٢) مواجهة حركة التحرر الوطني الافريقية **والتصدي** لاحتمالات التمردات والانفجارات السياسية التي تستهدف تصفية المواقع الاقتصادية والسياسية الامبريالية .

هذه الاهداف والمهمات المباشرة وغير المباشرة يحددها الاسرائيليون بوضوح .

ـ لقد تحدث عاموس بن غرير عن برنامج المعونة الفنية الافريقية مؤكدا « بان هذه الروابط ـ اي روابط التعاون مع افريقيا ـ انما هي المرتكز الرئيسي لاسرائيل مع العالم الخارجي ،

ما وراء وفوق السور العدائي الذي اقامه العرب حولها ، هذه الروابط هي الطريق غير المباشر الى السلام بالنسبة لاسرائيل » .

وتأكيدا لهذا المعنى فان اسرائيل قد حرصت في ان تضمن البيانات المشتركة مع دول افريقيا صيغا تنص على « رفض المنازعات » بين الدول وحلها « بالطرق السلمية » وتهدف من ذلك الى توكيد « كيانها » « كدولة » وتحويل مشكلة وجودها وعدمه الى مشكلة « نزاع » مع العرب يمكن حسمه بالطرق السلمية وبالطبع فهي « داعية سلام دائم » . هذه الصورة لتوكيد الكيان ، وملاءمة هدف الدخول الى افريقيا .

ـ اما هدف العلاقات الاقتصادية والمساهمة في التنمية فان مردخاي كرتين في هارتس يحدده بوضوح في بداية العلاقات مع افريقيا بالقول « يؤمل في الامد البعيد ان تمهد المساعدات الفنية الاسرائيلية الطريق لتوسيع الاسواق للصادرات الاسرائيلية » وهذا المعنى سيتأكد لاحقا .

ـ ولقد ازدادت اهمية الاهداف الاستراتيجية في شرق افريقيا الاقتصادية والعسكرية بعد اقفال قناة السويس بعد حرب حزيران ٦٧ . والى جانب الاهمية العسكرية بعد توسع الاحتلال الاسرائيلي، فان الطريق البري بين اسرائيل والبحر الاحمر تضاعفت اهميته التجارية ، ذلك بما يوفره لبلدان افريقيا من تكاليف النقل تصل الى ١٥٪ بدلا من طريق رأس الرجاء الصالح .

ـ وفي تحديد العلاقة بين الاهداف الاسرائيلية والاميركية المشتركة في افريقيا للاستثمارات والمعونات الاقتصادية ودور اسرائيل الخاص فيها يؤكد سافرات بانها « تخدم الاغراض والغايات ذاتها التي تتوخاها الحكومة الاميركية دون اثارة المخاوف الوطنية الافريقية » وكما يوضح ارنولد دينكين دور اسرائيل بتحديد اكثر « ان دور اسرائيل كقوة ثالثة يمكن ان يتوى عن طريق استخدام وهمي لتقنية البلد الثالث » وكذلك ما يؤكده عن الدور الوسيط لاسرائيل » ان دولة من العالم الحر تريد ان توسع مساعدتها لافريقيا بامكانها ان تمرر جزءا من هذه المساعدات من خلال اسرائيل وذلك بسبب المواصفات الخاصة التي ظهر تقبلها من الدول الافريقية (محمد نعمان كنفاني شؤون فلسطينية عدد ١٨) . نيويورك تايمز ايضا توضح هذا الدور بالقول (تعتبر اسرائيل من اهم الدعائم التي يستند عليها الاقتصاد الغربي من احكام سيطرته على الدول الافريقية التي نالت استقلالها حديثا وثبتت مواقعه السياسية والاقتصادية) (حول زيارة اشكول لافريقيا) .

ان الاهداف المباشرة وغير المباشرة لسياسة اسرائيل الافريقية يتوقف انجازها على حقيقة « الدعائم » او الفرضيات الاساسية المعلنة والاشكال التطبيقية التي عبرت عنها في مسيرة العلاقات الاسرائيلية ــ الافريقية .

الفرضية الاولى : اسرائيل دولة ديمقراطية ، تنتمي الى العالم الثالث : لقد كان لموقف الدول الاسيوية الكبرى من قيام اسرائيل والسياسة العملية لها في افريقيا كفيلان بالغاء هذا الادعاء وانهيار جميع الاهداف المترتبة على الفرضية .

لقد كان رفض الدول الاسيوية الكبرى (الهند وباكستان) الموافقة على قرار التقسيم ، وعدم اعترافهما مطلقا بالكيان الاسرائيلي ، وموقف الصين قبل عضوية الامم المتحدة وبعدها الرافض للكيان الاسرائيلي . كان هذا هو الرد الاسيوي الاول على ادعاء الانتماء للعالم الثالث . وكان الفعل الاسرائيلي المتمثل بالانضمام الى الدول الغربية منذ الحرب الكورية عام ١٩٥٠ . واقتراح بن غوريون على بريطانيا وفرنسا التوقيع على معاهدة عسكرية عام ١٩٥١ . واستعداد اسرائيل للموافقة على قيام قواعد عسكرية في اراضيها . هذا الفعل الاسرائيلي ساهم في مزيد من حساسية العالم الثالث تجاهها وادى الى استبعادها عن مؤتمر باندونغ الشهير عام ١٩٥٥ . والذي وضع الاسس المشتركة للمصالح والمشاكل المشتركة وعين الحدود الدنيا للعلاقات الكفاحية بين دول العالم الثالث (شؤون فلسطينية عدد ١٨) .

اما كونها دولة ديمقراطية صغيرة فقد اثبت عدوان حزيران ٦٧ وما ترتب عليه من ارتباط اسرائيلي وثيق بالولايات المتحدة واستراتيجيتها في المنطقة . وما ترتب عليه من تزايد عدوانها واعتداءاتها على الدول العربية ، زيف ذلك الادعاء .

لقد كان موقف العالم الثالث من مؤتمر باندونغ، وارتباط اسرائيل الوثيق بالولايات المتحدةوالمعسكر الغربي قد عين بشكل واضح المعسكر الذي تنتمي

اليه فعلا من العالم ، وطبيعة ذلك الانتماء ومـا يترتب عليه . ما يجعل اسرائيل معادية لاهـداف وطموحات دول وشعوب العالم الثالث . كما هو المعسكر الذي تنتمي اليه معاديا لها .

لكن هذه الحقيقة لم تمنع اسرائيل من اقـامة علاقات واسعة مع دول افريقيا ، الا انها لا تعني تغيير طبيعتها او ان تلغي انتماءها الحقيقي ، بل ان اسرائيل جهدت فحسب على **اخفاء** التناقضات **الحقيقية** العميقة **مؤقتا** بين أهدافها ومصالحهـا وأهداف ومصالح شعوب افريقيا . تلك التناقضات التي انفجرت مدوية بعد ايار ٧٢ بين اوغنـدة واسرائيل واخذت مداها الابعد بعد حرب تشرين ١٩٧٣ .

لقد حـاول الياهـو سلفطر خبـير الشؤون الاقتصادية في هآرتس تفسير الاخفاق الاسرائيلي في افريقيا واستخلاص الدروس منه « بان علـى اسرائيل منح مساعـدات اكثر فاكثر **بواسطـة** منظمـات دولية مختلفـة تعرض على اسرائيـل اقتراحات لتحويل المساعدات عن طريقها **بدلا** من **اعطائها** مباشرة » وهذا الكـلام يؤكد تماما ان اسرائيل اصبحت **غير مقبولة** كدولة من دول العالم الثالث ، بل هي في **عداد الدول الاستعماريـة** . وهذا المعنى يؤكـده ان دور اسرائيل **الوسيـط لادخال** الرأسمـال الغربي الى افريقيا وحمايـة المصالح الاستعمارية الاستثمارية اصبح مفضوحا ايضا مما ادى الى اقتراح الخبير الاقتصادي بأن تأخذ دور **الوسيط غـير المباشر** الطرف الرابـع لدخول المصالح الامبريالية . وهذا ما يجعلها تقف بالضبط من المواقع الاستعمارية نفسها .

الفرضية الثانية : وهي « مساهمة اسرائيـل في التنمية الاقتصادية الوطنية » هذه الفرضيـة يمكن معرفة حقيقتها من تفحص طبيعة الانظمـة الافريقية ، ومتطلبات التنمية الوطنية **وشروطهـا الاساسية** ، **والشكل** الذي اتخذته المساهمـات الاسرائيليـة ودرجـة ارتباطهـا بالاستثمـارات والمساعدات الغربية .

ان طبيعة انظمة الحكم التي عينتها اشكـال الاستقلال في غالبية الدول الافريقيـة المستقلة في الستينات لم تمكنها من فصم الحلقات الاقتصادية والسياسيـة بالسوق الرأسمالية الا في حـدود ضيقة ، ودرجات مختلفة من بلد الى اخر . وبشكل عام فان الكيانـات « المستقلة » لم تكن تملـك المقومات المادية للاستقلال الناجز . بالمقابل فـان التنمية الوطنية لتطوير وتنمية القطاع الزراعـي والتصدي لمهمة التصنيع الثقيل تتطلب تكوينـا ابتدائيا لرأس المال وتخطيطا شاملا لموارد البلاد وسيطرة كلية عليها . وهذا لا يمكن تحقيقـه الا بوجود قيادة وطنية تقدمية قادرة على فصم **جميع الحلقـات** التي تربـط البلد الافريقي **بالاقتصـاد** الرأسمالي ، وتحقق استقلالا سياسيا واقتصاديا وعسكريا . وهذا يعني ان جميـع المساعـدات والقروض الافريقيـة لا يمكـن ان تتناسب مـع **متطلبات** التنمية الوطنية من حيث **ضآلتها** ، بسبب من معاناة اسرائيل من العجز الدائم من مواردها من جهة ، وعدم وجود الارضية الائتمانية من جهـة اخرى . وكما يقول الخبير الاقتصادي في الشؤون الافريقية سلفطر « اننا نصرف على تلك المساعدات الافريقية ٣٠ مليون ليرة اسرائيلية سنويا فقـط (هآرتس) او ما يساوي ٥ بالالف (٠٠٥٪) من المعونات الخـارجية لافريقيا . بينمـا بلغـت الاستثمارات الغربية ٢٠٠٠ر٠٠٠ مليون دولار منهـا ١٦٠٠٠ر١٦ مليون دولار بريطانية وفرنسية وبلجيكية. والمساعدات والاستثمارات الاميركية بلغت لوحدها ٣٥٠ مليون دولار في السنة . ووصلت عـام ٦٨ مليار دولار وبمعدل ارتفـاع سنوي ١٤٪ .

اما الاشكال التي اتخذتها المساعدات والقروض الاسرائيلية كوسيطة للغرب كما اكد سلفطر فهي تعين حقيقة مساهمتها في التنمية واي نمط منها .

لقد اتخذت المساعدات والاستثمارات مجالات تدعيم اجهزة الدول الادارية ومؤسساتها العسكرية خاصة اجهزة الامن والاستخبـارات ، وتنظيـم وتدريب فرق حرب العصابات المضادة كمـا في اثيوبيا . حيث اتخذت العلاقات العسكرية مستوى استثنائيا مكن اسرائيل من الاشراف على تنظيـم وتسليح الجيش الاثيوبي ، وهذه **المهمة** تتعلـق باهتمام اسرائيل في مداخل البحر الاحمر كهـدف استراتيجي .

اما الاستثمارات الاقتصادية الاخرى فقد تمثلت في الاستفادة من تشغيل الايدي الفنية الاسرائيلية الفائضة عن حاجتها . لقد استطاعت الشركـات الاسرائيلية الخاصة ، والمشتركة مع الشركـات الافريقيـة العاملة في القارة العمـل في مختلـف النشاطات ، وتمكنت من السيطرة بشكل فعـال

على عدة مجالات ابرزها امور التجارة الخارجية. وبالنتيجة كانت النشاطات الاقتصادية الرئيسية تتركز في الحصول على المواد الاولية الرخيصة ، واغراق السوق الافريقية بالسلع الصناعية الاسرائيلية .

لقد وجدت اسرائيل في الارضية السياسية والاقتصادية تربة خصبة لاستثماراتها التي تسميها استثمارات ومساعدات « للتنمية الوطنية » تتمثل في : الاستقلال الناقص . تخلف عشرات السنين في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، نقص في الكادر الفني مقابل احتياطي الفحم الذي يكفي لثلاثمائة عام . ٤٠٪ من القوى المائية من العام ، ٥٣ معدن من أهم المعادن الاساسية . النشاط الزراعي في القارة مورد اساسي لدخلها القومي وفي غالبيتها يصل الى ٧٠٪ ويعمل في القطاع الزراعي اكثر من ٩٠٪ من القوى العاملة كما في اوغندة .

هذه الخارطة الاقتصادية هي الارضيةالنموذجية للاستثمارات والمساعدات الاسرائيلية — الامريكية. في عام ٦٨ كان لاسرائيل علاقات مع ٣٠ دولة افريقية تنظمها اتفاقات للتعاون الاقتصادي والفني ومن اصل ٦٥ دولة نامية تستفيد من البرنامج الاسرائيلي للتعاون الدولي .

لقد كان الميزان التجاري بين اسرائيل ودول افريقيا المرتبطة بعلاقات معها كالتالي بملايين الدولارات :

عـام	صادرات اسرائيل	وارداتها من افريقيا
١٩٦٣	١١ر١٣	٢٤ر٢١
١٩٧١	٩٣ر٤٧	٢٢ر٢٥

هذا الميزان التجاري يشير الى :

١) ارتفعت صادرات اسرائيل من السلع الصناعية بنسبة تقارب ٣٠٠٪ . بينما لم ترتفع وارداتها من القارة الا بنسبة ٢٠٪ فقط .

٢) عدم ارتفاع نسبة وارداتها يشير الى انخفاض اسعار المواد الاولية باستمرار ، وكما يقول خبراء الاقتصاد ان افريقيا تحاول زيادة تصدير موادها الاولية للمحافظة على الميزان التجاري في حدود معينة . بمعنى ان ارتفاع الواردات لا يعكس عدم ارتفاع مواد التصدير لاسرائيل .

٣) الميزان التجاري سجل عام ٦٣ **فيضا** لصالح **افريقيا بمقدار ٧ ملايين دولار** فيما سجل **عجزا بالنسبة لافريقيا وفيضا لاسرائيل** عام ٧١ بمقدار **٢٣ مليون دولار** .

« **الفرضية » او الادعاء الثالث** : « مشاركة اسرائيل لافريقيا الاضطهاد ومعاناة التفرقة العنصرية » .

نجد في تطور العلاقات الاسرائيلية مع جنوب افريقيا (قاعدة العنصرية في افريقيا) جوابا على هذا الادعاء : **من التعاون** الاقتصادي ، الى **التكامل** الذي يتخذ شكل انتاج مدافع رشاشة حسب مواصفات الرشاش الاسرائيلي **الى نقل الخبرة العسكرية** لحربي عام ٥٦ و ٦٧ . وتدريسها في الكلية العسكرية من جنوب افريقيا **والامتناع** (الاسرائيلي) **عن التصويت في** قضايا التمييز العنصري .

مما تقدم يتأكد ان الفرضيات او « الادعاءات » الثلاث التي تنظم العلاقات الاسرائيلية الافريقية قد اتخذت من التطبيق العملي الشكل التالي :

١ — اسرائيل دولة **تنتمي الى العالم الراسمالي** وسياسته واهدافه ومصالحه تجاه افريقيا ... وليس الى العالم الثالث ومشاكله وطموحاته .

٢ — برامج الانماء والمساهمة في « التنمية الوطنية » مقابل الحصول على **مواد اولية** رخيصة **وسوق واسعة** للبضائع الاسرائيلية ، **واختلال** متزايد في **الميزان التجاري** لصالح اسرائيل . اضافة الى المساهمة في بناء القوات المسلحة والاجهزة القمعية لخدمة الطبقات المعادية للتقدم .

٣ — **اوثق العلاقات مع الانظمة العنصرية** خاصة جنوب افريقيا . وتأييد للسياسة العنصرية، او صمت او امتناع عن التصويت ضدها في الامم المتحدة .

هذه النتائج التي تؤكد انهيار الدعائم الفرضية تماما دفعت الاهداف الاسرائيلية بسرعة نحو **الارتباط** الكامل بالسياسة الامبريالية — الامريكية خاصة ، في افريقيا . وبالتالي **مواجهة متطلبات** ذلك الارتباط ، وبالتالي ما يجعل المصالحوالاهداف الاسرائيلية مرتبطة بالمصير النهائي للسياسة الامبريالية في القارة . وباختصار : تكون الفرضيات بالنتيجة :

ارتباط بالاستعمار + علامة استقلالية مع

افريقيا + تأييد للتفرقة العنصرية . وهذا ما جعل الاهداف الاسرائيلية **المتميزة** تصل الى الطريق المسدود. وليس امامها الا **التخلي** عن الاستقلال النسبي لتحركاتها ، وبالتالي الاعتماد على القوى الاستعمارية في القارة الافريقية لتحقيق جزء من تلك الاهداف ، هآرتس واضحة جدا في الاعتراف بالفشل في افريقيا والدعوة **للاعتماد على القوى الاستعمارية** ومرتكزاتها في القارة بعد موجة العداء والغضب التي بدأت بعد ايار ٧٢ . كتب المعلق « لقد ثبت باننا لا نستطيع هدم **سور العداء** العربي بمساعدة افريقيا ويجب علينا ان نقوي وندعم موقفنا **الدفاعي السياسي** في افريقيا . ولكننا لا نستطيع تقليص هذه الجبهة **بمبادرتنا الفردية** » هذا الدرس هو حصاد المراهنة الاسرائيلية على افريقيا لتوكيد وجود الكيان الاسرائيلي وتجميع الصداقات لتطويق الحصاد العربي وفرض الامر الواقع . كما هو الهدف الاول .

— اما الهدف الاقتصادي المتمثل بشكل العلاقات الاقتصادية الاستغلالية لصالح اسرائيل في الدور التمويلي / التصريفي وفائض الميزان التجاري الافريقي — الاسرائيلي المتزايد ، فان هآرتس تشير الى جانبين للاخفاق في دراستها لخلفية الازمة مع اوغندة . في تحليل معلقها الاقتصادي لاسباب العجز في الموازنة ، وآثار زيادة النفقات العسكرية ، ومضاعفة بنود الامن الى درجة ٢٠٪ من الموازنة تقول هآرتس « يقول الافريقيون ان اسرائيل التي يساعد مستشاروها على تقوية الجيش **هي المسؤولة** عن العجز الهائل في موازنة الدولة » وتقول ايضا « سيكون لاوغندة **جيش ممتاز** ولكن الانفاق عليه خصوصا مع انعدام التوسع في النشاط الاقتصادي سيضعف الدولة (أي اقتصادها) لان مزيدا من الطائرات يعني مستشفيات ومدارس اقل » وايضا « ان الانطباع لدى المواطنين الافريقيين ان اسرائيل **تزج اوغندة بانفاق هائل** ، بسبب مصالحها الاستراتيجية ، وربما **بسبب الربح المادي** . واذا ما تعرضت اوغندة الى ازمة اقتصادية شديدة فان العديدين **سيلومون اسرائيل** » وهذا ما حصل فعلا . وكانت ردود الفعل الاوغندية **العنيفة** ، والتي انتشرت عدواها الى غالبية البلدان الافريقية .

وتشير ظاهرة اخرى الى دور الخبراء الاسرائيليين في رسم السياسة الاقتصادية الافريقية في البلدان التي يعملون فيها ، ويوقعون تلك الدول الى زيادة استعداداتها من اسرائيل ويتخذ شكل « **اصرار** الخبراء الاسرائيليين على **استيراد** الادوات **والبضائع الاسرائيلية** بالرغم من وجود **مثيلتها** عن دول اخرى وبسعر اجود وافضل . ان ذلك قد اثار **استنكار** بعض المسؤولين الافريقيين».

اخيرا تلمس هآرتس احتمال تقلص دور افريقيا بعد تحليل الاسباب الكامنة خلف الازمة الاوغندية بقول الصحيفة « ادركنا من كل هذا اننا كنا سنفعل ما يستطيع الاخرون القيام به سيكون من السهل استبدالنا » . وهذا يعني ان نشاطات اسرائيل في افريقيا يمكن **استبدالها** اذا ما قرر الافريقيون ذلك .

اما الهدف الاستراتيجي الذي يكون موضوعه العلاقة مع دول شرق افريقيا وهو حماية مداخل البحر الاحمر فان تأزم العلاقات الافريقية الاسرائيلية والذي تمثل في قطع علاقات ١٧ دولة افريقية مع اسرائيل من ايار ٧٢ وحتى الاسبوع الثاني من حرب تشرين الوطنية يضعف الى درجة كبيرة امكانية انجاز ذلك الهدف*.

اما الاهداف غير المباشرة فانها ترتبط دون أي استقلال نسبي بالسياسة الامركية والامبريالية عموما من القارة . وتتمثل في الحفاظ على المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية الاميركية وتطويرها واستمرارها ومواجهة حركة التحرر الافريقية واحتمال تصاعدها . وهذا الدور يلغي اخر الادعاءات عن انتماء اسرائيل للعالم الثالث. وهو ما يجعل مصيرها مرتبطا وثيقا بمصير القوى المناهضة لحركة التحرر الافريقية ، وهو ليس من مصلحة **اسرائيل المتميزة** الارتباط به كليا في افريقيا.

ان المواقع الامبريالية **لها** دعائم طبقية واسعة وهي **اكثر ثباتا** من المواقع والمصالح الاسرائيلية وبالتالي فان الانظمة الوطنية المستقلة وحتى « شبه المستقلة » يمكنها ان تتصدى للمصالح الاسرائيلية **بسهولة** استجابة لرغبات وضغوط حكومات افريقيا الوطنية وتحت ضغط شعوبها . وهذه الامكانية اكثر بكثير من امكانية تصفية المواقع الاستعمارية المتشابكة والتاريخية في القارة .

---

* وبعد حوالي شهر واحد من بداية الحرب لم تبق لاسرائيل علاقات دبلوماسية طبيعية الا بست دول افريقية .

وحتى **الثبات** مع المواقع والمصالح الاستعمارية في افريقيا ليس **سارا تماما** لاسرائيل لانه يلغي جميع ادعاءاتها المتقدمة .

ثالثا : مواقف دول وشعوب افريقيا تجاه اسرائيل:

لقد اصبح من الواضح ان الصراع في افريقيا يستقطب بين القوى التي تمثل جميع المصالح الاستعمارية في القارة **ونقيضها** حركة التحرر الوطني الافريقية . وبارتباط السياسة الاسرائيلية بعد افتضاح ترجمتها العملية ، وفقدان حدود **تميزها النسبي** عن اهداف السياسة الامبريالية اصبحت اسرائيل وما تمثله من مصالح وعلاقات اقتصادية وسياسية جزء من المعسكر المعادي لحركة التحرر الافريقية . ان **حاضر ومستقبل** علاقة اسرائيل مع حكومات وشعوب افريقيا يتحدد من خلال معرفة المواقع التي يقف فيها كل نظام او حركة سياسية بين هذين المعسكرين . ان الخلفية الاقتصادية والسياسية لموقف كل دولة افريقية تجاه الثورة الفلسطينية والعرب واسرائيل ينبع من **طبيعة النظام** السياسي اولا ، **والعلاقات التاريخية** مع كل من اسرائيل والعرب او مع حركة التحرر الوطني الفلسطينية .

١) العلاقة بين الانظمة العنصرية (جنوب افريقيا وروديسيا) واسرائيل :

هذه الانظمة التي هي « توأم » اسرائيل ، **مرتبطة كليا** بالمعسكر المعادي لحركة التحررالوطني الافريقية . وبالتالي فهي مرتبطة **عضويا** باسرائيل. وعلاقاتها **تتقدم وتتوطد** معها كلما ازداد تصديها ومعاداتها للشعوب الافريقية . اما اسباب ومظاهر العلاقة مع جنوب افريقيا فهي :

١) وجود جالية يهودية (١١٥ الف يهودي) كمصدر هام للتبرعات .

٢) يقول س. و. سلزبرغر أحد محرري النيويورك تايمز « تعتقد جنوب افريقيا ان اسرائيل **تعيق** التقدم **السوفياتي** نحو الغرب . وان التعاون المشترك بين البلدين له اهمية **نفسية** من وجهة نظر جنوب افريقيا . وان **عطف اسرائيل** خصوصا يساعدها على الصعيد الدولي وبالاخص في اوساط **منتقديها** من الولايات المتحدة وبريطانيا » .

هذه العلاقة مع جنوب افريقيا والدفاع عن مواقفها العنصرية يكملها الوجه الثاني لسياسة اسرائيل تجاه حركات التحرر الافريقية .

١) عدم التصويت على استقلال تونس والمغرب .

٢) الوقوف ضد حرب التحرير الجزائرية ،ومع فرنسا وحلف الاطلسي .

٣) تأييد الحركة الانفصالية بقيادة العميل تشومبي .

٤) وقفت ضد تقرير المصير لعدد من الشعوب الافريقية .

٢) العلاقة بين الانظمة الرجعية واسرائيل :

نموذج هذه الدول اثيوبيا ونيجيريا وكينيا . بالنسبة لاثيوبيا كنموذج للانظمة المعادية لشعوبها ولحركات التحرر الاريترية والافريقية ، فان دور اسرائيل تجاهها هو المساندة المطلقة وتدعيم جيشها وتنظيم مخابراتها ومساعدتها في التصدي لحركات التحرر الافريقية **من تنظيم فرق العصابات المضادة لحروب التحرير** . ورغم هذه الطبيعة فان اثيوبيا او مثيلاتها لم تتمكن ان تستمر في تأييد اسرائيل او عدم شجب عدوانها وذلك بفعل ضغط الشعوب الافريقية المؤيدة للثورة الفلسطينية والانظمة الوطنية في منظمة الوحدة الافريقية . والى جانب ذلك فان ما دفع اثيوبيا الى شجب عدوان اسرائيل وقطع علاقتها اخيرا معها هو « **الهاجس** » **المشترك** لجميع بلدان افريقيا من اشتداد « بأس » اسرائيل خاصة بعد حزيران وما يشكله ذلك من **خطر على القارة الافريقية** غير العربية*.

لقد كان موقف ممثلها في الامم المتحدة بعد اندلاع الحرب الوطنية هو القائل « بان مقدرة العرب على صد العدوان يعد **انتصارا للقارة الافريقية** على قوى العدوان » .

ــ كذلك نيجيريا كان موقفها عند اندلاع القتال يميل الى « القاء المسؤولية على اسرائيل »والقول « بان مفتاح التسوية في انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية ضمن قرار ٢٤٢ » .

وكينيا ، كان موقفها « الرسمي » يدعو الى الانسحاب واحترام حقوق الشعوب .

---

* وقد وظفت اثيوبيا هذا الموقف لمحاصرة الثورة الاريترية .

— كذلك فان ما تمثله قرارات منظمة الوحدة الافريقية والذي يعبر عن الحد الادنى **لمواقف**الدول في المنظمة ، فانه يعبر ايضا عن **تخوف** من قوة اسرائيل وخطرها على افريقيا . فكان بيان المنظمة عام ٧٣ يناشد مجلس الامن « الامتناع عن تزويد اسرائيل بأية اسلحة ومعدات مما يشجعها على الإستمرار في احتلال الاراضي العربية والافريقية» ويشير ايضا الى تهديدها **للقارة الافريقية** .

٣) العلاقة بين الانظمة الوطنية واسرائيل :

والانظمة الوطنية هنا هي الانظمة التي استطاعت ان تقطع شوطا في استقلالها السياسي والاقتصادي (وان كان متعثرا) وذلك بفصم **جزء من** حلقات الارتباط بالاقتصاد الرأسمالي . مثال تلك الدول اوغندا : لقد اتخذت اوغندا موقفا أبعد من « **هاجس** » **الخوف والخطر** على القارة الافريقية . بل وصل موقفها الى حد **الاستعداد** للاشتراك في القتال · وزيارة عيدي أمين لجبهات القتال . ومطالبته **باستمرار** القتال بعد وقف اطلاق النار « حتى تحرير كامل الارض العربية » في رسالته للقذافي .

هذا الموقف الاوغندي الى جانب الطبيعة الوطنية لنظام الحكم وسيره شوطا في ضرب المصالح الاقتصادية الغربية كان يحكمه ايضا **رد الفعل الاضافي** تجاه اسرائيل والذي نشأ بسبب من الموقف الاسرائيلي التخريبي في بداية الازمة ، متمثلا في عدم انجاز الاتفاقات العسكرية مع اوغندا .

٤) العلاقة بين الانظمة الوطنية المتقدمةواسرائيل:

هذه الانظمة التي قطعت شوطا بعيدا في الاستقلال السياسي والاقتصادي يكون موقفها من القضية الفلسطينية والعربية واسرائيل **متناسبا** مع ذلك الانجاز .

جمهورية الكونغو الديمقراطية الشعبية في عهد نجوابي ، وصعود حزب العمل الكونغولي كحزب حاكم من كانون الثاني عام ٦٩ وتبني المبادىء الماركسية — اللينينية لتطوير الحكم وبناءالاقتصاد هذه السمات الخاصة للنظام تجعله اكثر فهما لحقائق الصراع . منذ عام ٦٩ « **اعلن نجوابي** أمام مؤتمر القمة الافريقي سحب ممثل بلاده من تل ابيب واستنكر اعتداءات اسرائيل وموقف الحكومة والحزب من حركة التحرر الوطني الفلسطيني هو عين موقف حركات التحررالافريقية عموما .

اما غينيا فقد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل منذ عام ٦٧ واثناء العدوان جاءت الخطوة استكمالا لخطوة الدول الاشتراكية تجاه اسرائيل واكد سفيرها في القاهرة منذ العدوان عام ٦٧ « تأييد الشعب الغيني للشعب الفلسطيني في كفاحه من اجل استعادة حقوقه » . واعلن سيكوتوري ايضا « ان الاستعمار قد اعد خطة خلال الحرب العالمية الثانية لاقامة دولة لليهود في غينيا الوسطى . مما يجعلنا نحن شعب غينيا **اعمق فهما وادراكا لقضية فلسطين** وحق شعبها في استعادة حقوقه » .

٥) العلاقة بين حركة التحرر الافريقية واسرائيل:

ان حركات التحرر الافريقية هي في موقع وخندق واحد مع حركات التحرر الوطني العربية والفلسطينية . وتتصدى للاهداف الكفاحية المشتركة في مواجهة الاستعمار والرجعية فيافريقيا والتي تشكل بالضرورة جبهة معادية لحركة التحرر العربية والفلسطينية ايضا .

من مؤتمر هافانا الاول الذي شارك فيه شعوب ثلاث قارات ، اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية اعلن المؤتمر « ان اسرائيل **قاعدة استعمارية** تهدد تقدم الشرق الاوسط وسلامته ، واكد حقوق شعب فلسطين وكفاحه » كذلك « **استبعد** المؤتمر اشتراك اي حزب او هيئة يسارية اسرائيلية تشارك في المؤتمر ورفض بشدة جميع الضغوطات **والتبريرات** » .

هذا الموقف تجاه اليسار الاسرائيلي كان خطوة عريضة الى الامام تتخذها **شعوب افريقيا** مع شعوب اسيا وامريكا اللاتينية . لانها تعني رفض جميع اطروحات التطور السلمي الديمقراطي في اسرائيل كطريق لحل المسألة الفلسطينية . **وتأييد ثابت لاطروحات** الكفاح الثوري المسلح كطريق لحل المعضلة [مؤتمر هافانا كانون الثاني ٦٨] .

كما اعلن ممثلو حركات التحرر الافريقية بعد اندلاع القتال من السادس من تشرين **الاول** في مؤتمرهم « **تأييدهم** للنضال الذي تخوضه الشعوب العربية من اجل **حريتها واستقلالها** . . » وايضا « تأييد حق الشعوب لتحرير اراضيها

بكافة الوسائل الدفاعية وازالة العدوان عليها ». (حركات تحرير جنوب افريقيا ، انكولا ، موزبيق .. الخ) .

اما موقف اسرائيل من حركات التحرر فقد كان كالتالي :

١) معاداة الثورة المسلحة في انغولا ، واريتريا ، وتأييد الحركة الانفصالية في نيجيريا وتأييد حركة التمرد الرجعي في جنوب السودان .

٢) ما ذكرته الجيروزاليم بوست من « ان الحركة الشعبية لتحرير انغولا **ادانت** اسرائيل لمساندتها البرتغال في الحرب الاهلية ضد المقاتلين الانغوليين الاحرار » واكدت الصحيفة «ان القوات الوطنية استولت على اسلحة اسرائيلية عند احتلالها ثكنة برتغالية قرب مدينة كوندو » .

الخلاصة : ان مواقف الحكومات الوطنية ، والوطنية المتقدمة من القضية الفلسطينية والعربية ، واسرائيل ، يتناسب طرديا مع قدرتها على فك الارتباط بالاستعمار وفصم الحلقات السياسية والاقتصادية والعسكرية . والدول الرجعية يتحدد موقفها بدرجات خوفها من مطامح اسرائيل في القارة ودرجة ضغط شعوبها . اما حركات التحرر الافريقية فهي تنتمي الى معسكر حركة التحرر الوطني العربية والفلسطينية ايباه في مواجهة معسكر الاستعمار والرجعية في الوطن العربي وافريقيا .

هذه المعادلات هي التي ستحدد وتقرر مستقبل العلاقات الاسرائيلية الافريقية ، والعربية الافريقية في السنوات القادمة*.

---

* اعتمدت هذه الدراسة على ثلاثة مصادر رئيسية هي : أعداد مختلفة من مجلة « **شؤون فلسطينية** » الصادرة عن مركز الابحاث في م.ت.ف. وكتاب **سياسة اسرائيل في افريقيا** لمحمد علي العويني . وأعداد مختلفة من **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** .

سعيد جواد

[٥]

لماذا ركز العدو هجومه في الجبهة السورية على القطاع الشمالي ؟

الدفاع هو « الشكل الاقوى للحرب » وتعتمد قوته على ارادة المدافع من الحوافز المعنوية النابعة من عدالة هدفه ، واعتماده على مزايا الارض واستغلاله لكل حواجزها الطبيعية وما يضيف اليها من حواجز اصطناعية ، وقرب القوات المدافعة من قواعد امدادها وتموينها وعملها في مناطق تعرفها ووسط جماهير تؤيدها وتقدم لها كل انواع العون المادي والمعنوي . ويحاول الهجوم تعديل كل هذه المزايا والتغلب على الدفاع عن طريق التفوق بالقوى . لذا يحشد المهاجم عددا من القوات والوسائط النارية التي تكفل له هذا التفوق بصورة عامة ، وتضمن له تفوقا ساحقا في المكان الذي يتم فيه الخرق .

ويقوم المهاجم بالخرق اذا لم تسمح له الظروف الطبوغرافية باجراء الالتفاف نظرا لاستناد جناحي الدفاع على موانع قوية ، او نظرا لاضطرار المهاجم عند التطويق الى اجتياز أراضي دولة لا يرغب في خرق حيادها . وغالبا ما تقوم القوات المهاجمة بأكثر من خرق ولكنها تختار في هذه الحالة محورا أساسيا لتحقق فيه الخرق الاساسي وتركز محور جهدها الرئيسي عليه . وتتحكم في هذا الاختيار عدة عوامل كطبيعة الارض ، وقوة الدفاع ، وامكانات التقدم بعد الخرق ، واهمية الاهداف المعادية التي يمكن تهديدها بعد اجتياز المواقع الدفاعية ، وأماكن تمركز القوات الاحتياطية المعدة للهجمات المعاكسة ... الخ . وهو يتم عادة في نقطة ضعيفة من الدفاع تقع مقابل منطقة يسهل فيها حشد القوات واخفاؤها ، وتنفتح الارض وراءها بشكل يساعد على المناورة والتقدم لاستثمار الفوز وتهديد اكثر من هدف حيوي ، مع تحقيق القسط الاكبر من المفاجأة وتسديد الضربة في المكان غير المتوقع .

واذا ألقينا على الجبهة السورية نظرة اسرائيلية ، وجدنا انها جبهة متماسكة متصلة يتعذر الالتفاف على جناحها الايمن المستند الى جبل الشيخ ، كما يتعذر الالتفاف على جناحيها الايمن

والايسر بحركة واسعة دون اختراق الاراضي اللبنانية او الاردنية ، لذا فان خرقها امر ضروري لمتابعة التقدم بالعمق . ولقد حكم هذا الوضع كما سنرى الخطة العسكرية الاسرائيلية خلال المرحلة الثانية من القتال .

كانت مرحلة القتال الاولى بالنسبة لاسرائيل عبارة عن معركة دفاعية لوقف تقدم القوات السورية على طول الجبهة او على الاقل مشاغلة هذه القوات لابطاء تقدمها لحين وصول تعزيزاتها من الالوية المدرعة الاحتياطية الى ساحة القتال . وحتى تعطي نفسها فرصة لتقرير ما ستتخذه من اجراءات مضادة. ولقد واجهت القوات الاسرائيلية في حرب تشرين اول ١٩٧٣ وضعا صعبا تعرضت له لاول مرة منذ تأسيسها . فهي تقاتل على جبهتين بعيدتين عن بعض وتنفصل بينهما مسافات كبيرة . وكانت قواتها في الجبهة الشمالية تقاتل في منطقة جبلية تكثر فيها الاحراج والانهار ، جوها بارد قارص شتاء تتخلله مواسم امطار غزيرة وثلوج . في حين تقاتل قواتها في الجنوب في جو يختلف كليا عنه في الجبهة الشمالية . فمعظم المناطق صحراوية أو شبه صحراوية جوها بارد وقارص ليلا ومعتدل حار نهارا اثناء فصل الشتاء . ولمواجهة هذا الموقف الصعب قررت القيادة الاسرائيلية معالجة الاوضاع الطارئة على كل جبهة من هذه الجبهات على حدة ، وان تتعامل مع القوات العربية على اساس اخذ جبهات القتال واحدة بعد الاخرى مبتدئة بالاهم آخذة بعين الاعتبار طبيعة الارض ، وحجم القوات العربية العاملة في كل جبهة ، وبعد كل جبهة من هذه الجبهات عن مناطق الحشد العسكرية الرئيسية الاسرائيلية . لهذا قررت البدء بالعمل على الجبهة الشمالية .

بدأت المرحلة الثانية من الحرب باندفاع اعداد كبيرة من الدروع والقوات المحمولة الاسرائيلية الى هضبة الجولان ، محاولة استعادة الاراضي التي تقدمت فيها القوات السورية في القطاع الاوسط والجنوبي . وتقدمت القوات الاسرائيلية على ثلاثة محاور رئيسية :

١ — محور فيق — خسفين — الجوخدار

٢ — محور بانياس — مسعده — القنيطرة

٣ — محور الجمرك — كفر نفاخ — الخشنيه

حيث قامت بهجمات مضادة محرزة بعض النجاحات . وفي اليوم الخامس للقتال قررت القيادة العسكرية العليا الاسرائيلية التركيز على الجبهة السورية في محاولة منها لاخراج نفسها من المأزق الصعب الذي وصلت اليه عسكريا على الجبهتين ، خاصة وان الهجمة العربية الاولى التي وجهت لها قد كلفتها خسائر كبيرة في الارواح والمعدات حرمتها من امكانية الرد على القوات العربية بضربة مماثلة . بالاضافة الى اعطاء القيادة السياسية فرصة لتنشط دبلوماسيا محاولة تحقيق أهدافها المطروحة . ولقد بدا منذ بداية الهجوم المعاكس الاسرائيلي على الجبهة السورية ان محور الجهد الرئيسي موجه الى القطاع الشمالي من الجبهة .

فلماذا اختار العدو هذا القطاع دون غيره ؟ ولماذا تشبث به طيلة مدة القتال ؟ ثم لماذا لم يفتح جبهة اخرى في القطاع الجنوبي او الاوسط للتخفيف عن قواته في القطاع الشمالي ؟

تكمن وراء هذا الاختيار اسباب عديدة هي :

أ — انه يضع القوات الاسرائيلية العاملة فيه في وضع استراتيجي عسكري جيد افضل بكثير من وضع القوات العاملة في القطاعين الاوسط والجنوبي . فالقطاع تحده من الشمال سلسلة مرتفعات جبل الشيخ ومن الشمال الغربي الحدود اللبنانية . وهذه مجتمعة تشكل نوعا من الحماية لميسرة القوات الاسرائيلية المقاتلة فيه . فالعامل الاول عبارة عن مانع طبيعي يتمثل بسلسلة المرتفعات المذكورة اعلاه والتي يصعب على الدبابات والاليات سلوكها والتقدم عبرها . والعامل الثاني عبارة عن مانع سياسي اذ لا يستطيع لبنان لاعتبارات سياسية ودولية ان يسمح لقوات سورية او عراقية الدخول الى اراضيه لمهاجمة القوات الاسرائيلية من الخلف .

ب — موقع القطاع من وجهة استراتيجية عسكرية حيث تستطيع القوات العاملة فيه تهديد العاصمة دمشق والقطاعين الاوسط والجنوبي اذا ما لجأت القوات الاسرائيلية العاملة فيه الى مبدأ الهجوم بعد ان تتوفر لها الامكانيات والوسائط . اذ تستطيع هذه القوات ، بعد أن تتمكن من اختراق خطوط القوات السورية ، ان تطور هجومها ليأخذ شكل قوسين يأخذ اولهما محور القنيطرة — دمشق ليهدد دمشق نفسها على حين يتجه الثاني بقوات مدرعة وآلية — مدعمة بمظلة جوية كثيفة —

سريعة الحركة ليهدد ميمنة ومؤخرة القوات السورية العاملة على طول واجهة القطاعين الاوسط والجنوبي . ثم يلي ذلك تطوير الهجوم مرة اخرى ليأخذ شكل أرتال مدرعة يحدد لكل منها هدف معين في عمق البلاد .

جـ — ان تواجدها في هذا القطاع يعطيها القدرة على الحركة والمناورة . فهي ان ارادت اتباع مبدأ الهجوم تكون الاوضاع مهيأة لها وهي ان ارادت الدفاع فتكون ايضا في وضع يسمح لها بذلك . ان الوضع في هذا القطاع أشبه ما يكون بوضع مثالي بالنسبة لها فهو يعطيها نوعا من السيطرة على القوات العربية العاملة في مواجهتها ويمنحها القدرة لمواصلة مناوراتها لمنع القوات العربية من التقدم عبر هذا القطاع لان اي تقدم تحدثه القوات العربية في هذا القطاع يعني بالتالي تهديدها لشمال فلسطين وسهل الحولة والجليل الاعلى وهو ما سعت اسرائيل لمنع حدوثه .

د — ان نظرة على طوبوغرافية اراضي هضبة الجولان وشمال فلسطين توضح لنا ان الاراضي والمسالك التي تمتد عبر الحدود الفاصلة بين القطاع وأراضي فلسطين المحتلة تسمح بانتقال الدروع والاليات خلالها . وهو شيء غير متوفر في القطاعين الاوسط والجنوبي . فالحال في القطاع الاوسط يختلف فأراضيه الواقعة على محاذاة الحدود مع فلسطين المحتلة ، تكثر فيها المسالك الوعرة والمرتفعات الشاهقة لذا فهي غير صالحة لانتقال الدروع والاليات ، وهي تشكل مانعا طبيعيا ضد المدرعات. بالاضافة الى السدود المقامة على أحواض السمك المنتشرة في سهل الحولة والمواجهة للقطاع تمكن الاسرائيليين وقت الخطر من فتحها لتغمر مياهها مساحات واسعة من الارض تجعل من المستحيل على الدبابات والاليات اجتيازها . اما في القطاع الجنوبي فالوضع يكاد يكون مشابها لوضع القطاع الاوسط ان لم يكن أصعب . فبالاضافة الى الصعوبة في طبيعة الارض يوجد ايضا مانع طبيعي ضخم يتمثل في بحيرة طبرية . واذا عدنا بذاكرتنا الى الوراء قليلا لتبين لنا ان الاسرائيليين بدأوا هجومهم على الجولان في معارك عام (١٩٦٧) عبر هذا القطاع حيث انطلقوا في هجومهم من شرياشوف ودان في شمال فلسطين المحتلة . اذن فالقطاع الشمالي بوضعه الاستراتيجي وقربه من مناطق الحشد الاسرائيلية الرئيسية وقصر المسافة بين اقصى نقطة شرقية في القطاع ونقاط الحشد الاسرائيلية الرئيسية تجعل منه قطاعا بالغ الاهمية في حالتي الدفاع والهجوم.

هـ — تواجد القوات الاسرائيلية فيه تتيح لهذه القوات اقامة خطوط دفاعية قوية ومنيعة يصعب اختراقها بسهولة ويمنع المدرعات من الالتفاف حولها لوعورة الارض .

و — تواجد القوات الاسرائيلية فيه يؤمن لها دعم المدفعية الاسرائيلية البعيدة المدى المتمركزة في شمال فلسطين في وقت الدفاع او في اول مراحل الهجوم .

ز — يؤمن وضع القطاع الشمالي للقوات الاسرائيلية العاملة فيه قدرا كبيرا من الراحة النفسية . فمن جهة يسهل الدفاع عنه ومن جهة اخرى لا يبعد كثيرا عن مناطق الحشد الاسرائيلية الرئيسية . ووجود سلسلة مرتفعات جبل الشيخ يزيد من ثقة هذه القوات بنفسها . كل هذه العوامل تشكل عوامل ايجابية يرتاح لها الجندي الاسرائيلي العامل في هذا القطاع .

حـ — يتمتع القطاع بموقع جغرافي هام فهو يسيطر على أهم مصادر المياه التي تصب في نهر الاردن . ويسيطر سيطرة تامة على القسم الاعظم من شمال فلسطين وسهل الحولة والجليل الاعلى وهي مناطق هامة بالنسبة لاسرائيل اذ تنبع من هذه المناطق المياه التي تستفيد منها اسرائيل لري مساحات شاسعة من صحراء النقب وذلك بواسطة انابيب مشروع المياه القطري . ولقد حاولت اسرائيل منع القوات العربية مهما كلفها ذلك من الوصول الى هذه المناطق الحيوية حتى لا تعيد سيطرتها على الهضبة وتصبح في وضع يمكنها من تهديد المستعمرات الاسرائيلية والمزارعين في الشمال ، خاصة وان نجاح القوات السورية في تحرير القطاع والوصول الى مصادر المياه سينزل باسرائيل ضربة قاصمة .

وهكذا كان القطاع الشمالي بالنسبة للعدو مفتاح النصر والهزيمة . وكان انسحاب اسرائيل من هذا القطاع يعني فقدانها لكافة اراضي هضبة الجولان وما يترتب على ذلك من آثار خطيرة . لهذا قاتلت القوات الاسرائيلية دفاعا عن هذا القطاع بضراوة وشراسة غير عابئة بالخسائر . وعندما انتقلت الى الهجوم ركزت قواتها عليه ، واختارته ليكون محور جهدها الرئيسي .

الرائد الطيار حسين عويضة

[٦]
تطور الموقف السياسي الاسرائيلي من خلال ارتباطه بسير المعارك وتدفق الدعم الامريكي

عبر الموقف السياسي الاسرائيلي عن نفسه (خلال شهر تشرين الاول) من خلال ارتباطه بسير المعارك على الجبهتين المصرية والسورية ، وكان لتدفق المساعدات العسكرية الامريكية الكبيرة لاسرائيل اثرا واضحا جدا انعكس ، بصورة جدلية ، على كل من سير المعارك والموقف السياسي الاسرائيلي نفسه .

وعلى هذا الاساس ، نستطيع ان نجمل تطور رد الفعل الاسرائيلي بالمواقف السياسية التالية :

الموقف الاول : اتخاذ **موقف الترقب والتريث** تجاه ما سيسفر عنه سير المعارك الدائرة . وهو موقف اتسم **بطابع المفاجأة والدهشة ، المستمدتين من واقع المعارك** ، من جهة ، وباجراء الاتصالات الدبلوماسية ، المكثفة بالولايات المتحدة الامريكية بهدف التنسيق معها نحو اتخاذ الموقف السياسي المناسب من جهة ثانية .

وقد عكست تصريحات المسؤولين الاسرائيليين طابع المباغتة فوصفت الهجوم العربي بأنه « عدوان وغدر » في يوم مقدس عند اليهود هو « يوم الغفران » ، وركزت هذه التصريحات على ان الاسرائيليين اخذوا على حين غرة . فقد ذكر ، مثلا ، ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي في مقابلة له مع شبكة التلفزيون الامريكية (اي. بي. سي) في ٧٣/١٠/٧ ، « ان العرب حققوا مكاسب قصيرة المدى لانهم هاجموا اسرائيل يوم عيد الغفران » .

ولم تكن تصريحات العسكريين الاسرائيليين نفسها بعيدة عن التأثر بطابع المباغتة من خلال التزامها جانب الدفاع والحديث عن « صد الهجوم » تارة ، و« صعوبة » الحرب الدائرة تارة اخرى . فقد تحدث دايان في ٧٣/١٠/٦ الى الاذاعة الاسرائيلية بقوله ان هناك « معارك قاسية على الجبهتين » . واضاف في مؤتمر صحفي له عقده للمراسلين الاجانب في نفس اليوم بأنه « يأمل ان لا يحصل العدو على اية مكاسب » .

وعلق ايضا ، المعلق العسكري الاسرائيلي حاييم هرتسوج قائلا : « اليوم ولاول مرة نخوض حربا دفاعية ، والمبادرة ليست بأيدينا » واضاف في ٧٣/١٠/٧ بأن « المعركة غير سهلة » لان « هذه الحرب تختلف تماما عن الحروب السابقة » .

والملاحظ ان تصريحات المسؤولين الاسرائيليين السياسيين والعسكريين من خلال التزامها جانب الدفاع واقرارها « بصعوبة » الوضع الناجم عن سير المعارك الدائرة ، قد ادت الى اضعاف المعنويات لدى الاسرائيليين ، مما حدا بالاعلام الاسرائيلي الى بذل قصارى جهده لتدارك ثغرات هذا الموقف ، الذي ينم عن ضعف بيّن ، عن طريق بذل محاولات استعراضية عدة لرفع المعنويات كان أبرزها ، في هذا المجال ، التركيز الاعلامي على الاعمال البطولية والفردية «الخارقة» التي قامت بها القوات الاسرائيلية ، والتلويح باسطورة التفوق الاسرائيلي كالتهديد « بسحق العدوان خلال ساعات » و« احتلال دمشق » بين لحظة واخرى . ولكن المبالغة في هذا المجال بالذات كان لها (بالاضافة الى تناقضات البيانات العسكرية الاسرائيلية نفسها عن سير المعارك) ، نتائج عكسية على المعنويات الاسرائيلية في الايام الاولى من القتال .

أما الاتصالات الدبلوماسية المكثفة مع امريكا ، فقد جرت منذ اللحظات الاولى من نشوب المعارك حين قام وزير الخارجية الاسرائيلية ابا ايبان المتواجد في نيويورك ، آنذاك ، باجراء « اتصالات مستمرة » مع وزير الخارجية الامريكية هنري كيسنجر « مطلعا اياه اول بأول على تطورات المعركة » .

وفي اسرائيل ، اجتمعت جولدا مائير بسفير الولايات المتحدة في تل ابيب . وحافظت اسرائيل ، في الامم المتحدة ، على موقف الترقب والتريث فقدمت الى رئيس مجلس الامن **تقريرا وصفيا** عن الهجوم المصري — السوري ولكنها لم تطلب عقد مجلس الامن .

وذكرت صحيفة واشنطن بوست الامريكية ان الولايات المتحدة عمدت بدورها الى اتخاذ موقف الترقب والتريث من جهتها عن طريق « تأخير دعوتها لعقد مجلس الامن لكي تتمكن اسرائيل من العمل بحرية في ساحة القتال » .

الموقف الثاني : المطالبة بوقف اطلاق النار على اساس العودة الى حدود ٥ تشرين الاول (اكتوبر)

وهذا الموقف ، الذي عبر عنه ابا ايبان في ١٠/٧/ ٧٣ في نيويورك ، لا ينفصم الى حد بعيد عن الموقف الاول . وهو يعتبر من الناحية العملية امتدادا وتوضيحا له . اي ان هذا الموقف ما زال يطغي عليه طابع المفاجأة ورد الفعل السريع (الناجم عن سير المعارك الدائرة) . وهو لا يختلف ، في جوهره ، عن الموقف السابق الذي يدعو الى « صد » الهجوم واعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل نشوب المعارك .

الا ان **ابرز ما طرأ من جديد على هذا الموقف هو التلويح الامريكي الضمني بالتدخل عن طريق « تحريك بعض قطع الاسطول الامريكي من موانىء اليونان »** ، وهذا مما يعبر عن قلق الولايات المتحدة وعدم ارتياحها لما يدور في ساحات القتال .

وفي ٧٣/١٠/٩ اعلنت الولايات المتحدة موقفا متطابقا مع الموقف الاسرائيلي حين طلبت من مندوبها في مجلس الامن ان « يطالب المجلس الاطراف المتقاتلة العودة الى المواقع التي كانت فيها قبل بدء الاشتباكات » .

الموقف الثالث : الاستعداد الفوري لوقف اطلاق النار دون ابداء أي شروط . فبينما كان دايان في اليوم الاول من نشوب القتال يتوقع ان « لا تستمر الحرب أشهرا او أسابيع ولا حتى أيام »، نجد ان ما أحرزته القوات العربية من مكاسب وانتصارات ملفتة للنظر وصمودها ازاء الهجمات المضادة على الجبهتين الشمالية والجنوبية ، كان بمثابة العامل الحاسم الذي ساهم في تغيير الموقف السياسي الاسرائيلي السابق ، اي موقف الترقب والتريث ، انتظارا لما ستسفر عنه المعارك الدائرة ، والمصحوب بالمطالبة بوقف اطلاق النار وعودة القوات العربية الى حدود ما قبل ٥ تشرين الاول (اكتوبر) .

ففي ٧٣/١٠/١٢ بدأت بوادر تغيير الموقف الاسرائيلي السابق حين صرح ابا ايبان في نيويورك بأن « قضايا الحدود ستكون الان اصعب بكثير مما كانت عليه » .

وفي ٧٣/١٠/١٤ ، حيث كانت مسالة نجاح عملية الاختراق ، التي قامت بها القوات الاسرائيلية ، مجرد امكانية مبهمة وغير مضمونة النتائج ، **عبرت جولدا مائير في مؤتمر صحفي بكل وضوح عن رغبتها في وقف اطلاق النار دون ابداء اي شروط او تحفظات** ، فذكرت بالحرف الواحد « ان احدا من جيراننا لا يرغب في وقف اطلاق النار . ولم تقترح اي جهة وقف اطلاق النار . **واذا ما قدم اقتراح بوقف اطلاق النار فاننا لن نضيع دقيقة واحدة وسنبحث الموضوع حالا** » .

الموقف الرابع : الاستعداد لوقف اطلاق النار على اساس التفسير الاسرائيلي لقرار مجلس الامن.

ويمكن ارجاع العوامل التي ادت الى تغيير الموقف السابق وعودة اسرائيل الى تعنتها المعهود وطرح شروطها وتفسيراتها الخاصة القديمة لقرار مجلس امن رقم ٢٤٢ ، الى سببين رئيسيين وهما يقومان على علاقة جدلية فيما بينهما :

السبب الاول ، وهو يتعلق بنجاح عملية الاختراق الاسرائيلية المحدودة الى الضفة الغربية للقناة وما احدثته من ارباك في صفوف القوات المصرية .

السبب الثاني ، وهو ناجم عن تدفق كميات ضخمة من الاسلحة والمعدات الامريكية من مختلف الانواع الى اسرائيل .

ولكن تركيزنا سينصب هنا على ابراز دور المساعدات العسكرية الضخمة والموقف السياسي الامريكي . ذلك لان نجاح عملية الاختراق العسكرية الاسرائيلية بآثارها السياسية باتت معروفة بشكل كاف .

حتى يوم ٧٣/١٠/١٠ كانت الولايات المتحدة الامريكية تعول على قدرة وقوة اسرائيل العسكرية في توجيه ضربة موجعة الى الجيوش العربية ، بعد تمكنها من اعادة تنظيم صفوف قواتها واستكمال دعوة الاحتياطي . الا ان التوقعات الامريكية باءت بالفشل الذريع ازاء صمود المقاتلين العرب . ففي ١٩٧٣/١٠/١١ ذكرت الاذاعة الاسرائيلية « ان الولايات المتحدة بدأت بتزويد اسرائيل بالاعتدة العسكرية التي تعطلت في الحرب اذ قامت بارسال ٤٨ طائرة فانتوم امريكية كانت متواجدة في اوروبا الغربية » الى اسرائيل .

وفي ٧٣/١٠/١٢ صرح كيسنجر في مؤتمره الصحفي الاول بعد توليه منصب وزير الخارجية « ان للولايات المتحدة صداقة تقليدية مع اسرائيل وهذه الصداقة سوف تستمر في هذه الازمة » .

واما عن مدى حجم وكميات الاسلحة الامريكية الكثيرة التي اخذت تتدفق على اسرائيل فقد ذكرت

صحيفة ستار نيوز الامريكية « ان كميات الاسلحة المرسلة الى اسرائيل سر تحتفظ به المستويات العليا للادارة الامريكية » .

واعرب جيرالد فورد ، المرشح لتسلم منصب نائب رئيس الجمهورية في الولايات المتحدة في ١٥/١٠/٧٣ ، عن نوايا واتجاهات السياسة الامريكية بصدد الحرب بقوله « لا يمكن التوصل الى تسوية دبلوماسية في الشرق الاوسط قبل ان يتم التوصل الى حل عسكري بأقرب وقت » ؟! واضاف ايضا « ان الولايات المتحدة تنفذ كافة التزاماتها لمساعدة اسرائيل حسب الخطة الراهنة وهي خطة كبيرة »!

وفي نفس اليوم أعلنت الولايات المتحدة رسميا انها بدأت تمد اسرائيل من جديد بالاسلحة « من اجل الحيلولة دون الاخلال بميزان القوى في الشرق الاوسط » .

وتابع نيكسون في ١٦/١٠/٧٣ استكمال جوانب الموقف السياسي الامريكي المؤيد بشدة لاسرائيل ، ملوحا بالتدخل العسكري لحماية اسرائيل حين قال : « سياسة الولايات المتحدة مشابهة للسياسة التي اتبعت في العام ٥٨ حيال لبنان وفي العام ١٩٧٠ حيال الاردن » .

ولقد اقترن هذا التصريح باعلان اميركا عن تدعيم قوات مشاة الاسطول (المارينز) السادس في البحر المتوسط وبانضمام حاملة طائرات على متنها ألفان من مشاة الاسطول .

وفي اسرائيل ، تحدث هرتسوج المعلق العسكري الاسرائيلي في نفس اليوم المذكور اعلاه عن دور المساعدات العسكرية الامريكية في الحرب الدائرة فقال بأنه « عندما يتحقق الامداد الامريكي ويصل فان الذين يقفون خلف العرب (المقصود السوفيات) قد يعيدون النظر في آرائهم » . واذاع راديو اسرائيل باللغة العبرية يومها ، ايضا ، « ان طائرات النقل الامريكي بدأت باحضار اعتدة الى اسرائيل بواسطة طائرات تي اف دالس وهي طائرات تستطيع ان تحمل ٨٠٠ جندي او ١٢٠ طن حمولة » .

ويدل على مدى الاهمية القصوى ، التي كانت تعولها اسرائيل على الامدادات والمساعدات العسكرية الامريكية ، « قيام رئيس الدولة ورئيسة الوزراء والسفير الامريكي في اسرائيل في اوقات مختلفة بزيارة لمطار عسكري في مكان ما من البلاد لمشاهدة عملية تفريغ الطائرات الامريكية التي احضرت شحنات اسلحة الى اسرائيل » بالاضافة الى « عدد من العسكريين الامريكيين ارسلوا الى اسرائيل لتنظيم عملية نقل السلاح » ! ، كما أعلن عن ذلك راديو العدو الصهيوني في ١٩/١٠/٧٣ .

ويلاحظ هنا ان اثر هذه المساعدات العسكرية الضخمة كان واضحا تماما بالنسبة الى مسألة « تعزيز القوة الاسرائيلية العاملة غرب قناة السويس في القطاع الاوسط بوحدات من المدرعات والمدفعية » .

ومن جانبها اكدت جولدا مائير في ١٦/١٠/٧٣ على ان الولايات المتحدة « تواصل تلبية طلباتنا بايصال الاسلحة بالكميات والانواع والسرعة التي يتطلبها الوضع » !

وفي ١٩/١٠/٧٣ صرح نيكسون ان الولايات المتحدة « وافقت حتى الان على ارسال امدادات لاسرائيل بمبلغ اجمالي يبلغ ٨٢٥ مليون دولار » ، واضاف ان « هناك حاجة الى تعزيز قوة اسرائيل من اجل تحقيق الاستقرار في الشرق الاوسط » .

والواقع انه بفضل حجم هذه المساعدات العسكرية الامريكية الضخمة تمكنت اسرائيل من تعويض معظم خسائرها وبالتالي دفع اعداد كبيرة جديدة من قواتها المدرعة الى الضفة الغربية من قناة السويس .

ولم يكن قد مضى يومان على تصريح جولدا مائير الذي اعربت فيه عن استعدادها لوقف اطلاق النار ، دون ابداء اي شروط او تحفظات ، حتى عادت الى التصلب والتعنت من جديد ، بعد النجاحات النسبية التي تحققت لقواتها وتمكنها من التمركز داخل الضفة الغربية للقناة . فقد جاء في خطاب مائير في جلسة الكنيست الخاصة بتاريخ ١٦/١٠/٧٣ « ان ساعة وقف اطلاق النار ستأتي بعد كسر قوات العدو»، متجاهلة في ذلك مشروع السادات للسلام الذي تقدم به قبل ساعات من القائها خطابها .

ولوح ابا ايبان بدوره في ١٧/١٠/٧٣ معبرا عن المفهوم الاسرائيلي المشروط للسلام بقوله « ان اسرائيل مستعدة لوقف اطلاق النار مقابل وقف اطلاق النار . وان اسرائيل على استعداد لمعالجات في اطار مفاوضات لتحقيق السلام شريطة ضمان أمنها » .

وبالرغم من موافقة اسرائيل على وقف اطلاق النار في ١٩٧٣/١٠/٢٢ بناء على القرار رقم ٣٣٨ الصادر عن الامم المتحدة ، فقد استمرت في خرق وقف اطلاق النار في الضفة الغربية للقناة .

والجدير بالذكر ان وزارة الدفاع الاميركية اعلنت في نفس هذا اليوم « ان شحن العتاد العسكري الى اسرائيل مستمر دون انقطاع رغم اعلان وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط » .

فحوى المفهوم الاسرائيلي لوقف اطلاق النار وقرار مجلس الامن : لقد حددت اسرائيل موافقتها على القرار المذكور « على اساس المفهوم الذي حددته لوقف اطلاق النار كما قدمته للامم المتحدة في ٤ آب (اغسطس) ١٩٧٠ وبناء على ما اعلنته رئيسة الوزراء في اليوم نفسه في الكنيست .. وستطلب اسرائيل من ممثليها ان يوضحوا **بأن قرار مجلس الامن الصادر في عام ١٩٦٧ يجب ان يفسر في اطار فهم اسرائيل لمعناه** » .

فماذا يتضمن المفهوم الاسرائيلي لقرار مجلس الامن كما جاء في ٤ آب ١٩٧٠ ؟

كانت الحكومة الاسرائيلية قد بعثت في التاريخ المذكور اعلاه ردها على المقترحات الاميركية للسلام في الشرق الاوسط ، من خلال مشروع روجرز ، حيث اكدت بأن المحادثات ستتم في « نطاق » مجلس الامن « **لكي يتم الاتفاق على اتفاقية سلام تعاقدي ملزم بين الاطراف .. ضمن حدود آمنة ومعترف بها غير معرضة للتهديد او اعمال العنف** . وسيكون كل طرف مسؤولا ضمن اراضيه عن **منع جميع الاعمال العدائية** التي يمكن ان تقوم بها القوات العسكرية النظامية او القوات شبه العسكرية **بما فيها غير النظامية** (المقصود هنا العمل الفدائي) .. اما انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراض احتلت (أي ليس كل الاراضي !) في نزاع ١٩٦٧ الى حدود آمنة معترف بها ومتفق عليها فسيتحدد في اتفاقيات السلام التي تشترك بها اسرائيل **دون اية شروط مسبقة** » .

وقد اكدت مائير في بيانها امام الكنيست في ٧٣/١٠/٢٣ على هذا المفهوم الاسرائيلي ولكنها ذكرت بوضوح ايضا ان « **وقف اطلاق النار يطبق ايضا على نشاط القوات غير النظامية**... ويضمن رفع الحصار وعدم التعرض لحرية الملاحة في مضيق باب المندب للسفن التي في طريقها الى ايلات ..

وان التفسير والتحديد المتعلق بالمفاوضات بين الاطراف هو **المفاوضات المباشرة** من خلال **اتفاق** فيما بينهما . **وان اسرائيل لن تعود من جديد الى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧** التي تكشف الدولة أمام عمليات عدوانية..» وعادت مائير الى تكرار موقف التصلب الاسرائيلي المعروف قبل ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ حين قالت بالحرف الواحد « **لقد كان موقفنا ، وهو كذلك الان** ، طالما انه ليس هناك سلام ، فاننا **سنواصل ابقاء الوضع كما كان عند وقف اطلاق النار** . ان خطوط وقف النار **يمكن** ابدالها **فقط** بحدود آمنة معترف بها ومتفق عليها **يتم تحديدها في معاهدة سلام.. وموقفنا قائم وثابت بشأن وحدة القدس كعاصمة اسرائيل..** وانه لن ينسحب جندي اسرائيلي من خطوط وقف اطلاق النار الى ان يتم التوصل الى **اتفاق سلام مكتوب وملزم** » .

وهكذا عادت اسرائيل الى اتخاذ نفس مواقفها السابقة قبل نشوب القتال بصدد تفسيرها لقرار مجلس الامن ٢٤٢ ومفهومها الخاص للانسحاب والسلام .

ومما يلفت النظر في بيان جولدا مائير المذكور امام الكنيست انها اكدت ان لا وجود هناك لضغط تمارسه الولايات المتحدة على اسرائيل كما نفت وجود « خطة » او اتفاق دولي بين اميركا وروسيا بالنسبة « لمكونات السلام » ، فقد ذكرت مائير انه « في جميع اتصالاتنا بالولايات المتحدة علمت انه ليس للولايات المتحدة خطة بالنسبة للحدود وبقية مكونات السلام » ، بل ان مائير ترى ان الولايات المتحدة « تعتقد ان اصحاب المساعي الحميدة يجب ان يعملوا **لايصال الاطراف انفسهم** الى تقديم الاقتراحات والخطط والمشاريع بالنسبة للمستقبل ، واكثر من هذا ، فانه علي (أي مائير) ان اؤكد انه حسب المعلومات الموثوقة التي وصلتني ، **لم يطرح في محادثات موسكو اي أمر آخر ، زيادة على ما تضمنه قرار مجلس الامن** ».

وواضح هنا من حديث جولدا مائير ان الموقف الاميركي في جوهره مؤيد لاسرائيل ومماثل لشروطها وتفسيرها لمضمون قرار مجلس الامن ولصيغة اجراء **المفاوضات المباشرة** التي تصر عليها اسرائيل .

وقد أكد مصدر اسرائيلي مأذون اثر انتهاء الزيارة التي قام بها كيسنجر الى اسرائيل ،

ارتياحه للموقف الامريكي المؤيد لشروط اسرائيل، وذلك **بقوله في ٢٢/١٠/٧٣ « لدينا كل الاسباب** لنكون مرتاحين الى المحادثات التي أجراها البروفسور كيسنجر في اسرائيل . وقد طمأننا الوزير الامريكي الى انه **لن يجري فرض حل للنزاع على اسرائيل وجيرانها** . وان الولايات المتحدة ستواصل تأييدها لاسرائيل » .

وكذلك صحيفة معاريف الصهيونية في ٢٢/١٠/٧٣ قد كشفت النقاب عن أن كيسنجر زار اسرائيل، بعد انتهاء زيارته لموسكو ، « بناء لطلب خاص من غولدا مائير » . واضافت الصحيفة ان مائير « أرادت ان تعرف نوايا اميركا من وقف اطلاق النار .. وان نيكسون ابلغ مائير ان الجيش الاسرائيلي سيستمر في الاحتفاظ بمواقعه الراهنة».

وذكرت الصحيفة المذكورة ايضا ان كيسنجر « أكد للاسرائيليين ان واشنطن أيدت الفقرة التي وردت في قرار وقف اطلاق النار والتي دعت الى اجراء « مفاوضات مباشرة » بين الاطراف المعنية في الشرق الاوسط وان هذه الفقرة **بالذات** هي التي جعلت الحكومة الاسرائيلية توافق على القرار » .

وفي نفس اليوم ذكر راديو العدو الصهيوني ان كيسنجر يوافق المسؤولين الاسرائيليين بأنه « لن يكون هناك انسحاب حتى ولو بصورة مرحلية او جزئية قبل قيام المفاوضات المباشرة » .

وفي ٢٨/١٠/٧٣ اعربت مائير في مقابلة لها مع شبكة التلفزيون الاميركية (السي. بي. اس) عن « تشاؤمها » بالنسبة الى احتمالات السلام في المنطقة . وقالت ان « السلام يتوقف على الدول العربية .. وانها لم تتلق **تأكيدات** من وزير الخارجية الاميركية الدكتور هنري كيسنجر بأن الرئيس السادات او زعماء عرب اخرين **راغبون** في بدء **« محادثات مباشرة مع اسرائيل »** .

وبالرغم من تماثل الموقفين الامريكي والاسرائيلي بالنسبة لتفسير قرار مجلس الامن والاصرار على صيغة المفاوضات المباشرة ، فقد طرأ بعض التحول على الموقف الامريكي لجهة تماثله **الكلي** مع الموقف الاسرائيلي ولا سيما بالنسبة لمسألة وقف اطلاق النار . وذلك بعد التوتر الروسي — الاميركي الذي حدث نتيجة اصرار اسرائيل على خرق وقف اطلاق النار بصورة مستمرة .

فقد كانت اسرائيل تأمل ان تحرز المزيد من التقدم العسكري في الضفة الغربية للقناة ، ولكننا نلاحظ ، بعد التوتر الروسي — الاميركي و«تهديد» السوفيات لاسرائيل اذا لم تكف عن وقف اطلاق النار فورا ، حدوث بعض الاضطراب السياسي في اسرائيل وعدم دقة في البيانات السياسية تجلى في كثرة الحديث عن وجود « ضغط اميركي » على اسرائيل .

ولكن ما هي **حقيقة هذا الضغط** الذي تحدث عنه بصفة اساسية كل من العازر هرتسوج ؟ فقد ذكر العازر في ٢٨/١٠/٧٣ ان « قرار وقف اطلاق النار **فرض علينا** رغم انه كان باستطاعتنا الحصول على انجازات اكثر ، والتوصل الى حسم المعركة بصورة مطلقة » .

كما صرح هرتسوج في ٢٩/١٠/٧٣ « ان هناك ضغطا اميركيا على اسرائيل لتقديم تنازلات الى الجيش المصري » . واضاف « ان الولايات المتحدة لا تقدم اية خدمة ان هي ضغطت على اسرائيل اكثر من اللازم » .

ولكن الضغط الاميركي الذي تحدث عنه كل من العازر وهرتسوج ينحصر **فقط** بالاصرار على وقف اطلاق النار بعد التوتر الروسي — الاميركي الذي حدث واستعداد السوفيات لاتخاذ اجراءات منفردة اذا لم تمتثل اسرائيل فورا لوقف اطلاق النار .

وعليه فان **الضغط الاميركي** ينحصر حتى الآن ضمن هذا المجال فقط ولا يشير الى وجود اختلاف جوهري في تماثل الموقف الاميركي مع الموقف الاسرائيلي بالنسبة لسائر القضايا الاساسية الاخرى التي سبق ان تحدثنا عنها . ففي ٣٠/١٠/٧٣ صرح دايان « ان الولايات المتحدة هي الصديق الوحيد لاسرائيل » .

ملاحظات اخيرة :

ان كل المؤشرات والمعطيات السياسية والخبرات السابقة مع اسرائيل **تؤكد** ان قبولها بوقف اطلاق النار لن يكون ، في افضل الاحوال ، سوى هدنة مؤقتة قد تطول او تقصر تبعا لدرجة استعدادها العسكري والسياسي كما يتوقف على موازين القوى الدولية ، للانقضاض من جديد لاستعادة هيبتها وصورتها السابقة . ذلك لان اسرائيل لا يمكن ان تسمح ، من جهتها ، بأي اهتزاز مؤثر يوجه الى قوتها التي « لا تقهر » في المنطقة العربية وخاصة

اذا ما اخذنا بعين الاعتبار الدور الخاص الذي تلعبه الايديولوجية في تماسك المجتمع الصهيوني ، هذه الايديولوجية التي تعتمد على اسطورة التفوق العسكري ونظرية الامن الاسرائيلي . كما ان اهتزاز صورة اسرائيل كأسطورة « قوة » سيؤثر حتما على وظيفتها الاساسية التي تقوم بها في خدمة المصالح الامبريالية عامة ، والامبريالية الاميركية خاصة .

ويبدو ان الولايات المتحدة تفضل الاعتماد بشكل أساسي على قوة اسرائيل واستمرار وجودها **كخط دفاع أول** لها من اجل تأمين مصالحها . وهذا مما يفسر سبب الاهتمام والدعم الكبير الذي تحظى به اسرائيل من الولايات المتحدة الى درجة استعداد هذه الاخيرة لاعلان حالة الاستنفار العام لكل قواتها في العالم من اجل الدفاع عن أمن اسرائيل والابقاء على قوتها وتفوقها .

فقبل حوالي ثلاثة اشهر كتب معلق هآرتس الصهيونية شفيتسر في ٧٣/٨/٢٤ ، لمناسبة تعيين كيسنجر وزيرا للخارجية الاميركية ، كتب بكل وضوح « ان اسرائيل كدولة اقليمية كبرى (وبقاؤها كذلك مشروط بالدعم الاميركي كما يحدث الان) هي احدى الضمانات المهمة للاستقرار . وهي الشرط الاول للمحافظة على الاستمرار في تزويد الغرب بالبترول » .

كما اشار يوئيل ماركوس في نفس الصحيفة المذكورة اعلاه في ٧٣/٣/٧ بمناسبة زيارة جولدا مائير للولايات المتحدة « ان اسرائيل قوية هي في الحقيقة ضمانة للمحافظة على المصالح الاميركية في المنطقة . وقد أوضحنا ان **الجيش الاسرائيلي — بقوته المطلقة لا النسبية — هو خط الدفاع الاول عن المصالح الاميركية في حوض البحر الابيض المتوسط اكثر من معظم دول حلف الاطلسي** » .

والواقع ان دور الحارس والشرطي للمحافظة على المصالح الامبريالية الاميركية الذي تقوم به اسرائيل في المنطقة ، من شأنه ان **يجنب** الولايات المتحدة اتخاذ صفة التدخل المباشر ضد شعوبنا العربية ، ويجعلها تحتفظ بصفة **« الحياد » النسبي المزيف** تجاه الصراع العربي — الاسرائيلي . وهذا الدور يوفر على الولايات المتحدة الكثير من الرجال والمال والتورط العسكري المباشر .

ان كافة الحلول الوسطية المطروحة لحل هذا الصراع لن تقبل بها اسرائيل . واذا قبلت فلن يكون ذلك من جانبها اكثر من اجراء تكتيكي ريثما تتمكن من استعادة وتنظيم قواها لكي تنقض من جديد بدعم وتشجيع الولايات المتحدة الاميركية . وكان رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ وسفير اسرائيل السابق في واشنطن قد وضح مفهوم اسرائيل لاحلال « السلام » في صحيفة معاريف بتاريخ ٧٣/٧/١٣ حين قال « من اجل الوصول الى حل ، على اسرائيل ان تقطع على العرب طريق الامل في : (١) ان بامكانهم الحصول على شيء بالقوة ، (٢) ان الطريق الى السلم تمر بموسكو ، (٣) ان بامكان الامم المتحدة فرض السلام » !

ان الصراع مع اسرائيل لا يمكن ان يخاض على أساس كونه صراعا جزئيا محدودا ، بل هو في جوهره صراع لا ينحصر فحسب في ضرورة الاستعداد لاسترجاع الاراضي المحتلة ، بل هو صراع مصيري وشامل ينبغي ان يخوضه الشعب العربي ككل (والشعب الفلسطيني في الطليعة) لدحر قوى التخلف وأدوات السيطرة الامبريالية بهدف بناء المجتمع العربي الموحد والقوي .

فمن هنا لا بد من حشد كل الطاقات والامكانيات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والبشرية (وليس جزء منها) لكي نتمكن من الحاق الهزيمة النهائية بالعدو الصهيوني الامبريالي .

هاني مندس

[٧]

الاتجاهات الرئيسية لصحف الضفة الغربية بعد وقف اطلاق النار

طرحت حرب تشرين الاول (اكتوبر) كما لم تطرح من قبل موضوعات تتعلق بالحرب وبالسلام . وقد فتح الباب واسعا امام طرح هذه الموضوعات ، من قبل القيادات السياسية للدول العربية التي حاربت وحققت انجازات عسكرية هامة . فقد حدد الرئيس السادات في الخطاب الذي القاه خلال حرب تشرين ، يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ ، شرطين أساسيين لموافقته على وقف اطلاق النار وحضور مؤتمر السلام الذي اقترحه بنفسه وهما : انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وضمان الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . وكان طبيعيا ان يثير الشرط الثاني للرئيس السادات حوارا واسعا في الاوساط العربية والفلسطينية ، والدولية ايضا ، حول ماهية الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، التي ترك السادات أمر تحديدها للشعب الفلسطيني نفسه . وكان من الطبيعي ايضا ان يكون قسم من الشعب الفلسطيني — داخل الوطن — معنيا بمثل هذه الموضوعات التي تمس جوهر حياته ومستقبله. واذا كانت صحف الضفة الغربية ، على اختلاف اتجاهاتها ، لا تعكس بالضرورة رأي الفلسطينيين داخل الوطن المحتل ، فان مواضيعها وافتتاحياتها لا يمكن ان تكون — على الاقل — الا انعكاسا لاهتمامات جماهيرنا التي تعيش الاحتلال وترزح تحت كابوسه البغيض . لذلك ، فان فحص ما تناولته هذه الصحف في افتتاحياتها ومواضيعها المختلفة خلال الفترة التي اعقبت وقف اطلاق النار ، يمكن ان يشير الى اتجاهات عامة تسود الاوساط الفلسطينية المعنية داخل الضفة والقطاع ، مع التذكير مرة اخرى باختلاف اتجاهات هذه الصحف وميولها . كما سنبين فيما بعد ، فانه يمكن تلمس ثلاثة اتجاهات عامة تسود الضفة الغربية وقطاع غزة ازاء الموضوعات التي أعقبت حرب تشرين اول .

اول هذه الاتجاهات مثلته صحيفة « **الشعب** » التي تصفها الدوائر الاسرائيلية بالتعصب لحركة المقاومة ومناهضة النظام الاردني ، وقد تلخص هذا الاتجاه بعدد من افتتاحيات الصحيفة التي تحذر من الدور الاميركي وتشكك بالفرص المتاحة امام عقد مؤتمر للسلام يحقق الشرطين الاساسيين اللذين حددهما الرئيس السادات في خطابه الشهير . ولم تنس الصحيفة في معرض ذلك أن تثير الانتباه الى اتصالات وتحركات يجريها انصار الحكومة الاردنية داخل الضفة الغربية بهدف استمالة الفلسطينيين هناك الى جانب النظام في معتركه السياسي من اجل الفوز بحق تمثيل الفلسطينيين والنطق باسمهم في مؤتمر السلام العتيد . وثاني هذه الاتجاهات تمثل من خلال موضوعات صحيفة « **القدس** » التي تحدثت عن فرص السلام المتاحة وعن ضرورة تخلي اسرائيل عن تصلبها ومواقفها السابقة . أما ثالث هذه الاتجاهات فقد ورد في الصحيفة الاسبوعية التي يصدرها محمد ابو شلباية صاحب الكتاب الشهير « لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة » . وقد عبر عن ذلك بالقول : نحن ملتزمون بما يوافق عليه « شعبنا وأمتنا العربية .. بقيادة الرئيسين حافظ الاسد وأنور السادات » .

وفيما يلي عرض لكل من الاتجاهات الثلاثة :

اولا الاتجاه الذي لا يرى اية فرصة امام مؤتمر السلام في الظروف الراهنة ويحذر من الدور الاميركي والاتصالات الاردنية في الضفة الغربية .

فقد ورد في افتتاحية لجريدة الشعب الصادرة يوم ١٩٧٣/١١/٥ تحت عنوان « السلام المضحك البعيد » ان الامر لا يعدو كونه شائعات عن السلام وشباك تنصب وترتب . فتقول الصحيفة : « الذين لا يعرفون جذور النزاع العربي — الاسرائيلي ، او الذين يجهلون او يتجاهلون اعماق القناعات العربية والفلسطينية ، المتأصلة في نفوسهم بكل ابعادها الحضارية .. هؤلاء وحدهم الذين تنطلي عليهم لعبة « السلام » فسرعان ما يسقطون في شباك لا يدرون كيف نصبت او كيف دبرت ورتبت » . وتضيف « الشعب » ان الخبرة الطويلة والتجارب المريرة يجب ان تعلمنا عدم تناول الامور بسطحية وسذاجة ، ان القناعات الفلسطينية والعربية تقول : « ان اميركا او بريطانيا او المانيا الغربية على سبيل المثال ، لا تريد سلاما بالمنطقة ، ذلك ان بريطانيا هي التي خلقت المشكلة ، والمانيا ساهمت فيها ، واميركا تكفلت بالباقي حتى اليوم ».

وتخلص الصحيفة الى القول ان « اي سلام بأي شكل او مضمون ، سيكون عائقا يوقف الخطوات التوسعية » وتستشهد على ذلك بأن اسرائيل منذ ربع قرن لم تحدد حدودها . ثم تصل « الشعب » الى تصورها للسلام بالقول انه يتطلب « الاعتراف بحق الاخرين في ان يعيشوا احرارا في بلادهم ، آمنين في ديارهم » . ومن ثم تستدرك الصحيفة ان ذلك يجب الا يعني ان على صاحب الحق ان يقدم التنازلات وحده. وتختم « الشعب » افتتاحيتها هذه قائلة : « ان الامر الواقع الذي اتخذوا منه منهاجا وسبيلا لن يكون أبدا اثباتــا لباطل او اقناعا بالقبول به » (الشعب ١٩٧٣/١١/٥) .

ومن ناحية ثانية رافق هذا الاتجاه الذي عبرت عنه صحيفة الشعب ، **التحذير من الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة** . فتقول الصحيفة في احدى افتتاحياتها بأن ما يسمى تجربة اختبار النوايــا الاميركية سوف تؤدي الى استخلاص نتيجة قاطعة مانعة ، وهي ان اميركا لن تغير موقفها في يوم من الايام . ثم عندما تتطرق الى التعليق على زيارة كيسنجر للمنطقة تذكــر برحلات سيسكو وروجرز السابقة « التي سجلت في تاريخ النكبة العربية بشكل عام ، والكارثة الفلسطينية بشكل خاص ، اسود الصفحات في اسود ايلول وغير ايلول » . وتمضي الشعب معلقة على زيارة كيسنجر ونتائجها للمنطقة قائلة ان « ما لم تكسبه اميركا واسرائيل حربا ، سواء في مهزلة ١٩٦٧ او معركة ١٩٧٣ ، واخفقت في الحصول عليه كاملا عام ١٩٧٠ ، فانهما تعيدان الكرة اليوم لعلهما تصلان الى مبتغاهما او على الاقل في الخطوة الاولى في الخطة القادمة » . وتختم الشعب تعليقها بالقول ان الخطوة الاولى القادمة هي مؤامرة ، وانها عملية تفكيك للتضامن العربي ، وايهام للعرب بأن اميركا وحدها هــي القادرة على حل مشاكل ومعضلات المنطقة (الشعب ١٩٧٣/١١/٨) .

والى جانب التحذير من الدور الاميركي حرصت « الشعب » في أكثر من مناسبة على التحذير ايضا من تحركات انصار النظـام الاردني في الضفــة الغربية وما ترمي اليه هذه التحركات . فقد ذكرت في عددهـا الصـادر في ١٩٧٣/١١/٤ ان خمس شخصيات من مدينة نابلس ابلغت رسولا جاء من عمان « للمشاورة » بأنهم لا يقبلون الا ما تقبل به الدول العربية مجتمعــة وفي الطليعة مصــر وسوريا والفلسطينيــون في الخــارج . وتضيف « الشعب » ان أوساطا وطنية في عمان « قــد نصحت اصدقاء لها هنا بعدم قبول البحث في أي مشروع يطرح الان او في المستقبل ما لم يحقق الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الضفة الغربية وقطاع غزة، وان الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني هو المجلس الوطني الفلسطيني ولجنته التنفيذية ». وتلاحظ الصحيفة ايضا ان وسائل الاعلام الاردنية قد أخذت « بمسايرة الاخوة في الضفة الغربية . حتى ان المعاملات المتعلقة بهم تجري في أسرع وقت الى جانب حسن المعاملة المفاجئة على الجسور . كما لوحظ ان دار الاذاعة الاردنية اخذت في اعقاب نشراتها الاخبارية تنقل انباء الموتى في الضفــة الغربية سواء عن راديو اسرائيــل او الصحف الصادرة بالقدس يوميا وتختم خبر كل نعي بالقول رحمه الله . كما لوحظ ان الاغاني والاناشيد المتعلقة بالضفة المحتلة قد اخذت دورها الرئيسي». (الشعب ١٩٧٣/١١/٤) . وفي مجال آخر ذكرت الصحيفة ان « نصيحة مــن عمان جاءت لبعض المعتمدين بعدم القيام في المرحلة الحاضرة بأي تحرك وان يبلغ الاخرين بذلك ، لان اي تحرك او تصريح منهم سيسيء الــى الاردن في مرحــلة حساسة وبانتظار تعليمات جديدة سيطبق هؤلاء أفواههم فلا ينبسون ببنت شفة ...» (الشعب ١٩٧٣/١١/٢). وفي مجال آخر كذلك تقول « الشعب » انه لوحظ خلال الاسبوع الاول من تشرين الاول « تحركات لعدد من الاشخاص، سواء فيما يعقد من اجتماعات او فيمن توجهوا الى عمــان بدعوة من الحكومة الاردنية او بدونها .. ويعتقد ان لسفرهم علاقة بالتشاور مع هذه الشخصيات بالنسبة للظــروف الراهنة وفيما يتعلق بمصير الضفة الغربية . وعلم ان عددا آخر على اهبة الاستعداد وينتظرون الايحاء لهم بالتوجه الى عمان ، ومنهــم النواب وبعض رؤساء البلديات والمجــالس القروية والاطبــاء والصيادلة والشيوخ الى جانب ممثلين عن التربية والتعليم ومن باقي القطاعات الاخرى » . وتلاحظ الصحيفة ان بعض الاشخاص الذين سافروا الى عمان بدعوة من حكومتها « من لم تكن لهم علاقة او صلة حسنة سابقة مما يفسر ان الاردن يريد في هذه المرحلة ان يزيد من هذه الوجوه ، معتقدا بأن لها نفوذها وكلمتها بين المواطنين لنشر الافكار والاراء التي تريدها » . وتستنتج الصحيفة ان الغرض من الاتصال ببعض هذه الوجوه هو اما

لاستبدالها بالوجوه القديمة او ان تكون كرديف مساند لها ، « في حين ان غالبية الناس ينظرون ان هناك من يحسن تمثيلهم خارج الاردن وخارج الاحتلال » . وتذكر الصحيفة الخبر التالي عن مراسلها في مدينة الخليل : « ان ثلاثة احدهم صيدلي والاخر محام والثالث رئيس بلدية سابق قد سافروا في يوم واحد الى عمان ، وان نائبين على الاقل مع ثلاثة رؤساء بلديات جديدة يزمعون السفر خلال الايام القادمة . وفهم كذلك ان بعض الشخصيات التقليدية لا تنظر بارتياح الى هذه التحركات من وراء ظهرها ، كما ان اتصالا جرى قبل ايام بين بعضهم في المحافظة (الخليل) وفي غزة والقدس » .

الاتجاه الثاني المتفائل بعقد مؤتمر سلام مثلته موضوعات وعناوين صحيفة القدس . وباستعراض لعدد من العناوين الرئيسية لهذه الصحيفة خلال الفترة التي أعقبت وقف اطلاق النار ، نجد أكثرها يتحدث عن احتمال عقد مؤتمر للسلام يتحقق فيه انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة واعطاء الفلسطينيين حقهم في تقرير المصير . ومن هذه العناوين الرئيسية : « المحادثات المصرية الاميركية قد تؤدي الى مفاوضات سلام .. مطالب مصر وسوريا في محادثات السلام المتوقعة : ١ — منح الضفة الغربية حكما ذاتيا — ٢ — انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة — ٣ — حق تقرير المصير للفلسطينيين في الانضمام الى الاردن او اقامة كيان فلسطيني مستقل » (القدس ١٠/٣١/ ٧٣) . ونجد من هذه العناوين المتفائلة بقرب انعقاد مؤتمر السلام ما ورد في عدد الصحيفة الصادر يوم ١٩٧٣/١١/٢ والقائل : « احتمال عقد مؤتمر للسلام في نيويورك او جنيف خلال اسابيع.. نيكسون يبحث مع فهمي ومئير حلا وسطا لازمة الشرق الاوسط » . ومن هذه العناوين كذلك «موسكو تعطل مؤتمر السلام اذا حرم الفلسطينيون حق تقرير المصير .. روسيا تؤيد اقامة دولة فلسطينية وتضمن الحقوق المشروعة للفلسطينيين.. عواصم عربية وغربية تجري اتصالات مع منظمة التحرير لارسال ممثلين عنها الى مؤتمر السلام .. خلاف بين المنظمات والاردن حول من سيمثل الفلسطينيين في المؤتمر » (القدس ١٩٧٣/١١/٤).

ويهمنا ان نستعرض في هذا المجال ما أوردته احدى افتتاحيات صحيفة القدس عن « دور الفلسطينيين » في هذه المرحلة . وتعد هذه الافتتاحية من التعليقات القليلة جدا التي تصور وجهة نظر بعض المعنيين في الضفة الغربية . ففي حديث « القدس » الصادرة يوم ١٩٧٣/١١/٨ يقرر كاتب التعليق **« ان الوقت لم يعد مبكرا ليقول** الفلسطينيون برأي في « حقوقهم المشروعة » ، ان ثمة اجماعا عربيا على ان الحديث في المسألة الفلسطينية من شأن الفلسطينيين » . ثم يقول ان هذا الامر « حافز جاد للقوى الفلسطينية المبعثرة لاثبات وجودها في هذه المرحلة التاريخية » . ثم يعترف الكاتب ان هذه المرحلة صعبة ، غير ان « نظرة سريعة لواقع التواجد الفلسطيني والولاء الفلسطيني ، كافية لتبرير الموضع الصعب الذي نفاجأ به ، كما ان تحديدا جامعا لما اصطلح على تسميته « بالحقوق المشروعة » للفلسطينيين يبدو في الواقع ومن خلال النظرة الوطنية والقومية امرا في غاية الدقة بل في غاية الخطورة » . بعد هذا يجد كاتب التعليق ان المخرج لتحديد ماهية الحقوق المشروعة يمكن استخلاصه من « ولاء الضمير الفلسطيني » ، وذلك لاجتياز « مأزقي التواجد الجغرافي الحالي ، والولاء بحكم انتماء قانوني معين » . ويضيف « لكن **الحقوق المشروعة والاماني الوطنية والقومية** يحتاجان الى توفر كل الطاقات والقوى وتجنيد كل المؤهلين عقليا وسياسيا ، للاتفاق على تحديد اتجاه سياسي واضح ... ان طبيعة المرحلة لا تعني اطلاقا الخروج في أقل اعتبار عن الحد الادنى للمقومات التي تحفظ على شعب أي شعب أرضه ووجوده وصلته بأمته بكل الاعتبارات » وهذا لا يعني على الاطلاق **« التفريط بالمكاسب القومية والتلاحم الجغرافي الذي يشكل عمقا ، يغدو الشعب بدونه مقصوص الجناح...»**.

يبقى الى جانب هذين الاتجاهين **اتجاه ثالث** عبرت عنه صحيفة « صوت الجماهير » الاسبوعية، التي أوردت في عددها السابع الصادر يوم ١١/٣/ ١٩٧٣ مقالا رئيسيا تحت عنوان « الحذر الحذر من المعارك الجانبية » ، ما مؤداه **ان الشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة ملتزم بما يقرره الشعب الفلسطيني كله داخل الوطن وخارجه ،** وما يوافق عليه الرئيسان انور السادات وحافظ الاسد . ويسوق محمد ابو شلبايه — صاحب الجريدة وكاتب هذا المقال — الملاحظات التالية :

« اولا : اننا نطالب شعبنا الفلسطيني بالتمسك

بالوحدة الوطنية ، ونطالبـه بافشال المخططات المشبوهة الهادفة الى تمزيقه ... فليس هـذا الوقت وقت الخلافات والصراعات .

ثانيا : اننا ندعـو شعبنا الفلسطيني الـى الاستمرار في الشعار الذي رفعناه في العدد الاول من صوت الجماهير ... وهو المصالحة وتجميع الصفوف وتناسي الخلافـات الايديولوجية وغـير الايديولوجية .

ثالثا : اننا ندعو شعبنا الى التمسك بما قلناه في العدد السابق [وهو الالتـزام] الى ابعد الحدود بالرأي الذي يتوصل اليه شعبنا الفلسطيني بمجموعه وامتنا العربية بكاملها بقيادة الرئيسين السادات والاسد .

رابعا : الحذر كل الحذر مـن الانصياع الى حملات التشكيك في الاتحاد السوفياتي الذي أثبت صداقته المخلصة لشعبنـا الفلسطينـي وامتنـا العربية ، ومسيرة المنطقة نحو السلام العادل المتكافىء » .

عيسى الشعيبي

[٨]
المؤتمر العالمي لقوى السلام
موسكو ٢٥ ــ ٣١ تشرين الاول ١٩٧٣

حشد ضخم من القوى السياسية (١٠٢٦ منظمة منها ١٥٠ حزبا سياسيا و٢٦٠ منظمة نقابية و١٥٠ منظمة شبابية) شكل تظاهرة ضخمة في موسكو في الفترة ما بين ٢٥ و ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) الماضي ، ضمن اطار المؤتمر العالمي لقوى السلام. وقد ترأس جلسات المؤتمر روميش شاندرا (هندي) الشخصية البارزة في حركة السلم العالمية ورئيس اللجنة التحضيرية التي هيأت لعقد المؤتمر . وقد خصص اليومان الاولان مـن المؤتمر لالقاء كلمات الافتتاح وفي اليوم الثالث انقسم المشاركون الى أربع عشرة لجنـة (التعايش السلمي والامـن الدولي ، الهند الصينية ، الشرق الاوسط ، الامن والتعاون في أوروبه ، السلم والامن في آسيه ، نزع السلاح ، حركة التحرر الوطني والنضال ضد الاستعمار والعنصريـة ، التنمية والاستقـلال الاقتصادي ، البيئة الطبيعية ، التعاون في مجال التعليم والثقافة ، التعاون الاقتصادي والتكنولوجي العلمي ، القضايا الاجتماعية وحقوق الانسان ، التعاون بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية ، تشيلي) ، وقد اختتمت جلسات اللجان يوم ١٠/٣٠ وألقيت بيانات أعمال اللجان في الجلسة الختامية للمؤتمر مساء ١٠/٣١ .

فلسطينيا ، شاركت اللجنة الفلسطينية للتضامن الافرو ــ أسيوي في الاعداد للمؤتمر (شكلت هذه اللجنة قبل أشهر قليلة برئاسة خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطنـي الفلسطيني) وقد حضر مندوبان من هذه اللجنة الاجتماع التحضيري لقضية الشرق الاوسط المنعقد في هلسنكي بين ٢٩ ــ ١٩٧٣/٨/٣١ . وقد تشكل وفد منظمة التحـرير الفلسطينية الى مؤتمر موسكو من عشرة أعضاء برئاسة خالد الفاهوم .

كان أبرز ما ميز جلسات الافتتاح خطاب ليونيد بريجنيف في اليوم الثاني من أيام المؤتمر وقد احتلت مسألة الشرق الاوسط حيزا واسعا من الخطاب أوضح فيه بريجينيف السياسة السوفياتية المتعلقة بهذه المسألة . فقد ذكر ان الاتحاد السوفياتي أصر دائما « على ان الاراضي التي احتلتها اسرائيل ينبغي ان تعاد الى الدول العربية وان العدل يجب أن ينتصر بالنسبة للشعب الفلسطيني » كما جرى التأكيد على قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ في ٢٢/ ١٩٦٧/١١ مع اعطاء **تفسير جديد** لاحدى فقراته فقد قال بريجينيف **ان هذا القرار يتحدث عن ضرورة تسوية عادلة « لمشكلة اللاجئين »* التي تعني تأكيد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي .** وفي فقرة أخرى قال بريجينيف « ان موقفنا الحازم

---

* المزدوجان وردا في النص الرسمي لخطاب بريجينيف كما وزع في موسكو .

هو أن جميع الدول والشعوب في الشرق الاوسط — أكرر جميعها — يجب ان يضمن لها السلام والامن وعدم انتهاك الحدود . وان الاتحاد السوفياتي على استعداد للمشاركة في الضمانات اللازمة » . وفي جلسات الافتتاح ايضا تحدث خمسة خطباء عن قضية الشرق الاوسط هم خالد محيي الدين (مصر) وموريس صليبي (سوريا) وتوليو فيكيتي (ايطاليا) وخالد الفاهوم (فلسطين) ومورد خاي ابي شاؤول الذي القى كلمة باسم قوى السلام والديموقراطية في اسرائيل . وقد برز هنا اشكال عندما نقل الى الوفد الفلسطيني ان بعض اعضاء اللجنة القيادية للمؤتمر اشترطوا عندما طلب منهم الموافقة على ان يلقي رئيس الوفد الفلسطيني خطابا في جلسات الافتتاح ، اشترطوا ان يكون ثمة في المقابل كلمة لوفد اسرائيل . وقد رفض الوفد الفلسطيني هذا التوجه الى ان تم التوصل الى تسوية نتيجة محادثات جرت في أروقة المؤتمر ازيل فيها **الاشتراط** واتفق على ان يلقي أبي شاؤول كلمته باسم **قوى السلام والديموقراطية في اسرائيل وليس باسم اسرائيل** . وقد ادان ابي شاؤول في كلمته حكومة اسرائيل لرفضها جميع مبادرات السلام ولاقامتها مستوطنات في الاراضي المحتلة ، ودعا الشعب في اسرائيل الى ان يضع حدا للمجازر وحدا للاحتلال والى النضال من اجل تنفيذ قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ وقال « ان هذه هي الطريق المؤدية الى السلام الحقيقي الذي يضمن سلام جميع الدول في المنطقة وكذلك الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني » .

كانت لجنة الشرق الاوسط اكثر اللجان اثارة للانتباه لسخونة المنطقة والقضية اللتين تتعامل معهما اللجنة . وقد رئس اللجنة اليوغوسلافي جورديه (يلاحظ ان ايا من اللجان الاربع عشرة جميعا لم يرئسها عربي) . وقد اشترك في اعمالها ٥٠٠ عضو يمثلون ١٤٠ بلدا و١٠٠ ضيف وساهم في المناقشات ١٠٢ مندوب . وكانت ورقة العمل التي اقرت في اجتماع هلسنكي التحضيري هي برنامج اللجنة . وقد طرحت هذه الورقة ثلاث عشرة نقطة للمناقشة تناولت التطورات الاخيرة في الوضع الدولي (قبل حرب تشرين الاول) واستمرار احتلال اسرائيل للاراضي العربية ومواصلة هجماتها على الدول العربية والحقوق المشروعة العادلة للشعب العربي الفلسطيني والاعتراف بالشخصية الفلسطينية وقرارات الامم المتحدة المتعلقة بالشرق الاوسط ونشاطات اسرائيل في مناطق مختلفة من آسيا وأواسط وجنوب افريقيه والعلاقة بين نضال الشعب الفلسطيني ونضال الشعوب الاخرى ووسائل توطيد الوحدة بين الشعوب المناوئة للامبريالية في الشرق الاوسط مع جميع القوى الدولية المناوئة للامبريالية والبترول ودوره الدولي واخطار الامبريالية والرجعية في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية ووسائل تقوية الدعم والمساندة لقوى السلام داخل اسرائيل .

كان للوفد الفلسطيني ملاحظات اساسية على ورقة عمل هلسنكي ، وقد ثبتت هذه الملاحظات وأثيرت في كلمة ألقاها أحد أعضاء الوفد في اجتماعات اللجنة وشملت النقاط التالية : (١) جاء في مقدمة ورقة العمل « ان غياب السلام في الشرق الاوسط هو نتيجة للاحتلال المستمر غير الشرعي من قبل القوات الاسرائيلية المسلحة للاراضي العربية خلال عدوان ٥ حزيران ١٩٦٧ » . وقد طلب الوفد الفلسطيني تعديل ذلك بحيث يجري الرجوع الى اساس القضية وهو ان غياب السلام كان نتيجة طبيعية لقيام اسرائيل على جزء من وطن الشعب العربي الفلسطيني في العام ١٩٤٨ وتشريد هذا الشعب . وبذلك فان اساس القضية هو اغتصاب وطن وتشريد شعب . كما طالب الوفد بأن يعدل البند الرابع من ورقة العمل والذي نص على « ان المسألة الفلسطينية يجب ان تعتبر **مظهرا اساسيا** من مشكلة الشرق الاوسط العامة » ليصبح النص **ان المسألة الفلسطينية هي أساس هذه المشكلة** . (٢) لم يرد في ورقة عمل هلسنكي اية اشارة الى الحركة الصهيونية العالمية ، وقد وضح الوفد الفلسطيني ان اسرائيل هي خلاصة التجربة الصهيونية ، وطالب بادانة الصهيونية العالمية وتحميلها هي وحلفائها الاستعماريين تبعة الشرور التي لحقت بالمنطقة . (٣) ورد في البند الرابع من ورقة العمل انه « يجب ان يطرح على المشتركين في البحث ضرورة الاجابة على هذا التساؤل : طالما ان المشكلة الفلسطينية باقية بدون حل او طالما انه لم يوجد حل لهذه المشكلة متصور على أساس الحقوق الشرعية العادلة للشعب الفلسطيني والاعتراف بالشخصية الفلسطينية العربية بما في ذلك حق اللاجئين

الفلسطينيين العرب في العودة الى ديارهم وحقهم في ممارسة تقرير مصيرهم فانه لن يكون هناك حل للمشكلة العامة للشرق الاوسط » . وقد طلب الوفد الفلسطيني ان ينص في الوثائق التي تصدر عن المؤتمر ان منظمة التحرير الفلسطينية هي المجسدة للشخصية الفلسطينية وانها هي ممثلة الشعب الفلسطيني ، وان يستعاض عن تعبير « حق اللاجئين العرب في العودة الى ديارهم » بـ « حق الشعب الفلسطيني في العودة الى وطنه » ، وان يؤكد ان ممارسة حق تقرير المصير تتم على التراب الوطني للشعب الفلسطيني . (٤) طلب الوفد ان تتبنى اللجنة قرارات مؤتمر قمة دول عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر في أيلول (سبتمبر) الماضي .

لم تصدر لجنة الشرق الاوسط قرارات وانما تقريرا في نحو ٢٠٠٠ كلمة (الترجمة العربية) كان أشبه بوصف لوقائع الجلسات وتلخيصا للاراء التي طرحت . ونورد فيما يلي أهم فقرات هذا التقرير : « لقد أظهرت اللجنة عمليا اجماعا تاما عندما اشارت الى ان الاسباب الاساسية التي أدت الى تجدد العمليات الحربية هي احتلال اسرائيل المستمر للاراضي العربية خارقة بذلك القرارات العديدة لهيئة الامم المتحدة ، وكذلك رفضها احقاق الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني » ، « لقد طالب جميع المشتركين في المناقشة تقريبا بتنفيذ القرار ٢٤٢ وربطوا في الوقت نفسه بينه وبين الضمان العادل لحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية » ، « أدانت الغالبية العظمى من المندوبين سياسة اسرائيل الاغتصابية » ، « لقد أصبح واضحا تمام الوضوح ان الطريق المضمون الوحيد لكفالة امن اسرائيل هو ممارسة سياسة عادلة واحترام حقوق الشعب العربي الفلسطيني واقامة علاقات طيبة مع جيرانها » ، « لقد ترك في نفوس اعضاء اللجنة اثرا عميقا الاستعراض الذي قدمه ليونيد بريجنيف للوضع الدولي وخاصة للوضع في الشرق الاوسط ... وتدل الخطب العديدة على أن كلمات بريجنيف هذه قد تركت في نفوس اعضاء اللجنة اثرا خاصا وكذلك تصريحه التالي : نحن نؤيد بثبات ضمان السلام والامن وحرمة الحدود لجميع ، أجل لجميع دول وشعوب الشرق الاوسط ، والاتحاد السوفياتي مستعد للمشاركة في الضمانات اللازمة » ، « وافق جميع المتحدثين على أن الشرق الاوسط لا يمكن ان يسوده السلام الوطيد بدون احقاق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني » ، « لا بد من الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وكذلك حقه في الوجود المستقل*، ويتضمن ذلك حق اللاجئين العرب الفلسطينيين في العودة الى ديارهم وحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره طبقا لميثاق الامم المتحدة وللقرارات التي اتخذتها الامم المتحدة اكثر من مرة ، ولقد كان ولا يزال من حقه ان يناضل من أجل كل ذلك . ويجب ان يشارك الشعب العربي الفلسطيني في أية جهود تبذل بهدف تحديد مستقبله. كما جرت الاشارة الى ان منظمة التحرير الفلسطينية قد اعترف بها كممثلة وحيدة له في الوضع الراهن وذلك من قبل منظمات دولية مثل مؤتمر دول عدم الانحياز وجامعة الدول العربية وكذلك من قبل دول كثيرة » ، « لفت كثير من المتحدثين الانتباه الى ذلك الدور الخاص الذي تلعبه الولايات المتحدة في الشرق الاوسط والى مسؤوليتها عن الازمة كما أدانوا الدور الامبريالي للولايات المتحدة » ، « في سير اعمال اللجنة تجلى بقوة خاصة ذلك التأييد الواسع الذي تلقاه الشعوب العربية في نضالها العادل من جانب البلدان الاشتراكية والدول غير المنحازة وحركات التحرر الوطني وقوى السلام سواء في الشرق ام في الغرب » .

ملاحظات اخيرة على المؤتمر : (١) ان تقرير لجنة الشرق الاوسط يعتبر صورة صادقة عن طبيعة المشاركين في أعمال اللجنة وفي اعمال المؤتمر نفسه الذي ضم اخلاطا متباينة واحيانا متناقضة من حيث التفكير والمواقف السياسية وبذلك جاء هذا التقرير ليصف هذه المواقف المختلفة حتى المتعارضة في نظرتها الى قضية الشرق الاوسط ، ولم تهمل لجنة الصياغة هذا الواقع بل اشارت اليه في ثنايا التقرير عندما استعملت تعابير من نوع « طالب جميع المشتركين في المناقشة **تقريبا** ... » و« أبدى الجميع عمليا اجماعا **يكاد** يكون تاما ...» و«أدانت **الغالبية العظمى** ...»،

---

* هكذا ورد في النص العربي ، اما في النص الانجليزي المعتمد فقد ورد Identity الذي يعني الشخصية او الهوية .

بل أن الرأي المنفرد كان له نصيب في التقرير ، فقد جاء في التقرير تعبيرات من هذا النوع «اعرب أحد المتحدثين عن رأيه ... » و« أشار متحدث آخر ... » و « لم يوافق اثنان من المتحدثين على ... » غير ان هذا الشكل من التعبير انحصر في المواقف التي سعت الى ايجاد تبرير لاسرائيل في مواقفها العدوانية ، وقد كانت لجنة الصياغة ذكية في ابراز هذه الاراء المنفردة بقصد وضعها في حجمها الحقيقي الضئيل ، خاصة وقد ثبتت التقرير الاراء التي كانت تنقض تلك المواقف المنفردة ، وقد لعب البريطاني مونتاجيو ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البريطاني ، دورا مهما بل رئيسيا ، في صياغة التقرير . (٢) كان اضعف ما ورد في تقرير لجنة الشرق الاوسط الفترة المتعلقة بتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني ، فقد جاء في التقرير انه « جرت الاشارة الى ان منظمة التحرير الفلسطينية قد اعترف بها كممثلة وحيدة له [للشعب الفلسطيني] في الوضع الراهن وذلك من قبل منظمات دولية مثل مؤتمر دول عدم الانحياز وجامعة الدول العربية وكذلك من قبل دول كثيرة». ان موطن الضعف يتمثل في تعبير «جرت الاشارة» — كما هو واضح — دون ان تعطى هذه « الاشارة » حجمها الحقيقي او مدلولها بله أن تصبح موقع موافقة من اللجنة . (٣) قام رئيس اللجنة وبعض نوابه (نخص منهم السوفياتي بلايف والقبرصي لاسيريدس والهندي كريشنا منون) بدور كبير وذكي في توجيه النقاش في اللجنة وجهة ايجابية . نعطي مثلا محددا على ذلك عندما اتهم سام فوكس (من كنده) الدول العربية بأنها رفضت الاعتراف بالسيادة الاسرائيلية وزعم أن ذلك هو سبب النزاع في الشرق الاوسط ، اعطى رئيس اللجنة الكلمة مباشرة الى نائبه كريشنا منون الذي القى خطابا مطولا كشف فيه طبيعة الكيان الصهيوني العدوانية واعاد المشكلة الى أسبابها الحقيقية في اغتصاب الوطن الفلسطيني وأكد ان الدول الاستعمارية هي التي تدعم اسرائيل وبذلك تؤجج الصراع وهكذا فأنه من الضروري التمييز بين المعتدين وضحايا العدوان كما أكد أن استعادة الشعب الفلسطيني حقوقه الشرعية هي الشرط الضروري لحل المشكلة . (٤) ان استذكار قرارات قمة دول عدم الانحياز التي عقدت قبل مؤتمر موسكو بفترة وجيزة يظهر ان هذه القرارات كانت متقدمة من حيث الصياغة والمضمون على تقرير لجنة الشرق الاوسط في مؤتمر موسكو. ونثبت هنا فقرة من قرارات عدم الانحياز المتعلقة بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالنضال الفلسطيني ليجري مقارنتها بما سبق من فقرات تقرير موسكو. «يطالب [المؤتمر] دول عدم الانحياز بالالتزام بمساندة شعب فلسطين العربي في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني والعنصري الاستيطاني لاستعادة حقوقه القومية الكاملة ويؤكد ان استعادة هذه الحقوق تشكل شرطا أساسيا للوصول الى سلام عادل ودائم ويعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا لنضال الشعب الفلسطيني » . (٥) ملاحظة ذاتية اخيرة ، كان يمكن للوفد الفلسطيني ان يحقق انجازات اكثر لو استطاع ان يحكم خطته في التحرك والاتصالات بحيث يتم في هذه الخطة تحديد الاهداف والاهداف البديلة بدقة مراعية طبيعة القوى المشاركة في المؤتمر ودراسة مواقفها تفصيلا من اجل استثمار هذه المواقف في دعم اهداف الوفد في المؤتمر . غير أن فقدان هذه الخطة جعل الوفد يتخذ موقف المنفعل تجاه مجريات المؤتمر اكثر منه دور الفاعل. وقد كان للاحباط الذي نتج عن توقف اطلاق النار على الجبهات العربية والعواقب السياسية المتوقعة عن ذلك دخل كبير في هذا الوضع الذي وجد الوفد الفلسطيني نفسه فيه .

عصام سخنيني

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

اعلنت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اثر صدور قرار مجلس الامن الدولي بوقف اطلاق النار (٢٢/١٠) « ان الثورة الفلسطينية التي انطلقت منذ بداية عام ١٩٦٥ ليست معنية بهذا القرار ، وهي تؤكد انها ستتابع الكفاح المسلح والجماهيري ضد الكيان الصهيوني من اجل تحرير الوطن وحق شعبنا في تقرير مصيره بنفسه وعلى ارضه » . وكان هذا الاعلان — الموقف من جانب القيادة السياسية للثورة الفلسطينية منسجما مع جميع منطلقات الثورة المبدئية والسياسية ، ومنطقيا مع مصادراتها التي بنت عليها استراتيجيتها كلها . وترجمت الثورة اعلانها الى موقف عملي عندما لم تتقيد بقرار وقف اطلاق النار بل استمرت في عملها المسلح كثفته في الايام الاولى التي أعقبت القرار (راجع جدول العمليات العسكرية في هذا العدد من المجلة) . غير ان وقف اطلاق النار لم يكن مجرد قرار عسكري بحت ، بل كان جزءا من تصور سياسي اوسع يشمل صلب القضية الفلسطينية نفسها ، باعتباره خطوة اولى عملية نحو تسوية شاملة معنية بها الثورة الفلسطينية بالتأكيد ، معنية بنتائجها على الثورة نفسها ، وبعواقبها على القضية الفلسطينية ، وبآثارها على الشعب الفلسطيني من حيث هو كيان وطني وعلى افراده من حيث هم مواطنون . وبذلك فاذا كانت الثورة غير معنية بحق بقرار وقف اطلاق النار من جهة انه يتناول موقف المتحاربين الذي ابتدأ في السادس من تشرين الاول ، فان الامر يختلف تماما من حيث النظرة الى ان هذا القرار كان بداية مرحلة جديدة ، بل بتعبير أكثر دقة مطلوب منه ان يكون بداية مرحلة جديدة عنوانها المسطح اقامة سلم في منطقة الشرق الاوسط مبني على قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، بينما آفاقها الحقيقية تمتد الى جذور القضية الفلسطينية ومستقبلها ومصيرها . واذا اخذت بالاعتبار الاجراءات السريعة التي اعقبت القرار (اتفاقية الخيمة عند الكيلو متر ١٠١ ، وتنفيذاتها بتبادل الاسرى ونقاط المراقبة الدولية) لبدا واضحا ، من خلال سرعة تنفيذ هذه الاجراءات ، ان هناك تصميما على ولوج هذه المرحلة — بعد تهيئة الاجواء المساعدة على قيامها.

من هنا نشأت الحاجة بالفعل الى ضرورة تحديد الموقف من جميع افرازات المرحلة القادمة ، وقد استدعت هذه الحاجة اوسع حوار شهدته الساحة الفلسطينية منذ نشوء الثورة ، هادف بما توفر من معلومات وبكثير من التحليل ، الى استكشاف آفاق المرحلة الحقيقية والتعرف على معطياتها من جهة والى مجابهتها عندما تصبح حقائق موضوعية بعيدة عن الظن من جهة اخرى .

كان من ابرز الموضوعات التي انصب عليها الحوار الفلسطيني واكثرها جذرية ما يتعلق منها باحتمال التسوية السياسية نفسها . فقد تطور رأي يؤكد هذا الاحتمال وينطلق من الحيثيات التالية : ان الحرب قد خلقت حقائق جديدة ابرزها على الجانب الاسرائيلي اهتزاز جميع الفرضيات التي بنت عليها اسرائيل سياستها في الفترة ما بين حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ وتستند تلك الفرضيات اساسا الى « نظرية » الحدود الآمنة لاسرائيل ، ومراهنتها على ان الدول العربية لن تكون بادئة بحرب ، واسطورة التفوق الاسرائيلي في حالة نشوب حرب . ويستخلص هذا الرأي — من خلال انهيار هذه الفرضيات — انه سوف يكون هناك تحول في السياسة الاسرائيلية نحو التخفيف من التصلب والتعنت المعهودين يقود في النهاية الى تنازلات تقدمها اسرائيل تتمثل في قبولها تنفيذ القرار ٢٤٢ او بعض اجزائه . ويدعم هذا الرأي حججه

بأن الخسائر التي لحقت باسرائيل (خسائر بشرية جسيمة وخسائر اقتصادية نتيجة تعطل الانتاج بسبب التعبئة العامة) سوف تضغط في هذا الاتجاه ، الذي سوف يتعزز هو ايضا بضغط قاعدي على قمة السلطة الاسرائيلية تمارسه الشرائح الاجتماعية في اسرائيل التي تضررت مصالحها بالحرب وسوف تتضرر ايضا في اي حرب قادمة .

اما على الجانب العربي فقد اوجد الانتصار الذي حدث — على الرغم من محدوديته — حقائق جديدة ايضا تمثلت بدرجة اساسية في نقض النرضية القديمة عن عدم قدرة الجيوش العربية على احراز انتصار . كذلك فأن قرار القتال بحد ذاته كان واقعا جديدا ايضا سمته المميزة هذه المرة ان الدول العربية مصممة على استخلاص حقوقها بالقوة بعد ان عجزت عن ذلك بكل وسيلة سواها . كما ان سلاح البترول وتأثيراته على ازمة الطاقة العالمية والذي استخدمته الدول العربية حتى الان بكفاءة يدخل في عداد الحقائق الجديدة على الجانب العربي ، وهي جميعا تقنع الاطراف الاخرى بجدية العرب في معالجة قضيتهم وفي الوصول الى حل لها ينال رضاءهم .

على الجانب الدولي يرى اصحاب هذا الاتجاه ان جميع الدلائل تشير الى ان سياسة الوفاق الدولي ستنعكس آثارها على الشرق الاوسط في ايجاد حل يمنع هذه المنطقة من ان تكون بؤرة انفجار من جديد قد تكون سببا في تخريب هذه السياسة التي يحرص عليها الطرفان السوفياتي والاميركي . ومن جانب اخر فان الاتحادالسوفياتي سوف يلقي بكل ثقله للوصول الى هذا الحل نتيجة لمواقفه المبدئية في دعم الشعوب العربية من جهة وبسبب من حرصه على علاقاته بالدول العربية التي سوف تتعرض لموجة من التشكيك في حال فشله في المساهمة في فرض حل يرضي المطامح العربية او بعضها . ومن جانب ثالث فقد اثبتت حرب تشرين الاول حقيقة جديدة هي ان الثقة المطلقة في كون اسرائيل حامية للمصالح الامبريالية في المنطقة قد تزعزعت بعد ان ثبت انها قابلة للهزيمة من جهة وانها من جهة اخرى غير قادرة على تأمين هذه المصالح (البترول) . وهكذا فان هامشا من التعارض بين اسرائيل والولايات المتحدة قد اخذ في الاتساع مما يفرض على الاخيرة ان تعيد النظر في استراتيجيتها في المنطقة العربية ، الامر الذي يستتبع اعادة ترتيب الموقف الاميركي ، جزئيا على الاقل ، تجاه اسرائيل والدول العربية .

يستخلص هذا الاتجاه رأيا يقول ان هناك تسوية ما ، مواصفاتها ستكون محصلة عوامل عدة عربية وفلسطينية وسوفياتية واميركية واسرائيلية ، ويدخل فيها عامل بدأ تأثيره يأخذ دورا ملحوظا هو العامل الاوروبي ، الذي يضغط هو ايضا نحو ايجاد هذه التسوية نتيجة تأثر مصالحه الحيوية . غير انه في المقابل يبرز في الحوار الفلسطيني الدائر الان تحليل معاكس ينصب في الاساس على فهم طبيعة الكيان الاسرائيلي . ومنهجيا يقدم هذا التحليل مدخلا للنقاش استعراض التجربة الاسرائيلية استرجاعيا حيث يثبت هذا الاسترجاع ان التنازلات تشكل استثناء نادرا في التاريخ الاسرائيلي بل في تاريخ الحركة الصهيونية نفسها ، وان هذه الحالات الاستثنائية تمت ايضا في ظروف استثنائية لم تكن اسرائيل بقادرة على مواجهتها والصمود امامها . فهل تواجه اسرائيل الان فعلا ظروفا **أقسى من طاقة احتمالها** ؟ يشكك اصحاب هذا الاتجاه في ذلك ويقدمون الحجج التالية : ان اسرائيل لم تنهزم كليا بسبب محدودية الانتصار العسكري العربي — وبالاضافة الى ذلك فقد حققت انجازات عسكرية هي الاخرى .

وهذا الوضع على الرغم من انه ليس افضل من وضع اسرائيل قبل الحرب الاخيرة الا انه في ادنى تقدير لا يضع اسرائيل في مركز يجبرها على تقديم تنازلات تتنافى كليا مع طبيعتها والاسس الاستراتيجية والنظرية التي يقوم عليها كيانها . فالتوسع الاسرائيلي ليس حاجة نابعة من متطلبات سياسية واستراتيجية فحسب وانما هو يدخل في صلب العقيدة الصهيونية ويعتبر احد الاسس المهمة والرئيسية التي قامت عليها هذه الحركة التي كانت اسرائيل تجربتها المجسدة المكثفة . وان تحطيم هذا الاساس النظري يحتاج الى قوة هائلة تتناسب في زخمها مع زخم تجذره في العقيدة الصهيونية وفي المجتمع الاسرائيلي . ومثل هذا الزخم لن يكون الا محصلة عاملين فاعلين : العنف المسلح المضاد للتطبيقات العسكرية لهذا الاساس النظري والتفجرات المجتمعية داخل اسرائيل نفسها (يساعد في توليدها استمرار العنف الثوري

المسلح) بحيث تنعكس هذه التفجرات على العقيدة الصهيونية وتنسفها من الداخل . ولم تكن حرب تشرين الاول القصيرة في مداها بقادرة على توفير مثل هذين العاملين . بل انه في المدى المنظور قد تتقوى في اسرائيل العناصر الاكثر شوفينية في المجتمع والسياسة والعسكرية . وان تسليط الاضواء على اريئيل شارون (ملك اليهود كما سمته اجهزة الدعاية) ليس من باب الصدفة وانما قد يعتبر مؤشرا الى هذه الحقيقة . بالاضافة الى ذلك فان الوضع الجديد الذي اسفرت عنه الحرب ربما يعزز لدى هذه العناصر الاكثر شوفينية « نظرية » الحدود الامنة اذا فهمت هذه النظرية من منظور ان مثل **هذه الحدود ليس من وظيفتها ان تمنع الحرب** وانما كما ارادها ايجال ألون « تضمن للدولة عمقا جغرافيا ومراكز طوبوغرافية مناسبة للدفاع ... وهي حدود تضمن اولا امكانية اقامة نظام الانذار المبكر والناجح ضد اقتراب الطائرات المعادية ومن ناحية اخرى ان الحدود الآمنة هي التي تتيح قواعد مريحة للهجوم المضاد » . ويعتبر ألون « ان خطوط الهدنة للسنة ١٩٤٩ لا تشكل حدودا آمنة ، وان الرجوع الى هذه الحدود يشبه الى حد كبير الدخول في مصيدة استراتيجية ... هذا الفهم للحدود الآمنة هل نقضته الحرب الاخيرة بحيث تسلم الاستراتيجية الاسرائيلية بنقيضه وتقنع بخطوط الهدنة للسنة ١٩٤٩ حدودا دائمة وهي المصيدة الاستراتيجية ؟ ان ثمة شكا كبيرا في ذلك يستند الى ان هذه « الحدود الآمنة » بالمفهوم الذي سبق قد منعت الحرب من ان تدور داخل « حدود الدولة » ووفرت عمقا استراتيجيا مهما « للدفاع » ومن ثم شن الهجوم المضاد .

ويذهب هذا الرأي — في الحوار الفلسطيني الدائر الان — الى استخلاص ان اسرائيل لن تنسحب من الاراضي العربية المحتلة انسحابا استراتيجيا وستناور في مماطلة زمنية طويلة للتمسك بهذه الاراضي . اما « الضغط » الاميركي فانه حصان خاسر لا يراهن عليه اصحاب هذا الرأي ، فهامش التعارض بين اسرائيل واميركه ليس من الاتساع ليسمح بأن يتحول هذا التعارض الى تناقض يخسر فيه الطرفان . كما ان وجود اسرائيل قوية « رادعة » في المنطقة لا يمثل ضمن الاستراتيجية الاميركية هدفا منشودا لذاته وانما هو وسيلة مثلى في يد الامبريالية الاميركية تستعملها في ابقاء هذا الوضع الراهن غير المستقر الذي يمنع الدول العربية من تحقيق برامجها الوطنية والقومية . وقد مس ابا ايبان جانبا مهما في العلاقة الاسرائيلية — الاميركية في تصريح له في العام ١٩٧١ قال فيه « لن تتخلى الولايات المتحدة عن اسرائيل ... لان امن الولايات المتحدة قائم على الثقة بقدرتها على الردع في العالم . فليست هناك دولة في اية قارة تثق بأن الولايات المتحدة ستهب لمساعدتها اذا تخلت هذه عن امن اسرائيل . ان اهمال اسرائيل معناه انهيار تام للثقة بالردع الاميركي في العالم . لذلك فان الولايات المتحدة ستعمل على مساعدة اسرائيل بناء على اعتبارات مصلحتها وليس لاعتبارات العطف فقط ، رغم الخلافات القائمة » . وامن اسرائيل تحدده اسرائيل نفسها ، تماما كما حدث عندما تخلت اميركه عن « الضغط » على اسرائيل في اواخر العام ١٩٧١ بعد مسعى « التسوية الجزئية » ومحاولات « المحادثات عن كثب » التي كانت اميركه رائدتها والتي رفضتها اسرائيل وانتهى هامش التعارض هذا « باقتناع » اميركه بهذا الرفض وبتزويد اسرائيل بمزيد من طائرات الفانتوم في نهاية ذلك العام . والنتيجة ؟ ستكون المرحلة القادمة — في المدى المنظور — امتدادا لمرحلة اللاحرب واللاسلم التي سبقت الحرب الاخيرة وستسعى الامبريالية الاميركية الى ابتزاز مزيد من التنازلات من الدول العربية (بدأت بشائرها منذ الان) تحت ستار مساعيها لحل الازمة الى ان تكتشف هذه الدول انها غير قادرة على الاستمرار في هذا النهج المسدود ، عندها فأن تشرين اخر قد يكون خاتمة المطاف .

وتثير موضوعة التسوية (امكانها او عدم امكانها) عددا من القضايا في الحوار الفلسطيني الراهن وقطب الرحى فيها هو السؤال التالي : اين نحن وما موقفنا في التسوية ان حلت ؟ و « نحن » هنا تشمل : الثورة الفلسطينية — الشعب الفلسطيني — الوطن الفلسطيني .

ربما لا تشكل الاجابة على هذا السؤال ضرورة ملحة بالنسبة للرأي القائل بأن احتمال التسوية غير وارد ، ذلك ان الشروط التي عاشت في ظلها الثورة الفلسطينية قبل الحرب الاخيرة وتمكنت من الاستمرار ضمن معطياتها ، ستكون هي ذاتها او شيئا شبيها بها في حال عدم التوصل الى

تسوية شاملة . بل يراهن هذا الاتجاه على ان المرحلة القادمة ستفرز شروطا افضل لاستمرار الثورة بل تصاعدها عندما تتبين الجماهير عقم مساعي التسوية وضخامة حجم التنازلات المطلوب تقديمها الى العدو القومي ، وهي تنازلات تتنافى في الاساس مع مصالح الجماهير الوطنية والطبقية إيضا . ويقود هذا الادراك من خلال مقولة التحدي وحتمية تحول التناقض بين مصالح الجماهير وعدوها الى تناقض صدامي ، يقود الى حالة يتخذ فيها الصراع في المنطقة شكلا اكثر **جذرية** واشد **صلابة** ويخلق محيطا ملائما لاستمرار الثورة وتطعيمها بعوامل عربية الشمول جذرية التطلعات.

مقابل هذا الاطمئنان المستند الى تفاؤل تاريخي ازاء حركة التاريخ ، تبدو المسألة اكثر تعقيدا (ومرارة كذلك) ان نظر الى التسوية وكأنها امر واقع لا محالة . الحوار الفلسطيني هنا يتخذ اكثر من محور . فعلى محور اول يجري تحليل لمعطيات بدايات المرحلة التي دخلت حيز التنفيذ مع وقف اطلاق النار ويستنتج من هذه المعطيات ان شكل التسوية القادمة سوف يكون اميركي السمات . وبذلك فأن الوقوف في وجه هذه التسوية وتعطيلها يعتبر مهمة مركزية راهنة . واذا كانت ارادتنا لن تكون حاسمة في هذا الصدد بالنظر لضخامة حجم القوى المشاركة في هذه التسوية وثقل وطأتها ، فأن على الارادة الفلسطينية الا تشارك في هذه التسوية ويجب الا تعطيها المباركة والمصادقة ، بل ان على الثورة ان تسجل موقف الرفض والادانة ، ومن ثم تعيد ترتيب اوضاعها الداخلية وتحالفاتها لتكون قادرة على مواجهة الظروف الجديدة التي سوف تخلقها مثل هذه التسوية وهي ظروف صعبة ولن تكون بالتأكيد ، وفي المدى القصير ، لمصلحة الثورة وجماهيرها وحلفائها .

على محور آخر يتوصل التحليل الى ان شكل التسوية سوف يصمم ملامحه جميع العوامل المشاركة في الصراع بشكل مباشر او غير مباشر ، كما ان الحقائق الجديدة التي افرزتها الحرب ستدخل في الحساب لدى تصميم شكل التسوية . يضاف اليها واقع ان لم يكن جديدا كليا فان وزنه آخذ في التزايد بعد الحرب مباشرة وهو تأكيد الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وتفصيلا يذهب هذا التحليل الى القول بأن موازين القوى في العالم وحقائق الحرب الجديدة ستقود بالنتيجة ليس الى تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ بنصه فحسب وانما ستذهب الى أبعد من ذلك لتتناول مسألة الشعب الفلسطيني نفسه ومصير الارض الفلسطينية التي « ستنسحب » منها اسرائيل (الضفة الغربية وقطاع غزة او أجزاء منهما) . وكذلك ينبغي ان تتطرق الى مسألة حقوق الشعب الفلسطيني وتحديدها . من هذه الفرضيات يطور اصحاب الرأي نقاشهم بأن أي حل يمس مصير الشعب الفلسطيني ووطنه يجب الا يتم في معزل عن هذا الشعب ومن وراء ظهره . وقد اكتسبت المقاومة (منظمة التحرير الفلسطينية رسميا) من خلال نضالها الطويل واعتراف قطاع كبير من الرأي العام العالمي بها كذلك عدد كبير من الدول ، صفة تمثيل الشعب الفلسطيني ، وبذلك فان على المقاومة ان تكون هي **العامل الفلسطيني** بين العوامل التي ستنتج **محصلة** الحل الذي لن يكون بالتأكيد متطابقا مع الاهداف الاستراتيجية للثورة الفلسطينية ولكنه يلبي بعض **مهماتها الراهنة** المتمثلة في تقرير مصير الضفة الغربية وقطاع غزة وشعبهما في حال انسحاب اسرائيل من هناك . ويضع اصحاب هذا الرأي **بديلا صعبا** لهذه الاطروحة يتمثل في ان الملك حسين بكل ما مثله نظامه من ارهاب وقمع تاريخيين ضد شعبنا ، هو الذي سيرث الضفة الغربية وشعبها (وربما غزة كذلك) في حال احجام المقاومة عن ان تكون عنصرا مؤثرا في الحل . وبذلك تصبح المشاركة الفلسطينية في الحل وفي دفعه الى مواقع أكثر ايجابية بالنسبة لشعبنا مطلبا وطنيا عند هذا الرأي لانقاذ شعبنا من عودة النظام الهاشمي الى اضطهاده وقمع طموحاته الوطنية ونموه الانساني . وهو مطلب وطني كذلك لانه تتويج مرحلي لنضالات شعبنا الطويلة التي أثمرت **الان** اعترافا شرعيا بها وبحق مؤسساتها في النطق باسم الشعب الفلسطيني وتقرير مصيره ، وان أي تخل عن ثمرة هذه النضالات سيجيرها بالتأكيد لجهات معادية لشعبنا (الملك حسين ونظامه) او أخرى لا تجسد طموحاته ولا تعبر عن حقيقة ارادته (وجهاء الضفة الغربية) . والنتيجة ؟ حق تقرير المصير للشعب في الضفة والقطاع بحرية ودون تأثيرات خارجية **وهو حق راهن** لا يعني التنازل عن **الحقوق التاريخية** للشعب الفلسطيني في تحرير كامل وطنه . بل ان **بعض** هذا الرأي يبلور هذا

الاتجاه بتحديد أكثر فيطرح « الدولة الفلسطينية في الاراضي المحررة » حلا مرحليا للنضال الفلسطيني بحيث تكون قاعدة لمواصلة هذا النضال المتوجه نحو الحل النهائي في نزع الصفة الصهيونية عن فلسطين واقامة الدولة الديموقراطية على كامل ترابها .

غير ان حجج هذا الرأي جميعا تظل خاضعة للنقاش . ويطرح رأي مقابل تجمله نقاط من هذا النوع : ان أي حل قادم سيكون في أحسن الاحوال واكثرها تفاؤلا مبنيا على قرار مجلس الامن ٢٤٢ الذي يدعو صراحة الى الاعتراف بالوجود الصهيوني على الارض الفلسطينية ويتضمن بالتأكيد في حال تنفيذه انهاء تاريخيا للقضية الفلسطينية من خلال انهاء الحرب وادعاء حالات الحرب وحل « مشكلة اللاجئين » وبذلك فان أي تسليم فلسطيني بهذه النتائج (مهما كانت النيات طيبة او ثورية) سيمنح صك الشرعية لهذا الوجود الصهيوني الذي يتناقض جذريا في منشئه واغراضه مع الوجود الفلسطيني نفسه والحقوق الفلسطينية نفسها . فهل يتناسب ثمن هذا الصك مع كيان هش يعيش بين السندان الهاشمي والمطرقة الاسرائيلية ولن يكون في أحسن الاحوال غير معبر للمصالح الاسرائيلية الى العالم العربي ؟ ثم أي « قاعدة ثورية » سيمثل هذا الكيان وقد ولد على فراش حل لم تصنعه الانتصارات الكبيرة وانما سوته نقائض العالم مجتمعة ومكثفة وصممت ملامحه وامكاناته وآفاقه جميع الاطراف المعنية بالنزاع على اختلاف مصالحها ؟

ربما يكون هذا الحوار في الساحة الفلسطينية (وهو دليل صحة وحيوية) سابقا لاوانه ، فليس ثمة ما يوحي حقيقة وبشكل صلب بامكان حل سريع وناجز والاحتمالات لا تزال مفتوحة جميعا . بيد ان هناك شبه اجماع يتلمسه المراقب في الساحة الفلسطينية على ان الحوار الهادىء غير المتشنج هو مهمة راهنة ملحة فالمرحلة الراهنة أخطر من ان يتحملها فريق بمفرده أو يتفرد بها رأي . ومن هنا كان انعقاد المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية والذي استغرقت جلساته يومين (انتهى يوم ١١/٧) واجتماعات اللجنة التنفيذية (١١/١٤) اطارا رسميا لهذا الحوار الذي مارسته قيادة الثورة كذلك في لقاءاتها العربية . فقد عقد الاخ ابو عمار في هذا الصدد سلسلة من اللقاءات مع عدد من المسؤولين العرب ، فقد التقى في بيروت (١٠/٢٨) بشريف بلقاسم وزير الدولة الجزائري ، كما اجتمع في دمشق الى الرئيس هواري بومدين (١١/٤) ومع الرئيسين حافظ الاسد ومعمر القذافي (١١/٥) ، وفي بغداد التقى مع عدد من كبار المسؤولين في الحكم وفي الحزب (١١/٨) وقام بزيارة الى المملكة العربية السعودية التقى خلالها بالملك فيصل انتقل بعدها الى القاهرة حيث اجتمع مع الرئيس أنور السادات (١١/١١) وانهى جولته العربية في بيروت حيث اجتمع بالرئيس سليمان فرنجيه (١١/١٦) . وكان الهدف من وراء هذه اللقاءات جميعا شرح مواقف الثورة الفلسطينية وتصوراتها من جانب واستكناه مواقف الدول العربية من جانب آخر . وقد كثرت التكهنات الصحافية عن طبيعة هذه اللقاءات التي ارادتها الثورة بالفعل ان تكون امتدادا للحوار الفلسطيني ، ونشرت « النهار » (١١/١٥) مقالا احتوى ما دعي تفاصيل محادثات الاخ ابو عمار في سوريا والعراق والسعودية ومصر . وقد ادلى مصدر اعلامي فلسطيني بتصريح نفى فيه ما ورد في هذا المقال الذي « حشي بجملة تخيلات لا اساس لها من الصحة » واعتبر ان المقصود منها « افساد الجو المسؤول والملتزم مع الاخوة العرب ومحاولة تأزيم العلاقات الطيبة بين الثورة الفلسطينية والدول العربية » . هذا ولم يقتصر الحوار الفلسطيني على ذلك الذي دار مع الدول العربية وانما امتد ليشمل الدول الصديقة ايضا ، وكان أبرز ما تم في هذا الصدد قيام وفد فلسطيني برئاسة الاخ ابو عمار بزيارة موسكو (ابتدأت الزيارة ١١/١٩) . وكما في الاتصالات العربية التي اجرتها الثورة كذلك كثرت التكهنات حول هذه الزيارة الاخيرة بينما تؤكد اوساط الثورة ان لهذه الزيارة هدفين : اسماع الاصدقاء السوفيات وجهة النظر الفلسطينية والتعرف على ما يدور على الصعيد العالمي بالنسبة للقضية الفلسطينية . ولا شك ان النتائج التي ستسفر عنها لقاءات موسكو (حتى كتابة هذا الباب كان الوفد الفلسطيني لا يزال في موسكو) عن نتائج ايجابية بالنسبة لهذين الهدفين .

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

على الرغم من موافقة كل من اسرائيل ومصر الفورية على قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الصادر في ٢٢ تشرين الاول (اوكتوبر) والداعي الى وقف اطلاق النار على كافة الجبهات (راجع شؤون فلسطينية ، عدد ٢٧ ، تشرين الاول (اوكتوبر) ، ص ٣٠) لم تتقيد قوات العدو بالقرار واستمرت في محاولة تحسين اوضاعها العسكرية في جبهة الجولان وفي الضفة الغربية من قناة السويس . ونتيجة لذلك عاد مجلس الامن الى الانعقاد بدعوة من مصر في ٢٣ تشرين الاول حيث وافق بسرعة على قرار امريكي — سوفياتي جديد اكد دعوة القرار السابق للمجلس في ايقاف النار على كافة الجبهات وطلب بالحاح من القوات المتحاربة العودة الى المواقع التي كانت تحتلها عند صدور القرار رقم ٣٣٨ ، بالاضافة الى توجهه للامين العام للمنظمة الدولية باتخاذ الاجراءات اللازمة من اجل ارسال مراقبين تابعين لهيئة الامم للاشراف على تنفيذ القرار ومراقبته . لكن اسرائيل استمرت في تحديها لمجلس الامن بتوسيع عملياتها الحربية في الضفة الغربية من قناة السويس مما جعل الرئيس السادات يصدر تعليماته الى وزير خارجيته (محمد حسن الزيات) الموجود في نيويورك ليطلب عقد اجتماع فوري لمجلس الامن للنظر في استمرار اسرائيل في انتهاك قراري المجلس بوقف اطلاق النار ، ودعوة كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الى ارسال قوة من قواته الموجودة قرب المنطقة للاشراف على تنفيذ وقف اطلاق النار واحترامه .

ولتأكيد هذه الدعوة بعث السادات الى كل من نيكسون وبريجينيف برسالة طلب فيها انزال قوات امريكية وسوفياتية في المنطقة لهذا الغرض .

وفي مجلس الامن الذي انعقد في ٢٥ تشرين الثاني طالب الزيات بالتدخل الفوري للقوات الامريكية والسوفياتية الموجودة في البحر الابيض المتوسط من اجل فرض تنفيذ وقف اطلاق النار . الا ان الولايات المتحدة رفضت الاستجابة لهذه الدعوة واعلنت بأنها « لا تعتزم ارسال اية قوات الى الشرق الاوسط وتأمل في الا تقوم اية دولة اخرى من خارج المنطقة بارسال قوات اليها » . وانتهت اجتماعات المجلس بالموافقة على قرار تقدمت به بعض الدول غير المنحازة . وبعد ان أكد القرار الجديد القرارين السابقين الداعيين الى وقف اطلاق النار نص على ما يلي :

١ — ضرورة الامتثال الفوري لوقف اطلاق النار بصورة كاملة وعودة الاطراف المتحاربة الى المواقع التي كانت تحتلها في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٣ الساعة السادسة عشرة والدقيقة الخمسين بتوقيت غرينتش .

٢) رجاء الامين العام اتخاذ اجراء فوري بزيادة عدد المراقبين العسكريين التابعين للمنظمة الدولية وذلك على جانبي خطوط وقف اطلاق النار .

٣) الانشاء الفوري لقوة طوارىء دولية تابعة لمجلس الامن مؤلفة من عناصر من الدول الاعضاء في هيئة الامم باستثناء الاعضاء الدائمين في مجلس الامن .

٣) الطلب الى الامين العام تقديم تقرير خلال ٢٤ ساعة حول الاجراءات المتخذة لهذا الغرض ، بالاضافة الى تقديم تقارير متواصلة ومستعجلة الى المجلس حول تنفيذ القرار الحالي وقراريه السابقين الداعيين لوقف اطلاق النار .

على اثر دعوة السادات القوات الامريكية والسوفياتية للتدخل المباشر في المنطقة ، انتهجت الولايات المتحدة سياسة استفزازية وشرسة وضعت العالم على حافة الحرب النووية وعرضته للدمار الشامل . ففي ٢٥ تشرين الثاني تبين ان نيكسون وضع القوات الامريكية في كافة انحاء العالم ، بما فيها القوة النووية الضاربة ، في حالة تأهب نتيجة لتطورات الوضع في الشرق الاوسط . وبررت الحكومة الامريكية هذا الاجراء العدواني بقولها ان لديها معلومات تفيد بأن الاتحاد السوفياتي كان يعد العدة لارسال قوات الى الشرق الاوسط من اجل ارغام اسرائيل على احترام وقف اطلاق النار . وترددت انباء صادرة عن اوساط دبلوماسية وسياسية مطلعة في واشنطن أن السفير السوفياتي سلم البيت الابيض رسالة شديدة اللهجة اكدت بأنه اذا لم تشارك الولايات المتحدة في ارسال قوات لتنفيذ وقف اطلاق النار كما طلبت مصر ، فان الاتحاد السوفياتي سيقوم بذلك من طرف واحد .

على اثر القرار الـذي اتخذه مجلس الامن بارسال قوة طوارىء دولية الى الشرق الاوسط ، وقيام الولايات المتحدة بدفع الازمة الى حـدود الاستفزاز النووي أخذ الهدوء يخيم على الجبهات واخذت طلائع القوات الدولية تصل الى مصر في ٢٧ تشرين الثاني . وفي اليوم نفسه اعلن الزعيم السوفياتي بريجنيف عـن ارسال مجموعة مـن المراقبين الى مصر للمساعدة في الاشراف على وقف اطلاق النار وذلك تلبية لدعوة الرئيس السادات. كذلك اعلن نيكسون في مؤتمر صحافي عقده في ٢٧ تشرين الاول انه على استعداد لارسال مراقبـين امريكيين الى المنطقة اذا طلب ذلك منه الامـين العام لهيئة الامم . ولم يترك الرئيس الامريكي اي شك بأنه يتوقع تلقي مثل هذا الطلب في القريب العاجل . كذلك اوضح ان اتصالات سريعة جرت بين واشنطن وموسكو لتلافي الاخطار التي تنطوي عليها المجابهة النووية بين الدولتين الكبيرتـين ، وكانت نتيجة هذه الاتصالات الاتفاق بين الطرفين على العمل معا لدعم القرار الاخير لمجلس الامـن الدولي . لذلك قـال نيكسون في مؤتمره حـول مستقبل الشرق الاوسط « ان الدلائل تدعو الى الامل اكثر بكثير مما كانـت عليه الحال طـوال الاسبوع الماضي » وان « الفرص أصبحت متاحة بصورة افضل مما كانت عليه منذ ٢٠ عاما ليـس لتحقيق وقف اطلاق النار فحسب ، بل لتحقيـق السلام الدائم في المنطقة ايضا » . وشدد نيكسون على ان الدولتين الكبيرتين اتفقتا على الاشتـراك في محاولة للاسراع في بدء المحادثات بين الاطراف المعنية بالنزاع . ولكنه اكد ايضا ان ذلك لا يعني ان الدول الكبرى ستفرض التسوية على المنطقة.

وعلى أثر ما أعلنه نيكسون في مؤتمره الصحافي حول الشرق الاوسط ، أعلنت القاهرة ان الرئيس السادات ارسـل وزير الخـارجية بالوكالة — اسماعيل فهمي — في مهمة خاصة الى واشنطن « تتعلق بتنفيذ قرارات مجلس الامن حول ازمـة الشرق الاوسط » . وفي العاصمة الامريكية اجتمع فهمي الى الرئيس نيكسون ووزير الخـارجية الدكتور كيسنجر ، وقد لاحظ المراقبون ان استقبال المبعوث المصري كان وديا جدا خاصة بالمقارنـة مع ما كان يحدث في السابق مع المبعوثين المصريين الذين سبقوه . وقد وصف فهمي اجتماعاته مـع كيسنجر بانها « مفعمة بالامل » وانها « بنـاءة وعملية وصريحة بالرغم من بطئها » . وقد تناولت المحادثات على ما يبدو موضوعات الساعة مثـل تثبيت وقف اطـلاق النار في المنطقة وانسحـاب اسرائيل الى خطوط ٢٢ تشرين الاول على الضفة الغربية من قناة السويس بالاضافة الى ترتيبـات التسوية النهائية للنزاع في المنطقة . وكان من اهم نتائج الزيارة الاعلان عن عزم كيسنجر العاجـل زيارة عدد من العواصم العربية بما فيها القاهرة وتعيين اسماعيـل فهمي وزيرا للخارجية محـل الزيات ، وقد تم هذا التبديل اثناء وجود فهمي في واشنطن . وتشير كل هذه الدلائل الى التحسن الكبير الذي طرأ على العلاقات المصرية ـ الامريكية منذ وقف اطلاق النار . وفي خطوة سورية مشابهة قام محمد زكريا اسماعيل نائب وزير الخـارجية السورية بزيارة واشنطن في اوائل شهر تشريـن الثاني حيث اجتمع بكيسنجر كجزء من عمليةتوسيع الاتصالات العربية ـ الامريكية حـول الوضـع الناتج عن الحرب في المنطقة . ويبدو ان عمليـة التوسيع هذه جاءت نتيجة مبادرة امريكية حملت المبعوث السوري الى واشنطن . وفي الوقت نفسه تقريبا وصل الى القاهرة فاسيلي كوزنتسوف النائب الاول لوزير خارجية الاتحاد السوفياتي بدعوة من الحكومة المصرية . وقد قابل كوزنتسوف الرئيس السادات كما اجرى محادثات مع كبار المسؤولين المصريين حول « قرارات مجلس الامن المتعلقـة بتحقيق السلام العادل في المنطقة » . ثم انتقل الى دمشق حيث اجرى مشاورات « تتعلق بترتيبات وقف اطلاق النار وموقف اسرائيـل من الجهـود المبذولة لاحلال السلام » . وترددت انباء موثوقة ان كوزنتسوف قد اطلع المسؤولـين المعنيـين في كل من القاهرة ودمشق على تفاصيل المحادثـات الامريكية ـ السوفياتية حتى تاريخه كي يكـون القادة العرب على علم تام بالحقائق قبل وصـول كيسنجـر الى عواصمهم . كذلـك قام الزائـر السوفياتي باطلاع مضيفيه على الجهود السوفياتية المكثفة لتأمين عقد مؤتمر دولي للسلام في اقـرب فرصة ممكنة مع ضمان مشاركة ممثلي الشعـب الفلسطيني فيه على ان يبت المؤتمر كل القضايا العالقة في ازمة الشرق الاوسط في مدة لا تتعدى ستة اشهر من تاريخ انعقاده .

في أوائل شهر تشرين الثاني بدا ان وقف اطلاق النار كان على وشك الانهيـار بسبب الوضـع العسكري الدقيق على الضفة الغربية من قنـاة

السويس . وكانت الانظار كلها متجهة نحو زيارة كيسنجر للعواصم العربية ، وخاصة القاهرة ، لترى ما اذا كانت الزيارة ستسفر عن ضغط امريكي كاف على اسرائيل للقبول باتفاقية محددة لوقف اطلاق النار ام ان القتال سيعود للاندلاع من جديد . وفي ٥ تشرين الثاني بدأ كيسنجر جولته العربية بزيارة سريعة للرباط حيث قابل الملك الحسن . واعلن الوزير الامريكي قبل مغادرته باتجاه تونس ان محاوثاته مع الملك كانت « مفيدة جدا » وتناولت المسائل المتعلقة بتنفيذ قرار وقف اطلاق النار . وفي تونس عقد كيسنجر محادثات مع الرئيس بورقيبة شملت « جوهر قضية الشرق الاوسط ومنها القضية الفلسطينية » على حد تعبير المصادر الرسمية التونسية . وفي ٧ تشرين الثاني وصل كيسنجر الى القاهرة حيث اجتمع بالرئيس السادات . وقد اسفرت زيارته عن نتائجدراماتيكية سريعة وغير متوقعة اهمها : ١) الاتفاق على اعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة مع التسمية الفورية للسفيرين ٢) الوصول الى اتفاقية لتثبيت وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل نصت على ما يلي :

اولا : توافق مصر واسرائيل على مراعاة وقف اطلاق النار الذي دعا اليه مجلس الامن الدولي .

ثانيا : يوافق الجانبان على بدء المحادثات بينهما فورا لتسوية قضية العودة الى خطوط وقف اطلاق النار القائمة في ٢٢ تشرين الاول ضمن نطاق اتفاق على فك الارتباط وفصل القوات باشراف الامم المتحدة .

ثالثا : تتلقى مدينة السويس تموينات يومية من المواد الغذائية والماء والادوية . وينقل جميع الجرحى المدنيين من مدينة السويس .

رابعا : لن تكون هناك عقبات في طريق انتقال التموينات غير العسكرية الى الضفة الشرقية .

خامسا : تحل نقاط تفتيش دولية محل نقاط التفتيش الاسرائيلية على طريق القاهرة ـ السويس وعند نهاية الطريق قرب مدينة السويس يستطيع ضباط اسرائيليون الاشتراك مع الامم المتحدة في الاشراف على الطبيعة غير العسكرية للشحنات عند ضفة القناة .

سادسا : بمجرد اقامة نقاط التفتيش الدولية على طريق القاهرة ـ السويس سيتم تبادل اسرى الحرب بمن فيهم الجرحى .

٣) البحث في مؤتمر للسلام تشارك فيهالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بالاضافة الى الاطراف المعنية مباشرة بالنزاع في المنطقة وذلك تحت اشراف مجلس الامن الدولي وبهدف تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقد ترددت انباء تقول انه سيتم عقد هذا المؤتمر في النصف الاول من شهر كانون الاول المقبل .

وبينما كان كيسنجر يناقش بنود الاتفاقية في القاهرة كان مساعده جوزيف سيسكو يفعل الشيء نفسه في تل ابيب مع كبار المسؤولين الاسرائيليين، وبهذا الاسلوب تمكن الوزير الامريكي من ضمان موافقة الطرفين المعنيين على بنود الاتفاقية .وعند مغادرته القاهرة الى الاردن اعلن كيسنجر انه تمكن من تحقيق تقدم مهم على طريق اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

كما أعلن الناطق الرسمي المصري بأن محادثات كيسنجر في القاهرة كانت « بناءة ومثمرة وشكلت تحركا نحو تسوية سلمية تصر مصر على بدئها فورا » . بعد القاهرة توقف كيسنجر في عمان حيث اجرى محادثات مع الملك حسين تناولت مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ومدينة القدس .ويبدو ان الزائر الامريكي طمأن الملك بأن مصالحه ووجهات نظره سوف تكون مضمونة في أية تسوية سلمية تدعمها الولايات المتحدة للنزاع في الشرق الاوسط . وكان هذا واضحا من تصريح كيسنجر قبل مغادرته عمان حيث اكد ان قيام بلادهبتحسين علاقاتها مع كل دول المنطقة لا يعني انها «ستنسى أصدقائها (أي الملك حسين) الذين وقفوا معها منذ سنوات عدة » . كما اكد « انه سيكون للاردن دور اساسي في اقامة السلام العادل والدائم » . وفي الرياض قابل كيسنجر الملك فيصل حيث تركزت المحادثات على : ١) موضوع البترولواستخدامه كسلاح في خدمة القضية العربية في المجابهة مع اسرائيل . ٢) مستقبل مدينة القدس . ٣) حقوق الشعب الفلسطيني . وذكرت الانباء الواردة من السعودية ان الملك فيصل كان حازما وواضحا في التعبير عن وجهات نظره وانه ابلغ وزير الخارجية الامريكي ان السعودية لن ترفع الحظر على شحن النفط الى اميركا ولن تعيد انتاجها الى ما كان عليه سابقا ما لم تنته مفاوضات السلام نهاية ناجحة يتحقق على أثرها الانسحاب

الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة وضمان حقوق الشعب الفلسطيني . كما اكدت هذه الانباء ان الملك فيصل شدد على ضرورة اعادة القدس العربية الى العرب ورفض فكرة تدويل المدينة او الاماكن المقدسة مع الموافقة على اعطاء حائط المبكى للاسرائيليين .

وعلى اثر انتهاء جولة كيسنجر العربية تم توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل في نقطة معينة على الطريق بين القاهرة ومدينة السويس حيث أخذ كبار الضباط من الطرفين يجتمعون باشراف القوات التابعة لهيئة الامم من اجل التفاوض حول الشؤون العسكرية الملحة. وكانت أول نتيجة عملية لتوقيع الاتفاقية انتقال التموين المصري الى مدينة السويس والجيش الثالث في الضفة الشرقية من قناة السويس بمراقبة قوات هيئة الامم بدلا من القوات الاسرائيلية ، بالاضافة الى البدء بعمليات تبادل الجرحى والاسرى بين مصر واسرائيل . ويبدو ان الاتحاد السوفياتي لم يكن مرتاحا لتطور العلاقات المصرية الامريكية بهذه السرعة المذهلة ، اذ ذكرت الانباء ان السفير السوفياتي في بيروت قال لاحد السياسيين اللبنانيين الكبار في جلسة عامة انه « غير مطمئن الى خطوات السلام التي تحققت حتى الان او الى نيات الولايات المتحدة تجاه العرب » وتردد السفير على ضرورة بقاء العرب في موقع « الحذرين والمتنبهين سواء بالنسبة لنيات امريكا او نيات اسرائيل لانه يخشى ان تكون هناك نيات مبيتة خلف تحركات السلام المشار اليها » .

كذلك اقدم الامين العام للحزب الشيوعي اللبناني — نقولا الشاوي — على توجيه النقد للتقارب المصري — الامريكي . ولم يخف الضيق الذي اخذ يسببه ميل السياسة العربية للاعتماد على الجانب الامريكي في حل مشكلات النزاع في المنطقة اذ قال في خطابه حول هذا الموضوع : « يبدو في الافق ان مساعي الحل بايجاد تسوية سياسية ، انما يقوم بها جانب واحد هو الجانب الامريكي . ونشهد ، ويا للاسف ، سرعةالتفاؤل في قدرة هذا الطرف الامريكي البشع على تقديم الحلول المقبولة على رغم معرفتنا بعدائه للعرب وبموقفه المفضوح من أمانينا القومية » . وبعد تحذيره من اخطار الوقوع في حبائل الاستعمار الامريكي والامبريالية ، وبعد اشادته بأهمية المساعدات السوفياتية قبل الحرب واثناءها وبعدها وبموقف بلاده الحازم من مسألة الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة وقضية ضمان حقوق الشعب الفلسطيني ، بين الشاوي بوضوح « ان الاتحاد السوفياتي لم يفرض على العرب وقف القتال نتيجة لاتفاقه مع الولايات المتحدة ، بل استجاب للطلب العربي فعمل على وقف القتال » و « ان خطاب الرئيس انور السادات الذي عرض فيه شروط وقف القتال وتقدم فيه بمشروع للسلام لم يأت بعد زيارة الرفيق الكسي كوسيغين الى القاهرة ، بل استبق الخطاب الزيارة ، فكانت المحادثات على اساس الخطاب ولم يكن الخطاب على اساس المحادثات. وحتى المحادثات هذه لم تصل الى تحديد وقت وقف النار ، بل جرى العمل السريع على وقف النار بناء على طلب الرئيس السادات » .

وبعد البدء بتنفيذ اتفاقية وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل حدث تطوران مهمان على الصعيد الدولي هما : ١) اعلان الدكتور كيسنجر اثناء زيارته للصين في الاسبوع الثاني من تشرين الثاني ان بلاده تدرس امكانية عقد معاهدة مع اسرائيل تضمن بموجبها الولايات المتحدة امن اسرائيل على اساس الحدود التي سيتم التوصل الى تحديدها في مفاوضات السلام المقبلة . واكد كيسنجر ان حدود اسرائيل المشار اليها لن تكون حدود وقف اطلاق النار لعامي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ٢) قيام وكالات الانباء العالمية بنشر تفاصيل ما اسمته بالمشروع الامريكي للسلام في الشرق الاوسط (١٨ تشرين الثاني) الذي تم البحث فيه مع الزعماء العرب مع العلم ان الافكار الواردة فيه ما زالت في طور المقترحات الخاضعة للتفاوض والمناقشة بدون ان تكون قد تبلورت في صيغتها النهائية بعد . وذكرت الوكالات ان المشروع الامريكي يتضمن النقاط التالية :

١) المرحلة الاولى : الانسحاب الاسرائيلي الى ممرات متلا وجدي في سيناء وممارسة مصر السيادة على هذا الجزء من الضفة الشرقية لقناة السويس .

٢) المرحلة الثانية : الانسحاب الاسرائيلي من كل سيناء التي ستكون منطقة منزوعة السلاح باشراف الامم المتحدة .

٣) ضمان حرية الملاحة للسفن الاسرائيلية عبر مضائق تيران وباب المندب وقناة السويس ، بينما تكون شرم الشيخ منزوعة السلاح مع وجود قوات دولية فيها .

٤) تبقى القدس مدينة موحدة لكن مع وجود ادارة عربية في القطاع الشرقي منها واشراف اسلامي – مسيحي على الاماكن المقدسة .

٥) تنسحب اسرائيل من الجولان على مراحل . في المرحلة الاولى تنسحب الى ما وراء القنيطرة وتعود هذه المدينة الى سوريا . اما الاراضي السورية المحتلة الاخرى فستكون منزوعة السلاح وفيها قوات دولية .

٦) تكون الضفة الغربية للاردن (باستثناء الخليل وقلقيلية) وقطاع غزة منطقة مجردة من السلاح .

٧) يجري في هذه المنطقة استفتاء يقرر الفلسطينيون فيه اذا كانوا يريدون اقامة ممر بين الضفة وغزة (الكيان الفلسطيني) واسرائيل او يريدون ربط الضفة وغزة بالاردن . وهذا يعني ، عمليا ، عدم وجود دولة فلسطينية مستقلة واقصاء المقاومة عن المشاركة في التسوية .

على صعيد دول اوروبا الغربية ادت الحرب في الشرق الاوسط الى وقوع ازمة امريكية – اوروبية كبيرة داخل منظمة الحلف الاطلسي . فقد تضايقت الولايات المتحدة كثيرا من السلوك الاستقلالي الذي سلكته دول اوروبا الغربية في موقفها من الحرب ، وخاصة من تنصلها من الجهود الامريكية لتزويد اسرائيل بالسلاح والعتاد اثناء القتال . لذلك وجه المسؤولون الامريكيون انتقادات قاسية الى حلفائهم الاوروبيون تتهمهم بعدم تأييد سياسة الولايات المتحدة واعمالها اثناء ازمة الشرق الاوسط الساخنة .

على سبيل المثال اشار نيكسون الى هذا الموضوع في مؤتمر صحافي عقده في ٢٧ تشرين الاول بقوله « ان اصدقاءنا الاوروبيين لم يظهروا التعاون الكافي في محاولة لمساعدتنا على ايجاد تسوية في الشرق الاوسط » . واعلن الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية ان دولة اوروبية واحدة (البرتغال) من كل دول الحلف الاطلسي قدمت المساعدة التي اعتبرتها واشنطن ضرورية اثناء الحرب . اما كيسنجر فقد شن حملة شديدة على الدول الاوروبية المعنية في اجتماع سري عقده في اخر شهر تشرين الاول مع برلمانيين من سبع دول اعضاء في السوق الاوروبية المشتركة متهما اياها بعدم التعاون مع حكومته خلال حالة الطوارىء التي فرضتها الحرب في الشرق الاوسط. وشدد في نقده على المانيا الغربية التي « خلقت المشاكل في وجهنا برفضها السماح للطائرات الامريكية الذاهبة الى اسرائيل باستخدام القواعد الموجودة على ارضها او التحليق في اجوائها الاقليمية » . ووصلت الازمة الى حد تبادل التهديدات العلنية اذ اعلن وزير الدفاع الامريكي في اخر تشرين الاول ان موقف حكومة بون قد يضطر الولايات المتحدة الى اعادة النظر في بعض الاسس التي تستند اليها السياسة الامريكية ازاء المانيا الغربية . ورد وزير الخارجية الالماني – والتر شيل – باتهام الولايات المتحدة بابقاء حلفائها الاوروبيين في حالة جهل تام بالنسبة لتحركاتها ونياتها المتعلقة بأزمة الشرق الاوسط . كذلك انتقدت الدول الاوروبية بصورة مشتركة قرار نيكسون بوضع القوات الامريكية في كل انحاء العالم في حالة تأهب ، كما عبرت عن اعتقادها بأنه لم يكن هناك اي مبرر لتعريض أمن العالم الى مواجهة نووية ، وكل ذلك بدون اخطار الدول الاخرى في الحلف الاطلسي بأن قرارات خطيرة من هذا النوع قد تم اتخاذها . ولم يقتصر رد الفعل الاوروبي الغربي على توجيه الانتقادات بل تحرك باتجاه خطوتين تطبيقيتين مهمتين هما : اولا ، دعوة الرئيس بومبيدو لعقد مؤتمر قمة لدول السوق الاوروبية المشتركة قبل نهاية العام الحالي لبحث قضية الشرق الاوسط ، وتأكيده في هذه الدعوة : أ) استعداد فرنسا للمساعدة الى أقصى حد في عمليات احلال سلام عادل ودائم في المنطقة باشراف مجلس الامن الدولي. ب) استيائها من استبعاد الدول الاوروبية الغربية من اجراءات وقف اطلاق النار ومحاولات بدء مفاوضات السلام. جـ) ضرورة قيام الدول الاوروبية بدور مهم في تسوية ازمة الشرق الاوسط بسبب الروابط الاوروبية الاقتصادية والتاريخية والجغرافية مع المنطقة . و) ضرورة عدم احتكار الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الهيمنة على تسوية الازمة لان في ذلك مضاعفة لاحتمالات قيام مجابهة عامة خطيرة بينهما . ثانيا ، البيان المشترك الذي اصدره وزراء خارجية دول السوق الاوروبية

المشتركة (وعددها ٩ دول) في ٦ تشرين الثاني حيث حددت موقفا واضحا من موضوع التسوية السلمية في الشرق الاوسط واكدت عزمها على المشاركة مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في اجراءات الوصول الى التسوية . وقد نص البيان الاوروبي على : ١) ضرورة عودة القوات الاسرائيلية الى مواقعها كما كانت في ٢٢ تشرين الاول تنفيذا لقراري مجلس الامن رقم ٣٣٩ و٣٤٠ خصوصا وان هذه العودة ستسهل حل المشكلات العاجلة الاخرى المتعلقة بتبادل أسرى الحرب والجيش المصري الثالث . ٢) أمل الحكومات الاوروبية المعنية بأنه بعد موافقة مجلس الامن على قراره الرقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٢ تشرين الاول الماضي سيصبح من الممكن البدء في اجراء مفاوضات من أجل سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط تطبيقا لقرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ بكل بنوده . وستبذل هذه الحكومات كل ما في وسعها للمساهمة في اطار الامم المتحدة . وتقدر هذه الحكومات ان أي اتفاق سلام ينبغي ان يستند الى المبادىء او النقاط الاتية :

(أ) عدم جواز الاستيلاء على اراضي الغير بالقوة .

(ب) ضرورة ان تضع اسرائيل حدا لاحتلالها للاراضي التي تحتفظ بها منذ حرب ١٩٦٧ .

(ج) احترام سيادة كل دول المنطقة واستقلالها ووحدتها الاقليمية وحقها في الحياة في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها .

(د) الاعتراف بأنه في حال اقرار سلام عادل ودائم ينبغي أخذ حقوق الفلسطينيين المشروعة في الاعتبار .

(هـ) وفقا للقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن يجب ان تشمل التسوية السلمية ضمانات دولية . كما انه يجب تدعيم هذه الضمانات باجراءات متعددة من بينها ارسال قوات مكلفة بالحفاظ على السلام الى المناطق التي قد يتقرر نزع سلاحها وفقا للمادة الثانية من القرار ٢٤٢ .

وقد احتفظت الدول الاوروبية المصدرة للبيان بحق تقديم أية مقترحات في المستقبل بشأن تسوية النزاع في الشرق الاوسط . وقد لقي البيان الاوروبي ترحيبا حارا في الدول العربية وفي اوساط الثورة الفلسطينية ، كما كان مصدرا للقلق في اسرائيل اذ جاء تعبيرا واضحا عن حالة العزلة الدولية التي أخذت تعيش فيها اسرائيل بصورة متزايدة ومتسارعة منذ اندلاع الحرب في المنطقة ، اذ اقدمت الدول الافريقية التالية على قطع علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل مشترطة الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة قبل اعادتها : غينيا الاستوائية ، اثيوبيا ، السنغال ، غانا ، كينيا ، زامبيا ، غامبيا ، ليبيريا ، نيجيريا ، الغابون ، سيرا ليوني .

أما على جبهة البترول فقد اتخذت الدول العربية المعنية مزيدا من الاجراءات الهامة في استخدام هذا السلاح لدعم القضية العربية . وكانت أهم هذه الاجراءات : (١) قطع البترول كليا عن هولنده بسبب سياستها المعادية للعرب وكان لهذه الخطوة اصداء عالمية واسعة بسبب الموقع الخاص الذي يحتله مرفأ روتردام باعتباره أكبر مركز في العالم لتكرير البترول وتوزيعه . وانقطاع النفط عن هولنده لن يؤثر على هذا البلد وحده بل سيترك اثاره السلبية على اوروبا كلها بما في ذلك المنشآت الامريكية العسكرية وغير العسكرية في القارة .

(٢) قيام المملكة العربية السعودية بتخفيض انتاجها من البترول بنسبة ٥٪ (بالاضافة الى التخفيضات السابقة) ابتداء من اول شهر تشرين الثاني ، واعلان قطر في ٨ تشرين الثاني عن خفض مماثل نسبته ٢٥٪ من انتاجها .

(٣) القرار الذي اعلنه وزراء النفط العرب على اثر اجتماعهم في الكويت في اوائل الشهر الحالي بخفض انتاج البترول في كل دولة من دولهم لشهر تشرين الثاني الى ٧٥٪ نسبة الى ما كان عليه في شهر ايلول الماضي على ان يضاف الى ذلك خفض ما نسبته ٥٪ في مطلع كانون الاول المقبل . وتركت الخطوات البترولية العربية اثارا هامة على العالم الرأسمالي ككل . فقد استدعت السلطات المسؤولة في الولايات المتحدة في ٣٠ تشرين الاول ممثلي شركات النفط الرئيسية لاجراء مباحثات استراتيجية في وجه مخاوف متزايدة بأن يقضي حصار النفط العربي على فرص الولايات في مجابهة برد الشتاء بنجاح وتلبية الحاجات المحلية من النفط . واجتمع كبار المسؤولين في ٢١ شركة نفط عالمية مع المسؤولين الحكوميين في وزارة الداخلية للبحث في

« المشكلات الناجمة عن الوضع النفطي الحالي ٠»

وكشف وزير الداخلية الامريكي في تصريح له ان ازمة الطاقة هي أهم قضية تواجه الشعب الامريكي في الوقت الحاضر وان نصف امدادات وقود التدفئة لولايات الساحل الشرقي من البلاد تأتي من البترول العربي ٠ وفي حديث تلفزيوني الى الشعب الامريكي أعلن الرئيس نيكسون ان المقاطعة النفطية العربية قد تحرم الولايات المتحدة واحدا في المئة من استهلاكها النفطي هذا الشتاء ، وطالب الامريكيين بالاقتصاد في استخدام الوقود وبتخفيض الحدود القصوى لسرعة السيارات على شبكات الطرق الرئيسية كما اقترح الاجراءات التالية :

(١) التشجيع على استخدام الفحم بدلا من النفط في الصناعات ٠

(٢) خفض درجة حرارة التدفئة في المكاتب الى ١٨ درجة مئوية وفي المنازل والشقق الى ٢٠ درجة مئوية ٠ وقيام الشركات الصناعات بخفض تدفئتها او ساعات العمل من أجل الاقتصاد في استهلاك الطاقة ٠

(٣) تحديد عدد رحلات الطائرات التجارية وسرعاتها للاقتصاد في الوقود ، وخفض عدد الرحلات الجوية بأكثر من ١٠ في المئة واجراء تعديلات في مواعيد الوصول والاقلاع ٠

(٤) خفض في الاعلانات المضاءة ٠

(٥) تحديد ساعات فتح المكاتب والمحلات التجارية واغلاقها ٠

(٦) تحويل نفط الآبار المخصصة لسلاح البحرية الى السوق التجارية ٠

(٧) غض النظر عن قوانين منع تلوث الهواء والماء بالنسبة لاستخدام الفحم والنفط الحاوي نسبة كبيرة من الكبريت وتحويل ٤٦ محطة الى استخدام الفحم بدلا من النفط لانتاج الكهرباء ٠

ومن نافل القول ان مثل هذه الاجراءات ستدخل الارتباك والتشويش في كثير من مجالات الحياة الامريكية اليومية والعادية ٠ وعلى صعيد اوروبا الغربية منعت عدة دول بينها هولنده وبلجيكا والمانيا استخدام السيارات أيام الآحاد كما أخذت دول أخرى تستعد لخطوات مشابهة في المستقبل القريب منها تقنين توزيع النفط على المستهلكين ٠ وشاع الاضطراب في سوق الوقود مؤثرا بذلك ليس على اوروبا وحدها بل على اليابان ايضا ٠

صادق جلال العظم

(٣) اسرائيليات

((حرب اليهود ضد اليهود)) !

الاستنتاج الاول والاهم الذي يستخلصه ويتوصل اليه المتابع للتطورات داخل اسرائيل من خلال صحفها ، هو ان من الصعب جدا — بل يكاد يكون من المستحيل — على الاسرائيليين ، الصمود تحت ثقل نتائج حرب ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ، ما لم تشهد مراكز السلطة هناك ، من سياسية وعسكرية ، اهتزازات وانفجارات عنيفة ، تطيح بعدد كبير من المسؤولين ، وتصل الى السلطة بقيادات جديدة ، وتخلق توازنات جديدة ، ويسود وضع تصبح فيه اسرائيل ما بعد حرب اكتوبر ، شيئا آخر مختلفا تماما عما كانت عليه قبلها .

ذلك ان « حرب اليهود ضد اليهود » ، كما يسميها عيزر وايزمان وغيره من الاسرائيليين — عنيفة وقاسية وشاملة ، لم تشهد اسرائيل مثيلا لها من قبل ، سواء في شمولها وعدد المشاركين فيها ، او في نوعيتها والقضايا التي تدور حولها الاختلافات والخلافات ، الى درجة انها اصبحت أشبه بالمعركة يحارب الجميع فيها الجميع ، فالخلافات وتبادل التهم تدور بين اعضاء الحزب الواحد ، وبين الاحزاب ، وبين الكتل السياسية ، بين الوزراء أنفسهم ، وبين القادة العسكريين ، بين الصحف والصحافيين ، وبين جميع هؤلاء من جهة والحكومة من الجهة الثانية ، وكل ذلك حول مسلمات ما كان احد يجرؤ على الاقتراب منها من قبل ، و « مقدسات » ما كان أحد من قبل يجرؤ على التشكك فيها .

ولعل أحرف واسماء الاستفهام ، هي الاكثر ترددا في الصحف الاسرائيلية لما بعد يوم ٢٢ اكتوبر — يوم اتخاذ مجلس الامن للقرار رقم ٣٣٨ بخصوص وقف القتال ، وقبول اسرائيل له — ، بدءا من ماذا ولماذا ومرورا بكيف ومتى ، وانتهاء بأين والى أين ...

يقول المعلق والمراسل العسكري الاسرائيلي المعروف زئيف شيف : « ان السؤال الاول يتعلق بتجنيد رجال الاحتياط . والسؤال هو : ماذا حدث في المرحلة الثانية يوم السبت ٦ اكتوبر عندما كان واضحا اننا نسير نحو الحرب ؟ وحين كان بالامكان القيام بتجنيد فوري وشامل لقوات الاحتياط ؟... يبدو انهم (أي رجال السلطة) اعتمدوا مرة اخرى على التقييم القديم القائل بأن في وسعنا القضاء على العرب بضربة هنا وضربة هناك » .

« ... والسؤال المطروح : كيف تم تنفيذ الاستنفار ؟ وكيف جرى تجنيد الاحتياط وزجه في المعركة ؟ وكيف كانت حالة الدفاع في المواقع ؟.. ينبغي ان يجري التحقيق في كل وحدة ووحدة حول كيفية تجنيدها وتجهيزها ، وكم من الوقت مر حتى وصلت الى ساحة القتال » .

ثم ... « كيف أعد الدفاع عن موقع جبل الشيخ ؟ من وكم عدد الافراد الذين مكثوا في هذا الموقع خلال فترة الاستنفار ؟ وفوق كل ذلك : ما هو الوضع الفعلي لحالة الاستنفار ووضع القوات على امتداد الخط الشمالي ؟ » (هآرتس ١٩٧٣/١٠/٢٨) .

ولم يكن هذا الحشد من الاسئلة في موضوع عنوانه علامة استفهام ، بل على العكس ، جاء ذلك في حلقة من سلسلة مقالات بعنوان : «الحرب: دروس اولية»... فهل يعني ذلك ان الاسرائيليين لم يستخلصوا بعد دروسا من الحرب ، وانهم ما زالوا ضمن دائرة الاسئلة ؟ .

اذا كان ذلك يصح بالنسبة الى عدد وافر منهم، فانه لا يصح بالنسبة لآخرين ، بدأوا منذ الايام الاولى لانتهاء القتال يستخلصون العبر ويدعون الى محاسبة المسؤولين على الاخطاء وعن التخاذلات .

وقبل البدء بعرض هذه العبر والدروس ، لا بد من الاشارة الى ان العديد من المعلقين والمسؤولين الاسرائيليين ، يرون ان الوقت لم يحن بعد للمحاسبة ، ونشر الحقائق ، لان في ذلك اشعالا لنار تحرق الجميع «... ويجب أن يكون واضحا لنا جميعا ، انه لم يحن بعد وقت بدء الجدل الداخلي حول ذلك (مجموع الاخطاء التي ارتكبت قبل واثناء وبعد الحرب) ... ذلك لان كمية كبيرة من المواد المتفجرة تكمن في هذا الجدل

وهو حقل الغام ، يكفي ان نخطو فيه ولو قليلا لكي نقدم الى اعداء اسرائيل في المنطقة وفي العالم، وعلى طبق من الفضة الخالصة ، المكسب الذي لم يحققوه في المعارك ضدنا . وفي هذه المرة لن ينتهي بنا الامر في « عريضة اتهام » و « خطاب الدفاع » الذي يرد عليها . ان النار ستلحق بكل شيء ، وستقضي على الجميع ... » . (دكتور هرتسل روزنبلوم ، رئيس تحرير جريدة يديعوت احرونوت، افتتاحية يوم ١٩٧٣/١٠/٢٦).

وهذه القناعة رددها ايضا في العدد نفسه من الجريدة أهرون شمير ، وذلك في مقال بعنوان « دعوا الدم يهدأ » أنهاه بالقول : « استخلاص النتائج — نعم ، استيعاب الدروس — بالتأكيد ، اجراء التحقيقات — طبعا وطبعا . لكن بهدوء وبدون قطع الرؤوس » . وكثير من الاسرائيليين غير روزنبلوم وشمير أعربوا عن قناعات مشابهة . لكن ، هل المقصود من وراء الجدل هو « قطع الرؤوس » ؟ وكيف يفسر الناقمون والناقدون اسراعهم في توجيه النقد ؟

تحت عنوان « دروس اولية » ، كتب العميد احتياط متنياهو بيلد في عدد ١٩٧٣/١٠/٢٦ من جريدة معاريف يقول : « يخطىء من يظن ان اجراء تحقيق صادق ودؤوب للتطورات التي اودت بنا من قمة النجاح العسكري في حرب الايام الستة الى القعر ، ليس امرا في مكانه ، او انه غطاء لعملية بحث عن أكباش محرقة نكفر بها عن مشاعر خيبة الامل لدى الشعب . ذلك ان الحقيقة هي انه ليس هناك ضرورة قومية مستعجلة في هذا الوقت أكثر من التحقيق حتى النهاية في قضية الانهيار الذي أصاب قدرتنا على تقدير المعطيات وقدرتنا على فرض سير التطورات في ساحة القتال . وذلك لان ما يلزمنا بذلك ليس فقط الرغبة في معرفة وفهم ما حل بنا ، بل بشكل اساسي الضرورة العاجلة في ضوء خطر نشوب حرب جديدة في المستقبل غير البعيد ، وللتأكيد على اصلاح جميع الاخطاء ، واستيعاب جميع الدروس دون تأخير ، ولا يجوز ان نضع في طريق هذا التحقيق عراقيل الكرامة الشخصية ، او الحسابات الحزبية ، او الخشية الكاذبة من مثل القول : ماذا يقول الناس » ...

واذا كان ذلك عن الشكل ، فماذا عن الجوهر، وعلى ماذا تنصب نقمة الاسرائيليين ؟

ربما كان من الاسهل الاجابة عن هذا السؤال بصيغة معكوسة ، مثل : مــاذا لم ينتقد الاسرائيليون ؟

على صعيد السياسة الاسرائيلية التي انتهجتها الحكومة الاسرائيلية الى حين نشوب حرب اكتوبر قال يرمياهو يوفال في « هآرتس » يوم ٧٣/١٠/٢٥ وتحت عنوان « موت الوضع الراهن » : ان حقيقة اننا لم نكن مستعدين بما فيه الكفاية للتطور السياسي ، لا تنبع من أسباب حكومية تقنية بحتة. ان لذلك اسبابا أعمق بكثير . وفي الحقيقة ان الامر يعود ويكشف من جديد ازمة السلطة وانكسار القيادة كما شهدنا ذلك في السنوات الاخيرة . هذا الانكسار نابع من ان جميع الاراء والافكار قد حيدت بعضها بعضا ، والخط الذي سير الدولة كان خط «الوضع الراهن» المعلن، وانعدام الحسم. وسياسة الوضع الراهن هذه التي وضعتها ووجهتها رئيسة الحكومة هي التي انهارت تماما وبشكل مطلق في يوم الغفران — يوم بدء القتال —. لقد كانت هذه السياسة تفتقر الى القدرة على التطبيق . وكانت احتمالاتها محدودة منذ البداية . لقد ولدت أساسا نتيجة ضرورات سياسية داخلية في اسرائيل ، واما النبرة الحادة والتمثيلية تجاه الخارج ، والتي دافعت بها رئيسة الحكومة عن هذا الخط ، فانها فقط غطت الحقيقة الاساسية ، وهي ان هذه السياسة تعبر في الواقع عن الافتقار الى التمثيل وعن ضعف الارادة » .

وكان موشي دور اكثر شمولا وعنفا في مقال نشره في جريدة « معاريف » يوم ١٩٧٣/١٠/٣٠ ، حيث هاجم قيادة اسرائيل وزعامتها مؤكدا : « ان هذه الزعامة قد اضعفتها حرب اليهود ضد اليهود، وأعني بالزعامة الائتلاف والمعارضة معا ، وبصورة تحمل على الشك في انها ستتمكن من القيام بواجباتها في الايام الصعبة التي ما تزال بانتظارنا. ان هذه الزعامة قد أضاعت أفضل قواها في خلافات داخلية ، وتورطت في شبكة العنكبوت الحزبية الى درجة ان خيالها المنتج وميزاتها في القدرة على اصدار الاحكام والقدرة على الاستيعاب واتخاذ القرارات تقترب بسرعة من « الخط الاحمر » رغم ان بينها ، للحقيقة ، أشخاصا موهوبين » .

واكثر من ذلك « ان بناءنا السياسي — القيادي قد أفلس . والحل المرغوب فيه لوضعنا الحاضر

هو ، حسب رأيي ، اقامة حكومة من الخبراء والمفكرين ، تتسلم ادارة الدولة حتى يحسين الفرج ... » .

ولم يقتصر توجيه النقد الى الحكومة الاسرائيلية على المعلقين والصحافيين ، بل سبق هؤلاء ولحق بهم زعماء احزاب المعارضة الذين هاجموا الحكومة على التخاذل وعلى الاخطاء الكثيرة التي ارتكبت قبل الحرب واثناءها وعلى قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ، وهو القرار الذي تضمن التسوية التي قال عنها مناحيم بيغن في معاريف ٧٣/١٠/٢٦ « ملزم أنا بان اقول للشعب : ان هذه التسوية هي تسوية مفروضة » . وهاجمت « رابطة الدفاع اليهودية » كذلك الحكومة الاسرائيلية لهذا السبب في بيانات نشرت في الصحف الاسرائيلية على شكل اعلانات بعنوان « انتصار للعرب » (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/١٠/٢٦ ، هآرتس ١٩٧٣/١٠/٢٨ وغيرهما) .

وعلى جبهة اليسار كذلك هوجمت الزعامة الاسرائيلية ، وطالب الحزب الشيوعي الاسرائيلي — راكاح — في بيان نشره في جريدة « هآرتس » ١٩٧٣/١٠/٢٤ ، طالب حكومة اسرائيل بالمحافظة بدقة على وقف اطلاق النار والعمل على التنفيذ الصادق لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقالت جريدة « كول هعام » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي — ماكي ، في عددها يوم ١٩٧٣/١٠/١٥ : « ان ما يمكن استخلاصه من الفترة الاخيرة ، يؤكد ان الرغبة في المحافظة على الوضع الراهن، بعد حرب الايام الستة ، شلت مبادرات الحكومة الى السلام ، وأعطت تصريحات غير مسؤولة لوزراء في الحكومة امثال موشي دايان ، وقدمت محاولات فرض حقائق الامر الواقع في المناطق المحتفظ بها ذريعة شرعية ملموسة لاتجاه تفضيل المكاسب الاقليمية على مبادرات السلام » .

وفي دعوة واضحة وصريحة الى كل من غولدا مئير وموشي دايان بالاستقالة ، قال اوري افنيري انه « سيكون ذلك بمثابة كارثة اذا ما استمرت ادارة الدولة خلال الايام المصيرية القريبة ، في ايدي اولئك الذين ادوا بنا الى الضرب المبرح » (هعولام هزي — ١٩٧٣/١٠/٣١) .

على ان الاكثر تعرضا الى اللوم والهجوم بين زعماء اسرائيل موشي دايان ، الى درجة ان وزير العدل يعقوب شمشون شابيرا ، وهو من حزب العمل — حزب مئير ودايان — قد استقال من الحكومة احتجاجا على بقاء دايان عضوا فيها . وعندما هوجم شابيرا على خطوته هذه انبرى العديد من المعلقين للدفاع عنه وقال متتياهو بيلد في « معاريف » يوم ١٩٧٣/١١/٢ « ان استقالة الوزير شابيرا تكشف واحدة من الاوهام الكثيرة التي رافقتنا على مدى عدد من السنين ، وليس هو الوهم الاخطر . وفي خطوته هذه ، وهي الايجابية اساسا وغير المتسرعة في توقيتها فند شابيرا الكذبة المنطلية علينا حول المسؤولية الجماعية لاعضاء الحكومة . لم تكن عندنا ابدا مسؤولية كهذه ، ولقد حان وقت تفجير الوهم بشأنها » .

« لقد اتخذت عندنا دائما وابدا قرارات مصيرية في كافة انواع « الهيئات » التي كان اعضاؤها اشخاصا رأوا انفسهم — على ما يبدو — مسؤولين امام الباري عز وجل ، وليس امام الشعب ومنتخبيه . ان القرار بشأن حرب سيناء (سنة ١٩٥٦) اتخذه بن غوريون ، واتخذ عدد من الاشخاص قرار المخاطرة الكامن في عدم تجنيد القوات عشية عيد الغفران . ويزعم الوزير شابيرا انه لم يكن من بين هؤلاء الاشخاص ، وكذب الوزير ألون خبرا قال انه كان بينهم ، وينكر الوزير سابير كذلك ان تكون له علاقة بهذا القرار ، ويزعم الوزير غيرهافتغ ان الامر لم يعرض اطلاقا على اللجنة الوزارية لشؤون الامن ، لان هذه قد توقفت عن الاجتماع منذ زمن بعيد . واذن من كان هؤلاء الاشخاص ؟ أهكذا فجأة نكرات لا أسماء لهم اخذوا على عاتقهم مسؤولية الحسم في قرار مصيري الى هذه الدرجة ؟ وبأية صلاحية قاموا هم بذلك ؟ » .

« ان رئيسة الحكومة تحاول الزعم بأن الحكومة كلها مسؤولة عن كل ما أقر ونفذ . واذا ما قبل جميع هؤلاء الوزراء الذين لم يشتركوا في النقاش المصيري واتخاذ القرار تحمل هذه المسؤولية ، فانما يكونون قد اضافوا خطيئة الى الجريمة . ليست مهمة الوزير التغطية على زميله على هذا النحو ... ولا يجوز استخدام مبدأ المسؤولية الجماعية بهدف انقاذ جلد وزير فشل » .

وننتقل من ذلك الى الصعيد العسكري النظري، لنرى ان عناوين واعمدة الصحف الاسرائيلية ، قد عادت من جديد تكرر وتردد تعابير « الحمائم »

و « الصقور » وما الى ذلك .

ففي الايام الاولى للقتال ، وقبل ان تتضح للاسرائيليين تماما حقيقة ما حدث ، وقبل ان يبدأ هؤلاء باعادة التفكير بهدوء ، ارتفعت أسهم « الصقور » وكتب المعلق المعروف أ. شفايتسر في جريدة « هآرتس » يوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ : لقد مرت فترة رأى اسرائيليون كثيرون فيها المناطق كمشكلة او حتى كمصدر ازعاج . وقد ثبت الان ان الاحتفاظ بهذه المناطق ، كان له من الناحية الاستراتيجية أهمية كبيرة ، ويمكننا بسهولة ان نتخيل صورة الحرب لو ان الواجهة العسكرية بدأت في المكان الذي كان يمكن ان تبدأ منه حسب ما يشتهي الملتبون بالحمائم » .

لكن واحدا من اكثر العارفين بحقيقة ما حدث ، وهو رئيس اركان جيش الاحتلال دافيد العازار ، قد وقع في خطأ قاتل ، التقطه العميد احتياط متتياهو بيلد ، يقول بيلد في مقال تحت عنوان « أوهام تحطمت » (معاريف ١٩٧٣/١١/٢) : « والاكثر اثارة كانت اقوال رئيس الاركان العامة في مقابلته الاخيرة في التلفزيون ، والتي قيلت وكأن لا علاقة لها بمسألة المناطق . وقد أوضح في مقابلته تلك انه في هذه المرة كنا نفتقر الى مدى للانذار وهو المدى الذي كان قائما في الماضي حين كانت صحراء سيناء حاجزا بيننا وبين المصريين . في تلك الايام لم نكن لنخطىء في تقدير نوايا العدو كما في هذه المرة . لان العدو في ذلك الحين كان يقيم عمليا الى الغرب من القناة ، وفي اللحظة التي كان يحرك فيها الويته شرقا ، الى ما وراء القناة ، كنا نعرف ان هناك شيئا خلف ظهرنا . في مقابل ذلك فانه في هذه المرة حيث العدو كان يقيم كما في الماضي الى الغرب من القناة ، ولم تكن الصحراء حاجزا بيننا ، فقدنا اساسا هاما في شبكة الانذار . ولقد شرح رئيس الاركان العامة كل ذلك ليبرر فشل استخباراتنا ، لكنه عمليا اوضح ان صحراء سيناء مهمة بالنسبة لنا كمنطقة تشكل حاجزا بيننا وبين المصريين ، وليس كمنطقة مضمومة الينا . ولقد كان من الصعب في الماضي اقناع الجمهور بهذه الحقيقة ، لكن لسوء حظنا تعلمنا هذه الحقيقة بالاسلوب الابهظ ثمنا » .

« لقد كان ضباط الاركان يحسنون صنعا لو انهم قالوا للوزراء قبل سنين ان الوضع الافضل بالنسبة لنا ، لأسباب تتعلق بأمن الدولة ، هو ان يكون المصريون ملزمين بالبقاء داخل المناطق الواقعة غرب القناة ، وان تكون كل صحراء سيناء منزوعة السلاح . مثل هذا الوضع يؤمن فترة انذار كافية لجيش الدفاع الاسرائيلي في حال محاولة العدو خرق التسوية . واذا كانت الحكومة ، رغم كل ذلك ، تفضل الاحتفاظ بكل سيناء ، واقامة جيش الدفاع الاسرائيلي على شاطىء قناة السويس ، فان عليها ان تأخذ في الحسبان المخاطرة الامنية الكامنة في ذلك ، كما اوضح رئيس الاركان العامة بتأخير بلغ ست سنوات في مقابلته التلفزيونية » .

ولم يكتف بيلد بذلك ، بل استمر في فضح بقية ركائز نظرية الامن الاسرائيلية : « وبصورة مشابهة كان علينا ان نفحص قضية شرم الشيخ مثلا ، التي لم يمنع احتفاظنا بها اغلاق المضائق خلال الحرب . وكما نذكر فانه قد أكد لنا ، دون ارتكاز الى أي اساس ، ان الاحتفاظ بشرم الشيخ هو امر مهم بالنسبة لنا الى درجة انه لا فائدة من السلام بدونه . وكل ذلك بسبب حيوية الخط البحري عبر البحر الاحمر . ولقد أصبح معروفا الان ، انه خلال كل ايام الحرب ، غلف بالسرية خبر ان هذا الممر المائي قد اغلقته دولة عربية عند باب المندب . لم يكن الخبر سرا على العدو ، ولم يكن هناك ما يبرر اخفاء هذا الخبر عن الجمهور الذي خدع على مدى سنين حول هذا الموضوع . ان سبب الحفاظ على سرية هذا الخبر معروف للعدو ، ومنع وصوله الى الجمهور الاسرائيلي كان بسيطا للغاية : اثناء الحرب يصعب تفسير كيفية السقوط المفاجىء لكل فلسفة أمن المضائق ، التي حشيت ادمغتنا بها على مدى سنين » .

وينتقل بيلد من ذلك الى موضوع آخر ، هو موضوع الاهمية العسكرية للمستوطنات : « كذلك ثبت فشل فائدة الاستيطان للامن خلال ساعات القتال الاربع والعشرين . فالمستوطنات في الجولان ، والمستوطنة المدنية في شرم الشيخ ، التي أعدت لتدعيم أمننا في المناطق تم اخلاؤها . وبدل ان تكون عونا للامن شكلت عبئا أمنيا في ساعة كان فيها كل عبء أمني زائدا عن اللزوم تماما . واتضح فجأة ان الاسلوب الذي حافظنا عليه منذ ايام الانتداب ، اسلوب خلق مناطق أمن عن طريق اقامة المستوطنات ، قد أسلم الروح مع الانتداب» .

على ان النقد لم يقتصر فقط على الحكومة والقادة العسكريين وغيرهم من المسؤولين ، بل امتـــد ليشمل جميع الاسرائيليين ، وخلق جوا شبيها الى حد بعيد بالجو الذي ساد العالم العربي غـداة حرب حزيران .

يقول أحد ابرز معلقي جريدة « معاريف » وهو شموئيل شنيتـار « ان الهزة الاولى التي اصابت اسرائيل هي : ان فهم الجميع دون استثناء ، والذي تم التصرف بموجبه ، قد تبين انه خطأ مأساوي . ويجب ان نذكر ذلك استعدادا للجدل الذي سيدور : لم يكن بيننا اشخاص أعقل من الآخرين ، يستطيعون ان يأتوا الان ويقولون : انظروا ... لقد حذرناكم . لم تكن هناك مدرستان تتنافسان فيما بينهما . لقد كان الفشل عاما . لقد شمل الحكومة والمعارضة ، العسكريـــون والمدنيون ، الخبراء ومعلقي وسائل الاعلام . لم ينتقد أحد الفهم الرسمي ، لم يحذر أحد ، لم ير المستقبل أحد » .

« وعلى من يحاول اعادة الروح الان الى جو يوم الغفران ، ان يتذكر قبل كل شيء ، الى أي حد كان من الصعب استيعاب مجرد فكرة ان الحرب قد نشبت . لقد خرجت أجهزة الراديو عن صمتها في يوم عطلتها واذاعت الخبر المفاجىء ، الا ان العقل رفض تقبله . وخرج رجال الاحتياط مذهولين الى اماكن تجمع وحداتهم ، ولكن الحرب لم تكن بعد في اطار الواقع والملموس ، لا بالنسبة لهم ولا بالنسبة لمن تركوهم وراءهم » . (معاريف ١٩٧٣/١٠/٢٦) .

وفي العدد ذاته من جريدة « معاريف » كتب دافيد غلعادي : « لا يعقل بعد ذلك ان نبقى الشعب ذاته الذي كان حتى يوم الغفران الاخير . ان على النظام كله بجميع اجزائه ، الائتلاف والمعارضة ، ان يتغير . ويجب ان تكون حياتنا حياة عـــدم نسيان ، ولو حتى لدقيقة واحدة ، للواقع ولمعرفة المصير اليهودي ، ويجب ان ندير حياتنا على اساس ذلك ، وليس ذلك بدافع الخوف بل بدافع الوعي ، ليس بدافع الضباب ، بل بدافع الرؤية الواضحة لمتطلبات وجودنا وامن مستقبلنا » . ثم يدعو الجميع بعد ذلك الى الاعتراف بالاخطـاء والعجرفة والثقة المبالغ بها في النفس . « ولقد تحولنا الى مجتمع ليس فيه ذرة من التواضع ، ولقد منعت عجرفتنا أعيننا من رؤية من يـدور حولنا ... » .

وزاد ليفي يتسحاق هيروشلمي على ذلك في « معاريف » يوم ٧٣/١٠/٣١ : « لقد عشنا جميعا ستة اعوام واكثر من ذلك بقليل ، في جنة عدن المغفلين . انغمسنا في الملذات ، وركضنا وراء المحرمات ، وضللنا السراب الزائف ، فهل نسمح لانفسنا بالرجوع الى كل ذلك ؟ » .

اما على صعيد المستقبل ، فقد حفلت الصحف الاسرائيلية بكثير من التصريحـات لمسؤولين في الاحزاب اليمينية المتطرفة ، ومن المقالات والتعليقات لصحافيين اسرائيليين يدعون فيها حكومة اسرائيل الى التريث قبل اتخاذ اي موقف ، وبرز بين هؤلاء المعلق المعروف بصلاته الوثيقة بحكومة العــدو حغاي ايشر ، الذي كتب في جريدة « دافار » شبه الرسمية بتاريخ ٧٣/١١/٢ مقالا بعنوان « يجب تخفيف السرعة » ، قال فيه ان الاميركيين يسرعون نحو اهداف غير واضحة ، ولا يعرف اين ومتى يتوقفون ، « ويكفي ان نعرف مدى سرور العرب ، وارتباك الاسرائيليين لنستخلص ان علينا ، قبل أي شيء آخر ، ان نتوقف ولا نستجيب لاي طلب اميركي آخر مهمـا كان دون اعطاء الحكومـة والكنيست والرأي العام ووسائل الاعلام مهلـة كافية تدرس خلالها الواقع الجديد الذي يحيط بنا . ان الركض الحالي هو خطر من ناحية الاستقرار والتوازن الداخليين في اسرائيل قبل كل شيء . ومهما يكن الهدف الذي قد تصل اليه ، فان علينا ان نصل ونحن بكامل حواسنا ، ومحافظين على توازننا القومي والنفسي » .

وانتقد اليعزر ليفنه عضو حزب العمل الحاكم حكومـة اسرائيـل علـى اسراعها في قبـول « مـا فرض فـي موسكـو » ، وجـــاء ذلك في عدة مقـالات نشرها في جريدة « هآرتس » اعتنها بعنوان « يجب على الحكومة ان تستقيل » (هآرتس ، ٧٣/١٠/٢٨) وصف قبول اسرائيل فيه لقرار مجلس الامن ٣٣٨ بأنه « استسلام » ، كما انتقد الحكومة لقبولها قرارا يتضمن القرار رقم ٢٤٢ ، حيث « ان قـرار ٢٤٢ هو الاطار السياسي لابادة اسرائيل على مراحل ، وقبول الحكومة لهذا القرار — واسراعها في القبول به ثانية الان — يهدم الروح الصهيونية من الداخل ، وتحولنا الى غير عادلين والى « محتلي أراضي

عربية » في الخارج » . وفي مقال آخر بعنوان « فشل سياسي خطير » (هآرتس ٢٥/١٠/٧٣) قال ليفنه « ان قرار وقف اطلاق النار بعد الارض لتجدد الحرب » ، واتهم فيه حكومة اسرائيل بالشعور بأنها تابع لاميركا ، وهي بذلك « لا تستطيع ان تحافظ على هذه الدولة ، وستفقد خلال وقت قصير اهميتها في نظر واشنطن ... » .

وفي « المعركة » بين الرقابة على الصحف والناطق العسكري الاسرائيلي من جهة ، والصحف من جهة ثانية ، كان الاعنف بين المقالات ، تعليقا كتبه شموئيل شنيتسار في معاريف يوم ٢/١١/٧٣ ، تحت عنوان « الحقيقة والمعنويات » ، قال فيه : « ان من يعود ويقرأ الان صحف الايام الاولى للحرب ، يقف مذهولا في مواجهة الحقيقة البارزة من وجود علاقة طفيفة للغاية بين ما جاء فيها عن سير المعارك وبين ما حصل بالفعل . ويبدو ان البيانات العربية الواردة في تلك الصحف — اخذا بعين الاعتبار كل التحفظات المتوجبة — اقرب الى الحقيقة من الاخبار الواردة من مصادر يهودية » .

« ليس في هذا الامر فشل لوسائل الاعلام . ان هنا عملا مدروسا للسلطة . ان لعناصر الامن سلطة كاملة ، لايام معدودة على الاقل ، على الاخبار العسكرية . ان بأيدي هؤلاء امتيازا بشأن النشر . وبمقدورهم كذلك منع النشر . والنتيجة المستخلصة من ذلك هي ان هناك تفسيرا ممكنا واحدا فقط لحقيقة أن الصحافة ، ومعها بقية وسائل الاعلام ، أعطت في تلك الايام صورة غير صحيحة للاحداث : لقد كان هناك ، بكل بساطة ، قرار بهذا الشأن . وفي مكان ما ، كان من جلسوا وبحثوا في مسألة ما يجب عمله ازاء الاخبار الصعبة التي وردت من الجبهة ، وقرروا ان الجواب الصحيح هو حجب تلك الاخبار ، واخفاء الحقيقة عن الجمهور » .

« ان هذه أمورا قاسية ، لكن يجب قولها . وعلى مدى بضعة ايام كان الشعب في العمق منقطعا من الواقع في ساحات القتال . لم يخبرونا عن حجم وضخامة ودلالات النجاحات الاولية التي حققها العدو . لم يقولوا لنا ان المصريين نجحوا في عبور القناة بطولها تقريبا ، وفي نقل قوات كبيرة عبرها . لم يكشفوا لنا سقوط موقع جبل الشيخ . لم يقولوا لنا انه في هجمات العدو وفي المعارك القاسية التي تلت ذلك منينا بخسائر فادحة . لم يكشفوا لنا انه ، وللمرة الاولى في تاريخ حروب اسرائيل ، بقينا دون معلومات عن مصير مئات المقاتلين . لم ينشروا حقيقة انه في الحرب ضد شبكات صواريخ العدو ، تسقط كذلك طائراتنا وبأعداد كبيرة » .

« لقد قالت المصادر العربية هذه الامور . لقد قالت ذلك الصحف ومحطات الاذاعة في خارج البلاد ، في حين انهم تحدثوا لدينا بصورة ضبابية جدا عن « معارك تصدي » جميع الخسائر فيها من نصيب العدو ، ومن هناك سمعت أمور اخرى مختلفة تماما . ومن اميركا وصلتنا اخيرا المعلومات الاولية عن خسائر جيش الدفاع الاسرائيلي في الرجال والعتاد . لقد أصبحت اميركا مصدر معلومات هام بالنسبة لما يحدث هنا ، في البلاد وفي المنطقة . لقد اطلق المصريون صاروخ « كيلط » باتجاه تل ابيب ، وكان محروما على تل ابيب ان تعرف ذلك الى حين كشف ابا ايبان السر في الولايات المتحدة . لقد اغلقت مضيق باب المندب مدمرات عربية وكان ممنوعا على مواطني اسرائيل معرفة ذلك،الى اللحظة التي ذكر فيها يوسف تكواع هذه الحقيقة في خطاب في مجلس الامن . لقد أصيبت مستوطنات عادية بصواريخ سورية من طراز « فروغ » ، ولم يكن مسموحا لسكانها معرفة ما يصابون به ... وكل ذلك نفذ ، بالطبع، بهدف المحافظة على المعنويات ... » .

لقد كانت هذه على العموم ، وحتى الان ، التباشير الاولى « لحرب اليهود ضد اليهود » ، ولا شك ان اقتراب موعد الانتخابات (٣١/١٢/٧٣) ، وتكشف الحقائق الاخرى أولا بأول ، سوف تزيد من عنف هذه « الحرب » ، الاولى من نوعها بالنسبة للاسرائيليين ، والتي يصعب — نظرا لذلك — التنبؤ مسبقا بالمدى الذي قد تصل اليه .

اسرائيل وأزمة الشرق الأوسط
السياسة الاسرائيلية على مفترق الطرق

منذ حرب حزيـران (يونيـو) ١٩٦٧ سارت السياسة الاسرائيلية الرسمية بموجب ستة أسس رئيسية (سبق وأشرنا اليها في العدد ٢٥ ، ص ٢٣٨) . والى جانب هذه الاسس — التي أدت الى فشل جميع المبادرات لتسوية النزاع — طورت المؤسسة العسكرية والسياسية الصهيونية مفاهيم ونظريات لاحتمالات النزاع ترتكـز جميعها علـى أساس منطق القوة العسكرية والتفوق الاسرائيلي التقني الذي هو في اساسه تفوق نوعي للانسان الاسرائيلي « السوبرمان » . وشنت وسائل الاعلام الاسرائيلية والصهيونية حملات مركزة ضد كـل الاصوات التي كانت تحذر بين الفينة والاخرى من مغبة الاستمرار في السياسة الاسرائيلية ، ومـن احتمالات تفجر الموقف في الشرق الاوسط . وتلقت السياسة الاسرائيليـة الرسمية كل الدعم وكـل التأييد من الولايات المتحدة الاميركية التي تبنت وجهة النظر الاسرائيليـة ، وساهمت في عرقلة واحباط جميع المبادرات ، حتى بعض مبادراتها هي مثل مشروع روجرز . واعتبرت السلطات الاسرائيلية وقف اطلاق النار الذي أعقب مبادرة روجرز احد الانجازات المهمـة التي حققتها سياسـة الردع الاسرائيليـة . وتوالت تصريحـات الساسـة والعسكريين الاسرائيليين في كل مناسبة مؤكدة ان العرب لن يغامروا بخرق وقف اطلاق النار ، واذا فعلوا ذلك — ولم يستبعـد بعضهم مثل هـذا الاحتمال — فان النتيجة ستكون تلقينهم درسا لن ينسوه . وهكذا ساهمت القيادة الاسرائيلية على المستويين العسكري والسياسي في خلق جو مـن الطمأنينة من ان حالة اللاسلم واللاحرب ما هي الا سلام الامر الواقع ، وان شعار لا خيار الذي كان له قسط ومساهمة كبيرتين في كل انجـازات اسرائيل ، هو ذاته الذي سيحمل العرب اخيرا على القبـول بالشروط الاسرائيليـة وبالسـلام الاسرائيلي . وقد حدد يتسحاق رابين رئيس الاركان الاسبق للجيش الاسرائيلي ثلاثة شروط للمحافظة على استمرار وقف اطلاق النار :

(١) افشال الامال العربية بأنه يمكن بواسطة القوة تحقيق أي شيء في المجال العملي او المجال السياسي .

(٢) افشال ايمان العـرب بأن الطريق الى السلام يمر من موسكو ، التي بدورها ستحمل واشنطن على قبول مواقف الروس والمصريين ومن ثم تفرضها على اسرائيل .

(٣) افشال الامال العربية والروسية من انه يمكن فرض تسوية على المنطقة بواسطـة الامم المتحدة مخالفة لرغبات اسرائيل والولايات المتحدة .

وأكد رابين ان العرب سيصبحون قريبين جدا من السلام ، بشكل واقعي اذا ما ثبت لهم ان كافة الطرق مسدودة أمامهم، وعندما لا يكون لهم مجال للاختيار سيضطرون الى السير في طـريق السلام (معاريف ١٩٧٣/٧/١٣) .

والى جانب تصريحات التهديد والغطرسة من ناحية وحملات الطمأنة الداخلية من ناحية اخرى ، مضت السياسة الاسرائيلية الرسمية فـي نهجها لتكريس واقع الاحتلال للمناطق العربية المحتلـة بالمضي قدما في سياسـة « الضم الزاحف » التي انتهجتها منذ حرب ١٩٦٧ . وجاءت وثيقة جاليلي — دايان التي أقرتها سكرتارية حزب العمل في صيف ١٩٧٣ تعبيرا واضحا عن حقيقة نوايا السلطات الاسرائيلية بالنسبة لمصير المناطق المحتلة .

ونام القادة الاسرائيليون على أوهامهم الحريرية وأفاقوا على صوت عبور القوات المصرية لقنـاة السويس واستيلائها على خط بارليف الحصين ، واقتحام القوات السورية لخطوط الدفاع في هضبة الجولان . وبدأت الحـرب (المغامرة الحمقاء) وتوقفت الحرب ، وبمجرد بدئها وخلالها سقطت كافة النظريات والمسلمـات . وتوالت التبريرات وأعقبتها الاتهامات وتقرر تشكيل لجنة تحقيق على مستوى عال لاستخلاص الدروس والعبر . وبدأت تصفية الحسابات السياسية بين المعارضة اليمينية من جهة والتجمع العمالي الحاكم من جهة اخرى ، وبينهما سويا وبين الفئات والاحزاب المعارضـة اليسارية والليبرالية ، ووصلت حمى الشوفينية

الى حد قيام بعض اعضاء الكنيست من التكتل اليميني بالاعتداء بالضرب بالايدي على عضو الكنيست الشيوعي مئير فيلنر من « راكاح » .

كان لا بد من هذا التقديم الموجز قبل الدخول مباشرة في صلب عرضنا للموقف الاسرائيلي الرسمي مما افرزته الحرب الرابعة . وبغض النظر عما آلت اليه المعارك على الصعيد العسكري ، فانها أكدت وأدت الى الحقائق والمتغيرات التالية :

(١) ان سلام الامر الواقع لم يكن سوى وهم معشش في رؤوس اصحابه المخمورين بعقدة التفوق.

(٢) ان الامن المرتكز على العمق الاستراتيجي لا يمكن ان يكون بديلا للامن التعاقدي .

(٣) ان تدمير القوة العربية العسكرية ليس أمرا في متناول يد الجيش الاسرائيلي كلما شاء ذلك .

اما المتغيرات المستجدة على واقع النزاع العربي — الاسرائيلي والمترتبة عن الحرب التشرينية فكانت كما يلي :

(١) ان وقف اطلاق النار جاء بمبادرة من دولتي الثقل ، وهذا يعني بالضرورة مزيدا من التدخل في النزاع ، واحتمال كون الدولتين الكبيرتين قد توصلتا الى اتفاق عام حول التسوية ، الامر الذي كانت ترفضه اسرائيل دائما .

(٢) دخول النفط المعركة السياسية بفعالية تشكل أداة ضغط مهمة اذا ما استمر وقف تصدير النفط عن الدول المؤيدة لاسرائيل . واهمية النفط كاحدى المتغيرات ليست في فعاليته فقط ، بل لكون السياسة الخارجية الاسرائيلية كانت قد استبعدت استعمال النفط كسلاح في المعركة وشنت حملات اعلامية واسعة وشديدة ضد من كانوا يطالبون باتخاذ مواقف متزنة من الصراع خوفا من دخول النفط الى المعركة . وقد أكد المستشرق والخبير في الشؤون الاقتصادية في معهد شيلواح شمعون تمير ان التقديرات الاسرائيلية بشأن امكانية استخدام النفط كانت خاطئة حيث قال : « كان ثمة عدد من التقديرات الخاطئة في كل ما يتعلق بعالم النفط . فالتقدير الاول الخاطىء ، كان ان دخل النفط في الدول العربية ، ينفق لتطوير هذه الدول بصورة عامة ، وخاصة لشراء المعدات العسكرية. والتقدير الخاطىء الثاني ، هو اعتقادنا انه لا يمكن ان تتفق دول النفط العربية كافة ، وذلك بالاعتماد على المؤتمرات المتعلقة بالنفط التي عقدت في المدة الاخيرة ، والتي لم يذكر فيها مطلقا هذا الاحتمال. والتقدير الخاطىء الثالث — حسب رأيي — هو ان العالم وخاصة نحن ، استبعدنا ان يأتي رد فعل عربي عند الضرورة . ومن الواضح اننا اذا اعتمدنا على هذه التقديرات نصل الى القول اننا فوجئنا عندما شاهدنا العرب يبدأون باستخدام سلاح النفط ضد الدول الاوروبية وضد الولايات المتحدة » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، ملحق العدد ٢٩٣ ، ١٩٧٣/١١/١٦) .

(٣) ازدياد عزلة اسرائيل السياسية، وسخافة الاتجاه الاسرائيلي الذي كان يقول بأن مواقف الدول الافريقية والاسيوية المؤيدة للعرب في الامم المتحدة لن تتعدى الامم المتحدة ، فخلال الحرب قامت غالبية دول القارة الافريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل حتى تعود الى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وقد رافق قطع العلاقات بيانات القت المسؤولية في الحرب على الجانب الاسرائيلي .

اما على صعيد أوروبا الغربية فقد جاء بيان الدول التسع مخيبا لامال اسرائيل ، حيث بالاضافة الى مطالبتها بالانسحاب ، جاء في البيان : « انه يجب الاخذ بالحسبان حقوق الفلسطينيين العادلة في أي اتفاق يتم التوصل اليه » (ر أ أ عدد ٢٨٤، ١٩٧٣/١١/٦) . ولم تجد محاولات رئيسة وزراء اسرائيل في تغيير موقف دول اوروبا الغربية ، اثناء المباحثات التي أجرتها في لندن بمناسبة اشتراكها في مؤتمر الاحزاب الاشتراكية الذي عقد في لندن .

(٤) عودة العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة ومصر ، وما يمكن ان يترتب عليها من تغيير طبيعة العلاقات الاسرائيلية — الاميركية القائمة على أساس علاقات متبادلة بين ندين ، ان لم يكونا متكافئين بالقوة فهما متساويان في درجة اعتماد بعضهما على بعض . وقد حذر اليعيزر ليفنيه في هآرتس ٧٣/١١/١١ من بوادر هذا التغيير منتقدا الحكومة لانصياعها لاملاءات كيسنجر بوقف اطلاق النار ، دون ان تكون قد احيطت علما بذلك مسبقا. وقال ليفنيه : « ان المساعدات الاميركية لا تأتي بضغط من يهود الولايات المتحدة ... وانما بسبب المصلحة المشتركة للبلدين . ومن هنا فليس على اسرائيل ان تنهج نهج الدولة التابعة ، وهي لا تستطيع البقاء اذا أصبحت هكذا » . واضاف :

« وكلما تراجعت اسرائيل قلت قيمتها في نظر اميركا ، واسرائيل المقلصة لا تستطيع ان تتطلع الى المساعدة الاميركية الضخمة ذاتها التي ستحتاج اليها الى الابد ، بل ستنقلب الى مصدر ازعاج وستنبذ » . (نشرة م. د. ف. ، السنة الثالثة ، العدد ٢١ ، ١٩٧٣/١١/١٦) .

ومع هذا وبالرغم عنه فان المواقف الاسرائيلية الرسمية الاولية من الحرب وما ترتب عليها جاءت ناسخة للمواقف الاسرائيلية الرسمية السابقة أكثر منها مستجيبة للاحداث والمتغيرات المستجدة . والى جانب تمسك اسرائيل بالشرطين اللذين وضعتهما في أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والمتمثلين برفض اسرائيل العودة الى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والاصرار على المفاوضات المباشرة لتسوية النزاع ، فان المتتبع للموقف الاسرائيلي الرسمي بعد الحرب التشرينية يلاحظ محاولة اسرائيلية محمومة لتجاوز الحرب وآثارها السياسية والعسكرية على صعيد المنطقة وعلى الصعيد العالمي . فعند اعلان جولدا مئير موافقة حكومتها على قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ، والذي ينص على وقف اطلاق النار ، وعلى البدء فورا في تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بجميع بنوده ، وعلى بدء الاطراف المعنية باجراء مفاوضات تحت اشراف مناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ، أشارت مئير الى ان حكومتها استجابت لدعوة الولايات المتحدة لوقف اطلاق النار للاسباب التالية :

(١) لان دولة اسرائيل بموجب ماهيتها !! لا ترغب في الحرب ولا تريدها ، ولا تريد خسارة الارواح البشرية . وان جميع حكومات اسرائيل كانت مقتنعة من ان الحروب لن تعمل على احلال السلام او دفعه الى الامام .

(٢) ان اقتراح وقف اطلاق النار ، جاء في وقت كان فيه وضعنا العسكري على الجبهتين صلبا وثابتا ، وحيث ان المكاسب التي أحرزناها على قدر كبير من الاهمية وتبرر الموافقة على وقف اطلاق النار ، على الرغم من مكسب العدو الذي حققه شرق القناة .

(٣) لقد استجبنا الى دعوة الولايات المتحدة ورئيسها على أساس التقدير والامتنان لسياستها الايجابية في الشرق الاوسط في هذه الاثناء .

وهكذا تجاهلت مئير جميع التصريحات التي أدلى بها السياسيون والعسكريون الاسرائيليون اثناء الحرب ، والتي كانت تؤكد جميعها على ضرورة تدمير قوة العرب العسكرية كهدف رئيسي من أهداف الحرب . وقد حدد عضو الكنيست حاييم تسادوك (حزب العمل) رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست ثلاثة اهداف للحرب حيث قال :
« ... وفيما يتعلق بنا سيدي الرئيس ، فسنستمر في القتال حتى النصر ، حيث اهداف الحرب واضحة وهي ثلاثة :

(١) منع العدو من تحقيق أي مكسب اقليمي ، ومن التمركز في أي مكان داخل خطوط وقف اطلاق النار .

(٢) تحطيم قوة العدو العسكرية وتكتيكه الاستراتيجي ، وسوريا المعتدية التي خرجت تقريبا سالمة من الحروب الصغيرة السابقة ، يجب ان تدفع هذه المرة ثمنا مقابل عدوانها .

(٣) انهاء الحرب بشكل يتلقن فيه العدو درسا بأن العدوان لا يعود عليه بالفائدة ، وبشكل يقتنع فيه العدو بأنه لا يستطيع قهر اسرائيل ، وبشكل يعبد فيه الحسم العسكري الطريق نحو السلام ». (من تسجيلات جلسة الكنيست الاسرائيلي في ١٩٧٣/١٠/٢٣ المحفوظة في مركز الابحاث الفلسطينية) .

اتجاه نحو التصلب

اذا كانت المعارضة اليمينية المتطرفة قد وجدت فرصتها لمهاجمة الحكومة لقبولها بوقف اطلاق النار قبل تحقيق اهداف الحرب المذكورة اعلاه فان الحكومة وعلى لسان رئيسة الوزراء عادت وسحبت البساط من تحت أرجل المعارضة بواسطة التفسيرات التي أعطتها لبنود قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ولاتفاق كيسنجر ذي النقاط الست .

اما بالنسبة للبند الثاني من قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ فقد اوضحت مئير في بيانها في الكنيست بتاريخ ٧٣/١٠/٢٣ ما يلي :

« ... اما بخصوص البند الثاني من مشروع القرار ، فقد قررت الحكومة توجيه تعليمات لمندوب اسرائيل في الامم المتحدة لكي يضمن خطابه في مجلس الامن فقرة توضح ان موافقتنا على هذا البند تعطى على اساس التفسير الذي حددته اسرائيل عندما قررت في الرابع من آب (اغسطس) ١٩٧٠

الاستجابة الى مبادرة الولايات المتحدة بخصوص وقف اطلاق النار » .

حول الحدود

وأضافت مئير في بيانها « ... وفي جميع اتصالاتنا مع الولايات المتحدة ، علمت ان ليس للولايات المتحدة خطة بالنسبة للحدود وبقية مكونات السلام فقط ، بل انها تعتقد ان اصحاب المساعي الحميدة يجب ان يعملوا لايصال الاطراف انفسهم الى تقديم الاقتراحات والمشاريع بالنسبة للمستقبل ، وأكثر من هذا ، فانه علي ان أؤكد انه حسب المعلومات الموثوقة التي وصلتني ، لم يطرح في محادثات موسكو أي أمر آخر ، زيادة على ما تضمنه قرار مجلس الامن » .

حول المفاوضات

اما بالنسبة للبند الثالث من قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ فقد أكدت مئير ان قرار مجلس الامن لم يتضمن أي شرط من الشروط التي اوردها السادات . واضافت : « لقد ورد في البند الثالث من القرار ما يلي : « ان مجلس الامن يقرر انه فورا ، ومع وقف اطلاق النار تبدأ الاطراف المعنية ، بالمفاوضات لاقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط تحت اشراف ملائم » . وحسب وجهة نظر ممثلي الولايات المتحدة الموثوقة فان المفاوضات بين الاطراف تعني المفاوضات المباشرة بين اسرائيل وجاراتها لاقامة سلام عادل ودائم . ومثل هذا الامر الواضح لم يكن متضمنا في قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وهو غير متضمن ايضا في القرار الجديد ، لكن هذا هو التفسير المعتمد ، ليس لدى المصادر الاميركية فقط » .

حول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢

وعادت مئير فأكدت المفهوم الاسرائيلي السابق لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ذلك القرار الذي دعا البند الثاني لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الى البدء بتنفيذه فورا وبجميع بنوده بعد وقف اطلاق النار . وأوضحت مئير موقف حكومتها مجددا فقالت : « ولقد قلت ... ان حكام الدول العربية يتقيدون ظاهريا بقرار ٢٤٢ ، لكنهم يحبطون كل محاولة للتقدم نحو تحقيق هدفه الاساسي ، السلام . انهم يفعلون ذلك ، اولا ، برفضهم العنيد للتفاوض معنا دون شروط مسبقة ، وثانيا بتفسيرهم المختلق للفحوى والدلالة الاصلية للقرار » .

واضافت مئير في بيانها المذكور : « لقد أعلنت اسرائيل بصورة رسمية موقفها من قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ في مناسبات عديدة من على منصات دولية وفي لقاءات دبلوماسية . وفي آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، وعندما بحثنا وقف اطلاق النار بناء على طلب من الولايات المتحدة قلت : « لقد صرحت اسرائيل على الملأ انه نظرا الى حقها بالحدود الآمنة ، حدود يمكن الدفاع عنها ، فهي لن تعود الى حدود الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، التي تعرض الدولة لاغراءات العدوان ، وتعطي المعتدي — في قطاعات مختلفة — تفوقا حاسما .

ولقد كان موقفنا ، **وهو كذلك الان** ، انه طالما ليس هناك سلام فاننا سنبقي على الوضع كما تحدد يوم وقف اطلاق النار ، التي يمكن استبدالها فقط بحدود آمنة ، معترف بها ومتفق عليها ، تحدد فقط في معاهدة سلام . وطبعا ، فقد أوضح للجميع ان موقفنا الصلب بالنسبة الى وحدة القدس ، كعاصمة لاسرائيل ، لا يزال قائما بعينه . ولم يطلب من اسرائيل ، ولا هي تعهدت بأي شيء في المسألة الاقليمية لقاء موافقتها على مبادرة حكومة الولايات المتحدة . نعم ، اخذت حكومة اسرائيل تعهدا بدعم موقفها بألا ينسحب جندي اسرائيلي واحد من خطوط وقف اطلاق النار حتى يتوصل الى اتفاق سلام متعاقد عليه وملزم » .

الموقف من اتفاق كيسنجر

رغم اعلان الحكومة الاسرائيلية في بيانها الذي صدر بعد اختتام جلسة للحكومة عقدت مساء يوم الجمعة ١٩٧٣/١١/٩ ، عن ان موقفها الايجابي الاساسي في ما يتعلق بالتوقيع على اتفاق وقف اطلاق النار مع مصر ما زال ساري المفعول فان وسائل الاعلام الاسرائيلية والصهيونية لم تخف استياءها من الاسلوب الذي انتهجه كيسنجر في التوصل الى الاتفاق المذكور . وقد قال رئيس الوكالة اليهودية بالوكالة ارييه دولتسين ان هناك اختلافا بين نص الاتفاق الذي ارسل الى اسرائيل وبين النص الذي نشر في واشنطن . واضاف دولتسين : « فالبند الذي يتحدث عن بدء المحادثات بين الاطراف حول خطوط ٢٢ ت١ (اكتوبر) ١٩٧٣ لم يتحدث عن العودة الى هذه الخطوط في النص الذي أرسل الى حكومة اسرائيل » . اما بعض الصحف الاسرائيلية فقد رأت في اتفاق كيسنجر

بمثابة املاء لرغبة كيسنجر دون التشـــاور مـــع اسرائيل .

اما رئيسة وزراء اسرائيل فقد حددت مطالب اسرائيل العاجلة بعد توقيع اتفاق وقف اطلاق النار بما يلي :

« (١) تنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار ذي النقاط الست فورا وبشكل كامل .

(٢) اتخاذ اجراءات عاجلة لترتيب قضية تبادل الاسرى والجرحى .

(٣) وضع نهاية سريعة للحصار المصري على باب المندب .

(٤) وضع الترتيبات لبدء المفاوضات المباشرة بين اسرائيل ومصر للوصول الى حل سلمي .

ورفضت مئير تحديد مكان وزمان هذه المفاوضات، كما ورفضت تحديد شروط اسرائيل للسلام ، الا انها اكدت مع ذلك تمسك اسرائيل بوحدة القدس كعاصمة لها . وعبرت عن استعدادها لاعطاء الحرية الكاملة لجميع الطوائف الدينية للاشراف بنفسها على اماكنها المقدسة » (ر أ أ ، عدد ٢٨٩ ، ٧٣/١١/١٢) .

بناء على ما تقدم من عرض للمواقف الاسرائيلية الرسمية ، حتـى الان ، وبناء على المفاهيـم والتفسيرات الاسرائيلية لقرار مجلس الامن الجديد والقديم يمكن القـول ان مسألة تسوية النزاع العربي — الاسرائيلي ما زالت تراوح مكانها . ومن ناحية اخرى فانه يمكن القول ايضا ان المتغيرات التي استجدت على ساحـة النزاع لم تستكمـل صورتها بعد لكي تخلق مسارات جديدة في التوجه الاسرائيلي الرسمي نحو المشكلة ، ومن المستبعد جدا ان تتبلور مثـل هذه المسارات او تتحـدد اشكالها قبيل الانتخابات الاسرائيلية العامة ، لكن في نفس الوقت يمكن القول ايضا ، وعلى الرغم مما تقدم ان تفاعلات الاحداث بدأت تظهر بوادرها داخل المجتمع الاسرائيلي ، حيث بدأت المطالبة بتوجه جديد يتناسب مع الظروف الجديدة ويتفاعل ويفعل فيها .

عماد شقور
و هاني عبدالله

(٤) ثقافة

من بحر الموت

يأتي صوت فؤاد الشمالي دافئا وحزينا ، فالشعر يخلي المساحة التي يحتلها لممارسة الموت ، على أبواب الوطن ، والحب يتكثف في تجربة معايشة الالم الكبير الذي عاناه الشهيد وهو يمد يده لتلتقي بالوف الايدي التي حملت السلاح على طريق انتفاضات الجماهير ، في الوقت الذي كان الموت ، يقف غبه على الباب ، حاملا الالم والجوع الى النهاية . ضمن هذا المسار النضالي تصبح حياة المناضل قصيدة لم يكتبها الشعراء بعد . ويصبح شعره مجرد نافذة صغيرة ، نفتحها على بحر مليء بأمواج التخطي . ففؤاد الشمالي ، كما تقول مقدمة ديوانه « من بحر الموت » : « كان يدزك ان العصر « رحلة صغيرة والموت بحر » ، ولذلك كان همه الاول ان يغتصب كل لحظة في هذه الرحلة القصيرة ، أن يعيشها شعرا — بقوة الشعر واصالته وابداعه — ويجعلها قصيدة كبيرة تتجدد وتستمر في بحر الموت، في بحر الاخرين » .

تنتمي معظم قصائد الديوان الى أعوام سابقة. فمعظمها كتبت قبل عام ١٩٦٢ وهي بهذا المعنى شهادة تستحق الوقوف . فالقصائد العامية والفصيحة ، تحاول ان تنقل الينا تجربة الحياة مكثفة . لكن الكلمة ، اذا لم نروضها ونتعارك معها طويلا ، لا تستطيع أن تحمل تجربتنا ، بل تشهد على هذه التجربة . وكلمات فؤاد الشمالي لا تعبر عن تجربته . انها شهادة لها . فاللغة الشعرية ، بقيت أسيرة لغة ميشال طراد وان استطاعت في بعض اللحظات ان تشحنها بأفق شعري جديد . فالشعر العامي اللبناني ، الذي تنتمي اليه أكثرية قصائد الديوان ، لا يزال اسير رؤية عبدالله غانم وميشال طراد اللغوية والرؤيوية . واذا كانت قصائد الشمالي ، تساهم هنا ، فانها تستطيع في ومضات قليلة أن تقفز الحاجز وترتمي وسط بحر الموت، حيث تكون تجربة الموت الايجابي النضالي أفقا جديدا . أما القصائد الفصيحة ، فانها تحمل في غالبيتها ارادة الخروج والانتماء . الخروج من العزلة والانتماء الى الواقع . فالقبيلة هي هنا رمز للاخرين ، الذين معهم نصنع المستقبل :

« أمس بعت آخر أغاني

اشتريت بها ساعة من جسد امرأة

وساعة من المطر

وتذكرت قبيلتي وبكيت » .

غير أن القبيلة ، تعيش وجع الولادة ، فلا بد من معانقة هذا الوجع والعيش داخل اطاراته : « لو اسكن نوم العالم ، أثقب قشرة النسيان مرة ، وامضي بلا خوف ... لكن يبدو انه كتب علي أن احفر حتى الوجع » .

قصائد فؤاد الشمالي ، تقف بيننا ، حاملة الاصرار على اكتشاف منابع جديدة للرؤيا . واذا كان الشاعر قد اختار الممارسة ، قد اختار ان يكتشف بيديه وجراحه ودمه . فان شعره يقف ليحمل راية صغيرة في بحر الموت ، الذي يخوضه شعبنا بحثا عن منابع الانهار التي ستغسل تاريخنا المعاصر .

الشعر الفلسطيني والنقد العربي

نوقشت في كلية التربية — الجامعة اللبنانية في بيروت ، الرسالة التي أعدها شوقي بزيع ، لنيل شهادة الكفاءة في اللغة العربية وآدابها. والرسالة بعنوان « شعر المقاومة الفلسطينية في النقد العربي الحديث » وقد أشرف عليها الدكتور ميشال عاصي.

تقدم الرسالة عرضا وافيا ، لاهم التيارات النقدية ، التي واكبت الشعر الفلسطيني بعد الهزيمة . فالفكر النقدي العربي ، أصيب بدهشة بالغة ، عندما بدأ يسمع ، بعد الهزيمة مباشرة ، قصائد للشعراء الفلسطينيين، تحمل عبء الصمود،

وتشارك في بلورة حركة المقاومة الشعبية ضد المحتل الصهيوني . هذه الدهشة ، بدأت معالمها تزول ، وبدأ بعض النقد العربي ، محاولة نزع الركام الايديولوجي الذي صاحب شعر « المقاومة » ليحاول دراسة هذا الشعر ، بوصفه جزءا من الحركة الشعرية العربية المعاصرة . من هنا يصبح لرسالة شوقي بزيع ، مكانتها ، بوصفها محاولة ولو جزئية ، لرصد الاتجاهات النقدية العربية المختلفة . وللمساهمة في بلورة اتجاه نقدي جديد ، تقسم الرسالة الى خمسة فصول : ١ — شعر المقاومة الفلسطينية في اطاره التاريخي ، ٢ — الوطن في شعر المقاومة الفلسطينية ، ٣ — الملامح الفنية لشعر المقاومة الفلسطينية ، ٤ — الثورة والتوصيل في شعر المقاومة ، ٥ — الشعر الفلسطيني في اطار الشعر العربي والعالمي . وقد اتكأت الرسالة ، في رسم الاطار الاجتماعي بشكل رئيسي على كتاب رجاء النقاش « محمود درويش شاعر الارض المحتلة » وتكون بذلك قد اهملت فعليا ، دراسة الاطار الاجتماعي — الاقتصادي الذي نبت فيه الشعر الفلسطيني ، وبالتالي تعطل دراسة السياق العام للحركة الشعرية ، ولا تستطيع ربطها بالبنية الايديولوجية التي تشكل جزءا من بنية المجتمع . غير ان الرسالة تحاول في فصولها الخمسة أن ترصد أهم التيارات النقدية المعاصرة في فهمها لظاهرة الشعر الفلسطيني من خلال التقسيم الذي وضعه المؤلف .

ان القارىء يفاجأ بأن الرسالة لم تقم، بعملية نقد ، للنقد العربي ، اي لم تحاول وضع النقد العربي في سياقه الايديولوجي ، وربطه بواقع المجتمع العربي ، وحركة الصراعات الداخلية التي يخوضها بعد الهزيمة بل اكتفت بتصفية الحساب مع النقد الايديولوجي ، اذ تصل الى استنتاج بالغ الاهمية والدلالة « ان الميزان النقدي الذي يحمله بعض النقاد الايديولوجيين ، يتعامل مع الفن على المستوى السياسي التحريضي المباشر ، ولذلك فهو يبشر بأية امكانية فنية تؤمن كسبا سياسيا جديدا للقضية الفلسطينية . من هذه الزاوية يبدو هؤلاء محقين في تصوراتهم . الا ان تعطيل العملية الفنية باتجاه التحريض الدعائي لا يمكن ان يخدم الفن الثوري في شيء . هذا التعطيل اسهمت في ارسائه اسماء مختلفة تتعاطى النقد الفني بذهنية سياسية تتوافق مع همومها المباشرة » . اما بقية المدارس النقدية ، يوسف الخطيب ، رجاء النقاش على سبيل المثال ، التي تشكل جزءا من النقد الايديولوجي ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، واكثر قدرة على تفهم العمل الفني فان المؤلف لا يتوقف عندها، بل يكتفي باستعراضها الى جانب بقية التيارات النقدية الغربية . ان هذه الثغرة المركزية التي نكتشفها ونحن نقرأ الرسالة ، تجد تبريرها من ضمن بنية الرسالة نفسها . فالرسالة تتجاوز العنوان لتبني لنفسها طموحا جديدا . فهي تريد المساهمة مباشرة — وليس بطريقة غير مباشرة عبر نقد النقد وكشف تناقضاته الداخلية — لذلك فهي تصل الى ثلاثة استنتاجات رئيسية :

١ — بما أن الثورة الفلسطينية هي محاولة لتقويض البنى السياسية والاجتماعية السائدة ، فان على الشاعر الفلسطيني « أن يمتلك الطاقة المحولة التي تنقله من دهشة الاصطدام بالثورة الى حرارة الانصهار فيها » .

٢ — « الحلقة المركزية في العجز العربي ليس فلسطين ، وانما هي الافلاس الايديولوجي الذي تعاني منه الايديولوجية السياسية والثقافية السائدة » .

٣ — « ان الرياح الفلسطينية ، التي زرعت وهج الاصالة في تربة محمود درويش ووليد سيف الفنية ، لم تستطع ان تلامس مادة التوهج والحلم عند سائر الشعراء الفلسطينيين » ويتابع المؤلف ليستثني محاولات القاسم الجديدة وطموح احمد دحبور .

تقدم رسالة شوقي بزيع ، المادة الاولية لدراسة جديدة تستطيع ان تجمع القدرة على ربط ثلاث ظاهرات ببعضها . الواقع الاقتصادي — السياسي الفلسطيني ، الواقع العربي والايديولوجية العربية السائدة وخاصة جناحها النقدي والادب الفلسطيني . غير ان الرسالة على رغم الفجوات العديدة في داخلها ، تقدم مساهمة جديدة ، لا بد وان تدفع الى مزيد من الدراسات، لكشف العلاقة البالغة التعقيد بين العملية الثورية والاشكال الايديولوجية التي ترافقها ، في محاولة جذرية وجدية ، لمنع الايديولوجيا السائدة من الالتفاف حول الفكر الثوري الاصيل في محاولة لسحقه .

رقصة الخنجر ورقصة الحياة

أعطى حنا مينه في روايته الجديدة « الشمس في يوم غائم » لعلاقة الموت ــ الحياة ، امكانية انفجار تعبيري هائلة . فالغنى حين يمتزج بالحقد الطبقي ينغرس في مسيرة المستقبل ، ويمتد في قدرة على احتضان القدس وهو يعانق الفضاء، الخياط، الفتى ، العاهرة . طرف يقف وسط لعبة الصراع الداخلي ، في مسيرة اكتشاف الذات واعادة غرسها في المستوى المتحرك من علاقة الانسان بالانسان . الاب ، الام والصهر . طرف آخر يقف وسط جمود الماضي ، ليمنع الحياة من ان تسير في خط المستقبل . يريد اضاءة جانب واحد من لعبة الموت حتى يبقى الجانب الاخر معتما وفي الخارج . في هذا الاطار ، ندخل مع حنا مينه في روايته الجديدة ، دخولا جديدا . والكاتب حين يعطينا خيط استمرار خط روايته السابقة « الثلج يأتي من النافذة » ، فان هذا الخيط لا يستمر الا في حركة الاتجاه . اما الايقاع ، فانه هنا اكثر غنى واكثر قدرة على التتابع . مينه يتابع رحلته عبر المطهر الجماهيري ، حيث تستطيع النار ان تصهر العضل الانساني ، وان تعيد صياغة المستقبل . والمطهر هو مكان تتجمع فيه لحظة انشداد القبضة نحو الهدف . لحظة الموت والانفجار هي نقطة التقاء البطل ــ المثقف ، بالمطهر ــ الجماهير . في هذه النقطة ينتصر المطهر ، لانه ناري، ويستسلم البطل ، لان الصراع الطبقي هو الذي يفرض منطقه في لحظة اللقاء .

يلتقط حنا مينه من الواقع اربع ظاهرات :

١ ــ **الرقص ــ الفن** . فالرقص الغجري هو لقاء مع الارض ، لقاء عنيف ومدمر . فحين ترقص فانت تدق الارض بقدمك لتوقظها . علاقة الرقص بالارض هي نتيجة علاقة الرقص بالاسطورة . فالراقص يرى وجه الحبيبة الاسطورية . فيرقص من اجلها . ويموت من أجلها . ويكسر رتابة الارض من اجلها . الرقص بهذا المعنى لا شكل له . الثابت الوحيد هو الخنجر . اما ايقاع القدمين فهو متغير دائم ، لان الذي يحدده هو درجة الاقتراب او الابتعاد من ابتسامة الاسطورة . « وأنا ، لا احب النوتات المكتوبة لادخال السرور والهدوء والراحة الى قلوب مستمعيها . رقصة الخنجر لا نوتة لها ، مثل ريح العاصفة . وانا احب هذه الريح . واكره الهواء المكيف ، هواء المراوح » . الرقص ــ الفن ، لا يأخذ معناه الحقيقي ــ الثوري ، الا من خلال علاقتين :

أ ــ العلاقة بالخياط ، الخياط بوصفه الطرف الآخر من المدينة ، الطرف المرفوض ، والذي تلفه العتمة ، العلاقة الحبيمة معه تعطي للرقص معناه ، وتعطي للخنجر الذي يجرح ساق الراقص أولا مهمته . فالخنجر عندما دخل ساق الفتى ، كان يستعد لتمزيق وجه الفضاء . فالعلاقة بالخياط ــ معلم الرقص ــ الجماهير ، هي التي تجعل من الفن ــ المتمدد امتدادا لاكتشاف مذاق الحياة .

ب ــ العلاقة بالاسطورة . العلاقة بدخول المطهر الحقيقي « رقصت ، تفجرت رقصا ، ومن جديد احسست بأنني أحمل الى بعيد ، وكمركبة ايليا تصاعدت الى الاعالي ، هادرا كالرعد . وفي ضياء الشمس ذهبت ، وهناك رأيت التي رآها الفتى في الاسطورة » . الدخول لا يتم الا من ثنايا الطبيعة ــ التمدد . فبعد ان توقظ الارض ــ الثبات بقدميك ، تدخل الطبيعة كما دخل النبي ايليا السماء . وفي عربة النار ، يصبح الفن علاقتك بالآخرين .

٢ ــ **الصراع الطبقي** . هنا تتمحور الرواية . فالمفصل المركزي في علاقات الرواية هو هذا الصراع . ومينه في روايته الجديدة ، يذهب الى أبعد في تحليله الصراع الطبقي . الطبقات هنا لا لقاء بينها . الاقطاع يواجه الفلاحين ، يقمعهم ، يقتلهم . والآب يقتل محاولة خروج الفتى من طبقته حين يقتل الخياط . والحبيبة لا تستطيع ان تخرج من ذاتها الطبقية . لانها لم تدخل تجربة النار . الصراع الطبقي هو المحرك . لكنه في الرواية صراع متقطع . صراع **ثقافي ــ مبدئي** وليس صراعا متداخلا حيا . تجربة خروج الفتى من طبقته ، لا تتوازى معها تجربة الصدام اليومي . تجربة الحرائق الدائمة الاشتعال التي تبرر هذا الخروج وتجعله اكثر من مجرد خروج فني . من هنا ورغم المجهود الذي تحاوله الرواية ، فانها استمرار لخط سابق حاوله حنا مينه . الطبقات تتواجد ولا تتداخل . من هنا يصبح الفن ليس فقط تعبيرا

— مواجهة صراعية — اختراقا للحياة ، بل يصبح بديلا للحياة الواقعية في كثير من محاور الرواية . لان تجربة الخروج الطبقي ، والمواجهة الطبقية ، لا تقدر ان تكون مقنعة اذا لم تنغرس فعليـا في حركة الصراع اليوميـة التي تعصف بالمجتمـع الطبقي . يلتقط حنا مينه تجربة عائلة اقطاعية ، تعيش المواجهة مع الفلاحين ، وتلتجىء الـى المستعمر الفرنسي . تكون خادمة له لتؤكد سيادتها في وطنها . من هذه العائلة يخرج الفتى عند لقائه برقصة الخنجر ، ليكتب محاولة خروج جديدة من طبقته . وليحاول عبر الفن ، أن لا يتوقف عند القشرة الجمالية ، بل يدخـل احشاء العلاقـة بالطبيعة والموت فيستحيل الخنجر في يديه سلاحا للقتال بعد أن كان أداة للرقص والابداع الفني . « غامت الاشياء في نظري . وكالضباب الذي يهبط كثيفا على القمم ، هبط القهر على كياني ، فشعرت بالمهانة ، والاختنـاق وأحسست ان النسيـج العنكبوتي للعلاقات التي تحكم تصرفات الناس له قوة الحديد وقسوته في الارساغ ، ولكنه لا بد من تمزيق هذا النسيج بخنجر ذي نصل باتر ، خنجر كالذي اعطانيه الخياط ، وعلمني كيف ارقص به وأمزق وجه الفضاء المعادي » . ان خروج الفتى لا يتم الا من خلال العلاقة مع الخياط والمـرأة وضابط الايقاع ، الذين يشكلون الجانب الاخر . الطبقة الاخرى التـي تناضل مـن اجل العيش والكرامة . وتكتشف من خلال هذا النضال معنى الحيـاة ، الانعتاق ، الخلاص بالثورة داخـل جدران الليل والجوع . والثورة هنا ليست فعلا سياسيا يقف عند حدود التغيير السياسي ، بل هي امتلاك للحياة عبر اعادة تشكيلها وشحنها بالحلم.

٣ — **المطهر** . المطهر هو وسيلـة العبور . فالمسافة كبيرة بين طـرفي الصراع . وحين يريد البطل العبور ، فلا بد له من دخول المطهر . العبور هنا ، ليس معاناة سيكولوجية ادبية ، انه معاناة شاملة . لا يدخل الفتى المطهر كعامل يدوي كما فعل فياض في « الثلج يأتي من النافذة » ، بل الذي يسمح له بدخول المطهر ويحدد هذا المطهر ، هو ترافق دخول جسد المرأة — العاهرة — التي رفضها المجتمع مع مقتل الخياط الذي علمه الرقص. هذا الدخول المزدوج في رحـم المرأة — الحياة والموت — الثورة ، هو الذي ينقذه من الانتحار ، وهو الذي يجعل من امتداده ضد عائلته ، ضد امتيازاته ، امتدادا عاصفا يقف على ارض صلبة. انه يستطيع ان يدين الان ليس فقط بعاطفته ، ولكن بعقله ، بالحقد الطبقي الذي هو النار التي تصهر الكادحين في بوتقة الثورة .

٤ — **النبوءة** . الرواية بأسرهـا هي مجمـل تنبؤي . فالتراث الديني المسيحي ، الذي يبرز واقفا في زوايا الرواية ، يحيل القضية التـي يحملها المؤلف ، من تمركز حول الصراع الطبقي ، الى رؤية نبوية للمستقبل . فالصراع الطبقي لا يمتزج فقط بالاسطورة والفن والمطهر ، بل ينصهر بالتجربة الدينية حتى تستحيل التجربة من مجرد تضمينات تستطيع ان تكثف التجربة الفنية وتفجرها على المستوى الانفعالي ، الى تجربة لغوية لها طابع شمولي . فالتراث الديني الذي يطل في ثنايا الرواية ، يشكل مساميرها التي تشد المفاصل الى بعضها ، والخيط الذي يضيء الغامض منهـا ، فتستحيل التجربة من مجرد علاقة الفن بالصراع الى تجربة تريد لنفسها طموحا كليا ، وتحاول ان تمس علاقة الانسان بنفسه . انها الوجه الثاني في تجربة مينه من الصراع الطبقي ، الوجه الآخر المتفائل حتى آخر الحدود .

عبر هذه المحاور الاربعـة ، بنى حنا مينه روايته . فالرواية هي محاولة لتصوير واقع متكامل من طرفيه : طرف الخياط وطرف والد الفتى . في طرف الخياط نشاهد البؤس الذي يتعـايش مع الامل . فالتمثال سوف يتحـرك علـى صـوت الايقاع . والمرأة التي خرجت من الصورة عندما رقص لها العاشق لا بد وان تخرج من جديد . والعاهرة لا تبيع جسدها لاسيادها الذين سحقوها، تبيعهم الحصيرة فقط . اما جسدها ، فانها تخبؤه للفتى الذي يدق الارض . ولا يتكامل هذا الطرف في وعي الفتى الا مع الفلاحين الذين يقتلون في مزارع والده واصدقائه مـن الاقطاعيين . وفي الطرف المقابل ، هناك والد الفتى . الاقطاع حليف الاجنبي . الاقطاع الذي لا يجد استمراره الا في ركاب الاجنبي المستعمر ، وفي الماضي . في النفوس مع رفض قيم الثورة الفرنسية . وفي رقصة التانغو مع التخوف من الرقص العنيف . في هذا الجانب ، كما في الجانب الاول ، هناك بعض التناقضات . ابنة العم الساذجة ، والاخت التي تحاول ان تمسك بطرفي الخيط ، والام المظلومة المسحوقة التي يعاملها الوالد كما يعامل الدجاجة .

الرواية ليست دعوة للمصالحة . انها دعوة الى القطيعة . القطيعة التي وحدها تمهد لمصالحة الانسان مع الاخرين ، هذه المصالحة الاخيرة لن تتم الا بالصراع العنيف الدامي حيث يتعلم الفتى ان الخروج الوحيد هو خروج كامل او لا خروج . والانتماء الوحيد هو انتماء كامل او لا انتماء .

اذا قمنا بقراءة الرواية ثانية فاننا نشير الى ثلاث ملاحظات :

١ — من حيث **البناء** فان الرواية تحافظ على المنحى الواقعي الذي رسمه مينه في رواياته السابقة . واقع متماسك ، وحركة عقلانية تجري ضمن اطار هذا الواقع المتماسك . الرقص ليس خروجا على هذه الحركة العقلانية . انه وجهها الآخر . والبناء الروائي ، يتكامل فصلا فصلا . الاطار الوحيد للخروج هو شريط الذكريات الذي هو الاخر جزء من هذا الواقع المتماسك . فالماضي يبرر الحاضر ، يعطيه التاريخ الذي يحتاجه ليبرر به نفسه واقعيا . فهو بهذا المعنى ليس خروجا الا ليؤكد الاطار الذي ينفلت منه قليلا . ان طرح اشكالية البناء تبرره هذه المحاولة لمعالجة مسألة اندماج المثقف بحركة الجماهير معالجة جديدة ، فالمؤلف يتعاطى بشكل مباشر مع المستوى الفني ، هذا المستوى هو الذي يدفعه الى معاركة الارض واحتلالها . لكنه في معركته ، وعبر اصراره على اطاره الموضوعي القديم . الطبقات ببنيتها الجاهزة الجامدة ، قد افقد نفسه قدرة على ايصال موضوعه الى ذروته . فنحن نحس انه علينا ان نبحث عن الذروة خارج الكتاب . فالرواية تتباطأ وهي تلتقط التفاصيل التي تستطيع رقصة واحدة ان تحيلها الى مجرد جزئيات تمحي امام لحظة لقاء الانسان بالأرض حين يصبح الخنجر هو وسيلة اللقاء .

٢ — هذه البنية قد فرضت **حدودا** على المستويين التشكيلي والايقاعي . فالتشكيل اللغوي حافظ على مذاقه النثري الذي عرفناه في الروايات السابقة . حتى الاضاءات الانجيلية ، التي تكسر رتابة النص، استعملها مينه سابقا . وحتى اللغة الايقاعية ، المتوترة ، عرفناها في الروايات السابقة . اما الايقاع الذي بدأ شديد التوتر والحيوية في بدايات الرواية ، عبر الوصف الممتاز للرقص ، وعبر سحب الرقص ليس جميع مظاهر الحياة . فانه يخفت تدريجيا ، لمصلحة بناء محدد سلفا ، لا يستطيع التحرك . واذا كان جسد المرأة قد اخذ في الرواية بعدا بالغ الاتساع على مستوى العلاقة بالموت — الانبعاث . فان هذا الاتساع بقي اسير النمطية التي يريدها مينه لجميع رواياته . لذلك لم تستطع الرقصة التي بنت نفسها في بداية الرواية بناء اسطوريا يقترب من الحلم الجماعي ، ان تنفجر بوتيرتها الخاصة ، بل امتدت يد المؤلف لتخفف من ايقاع هذا الانفجار ولتجعله أقل طموحا من تفجرات زوربا على مساحة الرقص الاسطوري — الواقعي في آن .

٣ — تطرح رواية مينه سؤالا . فهي ليست طموح المؤلف الذي يطمح ان يكتب فصلا عن الهزيمة . شؤون فلسطينية ٢٤ — انها جزء من المسيرة نحو الالتحام ، نحو اعادة التوحد بالواقع — فالى أي حد تستطيع مسيرة الفتى الاسطورية اذا لم تخترق جدار الحلم ان تكون مسيرة حقيقية . بمعنى ان تكون امتدادا انفجاريا لعلاقة الانتلجنسيا العربية بالتاريخ ؟؟

البحث عن مفهوم القصة القصيرة

نشرت مجلة « المعرفة » التي تصدر في دمشق العدد ١٣٨ — آب ١٩٧٣ ، نص الندوة التي عقدت على هامش مؤتمر الأدباء العرب التاسع في تونس . وقد ناقشت الندوة موضوع القصة العربية القصيرة . شارك فيها كل من الطيب الصالح (السودان) شوقي بغدادي (سورية) محمد الشوفي (اليمن) واحمد القديدي (تونس). وقد حاولت الندوة في حلقتين متتاليتين ، ان تقدم في الحلقة الاولى رأيا في تحديد القصة القصيرة وعلاقتها ببقية الفنون الادبية ، اما في الحلقة الثانية ، فقد حاولت رصد اهم الاتجاهات في القصة العربية القصيرة .

١ — **الشعر والقصة القصيرة** : في مستهل الندوة أعطى الطيب الصالح رأيا في مفهوم القصة القصيرة : « أنا انظر الى القصة القصيرة كما أنظر للقصيدة ، حين اكتب قصة قصيرة احاول ان

اعطيها الجدة والترابط والنظام كموضوع القصيدة. الرواية طبعا عمل مركب ، وهو عمل الكاتب يقدم فيه بالواقع في حالتي انا شخصيا بدور خلط عناصر مختلفة بطريقة حيادية أقرب ما تكون الى وظيفة المؤرخ » .

٢ ــ **القصة والصحافة** : اشار احمد القديدي الى ظاهرتين ترافقان انتشار القصة القصيرة كفن أدبي غالب :

أ ــ فالكثير من الادباء العرب يتحولون الى القصة القصيرة .

ب ــ « ملاءمة الادب مــع القارىء العربي او القراء العرب ، واكبر نسبة منهم هم من قــراء الجرائد اليومية . لا القارىء المثقف المختص بل القارىء العادي اليومي . يريد ان يقرأ الخبر البسيط ويجد هذا في القصة حتى انه يقرأهـــا أحيانا دون ان يسميها « أدب » فهي طريفة وسريعة ومباشرة » .

٣ ــ **القصة العربية** : في معرض مناقشته لاهم تيارات القصة العربية القصيرة ، يشير الطيب الصالح الى اربعة كتاب : يوسف ادريس الذي هو في اعتقادي « من أحسن كتاب القصة ليس في العالم العربي فقط ، ولكن في العالم اجمع حسب خبرتي وقراءاتي » ... وفي آخر مجموعة له « بيت من لحم » يتفجر الشعر ليس عن عمد في الواقع، فهو لا يتعمد ان يستعمل لغة شاعرية لكن الشعر والمأساة بمعناها العريض ، يتفجر عن طــريق التنويع . كما اشار الى زكريا تامر الذي يكتب قصائد عنيفة وجارحة . وعبد السلام العجيلــي القريب من مدرسة ســوم وغادة السمان علــى مجموعتها « ليل الغرباء » . وقد عقب شوقي بغدادي على مداخلة الطيب الصالح مشيرا الى سعيد حورانية في مجموعتين « شتاء قاس آخر » و« سنتان وتحترق الغابة » وحنا مينه الذي ترك القصة القصيرة ليتفرغ للرواية . وقد اختتم مصطفى الفارسي الندوة بوضع القصة العربيــة القصيرة في اطارها العالمي . فنحن نستطيع « بأن نقول دون تباهي ودون اي تعال او تفاضل على الناس ، بأن العالم العربي الان في قصصه القصيرة يمكن ان يزاحم بحق العالم الغربي والعالم المتقدم، لاعتقادنا ان الثقافات ليس فيها ثقافة متقدمــة وثقافة متخلفة . هناك بلدان متقدمة ، وهناك بلدان متخلفة اقتصاديا . لكن من ناحية الثقافة وخاصة من ناحية الخلق ، كلنا بشر . هناك ثقافة او لا ثقافة » .

ان هذه الندوة ، على الرغم من طرحها لمسألتين هامتين : علاقة القصة القصيرة بالشعر وعلاقتها بالصحافة ، لم تستطع ان تذهب بعيدا في اكتشاف المسألتين ، بل مستهما مسا ، وأشارت اليهما دون ان تستطيع ان تخلص الى نتائج محددة ، تدعمها البراهين والسياق المنطقي ، من خلال دراسة القصة العربية . وهي على الرغم من انها عرفتنا على الكاتب التونسي حسن نصر الذي بقي لمدة سنتين يكتب في كل اسبوع قصة في دقيقـــة واحدة ، فانها لم تلامس المسألة الاساسية مسألة علاقة القصة القصيرة ببقية الفنون الادبية ، بل بقيت عند طروحات اولية تحتاج الى مناقشة . وهذه هي مشكلة جميع الندوات التي تعقد دون اوراق عمل محضرة سلفا ، تستطيع أن تضع أطر النقاش . اما حكاية الثقافة في البلدان المتخلفة وعدم علاقتها بالمستوى الاقتصادي ــ السياسي ، فانها حكاية تطول مناقشتها ، لكننا نشير اليها ، لننبه الى المزالق الكثيرة التي تواجه النقد العربي المعاصر .

رقصة الاطفال في مواجهة الشرطة !

تفاجئنا مجموعة امين صالح القصصية الاولى « هنا الوردة هنا نرقص » دار الآداب ــ بيروت ، بقدرتها على رسم لوحة متكاملة باللغة الشفافية ، وكثيرة العمق والدلالات . فالقصــة القصيرة ، تستحيل هنا الى رؤيا مكثفة ، تتداعى في داخلها الاحلام ، في طموح الى بلوغ مستوى الشهادة على واقع يحتله القمع ويشرف على مفترقاته رجال الشرطة ، وتتقطع الغابات فيه حتى يصاب الجميع بضربة شمس مفاجئة . فالمؤلف، يكتشف في قصصه العشر ، قدرة اللغة المكثفة على الايحاء ، وعلى فتح آفاق في الرؤيا الفنية ، يستطيع من خلالها الفنان ، ان يشرف على عالم واسع ، هو جزء

منه ، لكنه في الوقت نفسه ينفصل عنه باســم المستقبل والحرية والاطفال .

ـ « الجنون

ـ أو ربما التحريض على الثورة

وقفت بجانبي ... نزعت ثيابها

وظللنا واقفين حتى مجيئهم » .

في قصته الاولى ، التي يفتتح بها المجموعة ، يرسم امين صالح اطار اللوحة المتعددة المواقف . فنحن نقف ونتحدى . نتحدى بانتظار مجيء الشرطة. نرفع اصواتنا :

ـ « حين يكون الجزر ، احمل دلوا ، وارش الساحل ماء وحلما .

ـ تحلم بالطوفان ! اعترف بأنك تشكل خطرا على الامن ؟

ـ وحين يكون المد ، تمتد السنابل ويصفر وجه العالم رعبا » .

فالانتظار ، ليس مجانيا ، انه انتظار من داخل البحار ، مساهمة في صياغة مستقبلها ، وفي ولادة الزمن الثوري . الرؤيا الفنية في القصص تدرج ضمن مستويين :

أ ـ المستوى الاول ، مستوى وسط اللوحة : فالقصة القصيرة بوضعها النقاط للحظة انسانية ، من خلالها يجري تكثيف التجربة ، تصبح عـند امين صالح ، تجربة لحظة ، لا تلتفت كثيرا الى التفاصيل . فهي لحظة في وسط اللوحة التي تكونها القصة القصيرة . اما اطراف اللوحـة وزواياها فهي بحاجة الى عمل. على هذا المستوى تكون التجربة الفنية عند المؤلف ، بحاجة الى المعاناة الجزئية ، حتى يستطيع العمل الفني ان يصل الى مستوى ايصال الصدمة الانفعالية التي تحدثها لحظة انفجار وسط القصة القصيرة التي تأتي دائما مشحونة بالتجربة ومكثفة عبر لغـة شعرية متوترة .

ب ـ الشعر ، حيث تتحول القصة القصيرة ، الى ما يشبه المونولوج الداخلي او القصيـدة المتعددة الاصوات ، في لغة نظيفة ، تحاول قدر الامكان ان تغتسل من الاستعمالات الادبية السابقة للغة ، وان سقطت في بعض الاحيان في لغـة بعض الشعراء العرب . ـ وهذه تجربة لا بد منها لكل عمل ادبي جديد في مراحله الاولى ـ لكن اللغة الشعرية لا تستطيع ان تحجب الالتفاف حول لحظة الحدث التي تجعلنا نميز هذه القصص عن قصائد النثر ، فهي تسمح لنفسها بايراد التفاصيل، وتلتف حول الموضوع في رمزية شفافة ، وتطيـل الوقوف عند بعض اللحظات ، وهذا ما يعطيهـا بعد التجربة القصصية ، ويميزها عن نزعتهـا الشعرية الواضحة .

ضمن هذين المستويين تتتابع اللحظة الفنية ، لترسم صورة ذات ثلاثة ابعاد متداخلة ، تتواكب، تقترب من بعضها لتقيم علاقاتها ضمنها :

أ ـ القمع ـ الشرطة : حيث يحاصر الانســان الى آخر الحدود ، فيخرج من ذاته عاريا ، ويعود فيدخل من جديد في علاقة العري مع الاخرين . والسجن الرطب ، هو مكان اللقـــاء بالحقيقة الاجتماعية بحقيقة علاقات القمع في مجتمعنا ، حيث يستحيل الانسان الى رقم آخر وتستحيل احلامه الى جدران ضمن جدران الزنزانة .

ب ـ الاطفال : الاطفال هنا ، هم الوجه الاخر الذي نشاهد على جبينه بصمات القمع ، « كان الصبي فزاعة ، يرهبون بها الجنود الذين انتشروا في ارجاء المدينة ، باقنعتهم المضادة للغـازات السامة وبنادقهم المحشوة بالرصاص والقنابل » . وعندما تمتد يد الدم الى الاطفال ، فان الطفل يستطيع ان يقوم باحتجاجه الخاص : « عـــاد الطفل الى البيت والدم ما زال ينزف ، فرح لان امه لم تكن موجودة ، بحث عن عصا طويلة ، وجد عكازه ، خلع قميصه الملوث بالدم وعلقه في طرف العكاز ، ثم خرج حاملا رايته » .

ج ـ الرقصة الجماعية : في مواجهـة الدائـرة المغلقة التي ترسمها علاقة القمع بالاطفال ، لا مخرج سوى العودة الى الفصـل الجماعي . فالحركة الجماعية ، هي وحدها تسمح لعلاقة القمع ، الاطفال ، الانفجارية ، بأن تنفجر في اطارها الثوري الاحتفالي . فالثورة احتفـــال جماعي . رقصة جماعية نؤديها على الصفحات السوداء قبل ان نطويها وقد تلونت باللون الاحمر. ففي قصة « هنا الوردة ... هنا نرقص » يستحيل الطفل مواجها للاخرين وصارخا فيهم : « والآن . هنا الوردة، وهنا علينا ان نرقص ، رقصا جماعيا، لينهض الجميع . لـ... (يدخل الشرطي مسرعا

يغرز في عيوني قنبلة مسيلة للدموع) وفي الزنزانة رأيتها وهتفت بمرح : حبيبتي الشجرة . المرأة . الـ... » .

هذه الحركة الثلاثية التي تبدو هنا بسيطة الايقاع ومباشرة ، استطاعت اللغة الشعرية ان تشحنها بطاقة مذهلة على التأثير . فالاشياء التي نراها يوميا ، تصبح هنا نظيفة ومدهشة . وعلاقة الرمز والتشبيه تأخذ ابعادها الانفعالية . فالكاتب يتحرك في محورين :

أ ــ **الصورة الشعرية** التي تفاجيء دون مقدمات. وتحيل العلاقات الواقعية الى علاقات مستحيلة . هذه الاستحالة النظرية هي التي تؤكد واقعية الانفصال ، لانها تدخلنا في صيرورته ولا تتعامل معنا بشكل جاهز .

ب ــ **الحدث** الذي يمد الصورة الشعرية على مساحة القصة ، وان لم يستطع ان يؤلف معها كلا متكاملا ، فبقي صدى لها ولم يستطع ان يغنيها .

هكذا تصبح الدائرة المغلقة افقا ترسمه بالاصرار على اكتشاف مستقبلنا من خلال مواجهة الشرطة وجميع رموز البداوة . فالطفل الذي تتكسر اضلاعه تحت القمع يحمل رايته ويركض صوب بقيسة الاطفال ، ويشرع الجميع في الرقص . وعلى الرغم من بعض السقطات الرومانسية ــ القمر الاخضر، نهر الدموع ... ــ وبعض الصور الفجة ، فان الكتاب يبشر بولادة .

عبر كتابه الاول ، استطاع امين صالح ان يضم صوته الى قاسم حداد ، لترى بداية انطلاقة ادبية حقيقية في البحرين . وصالح في قصصه ، يشارك رفاقه ، الذين ولدوا سياسيا بعد هزيمة حزيران في فتح آفاق جديدة في الرؤيا الفنية حيث يستطيع الادب ان يكون في قلب معركة الولادة التي تعصف بنا ، على الرغم من كثافة ظلام الهزيمة وثقل نتائجها .

الياس خوري

تعقيب من مؤلف « **في الدين والتراث** »

كتب الياس خوري في العدد (٢٥) من شؤون فلسطينية عن مجموعتي المعونة « في الدين والتراث » وقد وردت ملاحظات في معرض ما كتب اود ايضاحها فيما يلي :

١ ــ يقول الكاتب : يميز العلوي في بحثه الاول (الاسلام والاستعمار الثقافي) بين الدين والتراث ، منتسبا الى التراث ... الخ .

وعبارة (منتسبا الى التراث) غير دقيقة هنا، لان ما سعيت الى تأكيده في هذا البحث هو الفصل بين الدين والتراث منتهيا الى رفض الاول وقبول الثاني . وليس القبول بالثاني انتسابا له ، بل هو على وجه التحديد ، الاعتراف به كعنصر في الثقافة المعاصرة . وقد اوضحت ذلك بقولي (ان ثقافتنا لا تستطيع الانفصال عن التراث الاسلامي) وهي عبارة كان يمكن ان تصاغ بطريقة أفضل فالمقصود ليس عدم الانفصال وانما عدم الرفض اي : قبول التراث ، كما قلت ، كعنصر في الثقافة .

أما تحديد معنى التراث فقد اهملته هنا اعتمادا على بحث سابق نشر في « مواقف » عدد ١١ ولم أجد ضرورة لتكراره . وفي تقديري ايضا : لم تكن هناك حاجة لتعيين المقصود بالعناصر التقدمية او الرجعية في التراث تبعا لمؤاخذة الكاتب ، فالتقدمي والرجعي مفهومان متميزان بمعايير واضحة في ضوء الفكر الماركسي . ولا يصعب على اي مثقف له المام بالفلسفة الماركسية بوجهيها ، المادي الديالكتيكي والمادي التاريخي ان يعرف ما هو تقدمي مما هو رجعي في نشاط الانسان الفكري والعملي . ويتداول المثقفون هذه

المعايير في حواراتهم اليومية الى المدى الذي يجعل الالمام بها من اوليات التفكير السياسي ..

٢ ـ يقول الاستاذ خوري: يعيد العلوي في بحثه (تحريم كنز الاموال) تثمين الدور التقدمي الذي لعبه ابو ذر الغفاري في العهد الراشدي .. الخ.

والواقع أن البحث لم يستهدف هذا الغرض كاساس ، لانه مكرس للكشف عن مسألة تاريخية لم يعن الباحثون بها الا من خلال دراستهم تاريخ ابي ذر . وقد نبهت في غضون البحث الى ان تحريم الكنز يسبق ظهور ابي ذر بزمن طويل اذ هو يتصل بفترة مبكرة من حكم النبي محمد في المدينة . والبحث لم يتركز حول نشاط ابي ذر وانما حول مسألة التحريم كما وردت في مصادر الحديث والسيرة ، ومن خلال الربط مع التركيب غير المتجانس لمؤسسي الاسلام : الصحابة . وقد جاء الحديث عن ابي ذر جزءا متمما للبحث دون ان يكون هو المقصود به .

٣ ـ ورد في تعقيب الكاتب على البحث الرابع (الفكر العربي من وجهة نظر استشراقية) اصطلاح « العقل العربي » مما قد يوحي باني استعملت هذا الاصطلاح في البحث المذكور ، ودفعا للالتباس اوضح انني لم استعمله على الاطلاق وذلك لما فيه من دلالة عنصرية . ان تقسيم العقل البشري بحسب الاجناس قام به الانتروبولوجيون الغربيون لغايات معروفة . وقد أثبت العلم خطل هذا التقسيم بالاستناد الى وحدة الخواص التشريحية لدماغ الانسان . ولهذا السبب انصح باستعمال تعبير العقل العربي لدى النظر في القضايا المتعلقة بالنشاط الفكري عند العرب والاستعاضة عنه باصطلاح الفكر العربي ، بشرط ان يقتصر ذلك على الدراسات التاريخية دون الفكر المعاصر ، الذي لم يعد يتحمل ، بدوره ، تحديدا عنصريا بسبب عالميته.

٤ ـ وصف الكاتب البحث الاخير في المجموعة بأنه (دراسة سريعة لاثار الشاعر الاموي الكميت بن زيد) ويبدو انه لم يلاحظ ان البحث مكرس حصرا لدراسة الهاشميات وفي جانب واحد منها هو محتواها السياسي . وقد اعتمد البحث على تحليل مفصل للافكار الاساسية التي تطرحها القصائد . ومن هنا فان الدراسة لم تكن لاثار الكميت وانما لهذه المجموعة من شعره ، كما لم تكن عرضا سريعا لها بقدر ما توخت تحليلها ضمن المدى الذي يفرضه هدف الكشف عن هذا الجانب المعين منها .

٥ ـ اعتبر الاستاذ خوري مجموعة الدين والتراث هذه محاولة اولية لدخول حلبة الصراع على أرض التراث . ويفهم من هذا انه لم يقرأ للمؤلف غير هذه الابحاث . ولعله ان يكون معذورا فكتاباتنا نحن العراقيين قلما تعبر الحدود بتأثير ازمة التوزيع التي تعانيها كتبنا ومجلاتنا وصحفنا. والا فقد مضى علينا في حلبة الصراع زمن حالت فيه الواننا من فرط ما تراكم على وجوهنا من الغبار ! وانا لنأمل ان نتشبث بموقعنا مستعينين بقوة الاجيال ، المنضوية دون انقطاع في مسيرة الفكر العلمي ، على الرغم من كل الزوبعة الهستيرية التي يثيرها المتاجرون بالدين ضدنا ..

هادي العلوي

* لم تنشر هذا الباب من ثقافة في العدد السابق بسبب ازدحام المواد حول الحرب (التحرير).

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

دارت الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة تحت انظار الدولتين العملاقتين وبمراقبة تامة منهما . وفي الوقت الذي احتدمت فيه المعارك على الجبهتين المصرية والسورية كانت موسكو وواشنطن تفكران بأن عليهما ان تضعا في الحسبان امرين مهمين : ١ — التصرف بحذر خشية ان تجرهما حرب الشرق الاوسط الى مجابهة مباشرة ، ٢ — ان من الممكن تحويل الحرب الى مدخل ملائم للسلام اذا ما تم وقف القتال في لحظة تلائم الطرفين المتحاربين . وكانت كل دولة من الدولتين تفكر بالسلام على طريقتها ووفق مفاهيمها . ولم يكن السلام الامريكي المنشود المبني على تهدئة المنطقة والحفاظ على أمن وسلامة اسرائيل (وفق المفهوم الاسرائيلي المبني على اسرائيل قوية وحدود آمنة... الخ) وتصفية قضية الشعب الفلسطيني، مشابها للسلام السوفييتي المبني على العدل واعادة الارض العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ كاملة الى أصحابها ، وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ولقد كان هناك احساس واضح بأن الحرب الدائرة ستبقى محدودة ، وبأن الدولتين العملاقتين ستحددان حجم الانتصارات ، وبأن الاتحاد السوفييتي لن يسمح بأي حال من الاحوال بانهيار الجبهات العربية على غرار حرب ١٩٦٧ ، كما لن تسمح الولايات المتحدة بانهيار اسرائيل بشكل كارثوي .

ولقد حكم هذا الموقف الدولي بشكل او بآخر النقاط العسكرية التالية :

١ — محدودية الحرب ، ٢ — الجسران الجويان السوفييتي والامريكي والامدادات العسكرية التي تدفقت بعد ذلك عن طريق البحر ، ٣ — مسألة اختيار لحظة وقف اطلاق النار بقرار مجلس الامن، ٤ — التهديد السوفييتي لاسرائيل بعد تجاهلها لقرار وقف القتال والرد على ذلك باعلان حالة الطوارىء في صفوف القوات العسكرية الامريكية في جميع انحاء العالم بما في ذلك الوحدات والقواعد الذرية . فلنر الان هذه النقاط الاربع بالتفصيل :

١ — تمثلت محدودية الحرب في الجانب العربي بمحدودية الخطة ضمن اطار تحرير الاراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وبعدم الاندفاع المصري في سيناء في المرحلة الاولى للحرب بشكل يستفز الولايات المتحدة الامريكية ، وبمحدودية العنف في استخدام الاسلحة وعدم اللجوء الى القصف بالعمق للرد على القصف بالعمق رغم قدرة الطيران العربي والصواريخ العربية بعيدة المدى على تنفيذ هذه المهمة ، وبمحدودية استخدام البحرية والغواصات بصورة خاصة لتحقيق الخنق الاستراتيجي البعيد . أما على الجانب الاسرائيلي فقد استغل العدو هامش المحدودية قليلا ، نظرا لاستناده الى الدعم الامريكي الذي يضمن له عدم التعرض لضربة سوفياتية ، فقام باستخدام الطيران لقصف المدن والمنشآت الحيوية الاقتصادية ، وتجاوز خطوط وقف القتال لعام ١٩٦٧ في مصر وسورية ، ولكن آثار المحدودية تظهر حسب ادعاء الاسرائيليين في اضطرارهم تحت تأثير الضغط الامريكي لقبول وقف القتال وعدم الاندفاع نحو الغرب والشمال الغربي بعد عبور القناة لتطويق الجيش المصري الثاني ، كما تظهر في قبولهم بتموين الجيش الثالث المحاصر في منطقة السويس . ففي ٣٠ تشرين الاول تحدث وزير دفاع العدو موشي دايان عن قضية تموين الجيش الثالث امام الكنيست ، وقال بأنها لا ترتبط بقضية الاسرى ثم أضاف : « اننا وافقنا على تموين الجيش المصري الثالث لانه لم يكن لدينا أي خيار في ذلك والواقع انه لم يكن لدينا ذخيرة ولا يمكن ان نخوض الحرب من دون ذخائر » ... « يجب ان نفهم اننا لا يمكن ان نسترد الاسرى عن طريق الحرب والذين يطالبوننا باستئناف القتال من دون ان نتمتع بالتأييد السياسي والمادي للولايات المتحدة يجب ان يعلموا اننا من دون هذا التأييد لا يمكن ان نربح الحرب » (رويتر — وصف ١٩٧٣/١٠/٢٥) . وفي يوم ٢٢ علق الجنرال حاييم هرتسوغ على وقف القتال بقوله « ان النزاع بيننا قد خرج من النطاق الاقليمي واصبح موضوعا بين الكتلتين الكبيرتين . وكما كان الوضع في الماضي عندما اتفقت الدولتان الكبيرتان فيما بينهما عام ١٩٤٨ على تأمين دولة اسرائيل ، وعام ١٩٥٦ على انسحاب الجيش الاسرائيلي من سيناء ، هكذا اليوم ايضا يجدر ان نفهم انه طالما ان الدولتين تتبعان موقفا موحدا فان هذا يخلق وضعا يجعل مجال المناورة لدى

القوى المحلية محدودا » (رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية [ر.١٠١٠] رقم ٣٧١) .

٢ــ كان الجسران الجويان السوفييتي والامريكي ضخمين بشكل لم تعهده المنطقة من قبل ، ويقول السفير الامريكي في اسرائيل كينيث كيتينغ في حديث اجراه مع اعضاء النادي التجاري والصناعي بتل ابيب ان الطائرات الامريكية قامت خلال مرحلة الجسر الجوي بأكثر من ٥٦٠ رحلة جوية بعضها في طائرات ضخمة من طراز « سي ــ ٥ » وبعضها الاخر في طائرات نقل اخرى . وقد اشتركت في هذه العملية وحدات مختلفة من الجيش الامريكي في اماكن عديدة من العالم (ر.١٠١٠ ملحق رقم ٣٩٣) . ولقد كان وزن المعدات المنقولة الى اسرائيل جوا حتى يوم ١٩٧٣/١١/١٥ ما يعادل ٢٢ الف طن ، تلتها بعد ذلك آلاف الاطنان بواسطة النقل البحري الذي كان قد بدأ مع الجسر الجوي . وكان الجسر الجوي السوفييتي الى مصر وسورية بنفس الضخامة ، ولكنه بدأ قبل الجسر الجوي الامريكي بأربعة أيام ، ثم استعيض عنه بالنقل البحري . ولقد حاولت الدولتان العملاقتان عن طريق هذه الامدادات تعويض الخسائر ، واكمال مخزونات الذخائر ، وتزويد المتحاربين بأسلحة متطورة حديثة لم يجر استخدامها في المراحل الاولى من الحرب .

٣ ــ اما اختيار لحظة وقف القتال والموافقة عليها من قبل الدولتين الكبيرتين فقد تم بشكل يضمن شعور الطرفين المتحاربين بأنه حقق انتصارا على خصمه ويستطيع الانتقال من الحرب الى السلام دون مرارة ، ودون أن يشعر بمهانة المهزوم ، الامر الذي يسهل ، باعتقاد واشنطن وموسكو ، عملية المفاوضات ويضمن عدم التعنت الذي قد يعود بالمنطقة الى حالة اللاحرب واللاسلم التي لا بد ان تتفجر عن حرب خامسة بعد فترة تطول أو تقصر .

ويذكر حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام المصرية أن وزير الخارجية الامريكية هنري كيسنجر قال له خلال زيارته لمصر : « ان بعضا منكم في العالم العربي أساء فهم اقتراحي الذي طرحته في اليوم التالي لنشوب القتال في الشرق الاوسط وهو اقتراحي بعودة القوات المتحاربة الى المواقع التي كانت فيها قبل ظهر يوم ٦ اكتوبر . لم اكن في هذا الاقتراح متحيزا لاسرائيل كما بدا لكم وانما كانت لي تصورات مختلفة » . ثم شرح سبب طرح الاقتراح بقوله : « تصورت ان الامر في مصلحتكم قبل أن يكون في مصلحة اسرائيل » ... « ان تفكيري سار على النحو التالي : ــ ان المصريين قاموا بمغامرة خطيرة ... ربما دفعهم اليها اليأس، ولكن القوة العسكرية الاسرائيلية سوف تنقض الان عليهم بمنتهى القسوة . ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ ان مصر سوف تتجه الى الاتحاد السوفييتي لينقذها وهناك احتمالان : أن يتدخل السوفييت بطريقة تفرض علينا التدخل نحن الاخرين وهذا يضعنا أمام احتمال رهيب .. نحن وهم معا . واما ان لا يتدخل السوفييت ، ولكنهم سيدخلون الى مصر بطريقة لا يخرجون منها بعد ذلك أبدا وهذا أيضا احتمال لا نريده . لم تكن المسألة حرصا على مصر وحدها ولكن المسألة بالدرجة الاولى كانت حرصا على حقائق وموازين القوة في هذا العصر ، ومن هنا جاء اقتراحي بوقف اطلاق النار فورا وعودة القوات المتحاربة الى مواقعها قبله ... » . ثم أشار الى خطأ تقديرات الامريكيين عن قوة العرب وتحقيق القوات العربية لانتصارات مذهلة ، واستمرار المعارك رغم هجوم الاسرائيليين المعاكس وقال : « ــ لقد قلت ان الظرف أصبح ملائما لوقف اطلاق النار . ان المصريين أثبتوا قدرتهم على القتال ... انهم غيروا الاوضاع في الشرق الاوسط وهناك الان حقائق جديدة يجب ان نأخذها في الحساب » . وشرح كيسنجر ثورة اسرائيل على اقتراحه في اليوم العاشر للقتال وقال بأن المصريين لم يقبلوا به أيضا ثم استطرد حسب رواية هيكل : « ــ الخلاصة اننا لم نستطع التوصل الى وقف اطلاق النار في ظرف اعتبرته مناسبا . دعني أقول لك شيئا عن رأيي في حل النزاعات . اذا كنا نريد حل نزاع متأزم فيجب ان تكون النقطة التي نبدأ منها هي نقطة يشعر فيها كل طرف انه حصل على شيء ... وان التوقف عندها ليس هزيمة له . ومثل هذا الموقف كان متاحا لنا في نهاية النصف الاول من اكتوبر (تشرين الاول) ... مصر عبرت قناة السويس واقتحمت خط بارليف وتقدمت بضعة كيلومترات في سيناء الى الشرق من خط وقف اطلاق النار . واسرائيل تمكنت من وقف الهجوم السوري ــ وقد كان قويا وكثيفا ــ في الجولان وتقدمت بضعة كيلومترات الى الشمال من خط وقف اطلاق النار قبل ٦ اكتوبر (تشرين الاول) واذن فان كل

طرف حصل على شيء مما كان يريد وان لم يحصل على ما يريده كله . واذن فهذا هو الوقت للتوقف عن القتال والبحث بالسياسة عن حل » . ثم أشار الى الاتفاق مع السوفييت لاصدار قرار وقف القتال بعد عبور القوات الاسرائيلية الى الضفة الغربية للقناة فقال : « قواتكم عبرت وهي في مواقع الى الشرق من قناة السويس ، وقواتهم عبرت وهي في مواقع الى الغرب من قناة السويس ... هكذا وجدنا ان الوقت ما زال مناسبا للبحث عن حل » (الاهرام ٧٣/١١/١٦) .

٤ — عندما استغلت اسرائيل وقف القتال ، وحاولت توسيع جيب الدفرسوار نحو الشمال والجنوب رغم القرار رقم ٣٣٨ وتاريخ ١/٢٢ تصلب الموقف السوفييتي وأصدر مجلس الامن القرار رقم ٣٣٩ بتاريخ ١٠/٢٣ القاضي بايقاف القتال فورا والعودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول . وهنا اعتقدت اسرائيل ان بوسعها الاستمرار في المغامرة وتجاهل القرارات الدولية على عادتها وخلق وضع راهن وحقائق جديدة يضطر العالم لقبولها مرغما ، فتابعت التقدم نحو الجنوب لقطع طريق السويس الاسكندرية ومحاصرة الجيش المصري الثالث ، فجاء التهديد السوفييتي هذه المرة حاسما ، وبعث الزعيم السوفييتي ليونيد بريجينيف الى الرئيس نيكسون رسالة شديدة اللهجة هدد فيها بالتدخل العسكري من جانب واحد لفرض تنفيذ قراري مجلس الامن اذا لم يتوقف الجيش الاسرائيلي عن أعمال خرق وقف اطلاق النار (التايم ٧٣/١١/٥) ورد الرئيس نيكسون على التهديد في ٢٥ تشرين الاول باستنفار القوات الامريكية ووضعها موضع التأهب مع القوات الضاربة الذرية وعاش العالم كله على فوهة بركان نووي يهدد بالانفجار . وتوتر الموقف الدولي بشكل لم يشهده منذ أزمة الصواريخ الكوبية في عام ١٩٦٢ . ولم تخف حدة التوتر وينته يوم الرعب (٢٥ تشرين الاول) الا عندما توصل مجلس الامن الى خطوة تنفيذية لوقف القتال واتخذ قرارا جديدا من خمس نقاط ذكر فيه بالقرارين رقم ٣٣٨ و ٣٣٩ وطالب بشدة الامتثال لوقف نار فوري وكامل ، والعودة الى خطوط ٢٢ تشرين الاول ، وانشاء قوة طوارىء دولية لا تضم عناصر من الدول الخمس الكبرى لمراقبة تنفيذ هذين القرارين. عندها بدأت قوات الطوارىء الدولية تتحرك باتجاه منطقة الصراع ، وأخذ وقف القتال شكلا أكثر ثباتا ، رغم حالات الخرق التي لم تنقطع بشكل كامل ، وبدأت مباحثات الضباط المصريين والاسرائيليين عند نقطة الكيلو ١٠١ على طريق السويس — القاهرة استنادا الى النقاط الستالتي تضمنتها رسالة بعث بها وزير الخارجية الامريكي في ١١/٩ الى الامين العام للامم المتحدة كورت فالدهايم وأبلغه فيها أن حكومتي مصر واسرائيل مستعدتان لقبول النقاط الست التي تعتبر تنفيذا للمادة الاولى من قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وقرار مجلس الامن رقم ٣٣٩ . وكان نص الاتفاق ، كما ورد في الصحافة العربية ، كما يلي :

« أ — توافق مصر واسرائيل على احترام وقف اطلاق النار الذي دعا اليه مجلس الامن الدولي ، بدقة .

« ب — يوافق كلا الطرفين على ان المحادثات بينهما ستبدأ فورا لتسوية مسألة العودة الى مواقع ٢٢ تشرين الاول ، في اطار الاتفاق على فصل القوات باشراف الامم المتحدة .

« ج — ستتلقى مدينة السويس الامدادات اليومية من المواد الغذائية والماء والمواد الطبية . وسيتم اجلاء جميع المدنيين الجرحى عن مدينة السويس .

« د — لن تكون هناك عقبات امام انتقال الامدادات غير العسكرية الى الضفة الشرقية .

« هـ — يتم استبدال نقاط التفتيش الاسرائيلية على طريق القاهرة — السويس بنقاط تفتيش دولية . وعند نهاية طريق السويس يتمكن الضباط الاسرائيليون ان يشتركوا مع الامم المتحدة للتأكد من الطبيعة اللاعسكرية للامدادات على ضفة القناة .

« و — حالما تقام نقاط التفتيش الدولية على طريق القاهرة — السويس ، يتم تبادل لجميع أسرى الحرب ، بما في ذلك الجرحى .

وقد وافق الطرفان على عقد اجتماع باشراف قائد قوات الامم المتحدة في المكان المعتاد (الكيلومتر ١٠١ على طريق السويس — القاهرة) لتوقيع هذا الاتفاق والعمل على تنفيذه » .



وبدلنا هذا الطرح لمجريات الامور خلال الشهر المنصرم على مدى تأثير الموقف الدولي على سير الصراع ونتائجه ، بل وعلى سير المعارك العسكرية ذاتها . الامر الذي يؤكد حقيقة أخرى لا بد من

طرحها ، وهي أن الموقف السياسي العربي ، وطلب مصر لوقف القتال وموافقتها عليه ، وطلب مصر لقوات امريكية وسوفييتية لمراقبة وقف القتال بعد تمادي الاسرائيليين في خرق قرار مجلس الامن، وقبول اتفاق النقاط الست ، والبدء بتبادل الاسرى ... الخ لا تشكل بأي حال من الاحوال انعكاسا للموقف العسكري علـى جبهات القتال . فمن المعروف ان الرئيس انور السادات طرح مشروع السلام في خطـاب ١٩٧٣/١٠/١٦ عندمـا كانت القوات العربية المسلحة في أوج انتصاراتها ولم يكن خرق الدفرسوار أكثر من جيب تكتيكي محدود قابل للتصفية . ويدل التقييـم الحقيقي للموقف العسكري في يوم ٢٢ على ان وضع القوات العربية كان سليما ولعل هـذا هو ما شجع الدولتـين العملاقتين على طرح مشروعهما لوقف القتال وفق المبدأ الذي ذكره كيسنجر في مقابلته مع حسنين هيكل . وكانت العمليات الحربية تجري بشكـل يتطابق مع ميزان القوى الذي اختل في البداية لصالح العرب ، ثم اعاده الاسرائيليون الى وضعه الطبيعي بعد التعبئة العامة ، ثم اختل لصالح اسرائيل محليا على الجبهة السورية في نهايـة الهجوم السوري وبداية الهجوم المعاكس ، ثم قلبه دخول القوات العراقيـة الى القتال بحجم كبير وجعله لصالح سوريه من جديد ، وواكب هذا كله تدفق السلاح السوفييتي والسلاح الامريكي بأعداد متقاربة وأنواع متماثلة الحداثة لتأمـين التوازن العام الاستراتيجي .

ولم يكن هناك أي خلل استراتيجي على أية جبهة من الجبهتين . وكانت الجبهة الشمالية تعد العدة لشن هجوم معاكس قوامه ثلاث فرق وعدد مـن وحدات الكوماندوس وبطاريات المدفعية لتطهـير الجيب الاسرائيلي ومتابعة التقـدم في الجولان والعودة الى حرب الحركة بعد ان انتهت « مرحلة الجذب » ووصل التقدم الاسرائيلي الى نقطة ذروة الجهد وصار من الممكن الانتقال الـى « مرحلة الضرب » تنفيذا لاستراتيجية الحرب طويلة الامد التي تبناها السوريون والعراقيون وبنوا أسسها على منـاورة « الجذب والضرب » كما طرحهـا الرئيس الفريق حافظ الاسد في خطابه بتاريخ ٢٩/ ٧٣/١٠ عندما قال : « كلا لم نحرر الارض بعد ، بل ما زال قسم من الارض في منطقة الخرق في يد العدو لان وقف القتال جاء مفاجئا لنـا ومغايرا لتصورنا عن سير المعركة اذ كنا نتصور معركة طويلة الامد . وفي مثل هذا التصور يتم تحركنا في اتجاهات مختلفة وبكثير من المرونة وبها يخدم هدف المعركة النهائي . وفي مثل هذا التصور أيضا قد يكون من غير الضار ، بل قد يكون من المفيد ، أن يتواجد هذا العدو هنا أو هناك في منطقة قريبة او بعيدة لفترة تطول او تقصر . كل ذلك او غيره يتم في هدي دليل واضح ومحدد هو الهدف النهائي للحرب » (النهار ٧٣/١٠/٣٠) .

وكانت القوات المصرية علـى الضفة الشرقية متماسكة قادرة على متابعة القتال بفاعلية . وكان بوسع قوات الجيش الثالث (٢٠٠ دبابة) وقوات الجيش الثاني (حوالي ٨٠٠ دبابة) العاملة على الضفة الشرقية للقناة التحرك من الجنوب والشمال والاشتباك مع القوة الاسرائيلية العاملة على هذه الضفة (٦٠٠ — ٧٠٠ دبابة) وقطع الممر الذي يؤمن امداد الجيب . كما كان بوسع مدفعية هذين الجيشين ومشاتهما ووحداتهما الصاروخية المضادة للدروع (نظرا لانتقال معظم دباباتهما الى الضفة الشرقية) الاشتراك مع الطـيران ومع وحدات الجيش المصري الاول المتمركزة شرقي القاهـرة تصفية الجيب في موقعه غربي منطقة العبور عندما كان عدده لا يتجاوز ٢٠ ألف جندي و٢٠٠ — ٣٠٠ دبابة . كما كان بوسع هذه القوات الضخمة فك الطوق عن الجيش المصري الثالث بعـد تقـدم الاسرائيليين في ليلة ٢٢ — ٢٣ ويومي ٢٣ و ٢٤ تشرين الاول من مواقعهم التي كانت تبعد ١٥ كيلومترا شمالـي السويس (نيويورك تايمس ، نقلتها النهار ٧٣/١٠/٣١) ووصولهم الى ميناء الادبية وطريق السويس — القاهرة واحكام الطوق حول الجيش المصري الثالث . ولقد أعلن الرئيس أنور السادات في مؤتمر صحفي عقده بتاريخ ٣١ تشرين الاول « ان الجيش المصري الثالث موجود على ضفتي قناة السويس، وان القوات الاسرائيلية التي تسللت الى منطقة الدفرسوار محاصرة من قبل قسمي الجيش الثالث ... وان القـوات المصرية تستطيع سحق قوات العدو فـي الضفة الغربية للقناة ، وان العسكريين المصريين يلحون عليه للقيام بذلك ... وانه ابلغ الزعيم السوفييتي بريجينيف والرئيس الامريكي نيكسون بأن وجـود القوات الاسرائيلية في الدفرسوار لا يحتمل وانه اذا لم يتراجع الاسرائيليون الى خط وقف اطلاق النار في ٢٢ تشرين الاول فان القوات المصريـة

ستتحرك » . ثم اضاف الرئيس المصري (الانوار في ٧٣/١١/١) : « ان الاسرائيليين يقولون أنهم قطعوا خط مواصلات الجيش المصري الثالث وانهم يحاصرونه .. ولكن الحقيقة هي ان الجيش الثالث غير موجود على شرق قناة السويس فقط ، بل ان الجزء الاكبر منه في غرب القناة . والاسرائيليون يعرفون انهم يواجهون الجيش الثالث من ناحيتين ... ان الجيش الثالث ثابت في مواقعه وصامد صمود الصخر .. والجزء الاكبر منه في غرب القناة وخلف الاسرائيليين وأنا أستطيع بهذا الجزء أن أقتحم طريقي وأقضي على الاسرائيليين الموجودين بين طرفي الجيش الثالث . والاسرائيليون يعلمون أن قواتهم في غرب القناة مجرد شريط رفيع تسهل ازالته ومحوه . والعسكريون المصريون يلحون علي أن أفعل ذلك ، ولكن انا لا اريد ان اكسر وقف اطلاق النار » . وأعلن الرئيس السادات أيضا « أنه أبلغ الرئيس الاميركي نيكسون والزعيم السوفييتي بريجينيف ان هذا الموقف الاسرائيلي لا يحتمل . وانه لا يستطيع ان يقف مكتوف الايدي تجاه الموقف الاسرائيلي في غرب القناة الذي يستطيع العسكريون المصريون تغييره بسهولة ... وتجري في واشنطن محادثات بهذا الشأن ، وقد طلب مني الرئيس نيكسون فترة اخرى لا تخرق خلالها وقف اطلاق النار وتعود اسرائيل الى خط ٢٢ تشرين الاول » .

ان من خصوصيات الصراع العربي — الاسرائيلي انه صراع يهم العالم كله ولا يمكن أن يبقى محدوداً . وان أهمية منطقتنا من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية ، وتشابك مصالح الدول العظمى فيها تجعل الصراع ينتقل بسرعة من مستواه المحلي الى مستوى عالمي اكبر . ويقول حسنين هيكل ان كيسنجر لخص له موقف الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بما يلي :

« ١ — ان لنا مصالح استراتيجية في المنطقة .

« ٢ — ان القوة الاعظم الثانية — الاتحاد السوفييتي — لها مصالح في هذه المنطقة .

« ٣ — اننا نحاول اقامة نظام عالمي جديد يقوم على الوفاق بعد زوال عصر الحرب الباردة ولكن الوفاق لن يجرنا الى ترك المنطقة لنفوذ القوة الاعظم الثانية .

« ٤ — اننا لا نريد أن تتصاعد اية أزمة لكي تؤثر على الوفاق لان مخاطر ذلك أخطر من ان تتحملها البشرية بأسرها .

« ٥ — ان لنا علاقة خاصة باسرائيل ونحن ملتزمون بحماية أمنها ، ونحن نعتبر ان حماية أمن اسرائيل لا يمكن ان يتحقق الا باحترام سيادتكم » ... الخ .

وهكذا تتشابك أهم أحداث هذا الشهر (من ١٠/١٥ الى ١١/١٥) العسكرية (العبور الى الضفة الغربية ، وقف القتال) مع الوضع السياسي العام المحيط بالصراع وتبقى ضمن اطاره ، تماما كما تشابكت أحداث حروب ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧ وحرب الاستنزاف ١٩٦٨ — ١٩٧٠ مع الوضع السياسي الذي كان يحيط بالصراع ويحدد أبعاده وطبيعته وأهدافه . والفارق الوحيد في هذه الحرب هو أن القوات العربية المشتركة في الصراع استطاعت تحقيق الكثير من أغراضها ، وخلقت حقائق جديدة كثيرة في المجالين المادي والمعنوي ، ولا يمكن أن نقيس حجم المهمات التي نفذتها بالنظر فقط الى المهمات المادية كعدد الدبابات المدمرة او الطائرات المسقطة او الرجال الذين تقتلهم او جرحتهم أو أسرتهم أو أعداد الكيلومترات المربعة التي حررتها ، بل لا بد لنا من النظر اليها من خلال المهمات الكبيرة التي انجزتها على الصعيد المعنوي والاستراتيجي وأهمها تحرير ارادة الانسان العربي وتخليصها من آثار الردع ، وتحطيم نظرية أمن العدو ، واقناع هذا المجتمع المعادي المغروس في قلب وطننا بأن بقاءه بقوة السلاح على المدى التاريخي أمر مستحيل ، وان حسم الصراع بقوة السلاح لا يمكن ان يتم (المناورة بانتزاع قناعات العدو) وان تحديه للامة العربية يدفع هذه الامة الى التقدم والوحدة ويفرض عليها السير على الطريق السليم نحو بناء المجتمع القادر على التحرير .

وبالرغم من التحديدات العالمية لاطار الصراع وابعاده ، فان انتصارات القوات العربية على أرض المعارك منحت السياسة العربية هامشا أوسع للعمل ، وقدمت للاصدقاء المجال الزمني اللازم للتدخل بكل اشكاله المادية والسياسية والدبلوماسية ، وأجبرت الاعداء على تفهم الكثير من الحقائق ، والتعامل مع العرب كطرف فاعل في الاحداث لا كطرف مهمل مهمته تلقي الصدمات .

ان محدودية الحرب حقيقة واقعة في الماضي

والحاضر، وستبرز أمامنا كحقيقة واقعة في المستقبل طالما بقي الوضع الدولي على ما هو عليه . ولقد شرح الفريق اول احمد اسماعيل وزير الحـــربية المصري هذه النقطة عندما سأله حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام : « هل الحرب ممكنة في ظل الوفاق بين القوتين الاعظم ؟ » فقال : « ممكنة اذا كانت حرباً محدودة في هدفها وفي مدتها » (الاهرام ١٨/ ٧٣/١١) . وتخضع هذه المحدودية في صراعنا لظروف موضوعية متعددة ، ولكن هناك رغم هذه الظروف خطوطا ترسمها الظروف الذاتية للقوى المحلية المشتركة في الصراع ، وكلما كانت هـــذه القوى ديناميكية فعالة كلما ازدادت قدرتها على الافادة من الهامش المتروك ضمن اطار محدودية العمل ، وازدادت قدرتها على التأثير على الظروف الموضوعية نفسها وفـــق قوانين جدلية التأثيـــر المتبادل . وهذا ما اثبتته الحرب الكورية (١٩٥٠ ــ ١٩٥٣) وحروب جنوب شرقي آسيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا .

المقدم الهيثم الايوبي

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٠/٢٢ — ١٩٧٣/١١/١٥

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	المصدر: تاريخه
١	١٠/١٥	٢١،٣٠	رام الله	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مبنى بنك ديسكاونت واشتعال النيران فيه	—	—	—	رقم ١٤٠	١٠/٢٢
٢	١٠/٢٠	—	كريات اربع	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت مما اضطر العدو لاخلاء السكان	—	—	—	رقم ١٤١	١٠/٢٢
٣	١٠/٢٠	—	جنوب الخليل	هجوم	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	ايقاع عدد من الاصابات في قافلة للعدو	—	—	—	رقم ١٤١	١٠/٢٢
٤	١٠/٢٠	—	الطيبة — اريحا	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير جسر وتعطيل الطريق بين الطيبة واريحا	—	—	—	رقم ١٤١	١٠/٢٢
٥	١٠/٢١	—	بيت حانون/غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير خط السكة الحديد الواصلة بين الارض المحتلة وسيناء	—	—	—	رقم ١٤١	١٠/٢٢
٦	١٠/٢١	—	جبل الشيخ	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	٣	—	—	رقم ١٤٢	١٠/٢٢
٧	١٠/٢١	—	نشكول وبانياس	كمين واشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو	٢	—	—	رقم ١٤٢	١٠/٢٢
٨	١٠/٢٢	—	جبل الشيخ	تصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	ايقاع خسائر في خطوط امداد العدو	—	—	—		
٩	١٠/٢١	—	هونين — مسكاف عام	تصف	صواريخ موقوتة	غيرمحدد	تدمير رشاشين (٥٠٠)	—	—	—	رقم ١٤٢	١٠/٢٢
١٠	١٠/٢٢	٢١،٣٠	تل قاضي/جبل الشيخ	هجوم	تذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آليتين نصف مجنزرتين وسيارة نقل عسكرية تحمل أكثر من ٢٠ جنديا	—	—	—	رقم ١٤٣ رقم ١٤٤	١٠/٢٢ ١٠/٢٣

١١ — ١٠/٢٢	٢٢٬٠٠	العباسية	هجوم	أسلحة مختلفة	٨ —	تدمير كمين	—	—	—	رقم ١٤٤	١٠/٢٣
١٢ — ١٠/٢٢	٢٠٬٠٠	مسكاف عام	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير واسكات ثلاثة رشاشات معـادية	—	—	—	رقم ١٤٤	١٠/٢٣
١٣ — ١٠/٢٢	٢٢٬٠٠	هونين	هجوم	تذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت وموقع رشاش ١٢٫٧ ملم وقتل طاقمه	—	—	—	رقم ١٤٤	١٠/٢٣
١٤ — ١٠/٢١	٢٢٬٠٠	المنارة — هونين	كمين	أسلحة مختلفة	٨ اصابات	تدمير عربة نصف مجنزرة	—	—	—	رقم ١٤٤	١٠/٢٣
١٥ — ١٠/٢١	٢٣٬٠٠	تلة الشيخ عباس	هجوم	تذائف صاروخية وأسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية وقتل جميع من فيها	—	—	—	رقم ١٤٤	١٠/٢٣
١٦ — ١٠/٢١	٢٢٬٣٠	زرعيت/الجليل الاعلى	هجوم	تذائف صاروخية وهاونـات	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	رقم ١٤٤	١٠/٢٣
١٧ — ١٠/٢١	٢١٬٠٠	العباسية	قصف	مدفعيـة	غيرمحدد	غير محدد	١	١	٥	رقم ١٤٤	١٠/٢٣
١٨ — ١٠/٢٢	—	مدعيت/الجليل الاعلى	قصف	مدفعية	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت	—	—	—	رقم ١٤٥	١٠/٢٣
١٩ — ١٠/٢٣	١٦١٥	جبل الشيخ	قصف	مدفعية ثقيلة	غيرمحدد	اصابة مرصد العلم باضرار	—	—	—	رقم ١٤٥	١٠/٢٣
٢٠ — ١٠/٢٣	١٦١٥	مسكاف عام ومارجليوت	قصف	مدفعية ثقيلة	غيرمحدد	اصابة المستعمرتين باضرار	—	—	—	رقم ١٤٥	١٠/٢٣
٢١ — ١٠/٢٢	—	غورون	قصف	تذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	رقم ١٤٦	١٠/٢٣
٢٢ — ١٠/٢٢	—	ايليوت	قصف	تذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	رقم ١٤٦	١٠/٢٣
٢٣ — ١٠/٢٢	—	مزرعيت	قصف	تذائف هاون ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض الاهداف في المستعمرة	—	—	—	رقم ١٤٦	١٠/٢٣
٢٤ — ١٠/٢٢	—	تلة موسى	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير مهجع للعدو وموقع رشاش ٥٠٠	—	—	٢	رقم ١٤٧	١٠/٢٣
٢٥ — ١٠/٢٢	—	ابل القمح	تفجير واشتباك	عبوات ناسفة وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تفجير مستودع للذخيرة	—	—	—	رقم ١٤٧	١٠/٢٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٢٦	١٠/٢٢	—	كفار جلعادي	هجوم	تذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير موقع للعدو واصابة بعض البنايات بأضرار	—	١	—	رقم ١٤٧	١٠/٢٣
٢٧	١٠/٢٢	—	العرقوب	تراشق مدفعي	مدفعيـــة	— —	—	—	—	—	رقم ١٤٧	١٠/٢٣
٢٨	١٠/٢٢	—	الخالصة — بانياس — ادان — شرياشوف — المطلة — كفاريوفال	قصف	صواريخ ثقيلة ومدفعية	غيرمحدد	اصابة منشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	رقم ١٤٧	١٠/٢٣
٢٩	١٠/٢٣	٢٦٠٠	فلحا/الجليل الغربي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	٣	١	—	رقم ١٤٨	١٠/٢٣
٣٠	١٠/٢٢	٢١٦٠٠	معلوت	قصف	صواريخ ومدفعية ثقيلـــة	غيرمحدد	تدمير عدد من المنشآت	—	—	—	رقم ١٤٨	١٠/٢٣
٣١	١٠/٢٣	١٢٦٠٠	جبل الشيخ	تصدي	مقاومة ارضية	— —	اجبار طائرة هليكوبتر لتغير سيرها	—	—	—	رقم ١٤٩	١٠/٢٣
٣٢	١٠/٢٣	١٢٦٣٠	جبل الشيخ	تصدي	مدفعية ومقاومة أرضيـــة	— —	اجبار طائرة هليكوبتر لتغير سيرها	—	—	—	رقم ١٤٩	١٠/٢٣
٣٣	١٠/٢٣	—	صلحة	قصف	تذائف صاروخية وهاون ٦٠ ملم	غيرمحدد	تدمير آلية نصف مجنزرة وتدمير كمين	—	—	—	رقم ١٥٠	١٠/٢٣
٣٤	١٠/٢٣	—	رامات نفتالي	قصف	تذائف صاروخية وهاونـــات	غيرمحدد	تدمير رشاشين ١٢٠٧ ملم واشعال النيران في قسم من المستعمرة	—	—	—	رقم ١٥٠	١٠/٢٣
٣٥	١٠/٢٣	—	البصة	هجوم	تذائف صاروخية	غيرمحدد	تدمير آليتين	—	—	—	رقم ١٥٠	١٠/٢٣
٣٦	١٠/٢٣	—	غورون	قصف	هاون ثقيلة	غيرمحدد	تدمير تراكتور زراعي	—	—	—	رقم ١٥٠	١٠/٢٣

٣٧ — ١٠/٢٣	٢٤٠٠	مسكاف عام — المطلة	كمين	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غيرمحدد	اسكات ثلاثة كمائن للعدو	—	—	—	رقم ١٥٠	١٠/٢٣
٣٨ — ١٠/٢٢	٢٣٤٠٠	كفاربوغال/كفار جلعادي	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو ونصف مجنزرة	—	—	—	رقم ١٥٠	١٠/٢٣
٣٩ — ١٠/٢٢	٢٤٣٠	كفرزرعيت — المطلة	كمين	تذائف صاروخية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير آليتين للعدو	—	—	—	رقم ١٥١	١٠/٢٣
٤٠ — ١٠/٢٢	٢٤٣٠	المطلة	هجوم	أسلحة مختلفة	٥	تدمير كمين وكذلك مهاجمة تجمعا لاليات العدو	—	—	—	رقم ١٥١	١٠/٢٣
٤١ — ١٠/٢٣	—	الغجر	هجوم	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير موقع للعدو	٢	—	—	رقم ١٥٢	١٠/٢٤
٤٢ — ١٠/٢٣	—	كفار جلعادي	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	رقم ١٥٢	١٠/٢٤
٤٣ — ١٠/٢٣	—	المطلة	نسف	عبوات ناسفة	— —	تدمير ١٥٠ مترا من الاسلاك الشائكة حول المستعمرة	—	—	—	رقم ١٥٢	١٠/٢٤
٤٤ — ١٠/٢٣	—	العباسة	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية ومصفحة ورشاشين ٥٠٠	—	—	—	رقم ١٥٢	١٠/٢٤
٤٥ — ١٠/٢٤	٢٤٣٠	مرجليوت	قصف	مدفعية الهاون	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت	—	—	—	رقم ١٥٣	١٠/٢٤
٤٦ — ١٠/٢٤	٠٤٣٠	مسكاف عام	هجوم	تذائف صاروخية	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت	—	—	—	رقم ١٥٣	١٠/٢٤
٤٧ — ١٠/٢٣	٢٢٤٣٠	المطلة	هجوم	تذائف صاروخية	غيرمحدد	اشعال النيران في المستعمرة	—	—	—	رقم ١٥٣	١٠/٢٤
٤٨ — ١٠/٢٣	—	سعسع	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	رقم ١٥٣	١٠/٢٤
٤٩ — ١٠/٢٤	—	علما	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	رقم ١٥٣	١٠/٢٤
٥٠ — ١٠/٢٤	—	الراس الاحمر	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	رقم ١٥٣	١٠/٢٤
٥١ — ١٠/٢٣	٢٠٤٠٠	حانوتا/الجليل الغربي	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	رقم ١٥٤	١٠/٢٤
٥٢ — ١٠/٢٣	—	شالومي	قصف	مدفعية ثقيلة	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	رقم ١٥٤	١٠/٢٤
٥٣ — ١٠/٢٣	—	هونين/الجليل الاعلى	اقتحام	تذائف صاروخية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير آلية ونسف مرآب لاليات العدو	—	—	—	رقم ١٥٥	١٠/٢٤
٥٤ — ١٠/٢٤	—	المطلة	هجوم	أسلحة مختلفة	٨ —	تدمير كمين	٤	—	—	رقم ١٥٥	١٠/٢٤

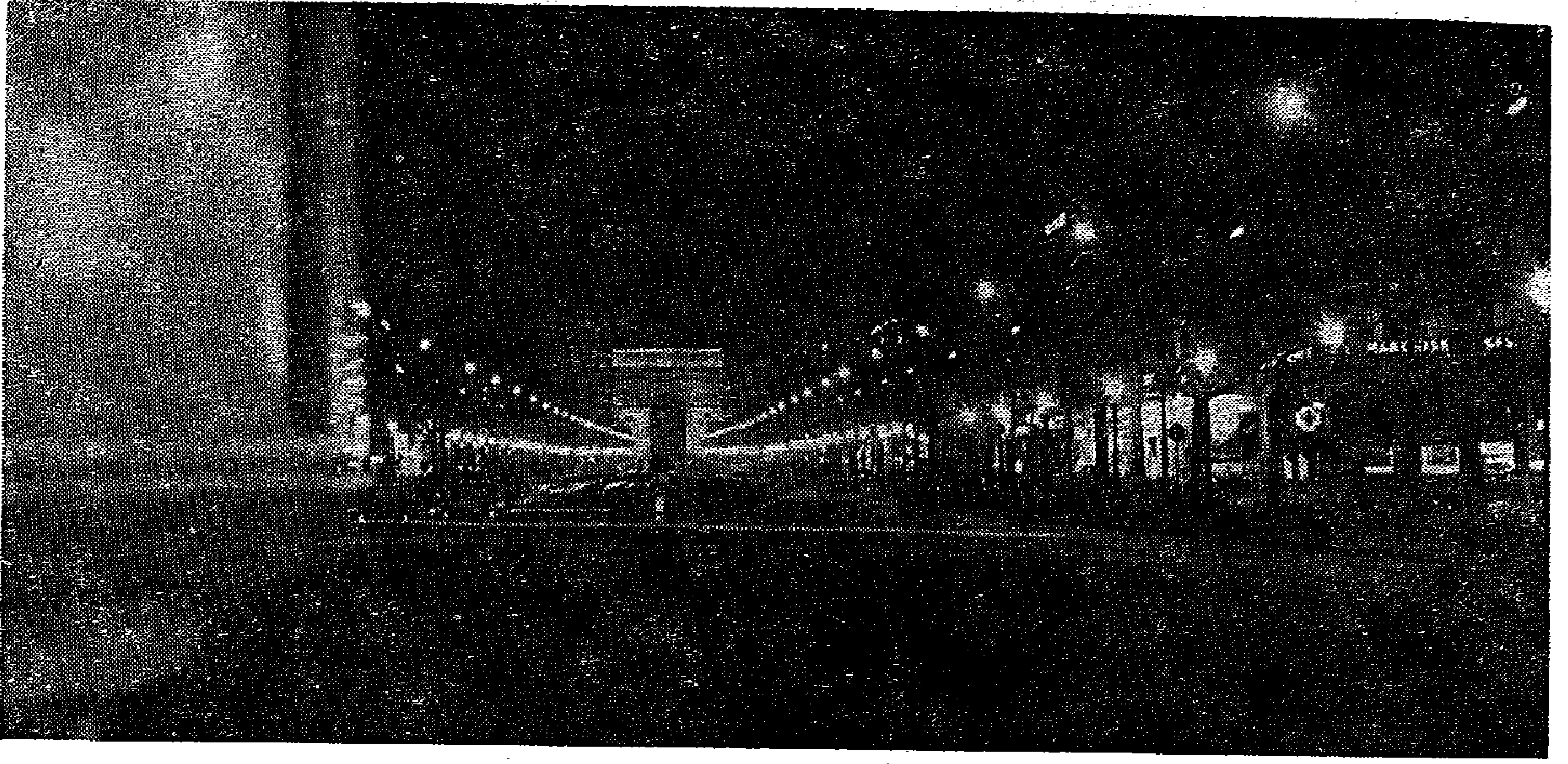
الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	المصدر: تاريخه
٥٥	١٠/٢٥	١١،٣٠	راشيا الوادي/ جنوب لبنان	صد غارة	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	اسقاط طائرة هليكوبتر وترك العدو رشاش وجهاز لاسلكي وضمادات طبية	—	—	—	رقم ١٥٧	١٠/٢٥
٥٦	١٠/٢٤	—	حانوته/الجليل الغربي	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	مهاجمة كمين للعدو	—	١	—	رقم ١٥٨	١٠/٢٥
٥٧	١٠/٢٥	٢،٣٠	دفنه ـ بانياس	كمين	تذائف صاروخية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير آلية للعدو	—	—	—	رقم ١٥٩	١٠/٢٦
٥٨	١٠/٢٥	—	العباسية	هجوم	تذائف صاروخية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير آلية محملة بالجنود وتدمير مربض رشاش ١٢،٧ ملم	—	—	—	رقم ١٥٩	١٠/٢٦
٥٩	١٠/١٧	—	ايال/شمال قلقيلية	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مركز تجمع المستعمرة بأضرار	—	—	—	رقم ١٦٠	١٠/٢٦
٦٠	١٠/١٩	—	بني براك/جنوب غرب قلقيلية	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	—	رقم ١٦٠	١٠/٢٦
٦١	١٠/١٩	—	الوعيرة قرب رامات	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشعال النيران في خط انابيب البترول بين ايلات وعسقلان	—	—	—	رقم ١٦١	١٠/٢٧
٦٢	١٠/١١	—	وادي عربة	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	رقم ١٦١	١٠/٢٧
٦٣	١٠/١٥	—	ماعوز هاتيكار/ البحر الميت	تفجير وقصف	عبوات ناسفة وصواريخ	— —	تدمير منشآت مائية واشعال النيران في بعض المنشآت	—	—	—	رقم ١٦١	١٠/٢٧
٦٤	١٠/١٥	—	منطقة بئر السبع	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	تدمير ثلاث سيارات عسكرية	—	—	—	رقم ١٦١	١٠/٢٧
٦٥	١٠/٢٣	—	ليزل اول/غور الاردن الشمالي	قصف	صواريخ	غيرمحدد	اصابة بعض المنشآت	—	—	—	رقم ١٦٢	١٠/٢٩
٦٦	١٠/٢٥	—	نابلس ـ الغور	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة قافلة سيارات عسكرية بأضرار	—	—	—	رقم ١٦٣	١٠/٢٩

٦٧ — ١٠/٢٤	—	زيتــا	تفجير	عبوات ناسفة وحارقة	غيرمحدد	اصابة مبنى مكتب العمل في البلدة بأضرار	—	—	—	رقم ١٦٣	١٠/٢٩
٦٨ — ١٠/٢٤	٢١٦٣٠	باب العمود/القدس	تفجير	القاء قنبلة	غيرمحدد	تدمير سيارة واصابة من فيها	—	—	—	رقم ١٦٤	١١/ ١
٦٩ — ١٠/١٠	—	حارة النصارى/ القدس	قتل	خنجــر	١ —	رشاش عوزي	—	—	—	رقم ١٦٤	١١/ ١
٧٠ — ١٠/١٢	—	بيتعور التحتا/ رام الله	حرق	مواد حارقة	— —	حرق مكتب العمل في القرية	—	—	—	رقم ١٦٤	١١/ ١
٧١ — ١٠/١٤	٢١٦١٥	رفح والماسورة	كمين	رشاشات وقنابل	٢١ —	تدمير عربة نصف مجنزرة	—	—	—	رقم ١٦٥	١١/ ٩
٧٢ — ٢٢—١٠/٢٣	٢٣٦٠٠	غزة والعريش	كمين	قنابل يدوية ورشاشات ٢٢	—	تدمير عربتي جيب وغنم ثلاث بنادق نانو ورشاشي عوزي ومسدس	—	—	—	رقم ١٦٥	١١/ ٩
٧٣ — ١٠/٢٧	—	ابو طويلة	تفجير	شبكة ألغام	١ —	تدمير بلدوزر	—	—	—	رقم ١٦٥	١١/ ٩
٧٤ — ١٠/١٧	٢٢٦٠٠	رفح وخان يونس	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير عربة واعطاب اخرى	—	١	—	رقم ١٦٥	١١/ ٩
٧٥ — ١٠/٢٩	—	الرابية شرقي بئر ٨٦	تفجير	شبكة الغــام	غيرمحدد	تدمير مجنزرة	—	—	—	رقم ١٦٥	١١/ ٩
٧٦ — ١١/ ٣	—	كريات يام/شمال حيفــا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد ٣	تدمير مصنع للنجارة	—	—	—	رقم ١٦٦	١١/١٠
٧٧ — ١١/ ٨	—	رام الله	قتل	خنجــر	١ —	رشاش عوزي	—	—	—	رقم ١٦٧	١١/١٠
٧٨ — ١١/ ٨	١٨٦٠٠	رام الله	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة معظم افراد الدورية بين قتيل وجريح	—	—	—	رقم ٩٧٥	١١/١٢
٧٩ — ١١/١٢	—	نابلس	تفجير	القاء قنبلة	غيرمحدد	اصابة عدد من افراد دورية بين قتيل وجريح	—	—	—	رقم ٩٧٦	١١/١٢
٨٠ — ١٠/١٨	—	تفوح/الخليل	كمين	قذائف صاروخية ورشاشات	غيرمحدد	تدمير سيارتين عسكريتين	—	—	—	رقم ٩٧٧	١١/١٣
٨١ — ١١/ ٨	—	جنين	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى مكتب العمل والعمال بأضرار	—	——	—	رقم ٩٧٨	١١/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٨٢ —	١١/١٠	—	بئرالسبع والخليل	تفجير	شبكة الغـــام	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	رقم ٩٧٨	١١/١٣
٨٣ —	١١/ ٤	—	العفولة والخضيرة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة باص لشركة ايجد باضرار ووقوع اصابات اخرى	—	—	—	رقم ٩٧٩	١١/١٤
٨٤ —	١١/ ٥	١٦،٤٥	جلبوت/جنين	تفجير	شبكة الغـــام	غيرمحدد	تدمير سيارة نقل عسكرية	—	—	—	رقم ٩٧٩	١١/١٤
٨٥ —	١١/ ٨	—	ايلات	تفجير	عبوات ناسفة موقوتـــة	غيرمحدد	تدمير مجمع الكهرباء وخزان المياه الخاصين بمدينة ايلات	—	—	—	رقم ٩٨٠	١١/١٥

تصدر البلاغات العسكرية عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

غازي خورشيد

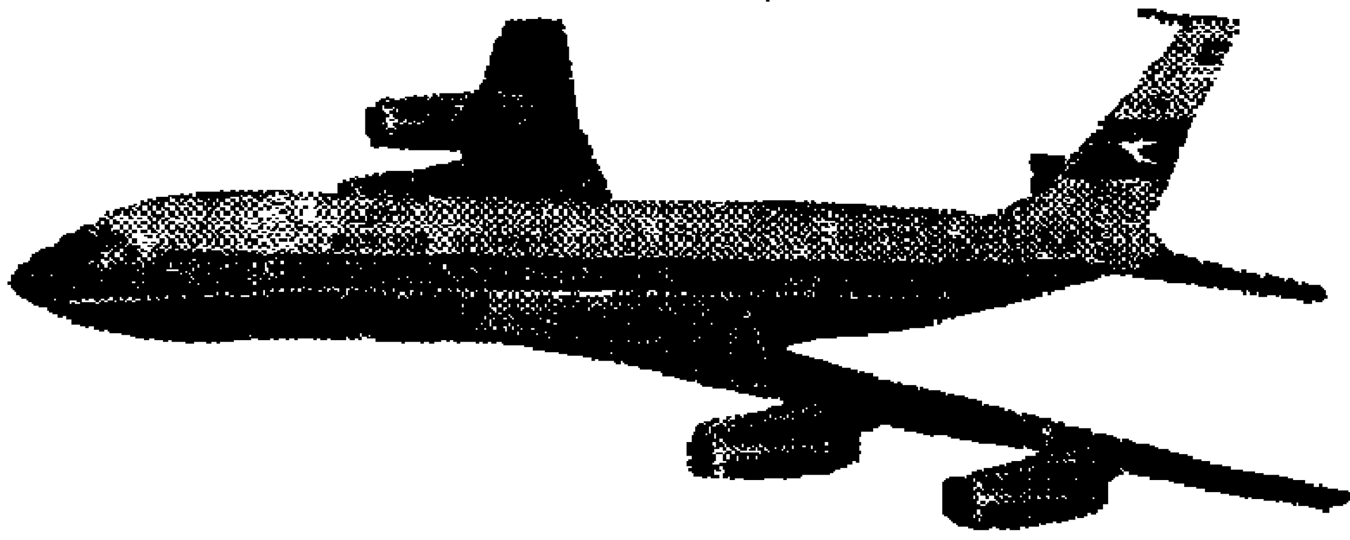


رحلات يوميّة من الكويت والخليج العربي إلى عواصم أوروبّا الرئيسيّة



الثلاثاء: الكويت - اثينا - جنيف - لندن الساعة ١١,٣٠
الأربعاء: الكويت - لندن بدون توقف الساعة ١٥,٠٠
الخميس: الكويت - روما - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الجمعة: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠
السبت: الكويت - اثينا - فرنكفورت - لندن الساعة ١١,٣٠
الأحد: الكويت - روما - باريس - لندن الساعة ١١,٣٠

سافروا بطائرات الخطوط الجويّة الكويتية واجعلوا رحلاتكم سهلة ممتعة بمشاهدة العروض السينمائية التي أصبحت تقدم خلال جميع الرحلات، وذلك علاوة على الموسيقى المنوعة التي يمكنكم الاستماع إليها على ٦ أقنية مختلفة.



الخطوط الجويّة الكويتيّة

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; ***Editor***, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 30, other Arab countries LL 40, Asia, Africa and Europe LL 60, elsewhere LL 90; *Annual Subscription* (surface mail) : Countries outside the Arab World LL. 45. *Address :* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٢½ ل.ل. في لبنان
٣½ ل.س. في سوريا
٤٠٠ فلس في الكويت
٣½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية


Bibliotheca Alexandrina
0535854